"تم تصوير الموسوعة الفلسطينية بالتعاون بين فريق "مكتبة المهتدين لمقارنة الأديان
http://www.al-maktabeh.com
"وفريق "مكتبة فلسطين للكتب المصورة
https://palstinebooks.blogspot.com

الموسوعة الفلسطينية

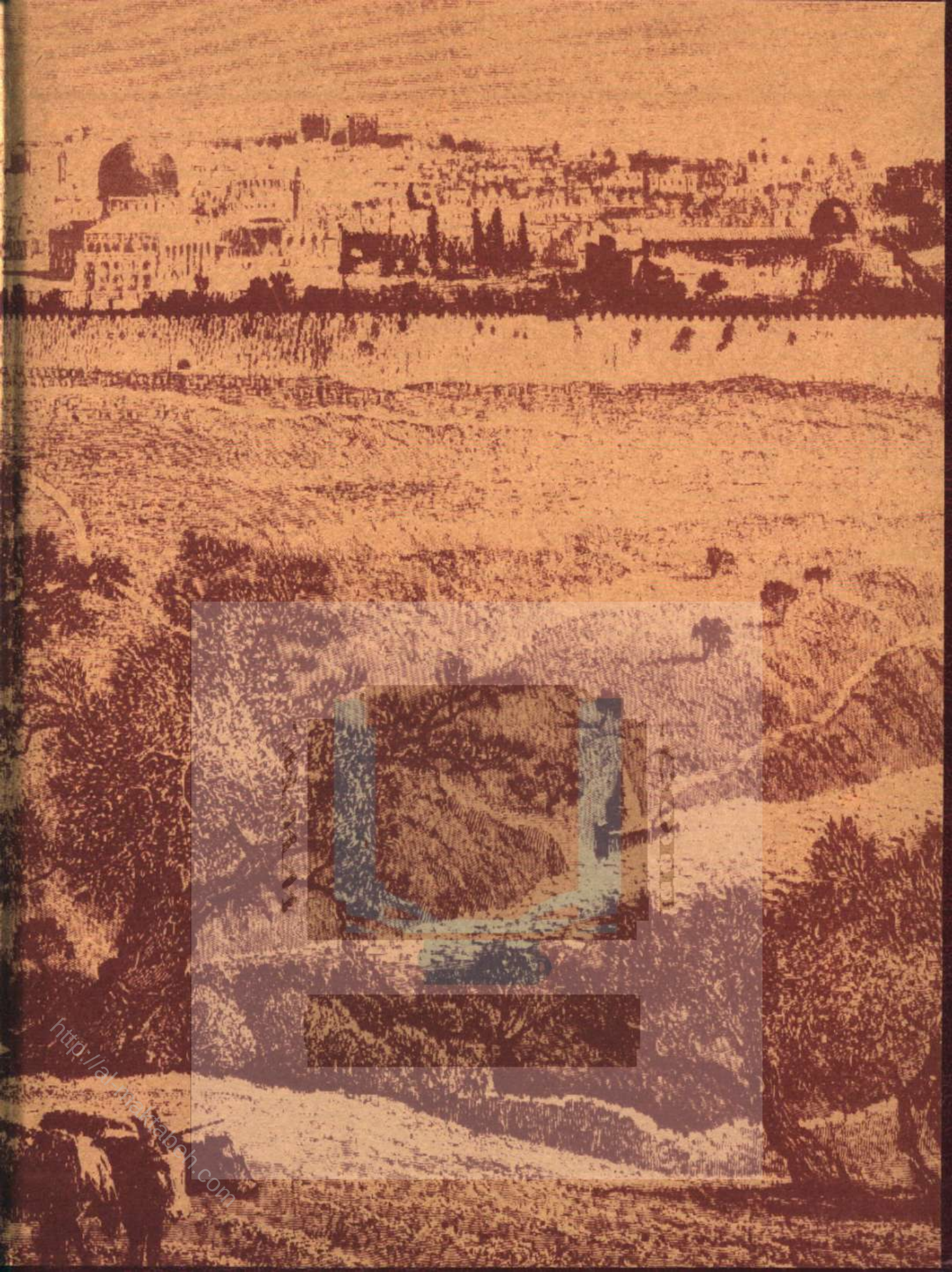

http://al-maktabeh.com

الموسوعة
الفلسطينية

الموسوعة الفلسطينية

القسم العام
في اربعة مجلدات

المجلد الاول
(ا ـ ث)

الطبعة الاولى ١٩٨٤

اصـــــدار
هيـئة الموسوعـة الفـلسطيـنية

احـمـد المرعشـلي
رئيس مجلس الادارة

عبد الهـَادي هـَاشم
رئـيس التحرير

انـيس صـَايـغ
المســتـشــار

جَميع الحقوق محفوظة لهيئـة الموسوعة الفلسطينية

دمشق
ص.ب: ٨٠٨٤

تصدير

الاستاذ الدكتور محي الدين صابر

المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

(احد مؤسسي هيئة الموسوعة الفلسطينية)

الموسوعة الفلسطينية صورة من صور النضال القومي في مجال من اكثر المجالات أهمية هو مجال التاريخ الحضاري والسياسي . فالاغتصاب الصهيوني لارض فلسطين يقوم على فرية أسطورية ألبست ثياب التاريخ وفرضت بمختلف الاساليب الاعلامية والسياسية والاقتصادية على المحافل الدولية ، وحتى على المؤسسات العلمية ، شرقا وغربا ، حتى كاد يستقر في الاذهان أن فلسطين هي وطن اليهود المغتصب الذي لا تحرره إلا العقيدة الصهيونية العنصرية .

ومن هنا يصبح لهذه الموسوعة التاريخية العلمية دور أساسي في معركة تحرير فلسطين يتمثّل في عرض الحقائق التاريخية حولها أرضا وشعبا وحضارة وقضية لتكون وثيقة علمية تدحض الاساطير التي ظل يروّج لها المستعمرون في ميدان انفردوا فيه واحتكروه فضللوا الرأي العام العالمي كما شاؤوا .

لقد بدأ المشروع ـ وقد أصبح اليوم عملا صالحا وأداة نضالية عربية بفضل عزيمة الرجال وقدرتهم وعطائهم ـ باتفاقية عقدت بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومنظمة التحرير (دائرة التربية والتعليم العالي) في العاشر من شهر كانون الاول عام ١٩٧٤ لاصدار هذه الموسوعة التي كان المؤتمر العام للمنظمة قد أقرّها في دورته الثالثة في العام نفسه .

وقد قامت هيئة الموسوعة الفلسطينية وانشىء لها مجلس استشاري ومجلس ادارة يتولى المدير العام للمنظمة ، طبقا للاتفاقية ،تسمية اعضائهما بالتشاور مع دائرة التربية والتعليم العالي . هذا وقد كان من تمام العمل أن يقوم على هذا كله جهاز تنفيذي للشؤون الفنية والعلمية والادارية والمالية .

وبدأ العمل الدؤوب المنظم على منهجية علمية صارمة ، ولا سيما أن هذه الموسوعة هي أولى التجارب التي تقوم في هذا الميدان من حيث الموضوع ، ومن حيث أسلوب التنفيذ . فقد تم بصورة قومية في التخطيط الفني والاداء العلمي والتمويل ، الأمر الذي يمثل في ذاته انجازا عربيا رائدا في هذا المجال .

ان الجوانب الفنية في هذا العمل الجليل ، منهجية وتنظيما وتحريرا واخراجا ، تولاها الزملاء تعريفا وتقديما .

وان من همي هنا أن أدير القول قصيرا عن المعنى القومي والفكري الذي ينطوي عليه هذا العمل ، وعما يمكن أن يعين به في الاعلام بالحق الفلسطيني عالميا ، وبخاصة حين تترجم الى اللغات الاجنبية ، وأن أعبر عن اعتزاز المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتبنيها لهذه المبادرة الجليلة التي كانت ثمرة للتعاون الوثيق مع منظمة التحرير (دائرة التربية والتعليم العالي) ، وأن أشيد بالسعي القادر لهيئة الموسوعة الفلسطينية ومجالسها وأجهزتها في مجال العمل العربي المشترك والملتزم .

لقد كانت هذه الموسوعة تجربة عربية ناجحة ونافعة في أكثر من مجال . وكانت وراء هذا العمل قوى عربية فاعلة : دول ، ومؤسسات ، وأفراد ، وعلماء ، ومنظمون ، أعانوا فدعموا وأعطوا وأنجزوا ، والشكر المستحق هنا كثير ، ومجاله واسع . واني لأعلم أن هؤلاء وأولئك يجدون في تحقيق هذا العمل كل الثواب والجزاء والتقدير لما بذلوا من فكر أو جهد ، أو انفقوا من مال .

ومهما يكن من أمر فإن من حق المؤتمر العام للمنظمة ومجلسها التنفيذي ورؤسائهما وأعضائهما في دوراتهما المتعاقبة أن يسجل لهم دورهم الايجابي في كل مراحل هذا العمل . كما أن هيئة الموسوعة وأعضاء مجلسيها الاستشاري والتنفيذي والفني الذين أداروا المعركة اليومية لسنوات سعياً وبذلاً وأداء حتى أخرجوا الفكرة الى الوجود ليستوجبون بما صنعوا الاشادة والتقدير من وطنهم وأمتهم . ولهيئة التحرير والعلماء والخبراء والمثقفين العرب المشاركين الذين كانوا في مستوى المسؤولية معرفة والتزاما الثناءُ الباقي الذي يتكافأ مع ما أدوا من عمل فكري وعلمي وقومي باق وخالد .

واذا كان في هذا المقام متسع لتخصيص فانه لا بد من الاشادة بالدعم المالي السخي الذي أسهمت به المملكة العربية السعودية في اطار الدعم القومي الذي شاركت فيه الدول العربية والمؤسسات والافراد كرما ومسؤولية .

كذلك فإنه إذا كان بين أولئك النفر الكريم من العرب الذين أسهموا بقدرة وكفاية وعطاء وانتماء لهذا العمل الكبير من يجب التنويه بفضله فان للاستاذ أحمد المرعشلي ، رئيس مجلس ادارة الموسوعة ، ومدير دائرة التربية والتعليم العالي بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وعضو المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لأعوام طويلة ودورات متتابعة ، فضلاً كبيراً في هذا العمل فكرة ومتابعة وادارة . فقد انقطع له وظل يعطيه من ذات نفسه ، ومن اصراره ، حتى تحقق في هذه الصورة بين أيدينا . ومن حق الاستاذ عبد الهادي هاشم رئيس تحرير الموسوعة ومعاونيه أن يذكر لهم جهدهم وعطاؤهم وحسن بلائهم في هذا العمل الرائد .

واني حين أقدم الموسوعة الفلسطينية باعتزاز إلى الأمة العربية والرأي العام العالمي لأدرك أن عصرا من النضال يفتتح بها في مجال الفكر والسياسة والثقافة ، وانها أداة فاعلة من أدوات النصر في معركتنا العادلة من أجل فلسطين العربية أبداً لأنها تمثل انجاز الشعب العربي الفلسطيني وعطاءه ونضاله في بناء الحضارة العربية على أرضه عبر العصور .

والحمد لله رب العالمين .

تصدير
الاستاذ احمد المرعشلي
رئيس مجلس إدارة هيئة الموسوعة الفلسطينية

تشغل فلسطين اليوم بال العالم بأسره، وتطالعنا الصحف صباح مساء بأنبائها، وتتحدّث الإذاعات عمّا يجري على صعيدها وما يدبّر لها . وتؤلف الكتب لشرح جوانب من قضيتها أو تاريخها أو حاضرها أو مستقبلها .

ولكن لم يؤلف في العربية ، فيما نعلم ، كتاب جامع شامل يتحدث عن هذا البلد المجاهد من شتى الجوانب التي تهم طالب المعرفة . فقد يجوّد كتاب في ناحية هامة ، ولكنه لا يتعرض لنواح أخرى يشوق القارىء العربي الاطّلاع عليها . وقد يتخصص مصدر من المصادر الثقة بالتحدث عن هذا الجانب أو ذاك من حضارة شعب هذا البلد وماضيه ، أو إسهامه في موكب الفكر العالمي ، ولكنه لا يعنى بإبراز جوانب أخرى من ماضيه وحاضره ومنجزاته الفكرية والحضارية ، الأمر الذي يجعل القارىء المثقف المعاصر غير قادر على الوقوع على طلبته بيسر ، ويضطره للرجوع الى عدد كبير من المصادر التي تتحدث عن هذا الجانب أو ذاك .

إلى جانب ندرة المصادر الجامعة يحاول عدوّنا ، عدوّ الحق والصدق والعدل ، أن ينشر الأباطيل والأوهام حول حق العرب في بلدهم فلسطين ، ويشوّه صفحات ناصعة من تاريخهم فيدسّ فيها الأكاذيب ، وقد تنطلي حيناً على بعض من لم يُؤتَوا القدرة على كشف تزييف الباطل وإحقاق الحق .

ومعركة العرب مع الصهيونية ومن وراءها معركة حضارية شاملة متعددة الجوانب والوجوه والساحات . وإذا كان ميدان القتال بالسلاح هو أكثر ما تتوجه إليه الأنظار فإن الميادين الحضارية أخطر وقعا وأبعد أثرا وأبقى على مرّ الزمن .

من أجل هذا كلّه لبّى نفر من علماء العرب ومجاهديهم دعوتنا لوضع موسوعة علمية تستوعب الحقائق المتصلة بهذا البلد الطيب وتجيب عن أسئلة القارىء حول ماضي فلسطين وحاضرها وإسهامها في مسيرة الحضارة الإنسانية . واستجابت منظمة التربية والثقافة والعلوم لدعوتنا ، دعوة منظمة التحرير الفلسطينية ، وكان من تعاون هاتين المنظمتين وتلبية نفر من العلماء الأجلّاء المتخصّصين هذه الموسوعة التي نطمع في أن تسد بعض العوز إلى المراجع الموثوقة في العربية . وأملنا أن تأتي بعد هذه الطبعة الأولى من القسم الأول طبعات وأقسام لاحقة أشمل وأكمل وأمثل تقدم للقارىء ما يطلب من المعلومات المنزّهة الموثوقة .

ويسعدني أن أزجي الشكر أجزله وأصفاه للدول والمنظمات العربية والاخوة الباحثين المشاركين الذين أمدونا بعونهم المادي والعلمي وسهروا على أن يحقق مشروع تأليف الموسوعة الغاية التي نصبو إلى تحقيقها ، وأن يجد القارىء العربي فيها إجابة عن أكثر تساؤلاته فيما يتعلق بفلسطين الغالية .

http://al-maktabeh.com

المقدمة

امتدّتْ اليوم رحاب المعرفةوترامت آفاقها واتّسعت جنباتها. وغدا الانسان عاجزاً في هذا العصر عن أن يحيط الاّ ببعض نواحيها . واما ما فوق ذلك فيلمّ به الماما رفيقا بالاطّلاع على ما تقوله الموسوعات والكتب الشاملة فيه . فاذا ما أوغل في ما وراء ذلك لجأ إلى الكتب التي تلخّص له زبدة ما هدى اليه البحث ودل عليه الفكر وأوعبته دراسات الباحثين المتمكّنين كل في مجال ما انفرد به وتخصّص . فكان من ذلك ما يسمّونه اليوم الموسوعات أو دوائر المعارف يضمّنونها خلاصة المعارف التي بلغ انسان هذا العصر اليها في كل جانب من جوانب المعرفة والعلم والفن .

وقد يقتصر الامر على شطر من آفاق المعرفة فتنصبّ العناية بما بلغ اليه علم العصر في زاوية من الزوايا او حقل من الحقول في التاريخ أو الجغرافية أو الادب أو العلم أو الطب أو الفلك ، من مثل دائرة المعارف الاسلامية أو موسوعة القانون الدولي أو موسوعة الفقه المقارن .

وقد عرفت العربية في أزهى عصورها أنموذجات من هذين النمطين في التأليف . ولكن عصرنا هذا لا يقنع بما تمّ صنعه في هذا الميدان ولا يرضى بأن تظل العربية عالة على غيرها من اللغات في دراسة ما يتصل بها وبأهليها عن قرب . ومن هنا جاء التفكير في تزويد العربية بموسوعات شاملة عامة محيطة ، وبموسوعات متخصّصة متعمّقة متمكنة .

وقد أصبحت فلسطين في العقود الأخيرة على كل لسان وفي كل قلب . تتحدّث عنها الصحف صباح مساء ، وتشير الاذاعات الى أحداثها مرات كل يوم ، ويعالج قضيتها وما حلّ بها من آلام كل مهتم بالعدالة والحقيقة ، وتهفو قلوب العرب في مشرق الوطن العربي ومغربه الى معرفة ما حلّ بهذه الأرض المقدّسة من مصائب ونوائب . وأصبح المواطن العربي يتلمس المراجع والمصادر التي تسعفه في وصف هذه الارض الغالية في ماضيها وحاضرها وفي حضارتها وشعبها وفي أفراحها ونكباتها في الغابر والحاضر .

ويلتمس القارىء في المكتبة العربية مراجع تسعفه في تبيّن ماضي هذه الأرض وحاضرها فيجد الكثير الكثير من الكتب والمجلّات والمراجع التي تتعرّض لهذا الجانب أو ذاك ممّا له صلة بتاريخ هذه البقعة الأثيرة من الارض وحاضرها وأهلها ونصيبهم من مسيرة الحضارة الانسانية . ولكن القارىء العربي لا يظفر بمرجع واف كاف جامع شامل يتحدث عن الارض وما قام عليها من حضارات وما ساهم به أهلوها من دفع عجلة الحضارة الانسانية ، كما لا يجد مصدر ثقة عن هذا البلد في ماضيه وحاضره في الجوانب الحضارية والثقافية والسياسية وما ساهم به أهلوه في تراث الانسانية الثقافي وما كابد أبناء هذه البقعة من ضرّ على أيدي المعتدين الغاصبين .

لهذا تنادى نفر من المهتمين بفلسطين في ماضيها وحاضرها ومستقبلها كيما يضعوا بين أيدي القارىء الطّلعة

مرجعا موثوقا يفي بتطلّعه الى معرفة الجوانب الاساسية المتّصلة بأرض فلسطين المقدسة ومن تعاقب عليها وحاول أن يردّ في الماضي والحاضر كيد الكائدين لها الطامعين فيها الذين جنّ الدهر فألقى فلسطين فريسة لهم . ولكن للباطل جولة ثم يضمحل ، ولا بد ان آجلا أو عاجلا من أن يعود الحق الى نصابه وأن يلقى العادون المعتدون جزاء عدوانهم وتعود الأرض المقدسة الى أصحابها الشرعيين .

واننا لنأمل صادقين مخلصين أن تسهم هذه الموسوعة الفلسطينية في امداد القارىء بما يلتمسه في معرفة ماضي هذا البلد وحاضره ونصيبه في مسيرة الحضارة الانسانية واسهامه في ركب التقدم بعد أن يخلص مما حلّ به من ضيم .

وهذه الموسوعة الفلسطينية ليست عمل فرد واحد أو جماعة صغيرة . فقد ساهم في كتابتها ، كل في جانب اختصاصه ، أكثر من مائتي باحث عالم توفروا على معالجة كل ما يتصل بفلسطين من القديم الى اليوم في الميادين كلها . ولئن أرجىء اثبات بعض المواد القليلة الى القسم الثاني من الموسوعة فذلك لان طبيعة بعض البحوث تقتضي الافاضة والتوثيق والتفصيل والشرح مما قد لا يتسع له القسم الهجائي وانما محله القسم الثاني من الموسوعة .

ان الموسوعات الفلسطينية بغير العربية كثيرة ضافية موسّعة . ولكنها لا تتسم جميعا بالتجرد عن الهوى والعصبية ولا تتصف بالعلمية المنزّهة عن الغرض . فقد كتب أكثرها قوم لا يبالون بالحقيقة العلمية ولا يلتزمون الموضوعية المجردة في أحكامهم بل ينساقون وراء أهوائهم وأغراضهم فيجعلون الحق باطلا والباطل حقا ويتعصّبون مع الباطل على الحق حتى ليغمّ الصواب على طالبي المعرفة من أبناء اللغات الاخرى .

واننا لنرجو أن تعقب هذه الطبعة العربية للموسوعة طبعات لجوانب من موسوعتنا هذه بغير اللغة العربية تنير السبيل أمام طالبي المعرفة الحقة مبسوطة ببعض اللغات الاجنبية الواسعة الانتشار .

ولا نزعم التجويد في كل ما كتبنا والاصابة في كل ما سردنا ولا الاحاطة في كل ما سقنا من أحكام وتفصيل وسرد ، ولكنها أول محاولة من نوعها فيما نعلم بالعربية تسعف من ينشد المعرفة الشاملة المنزّهة عن الهوى المعصومة من التحيّز . واننا لنرجو أن نكون قد وفقنا الى سد ثغرة ولو صغيرة في ميدان الدراسات الفلسطينية ، ونرجو أن نفتح الباب لدراسات آجلة أوسع وأوثق وأعمق في قضية تشغل كل مهتم باحقاق الحق وازهاق الباطل .

ولئن انصبت العناية في هذه الموسوعة على فلسطين وحدها فليس معنى ذلك انكار عروبتها والزعم بانفصال هذا البلد عن أشقائه وأقربائه . فما فلسطين الا واحد من البلاد العربية يصيبه ما يصيبها من خير أو ضر ولا

يختلف مصيره عن مصير البلاد العربية الأخرى . والكتابة عن فلسطين وتخصيص الموسوعة بها تمهيد لاخراج موسوعات عن بلاد عربية أخرى ، ثم لاخراج موسوعة واحدة شاملة لجميع الوطن العربي . واذا كانت الخطوة الاولى اصدار موسوعة عن فلسطين فلا شك أن خطوات تالية ستتفرّغ لاكمال السلسلة واصدار موسوعات عن البلاد العربية الاخرى . ونرجو أن يكون ما تم صنعه في الموسوعة الفلسطينية خطوة رائدة في هذا النهج تتلوها خطوات أوسع مدى وأكثر شمولا وأرحب أفقا .وأملنا أن يفيد من عملنا من سينهضون باتمام سلسلة الموسوعات العربية ويستدركون ما قد يكون في صنيعنا من نقص وقصور . فاذا استكملت السلسلة من الموسوعات العربية أمكن ضم بعضها الى بعض واستخراج موسوعة شاملة للوطن العربي كله في ماضيه وحاضره .

كان عملنا في وضع هذه الموسوعة الفلسطينية نتيجة دراسات فرعية متفرّقة متخصصة وفّرها لنا علماء كثيرون في مشرق الدنيا العربية ومغربها وفي جميع آفاق المعرفة . وكان عملنا في الجملة تنسيق هذه المعارف وتيسير الاطلاع عليها من أيسر السبل واختيار الارجح من الآراء والاسلم من الاحكام والاوثق من الروايات .

وقد شعر الكثيرون بالحاجة الماسة الى مرجع موثوق يجد فيه المطالع كل ما يهمه من أمر هذا البلد المقدس . وكثرت المحاولات ولكنّها توقفت دون اخراج مثل هذا العمل الشامل . وهذا هو الذي حدا المسؤولين عن هذه الموسوعة الى الاقدام على محاولة سدّ هذه الثغرة في المكتبة العربية . ولعلّ القارىء لموسوعتنا هذه سيجد أنها محاولة رائدة أولى لتلافي هذا النقص في العربية . وأملنا أن الصواب فيها غالب وان ما قد يكون في عملنا الرائد هذا من خطأ أو نقص سيتلافى في طبعة الموسوعة القادمة .

ولهذه الموسوعة أغراض كثيرة . وليست غايتها الاقتصار على ناحية معينة من فلسطين وانما اطلاع القارىء ايضا على حضارة هذا البلد في القديم والحديث ووصف طبيعته وأرضه . فلموسوعتنا أهداف كثيرة حضارية وعمرانية وثقافية وسياسية . ولا تتم الصورة اذا اقتصر عند الحديث عن فلسطين على جانب واحد من جوانب الكلام على هذا البلد الطيّب . ولهذا ضمت موسوعتنا بحوثا اضافية عن تاريخ فلسطين وحاضرها وعن حضارة هذا البلد وأهله وعن تاريخه النضالي على مر العصور .

ولن تقتصر هذه الموسوعة على الناحية النضالية في فلسطين ، ولن تقف عند حدود باب القضية . فالقضية أمر طارىء نرجو أن يزول في القريب العاجل . وانما نود أن نضع بين أيدي القارىء العربي مرجعا موثوقا يدلّه في يسر وصدق ووضوح على مساهمة هذا البلد العربي في مسيرة الحضارة الانسانية ، وعلى نصيبه الاوفى في الحضارة العربية . فالاعتداء الغاشم عارض، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض؛ ومعرفة فلسطين لا تكون بالاقتصار على معرفة جهادها ونضالها في هذا العصر، ولا تتم الصورة الا بالاطلاع على جذور حضارة هذا البلد الطيب

وأهليه منذ القدم . ولهذا عالجت الموسوعة أبرز مظاهر حضارة هذا القطر منذ الماضي السحيق ، وعرضت لابنائه في مآتيهم الحضارية والنضالية منذ الماضي البعيد ؛ فالحاضر نتيجة الماضي ، والمستقبل وليد الحاضر ، والتاريخ حلقات مترابطة آخذ بعضها بحجز بعض . وليست الحضارة العربية التي نشأت في فلسطين بنت عصر واحد وانما هي حلقات متماسكة مترابطة متتابعة منذ أقدم العصور حتى يومنا هذا . وقد يعسر فهم الحاضر ان لم نعد الى الجذور والاعماق ، وقد يتعذر فهم حضارة الشعب الفلسطيني ان لم نلتمس جذورها في ما يجاوره من أبناء الشعب العربي ، ولم تكن فلسطين الا حلقة من حلقات هذه الامة العربية منذ أقدم العصور . ونرجو أن تنزاح عن فلسطين هذه الغمة التي نزلت بها منذ أربعين سنة حتى تعود هذه الأرض الطيبة الى مقاسمة اخواتها أفراحهم وأتراحهم وتشاركهم في المصير الواحد ، وإن الصبح لقريب .

وليست موسوعتنا هذه عملا دعائيا اعلاميا يعنى بابراز بعض الجوانب التي تهم القارىء المتعجل في فترة محددة من الزمن وانما نحاول في موسوعتنا ابراز الحقائق قديمها وحديثها متماسكة مترابطة على مر الزمن ناشىء بعضها عن بعض . وقد يجد القارىء المتعجل وفرة في المواد المتعلقة بماضي هذا البلد الطيب ، وقد يكتفي بقراءة مواد من الموسوعة موثوقة على فترة معينة من التاريخ . ولكنا أحببنا أن تكون الموسوعة مترابطة متماسكة تصل الحاضر بالماضي وتستشرف آفاق المستقبل ، وحاولنا أن نوعب الموسوعة كل ما يتصل بفلسطين .

ولقد أحس بالحاجة الى انجاز هذا العمل الضخم واخراج موسوعة فلسطينية شاملة متكاملة نفر من العلماء المخلصين المجاهدين شعروا بحاجة المواطن العربي الى مرجع علمي يثبت جميع الحقائق المتصلة بفلسطين ويلبي طلبة القارىء العربي الى معرفة ماضي هذا البلد وحاضره فكان ان استجابوا دعوة لهذا العمل الكريم .

وكان قد صدر قرار بتأليف مجلس ادارة لهذا المشروع ، كما صدرت قرارات أخرى بتحديد الجهات المسؤولة عن انفاذه . ودعيت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بالمدير العام لدائرة الشؤون التربوية والثقافية فيها والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ممثلة بمديرها العام وعقد اتفاق بين هاتين الادارتين الثقافيتين لاخراج هذه الموسوعة . والتفّ حول العاملين في هاتين المنظمتين نفر من العلماء والباحثين المخلصين فكان بنتيجة ذلك هذا المشروع .

وقد اضطلع بتحرير مواد الموسوعه أكثر من مائتي عالم عربي متخصص كل في المجال الذي يتقن ، وبمراجعة ما كتب نفر من المتخصصين الآخرين . كما عملت هيئة التحرير على تنسيق البحوث وتشذيبها وتحاشي التكرار فيها او تباين اتجاهاتها دون التدخل الكبير فيما كتبه هؤلاء المتخصصون من البحوث . وقد شاءت رئاسة التحرير أن يكون التدخل في صنيع المحررين ضيق الحدود بحيث تبقى البحوث من صنيع أصحابها في الجملة لا من عمل

هيئة التحرير ؛ فالعمل مشترك جماعي ، والتبعة موزعة بين الكتّاب أنفسهم ، وليس للجنة التحرير الا التنسيق والتوفيق وتوحيد المنهج بقدر ما يعين عليه الجهد وتبلغ اليه الطاقة .

ولعلنا لا نغلو البتة اذا زعمنا أن عملنا هو أول عمل في العربية ساهم فيه فعلا أكثر من مائتي عالم وباحث متخصص وانه حقق أمل الكثيرين في تزويد المكتبة العربية بمرجع ثقة عن أكثر ما يتعلق بفلسطين من حيث طبيعتها وتاريخها وحضارتها وقضيتها . ومع ذلك فاننا نطمح في أن تكون طبعات الموسوعة المقبلة أشمل وأحكم وأدق في المستقبل القريب ان شاء الله . وبحسبنا أننا لم نضن بجهد في سبيل تجويد العمل واتقانه وشموله ودقته .

ولعل القارىء يودّ أن يطّلع على بنية مشروع الموسوعة وانجازه . فنقول باختصار ان للموسوعة مجلسا استشاريا يضمّ نفرا من كبار رجال العلم والفكر والعقيدة اختيروا من العاملين في مجالات ثقافية ونضالية متعددة في البلاد العربية ولم يختص بهم قطر معين ولا اتجاه علمي محدّد، ويؤلفون في مجموعهم هيئة علمية متميزة عارفة بفلسطين في ماضيها وحاضرها من جميع الوجهات .

والى جانب هذا المجلس الاستشاري هناك مجلس اداري يضمّ عددا محدودا من كبار العلماء العارفين اختيروا من أكثر من بلد عربي واحد ويمثّلون ميادين الثقافة كلها ويضطلعون بعبء الاشراف على تحرير الموسوعة واخراجها وتحقيق ما اراده لها القائمون عليها من موضوعية وعلمية وشمولية وحسن اختيار لكل ما يتعلق بهذا الموضوع .

وإلى جانب هؤلاء جميعا هيئة تحرير تضمّ متخصصين بفلسطين من الناحية الحضارية والتاريخية والعلمية والسياسية تقع على عاتقهم تبعة مراجعة البحوث والايصاء بتجويدها وتنسيقها وترابطها وشمولها .

أما المسؤولية الكبرى فمن نصيب العشرات من الباحثين المتخصصين من مشرق الأمة العربية ومغربها العارفين بماضيها وحاضرها في جميع الحقول والميادين الذين يجد القارىء ثبتا باسمائهم واشارة موجزة الى ألقابهم العلمية .

وهناك جنود مجهولون يتعذر سرد أسمائهم أو يضنون بالاشارة الى صنيعهم . فقد عملوا في انجاز هذا المشروع وهم لا يريدون جزاء ولا شكورا وانما يودّون اداء واجب يرون الخير كل الخير في الوفاء به ويرضون أن يصدر العمل أقرب ما يكون الى الكمال دون أن ينسب اليهم شيء من الفضل فيه .

ولن ندخل في التفاصيل ، ولكن بحسبنا أن نقول اننا مسؤولون عن هذا العمل المشترك وسنعمل على تدارك ما قد يكون فيه من زلل أو نقص اذا نبّهنا اليه أو تبيّن لنا مع الايام وجوب اصلاحه .

http://al-maktabeh.com

هذا وقد اقتصرنا على ذكر أسماء الاساتذة الباحثين المتخصصين الذين كتبوا للموسوعة ونشرت بحوثهم فيها ولم نحدّد البحوث التي أعدها كل منهم لان هيئة التحرير اضطرت الى بعض التعديل في المقالات لتناسب خط الموسوعة أو لتتجنب تكرار ما ورد في مواد أخرى أو لاختصار موضوعات مفصّلة أو تفصيل موضوعات موجزة . ولهذا ، وتجنبا لتحميل كاتب البحث تبعةصدور البحث على شكل معين، اكتفينا باثبات قائمة بأسماء الاساتذة الباحثين الذين نشرت بحوثهم كما كتبوها أو كما عدّلتها هيئة التحرير . ونعتذر الى الاساتذة الباحثين الذين وافوا الموسوعة ببحوث مستقلة رأت هيئة التحرير ضمّها إلى بحوث اخرى أشمل وأكمل بحيث أصبحت مقالاتهم شطرا من مقالات أخرى أعمّ وأشمل . على أننا نؤكد أننا التمسنا في ذلك كله مصلحة القارىء وتيسير سبل المعرفة لطالبيها .

وشاء القائمون على الموسوعة أن تكون العناية باخراجها مكافئة للجهد الذي بذل في كتابتها وتأليفها ولم يضنّوا بأي جهد ممكن للوفاء بذلك . ولئن لم يحققوا كل ما صبوا اليه فانهم في الجملة راضون عن طباعة هذا الشطر من الموسوعة واخراجه على الشكل الذي يراه القارىء ، وان كانوا يأملون أن تأتي الطبعات المقبلة خيرا من هذه الطبعة التي انجزت في ظروف صعبة ، فما لا يدرك كله لا يترك جلّه ؛ واننا لنعد القارىء أن تكون طبعات الموسوعة في المستقبل أفضل مما استطعنا بلوغه برغم الجهد الذي بذلنا والنتيجة التي حققنا .

جعلنا الموسوعة بادىء ذي بدء في أبواب ثلاثة : باب الارض ، باب الشعب والحضارة ، باب القضية . واستخرجنا عناوين جميع الموضوعات التي يحسن أن تعالجها الموسوعة ثم ضممنا اليها جانبا يعرّف بالأعلام أولي الصلة بفلسطين في الماضي والحاضر حضاريا وعلميا وسياسيا . ثم قسّمنا كلا من هذه الابواب الى عناوين فرعية استخرجنا ما يضمّه كل منها من مواد وعهدنا الى عشرات من الباحثين المختارين الكتابة فيها. وقد روعي في اختيار مواد الموسوعة التركيز على فلسطين في مسيرة الحضارة الانسانية . ثم جمعنا هذه البحوث بعد مراجعتها وتدقيقها ورتّبناها ترتيباً هجائياً ووحّدنا بقدر الامكان اسلوب المعالجة فيها وتجنبنا التكرار فيها ما أمكن ، ثم حاولنا الاحالة في اكثر الموضوعات على الموضوعات الاخرى المتعلقة بها او المتصلة اتصالاً وثيقاً ببعض ما فيها حتى يتاح للقارىء ربط الموضوعات المتقاربة او المتجاورة بعضها ببعض . وأكثرنا من الاحالات، وعقّبنا على البحوث بالمراجع الموثوقة لمن اراد التوسع فيها ، وحاولنا تجنّب التكرار ودلالة القارىء على المراجع الاوفى اذا ما شاء المزيد من المعارف في الموضوعات التي يتخيرها . وقد لقينا في ذلك بعض العناء لقلّة المراجع في بعض موضوعات الموسوعة . وقد نحيل القارىء على مراجع قديمة اذا لم يغنِ عنها مرجع موثوق حديث متوفر بين ايدي ملتمسي المعرفة . على أننا لم نثقل الموسوعة بذكر كل المراجع ، فحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

وتقع موسوعتنا في أقسام ثلاثة : أولها رتبت فيه المواد ترتيباً هجائياً بحسب عناوينها ، وثانيها يشتمل على بعض المواد الأساسية التي اختيرت من بين أكثر من الفي عنوان وعولجت معالجة مطوّلة شاملة متأنية تمثل بحوثاً اختصاصية أساسية . وأما القسم الثالث من الموسوعة فيضم الاحصاءات والصور والخرائط وثبتاً بالمراجع الشاملة .

واذا كنا قد انجزنا الشطر الاول من الموسوعة ، القسم الهجائي العام ، ففي النيّة ان نشرع قريباً في إعداد قسمها الثاني الذي يضمّ الدراسات المتخصصة المختارة في موضوعات رئيسة شاملة جاء الحديث عنها مقتضباً او كالمقتضب في الموسوعة في شطرها الاول . وسيختلف الحديث في هذا القسم عن الحديث في الموسوعة في شطرها الاول لان البحوث ستكون اكثر شمولاً واوسع أفقاً وأعمق دراسة وان كانت اقل عدداً . وسيرى القارىء في قسم الموسوعة الثالث الكثير من الخرائط والصور والجداول وكلها تكمّل هذا القسم الاول الذي يراه القارىء في الصفحات التالية .

ولم يكن باستطاعتنا ان نساير الاحداث التاريخية حتى يوم الطباعة . ولهذا آثرنا التوقف عند نهاية العام ١٩٨٢ ، وأملنا ان تشتمل الطبعات القادمة على ما يجدّ في مجال الموسوعة من حيث الاحداث التاريخية والنضالية والعلمية والثقافية والأعلام . ويلاحظ القارىء اننا لم نتعرّض في مجال الأعلام بترجمة مستقلة للمعاصرين الاحياء من الرجالات. كما ان هنالك مواد ارجأناها وكانت النية معقودة على ادراجها في الشطر الاول من الموسوعةالذي نقدمه الى القرّاء اليوم ، ولكننا سندرجه في القسم الثاني . وسبب ارجاء هذه الموضوعات على قلّتها الرغبة في الافاضة واعطاء البحوث حقها من التوسع والشمول .

وهنالك بعض الضوابط التفصيلية التي نودّ ان نلفت نظر القارىء اليها ، ومنها أننا لم ندرج في الموسوعة اسماء كل التجمعات العربية الفلسطينية وانما اكتفينا بالتحدث عن البلدان العربية الفلسطينية التي يجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة ، باستثناء القرى العربية الفلسطينية التي ازالها الصهيونيون من الوجود فقد ترجمنا لاكثرها . كما اننا عرّفنا بايجاز التجمعات الاسرائيلية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفاً ولم نتعرض للتحدث عن المستعمرات الصهيونية الاخرى التي اقامها الغاصبون على ارض الوطن .

هذا وقارىء موسوعتنا لا يغمّ عليه اسقاطنا كلمة « فلسطين » و « في فلسطين » من اكثر العناوين التفصيلية . فهو يعرف ان موضوعات موسوعتنا منصبّة على فلسطين واغفال ذكر ذلك في عناوين البحوث لا يوقع في اللبس ؛ على اننا أثبتنا هذه الكلمة « فلسطين » او « في فلسطين » عندما خشينا اللبس في بعض العناوين .

ولا تفرّق الموسوعة بين كلمتي : (سنة) و (عام) بالرغم من قيام فارق لغوي بينهما في الاصل لم يأخذ به الاستعمال .

واذا وردت لفظة (اسرائيل) في بعض بحوث الموسوعة فلا يعني ذلك الاعتراف بها دولة شرعية ، ولكن قد ترد هذه اللفظة في أقوال مستشهديها أو نصوص واردة فيها ، هذا بالاضافة الى انها ترد للدلالة على فترة تاريخية قديمة معيّنة .

رتبنا المواد ترتيباً هجائياً ييسّر على مطالعي الموسوعة الوقوع على طلبتهم فيها . ولكننا أغفلنا (آل) التعريف مع مطالع الاسماء ، كما أغفلنا في بدايات الاعلام عند ترتيبها لفظة (ابن ، أبو ، بنت ، بنو ، أم ، آل) الاّ اذا اصبحت جزءاً من اسم العلم .

يرد الحرف المشدّد في التصنيف على انه حرف واحد لا حرفان . كما ترد الالف المقصورة وكأنها ياء .

درجنا في ترتيب المواد على اثبات المادة مرتبة وفق الكلمة الموصوفة . وأما اذا كان العنوان يشتمل على مضاف ومضاف اليه فقد التزمنا اثبات المادة مرتبة وفق المضاف اليه . وقد نضطر الى الخروج عن هذا المبدأ اذا كان المتضايفان قد أصبحا بمثابة كلمة واحدة .

وقد استكثرنا من اثبات الاسماء المتضايفة في مكانين في الموسوعة احدهما في الاسم المضاف اليه ليهتدي القارىء الى مكان وجود الترجمة حيثما وردت .

كتبت الأعلام بحروف عربية مقاربة وفق ما درج عليه اكثر الكتّاب في العربية ، ولكننا حذفنا حرف المد الساكن اذا ما وليه حرف مسكّن فقد نحذف الالف والواو والياء المدّية الدالة على حركات اذا ما وليها حرف مسكّن . ولكننا لم نلتزم هذا الحكم اذا أدّى الالتزام به الى شيء من اللبس . ومع ذلك فقد كنّا نميل الى اثبات الرسم المشهور الذي اعتاده القارىء العربي دون التزام تام بقاعدة معينة فنحذف الواو بعد الدال ونثبتها بعد التاء في كلمة (دكتور) .

التزمنا التاريخ الميلادي الشمسي في مجمل الموسوعة بعامة وفي ذلك حيوات الأعلام. وكنا نضيف اليه التاريخ الهجري اذا كانت هذه الاضافة تزيد في الوضوح بحسب موضوع المقال .

أكثر بحوث الموسوعة مذيّلة بثبت أقرب الى الايجاز يشتمل على ما نقدّر انه أوثق المراجع للتوسع في المادة والتفصيل لما أجملته . ولم نستكثر من المراجع بغير العربية لان الموسوعات الاعجمية أولى بذكرها .

اعتمد النظام العشري في بيان الاطوال والمقاييس والمسافات والاحجام والاوزان والمساحات ومقاييس الخرائط المرفقة للبحوث . كما اعتمدت في مساحات الاراضي وحدة الدونم او الهكتار .

استكثرنا من الخرائط التي تدلّ على امكنة التجمعات السكانية ومواقعها كما أثبتنا خريطة موحّدة لكل قرية

فلسطينية تدلّ على موقعها بدائرة سوداء مطموسة وبجانبها اسم القرية ، وتظهر عليها سبع دوائر فارغة لأهم المدن الفلسطينية أُثبت الى جانبها الحروف الاولى من اسماء بعض المدن الشهيرة كما يلي : (ص : صفد ، ح : حيفا ، ي : يافا ، ق : القدس ، غ : غزة ، ب : بير السبع ، ا : ايلات) لتكون دليلاً ومرشداً في تحديد مواقع التجمع السكاني في فلسطين . كما زودت الخريطة الموحّدة هذه في هامشها بدرجات الطول والعرض وكذلك بمقياس خطي لتقدير المسافات .

اقتصرت جميع مواد باب الارض على المواقع والاماكن والتجمعات السكانية وغيرها التي تدخل في حدود فلسطين المعروفة بموجب صك الانتداب باستثناء منطقة الجولان الواقعة خارج حدود فلسطين .

أدخلت في الموسوعة :

أ ـ جميع القرى المندثرة على يد الصهيونيين مهما يكن حجمها وعدد سكانها باستثناء القليل منها الذي لا يتجاوز سكانه عشرة اشخاص .

ب ـ ضم الى الموسوعة بحث موحّد عن القرى العربية المندثرة قبل قيام الكيان الصهيوني ذكرت فيه اسماؤ ها ولمحة في وصفها وردت في نهاية البحث .

جـ ـ جميع القرى العربية القائمة الآن ويقطنها سكانها العرب ويزيد عددهم عن ٥٠٠٠ نسمة حين صدور الموسوعة ترد فيها تحت تسمية بلدة .

د ـ يجوز ان تكون بعض القرى العربية القائمة حالياً في فلسطين لم تذكر في الموسوعة لان عدد سكانها لم يكن قد جاوز ٥٠٠٠ نسمة عند اعداد البحث ، ولكن قد اتسعت منذئذ وجاوز عدد السكان فيها هذا الحد ، ونثبت التعريف بها في الطبعات المقبلة .

هـ ـ التجمعات الصهيونية الكبيرة التي يجاوز عدد سكانها عشرين الفاً .

عند ذكر الاحداث النضالية والسياسية اكتفينا بالالماح الى الحوادث كما جرت دون ان نفيض في بيان أسبابها وتحليلها واستخراج النتائج منها ، فمكان هذا كله القسم الثاني الخاص من الموسوعة . أما القسم الاول العام فيشتمل على وصف الاحداث وسرد الوقائع دون الافاضة في التحليل والاستنتاج .

في سياق البحوث يجد القارىء أحياناً حرف الرّاء (رَ) متلوا بعنوان صغير ، والراء هذه هي فعل الامر من رأى يرى ، والمقصود احالة القارىء على مراجعة المادة المذكورة بعد الرّاء (رَ . . .) مثال ذلك عند الحديث عن صناعة المنسوجات في المجدل وعسقلان يجد القارىء : (ر : النسيج ، صناعة ـ)، والمقصود ان يراجع القارىء للاستفاضة في البحث مادة صناعة النسيج في الموسوعة .

اذا ورد في تضاعيف البحث اشارة الى موضوع له مادة مستقلة في الموسوعة وضع فوق عنوانه نجمة ثمانيّة تدل على ان في الموسوعة مادة مستقلة بهذا العنوان .

حرصت الموسوعة على ذكر مؤلفات العلماء الأعلام الأساسية والتوسع في اظهار مكانتها في التراث العربي والانساني .

أدرج في الموسوعة عدد كبير من اسماء اعلام العرب الذين اسهموا في صنع تاريخ فلسطين العلمي والحضاري والفكري والنضالي . وقد رتبت هذه الاسماء تبعاً لاسمائهم الشخصية مع الاستكثار من الاحالات لمن اشتهروا بألقابهم أو كناهم . ومن هؤلاء الاعلام من نسب الى فلسطين وان لم يولدوا او يقيموا فيها بسبب الحروب والنكبات والاضطرابات السياسية .

هذا ونقول آخراً اننا جهدنا في ان يكون العمل الذي نقدمه في هذه الموسوعة بريئاً من الخطأ منزّهاً عن الزلل ، فاذا ما سهونا أو أخطأنا من حيث لا ندري في بعض ما سقنا من أحاديث وأحكام فليثق القارىء اننا حرصنا على تجويد العمل والاعتدال في الحكم والتنزّه عن الجور ، وأردنا ان تكون الموسوعة بحوثاً علمية بنجوة عن التحيز والهوى ، موضوعية في أحكامها واغراضها .

واذا ما فاتنا حيناً بعد حين الالتزام بما عقدنا العزم عليه فنلتمس من القارىء العذر ونعده بان نأخذ بكل رأي وملاحظة واقتراح وتصويب يرد الينا لتداركه في الطبعات المقبلة اذا تبيّن صوابه .

ولزام علينا في الختام ان نزجي الشكر أجزله وأوفاه لجميع الدول العربية والمنظمات التي آزرتنا ولكل من أسهم معنا في انجاز مهمتنا هذه . ونخص بالشكر الاخوة في منظمة التحرير الفلسطينية وفي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وجميع من شارك في اعداد واصدار هذه الموسوعة ؛ والنصر والبقاء لفلسطين العربية .

عبد الهادي هاشم
رئيس التحرير

http://al-maktabeh.com

المجلس الاستشاري
لهيئة الموسوعة الفلسطينية

رئيس المجلس	**الأستاذ محمد مزالي**	الوزير الأول في الجمهورية التونسية .
النائب الأول لرئيس المجلس	**الأستاذ ذوقان الهنداوي**	عضو مجلس الأعيان الأردني ، وزير التربية والتعليم في المملكة الأردنية الهاشمية سابقاً .
النائب الثاني لرئيس المجلس	**الأستاذ الدكتور عبد الوهاب الكيالي (انتقل الى رحمة الله)**	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
المقرر	**الأستاذ طلال ناجي**	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الاعضاء

الأستاذ الدكتور احسان عباس	رئيس الدائرة العربية ، الجامعة الأمريكية ـ بيروت .
الأستاذ أحمد بهاء الدين	رئيس اتحاد الصحفيين العرب سابقاً .
الأستاذ أحمد خليفة السويدي	وزير خارجية دولة الإمارات العربية المتحدة سابقاً .
الأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمي	وزير خارجية الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .
الأستاذ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري	نقيب المعلمين العرب ، ووزير التربية والتعليم والأوقاف الأسبق في الجمهورية العراقية .

الأستاذ أحمد المرعشلي	رئيس مجلس ادارة هيئة الموسوعة الفلسطينية ، عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
الأستاذ الدكتور جورج طعمة	أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت ، وزير الاقتصاد الوطني في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
الاستاذ الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ	وزير التعليم العالي ، الرئيس الأعلى للجامعات في المملكة العربية السعودية .
الأستاذ الشاذلي القليبي	الأمين العام لجامعة الدول العربية .
الأستاذ الرئيس شارل حلو	رئيس الجمهورية اللبنانية سابقاً .
الأستاذ الدكتور شاكر الفحام	وزير التعليم العالي في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
الأستاذ طارق عزيز	عضو مجلس قيادة الثورة العراقي ، نائب رئيس مجلس الوزراء ، وزير الخارجية في الجمهورية العراقية .
الأستاذ عبد العزيز حسين	وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب في دولة الكويت .
الاستاذ الشيخ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع	وزير الحج والأوقاف في المملكة العربية السعودية .
الأستاذ الدكتور كمال ناجي	مستشار وزارة التربية والتعليم ورعاية الشباب بدولة قطر ، رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سابقاً .

الأستاذ عبد المحسن أبو ميزر	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية .
الأستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف	أمين الدعوة الاسلامية في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وأمين التعليم والتربية الأسبق .
الأستاذ الحاج محمد باحنيني	وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المملكة المغربية .
الاستاذ الشيخ محمد بن محمد آل ثاني	وزير التربية والتعليم ورعاية الشباب في دولة قطر .
الأستاذ الدكتور محمد الفرا	الأمين العام المساعد لجامعة الدول العربية .
الأستاذ الدكتور محيي الدين صابر	المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
الأستاذ الدكتور يوسف صايغ	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رئيس مجلس إدارة الصندوق القومي الفلسطيني ، وأستاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية في بيروت ، سابقاً .

مجلس ادارة
هيئة الموسوعة الفلسطينية

الرئيس	**الأستاذ أحمد المرعشلي**	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً .
المقرر	**د. أنيس صايغ**	مستشار أمين عام جامعة الدول العربية ، مدير عام مركز الأبحاث الفلسطيني سابقاً .

الاعضاء

أ . إبراهيم الفلاح	نائب رئيس المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
د. الطاهر قيقة	المدير العام المساعد لادارة الثقافة في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سابقاً .
د. محمد صفي الدين أبو العز	الاستاذ في كلية الآداب ـ جامعة الكويت . وزير الشباب في الجمهورية العربية المتحدة سابقاً .
د. ناصر الدين الأسد	رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ـ مؤسسة آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية .
د. نوري حمودي القيسي	رئيس معهد البحوث والدراسات العربية في بغداد .

اعضاء مجلس الادارة السابقون

د. أحمد محمد علي	رئيس البنك الاسلامي للتنمية ـ المملكة العربية السعودية .
د. عصام عبد علي	وزير التعليم في الجمهورية العراقية سابقاً .

http://al-maktabeh.com

البـاحثـون/المشـاركون

ابراهيـم الزقـرطـي	ماجستير في الآداب / جغرافية من جامعة القاهرة . مدير دائرة الأبحاث والدراسات في المركز الجغرافي الأردني .
ابراهيـم السـعافـين	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية وآدابها من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية .
ابراهيـم شـريـف	دكتوراه في الآداب / جغرافية من جامعة الإسكندرية . أستاذ في كلية التربيـة بجامعـة بغداد .
ابراهيـم الكيـلانـي	دكتوراه في الآداب من جامعة السوربون بباريس، أستاذ في جامعة دمشق سابقا . عضو هيئة تحرير مجلة التراث العربي .
احسـان شيشـكلـي	مدير العلاقات العامة في وزارة السياحة في الجمهورية العربية السورية .
احسـان صـالحـة	عضو مجلس ادارة جمعية رعاية أسر شهداء ومجاهدي فلسطين .
أحمـد بـدر	دكتوراه في التاريخ من اسبانيا ، أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق .
أحمـد الحـاج سعـيد	دكتوراه في الكيمياء من جامعة برمنغهام في انكلترا . أستاذ في جامعة دمشق . مدير عام مساعد لادارة العلوم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية .
أحمـد طـربيـن	دكتوراه في التاريخ العربي الحديث من جامعة عين شمس بالقاهرة . أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق .
أحمـد عبـد الهـادي	مدير عام الهيئة العامة للاجئين الفلسطينيين العرب في الجمهورية العربيةُ السورية .

أحمد محمد الديسي	دكتوراه في الجغرافية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
أحمد محمود الحصري	دكتوراه في الفيزياء النووية من جامعة بريستول في انكلترا . أستاذ في كلية الهندسة المدنية بجامعة دمشق . عضو في مجلس ادارة هيئة الطاقة الذرية السورية .
أحمد محمود دخل الله	بكالوريوس في الجغرافية من الجامعة الأردنية . مدرّس الجغرافية في ثانويات الأردن .
أحمد نسيم سوسة	دكتوراه في الهندسة من جامعة جونز هوبكنز في الولايات المتحدة الأمريكية . مدير عام دائرة المساحة في العراق سابقا .
أديب خوري	مهندس متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت ، مقاول .
أسامة المدلل	مدير مؤسسة مياه الشرب ـ عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية .
اسحق موسى الحسيني	دكتوراه في اللغات السامية من جامعة لندن . عضو عامل في مجمع اللغة العربية في القاهرة وفي مجمع البحوث الاسلامية في الأزهر ، وفي المجمع العلمي العراقي .
أسعد عبد الرحمن	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كالجري في البيرتا/كندا . أستاذ في جامعة الكويت . رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية (الكويت ـ جامعة الكويت) سابقا .
اسماعيل أحمد ياغي	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة الامام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية .
أكرم زعيتر	عضو مجلس الأعيان الأردني . وزير وسفير في المملكة الأردنية الهاشمية سابقاً . عضو مجمع اللغة العربية بعمان . رئيس اللجنة الملكية لشؤون القدس . عضو المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت) .

ألمـر بيرغـر	حاخـام أمريكي مناوىء للصهيونية .
الأب الياس زحـلاوي	عالم في اللاهـوت .
اليـاس فـرح	دكتوراه في التربية من جامعة جنيف . استاذ في جـامعة دمشق سـابقا . متفـرغ للعمل الثقافي .
أمـــل قـــدورة	اجازة في الآداب / التاريخ من كلية الآداب بجامعة دمشق ، دبلوم في التربية . مـديرة ثانوية السيدة عائشة في حماة في الجمهورية العربية السورية .
إميـل الغـوري	ماجستير في العلوم السياسية من جامعة سنسناتي في الولايات المتحدة الأمريكية . محام . عضو الهيئة العربية العليا لفلسطين . من قادة الحزب العربي الفلسطيني .
أميـن بـدر علـي الكـخن	دكتوراه في التربية من جامعة ولاية ميشيغان في الولايات المتحدة الأمـريكية . استـاذ في الجامعة الأردنية .
أمين النفـوري	لواء ركن متقاعد ووزير سابق في الجمهورية العربية السورية .
أنيـس فـوزي قاسـم	دكتوراه في القانون من جامعة جورج واشنـطن في الولايـات المتحدة الأمريكيـة . ممثـل فلسطين في المحكمة الادارية لجامعة الدول العربية سابقا .
أنيـس القـاسـم	دكتوراه في الحقوق من جامعة لندن . محام ومؤلف .
أوجـين مخلـوف	دكتوراه في طب الأسنان . يعمل في حقل الخدمات الانسانية والاجتماعية والاغاثة .

برهان الدجاني	ماجستير في الاقتصاد من الجامعة الأمريكية في بيروت . أمين عام الاتحاد العام لغرف التجارة والصناعة والزراعة العربية .
بسام أبو شريف	عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . رئيس تحرير مجلة الهدف .
بسام العسلي	مقدم في الجيش العربي السوري سابقاً . باحث وكاتب عسكري .
بشير زهدي	دبلوم معهد اللوفر في فرنسا في تاريخ الفن وعلم الآثار الشرقية وعلم المتاحف . الأمين الرئيس للمتحف الوطني بدمشق .
بشير شما	شهادة الهندسة الميكانيكية من القاهرة . مهندس ميكانيكي للمشاريع الكبرى في وزارة الأشغال العامة بالكويت .
بلال الحسن	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا . رئيس تحرير مجلة شؤون فلسطينية .
بهجت أبو غربية	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا .
تقي الدين الدباغ	دكتوراه في علم الآثار من جامعة هارفرد في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في كلية الآداب بجامعة بغداد ورئيس قسم الآثار فيها .
توفيق أبو بكر	مراسل مجلة شؤون عربية في الكويت . كاتب ومعلق سياسي في الاذاعة الكويتية وجريدة « الوطن » الكويتية .
جبرائيل بيطار	اجازة في الأدب الفرنسي من جامعة دمشق . لواء ركن سابق في الجيش العربي السوري .

جمال قـــدورة	دكتوراه في التاريخ من جامعة القديس يوسف (بيروت) .
جـــواد عبد الرحيـــم	عقيد متقاعد في الجيش العربي السـوري .
جـــودة شحـــادة	دكتوراه في الآثار من جامعة برلين الحرة . محافظ متحف الطب والعلوم عند العـرب في المتحـف الوطني بدمشق .
جـــورج حبـــش	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . مؤسس حركة القوميين العرب . الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .
الأب جـــورج ســـابا	عالم في اللاهوت ومتخصص بدراسة الكتاب المقـدس والآثار المسيحية في فلسطين .
جـــورج طعمـــة	دكتوراه في العلوم السياسية . وزير الاقتصـاد في الجمهـورية العربية السـورية سـابقا . استاذ في جامعة الكويـت .
حبيـــب قهـــوجـــي	أحـد مؤسسي حركـة الأرض في فلسطين . عضـو اللجنة التنفيـذيـة لمنـظمـة التحـريـر الفلسطينية سابقا . مدير مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية في دمشق .
حســـان حـــلاق	دكتوراه في التاريخ . أستاذ في جامعة بيروت العربية .
حســـن أحمـد البدري	لواء ركن سابق في القوات المسلحة المصـرية . مـدير أكـاديمية نـاصر العسكـرية العليـا سابقا . رئيس تحرير مجلة الحرس الوطني السعودي .
حســـن الخـــياط	دكتوراه في الجغرافية البشرية من جامعة بتسبرغ في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعتي بغداد وقطر .

http://al-maktabeh.com

حسن ريّان	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة القاهرة . رئيس شعبة الاجتماعيات في مديرية المناهج بوزارة التربية والتعليم الأردنية .
حسن عبد القادر صالح	دكتوراه في الجغرافية من جامعة درم بانكلترا . أستاذ في الجامعة الأردنية . رئيس قسم الجغرافية .
حسن مصطفى	عميد ركن متقاعد في الجيش العراقي . خريج كلية الأركان العراقية .
حسين عمر حمادة	ماجستير في التربية من جامعة دمشق . باحث في الشؤون الفلسطينية .
خالد أبو خالد	عضو الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين .
خالد الفاهوم	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقاً. رئيس المجلس الوطني الفلسطيني .
خالد القشطيني	محرر مجلة « عراق منثلي » الصادرة في لندن . كاتب وناقد .
خليل السواحري	اجازة في الدراسات الفلسفية والاجتماعية من جامعة دمشق . محرر الشؤون الثقافية وشؤون الأرض المحتلة في جريدة الدستور الأردنية . أمين سر رابطة الكتّاب الأردنيين .
خليل يوسف صابات	دكتوراه في الصحافة . أستاذ في جامعة القاهرة ورئيس قسم الصحافة والنشر في كلية الإعلام سابقا . عضو في المجلس الأعلى للصحافة في مصر .
خليل محمد الخالدي	اجازة في الآداب/ الجغرافية من جامعة القاهرة ودبلوم التربية العام من جامعة الكويت . مدرّس أول للاجتماعيات في ثانويات الكويت .

خيـري الديـن أبو الجبـين	مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت سابقا . مراقب للتنظيم الاداري بوزارة التربية في الكويت .
خيريـة قاسميـة	دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذة في جامعة دمشق .
ديمتري برامكي	دكتوراه في الآثار من جامعة لندن . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت ، مدير المتحف الفلسطيني في القدس ومتحف الجامعة الأمريكية في بيروت ، سابقا .
ربحـي الحسـن	دكتوراه في الادارة العامة من جامعة جنوب كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رجـاء دويـدري	دكتوراه في الجغرافية من جمهورية مصر العربية . أستاذة في جامعة دمشق .
رشـاد السـيد	دكتوراه في القانون الدولي العام من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رشـاد الناطـور	دكتوراه في علم النبات من جامعة فلوريدا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
رشيـد الخالـدي	دكتوراه في التاريخ من الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
رضـوان السـيد	دكتوراه في الفلسفة من ألمانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة اللبنانية . رئيس تحرير مجلة الفكر العربي .
رفيـق جـويجـاتي	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة نيوسكول ـ نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . سفير الجمهورية العربية السورية في واشنطن .

روحـــي الخطـيب	أميـــن القـــــدس
زيـــاد التـــرك	باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
زيـاد خـالد عبـد عـلي	بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد .
زيـاد القطـب	دكتوراه في العلوم/ فيزيولوجيا حيوانية من جامعة أوترخت في هولندا . أستاذ في جامعة دمشق .
سـالم الحســيني	بكالوريوس علوم من الجامعة الأمريكية في بيروت . خبير آثار سـابق في فلسطين وليبيا .
سـالم الكســـواني	دكتوراه في الحقوق من جامعة القاهرة . وكيل وزارة الداخلية الأردنية سابقا . محاضر في الجامعة الأردنية .
ســامي سـعيد الأحمـــد	دكتوراه في التاريخ من جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بغداد . .
سعـيد حـــمود	دكتوراه في الاقتصاد من ألمانيا الاتحادية . نائب مدير مركز التخطيط الفلسطيني، ومدير عام صندوق الطلبة الفلسطيني ، سابقا .
سعـيد عبـد الفتـاح عاشـور	دكتـوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذ في جامعة الكويت .
سـلافة حجـــاوي	بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد . سكرتيرة تحرير مجلة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد .

سلمى سامي حداد	ماجستير في العلوم السياسية من الجامعة الأمريكية في بيروت . مسؤولة الأرشيف في مركز التوثيق والمعلومات في الامانة العامة لجامعة الدول العربية .
سمر القطب	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
سميح شبيب	ماجستير في التاريخ من جامعة القديس يوسف في بيروت . رئيس قسم الأرشيف بمركز الأبحاث الفلسطيني في بيروت .
سمير جبور	ماجستير في الادارة العامة من الجامعة الأمريكية في بيروت . رئيس قسم الترجمة وباحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
سمير جريس	باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية وفي مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .
سمير شما	محام . عضو مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني .
سهيل زكار	دكتوراه في التاريخ من انكلترا . أستاذ في جامعة دمشق .
سهيلة الريماوي	دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذة في الجامعة الأردنية .
شاكر مصطفى	دكتوراه في التاريخ من سويسرا . أستاذ في جامعة الكويت وأمين عام لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية . وزير الإعلام في الجمهورية العربية السورية سابقاً .
شفيق عبد الرزاق السامرائي	دكتوراه في القانون من جامعة مونبليه في فرنسا . المستشار الثقافي في السفارة العراقية في باريس .

شكـــري فيصـــل	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة. أستاذ سابق في جـامعة دمشق . عضو مجمع اللغة العربية في دمشق .
شـــوقي شـــعث	دكتوراه في الآثار الشرقية القـديمة من ايـطاليا . مـدير متحف حلب . مستشـار للآثـار والتراث لدى منظمة التحرير الفلسطينية .
صـــالـــح خصـــاونـــة	دكتـوراه في الاقتصـاد والاحصـاء من جـامعـة تكسـاس الفنيـة في الـولايـات المتحـدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأردنية.
صـالح عبـد الله غنيمـات	بكالوريوس في الجغرافية من الجامعة الأردنية . رئيس قسم الأندية والنقابات العمالية في الضفة الغربية في وزارة شؤون الأرض المحتلة في الأردن .
صبـــحي الســـعيـــد	محاضـر بقسم الجغرافية في كلـية الآداب ـ جامعة الرياض في المملكة العربية السعودية .
صبحـي القـاســـم	دكتوراه في أمراض النبات والوراثة من جامعة مينسوتا في الولايات المتحدة الأمـريكية . عميد كلية العلوم في الجامعة الأردنية .
صبحـــي كحـــالة	ماجستير في الهندسة المدنية من جامعة ايلنوي في الولايات المتحدة الأمريكية . المدير العام لهيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده ، وزير الريّ في الجمهـورية العـربية السـورية ، سابقا .
صـــدقي خضـــــر	دكتوراه في علوم الأراضي من جامعة هوهنهايم في المانيـا الاتحاديـة . استاذ في الجـامعة الأردنية .
صـــلاح دهنـــي	شهادة مخرج سينمائي من معهد الدراسات السينمائية العالية في بـاريس . ناقـد ومخرج سينمائي . محاضر في كلية الفنون الجميلة بجامعة دمشق .

http://al-maktabeh.com

صـــلاح الـــدين الطيبـــي	اجازة في الاقتصاد . مدير لمكتب مدير الجمـارك العام في دمشق سابقا .
صـــلاح الدين عبد الله بحيري	دكتوراه في الجغرافية من جامعة كاليفـورنيا في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة . أستاذ في جامعة الكويت .
طـــريف الخـالـــدي	دكتوراه في التاريخ من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
طـلال نـاجي	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والأمين المساعد للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة .
ظـافـــر القاسمـــي	نقيب المحـامين في الجمهورية العربية السورية سابقا .
عـــادل الجـــادر	ماجستير في القضية الفلسطينية من معهد البحـوث والدراسـات العربيـة . رئيس مركـز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد .
عـادل حمـدان الجـرجـاوي	ليسانس في الآداب / الجغرافية من جامعة القاهرة . موجّه اجتمـاعيات في وزارة التربية بالكويت .
عـادل عبـد السـلام	دكتوراه في الجغرافية من برلين الغربية . أستاذ في جامعة دمشق .
عـائدة النجـــار	دكتوراه في الصحافة من الولايات المتحدة الأمريكية . خبيـرة في بعثة الأمم المتحـدة في عدن .
عبد الاله يوسف أبو عياش	دكتوراه في الجغرافية الحضرية من جامعة بفالو ـ نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة الكويت .

عبد الجليل حسن عبد المهدي	دكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة . استاذ في الجامعة الأردنية .
عبد الحليم خلدون الكناني	دكتوراه في الآداب من جامعة لندن . مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي في باريس .
عبد الحميد أحمد زايد	دكتوراه في التاريخ القديم من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة الكويت .
عبد الحميد السائح	وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الاسلامية في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا . سكرتير عام المجلس الاسلامي الأعلى في فلسطين . رئيس الهيئة الاسلامية العليا في القدس .
عبد الرحمن أبو عرفة	باحث في جمعية الدراسات بالقدس.
عبد الرحمن الشريف	دكتوراه في الآداب . أستاذ في جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية .
عبد الرحمن ياغي	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة . أستاذ في الجامعة الأردنية .
عبد الرحيم أحمد	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . أمين عام جبهة التحرير العربية .
عبد الرحيم أحمد حسين	دكتوراه في التاريخ الحديث من جامعة عين شمس في القاهرة . مسؤول المكتب الفني للجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية .
عبد العزيز محمد عوض	دكتوراه في الآداب/ التاريخ من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الأردنية الهاشمية .
عبد القادر محمد عابد	دكتوراه في الجغرافية من بريطانيا . أستاذ في الجامعة الأردنية .

عبد القادر ياسين	مدير تحرير مجلة «المصير الديمقراطي» سابقا . باحث في الشؤون الفلسطينية .
عبد الكريم رافق	دكتوراه في التاريخ من جامعة لندن . أستاذ في جامعة دمشق .
عبد اللطيف البرغوثي	دكتوراه في التربية من جامعة لندن . نائب رئيس الشؤون الأكاديمية في جامعة بير زيت .
عبد اللطيف طيباوي	دكتوراه في التاريخ من بريطانيا . أستاذ في عدد من الجامعات البريطانية والأمريكية سابقا .
عبد الله حبيشي	لواء ركن في الجيش العربي السوري . يعمل حاليا في مركز الدراسات والبحوث العسكرية بدمشق .
عبد الله حمادنة	ماجستير في الجغرافيا . محاضر سابق في الجامعة الأردنية . ويعمل حاليا في وزارة الخارجية الأردنية .
عبد الله سعادة	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . رئيس الحزب السوري القومي الاجتماعي سابقا . عضو الأمانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي .
عبد المجيد شومان	المدير العام للبنك العربي . عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني ، سابقا .
عبد المنعم الرفاعي	رئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا .
عبد المنعم ماجد	دكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس . أستاذ في جامعة القاهرة . رئيس قسم التاريخ .

عبد الوهاب المسيري	دكتوراه في الأدب الانكليزي من الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة عين شمس بالقاهرة ، مستشار ثقافي لوفد الجامعة العربية لدى الأمم المتحدة سابقا .
عبد الوهاب وهب الله	ماجستير في الأدب العبري من جامعة القاهرة . باحث في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
عدنان أبو غزالة	دكتوراه في التاريخ من جامعة نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بلاتسبورغ في الولايات المتحدة الأمريكية .
عدنان البني	دكتوراه في التاريخ والآثار من فرنسا . مدير التنقيب والدراسات الأثرية في مديرية الآثار والمتاحف في الجمهورية العربية السورية .
عدنان حسن العمد	دكتوراه في السياسة والاقتصاد والقانون الدولي من جامعة كولون في ألمانيا الاتحادية . مدير العلاقات الاعلامية الخارجية في دولة قطر .
عدنان نشابة	دبلوم دراسات عليا في القانون الدولي وفي الاقتصاد السياسي من الجامعة اليسوعية في بيروت . سفير في وزارة الخارجية السورية .
عزت طنوس	طبيب متخرج من الجامعة الأمريكية في بيروت . أمين عام بيت المال العربي في فلسطين . مدير المكتب العربي في نيويورك سابقا .
عصام القاضي	الأمين العام لمنظمة طلائع حرب التحرير الشعبية ـ قوات الصاعقة .
عطية عودة أبو سرحان	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة الأزهر . محاضر في الجامعة الأردنية .

عفيف البزري	فريق متقاعد . رئيس الأركان العامة والقائد العام للقوات المسلحة السورية سابقا .
علي الدجاني	بكالوريوس علوم من الجامعة الأمريكية في بيروت ودبلوم العلوم المالية من القدس . مدير غرفة صناعة عمان .
علي الدين هلال	دكتوراه في العلوم السياسية من كندا . أستاذ في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في جامعة القاهرة .
علي كاشف الغطاء	ماجستير في العلاقات الدولية والاقتصاد من جامعة دنفر في الولايات المتحدة الأمريكية . دبلوماسي وأستاذ في الجامعة المستنصرية في بغداد سابقا .
علي سعود عطية	دكتوراه في التاريخ من الجامعة الأمريكية في بيروت . باحث في جمعية الدراسات في القدس .
عماد أحمد الجواهري	ماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بغداد . مدرّس في كلية الآداب بجامعة الموصل .
عمر ابراهيم الخطيب	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة السوربون . رئيس مركز الخليج للدراسات العربية .
عمر كمال توفيق	دكتوراه في التاريخ . أستاذ في جامعة الكويت .
غانم هنا	دكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونيخ . أستاذ في جامعة دمشق .
غسان العطية	دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة أدنبره في اسكتلندا . أستاذ في جامعة بغداد . مدير ادارة الإعلام في جامعة الدول العربية ورئيس تحرير مجلة شؤون عربية سابقاً .

http://dvd4arab.maktabeh.com

فـــاروق البـــاشـــا	دكتوراه في الحقوق من فرنسا . أستاذ في جامعة دمشق .
فـــاروق عمـــر فـــوزي	دكتوراه في التاريخ العربي الاسلامي من جامعة لندن . رئيس قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة بغداد .
فاضـــل حســـين	دكتوراه في التاريخ من جامعة انديانا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بغداد .
فـاطمـــة فضـــل السعـــدي	ماجستير في اللغة العربية من الجامعة الأردنية . مدرّسة في معهد المعلمات في وكالة الغوث بعمّان .
فاطمـــة المـانـــع	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
فتحـــي قـــدورة	ماجستير في التربية من جامعة لندن . مساعد المدير العام للبنـــك العـــربـــي
فـرانـــك مـــاريـــا	كاتب عربي الأصل يقيم في الولايات المتحدة .
فريـــد ابـــراهيـــم صالـــح	مشرف اداري في جمعية الشبان المسيحية في فلسطين سابقاً .
فـــلاح سعيـــد جبـــر	دكتوراه في الاقتصاد الجيولوجي . أمين عام الاتحاد العربي للصناعات الغذائية ومسؤول قسم العلم والتكنولوجيا في مجلة النفط والتنمية .
فـوزي عبـد المجيد الأسـدي	دكتوراه في الجغرافية من جامعة ميشيغان في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة بنغازي في الجماهيرية الليبية .

فيصل الحسيني	رئيس جمعية الدراسات في القدس .
فيصل الحوراني	مدير تحرير مجلة شؤون فلسطينية .
فيصل الوائلي	دكتوراه في التاريخ من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة الكويت .
قاسم الريماوي	رئيس الوزراء في المملكة الأردنية الهاشمية سابقا .
قسطنطين خمّار	دبلوم تربية من فلسطين . مدير التعليم العام في وكالة الغوث في لبنان سابقا . ومدير دائرة التربية والتعليم العالي في لبنان في م . ت . ف .
قسطنطين زريق	دكتوراه في الفلسفة من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية . رئيس الجامعة السورية سابقا . رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت بالوكالة سابقا . أستاذ شرف في التاريخ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
كامل العسلي	دكتوراه في الفلسفة من جامعة هومبولت في المانيا الديمقراطية . مدير مكتبة الجامعة الأردنية .
كايد أبو صبحة	باحث في الشؤون الفلسطينية .
لطفي خليل	دكتوراه في الآثار من جامعة لندن . أستاذ في الجامعة الأردنية .
لوسيا حجازي	مفتشة في وكالة غوث اللاجئين ، دمشق .

ليلـــى الصبـــاغ	دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة . أستاذة في جامعة دمشق .
ماهـــر الشـــريف	دكتوراه في الآداب والعلوم الانسانية من جامعة باريس / السوربون .
محجـــوب عمـــر	مستشـــار مركز التخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية .
محمـــد رشيـــد الفيل	دكتوراه في الجغرافية من جامعة ردنج ببريطانيا . أستاذ في جامعة الكويت .
محمـــد ضيف الله بطاينـــة	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة الأزهر . أستاذ في جامعة اليـرموك في المملكـة الأردنية الهاشمية .
محمـــد عـــزة دروزة	مؤرخ . أحـد أوائل العـاملين في القضية العـربيـة والفلسـطينيـة ومن مؤسسي حـزب الاستقلال العربي في فلسطين .
محمـــد عـــزيـــز شكـــري	دكتوراه في الحقوق من جامعة كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جـامعة دمشق .
محمـــد علـــي عمـــر الفـــرّا	دكتوراه في الجغرافيـة الاقتصاديـة من جامعـة نيوكـاسل في انكلتـرا . أستاذ في جـامعة الكويت .
محمـــد عـــوّاد حسيـــن	أستاذ في كليـــة الآداب ـ قسم التاريخ في جامعة الكويت .
محـــمد الفـــاسي	دكتوراه في الأداب من باريس . وزير التعليم العالي في المملكة المغربية سابقا . عضو في مجمـع اللغة العـربية في القـاهرة . رئيس مـركز التنسيق بـين اللجان الـوطنية العـربيـة لليونسكو .

محمد فايز عبد اسعيد	دكتوراه في العلوم السياسية والاجتماع والتاريخ المعاصر من جامعة ريجزنبورغ في ألمانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة الأردنية .
محمد الفرا	دكتوراه في القانون من الولايات المتحدة الامريكية . أمين عام مساعد لجامعة الدول العربية . سفير في وزارة الخارجية الاردنية سابقا .
محمد كامل عيّاد	دكتوراه في الفلسفة من جامعة برلين . أستاذ سابق في جامعة دمشق . عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .
محمد المجذوب	دكتوراه في القانون العام من فرنسا . أستاذ في الجامعة اللبنانية . عضو المكتب الدائم لاتحاد الحقوقيين العرب .
محمد محمود ابراهيم الديب	دكتوراه في الجغرافية من انكلترا . استاذ في جامعة عين شمس بالقاهرة .
محمد يوسف علوان	دكتوراه في القانون من جامعة باريس . أستاذ في الجامعة الأردنية .
محمود صبح	دكتوراه في الفلسفة والآداب من جامعة مدريد . أستاذ في جامعة مدريد .
محمود شريح	بكالوريوس في اللغة الانكليزية من الجامعة الأمريكية في بيروت . أستاذ اللغة الانكليزية ـ قسم البرامج الخاصة ـ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
محمود العابدي	المستشار الثقافي لأمانة العاصمة في عمّان سابقا .
محمود علي عطا الله	مدرّس في عمّان .

محمـــود فلاحـــة	اجازة في الآداب / لغة عربية من جامعة دمشق . عضو في مكتب الدراسات في رئاسة الجمهورية العربية السورية .
مـــروان بحيـــري	دكتوراه في التاريخ من جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية . استاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت .
مسعـــود الخـــونـــد	اجازة في العلوم السياسية والادارية من الجامعة اللبنانية . مدرّس في وزارة التربية الوطنية في لبنان . محرر في « الموسوعة السياسية » .
مصطـفى درويش عـــادي	باحث في الشؤون الفلسطينية .
مصطفى معروف سعـــد	مهندس متخرج من الاتحاد السوفييتي . أحد قادة الحركة الوطنية في لبنـان .
مضـــر مرعشـــلي	بكالوريوس في العلوم السياسية من جامعة بغداد . محرر في مجلة شؤون عربية سابقا .
مطـــاع الطـرابيشـي	اجازة في آداب اللغة العربية من جامعة دمشق . منتدب لمجمع اللغة العربية في دمشق .
معـاويـة محمـود إبراهيم	دكتوراه في الآثار من جامعة برلين الحرة . عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة اليرموك في الاردن .
مفيـــد راتـــب العـابـد	دكتوراه في التاريخ القديم من جامعة عين شمس في القاهرة . أستاذ في جامعة دمشق .
مكـي حبيـــب المؤمـــن	أستاذ في جامعة بغداد سابقا .
موســى أبو حوســة	أستاذ في قسم علم الاجتماع ـ كلية الآداب في الجامعة الأردنية .

http://al-maktabeh.com

موسى عبود سمحة	دكتوراه في علم السكان من جامعة دورهام في إنكلترا . أستاذ في الجامعة الأردنية .
موفّق شخاشيرو	دكتوراه في الكيمياء التحليلية من جامعة أوريغون في الولايات المتحدة الامريكية . أستاذ في جامعة دمشق .
الأب ميشيل صباح	دكتوراه في فقه اللغة العربية من جامعة السوربون في باريس . رئيس جامعة بيت لحم .
مينار راتب	باحثة في مؤسسة الدراسات الفلسطينية .
ناجي علوش	أمين عام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين سابقا . باحث له العديد من الكتب في القضية الفلسطينية .
نافع أيوب	عميد ركن في الجيش العربي السوري .
نبيه عاقل	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة لندن . أستاذ في جامعة دمشق . وكيل جامعة دمشق للشؤون العلمية .
نجلاء نصير بشور	ماجستير في التربية من الجامعة الامريكية في بيروت . باحثة في مركز التخطيط الفلسطيني .
نسيم برهم	دكتوراه في الجغرافية من جامعة هانوفر في المانيا الاتحادية . أستاذ في الجامعة الاردنية .
نصري الجوزي	دبلوم في الصحافة من بريطانيا . مترجم ومؤلف مسرحي .

نصـــير عـــاروري	دكتوراه في العلوم السياسية والعلاقات الدولية من جامعة ماساشوستس في الولايات المتحدة الأمريكية . أستاذ في جامعة ماساشوستس .
نقـولا زيادة	دكتوراه في التاريخ الاسلامي من جامعة لندن . أستاذ شرف في الجامعة الامريكية في بيروت .
نمـر سـرحـان	اجازة في الآداب / التاريخ من جامعة دمشق . باحث في الفولكلور الفلسطيني .
نمـر المصـري	عضـو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا . عضـو مجلس التخطيط الفلسطيني .
نهـاد أبـو غربيـة	مدير الكلية الابراهيمية في القدس ، ورئيس مجلس أمنائها . عضو مجلس أمانة القدس .
هـارون هاشـم رشيـد	شاعر فلسطيني . مدير تحرير مجلة شؤون عربية . مندوب فلسطين الدائم في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية .
هـاشـم ياغـي	دكتوراه في الآداب / اللغة العربية من جامعة القاهرة . أستاذ في الجامعة الاردنية .
هشـام نشّابة	دكتوراه في التربية . مدير التعليم في جمعية المقاصد الاسلامية . أستاذ في الجامعة الامريكية في بيروت .
هيثـم كيـلاني	دكتوراه في التاريخ المعاصر من جامعة لايبزغ في ألمانيا الديمقراطية . سفير في وزارة الخارجية السورية .

وليـد أسعـد الجعفـــري	اجـازة في التـربيـة وعلم النفس من الجـامعـة الاردنيـة . بـاحث في مـركـز الأبحـاث الفلسطيني .
وليـد جنبلاط	رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي . رئيس المجلس السياسي المركزي للحـركة الـوطنية اللبنانية .
وليـد سعـيد مصطفـى	دكتوراه في الجغرافية من الاتحاد السوفييتي . عضو رابطة الكتاب الاردنيين .
وليـد عيسى الشـريف	دكتوراه في الفلسفة من جامعة واشنطن في الولايات المتحدة الامريكية . مسـاعد مـدير ادارة الإعلام والعلاقات الدولية في منظمة الاقطار العربية المصدّرة للبترول .
وليـد القمحـاوي	عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية،رئيس مجلس ادارة الصندوق القومي الفلسطيني ، سابقا .
ياسـر عمـرو	محام . عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية سابقا .
يسـر قلق	مـاجستـير في فن المكتبات من فـرنسا . مسؤولـة قسم الاستفسارات في مـركـز التـوثيق والمعلومات التابع للامانة العامة لجامعة الدول العربية .
يسـرى جوهـرية عرنيطـة	أستاذة لمادة التاريخ الموسيقي في فرع الفنون في الجامعة اللبنانية .
يـوسـف حـداد	ماجستير في الآداب من الجامعة اللبنانية . يعمل بالتدريس في ثانويات لبنان ، مؤلف .
يوسف رجب الرضيمي	ماجستـير في التاريـخ من الجامعـة الامريكيـة في بيروت . مـدير مكتب ارتبـاط منظمـة التحرير الفلسطينية بلبنان .

ش ش

يوســـف شبـــل	دكتوراه في الاقتصاد من الولايات المتحدة الامريكية . مستشار اقتصادي في دار الهندسة في بيروت .
يوسف غوانمة	دكتوراه في التاريخ من جامعة الاسكندرية . أستاذ في جامعة اليرموك في المملكة الاردنية الهاشمية .
يوســـف كمـــوش	لـــواء ركـــن في الجيش العربي الأردني سابقا . باحث عسكـري .
يوســـف اليـوســـف	اجازة في اللغة الانكليزية ودبلوم عام في التربية من جامعة دمشق . يدرّس في الاونروا .

مؤسّسات البحث العـــلمي

جمعية الدراسات بالقدس

مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية

مؤسسة الدراسات الفلسطينية

لجنة تحرير الموسوعة الفلسطينية

رئيس التحرير	أ. عبد الهادي هاشم	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، وكيل وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية سابقاً .

اعضاء لجنة التحرير

د. ابراهيم الكيلاني	أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق سابقاً .
د. حسن عبد القادر صالح	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية في الجامعة الأردنية .
د . عادل عبد السلام	أستاذ في كلية الآداب ـ قسم الجغرافية بجامعة دمشق .
د. محمد عزيز شكري	أستاذ في كلية الحقوق بجامعة دمشق .
د. محمد كامل عياد	عضو مجمع اللغة العربية في دمشق ، أستاذ في جامعة دمشق سابقاً .
د. هيثم كيلاني	سفير في وزارة الخارجية السورية ، ممثل سورية الدائم في هيئة الأمم المتحدة سابقاً .

الاعضاء المؤازرون للجنة التحرير

أ. محمود فلاحة	عضو في مكتب الدراسات في رئاسة الجمهورية العربية السورية .
أ. مضر مرعشلي	محرر في مجلة شؤون عربية سابقاً .

http://al-maktabeh.com

كبار العاملين
في هيئة الموسوعة الفلسطينية

الاستاذ عيسى الدجاني	رئيس قسم الشؤون الإدارية والمالية .
الأستاذ عبد الستار هدايا	أمين الموسوعة .
الأستاذ أحمد قاسمية	المدقق اللغوي ، محرر مساعد في هيئة الموسوعة الفلسطينية .
الآنسة بوران شمّا	أمينة سر رئاسة مجلس الادارة .

المراسلون العلميون للموسوعة الفلسطينية

الدكتور حسن عبد القادر صالح	المملكة الأردنية الهاشمية .
الدكتورة خيرية قاسمية	جمهورية مصر العربية .
الأستاذة سلافة حجاوي	الجمهورية العراقية .
الدكتور شاكر مصطفى	دولة الكويت .
الأستاذ قسطنطين خمار	الجمهورية اللبنانية .

الاشراف الطبَاعي

ضبط اللغة والمراجع	د. عفيف دمشقية ، د. نقولا زيادة.
التدقيق والمراقبة	**فارس اشتي ، صقر أبو فخر ، بشير قبطي .**
تصحيح الطباعة	**محمود شريح ، قسطنطين خمار ، مسعد حداد ، محمود بركات .**
الاخراج والاشراف الفني	**محمود داورجي .**
المراجعة النهائية والاشراف العام	**د. أنيس صايغ .**

ط ط

بعض المصطلحات في الموسوعة الفلسطينية

في قطاع القضية

الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة : هي الأجزاء التي احتلتها القوات الصهيونية من أرض فلسطين وأراضي دول عربية مجاورة في عدوان حزيران ١٩٦٧ .

الإسرائيلي : يطلق هذا المصطلح على اليهودي حامل الجنسية الإسرائيلية ، أما العرب الذين يحملون هذه الجنسية فيسمون عرب الأرض المحتلة .

الصهيوني (ج الصهيونيون) : يمكن استعمال هذا المصطلح :

(أ) للدلالة على من يدين بمبادىء الحركة الصهيونية ، وحين التحدث عن منشأ ومطامع هذه الحركة منذ نشوئها حتى الآن ، وعن الأعمال التي ارتبطت بتحقيق هدف الصهيونية بإقامة (إسرائيل) سواء قبل ١٩٤٨ أو بعدها . ويمكن أن يكون الصهيوني غير يهودي وأن يكون اليهودي غير صهيوني فلا ترادف بين اللفظين .

(ب) عند الحديث عمّا قامت به العصابات الصهيونية الغازية قبل عام ١٩٤٨ كما يمكن أن تربط أعمال (إسرائيل) بالصهيونية وتوصف بها وبخاصة اذا تعلق الأمر بتحقيق أهداف الصهيونية في الاحتلال والتوسع واقتلاع الشعب الفلسطيني من وطنه وإنكار حقوقه .

العبري (أو العبراني) : يستعمل هذا المصطلح في الكلام على اللغة وعلى العبرانيين القدامى في التاريخ .

فلسطين : هي فلسطين القطر العربي بحدوده الجغرافية الدولية في عهد الانتداب البريطاني .

فلسطين المحتلة : هي فلسطين بحدودها الدولية التي احتلتها القوات الصهيونية خلال الفترة من ١٩٤٨/٥/١٥ وأثناء وبعد عدوان حزيران ١٩٦٧ . وقد يستعمل مصطلح فلسطين المحتلة للدلالة على الأراضي التي احتلها الكيان الصهيوني قبل ١٩٦٧/٦/٤ .

ظ ظ

الكيان الصهيوني : هو الكيان الذي أقامته القوات الصهيونية على ذلك الجزء المغتصب من الأرض الفلسطينية بين ١٩٤٨/٥/١٥ و ١٩٦٧/٦/٤ .

اليهودي (واحد اليهود) : يحسن استعمال هذا المصطلح للدلالة على متبع الديانة اليهودية سواء أقام في فلسطين أم خارجها كما يطلق على ما يتعلق بهذه الديانة من معابد وأعياد وطقوس . أما أعمال المهاجرين وشراؤهم وسلبهم الأراضي واعتداءاتهم وغير ذلك من أعمالهم فتقرن بالصهيونية وتوصف بها ، سواء كان ذلك قبل ١٩٤٨ أو بعدها .

في قطاع الارض

الانحدار : مصطلح يستعمل لقياس وتعريف السطوح والمنحدرات الطبوغرافية .

الاندساس : صخر يندس في صخور أخرى على شكل ألسنة وأسافين أو عروق .

الانقاض : الأحجار والمواد الخشنة ذات الحافات والزوايا التي تحملها السيول والأمطار مسافات قصيرة لا تكفي لتكويرها وتنعيمها .

الانقلاب البنائي : او الانقلاب التضريسي ـ البنائي . انقلاب ما كان مرتفعاً عالياً الى منخفض وما كان منخفضاً الى مرتفع نتيجة الأعمال البنائية (التكتونية) وحدها (رَ : الانقلاب التضريسي) .

الانقلاب التضريسي : تحوّل ما كان مرتفعاً بارزاً من التضاريس الى منخفض وما كان منخفضاً الى مرتفع نتيجة أعمال الحت والتفريغ والحفر .

الانقلاب الحراري : تزايد الحرارة بالارتفاع في الجو ، وهذا عكس الوضع الطبيعي الذي تقل فيه الحرارة مع الارتفاع . وسببه الخسارة المتزايدة للاشعاع الأرضي مما يسبب تبرد الجو وهبوط الهواء البارد خاصة في الأودية والمنخفضات وقد يحدث عندما تكون السماء صافية .

البئر الكفرية : وهي البئر الرومانية او البئر القديمة عموماً .

البنـاء : مجموع الأعمال والحركات التي تعرضت وتتعرض لها الأرض وصخورها أثناء بنـاء تضاريسهـا وتكوين قاراتها وقيعان بحارها ومحيطاتها . ويقابل مصطلح البناء ـ مصطلح التكتونيك باللغات الأجنبية .

البـوص : ويعرف في فلسطين بـ (القصّيب) ، نبات عيدانه مجوّفة تستخدم لسقف المنازل والبيوت .

البـوليـيـة : (رَ : الـدارة) .

البيّـارة : اسم يطلق في فلسطين خاصة على بساتين الفواكه والثمار والحمضيات التي تروى بمياه الآبار .

التحلل الكارستي : عملية كيميائية تقوم فيها المياه المحملة بحامض الفحم بتحليل الصخور الكلسية (الفحمائية) فتنشأ ثقوب وخدوش وحفر ومغاور وخفوس في هذه الصخور التي تكون نهايتها الزوال باستمرار العملية .

الترافرتان : (او الترافيرتين) ترسبات ناعمة من كاربونات الكالسيوم في المياه الجوفية والسطحية خاصة عند مخارج الينابيع والعيون ، تتماسك وتتصلب على شكل أحجار كثيرة الثقوب .

التكتـونيك : (رَ : البـناء) .

تيـرا روزا : وترد (تيرا روسا) أحياناً : التربة الوردية او الحمراء ، وتعـرف بتربـة البحر المتـوسط أيضاً . وتنشأ نتيجة تحلل الصخور الكلسية في البقاع المتوسطية والشبيهة بها في العالم .

الـجـوبـة : شكل من أشكال التحلل الكارستي ، عبارة عن حفـرة مخروطيـة على شكـل قمع مفتـوح نحو السماء لها شكل دائري او بيضي ، مغلقة ، أبعادهـا بضعة أمتـار حتى بضعة عشـرات الأمتار عرضاً وعمقاً (رَ : الدولين) .

الـجيـر : الجص او الجبس ، ويطلق خطأ على الصخور الكلسية والكلس .

الحقبة : تعني فترة زمنية جيولوجية طويلة من عمر الأرض تضم العصور والفترات الأقصر وتعرف الحقبة بـ (الزمن او الدور) أيضاً ، كالحقبة الثانية والثالثة مثلاً .

الحواري : الطباشيري أيضاً . صفة للحوّار من الصخور ، يطلق أيضاً على فترة زمنية جيولوجية من الحقبة الثانية هي الفترة الكريتاسية .

الخفس : وتعني الخسف ، هبوط الأرض وخسفها ، والجمع خفوس .

خط تقسيم المياه : (منطقة تقسيم المياه ، مقسم المياه) هو خط القمم في الجبال والمرتفعات ، الفاصل بين حوضين مائيين ، تتوزع عنده المياه باتجاهها .

الخور : تقابل كلمة (لاغون *Lagoon*) الأجنبية ، مستنقع ساحلي ضحل ينقلب بحيرة ساحلية مع المد والموج العالي .

الدارة : منخفض كبير من الأرض نشأ نتيجة تحلل الصخور الكلسية والعوامل البنائية (التكتونية) . أرضه منبسطة سهلية ، جوانبه شديدة الانحدار قد يكون مغلقاً او مفتوحاً من جهة واحدة ، يعرف بـ (البولييه) بالأجنبية .

الدولومیت : مركب من الكالسيوم والمغنزيوم يشكل صخراً قاسياً يعرف بنفس الاسم . وقد يسمى (الحجر الكلسي المغنيزي) أحياناً .

الدولين : (رَ : الجوبة) .

الدونم : مقياس للأرض مساحته (٩١٣) او (٩٩٥) او (١٠٠٠) متر مربع والشائع هو الـ (١٠٠٠م^{2}) .

الرمية : فرق الارتفاع الحاصل نتيجة حدوث حركة صدع عمودية في طبقات صخرية ارتفع قسم منها وانخفض الآخر او بقي على حاله .

الريس : فترة جيولوجية ، قبل الأخيرة من العصر البلايستوسيني من الحقبة الرابعة ، ساد فيها زحف جليدي .

الزراعة البعلية : الزراعة المعتمدة على الأمطار ، وترد مترجمة عن الانكليزية (الزراعة الجافة) أيضاً .

الزور : الشريط المنبسط المساير لضفاف النهر مباشرة ، ويعرف بالسهل الفيضي لتعرضه لطغيان مياه فيضانات النهر عليه .

ف ف

http://al-maktabeh.com

السـماقي : صفة لنسيج خاص ببعض الصخور النارية ذات البلورات الكبيرة نسبياً ، تقابلها (بورفيري) بالأجنبية .

السـنام : او الطية او المحدب ، تقبب التوائي طولاني بارز فوق السطح يصيب الطبقات الصخرية الرسوبية مكوّناً الجبال والسلاسل الالتوائية . وترد تحت اسم (سنام التوائي وطيّة التوائية) أيضاً .

السهل الفيضي : (رَ : السزور) .

السـهب : وهي الستيب الروسية الأصل . وتعني الفيافي المنبسطة ذات الغطاء العشبي الفقير نسبياً والخالية من الأشجار . ونجدها في فلسطين والبلاد العربية في النطاق شبه الصحراوي .

الصخر المتحول : يرد (الصخر الاستحالي) أحياناً . وهو صخر متحول عن صخر رسوبي أو ناري - باطني بالحرارة والضغط .

الصـدع : ويرد (الانكسار والفالق) أيضاً . حادث بنائي - حركي يصيب الصخور والطبقات فيكسرها على امتداد خط الصدع ومستواه ، وتتحرك الصخور والطبقات على جانبي مستوى الصدع رأسياً او أفقياً او بشكل مائل .

الطـف : نوع من الرسوبيات والصخور . بعضها تكوينات كلسية تترسب حول الينابيع المعدنية ، ومنها طف من أصل بركاني .

الطَفَـل : تربة خصبة مكونة من الرمل والغضار والطمي بنسب متقاربة الى حد ما .

الطـمي : رواسب ناعمة جداً ، قطر حباتها بين (٠,٠٠٢ - ٠,٠٠٢) ملم ، تخلّفها المياه الجارية عادة .

الطيّـة : (رَ : السنام) .

ظل المطـر : السفوح الجبلية الواقعة بمنأى عن الرياح المحمّلة بالرطوبة والجالبة للأمطار التي تضرب السفوح المواجهة للرياح المذكورة . وسفوح ظل المطر قليلة الأمطار نسبياً .

الظهير : ترجمة لمصطلح (*Hinterland*) وهو المنطقة والأراضي الواقعة وراء ميناء او مدينة تتبعها وترتبط مصالحها بها فتخدمها وتؤثر في بقائها وتطورها .

العصر : وحدة زمنية جيولوجية من عمر الأرض أقصر من الحقبة التي تضم عصوراً عديدة . كالعصر الكريتاسي من الحقبة الجيولوجية الثانية . وتعرف بـ (الزمن أو الفترة) أحياناً .

الغنايس : نوع من الصخور المتحولة يرد في بعض الكتب العربية (النيس) أحياناً . أجنبيها (*Gneiss*) .

الغور : ويقابل (*Graben*) الأجنبية ، أرض انخفضت نتيجة حركة صدعية ـ انهدامية رأسية ، تقع بين مرتفعين يطلّان عليها . غالباً ما تكون الأغوار طولانية على شكل أودية كبيرة .

الفترة : وحدة زمنية جيولوجية أقصر من العصر الذي يضم فترات عديدة ، كفترة السينوماني من العصر الكريتاسي .

القاطع : ويقابل (*Dyke*) الأجنبية . اندساس من الصخور الاندفاعية بين صخور أخرى يقطعها .

الكتار : يقابلها مصطلح الأراضي الرديئة (*Bad Lands*) الأجنبي . مفردها الكتر ، تلال مخروطية صغيرة مخددة الجوانب صخورها طرية سهلة التخدد بمياه الأمطار والسيول في المناطق شبه الجافة والقليلة الأمطار .

الكوع النهري : وهي الـ (*Meander*) ترد في بعض الكتب المترجمة الى العربية (منادر) وتعني تعرجات الأنهار والتفافاتها ، خاصة في المناطق السهلية والأنهار الكبرى . تعرف بالأكواع الحرة . لكنها قد تظهر في الهضاب والمناطق الصخرية حيث تعرف بالأكواع المقيدة .

اللابة : وهي (*Lava*) الأجنبية . تسمية عامة للحمم البركانية ـ الاندفاعية .

اللَّبن : خليط مجفف من الطين والقش اليابس مصنوع على شكل متوازي مستطيلات ومستخدم لبناء جدران المنازل ، يعرف في مصر بـ (الطوب) .

اللحقيات : الترسبات التي تخلفها المياه الجارية وتتكون من تربة ناعمة من الطمي والغرين والحصى .

اللـوس : رواسب من التربة الناعمة المنقولة بالرياح ، ذراتها دقيقة جداً مـائلة للصفرة مؤلفـة من حبّات الكلس منفذة للمياه مما يجعل السطح جافاً .

المـارن : وترد (المارل) أيضاً . صخر طيني خليط من الغضار والكلس .

مارن اللسان : ترسبات مارنية بحيرية الأصل ، رباعية العمر ، توضعت في غور الأردن والبحر الميت ، نسبت الى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت .

مخروط الانصباب : تكدس للرسوبيات اللحقية على شكل مخروط يتكون عند مخارج الأنهار من الجبال او المرتفعات الى السهول . وان تشكل المخروط على ساحل بحر أو بحيرة فهو دلتا ، ويعـرف بـ (مروحـة فيضية) أيضاً .

مروحة فيضية : (رَ : مخروط الانصباب) .

المصـطبة : شريط من الأرض المنبسطة المستوية يساير جوانب الأنهار ، يعلوها بحافة او درجة واضحة على الضفتين او ضفة واحدة فوق مستوى الزور . وقد تتعدد المصاطب . وهناك مصاطب اصطناعية على سفوح الجبال وجوانب الأودية لمنع انجراف التربـة ، تشتهر بهـا جبال فلسـطين الوسـطى وتعرف بـ (حبايل) .

المـقـعـر : عكس السنام او الطيّة . انخفاض وواد التوائي طولاني في الطبقات الصخرية الرسوبية يرد تحت (مقعر التوائي) أحياناً .

منـحنى التسـوية هو ما يعرف في بعض المراجع بـ (الكونتور) وهو خط الارتفاعات المتساوية فوق سطح البحر على الخرائط الطبوغرافية .

المـهـل : ويقابل مصطلح (*Magma*) الأجنبي ، وهو الصهير أيضاً ، ويـطلق على الصخـور والمعادن الذائبة والمصهورة في باطن الأرض ، والتي قد تصل الى السطح وتخترقه على شكل اندفـاعات بركانية او أغشية وطفوح من الحمم واللابات .

المـيـل : مصطلح خاص بقياس وتعريف ميل الطبقات الصخرية ، لا يصح استعماله في قياس انحدار السطوح الطبوغرافية (رَ : الانحدار) .

النجد : ويقابل (*Horch*) الأجنبي ، وهو عكس الغور أرض ارتفعت ونهضت نتيجة حركة صدعية ـ انهدامية رأسية على امتداد خطين من الصدوع .

الوادي الانهدامي : الغور الممتد مسافات طويلة ، ويعرف بـ (الوادي الأخدودي) أحياناً .

الوشاح الأرض : الغلاف الواقع بين القشرة الأرضية والنواة الأرضية .

الوهدة : منخفض أرضي كبير يغطي مساحات واسعة ، ينشأ نتيجة الحركات البنائية ويصبح مكاناً لتجمع الرسوبيات او طغيان البحار عليها في الفترات الجيولوجية المختلفة .

في قطاع الشعب والحضارة

الأبرشية : ما كان تحت ولاية (أسقف) من أماكن وأشخاص من تنظيمات الكنيسة .

الأتابك : (أتا = أب ، بك = أمير) : لقب كان يطلق في عصر المماليك على قائد الجيش العام وقد تعني الكلمة الوصي او رئيس الوزارة .

الاسطرلاب : آلة فلكية قديمة لقياس ارتفاع الشمس .

الأسكلة : ميناء .

الأقنان (جمع قن) : عبد الأرض .

الأقنوم : (الشخص : شخصية المسيح التي تجمع الطبيعتين الالهية والبشرية) .

الانكشاري : من يكي ـ جرى أي العسكر الجديد وتطلق على الجيش النظامي الذي أنشأه العثمانيون .

الأوليغارشية : (من اليونانية) حكم الأقلية .

الأيقونة : صورة مقدسة .

الباب العالي : مقر الصدر الأعظم (رئيس الوزارة) في عهد الحكومة العثمانية .

الباسيليكا : كنيسة متميزة .

الباشا : لقب مأخوذ من الكلمة الفارسية (باديشاه) أي حاكم أعلى وكانت تطلق في الدولة العثمانية على (الوالي) .

باشبوزق : (باشي بوزق) كلمة تركية تعني الرأس الفارغ او المختل كانت تطلق على جنود غير نظاميين في المملكة العثمانية اشتهروا بالوحشية وإثارة القلاقل .

البروتوكول : (المسودة الأصلية ، ملحق معاهدة ، نظام التشريفات الدبلوماسية والعسكرية) .

البسطامية : الطريقة الصوفية التي أسسها ابو يزيد البسطامي المتوفى سنة ٢٩٤ هـ .

البكتاشية : احدى الطرق الصوفية التي أسسها (حاجي بكتاش ولي) المولود في نيسابور (أوائل القرن الثامن) والذي بارك تأسيس الجيش الانكشاري فانتشرت طريقته بين الانكشاريين .

التكية : دار تقدم فيها المساعدات الغذائية للفقراء والمتصوفين .

التيمار (أو زعامت) : اقطاع من أراضي الدولة يمنحه السلطان العثماني للجنود .

الجريدة : حملة عسكرية يجردها الحاكم بسرعة .

الجزية : ضريبة مفروضة على رأس ، شخص .

الحوليات : كتب التاريخ المرتبة حسب تتابع السنين .

الخاصكية : قسم من المماليك السلطانية يختارون من الأجلاب الذين دخلوا الخدمة صغاراً ويؤلف منهم الحرس الخاص .

الخان : نزل للقوافل .
أمير او ملك عند الأتراك .

الخانقاه : رباط الصوفية . محل للتعبد والزهد والابتعاد عن الناس .

الخراج : ضريبة على الأرض .

http://al-maktabeh.com

الخشداشية : رابطة الأخوة بين المماليك الذين اشتروا ودُرّسوا واعتقوا سوية .

الخلوتية : تنسب الى الشيخ أيوب بن أحمد الخلوتي (٩٩٤ ـ ١٠٧١ هـ) وهي طريقة تركية ازدهرت بمصر ابّان القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين وتنسب في مصر الى الشيخ مصطفى كمال الدين البكري المتوفى سنة ١١٦٢ هـ . ولها فروع كثيرة مثل الدمرداشية والمغازية والضيفية والبهوتية والسمانية والعلوانية .

الدالاتية : فرقة من الانكشارية ، جنود مرتزقة ، اشتق اسمهم من كلمة (دلي) أي مجنون وقد اطلق عليهم نظراً لطيشهم .

الدفتردار : الموظف المالي في الدوائر التركية .

الدوادار : مؤلفة من (دواه) و (دار) بمعنى يمسك أي الكاتب في عهد المماليك .

الرباط : الدار التي يسكنها جماعة من الصوفية كذلك الخانقاه الخاصة بالنساء المتعبدات وكانت في الأصل المكان المحصن الذي يرابط فيه المجاهدون .

الرفاعية : من أشهر الطرق الصوفية التي انتشرت في فلسطين أسسها الشيخ أحمد بن علي الرفاعي ٥١٢ ـ ٥٧٨هـ .

الرواقية : مذهب الفلاسفة الرواقيين في أثينا .

السباهية : فرسان اقطاعيون في الجيش العثماني .

السكبان : جنود مرتزقة أطلق عليهم هذا الاسم ومعناه الذي يقود الكلاب ويسير مع الأمير الى الصيد . ومن هذه الكلمة حرّفت كلمة (سقمان) التركية التي كانت تطلق على فرقة من المشاة في الجيش العثماني .

السنجق : لواء ، محافظة .

الشاذلية : طريقة صوفية أسسها الشيخ أبو الحسن علي الشاذلي الحسين المتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

الغنوصية : العرفانية ، نظرية المعرفة الروحية .

هـ هـ

الفـرمان : أمر ، مرسوم سلطاني .

القـادرية : طريقة صوفية أسسها الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفى ٥٦١ هـ .

القائمقام (نائب الحاكم) : في التقسيمات الإدارية العثمانية الذي يتولى ادارة الأقضية ضمن المحافظة (أو المتصرفية) .

القرانصـة : أجلاب السلطان السابقون ، والأجلاب تعني المماليك الذين يشتريهم أو يجلبهم الأمير .

الكـورة : البقعـة التي تجتمع فيها المساكن والقرى .

المتسـلم : الجابي الذي يجمع الضرائب .

المتصـرفية : في النظام الإداري العثماني المقاطعة التي يحكمها (متصرف) تقابل محافظة اليوم .

المـجوس : عبّـاد النار او الشـمس .

المـحصـل : الموظف المسؤول عن جمع الضرائب .

المـدوّنة : مجموعة قوانين .

المـقـام : بناء على ضريح أحد الأمراء المجاهدين او العلماء الصالحين .

مقامات : مقامات موسيقية = درجات .

الملتـزم : الجابي الذي يلتزم جمع الضرائب .

المهمنـدار : الذي يتصدى لتلقي الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .

المـولويـة : من أشهر الطرق الصوفية وهي قائمة على تعاليم جلال الدين الرومي المتوفى سنة ٦٧٢ هـ وقد أتمّ تأسيسها ابنه (سلطان ولد) .

المـيـري : أمـلاك الدولة .

النـاووس : تـابوت حجـري .

مكتبة
فلسطين

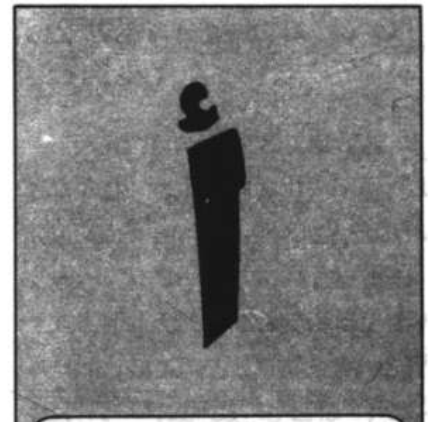

الآبـــار :

يرتبط الحديث عن الآبار في فلسطين بموضوعين هامّين ، هما المياه الجوفية والصخور * الحاملة للمياه من جهة ، والمناخ * السائد في المنطقة من جهة ثانية . ففي جميع أنحاء فلسطين تقريباً تسود درجات حرارة سنوية عالية نسبياً ، تسبّب عجزاً في الفائض المائي والموازنة المائية السطحية ، نتيجة انخفاض كمّيات الأمطار السنوية ، وارتفاع مقادير التبخر والنتح السنويين .

إن الأجزاء المطيرة من القطر ، وهي المرتفعات الجبلية في الجليل * خاصة ، والكرمل * ومرتفعات نابلس * والقدس * والخليل * بصورة عامة ، فقيرة بالمياه السطحية الجارية على مدار العام ، بسبب انتشار الصخور الكلسية ومثيلاتها من الصخور المنفذة للمياه التي تغذي المياه الجوفية . ويعود قسم من هذه المياه فيظهر على شكل ينابيع وعيون متفرقة في الأقسام الوسطى والغربية من فلسطين ، لكنها ينابيع وعيون قليلة الأهمية ، عدا نبعي رأس العين * والكابري * وعيون أخرى أصغر (رَ : عيـون الماء) . لذا اضطر الإنسان الفلسطيني منذ العصور التاريخيّة القديمة إلى البحث عن المياه بحفر الآبار (رَ : العصور القديمة) ،ومع تطوّر وسائل الحفر والوصول إلى المياه الجوفية إزداد عدد الآبار فأصبحت تعدّ بالآلاف في الوقت الحاضر ، معظمها تؤخذ المياه منها بالمضخات الآلية . وقد دفع ازدياد طلب المياه إلى حفر آبار عميقة تصل الى طبقات صخرية بعيدة حاملة للمياه . ويجري ذلك في الجزء المحتل منذ عام ١٩٤٨ ، وفي الضفة الغربية وقطاع غزة أيضاً .

يراوح عمق الآبار في فلسطين بين المتر الواحد ، كما في آبار البساتين الساحلية في غزة * وخان يونس * ، المعروفة بالمواصي (أو المواسي) ، وبين أكثر من ٥٠٠ م ، كما في معظم آبار منطقة القدس ، وهكذا يتزايد عمق الآبار في فلسطين مع الابتعاد عن السهل الساحلي * والاتجاه نحو الشرق الجبلي ـ الهضبي . ففي السهل الساحلي تراوح الأعماق خارج بساتين المواصي بين ٢٠ و ٣٠م أو ٣٠ و ٤٠م وتصل الأعماق إلى ٦٠ ـ ٧٠م في مناطق التلال * وأقدام جبال فلسطين الغربية . وتزيد حتى ١٠٠ ـ ٢٥٠م في السفوح الغربية للجبال المذكورة . أما في الجبال نفسها فتراوح الأعماق بين ٢٠٠ و٥٠٠ م أو أكثر . وليست هذه هي القاعدة العامة في الأعماق نظراً لاختلاف طبوغرافية السطح وفروق الارتفاع في تضاريس فلسطين ، إذ توجد آبار قليلة العمق في المرتفعات والجبال ، كما هي الحال في آبار منطقة الخليل ، فعمق بئر بلدية الخليل ٥٧م فقط . وبشكل عام فإن آبار الأودية أو السهول أقل عمقاً من آبار المرتفعات .

توجد المياه الباطنية في فلسطين في طابقين ، الأول هو طابق الصخور البليوسينية ـ البلايستوسينية المنتشرة في السهل الساحلي الفلسطيني (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . ويرتفع مستوى مياه هذا الطابق من الصفر على ساحل البحر ، حتى ١٥٠ ـ ٢٠٠م عند التلال وأقدام الجبال في الشرق ، وتزيد على ذلك في الجبال . وتعتمد آبار فلسطين الواقعة غربي خط تقسيم المياه العام بين البحر المتوسط من جهة وغور الأردن ووادي عربة * من جهة أخرى ، إعتماداً أساسياً على مياه هذا الطابق ، لقلة أعماقه بالقياس إلى الطابق الثاني ، ولانخفاض نسبة الملوحة في مياهه ، تلك الملوحة التي تتزايد بالاتجاه غرباً والاقتراب من ساحل البحر المتوسط ، فتصل في بعض مناطق الساحل إلى نسبة عالية تقدر بنحو ٦٠٠ ـ ١٠٠٠ مغ أملاح في الليتر الواحد ، كما هي الحال في منطقة مجمع يافا ـ تل أبيب السكاني وأطرافه .

أما الطابق الثاني فيقع أسفل الطابق الأول ، ومياهه محمولة في صخور التوروني ـ السينوماني . ومياه هذا الطابق قليلة الغزارة إذا ما قورنت بمياه الطابق الأعلى . لذا فإن الآبار التي تعتمد عليها قليلة الأهمية وعميقة ، ومنها آبار المرتفعات الفلسطينية ، وآبار الجناح الشرقي الواقع بين خط تقسيم المياه العام وأطراف غور الانهدام .

يقل عدد الآبار المُستَغلة في فلسطين جنوبي منطقة الخليل وغزة ، فلا يتجاوز عددها في جنوب البلاد والنقب ١٠٠ بئر ، لأن المنطقة صحراوية قليلة الأمطار، فلا تغذية كافية للمياه الجوفية، ولا تجديد لما استنزف منها . يضاف إلى ذلك عمقها وارتفاع نسبة الأملاح في معظمها . وأكثر آبار الجنوب الفلسطيني قديمة حفرت على امتداد طرق القوافل ، أو في بطون بعض الأودية ، وأهمها آبار بير السبع (٢٤ بئراً) ، وآبار العوجا * (٥ آبار) ، وعسلوج * (٣ آبار) .

تعرّضت آبار فلسطين، وما زالت تتعرض لانخفاض في مستوى مياهها ، بل لجفاف قسم كبير منها ، بسبب الاستنزاف الكبير للمياه الجوفية التي تغذيها (رَ : الجفاف) ، إذ انتشرت زراعة الأشجار المثمرة والخضر * المرويّة مع انتشار الاستيطان الاستعماري الصهيوني في شتى أنحاء فلسطين . إضافة إلى ازدياد الطلب على المياه العذبة للاستعمالات المنزلية والصناعات المختلفة ، مما يهدّد المخزون المائي الباطني لفلسطين . وبالرغم من تعويض الكيان الصهيوني النقص في المياه بجرّ مياه الينابيع والأنهار بأقنية موزعة، فإن سياسته المائية لم تتغير في مجال استغلال ثروات فلسطين المائية الجوفية والسطحية ، وهذا ما يدفع الكيان الصهيوني للبحث عن مصادر مياه تقع خارج حدود فلسطين ، كما هي الحال بالنسبة إلى منابع الأردن في لبنان وسورية ، مع ما يرافق ذلك من سياسات توسّعية عدوانية .

ومما يؤكد اعتماد الكيان الصهيوني على المياه الجوفية ، ارتفاع كمية مصادر المياه الجوفية إلى ١,٠٠٠ مليون م^3 عام ١٩٨٠ من أصل مجموع مياه مصادر الكيان في العام نفسه ، والبالغ ١,٨١٠ ملايين م^3 . علماً بأن هذا الرقم يشتمل على ما يكرر من مياه البحر ، وعلى ما يعاد تكريره من مياه المجاري الخارجة من المدن . ولا تؤلف مصادر مياه نهر الأردن * وبقية الأنهار والينابيع سوى ٧٠٠ مليون م^3 . وهذا يعني أن قرابة ٦٠٪ من مياه فلسطين هي من مصدر باطني .

كان استهلاك الكمية المائية المذكورة عام ١٩٨٠ موزعاً على الشكل التالي :

١,٢٦٠ مليون م^3	للأغراض الزراعية
٠,٤٠٠ مليون م^3	للاستهلاك المنزلي
٠,١٥٠ مليون م^3	للأغراض الصناعية
١,٨١٠ مليون م^3	المجموع

ويتزايد استهلاك الكيان الصهيوني من المياه ، ويقدّر له أن يصل عام ١٩٨٥ إلى ما بين ٢,٠٠٠ و ٢,١٠٠ مليون م^3 . مما سيدفع هذا الكيان إلى البحث عن مصادر مائية أخرى خارج حدود فلسطين . وقد عمل الكيان على استغلال هذه المصادر استغلالاً تاماً ، حتى في الضفة الغربية التي احتلها عام ١٩٦٧ ، إذ حفر فيها الآبار الكثيرة وأقام عليها مضخات عالية الطاقة ، مما أضرّ بالزراعة العربية نتيجة الانخفاض السريع والمستمر لمنسوب المياه الباطنية ، ولانخفاض تصريف الينابيع ، فجفّت ١٦ بئراً و ١١ ينبوعاً في منطقة بردلة وحدها ، وأصيبت منطقة العوجا في وادي الأردن شمالي أريحا * بكارثة حقيقية ، ورحل ثلاثة أرباع السكان عنها بسبب حفر المستوطنين الصهيونيين ثلاث آبار قرب نبع القرية (نبع العوجا وتصريفه السنوي حوالي ٥,٧ مليون م^3) ، وأدّى ذلك إلى انخفاض تصريفه أولاً ، ثم جفافه التام عام ١٩٧٩ . وكان من نتائج هذا النوع من الاحتلال الصهيوني للأرض وللماء جفاف ١,٣٠٠ دونم من مزارع الموز * و ١٥٠ دونماً من الحمضيات * وتقلّص زراعة الخضر العربية بمقدار ٢,٠٠٠ دونم .

وأخيراً هناك نوع من الآبار في فلسطين ، يسمى آبار الجمع . وهي منتشرة في فلسطين وقراها العربية منذ أقدم العصور . وتجمع فيها مياه أمطار الشتاء وتخزّن لاستعمالها في شتى الأغراض خلال فصل الجفاف * . فهي آبار لا تعتمد على المياه الباطنية ، بل على

http://al-liqaa.com

الأمطار والسيول السطحية . وبالرغم من أهمية هذا المصدر المائي فإن الإهمال وعدم العناية آخذان بالتسرب إلى هذه الآبار التي يقدر عددها بنحو ٨٠٠٠ بئر .

المراجع :

ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

ـ الصندوق القومي الفلسطيني : تقرير الموارد والسياسات المائية في الضفة الغربية (دون تاريخ ومكان) .

— Blake, G.S. and Goldschmidt, M.J.: **Geology and Water Resources of Palestine,** Jerusalem 1947.

— Government of Palestine, Dapartment of Land Settlement and Water Comissioner: **Chemical Analysis of Water from Rivers, Springs, Wadis and Wells,** Jeruselem 1948.

آبار النقب (وادي ـ) :

ويعرف أحياناً باسم « وادي آبار » فقط . وهو من أهم روافد وادي جرافي * الكبير ، إذ يلتقي به شمالي موقع بئر عادة (أو ابن عودة) ، وسط هضبة النقب .ويبلغ طوله ٣٢ كم تقريباً .

تتجمع الخيوط الأولى لهذا الوادي وبداياته في حوض منخفض من أرض النقب قريب من الحدود الفلسطينية ـ المصرية ، محاط بمرتفعات وجبال هضبية ، هي جبل سماوي في الغرب ، الذي تصل قمته إلى ارتفاع ١,٠٠٦ م ، وجبل عديد في الشرق ، وأعلى قممه ٨٤٧م . وتغلق مرتفعات صغيرة في جبل دِبّه الحوض المذكور من الجنوب الغربي .

تنحدر من هذه المرتفعات وحافاتها الجوفية السيول التي حفرت طريقها ضمن صخور الأيوسين الكلسية لتجتمع في واد واحد ، هو المجرى الأعلى لوادي آبار النقب ، الذي يحز مجراه في ترسباته وأنقاضه اللينة من الحقبة الرابعة الجيولوجية . ويكون اتجاه الوادي شمالاً ، شمالاً شرقياً مسافة ١٣ كم . وقبيل التقاء وادي آبار النقب بأهم روافده ، وهو وادي أم بريك الذي يصرف مياه سيول جبل المغارة وسفوح جبل سماوي الشمالية ، يمر وادي آبار النقب ببئر عديد الواقعة مقابل مخرج وادي أم بريك عبر ممر سماوي . وبعد أن يقطع الوادي المسافة المذكورة ينعطف جهة شرق الجنوب الشرقي

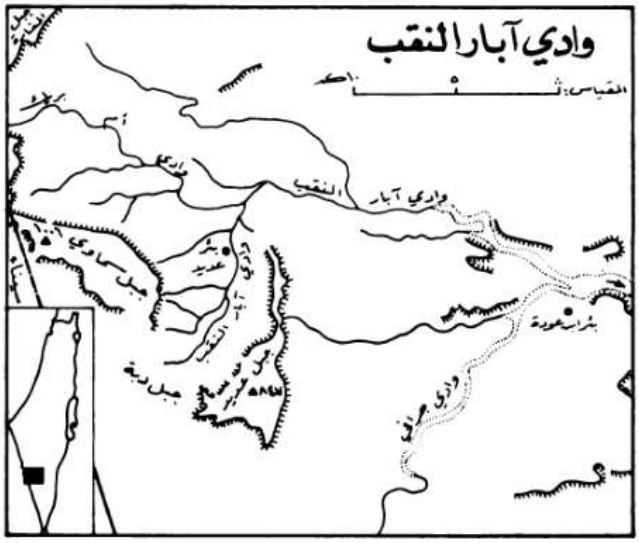

بزاوية واضحة في مجراه ، ليساير خط صدوع له المحور نفسه . ويكون مقطع الوادي ضيقاً نسبياً وعميقاً ضمن صخور الأيوسين والكامبان الحوارية ـ الكلسية قبل هذه الزاوية بنحو ٣ كم وبعدها بنحو ٥ كم . ثم ينبسط إلى عرض ٢٠٠ ـ ٣٠٠م ويصل الى ٤٥٠م عند مصبه في وادي جرافي . وتشرف على هذا القطاع من الوادي جروف صخرية ، مرة عن يمينه ، وأخرى عن يساره ، وثالثة على جانبيه . ويحفر الوادي مجراه هنا في اللحقيات والأنقاض التي رسبها ، أو انحدرت إليه من الجانبين ، وهي ترسبات رباعية العمر .

أما نظام الجريان في وادي آبار النقب فهو سيلي غير منتظم ، مرتبط بهطول الأمطار القليلة التي تراوح كمياتها السنوية الوسطية بين ٥٠ و ١٠٠ مم في منطقة يقرب متوسط درجة حرارتها السنوية من ٢٤° ، ويزيد مقدار التبخر السنوي على ١,٩٠٠ مم . وتكاد منطقة الوادي تخلو من السكان والنشاط الاقتصادي ، عدا نزول أفراد قبيلتي العزازمة والسعيديين بأغنامهم وإبلهم فيها في مواسم الكلأ .

المرجع :

ـ خريطة فلسطين مقياس : ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة بئر معين .

بئر الخَلْصَة

آبِـلُ الـزيت :

اسم لعـدة مواضـع ، يقع أحـدها في فلسـطين . نسبت إليها غـزوة يجعلها المؤرخ الواقدي الخـامسة منـذ ظهور الإسـلام * ، وهي دومة الجندل ، ومؤتة ، وتبوك ، ويبنى ، ثم آبـل الزيت التي ترتبط بمؤتة بالذات عام ٨ هـ / ٦٢٩ م إذ قتل في هذه الأخيرة ثلاثة من كبار الصحابة ، مما جعـل المسلمين ينسحبون ، لمّا تـأكدوا من عدم التكافؤ بينهم وبين أعدائهم . فأعدّ النبي ﷺ سريّة أخرى ، تعتبر آخر البعوث النبوية ، أمّر عليها أسامة بن زيد الذي كان أبوه أحد القواد الذين قتلوا في مؤتة . فطلب منه النبي أن يسير إلى ابل الزيت للانتقام ممن قتلوا أباه ، وأن يوطئها بـالغارة ، وكـان أسامـة ابناً بالتبني للنبي ، مـع أنـه عبـد أسـود ، من أم حبشيـة أعتقهـا النبي ، لحق به في موقعة أُحُد ، إلاّ أنه ردّه لصغر سنّه ، ولمّا فتحت مكة دخل معه الكعبة ، فكان أحب الناس إليه ، حتى عـرف باسم حبّ ابن حب رسـول الله . ولمّا طعن بعض المغـرضين في تـأمـير أسامة لصغر سنه ، خرج النبي لهم في وجعه الأخـير ، وقد عصب رأسه من الصداع ، وقال لهم ثلاث مرات « أنفذوا بعث أسامة » ، وأشار بأنه خليق بالإمارة مثل أبيه ، إذ كان يقدّر شجاعتـه في وقعة حنين . فجهزه النبي بثـلاثة آلاف ، منهم سبعمـائة من المهـاجرين والأنصار ، وعقد له بيده ، ودعا له . فعسكر أسامة شمالي المـدينة بالجرف ، إلاّ أن وفاة النبي فجأة ، جعلته يعود الى المدينة ، ويغـرز لواءه عند بيت رسول الله ﷺ .

ولما بويع أبوبكر بالخلافة أعيد اللواء إلى بيت أسامة ، ليمضي لوجهته ، تنفيذاً لرغبة النبي ، فودعه أبو بكر بنفسه ، وكـان يمشي وأسـامة راكب عـلى فرس أبيـه « سبحة » . وقـد أوصاه ووعـظه ، وحدد له مهمته في أن يتفادى الاشتباك مع الروم ، وأن يبسط نفوذ الإسلام في شمال الحجاز على بطون قضاعة * وبعض اليهود ، فبدأ أسامة بالغارة في وادي القرى ، الذي لا يعتبر من الحجاز ، ويقع في طريق الشام ، فأغار فيه على قرى ومزارع واسعة ، مثل ذي المروة . ووصل إلى أرض السّراة من صحـراء تخوم البلقـاء شرقي الأردن ، وهاجم الداروم ، وهي بليدة قرب غزة * ، ثم هاجم بني الضبيب من جذام * ، وبني صليل من لخم * . ووصل إلى الحمقتين وآبـل الـزيت ، وتمكّن في هذه الأخيـرة من أن يقتل قـاتل أبيـه ، في عام ١١ هـ / ٦٣٢ م . وقد بقي أسامة يغزو في هـذه النواحي أربعـين يوماً ـ وقيل سبعين ـ حتى قدمت جيوش الفتـح إلى الشـام ، فـرجع بسريته إلى المدينة ، فخرج أبو بكر في أهلها يتلقونهم ، واللواء أمامه يحمله بـريدة بن الحصـين ، من أكابـر الصحابـة . ودخل أسـامـة مسجد النبي وصلى فيه ركعتين .

كان إرسال بعث أسامة إلى آبل الزيت ، من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، لأنه مهّد لفتح الشام . حتى أن هرقل * لمّا بلغه ما فعله أسامة ـ وكان بحمص ـ بعث بتجريدة لتأديب هؤلاء الذين أصبحوا يجولون ويصولون على حدود الروم . كما أن بعث أسامة قـد تسبب أيضاً في إضعاف معنويات المرتدين بالحجاز الذين قالوا لو لم يكن بالمسلمين قوة لما أرسلوه ، مما أوهنهم وقوّض معنويات المسلمين . وقد توفي أسامة في أيام معاوية * ودفن بالمدينة عام ٥٤ هـ / ٧٦٤ م .

المراجـع :

ـ ابن هشام : السيرة النبوية ، بيروت ١٩٧١ .
ـ ابن سعد : الطبقات الكبرى ، بيروت ١٩٥٧ .
ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٦٠ .
ـ الذهبي : تاريخ الإسلام .
ـ ياقوت : معجم البلدان ، طهران ١٩٦٥ .

آبِـل القمـح (قـريـة ـ) :

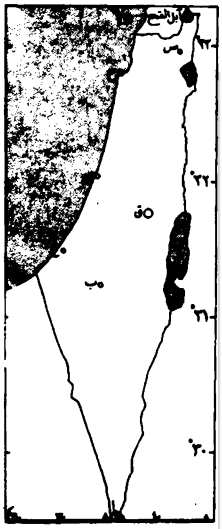

آبـل كلمة سـامية مشتـركة ، تعني المرج ، وسميت بذلك لجودة القمـح * الـذي تنتجه هـذه القريـة . كـما أطلق عليهـا « آبـل الميـاه » لـوفـرة الميـاه في السهول المحيطة بها .

يعتقد ان آبل القمح تقوم في مكانْ البلدة الكنعانية « آبل بيت معكة » التي غزاها الأشوريون * ، وسبوا سكانها في عام ٧٣٤ق.م.

كانت آبل القمـح تتبع لبنـان حتى عـام ١٩٢٣ ، عنـدمـا فصلت عنـه ، وضمت الى فلسطين .

تقـع هذه القـرية العـربية شمـال الشمال الشـرقي لصفد * ، وتربطها بصفد طريق معبدة طولها نحو ٤٣كم . وتبعد القرية قرابة كيلومتر واحد عن الحدود اللبنانية ـ الفلسطينية .

أنشئت آبل القمح فـوق الجزء الأوسط من تـلّ يمتد طـولياً من الشمال الى الجنوب ، على ارتفاع ٣٩٠م فوق سطح البحر، ويزداد ارتفاع التل في شمال القرية ليصل الى ٤١٤م فوق سطح البحـر . وتتميز سفوح هـذا التل بشـدة انحدارهـا . ولقد أكسبت السهـول الخصبة المحيطة بالتل هذه القرية شهرتها بالزراعة . ويمـر على بعـد نصف كيلومتر غرب القـرية وادي البـريغيث (وادي الدردارة كـما يطلق عليه في لبنان) ، وهو أحد روافد نهر الأردن * العليا . أما نهر

الحاصباني الذي يعتبر أحد أهم روافد نهر الأردن ، فيمر على بعد ٤كم إلى الشرق منها .

تشبه القرية في شكلها العام مثلثاً رأسه في الجنوب ، وقد اتجه توسع القرية العمراني نحو الجنوب ، متفقاً مع امتداد التل الذي تقع عليه القرية . وفي أواخر القرن الماضي كان في القرية ٤٥ مسكناً ، أصبح عددها في عام ١٩٣١ نحو ٥٨ مسكناً بنيت من الحجارة والإسمنت أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ١٣ دونماً وبلغت مساحة أراضيها ٤,٦١٥ دونماً ، ملك الصهيونيون ١,٣٢٧ دونماً منها ، أي ٢٨,٨٪ .

كان في آبل القمح ٢٢٩ نسمة من العرب في عام ١٩٣١ ، ارتفع عددهم الى ٣٣٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

لم يكن في القرية أي نوع من الخدمات ، واعتمد اقتصادها على الزراعة * وتربية المواشي . ولهم المزروعات فيها الحبوب * وهي فقيرة الى الأشجار المثمرة ، ففي موسم ١٩٤٣/٤٢ لم يكن فيها سوى ستة دونمات مزروعة زيتوناً * .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها في عام ١٩٤٨ . وأسسوا على أراضيها عام ١٩٥٢ موشاف « يوفال » مقابل دان وتل القاضي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، في ديار الجليل ، جند الأردن ، ج ٦ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة المطلة .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مرجعيون .

آبل المياه : رَ : آبل القمح (قرية ـ)

الآثار (علماء) :

كانت فلسطين موضع اهتمام ودراسة عدد كبير من العلماء الأجانب منذ وقت مبكر . ويرجع ذلك إلى أسباب عدة ، منها مكانة فلسطين لكونها الأرض المقدسة ، والحروب الصليبية التي جرت على أرضها ، إذ عاد بعدها الغزاة إلى مواطنهم الأصلية يتحدثون عن خيرات البلاد المقدسة وجمالها ، والاكتشافات الجغرافية التي جاءت بالكثير من الجديد إلى الشعوب الأوربية ، مما نمّى حب الاستكشاف لدى الكثيرين منهم .

هذه الأسباب دفعت المكتشفين والرواد الأوائل إلى الذهاب إلى فلسطين للتعرف على مدنها وقراها وطبيعة سكانها وعاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم وتاريخهم، وعلى نباتها وطبيعة أرضها .

وبقي الأمر مقصوراً على العلماء الأجانب وقتاً طويلاً ، ولم يتسنّ للعرب الفلسطينيين ، كما هي الحال في سائر البلاد العربية ، الإسهام في البحوث الأثرية في فلسطين إلاّ إسهاماً ضئيلاً يكاد يكون معدوماً . ومردّ ذلك إلى الجهل والتخلف ، مما أدّى إلى عدم وجود الاختصاصيين في هذا الميدان ، إضافة إلى عدم رغبة الباحثين الأجانب في إشراك الفلسطينيين وإطلاعهم على ما يقومون به من أبحاث .

أ ـ علماء الآثار الأجانب : كان في طليعتهم الباحث الدومنيكي السويسري فلكس شميت فابري *Felix Schmid Fabri* الذي جاء إلى فلسطين ، وقام بعدة رحلات في الفترة ما بين ١٤٨٠ و ١٤٨٣م وكتب وصفاً عاماً نشر بعد نحو خمسة وسبعين عاماً . وجاء بعده في عام ١٥٧٥م العالم الهولندي لينهارد راوخ وولف *Leonhard Rauchwolff* ، وكتب ملاحظاته حول العلوم الطبيعية والجغرافية ، ولا سيما علم النبات . وفي نهاية القرن السادس عشر الميلادي قام عالمان ، أحدهما بلجيكي اسمه جوهان زولارت *Johann Zuallart* ، والآخر هولندي اسمه جوهان فان كوتفيش *Johann Van Kootwych* ، بوضع دراسات ورسوم معمارية للآثار الفلسطينية .

ويلاحظ بعد ذلك ، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين أن الاهتمام بالآثار الفلسطينية دخل مرحلة أكثر جدية ، وازدادت حركة النشر حولها . ويبدو أن ذلك راجع لاهتمام العلماء المتخصصين بالدراسات اللاهوتية أمثال قواريسميوس *Quaresmius* الذي قام بدراسات عن الأماكن الدينية بفلسطين عام ١٦٣٩م ، وبيترو ديللا فالي الإيطالي *Pietro Della Valle* الذي قدم وصفاً للرحلات التي قام بها في فلسطين ، والفرنسي اليسوعي ميخائيل ناو *Michael Nau* الذي نشر عام ١٦٧٩م ، مجموعة من آرائه وتجاربه التي دوّنها خلال رحلاته . وفي عام ١٧٠٣م قدّم القس البروتستانتي هنري موندريل *H. Maundrell* مزيداً من المعلومات الفنية الغنية بالمواد الأثرية التي جمعها نتيجة لجولاته في فلسطين . ثم انبرى الهولندي أدريان ريلاند *A. Reland* ينتقد الدارسين اللاهوتيين الذين سبقوه في مؤلفه الهام « فلسطين من خلال معالمها الأثرية » الذي صدر عام ١٧٠٩م . وفي عام ١٧٣٨م قام الأسقف بوكوك *Pocock* برحلة إلى فلسطين نسخ خلالها مجموعة من النقوش الأثرية ، ونشرها مع خرائط ورسوم أخرى .

وقد ازداد عدد أولئك العلماء الذين اتجهوا للبحث والدراسة في

فلسطين وآثارها ومعالمها الحضارية في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وأخذ أسلوب البحث ينهج نهجاً أكثر دقة . ومن هؤلاء العلماء الألماني أورليخ يسبر سيتزن *Ulrich Jasper Seetzen* الذي شملت أبحاثه وتقاريره المفصلة ما يعرف اليوم بشرقي الأردن ، والرحالة السويسري يوهان لودفيج بوركهارت *Johann Ludwig Burckhardt* الذي اكتشف البتراء * ، وكان بذلك أول رحالة غربي يُعَرِّف الشعوب الأوربية بالبتراء عاصمة الأنباط * .

لم يكن إسهام العلماء الإنكليز ، وإن جاء متأخراً ، بأقل من إسهام زملائهم الألمان والهولنديين والإيطاليين والفرنسيين والسويسريين . فقد أرادوا أن يدلوا بدلوهم على غرار زملائهم الأوربيين ، فظهرت أسماء إنكليزية ، أول مرة في الفترة ما بين ١٨١٧ و ١٨١٨م ، مثل إربي *Irby* ، وجيمس مانجلر *James Mangler* .

ولم يتأخر العلماء الامريكان طويلاً عن الركب ، فقد قام بعد الإنكليز ببضع سنوات (١٨٢٨م) اللاهوتي الامريكي إدوارد روبنسن *Edward Robinson* بصحبة تلميذه إيلي سميث *Eli Smith* بجولات متعددة ، شملت فلسطين والمناطق المتاخمة لها من لبنان وسورية وسيناء ، محاولاً تثبيت وتسجيل المواقع التي ورد ذكرها في التوراة . وقد نشر نتيجة أبحاثه هذه في كتاب في ثلاثة مجلدات عنوانه « فلسطين : جبل سيناء والبتراء العربية » *Palestine: Mount Sinai and Arabia Petraea* . وعلى ضوء ذلك قام ف. دو ساولسي *F. de Saulcy* في الأعوام ١٨٥٠ و ١٨٥١ و ١٨٦٣م بدراسات مشابهة ، أتبعها بتنقيبات أثرية مبكرة في عدد من المواقع . لكنه لم يستطع ربط تنقيباته تلك بالنصوص التوراتية . ولم يخفف من خيبة أمله إلاّ بعض المكتشفات الأثرية التي حملها معه إلى متحف اللوفر . وقد عرف ساولسي هذا بأنه أول منقّب أثري في فلسطين .

شهد الربع الثالث من القرن التاسع عشر أهم مؤسستين كان لهما دور بارز في دراسة الآثار الفلسطينية عن طريق استقطاب العلماء ودفعهم للقيام بأبحاثهم الأثرية في ظل رعايتهما . وقد بدا لأول وهلة أن هاتين المؤسستين كانتا تهدفان إلى دراسة آثار ، وطوبوغرافية ، وجيولوجية فلسطين ، بالإضافة إلى دراسة تاريخها الطبيعي وعادات سكانها وتقاليدهم دراسة علمية تختلف عن تلك الدراسات التي سبقتها . لكن الواقع أثبت أنهما أكملتا ما بدأه الآخرون . والمؤسسة الأولى ، وهي « صندوق استكشاف فلسطين *Palestine Exploration Fund* » ، تأسست في لندن عام ١٨٦٥م . أما المؤسسة الثانية فهي « جمعية الاستكشاف الامريكية *The American Exploration Society* » وتأسست عام ١٨٧٠م في نيويورك على غرار المؤسسة الأولى (رَ : الآثار : مدارس ومؤسسات بحث) .

ولقد رافق ظهور هاتين المؤسستين وغيرهما من الجمعيات الأثرية نشاط كبير في حقل الآثار الفلسطينية . فقد قام كثير من العلماء ، برعاية تلك الجمعيات وبإشرافها ، بأعمال التنقيب والمسح الأثريين .

وكان هدف الجميع المعلن في تلك المرحلة إثبات صحة ما ورد في التوراة * من حوادث تاريخية وأسماء أماكن ، وذلك بالقيام بتنقيبات أثرية في أماكن يعتقد أن أسماءها مطابقة لتلك التي وردت في التوراة .

ولكن مسألة التنقيب عن الآثار واستكشاف فلسطين كانت في حقيقتها ذات غايات سياسية بالنسبة إلى بريطانيا خاصة . فقد أخذ اهتمامها بالشرق العربي ، ولا سيما بفلسطين ، يزداد بسبب تجارتها مع الهند . وقام صندوق استكشاف فلسطين بدور كبير في هذا المجال ، إذ تعدّت أعماله الغايات الدينية العلمية إلى الأهداف العسكرية السياسية الاستعمارية ، بدليل أن معظم الذين تولّوا بعثات هذا الصندوق الاستكشافية كانوا من وزارة الحربية البريطانية ، ومن سلاح الهندسة الملكية بخاصة ، من أمثال كوندر *C.R. Conder* ، وبالمر (اللورد) وكتشنر *H.H. Kitchener* ، وولي ، ولورنس ، وبدليل ازدياد نشاط هؤلاء الضباط في الكشف عن جنوب فلسطين بعد أن ظهرت إلى الوجود مشكلة الحدود الشرقية لمصر ، والدفاع عن قناة السويس سنة ١٩٠٦ .

وقد أكد نشاط صندوق استكشاف فلسطين الصلة القوية بين بريطانيا ومشاريع الاستيطان اليهودي في فلسطين تحت الحماية البريطانية . وكانت تذكر دائماً في اجتماعات لجنة الصندوق مسألة « عودة اليهود » ، وشجعت أعمال الصندوق عملية الاستيطان لأنها قدمت صورة مفصلة عن فلسطين . فقد وضع لورنس أوليفانت *L. Oliphant* مشروعاً لحلّ المسألة الشرقية بدعوة اليهود في أوربا إلى الاستيطان في الجانب الشرقي للأردن حتى ينمّوا موارد الإمبراطورية العثمانية . ورأى كتشنر أن فلسطين هي الأرض التي تخصّ الشعب اليهودي ، ونسب كوندر الفضل في هجرة اليهود إلى فلسطين وتزايد أعدادهم فيها ، ولا سيما في القدس ، إلى ما كتبه من مقالات وبحوث .

حتى من الجانب الديني البحت ، وقع الساعون لإثبات صحة ما ورد في التوراة من هؤلاء المنقبين في أخطاء كثيرة لا يزال علم الآثار الفلسطينية يعاني منها إلى اليوم ، وسيظل يعاني ردحاً طويلاً من الزمن . ومن أمثلة ذلك أن الكولونيل تشارلز وورن *Charles Warren* قام ، برعاية صندوق الاستكشافات الفلسطينية ، بحفريات في القدس عام ١٨٦٧م ، ولكن أعماله تلك لم تكن مرضية بسبب عجزه عن تحديد تاريخ دقيق للمباني والفخار الذي عثر عليه . وقام

س. كوندر وكتشنر في الفترة ما بين ١٨٧٢ و ١٨٧٨م بعمليات مسح أثرية مفصلة ، تخدم المصالح الأثرية والعسكرية بآن واحد . وقد نشرت اعمالها في عدة مجلدات، تضم معلومات تفصيلية كثيرة ومركزة عن طوبوغرافية فلسطين ومدنها وقراها ومواقعها الأثرية . وبعد ذلك جاء فلندرز بيتري *Flinders Petrie* ، الذي أطلق عليه بعضهم لقب أبي الآثار الفلسطينية ، وكان تابعاً للمدرسة البريطانية للآثار في مصر ، وأجرى تنقيبات أثرية في تل الحسي عام ١٨٩٠م ، وحاول من خلال تلك التنقيبات التمييز بين المراحل السكنية معتمداً على البقايا المعمارية المتعاقبة ، كما لجأ إلى تصنيف المكتشفات الفخارية على أساس أشكالها . وقد اعتبر هذا تطوراً كبيراً في علم الآثار . وفي عام ١٩٢٧ عاد بيتري مرة ثانية إلى فلسطين ليقوم هذه المرة بتنقيبات في تل العجول (غزة القديمة) إلى جانب تنقيبات في تل حجة إلى الجنوب من غزة * ، وتل الفارعة في منطقة بير السبع . وخلف بيتري في تل الحسي الأمريكي بلِس *F.J. Bliss* لمدة ثلاث سنوات ، متّبعاً طريقته في التأريخ مع بعض التعديلات . كما اشترك بلِس مع مساعده مكالِستر *R.A. Macalister* في تنقيب مواقع أخرى في جنوب فلسطين ، مثل تل الصافي * وتل زكريا وتل جديدة . لكنهما على الرغم من سيرهما على طريقة بيتري في التنقيب والتصنيف ، صنّفا مكتشفاتهما تبعاً للعصور التوراتية التقليدية التي كانت رائجة حتى عام ١٩٠٢ ، مثل :

١) عصر ما قبل الإسرائيليين المبكر : حتى عام ١٥٠٠ ق.م.

٢) عصر ما قبل الإسرائيليين المتأخر : بين عامي ١٥٠٠ و ٨٠٠ ق.م.

٣) العصر اليهودي : بين عامي ٨٠٠ و ٣٠٠ ق.م.

٤) العصر السلوقي : بدءاً من ٣٠٠ ق.م.

إلاّ أن مكالِستر عدّل هذه المصطلحات بعد تنقيباته في تل الجزر في جنوبي شرق يافا * في الفترة ما بين ١٨٩٢ و ١٩٠٩ ، فقسمها إلى : سامي أول ، وسامي ثان ، وسامي ثالث وسامي رابع .

وفي عام ١٩٠٩ قام دونكان مكنزي *Duncan Mackenzie* بتنقيبات في تل الرميلة برعاية صندوق الاستكشافات البريطانية . لكن العمل توقف بعد ثلاثة أسابيع بسبب شحّ الإمكانات المادية . وفي عام ١٩١٨ قام جورج ريسنر *G. Reisner*، بتخويل من جامعة هارفرد الأمريكية ، بتنقيبات أثرية في أريحا * وسبسطية * . وكان معه فريق مدرّب ساعده كثيراً في تنقيباته . وقد خلفه في هذه التنقيبات فيشر *C.S. Fisher* ونشرت نتائج أعمال البعثة في سبسطية في عدة مجلدات عام ١٩٢٤ .

أما أعمال العلماء الألمان والنمساويين الذين نشطوا بعد تحسين العلاقات السياسية مع تركيا صاحبة السيادة السياسية على فلسطين يومئذٍ ، فتركزت غالباً في تل تعنك وأريحا وتل المتسلم (مجدو) * . ففي عام ١٩٠١ قام البحّاثة أرنست سيلّلين *Ernest Sellin* بحملة أثرية للتنقيب في تعنك إلى الجنوب الشرقي من تل المتسلم (مجدو) ، وتوصل خلالها إلى اكتشافات هامة ، أبرزها اكتشاف اثني عشر رقيماً مسمارياً تعود إلى القرن السادس عشر أو الخامس عشر قبل الميلاد .

وفي الفترة ما بين ١٩٠٣ و ١٩٠٥ ترأس شوماخر *Schumacher* الذي سبق أن عمل مع سيللين بعثة أثرية في تل المتسلم (مجدو) . لكنه وقع في أخطاء جسيمة . وفي عام ١٩٠٧ تألفت بعثة ألمانية نمساوية مشتركة للتنقيب في أريحا برئاسة سيللين وكارل فانزنغر *C. Wanzinger* ، وضمت عدداً من المهندسين المعماريين ، وظلت تعمل حتى سنة ١٩٠٩ . ورغم ما بذله أفراد هذه البعثة من جهد في توثيق المكتشفات الأثرية ، وقعوا في الأخطاء التي وقع فيها من سبقهم فيما يتعلق بتفسير الآثار وتسميات العصور (رَ : العصور القديمة) .

بعد ان انتهت الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء خضعت فلسطين للانتداب البريطاني الذي بدأ ، تنفيذاً لوعد بلفور * ، يسترضي الصهيونية * العالمية . فأراد تأكيد « الوعد الإلهي » بدعم تاريخي يؤكد صحة الوعد ، أي حق الصهيونيين في فلسطين . وقد بادر أول مدير لدائرة الآثار الفلسطينية ، جون جارستانغ *John Garstang* ، فور تعيينه سنة ١٩٢٠ إلى تشجيع المؤسسات الدينية والكنسية والجمعيات الأثرية ، وحثّها على الاستمرار في عملها وفي النهج التقليدي . كما أنشأ مجلساً استشارياً أعضاؤه كلهم من الأوربيين ، ومن بينهم الصهيوني جوزيف كلاوسنر *Joseph Klausner* . ولم يضم إلى ذلك المجلس أي عضو عربي . وكان من نتائج السياسة البريطانية نشاط الصهيونيين للوصول إلى الأهداف التي سبق ذكرها . وكان من أهمهم ، إضافة إلى جوزيف كلاوسنر ، إليعيزر بن يهودا *Eliezer Ben Yehuda* ، وإليعيزر سوكنيك *Eliezer Sukenik* ، وابنه ييغال يادين *Yigal Yadin* ، وبنيامين مازار *Benjamin Mazar* ، والصهيوني الامريكي المعروف نيلسون كلوك *N. Glueck* ، والأمريكي أولبرايت *W.F. Albright* ، وليون مايير *L. Mayer* ، وميسلر *B. Maisler* وغيرهم . وقام ميسلر ، بإشراف جمعية الاستكشافات اليهودية ، بتنقيبات أثرية في موقع الشيخ بريك * قرب مدينة الناصرة * ، كما عمل في سبسطية بالاشتراك مع صندوق الاستكشافات البريطاني الخاص بفلسطين والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس .

ومن أخطر العلماء الذين ساعدوا الصهيونيين بحماسة وليام أولبرايت ، وكان، من خلال عمله مديراً لمدرسة الأبحاث الشرقية

http://al-maktabeh.com

الأمريكية ، ينصح ويوجه ويشجع الأعمال الصهيونية خلال خمسة عشر عاماً قضاها في إدارة المدرسة، بل تعدّى النصح والإرشاد ، فاستقبل صهاينة في مدرسته ويسّر الإقامة والبحث لهم وأطرى أعمالهم وامتدحهم . وقد خصص الصهيونيون ، اعترافاً بجهوده ، العدد رقم ١٩ من مجلة (أرض إسرائيل) إحياء لذكراه بعد وفاته .

بذا حوّل الصهيونيون علم الآثار من علم إنساني ينشد الحقيقة ، ويبحث في الإنسان وعلاقاته الاجتماعية ، هادفاً إلى تقريب المسافات بين الشعوب ، إلى علم سياسي عرقي . فأعدّوا من أجل الوصول إلى هدفهم ذلك جيشاً من الباحثين ، كان من أنشطهم في الآونة الأخيرة ييغال يادين الذي نقب في مسعدة وحازور ، وبنيامين مازار ، ورافي يونان وغيرهم ، موزعين بين الجامعة العبرية في القدس ، وجامعة بار إيلان في تل أبيب ، ودائرة الآثار والمتاحف .

ومن المهم هنا أن تُذكر عالمة الآثار البريطانية كاثلين كنيون *Kathleen Kenyon* التي قامت بالتنقيب في أريحا ، وكان لها نشاط بارز في حقل الآثار الفلسطينية . فقد تميّزت بدقة العمل التنقيبي ، وكانت تحذر باستمرار من مغبّة خطأ الربط بين نتائج التنقيبات الأثرية والحوادث التوراتية . وكان لتحذيرها أثر بالغ في تلامذتها الذين لا يزالون يعملون في هذا المجال ، ومن أهم هؤلاء هنريكوس فرانكين الذي خالف بجرأة أسلوب البحث التوراتي الصهيوني ، وبنى ، كما بنت كاثلين ، تفسيراته على الشواهد والوثائق الأثرية المكتشفة . ومن مظاهر الاحتجاج على الصهيونيين التي أبدتها كاثلين توقفها عن التنقيب الأثري في فلسطين بعد حرب ١٩٦٧ * .

وهناك كثير من العلماء الذين عملوا في مجال التنقيب والبحث الأثري في فلسطين ، منهم : جيمس بريتشارد *JamesPrichard*، وكريستال بنيت *K. Bennet* وجين برو *Gean Perrot* ، وبيتر بار *Peter Parr* ، وكيلسو *J.L. Kelso* ، ودونسكومب كولت *Dunscombe Colt* ، وكولين بالي *T.J. Colin Baly* ، وأليكس مالون *Alexis Mallon* ، وكالاوي *J. Callaway* ، وعشرات غيرهم .

ومن حسن حظ علم الآثار أن تقدم العلوم الطبيعية وتطبيقها في البحث الأثري ساعدا في تطوير أساليبه ، وبالتالي ساعدا في تفهّم نتائجه وتفسيرها تفسيراً علمياً منطقياً ، بعد أن كان يخضع لمفاهيم عتيقة ، ويستند إلى روايات لا تخرج عن كونها أساطير في أكثر الأحيان . وتبدّد أمام هذه الأبحاث العلمية المنهجية كثير من الزعم الذي استند إلى معلومات توراتية بهدف إثبات حق سياسي مزعوم . فالتنقيبات الأثرية التي جرت في الضفة الغربية من نهر الأردن بعد عام ١٩٥٢ أكدت أنه لم يعثر على آثار عبرانية تعود إلى الدور الأول من العصر الحديدي (ر : العصور القديمة) ، كما أكدت كاثلين كنيون ، من خلال تنقيباتها في القدس (١٩٦١ - ١٩٦٧) ، أنه لا توجد آثار معمارية يمكن نسبتها إلى داود أو سليمان ، وأن البرج والجزء من السور اللذين أعادهما مكالستر سابقاً إلى عهد داود ، بنتيجة تنقيباته التي قام بها في الثلاثينات من هذا القرن ، إنما يعودان إلى الفترة الهلنيسية . أما ما عرف باصطبلات سليمان في تل المتسلم (مجدو) ، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أنها ليست اصطبلات ، ولا تعود إلى زمن سليمان . هذا إلى جانب كثير من الحوادث التوراتية التي أثبتت التنقيبات الأثرية بطلانها . ومن أمثلة ذلك حادثة تدمير أريحا التي تقول كاثلين كنيون فيها : " يستحيل على المرء أن يقرن تدمير أريحا بتاريخ خروج الإسرائيليين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، فتدمير المدينة يمكن أن يكون بنتيجة هجوم جماعة أخرى من العبريين الذين يتميز تاريخهم بالتعقيد ، كما نعرف . وعليه فالحكاية المثيرة التي ترويها التوراة عن حصار أريحا وسقوطها ليست إلاّ تعليلاً خيالياً لمظاهر التخريب فيها " . كذلك تتحدث جوديث ماركيت كراوس عن رواية تدمير مدينة العاي (عي) فتقول : " إن الفصلين السابع والثامن من سفر يشوع واللذين يعتبران تاريخين لا يخرجان عن كونهما أسطورة " . وحول المسألة نفسها يتحدث ج. كالاوي معتمداً على الشواهد التاريخية التي حصل عليها خلال تنقيباته الأثرية في تل العاي ، فيقول : " إننا لا نستطيع بعد هذا أن نصدق أن تدمير بتيل وتل الدوير وتل بيت مرسيم أو تل القاضي في العصر البرونزي المتأخر بنتيجة غزو الإسرائيليين لأرض كنعان " . وهذا الرأي يخالف روايات التوراة .

أما جيمس بريتشارد فيؤكد ، بعد تنقيبه في مدينة الجيب *Gibeon* ، وبناء على البراهين التي توافرت لديه ، أنه لم يكن في الجيب مدينة ذات أهمية زمن يشوع ، ويقول : " إن التناقضات الواضحة التي كشفت عنها نتائج التنقيب الأثري في أريحا وعي والجيب ، وهي المدن التي تحدث عنها سفر يشوع ، تدل على أننا نسير في طريق مسدود في محاولة العثور على شواهد أثرية لإثبات الروايات التقليدية عن الفتوحات الإسرائيلية "

ويحسم فرانكلن الموضوع بالقول : " لولا روايات التوراة التقليدية لما وجد الأثريون التوراتيون أي تغيير عرقي يذكر في نهاية العصر البرونزي المتأخر " .

ويمكن تصنيف علماء الآثار الفلسطينية بعد هذا العرض كما يلي :

١) علماء التاريخ والعلوم الطبيعية الأخرى مثل الجغرافية والنبات . وكان هدفهم دراسة طبيعة الأرض المقدسة أمثال لينهارد روخوولف .

٢) علماء التوراة الذين هدفوا من وراء البحث في الآثار الفلسطينية إلى إثبات تاريخية الحوادث والأسماء التي وردت في التوراة . ويمكن أن يقسم هؤلاء إلى فريقين : الأول هدفه بحثي محض كالأب دوفو ، ولاب ، وديفر . والثاني سخّر نفسه لخدمة الأغراض الصهيونية والتجسسية أمثال : أولبرايت ، ونيلسون كلوك ، وكوندر .

٣) العلماء الصهيونيون الذين كان هدفهم إضفاء الشرعية التاريخية على الكيان الصهيوني من خلال البحث الأثري ، ومنهم ييغال يادين وبنيامين مازار ، وميسلو ، وأوهاروني ورث أميران وغيرهم .

٤) العلماء الأثريون الذين فصلوا البحث الأثري عن روايات التوراة ، أمثال كاثلين كنيون ، وهنريكوس فرانكين .

ب ـ علماء الآثار العرب الفلسطينيون : حين تأسست دائرة الآثار الفلسطينية في ظل الانتداب البريطاني ، في أوائل العشرينات ، تمكن بعض الفلسطينيين مع الزمن ، وهم قلة ، من الالتحاق بتلك الدائرة موظفين عاديين . ولكن نباهتهم مكّنتهم من الولوج تدريجياً في العمل الأثري ، ومن هؤلاء ديمتري برامكي ويوسف سعد وسالم الحسيني . وقد عمل الأول في البداية مساعداً لمفتش الآثار ، وارتقى حتى أصبح مفتشاً للآثار ، ومشاركاً في أعمال التنقيب العرضي والموسمي . ثم صار يعهد إليه ، بعد أن أثبت مقدرته ، إجراء بعض التنقيبات العرضية التي تعقب عادة الاكتشافات الطارئة . وقد قام بالتنقيب عن مدفن في بلدة الظاهرية * يعود إلى العصر الحديدي الباكر ، ونشر نتائج تنقيبه في فصلية دائرة الآثار ، ونقب عن كنيسة من القرن المسيحي الباكر في عين الحنية ، وعن كنيسة من العهد البيزنطي الباكر بالقرب من تل السلطان عند أريحا . ونقب كذلك عن خزان قديم للمياه في باحة قصر الحكومة بالقدس ، وعن مدفن في وعر أبو الصفا بالقرب من القدس . هذا بالإضافة الى اشتراكه في عدة مواسم تنقيبية في خربة المفجر * . ونشر نتائج دراساته فى عدة مقالات في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية .

كما نشر ديمتري برامكي دليلاً صغيراً للقصر الأموي في خربة المفجر ، قامت بطبعه دائرة الآثار الفلسطينية عام ١٩٤٧ . وكانت أعماله في خربة المفجر من أهم الأعمال التي قام بها في فلسطين ، واستطاع ، مستعيناً بها ، أن يعد أطروحته حول ثقافة العصر الأموي بفلسطين . والتحق بعد النكبة بالجامعة الأمريكية في بيروت ، ثم أصبح أميناً لمتحفها ، وأستاذاً للآثار فيها . ونشر آنذاك عدة كتب منها : « الفينيقيون » ، و « النقود الأموية في متحف الجامعة الأمريكية » ، و « الفن والعمارة القديمة في فلسطين » ، وغيرها . وبقي ديمتري برامكي أميناً لمتحف الجامعة الأمريكية وأستاذاً للآثار فيها حتى تقاعده . وثابر على العمل في الحقل الأثري ، فترأس بعثة أثرية فلسطينية إلى العراق لإنقاذ آثار سد حمرين ، ودرّس في الجامعة اللبنانية .

أما سالم الحسيني فقد قام بعدة تنقيبات طارئة في فلسطين ، منها التنقيب عن مدفن صخري في عين يبرود . ونشر نتائجه في فصلية دائرة الآثار الفلسطينية . وقام بمشاركة هاملتون بالتنقيب عن مدفن آخر اكتشف عند تنفيذ الطريق المؤدي من القدس الى نابلس .

أما يوسف سعد فقد بدأ عمله موظفاً صغيراً ، وتدرج في عمله حتى أصبح أميناً للمتحف الفلسطيني (متحف روكفلر سابقاً) بعد إلحاقه بالمتاحف الأردنية . وبقي في وظيفته حتى الاحتلال الصهيوني للضفة الغربية عام ١٩٦٧ . ونشر بعض الأبحاث الأثرية .

هؤلاء هم أبرز الباحثين الأثريين الفلسطينيين في فترة الانتداب البريطاني . والملاحظ أن عملهم كان من خلال دائرة الآثار الفلسطينية التي كانت تابعة لسلطات الانتداب ، لأنه لم تكن هناك مؤسسات عربية فلسطينية تعنى بشؤون البحث الأثري في فلسطين ، على غرار ما كان موجوداً لدى الصهيونيين .

وبعد نكبة ١٩٤٨ ، تابعت البعثات الأثرية الأجنبية نشاطها في الضفة الغربية بإشراف دائرة الآثار الأردنية ، وبالتعاون مع عدد قليل من أبناء البلاد ، ولم تقم أية بعثة عربية بالتنقيب في الضفة الغربية . أما في قطاع غزة فلم تكن هناك أية بعثة أثرية، عربية كانت أو أجنبية ، كما أنه لم يكن هناك قسم أو دائرة ترعى شؤون الآثار في القطاع ، وبالتالي لم يكن هناك باحثون عرب .

في مطلع الخمسينات أقبل الشباب العربي الفلسطيني ، ولا سيما أولئك المقيمون في الضفة الغربية أو في شرقي الأردن ، على دراسة الآثار والعمل في دائرة الآثار الأردنية أو في الجامعة الأردنية . ويوجد اليوم عدد من الأثريين الفلسطينيين موزعين في البلاد العربية وفي البلاد الأجنبية . ويعمل أكثر الأثريين الفلسطينيين في الأردن وهم موزعون بين دائرة الآثار وجامعتي عمان وإربد . وكان من أبرزهم الدكتور عوني الدجاني ، الذي أصبح مديراً عاماً للآثار في الأردن قبل وفاته ، وقد عمل مع الباحثة الإنكليزية كنيون في أريحا وتابع دراسته في لندن . ومنهم الدكتور معاوية إبراهيم الذي درس الآثار في ألمانيا الاتحادية ، وعمل فترة في دائرة الآثار الأردنية ، واشترك في التنقيب الأثري في عدة مواقع ، منها سحاب ، وديـر علا ، وقام بعدة دراسات أثرية نشرها في مجلة الحوليات الأردنية وفي عدد من الدوريات الأجنبية .والدكتور محمد خير ياسين الذي درس الآثار في الولايات المتحدة الأمريكية وعمل مدرساً في الجامعة الأردنية ، ونقب في تل المزار في الغور . وقد نشر مجموعة من المقالات باللغتين

العربية والإنكليزية في الدوريات المختلفة . ومنهم أيضاً الدكتور نبيل الخيري الذي درس الآثار في جامعة لندن ، ويدرس في الجامعة الأردنية ، وقام بتنقيبات أثرية في البتراء . والدكتور عاصم البرغوثي دارس الآثار في الولايات المتحدة الأمريكية . وهو يعمل مدرساً للآثار في الجامعة الأردنية ، وقد نقب في موقع جرش .

وهناك محمود العابدي * (توفي سنة ١٩٧٨) الذي عمل في دائرة الآثار الأردنية منسّقاً للآثار ، ثم مساعداً للمدير العام ، ونشر عدداً من الكتب والمقالات التي تناولت الآثار الفلسطينية والأردنية بالبحث ، وكان له الفضل في تشجيع عدد من الشبان الفلسطينيين على دراسة الآثار .

ومن الأثريين الفلسطينيين في الأردن الدكتور عدنان الحديدي ، مدير دائرة الآثار الأردنية العام ، والدكتور غازي بيشة ، مساعد المدير العام لدائرة الآثار الأردنية .

هذا بالإضافة الى عدد آخر،منهم : محمد المرقطن ، وحفظي حداد ، ومحمد الجمرّة ، ونبيل القاضي ، ومحمد الغوج .

وهناك قسم أو برنامج للآثار في جامعة بير زيت * يقوم بدراسات ميدانية في حقل الآثار الفلسطينية ، وبإلقاء المحاضرات ويوجد متحف للآثار الإسلامية في المسجد الأقصى * يقوم على إدارته مروان أبو خلف . كما أن هناك مفتشاً للآثار في القدس هو يوسف النتشة . وثمة عدد كبير من المهتمين بصيانة وحماية المباني التاريخية في القدس منهم : إبراهيم دقاق ، وعصام عواد، وكامل العسلي ، وجمال بدران .

وفي سورية يعمل الدكتور شوقي شعث الذي درس الآثار في جامعة روما ، وعمل مديراً للمتحف الوطني بحلب ومديراً لآثار ومتاحف المنطقة الشمالية ، ونقب في عدد من المواقع الأثرية السورية ، منها تل الفري في حوض الفرات ، وتل دينيت في محافظة إدلب ، ونشر عدداً من الأبحاث الأثرية في الحوليات الأثرية السورية . كما يعمل محمد قدور الذي درس علم تقاليد الشعوب في ألمانيا الديمقراطية ، ورافق عدداً من البعثات الأثرية الأجنبية ، واشتغل في متحف التقاليد الشعبية والصناعات الوطنية بدمشق (قصر العظم) . وفي سورية أيضاً محمد وفا الدجاني (متوفى) الذي درس الفنون التطبيقية في مصر ، وعمل ملحقاً فنياً في المديرية العامة للآثار والمتاحف ، وساهم في عرض كثير من المعارض والتنقيبات الأثرية ، ورافق عدداً من البعثات الأثرية ، واشتهر بصنع التماثيل المقولبة .

وعمل زمناً في المملكة العربية السعودية كل من الدكتور إبراهيم قواسمة وعادل عياش . ثم انتقل الأول إلى إحدى البلدان العربية ، وأما الثاني فقد هاجر إلى كندا .

ومن الأثريين الفلسطينيين الدكتور إبراهيم أبو غوش الذي درس الآثار في تركيا ، وعمل فترة من الزمن في مركز التخطيط * بمنظمة التحرير الفلسطينية * ، كما اشترك في البعثة الأثرية الفلسطينية إلى العراق للتنقيب في سد حمرين وعمل في جامعة الرياض . والدكتور أحمد البحيصي الذي درس الآثار في جامعة وارسو ببولونيا ، واشتغل في العراق ثم في جامعة الرياض ،

المراجع :

ـ عدنان حديدي : الآثار في خدمة السياسة ، حولية دائرة الآثار الأردنية ، العدد ٢٢ .

ـ محمد أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، أضواء جديدة (١٩٥٢ ـ ١٩٧٧) ، عمان ١٩٧٨ .

ـ شوقي شعث : الآثار وخطرها على القضية الفلسطينية ، حلب ١٩٧٦ .

ـ دائرة الآثار الفلسطينية : فصلية دائرة الآثار الفلسطينية QDAP .

ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف : الحوليات السورية ، دمشق .

ـ دائرة الآثار العامة : الحوليات الأردنية ، عمان .

— Albright, W.F.: **The Archaeology of Palestine,** Penguin 1960.

— Callaway,i.: New Evidence of Al **Journal of biblical literature 87.**

— Dever, W.: **Archaeology and Biblical Studies, Retrospects and Prospects,** 1972.

— Franken, H.J. and Franken - Buttershill, C.A.: **A Primer of Old Testament Archaeology,** Leiden 1968.

— Kenyon, K.: **Excavation Methods in Palestine,** PEQ 1939.

— Lapp, P.: **Biblical Archaeology and History,** New York 1969.

— Thompson, H.O.: **Archaeology and Archaeologists, An historical review with focus on the ancient Near East,** The University of Jordan 1970.

الآثار (مدارس ومؤسسات بحث ـ) :

بدأت الاستكشافات الأثرية في فلسطين مبكرة بالنسبة إلى غيرها من بلدان الشرق العربي ، وذلك لعدة أسباب منها :

١) أن فلسطين هي الأرض المقدسة لدى الديانات السماوية الثلاث : الإسلام * ، والمسيحية * ، واليهودية .

٢) لأنها نقطة وصل هامة بين القارات الثلاث : آسيا وأوربا وإفريقيا .

فمنذ العهد البيزنطي ، وأثناء العصور الوسطى، تملّكت الأوربيين رغبة في التعرف على تاريخ فلسطين ، وعلى المواقع القديمة التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس . ومع تطور وسائل السفر والاستكشاف تطورت وسائل البحث والتحرّي ، فالصورة التي بدأت تتكوّن منذ العصور الوسطى أخذت تكتمل وتنمو تدريجياً .

تنوعت وتوزعت اهتمامات المكتشفين والروّاد الأوائل من

مختلف الجنسيات ؛ فمنهم من كان عالماً بالتاريخ يصبو إلى معرفة الخلفية التاريخية التي سبقت نشوء الديانات السماوية ، ومنهم من كان يحاول ربط التاريخ الأوربي بنظيره التاريخ الشرقي بهدف المقارنة ، ومنهم من كان يسعى إلى معرفة الآثار الفلسطينية والمكونات الحضارية للثقافات التي نمت وعاشت في فلسطين ، وفريق رابع كان هدفه دينياً محضاً وهو إثبات أن ما ورد في التوراة * من حوادث وأسماء أماكن وأشخاص كان صحيحاً. أما الفريق الخامس، وهو الذي استغل الجهود السابقة وجاء متأخراً ، وهو أخطرها على الإطلاق ، فقوامه العلماء الصهيونيون أو الذين يدورون في فلكهم ، وكان هدف هؤلاء خدمة الأفكار السياسية الصهيونية بتقديم وثائق علمية مستخلصة من التنقيبات الأثرية ـ على حدّ تعبيرهم ـ لإثبات أن فلسطين هي أرض الميعاد « التي وعد بها الرب الشعب اليهودي للعيش فيها بسلام »

ساهمت كثير من المدارس والمعاهد والجمعيات في دراسة آثار وحضارة وجغرافية فلسطين ، وأخذ العلماء من كل دولة يتبارون في ذلك . وهذا تلخيص لأهم تلك الجهود مرتبة حسب الدول :

أ ـ فرنسا : قام الرواد الفرنسيون بعدّة رحلات استكشافية في فلسطين في القرن الثامن عشر ، ومن أهمهم فيليسيان دو سولسي *Félicien de Saulcy* ، ومماركيز دو فوغوي *Marquis de Vogüé* ، ودوق لين *Luynes* ، وف. غيران *V. Guérin* .

بعد ذلك أسس الفرنسيون المدرسة التوراتية في القدس برعاية معهد الدراسات العليا اللاهوتية الذي تأسس في باريس عام ١٨٩٢ . وافتتحت في عام ١٩٢٠ المدرسة الأثرية الفرنسية بالقدس . وكان من أهم الأعمال الفرنسية في مجال الدراسات الفلسطينية : إصدار المجلة التوراتية في عام ١٨٩٣ في باريس ، ومن أهم كتّابها الآباء : لاغرانج *Lagrange* وفنسان *Vincent* ، وسافنياك *Savignac* ، وآبيل *Abel* ، وباروا *Barrois* . واتجهت الموضوعات التي تناولوها إلى البحث في الآثار والجغرافية والنصوص القديمة واللغات في فلسطين . وهناك عدة دراسات أخرى صدرت مثل « كنعان » للأب فنسان ، و « جغرافية فلسطين » للأب آبيل ، وهو في جزئين صدرا في باريس في الفترة ما بين ١٩٣٤ و١٩٣٦ ، و « القدس » للأبوين فنسان وآبيل ، وصدر في باريس سنة ١٩١٢ ، و « بيت لحم » (باريس ١٩١٤) ، و « كنيسة عمواس وتاريخها » لفنسان وآبيل ومكاي *Mackay* (باريس ١٩٣٢) . كذلك صدر في سنة ١٩٢٣ كتاب عن الخليل ـ حرم الخليل ـ لسافنياك والأب جوسّن *P. Jaussen* .

وقامت المدرسة الأثرية الفرنسية بعدة تنقيبات أثرية في القدس ، أجرتها في عين ديوك وبيت جبرين * وعمواس . هذا إلى جانب عدة رحلات استكشافية في فلسطين ، خاصة في النقب * وفي شبه جزيرة سيناء .

وإلى جانب المدرسة الأثرية الفرنسية في القدس ساهمت معاهد دينية فرنسية أخرى في أعمال الكشف والتنقيب في فلسطين ، واقتنت كثيراً من الآثار الفلسطينية ، مثل الآباء الأغوستيين والآباء البيض .

ب ـ ألمانيا : بالإضافة إلى الرحلات الاستكشافية والدراسات الأخرى التي تمّت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، أسس الألمان عدة معاهد وروابط علمية لدراسة فلسطين ، منها :

١) الجمعية الألمانية لدراسة فلسطين *Deutcher Verein zur Erforschung Palästinas* : تأسست في لايبزغ عام ١٨٧٧ ، وأصدرت مجلة بعنوان : *Zeitscharft des deutschen Palästina - Vereins* . كذلك أصدرت الجمعية مجموعة من المطبوعات أهمها : نشرة إخبارية عن الجمعية ونشاطها الأثري ، وخريطة مادبا ، وخريطة لشرقي الأردن

٢) الجمعية الألمانية الشرقية : تأسست عام ١٨٩٨ ، وأصدرت مطبوعاتها تحت عنوان : المنشورات العلمية للجمعية الشرقية الألمانية ، نشرات إخبارية حوليات *Wissenschaftliche Veröffentichungen der Deut. Orient Gesell., Schriften, Mitteilungen, Jahresberichte* .

وقامت بتنقيبات أثرية في لاكيش (تل الدوير *) وأريحا * .

٣) المعهد الألماني البروتستانتي لآثار الأرض المقدسة بالقدس : أسسه عام ١٩٠٠ البروتستانت الألمان ، وأصدر حولية فلسطين منذ عام ١٩٠٤ .

٤) المعهد الشرقي لجمعية غورز ـ بالقدس : أسسه عام ١٩٠٨ في القدس الكاثوليك الألمان ، وقام بتنقيبات أثرية في رامات الخليل وعين الطابغة (طبرية) .

٥) معهد غوستاف ـ دالمان للأبحاث الفلسطينية .

٦) الجمعية الألمانية للدراسات المصرية والشرق أوسطية : شاركت في حفريات بلاطة .

٧) جمعية الإنقاذ الألمانية : تأسست بعد الحرب العالمية الأولى ، وتركزت أعمالها على دراسة وإنقاذ الآثار الفلسطينية .

٨) اللجنة الألمانية ـ التركية لحماية الآثار الفلسطينية : تأسست أثناء الحرب الأولى من أجل حماية ودراسة المباني القديمة الموجودة في فلسطين .

جـ ـ النمسا : أما النمساويون فقد شاركوا في التنقيبات الأثرية في تعنّك وبلاطة وأريحا برعاية الأكاديمية الإمبراطورية في ڤيينا ، ووزارة المعارف النمساوية .

هذا إلى جانب عدة مجلات ودراسات صدرت باللغة الألمانية فيها .

د ـ الولايات المتحدة الأمريكية :

١) المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس : تأسست عام ١٩٠٠ ، وأصدرت منذ عام ١٩١٩ مجلة : *Bulletin of the American Schools of Oriental Research (BASOR)* كما أصدرت عام ١٩٢٠ حوليّة : *Annuals of the American Schools of Oriental Research (AASOR)*. وقامت هذه المدرسة بعدة تنقيبات أثرية في تل الفول والمالحة وتل النصبة (بالتعاون مع مدرسة المحيط الهادىء الدينية) وتل بيت مرسيم وبيتين وبيت شمس وجرش وبيت صور أو بيت صاوير (قرية النبعة) والحمة * على نهر اليرموك وغيرها .

كذلك قامت بحملتين استكشافيتين في سيناء في عامي ١٩٢٣ و ١٩٢٧ ، وحملة إلى الجنوب من البحر الميت * عام ١٩٢٤ ، إلى جانب عدد كبير من الرحلات في شرقي الأردن ، في عمون ومآب (١٩٣٢ ـ ١٩٣٤) .

٢) المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو : قام بتنقيبات في مجدّو * (تل المتسلم) .

٣) متحف جامعة بنسلفانيا (فيلادلفيا) : قام بتنقيبات في بيسان * (تل الحصن) ، وأصدر قسم فلسطين في المتحف مجموعة من المطبوعات .

٤) مدرسة بتزسبورغ اللاهوتية *Pittsburg - Xenia* : في عام ١٩٢٤ قام الدكتور م.ج. كيل *M.G. Kyle* مدير المدرسة ، بمشاركة المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس ، برحلة استكشافية إلى جنوب البحر الميت . وقد شاركه أولبرايت في تنقيباته في تل بيت مرسيم وبيتين منذ عام ١٩٢٦ حتى موته عام ١٩٣٢ .

٥) مدرسة المحيط الهادىء الدينية ـ معهد فلسطين بيركلي ـ كاليفورنيا : قام *W.F. Badé* منذ عام ١٩٢٦ ، وبرعاية هذه المؤسسة ، وبالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية في القدس ، بتنقيبات في تل النصبة . وأهم مطبوعاتها : المجلة ، ومراسلات معهد فلسطين .

٦) كلية هيرفورد : أجرت تنقيبات أثرية في فلسطين ببيت شمس منذ عام ١٩٢٨ بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية . وقد أودعت نتائج أعمالها وتنقيباتها في الموقع المذكور عدة مجلدات أثرية .

٧) جامعة هارفرد : أجرت تنقيبات أثرية في سبسطية * ونشرت نتائج أعمالها .

٨) المدرسة اللاهوتية بشيكاغو : قامت بتنقيبات في خربة الطّبيقة بالتعاون مع المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية .

٩) المدرسة الأمريكية لأبحاث ما قبل التاريخ : قامت باستكشاف ودراسة كهوف ما قبل التاريخ في فلسطين بالتعاون مع المدرسة البريطانية للآثار بالقدس .

إضافة إلى ما سبق أنشئت عام ١٨٧٠ الجمعية الأمريكية لاستكشاف فلسطين ، *The American Exploration Society* ، على نمط صندوق استكشاف فلسطين البريطاني . وقد حاولت القيام بمسح طبوغرافي للمنطقة الشرقية لنهر الأردن إتماماً للمسح الذي قام به الإنكليز في فلسطين . وكان هدف هذه الجمعية الدفاع عن التوراة ، إذ بدأت مخاطبة القراء بالكلمات التالية : " سوف تروق أعمال جمعيتنا لعواطف المسيحيين واليهود ، وسوف تكون مهمتها إيضاح التوراة والدفاع عنها ، لأن النقد الحديث يهاجمها . وتشعر الجمعية بأنها قد تعهدت بخدمة مقدسة من أجل العلم والدين " .

هـ ـ بريطانيا :

١) صندوق استكشاف فلسطين *Palestine Exploration Fund* : تأسس في لندن عام ١٨٦٥ ، وبتأسيس هذا الصندوق بدأت الأعمال الاستكشافية المنهجية في فلسطين . وكانت هذه المؤسسة برئاسة رئيس أساقفة يورك . وقد حددت أهدافها بأنها أهداف علمية دينية فحسب ، لكن الغاية الاستعمارية كانت من بين غاياتها ، إن لم تكن على رأسها . فقد كان من العاملين في المسح الجغرافي والتنقيب الأثري لصالح هذا الصندوق عدد من رجال المخابرات البريطانية الذين سيكون لهم فيما بعد شأن في الاستعمار البريطاني لفلسطين ، والتمهيد للاحتلال الصهيوني . ومن هؤلاء كوندور ، ولورنس وكتشنر . وقد قام صندوق الاستكشاف بتمويل التنقيبات الأثرية وأعمال الاستكشاف في مناطق كثيرة في فلسطين وشرقي الأردن ولا سيما في النقب ووادي عربة * . وأصدر في لندن ، منذ عام ١٨٦٩ مجلة فصلية هي *Palestine Exploration Fund Quarterly Statement* إلى جانب عدد من المطبوعات كانت المؤسسة تعلن عنها في نهاية كل عدد من أعداد مجلتها الفصلية .

٢) المدرسة الأثرية البريطانية بالقدس : تأسست في القدس عام ١٩١٩/١٩٢٠ ، وقامت بإدارة كل من ج. غارستانغ *J. Garstang* ، و ج. و. كروفوت *J.W. Crowfoot* بدور نشيط في استكشاف فلسطين . وقامت بالتنقيبات الأثرية في عسقلان ، وتل الخريجة ، وتل عمر ، وتل قيس ، وجرش ، والطنطورة * ، وكهوف ما قبل التاريخ بفلسطين ، ورهبانية القدس وغيرها . وأصدرت مجلتها الفصلية : *Bulletin of the British School of Archaeology in Jerusalem* .

٣) المدرسة البريطانية للآثار في مصر : مقرّها القاهرة ، ولكنها قامت أثناء إدارة فلندرز بتري *Flinders Petrie* بتنقيبات أثرية في تل جمّة وتل الفارعة وتل العجول ووادي غزة بجنوب فلسطين .

و ـ الدانمرك : برعاية المتحف الملكي في كوبنهاغن . قامت بعثة دانمركية بثلاث حملات استكشافية في أعوام ١٩٢٦ ، و ١٩٢٩ ، و ١٩٣٢ ، في موقع خربة سَيْلون الواقعة إلى الشمال من القدس بمسافة ٤٠ كم .

إلى جانب هذه المدارس والهيئات الأجنبية كانت في فلسطين دائرة للآثار الفلسطينية تأسست عام ١٩٢٠ ، مع بداية الانتداب البريطاني . وقد قامت هذه الدائرة بمراقبة المواقع القديمة والتنقيبات الأثرية ، وأجرت تنقيبات أثرية في وادي المغارة وخربة كرزة ، وجبل الكرمل * ، والنبي روبين * ، وعتليت * ، وتل أبو حوّام ، والقدس ، وأصدرت مجلة فصلية ، كانت تنشر فيها نتائج تنقيبها وأوجه نشاطها .

وتأسس في القدس متحف للآثار ، ضمّ الآثار المكتشفة في فلسطين ، وأصدر مجلة خاصة به منذ عام ١٩٢٤ .

كذلك تأسست عام ١٩٢٠ الجمعية الشرقية الفلسطينية الأكاديمية الدولية التي ساهمت في أعمال البحث الأثري في فلسطين مع الجمعيات والمؤسسات الأخرى ، وأصدرت عام ١٩٢١ مجلة مختصة بالآثار .

وقامت بعض المعاهد الدينية التابعة للرهبانيات المسيحية بحفريات أثرية ، ومن هذه المعاهد المعهد البابوي التوراتي الذي افتتح في عام ١٩٢٧ ، وأجرى حفريات في تليلات الغسول * وفي بعض مواقع ما قبل التاريخ . ومنها رعوية الأرض المقدسة التي أجرت تنقيبات في صفورية * وجبل الطور * وكفر ناحوم .

واليوم ، تهتم دائرة التربية والتعليم العالي في منظمة التحرير الفلسطينية * ببحث التراث الأثري الفلسطيني ، والاشتراك في المؤتمرات الأثرية العلمية العربية والدولية . وقد أنشأت حديثاً مركزاً للآثار الفلسطينية والتراث الفلسطيني في دمشق . وهي في ذلك كله تسعى للحفاظ على هذا التراث الغني ، وإبرازه على وجهه العلمي الصحيح ، بعيداً عن محاولات المؤسسات الصهيونية وبعض المؤسسات الأجنبية طمسه ، وتشويهه ، واستغلاله لصالح حق مزعوم تدّعيه في فلسطين العربية .

المراجع :

ـ محمود أبو طالب : آثار الأردن وفلسطين في العصور القديمة ، أضواء جديدة (١٩٥٢ ـ ١٩٧٧) ، عمان ١٩٧٨ .

— Albright, W.F.: **The Archaeology of Palestine,** Penguin 1960.

— Baramki, D: **The Art and Architecture of Ancient Palestine,** Beirut 1969.

— Barrois, A.G.: **Manuel d'Archeólogie Biblique,** Paris 1939.

— Thompson, H.O.: **Archaeology and Archaeologists, an historical review with focus on the ancient Near East,** Amman 1970.

آثـــار : رَ : الخرب والأماكن الأثرية
رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)
رَ : الهيئة العلمية لشؤون الآثار

آثـــار العصـــور القديمـــة :

أ ـ العصر الحجري القديم الأدنى *Lower Palaeolithic* :

تشير الأدلة الأثرية إلى أن الإنسان ظهر في فلسطين لأول مرة في هذا العصر ، أي قبل حوالي نصف مليون سنة . ولم يعثر على عظام أو جماجم لهذا الإنسان ، ولكن عثر في فلسطين على الأدوات الظرانية التي كان يستعملها هذا النوع من البشر . فهنالك فؤوس يدوية ليس لها شكل معين ، ولكنها مشطوبة ومكيفة ليسهل استعمالها . تدعى هذه الفؤوس (ابفيلين) نسبة إلى (أبفيل *Abbeville*) في فرنسا ، حيث عثر عليها لأول مرة . اكتشفت هذه الأدوات في المستعمرة اليونانية جنوب غربي القدس * ، وفي السهل الذي يقع عند الكيلومتر ١٨ من طريق رام الله . وقد دام استعمال هذه الأدوات مدة طويلة من الزمن تبلغ ٣٠٠ ٠٠٠ سنة على وجه التقريب . ومنذ مئتي ألف سنة ظهرت فؤوس يدوية أخرى ، شكلها مثلث ورأسها حاد، ومشطوبة على الجانبين . تدعى هذه « أشولين » نسبة إلى *St. Acheule* في فرنسا . ودامت هذه الفؤوس مدة ١٢٠,٠٠٠ سنة . والعنصر البشري الذي استعملها يدعى « الإنسان المنتصب *Homo Erectus* » ، تبلغ سعة جمجمته ٩٠٠ سم٣ . وبجانب هذه الفؤوس ظهرت عرضاً قشرات تدعى القشرات الكلَكْتونية نسبة إلى « كلكتون *Clacton* » في إنكلترا ، حيث عثر عليها لأول مرة .

وفي هذا العصر كان الإنسان يقطن السهول وضفاف الأنهر ، وربما أوى إلى أعالي الأشجار ليتّقي شر الحيوانات الضارية . وكان يقتات من صيده الحيوانات البرية مثل الغزلان والفيلة ذات الشعر الطويل التي تدعى « ماموث *Mammoth* » .

ومنذ حوالي ٨٠,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠ سنة ظهر في فلسطين عنصر جديد من البشر ، كان في الماضي يدعى « الإنسان النياندرتالي » ، وأصبح الآن يدعى « الإنسان العاقل *Homo*

Sapiens » ، تبلغ سعة جمجمته ١,٥٠٠ سم٣ ، وعظمتا جفونه بارزتان ، وذقنه منكمشة . ظهر هذا الإنسان في أواخر العصر الجليدي الثالث ، وكان يسكن الكهوف والمغاور . وعثر على القسم الأعلى من جمجمة هذا الإنسان في كهف الزطّية * على شاطىء بحيرة طبرية * ، كما وجدت أقسام هياكل عظمية وجماجم في مغارة الطابون في جبل الكرمل * . وأدخل هذا الإنسان نوعاً جديداً من الأدوات تدعى « الفلوا ـ مستيريه » ، نسبة إلى *La Maustere-Levallois* في فرنسا . وكان هذا الإنسان يحضر قطعة كبيرة من الظّران أو الصوان ثم يضرب طرفها ليشطب قشرة منها يهذبها فيما بعد لاستعمالها إما سكيناً وإما رأس رمح وإما رأس نبل . وقرب المكان الذي انسلخت منه القشرة نتوء واضح يدعى بصيلة النقر *Percussion Bulb* ، كما تظهر تموجات على وجه القشرة عند انسلاخها من العقدة الأم . وقد وجدت أدوات هذا النوع من البشر في مغاور وكهوف كثيرة ، بالإضافة إلى المغارتين المذكورتين .

ولهذا الإنسان الفضل في استعمال النار لشيّ لحوم الحيوانات التي كان يقتنصها ، أو لإشعالها أمام مغارته ليصدّ الحيوانات الضارية . وزيادة على لحوم الحيوانات البرية كان هذا الإنسان يقتات الأعشاب والفواكه البرية ، ويُدعى عصره « العصر الحجري القديم الأوسط *Middle Palaeolithic* » . ومنذ حوالي ٤٠,٠٠٠ سنة ظهر الإنسان العاقل العاقل، الذي يسمى من قبل « الإنسان العاقل» ظل هذا الإنسان يسكن الملاجىء والمغاور الصخرية حتى دنوّ العصر الجليدي الرابع . ومشى في صنع أدواته في خطى سلفه بعد أن غيّر شكلها ، وتفنن في صنع أشكالها ؛ فطريقة صنعها كانت طريقة الشلخ والانسلاخ ، لكن العقدة الأم اكتسبت شكلا أسطوانيا قبل الشلخ ، ولذلك أصبحت الشفرات الآن مستطيلة لا مثلثة ، ولها طرفان حادّان . وصنع هذا الإنسان المقاشط على نوعين : مقاشط جانبية *Side Scrapers* ، ومقاشط طرفية *End Scrapers* . كما صنع أيضاً الحفارات والمخارز وهلم جرا . وتختلف شفرات هذا العصر عن شفرات العصر السابق بكونها أصغر حجما . وقد اقتات هذا الإنسان من صيد الحيوانات، وجمع الأعشاب والفواكه البرية ، وكان يكثر من أكل الحلزون . ويدعى هذا العصر بالعصر « البليوليثي الأعلى *Upper Palaeolithic* » ، ووجدت بقايا منه في مغارة الطابون بجبل الكرمل ، وفي جبل القفزة قرب الناصرة ، وفي وادي خريطون قرب بيت لحم * .

ب ـ العصر المسوليثي *Mesolithic* أي العصر الحجري المتوسط (٨,٠٠٠ ـ ٦,٠٠٠ ق.م.) : قبل حوالي ١٠,٠٠٠ سنة ، وبانتهاء العصر الجليدي الرابع تبدلت حياة الإنسان في فلسطين وفي كثير من أنحاء المعمورة تبدلا كبيرا ، إذ اهتدى إلى الزراعة * .

وهكذا أصبح ينتج قوته بدلا من أن يكون عالة على الطبيعة كسابق عهده . والمظنون أن المرأة ، أثناء غياب زوجها طلبا للصيد والقنص ، أخذت تجرب زراعة الحبوب خارج مغارتها . واكتفى الإنسان في بادىء الأمر بزراعة البقعة الصغيرة من الأرض أمام مغارته .

عثر على أنقاض هذه الحضارة في مغارة شقبة في وادي النطوف قرب الرملة*، ولذلك سميت حضارته بالحضارة النطوفية (رَ : العصور القديمة) . ولكن فيما بعد عثر على بقايا أغنى منها بكثير في مغارة الواد في جبل الكرمل . والأدوات النطوفية صغيرة جدا ، ولذلك سميت الصناعة النطوفية« ميكرولثيك *Microlithic* » . وأغلب هذه الأدوات تشبه الأهِلّة ، وكانت توضع في أيد خشبية وعظمية ، الواحدة بجانب الأخرى . كما عثر على حفارات ومخارز صغيرة . وكانوا يصنعون المناجل بوضع صف من هذه القطع الصوانية بفك الحيوانات والعظام ، تزخرف في بعض الأحيان بشكل عجول . وكانوا يجرشون القمح * والشعير بجواريش من الحجر البازلتي .

كان الإنسان النطوفي في بادىء الأمر يسكن المغاور كما في مغارة شقبة/ مغارة الواد في جبل الكرمل. ولكن عندما شعر بمزايا الزراعة انتقل إلى السهول يفلح ويزرع أرضاً أوسع . ووجدت بقايا نطوفية في أسفل الطبقات الأثرية في أريحا * ، وفي عين ملاحة قرب بحيرة الحولة * . وربما ابتدأت في هذا العصر المعتقدات الدينية ، لأن النطوفيين كانوا يعتنون بموتاهم ويدفنونهم مع جميع ممتلكاتهم في قبر تحت الأرض .

وكان الإنسان النطوفي أنيقاً يهتم بتزيين نفسه ، إذ عثر في مغارة الواد على جثة مزيّن رأسها بخرز مصنوع من الدنتاليا (نوع من الصدف المستطيل الأسطواني الشكل) . كما عثر على كمية من الخرز المصنوع من الفيروز وعظام الحيوانات . وعثر أيضاً في عين الملّاحة على خرز من الدنتاليا . وكان أيضاً يعرف الخياطة ، إذ عثر على إبر ودبابيس مصنوعة من العظام في مغارة الواد وعين الملّاحة . وفي هذا العصر أخذ الإنسان يدّجن الحيوانات ، وأولها الكلب .

جـ ـ العصر النيوليثي *Neolithic* أو العصر الحجري الحديث : أدّى اكتشاف الزراعة في العصر السابق إلى تقدم كبير وسريع في حياة الإنسان ، مما حدا بالعلماء إلى وصفه بالثورة النيوليثية . من مزايا هذا العصر انتشار الزراعة على نطاق واسع ، وظهور القرى ، وازدهار الصناعة * على نطاق ضيق ، وظهور هندسة بدائية ، وتدجين الحيوانات على نطاق واسع من معز وبقر وهلم جرا . فاعتماد الإنسان على الزراعة أرغمه على بناء أكواخ قرب مزروعاته ليقيها من الحيوانات . وأخذت الحيوانات البرية

تقترب من الحقول لتقتات من بقايا الحصيد ، فيأخذها الإنسان ويدجنها . وأخذ ينسج من صوفها الثياب ، ويصنع من جلدها القرب ، كما أخذ يصنع السلال من القصب . وكان يقتات من حليب الحيوانات الداجنة ومن لحومها . فانتشرت في فلسطين قرى كثيرة ، مثل قرية أريحا وغيرها . وحصل تبديل في صنع الأدوات ، فعادت هذه إلى حجمها الكبير المألوف في العصر البليوليثي الأدنى ، ولكنها كانت مصقولة صقلا لمّاعاً ، لأن الإنسان النيوليثي اهتدى إلى صناعة الأيدي الكبيرة من أغصان الأشجار السميكة ، فصنع رؤوس الفؤوس والقداديم كما صنع رؤوس الرماح ، ورؤوس النبل ، والمناشير والسكاكين والمخارز الخ . وزيادة على ذلك أخذ الإنسان النيوليثي يصنع الأدوات والطلاسم من حجر السربنتين الأخضر المرقط . وكانت القرى تقام حول معبد صغير قرب ينبوع من الماء ، وكانت الأكواخ تبنى من اللبن ، وكانت مستطيلة لتسهيل

جماجم مجصّصة من اريحا من العصر الحجري الحديث

سقفها ، إذ لم يكن بمقدور النيوليثيين قطع أشجار سميكة ، واكتفوا بقطع الأغصان الصغيرة لسقف أكواخهم .

وكانوا في بادىء الأمر يخزنون محصولاتهم في قرب مصنوعة من جلد الحيوان ، ولكنهم اهتدوا فيما بعد إلى صناعة الخزف المشوي الذي كان يصنع بالأيدي ، وفي كثير من الأحيان يصقلون الأواني الخزفية ويزخرفونها بحزوز أو بألوان ، واكتفوا بصنع الجرار والأطباق والأكواب .

وتكونت معتقدات دينية ذات صلة مباشرة بالزراعة . فجعلوا للرعود والبرق إلها لأنه يروي الزرع ، وجعلوا من الأرض إلاهة ، هي إلاهة الخصب التي تجعل الزرع ينمو ويترعرع . وصنعوا تماثيل من الطين لهذه الآلهة بشكل البشر . كما أنهم كانوا يعبدون الأسلاف ، إذ عثر في أريحا على تسع جماجم زيد عليها طين أبيض لتمثيل سحنة الميت .

وكانوا يدفنون موتاهم بعناية ، ويضعون في القبر أواني تحتوي على مأكولات ومرطبات لاستعمال الميت في الآخرة ، إذ كانوا يعتقدون بحياة بعد الموت .

وقلما كانوا يحصّنون قراهم ، إلّا أن أريحا شذّت عن القاعدة ، فأقيم سور حول هذه القرية في أواخر العصر النيوليثي ، فيه برج مستدير .

د ـ العصر الكلكوليثي *Chalcolithic* : أمّ فلسطين في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد أقوام جاؤوا من أماكن كانوا فيها يسكنون خياماً مصنوعة من جلود الحيوانات ، وأنشأوا حضارة منبثقة من حضارتهم ومن الحضارة التي وجدوها في وطنهم الجديد . أسست هذه الأقوام قرى في أماكن كثيرة في فلسطين مثل مجدّو * ، وتل أبو مطر قرب بير السبع * ، وبيسان * ، ووادي غزة * ، وتل الفارعة بجوار نابلس * ، وتل الجزر * ، قرب الرملة ، وأريحا وتليلات الغسول * في شرقي الأردن . تتميز صناعة الخزف في هذا العصر بأشكالها الجديدة . فقد عثر في المقابر في وادي غزة والطبقة الأثرية الثامنة في أريحا على أوان بشكل الطيور وشكل قرون الحيوانات . ويظن أن سكان وادي غزة في هذا العصر كانوا يمارسون الزراعة ، وينزحون بعد الحصاد . أما في أبو مطر فكانت الأقوام تسكن المغاور في بادىء الأمر ، ثم انتقلت إلى أكواخ صغيرة . وربما كانوا أول الأقوام الذين عملوا في صناعة النحاس ، إذ وجدت كمية من الدبابيس والأقراط ورؤوس النبابيت بكميات صغيرة . وفي حظيرة وجدت نماذج بيوت ذات سقف مروّس ، وفي بيسان وجد خزف رمادي اللون مصنوع بالأيدي . كما أن البيوت كانت تبنى على شكل مستدير مثل البيوت الكلكوليثية في مدينة جبيل ، وعثر في تل الفارعة على خزف من هذا النوع أيضاً . وبعض الأواني ذات قاعدة عالية . والأباريق ذات قعر مستدير وأعناق عريضة ومقابض تتخطى حافة الإبريق . وكانت الأواني تزخرف بالخرز وبالألوان وبانطباع الأصابع .

هـ ـ العصر البرونزي (٣,٠٠٠ ـ ٢,٣٠٠ ق.م.) : يمكن القول إن هذا العصر كان عصر الحضارة والمدنية ، إذ أخذت تظهر المدن المحصنة في أماكن كثيرة من فلسطين ، مثل مدينة عاي * قرب رام الله * ، وتل بيت مرسيم في جبل الخليل ، وبيسان ، وتل الدوير * ، ووادي غزة ، وتل الفارعة ، وتل الجزر ، وأريحا ، ومجدو ، وتل النّصبة . فالقرى القديمة توسعت ، وتحولت إلى مدن محصنة بأسوار متينة . وفي بادىء الأمر كانت الأسوار * تقام على مرحلتين : في المرحلة الأولى كان يبنى حائط قائم ، وفي المرحلة الثانية يضاف إليه حائطان آخران مائلان من الداخل والخارج . وهذه الحيطان كانت تبنى من الطوب على أسس من الحجارة

المبعثرة في الحقول . وكثيرا ما كانت هذه الأسوار محصنة بأبراج وبخندق يحيط بها من الخارج . وفيما بعداعتاضوا عن هذا بسور مبني بحجارة ضخمة ، مائل من الخارج ، يعلوه حائط من الطوب . وفي كل مدينة من مدن فلسطين قصر ومعبد واحد أو أكثر . وقد وجد معبد في عاي مستطيل الشكل يؤدي إليه باب في أحد الحيطان الطويلة ، وأقيم مذبح في وسط الحائط المقابل . بني هذا المعبد من حجارة صغيرة ، وكان مسقوفا بسقف خشبي يرتكز على دعامات خشبية قائمة في وسطه وجدت قاعدتها الحجرية في مكانها الأصلي . ووجد معبد على هذا الشكل في مجدّو .

أما بيوت السكن فكانت تبنى على ذات النمط ، لكنها كانت أصغر من المعابد والقصور . والأسس والمداميك السفلى كانت تبنى من الحجارة . أما المداميك العليا فكانت من اللبن الطوب غير المشوي ، وكان بيت السكن يحتوي على غرفتين في طابق واحد ، وكان السقف يرتكز على دعائم خشبية تقوم فوق الحجارة الموضوعة وسط الغرفة وعلى أطرافها ، تعلوها الأخشاب بشكل مثلث ، ثم يوضع عليها القصب بشكل محكم، ويغطى بالطين . وما الفرق بين بيوت السكن والقصور إلا في الحجم .

وتفنن أهل هذا العصر بصناعة الخزف ، إذ صنعوا الجرار والأباريق بأحجام مختلفة والأطباق وهلم جرا . كما أنهم كانوا يصنعون جراراً صغيرة مزدوجة لحفظ العقاقير ، وكانوا يدهنون بعض أوانيهم بأشكال هندسية باللون الأحمر ، وفيما بعد كانوا يطلونها بطلاء أحمر ، ويصقلونها بالحصى صقلاً عمودياً . وفي أواخر هذا العصر ظهر في شمال فلسطين ، خصوصاً في خربة الكرك ، نوع من الخزف المطلي باللون الأسود أو اللون الأحمر أو اللونين معاً . كان يُزخرف بالأصابع ، ثم يُصقل صقلاً لماعاً .

وازدهرت الصناعة إلى حد ما في العصر البرونزي . فأخذوا يصنعون الخناجر ورؤوس الفؤوس والقداديم من النحاس . وكانوا يصنعون تماثيل للآلهة ، خصوصاً آلهة الخصب . فكانت هذه التماثيل مؤلفة من رأس بشكل رأس البوم ، يعتمر تاجاً مزخرفاً بالريش ، وكان باقي الجسم أسطواني الشكل ، عدا الذراعين اللذين كانا يوضعان على الصدر ، كما أنهم كانوا يصنعون تماثيل بدائية من النحاس .

وفي هذا العصر درج صنع الأختام ، ولكن الصنع المحلي كان بدائياً للغاية . أما بعض الأختام الأسطوانية السومرية فقد استوردت من العراق .

وكانوا يستعملون الحلي ، فيلبسون القلائد المصنوعة من الخرز ومن حجارة كريمة كالكورنلين والعقيق . كما أنهم كانوا يلبسون الأقراط النحاسية والفضية والذهبية في بعض الأحيان .

وفي أواخر الألف الثالث قبل الميلاد قدم أقوام من الصحراء شنوا حملة على المدن الفلسطينية والسورية والفينيقية ، ودمروها شر تدمير ، وفتكوا بسكانها . تدعى هذه الأقوام الأقوام العمورية ، أو مارتو، أو أموريين (رَ : العموريون) . ففي الحفريات الأثرية التي أجريت حتى الآن وجدت طبقة كثيفة من الرماد الذي تركه العموريون * وراءهم . وقد عادت البلاد معهم إلى حال الهمجية ، فلا سلطان ولا رادع . وبقيت على هذه الحال مدة مئتي سنة . وبعد ذلك أخذ العموريون يتحضرون شيئاً فشيئاً ، وابتدأوا يبنون البيوت البسيطة لسكناهم بدلا من خيامهم . وفي أواخر القرن الحادي والعشرين أو أوائل القرن العشرين قبل الميلاد قامت أقوام من الشمال يجيدون صناعة النحاس ، فاختلطوا بالعموريين ومدّنوهم شيئاً فشيئاً .

ولئن كان العموريون لا يكترثون بمساكنهم ، فإنهم كانوا

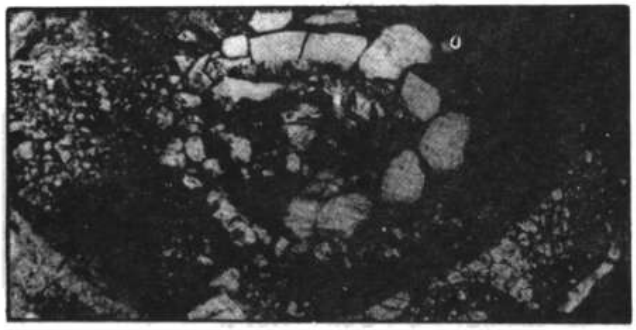

قبر من العصر الحجري الوسيط

يعيرون موتاهم العناية الخاصة ، فكانوا يدفنونهم في قبور محفورة في الصخر ، ومعهم كمية وافرة من الطعام موضوعة في أوان خزفية . وقد وجدت لهم مقابر في مجدو ، وتل العجول ، وأريحا وغيرها من المواقع الفلسطينية الأثرية ، وكانوا يستعملون القبر مرة واحدة فقط .

وتذكر النصوص المصرية بعض أعمال العموريين الهمجية في المخطوطات المعروفة بنصوص اللعنات *Execration Texts* التي كانت تلعن أشخاصاً من العموريين على تماثيل صغيرة كانت تكسر فيما بعد ليصيب هذا الكسر صاحب الاسم المكتوب على التمثال .

أدخل العموريون نوعا جديدا من الخزف يختلف عما سبقه كليا ، وكانوا أول من صنع السّرج ، كما أدخلوا خنجراً مربعاً وسيفاً طويلاً .

أمّت فلسطين في أواخر القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد

أقوام من الشمال يدعوهم العالم الأثري شيفر *Schaeffer* بحملة الأطواق . وكان هؤلاء ماهرين في صناعة النحاس ، فكانوا يصنعون منه ومن الفضة معه الأطواق ورؤوس الفؤوس الحربية المثقوبة المروّسة والأشكال الحلزونية والخرز والأساور والتماثيل . وكان قدومهم قبيل نشوء الأسرة الثانية عشرة في مصر . وكان ذلك بادرة خير ، إذ ساد النظام في البلاد ، وأنشئت مدن جديدة على أنقاض مدن العصر البرونزي القديم ، وأكبر منها ، وعادت الحياة الطبيعية إلى سابق عهدها ، فازدهرت الصناعة والتجارة * والزراعة ، وصبغ العموريون البلاد بالعنصر السامي ، بعد أن كان سكان البلاد ينتمون إلى عناصر مختلفة .

و ـ العصر البرونزي المتوسط : أدت النهضة التي ظهرت في مصر في عهد الأسرة الثانية عشرة إلى الاستقرار في فلسطين . فقامت مدن جديدة ، ونشطت الزراعة وازدهرت التجارة والصناعة . فالحفريات التي جرت في تل العجول وتل بيت مرسيم وبيتين وبيسان ومجدّو وتل الدوير وتل فارة وتل الفارعة وتل الجزر وتل القاضي (حاصور * قديماً) وأريحا وبلاطة * تشير إلى ازدهار ورخاء لا مثيل لهما . فأسوار المدن كانت مبنية بحجارة ضخمة ، وكانت مائلة من الخارج ، في أسفلها ، وكان اللبن في أعلاها . كانت الأسوار محصنة بأبراج كثيرة ، ومزودة ببوابة كبيرة لها ثلاثة أبواب وأربع غرف للحرس ، وكان سور المدينة عريضاً ، حتى إنه يمكن بناء بيت في أعلاه . وأصبحت القصور تبنى حول صحن داخلي تحيط به الأواوين والغرف من جهاته الأربع . أما المعابد فكانت تحتوي على غرفة مزودة بمذبح في الطرف المقابل للباب ، وأمامها صحن مفتوح إلى الفضاء .

وكان أهل هذا العصر يدفنون موتاهم في مقابر مصنوعة خارج السور . وكان القبر غنياً بالتحف والأواني والأسلحة والأدوات الأخرى . وفي أغلب الأحيان كان القبر يستعمل مرات كثيرة ، ويحتوي على عدد كبير من الجثث والهياكل العظمية ، بعكس العصر السابق .

بلغت صناعة الخزف أوجها في هذا الزمن . فكانوا يصنعون الخزف على دولاب سريع ثم يطلونه في بادىء الأمر بالطلاء الأحمر ، وفيما بعد بالطلاء العاجي ، ويدهنونه بألوان كثيرة ، ويصقلونه صقلاً لماعاً ويغلب عليه الشكل الإجاصي . وقد صنعوا الطاسات والأباريق الكبيرة والصغيرة والمكاييل والجرار على هذا الشكل . وفي عهد الهكسوس * ظهرت أباريق أسطوانية وطاسات مجأجأة (أي على شكل جؤجؤ ، وهو صدر السفينة) وكثرت في هذا العصر صناعة الطاسات من الذهب والفضة والنحاس ، كما أن صناعة الأدوات والأسلحة البرونزية ازدهرت في هذا العصر . فهنالك خناجر ورؤوس فؤوس ورؤوس بلطات حربية ورؤوس رماح . كما ظهرت أيضاً دبابيس برأس مكبر وأشكال حلزونية لتصفيف الشعر والاستعمال كأساور . وعثر في تل العجول على كمية من الأشكال الحلزونية مصنوعة من الفضة ، كما عثر على أساور فضية .

وفي عهد الهكسوس اكتشف عدد كبير من الجعلان المصنوعة من حجر الستاتيت . وكان سكان هذا العصر يتلهّون بألعاب مثل « الداما » .

ويظهر ازدهار التجارة جليّا في الصور الملونة التي وجدت في بني حسن ، حيث تُشاهد جماعة من التجار الفلسطينيين يسيرون بقافلة تحمل الكحل والمنافيخ ، مما يدل على أنهم كانوا تجارا ونحاسين .

ز ـ العصر البرونزي المتأخر (١٦٠٠ ـ ١٢٠٠ ق.م.) : تعرضت المدن الفلسطينية في هذا العصر إلى هجمات من الفراعنة * المصريين الذين ينتمون إلى الأسرة الثامنة عشرة . فأحمس الأول دمر مدينة شروحين (تل فارعة حاليا) ، كما أن تحوتمس الثالث * دمر مجدّو وبيسان وأريحا وتل بيت مرسيم وحاصور . ثم أعيد بناء بعض هذه المدن ، مثل مجدو وحاصور وبيسان ، وظل بعضها الآخر ، مثل أريحا وتل بيت مرسيم ، مهدوماً إلى ما بعد سنة ١٤٠٠ ق.م .

والمدن التي نجت من حملات المصريين تهدمت عندما هاجمها الخابيرو * في عهد العمارنة بين ١٣٧٥ و١٣٤٠ ق.م. والمدن التي نجت من هجمات الخابيرو هدمها الفرعون ستي الأول في أواخر القرن الرابع عشر ، والفرعون مرنبتاح في أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

تأثرت المدَنية في فلسطين بالحضارة المصرية في هذا العصر إلى حد بعيد ، لكن الضرائب * التي فرضتها مصر أفقرت البلاد . ويلاحظ ذلك من فقر محتويات القبور التي ترقى إلى هذا العصر .

أما في الهندسة فلا فرق بين هذا العصر والعصر السابق إلّا في الأسلوب ؛ فالحجارة لم تنحت بتلك الدقة المألوفة في العصر السابق ، وطريقة البناء كانت غير متقنة . وبالرغم من ذلك وجد في مجدّو معبد فوق معبد من العصر السابق ، كما وجد أيضاً معبد في خندق السور في تل الدوير . والمعبد في مجدّو إيوان واسع ، في مؤخرته محراب صغير في الحائط لوضع تمثال الإله ، وفي مقدمته غرفتان للكهنة . والمعبد في تل الدوير إيوان مستطيل ، في مؤخرته مذبح ، وعلى جانبه غرفة للكهنة . وقد وجد في المعبد تمثال للإله رشف * الكنعاني . وفي مجدو وجد قصر طوله ٥٠م وعرضه ٢٥م ، وهو إيوان تحيط به الغرف من ثلاثة جوانب . وعثر في هذا القصر على كمية كبيرة من الحلي تشمل القلائد الذهبية والخواتم ، وكمية من الخرز من الحجر اللازوردي والزجاج * ، وجواهر أخرى .

وقد أثّر الانحطاط الذي أصاب الحضارة في هذا العصر في

http://dialogue.lebanon.com

صناعة الخزف ؛ فالأواني التي عرضت في العصر السابق ما زالت تصنع في هذا العصر ، ولكنها لم تعد دقيقة الصنع والزخرفة ، وانعدم الصقل تماماً . وفي منتصف هذا العصر (حوالي سنة ١٤٠٠ ق .م .) استوردت أوانٍ من قبرص ومن منطقة البحر الإيجي .

إن جميع الأدوات والأسلحة في هذا العصر كانت تصنع من البرونز ، وقد ظهرت فؤوس ورؤوس رماح جديدة تختلف عن شبيهتها في العصر السابق ، وظهر لأول مرة في التاريخ رؤوس نبل من البرونز .

أما الحليّ فقلّ الخرز المصنوع من الحجارة الكريمة عند العامة ، واستعيض عنه بخرز من معجون الزجاج الأزرق . وكثر استعمال الجعلان المصرية والأختام الأسطوانية البابلية والأختام الحثّية . أما الأثرياء فما فتئوا يستعملون المجوهرات المصنوعة من الذهب والفضة والكورنالين (العقيق الأحمر) والعقيق والخواتم والأقراط الذهبية . وكثرت صناعة التماثيل البرونزية ، فعثر على تماثيل للإله رشف في تل أبو حوام وتل الدوير ومجدّو ، كما كثر استعمال تماثيل آلهة الخصب المصنوعة من الطين المشوي بقوالب حجرية . كما شاعت صناعة تماثيل الحيوانات مثل الثيران والمعز والكلاب . وفي هذا العصر حدثت تجارب للكتابة بالأحرف الهجائية بدلاً من الكتابة بالمقاطع كما كان شائعاً في مصر والعراق. فظهرت كتابة أبجدية في سرابيط الخادم في سيناء ، وعثر في تل الدوير على جرة ظهرت عليها بعض الأحرف الأبجدية .

واستوردت المدن الفلسطينيةمن مصر بعض الأواني المصنوعة من الألاباستر .

وفن النحت نادر في فلسطين . وبالرغم من هذا عثر في تل بيت مرسيم على نصب بشكل امرأة يلتف حولها ثعبان . ولكن استوردت فلسطين من البلاد المجاورة بعض الأنصاب المنحوتة ، مثل نصب الفرعون ستي الذي وجد في بيسان ، ونصب الأسد الذي وجد في المكان ذاته . كما عثر في مجدّو على عدد من الأنصاب المستوردة من مصر .

أما طريقة دفن الموتى فلم تختلف عن طريقة العصر السابق .

ح ـ العصر الحديدي (١٢٠٠ ـ ٦٠٠ ق.م.) : منذ القرن الرابع عشر حتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد أصبحت فلسطين عرضة لهجمات من الشرق والغرب . ففي عهد العمارنة ، أي في زمن أخناتون * ، ضعفت شوكة مصر ، فاستغل الخابيرو هذا الضعف ، وشنّوا حملات على سورية وفينيقية وفلسطين ، ودمّروا الأرياف والقرى ، ولكنهم لم يتمكنوا من فتح المدن ، إلّا مدينة أريحا .

وظلوا يسرحون ويمرحون في الأرياف حتى جاء الفلسطيّون * من الغرب ، وفرضوا سلطانهم عليهم ، كما فرضوا الجزية على المدن . ففي القسم الأول من العصر الحديدي كان الفلسطيّون مسيطرين على البلاد . وتشير الدلائل إلى أنهم هم الذين أدخلوا صناعة الحديد واحتفظوا بها ، مرغمين جميع سكان البلاد على الهبوط إلى مدنهم لشحذ أدواتهم المصنوعة من الحديد .

نشأ في فلسطين في أوائل العصر الحديدي ثلاث طرق لصنع الخزف : فهنالك الخزف الفلسطيّ الذي انتشر على الساحل والهضاب الواطية ، وصناعة الخزف الكنعاني الذي استعمل في المدن ، وصناعة الخزف الإسرائيلي الذي انتشر في القرى التي سكنوها . وكانت كل صناعة تختلف عن الأخرى ؛ فصناعة الفلسطيّين منبثقة من الصناعة الإيجية ، والصناعة الكنعانية منبثقة

من صناعة الخزف في العصر البرونزي المتأخر . أما صناعة الإسرائيليين فصناعة بدائية يتمّ معظمها بالأيدي .

وكان الفلسطيّون يزيّنون خزفهم بصور مدهونة باللون الأحمر تمثل إوزة تنظف ظهرها بمنقارها ، أو صلباناً ، أو شجر النخيل . وقلما كان الخزف الكنعاني يدهن ألا بحزوز أفقية ، أما الخزف الإسرائيلي فلم يدهن بتاتاً، وحل محل الدبابيس القديمة المعروفة عند العامة بدبابيس قفل التي كانت تصنع من البرونز .

أما الهندسة فأصابها شلل كبير ، وقد استعان هؤلاء بالمهندسين والبنائين الفينيقيين، واتبعوا في هندستهم تصميم البيت الهيلاني. وكانت القصور تحتوي على رواق يؤدي إلى غرفة العرش ، وهي محاطة بغرف كثيرة ، منها غرف نوم ومكاتب ومخازن ، ومن زخارف هذا العصر صور أسود مجنحة لها رأس إنسان .

ووجد في مجدّو قصر وإسطبلات ترقى إلى هذا العصر . كما عثر على قصر الملك شاؤول في تل الفول ، على بعد خمسة كيلومترات شمالي القدس . وعثر على مصنع للنحاس في تل خليفة (عصيون جابر * قديماً) ، وعلى عدد كبير من المقابر التي ترقى إلى هذا العصر في تل الجزر ومجدّو ، وتل الدوير ، وتل النصبة ، وغيرها . وجرت العادة أن يقبر الموتى في كهوف يحفرها الانسان ، وكانوا يدفنون مع الموتى أغلب ممتلكات الميت ، ويضعون في المقابر المأكولات والمشروبات في أوان خزفية . وفي أغلب الأحيان كان الفلسطيّون يدفنون موتاهم بتوابيت مصنوعة من الخزف ، وينحتون على الغطاء صورة الميت .

ووجدت في مجدّو مجموعة كبيرة من العاج المحفور ، من بينها صندوق صغير مربع محفور على جهاته الأربع أسود وحيوانات ميثولوجية مجنحة . وهنالك تمثال صغير لامرأة ، وعصا سحر محفور عليها منظر ملك جالس على عرش يستقبل قائداً منتصراً واقفاً على عربة تجرها الخيل . ومما يجدر الانتباه إليه أن العرش على هذه الصورة يشبه تماما العرش المحفور على تابوت أحيرام الذي وجد في جبيل .

وكثر حفر الآبار * في هذا العصر لخزن المياه . وبعد انقسام الدولة الإسرائيلية إلى قسمين أصاب صناعة الخزف شيء من الانحطاط بسبب إنتاجها بكثرة ولعدم الاكتراث بشكلها . وكان الأثرياء يستوردون الخزف من فينيقية ، حيث كانت الصناعة أتقن إحكاماً وأجل تزييناً . ورغم توبيخ الأنبياء ظل الإسرائيليون في الشمال ، واليهود في الجنوب ، يصنعون تماثيل الهة الخصب .

وكانت ممارسة الفن منذ القرن التاسع معدومة ، وإن وجدت ضروب من الفن فقد كانت من صنع أجنبي ، كالعاج الذي وجد في السامرة ، فهو من صنع فينيقي متأثر بالفن المصري .

وكثر استعمال الأختام نقلا عن الجعلان المصرية ، وكانت في العادة تزخرف بأسد حوله كتابة ترمز إلى صاحب الختم باللغة العبرية . كما وجدت في السامرة (سبسطية * حاليا) قطع فخّار مكتوب عليها تعليمات وإرشادات إدارية . ووجدت في تل الدوير رسائل بين قادة القلاع المجاورة أثناء حملة نبوخذ نصر على الدولة اليهودية .

واكتشفت أبنية كثيرة ترقى إلى هذا العصر . فهنالك قصر آخاب في السامرة الذي بناه الفينيقيون * . واستعمل الإسرائيليون في هذا العصر الطراز البروتو ايوني . والحجارة في البناء ، عدا حجارة قصرآخاب، لم تكن منحوتة نحتا أنيقا . وأغلب المدن كانت محصنة بأسوار ، والبوابة مزدوجة ، وعلى كل من جانبيها غرفة للحرس .

ويمكن القول ان القسم الثاني من العصر الحديدي (٩٠٠ - ٦٠٠ ق.م.) هو عصر انحطاط إذا ما قورن بما كان يجري في البلاد المجاورة .

المراجع :

— Albright, W.F.: **Archaeology of Palestine,** London 1931.
— **A S O R XII, XIII, XVII and XXI, XXII.**
— Baramki, D.: **Art and Architecture of Ancient Palestine,** Beirut 1969
— Kenyon, K.: **Archaeology in the Holy Land,** London 1960.
— Marquet, Y.: **Les Fouilles de Ay,** Beyrouth 1935.
— Rowe, A.: **Beth—Shan I,** London 1930.
— Tityserald G.M.: **The Four Canaanite Temples of Beth Shan,** 1930.
— Tufnell,O.: **Lachish II,III,IV,** Oxford 1940, 1953, 1957.

آدم بن عبد الرحمن بن محمد (- ٢٢٠ هـ)

(- ٨٣٥ م) :

أبو الحسن ، ابن أبي إياس العسقلاني . أصله من خراسان حيث ولد . وكان ينتمي بالولاء إلى بني تميم هناك . ويبدو أنه بدأ دراسته للقرآن والحديث في بلاده . وكانت خراسان في تلك الفترة هي الإقليم البارز لدى العباسيين ، وأبناؤه هم ركيزة الخلافة العباسية . ولهذا توطدت العلاقات السياسية والعسكرية والفكرية بين خراسان والعراق . وصارت بغداد (بعد إنشائها) مقصد الخراسانيين . وقد رحل ابن أبي إياس إليها ، ونشأ فيها ، وطلب العلم . ثم رحل إلى عدد من كبار علماء الحديث في الحجاز ومصر وفارس والشام ، وصحب شعبة بن الحجاج في البصرة ، وابن أبي

ذئب ، وقعد للتدريس في بغداد ، وهناك تتلمذ عليه الإمام البخاري وغيره وأخذوا عنه .

ويبدو أن اضطراب بغداد أيام الفتنة بين الأمين والمأمون اضطر ابن إياس إلى الخروج منها ، ولم يكن يريد العودة إلى خراسان ، حيث يحكم المأمون ، فانصرف إلى الشام ، ونزل عسقلان ، وكانت ذات مركز تجاري وعلمي متزايد الشأن في تلك الفترة ما بين مصر والشام والحجاز ، فاستقر فيها سنين طويلة ، حتى عرف بالعسقلاني ، كما عرف بالزهد والثقة والصدق في الدين . ويجعله بعض الناس من الأولياء الأبدال ، ويذكرون أنه ختم القرآن وهو في فترة النزع .

توفي بعد سنتين من موت المأمون .

المراجع :

- الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** .
- الصفدي : **الوافي بالوفيات** ، إستانبول ١٩٣١ .
- ابن الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ١٩٣١ .
- إسماعيل البغدادي : **هدية العارفين ـ أسماء المؤلفين وآثار المصنفين** ، إستانبول ١٩٥١ .

آرام دمشق : رَ : الآراميون

آرام معكة :

دويلة آرامية صغيرة تقع على حدود فلسطين الشمالية ، في شمال شرقي بحيرة الحولة * . وكانت تمثل ، على ما يرى أغلب المؤرخين ، أقصى امتداد سياسي حققه الآراميون * من ناحية الجنوب . وهناك ما يشير إلى احتمال امتداد دويلة معكة من الناحية الغربية إلى مدينة آبل التي كان يطلق عليها اسم « آبل بيت ـ معكة » أي : آبل التابعة لدولة معكة . ويعتقد أيضاً أن لسكان معكة ارتباطاً بسكان جشور *Geshur* ، حتى أن ملك هذه المدينة « تاملي » أطلق على ابنته اسم « معكة » ، وكانت من زوجات الملك داود . وذكرت معكة عدة مرات في التوراة * . ومما ورد عنها أنها وقفت إلى جانب الآراميين والعمونيين في حروبهم مع الملك داود . وذكر في التوراة أن العمونيين أرسلوا ألف قنطار من الفضة إلى كل من مملكة صوبة في لبنان ، وآرام النهرين وآرام معكة ثمناً للخيول والعربات التي قدمتها هذه الدويلات في الحرب ، كما استأجروا ألف رجل من ملك معكة . إلا أن داود انتصر على الآراميين ، مما دفعهم إلى الإستسلام لحكمه .

المراجع :

ـ التوراة : أخبار الأيام الأول ١٩ : ٦ ، صموئيل الثاني ١٠ : ٦ ، ١٣ : ٣٧ ، العدد ٣ : ١٤ ، يشوع ١٢ : ٥ ، ١٣ : ١١ ، ١٣ .

— O'Callaghan, R. T. : **Aram Naharain**, 1948.

الآرامية :

الآرامية إحدى اللغات السامية الشمالية الغربية التي بدأت في الانتشار في الشرق الأدنى مع ظهور الأقوام الآرامية في الربع الأخير من الألف الثاني قبل الميلاد . ثم شاع استعمالها بين شعوب كثيرة ، وحلت محل الكثير من اللغات السامية الأخرى . ومما ساعد على انتشارها الواسع تبني الدولة الفارسية الأخمينية لها ، حتى أصبحت اللغة الرسمية في عهد داريوس الأول (٥٢١ ـ ٤٨٦ ق.م.) في مختلف أنحاء الإمبراطورية التي امتدت من الهند إلى الحبشة .

انقسمت اللغة الآرامية إلى شرقية وغربية ، وانتشرت الغربية في فلسطين والمناطق الغربية ، وشاع استعمالها بين الناس حتى تغلبت أخيراً على اللغة العبرانية ، وحلت محلها . وأصبحت للآرامية في فلسطين منزلة رفيعة ، حتى بات تعلمها من مستلزمات الوصول إلى المراكز العليا في البلاد ، وكان الملوك ووزراؤهم ومستشاروهم وكبار رجال الدولة يقبلون على تعلّمها . وظهر أثر اللغة الآرامية واضحاً في أسفار التوراة * ، ولا سيما في أسفار حزقيال ودانيال وعزرا وإستر . وتأثر بها كتاب الأمثال ونشيد الأنشاد. كما ترجمت أجزاء من هذه الأسفار إلى الآرامية . ولعل من أشهر ما دُوّن باللغة الآرامية « الترجوم » الذي يضم أجزاء كثيرة من التوراة . ويبدو أثر الآرامية في التوراة العبرية واضحاً في المفردات وفي الصرف وصياغة الجمل ، وفي عدد من الصيغ الشعرية . وصاحب استعمال اللغة الآرامية استخدام الخط الآرامي الذي حل محل الحروف الفينيقية القديمة في تدوين أسفار التوراة .

وتقسم اللغة الآرامية عادة إلى قديمة ، تعود إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد ، ووسطى بدأت حوالي سنة ٣٠٠ ق.م. وظلت مستعملة إلى أوائل العصر الميلادي . واكتشفت كتابات مدونة بهذه اللغة في مدينة القدس * ، ودونت بها أغلب ترجمات التوراة ومخطوطات البحر الميت * . أما اللهجة الثالثة فهي الآرامية المتأخرة التي أصبحت لغة السيد المسيح وأتباعه النصارى ، وكتبت بها الأناجيل على ما يرجح . وانتشرت هذه اللهجة في مناطق حماة وتدمر

والأنباط ، ثم توارت بعد ذلك بسبب انتشار اللغة العربية . أما الآرامية الشرقية فقد شملت اللهجات السريانية والمندائية والآرامية التي دوّن بها التلمود * البابلي . وكانت السريانية أهم هذه اللهجات ، إذ صارت لغة الكنائس في سورية ولبنان والعراق ، ودون بها أدب جم ، واستمر استعمالها إلى القرن الثالث عشر للميلاد ، عندما حلت اللغة العربية محلها .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
— Charles, C.T.: **Our Translated Gospels,** New York 1936.
— **Encyclopeadia Britannica.**

الآراميـــون :

يطلق اسم الآراميين على مجموعة القبائل الناطقة باللغة الآرامية * التي هي إحدى اللهجات السامية الشمالية ـ الغربية ، مثل الكنعانية والعبرية ، واللغة العربية التي تشابه الآرامية في نواح كثيرة ، الأمر الذي دفع الباحثين إلى القول إن أصل الآراميين يرجع إلى جزيرة العرب ، أو أنهم على الأقل قد عاشوا فيها مدة من الزمن قبل النزوح إلى ما بين النهرين وبلاد الشام .

عند دراسة الشعوب التي انتقلت من البداوة إلى الحضارة ، تصعب معرفة الموطن الأصلي وتحديد أوقات الهجرة والاستقرار . إلاّ أن جميع الظواهر تدل على أن الآراميين قد جاؤوا من بادية الشام ، وانتشروا في بلاد الهلال الخصيب بين بابل وحوض الخابور والفرات وشمالي سورية حتى فلسطين .

وقد استقيت المعلومات التي جمعها الباحثون حتى الآن عن الآراميين من ثلاثة مصادر :

١) العهد القديم .
٢) النقوش والسجلات الأشورية .
٣) بعض الكتابات والآثار الآرامية .

تتضمن التوراة * كثيراً من الأخبار عن الآراميين ، سواء عن علاقات النسب بينهم وبين الآباء العبرانيين في القديم ، أم عن الحروب بين الحكام الآراميين واليهود وملوك أشور منذ القرن الحادي عشر حتى القرن الثامن قبل الميلاد .

تذكر التوارة اسم « آرام » بين أبناء سام بن نوح وتعدّد أبناء آرام : عوص وحول وجاثر وماش (سفر التكوين ١٠/٢٢ ـ ٢٣) . ثم تشير إلى بلاد « آرام النهرين » و« فدان ـ آرام » (سفر التكوين ٢٤/١٠) وآرام دمشق ، وآرام صوبة (سفر صموئيل الثاني ٨/٥) . كما تتحدث عن انتقال إبراهيم الخليل * من أور الكلدانيين إلى حرّان في البداية ، ثم هجرة يعقوب * بن إسحق بن إبراهيم من فدان ـ آرام إلى أرض كنعان * بعد أن صاهر خاله «لابان الآرامي» وخدعه بالهرب مع نسائه ومواشيه . وقد تحدث يعقوب هذا عن نفسه وعن أبيه بقوله : « آراميا تائها كان أبي » (سفر التثنية ٢٦/٥) .

وتروي التوراة حوادث الحروب التي نشبت بين الآراميين واليهود واستمرت مدة طويلة منذ عهد الملوك شاول (طالوت) حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م. وداود (٩٦٣ ق.م.) وسليمان (٩٢٣ ق.م.) إلى زمن آحاز ملك يهوذا (٧٢٠ ق.م.) .

أما النقوش الأشورية فإن أول مرة يذكر فيها اسم الآراميين هي كتابة من عهد الملك تغلات فلاسر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م.) ،جاء فيها هذا الاسم مضافاً إلى اسم « أخلامو » الذي يفيد معنى الرفاق أو الأحلاف . تقول الكتابة إن تغلات فلاسر الأول أرغم « الأخلامو ـ الآراميين » على التراجع إلى ما وراء الفرات ، وتعقبهم حتى معاقلهم في جبال بشري ، ثم يضيف الملك قائلا : " لقد حاربت الأخلامو ـ الآراميين ثماني وعشرين مرة ، بل اجتزت الفرات مرتين في سنة واحدة ، وطردتهم من تدمر في بلاد آمورو ، وغنمت أموالهم وأتيت بها إلى بلدي أشور " .

يستدل من هذه الوثيقة التاريخية أن الأخلامو هم قبائل بدوية كانوا يعيشون في بادية الشام وحوض الفرات ، ويهاجمون المدن ، أو يجندون مرتزقة في مختلف الجيوش .

وقبل هذه الكتابة ورد ذكر الأخلامو في واحدة من رسائل تل العمارنة يرجع تاريخها إلى حوالي سنة ١٣٧٥ ق.م. في معرض الشكوى من تعدياتهم على الحضر . وفي سجلات الملك الأشوري شلمانصر الأول (١٢٧٤ ـ ١٢٤٥ ق.م.) أنه حارب الحوريين * وحلفاءهم الحثّيين * والمرتزقة الأخلامو في الجزيرة وهزمهم .

يبدو أن الآراميين كانوا يؤلفون جزءاً هاماً من هؤلاء الأخلامو الذين اختفى ذكرهم تدريجياً من الحوليات الأشورية، وبرز عوضاً عنه اسم الآراميين فقط .

وقد سنحت الفرصة للآراميين في الاستقرار بالجزيرة وبلاد الشام منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، عندما ضعفت مملكة أشور * من جهة ، وانهارت الإمبراطورية الحثّية من جهة ثانية .

فإنه بعد مقتل تغلات فلاسر الأول سنة ١٠٧٧ ق.م. ، انتقلت بلاد أشور إلى فترة من الفوضى والاضطراب والحروب الأهلية والكوارث دامت ١٦٦ عاماً قبل أن يعتلي العرش الملك اداد نيراري الثاني في سنة ٩١١ ق.م. ، وهو الذي أنقذ المملكة من الأخطار المحدقة بها ، فانتعشت واستعادت قوتها .

في هذه الحقبة أخذت القبائل الآرامية تتدفق من بادية الشام إلى

الجزيرة ، واستطاعت أن تجتاز نهر الخابور وتتقدم نحو نهر دجلة فوصلت شمالاً إلى نصيبين ، وبسطت نفوذها في الجنوب، حتى أن أحد الزعماء الآراميين تمكن من الاستيلاء على عرش بابل باسم اداد ـ ابال الدين (١٠٦٧ ـ ١٠٤٦ ق.م.). ويبدو أن الأشوريين أنفسهم قد ساعدوه على ذلك أملا في إبعاد التيار الآرامي عن أشور .

وقد أسّس الآراميون في هذه الفترة عدة ممالك أو إمارات إلى الشرق من الفرات مثل « بيت عدن » وعاصمتها « تل بارسيب » ، و« آرام النهرين » التي كانت عاصمتها « غوزانا » أي تل حلف ، و مملكة « فدان ـ آرام » وعاصمتها مدينة « حرّان » التي كانت من أهم مراكز الحضارة الآرامية .

أما في بلاد الشام ، فقد استفادت القبائل الآرامية من انهيار الإمبراطورية الحثية التي اجتاحتها جحافل شعوب البحر الآتية من الشمال والزاحفة على شواطىء آسيا الصغرى وسورية حوالي سنة ١٢٠٠ ق.م . ولمّا تمكن الفرعون رعمسيس الثاني من هزيمة هؤلاء الغزاة في البر والبحر ، وردّهم عن مصر سنة ١١٧٤ ق.م . استقر قسم منهم ، هم الفلسطيّون*، في سواحل بلاد كنعان التي عرفت منذ ذلك الوقت باسمهم أي « فلسطين » ، في حين التحق القسم الآخر مرتزقة بجيوش فرعون .

وانتهز الآراميون أيضاً فرصة ضعف المملكة الأشورية لتأسيس عدة ممالك صغيرة إلى الشرق من الفرات ، كذلك استغلوا الفراغ الذي نشأ من انهيار الحثيين ، فشيّدوا بعض الممالك والإمارات غربيّ الفرات وفي بلاد الشام بدءاً من سفوح جبال أمانوس، حيث قامت مملكة سمأل (شمال) وعاصمتها في موقع « زنجرلي» ، ثم إمارة « بيت آغوشي » في منطقة حلب وعاصمتها « أرباض ـ تل رفعت » ، ثم مملكة « حماة » على العاصي وقد اشتهر ملكها « زكير » صاحب النقش المحرر بالآرامية الذي عثر عليه إلى الجنوب من حلب ؛ ثم « آرام ـ صوبه » في البقاع التي ربما كانت تؤلف مملكة واحدة مع « بيت رحوب » على نهر الليطاني ، ومع « بيت معكة » و« جشور » في شرقي الجليل . وأخيراً أسس الآراميون مملكة « آرام ـ دمشق » التي كانت أشهر الممالك الآرامية وأهمها والتي تولت زعامة الآراميين مدة من الزمن .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الآراميين الذين أسسوا إمارات كثيرة لم يتوصلوا إلى جمع القبائل المتفرقة ودمجها في دولة واحدة قوية . فقد ظلت الدويلات الآرامية منفصلة ، متنازعة في الغالب ، وإن قامت أحياناً محاولات لتأليف اتحاد منها في سبيل مقاومة الخطر الخارجي .

تذكر التوراة مثلاً أن « حدد عزر» ملك آرام ـ صوبه أقدم على تكوين اتحاد من الإمارات الآرامية في ما بين النهرين وبلاد الشام ، ومن العمونيين والمآبيين والإيدوميين * في فلسطين وشرقي الأردن لمقاومة توسع العبرانيين * وتعدياتهم على سكان البلاد والجيران . وقد استطاع الملك داود (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق.م.) أن يتغلب على الآراميين وحلفائهم هؤلاء . ولكن ملك دمشق رصين الأول استأنف محاربة الإسرائيليين في عهد سليمان (٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م.) وفرض سيطرته على أكثر الدويلات الآرامية من حماة حتى شرقي الأردن . ثم قام ملك دمشق بن حدد الأول (حوالي ٨٧٩ ـ ٨٤٣ ق.م.) واستغلّ انقسام المملكة العبرانية بعد موت سليمان ، فاتفق مع ملك « يهوذا » لمهاجمة ملك «إسرائيل» وانتزع منطقة جلعاد في شرقي الأردن ، وأجزاء من الجليل من العبرانيين . ولما تقدم شلمانصر الثالث ملك أشور لاحتلال بلاد الشام نجح بن حدد الأول في تجهيز جيش كبير باشتراك ١٢ من الملوك معه لمواجهة الأشوريين في معركة قرقر على العاصي سنة ٨٥٣ ق.م. التي انتهت بدون نتيجة حاسمة .

بلغت مملكة آرام ـ دمشق أوج قوتها في عهد الملك حزائيل (٨٤٢ ـ ٩٦ ق.م.) الذي حارب الإسرائيليين وضربهم في جميع تخومهم من الأردن حتى وادي أرنون ، وهدد أورشليم .

ولكن المملكة أخذت تضعف في عهد خلفائه وتتعرض إلى هجمات الأشوريين حتى تمكن الملك الأشوري تغلات فلاسر الثالث من الاستيلاء على دمشق سنة ٧٣٢ ق.م. ولما حاول السكان الثورة جاء الملك الأشوري صارغون الثاني سنة ٧٢٠ ق.م. وحطّم المقاومة في حماة ، ونفى السكان إلى أماكن أخرى ، وقضى نهائياً على استقلال الآراميين .

إذا كان الآراميون لم يكتب لهم النجاح في الميدانين السياسي والعسكري بسبب اختلافهم وانشقاقهم إلى دويلات منعزلة ، فإنهم على نقيض ذلك ، استطاعوا أن يحتلوا مقاماً رفيعاً في تاريخ الحضارة البشرية .

كان الآراميون في الأصل من البدو الجفاة الذين عاشوا منعزلين في بادية الشام ، منهمكين في الغزو والحرب . وكانت الدول القوية حولهم ، من أكاديين وبابليين وأشوريين وحثّيين ، تحاصرهم وتمنعهم من الانتشار والاستقرار في البلاد المجاورة من الهلال الخصيب . فلما ضعفت تلك الدول ، وتمكن الآراميون من الانتقال إلى المناطق المتحضرة ، وأسسوا الممالك والإمارات، تأثروا بأساليب المعيشة والتفكير السائدة بين السكان ، كما كان لهم بالمقابل تأثير كبير في تطور الشعوب التي احتكّوا بها .

ولا شك في أن أهم ناحية برع فيها الآراميون هي التجارة التي أكسبتهم شهرة واسعة ومكانة مرموقة في تاريخ الحضارة .

إن القبائل الآرامية البدوية كانت تسيطر على طرق المواصلات

بين جميع مناطق الهلال الخصيب ، وكانت قوافلهم تنتقل من بلاد الشام إلى ما بين النهرين وإلى الأناضول وهي تحمل الأرجوان من فينيقية ، والمنسوجات والمطرزات من دمشق ، والكتان والنحاس والأبنوس والعاج من إفريقيا . وبفضل تبادل المنتوجات والمصنوعات ازدادت الثروة ، وتقدمت الزراعة والصناعة ، وتحسنت العلاقات بين الشعوب .

ولعل أهم نتيجة مباشرة لنشاط الآراميين التجاري واختلاطهم هي انتشار لغتهم التي امتازت بسهولة كتابتها الأبجدية ، والتي أصبحت اللغة السائدة في فلسطين وسائر بلاد الشرق الأدنى (رَ : الآرامية) .

أما فيما يتعلق بديانة الآراميين فإنها تتألف من عناصر مختلفة ، مقتبسة عن الشعوب الأخرى . إذ يستدل من كناباتهم وأسمائهم أنهم كانوا يعبدون آلهة سومرية ـ أكادية ، وحثّية ، وكنعانية ، وفينيقية وغيرها . إن أهم آلهتهم هو « حدد » الذي يرد في التوراة باسم « هدد » أو « رمون » وقد مزجوا بينه وبين « تشوب » ، إله الزوابع والرعد لدى الحوريين . وأكبر معبد له كان في مدينة هيرابوليس (منبج في شمالي سورية) ، كما كان له معبد كبير في دمشق . وقد أقام أحد ملوك سمأل تمثالاً ضخماً له في عاصمته .

وكانت تعبد مع حدد زوجته « آتارغاتيس » التي كان اسمها مشتقا من اسمي الإلاهتين الفينيقيتين عشتاروت وعناة . وهي إلاهة الخصب والأمومة ، وقد انتشرت عبادتها بين اليونان والرومان الذين كانوا يسمونها الإلاهة السورية *Dea Syria* .

كذلك كان الآراميون يعبدون إله القمر عند البابليين « سين » ، وإله الشمس الأشوري « شمس » ، وإله العاصفة والحرب الفينيقي « رشف » ، والآلهة الكنعانية « ايل وبعل وبعل شمين » .

وفي الفنون الجميلة أيضاً تأثر الآراميون بالشعوب المعاصرة التي اختلطوا بها في بلاد الشام وما بين النهرين ، فكانوا يستخدمون النحاتين والنقاشين الكنعانيين ، ويتبعون أساليب الحوريين والبابليين والحثيين في العمارة والنحت والنقش والزخرفة . وقد كشفت التنقيبات الأثرية في تل حلف عن قصر آرامي يبدو عليه مظهر التقليد في طراز البناء وبساطة الزخرفة . وبين آثار آرسلان طاش بالقرب من عين العرب ، حيث كانت تقوم مدينة «حداتو» الأشورية عُثر على قطع زخرفية من العاج كانت ترصع سرير الملك حزائيل مع بعض التحف الفنية التي كان الأشوريون قد غنموها من دمشق ، ونقلوها إلى بلادهم .

ويتبين من هذه الآثار أيضاً أن الآراميين ظلوا يتبعون تقاليد الشعوب السابقة ، ولم يبلغوا مستوى الأصالة في الإبداع الفني .

وبذلك اقتصرت مكانتهم التاريخية على التقريب بين الأمم ، والمزج بين الحضارات القديمة ، وحفظ تراثها .

المراجع :

ـ قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ .

— Dupont-Sommer, A: **Les Araméens,** Paris 1949.

— Dussaud, R.: **La pénétration des Arbres en Syrie avant l'Islam,** Paris 1955.

— **Encyclopaedia Universalis.**

الآريوسية :

مذهب ديني مسيحي ، ينسب إلى منشئه الكاهن المصري آريوس (٢٥٦ ـ ٣٣٦ م) . وقد ذهب هذا الكاهن في تعاليمه مذهباً يخالف تعاليم الكنيسة فيما يختص بشخصية السيد المسيح ، تلك التعاليم التي تقررت في مجمع نيقية عام ٣٢٥م . فعلى حين قالت هذه التعاليم إن يسوع المسيح أقنوم الكلمة وابن الله ، وهو مساوٍ للآب في الجوهر ، ذهب آريوس إلى أنه غير مساوٍ للآب في الجوهر ، وإلى أن البحث في العقيدة المسيحية يجب أن يكون على أساس فكرة الثالوث الأقدس: الآب والإبن ، والروح القدس .

حُرم مطران الإسكندرية آريوس من كنيسته ، فلجأ إلى يوسيبوس رئيس أساقفة قيسارية في فلسطين فآواه ، وأخذ بآرائه . وبدأ آريوس نشاطه في فلسطين ، وبعث الرسائل إلى الأساقفة في الأصقاع المختلفة . وما لبث أن أصبح له مؤيّدون كثيرون في فلسطين وخارجها ، وانتشرت تعاليمه في أنحاء الإمبراطورية ، ولا سيما في قسمها الشرقي .

وقد تزعم يوسيبوس الآريوسية في فلسطين ، وكان علّامة مؤرخاً ، مقرّباً من الإمبراطور قسطنطين * ، ذا شخصية قوية . فاستطاع أن ينشر المذهب بقوة ، ويوصله إلى ذروة الازدهار في مجمع صور عام ٣٣٥ ، ثم في مجمع القدس ، الذي عقد في العام نفسه ، عام الاحتفال بالذكرى الثلاثين لتولّي الإمبراطور قسطنطين الحكم ، وعام تدشين كنيسة القبر المقدس . وغدت فلسطين بذلك قلعة الآريوسية .

عقدت المجامع الكنسية في الإمبراطورية للبت في أمر الآريوسية ، وقد تركز بسببها الانشقاق بين الغرب والشرق . وتدخل الأباطرة في هذه القضية الدينية، وتبنّى الآريوسية الإمبراطور كونستانسيوس (ابن قسطنطين) ، وأجبر الأساقفة على الموافقة على المبادىء الآريوسية ، واضطهد ونفى كل من يرفضها . وكاد النصر يتم لها لولا موت هذا الإمبراطور عام ٣٥٦م ، إذ أفلتت الكنيسة من

قبضة السلطة المدنية ، واستطاع خصوم الآريوسية أن يهزموها في مجمع القسطنطينية الثاني عام ٣٨١م ، وأن يعودوا إلى تحديد العقيدة المسيحية كما سبق أن حددها مجمع نيقية عام ٣٢٥م .

انحصر تاريخ الآريوسية في المدة الواقعة بين مجمعي نيقية (٣٢٥م) والقسطنطينية الثاني (٣٨١م) ، ونمت وتطورت إلى الأوج ، ثم تراجعت ، إلى أن توقفت داخل حدود الإمبراطورية ، ولم يبق منها إلّا آثار لا تكاد تذكر . وقد لجأت الآريوسية ألى الأراضي المحيطة بالإمبراطورية ، وانتشرت بين الشعوب التي أطلق اليونان عليها اسم البرابرة ، أي الشعوب التي بقيت خارج الحضارة اليونانية .

المراجع :

— Gwatjin, H.M.: **Studies of Arianism,** Cambridge 1890.

— Meslin,M.: **Les Ariens d'Occident,** Paris 1967.

— Opitz,H.G.: **Urkunder Zur Geschichte des Arianischen Streites,** Berlin 1934.

— Simonette, M.: **Studi Sull Arianisme,** Rome 1965.

الآلات (صناعة ـ) : رَ : الصناعة

الآلات الموسيقية :

لم تكن الآلات الموسيقية في نشأتها غير أدوات ينبعث منها دويّ وضجيج ، استخدمها الإنسان الفطري للوقاية من ظواهر تخيفه وترعبه ، مثل الأرواح الشريرة والأمراض والموت ، أو لاستجلاب العوامل الخيّرة ، مثل هطول المطر بعد انحباسه ، أو جلب البنين ووفرة المحصول وغيرها .

وقد رافقت الآلات الموسيقية الإنسان المتأثر بتيارات الحضارات البشرية في مسيرته عبر التاريخ ، فهي إذن جزء من الحضارات العامة ومرجع تاريخي في التدليل على ما قطعته الشعوب في مسيرتها الحضارية .

كانت الآلات الموسيقية ترتقي وتتعدد ، ويتعقد تركيبها تبعا لارتقاء الفن الموسيقي ، وبالتالي تعدّد أفانينه ومتطلباته .

إن فلسطين ، تلك البقعة من الأرض التي تؤلف مع جيرانها العقدة الجغرافية التي تربط بين آسيا وأوربا وإفريقيا ، كانت منذ القدم ملتقى شعوب كثيرة اجتمعت فيها وكان لتفاعلها أثر في تكوين الحضارة .

إن علم العاديّات ، بالرغم من أنه لا يزال في بدء رحلته في هذه المنطقة ، يقدم من اكتشافاته الأثرية التي تزداد يوماً بعد يوم صوراً لآلات موسيقية ومشاهد احتفالات ترجع إلى العصور التي شاهدت مولد التاريخ وبناء الحضارة .

وقد وجدت أقدم الآثار التي تتكلم عن الغناء والعزف على الآلات الموسيقية بين خرائب مدن سومر والجزيرة والشاطىء الفينيقي .

كما أن المنقبين عن الآثار في هذه المنطقة اكتشفوا صوراً كثيرة وأوصافاً مسهبة لمختلف الآلات الموسيقية التي استعملت منذ ٣٥٠٠ ق.م. في سومر وبابل وأشور * وكنعان * وآرام . وقد اكتشفت في فلسطين في بقايا مجدّو صورة لامرأة تعزف على القيثارة . وتعود هذه الصورة إلى ما يقارب الألفي سنة قبل عصر داود .

لم تقم الآلات الموسيقية بمهمة تأريخ المأثورات بتحديد عصر معين أو زمن بالذات ، شأن التماثيل أو النقوش أو المسكوكات التي يمكن بها ترتيب أزمنة التاريخ وتعاقب عصوره ، إنما وقفت الآلات الموسيقية عند حد الإعلام بتنظيمها وترتيب حلقات تطورها فيما ظهر منها قبل التاريخ ، إذ لم يبق منها إلّا ما كان متصلاً بالأصوات التي تجسّدها هذه الآلات .

إن ندرة الرسوم والنقوش والمسكوكات التي وجدت في فلسطين ، لا تساعد على كشف تاريخ وخصائص الآلات الموسيقية فيها ، بعكس ما كشفته الرسوم في مصر مثلاً ، ولعل الكتب الدينية من توراة * وإنجيل أقدم مرجع تاريخي بين الأيدي ، فهي المصدر الوحيد المفصل الذي يقدم فكرة عامة عما كانت عليه الآلات الموسيقية في ذلك الزمن ؛ عن شكلها ، ومميزاتها ، وصنعها ، والمناسبات التي كانت تستعمل فيها ، ومعظمها ديني .

كما تذكر أن فلسطين وطن الكنعانيين ، وأن الدولة اليهودية استعارت جميع مظاهر الملك من الكنعانيين ، من لغة ، وعبادات وبعض الفنون . وقد جاء الملك داود بالمغنين الكنعانيين لكي يعلّموا خدّام الهيكل العزف والغناء .

وقد ذكر أولبرايت في كتابه « علم الآثار والدين الإسرائيلي » أن الاحتفالات الموسيقية في الهيكل ، المذكورة في التوراة ، مشتقة من أصل كنعاني ، وقد كان المغنون كنعانيين ، كذلك كان عازفو الآلات . وفي أيام داود وسليمان أنشئت الفرق الموسيقية العبرانية على أصل كنعاني ، ويظهر ذلك في أسماء المغنين المشهورين المذكورين في التوراة ، فإنها تدل على أصول كنعانية ، كما تدل على ذلك أيضاً أسماء الآلات الموسيقية في التوراة .

من الآلات الوترية التي كانت تستعمل في فلسطين قديماً :

١) القيثارة : وقد اقتبسها العبرانيون * من كنعان ، وسموها « كنور » وأصل الكلمة « كنر » ، ويعني أحدث صوتاً كبيرا وصريرا

كرنين الوتر عندما يضرب . ولعلها تشبه القيثارة المعروفة باللير *Lyre* . جاء ذكرها في المزامير ، وكانت تستخدم لمرافقة الأصوات .

٢) النّبل *Nevel* : يظهر أن هذه الآلة صنعت بإتقان أكثر من الكنور . قال ستينور : " لذلك كان لها إمكانية أكبر بالنسبة إلى الصوت وإلى ارتفاع درجته " . أما يوسيفوس فيقول : " إن للنبل اثني عشر وتراً ، وكانت تضرب (تنقر) بالأصابع وليس بالمضرب " . ومن المحتمل أنه كان هناك أحجام وأنواع مختلفة من هذه الآلة .

٣) السبكة : لها ثلاثة أو أربعة أوتار على وجه التقدير ، وهي صغيرة الحجم تشبه القيثارة العصرية ، وكانت تحدث أصواتاً عالية الدرجة .

٤) الجتيت : قد يدل اسمها على أنها استوردت من « جت » ، وعلى أنها من فصيلة القيثارات . جاء ذكرها في المزامير .

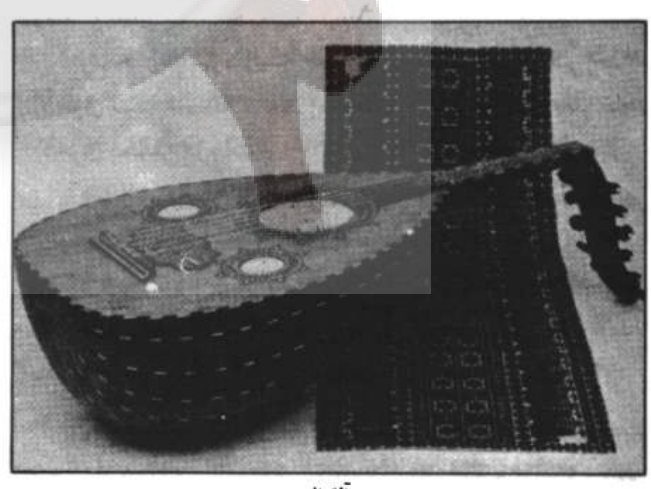

آلة العود

٥) الفيترس : احد أفراد عائلة القيثار ، مع اختلاف في الشكل ، وفي عدد الأوتار . ومنها ما يحمل ويعلق بالرقبة .

ويمكن ، بالرغم من عدم التثبت من شكل وحجم تلك الآلات ، أن يستخلص أنها كانت تتألف من ثلاثة أجزاء رئيسة ، هي الصندوق المصوّت ، والرقبة ، والأوتار . وتختلف عن سائر الآلات الوترية في أن أوتارها تنزل عمودية على صندوقها المصوّت ، بينما تكون الأوتار في بقية الآلات الوترية الأخرى موازية للصندوق . وهناك فارق آخر بينها وبين باقي الآلات الوترية التي انحدرت منها ، كالقانون والسنطور والهارب الحديث ، وهو أنها ذات أوتار مطلقة ، أي يخصص كل وتر فيها لدرجة صوتية واحدة من درجات السلم .

ومن الآلات النافخة :

١) العوجاب : ربما كان من أقدم الآلات النافخة التي ذكرت في سفر التكوين ، وقد ترجمت بكلمة « مزمار » . ولعلها مشتقة من كلمة « عجب » التي تعني : تنفّس أو نفخ ، ومن الممكن أنها كانت مزمارا مؤلفاً من قصبتين ، أو من عدة قصبات .

٢) الناي : عرفت بالحليل ، وتعرف اليوم « بالشبّابة » . ولا يزال استعمالها شائعاً في الأوساط الشعبية في فلسطين . جاء ذكرها في العهد الجديد أيضاً .

٣) المشروقية (المجوز) : وسيأتي حديث عنها عند ذكر الآلات المستعملة الآن .

٤) القرن أو الشوفار : ولا تزال تستعمل في أثناء ممارسة شعائر أحد الأيام اليهودية المقدسة . وهي متخذة من قرن الكبش ، وتصنع الآن من المعدن .

٥) البوق : آلة موسيقية على هيئة القرن ، كانوا ينفخون فيها في الأعياد وعند إعطاء علامة الحرب . وكانت أبواق الكهنة من الفضة ، وتختلف شكلاً عن البوق المعروف اليوم ، فهو مستقيم ذو فتحة أسطوانية ، بعكس الشوفار الذي يتميز بالشكل الطبيعي للقرن .

وعرف قديماً من آلات الإيقاع :

١) الدف : من أقدم آلات النقر .

٢) الصنّوج آلة عرفت بالمنعنع (من الفعل نوع) ، ومعناها إحناء الرأس إلى الأمام ، أو ميل الجسم من جهة إلى جهة ، أو الهز . ولعلها من أنواع الجلاجل التي تحدث رنينا عند تحريكها .

ويستعمل الشعب الفلسطيني في حياته اليومية الآلات الإيقاعية ، والآلات النافخة ، والآلات الوترية . وقد استعمل الفلسطيني هذه الآلات ، أو بعضها لتصاحبه في احتفالاته الشعبية والدينية ، ولترافقه في أثناء غنائه ورقصه . لكن يلاحظ ندرة استعمال هذه الآلات ، أو عدم استعمالها في أثناء تأدية المراسيم الدينية ، يظهر ذلك جلياً عند المسلمين والمسيحيين أيضاً . وقد تستعمل أحياناً بعض الدفوف والنايات في احتفالات الأذكار والموالد عند المسلمين . والآلات بجميع أشكالها وأنواعها محرم استعمالها في طقوس الطائفة الأرثوذوكسية * التي تؤلف أكبر طائفة مسيحية في فلسطين .

أ ـ الآلات الإيقاعية : لعل أول آلة استعملها الإنسان للإيقاع كانت يَدَيْه حين أراد إحداث صوت ينم بإيقاعه على انفعاله ، فيرتاح إلى جرسه المنتظم ، ويطرب إلى وقعه . فإن التصفيق المنتظم الذي يصاحب إيقاع اللحن وتوابعه ظاهرة فنية في فلسطين ، تتبعها النسوة والأحداث أثناء احتفالات الزفاف والرقص ، ويتداولها الرجال في أثناء السحجة * والدبكة * والسامر * .

١) الفقّاشات (أو الكاستانيت) : أعطى المستشرق جورج

فارمر تفسيرين لتسمية الكاستانيت : إما لكونها مصنوعة من خشب الكستنة ، وإما تحريف « كاستان » مثنّى كاسة .

كانت « الفقاشات » أو « الصناجات » تعرف بأخشاب الرقص، لأنها كانت تصنع من خشبتين ، أو عظمتين مجوفتين تلبسان في الأصبع الثالثة والإبهام من كل يد . وتستعمل النساء الفقاشات بهذه الطريقة ، ويلاحظ أن النسوة ، وغالباً محترفات الرقص ، هن اللواتي يستعملن الفقاشات في الرقص .

يعود تاريخ ظهورها الأول في الجنوب الغربي من آسيا ، إلى الدولة المصرية القديمة . أما في العصر المدني فقد أصبحت تصنع من حديد أو معدن ، وكثر استعمالها في الكنيسة القبطية ، ثم انتشرت في البلدان المجاورة ، وقد نقلها الإسبان عن عرب الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي .

٢) الطبل : عرفت الممالك القديمة في الشرق أنواعاً مختلفة من الطبول ، وقد انتقلت إلى أوربا في القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق العرب في الحروب الصليبية . وكانت هذه الطبول تستخدم في الشرق في الحروب ، وفي بلاطات الملوك والحكام لأداء إشارات التعظيم في نوبات معينة .

تصنع الطبول المستعملة في فلسطين من إطار خشبي يبلغ قطره خمسة وأربعين سنتمترا ، يشدّ على كلا جانبيه جلد مربوط بحبال ، ويضرب بِعَصَوَيْن ، وأحياناً بعصا واحدة ، فيهتز الجلد محركا الهواء الذي يحيط به فينطلق إلى الآذان .

ويستعمل أهل فلسطين الطبول عادة في المواسم والأعياد . فالمواكب الشعبية التي كانت تقام في أثناء أعياد ستنا مريم وسبت النور والنبي موسى والنبي صالح وغيرها تتصدرها الفرق الموسيقية التي يؤلف الطبل فيها عنصراً أساسياً .

٣) الدّف : وهو دائرة من الخشب ، ملصق عليها رقّ غزال أو أرنب أو سمك أو ما يشبهه ، وتُحلّى تلك الدائرة بالنقوش والصدف ، وأما الصنوج فتصنع عادة من المعدن . يمسك الدف باليد اليسرى ، ويضرب باليد اليمنى . وتكون الضربة الخفيفة على طرف الرق أو على الصنوج ، وتعرف « بالتّك » ، أما الضربة القوية في وسط الدفّ فاسمها « الدّم » . ومن البديهي أن الصوت المتأتي من الضرب على الدف يتلاشى بسرعة ، وهو أسرع إلى التلاشي كلما صغر حجم الدف ، فإذا أريد استمرار الصوت وجب الضرب على الدف ضربا متلاحقا .

وهناك دف كبير يكبر الدف السابق ذكره بأربع أو خمس مرات ، تعلق على دائرته الخشبية حلقات من حديد تهتز عند تحريكه ، ويعرف هذا بالمزهر . ويستعمل المزهر في حفلات الأعراس ، وفي الحفلات الدينية ، وأهمها الزار .

وهناك مزهر تشدّ في داخله أوتار رفيعة تساعد على إطالة زمن التذبذب ، وبالتالي إطالة زمن الصوت ، ويعرف بالبندر . وجميع هذه الآلات أي الدف والمزهر والبندر ذات رق مشدود على جانب واحد منها فقط .

٤) النقّارة : مكوّنة من كاستين خشبيتين ، أو من فخار ، أو صلصال مجوّف ، وعليها جلدتان مشدودتان . توضع هذه الآلة على ركيزة سطحية الشكل أمام العازف الذي يضربها بعصوين (بعودين من خشب) . ثم صارت الكاستان تصنعان من المعدن .

كان العرب يضعونها على ظهور الجمال . وأول من أتى على ذكر هذه الآلة عند العرب هم إخوان الصفا ، وذلك في القرن العاشر الميلادي .

ظهرت هذه الآلة في أوربا في القرن الرابع عشر ،بعد الحروب الصليبية ، وبقيت محتفظة باسمها الشرقي . تعرف عند الفرنسيين باسم نكير *Nacair* ، وعند الإيطاليين باسم نكروني *Nachroni* وعند الإنكليز باسم نيكرس *Nakers* .

ومما تجدر الإشارة إليه حجم هاتين الآلتين ؛ إذ تكبر إحداهما الأخرى بنسبة معروفة ، تعطي صوتاً إذا ما ضرب عليها يعلو صوت الأخرى بخمس درجات .

٥) الدربكة : ولها شكل يخالف الطبل ؛ فهي أنبوب ينتهي بما يشبه البوق ، يُشدّ عليها رق . تصنع الدربكة من طين (فخار) أو معدن نحاس ، وينقر عليها باليدين وأحياناً بالإبهام والخنصر فقط ، غير أن هنالك طرقا أخرى يتفنّن العازف بتكوينها والإبداع بأدائها .

يكثر أهل فلسطين من استعمال الدربكة ، ولا يخلو حفل شعبي أو عائلي من الدربكة . ويظهر أن للدربكة عند نساء فلسطين منزلة محبّبة ، ولعلها الآلة الوحيدة التي تتقنها القروية والمدنية على السواء . وتظهر الفلسطينية تجاوباً كبيراً مع الإيقاع ، وهي تشجع أخواتها على ممارسة الضرب على الدربكة . وكثيراً ما يشاهدن متجاوبات بعزف إيقاعي منتظم ومطوّر على الدربكة .

إن المرأة العربية العادية في فلسطين لا تزاول العزف على أي من الآلات الوترية أو النافخة ، باستثناء عدد قليل من نساء المدن اللواتي يمارسن العزف على العود .

وتتباهى بعض العائلات الميسورة باقتناء طبلات نحاسية مزخرفة ذات نقوش جميلة ، كما أن هناك ما يستورد من سورية ، وهو من الخشب المطعّم بالصدف .

٦) البازة : وهي نوع من أنواع النقارات تشبهها شكلاً ، غير أنها تختلف عنها بصغر حجمها ، وفي أن لها مقبضاً في مجامع بوقها يمسك به . إن صوتها غير موسيقي يفتقر إلى الرنّة والجمال ، يطرق

عليها المسحّرون بسوط من الجلد لإيقاظ النائمين ودعوتهم إلى السحور والصلاة .

ب ـ الآلات الوترية : تخضع جميعها لمبدأ واحد ، وإن كانت طريقة تركيب أجزاء بعضها تختلف عن الأخرى .

١) الرّباب : لعلها أكثر الآلات شعبية في فلسطين ، بل لعلها أخلص ما يخدم الموسيقى الشعبية فيها . ويؤكد وجود هذه الآلة عند العرب كل من الفارابي وإخوان الصفا ومحمد بن أحمد الكنجي ، ويجمعون على أنها عربية الأصل . وكان الفرس يكثرون من استعمالها ويدعونها « كمان » بمعنى قوس . وقد امتاز العرب من جميع الأمم باستعمالهم الرباب ، وحبهم إيّاها ، وتوجد عندهم على أنواع كثيرة ؛ منها ذات العنق الطويل والصندوق الجلدي المصوت المربع ، ويعرف برباب الشاعر ، ويسمى أيضاً برباب أبي زيد ، لأن رواة قصص أبي زيد كانوا يكثرون من ذكره . ومنها ذات العنق القصير والصندوق الخشبي المستدير ، ويعرف بكمنجة العجوز . وجميعها ذات ثلاثة أوتار فقط ، وتجر بقوس . وأما الرباب التركي ، وهو النوع الثاني المذكور من قبل ، فيسميه المصريون « الأرنبة » .

ويستعمل أهل فلسطين رباب الشاعر البسيط ، ويصنعونها بأنفسهم . وهي مكونة من صندوق جلدي متساوي الجوانب ، لها وتر واحد ، وتجر بقوس مصنوع من ذنب الحصان .

وترافق الرباب المغني في أغلب أغانيه الشعبية : العتابا ، والميجانا ، ودلعونة الخ . . كذلك في السير الشعبية والأقاصيص . وتستثنى غالباً من مصاحبة حلقات الدبكة * ، ويفضل عليها المجوز والناي .

ومما يدل على تأثير الرباب في طريقة أداء المغني ، ما يلاحظ من قفلات غريبة يقوم بها المغني محاولاً تقليد جر القوس على الرباب ، وهناك صعوبة كبيرة في « تنويط» مثل هذه القفلات .

٢) العود : هو عماد التخت الشرقي ، وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي ظهر فيه أول مرة ؛ فمن قائل إنه في العراق منذ زمن بعيد ، ومن قائل إنه ظهر عند الأشوريين ، وهذا يناقض قول من ذهب إلى أن المصريين مخترعوه . ويقال إن العود وجد في القرن الثالث للميلاد في أيام الملك شابو ملك الفرس . ويناقض هذا القول المؤرخ المعاصر كورت زاكس ، إذ يدّعي أن العود وجد في أوركسترا الصين بين عامي ٢٥٦ ق.م. و٢٧٠ ب.م.

انتقل العود من الممالك القديمة إلى العرب في العصور الوسطى ، واحتضنته المدنيات العربية في عصورها الزاهرة ، وأدخل العرب عليه تحسينات في الأندلس ، فكبروا صندوقه ، وفتحوا فيه فتحة تدعى الشمسية تساعد في رنين الصوت ، وزاد زرياب الموسيقي الكبير على العود وتراً خامساً ، واستعمل في الضرب على أوتاره ريشة نسر . وانتقل العود من الأندلس إلى شمال إفريقيا ، وإلى أوربا ، حيث أطلقوا عليه اسم لوت *Lute* ، وبقي هناك مدة لا تقل عن ثلاثة قرون . وله مركز مرموق بين الآلات الأوربية ، وهو أول آلة كتب لها الموسيقيون مقطوعات آلية منفردة بالمعنى الفني الصحيح .

ويتكون العود المستعمل في الوقت الحاضر من صندوق مصوّت من الخشب ، مغطّى بغطاء من الخشب فيه فتحات لإخراج الصوت منه ، عنقه قصير مشدود عليه أوتار خمسة من حرير أو من مصران (ومؤخراً من نايلون) تكوّن مجامع ثنائية ، كل منها من نوع وتر واحد ، ما عدا الوتر الأول .

وبلغ من ولع العرب بالعود درجة تشخيص أجزائه ، فسموها بالصدر ، والضهر ، والرقبة ، والعيون ، والآذان والأنف والمنابض .

كان الفلسطينيون يستوردون الأعواد من مصر ومن سورية ، خصوصاً إنتاج أسرة نحّات الشهيرة ، غير أن ذلك لم يُخلْ دون صناعته المحلية . ولعل أسرة القرعة في القدس هي أشهر من احترف هذه الصناعة في فلسطين . وقد برع فنانون فلسطينيون بالعزف على هذه الآلة .

٣) القانون : وهو من الآلات الوترية التي استعملها العرب منذ القدم . ويختلف عن العود والطنبور في عدم وجود عنق له ، ويختلف عنه أيضاً في كثرة الأوتار المشدودة عليه ليحدث أصوات السلم التي تستطيع الأصابع إخراجها على الوتر الواحد في العود .

اختلف المؤرخون في زمن ظهور القانون ومكانه ، كما اختلفوا في كثير من الآلات الشرقية القديمة ؛ فمن قائل إنه اخترع في آسيا الصغرى قبل الميلاد ، ومن قائل إن اليونان هم مبتدعوه .

ويرجّح أن العرب استعملوا القانون قبل الإسلام بأمد بعيد ، مع أن رواتهم لم يذكروه أو يصفوه باسم القانون . ولعل « المعزف » هو أقرب موصوف يشبه آلة القانون ، وقد ذكره الليث بن نصر والفارابي الذي قال ما معناه ان العرب كانوا يستعملون آلة كثيرة الأوتار من التي ينفرد كل وتر منها بإصدار صوت من أصوات السلم ، بخلاف العود الذي تصدر منه الأصوات بوضع الأصابع على الأوتار لتقصيرها وإطالتها وإصدار أصوات مختلفة على وتر واحد ، وجعل « المعزف » مثالاً لتلك الآلات . وهذا الوصف يطابق القانون . وينسب ابن خلكان إلى الفارابي ابتداع هذه الآلة ، لكن الفارابي لم يذكر شيئاً عن هذا في كتابه الموسيقي . وذكرت هذه الآلة باسمها ، أي القانون ، في قصة علي بن بكر وشمس النهار وعمر بن نعمان وابنه في قصص ألف ليلة وليلة . ولما دخل العرب

http://al-maktabeh.com

الأندلس أخذوا القانون معهم . ويخبر الشقندي الكاتب الأندلسي أن القانون كان من أهم الآلات في الأندلس وكان يصنع في سوق صناعة الآلات الموسيقية هناك .

تطوّر شكل هذه الآلة مع الزمن حتى وصل إلى هذا الشكل الذي يعرف اليوم ، فهو مكوّن من صندوق مربّع منحرف ، مشدودة عليه أوتار عددها ستة وعشرون ، أو ثمانية وسبعون وترا ، لأن كل ثلاثة أوتار تعطي نغمة واحدة . وتمر هذه الأوتار موازية للصندوق ، وتربط في الجهة اليمنى على جلد سمك لزيادة رنين الصوت ، يدعى الرقّ ، وله مفاتيح من الجهة اليسرى . وترفع هذه الأوتار عن الصندوق بخشبة تعرف بالفرس ، وبجوار هذه المفاتيح قطع صغيرة من المعدن تفتح وتقفل كالمفصّلات ، وتسمى « العرب » ، ومفردها عربة . ويضرب أو ينقر على أوتاره بأجزاء من قرون خروف أو ما يشابهها . ويكون العزف على القانون بإصبعي السبّابة ، فتعزف النغمة الواحدة وجوابها مرة واحدة ، وهذا ما يميزه من باقي الآلات ، ويجعله أغناها .

٤) الكنارة أو السمسمية : آلة وترية مصنوعة من الخشب ، أو قطعة من المعدن مغطّاة برقم . وهي قطعة من الجلد الرقيق تلصق بوجه الآلة تحت موضع الضرب ، مستوى أوتارها مواز للصندوق المصوّت ، ومثبتة أوتارها في إطار خشبي قد يكون أحيانا غير منتظم الأضلاع . وطريقة استعمالها أن تحمل معلقة أفقية أو رأسية أمام الصدر وتنبر اليد اليسرى عادة الأوتار من خلف الآلة ، وتضرب عليها اليد اليمنى من جهة الأمام بغماز ، وقد تجعل تلك الآلة رأسية أمام الصدر . وهي ذات خمسة أوتار وطابع خماسي .

جـ ـ آلات النفخ : من أقدم الآلات الموسيقية ، عرفتها مصر قبل العصر الفرعوني ، وهي :

١) الناي : في اللغة الأكادية « نايو » ، ومعناه الندب والحزن ، ففي أسطورة « عشتار وتموز » تندب إلاهة الحب عشيقها القتيل قائلة : " لقد أصبح قلبي كالناي الحزين " . وفي التوراة يرثي ارميا خراب مآب قائلاً : " إن قلبي يبكي على مآب كالقصب " . ولم يقتصر استعمال الناي فقط على النواح والبكاء ، فقد جاء ذكره في وصف الاحتفالات المدنية المرحة ، لمصاحبة الغناء والرقص وغير ذلك من الأعياد العامة .

ويتكون الناي من أنبوب من القصب ، فيه ثقوب على مسافة معيّنة تعطي سلّما موسيقيا معلوما ، لذلك فإن العازف إذا أراد أن ينتقل من مقام إلى آخر وجب عليه تبديل الأصابع من ثقب إلى آخر ، لأن المسافات بين ثقوبه تعطيه المقام المرغوب فيه . وتوضع آلة الناي أثناء العزف على حافة الشفة بشكل عمودي . وللناي صوت شجيّ عذب ، لم تستطع الاختراعات التي أتت فيما بعد تقليده ، وإن سهلت طرق العزف عليه .

ولا شك في أن عدم وجود صفارة في فم الناي تقيّد كمية الهواء فيه يساعد في تكييف الصوت وإظهار عواطف العازف .

والناي في فلسطين مؤنس الراعي في وحدته ، يخفف عنه آلامه وهواجسه ومشقة عمله ، وتطرب له المواشي وتستأنس . كما أن الناي خير مصاحب لحلقات الدبكة ، ولكثير من الأغاني الشعبية ذات الإيقاعات المختلفة .

٢) اليارغول : آلة ذات لسان واحد ، تكون إما يارغولا منفردا ، أو يارغولا مزدوجاً . ويتكون المفرد منه من قصبة ذات ثقوب يكون في الجزء الملامس للفم منها لسان ملصق طرفه الأعلى بالقصبة ، فإذا نفخ فيه اهتز اللسان محركا الهواء ، ويتكون اليارغول أو الأرغول المزدوج من قصبتين من هذا النوع ، غير أن القصبة الثانية غير مثقوبة ، ولها من الطول ضعف الأولى تقريباً . وقد اشتق من هذه الآلة الكلارينيت *Clarinette* والسكسية وما يماثلهما ، والأولى مصنوعة من الخشب والثانية من المعدن .

٣) ار : يصدر الصوت منه باهتزاز لسانين في الجزء الملامس للفم فيه . والمزمار البلدي من هذا النوع ، غير أن طرف بوقه يكون في تجويفه ، بخلاف الكلارينيت إذ يكون طرف بوقها خارجاً بما يشبه الإطار . ووصل تحسين الصناعة في المزمار إلى آلتي الأوبوا والباسون بأنواعهما .

٤) المجوز : هو الآلة النفخية الأكثر شيوعاً في فلسطين . وما هو إلاّ مزمار مثنى ، غير أن فتحته مستديرة وليست مخروطية كالمزمار . ولا يخلو النفخ في هذه الآلة من صعوبة لما تتطلبه من مواصلة التنفس من الأنف فقط ، ويكون الفم مخزناً للهواء ، يمدّ الآلة بتيار هوائي متواصل . وبالنظر إلى صعوبة النفخ في هذه الآلة ، يتعذر التلاعب في مرونة الصوت ، والتغيير من درجات شدته ، فتصدر الأنغام على وتيرة واحدة من الشدّة ، غير أنها تلائم تماما موسيقى الدبكة .

ومما يسترعي النظر كثرة الأمثال العامية الفلسطينية التي ذكرت الآلات الموسيقية ، يستشفّ منها ، بالإضافة إلى معانيها الاجتماعية ، وسخريتها اللاذعة ، وحكمها وتشابيهها التي تكون شاهدا مخلصا على أحاسيس الفلسطيني وعلى مزاياه الخلقية ومفهومه لمجتمعه ، يستشف تجاوبه الموسيقي :

ما بتسلمش سر شاعر وبإيده ربابة .
بموت الزمار وأصبعه بيلعب .
دقّ الطبل هاشت كل مجنونة .
صوت الطبل بودّي لبعيد .
الطبل ما بيندق تحت بساط .
اللي بطبّل لك زمّر له .

خزقنا الدف وبطّلنا الغناني .
بلحق ع النقارتين .
زاد في الطنبور نغم .
زمار وطبال ، ياما يشوفوا ليالي طوال .
الزمار بيعرف دار الطبال .
ما بيطلع من دار المطبلين غير مزمّرين .
جهازك كما أنزف برنيّه وخلق دف .
وقت عرسك عيرني دفك .
مثل الطبل ، بالليل تعليق وبالنهار تخبيط .
طبل وزفة والعروس عمشا .
ع كل دف بيرقص .
متل الدف بين اللطّامات .
من غير دف بيرقص .
منفوخ مثل الطبل .
الناي في كمه والهوا في تمّه .
الطبل متعوّد عا اللّطم .
لا كف ولا دف ولا نغم طيّب .
دق الطبل عالتلّة ، ركضت كل مختلّة .
طبل عند أطرش .
شكيت لابن عمي حمل ربابتين وراح .

المراجع :

ـ محمود أحمد الحفني : **علم الآلات الموسيقية** .
ـ حسني حداد : **في الموسيقى السورية** .
— Curt Sachs: **History of Musical Instruments.** New York 1940.
— Curt Sachs: **The Rise of Music in the Ancient World,** East and West , New York 1943.
— Clair Polin: **Music of the Ancient Near East,** New York 1954.
— Farmer, H. G: **A History of Arabian Music to the 13th century** London, 1929.
— Mckinnay and Anderson: **Music in History,** New York 1954.
— Paul Lang: **Music in Western Civilization.** New York 1941.

آلون (مشروع ـ) :

طرح الوزير الإسرائيلي ييغال آلون على حكومته في شهر تموز عام ١٩٦٧ مشروعاً يتعلق بالمناطق المحتلة من فلسطين ، أي الضفة الغربية وقطاع غزة . وهو أول وزير إسرائيلي يطرح " تصوراً " للتسوية في المنطقة من وجهة نظر إسرائيلية . لكنه لم يطرح تصوره هذا على أنه مشروع رسمي للحكومة الإسرائيلية آنذاك ، رغم أن مشروعه هذا ظل أساساً لسياسة حكومة المعراخ * (التجمع) في المناطق المحتلة ، وورقة عمل رئيسة في مناقشات الحكومة بشأن المناطق وقضايا الاستيطان وغيرها .

ولعل ما دفع آلون إلى وضع مشروعه أنه كان يطمح إلى استغلال مركز (إسرائيل) القوي بعد حرب ١٩٦٧ * لإنجاز تسوية تضمن لها " الحد الأقصى من الأرض والحد الأدنى من العرب " . كما كان يرى الحاجة إلى وجود مشروع للتسوية تطرحه (إسرائيل) أساساً للمفاوضات في اتفاق سلام شامل أو جزئي ، ويتحمل الجانب العربي المسؤولية في حال رفضه أو فشل المفاوضات .

وفي أيلول ١٩٧٦ نشر آلون في مجلة « فورين أفيرز *Foreign Affairs* » الأمريكية الفصلية دراسة بعنوان " إسرائيل : حدود دفاعية " يمكن أن تعتبر تطويراً وتكملة لمشروعه الأول الذي اقتصر على تناول مصير الضفة الغربية وقطاع غزة ، بينما تناولت الدراسة الجديدة جميع الأراضي العربية المحتلة بعد عام ١٩٦٧ ، والعلاقات مع البلدان العربية المعنية .

ينصّ مشروع آلون الأساسي على النقاط التالية :

١) تصرّ (إسرائيل) على أن حدودها الشرقية يجب أن تكون نهر الأردن * ، وخطاً يقطع البحر الميت * بكل طوله ، في حين تبقى حدود الانتداب ، على طول وادي عربة * كما كانت قبل « حرب الأيام الستة» .

٢) من أجل إنشاء نظام دفاعي متين من جهة ، وتحقيق وحدة أراضي البلاد وتأمينها من ناحية جغرافية استراتيجية من جهة أخرى، تضم (إسرائيل) إلى سيادتها المناطق التالية :

(١) شريطاً يتراوح عرضه بين ١٠ و ١٥ كم تقريبا على امتداد غور الأردن ، من غور بيسان وحتى شمالي البحر الميت ، على أن يشمل حدا أدنى من السكان العرب .

(٢) شريطاً عرضه بضعة كيلومترات ، تجري دراسته على الطبيعة ، من شمالي طريق المواصلات بين القدس* والبحر الميت ، بحيث يتصل في مكان ما مع المنطقة الواقعة شمالي طريق : عطورات ـ بيت حورون ـ اللطرون ، بما في ذلك منطقة اللطرون .

(٣) بالنسبة الى جبل الخليل وصحراء يهودا يجب دراسة احتمالين : إما ضم جبل الخليل بسكانه وإما ضم صحراء يهودا ، على الأقل من مشارف الخليل الشرقية حتى البحر الميت والنقب * .

(٤) ومن أجل تجنب ضم عدد كبير من السكان العرب يجب النظر في إمكان الاكتفاء بضم صحراء يهودا فقط مع تعديلات أقل في الحدود .

٣) يجب أن تقام في تلك المناطق ، مستعمرات ريفية ومدنية وقواعد عسكرية دائمة وفق متطلبات الأمن .

٤) يجب أن تقام شرقي القدس ضواح بلدية مأهولة بالسكان اليهود ، بالإضافة إلى الإسراع في إعادة تعمير الحي اليهودي في البلدة القديمة وتأهيله .

٥) تبادر (إسرائيل) إلى إقامة روابط مع زعماء وشخصيات من سكان الضفة الغربية كي تطلع على مدى استعدادهم لاقامة إطار حكم ذاتي في الأراضي التي تكون تحت سيادة (إسرائيل) . وقد يكون إطار الحكم الذاتي هذا مرتبطاً (بإسرائيل) . ويمكن أن يتمثل هذا الارتباط بوجود إطار اقتصادي مشترك ، ومعاهدة دفاع مشترك ، وتعاون تقني وعلمي ، واتفاقات ثقافية ، وإيجاد حل مشترك لتوطين لاجئي قطاع غزة في الضفة الغربية .

ومن الواضح أنه سيترتب على الحكومة أن تبادر إلى إعداد خطة عامة وشاملة وبعيدة المدى لحل مشكلة اللاجئين التي هي مشكلة مؤلمة وغير قابلة لحل كامل إلّا على أساس تعاون إقليمي يحظى بمساعدات دولية . وإلى أن يتم التوصل إلى التعاون الكامل ، يتوجب على حكومة (إسرائيل) أن تقدم على إقامة عدة قرى نموذجية للاجئين في الضفة الغربية ، وربما في سيناء أيضاً . وهذا الأمر ضروري من أجل التعلم من التجربة ، ومن أجل إظهار حسن النية والتدليل على استعداد (إسرائيل) للالتزام بحل المشكلة بطريقة بنّاءة . ولا بد من اتخاذ هذا التدبير لأسباب إنسانية وأسباب سياسية معاً .

٦) يتوجب على (إسرائيل) أن تضم قطاع غزة بسكانه الأصليين ، أي أولئك الذين كانوا يعيشون فيه قبل عام ١٩٤٨ . أما بالنسبة إلى اللاجئين الذين لم يتم استيعابهم في قطاع غزة لأسباب اقتصادية واجتماعية وغيرها فيجب توطينهم في الضفة الغربية وفي منطقة العريش وفق اختيارهم . ويتوجب على الأمم المتحدة العناية باللاجئين ، في حين تتولى (إسرائيل) المعالجة الكاملة لشؤون السكان الدائمين . وسيحتاج تنفيذ مثل هذا المشروع الى وقت كاف . ولذلك لا يُضم القطاع إلى (الدولة) في هذه الفترة بصورة قانونية .

٧) إن وضع خطوط الحدود الدقيقة ، يتم بالطبع بعد سماع رأي رئيس هيئة الأركان .

٨) ويجب أن تقام ، وبأسرع وقت ممكن ، سلطة عليا لمعالجة مشكلات المناطق المحتفظ بها واللاجئين في نطاق دائرة رئيس الحكومة .

أما مشروع آلون الموسع لعام ١٩٧٦ فقد انطلق من الفرضيات الأولية التي ترى أن حرب ١٩٧٣ * أكدت مدى حاجة (إسرائيل) إلى حدود دفاعية ، وأن التقدم التكنولوجي لا يلغي أهمية الحدود الدفاعية والعوائق الطبيعية . كما أن الضمانات الدولية السياسية لأمن (إسرائيل) خالية من أية قدرة على الردع .

أما قرار مجس الأمن رقم ٢٤٢ فلا ينص في رأي آلون على الانسحاب من كل الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ . ويرى آلون أن على (إسرائيل) أن تتنازل ، بموجب اتفاقية سلام ، عن الغالبية العظمى من الأراضي العربية التي تحتلها منذ ١٩٦٧ لأنها في غنى عن أن تلحق بها عربا إضافيين .

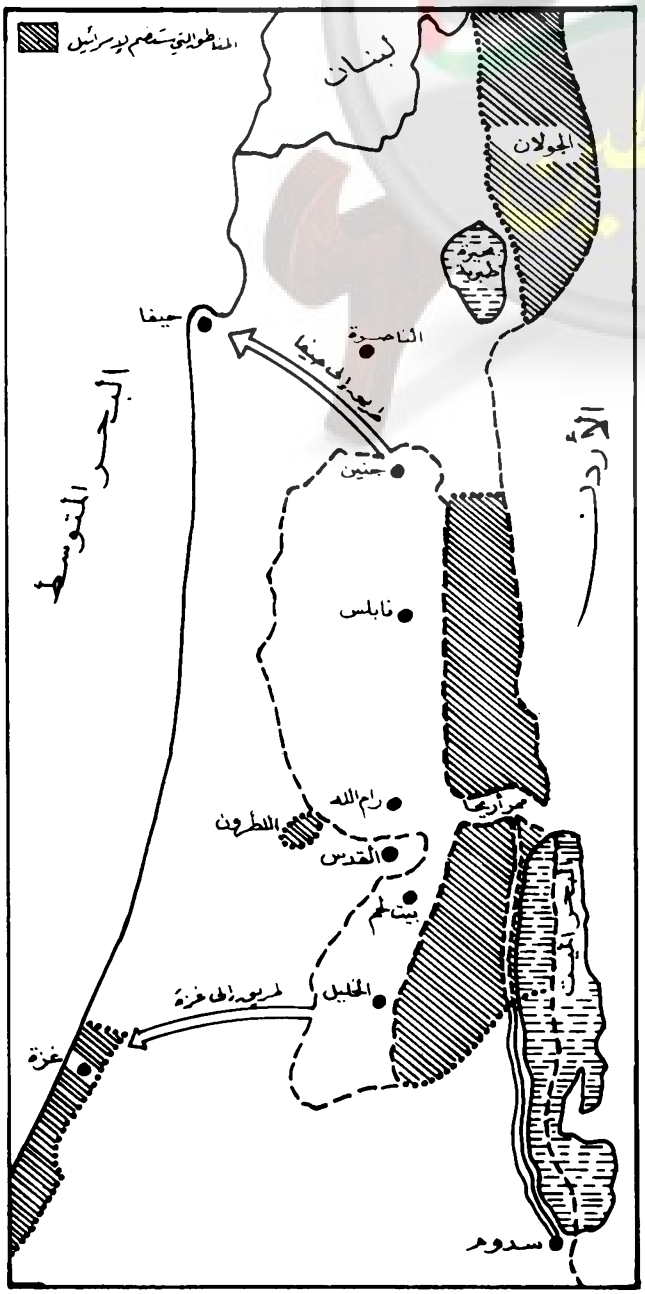

وينتقل آلون بعد هذه الفرضيات الأساسية ، إلى تحديد الحدود التي يراها كفيلة بتوفير الأمن والعمق الاستراتيجي (لإسرائيل) ، فيقرر أن العمق الاستراتيجي والعقبات الطبوغرافية كانت غائبة كليا في القطاع الأوسط من (إسرائيل) في خطوط ما قبل عام ١٩٦٧ . ولا يكفي لذلك تحريك الحدود في هذا القطاع (المواجهة للضفة الغربية) نحو الشرق ، بل إن من الضروري ، بالإضافة إلى بعض التعديلات التكتيكية على طول القطاع الغربي من الخط الأخضر ، سيطرة (إسرائيل) على القطاع الشرقي الواقع إلى الشرق من التجمع العربي المتمركز على قمم جبال الخليل * والقدس * ونابلس * وسفوحها الغربية ، أي القطاع الجاف الواقع بين نهر الأردن في الشرق والسلسلة الشرقية لجبال " يهودا والسامرة " في الغرب ، وبين جبال فقوّعة (الجبال المطلة على غور بيسان) في الشمال ، والنقب في الجنوب . ويُعطى للعرب ممر عبر هذا القطاع لكي يبقى الاتصال مستمرا بين الضفتين الشرقية والغربية . وسوف يترك هذا الحل جميع الفلسطينيين في الضفة الغربية تقريباً تحت الحكم العربي . وبالنسبة إلى قطاع غزة يقترح آلون أن تشكل المدينة وضواحيها المزدحمة بالسكان جزءاً من الدولة الفلسطينية ـ الأردنية التي يقترحها لحل المشكلة الفلسطينية ، بحيث تصبح غزة * ميناء تلك الدولة على البحر المتوسط . وحتى يتحقق الاتصال البري بين غزة وبقية أجزاء الدولة الفلسطينية ـ الأردنية ،يخصص ممر بري ، لا يشكل جزءاً من تلك الدولة وإنما يكون تحت السيادة الإسرائيلية . وينبغي أن تستمر (إسرائيل) في السيطرة على القطاع الصحراوي الاستراتيجي الممتد من جنوب قطاع غزة حتى التلال الرملية الواقعة على المداخل الشرقية لمدينة العريش ،لأن هذا القطاع يمكن أن يسد " الطريق التاريخي للغزو ، المار بمحاذاة البحر ، والذي عبره العديد من الغزاة عبر التاريخ " .

وبالنسبة إلى القدس يرفض آلون إعادة تقسيمها ، ويصر على أنها يجب أن تظل موحدة وعاصمة (لإسرائيل) ، ويقرر أن القدس لم تكن في يوم من الأيام عاصمة لأية دولة عربية أو إسلامية ، ولكنها كانت دائما عاصمة ومركزا للشعب اليهودي . ولكن وضع القدس ومكانتها الدينية العالمية وتركيب سكانها تدفع إلى إيجاد حل لوضع المصالح الدينية فيها على أساس ديني ، لا على أساس سياسي . والحل هو إعطاء وضع خاص لممثلي مختلف الديانات في الأماكن المقدسة لديها . ومن الممكن أن تقسم المدينة إلى أحياء يراعى فيها التركيب السكاني والديني ، وأن تقام مجالس لهذه الأحياء ، مع بلدية مركزية .

وأما الحل الواقعي الوحيد لمشكلة الهوية الفلسطينية فهو إقامة دولة أردنية ـ فلسطينية . ومرد ذلك إلى أن سكان الضفتين في غالبيتهم من الفلسطينيين . كما أن كثيرا من الفلسطينيين يحملون جوازات سفر أردنية .

ويرى آلون أن للجولان * أهمية كبيرة بالنسبة إلى أمن (إسرائيل) لأنه يشرف على وادي الحولة وسهل بيسان والجليل الشرقي . ولذلك فإن (إسرائيل) بحاجة إلى خط دفاعي في الجولان لسبب تكتيكي ، هو منع السوريين من قصف المستعمرات الإسرائيلية ، ولسببين استراتيجيين هما : الحيلولة دون تسلط السوريين على مصادر المياه الإسرائيلية، ومنع أي هجوم ضد الجليل . وبعبارة أخرى يقترح آلون ضم معظم الجولان إلى (إسرائيل) ، حيث يسير الخط الدفاعي الذي يقترح بموازاة خط وقف إطلاق النار ، ولا يبعد عنه سوى مسافة محدودة .

ويرى آلون أن من الضروري إجراء عدد من التعديلات الحدودية في المناطق الحساسة على خط الهدنة بين (إسرائيل) ومصر . ويجب أن يتم ذلك بشكل يسمح بسيطرة إسرائيلية كاملة في عدد من القطاعات ذات الأهمية الحاسمة لدفاع (إسرائيل) ، والتي " لا أهمية لها بالنسبة إلى أمن مصر " ، ويقصد بذلك المساحات المحيطة بأبو عجيلة والقسيمة والكونتيلا التي تشكل مناطق تقاطع محاور الطرق الرئيسة المارة من الصحراء إلى بير السبع . كذلك فإن منطقة شرم الشيخ حساسة جداً (لإسرائيل) لأن الاستيلاء عليها يهدد حرية الملاحة الإسرائيلية . ولذلك يجب أن تسيطر (إسرائيل) على الطريق الواصلة بينها وبين إيلات * بشكل أو بآخر . وفي رأي آلون أن هذه التعديلات غير نابعة من رغبة (إسرائيل) في التوسع أو إلحاق أراض بها ، ولا من اعتبارات ودوافع تاريخية أو ايديولوجية ، بل من اعتبارات أمنية فقط .

وإلى جانب هذه التعديلات لا بد من وضع ترتيبات أمن فعّالة لمنع الهجوم المفاجىء من طرف ضد آخر ، أو على الأقل تقليله إلى أدنى حد ممكن .

والمقصود بهذه الترتيبات إيجاد " مناطق مجردة كلياً أو جزئياً من السلاح تحت إشراف عربي ـ إسرائيلي مشترك ، بالإضافة إلى ضمان عنصر دولي إنْ أمكن ، وإقامة أجهزة إنذار مبكر كتلك المقامة بمقتضى اتفاقية سيناء " .

المراجع :

— Yiagal Allon : Israel: The case of the defensible borders, **Foriegn Affairs,** October 1976.

أبـان بن صالـح بن عمير بن عبيد (٦٠ - ١١٥ هـ) (٦٧٩ - ٧٣٣ م) :

محدِّث عاش في دولة بني أمية . كنيته أبو بكر ، وينتسب إلى قريش ولاء . قتل أبوه صالح بن عمير في واقعة مع الأزارقة زمن الحجاج .

كان ورعاً تقياً . وكان من المحدّثين الثقات . شهد بذلك إمام الحفّاظ والمحدّثين يحيى بن معين ، والعجلي ، ويعقوب بن شيبة ، وأبو زرعة ، وحاتم الأصم ، كما ذكره ابن حيان القرطبي في الثقات . وعلق الإمام ابن حجر على قول ابن عبد البرّ في التمهيد " أبان بن صالح ضعيف " ، وعلى قول ابن حزم في المحلّى بأنه " ليس بالمشهور " بقوله : " وهذه غفلة منهما ، فلم يضعّف أباناً هذا أحد قبلهما . ويكفي فيه قول ابن معين ومن تقدم معه " . روى أبان عن أنس ، ومجاهد ، وعطاء ، والحسن بن محمد بن علي ، والحسن البصري ، والحكم بن عتيبة ، وقبيصة بن ذؤيب وغيرهم .

مات بمدينة عسقلان .

المراجع :

- ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، المدينة المنورة .
- ابن حجر العسقلاني : تهذيب التهذيب ، بيروت .
- ابن عبد البرّ : التمهيد ، الرباط ١٩٦٧ .
- ابن المنذر التميمي الحنظلي الرازي : كتاب الجرح والتعديل ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

الأبحاث (مركز ـ) :

تأسس مركز الأبحاث في بيروت ، في شباط ١٩٦٥ ، بقرار من اللجنة التنفيذية الأولى لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، بعد وقت قصير من إعلان قيام المنظمة في أيار ١٩٦٤ . واعتبر قرار اللجنة التنفيذية المركز مؤسسة من مؤسسات منظمة التحرير ، يديرها مدير عام يتبع مباشرة رئيس اللجنة التنفيذية . وتطبق في المركز الأنظمة والإجراءات المالية والإدارية النافذة في المنظمة . ويشرف الصندوق القومي الفلسطيني * على حساباته . ويتمتع المركز منذ تأسيسه باستقلال كبير فيما يتصل بنشاطه في المجالات التي أنشىء من أجلها .

أ ـ أهداف المركز : غاية المركز تغطية الصراع العربي ـ الصهيوني بالدراسات العلمية ، وتوفير المعلومات الصحيحة حول القضية الفلسطينية . وقد تحددت أهدافه في هذا المجال بما يلي :

١) تغذية أجهزة منظمة التحرير ومؤسساتها المختلفة بالآراء والمعلومات التي تفيدها في مختلف أنواع نشاطها السياسي والإعلامي وتساعد في تحليل المواقف ، ووضع الخطط والبرامج ، واستكمال المعلومات وتدقيقها ، واستخدام المعلومات .

٢) جمع الوثائق القديمة والمعاصرة المتصلة بالصراع العربي ـ الصهيوني ، ومتابعة جمع ما يستجدّ منها ، وتنظيم سبل الاستفادة من هذه الوثائق .

٣) جمع الكتب والدراسات التي تقع في دائرة اهتمامات المركز ، وإنشاء مكتبة متخصصة لهذا الغرض .

٤) إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية حول القضية الفلسطينية وجوانب الصراع العربي ـ الصهيوني كلها ، ونشرها لتكون مراجع يستفيد منها القرّاء والدارسون والمختصون .

٥) متابعة وقائع الأحداث والدراسات المتصلة بالقضية الفلسطينية ، وتنظيم الاستفادة منها .

٦) نشر المعرفة بالعدو الإسرائيلي في الأوساط الفلسطينية والعربية ، وتوفير المعلومات الدقيقة عن الشؤون الإسرائيلية .

ويلتزم المركز في عمله لتحقيق أهدافه بالسياسة العامة لمنظمة التحرير ، ويسترشد بالخطط والبرامج التي تقررها مؤسسات المنظمة . وفيما عدا هذا يضع المركز نفسه خطط عمله وإنتاجه ونظمه الداخلية . ويتمتع المركز بقسط كبير من حرية النشاط والرأي والحوار والتعبير عن المواقف المتعددة ووجهات النظر المختلفة المطروحة على الساحة الفلسطينية . كما يتمتع بالحرية في دراسة نشاط خصوم منظمة التحرير ومواقفهم ووجهات نظرهم . ويتبع المركز في هذا كله مناهج البحث العلمي المعتمدة ، ولا يخضع نفسه لأية عوامل سياسية أو إعلامية قد تتعارض مع هذا كله .

ب ـ تطور العمل البحثي والتنظيم الإداري : عيّنت اللجنة التنفيذية الدكتور فايز صايغ * ليتولى مسؤولية تأسيس المركز ، والإشراف على عمله . وظل يحمل هذه المسؤولية إلى أن خلفه في آب ١٩٦٦ الدكتور أنيس صايغ الذي عيّن في هذا التاريخ مديراً عاماً للمركز . وخلال وجوده في هذا المنصب تولّى أيضاً مسؤولية رئاسة تحرير مجلة « شؤون فلسطينية » * منذ إصدارها في شباط ١٩٧١ . وبعد استقالة الدكتور أنيس صايغ في نيسان ١٩٧٧ عيّن الشاعر محمود درويش مديراً عاماً ، حتى تموز ١٩٧٨ ، ثم خلفه صبري جريس منذ هذا التاريخ .

يعتمد المركز في تغطية نفقاته على مصدر أساسي ، هو الميزانية السنوية التي تخصصها له اللجنة التنفيذية للمنظمة ، ويصادق عليها المجلس الوطني الفلسطيني * . ويعتمد أيضاً على المساعدات التي تقررها اللجنة في الحالات الاستثنائية . وقد بقيت منظمة التحرير

http://al-maktabeh.com

المصدر الوحيد لتمويل المركز حتى عام ١٩٧٢ ، حين قرر مجلس جامعة الدول العربية تقديم معونة سنوية تضاف إلى ميزانية المركز السنوية .

يعتمد المركز في بحوثه ونشاطه الفكري أسلوب العرض الموضوعي الموّثق للقضايا التي تتناولها دراساته وكتبه ونشراته الدورية ، ويعتمد مناهج البحث العلمي المتبعة في العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد قضى التوجه العام للمركز ، منذ تأسيسه ، أن يعرّف القارىء العربي بمختلف جوانب الحياة في (إسرائيل) في وقت كانت المكتبة العربية تفتقر فيه إلى الدراسات الرصينة في هذا المجال . وفي مرحلة لاحقة ، أولى المركز عناية أكبر لدراسة أحوال الشعب الفلسطيني ومؤسساته ، إلى جانب متابعة الشؤون الإسرائيلية . ومنذ عام ١٩٦٧ عني المركز عناية خاصة بشؤون المناطق التي احتلتها (إسرائيل) في حرب ١٩٦٧ * ، بالإضافة إلى عنايته بشؤون العرب الذين يعيشون في ظل السلطة الإسرائيلية منذ عام ١٩٤٨ ، ومتابعته مشكلاتهم الاجتماعية ونضالهم القومي . واتجه المركز ، ولا سيّما بعد عام ١٩٦٧ ، إلى تغطية المواقف الدولية والنشاط العالمي المتصل بقضية فلسطين ، وواكبت دراساته وبحوثه وتقاريره وندواته تطور العمل الفلسطيني ، ودور منظمة التحرير الفلسطينية الذي شهد انطلاقته الكبيرة بعد ١٩٦٧ .

وبالإجمال ، احتل المركز منذ تأسيسه ، ومع تطوره ، مكانة علمية مرموقة بوصفه المؤسسة العلمية الفلسطينية الأولى المعنيّة بالدراسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية ، وحظي بشهرة واسعة وثقة كبيرة في هذا المجال .

جـ ـ أقسام المركز : تأسست في المركز ، وتطورت ، الأقسام والشعب التالية :

١) المكتبة : أنشأ المركز منذ تأسيسه مكتبة متخصصة . وتوالت الجهود ، بمضي السنين ، لتوسيعها وتحسين مستوى مقتنياتها باتجاه مزيد من التخصص . وهو يقوم باقتناء الكتب التي تتناول الشؤون الفلسطينية والشؤون الإسرائيلية وشؤون الصراع العربي ـ الصهيوني وقضايا الشرق الأوسط ، وأية قضايا أخرى هامة ، والتي تصدر باللغات العربية والعبرية والإنكليزية والفرنسية . وتقتني المكتبة الموسوعات والمعاجم والأطالس والدراسات والبحوث والمراجع الأخرى التي تصدر باللغات الأربع في المجالات الرئيسة . وتضم في الوقت الراهن أكثر من عشرين ألف مجلد ، منها خمسة آلاف باللغة العربية ، وثلاثة آلاف بالعبرية وأحد عشر ألفاً بالإنكليزية ، بالإضافة إلى المجلات الشهرية والفصلية التي تصدر باللغات الأربع المعتمدة . ويوزع المركز على الجهات المعنية فهرساً دورياً بمقتنيات مكتبته . وتشترك مكتبة المركز في نحو ١٦٠ دورية باللغة العربية ، و٤٩ بالعبرية ، و٢٥٠ بالإنكليزية ، و٦٣ بالفرنسية . وفي مكتبة المركز الدوريات التي تصدرها الجهات الفلسطينية كافة .

٢) قسم الأرشيف : يضم جميع الوثائق المنشورة عن القضية . ويسعى باستمرار لاقتناء الوثائق غير المنشورة ، ويصنّفها . ويتابع هذا القسم ما تنشره ٨٠ صحيفة ودورية بمختلف اللغات ، ويصنف موادها الواقعة في مجال اختصاصه . ويقوم بتصوير مقتنيات أرشيفه بالميكروفيلم ، ويعمل على اقتناء الوثائق التاريخية التي يتم نشرها بعد مضيّ عدد من السنين ، ومنها الوثائق الإنكليزية والعبرية . ويصدر القسم مجلداً شهرياً يتضمّن ملخصاً للأحداث الجارية في كل شهر ، مبوَّبا حسب الموضوعات ، بحيث تسهل العودة إليه واستخدامه كمصدر للمعلومات في أي وقت . ويوزع هذا المجلد على الجهات المعنيّة .

ويضع المركز مقتنيات مكتبته ووثائقه في خدمة باحثيه وزواره من الدارسين والباحثين الذين يمكنهم أن يستفيدوا من هذه المقتنيات أثناء أوقات عمل المركز ، أو أن يحصلوا على نسخ مصورة للمراجع التي يحتاجون إليها ، وذلك تقريباً دون مقابل . كذلك يقدم المركز خدمات مماثلة لمن يطلبون معونته بالمراسلة ، فيمدّهم بالمشورة بشأن الدراسات ، ويساعدهم على معرفة ما هو متيسّر من مراجع تعوزهم في دراساتهم .

٣) قسم اليوميات الفلسطينية : يسجّل هذا القسم الوقائع اليومية المتصلة بالقضية الفلسطينية . ويستقي هذه الوقائع من جميع المصادر التي يتلقاها ، سواء باللغة العربية أو باللغات الثلاث الأخرى ، فضلاً عن المصادر المباشرة . ويصدر المركز حصيلة عمل هذا القسم في مجلّدات يتضمن كل منها وقائع نصف عام . وتزود هذه المجلدات نصف السنوية بالجداول والفهارس المختلفة لتسهيل الاستفادة منها . وقد صدر حتى نهاية عام ١٩٨١ ثلاثة وعشرون مجلداً تضمنت الوقائع الفلسطينية من بداية عام ١٩٦٥ إلى منتصف عام ١٩٧٦ .

٤) نشرة رصد إذاعة (إسرائيل) : يتولّى قسم خاص رصد وتسجيل ما تبثّه إذاعة البرنامج العبري العام وإذاعة الجيش والتلفزيون في (إسرائيل) من مواد لها صلة بالصراع العربي ـ الصهيوني ، أو بالقضايا الإسرائيلية الداخلية الهامة . ويقوم مترجمون مختصون بنقل هذه المواد إلى اللغة العربية ، وتصدر في نشرة يومية اسمها نشرة « رصد إذاعة إسرائيل ـ ر . إ . إ . » ، وتصل المادة إلى القرّاء قبل مضي أربع وعشرين ساعة على إذاعتها . وتوزع هذه النشرة توزيعاً محدوداً يشمل الهيئات المعنية والمختصين فقط . وقد

ظهرت هذه النشرة منذ عام ١٩٧١ ، وصدر منها ٢,٥٢٣ عدداً حتى نهاية ١٩٨١ .

والى هذا يقوم المركز ، في أحوال خاصة ، بتقديم نشرات غير دورية تتضمن ترجمات كاملة لمواد هامة في الصحف الإسرائيلية .

٥) مجلة شؤون فلسطينية : وهي مجلة شهرية تعدّ الأولى من نوعها باللغة العربية ، وتختص بنشر المقالات والدراسات والأبحاث والتقارير الشهرية والطارئة التي تشمل المجالات المختلفة المتصلة بالشؤون الفلسطينية والإسرائيلية وغيرها من الشؤون الهامة . ويُعدّ مواد هذه المجلة باحثو المركز والكتّاب الآخرون الفلسطينيون والعرب والأجانب الذين يتفق معهم لهذا الغرض ، أو الذين يُؤثرون نشر إنتاجهم فيها . وقد انتظم صدور مجلة شؤون فلسطينية منذ آذار ١٩٧١ حتى اليوم ، وفي السنة الأولى من عمر المجلة صدرت الأعداد الستة الأولى بمعدل عدد كل شهرين ، ثم أصبحت المجلة شهرية .

وحتى نهاية عام ١٩٨١ صدر من المجلة ١٢١ عدداً . وقد نشرت المجلة في عددها رقم ١١١ (شباط ١٩٨١) فهرساً شاملاً ضم أسماء الكتّاب الذين أسهموا في إنشاء موادها في السنوات العشر الأولى ، وأرقام الأعداد التي كتب فيها كل واحد منهم ، وضم أيضاً تبويباً لعناوين المواد التي نشرت في هذه السنوات ، وتعريفاً موجزاً بها .

٦) القسم الفني : يضم شعبة للمحررين المختصين الذين يقومون بتحرير مختلف المواد التي ينشرها المركز ، فيضبطون صياغتها ولغتها ، ويدققون مصادرها . كما يضم شعبة الطباعة التي تشرف على عمليات طباعة تلك المواد من إخراج وتصحيح وتنفيذ ونسخ وغيرها .

٧) قسم التوزيع والاشتراكات : يتولى الإشراف على توزيع نشرات المركز ، إما مباشرة ، أو بالبريد ، أو عن طريق تنظيم العقود مع شركات التوزيع في البلاد المختلفة . ويتولى القسم أيضاً تسجيل الاشتراكات وتأمين وصول المواد إلى المشتركين .

٨) القسم المالي : يضطلع بمسؤولية الشؤون المالية في المركز ، وضبط عقود الواردات والنفقات وفق الأنظمة المالية ، ويشكّل حلقة الوصل ، بالنسبة إلى هذه الشؤون ، بين إدارة المركز والصندوق القومي الفلسطيني .

٩) شعبة الشؤون الإدارية : تتولى مسؤولية الشؤون الإدارية ، والتحقق من مطابقتها للأنظمة والإجراءات المعتمدة في منظمة التحرير الفلسطينية ، أو المعتمدة في المركز .

١٠) الأقسام البحثية : وهي أهم الأقسام العاملة في المركز ، فهي التي تنتج المواد الخاصة بالمركز ، أو تشرف على إنتاج المواد التي يقدمها كتّاب من خارجه .

د ـ التنظيم البحثي : تعددت الأقسام البحثية في المركز وتنوعت بين فترة وأخرى وفق الحاجات والظروف المتفاوتة . ثم استقر الأمر على ثلاثة أقسام :

١) قسم الدراسات الفلسطينية .

٢) قسم الدراسات الإسرائيلية .

٣) قسم الدراسات الدولية .

ويتولى الباحثون في هذه الأقسام ، كل وفق اختصاصه ، إعداد الدراسات والأبحاث الميدانية والتقارير المتنوعة التي تنشرها مجلة « شؤون فلسطينية» أو التي ينشرها المركز في كتب مستقلة ، أو التي تستخدم لأغراض أخرى ، ولا سيما لتغطية حاجات مؤسسات منظمة التحرير . كذلك تتولى هذه الأقسام تقديم الاقتراحات بشأن الكتب الأخرى التي يتفق المركز بشأنها مع الكتّاب ، والبتّ بنشر أو بعدم نشر المخطوطات التي يعرضها كتّاب آخرون على المركز .

هـ ـ إصدارات المركز : أصدر المركز حتى عام ١٩٨١ ـ ٣٤٠ كتابا ، منها ٢١٧ كتابا باللغة العربية ، بينها ٢٦ كتابا وزّعت توزيعا محدوداً على الهيئات المعنية والباحثين المختصين . ومنها أيضاً ٨٧ بالإنكليزية و٢١ بالفرنسية ، فضلاً عن كتب كثيرة بلغات أخرى . وقد عالج نحو ١٣٠ كتاباً الشؤون الفلسطينية ، و١٤٠ كتابا الشؤون الإسرائيلية في حين بحثت الكتب الأخرى في موضوعات وقضايا مختلفة تتصل بأغراض المركز .

وقد صدرت معظم هذه الكتب في سلاسل ، فضمت سلسلة « كتب فلسطينية» ٨١ كتاباً ، وسلسلة « دراسات فلسطينية » ١٠٤ كتب ، وسلسلة « حقائق وأرقام » ٥٣ كتابا ، وسلسلة « أبحاث فلسطينية » ٤٨ كتاباً ، وسلسلة « خرائط وصور فلسطينية » ١٨ كتاباً .

وقد توقف المركز مؤخراً عن إصدار كتبه في سلاسل مرقمة .

و ـ جوانب النشاط الأخرى : يقوم المركز بألوان نشاط أخرى متعددة ، ضمن إمكاناته ، فينظم بين وقت وآخر دورات لتعليم اللغة العبرية يدرس فيها عاملون في المركز أو آخرون ممن ترشحهم المؤسسات الفلسطينية . وينظم المركز ومجلته الشهرية ندوات يسهم فيها قادة ومختصون . وتعقد بعض هذه الندوات بغرض التحاور مع العاملين في المركز ومناقشة شؤون النشر . من ناحية أخرى ، يسهم المختصون في المركز في نشاط عدد من المؤسسات ، وفي اللقاءات الثقافية والعلمية الفلسطينية والعربية والدولية ، ويلبّون الدعوة للكثير من الندوات التي تنعقد لمناقشة الموضوعات الواقعة ضمن دائرة اهتمام المركز ، ويعدّون الدراسات والمداخلات لتلك

الندوات . والمركز عضو دائم في المجلس الفلسطيني الأعلى للتربية والثقافة والعلوم ، وعضو دائم في اجتماع « الاتحادات المهنية والمؤسسات العربية الممارسة لمهام إعلامية» الذي ينعقد دورياً بإشراف الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ـ إدارة الإعلام ، وعضو مراقب في اللجنة الدائمة للإعلام العربي ، واجتماعات مجلس وزراء الإعلام العرب ، وهو عضو أيضاً في عدد من الهيئات والاجتماعات الدولية العالمية ذات الطبيعة العلمية . ويقيم المركز علاقات منتظمة أو شبه منتظمة مع عدد من المكتبات الكبرى في العالم .

ز ـ خاتمة : يقوم المركز بهذا النشاط الواسع في ظل ظروف ليست مواتية كلها . كما أن موارده المالية ، مع حرصه على عدم الارتباط بتلقّي أية معونات من غير جامعة الدول العربية ، تجعل مشاريعه أقل من طموح العاملين فيه. وعلى الرغم من ذلك تمكّن المركز من التمسك بإنجاز المهام التي اضطلع بها ، ومن إحداث بعض التوسع فيها . وبالنسبة إلى المستقبل يعمل المركز من أجل مزيد من التوسّع ، ولا سيما في مجالات تنمية مقتنيات المكتبة والأرشيف وتغطية الفترة الزمنية التي توقف فيها العمل في قسم اليوميات الفلسطينية لظروف خارجة عن إرادته ، فالمركز يخطط لاصدار ثلاثة مجلدات من اليوميات الفلسطينية في العام الواحد ، بدل اثنين ، حتى يتم تدارك ذلك النقص . وفي ميدان إصدار الكتب ، يتجه المركز إلى تعميق التخصص ، بحيث يعدّ ويصدر الكتب التي تشكل مراجع في الحقول التي تتناولها . وفي خطط المركز إصدار عدد من المراجع عن المؤسسات الفلسطينية المعاصرة ، وإصدار مرجع كبير عن المؤسسات السياسية والاجتماعية الإسرائيلية . والقصد من هذه المراجع أن توّسع وتكمل المعلومات التي تضمنتها الكتب التي أصدرها المركز في سنوات سابقة . ويعدّ المركز كذلك لتوسيع نشرة « رصد إذاعة إسرائيل » حتى تتضمن ترجمات كاملة دورية للمواد الهامة في الصحف الإسرائيلية . ويعمل المركز على توسيع حضوره ومساهماته في المنظمات والاجتماعات والندوات العلمية والثقافية الفلسطينية والعربية والدولية ، ويحضّر لعدد من مشاريع البحث الخاصة .

الأبراج : رَ : القلاع والأبراج

أبراهام : رَ : ميثاق أبراهام

إبراهيم باشا : رَ : الحكم المصري

إبراهيم (مشهد) : رَ : مكفيلة (مغارة ـ)

إبراهيم أبو ديّة (١٩١٩ ـ ١٩٥١) :

مجاهد فلسطيني ، وأحد قادة قوات الجهاد المقدس (رَ : جيش الجهاد المقدس) . ولد في قرية صوريف * من قضاء الخليل .

بدأ يناضل الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية في سن مبكرة ؛ فقد عمل وهو في الثالثة عشرة من عمره حلقة وصل بين الثوار في منطقتي الخليل والقدس سنة ١٩٣٢ . وفي سنة ١٩٣٤ انضم إلى قوات الجهاد المقدس ، وشارك في معارك الثورة من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) .

انضم إلى الحزب العربي الفلسطيني * عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وعمل مع القائد عبد القادر الحسيني * في جمع الأسلحة ونقلها من مصر إلى فلسطين ، وتوزيعها على المجاهدين ، تمهيداً لمتابعة الثورة ضد أعداء الشعب الفلسطيني : البريطانيين والصهيونيين .

شارك مشاركة فعالة في الكثير من معارك ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ؛ فقد تولى قيادة مجموعة من قوات الجهاد المقدس في معركة القسطل * التي جرت في ١٩٤٨/٤/٧ ، وكانت مجموعته أولى المجموعات التي دخلت قرية القسطل * . وقد أصيب بجراح في هذه المعركة .

وفي ١٩٤٨/٥/١ قاد قوات الجهاد المقدس في هجوم على حي القطمون ، في مدينة القدس ، لاسترداده . لكن القوات البريطانية منعته من تحقيق ذلك (رَ : القطمون ، معركة) .

كان له دور كبير في معارك كفار عصيون * وصوريف ، وقد لمع اسمه خلالها . وكانت معركة مستعمرة « رامات راحيل » جنوبي القدس (أيار ١٩٤٨) آخر معاركه ، فقد أصيب أثناءها بجراح أدّت إلى شلل في جسمه ، ثم نقل إلى بيروت حيث توفي .

المراجع :

ـ محمد فائز القصري : حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ج ٢ ، دمشق ١٩٦٢ .

إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني

(٧٧٧ ـ ٨٧٠ هـ)
(١٣٧٥ ـ ١٤٦٥ م) :

برهان الدين الباعوني ، الصفدي . أديب ، فقيه ، لغوي . ولد في صفد * ، ونشأ فيها ، ودرس التصوّف والفقه على كبار علماء زمانه كشيخ الإسلام البلقيني (رَ : عمر بن رسلان) والشرف الغزي والنور الأبياري والكمال الدميري . جاء الباعوني دمشق

وولّي خطابة الجامع الأموي ووظيفة قضاء الشافعية ، كما تولّى مشيخة الخانقاه الباسطية التي أنشأها في الجسر الأبيض (بدمشق) القاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل ناظر الجيوش الإسلامية زمن السلطان المملوكي سيف الدين برسباي (٨٢٥ هـ / ١٤٤٢ م) . له مؤلفات منها : مجموعة خطب ، وديوان شعر ، واختصار معجم الصحاح للجوهري ، و « منحة اللبيب في سيرة الحبيب » ، و « الغيث الهاتن في وصف العذار الفاتن » .

توفي الباعوني بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون .

المراجع :

ـ محمد بن طولون : **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية** ، دمشق ١٩٤٩ .
ـ السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ـ جلال الدين السيوطي : **نظم العقيان في أعيان الأعيان** ، نيويورك ١٩٢٧ .

إبراهيم بن حبيب الصباغ (١١٢٧ ـ ١١٩٠ هـ) (١٧١٥ ـ ١٧٧٦ م) :

طبيب مشهور من أهل عكا كان من أبرز أعوان ظاهر العمر الزيداني *. أصله من كسروان (لبنان) ، استقر أبوه وعمه في عكا * سنة ١٧٠٠ م .

تعلّم إبراهيم الطب العربي من راهب في أحد الأديرة في الشوير (لبنان) حيث ذهب للدراسة . وقد برع فيه .

أقام في عكا سنوات طويلة يطبب ، حتى طار صيته بالبراعة وحسن المعالجة ، كما صار من كبار الأغنياء ، وشارك في الأعمال التجارية . ولم يكن بدوره السياسي بعد ذلك أقل من دوريه في العلم وفي التجارة . فقد اختاره ظاهر العمر طبيباً خاصاً له ، ثم كسب ثقته ، فأضحى المستشمر لأمواله في التجارة ، ومستشاره أيضاً في الإدارة . وابتنى إبراهيم داراً فخمة في عكا ومصبنة كبيرة ، وجاءه التكريم من البابا . ولكنه كان شديد الإمساك والحب للمال ، فلمّا حوصرت عكا سنة ١٧٧٥م على ظاهر العمر ، وطالبته الدولة بخراج سبع سنين ، أصر إبراهيم الصباغ ، وكانت بيده جميع أموال الوالي ، على الرفض ، وحرّضه على المقاومة ، فانتهى الأمر بسقوط عكا ومصرع ظاهر العمر غيلة ، وقبض على إبراهيم الصباغ . وقيل إن مجموع ما آل من أموال ظاهر العمر وأولاده وإبراهيم الصباغ إلى خزينة السلطان بلغ خمسة ملايين ليرة ذهبية ، وخمسة وعشرين مليون فرنك ذهبي ، عدا ما اختلسه الذين عملوا في المصادرة .

وكان نقولا بن إبراهيم يعمل معه في الطب والحكومة . ويبدو أنه هاجر إلى دمشق مع أولاده بعد نكبة أبيه ، ومنهم ميخائيل * وعبود الذي لا يعلم عنه شيء سوى أنه ألّف كتاب « الروض الزاهر في تاريخ الظاهر » ، وتوجد منه نسخة خطية في باريس .

نقل إبراهيم الصباغ سجيناً إلى الآستانة حيث قتل .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، استانبول ١٩٤١
ـ عيسى إسكندر المعلوف : **تاريخ الشيخ ظاهر العمر الزيداني** .
ـ ميخائيل الصباغ : **تاريخ ظاهر العمر الزيداني** .
ـ محمد كرد علي : **خطط الشام** ، دمشق ١٩٢٨ .

إبراهيم الخليل (النبي) :

هو الأب الروحي للديانات السماوية الثلاث : اليهودية والمسيحية * والإسلام * . فاليهود يرجعون نسبهم إلى الآباء العبرانيين الأولين : إبراهيم وإسحق * ويعقوب * (الذي سمي إسرائيل) . وقد حرص الكتبة اليهود الذين دوّنوا التوراة * في عهد متأخر على أن يربطوا بين أتباع موسى * وديانته وبين إبراهيم الخليل وما جاء به من الوحي وعقيدة التوحيد .

ويبدأ إنجيل متّى بذكر سلسلة النسب من إبراهيم حتى يسوع المسيح . لكن التقاليد المسيحية لا تهتم بهذه الناحية ، بل تؤكد الصلة الروحية تبعاً لما جاء في رسالة بولس * إلى أهل رومية (٤ : ١٦ ـ ١٧) ، إذ يقول : " إبراهيم الذي هو أب لجميعنا " . كذلك يقول بولس في رسالته الى أهل غلاطية (٣ : ٨ ـ ٩) :

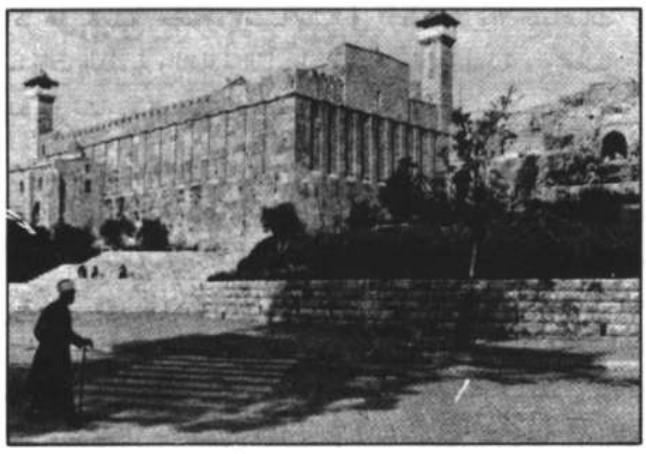

الحرم الابراهيمي في مدينة الخليل

" فبشر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم إذا الذين هم من الإيمان يتباركون مع إبراهيم المؤمن " .

أما في الإسلام فقد ورد اسم إبراهيم في سور كثيرة من القرآن الكريم ، تمجّد عقيدته الحنيفية ، مثل قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يَك من المشركين " (النحل : ١٢٠) . وقوله تعالى : " ثم أوحينا إليك أن اتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين " (النحل : ١٢٣) . وكذلك قوله تعالى : " ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتّبع ملّة إبراهيم حنيفاً واتّخذ الله إبراهيم خليلاً " (النساء : ١٢٥) .

ويشير القرآن الكريم إلى الجدل الذي احتدم حول عقيدة إبراهيم قائلاً : " يا أهل الكتاب ، لِمَ تحاجّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلاّ من بعده أفلا تعقلون " (آل عمران : ٦٥) ، " ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين " (آل عمران : ٦٧) .

ولا تقتصر صلة المسلمين بإبراهيم على أنه المبشّر الأول بعقيدة التوحيد ، بل هم يعرفون أيضاً أن إبراهيم هو الذي وضع الأساس للكعبة . قال الله تعالى : " إن أول بيت وضع للناس للّذي ببكّة مباركاً وهدى للعالمين ، فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً " (آل عمران : ٩٦ ـ ٩٧) . كما قال تعالى : " واتّخذوا من مَقام إبراهيم مصلّى ، وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أنْ طَهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركّع السجود " (البقرة : ١٢٥) ، " وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، ربنا تقبّل منا ، انك أنت السميع العليم " (البقرة : ١٢٧) .

وتروي التوراة كيف أن سارة زوج إبراهيم ألحّت عليه ، بعد أن ولدت إسحق في آخر عمرها ، بأن يبعد عنه جاريتها هاجر وولدها إسماعيل * ، فذهب بهما إلى البادية . وقد جاء في القرآن الكريم : " وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمنا . . . ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (إبراهيم : ٣٥ ـ ٣٧) .

وهكذا يبدو أنّ ذرية إبراهيم من إسماعيل الذي تزوج من قبيلة جرهم قد عاشوا في الحجاز واستعربوا . وهم الذين عرفوا بالعدنانيين ، ومنهم انحدرت أسرة الرسول محمد ﷺ .

تذكر التوراة نسب إبراهيم ، فهو إبرام بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام بن نوح . وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى : " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزَرَ أتتخذ أصناماً آلهة " (الأنعام : ٧٤) . وقد تعرض بعض المفسرين إلى الخلاف في اسم الأب ، فقال البيضاوي إن تارح هو الاسم العلم ، وآزر هو الاسم الوصفي .

ولد إبراهيم في أور الكلدانيين ، ثم انتقلت أسرته إلى حرّان ، حيث عاش مدة من الزمن قبل أن يرحل مع ابن أخيه لوط وأهله إلى أرض كنعان * عن طريق تدمر ، فدمشق ، حتى وصل إلى شكيم ، وبيت ايل ، وأورشليم ، حيث استقبله كاهنها الأعظم « ملكي صادق » وباركه . وكان إبراهيم في كل مكان يؤسس المعابد ، ويقيم المحاريب لعبادة الإله الواحد . ثم ظل ينتقل بين فلسطين ومصر والحجاز ، واتخذ مقراً في حبرون ، وهي مدينة الخليل * ، وهناك اشترى من أحد الحثّيين * الحقل الذي تقع فيه مغارة المكفيلة * ، حيث دفن زوجته سارة وأفراد أسرته ، ثم دفن هو أيضاً بعد ان بلغ عمره مائة وخمساً وسبعين سنة .

يبدو من القصص التي ترويها التوراة عن سيرة إبراهيم أنه كان شخصية مرموقة اشتهر بالنزاهة والعدالة والإخلاص والكرم والشجاعة والتقوى وعبادة الله وإطاعة أوامره . وقد أراد الله امتحانه فأمره في الرؤيا بأن يضحّي بولده ، فلم يتردّد في الامتثال للأمر . ولكن الله افتدى الولد في اللحظة الأخيرة بكبش عظيم . واختلفت الآراء حول الذبيح ، هل هو إسحق أم إسماعيل ؟ وقد اتّبع الطبري رواية التوراة التي تقول : " خذ ابنك ، وحيدك الذي تحبه ، إسحق " (سفر التكوين : ٢/٢٢) . إلاّ أن المفسرين المحدثين ، مثل عبد الوهاب النجار يذهبون إلى أن اسم إسحق هنا قد أقحم فيما بعد ، لأن أمر التضحية قد جاء في وقت لم يكن فيه لإبراهيم سوى ولد واحد ، هو إسماعيل ، ولأن إسحق لا تنطبق عليه بالتالي صفة « الوحيد » . كذلك يدل سياق الكلام في القرآن الكريم على أن البشرى بإسحق كانت بعد حادثة الفدية مباشرة (الصافات : ١١٢ ـ ١١٣) .

كان اسم ابراهيم في بادىء الأمر «إبرام» الذي يعني «الأب الرفيع » أو « الأب المكرم » ، ولكن اسمه هذا تغير بعد أن رزق ذرية . تقول التوراة : " ولمّا كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الأب لإبرام ، وقال له : أنا الله القدير . . . فلا يدعى اسمك بعد إبرام ، بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً ، وملوك منك يخرجون " (سفر التكوين : ١٧/١ ـ ٦) .

يستدل من قصص التوراة ومن مجرى الحوادث التاريخية أن إبراهيم الخليل قد ظهر حوالي سنة ١٨٥٠ق.م . ، وأنه كان مع أهله يعيش في الخيام حياة البدو الرعاة ، وينتقل من مكان إلى آخر في أعقاب قبائل العموريين * وغيرهم من الأقوام السامية التي هاجرت

http://al-maktabeh.com

في تلك العصور من بلاد ما بين النهرين وجزيرة العرب إلى سورية وفلسطين .

وتذكر النقوش الكتابية التي عثر عليها في بابل أسماء تشبه اسم إبراهيم كانت شائعة في هذه الصيغ : « إبرامو » و « إبرام » و « إبراما » . كما ترد في نصوص مدينة ماري أسماء عمورية معروفة مثل يعقوب وإسحق وإسماعيل ويوسف * وبنيامين التي تصادف في ذرّية إبراهيم .

المراجع :

ـ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٥ .

ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة ١٩٥٣ .

ـ عباس محمود العقاد : إبراهيم أبو الأنبياء .

— De Vaux, R.: Les Patriarches herbreux et les decouvertes modernes, **Revue Biblique** 1946-1949.

— Parrot, A.: **Abraham et son temps,** 1962.

إبراهيم بن سعد الله بن جماعة (٥٩٦ ـ ٦٧٦ هـ) (١١٩٩ ـ ١٢٧٧ م) :

برهان الدين ، أبو إسحق ، الكناني ، الحموي ، الشافعي ، ولد في حماة ، ونشأ يتيماً . ثم انتقل إلى دمشق ، واشتغل بالعلم فيها ، فقرأ الفقه والحديث . وذُكر أنه " تفقه على الشيخ أبي منصور ابن عساكر ، فخر الدين عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٦٢٠هـ / ١٢٢٢م " . ثم اشتغل بالحديث ، وبقي ملازماً للاشتغال به .

كان برهان الدين عارفاً بعلم أهل الطريق ، وكان للناس اعتقاد فيه .

توجه ابن جماعة هذا إلى مكة حاجّاً أكثر من مرة ، وكانت آخر حجة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٥م . وفي العام نفسه قدم إلى بيت المقدس واستوطنه . وكان أول من استوطن من بني جماعة هناك . ولكنه لم يحظ بالإقامة طويلاً فيه ، فقد ذكر أنه لم يقم في بيت المقدس إلّا أياماً قليلة توفي بعدها ، وصلي عليه بالمسجد الأقصى * ، ودفن بمقبرة ماملا في بيت المقدس . وروى مجير الدين العليمي الحنبلي أن الشيخ برهان الدين بن جماعة كان قد استصحب معه كفنه ، وودع أهل بلده ، وأخبرهم أنه سيموت في بيت المقدس ، فكان ذلك .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .

ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ .

ـ تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

إبراهيم الشنطي (١٩١٠ ـ ١٩٧٩) :

صحفي فلسطيني ولد في مدينة يافا * ، وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة دار العلوم فيها . أنهى دراسته في الجامعة الأمريكية ببيروت ، ونال الإجازة في العلوم السياسية سنة ١٩٣٢ ، وكان في أثناء دراسته الجامعية عضواً في « العروة الوثقى » .

انضم إلى حزب الاستقلال * بعد عودته إلى فلسطين ، وأخذ ينشر المقالات في جريدة الجامعة الإسلامية تحت عنوان : حديث الشباب .

أصدر في شهر شباط سنة ١٩٣٤ جريدة الدفاع * . وقد ركز فيها على مهاجمة الاستعمار البريطاني ، وعدّه أصل البلاء الذي تعاني منه فلسطين ، أما الصهيونية فهي الفرع . وكان هذا في وقت توجه فيه العداء إلى اليهود ، وانتشرت فكرة حياد بريطانية بين طرفي الصراع ، العرب واليهود .

وقد بادر إبراهيم الشنطي ، على أثر إعلان الاضراب العام في فلسطين سنة ١٩٣٦ ، إلى تأسيس الحرس الوطني . فاعتقلته سلطات الاحتلال البريطاني ، وأودعته سجن عوجاء الحفير * في النقب . وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية لزمت جريدة الدفاع جانب الحياد تجاه الأطراف المتحاربة .

استقر في القاهرة بعد نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وأصدر مع أسعد داغر جريدة القاهرة سنة ١٩٥٣ . وقد استمرت في الصدور حتى سنة ١٩٥٧ ، حين عاد إلى القدس * ليتابع الكتابة في جريدة الدفاع ، التي كانت قد عادت إلى الصدور في القدس منذ سنة ١٩٥٠ .

وفي سنة ١٩٥٨ غادر القدس على أثر الصراع السياسي في الأردن ، ثم عاد إليها . لكنه تركها بعد عدوان سنة ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) إلى عمان ، حيث أعاد إصدار جريدة الدفاع للمرة الثالثة . ثم انتخب في ١٩٦٩/٣/١٤ نقيباً للصحفيين الأردنيين .

توقفت جريدة الدفاع عن الصدور في حزيران سنة ١٩٧١ بقرار من الحكومة الأردنية .

توفي إبراهيم الشنطي في عمان في ١٩٧٩/٤/١٥ ، ودفن فيها .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

ـ مجلة الكاتب الفلسطيني : العدد ٨ ، نيسان ١٩٧٩ .

أبو إبراهيم الصغير : رَ : توفيق إبراهيم

إبراهيم طوقان (١٩٠٥ - ١٩٤١) :

شاعر وأديب فلسطيني ، ولد في نابلس * ، في بيت عرف بالعلم والأدب ، وتلقى تعليمه الابتدائي فيها ، ثم انتقل إلى مدرسة المطران (سانت جورج) في القدس ، حيث تفتحت عيناه على كنوز الأدب العربي ، وبدأ يحاول قرض الشعر . وفي سنة ١٩٢٣ انتقل إلى الجامعة الامريكيّة في بيروت ، فكانت أخصب مراحله الدراسية ، وأكثرها وعداً بالعطاء . نشر سنة ١٩٢٤ قصيدة « ملائكة الرحمة » التي لفتت إليه الأنظار ، ثم توالى نتاجه الشعري الوطني والإنساني الجيد ، ولقبته الصحف اللبنانية بشاعر الجامعة . وقد نال شهادته الجامعية سنة ١٩٢٩ وعاد إلى نابلس .

عمل مدرساً في مدرسة النجاح * الوطنية بنابلس ، وبقي فيها عاماً واحداً شهدت فلسطين خلاله ثورة ١٩٢٩ * ، فكان إبراهيم طوقان ينظم الشعر الوطني صرخات حافزة وناراً مشتعلة . ومن أشهر قصائده آنئذ « الثلاثاء الحمراء » التي ألقاها في احتفال مدرسة النجاح السنوي ، ولم يكن قد مضى أكثر من عشرة أيام على إعدام الشهداء فؤاد حجازي * ومحمد جمجوم * وعطا الزير * يوم الثلاثاء ١٧ / ٦ / ١٩٣٠ ، ومطلعها :

لما تعرّض نجمك المنحوس ... وترنّحت بعرى الحبال رؤوس
ناح الأذان وأعول الناقوس ... فالليل أكدر والنهار عبوس
طفقت تثور عواصف ... وعواطف
والموت حينا طائف ... أو خائف
والمعول الأبديّ يمعن في الثرى ... ليردّهم في قلبها المتحجر

وعرض على الشاعر التدريس في قسم الأدب العربي في الجامعة الأمريكية ببيروت ، فقبل ، ودرّس فيه عامين ، عاد بعدهما مدرساً في المدرسة الرشيدية * في القدس . ولكن المرض الذي أصيب به في معدته منذ أن كان طالباً في مدرسة المطران ، اشتد عليه ، فأجريت له عملية ناجحة ترك التدريس بعدها وعاد إلى نابلس ليعمل سنتين في دائرة البلدية ، نظم خلالهما القصائد الوطنية التي صور فيها وضع فلسطين آنئذ تصويراً صادقاً .

وعندما تأسست إذاعة القدس سنة ١٩٣٦ ، وقع الاختيار على إبراهيم طوقان ليكون مراقباً للقسم العربي فيها ، فبقي فيه أربع سنوات . وقد منح هذا القسم جهده ونشاطه ، وجعل البرامج العربية مرآة تنعكس فيها آماله وأمانيه وذوق أهل البلاد وآراؤهم . وكان يكتب للإذاعة الأحاديث الأدبية والقصص والروايات التمثيلية ، وينظم الأناشيد للبرامج الخاصة .

تصدى أثناء عمله في الإذاعة لفئة غير عربية كانت تسعى سعيا حثيثا لتنشيط اللهجة العامية ، وجعلها الغالبة على الأحاديث المذاعة ، واستطاع أن يهزمها . ولكن الصهيونيين والمستعمرين أضمروا له الشر ، فاتهموا البرنامج العربي الذي يشرف عليه بأنه مسخّر للتحريض . وعندما كتب قصة « عقد اللؤلؤ » أو « جزاء الأمانة » التي اقتبسها من كتاب « الاعتبار » لأسامة بن منقذ ، وقدمها في أحد برامج الأطفال ، ادّعى أعداؤه أنها ترمي إلى تحريض العربي على المستعمر ، فأقيل من عمله في أواخر سنة ١٩٤٠ .

غادر طوقان فلسطين إلى العراق ، ليزاول مهنة التعليم في دار المعلمين الريفية في الرستمية ، لكنه وقع بعد شهرين فريسة للمرض ، فعاد إلى نابلس ، ثم أدخل المستشفى الفرنسي في القدس ، حيث أصيب بنزيف حاد قضى على أثره في ٢ / ٥ / ١٩٤١ ، ودفن في مدينة نابلس .

خلف إبراهيم طوقان وراءه ديوان شعر جمعه قبل وفاته ، ونشرته شقيقته الشاعرة فدوى . وهو بحق سجلّ لما كان يجيش به صدره ، وصدور أقرانه من ثورة ومحبة للوطن وتضحية في سبيله .

تحدث عن الأرض ، وهاجم من يبيعها ، وحيّا الثوار والشهداء في « ثلاثائه الحمراء » ، وفي « الشهيد » التي قال فيها :

نفسه طوع همّة ... وجمت دونها الهمم
تلتقي في مزاجها ... بالأعاصير والحمم
تجمع الهائج الخضمّ إلى الراسخ الأشم
وهي من عنصر الفدا ... ء ومن جوهر الكرم
ومن الحق جذوة ... لفحها حرّ الأمم

وكان يحزنه ويضويه خمود العزائم عند بعض حاملي عبء القضية الوطنية ، ووقوفهم عند تقديم البيانات والاحتجاجات ، ويؤلمه عدم مجابهة الخصمين : المستعمر البريطاني والصهيوني الغاصب :

لنا خصمان ؛ ذو حول وطول ... وآخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم . . فأتى وبالاً ... وإذلالاً لنا ذاك التواصي
مناهج للإبادة . . واضحات ... وبالحسنى تنفّذ والرصاص

ولطالما نقد الخلافات الحزبية وأصحابها ، ودعا إلى استنهاض الهمم ، وبذل الدم من أجل الوطن ، لأن الكلام لم يعد يجدي :

وطن يباع ويشترى ... وتصيح " فليحي الوطنْ "
لو كنت تبغي خيره ... لبذلت من دمك الثمن
ولقمت تضمد جرحه ... لو كنت من أهل الفطن

فاز ابراهيم طوقان بلقب شاعر الوطن وشاعر فلسطين ، وسجل قضية بلاده في شعره القوي الذي يمتاز بذلك الطابع

الفلسطيني الخاص ، ويحس به كل من عاش ويعيش الأخطار التي تتعرض لها الأوطان .

المرجع :

- إبراهيم عبد الفتاح طوقان : ديوان إبراهيم ، بيروت ١٩٥٥ .

إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن جماعة
(٧٠٨ - ٧٦٤ هـ)

(١٣٠٨ - ١٣٦٢ م) :

برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة ، الكناني الشافعي . وهو حموي الأصل مقدسيّ الإقامة . اشتغل بالعلم ، وقرأ على شيوخ عصره ، وسمع من شرف الدين أحمد بن هبة الله بن أحمد بن عساكر المتوفى سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م ، وغيره من العلماء .

توجه برهان الدين إلى مكة ، وسمع فيها من عز الدين بن أبي بكر بن خليل ، وتفرد عنه .

ذكر ابن حجر العسقلاني أن شيخه مجد الدين الفيروز أبادي حدّث عن برهان الدين بن جماعة ، وحدّث عنه غيره . وذكر أن العلائي خرّج له مشيخة . وروى عنه ولده إسماعيل ، والحسيني ، وابن سند ، وغيرهم .

كان الشيخ برهان الدين متصوفا ، وذكر أنه " كان يلبس الخرقة عن والده ، عن جده ، عن عمه أبي الفتح نصر الله بن جماعة ، عن محمد ابن الفرات ، عن أبي البيان ، وكان يقول : لا ألبسها من يحضر السماع " .

وكان منقطعاً ، ووصف بأنه كان زاهد وقته . جاور بالمساجد الثلاثة زمانا .

اشتغل الشيخ برهان الدين بن جماعة بالخطابة ، فقد ولي الخطابة في المسجد الأقصى * نيابة ، وخطب فيه زمانا

المراجع :

- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ - ١٩٥٠ .
- مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
- عبد القادر النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ - ١٣٧٠ هـ .

إبراهيم بن عبد الرحيم بن جماعة (٧٢٥ - ٧٩٠ هـ)

(١٣٢٤ - ١٣٨٨ م) :

قاضي القضاة ، شيخ الإسلام ، برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة الكناني ، الحموي ، المقدسي . ولد في مصر ، ونشأ فيها ، وتلقى العلم على جده ، وأهل طبقته . ذكر ابن العماد الحنبلي أن برهان الدين " أحضر على جده ، وسمع من أبيه وعمه ، وطلب بنفسه " ، وسمع من بعض الشيوخ في مصر .

توجه برهان الدين إلى الشام ، طالبا العلم ، فأخذ عن علمائها ولازم جمال الدين عبد الرحمن بن يوسف المزّي الدمشقي المتوفى سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤٠ م ، والذهبي ، ودرس الحديث والفقه والعربية وغيرها من العلوم ، وتفوق في دراسته .

اشتغل برهان الدين في الخطابة * ، وكان والده قد توفي في سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٧ م ، وكتب خطابة القدس باسمه ، فباشرها غيره نيابة ، لصغر سنه ، ثم باشرها برهان الدين بنفسه ، وانقطع لذلك ببيت المقدس . ثم أضيف إليه التدريس بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس ، في سنة ٧٦١ هـ / ١٣٥٩ م ، وجمع بين الخطابة في المسجد الأقصى * ، والتدريس في المدرسة الصلاحية . روى أحمد ابن حجر العسقلاني * أن برهان الدين كان يقول : " ما وليت طالبا ولا معيدا ، وكل التدريس وليته بغير سؤال " ، واستمر برهان الدين يدرس بالمدرسة الصلاحية حتى سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م . وكان برهان الدين مجيداً في تدريسه ، حسن الإلقاء .

وفي سنة ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م ، ولي برهان الدين القضاء في مصر ، وباشره بنزاهة ، وعفة ، ومهابة ، وحرمة . وبقي كذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م . وكان قد عزل نفسه ، فترضاه السلطان ، ثم عزل نفسه في هذا العام نفسه . وعاد إلى بيت المقدس ، وباشر الخطابة بالمسجد الأقصى ، والتدريس بالمدرسة الصلاحية .

وفي سنة ٧٨١ هـ / ١٣٧٩ م ، باشر برهان الدين القضاء بمصر ثانية ، ثم عزل نفسه في سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م ، وعاد إلى بيت المقدس ، وباشر التدريس والخطابة أيضاً .

وفي أواخر سنة ٧٨٥ هـ / ١٣٨٣ م ، ولي برهان الدين القضاء والخطابة في دمشق ، ثم أضيفت إليه مشيخة الشيوخ فيها ، في السنة التالية . واستمر كذلك إلى أن توفي فيها .

درّس برهان الدين العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، فقد درّس الفقه ، وحدّث ، وعني بالتفسير ، وجمع تفسيراً في عشر مجلدات كتبه بخطه كما يقول ابن حجر العسقلاني . وله مجاميع وفوائد كتبها بخطه .

وكان برهان الدين ذا مشاركة جيدة في العلوم ، وقد " انتهت إليه رياسة العلماء في زمانه " . ووصف بأنه " كبير طائفة الفقهاء ، وبقية رؤساء الزمان " . وكان يحب الحديث وأهله ، ويحب الآداب ، ويكثر البذل للشعراء . وكان مغرماً بالكتب واقتنائها ، فقد ذكر ابن حجر أنه " اقتنى من الكتب النفيسة ، بخطوط مصنفيها وغيرهم ، ما لم يتهيأ لغيره " . وكان إلى جانب هذا كله، يتحلّى بخلال حميدة ، فقد كان واسع الصدر ، كثير البذل ، صادعا بالحق ، عاملاً على قمع أهل الفساد . وذكر أنه هو الذي عمر المنبر الرخام بالصخرة الشريفة ، في بيت المقدس ، وكان قبل ذلك من خشب .

وله نظم روى قليلا منه ابن حجر العسقلاني

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ٣٩٩ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في أخبار المدارس ، دمشق ١٣٦٧ ـ ١٣٧٠ هـ .

إبراهيم بن عثمان بن محمد الغزّي

(٤٤١ ـ ٥٢٤ هـ)

(١٠٤٩ ـ ١١٢٩ م) :

أبو إسحق ، الكلبي ، الأشهبي الغزي . وتجعله بعض المصادر ابن عباس ، أو ابن عياش .

شاعر كبير ، ولد بغزة * ونشأ بها ، ثم سافر إلى دمشق ، وسمع من الفقيه نصر المقدسي سنة ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م . ورحل إلى بغداد ، وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة . ثم جاب البلاد وتغرّب في أقطار آسيا . وقد نزل خراسان ، ورثى ومدح غير واحد من مدرّسيها وأعيانها . كما زار كرمان ، ومدح وزيرها مكرم ابن العلاء . وزار أصفهان وخوزستان وغيرهما . وتوفي ما بين مرو وبلخ من بلاد خراسان ، ودفن في بلخ . ونقل عنه أنه كان يقول لمّا حضرته الوفاة : " أرجو أن يغفر لي ربي لثلاثة أشياء : كوني من بلد الإمام الشافعي ، وأني شيخ كبير ، وأني غريب " .

الغزي شاعر مجيد يعدّ في الفحول ، ومن أعظم من أنجبت فلسطين من الشعراء . وصفه ابن العماد الحنبلي بأنه : " شاعر العصر ، وحامل لواء القريض ، وشعره كثير سائر متنقل في بلد الجبال وخراسان " . وقال ابن عساكر عنه : " كان أحد فضلاء الدهر ، ومن يضرب به المثل في صناعة الشعر " . وقال ابن خلكان : " وله من القصائد المطولات كل بديع " . وقد استشهد علماء البلاغة بالكثير من شعره .

وشعر الغزي متعدد الأغراض جيد السبك ، وألفاظه منتقاة وصناعته متقنة . وممن تنبه له في العصر الحديث الشاعر محمود سامي البارودي فأورد له في مختاراته لفحول الشعراء ١,٠١٥ بيتاً . وله ديوان لم يحقق حتى الآن ، ومنه ، نسخة في الخزانة التيمورية فيها نحو ٥,٥٠٠ بيت . وهناك نسخة أخرى بدار الكتب المصرية (رقمها ١٢٢ في قسم الأدب) وكان لدى العلامة محمد بهجة الأثري ، والعلامة محمد راغب الطباخ نسخة من ديوانه المخطوط .

المراجع :

ـ ابن الجوزي : المنتظم ، حيدر آباد ١٣٥٨ هـ .
ـ العماد الأصفهاني : الخريدة (القسم العراقي) ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٥ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .
ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ ابن عساكر : التاريخ الكبير ، مجلد ٢ (روضة الشام) ، دمشق ١٣٣٠ هـ .
ـ محمد راغب الطباخ : ديوان الغزّي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٤٦ .

إبراهيم بن عمر الجعبري (٦٤٠ ـ ٧٣٢ هـ)

(١٢٤٢ ـ ١٣٣٢ م) :

الخليلي ، برهان الدين ، ابن السراج ، شيخ الخليل . شيخ القرّاء في زمانه . ولد بقلعة جعبر (على الفرات بين بالس والرقة) في حدود سنة ٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م ، فنسب اليها . نشأ وتعلم فيها ، وسمع من قاضيها جمال الدين محمد بن سالم المنبجي . ثم رحل إلى بغداد بعد سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م ، فسمع فيها من علمائها ، وأخذ عنهم ، وتلا بالقراءات السبع ، والقراءات العشر ، وروى الشاطبية بالإجازة . وقرأ الفقه على تاج الدين بن يونس الموصلي . ثم توجه إلى دمشق ، ونزل بالخانقاه السُّميساطية ، وأعاد بالغزالية ، وسمع من جماعة العلماء ، وباحث ، وناظر ، وأقام مدة في دمشق . ثم ولي مشيخة الحرم بالخليل ، وأقام فيها أربعين عاماً . وقد علا صيته وطارت شهرته فقصده طالبو العلم ، ورووا عنه ، ومنهم السبكي ، والذهبي . وقرأ عليه ثانيهما كتاب « نزهة

البررة في القراءات العشرة » . وسمع منه صلاح الدين الصفدي ، وغيرهم .

وصنف برهان الدين هذا مصنفات كثيرة ، معظمها مختصر ومخطوط ، أربت على المائة ، وهي في القراءات ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والعربية ، والتاريخ . ومنها ، « نزهة البررة في القراءات العشرة » ، و« عقود الجمان في تجويد القرآن » ، و« الاهتداء في الوقف والابتداء » ، و« حدود الإتقان في تجويد القرآن » ، و« كنز المعاني في شرح حرز الأماني » ، وهو شرح كبير للشاطبية ، و« خميلة أرباب المقاصد » ، وهو شرح لرائية الشاطبي في رسم المصحف ، و« رسوم التحديث في علوم الحديث » ، و« روضة الطرائف في رسم المصاحف » و« رسالة في أسماء الرواة المذكورين في الشاطبية » ، و« مناقب الشافعي » و« المناسك » ، و« مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل » لابن الحاجب و« مختصر مقدمة ابن الحاجب في النحو » و« الإفهام والإصابة في مصطلح الكتابة » و« السبيل الأحمد إلى علم الخليل بن أحمد » ، و« الترصيع في علم البديع » ، وغيرها . وله شعر في ديوان طبع بمصر سنة ١٨٢٤ م . وذكر ابن حجر العسقلاني ، وابن شاكر الكتبي ، وابن تغري بردي واليافعي شيئاً منه .

توفي ودفن بظاهر الخليل .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ـ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، القاهرة ١٢٩٩ هـ .
ـ الصلاح الصفدي : الوافي بالوفيات ، الآستانة ١٩٣١ .
ـ ابن كثير : البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٥١ ـ ١٣٥٨ هـ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٣٧٥هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ جلال الدين السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، القاهرة ١٢٨٣ هـ .
ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، القاهرة ١٩٣٩ .

أبو إبراهيم الكبير : رَ : خليل محمد عيسى

إبراهيم لاما : رَ : بدر لاما

إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن علي

(٨٣٦ ـ ٩٢٣ هـ)

(١٤٣٢ ـ ١٥١٧ م) :

شيخ الإسلام برهان الدين أبو إسحق ، ابن أبي شريف المري ، المقدسي ، المصري ، الشافعي .

الإمام ، العلاّمة ، قاضي قضاة الشافعية في مصر . ولد في القدس * ونشأ بها ، ودرس على أخيه الكمال وحفظ القرآن وهو ابن سبع ، ولازم سراج الدين الرومي ويعقوب الرومي ، والتقى القلقشندي من شيوخ بيت المقدس . ثم انتقل إلى القاهرة فقرأ على عدد من شيوخها ، منهم جلال الدين المحلي وشيخ الإسلام ابن حجر وعلم الدين البلقيني والبوتيجي والأبشيهي وأبي الفضل المغربي وسعد الديري . وفي سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م أدّى فريضة الحج ، وسمع من مشايخ مكة والمدينة ، وأذنوا له بالإفتاء والإقراء .

بقي برهان الدين في القاهرة ، واستقر فيها طوال حياته . وتولى المناصب الجليلة ، من بينها تدريس التفسير في جامع ابن طولون ، والتدريس في عدة مدارس ، منها المزهرية والمؤيدية والحجازية . وفي سنة ٩٠٦ هـ فوّض إليه قضاء مصر ، فبقي فيه أربع سنوات . ثم ولاّه السلطان الغوري مشيخة قبته الغورية ، واستمر في المشيخة سنوات ، إلى ان عرضت حادثة وقف فيها بشجاعة يعارض رأي السلطان ، فعزل ولزم بيته لا يتردد على أحد من الولاة أبداً ، والناس يقصدونه للأخذ عنه والاشتغال عليه في العلوم العقلية والنقلية ، وصار عالم مصر ، وعليه المدار في الفتيا . وكان يتقوّت من مصبنة له بالقدس ، ولا يأكل من معاليم مشيخة الإسلام شيئاً .

وضع شيخ الإسلام برهان الدين كثيراً من المصنفات ، منها « شرح قواعد الإعراب » لابن هشام ، و« منظومة في القراءات » ، و« نظم النخبة » ، و« شرح المنهاج » ، و« شرح الحاوي » ، وكتاب في « الآيات التي فيها الناسخ والمنسوخ » ، وغير ذلك كثير ، نظماً ونثراً .

وكانت وفاته في القاهرة ، ودفن بجوار ضريح الإمام الشافعي .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١ هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

ـ جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
ـ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٢٨ هـ .
ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٤٥ .

إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح

(٨١٦ ـ ٨٨٤ هـ)

(١٤١٣ ـ ١٤٧٩ م) :

القاضي برهان الدين المقدسي ، ثم الصالحي الحنبلي .

من كبار علماء الحنبلية وقضاتهم ، وعلم بارز من أسرة بني مفلح ، بيت الرياسة والعلم في الشام ، الذين وردوا في الأصل من قرية رامين ، بين نابلس * وطولكرم * ، ونزلوا الصالحية بدمشق . ويعرف كأسلافه بابن مفلح ، وهم جميعاً يعرفون بالمقادسة .

ولد بدمشق ، ونشأ بها . فحفظ القرآن وكتبا منها « المقنع في المذاهب » ، وألفية بن مالك ، والشاطبية والرّائية . وسمع على جماعة من العلماء منهم فقيه الشافعية تقي الدين الأسدي الشهير بابن قاضي شهبة ، وقاضي الحنابلة عز الدين البغدادي ، وروى عن جماعة . وبرع في الفقه وأصوله ، وانتفع به الفضلاء . وقد عمل في التدريس والقضاء والتأليف ، فدرّس بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية شرقي دير الحنابلة ، ودار الحديث الأشرفية بسفح قاسيون ، والحنبلية والمُسمارية في محلة القيمرية ، والجوزية بالقرب من الجامع الأموي ، والجامع المظفري أو جامع الحنابلة بسفح قاسيون في حي الأكراد . وولي قضاء دمشق غير مرة ، فقام بمهامه خير قيام . وطلب لقضاء مصر فاعتذر . وانتهت إليه رياسة الحنابلة ، وصار مرجع الفقهاء والناس والمعوّل عليه في الأمور .

اشتغل بالتأليف فوضع مصنفات في الفقه والأصول والطبقات منها : شرح المقنع في الفقه الحنبلي وسماه « المبدع » ، و « الآداب الشرعية لمصالح الرعية » في مجلدين ، و « المقصد لأرشد في ترجمة أصحاب الإمام أحمد » في طبقات الحنابلة ، وهو مرتب على حروف المعجم ، وله كتاب في الأصول .

توفي القاضي برهان الدين بمنزله بدار الحديث الأشرفية بدمشق ، وحضر جنازته نائب الشام وخلق كثير ، ودفن بالروضة في الصالحية ، عند أبيه وأجداده .

المراجع :

ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ، ١٩٤٥م .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

إبراهيم بن محمد بن محمد بن جماعة

(٨٠٥ ـ ٨٧٢ هـ)

(١٤٠٢ ـ ١٤٦٧ م) :

قاضي القضاة برهان الدين ، أبو إسحق ، ابن جماعة الكناني ، الشافعي ، المقدسي . ولد في بيت المقدس ، ونشأ فيه ، وأخذ عن العلماء فيه ، وقرأ على مشايخ عصره . وذكر السخاوي أنه حفظ القرآن ، وسمع صحيح مسلم على جده لأمه ، وحصل على الإجازة ، وقد استجيز ببعض الاستدعاءات ، كما ذكر السخاوي .

اشتغل برهان الدين بالخطابة * ، والتدريس ، والقضاء * . فقد ولي الخطابة في المسجد الأقصى * نيابة عن والده . وذكر أنه كان « يخطب من إنشائه بفصاحة لفظ ، وصوت عال صقيل » . وكان يلقب بخطيب الخطباء .

وولي التدريس بالمدرسة الدوادارية في بيت المقدس . وولي القضاء نيابة عن والده ، ثم وليه استقلالاً بعد وفاة القاضي علاء الدين بن السائح ، في عهد الملك الأشرف إينال ، وكان ذلك في السادس عشر من شهر شعبان سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٢م . وباشر القضاء « بشهامة ، وحرمة زائدة ، وحشمة وافرة » .

حظي برهان الدين بمكانة مرموقة ، وعلت كلمته ، ونفذ أمره . واستمر مشتغلاً بالقضاء وغيره ، في بيت المقدس ، إلى ان توفي ، ودفن في تربة ماملا .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ١٣٩٩هـ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨م .

إبراهيم بن محمد بن مفلح الراميني

(٧٤٩ ـ ٨٠٣ هـ)

(١٣٤٨ ـ ١٤٠٠ م) :

برهان الدين ، أو تقي الدين ، أبو إسحاق ، الراميني الأصل ، المقدسي ، ثم الدمشقي .

إمام علاّمة ، فقيه ، رئيس الحنابلة بدمشق وقاضي قضاتهم . وهو من بني مفلح الحنابلة المشهورين بالعلم الذين نزحوا إلى الصالحية من قرية رامين قرب نابلس * . أخذ عن جماعة من العلماء ، منهم والده وجدّه قاضي القضاة جمال الدين المرداوي . وقرأ على بهاء الدين السبكي . ثم اشتغل بالعلم والفتوى والتدريس والتأليف والمناظرة ، فشاع اسمه واشتهر ذكره ، وأخذ عنه جماعة منهم ابن حجر العسقلاني * . وقد تسلم طائفة من المناصب العلمية ، منها التدريس بدار الحديث الأشرفية ومدرسة الصاحبة وغيرهما ، كما تولى قضاء دمشق نيابة ، ثم استقلالاً . وانتهت إليه في آخر عمره مشيخة الحنابلة . وكان له « ميعاد » بمحراب الحنابلة بالجامع الأموي بكرة يوم السبت (الميعاد : التدريس غير المتواصل ، أي مرة أو مرتين في الأسبوع) . ولما جاء تيمورلنك بقي في دمشق ، وكان من ضمن الوفد الذي خرج للقاء تيمورلنك ظاهر دمشق . ويظهر أنه تحادث مع الزعيم التتري بشأن الصلح ، فأجابه إلى ذلك ، ثم غدر تيمورلنك ، فتألم ابنُ مفلح ، وحصل له تشويش في بدنه إلى أن توفي ودفن عند رجلي والده بالروضة بدمشق .

صنّف الإمام ابن مفلح كتباً كثيرة منها : « فضل الصلاة على النبي ﷺ » ، و « كتاب الملائكة » ، و « شرح المقنع » . وقد تلف معظمها عندما اجتاح تيمورلنك دمشق . وله أيضاً « الذيل على طبقات الحنبلية للفرّاء » ، وقد احترق غالبه .

المراجع :

- إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٥ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حيدر آباد ١٩٤٣ .
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، مصر ١٣٥١هـ .
- محمد بن علي ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، دمشق ١٩٤٩ .
- عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

إبراهيم مصطفى الدباغ (١٨٨٠ ـ ١٩٤٦) :

شاعر ، صحافي ، ولد في مدينة يافا * ، ودرس في كتاتيبها ، ثم اشتغل خياطاً وحداداً . ولقي عبد الله نديم خطيب الثورة العرابيّة عندما نفي إلى يافا سنة ١٨٩٢ ، فشجعه على الدرس ، فانتسب إلى الأزهر ، وقضى فيه عشر سنوات حصل في نهايتها على شهادة العالمية . وفي القاهرة أصبح له أصدقاء ومعارف من مختلف الطبقات : من رجال السياسة والحكم والأحزاب ، ومن الصحفيين والشعراء والكتّاب . وكان من أساتذته الشيخ محمد عبده ، وسيد علي المرصفي ، والشيخ محمد المهدي ، والشيخ حسن الطويل . ومن لداته المنفلوطي ، وأحمد نسيم ، وعبد العزيز جاويش ، وولي الدين يكن ، وأحمد محرم . والتحق بندوات عبد الخالق السادات والبارودي وآل تيمور وشيرين . وصفه صديقه أحمد تيمور بقوله : " كان ذلق اللسان ، عذب الكلام ، فكه الروح . كان آية عصره في قوة الذاكرة وحضور البديهة وسعة الاطلاع " .

أخذ الدباغ ينظم الشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره وقد أسعفته ذاكرته على حفظ ما نظمه فحول الشعراء القدامى والمحدثين ، فجاء شعره فيما بعد « ناصع الديباجة محكم النسج » . وقد أجمع الشعراء والنقاد وذوو البصر بالأدب على امتداح شاعرية الدباغ ، حتى قال أحدهم : " امتاز شعر الدباغ بالقوة ثم بالعاطفة في أبهى وجوهها " . وقال آخر : " إنه شاعر الإنشائية" . وقال ثالث : " كان شاعراً عصريّ المعاني والموضوعات ، تجيش نفسه بما يدور حوله من أحداث سياسية وحوادث اجتماعية ، فيستمد منها الوحي ، ولذا جاء شعره كثير المناحي متعدّد الجوانب " .

عمل الدباغ في الصحافة * فترأس تحرير عدد من الجرائد والصحف ، مثل : « العهد القديم » و « التمثيل والمسرح » و « القاهرة » ، وأنشأ مجلة « الإنسانية » من ١٩٠٣ ـ ١٩١١ . انضمّ إلى الحزب الوطني ، وتوثقت صلته بزعمائه ، وقد عرف عنه عشقه للحرية ، وتمسكه بكبريائه . ولم ينس بلده في شعره فندّد بالهجرة الصهيونية وحذّر من الأطماع اليهودية .

توفي الدباغ في القاهرة أعمى فقيراً بعد أن عانى المرض طويلاً . ومن آثاره :

١) ديوان « الطليعة » : وهو جزءان ، نشرهما سنتي ١٩٢٦ و ١٩٣٨ ، وضمنهما قصائده الوطنية عن مصر وفلسطين . وقد مدح في أكثرها شيوخه في الأزهر ، وقصائد أخرى هنّأ فيها السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد * وخديوي مصر (مطبوع) .

٢) حديث الصومعة : رسائل في الأدب والفكاهة والنقد (مطبوع) .

٣) في ظلال الحرية : رسائل ومقالات في الأدب والنقد والتاريخ والسياسة والاجتماع .

٤) شهد وعلقم : مقالات وقصائد منوعة .

٥) الشعراء قديماً وحديثاً في الميزان .

٦) تاريخ الحرية والعالم .

٧) رسالة في التصوف وأبي العلاء .

٨) أربعة دواوين شعرية تشمل شعر الصبا .
وقد فقدت الكتب الخمسة الأخيرة .

المراجع :

ـ ناصر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

إبعـــاد : رَ : النفي والإبعاد من فلسطين (سياسة ـ)

الأبقـــار : رَ : الحيوانات الأليفة

أبلعـــام : رَ : بلعام

أبناء البلد (حركة ـ) :

شكل بروز حركة المقاومة الفلسطينية كحركة تحرر وطني ، انعطافاً تاريخياً هاماً في مسيرة النضال العربي عامة ، والفلسطيني خاصة ، وترافق ذلك مع هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ونتائجها والمعطيات التي أفرزتها على الساحة العربية مما كان له انعكاساته على الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨ ، إضافة إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية السيئة التي يعاني منها في ظل الاحتلال الصهيوني وممارساته العنصرية ، ومحاولاته المستمرة لإذابة الشخصية الفلسطينية .

وأدت هذه العوامل مجتمعة إلى بروز الوعي الوطني الذي عبرت عنه حركة أبناء البلد . وقد بدأت الحركة نشاطها في بلدة أم الفحم * ، من قضاء جنين سنة ١٩٧٢ بهدف تعبئة وتنظيم الشباب الفلسطيني في الأراضي المحتلة سنة ١٩٤٨ ، من خلال تنظيم وطني يقود النضال الفلسطيني في مواجهة الاحتلال الصهيوني .

كان عام ١٩٧٥ نقطة مهمة في مسيرة الحركة ، فقد وجدت في الحركة الطلابية الفلسطينية في الجامعات الإسرائيلية حليفاً طبيعياً لها ، ولا سيما في الجامعة العبرية بالقدس التي يدرس بها أكثر من ٥٠٠ طالب فلسطيني، إضافة إلى ١,٥٠٠ طالب فلسطيني في الجامعات الخمس الأخرى ، مما عزز نضال الحركة وأوجد لها قاعدة شعبية واسعة ، وأصبح الكثيرون من فلسطينيي الداخل مستعدين للانضواء تحت لوائها .

وامتد نشاط الحركة إلى القرى الأخرى في المثلث والجليل حيث نشطت في قرى عديدة منها : كابول وسخنين وكفر كنا * ونحف والطيبة * وعارة وجت . واستطاعت الحركة ايصال أحد أعضائها إلى عضوية المجلس المحلي لأم الفحم سنة ١٩٧٤ ، وإنجاح مرشحها لرئاسة المجلس المحلي في قرية كابول .

ومع تطور حركة أبناء البلد ، وتكثيف نضالها وامتداده ، تم وضع نظام داخلي لها سنة ١٩٧٦ تحددت بموجبه مؤسساتها التنظيمية ، وهي :

١) المؤتمر العام : وهو أعلى سلطة للحركة ، وقراراته ملزمة للأعضاء والهيئات ، ويعقد مرة كل سنة ، إلاّ إذا دعت الضرورة إلى عقده ، ومهمته تقرير الخط العام للحركة بين مؤتمر وآخر .

٢) الهيئة الإدارية : وتتألف من خمسة أعضاء ينتخبهم المؤتمر العام . وهي التي تدير وتوجه نشاط الحركة بين فترات انعقاد المؤتمر العام ، وتعين لها لجاناً فرعية .

٣) لجنة الرقابة : مهمتها مراقبة جميع مؤسسات الحركة وأعضائها ضمن الصلاحيات المنوطة بها .

٤) لجنة المالية : وتتولى جمع اشتراكات الأعضاء الشهرية ، وتنظيم الحملات والتبرعات المالية . وإلى أن تتم إقامة هذه المؤسسات ، شكلت الحركة " لجنة التنسيق " كمرحلة انتقالية .

وتعتمد حركة أبناء البلد من حيث تنظيم أعضائها على خلايا تقام في التجمعات السكنية والجامعات ، وخلايا للأشبال والزهرات والفتيات . ويتعرض أعضاء الحركة إلى ملاحقة واضطهاد السلطات الصهيونية واعتقالهم .

وفي بداية سنة ١٩٧٩ قدمت حركة أبناء البلد في قرية أم الفحم مشروع برنامج سياسي عرضته على لجنة التنسيق ليكون برنامجاً سياسياً " للحركة الوطنية التقدمية في البلاد " التي تشكل " أبناء البلد " عمودها الفقري . ويتكون البرنامج من سبعة أبواب يضم كل منها عدة بنود :

يتناول الباب الأول قضية الشعب العربي الفلسطيني منذ بداية نضاله ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني ، مؤكداً وحدة الشعب العربي الفلسطيني ، وأن الحركة جزء لا يتجزأ من هذا الشعب ، وأن أي حل للقضية الفلسطينية يجب أن يأخذ بعين الاعتبار العرب الفلسطينيين الباقين في أرضهم منذ عام ١٩٤٨ . وترى الحركة أنه لا بد من أن يمارس الشعب العربي الفلسطيني حقه

في تقرير مصيره بنفسه على أرض وطنه . وتؤمن بأن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

ويتحدث الباب الثاني عن الصهيونية * وممارساتها الاستيطانية في فلسطين ، ويبين أن الصهيونية حركة استيطانية استعمارية عنصرية ترمي إلى بناء وجودها على أنقاض الشعب الفلسطيني ، وهي مرتبطة مصيرياً بالاستعمار العالمي ، فالصهيونية وأداتها (إسرائيل) عدوتان للشعب الفلسطيني والأمة العربية .

ويتطرق الباب الثالث إلى المسألة اليهودية . وتقترح الحركة على الشعب العربي الفلسطيني وعلى اليهود في البلاد أن يمارسوا حقهم في تقرير المصير في إطار مجتمع علماني ديمقراطي اشتراكي ، وفي نطاق وحدوي تقدمي مع الوطن العربي تضمن فيه جميع الحقوق القومية والدينية والحضارية لمختلف الأقليات القومية والدينية .

وتحدد الحركة في الباب الرابع نضال الجماهير الفلسطينية التي تعيش تحت الاحتلال الصهيوني منذ ١٩٤٨ ، وتراه جزءاً من نضال الشعب العربي الفلسطيني ومن حركة التحرر الوطني والقومي العالمية ضد الاستعمار والرجعية .

وتتبنى الحركة في الباب الخامس الاشتراكية العلمية لحل المسألة الاقتصادية والاجتماعية ، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصائص والظروف الموضوعية التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية . وتؤكد أن النضال في الأساس تحرري وطني بناء على المرحلة التاريخية التي يمر بها الشعب العربي الفلسطيني .

ويتطرق الباب السادس إلى النضالات اليومية للجماهير الفلسطينية مصوراً مظاهر التمييز العنصري والقهر القومي الذي تمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني ضد جماهير الشعب العربي الفلسطيني .

وتتحدث الحركة في الباب السابع عن أسلوب نضالها ، وتقرر أنه نضال سياسي واجتماعي وتربوي وحضاري يهدف إلى تنظيم وتعبئة الجماهير لأجل تحقيق أهداف الحركة .

وترفض الحركة جميع التسويات السياسية ، الجزئية منها والشاملة، وخاصة قراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ و٣٣٨ (رَ : حرب ١٩٧٣) ، انطلاقاً من إيمانها بعدم إمكانية استرجاع حقوق الشعب الفلسطيني القومية عن طريق الجهود السياسية .

المراجع :

ـ محمود محارب : حركة أبناء البلد في فلسطين المحتلة ، مجلة الدستور ، العددان ٤٣٦ و٤٤١ ، ١٩٧٩ .
ـ مجلة آفاق عربية : السنة الرابعة ، العدد ١٢ ، آب ١٩٧٩ ، بغداد .
ـ مجلة الهدف : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، الأعداد : ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٣٩ ، لعام ١٩٧٩ ، بيروت .

أبناء موسى (جمعية ـ) : رَ : أحباء صهيون

ابن عامر (مرج ـ) : رَ : مرج ابن عامر (سهل ـ)

ابن هنّوم (وادي ـ) :

يقع هذا الوادي في الجنوب والغرب من مدينة القدس * . ورد في التوراة * باسم وادي هنّوم (يش ١٥ : ٨ ونح ١١ : ٣٠) ووادي ابن هنوم (يش ١٥ : ٨ ونح ١٨ : ١٦) ، ووادي بني هنوم (٢مل ٢٣ : ١٠) . وهو واد ينحدر من باب الخليل إلى البئر المسماة بئر أيوب ، ويفصل جبل صهيون عن تل أبي ثور . ويسمى الجزء الجنوبي الشرقي منه توفة ، أو وادي القتل ، ويسمى اليوم وادي ربابة . يلتقي وادي هنوم مع وادي قدرون في جنوب القدس ، وبذلك يحيط هو ووادي قدرون بالمدينة من الجهات الثلاث ؛ الشرق والغرب والجنوب (رَ : النار ، وادي) .

أجازَ آحاز ومنسى أولادهما في هذا الوادي بالنار على عادة أهل كنعان . وهذا يدل على أن اليهود ، أثناء إقامتهم بفلسطين ، عبدوا الآلهة الكنعانية ، آلهة البلاد الأصليين ، وعندما انحرف اليهود عن ديانتهم ، وتبعوا ديانة الكنعانيين ، جاء يوشيا وأبطل هذه العبادة بتنجيسه الوادي والمرتفعات بعظام الأموات وأشياء أخرى دنسة ، وبتكسيره التماثيل ، ثم صار متغوَّطا تنصبّ إليه مجاري البلد ، ومرمى كناساتها . وبالنظر إلى ما تنجس به هذا الوادي بالنيران المستعملة لإحراق الكناسات والأوساخ سمّاه اليهود وادي جهنم ، وجعلوه علماً لموضع عذاب الخطاة والنار الأبدية ، وبهذا المعنى وردت لفظة جهنم في العهد الجديد ، (مت ٥ : ٢٢ و١٠ : ٢٨ و٢٣ : ١٥) .

المراجع :

ـ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .
ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٩ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٥ .

أبو زُرَيق (قرية ــ) :

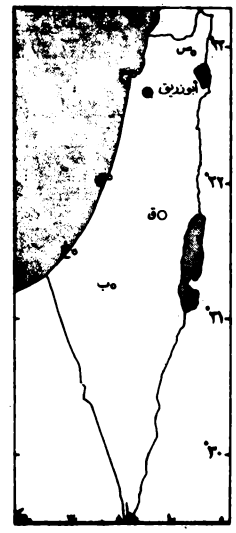

قرية عربية أخذ اسمها من اسم الطائر المعروف . وتقع على بعد ٢٣ كم جنوبي شرق حيفا * . وتمر بشرقها طريق حيفا ـ جنين ، وتربطها بها طريق غير معبدة طولها نصف كيلومتر .

أنشئت أبو زريق على السفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل * ، على ارتفاع ١٢٠ م فوق سطح البحر ، ويمر بشمالها الشرقي نهر المقطع * على بعد ٣ كم ، في حين يمر وادي القصب ، رافد نهر المقطع ، بجنوبها على بعد يقل عن الكيلومتر . ومن شرقها يبدأ وادي الجنّب الذي يتحد مع الوادي الذي تجري به مياه عيون البقر وعين الجربة ليكوّنا معاً وادي أبو زريق رافد نهر المقطع . وللقرية ينابيع عدة منها ، عين الجربة في حافة مرج ابن عامر إلى الشمال من القرية ، وعيون البراك في شمالها الشرقي ، وعيون البقر ، وعين الجنب في شرقها . وأما بئر أبو زريق التي تشرب منها القرية فهي بئر كفرية (رومانية) تقع في شرق القرية على بعد قرابة ربع كيلومتر ، قرب طريق حيفا ـ جنين .

كانت منازل القرية تنتشر متباعدة ، بامتداد عام من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، فوق حافة جبل الكرمل المطلة على مرج ابن عامر * ، ويتفق هذا مع توزع الملكيات الزراعية . وقد بنيت مساكن القرية من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح ، وسقف قسم منها بالأخشاب والقش والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة أراضي القرية ٦,٤٩٣ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً . ويقع نصف هذه المساحة تقريباً في جبل الكرمل ، ويقع الباقي في مرج ابن عامر .

عاش في أبو زريق ٤٠٦ نسمات من العرب في عام ١٩٣٨ ، ارتفع عددهم إلى ٥٥٠ نسمة في عام ١٩٤٥ وكان في القرية جامع ومدرسة ابتدائية للبنين يدرس بها أيضاً أطفال قرية أبو شوشة المجاورة .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب *بأنواعها . وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ١٠٠ دونم مزروعة زيتوناً * مثمراً ، وزرعت أنواع أخرى من الأشجار المثمرة في مساحات صغيرة ، وزرع البرتقال في دونم واحد فقط . وتركزت بساتين الأشجار المثمرة في شمال شرق القرية وفي جنوبها . وقد زرعت الخضر * ريّا في مساحات قليلة .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ــ خارطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة مجدو .
ــ خارطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

أبو زينة (قرية ــ) : رَ : خربة أبو زينة (قرية ــ)

أبو شوشة (قرية ــ) :

يوجد في فلسطين عدد من القرى بهذا الإسم منها :

أ ـ أبو شوشة / قضاء الرملة : قرية عربية تقع على بعد نحو ٨ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرملة * . لموقعها الجغرافي منذ القديم أهمية كبيرة من الناحيتين التجارية والعسكرية ، لأن القرية كانت واقعة على الطريق القديم بين المنطقة الجبلية والسهل الساحلي ، ولأنها نشأت فوق تل الجزر ذي الأهمية الاستراتيجية .

قامت أبو شوشة على بقعة مدينة جازر الفلسطينية التي تعود بتاريخها إلى العصر الحجري الحديث (رَ : العصور القديمة) . وفي العهد الروماني ذكرت باسم « جازار » من أعمال عمواس ، وذكرتها مصادر الإفرنج باسم « مونت جيزارد » ، أي جبل جيزارد . وقد يكون اسمها تحريفاً لكلمة « شوشا » السريانية بمعنى السائس . ويرتفع موضعها الذي قامت عليه أكثر من ٢٠٠ م فوق سطح البحر ، ورقعتها المحيطة بها ذات أراض متموجة تقترب من أقدام المرتفعات الجبلية ، لوجودها في أقصى الطرف الشرقي للسهل الساحلي .

بلغت مساحة القرية ٢٤ دونماً ، وكانت بيوتها المندمجة تتألف من الطوب والحجر . وقد ضمت القرية مسجداً وبعض الحوانيت ، ومدرسة ابتدائية صغيرة بلغ عدد طلابها في عام ١٩٤٧ نحو ٣٣ طالبا . وتحيط بها آثار كثيرة إلى جانب الآثار الموجودة داخل القرية نفسها . وتشتمل هذه الآثار على الآبار والقاعات والقبور المنقورة في الصخر والأبنية والمغاور (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وتتوافر

المياه الجوفية في المنطقة المحيطة بالقرية ، وبخاصة مياه الآبار . أما الأمطار فإنها تهطل بكميات كافية لزراعة المحاصيل الزراعية ولنمو الأعشاب الطبيعية الصالحة للرعي .

بلغت مساحة أراضي أبو شوشة ٩,٤٢٥ دونماً ، منها ١٩٢ دونماً للطرق والأودية ، و ٦,٣٣٧ دونماً تسربت إلى الصهيونيين الذين أنشأوا في ١٩٤٥/٣/١٣ مستعمرة « جزر» بظاهر تل الجزر الشمالي . وأهم زراعات أبو شوشة الحبوب * والأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * .

بلغ عدد سكانها عام ١٩٢٢ نحو ٦٠٣ نسمات ، زاد عددهم إلى ٦٢٧ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٨٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان معظم سكانها يعملون في الزراعة * وتربية المواشي . وفي عام ١٩٤٨ قام الصهيونيون بطرد هؤلاء السكان العرب وتدمير قريتهم التي أصبحت أثراً تاريخياً . وقد أنشأوا في عام ١٩٥٢ مستعمرة « بتاحيا » في ظاهر أبو شوشة الجنوبي الغربي ، وأنشأوا في عام ١٩٥٥ مستعمرة « بيت عزيل » في ظاهر أبو شوشة الغربي .

ب ـ أبو شوشة /قضاء طبرية : قرية عربية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة طبرية * . وتبعد قليلا عن ساحل بحيرة طبرية * الغربي . تربطها طريق ثانوية بطريق طبرية ـ صفد الرئيسة ، وتتفرع منها عدة دروب ترابية ، يصلها أحدها بقرية ياقوق * . وتصلها الطريق الرئيسة المذكورة بقرية الطابغة *

نشأت أبو شوشة في غور أبو شوشة ، وهو سهل انهدامي ـ غوري يمتد إلى الجنوب من سهل الغوير . وتنخفض القرية ١٧٥ م عن سطح البحر ، ويمرّ بالقرب منها وادي الربضيّة من الجهة الجنوبية ، في حين يخترق وادي العمود * الجزء الشمالي من القرية . وقد أقيمت أبو شوشة عند بداية مخروط انصباب (مروحة فيضية) شكّله وادي الربضية أسفل الحافة الغربية لغور أبو شوشة حيث تبدأ التلال بالارتفاع التدريجي نحو الغرب . وتوجد بعض ينابيع الماء في القرية تزود سكانها بمياه الشرب ، كذلك توجد ينابيع أخرى قريبة من شاطىء بحيرة طبريّة .

مساحة القرية ستة دونمات ، ومساحة الأراضي التابعة للقرية ١٢,٠٩٨ دونما ، منها ٥٠ دونما للطرق والأودية . وغرس البرتقال في ٢٠٠ دونم منها . وقد أقيمت مزارع البرتقال حول القرية في الجهات الغربية والشمالية والجنوبية ، وامتدت بساتين الخضر * في الجهة الشرقية . وتحيط بأراضي أبو شوشة أراضي الطابغة وياقوق والقديرية * والمغار * والمجدل * .

بلغ عدد سكان أبو شوشة في عام ١٩٤٥ قرابة ١,٢٤٠ نسمة . وقد أخرجهم الصهيونيون من ديارهم في عام ١٩٤٨ ، وأقاموا مستعمرة « جينوسار » على الشاطىء الغربي لبحيرة طبرية ، أمام قرية أبو شوشة ، وعلى بعد كيلومترين إلى الشمال من المجدل .

جـ ـ أبو شوشة / قضاء حيفا : قرية عربية تقع على بعد ٢٥ كم جنوب شرق حيفا * ، وتمر طريق حيفا ـ جنين المعبدة بشمال القرية الشرقي ، وترتبط بها بطريق غير معبدة طولها نصف كيلومتر .

أنشئت أبو شوشة على السفح الشمالي الشرقي لجبل الكرمل * ، وهي بذلك تطل على مرج ابن عامر * ، وترتفع ١٢٥ م عن سطح البحر . يمر نهر المقطّع * بشمالها على بعد ٤ كم تقريبا ، وهو الحد الشمالي لأراضيها . ومن الأودية الأخرى التي تبدأ من أراضي القرية أو تمر بها وادي عين التينة الذي ينتهي في نهر المقطع ، ووادي القصب الذي يمر بغربها ثم يتجه نحو الشمال الشرقي ليرفد نهر المقطع ، وهو الحد الفاصل بين أراضيها وأراضي قرية أبو زريق * الواقعة في شمالها الغربي ، وأخيرا وادي أبو شوشة ، ويبدأ من جنوب غرب القرية ، ويتجه نحو الشمال الشرقي ماراً بشرقها مباشرة ، ثم تنتهي مياهه في نهر المقطع .

تشتهر القرية بكثرة ينابيعها ، ففي شمالها تقع عين التينة التي اعتمد عليها السكان في الشرب والأغراض المنزلية ، وعين الصّنْع وعيون وادي القصب ، وفي جنوبها توجد عين أبو شوشة ، وفي جنوبها الغربي توجد عين الكوع ، وبير بيت داس ، وأخيراً في غربها توجد عين الباشا ، وعين زهية (رَ : عيون الماء) .

وأبو شوشة من القرى المبعثرة المخطط ، وتتناثر مساكنها على امتداد سفح جبل الكرمل تبعا للملكيات الزراعية . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ١٥٥ مسكنا بنيت من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين ، أو الإسمنت المسلح ، وسقف بعضها بالأخشاب والقش والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة أراضي القرية ٨,٩٦٠ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئا . وتقع نصف هذه المساحة تقريبا في مرج ابن عامر ، والباقي في جبل الكرمل .

كان في أبو شوشة ١٢ عربيا فقط في عام ١٩٢٢ ، ارتفع عددهم إلى ٨٣١ نسمة في عام ١٩٣١ ، إذ ضم هذا العدد عرب الشقيرات وعرب العايدة (بلغ عدد عرب الشقيرات ٤٠٣ نسمات في تعداد ١٩٢٢) ، وأصبح عددهم ٧٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

كان في القرية مطحنة للحبوب وجامع ومدرسة ابتدائية خاصة ، وكان قسم من أطفالها يدرسون في مدرسة قرية أبو زريق المجاورة . اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي ، وأهم المزروعات الحبوب * بأنواعها . وزرعت الأشجار المثمرة في مساحات صغيرة ، في حين بلغت المساحة المزروعة زيتوناً قرابة ٦٠٠ دونم تركزت بصورة عامة على طول حافة جبل الكرمل المطلة على مرج ابن عامر . وزرع التبغ والخضر * ريّا من مياه عين التينة .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ، ودمروها تدميراً تاماً في عام ١٩٤٨ ، وأصبحت أراضيها تابعة لمستعمرة « مشمَر هاعِمِق » التي قامت بالقرب منها منذ عام ١٩٢٦ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ وج٤ ق٢ ، وج٦ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ ، ١٩٧٤ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحتا صفد والرملة .

أبو غوش :

قرية تقع على بعد ١٣ كم غربي القدس * بلغ عدد سكانها عام ١٩٤٥ قرابة ٨٦٠ نسمة . ويظن أنها بنيت في موقع « يعاريم » الكنعانية . وقد تكون هي المدينة التي ورد ذكرها في رسائل تل العمارنة * باسم « بيتوبيلو » ، أي « بيت بعل » . وفي العهد الروماني أقام القائد تيتوس عند عين ماء بالقرية قلعة منيعة .

عرفت أبو غوش في العهود العربية الإسلامية باسم « قرية العنب » ، أو « حصن العنب » . وفي القرنين الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين حوّلت القلعة الرومانية إلى نزل للتجار والمسافرين . يذكر الرحالة ناصر خسرو قرية العنب عندما زارها في عام ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م بقوله : " بلغْتُ قرية تسمى خاتون (اللطرون) سرتُ منها إلى قرية أخرى تسمى قرية

العنب . . وقد رأيت في هذه القرية عين ماء تخرج من الصخر . وقد بنيت هناك أحواض وعمارات " . ويقول عنها ياقوت في معجمه : " حصن العنب من نواحي فلسطين بالشام من أرض بيت المقدس " .

بنى الصليبيون في القرية كنيسة عام ١١٤١ م ، وما زالت بعض بقاياها ظاهرة . وفي مطلع العهد العثماني نزلت قرية العنب عائلة شركسية مصرية ، هي عائلة أبو غوش فغلب اسمها على اسم القرية .

جرت في أبو غوش تنقيبات أثرية انتهت إلى اكتشافات تدل على أن المدينة ظلت عامرة في مختلف العصور . ومن أهم المكتشفات : رأس فخاري يعود إلى العصر الكنعاني اكتشف عام ١٩٠٦ ، ونقود بطلمية ورومانية وعربية . وفي عام ١٩٠٧ اكتشف دي بيالا *M. de. Piellat* بقايا كنيسة تعود إلى العصر البيزنطي بلغت أطوالها ٣٠ × ٢٠ م .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٨ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

— Abel, F.M.: Découverte d'un tombeau antique Abou Ghouch, **RB,** 1921.

— De Vaux, R.: Fouilles autour de l'Eglise medievale d'Abau Gosh, **RB,** 1946.

— Moreau, A: **Mémoire sur les fauilles dAbu Ghouch Palestine,** Sens 1901.

أبــو الفَضْـل (قرية ــ) :

تقع بيوت عرب أبو الفضل ، والأصح عرب الفضل ، في ظاهر الرملة * الشمالي الغربي ، وعلى مسافة نحو ٢ كم منها . وتنتشر هذه البيوت متناثرة على الجانب الغربي لطريق الرملة ـ يافا ، وعلى الجانب الشمالي لخط سكة حديد رفح ـ حيفا . وأقرب القرى العربية إليها قرى صرفند العمار * وصرفند الخراب* وبير سالم*، وهي تجاور مدينة اللد * من الناحية الغربية . ويعرف هذا الموقع أيضاً باسم عرب السّطرية نسبة إلى موقع السّطر قرب مدينة خان يونس* ، الذي نزح عنه هؤلاء البدو المستقرون .

أقيمت قرية أبو الفضل فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي الفلسطيني * الأوسط وترتفع نحو ٧٥ م عن سطح البحر وتتألف من مجموعة بيوت متناثرة في وسط الأراضي الزراعية ، وكانت تخلو من المرافق والخدمات العامة ، لاعتمادها في توفير حاجات سكانها على مدينتي اللد والرملة المجاورتين لها .

بلغت مساحة أراضي عرب الفضل ٢,٨٧٠ دونما ، منها ١٥٣ دونماً للطرق والأودية ، ولا يملك الصهيونيون فيها شيئا . وتعدّ هذه الأراضي من أوقاف الصحابي الجليل الفضل بن العباس ابن عم الرسول ، وإليه نسبت القرية . وهي من بين أجود الأراضي في فلسطين لانبساطها وخصوبة تربتها وتوافر مياهها الجوفية . وتعتمد الزراعة * على الأمطار وعلى مياه الآبار . وأهم المحاصيل الزراعية التي كانت تنتجها القرية الحمضيات * والزيتون * والخضر * والحبوب * بأنواعها المختلفة . وقد غرست أشجار الحمضيات في مساحة تزيد على ٨١٨ دونما ، حيث تجود زراعتها في تربة البحر المتوسط الطَفَلية الحمراء .

كان معظم السكان يعملون في الزراعة التي وجد إنتاجها طريقه إلى التصدير إلى الأسواق المحلية في المدن المجاورة . وتربى المواشي والدواجن في المزارع المحيطة ببيوت القرية للانتفاع بها في أعمال الزراعة من جهة ، وللحصول على منتجات ألبانها ولحومها من جهة ثانية .

بلغ عدد سكان أبي الفضل في عام ١٩٣١ نحو ١٥٦٥ نسمة ، انخفض عددهم في عام ١٩٤٥ إلى ٥١٠ نسمات بسبب هجرة بعض العائلات للاستقرار في المدن المجاورة حيث تتوافر الخدمات وفرص العمل، خاصة أن قسماً كبيراً من السكان كان مستأجراً للأرض لا مالكاً لها . وفي عام ١٩٤٨ طرد الصهيونيون سكان أبي الفضل من ديارهم ، ودمروا بيوتهم وأزالوا مضاربهم، وأنشأوا على هذه البيوت مستعمرة « تلمي منشه » ، وأقاموا على أراضي القرية مستعمرتي « نحلت يهودا » و« نيتاعم » .

المراجـع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ، ق١ ، بيروت ١٩٧٢ .
ــ خارطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد .

أبو فُطْـرُس (مجزرة ــ) :

وكلمة " أبي فطرس " مأخوذة من اسم مدينة رومانية قديمة بناها هيرودوس تخليداً لذكرى أبيه أنتيباترس *Antipatris* . وقد عرف نهر أبي فطرس (أو نهر العوجا * اليوم) في التاريخ الوسيط بسبب المجزرة التي قتل فيها عبد الله بن علي بن عبد الله * عم الخليفة أبي العباس مجموعة من الأمراء الأمويين في قلعة رومانية قديمة على شواطىء هذا النهر .

فبعد أن احتل عبد الله بن علي دمشق هرب مروان بن محمد باتجاه فلسطين يريد مصر . فتعقبه عبد الله بن علي ، فنزل نهر الكسوة ، ثم بيسان * ، ثم مرج الروم ، حتى أتى نهر أبي فطرس . فأعلن هناك العفو عن الأمويين ، وبذل الأمان لهم . فقدم إليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلاً ، وفي جملتهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . ويروي البلاذري أن عبد الله بن علي دعاهم إلى وليمة ، ثم منحهم جوائز ثمينة ، ثم أمر جنده ، فقتلوهم عن آخرهم . " وسحبوا فطرحت عليهم البسط ، وجلس عليها ، ودعا بالطعام ، فأكل وجماعته ، وما زال بعض القتلى يئن" . وكان ذلك سنة ١٣٢ هـ / ٧٤٩ ـ ٧٥٠ م .

وتؤكد الروايات الكثيرة قسوة العباسيين وشدتهم في معاملة الأمويين ، والانتقام منهم . لكن المؤرخين يختلفون في عدد ضحايا مجزرة أبي فطرس ، وكثير منهم يجعل العدد أقل من ثمانين أمويا .

وقد ندمت القبائل العربية في بلاد الشام على سقوط الخلافة الأموية ، وثارت ، أكثر من مرة ، على الوالي عبد الله بن علي العباسي الذي اتبع سياسة الشدة والعنف ، حتى ان الخليفة أبا العباس عبد الله ، حين سمع بمجزرة أبي فطرس ، كتب إلى عبد الله بن علي يأمره بألاّ يقتل أمويا إلا بإذن منه .

المراجـع :

ــ البلاذري : أنساب الأشراف ، ١٨٨٣ و١٩٣٦ و١٩٣٨ .

ـ فاروق عمر فوزي : العباسيون الأوائل ، ج١ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ .

أبـو فُطْـرس (نهـر ـ) : رَ : العوجا (نهر ـ)

أبـو كشـك (قـريـة ـ) : رَ : عرب أبو كشـك (قرية ـ)

الإبـيـونيـون :

طـائفـة من الفقـراء والـدراويش اليهـود اعتنقت المسيحيـة * وبالغت في التفسير اليهودي لها . وهم يعتبرون بولس * رسولاً زائفاً عندما جعل المسيحية رسالة عالمية ، لأنهم كانوا يقولون إنها يجب أن تكون لليهود فقط . ويبدو أن الذي دفعهم إلى هذا القول هو ما كان عليه اليهود من فساد عندما بشّر السيد المسيح برسالتـه . عثر عـلى أول ذكر للإبيونيين في حوالي عام ١٨٥م . ويـذكر بعض الكتّـاب المتأخرين أن مؤسس الإبيـونية شخص يـدعى إبيون *Ebion* كـان يعتقد أن يسوع أصبح المخلّص ، لأنه أطاع القانون اليهودي . وفي القرن الثالث او الرابع الميلادي كان الإبيونيون يصفون يسوع بـأنه ابن الإنسان ، وأنه نبي حقيقي ، وأزالوا ما اعتبروه دسّاً أو إقحاماً في العهد القديم ورفضوا الأضحيات والمعبد اليهودي .

ومعظم ملامح التشريع الإبيوني في مخطوطات البحر الميت * . ويبدو أن هذه الطائفة تكوّنت بعد خراب الهيكل عام ٧٠م . تمسّك الإبيونيون باليهودية المحافظة . وفي النـهـايـة وجدوا أن إنجيـل متّى أيضاً غير كاف بعد ان كـانوا يـأخذون بـه فطوّروا تعـاليمهم وفيها أناجيل الإبيونيين والناصريين .

ذكـر العـالم الإنكليـزي تيخـر *J.L. Teichier* في دراسـة لمخطوطات البحر الميت أن المخطوطات لم تكن لطائفة يهودية وإنما هي لطائفة مسيحية معروفة باسم الإبيونيين . ويضيف " أن معلم الحق الذي ورد ذكره في بعض المخطوطات هو يسوع المسيح الذي يسميه الإبيونيـون نبي الحق " . وحدث فعـلاً أن طائفـة مسيحية يهودية هجـرت بيت المقدس إلى شـرق الأردن ، واعتزلت كنـائس اليهود ، وربما أقامت في جرش . وظلّت ردحـاً من الزمن ، لا هي يهودية خالصة ، ولا هي مسيحية خالصـة ، ثم انتهى أمرهـا ، ولم يبق لها نصيب في تاريخ اليهودية ، ولا في تاريخ المسيحية .

المراجـع :

ـ محمود العابدي : مخطوطات البحر الميت ، عمان .
— **Encyclopaedia Britannica.**
— **Catholicisme: hier, aujour hui, demain, III,** Paris 1952.

اتحـــاد :

رَ : الجامعيين العرب في إسرائيل
رَ : الحقوقيين العرب
رَ : الطلاب العالمي
رَ : غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية

الاتحـاد (صحيـفة ـ) : رَ : التحرر الوطني (عصبة ـ)

الاتحـاد (صحيـفة ـ) : رَ : الصحافة الإسرائيلية

الاتحـاد الأنكـلو ـ يهـودي : رَ : بلفور (وعـد ـ)

الاتحـاد البـرلماني الـدولي :

مؤسسـة دولية قـديمة ، نشـأت عام ١٨٨٩ ، وتـطورت حتى أصبحت تضم أكـثر من ٧٥ دولة . وقـد درج الاتحاد في مؤتمـراته العامة ودورات مجلسه على معالجة القضايا الإنسانية الكبـرى بشكل عام وبروح تصالحية .

بدأ الاتحاد دراسـة قضية الصـراع العربي ـ الصهيـوني ، أو ما أسمـاه بمشكلة الشرق الأوسط ، منـذ عـام ١٩٦٨ . ويـلاحظ أن الاتحـاد ، في معالجتـه هذه القضيـة ، انتقل بـالتدرج ، من خـلال قراراته ومواقفه ، من موقع الاطمئنان إلى الصيغ العامة المبهـمة إلى مـوقع الاعتـراف بالـوجود الفلسـطيني وبالحق العـربي ، وإلى إدانة (إسرائيل) .

أصدر الاتحاد أول قرار له بشأن مشكلة الشرق الأوسط حينما عقد مجلسه الـدورة ١٠٢ في داكار (السنغـال) في نيسان ١٩٦٨ . واستند القرار بجملته وتفصيلـه إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ، دون أية إضافة عليه .

غلبت الصيغ العامـة الحياديـة على قـرارات الاتحاد منـذ ذلك الحين ، حتى ظهر شيء من التغير باتجاه التمييز بين المعتدي والمُعتدى عليه في الدورة ١١٣ التي عقدها مجلس الاتحاد في جنيف (سويسرا) من ٢٠ إلى ١٩٧٣/١٠/٢٣ ، ثم تصاعد هذا التغير حتى بلغ درجة عالية في المؤتمر العام الثـاني والستين الـذي عقد في لنـدن في أيلول ١٩٧٥ . وكان على هذا المؤتمر أن يناقش موضـوعي قبول المجلس الوطني الفلسطيني * عضواً مراقباً ، ومشكلة الشرق الأوسط .

لم تكن أنـظمة الاتحـاد تسمـح بمنـح صفـة « عضـو مـراقب » لحـركات التحـرير ، ممـا دعا المؤتمـر إلى إدخال تعـديـل عـلى تلك

الأنظمة أدى إلى قبول انتساب المجلس الوطني الفلسطيني إلى الاتحاد عضواً مراقباً . وكان لهذه الخطوة مغزى سياسي هام ، إذ دلّت على تحول جذري في الاتجاه السياسي للرأي العام البرلماني الدولي ، وكان إحدى نتائجه تعديل أنظمة الاتحاد .

درس مؤتمر لندن القضية الفلسطينية وفروعها دراسة تميّزت بالشمول والتفصيل ، وأصدر قراراً دعا فيه إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن الشرق الأوسط ، ولا سيما انسحاب (إسرائيل) الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة . وطلب من جميع برلمانات العالم أن تتخذ خطوات « لدى حكوماتها وشعوبها لارغام إسرائيل على تطبيق قرارات الأمم المتحدة » . وأكد القرار من جديد « أن الشعب الفلسطيني ، ممثلاً بمنظمة التحرير الفلسطينية * ، هو طرف رئيسي في إقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط » . واعترف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، وبخاصة حقه في العودة وتقرير المصير ، والاستقلال والسيادة الوطنية .

تلا مؤتمر لندن مؤتمران عقدهما الاتحاد في صوفيا (المؤتمر ٦٤ في أيلول ١٩٧٧) وفي بون (المؤتمر ٦٥ في أيلول ١٩٧٨) ونالت فيهما قضية فلسطين ومشكلة الشرق الأوسط اهتماماً ملحوظاً وأصدر المؤتمران قرارات تؤكد المبادىء والمفاهيم التي تبناها الاتحاد في مؤتمراته السابقة . أما المؤتمر السادس والستون الذي عقده في كراكاس عاصمة فنزويلا (أيلول ١٩٧٩) فقد نادى بحق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة ، وبأن يكون حل القضية شاملاً تشارك في البحث فيه جميع الأطراف المعنية ، وفيها منظمة التحرير الفلسطينية .

عقد الاتحاد مؤتمره السابع والستين في برلين (ألمانيا الديموقراطية) ، في الفترة من ١٥ إلى ١٩٨٠/٩/٢٤ ، وأصدر قراراً بشأن « مشكلة الشرق الأوسط وقضية فلسطين » ضمّنه ما ورد في القرارات السابقة ، وأكّد فيه « أن السلام العادل والدائم لا يمكن أن يقام في الشرق الأوسط بدون الانسحاب الإسرائيلي الكامل من كافة الأراضي العربية المحتلة ، وفيها القدس العربية ومرتفعات الجولان » ، وأكد أيضاً « أن حلاً عادلاً لا بد من إيجاده أخيراً لقضية فلسطين التي هي ليست مشكلة لاجئين بسيطة » . وثبّت المؤتمر « حق الفلسطينيين في العودة واستعادة أرضهم وممتلكاتهم » ، وشجب المبادرة الانفرادية الإسرائيلية الهادفة إلى « تغيير وضع القدس » و « الممارسات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلّين ، مثل مصادرات الأراضي ، وإقامة المستعمرات ، وتوقيف الأشخاص الأبرياء ، وإصدار أحكام جائرة عليهم وإبعاد رؤساء البلديات ورفض التحقيق في محاولات اغتيالهم ، وتغيير التركيب الطبيعي والسكاني للأراضي العربية المحتلة» . ودان المؤتمر « أعمال العدوان والفظائع التي ترتكبها إسرائيل ، بشكل متكرر ، ضد لبنان ، مهما كانت أسبابها » .

الاتحاد السوري (حزب ــ) :

رَ : اللامركزية الإدارية (حزب ـ العثماني)

الاتحاد السوفييتي :

كانت فلسطين التي تؤلف جزءاً من الوطن العربي ومن منطقة جغرافية تدعى « الشرق الأوسط » ، هدفاً لتطلعات الدول الكبرى وتنافسها منذ زمن طويل . فالمصالح الروسية في هذه المنطقة تشكلت بفعل العوامل الجغرافية التي أثرت في السياسة الروسية في عهود القياصرة . وكانت تصورات مدّ الامبراطورية الروسية جنوباً دافعاً دائماً في السياسة الخارجية القيصرية منذ عهد بطرس الأكبر (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥) ، وكاترين (١٧٦٢ ـ ١٧٩٦) ، وحتى عهد نيقولا الثاني (١٨٩٤ ـ ١٩١٧) . ففي القرن التاسع عشر اندلعت حرب القرم (١٨٥٤ ـ ١٨٥٦) ، وكان أحد أسبابها النزاع الروسي الفرنسي حول السيطرة على الأماكن المقدسة في فلسطين ، اذ اعتبر القيصر الروسي نفسه حامياً للكنائس المسيحية الأرثوذوكسية ، في حين ادّعى الامبراطور نابليون الثالث الفرنسي أنه صاحب السيطرة على الأماكن المقدسة ذاتها لصالح الكنائس المسيحية اللاتينية . لكن بريطانيا وفرنسا تمكنتا في مطلع القرن العشرين من احتواء التهديد الروسي باتجاه الجنوب إلى الشرق الأوسط على نحو فعّال .

في ظل النظام البلشفي اتخذت السياسة السوفييتية شكلاً آخر ، فبعد ثورة تشرين الكبرى عام ١٩١٧ أعلنت الحكومة السوفييتية أنها حليفة للشعوب العربية المضطهدة والمستعمرة ضد الاستعمار البريطاني . وانعقد مؤتمر باكو لشعوب الشرق في عام ١٩٢٠ برعاية الحزب الشيوعي السوفييتي ، مبتدئاً الحملة الإيديولوجية السوفييتية الجديدة ، في محاولة لكسب النفوذ في الشرق الأوسط كحليف للشعوب العربية المستعمرة والمضطهدة . وبالتالي ، كان الهدف الأساسي للسياسة السوفييتية تجاه الشرق الأوسط هو تقويض النفوذ البريطاني والفرنسي ، أي النفوذ الغربي في المنطقة ، وبخاصة إيقاف السيطرة البريطانية على المنطقة بأي ثمن . ومن ثم كان الهدف النهائي تجاه فلسطين يتمثل في سرعة إنهاء الانتداب البريطاني الحديث العهد .

بدأت المشكلة الفلسطينية ، كما تعرف في الوقت الحاضر ، بقدوم الصهيونية كحركة سياسية منظّمة على مسرح الشرق الأوسط

السياسي تتطلع إلى امتلاك فلسطين على أنه حق لها ، والى أن فلسطين هي الوطن القومي اليهودي الوحيد . وكان الموقف السوفييتي تجاه الصهيونية، كفلسفة سياسية ، عدائياً على نحو سافر ، ودون مواربة . ففي الاتحاد السوفييتي ، حيث وجدت الصهيونية أرضاً خصبة بين ثلاثة ملايين يهودي سوفييتي ، وصفت الصهيونية بأنها إيديولوجية شوفينية وبورجوازية متحالفة مع الاستعمار الغربي . كما نعتت الصهيونية ، وأي شكل آخر من أشكال القومية اليهودية ، بأنها مناهضة للثورة ، وأدوات في أيدي الاستعمار البريطاني . وخلال السنوات الأولى من الثورة لم تكن الفئات اليهودية داخل الحزب الشيوعي معادية للصهيونية على نحو قوي ، ورافق ذلك عدم مبالاة على صعيد الحكومة السوفييتية الرسمي في بادىء الأمر . غير أن الحكومة السوفييتية وافقت خلال شهر نيسان ١٩٢١ على الحملة على الصهيونية والقومية اليهودية . وجرت عملية دمج ثقافي ،وكان على اليهود السوفييت ، مثلهم في ذلك مثل الأقليات الأخرى ، أن يسيروا في مجرى المجتمع السوفييتي الحديث ، وأن يذوبوا لغوياً وثقافياً في قالب الإنسان السوفييتي البروليتاري الجديد .

أما موقف الصهيونية في فلسطين فقد دعا الحزب الشيوعي في عام ١٩٣٤ إلى شن " حملة نشطة ومستمرة ضد عزل العمال العرب من قبل الصهيونيين " ، ودعا في الوقت ذاته إلى إنشاء جبهة متحدة من العمال العرب واليهود " للنضال ضد الاغتصاب الصهيوني واستغلال المستعمرين وكبار المزارعين ومشاريعهم " . وقال الحزب في بيانه :

" إن من الخطأ اعتبار الاستعمار والصهيونية والسكان اليهود وحدة عضوية واحدة، كما تنظر إليها الجماهير العربية في الوقت الحاضر . فالاستعماريون مهتمون بالامتيازات ، وبنموّ الأقلية اليهودية ، غير انهم لا يرغبون في إنشاء دولة يهودية . وهنا يوجد نزاع بين مطالب البورجوازية اليهودية التي تريد أن تذهب أبعد الحدود وبين الاستعمار البريطاني ". وتُظهر هذه التصريحات أن الاتحاد السوفييتي يفهم على نحو واضح ما تكنّه الصهيونية بالنسبة إلى الشعب العربي الفلسطيني ، وهو الاغتصاب والاستغلال .

غير ان الاتحاد السوفييتي ، رغم شجبه للصهيونية ، ساند في عام ١٩٤٧ قضيتها وتطلعاتها لإنشاء دولة يهودية في فلسطين . فالدعم السوفييتي لخطة التقسيم التي دعت إليها الأمم المتحدة والتي ترمي لإقامة دولة يهودية في فلسطين ، جاء إنعكاساً لمبدأ التعايش السلمي الذي يشكل أحد ركائز سياسة الاتحاد السوفييتي الخارجية ، إضافة إلى عوامل أخرى (رَ : تقسيم فلسطين) .

أظهر الصهيونيون في فلسطين أنهم منظّمون تنظيماً عالياً ، وأنهم القوة الأكثر فعالية ضد البريطانيين في فلسطين . ولما أدرك الاتحاد السوفييتي أن انسحاب البريطانيين وشيك ، بدا له أن التقسيم أفضل خيار لتجنب خطة وصاية برعاية الأمم المتحدة كانت ستديرها دون شك القوات العسكرية الغربية . وبذلك بقي أحد دوافع الدعم السوفييتي (لإسرائيل) يتمثل في الرغبة في إنهاء السيطرة الغربية في المنطقة ، لأن إنشاء الدولة اليهودية كان يعني ، للوهلة الأولى ، تحييد المنطقة ، وإحداث القطيعة بين الدول العربية والولايات المتحدة التي كانت تربطها بالدول العربية في عهد روزفلت صداقة قوية أثارت خوف السوفييت ، والتي مال الميزان الإستراتيجي العالمي بعد الحرب العالمية الثانية إلى صالحها ، بسبب ظهور الأسطول السادس الأميركي كرمز دائم ومحسوس لتصميم الغرب على استبعاد النفوذ السوفييتي من الشرق الأوسط . وبغية مواجهة هذه المخططات الغربية لم يكتف الاتحاد السوفييتي بأن يكون ثالث دولة تعترف (بإسرائيل) اعترافاً قانونياً ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، فشجب بغضب دخول القوات العربية إلى فلسطين الذي تلا إعلان إنشاء (الدولة اليهودية) . وبادرت الكتلة السوفييتية إلى ارسال الأسلحة (لإسرائيل) أثناء الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى ، مما كان له أهمية كبرى ، وربما حاسمة ، في استمرار بقاء الدولة الصهيونية الجديدة (رَ : حرب ١٩٤٨) .

لكن هذه المرحلة الأولى من السياسة السوفييتية تجاه فلسطين انتهت عام ١٩٥١ ، وبدأ التركيز ينتقل بصورة متزايدة من الاعتبارات الإيديولوجية إلى الدوافع الإستراتيجية . فعندما وقفت مصر في عهد جمال عبد الناصر* في مواجهة حلف بغداد استحقّت بالتأكيد امتنان الكرملين الذي ترجم ذلك في شكل صفقة الأسلحة عن طريق تشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٥٥ . ومنذ ذلك الوقت أصبحت السياسة السوفييتية تجاه فلسطين متداخلة مع السياسة العربية عموماً ، وبالتالي بدأت العلاقات السوفييتية ـ الإسرائيلية تتصف بالتدهور المستمر ، وتبلور ذلك في قطع العلاقات الدبلوماسية في ١٩٥٣/٢/٢١ . وما لبثت هذه العلاقات أن استؤنفت عقب موت ستالين في ١٩٥٣/٧/٢١ ، بعد أن التزمت (إسرائيل) بعدم الانضمام إلى حلف أو معاهدة أو تنظيم معادٍ للسوفييت . ونفّذ الاتحاد السوفييتي سياسة مزدوجة تجاه فلسطين حتى عام ١٩٦٧ ، فحاول أن يتودد إلى البلدان العربية ، ولا سيما مصر وسورية ، وأن يحافظ في الوقت ذاته على علاقاته مع (إسرائيل) ، بل سعى إلى تحسينها . وفي هذا الصدد قام الاتحاد السوفييتي في شهر كانون الأول ١٩٥٣ بدور فعّال في مساعدة (إسرائيل) على الوقوف في وجه المقاطعة الاقتصادية العربية ، عندما أبرم مع (إسرائيل) اتفاقية تجارية لمبادلة النفط السوفييتي

بالحمضيات الإسرائيلية . لكن موسكو ألغت هذه الاتفاقية إثر العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ * .

وقد تُرك الشعب الفلسطيني خارج إطار السياسة السوفييتية الخاصة بالشرق الأوسط حتى عام ١٩٥٨ . بل إن المندوب السوفييتي في الأمم المتحدة ، جاكوب مالك ، صرّح أمام مجلس الأمن في ١٩٤٨/٨/١٨ ، بأن المشكلة الفلسطينية هي مشكلة لاجئين خلقها البريطانيون . وقد استمرت هذه الفكرة سائدة إلى ما بعد حرب السويس في عام ١٩٥٦ ، عندما اعتبر أن (إسرائيل) تتحرك إلى داخل المعسكر الغربي . في هذا الوقت تقريباً نشط التحالف الفرنسي ـ الإسرائيلي ، والتعاون العسكري الإسرائيلي مع ألمانيا الغربية ، وتأييد (إسرائيل) المشروط لمبدأ ايزنهاور . وفي ١٩٥٦/٤/١٧ أصدر الاتحاد السوفييتي بياناً قال فيه إن المشكلة الفلسطينية يجب أن تحلّ " على أساس مقبول بصورة متبادلة " . غير أنه بعد حرب السويس ، وفي شهر تشرين الثاني ١٩٥٦، ازداد تأييداً للعرب ، فرأى في شحن الأسلحة إلى الدول العربية مساهمة في دفاع هذه الدول عن نفسها ضد « العدوان الإسرائيلي » .

وجاء هذا التحوّل الملحوظ في الموقف السوفييتي إعمالاً لمبدأ ثان يعتبر من ركائز سياسة موسكو الخارجية ، وهو مبدأ محاربة الاستعمار ودعم حركات التحرر الوطني .

كذلك تَقَدُّم موقف الاتحاد السوفييتي بالنسبة إلى القضية الفلسطينية عندما أبدى استعداده ، أثناء زيارة عبد الناصر لموسكو في عام ١٩٥٨ ، أن يشمل البيان الختامي « الحقوق المشروعة للفلسطينيين العرب » . وأثناء زيارة خروشوف لمصر في عام ١٩٦٤ اعترف الاتحاد السوفييتي « بالحقوق الثابتة والمشروعة للفلسطينيين العرب » . ورغم ذلك كان الضوء ما زال متركّزاً على « لاجئين » بدلاً من « حركة تحرير وطني » ، إضافة إلى عدم المبالاة بتأسيس منظمة التحرير الفلسطينية * في ذلك العام .

بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية في عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، أظهر الاتحاد السوفييتي تأييده المتزايد لحق الفلسطينيين في إقامة دولة لهم . لكن التزام السوفييت بشأن إقامة دولة فلسطينية بقي مبهماً حتى حرب ١٩٧٣ * . وتعود الأسباب الرئيسة لإعادة توجيه السياسة السوفييتية بشأن المشكلة الفلسطينية في هذا الصدد إلى :

١) تقارب مصر وتعاونها مع الجهة الكبرى في منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي منظمة فتح .

٢) تزايد النفوذ الصيني بين الفلسطينيين .

٣) تزايد نشاط منظمة التحرير الفلسطينية بحيث حازت اهتماماً كبيراً في الشرق الأوسط عموماً .

وفي شهر تموز ١٩٦٨ ، قام ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة بمرافقة عبد الناصر في زيارته الرسمية للاتحاد السوفييتي . وفي شباط ١٩٧٠ ، ترأس عرفات وفداً فلسطينياً خاصاً إلى موسكو بدعوة من لجنة التضامن السوفييتية ـ الإفريقية ـ الآسيوية . وقد دلت هاتان المناسبتان بوضوح على ارتفاع مركز منظمة التحرير الفلسطينية . وسرعان ما بدأت صحيفة برافدا تشير إلى الفلسطينيين بأنهم « شعب فلسطين العربي » ، وفي ذلك دلالة على الاعتراف السوفييتي بالتطلعات القومية الفلسطينية . وقد هدفت السياسة السوفييتية بعد حرب ١٩٦٧ بصورة أساسية إلى تحقيق تسوية للنزاع العربي ـ الإسرائيلي تتجلى أهم مقوماتها في إعادة الأراضي التي احتلتها (إسرائيل) في عام ١٩٦٧ وفقاً لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وقد تضمنت المعادلة السوفييتية لإحلال السلام تأكيد واستمرار الحاجة إلى ضمان استقلال ، وسيادة ، ووحدة أراضي جميع الدول في المنطقة ، بما في ذلك (إسرائيل) .

وأمام مؤتمر السلام للشرق الأوسط * الذي عقد في جنيف خلال شهر كانون الأول ١٩٧٣ ، تجاهل وزير الخارجية السوفييتية غروميكو في خطابه قضية الدولة الفلسطينية ، وجعل القضية الفلسطينية تحتل مكاناً بين « العديد من الجوانب الأخرى للتسوية » التي تُحَلّ إذا حُلّت « العقدة الرئيسية » ، وهي الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية . وفي عام ١٩٧٤ بدأ السوفييت يتحدثون بانتظام عن « الحقوق القومية المشروعة للفلسطينيين » . وقد أشير رسمياً وبصورة علنية إلى الدولة الفلسطينية للمرة الأولى في ١٩٧٤/٩/٨ ، عندما تحدث الرئيس السوفييتي بودغورني عن حق الفلسطينيين " في إقامة دولة لهم بشكل او بآخر " . وكرّر بودغورني هذا التصريح باسم المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفييتي في برقية إلى الرئيس الجزائري هواري بومدين ، أذيع نصها في ١٩٧٤/١٠/٤ . وفي الحادي عشر من الشهر ذاته تحدث الأمين العام للحزب الشيوعي السوفييتي بريجنيف في كيشنيف ، لأول مرة ، عن حق الفلسطينيين في إقامة « وطن قومي » .

وقد يكون لهذا التوجّه السوفييتي علاقة بمؤتمر القمة العربي * الذي انعقد في الرباط في أواخر تشرين الأول من ذلك العام ، وبتدهور العلاقات السوفييتية ـ المصرية . ولعلّ قبول الرئيس المصري أنور السادات لسياسة « الخطوة خطوة » التي جاء بها كيسنجر بدلاً من الاقتراح السوفييتي القاضي بتفضيل مؤتمر جنيف هو الذي دفع السوفييت إلى اتخاذ هذا الموقف الجديد . غير أن المشكلة بالنسبة إلى هذا الموقف السوفييتي بشأن الدولة الفلسطينية هو مكان هذه الدولة . ففي حين تحدثت منظمة التحرير الفلسطينية عن إقامة « دولة ديمقراطية علمانية » في عموم فلسطين ، شمل التصور

السوفييتي دولة بجانب (إسرائيل) ، ويعني ذلك « دولة صغيرة » في الضفة الغربية وقطاع غزة . كذلك ، عبّر الاتحاد السوفييتي في عدة مناسبات عن استعداده لتقديم « أقوى الضمانات » لاستمرار وجود وطن (إسرائيل) ، كما ورد في خطاب غروميكو في نيسان ١٩٧٥ ، تكريماً لوزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام أثناء زيارته للاتحاد السوفييتي .

لقد أدّت اتفاقيات كامب ديفيد * في أيلول ١٩٧٨ ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * في آذار ١٩٧٩ إلى جعل الولايات المتحدة شريكاً مهيمناً داخل محور ثلاثي جديد في المنطقة ، وإلى تقويض مركز الاتحاد السوفييتي كشريك على قدم المساواة في أي تسوية سلمية في المستقبل . ولذلك اعتبر الاتحاد السوفييتي اتفاقيات كامب ديفيد " السلاح السياسي الرئيسي للتغلغل الأمريكي في الشرق الأوسط ، كما انها تمثّل تحدياً صريحاً لمركز وسياسة الاتحاد السوفييتي " .

وفي الوقت الراهن تطابقت وجهات نظر منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفييتي في تحليلهما للموقف . فأثناء لقاء عرفات بغروميكو في دمشق في ١٩٧٩/٣/٢٥ اتفقا على أن معاهدة السلام المصرية ـ الإسرائيلية " تنطوي على العداء لحقوق ومصالح الشعب الفلسطيني " . وتلا ذلك أن عزز الاتحاد السوفييتي علاقته بمنظمة التحرير . وتبلور هذا الموقف في اعترافه الرسمي بأن منظمة التحرير هي « الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » . وكان الاتحاد السوفييتي قبل ذلك ، وحتى تشرين الأول ١٩٧٨ ، ممتنعاً عن إلزام نفسه بالاعتراف بهذا التمثيل الوحيد الذي تنادي به منظمة التحرير . غير أنه في أعقاب مؤتمر القمة لأطراف اتفاقيات كامب ديفيد زار موسكو وفد من منظمة التحرير في تشرين الأول ١٩٧٨ ، ووصف البيان المشترك عن الزيارة المنظمة بأنها « الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني » . وفي عام ١٩٨١ منح الاتحاد السوفييتي مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في موسكو الصفة الدبلوماسية الكاملة .

وهكذا يتبين أن السياسة السوفييتية تجاه فلسطين منذ عام ١٩٧٩ قطعت شوطاً بعيداً في الاتجاه المعاكس لسياسة عام ١٩٤٧ ، وبخاصة خلال فترة ما بعد ١٩٧٣ . فقد تبدلت السياسة السوفييتية خلال هذه الفترة الزمنية من سياسة مؤيدة لإنشاء دولة (إسرائيل) مع تجاهل للشعب الفلسطيني ووجوده وحقوقه ، إلى تحرك محدود تجاه القضية الفلسطينية على أساس أنها مشكلة لاجئين ، وأخيراً إلى إعلان التأييد المتزايد للحقوق الوطنية الفلسطينية في إقامة دولة . ويستنتج من هذا التغير في سياسة الاتحاد السوفييتي أن السياسة السوفييتية تجاه فلسطين تابعة لسياسته العالمية ، وهي إدراكه لميزان القوى بين الدول العظمى ، وعلاقاته مع الولايات المتحدة بوجه خاص ، وفوق كل ذلك سياسته في الشرق الأوسط بصورة عامة . ومن هنا فإن سياسة الاتحاد السوفييتي بشأن فلسطين تخضع للمتغيرات ، وتقبل التعديل وإعادة التعديل عندما يستدعي ذلك تحقيق الأهداف العليا وهي الانفراج الدولي والعلاقات السوفييتية ـ الغربية بصورة عامة . وبالتالي يمكن تقسيم سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه القضية الفلسطينية إلى المراحل التالية :

١) المرحلة الصهيونية ١٩٤٧ ـ ١٩٥٣ : وفيها أيّدت موسكو (إسرائيل) بشكل قاطع ، واعتبرت المشكلة الفلسطينية مشكلة لاجئين وحسب .

٢) سياسة بدء الاقتراب من العرب ١٩٥٣ ـ ١٩٥٦ : وطابعها تأييد (إسرائيل) وبدء تأييد العرب ، دون تصوّر وفهم لحقوق الفلسطينيين .

٣) الاقتراب من الموقف العربي ١٩٥٦ ـ ١٩٦٧ : واتصفت بتدهور العلاقات السوفييتية ـ الإسرائيلية تدريجياً نتيجة انفتاح الدول العربية على موسكو من جهة ، وإدراك هذه من جهة أخرى أن (إسرائيل) بدأت تشكل خطراً حقيقياً على المصالح السوفييتية في المنطقة باعتبارها رأس حربة للولايات المتحدة الأمريكية .

٤) سياسة مؤيدة للعرب ١٩٦٧ ـ ١٩٧٣ : وخلالها أيد الاتحاد السوفييتي قضية إعادة جميع الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، مع القبول المتباطىء للحقوق الفلسطينية .

٥) تأييد الحقوق الفلسطينية ١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ : وفيها توجهت السياسة السوفييتية نفسها إلى تأييد قضية الحقوق الفلسطينية والدولة الفلسطينية ، مع استمرار موقفها من مبدأ الانسحاب الإسرائيلي الشامل من كل الأراضي العربية المحتلة وضرورة تسوية النزاع الشرق ـ أوسطي تحت مظلة الأمم المتحدة .

٦) الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٨ ـ ١٩٨٢ : وخلالها اعترف الاتحاد السوفييتي رسمياً بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، ثم منحها الميزات الدبلوماسية مع تصلبه تجاه سياسات (إسرائيل) والولايات المتحدة ، وخاصة بعد انفضاح نوايا الطرفين في اتفاقيتي كامب ديفيد .

المراجع :

ـ صلاح الدين دباغ : **الاتحاد السوفييتي وقضية فلسطين** ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ رشيد خالدي : **السياسة السوفييتية في الشرق الأوسط في أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد** ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ جاليا جولن Galia Golan : **يوم عيد الغفران وما بعده ، الاتحاد السوفييتي وأزمة الشرق الأوسط** ، لندن ١٩٧٧ .

ـ والتر ليكير Walter Laqueur : الاتحاد السوفييتي والشرق الأوسط ، نيويورك ١٩٥٩ .
ـ والتر ليكير Walter Laqueur : النضال لأجل الشرق الأوسط ، الاتحاد السوفييتي في البحر المتوسط ١٩٥٨ ـ ١٩٦٩ ، نيويورك ١٩٦٩ .
ـ جورج لنسووسكي George Lenczowski : التقدم السوفييتي في الشرق الأوسط ، واشنطن ١٩٦٩ .
ـ ستيفن بيج Stephen Page : الاتحاد السوفييتي والعرب ـ الأبعاد الأيديولوجية ، نيويورك ١٩٧٣ .
ـ ياسوف روي Yaasov Roi : حدود القوى ، السياسة السوفييتية في الشرق الأوسط ، لندن ١٩٧٩ .
ـ يفيغيني بريماكوف : الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية ، بيروت ١٩٨١ .

الاتحاد الشيوعي الثوري : رَ : ماتسبن (منظمة ـ)

الاتحاد الصهيوني التصحيحي :

ر : المنظمة الصهيونية الجديدة

الاتحاد العام للأطباء والصيادلة الفلسطينيين :

تأسس الاتحاد سنة ١٩٦٨ في القاهرة بمبادرة مجموعة من الأطباء والصيادلة الفلسطينيين المقيمين في بعض الدول العربية . ووضعت آنذاك أسس دستور وخطة عمل لتجميع الأطباء والصيادلة الفلسطينيين وتجنيد طاقاتهم ليؤدوا رسالة الطب والصيدلة في حل المشكلات الصحية لأفراد الشعب الفلسطيني في مناطق وجوده الرئيسة وبخاصة في الأراضي المحتلة .

وتم انتخاب مكتب تنفيذي للدعوة إلى مؤتمر تأسيسي عقد في عمان عام ١٩٦٩ ، وتلاه المؤتمر الأول للاتحاد في القاهرة عام ١٩٧٠ ، وأخيراً المؤتمر الثالث في بيروت في الفترة من ٢٩ / ١١ / ـ ٢ / ١٢ / ١٩٧٤ الذي أقر توصيات ومقررات اللجان السياسية والعلمية والدستورية . شددّت القرارات على أهمية تدعيم مركز الاتحاد ، وتشجيع الانضمام إلى عضويته ، ليتمكن من أداء الدور المطلوب منه في جميع المستويات وعلى كافة الأصعدة . وفي نهاية المؤتمر الثالث تم انتخاب المكتب التنفيذي الجديد للاتحاد .

وقد حضر المؤتمر الثالث مندوبون عن ثلاثة آلاف طبيب وصيدلي فلسطيني من الدول التالية : سورية ولبنان والكويت ومصر وقطر وليبيا والجزائر والسعودية ودول الخليج العربي وأوربا .

وأصدر المؤتمر قرارات سياسية أكد فيها أن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وأيد خطوات المنظمة من أجل الحصول على الاعتراف الدولي ، وعبر عن إيمانه بأن الحرب الشعبية الطويلة الأمد هي الطريق الوحيد لتحرير التراب الفلسطيني بكامله ، وإقامة الدولة الديمقراطية ، وأعلن تأييده لبرنامج المنظمة المرحلي الذي ينص على إقامة السلطة الوطنية الثورية فوق أي جزء يتم تحريره .

وأصدر المكتب السياسي للاتحاد في نهاية أيلول ١٩٧٥ بياناً سياسياً رفض فيه اتفاقية فصل القوات الثانية بين مصر وإسرائيل * وأدانها ، ورفض الحلول والتسويات المطروحة كافة ، وأكد ضرورة تعزيز التلاحم مع الجماهير العربية ، وتعزيز التحالف مع الدول الاشتراكية والصديقة وحركات التحرر العالمية ، كما حيّا نضال الشعب الفلسطيني وانتفاضاته الثورية ضد الاحتلال ، وحيّا صمود الأطباء والصيادلة الفلسطينيين في الأراضي المحتلة .

وقد أكد الاتحاد منذ نشأته ، انطلاقا من مبدأ وحدة الثورة ، إيمانه بضرورة توحيد الخدمات الطبية وتقديمها إلى الجميع دون تمييز أو استثناء عن طريق الهلال الأحمر الفلسطيني * ، حيث تنحصر جميع جهود الاتحاد الطبية والصيدلانية .

أ ـ دستور الاتحاد : يؤكد دستور الاتحاد إيمانه :

١) بأن التنظيم الشعبي الثوري الديمقراطي لكل قطاع من قطاعات الشعب الفلسطيني هو الأسلوب العلمي لإبراز كيان هذا الشعب المناضل وتجميع طاقاته في تحركه نحو الثورة الشعبية الشاملة .

٢) وبأن الطريق لإظهار الشخصية الفلسطينية لتأكيد الوجود الفلسطيني عربيا ودوليا هو دعامة أساسية لنضال الشعب الفلسطيني في ثورته لتحرير أرضه وإقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية اللاعنصرية .

ولذلك قرر الأطباء والصيادلة الفلسطينيون تأسيس الاتحاد العام ليكون قاعدة من قواعد التنظيم الشعبي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وليخدم الشعب والثورة الفلسطينية بكافة الوسائل وللاتحاد ضمن إطار المنظمة شخصيته المستقلة التي تحافظ عليه حتى يتمكن من أداء دوره الهام في كل المجالات ، وعلى الصعيدين العربي والدولي .

ب ـ أهدافه :

١) تجنيد طاقات جميع الأطباء والصيادلة ليؤدوا رسالة الطب والصيدلة ، من أجل حل المشكلات الصحية لمقاتلي وأفراد الشعب الفلسطيني كافة ، بحيث تصبح الرعاية الصحية ، وقاية وعلاجا ، حقا لكل المقاتلين وأفراد الشعب .

٢) إجراء مسح طبي شامل للأمراض الشائعة في تجمعات

الشعب الفلسطيني ، ووضع البرامج الوقائية والعلاجية للقضاء على تلك الأمراض .

٣) توثيق العلاقات بالمنظمات الشعبية الفلسطينية ، والتعاون لإبراز الوجود الفلسطيني ، وتوطيد العلاقة مع المنظمات الصحية العربية والعالمية .

٤) تأكيد المفهوم الثوري لدى الفلسطينين ، وتعميق ارتباطهم بالحركة الثورية الفلسطينية والعربية والعالمية .

٥) تنظيم العلاقة بين أعضاء الاتحاد والعاملين بالمهن الطبية الأخرى وتنمية روح التعاون والتجاوب العلمي والفني بينهم .

٦) تقديم كافة التسهيلات للنهوض بالمستوى العلمي لأعضاء الاتحاد وللعاملين بالمهن الطبية ، وذلك بتشجيع الأبحاث وإصدار النشرات الدورية .

٧) الدفاع عن المصالح الاجتماعية والثقافية والمادية لأعضاء الاتحاد .

٨) تنوير الرأي العام بالقضية الفلسطينية عن طريق الاتصال بالأطباء والصيادلة والعاملين في المهن الطبية والتجمعات الطبية العالمية بواسطة الندوات والنشرات وبأي وسيلة أخرى .

٩) دعم جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بصفتها الجهاز الطبي المعتمد من المجلس الوطني الفلسطيني * لتقديم الخدمات الطبية والاجتماعية للمقاتلين وللشعب الفلسطيني ، وإمدادها بالأطباء والصيادلة .

جـ ـ المقر : تكون القدس * المقر الدائم للاتحاد ، على أن تكون القاهرة ، أو أي مكان آخر يراه المكتب التنفيذي مناسباً، مقراً مؤقتا . هذا وقد أصبح مقر المكتب التنفيذي في بيروت منذ ١٩٧٤ .

د ـ العضوية : حق العضوية مكفول :

١) لكل فلسطيني الجنسية أو الأصل يعمل بالمهن الطبية التالية : الطب البشري والصيدلة وطب الأسنان والطب البيطري .

٢) لكل طبيب أو صيدلي عربي يعمل بالثورة الفلسطينية ، ويلتزم بأهداف الثورة الفلسطينية المنصوص عليها في الميثاق الوطني الفلسطيني * .

هـ ـ التشكيلات المركزية في الاتحاد حسب الدستور :

١) المؤتمر العام : وهو السلطة العليا للاتحاد ، ويتكون من ممثلي الفروع المنتخبين للمؤتمر ، بالإضافة إلى أعضاء المكتب التنفيذي إذا منحوا الثقة من المؤتمر بعد مناقشة التقرير المالي والإداري . وينعقد كل سنتين ، ويختص برسم سياسة الاتحاد العامة ، ومناقشة التقارير المقدمة عن وضع الاتحاد ، وإصدار اللائحة الداخلية ، وانتخاب المكتب التنفيذي .

٢) المجلس الإداري : وهو السلطة العليا للاتحاد بين المؤتمرين . ويتكون من أعضاء المكتب التنفيذي بالإضافة إلى رؤساء الفروع المنتخبين . وينعقد مرة كل ستة أشهر ، ويقوم بوضع الخطط والبرامج لتنفيذ قرارات المؤتمر العام .

٣) المكتب التنفيذي : وهو السلطة العليا اليومية للاتحاد . ويتكون من أحد عشر عضوا ينتخبهم المؤتمر العام . ويجتمع مرة كل شهرين على الأقل .

٤) الجمعيات العمومية (المؤتمرات في الفروع) وهي السلطة العليا للفرع .

٥) الهيئات الإدارية المنوط بها إدارة العمل في كل فرع على حدة .

ويمكن تأسيس فرع للاتحاد في كل إقليم يزيد عدد الأعضاء فيه عن عشرين شخصا . وتنتخب الجمعية العمومية (مؤتمر الفروع) الهيئة الإدارية التابعة لها والمنفذة لمقرراتها ومقررات المكتب التنفيذي .

الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين :

أ ـ تأسيس الاتحاد ومؤتمراته : عقد ممثلو الحقوقيين الفلسطينيين المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين في القاهرة في الفترة الواقعة بين ٢٢ و٢٥/١١/١٩٧١ ، وذلك بحضور أعضاء الهيئات الإدارية لثلاثة فروع شكلت خلال سنة ١٩٧١ في كل من مصر وسورية والكويت . وقد انتخب المجتمعون في المؤتمر أمانة عامة للاتحاد ، وتم خلاله أيضاً إقرار النظام الأساسي (الدستور) للاتحاد . ثم عقد الاتحاد مؤتمره الثاني في الجزائر بين ٢٥ و٢٩ /٥ /١٩٧٤ . وحضره مندوبون عن ستة فروع للاتحاد . وقد ناقش المجتمعون خلاله التقارير السياسية والمالية المقدمة إليه ، وانتخبوا أمانة عامة جديدة له . كما حضر المؤتمر ممثلون عن الاتحاد الدولي للحقوقيين الديمقراطيين ، وأمين اتحاد المحامين العرب العام ، وعدد من ممثلي الاتحادات الحقوقية الدولية والعربية . واتخذ المؤتمر في نهاية جلساته المقررات التالية :

١) حق الشعب الفلسطيني في وطنه واضح وصريح ، تؤكده جميع الأعراف والمواثيق الدولية .

٢) نضال الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل من أجل تحرير أرضه والعودة نضال مشروع .

٣) الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني تعني تصفية الكيان

http://al-maktabeh.com

الصهيوني وتحرير كامل التراب الفلسطيني ، وعودة الشعب الفلسطيني وممارسة حقه في تقرير المصير في وطنه ، ووسيلة تحقيق ذلك هي الكفاح المسلح .

٤) العمل على تحطيم أية تسوية لا تكون لمصلحة الشعب الفلسطيني .

٥) توجيه تحية إلى الدول المساندة للثورة الفلسطينة ، ومناشدة جميع الحقوقيين في العالم مساندة هذه الثورة والشعب الفلسطيني .

وقد انعقد المؤتمر الثالث للاتحاد في تونس في الفترة بين ٩ و١٢ /٧/ ١٩٧٧ . وحضر المؤتمر ممثلو الفروع السبعة العاملة التي تضم ما يقارب ألف عضو منتسب إليها ، وهي : مصر وسورية ولبنان وليبيا والجزائر والكويت وإمارات الخليج العربي (قطر ودولة الإمارات العربية) . وقد تمت مناقشة التقارير السياسية وعدد من الأبحاث القانونية عن نضال الشعب الفلسطيني ضد الصهيونية والإمبريالية ، والمؤامرات التي تستهدف الشعب الفلسطيني ، ودرست أوضاع الاتحاد والثورة . وتم انتخاب أمانة عامة جديدة ، كما تم تشكيل لجان عمل تقوم بدراسة أوضاع المعتقلين في الأراضي المحتلة ، منها اللجنة القانونية ، واللجنة السياسية واللجنة المالية . وقد أوصت اللجنة السياسية بتشكيل لجنة فلسطينية عربية دولية للدفاع عن حقوق المعتقلين في سجون العدو ، وفضح سياسته . كذلك أقر المؤتمر إجراء تعديلات على النظام الأساسي ، منها انتخاب مجلس إداري للاتحاد ، يتكون من ١٨ عضوا من ضمنهم الأعضاء الخمسة المكونون للأمانة العامة . وقد تم انتخاب هذا المجلس لأول مرة ، وتقرر أن يجتمع كل ٣ أشهر ، كما تقرر عقد المؤتمر العام مرة كل ٣ سنوات لا كل سنتين . وأصدر المؤتمر في نهاية أعماله بيانا سياسيا يؤكد دعم الاتحاد الكامل لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، واتخذ قرارات وتوصيات هامة من روح الإعلان السياسي للمجلس الوطني الفلسطيني * في دورته الثالثة عشرة (آذار ١٩٧٧) . وأصدر كذلك إعلانا سياسيا حدد فيه موقفه من التسوية السلمية والأحداث اللبنانية .

ب ـ دستور الاتحاد : يؤكد دستور الاتحاد :

١) أن الاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين تنظيم شعبي نقابي يمثل كافة الحقوقيين الفلسطينيين في العالم .

٢) وأن الاتحاد قاعدة من قواعد منظمة التحرير الفلسطينية . وهو في خدمة الثورة ويلتزم بالميثاق الوطني الفلسطيني * .

٣) وأن شعار الاتحاد : حق ، وحدة وطنية ، تحرير .

جـ ـ المقر : مقر الاتحاد الدائم القدس ، ويتخذ له مقراً مؤقتاً في القاهرة . ومنذ عام ١٩٧٧ أصبح مقر الاتحاد في دمشق .

د ـ أهداف الاتحاد :

١) العمل على استعادة الشعب العربي الفلسطيني جميع أراضيه وحقوقه بالتعاون مع جميع القوى التحررية في العالم .

٢) تأييد ودعم النضال العادل الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية لطرد المحتل الغاصب .

٣) العمل لمصلحة الوطن العربي في سبيل تحريره وتحقيق أهدافه القومية .

٤) تأييد ودعم حركات التحرر الوطنية في جميع أنحاء العالم .

٥) رفع مستوى الحقوقيين الفلسطينيين مهنيا وثقافيا واجتماعياً .

٦) العمل على توثيق التعاون بين المنظمات والاتحادات الشعبية الفلسطينية لتجسيد الوحدة الوطنية .

٧) الدفاع عن الثوار الفلسطينيين وكل من يساندهم في حال اعتقالهم .

٨) فضح أساليب العدو الصهيوني ، والأسس التي يقوم عليها الكيان العدواني ، باعتبارها مخالفة لميثاق الأمم المتحدة وإعلان حقوق الإنسان .

هـ ـ هيئات الاتحاد المركزية حسب الدستور :

١) المؤتمر العام : ويتكون من الهيئات الإدارية للفروع وأعضاء الأمانة العامة ، وهو أعلى سلطة في الاتحاد . ويعقد دورة عادية مرة كل ٣ سنوات . وهو الذي يضع السياسة العامة للاتحاد ، وينتخب المجلس الإداري .

٢) الأمانة العامة : وتنتخب من بين أعضاء المجلس الإداري ومدتها ٣ سنوات ، وتجتمع مرة كل ٣ أشهر ، وهي التي تقوم بتنفيذ مقررات المجلس الإداري ، ومتابعة المهام اليومية للاتحاد .

٣) الهيئات الإدارية للفروع : يؤسس فرع للاتحاد في كل قطر عربي يبلغ عدد الحقوقيين الفلسطينيين فيه ٣٠ حقوقيا على الأقل . وللفرع هيئة إدارية من تسعة أعضاء تنتخب كل ثلاث سنوات ، وهي السلطة العليا للفرع .

والاتحاد العام للحقوقيين الفلسطينيين عضو في اتحاد الحقوقيين العرب ومجلس السلم العالمي * ومؤتمرات حقوق الإنسان في جنيف .

الاتحاد العام للصحفيين العرب :

في ١٩٦٤/٢/٢١ ، صدر في القاهرة دستور الاتحاد العام للصحفيين العرب، وقانونه الأساسي .

أ ـ المؤتمر الأول للاتحاد (١٩٦٥) : عقد الاتحاد العام للصحفيين العرب مؤتمره الأول في الكويت من ٨ إلى

١٩٦٥/٢/١٣ ، وضم وفوداً من الصحفيين العرب والمنظمات الصحفية في كل من الأردن وتونس والجزائر والسودان والسعودية وسورية ومصر واليمن والعراق والكويت ولبنان وليبيا والمغرب وفلسطين .

ويتعامل الاتحاد منذ تأسيسه مع القضية الفلسطينية على أنها القضية المركزية للأمة العربية في نطاق البيانات التي يصدرها والمواقف التي يتخذها ، على حد سواء .

وقد دعا المؤتمر الأول وسائل الإعلام العربية جميعها إلى إحلال مصطلح « العائدين » محل « اللاجئين » ، و« الاحتلال الاستعماري الصهيوني » محل « السيطرة الإسرائيلية » و« فلسطين المحتلة » بدلاً من (إسرائيل) . واعتبر المؤتمر مشكلة الوجود الصهيوني في فلسطين " مشكلة احتلال استعماري لجزء من الوطن العربي يجب تصفيته من جذوره والقضاء على جميع مظاهره ، وتحرير هذا الجزء من الاحتلال الصهيوني ، وأن السبيل إلى ذلك يكون في توفير الشروط الموضوعية للثورة على هذا الاحتلال بكل الوسائل والإمكانيات ، وبأسرع وقت ، وتوفير الشروط الموضوعية التي تمكّن أبناء فلسطين من القيام بدورهم الطليعي في معركة العودة " . وطالب المؤتمر الصحافة العربية بمساعدة الشعب الفلسطيني " في إحقاق حقه المشروع في حرية العمل السياسي الفلسطيني " . وناشد الحكومات العربية " إصدار عفو عام عن جميع اللاجئين السياسيين والمنفيّين والمعتقلين من أبناء فلسطين " . كما حيّا المؤتمر أبناء فلسطين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة ، وقدّر كفاحهم البطولي ، ودعا الصحافة العربية إلى إيلاء قضيتهم كل اهتمام ، وإلى مواصلة " دعم وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية * ، باعتبارها ناطقة رسمية شعبية باسم الشعب العربي الفلسطيني " . واعتبر المؤتمر مؤتمرات القمة العربية * غير كافية " وحدها لحل قضايانا القومية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين ، حلا جذريا شاملا " . وطالب الدول العربية بتنفيذ مقرراتها الخاصة " بإعادة النظر في علاقات الأقطار العربية مع الدول الأجنبية على ضوء مواقفها من قضايا التحرر العربي ، وفي طليعتها القضية العربية في فلسطين " . وناشد المؤتمر الدول العربية " اتخاذ موقف عملي حازم من الاستعمار الغربي ، وعلى رأسه أميركا " . ورجا الصحافة العربية " أن تضغط ، بكل وسائلها ، كي ينقلب كل معسكر من معسكرات العائدين إلى ثكنة عسكرية ، يمارس فيها الشباب الفلسطيني عمليات التدريب الحربي ، كي يستطيعوا تأدية واجبهم المقدس في معركة التحرير " . وطالب الدول العربية بالإشراف التام على شؤون وكالة غوث اللاجئين " بشكل يفوّت عليها أية خطة لتصفية العائدين " . وأوصى حكومات الدول العربية برصد ميزانية سنوية لجيش التحرير الفلسطيني * ، وبموقف موحد من ألمانيا الغربية التي قررت تزويد (إسرائيل) بالأسلحة وبالأموال . وطالب المؤتمر العرب بالنضال من أجل منع (إسرائيل) من تحويل مياه نهر الأردن . وتمنّى أن تدعم الصحافة العربية المشروع الذي قدمته منظمة التحرير الفلسطينية إلى مؤتمر القمة العربي بشأن تنظيم الجباية الشعبية لتمويل معركة التحرير الفلسطينية .

ب ـ المؤتمر الثاني للاتحاد (١٩٦٨) : تأخر انعقاد المؤتمر الثاني للاتحاد إلى ما بعد الخامس من حزيران ١٩٦٧ ، وانعقد في القاهرة ، في ما بين ١٠ و١٩٦٨/٢/١٤ . ورأى في حرب ١٩٦٧ * " القمة لتصاعد العدوان الاستعماري الصهيوني ضد الوطن العربي " . وأشار إلى أن المؤامرات الاستعمارية تهدف إلى " منع الأمة العربية من تحقيق أهدافها في التحرر ، والتخلص من الاستغلال ، والتجزئة ، والتخلف " . وأعاد المؤتمر نكسة حزيران إلى :

١) عزل الشعب العربي الفلسطيني عن قضيته .
٢) عدم حماية العمل الفدائي .
٣) عدم إتاحة الفرصة الكاملة للجماهير العربية للمشاركة في قضيتها المصيرية .
٤) تغلغل الوجود الإمبريالي إلى كثير من حقول العمل العربي .
٥) أوضاع التجزئة ، وعدم التخلص من النفوذ الاستعماري ، واستمرار التسلط والقهر .
٦) عدم التقييم العلمي للعدو .
٧) عدم التخطيط والاستعداد الجدي .

ولذلك قرر المؤتمر رفض " كل محاولة لتصفية قضية فلسطين " . ورأى " أن إزالة آثار العدوان يجب أن تكون جزءاً من إستراتيجية تحرير فلسطين " . وسجل " بكل إكبار ، صمود شعب فلسطين المناضل بالأرض المحتلة " . ومجّد " المقاومة الفلسطينية المسلحة " . وأكد " ضرورة المحافظة على الكيان الفلسطيني ، وعلى الكفاح المسلح " . وشارك المؤتمر الجماهير العربية تطلعها إلى توحيد قوى الكفاح الفلسطيني المسلح ، وطالب " التنظيمات الشعبية والحكومات العربية بمساندة حركة المقاومة الفلسطينية " . ودعا حكومات العرب إلى " رفع القوانين الاحترازية والأنظمة التعسفية المفروضة عليهم " . وطالبها " بتعبئة طاقاتها وإمكانياتها ، ووضع سياساتها الداخلية والخارجية في خدمة موقف الصمود " . وحثّها على التصفية الفعلية والسريعة لجميع مظاهر النفوذ الاستعماري ، وفسح المجال أمام المنظمات الشعبية في الوطن العربي لكي تؤدّي دورها الفعّال في تعبئة وقيادة الجماهير . وطلب المؤتمر من الصحف العربية " بيان خطورة المرحلة والمعركة ، دون تهويل أو تهوين " ،

و " طرح القضية الفلسطينية في الصعيد العالمي على حقيقتها ، كقضية تحرر واسترداد وطن " لشعب يرفض الفكرة الصهيونية ، ويفرّق بين الديانة اليهودية والحركة الصهيونية العنصرية الفاشية الاستعمارية . ورأى المؤتمر " أن السماح بهجرة ، أو تهجير اليهود من بلادهم الأصلية، في أي مكان في العالم الى (إسرائيل)، يعدّ موقفاً معادياً لحركة التحرر الوطني والسلام في الشرق الأوسط " .

جـ ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٢) : وفي ما بين ١٠ و١٩٧٢/٢/١٤ ، عقد المكتب الدائم لاتحاد الصحفيين العرب اجتماعاً في عدن ، وتضمنت مقرراته " شجب محاولات الصهيونيين لإجراء الانتخابات المزيفة للمجالس البلدية بالضفة الغربية " .

د ـ المؤتمر الثالث للاتحاد (١٩٧٢) :

عقد الاتحاد مؤتمره الثالث في بغداد بين ١٧ و١٩٧٢/٤/٢٠ ، واخذت « لجنة فلسطين » المنبثقة عن المؤتمر التوصيات التالية :

١) إن حركة المقاومة الممثلة في منظمة التحرير الفلسطينية ، هي الجهة الشرعية الرسمية والثورية الوحيدة التي تملك حق تجسيد إرادة شعب فلسطين .

٢) تلاحم ودمج النضال الشعبي في جبهة وطنية أردنية ـ فلسطينية .

٣) رفض كل محاولة لتصفية القضية الفلسطينية .

٤) ضرورة النضال ضد كل المحاولات التي تتخذ لعزل الشعب الفلسطيني عن قضيته وثورته ، والمطالبة بحق الثورة الفلسطينية في الوجود الكامل فوق الأرض العربية ، والمطالبة بانضمام الشباب العربي إلى حركة المقاومة الفلسطينية ، لتأكيد قومية العمل الفدائي .

٥) تصفية الوجود الإمبريالي وركائزه في الوطن العربي ، وإزالة كل مظاهر وجوده ، لأن ذلك هو المدخل الأساسي الذي يمكّن من خوض معركة ظافرة مع العدو الصهيوني .

٦) تحرير ثروات العرب الطبيعية ، وفي مقدمتها الثروة النفطية ، من سيطرة الاحتكارات الإمبريالية ، وانتهاج سياسة اقتصاد حربي .

٧) تعزيز النضال من أجل إقامة وحدة عربية تقدمية .

٨) هذه الوحدة وتحرير الوطن العربي يقتضيان من القوى الوطنية والتقدمية والديمقراطية أن تعمل على توحيد قواها .

٩) لا تحرير بدون الحرب الشعبية الشاملة ، مع ضرورة التمسك الدائم بالهدف النهائي للنضال الفلسطيني والعربي ، وهو إزالة الكيان الصهيوني وإقامة الدولة الفلسطينية التقدمية الديمقراطية .

١٠) أهمية قيام ودعم « الجبهة العربية التقدمية المشاركة» في دعم الثورة الفلسطينية .

١١) الاعتماد على قوى العرب الذاتية .

١٢) السعي إلى تقوية الإعلام العربي في الخارج .

١٣) التوصية بأن يصدر اتحاد الصحفيين العرب مجلة ، بمختلف اللغات ، للدعاية للقضايا العربية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين .

١٤) توصية منظمة التحرير الفلسطينية بالإسراع بتوحيد الإعلام الفلسطيني .

هـ ـ المؤتمر الرابع للاتحاد (١٩٧٤) : انعقد المؤتمر الرابع لاتحاد الصحفيين العرب في دمشق بين ٧/٣٠ و١٩٧٤/٨/٢ . وحول حرب ١٩٧٣ * جاء في البيان الختامي للمؤتمر أن هذه الحرب نقلت الثورة العربية من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم . كما نوّه هذا البيان بالدور الكبير الذي قام به حظر النفط "في التأثير على كثير من المواقف العالمية " . وأشاد بدعم الاتحاد السوفييتي وبقية البلدان الاشتراكية للعرب في هذه الحرب . ورأى المؤتمر أن هذه الحرب أسقطت نظرية الأمن الإسرائيلي ، وأوقفت طموحات البناء الاقتصادي الإسرائيلي الموسع ، وفرضت على الإمبريالية العالمية إعادة النظر في حجم ودور (إسرائيل) في المخطط الإمبريالي العالمي .

وأشار المؤتمر إلى أن حرب تشرين لم تنته بعد ، وهي لن تنتهي إلّا بتحقيق الانسحاب الكامل من الأراضي العربية واستعادة حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وذلك برسم إستراتيجية عربية ، ومواصلة بناء الجيوش العربية . وأكد المؤتمر أن "صراعنا مع العدو الصهيوني في هذه المرحلة يتقدّم على العديد من الصراعات التي تواجهها الأمة العربية " ، ودعا إلى تعزيز التضامن الوطني العربي ، معلناً رفضه لأي سلام مع الذل وهدر الحق .

وفيما يخص القضية الفلسطينية ، حذّر المؤتمر من خطر حركة الالتفاف الأميركية على إنجازات حرب تشرين وروحها الوطنية العظيمة . ورأى أن مما يزيد من تأجيج هذه الأحاسيس محاولات محاصرة الثورة الفلسطينية ، واندفاع بعض الأوساط العربية على طريق التسوية ، واعتماد سياسة الانفتاح على الولايات المتحدة الامريكية ، وتدهور سياسة التضامن العربي . ودعا المؤتمر إلى استمرار الصراع مع (إسرائيل) والإمبريالية العالمية ، وحشد كل قوى الأمة العربية وطاقاتها لمعركة التحرير والوحدة والتقدم .

و ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٥) : عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً استثنائيا في بيروت بين ٢٤ و١٩٧٥/٣/٢٧ ، أكد فيه " حق الأمة العربية في استخدام السلاح لتحرير أراضيها " .

وشجب المجتمعون "كل الحلول الاستسلامية التي لا طائل من ورائها سوى إرباك الجهود العربية وبلبلة الرأي العام العربي " ، وندّد الاجتماع بالمقالات التي ظهرت في بعض الصحف العربية تتحدث عن التعايش مع العدو . وقرر المكتب الدائم " إسقاط عضوية أي صحفي ينادي بالتعايش مع العدو " ، كما دعا " النقابات العربية إلى شطب هؤلاء من جداول عضويتها " . وأكد تضامن الصحفيين العرب الكامل وتأييدهم الحازم لنضال الصحفيين الفلسطينيين ، ولا سيما أولئك الرازحين تحت نير الاحتلال الصهيوني . وحيّا المكتب الصحفيين المعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني ، ودعا إلى تنظيم حملات احتجاج واسعة من أجل الإفراج عنهم ، وناشد الدول العربية تقديم الدعم المادي للصحفيين في الأرض المحتلة ، وانتهى المكتب إلى تخصيص يوم باسم « يوم الصحفي الفلسطيني» .

ز ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٥) : في إثر توقيع معاهدة سيناء الثانية ، عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً في طرابلس بليبيا ، بين ١١/٢٩ و١٩٧٥/١٢/١ ، وقرر " إدانة هذه الاتفاقية ، ورفض السياسة الهادفة إلى تجزئة القضية ، وإفراغ النضال العربي من مضمونه ، وإعطاء مكاسب حقيقية للعدو " ، وأكد أن المعركة مع العدو مستمرة . ودعا الأمة العربية إلى المزيد من التلاحم والحشد العسكري والاقتصادي . وتمنى أن تعقد المنظمات الشعبية العربية مؤتمراً شعبياً لتحديد موقفها من هذه الإتفاقية وغيرها من المشاريع الاستسلامية ، ولرسم إستراتيجية جديدة . وجدّد المكتب إدانة الصحفيين العرب لسياسة التوجه نحو الولايات المتحدة ، وندّد بكل المحاولات الرامية إلى عزل شعب مصر عن نضال الأمة العربية . واعتبر المكتب " أن المهمة الرئيسية ، الآن ، أمام الصحفيين العرب هي النضال ، بكل الأشكال ، لإسقاط الخط السياسي الاستسلامي " ، ودعا إلى العمل من أجل وحدة كل القوى الوطنية التقدمية في الوطن العربي ، وطالب كلاً من العراق وسورية بإقامة الجبهة الشرقية .

وقدّر المكتب " الانتصارات التي حقّقها نضال الشعب الفلسطيني ، على الصعيدين العربي والدولي " ، وحيّا " الانتفاضة العظيمة لجماهير الأرض المحتلة " ، ودعا " لزيادة فعالية الجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية " ، و " إلى فتح جميع الجبهات أمام الثورة الفلسطينية " ، كما دعا " فصائل الثورة الفلسطينية لتعزيز وحدتها " ، وطالب بفضح " اتجاهات التسوية " و " العمل بكل الوسائل والسبل لدعم العمل الوحدوي في الوطن العربي " ، واستنكر المكتب إغلاق إذاعة الثورة الفلسطينية في القاهرة . وكلف الأمانة العامة لاتحاد الكتّاب والصحفيين الفلسطينيين الإعداد لندوة عالمية ، تقام في بلد عربي ، حول قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة الذي عرّف الصهيونية بأنها حركة عنصرية (رَ : العنصرية والصهيونية) .

وفي ما يخص الوضع المتأزم في لبنان ، ناشد المكتب الرأي العام اللبناني العمل من أجل وقف المعركة الدائرة على الأرض اللبنانية .

ح ـ المؤتمر الخامس للاتحاد (١٩٧٦) : انعقد المؤتمر الخامس للاتحاد في مدينة الجزائر بين ١٣ و١٩٧٦/١٢/١٦ ، وقد حيّا هذا المؤتمر استمرار المقاومة الفلسطينية ، ورأى أن استمرارها يتطلب : توفير كل أسباب الحماية والتأييد ، وحشد المقاتلين ، وإزالة العقبات من طريقهم ، ووقف محاولات الوصاية والتمزيق وشق صفوف المقاومة ، مع إحباط كل محاولات التسوية الاستسلامية . وندّد المؤتمر بالاتجاه الذي أخذ يبرز ، عربياً ، ويدعو إلى التعايش مع العدو ، وإفقاد حركة المقاومة الفلسطينية استقلالها . وأكّد المؤتمر أن منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وناشد المنظمات الفلسطينية التمسك بالميثاق الوطني الفلسطيني * ، ومواصلة الكفاح المسلح ، وتوحيد الجبهة الوطنية الفلسطينية ، ووضع البرامج اللازمة للتعبئة القومية الشاملة ، والإلحاح على الحوار الديمقراطي لحل الخلافات في الرأي . وأوصى المؤتمر بتخصيص منابر وأركان ثابتة في الصحف العربية للقضية الفلسطينية ، وبتنظيم لقاءات بين الصحفيين الأجانب والعرب " قصد إقناعهم بعدالة قضيتنا " .

ط ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٧٧) : بعد أن أقدم الرئيس المصري أنور السادات على مبادرته وزار (إسرائيل) عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً طارئاً في بغداد ، في ١٩٧٧/١١/٢٩ . وصدر عن هذا الاجتماع بيان سياسي دان الزيارة ، واعتبرها محصّلة حتمية لنهج التسوية الاستسلامية ، ونتيجة طبيعية لتسميم الثمار السياسية لحرب تشرين ، وما رافق ذلك من قمع للحريات داخل مصر نفسها ، وتحطيم مكتسبات الشعب المصري ، تحت دعاوى الانفتاح والارتباط بالاقتصاد الإمبريالي العالمي . ورأى الاجتماع أن هذه الزيارة تضفي الشرعية على الكيان الصهيوني " وتشكل إقراراً من جانب النظام المصري بالمفهوم الصهيوني ـ الإمبريالي لطبيعة السلام ، وخيانة سافرة لعروبة القدس " . ورأى المكتب الدائم " أن تشكيل الجبهة العربية المناهضة للتسوية هو ، الآن ، الأشد إلحاحاً " . وكرر المكتب مطالب اتحاد الصحفيين العرب السابقة ، والخاصة بدعم المقاومة الفلسطينية ، وفتح الحدود أمام مقاتليها ومحاربة الدعوات الاستسلامية . كما طالب باتخاذ موقف صلب من عملاء الولايات المتحدة في المنطقة . وأشار المكتب إلى خطر العلاقات التي تقيمها القوى الرجعية في لبنان مع العدو الصهيوني .

ي ـ المؤتمر السادس للاتحاد (١٩٧٩) : انعقد المؤتمر السادس للصحفيين العرب في الجبانية (العراق) بين ١/ و٣/٤/١٩٧٩ . وقد ندد باتفاقيات كامب ديفيد التي وقعها الرئيس السادات مع (إسرائيل) ، ورأى أنها " تعرض الأمن القومي للخطر ، وتفرّط بالحقوق القومية العربية " . وانتهى المؤتمر إلى المطالبة بحشد طاقات الجماهير الشعبية العربية ، ووحدة القوى الوطنية والتقدمية العربية كلها ، ووضع الثروات العربية في خدمة المعركة ، واعتبار أي تعامل مع العدو الصهيوني خيانة ، والإمبريالية الأمريكية عدواً رئيساً ، وكل خطوط المواجهة مع العدو الصهيوني مناطق قتال وفتحها أمام المقاومة ، ومطالبة جميع الأنظمة العربية بالتطبيق الفوري والكامل لمقررات قمة بغداد (رَ : القمة العربية ، مؤتمرات) .

ك ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٧٩) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً لها بين ١ و١٩٧٩/٧/٣ ، في تونس ، أشادت فيه بالإعلان السياسي عن تشكيل القيادة الموحدة بين القطرين العراقي والسوري ، وطالبت بالإسراع في الوحدة بين القطرين . وحذّرت من مؤامرة الحكم الذاتي الفلسطيني ، وقدّرت موقف سلاح الجو السوري في التصدي للاعتداءات الصهيونية على لبنان ، وطالبت بتشديد عزلة الرئيس السادات ونظامه ، وحيّت الشعب المصري وطلائعه الوطنية والتقدمية .

ل ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٧٩) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً استثنائياً ، في بيروت ، بين ٢٥ و١٩٧٩/٩/٢٦ ، خصصته لبحث قضية الجنوب اللبناني ، وحيّت فيه أبناء الجنوب ، ورأت أن " أي طرح يربط بين وجود المقاومة الفلسطينية واستمرار العدوان الصهيوني إنما يصبّ ، في النتيجة ، في نفس المخطط الرامي لتصفية القضية وإنهاء الكفاح المسلح " . وأكدت الأمانة العامة دعمها للشرعية اللبنانية ولسيادة لبنان ووحدته . ودعت إلى فتح الحدود العربية الأخرى لمجابهة العدوان .

م ـ مؤتمر اتحادات الأدباء والصحفيين والإذاعات ووكالات الأنباء (١٩٨٠) : عقدت اتحادات الأدباء والصحفيين والإذاعات ووكالات الأنباء العربية اجتماعاً مشتركاً في بغداد بين ١٢ و١٩٨٠/١/١٣ ، بدعوة من الأمانة العامة لاتحاد الصحفيين العرب ، من أجل تحقيق الخطة الإعلامية بشأن الجنوب اللبناني . واعتمدت هذه الخطة على أن ما يجري في الجنوب اللبناني هو جزء من مخطط فرض التسوية الاستسلامية على المنطقة ، وجزء من مخطط التوسع الإسرائيلي . وأوضح الاجتماع أن التصدي للعدوان الصهيوني لا يكون بتقديم التنازلات له . وأكد حق لبنان في السيادة على أراضيه ، وحق الشعب الفلسطيني في النضال لتحرير أرضه عبر جميع الجبهات العربية . واتخذ المؤتمر قرارات لتنفيذ عدد من الأعمال والخطوات الإعلامية بشأن الجنوب اللبناني ودعم المقاومة .

ن ـ ندوة بغداد (١٩٨٠) : انعقدت ندوة بغداد للحوار العربي ـ الأوربي للصحفيين بإشراف اتحاد الصحفيين العرب بين ٢٦ و١٩٨٠/١/٢٩ . وقد صدر عن هذه الندوة بيان أوضح أن " بعض أجهزة الإعلام في أوربا ما زالت واقعة تحت تأثير مصالح رأسمالية ورواسب عقلية استعمارية تجد من الصهيونية حليفا لها " . وسجّل المشاركون في الندوة أن قضية فلسطين قضية إنسانية تزداد تأزماً ، ولا يمكن أن تأخذ طريقها إلى الحل الشامل والعادل إلّا بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة (رَ : الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني) . وأشاروا إلى أن ثمة حقائق موضوعية لا تصل إلى الرأي الأوربي ، فمعظمه لا يزال يجهل حقائق المشكلة . ورأى المشاركون " أن القضية الفلسطينية يجب أن تخرج من إطار المحاولات المستمرة لتصفيتها " .

س ـ الأمانة العامة للاتحاد (١٩٨٠) : عقدت الأمانة العامة للاتحاد اجتماعاً في عمّان بين ١٣ و١٩٨٠/٥/١٥ . وكان الموضوع الرئيسي على جدول أعمال الاجتماع هو بحث وسائل دعم انتفاضة فلسطين المحتلة . واستمع الحاضرون إلى المناضلين الثلاثة المبعدين : فهد القواسمة ، ومحمد ملحم ، والشيخ رجب التميمي .

ع ـ المكتب الدائم للاتحاد (١٩٨١) : عقد المكتب الدائم للاتحاد اجتماعاً في تونس بين ٢٨ و١٩٨١/٤/٣٠ . وقد أشار البيان السياسي الصادر عن الاجتماع إلى " حرب الإبادة التي يتعرض لها الشعبان اللبناني والفلسطيني " ، وإلى " إقامة القواعد العسكرية وتجهيز الجيوش الأجنبية للتدخل وإثارة الفتن الطائفية والحروب الأهلية وتمزيق صفوف الأمة العربية ، وضرب الحريات الديمقراطية " . وطالب البيان بحشد كل الطاقات العربية " من أجل خوض معركة تحرير فلسطين " . ودان المكتب " كل محاولة للاتصال بالعدو الصهيوني " . وأكد " أن الإمبريالية الأميركية هي العدو الرئيسي للأمة العربية " . ورفض " كافة المبادرات الهادفة إلى تجميل كامب ديفيد " . وأشاد بمقاومة الشعب المصري لكامب ديفيد وتطبيع العلاقات بين مصر و(إسرائيل) . وناشد المكتب الدائم الدول العربية " دعم اللبنانيين في نضالهم العادل للدفاع عن سيادة وطنهم ، واستقلالهم ، ووحدتهم ضد العدوان الإسرائيلي الدائم وأدواته " .

ف ـ ندوة تونس (١٩٨١) : بمبادرة من الاتحاد ، انعقدت ندوة الحوار العربي ـ الإفريقي ، في تونس ، في ما بين ٤ و١٩٨١/٥/٦ . وصدر عنها بيان سياسي رأى أن ولادة الكيان

الصهيوني في فلسطين ، بدعم من الغرب ، جاء ليحقق " أحد أهم الأهداف الاستعمارية بتكريس عملية الفصل بين آسيا وإفريقيا ، وتطويق أي تواصل " ، وقد شكّل الدور الإسرائيلي ، كامتداد للأدوار الاستعمارية " أحد أهم التحديات الرئيسية التي يواجهها العرب والأفارقة ، معاً " ، وأكّد البيان أن " العلاقات بين (إسرائيل) وجنوب إفريقيا تتميز بخصوصية يفرضها تقاطع الصهيونية والعنصرية " . وأشار بيان الندوة ألى أن حرب ١٩٦٧ جاءت " بمثابة الصدمة الكهربائية الثانية ، بعد عدوان ١٩٥٦ (ر : حرب ١٩٥٦) ، منبهة لترابط الأدوار الصهيونية ـ الاستعمارية ، وخطورتها على وحدة وفعالية حركات التحرر ، ونهوضها الاستقلالي " ، الأمر الذي أدّى إلى تعزيز العلاقات العربية ـ الإفريقية ، فقطعت تسع دول إفريقية علاقاتها مع (إسرائيل) ، ثم ارتفع عددها إلى ٢٩ دولة ، بعد حرب تشرين الأول ١٩٧٣ . وأيد مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية ، في ١٩٧٣/١١/٢١ ، النضال العربي ، ودان (إسرائيل) بشدة . والشيء نفسه فعله مؤتمر وزراء خارجية دول شرق ووسط إفريقيا ، في الفترة نفسها ، وتلا ذلك انعقاد أول مؤتمر قمة عربي ـ إفريقي ، في القاهرة ، سنة ١٩٧٧ .

الاتحاد العام لطلبة فلسطين :

يعود تاريخ الحركة الطلابية الفلسطينية إلى الفترة التي واجه فيها الشعب الفلسطيني الانتداب البريطاني . وقد عمل الطلبة في المؤسسات التعليمية خلال تلك الفترة على تشكيل جمعيات أسموها "جمعيات الخطابة " ، وأخذوا من خلالها يدعون إلى تشكيل اتحاد طلابي لتجميع الطاقات الطلابية والوقوف في وجه مخططات المستعمرين . وفي عام ١٩٣٦ انعقد المؤتمر الطلابي الأول في مدينة يافا *، وحضره ممثلون من مختلف المدارس الفلسطينية . وناقش المؤتمر القضية المركزية ، وهي مواجهة الاحتلال البريطاني من أجل الاستقلال . كما نبّه المؤتمر إلى المؤامرات التي تحاك بالاشتراك مع سلطات الانتداب للسيطرة على فلسطين . ودعا إلى مواجهة الهجرة الصهيونية * باعتبارها مؤامرة استعمارية لتسليم فلسطين للصهيونيين تنفيذاً لوعد بلفور * . وانتخب المؤتمر الأول قيادة الاتحاد لمتابعة الاحداث ، وتنظيم الحركة الطلابية . كما شارك الاتحاد في الدعوة إلى الإضراب العام سنة ١٩٣٦ ، وساهم في إنجاحه ، وفضح الأهداف الصهيونية .

ومن ناحية أخرى تشكلت في القاهرة رابطة الطلبة الفلسطينيين في جامعة الملك فؤاد (القاهرة حالياً) ، حيث كانت تقوم بالتعريف بظروف الشعب الفلسطيني ، والمخاطر التي تهدد الأمة العربية .

وبعد وقوع النكبة ١٩٤٨ شهدت الحركة الطلابية الفلسطينية تطورات متسارعة . وكانت الانطلاقة الأولى باتجاه تنظيم قوى الشعب ، فبدأت الأطر الطلابية تسعى إلى خلق أشكال نضالية طلابية موحدة ومنظمة . وقد سميت المرحلة الممتدة من النكبة حتى عام ١٩٥٦ ، على صعيد الحركة الطلابية مرحلة الروابط الطلابية . ففي عام ١٩٥٢ وسّعت رابطة القاهرة قاعدتها لتشمل أعداداً كبيرة من الجامعيين الفلسطينيين ، وأخذت دورها في طرح القضية الفلسطينية والمشكلات الطلابية ، وحصلت على اعتراف جامعة الدول العربية بها . وتم ذلك عند تولي ياسر عرفات رئاسة الرابطة . ثم تشكلت روابط أخرى في الإسكندرية وأسيوط ودمشق وبيروت . ودعيت رابطة القاهرة في عام ١٩٥٦ إلى حضور مؤتمر اتحاد الطلاب العالمي كعضو مراقب ، وقد تشكلت هيئة إدارية عام ١٩٥٨ من رابطتي القاهرة والإسكندرية . أصدرت آنذاك مجلة " صوت فلسطين " .

أ ـ تأسيس الاتحاد وتطوره : بعد الاتصالات التي أجرتها اللجنة التحضيرية خلال سنة ١٩٥٩ ، وجهت الدعوة لعقد أول مؤتمر للطلاب الفلسطينيين في القاهرة ، وقد انعقد المؤتمر فعلاً في ١٩٥٩/١١/٢٩ ، أي في ذكرى تقسيم فلسطين *، تأكيداً على إبراز الشخصية الفلسطينية المستقلة . وحضر المؤتمر ممثلون عن طلبة فلسطين في القاهرة ودمشق ولبنان، وممثلو الاتحادات الطلابية العربية والأجنبية . ووضع المؤتمر دستور الاتحاد ولائحته التنظيمية . واعتبر مهمته الأساسية خلق الإنسان الثوري القادر على المشاركة في معركة التحرير والإعداد للمعركة وتوعية الشباب الفلسطيني .

وشهدت مرحلة ما بعد ولادة الاتحاد حالة متميزة من المد الوطني لدور القطاع الطلابي الفلسطيني ، فقد مثل الاتحاد عمليا الشعب الفلسطيني على الصعيد الدولي في مناسبات عدة وأخذ على عاتقه مهمة إبراز شخصيته المستقلة ، مما ساعد على توسيع إطاراته في مناطق متعددة .

عقد الاتحاد فيما بين عامي ١٩٥٩ و١٩٧٨ ثمانية مؤتمرات عامة . وكان أولها مؤتمر القاهرة سنة ١٩٥٩ ، وفيه انتخبت أول هيئة تنفيذية للاتحاد . وانعقد المؤتمر الثاني في مدينة غزة * سنة ١٩٦١، وفيها انعقد المؤتمر الثالث أيضاً سنة ١٩٦٣،وهناك تشكلت هيئة تنفيذية مؤقتة تولت تسيير أعمال الاتحاد . وفي المؤتمر الرابع الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٦٥ برز الخلاف حول انتخاب الهيئة التنفيذية الجديدة ، مما أدى إلى تشكيل هيئتين تنفيذيتين للاتحاد . ثم انتهى هذا الخلاف العارض بعد شهر من انعقاد المؤتمر ، وتشكلت هيئة تنفيذية واحدة . أما مؤتمر عمان سنة ١٩٦٩ فقد تم فيه

انتخاب مجلس إداري من ٢٥ عضواً لرسم الخطة المناسبة لتطبيق قرارات المؤتمر ، والإشراف عليها ، ولانتخاب هيئة تنفيذية في أول اجتماع له .

وعقد المؤتمران السادس والسابع في الجزائر . وجرى عقد أولهما في ١٩٧١/٨/١٥ ، والثاني في ١٩٧٤/٨/١٦ . وحضرهما ممثلو الفروع العديدة في الوطن العربي وفي العالم . وقد تم فيهما انتخاب المجلس الإداري من ٢٧ عضواً وكان هذا المجلس ينتخب الهيئة التنفيذية الجديدة في كل مرة .

وتم عقد المؤتمر الثامن في بيروت بين ١٨ و١٩٧٨/١٢/٢٦ . وقد انتخب المجلس الإداري من ٣٣ عضواً ، والهيئة التنفيذية الجديدة . تمثلت في الهيئة والمجلس أهم التنظيمات الفلسطينية . وقد صدر عن المؤتمر بيان سياسي شدد على ضرورة التصدي لكل محاولات الاحتواء والوصاية والتبعية ، وضرورة الحفاظ على استقلالية الإرادة الفلسطينية . وأكد وجوب التصدي لمشاريع التسوية المطروحة وفي مقدمتها اتفاقات كامب ديفيد *، ورفض جميع محاولات تجاوز الشعب الفلسطيني ،وأكد حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة ، وحيّا المؤتمر في بيانه نضال الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة والتلاحم الفلسطيني اللبناني ، والجبهة القومية للصمود والتصدي * .

ب ـ أهداف الاتحاد : الاتحاد العام لطلبة فلسطين هو المؤسسة النقابية الطلابية الفلسطينية الوحيدة . وهو يسعى إلى :

١) الدفاع عن المصالح المادية والأدبية والثقافية لأعضائه .

٢) تحسين الظروف المعيشية والمادية لأعضائه .

٣) ضمان مختلف الوسائل لتشجيع الطلبة في دراستهم .

٤) توفير سبل العلم للطالب الفلسطيني بمختلف مراحله الابتدائية والإعدادية والثانوية والجامعية .

كما يسعى الاتحاد ، كمنظمة تضم جزءا من الطليعة الواعية من شعب فلسطين ، إلى :

١) إعداد الشباب العربي لمعركة التحرير .

٢) فضح المؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية الرامية إلى تصفية القضية الفلسطينية ، والعمل على حماية الثورة من كل ما تتعرض له من مؤامرات في شتى المجالات .

٣) تنمية وعي الشعب الفلسطيني حول أسس التنظيم الشعبي السليم .

٤) توثيق الروابط بين الاتحاد والمنظمات الشعبية الفلسطينية .

ويسعى الاتحاد كمنظمة طلابية إلى :

١) وحدة الحركة الطلابية العربية وتدعيمها .

٢) توثيق العلاقات بالمنظمات الطلابية العربية والآسيوية والإفريقية ، وبالمنظمات الطلابية الوطنية الأخرى .

٣) تمثيل طلبة فلسطين في مختلف المجالات الطلابية والدولية .

جـ ـ مبادىء الاتحاد : يؤمن اتحاد طلبة فلسطين :

١) بأن التنظيم الشعبي الطلابي هو القاعدة الأساسية للثورة الفلسطينية التي هي الطريق الوحيد إلى التحرير الكامل .

٢) بأن الاعتراف بالشخصية الفلسطينية المستقلة دعامة أساسية لنضال شعب فلسطين في سبيل التحرير .

٣) بأن كفاح شعب فلسطين هو طريق الوحدة العربية الجماهيرية وأن وحدة الجماهير العربية هي خطوة أساسية للتحرير .

٤) بالدور الطليعي الذي يجب على الطالب الفلسطيني أن يقوم به في قيادة شعبه .

ويؤكد دستور الاتحاد أن الاتحاد قاعدة من قواعد الثورة الفلسطينية يعمل من أجل تحرير فلسطين بكافة الوسائل ، وهو يمثل طلبة فلسطين في جميع أنحاء العالم .

أما المقر الدائم للاتحاد فهو مدينة القدس * . واختيرت بيروت مقراً مؤقتاً له .

يحق لكل طالب (وطالبة) من أصل فلسطيني أن يكون عضوا في الاتحاد . وتنقسم العضوية إلى عضوية عامة ، وعضوية مراقبة ، وعضوية شرف . ويحق لكل الطلاب المنتسبين إلى الكليات والجامعات والمعاهد العليا الترشّح للعضوية العاملة .

د ـ البناء التنظيمي للاتحاد :

١) المؤتمر الوطني العام : يضم ممثلي الفروع المنتخبين من جمعياتها العامة على أساس اللائحة الداخلية الخاصة بانتخابات المؤتمر . ينعقد المؤتمر الوطني العام مرة كل سنتين ، فيناقش التقارير المقدمة من الهيئة التنفيذية ، ويضع خطة عمل للاتحاد للفترة القادمة . وهو أعلى سلطة في الاتحاد ، ومن حقه تعديل الدستور واللوائح التنظيمية . كما يقوم بانتخاب المجلس الإداري .

٢) المجلس الإداري : أعلى سلطة في غياب المؤتمر ، ويتكون من ٣٣ عضواً . ينتخب الهيئة التنفيذية للاتحاد ، ويعقد دورة كل ستة أشهر لمتابعة أعمال الهيئة التنفيذية في تنفيذ مقررات المؤتمر الوطني العام .

٣) الهيئة التنفيذية : وهي أعلى سلطة في غياب المؤتمر العام والمجلس الإداري ، وتعتبر القيادة اليومية للاتحاد . وتشكل من تسعة أعضاء وتصدر نشرة اسمها « جبل الزيتون» .

٤) الهيئة الإدارية : وهي القيادة اليومية لفرع الاتحاد . ويجري انتخابها من قبل الجمعية العامة للفرع في اجتماعها السنوي حسب اللائحة الداخلية .

يشارك الاتحاد في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني * بسبعة ممثلين وله ممثل في المجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية *

وتنتشر فروع الاتحاد في مصر وسورية ولبنان والعراق والكويت والسودان وليبيا والجزائر وتونس والمغرب واليمن الديمقراطي والاتحاد السوفييتي ورومانيا وبلغاريا وبولندا والمجر وألمانيا الديمقراطية ويوغسلافيا والهند والباكستان وإسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا الاتحادية وبلجيكا واليونان وتشيكوسلوفاكيا وتركيا . ولمعظم الفروع نشراتها الخاصة التي تشرح قضية الشعب الفلسطيني وحركته التحررية .

هـ ـ من نشاطات الاتحاد : أسهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القضية الوطنية الفلسطينية بجهد ملحوظ . فمنذ البداية عقد العديد من الندوات والمؤتمرات الشعبية والمحلية ، منذ وقوع النكبة وطوال الخمسينات ، ولعبت هذه الندوات والمؤتمرات دوراً تحريضياً في هذا الصدد. ثم كانت ندوة فلسطين العالمية * الأولى التي دعا الاتحاد العام لطلبة فلسطين إلى عقدها في القاهرة ، وانعقدت فعلا في آذار ١٩٦٥ ، ثم ندوة فلسطين العالمية الثانية التي عقد الجزء الأول منها في عمان خلال أيلول ١٩٧٠ واستكمل الجزء الثاني من الندوة نفسها في الكويت في شباط من السنة التالية . وشارك في الندوتين الأولى والثانية ، بجزئيها ، باحثون ومفكرون عرب وأجانب ، بهدف إغناء القضية الفلسطينية بحثاً ودراسة .

وفضلا عن أن أبرز قادة المقاومة الفلسطينية هم من القادة السابقين للحركة الطلابية الفلسطينية ورؤساء هذا الاتحاد وسلفه رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة (ياسر عرفات ، صلاح خلف ، فاروق القدومي ، تيسير قبعة ، هايل عبد الحميد) فقد أسهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في العمل الفدائي إذ انخرط الكثيرون من أعضائه في المنظمات الفدائية الفلسطينية المختلفة . وقدموا العديد من الشهداء وسقط آخرون منهم جرحى في اشتباكات مع القوات الإسرائيلية .

وخلال حرب ١٩٦٧ * ، انطلقت قيادة فرع الاتحاد في لبنان (أسعد عبد الرحمن ، توفيق الطيراوي ، حسن الجعبي) على رأس نحو ١٢٠ طالباً من أعضاء فرع لبنان إلى سورية حيث أجرى لهم جيش التحرير الفلسطيني * تدريباً عسكرياً سريعاً وزودهم بالأسلحة وتوجهوا إلى عمان وهناك علموا بسقوط الضفة الغربية في أيدي القوات الإسرائيلية ، فعادوا أدراجهم ، عدا أسعد عبد الرحمن الذي دخل إلى الضفة الغربية سراً ، واشترك مع زملاء له في تنظيم المقاومة السرية للمحتل الإسرائيلي هناك ، إلى أن وقع أسيراً في أيدي القوات الإسرائيلية ، بعد أسابيع قليلة من وصوله إلى الضفة الغربية .

ومنذ العام ١٩٦٨ دأب الاتحاد العام لطلبة فلسطين على إقامة معسكر مرة كل سنة ، خلال الإجازة الصيفية ، يجري فيه تدريب وتثقيف الطلبة الملتحقين بهذا المعسكر .

وتحمل فرع لبنان مسؤولية إبراز الوجه الفلسطيني في لبنان ، منذ حرب ١٩٦٧ وحتى صدامات نيسان ١٩٦٩ . وقام بتنظيم المظاهرات الاحتجاجية والمؤيدة للمقاومة الفلسطينية .

وحين انفجرت الحرب الأهلية اللبنانية ، منذ نيسان ١٩٧٥ ، شكل فرع لبنان " الكتيبة الطلابية " وضمت أعضاء من فتح فقط ، ومنها سقط شهداء كثيرون ، مثل قائدها سعد جرادات (نائب رئيس الاتحاد في لبنان) ، وأيمن أبو عبد الله ، وفهيم البرغوثي .

وثمة نشاط اجتماعي للاتحاد العام لطلبة فلسطين ، يتمثّل في خدمات ملموسة لأعضائه في فروع شتى . وهي الخدمات التي تقدم من خلال فروع الاتحاد ، وفق خطة تضعها الهيئة التنفيذية للاتحاد . وهذه الخدمات تتمثل في تقديم المساعدات المادية لبعض الطلاب المحتاجين ، ولبعض الفروع التي تعاني عجزا مالياً ، وفي تقديم منح دراسية ، وفي تبني الاتحاد للطلاب المطرودين من كلياتهم لأسباب سياسية .

هذا وتعطى الأفضلية في المنح والمساعدات المالية لذوي الشهداء ، فذوي الأسرى ، فالمقاتلين ، فالمنتمين إلى حركة المقاومة ، وأخيراً المحتاجين اجتماعياً . وعلى سبيل المثال ، فقد أعفي بواسطة مساعي الاتحاد ـ في العام ١٩٨٠ وحده ـ ٥٥٠ طالباً في جامعة بيروت العربية من دفع الرسوم . وبلغت جملة مبالغ الإعفاء نحو ١٦٠ ألف ليرة لبنانية تنازلت عنها إدارة الجامعة المذكورة .

ويمتلك الاتحاد العام لطلبة فلسطين سنويا منحاً دراسية في عدة دول صديقة يخصصها للطلاب الفلسطينيين كما يستفيد من المنح التي يقدمها إليه اتحاد الطلاب العالمي . ويساهم الاتحاد العام لطلبة فلسطين في المجالين العربي والدولي . ففضلا عن مشاركته في معظم المؤتمرات الطلابية العربية والدولية ، فإنه يحتل مقعد نائب رئيس اتحاد الطلاب العالمي كما يشغل مقعد رئيس اتحاد الطلاب العرب ، وله مقعد في اللجنة التنفيذية لاتحاد الشباب العرب ، كما أن الاتحاد عضو مراقب ـ منذ العام ١٩٨٠ ـ في المكتب الطلابي للأمم المتحدة ، وعضو في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي .

الاتحاد العام لعمال فلسطين :

أ ـ لمحة تاريخية : ظهرت فكرة تنظيم عمال فلسطين العرب ضمن إطار نقابي في أوائل العشرينات من هذا القرن ، إثر

إحساس عمال فلسطين بالأخطار الناجمة عن الانتداب البريطاني من جهة ، وإثر ازدياد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وبدء تكتل العمال الصهيونيين ضمن إطار نقابي من جهة ثانية .

وقد ظهرت الفكرة خاصة بين صفوف عمال سكك الحديد في حيفا حيث كانوا يشكلون قوة عمالية لها ثقلها الكبير بالمقارنة مع اليد العاملة الإجمالية في فلسطين . وتمكنت الحركة العمالية الفلسطينية بعد نضال طويل من انتزاع الصفة الشرعية الرسمية لوجودها في ١٩٢٥/٣/٢١ ، وشكلت جمعية العمال العربية الفلسطينية ، وكانت هذه نقطة الانطلاق (رَ : العمال والحركة العمالية) .

كان للجمعية دور بارز في تنظيم الإضراب العام الذي استمر ستة أشهر متتالية سنة ١٩٣٦ (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . وقد عقدت الجمعية خلال فترة نشاطها ثلاثة مؤتمرات في أعوام ١٩٣٠ و١٩٤٦ و١٩٤٧ .

وقد فتر نشاط الجمعية العلني بعد قرار تقسيم فلسطين * إذ أدت الحرب إلى مقتل الكثير من قادتها وأعضائها الفاعلين ، إضافة الى هجرة أعداد كبيرة من العمال الفلسطينيين إلى دول عربية وعالمية مختلفة . لكن المحاولات السرية لإعادة تنظيم العمال الفلسطينيين بقيت مستمرة ، حتى تكللت بالنجاح في١٩٦٣/٨/٣ ، وتم الإعلان عن تأسيس الاتحاد العام لعمال فلسطين واتخذ مقراً له في مدينة غزة .

ب ـ العلاقة بين الاتحاد ومنظمة التحرير الفلسطينية : وجّهت اللجنة التنفيذية لاتحاد عمال فلسطين في ١٩٦٤/٨/٣٠ رسالة إلى أول لجنة تنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية * تبلغها فيها قرارها اعتبار الاتحاد قاعدة من قواعد المنظمة . وثبّت الاتحاد موقفه هذا في مؤتمره الأول المنعقد في مدينة غزة عام ١٩٦٥ إذ حدد في دستوره ، بشكل رسمي ، علاقته بالمنظمة .

وقد تحددت العلاقة بالمنظمة في بندين رئيسين من بنود برنامج العمل الذي وضعه الاتحاد عام ١٩٦٦ ينصّان على :

١) تشكيل لجنة في كل فرع من فروع الاتحاد في الأقطار العربية للتنسيق مع مكتب منظمة التحرير في ذلك القطر ، على أن تكون هذه اللجنة من أعضاء الهيئة الإدارية للفرع .

٢) توصية اللجنة التنفيذية للمنظمة بتوضيح العلاقة بين الاتحاد وبينها ، عن طريق دائرة التنظيم الشعبي .

وتقرر في البرنامج ذاته أن يتولى الاتحاد العام تجاه منظمة التحرير الفلسطينية المهمات التالية :

١) القيام بدور إيجابي في تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية .

٢) إقامة ندوات التوعية الوطنية باستمرار .

٣) المساهمة في الجباية ، وحملة « أسبوع فلسطين » ، وكافة النشاطات الأخرى التي يُطلب من الاتحاد المشاركة فيها .

٤) توعية العمال الفلسطينيين ، وحثهم على الانضام إلى معسكرات التدريب الشعبية .

٥) تعبئة العمال نفسياً ومعنوياً ليكونوا مهيئين لمساندة منظمة التحرير بصدد مطالبها ، وبصدد نضالها ضد كافة أشكال القوى الاستعمارية والرجعية .

وبالمقابل تقوم منظمة التحرير تجاه الاتحاد العام لعمال فلسطين بأعمال منها :

١) وضع خطة إعلامية متكاملة من قبل المنظمة ، والقيام بتعميمها على كافة فروع الاتحاد لتوعية الجماهير الفلسطينية .

٢) مراعاة تفريغ منظمين لكل فرع من فروع الاتحاد .

٣) تعميم الجباية المالية من أجل فلسطين ، في كل البلاد العربية .

٤) الإسراع في تشكيل مكاتب عمالية فلسطينية موزعة في أنحاء العالم ، مع إيجاد ملحق عمالي في كل مكتب .

جـ ـ أهداف الاتحاد العام لعمال فلسطين .

١) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كتنظيم نقابي وعمالي ، في سبيل الدفاع عن مصالح وحقوق عمال فلسطين ، مادياً وأدبياً وثقافياً . كما يسعى إلى تحسين ظروفهم المعيشية مادياً واجتماعياً . ويعمل ، من خلال تمثيل عمال فلسطين في مختلف المجالات العربية والعالمية ، على إبراز الشخصية الفلسطينية المستقلة .

٢) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كتنظيم ثوري فلسطيني شعبي ، في سبيل :

(١) المساهمة في دعم الثورة الفلسطينية وحمايتها وتعبئة الطاقات العمالية الفلسطينية لخوض معركة التحرير .

(٢) توثيق العلاقات مع التنظيمات الشعبية الفلسطينية ، والتعاون الكامل معها من أجل خدمة الثورة الفلسطينية وتحقيق أهدافها .

(٣) تنمية الوعي القومي لدى العمال الفلسطينيين ، وتعميق فهمهم الكامل لأبعاد القضية الفلسطينية في مقاومة المطامع الاستعمارية والصهيونية العالمية .

(٤) دعم القضايا العربية ، والعمل في سبيل تحقيق الوحدة العربية .

٣) يناضل الاتحاد العام لعمال فلسطين ، كمنظمة عمالية عربية ، في سبيل :

(١) العمل على وحدة الحركة العمالية العربية ، ودعمها ،

وتعبئة طاقاتها من أجل تأكيد دورها النضالي في تحرير فلسطين وكافة الأراضي العربية المحتلة ، وخلق المجتمع العربي الاشتراكي الموحّد .

(٢) تعميق التحالف مع الاتحادات العمالية في بلدان المعسكر الاشتراكي وآسيا وإفريقيا ودول أمريكا اللاتينية وجميع الاتحادات العمالية المؤيدة للقضية الفلسطينية بشكل خاص ، والقضية العربية بشكل عام .

(٣) إعلاء شأن الطبقة العاملة ، وتأكيد دورها القيادي في الدفاع عن مصالح الشعوب ، وتحقيق استقلالها وسيطرتها على ثرواتها ، وإرساء دعائم السلم العالمي .

(٤) مقاومة التمييز العنصري والتعصب العرقي والمذهبي والطائفي .

(٥) مساندة حركات التحرر الوطني في العالم في نضالها العادل من أجل الحرية والاستقلال وحق تقرير المصير .

د ـ هيئات الاتحاد العام لعمال فلسطين :

١) المؤتمر العام : هو السلطة العليا للاتحاد ، ويضم ممثلي فروع الاتحاد المنتخبين من قبل فروعهم . ويعقد المؤتمر دوراته الاعتيادية مرة كل ثلاث سنوات بناء على دعوة المجلس الأعلى ، وفي المكان الذي يحدده المجلس . ويجوز عقد دورة غير عادية للمؤتمر بناء على طلب مسبق من ثلثي أعضاء الفروع . وعلى المجلس الأعلى في هذه الحال دعوة المؤتمر للانعقاد خلال ثلاثة أشهر من تاريخ تقديم الطلب . ومن صلاحيات المؤتمر العام :

(١) انتخاب رئيس المؤتمر ونائبيه .

(٢) مناقشة تقرير الأمانة العامة المقدم إلى المؤتمر .

(٣) إقرار الميزانية العامة للاتحاد .

(٤) انتخاب أعضاء المجلس الأعلى والأمين العام والأمناء المساعدين للاتحاد .

(٥) إقرار تعديل دستور الاتحاد ولائحة النظام الداخلي . ويتم إقرار تعديل الدستور بموافقة ثلثي الأعضاء العاملين في المؤتمر .

(٦) التصديق على قبول عضو أو فصله من عضوية الاتحاد .

(٧) رسم سياسة الاتحاد العامة .

(٨) إقرار أو تعديل الأنظمة الداخلية للفروع والنقابات .

ويتألف المؤتمر العام من مندوبي الفروع الأعضاء وفقاً للنسب التالية :

(١) يمثل الفرع الذي يضم ٥٠ عضواً ممثل واحد .

(٢) يمثل الفرع الذي يضم ١٠٠ عضو ممثلان .

(٣) لكل مئة عضو بعد ذلك حتى ٥٠٠ عضو ممثل واحد .

(٤) لكل ٢٥٠ عضواً بعد ذلك حتى ١,٥٠٠ عضو ممثل واحد .

(٥) لكل ٥٠٠ عضو بعد ذلك حتى ٤,٠٠٠ عضو ممثل واحد .

(٦) لكل ١,٠٠٠ عضو بعد ذلك حتى ٧,٠٠٠ عضو ممثل واحد .

(٧) لا ينبغي أن يزيد ممثلو أي فرع لعضوية المؤتمر عن ١٥ ممثلاً . وتقوم الفروع بتبليغ الأمانة العامة للاتحاد أسماء مندوبيها ومستشاريها قبل انعقاد المؤتمر بأسبوعين على الأقل .

يتم النصاب في جلسات المؤتمر العام بحضور ثلثي الأعضاء العاملين ، وإذا لم يكتمل النصاب يعقد الاجتماع قانونياً بحضور نصف الأعضاء العاملين بعد ٣ أيام من الموعد الأول للاجتماع ، وإذا لم يكتمل النصاب المحدد يؤجل المؤتمر ، وتعطى الأمانة العامة حق تحديد موعد آخر لانعقاده .

٢) المجلس الأعلى :

(١) المجلس الأعلى هو السلطة العليا للاتحاد خلال المدة الواقعة بين دورات انعقاد المؤتمر العادية أو الاستثنائية ، ومهمته الإشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر العام ، ورسم الخطة المناسبة لتطبيقها ، ومحاسبة اللجنة التنفيذية التي ينتخبها من بين أعضائه .

(٢) يجتمع المجلس الأعلى في دورة عادية مرة في السنة . ويمكنه عقد اجتماعات استثنائية بناء على دعوة اللجنة التنفيذية ، أو بطلب من نصف أعضاء المجلس زائداً واحداً على الأقل . ولا تكون اجتماعات المجلس قانونية إلا بحضور ثلثي الأعضاء . أما قراراته فتؤخذ بالأغلبية النسبية للحضور .

(٣) يحق للمجلس الأعلى سحب الثقة من أحد أعضائه ، أو أحد أعضاء اللجنة التنفيذية ، وانتخاب بديل عنه بأكثرية الثلثين في جلسة رسمية . وإذا عبر المجلس بأغلبية ثلثي أصواته عن عدم الثقة باللجنة التنفيذية تعدّ مقالة وينتخب المجلس بديلاً عنها .

٣) اللجنة التنفيذية :

(١) تتكون اللجنة التنفيذية من الأمين العام للاتحاد ، والأمناء العامين المساعدين المنتخبين من المؤتمر العام ، ومن ممثلي الفروع المعتمدين من المجلس الأعلى .

(٢) تتمتع اللجنة التنفيذية بسلطات المجلس الأعلى وصلاحياته في حال عدم انعقاده ، وتنفذ قرارات المجلس الأعلى والمؤتمر العام ، وتنسق أعمال الفروع وتشرف عليها . ويكتمل النصاب لكافة اجتماعاتها بحضور ثلثي الأعضاء على الأقل . وتجتمع اللجنة التنفيذية مرة كل ستة أشهر .

http://al-maktabeh.com

٤) الأمانة العامة :

(١) تتكون الأمانة العامة من الأمين العام للاتحاد وأربعة أمناء عامين مساعدين للشؤون الخارجية وللشؤون الداخلية وللتوجيه والإعلام وللشؤون المالية .

(٢) ينطق الأمين العام باسم الاتحاد ، ويمثله في جميع الأعمال المدنية والقضائية وكافة الأعمال الرسمية ، ويشرف على تنفيذ قرارات اللجنة التنفيذية ، وعلى أعمال أعضاء الأمانة العامة . كما يرأس اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس الأعلى .

(٣) يعتبر أعضاء الأمانة العامة أعضاء طبيعيين في المؤتمر العام ، ولهم الحق في الترشيح والتصويت .

(٤) تتولى الأمانة العامة مهمة جمع وتنظيم المعلومات عن المسائل المتصلة بالشؤون العمالية العربية خاصة ، والقيام بما تراه مناسباً من أبحاث ودراسات .

(٥) يقوم مكتب الأمانة العامة ببحث الموضوعات المقترح عرضها على المؤتمر العام أو المجلس الأعلى او اللجنة التنفيذية . كما يقوم بتحضير الوثائق والتقارير الخاصة بمختلف البنود التي تدرج في جدول أعمال دورات انعقاد الهيئات المشار إليها .

(٦) تقع على عاتق مكتب الأمانة العامة مسؤولية تقديم المساعدات للفروع والأعضاء في الاتحاد ، وعقد حلقات دراسية ، وتنظيم دورات تدريبية لأعضاء الاتحاد ، ونشر وتنمية الوعي بالمشكلات العمالية ، ومحاولة إيجاد حلول لها في إطار متجانس موحّد .

(٧) يتولى مكتب الأمانة ترجمة ونشر المطبوعات التي تتناول مشكلات الصناعة والاستخدام والتنظيم النقابي وغيرها من المشاكل المتعلقة بالقضية الفلسطينية لوضعها أمام الرأي العام العمالي ، العربي والعالمي .

هـ ـ فروع الاتحاد :

١) مع نشأة الاتحاد العام لعمال فلسطين عام ١٩٦٣ ، قام الاتحاد بتأسيس فروع له في كل من لبنان ومصر وألمانيا الديمقراطية ، إضافة إلى مركزه الأساسي الذي كان آنذاك في غزة . ثم أقر الاتحاد ، بعد مؤتمره الأول عام ١٩٦٤ ، تأسيس فرعين جديدين له في كل من العراق والكويت . وفي أواخر عام ١٩٦٥ تم افتتاح فرع جديد له في سورية أصبح في عام ١٩٧١ مركزاً للاتحاد . وقد بلغ عدد فروع الاتحاد العام لعمال فلسطين في سنة انعقاد مؤتمره السادس عام ١٩٧٨ ، ١٣ فرعاً، بعد تأسيس فروع له في ليبيا والسويد والدنمارك وأستراليا وبلجيكا ودول الخليج العربي .

٢) يشارك كل فرع من فروع الاتحاد بنسبة ١٥٪ من دخله في ميزانية الاتحاد العامة ، باستثناء فرعي الكويت ودول الخليج العربي اللذين يساهمان بنسبة ٣٠٪ من دخليهما .

٣) يتمتع كل فرع من فروع الاتحاد بحقه في إرساء أسس نظامه الداخلي بما ينسجم مع ظروف القطر الموجود فيه بشرط عدم الخروج عن الدستور العام للاتحاد . كما يتمتع الفرع بحقه في إجراء انتخابات أي هيئة إدارية في أي فرع أو مجلس نقابات أو نقابة أو رابطة أو لجنة عمالية ، وبحقه في الاستقلال المالي ، بشرط تقديم تقرير مالي إلى اللجنة التنفيذية والمجلس الأعلى للاتحاد كل ثلاثة أشهر .

٤) يشترط على كل فرع من فروع الاتحاد التقيد بقرارات المؤتمر العام والمجلس الأعلى واللجنة التنفيذية . وفي حال مخالفتها يحق للجنة التنفيذية اتخاذ ما تراه مناسباً من إجراءات بموافقة خطية من ثلثي أعضائها بعد ان تنال موافقة المجلس الأعلى على قرارها .

و ـ مؤتمرات الاتحاد : عقد الاتحاد العام لعمال فلسطين ستة مؤتمرات تمت في الأمكنة والأزمنة التالية :

١) المؤتمر الأول في غزة في ١٩٦٥/٤/١٤ .
٢) المؤتمر الثاني في القاهرة في ١٩٦٧/٤/١٥ .
٣) المؤتمر الثالث في القاهرة في ١٩٦٩/٧/٢٠ .
٤) المؤتمر الرابع في دمشق في ١٩٧١/٨/٢٠
٥) المؤتمر الخامس في دمشق في أواخر عام ١٩٧٤ .
٦) المؤتمر السادس في دمشق في تشرين الثاني سنة ١٩٧٨ .

ومن أهم التوصيات التي أقرها المجلس الأعلى للاتحاد العام لعمال فلسطين في المؤتمر العام السادس :

١) العمل على تقوية العلاقات وترابطها بين مكتب الأمانة العامة وفروع الاتحاد ، وتبليغ الفروع أهم وأبرز نشاطات الأمانة العامة وآخر المؤتمرات العربية والدولية والحملات التضامنية مع القضية الفلسطينية .

٢) إلزام فروع الاتحاد بتزويد الأمانة العامة بتقارير دورية دقيقة ومفصلة عن كافة نشاطاتها .

٣) العمل على إقامة وتجهيز معهد للثقافة العمالية ، ومتابعة البعثات النقابية والدراسية والدورات الثقافية العمالية .

٤) العمل على تعزيز النشاط الإعلامي للاتحاد على المستويين العربي والدولي ، بإصدار (مجلة ، نشرة) بشكل دوري ، تعبّر عن رأي الاتحاد في كافة القضايا المطروحة .

٥) الاهتمام بمتابعة أوضاع العمال الفلسطينيين في الوطن المحتل ، ووضع الخطة الكفيلة بتوثيق الاتصال معهم ، والوقوف على مشاكلهم ، والعمل على حلها قدر الإمكان .

٦) الاهتمام بأوضاع العمال الفلسطينيين في المهجر ، والعمل

على تنظيمهم في إطار الاتحاد العام لعمال فلسطين ، وبناء جسور منتظمة بين الأمانة العامة وتجمعاتهم النقابية ، لتزويدهم بكل جديد على الساحة الفلسطينية ليكونوا سفراء للقضية الفلسطينية في أماكن وجودهم .

ز ـ نشاطات الاتحاد العام لعمال فلسطين :

١) على صعيد النشاطات الداخلية : يحرص الاتحاد على متابعة وتطوير الأمور التالية :

(١) دعم البنيان النقابي والتنظيمي للاتحاد ، عن طريق توسيع قاعدته بحيث يضم المزيد من العمال الفلسطينيين في كافة أرجاء العالم ، إضافة إلى تنظيم العلاقة بين مكتب الأمانة العامة وفروع الاتحاد .

(٢) تهيئة وبناء كوادر عمالية نقابية ومهنية ، من خلال الدورات النقابية والمنح الدراسية والعلاجية التي تقدم من الاتحادات العمالية الصديقة ، وخاصة اتحادات دول المعسكر الاشتراكي . كما يستفيد الاتحاد من الدورات التي ينظمها الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمة العمل العربية ومؤسسات الثقافة العمالية العربية .

(٣)متابعة فروع الاتحاد من جهة أوضاعها التنظيمية وإنجازاتها وانتخاباتها الدورية .

٢) على الصعيد العربي :

(١) يرتبط الاتحاد العام لعمال فلسطين بروابط وعلاقات تعاون جيدة مع معظم الإتحادات العمالية العربية باستثناء اتحاد عمال مصر الذي جمدت العلاقة معه عام ١٩٧٧ إثر لقاء رئيس اتحاد عمال مصر بسكرتير الهستدروت * (نقابة العمال الإسرائيلية) .

(٢) يشارك الاتحاد العام لعمال فلسطين في المؤتمرات العمالية العربية الشعبية منها والقطرية ، كما يحرص على الإسهام المستمر في أعمال الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمة العمل العربية .

٣) على الصعيد الدولي : ترتكز علاقات الاتحاد العام لعمال فلسطين الدولية على ما يلي :

(١) العمل المتواصل في سبيل كسب المزيد من الأصدقاء والأنصار في الساحة الدولية ، وتضييق ساحة الخصم وتحييد بعض القوى كنقطة بداية لكسبهم مستقبلاً .

(٢) اتخاذ مواقف موضوعية وعلمية في وجه الدعاية الصهيونية والإمبريالية الأمريكية في أنحاء العالم .

(٣) ترسيخ الشخصية الفلسطينية في الساحة الدولية .

(٤) بذل المزيد من الجهود للحصول على المزيد من الدعم المادي والسياسي والثقافي والإعلامي .

(٥) العمل على توسيع قاعدة الصداقة العمالية وتوثيق علاقات الاتحاد العمالية مع الاتحادات الصديقة ، خاصة في بلدان المعسكر الاشتراكي ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي والدول الإفريقية والقوى النقابية التقدمية في العالم .

المراجع :

ـ حسني صالح الحفش : مذكرات حول تاريخ الحركة العمالية العربية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ دستور الاتحاد العام لعمال فلسطين المقرر في المؤتمر الرابع ، دمشق .

ـ تقرير الأمانة العامة لاتحاد عمال فلسطين المقدم للمؤتمر السادس .

الاتحاد العام للعمال اليهود في أرض إسرائيل :

ر : الهستدروت

الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين :

عقد أول مؤتمر لكتاب فلسطين ، في مدينة غزة ، في ١٩٦٦/١١/٢٩ . وشاركت فيه فئة صغيرة من الكتاب ، رغم أن الدعوة للمؤتمر كانت قد وجهت إلى نحو مائة كاتب .

وبعد عام ١٩٦٧ ، ونتيجة للمدّ الجماهيري الذي رافق تصاعد النضال الفلسطيني ، وجد ضرورياً حشد طاقات الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ليأخذوا دورهم النضالي ، بما يتناسب ومسيرة الثورة الفلسطينية . وبدأ التفكير بشكل جدي في بلورة هذا الهدف ابتداء من سنة ١٩٦٩ حين عقد مؤتمر يهدف إلى وضع خطة عمل جديدة ، وإلى الإعداد لمؤتمر عام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين . إلا أن الظروف الصعبة التي مرت بها الثورة الفلسطينية في ذلك الحين حالت دون تحقيق أية خطوة إيجابية في هذا السبيل .

وفي سنة ١٩٧٢ تداعت مجموعة من الكتاب والصحفيين لعقد لقاءات تمخضت عن تشكيل لجنة تحضيرية نالت تأييد اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية *. وقد أشرف على هذه اللجنة الشهيد كمال ناصر * ، وكان من أعضائها الشهيد غسان كنفاني * . ومن المهام الأولى التي حملت مسؤوليتها اللجنة التحضيرية الإعداد للمؤتمر العام ، والعمل على حشد طاقات الكتاب والصحفيين الفلسطينيين من خلال اتحاد واحد يمثلهم .

وفي الفترة من ٦ إلى ١٩٧٢/٩/٩ انعقد المؤتمر العام للاتحاد في بيروت ، باشتراك ٣٣٠ كاتباً وصحفياً فلسطينيا يقيمون في مختلف

الأقطار العربية . واعتبر هذا المؤتمر الأول للاتحاد ، لأنه مؤتمر العمل الحقيقي . وقد أقرّ المؤتمر نظامه الداخلي ، وانتخب أمانة عامة له من خمسة عشر عضوا ، وجعل مقره في القدس ، وأقامه مؤقتاً في بيروت .

حدد الاتحاد أهدافه ، ومنها :

١) جمع ورعاية العاملين في حقل التأليف والكتابة والصحافة والإعلام .

٢) إيجاد منظمة فعالة من الكتاب والإعلاميين الفلسطينيين تستطيع أن تؤثر في وسائل الإعلام المختلفة فلسطينيا وعربيا ودوليا .

٣) الدفاع عن الثورة الفلسطينية ، والمشاركة في النضال من أجل قضية التحرير .

٤) القيام بنشر ، وتعميم ، وحماية إنتاج أعضاء الاتحاد ، والدفاع عن حقوقهم .

أما هيئات الاتحاد فتتألف من :

١) المؤتمر العام : ويضم أعضاء الأمانة العامة ، وممثلي الفروع للمؤتمر العام ،وضباط الاتصال في كل قطر لا يقل عدد المنتسبين للاتحاد فيه عن عشرة أعضاء . ويجتمع المؤتمر العام مرة واحدة كل عامين ، وتجوز دعوته إلى دورة استثنائية في حال طلب ثلثي أعضاء الأمانة العامة ، أو ثلث أعضاء المؤتمر العام .

٢) الأمانة العامة : وهي أعلى سلطة في الاتحاد في حال عدم انعقاد المؤتمر . وتتألف من خمسة عشر عضوا يجري انتخابهم بالاقتراع السري . ومن مهام الأمانة العامة متابعة تنفيذ قرارات المؤتمر العام ، ورسم الخطط المرحلية لسياسات الأمانة العامة ، واتخاذ قرارات جديدة لا تتعارض مع قرارات المؤتمر العام .

٣) السكرتارية : وهي السلطة الإدارية التي تدير شؤون الاتحاد وتقوم بأعمال الأمانة العامة في غياب المؤتمر العام والأمانة العامة . وتتألف من الأعضاء المنتخبين من الأمانة العامة . ومن مهامها تمثيل الاتحاد والإشراف على تنفيذ أهدافه ، وإعداد التقارير السنوية عن نشاط الاتحاد واختيار ممثليه في المؤتمرات الدولية والعربية .

٤) أمانات الفروع : تنتخب الجمعيات العمومية لفروع الاتحاد الأمانات الفرعية (الإقليمية) ومهمتها إدارة شؤون الفروع .

استطاع الاتحاد أن ينشىء فروعاً له في لبنان وسوريا والعراق والكويت ومصر وليبيا . كما شكلت لجنة تحضيرية لكل من اتحادات دولة الإمارات العربية المتحدة والجزائر . أما في الأردن والأرض المحتلة فإن الظروف السياسية حالت دون ذلك .

عقد المؤتمر العام الثاني للاتحاد في تونس بين ٤ و١٩٧٧/٣/٧ ، وضمّ ما يزيد على ١٣٠ مندوبا يمثلون فروع الاتحاد . وكان تظاهرة عالمية من أجل فلسطين . وقد حضره ممثلون عن الاتحادات المماثلة العربية والصديقة . وتم فيه بعض التعديل للنظام الداخلي ، وانتخبت أمانة عامة جديدة ، وأقر برنامج عمل واسع في المرحلة القادمة ، من أبرز ثمراته إصدار مجلة الكاتب الفلسطيني * التي ظهر أول اعدادها في شباط ١٩٧٨ .

عقد الاتحاد مؤتمره الثالث في بيروت من ١٩ إلى ١٩٨٠/٤/٢٤ ، وجرى فيه انتخاب أمانة عامة جديدة ، وتم تعديل النظام الداخلي ، فأنشىء منصب « رئيس الاتحاد » ، ووضعت خطة عمل الاتحاد في المرحلة المقبلة .

الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين :

بدأ الإعداد لإقامة الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين في عام ١٩٦٩. وقد عينت دائرة التنظيم الشعبي التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية * لجاناً تحضيرية من المعلمين الفلسطينيين في سورية ولبنان والكويت والعراق ومصر والجزائر والمغرب وليبيا مهمتها دعوة المعلمين الفلسطينيين إلى الانتساب إلى الاتحاد تمهيداً لعقد المؤتمر الأول له ، بعد إجراء انتخابات الروابط المحلية والفروع . ومن الجدير بالذكر أن المعلمين الفلسطينيين الذين اشتركوا في المؤتمر السادس للمعلمين العرب في الإسكندرية (١٦ ـ ١٩٦٩/٨/٢١) استصدروا منه قرارا بموافقة المؤتمر على عضوية الاتحاد الفلسطيني ـ الذي كان ما يزال في طور التكوين ـ في الاتحاد العام للمعلمين العرب ، وذلك بعد أن عينت دائرة التنظيم الشعبي هيئة رئاسة مؤقتة للاتحاد .

عقد المؤتمر الوطني الأول للاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين في دمشق من تاريخ ٥ ـ ١٩٧٢/٧/٨ ، أي بعد انقضاء ثلاث سنوات على تأسيس الاتحاد . وقد تأخر عقد المؤتمر حتى ذلك الحين بسبب صعوبة الظروف التي مرت بها الثورة الفلسطينية منذ عام ١٩٧٠ ، وبسبب الأوضاع الخاصة بالمعلمين الفلسطينيين ، فهم يتوزعون في عدد كبير من الدول العربية ، ويعملون في قطاعات مختلفة مثل وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين * ، والمدارس الرسمية الحكومية والخاصة ، وما يعني ذلك من تباين في أوضاع العمل ، وفي قدرة المعلمين على الحركة .

بلغ عدد أعضاء المؤتمر ٤٨ عضوا ، حضر منهم ٤٠ عضوا ، يمثلون فروع : المغرب والجزائر وليبيا ومصر ولبنان وسورية والعراق والكويت .

انتخب المؤتمر أمانة عامة من سبعة أعضاء ، وأصدر بيانا سياسيا في ختام أعماله أكد فيه التزام الاتحاد بالبرنامج السياسي

للثورة الفلسطينية . أما على الصعيد النقابي فقد أكد المؤتمر " ضرورة بذل أقصى الجهود من أجل تقوية البنية الذاتية في كل المجالات " . كما قرر تشكيل صناديق للضمان الاجتماعي في كل الفروع ، واتخذ قرارات تتعلق بحماية المعلم الفلسطيني وتحسين وضعه ورفع مستوى الاتحاد النقابي . واعتبر الاتحاد نفسه جزءاً من الطبقة العاملة الفلسطينية . وقرر الاتصال بالمنظمات الفلسطينية الشعبية الأخرى من أجل إقامة التنظيم النقابي الفلسطيني الموحد في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . وقرر المؤتمر أيضاً توثيق صلته عربياً بالاتحاد العام للمعلمين العرب ، ودولياً بالاتحاد العالمي للمعلمين (الفيز) ، الذي يضم النقابات التقدمية في العالم .

عقد الاتحاد مؤتمره الثاني فيما بين ٢٥ و١٩٧٥/٧/٢٩ في تونس ، وحضره مندوبون عن كل من سورية ولبنان والأردن والعراق والكويت ومصر وليبيا والجزائر والمغرب والخليج العربي واليمن الجنوبية وفروع فلسطين المحتلة . وتم في هذا المؤتمر انتخاب الأمانة العامة . وصدر عنه بيان سياسي يؤكد دعم الاتحاد للقيادة الفلسطينية في نضالها ضد المؤامرة الامبريالية والصهيونية . كما أكد إيمان المعلمين الفلسطينيين بقضيتهم ، واستعدادهم للبذل والعطاء من أجل تحقيق المبادىء والأهداف التي انطلقت الثورة من أجلها .

أ ـ دستور الاتحاد : الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين مؤسسة شعبية ، وقاعدة من قواعد الثورة الفلسطينية .

ب ـ مبادىء الاتحاد :

١) يلتزم الاتحاد بالميثاق الوطني الفلسطيني * الصادر عن المجلس الوطني الفلسطيني * عام ١٩٦٨ .

٢) يؤمن الاتحاد بأن تحرير فلسطين لا يتم إلّا بالكفاح المسلح ويسهم بكل طاقاته لتحقيق هذا الهدف .

٣) يؤمن الاتحاد بضرورة تعميق مفهوم الوحدة الوطنية بين الجماهير العربية الفلسطينية .

٤) يلتزم الاتحاد بالمساهمة في التعبئة القومية لتعميق مشاركة الجماهير العربية في الثورة الفلسطينية .

٥) يلتزم الاتحاد بتنشئة الأجيال العربية الفلسطينية تنشئة ثورية ، وينمي فيها حب الجماهير والوطن والكفاح من أجل تحرير كامل التراب الفلسطيني .

٦) يلتزم الاتحاد بحماية أعضائه ماديا وأدبيا وسياسيا في حدود طاقاته .

جـ ـ مهام الاتحاد وأهدافه : في المجال الفلسطيني يعمل الاتحاد على :

١) تنمية روح التعاون والعمل الجماعي بين صفوف المعلمين وتعميق الوعي النقابي والثوري بينهم .

٢) تحسين الظروف المعيشية والمهنية للمعلمين .

٣) المساهمة في تطوير المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني .

٤) إبراز الشخصية النضالية للشعب الفلسطيني .

٥) توفير فرص التعليم لأبناء الشعب الفلسطيني ومكافحة الأمية بين الفلسطينيين .

٦) مقاومة الاحتلال الصهيوني وما يفرضه من مناهج تربوية وتعليمية في الأرض المحتلة .

في المجال العربي : يعمل الاتحاد على :

١) تعبئة الجماهير العربية للمساهمة في الثورة الفلسطينية وحمايتها .

٢) المساهمة في مكافحة الأمية بين الجماهير العربية .

٣) تحقيق تلاحم المعلمين الفلسطينيين مع الجماهير العربية وتوعيتها بأهداف الثورة الفلسطينية .

٤) التعاون الوثيق مع المعلمين العرب في جميع المجالات لخدمة القضية الفلسطينية والقضايا العربية .

٥) الاشتراك مع الجماهير العربية في إحباط المخططات التآمرية والحلول التصفوية التي تستهدف تصفية القضية والثورة الفلسطينية .

في المجال العالمي : يعمل الاتحاد على :

١) توثيق العلاقات مع الاتحادات والنقابات الصديقة لمقاومة الصهيونية والامبريالية العالمية .

٢) كسب النقابات في جميع أنحاء العالم إلى جانب القضية والثورة الفلسطينية .

٣) التضامن مع جميع الاتحادات والنقابات التي تخوض شعوبها معارك تحرير .

د ـ البناء التنظيمي للاتحاد : يتم بناء الهيكل التنظيمي على النحو التالي :

١) المدرسة هي الوحدة الأساسية في بنيان الاتحاد .

٢) الدائرة : تتكون الدائرة من مجموعة وحدات .

٣) المنطقة : تتكون المنطقة من مجموعة دوائر .

٤) الرابطة : مجموع المناطق في القطر يكون رابطة المعلمين الفلسطينيين في ذلك القطر .

٥) الاتحاد العام : مجموعة الروابط تشكل الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين .

هـ ـ هيئات الاتحاد :

١) المؤتمر العام : وهو أعلى سلطة تشريعية في الاتحاد ، ينعقد مرة كل ٣ سنوات ، ومهامه تقرير السياسة العامة للاتحاد ، ووضع

الخطة لتحقيق أهداف الاتحاد الوطنية والمهنية ، وانتخاب أعضاء الامانة العامة .

٢) الأمانة العامة : السلطة اليومية للاتحاد ، وتشرف على تنفيذ الخطة الموضوعة في المؤتمر العام .

٣) المؤتمر القطري : أعلى سلطة في الرابطة ، ينعقد مرة كل سنة ، ويقرر سياسة الرابطة السنوية بما لا يتعارض مع مقررات المؤتمر العام . ويضع خطة لتحقيق أهداف الرابطة ، وينتخب اللجنة التنفيذية للرابطة .

٤) اللجنة التنفيذية للرابطة : السلطة اليومية للرابطة ، ومهمتها تنفيذ الخطة الموضوعة من قبل المؤتمر القطري لتحقيق أهداف الرابطة .

و ـ المقر الرئيسي للاتحاد في دمشق ، وله فروع في معظم الدول العربية .

ز ـ يشارك الاتحاد في عضوية المجلس الوطني الفلسطيني ، ويلتزم ببرامج وقرارات المجلس المذكور .

الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين :

انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد في بغداد من ٦ ـ ١٩٧٣/١٢/١٢ بحضور مندوبين عن الروابط الهندسية الفلسطينية المكونة في العراق وسورية وليبيا والجزائر والكويت ، وممثلين عن المهندسين الفلسطينيين في مصر ولبنان ودول الخليج العربي والأردن وألمانيا الاتحادية . وكان شعار المؤتمر " بالعلم والبندقية تستمر الثورة المسلحة في فلسطين " . وصدر عن المؤتمر الدستور العام للاتحاد كما تم انتخاب أمانته العامة .

باشرت الأمانة العامة للاتحاد مهامها بعقد اجتماعين دوريين في الكويت (١٩٧٤) وبغداد (١٩٧٦) وضعت خلالهما خطة عمل الاتحاد وبرامج تنفيذها .

وعقد الاتحاد العام مؤتمره الأول في طرابلس (ليبيا) من ١٩٧٧/٦/٣ ـ ٥/٢٨ ، وانبثق عنه انتخاب المجلس الأعلى لقيادة الاتحاد وانتخاب المكتب التنفيذي . وقد صدر عن المؤتمر برنامج عمل الاتحاد في المرحلة القادمة ، وبيان سياسي يؤكد رفض مشاريع التسوية المطروحة والإصرار على التمسك بالبندقية والكفاح المسلح من أجل تحرير فلسطين .

وتم عقد المؤتمر العام الثاني للاتحاد في دمشق (حزيران ١٩٧٩) بحضور الهيئات الهندسية الفلسطينية المنتخبة في كل من العراق والكويت وسورية والإمارات العربية وقطر والجماهيرية الليبية والجزائر . وصدر عن المؤتمر بيان سياسي يحدد مسيرة الاتحاد السياسية ، كذلك تم تقييم مسيرة عمله خلال الفترة بين مؤتمري الاتحاد ، وتشكيل الأمانة العامة بدلا من المكتب التنفيذي واعتماد بيروت مقراً مؤقتاً للاتحاد بدلا من بغداد .

أ ـ دستور الاتحاد : ينص دستور الاتحاد على المبادىء التالية :

١) الاسم والمقر : الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين تنظيم شعبي نقابي يمثل كافة المهندسين الفلسطينيين في العالم ، تكون مدينة القدس * المقر الدائم للاتحاد ، ومدينة بغداد هي المقر المؤقت .

٢) المنطلقات العامة : استجابة لنداء الواجب تجاه الشعب العربي الفلسطيني ، وإيمانا بأن في الاتحاد قوة لشرعية الثورة الفلسطينية ، وانطلاقاً من الميثاق الوطني الفلسطيني * الذي ينص على أن منظمة التحرير الفلسطينية * هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني بمختلف منظماته المقاتلة والسياسية ، وبجميع هيئاته واتحاداته وجمعياته ، يعلن المهندسون الفلسطينيون عن تأسيس الاتحاد العام للمهندسين الفلسطينيين ليكون الإطار العام الذي يجمع كافة الطاقات والإمكانيات العملية والمادية والمعنوية للمهندسين الفلسطينيين من أجل خدمة الثورة الفلسطينية في تحرير كامل التراب الفلسطيني .

ب ـ أهداف الاتحاد :

١) العمل على المستوى النقابي من أجل :

(١) رفع مستوى المهندسين الفلسطينيين اجتماعياً وأدبياً ، والارتفاع بمستوى كفاءاتهم العلمية والمهنية .

(٢) رفع شأن مهنة الهندسة ، والنهوض بمستواها العلمي لتفي بمتطلبات النهضة العربية .

(٣) السعي لتجميع الطاقات الهندسية الفلسطينية ، والمساعدة في تأمين العمل للأعضاء ، والدفاع عن مصالحهم .

(٤) تأمين البعثات والدورات في الدول العربية والأجنبية لرفع كفاءة المهندسين .

(٥) تشجيع البحوث العلمية ، وترسيخ التفكير العلمي في الثورة الفلسطينية .

(٦) العمل على إيجاد صندوق الضمان الاجتماعي للمهندسين الفلسطينيين .

(٧) تبني المشاريع الإنتاجية لخدمة الثورة الفلسطينية ولتنمية موارد الاتحاد .

٢) العمل على المستوى الشعبي الفلسطيني من أجل :

(١) تجميع إمكانيات المهندسين الفلسطينيين ، وتكريس جهودهم لخدمة القضية الفلسطينية .

(٢) المساهمة في دعم منظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها

الإطار القادر على تنظيم قوى الجماهير الفلسطينية العاملة ، والتعاون مع التنظيمات الشعبية الفلسطينية الأخرى .

(٣) تنمية الوعي الوطني والقومي لدى الأعضاء لمقاومة جميع المشاريع الامبريالية والصهيونية .

(٤) تنمية القدرة الهندسية العسكرية لدعم الثورة الفلسطينية .

٣) العمل على المستوى العربي والدولي من أجل :

(١) توطيد العلاقة والتعاون مع كافة المؤسسات النقابية الهندسية والمنظمات الشعبية والنقابية العربية والدولية وحضور الندوات والمؤتمرات .

(٢) العمل على تنمية الحركة الهندسية العربية وتعبئة طاقاتها للقيام بدورها في خدمة المجتمع .

(٣) إبراز الشخصية الهندسية الفلسطينية في المحافل الدولية، وتوضيح حقيقة القضية الفلسطينية للمهندسين في العالم .

جـ ـ العضوية في الاتحاد : تتكون من عضوية عاملة وعضوية شرف . ويشترط للحصول على العضوية أن يكون المرشح فلسطينياً حائزاً على شهادة في الهندسة أو الجيولوجيا او الزراعة ، أو شهادة من المعاهد العلمية الهندسية المعترف بها .

د ـ هيئات الاتحاد :

١) المؤتمر : وهو السلطة العليا للاتحاد ، ويتكون من أعضاء الأمانة العامة وأعضاء الهيئات الإدارية للفروع ، بالإضافة إلى ثلاثة أعضاء تنتخبهم الهيئة العامة في كل فرع . ويعقد دورته كل سنتين وهو الذي ينتخب أعضاء المجلس الأعلى ، ويقوم برسم السياسة العامة للاتحاد ومناقشة التقارير المقدمة إليه ، ومناقشة الميزانية ، وإقرار النظام الداخلي وتعديلاته ، ووضع برنامج العمل للفترة بين المؤتمرين .

٢) المجلس الأعلى : وهو السلطة المشرفة على الاتحاد في غياب المؤتمر ، ويتكون من أعضاء في الفروع الممثلة في المجلس ، وعضوين منتخبين من قبل المؤتمر ، وأعضاء المكتب التنفيذي . يجتمع مرة كل ستة أشهر . ومهماته الإشراف على تنفيذ قرارات المؤتمر ورسم الخطة المناسبة لتنفيذها ، وانتخاب المكتب التنفيذي .

٣) المكتب التنفيذي : يتكون من تسعة أعضاء . مدته سنتان ، ويجتمع مرة كل ثلاثة أشهر ويتمتع بالسلطة الضرورية لتنفيذ مقررات المجلس الأعلى والمؤتمر وتنسيق أعمال الفروع ، وتمثيل الاتحاد في مختلف المجالات ، والإشراف على المشاريع الإنتاجية التابعة للاتحاد .

٤) الهيئات الإدارية للفروع : يؤسس فرع للاتحاد في كل قطر يبلغ فيه عدد المهندسين ٣٠ مهندسا فأكثر وتلتزم الفروع بالنظام الأساسي للاتحاد وبقرارات المؤتمر والمجلس الأعلى والمكتب التنفيذي .

٥) الجمعيات العمومية للفروع : وتتكون من الأعضاء المسجلين في الفروع .

هـ ـ من نشاطات الاتحاد وأعماله : قام الاتحاد بالعديد من النشاطات والانجازات منذ انعقاد مؤتمره التأسيسي ، فعلى الصعيد العلمي أصدر مجلة علمية هندسية متخصصة ، وعلى الصعيد الفلسطيني تم الاتصال مع القيادة السياسية الفلسطينية لتشكيل لجان فنية تخدم متطلبات الثورة الفلسطينية . وتم إعداد خمسة وعشرين ألف استمارة إحصائية في محاولة شاملة لحصر الكوادر الهندسية الفلسطينية المنتشرة في العالم ، وإنشاء فروع جديدة للاتحاد ، والدفاع عن حقوق المهندسين الفلسطينيين في مناطق وجودهم ، كما تم الإشراف على تحصين مخيمات الفلسطينيين في لبنان . وساهم ممثلو الاتحاد في المجلس الوطني الفلسطيني * والمجلس المركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعلى الصعيد العربي ، اعتبر الاتحاد عضواً عاملاً في اتحاد المهندسين العرب واتحاد الجيولوجيين العرب واتحاد المهندسين الزراعيين العرب ، وانتخب الأمين العام للاتحاد رئيساً لاتحاد المهندسين العرب واتحاد الجيولوجيين العرب . كما عقد الاتحاد أول مؤتمر عربي هندسي بعنوان " دور المهندسين العرب في معركة الصمود " (بغداد ١٩٧٥) . وساهم في كافة أوجه نشاط الاتحادات العربية الهندسية .

وعلى الصعيد الدولي قبل الاتحاد عضواً كامل العضوية في الاتحاد الدولي للمنظمات الهندسية سنة ١٩٧٥ ، وساهم في معظم النشاطات العلمية الهندسية للاتحاد . كما تم تبادل الزيارات بين الاتحاد والعديد من الهيئات الهندسية في الدول الصديقة ووقعت بينه وبين هذه الهيئات اتفاقيات تعاون مهني . كذلك حصل الاتحاد على بعض البعثات الهندسية للدراسات العليا في بعض الدول الأجنبية الصديقة .

الاتحاد العربي :

في ١٩٥٨/٢/١٤ تم الاتفاق بين المملكة الاردنية الهاشمية والمملكة العراقية على إقامة اتحاد بين البلدين ، أطلق عليه اسم « الاتحاد العربي » . وقد قام هذا الاتحاد بين قطرين عربيين يحكمهما ملكان من أبناء الأسرة الهاشمية ، من أحفاد الشريف حسين بن علي .

رسمت شروط الاتفاق المنشىء للاتحاد شكله العام على النحو التالي :

١) تحتفظ كل من الدولتين بشخصيتها الدولية المستقلة ، وبسيادتها على أراضيها ، وبنظام الحكم القائم فيها .

٢) تكون المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي سبق أن ارتبطت بها كل من الدولتين ، قبل قيام الاتحاد بينهما ، مرعية بالنسبة إلى الدولة التي عقدتها ، وغير ملزمة للدولة الأخرى . أما المعاهدات والمواثيق والاتفاقات الدولية التي ستعقد بعد قيام الاتحاد ، والتي تدخل ضمن موضوعات الاتحاد فتكون من اختصاص وسلطة حكومة الاتحاد .

٣) اعتباراً من تاريخ الإعلان الرسمي لقيام الاتحاد تنفذ إجراءات الوحدة الكاملة بين دولتي الاتحاد في الأمور التالية :

(١) وحدة السياسة الخارجية والتمثيل السياسي .

(٢) وحدة الجيش الأردني والعراقي باسم الجيش العربي .

(٣) إزالة الحواجز الجمركية بين الدولتين ، وتوحيد القوانين الجمركية .

(٤) توحيد مناهج التعليم .

٤) يتفق الطرفان بأسرع وقت ممكن على اتخاذ الإجراءات اللازمة لتوحيد النقد ، وتنسيق السياسة المالية والاقتصادية بين الدولتين .

٥) (١) تتولى شؤون الاتحاد حكومة اتحادية مؤلفة من مجلس تشريعي وسلطة تنفيذية .

(٢) ينتخب كل من مجلسي الأمة الأردني والعراقي أعضاء المجلس التشريعي من بين أعضائهما بعدد متساو من كل من الدولتين .

(٣) يتم تعيين أعضاء السلطة التنفيذية وفق أحكام دستور الاتحاد لِتَولّي الأمور التي تدخل حال اختصاص حكومة الاتحاد .

٦) ملك العراق هو رئيس حكومة الاتحاد . وفي حال غيابه لأي سبب من الأسباب يكون ملك الأردن رئيس حكومة الاتحاد . ويحتفظ كل من الملكين بسلطته الدستورية في مملكته . وعند انضمام دولة أخرى إلى الاتحاد يُعاد النظر في وضع رئاسة الاتحاد حسب مقتضيات الأحوال . وقد أرسى دستور الاتحاد العربي الصادر في ١٩٥٨/٣/١٩ هذه الأسس .

أحاط محللون سياسيون هذا الاتحاد بالشك والريبة ، ورأوا فيه رد فعل لوحدة الشعب المصري والسوري التي تجسدت في إعلان الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٥٨/٢/٢٢ ، والتي قضت على آمال البعض في تحقيق مشروعي الهلال الخصيب وسورية الكبرى . كما غدت شوكة في حلق الامبريالية والاستعمار ، وخاصة البريطاني ، وفوّتت عليها أي فرصة لتوسيع نفوذهما في المنطقة . كذلك يمكن القول ان الفصد من إقامة هذا الاتحاد كان جر الأردن إلى حلف بغداد * بطريقة غير معلنة ؛ صحيح أن العراق وحده كان ، آنذاك ، الطرف الوحيد المنضم إلى حلف بغداد ، لكن توحيد القوات العسكرية للبلدين ، والربط بين أمنهما الداخلي والخارجي بموجب ميثاق الاتحاد العربي جعلا آثار الحلف تمتد إلى الأردن من الناحية الفعلية .

ولا غرابة ، والحالة هذه، أن تستقبل الجماهير العربية قيام هذا الاتحاد ببرود ظاهر . فقد رأت فيه محاولة واضحة لإحباط آمالها في التصدي لأعداء الأمة العربية وركيزتهم (إسرائيل) ، على عكس قيام الجمهورية العربية المتحدة الذي أثار حماسة هذه الجماهير لما مثّله من تجسيد للطموح العربي في التصدي للاستعمار و(إسرائيل) في الوطن العربي .

وعلى أي حال ، فإن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً ، فبعد ستة أشهر من قيامه اندلعت في بغداد ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ ، وأطاحت بالعرش الهاشمي والنظام الملكي في العراق ، وأعلنت الجمهورية العراقية . وتبع ذلك عمليا حلّ الاتحاد .

المراجع :

ـ محمد طلعة الغنيمي : **نظرات في العلاقات الدولية العربية** ، الإسكندرية ١٩٦٥ .

الاتحاد العربي (صحيفة ـ) :

ظهرت جريدة الاتحاد العربي سنة ١٩٢٥ لنشر سياسة حزب الاستقلال العربي القديم في فلسطين (رَ : العربية الفتاة ، جمعية) وكانت أول جريدة في طولكرم *، شعارها " باسم العرب نحيا وباسم العرب نموت " (رَ : الصحافة) . أسسها سليم عبد الرحمن الحاج إبراهيم ، أحد زعماء الحركة الوطنية في طولكرم وكان من أعضاء جمعية العربية الفتاة * ومن أنصار الثورة العربية . دافعت الجريدة عن العمال والفلاحين الذين طردوا من أراضيهم لبناء المستعمرات الصهيونية . وكشفت عن سوء الأحوال الاقتصادية التي تدنت بسبب تأثير الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * والتي بلغت أوجها سنة ١٩٢٥ وقدّرت بنحو ٣٤,٣٨٦ مهاجراً . استمرت جريدة الاتحاد العربي بالصدور حتى عام ١٩٢٧ ، حين توقفت بسبب الأزمة الاقتصادية التي لحقت بفلسطين .

المراجع :

ـ يوسف خوري : **الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨** ، بيروت ١٩٧٦ .

ـ أحمد خليل العقاد : الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .

الاتحاد القطري للجان الطلبة العرب :

ر : الطلبة العرب في الجامعات العبرية (لجان ـ)

الاتحاد القومي العربي الفلسطيني :

رَ : الإدارة المصرية لقطاع غزة

الاتحاد القومي للعمل :

رَ : المنظمة الصهيونية الجديدة

الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني :

هو التنظيم النسائي الفلسطيني الذي بدأ نشاطه منذ عام ١٩٥٢ في لبنان . وقد تمّ تأسيسه بمبادرة من السيدة وديعة قدّورة خرطبيل التي دعت إلى اجتماع عقد في مقر الهيئة العربية العليا لفلسطين * ببيروت ، وضم زهاء ١٥٠ سيدة فلسطينية . وانتخب الاجتماع الهيئة الإدارية التي ترأستها السيدة خرطبيل .

بذل الاتحاد نشاطه في المجالات الاجتماعية والسياسية والثقافية والصحية . وحدد أهدافه فيما يلي :

١) الدفاع عن مصالح عرب فلسطين وقضيتهم .

٢) الاهتمام بخدمة اللاجئين ، خصوصاً في النواحي العلمية والثقافية والصحية والاجتماعية ورفع معنوياتهم .

٣) إرشاد اللاجئين ، وتوجيههم توجيهاً وطنياً صحيحاً ، وضرورة إعدادهم لاستعادة فلسطين .

٤) الدعاية للقضية الفلسطينية .

٥) إسعاف اللاجئين وإيجاد أعمال لهم .

وقد شكل الاتحاد لجنة للخدمة الاجتماعية ضمّت عشر سيدات .

في عام ١٩٥٦ انبثقت من هذا الاتحاد مؤسسة « مبرّة إسعاد الطفولة » ، وافتتح مقرها في سوق الغرب (لبنان) ، في ١٩٥٧/٤/١٥ ، لتحسين صحة أبناء المصدورين الفلسطينيين . وبعد نكسة ١٩٦٧ غدا اسم المبرّة « بيت إسعاد الطفولة * » ، وتخصص في تربية أبناء شهداء الثورة الفلسطينية .

انعقد اجتماع عام للاتحاد في مقرّه ببيروت في شباط ١٩٥٧ ، وانتخبت هيئة إدارية جديدة .

شارك الاتحاد النسائي في مؤتمر الخبراء العرب الذي أعدته جامعة الدول العربية في صوفر (لبنان) سنة ١٩٥٩ لمناقشة مشروع همرشولد * .

تمثل الاتحاد في مؤتمر الاتحاد النسائي العالمي في سيلان في أيلول ١٩٥٥ وفازت وديعة خرطبيل بعضوية الهيئة الإدارية للاتحاد ، ممثلة عن فلسطين ، في حين أخفقت مندوبة (إسرائيل) في الفوز بعضوية هذه الهيئة . وتمثل الاتحاد ايضاً في المؤتمر النسائي الآسيوي ـ الأفريقي ، المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦٠ ، وانتخبت وديعة خرطبيل عضواً في الهيئة الإدارية لهذا الاتحاد . وشارك الاتحاد في مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي المنعقد في طهران في تموز ١٩٦٠ ، وتمثل في مؤتمر التضامن الآسيوي ـ الأفريقي ، المنعقد في القاهرة في كانون الثاني ١٩٦١ ، وفي المؤتمر النسائي بأمريكا في تموز ١٩٦٢ ، وفي المؤتمر الخامس للاتحاد النسائي العربي المنعقد في لبنان في تشرين الثاني ١٩٦٢ . وحضر الاتحاد مؤتمرات هذا الاتحاد المنعقدة سنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٦ و ١٩٥٧ و ١٩٦٤ .

وفيما بين ٢٦ و ١٩٦٣/٦/٢٧ ، وبمبادرة من الاتحاد ، انعقد في بيروت أول اجتماع للمرأة الفلسطينية منذ نكبة ١٩٤٨ .

ودعي الاتحاد للمشاركة في اجتماعات الدورة الأولى للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في القدس سنة ١٩٦٤ . (رَ : المجلس الوطني الفلسطيني) .

دعا الاتحاد المرأة العربية إلى الاعتصام والصيام ، احتجاجاً على الإرهاب الإسرائيلي في الأرض المحتلة . ونفذ الاتحاد الاعتصام في ١٩٦٩/٢/٦ .

المراجع :

ـ الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني بلبنان : بيان الاتحاد عن سنوات ١٩٥٤ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ .

ـ الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني : بيت إسعاد الطفولة ، ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ ، بيروت .

الاتحاد الهاشمي :

رَ : الاتحاد العربي

الاتحاد والترقي (جمعية ـ) :

هي أحد شقي « جمعية تركيا الفتاة » . وتركيا الفتاة هذه هي إحدى الفئات التي عارضت حكم السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد * أواخر القرن التاسع عشر ، وطالبت بالإصلاح ، وسعت إلى إقامة حكومة دستورية تُدخل النظم الحديثة في الإدارة والجيش وتحقق الحرية والمساواة ، وتوقف تدخل الدول الأوربية في شؤون

الدولة العثمانية . وكان للجمعية فروع داخل الدولة وخارجها . وأبرز هذه الفروع وأخطرها الفرع الذي تأسس في سالونيك ، لموقعه الجغرافي القريب من العاصمة ، ولانضمام قسم كبير من ضباط الجيش التركي هناك إليه .

عقدت تركيا الفتاة عام ١٩٠٢ أول مؤتمر لها في باريس . وقد حدث فيه خلاف حول أسلوب العمل انقسم المؤتمرون بنتيجته إلى تيارين : الأول يمثله الوفد التركي الذي قال بتغيير النظام الإداري وجعله وحدة مترابطة حرصاً على عدم تفكك الدولة ، والتيار الثاني تمثله الأقليات الناقمة ، وهدفه تغيير النظام وإصلاحه عن طريق اللامركزية . وقد انفصل ممثلو التيار الثاني فنظموا أنفسهم في جمعية عرفت باسم « رابطة الأحرار » .

غدت جمعية الاتحاد والترقي القوة الدافعة في أوساط تركيا الفتاة ، وأصدرت في باريس مجلة « مشورت » للدعوة إلى أفكار الثورة والإصلاح . وكانت الجمعية خليطاً من أجناس وأديان مختلفة ، إلّا أن الكثرة الغالبة كانت من الأتراك ، وكان العسكريون هم أصحاب النفوذ فيها . وقد تسنى لجمعية الاتحاد والترقي انتزاع القيادة شيئاً فشيئاً ، وساعدها على ذلك تتالي الأحداث الخطيرة في الدولة بين عامي ١٩٠٥ و١٩٠٨ . وفي عام ١٩٠٧ كانت الجمعية قد أعادت تنظيم صفوفها لتشمل جميع الفئات التي ضمتها « تركيا الفتاة » ، وبدأت ، من فروعها في سالونيك ، تستعد لإعلان ثورة عسكرية على السلطان عبد الحميد .

في ١٩٠٨/٧/٢٥ أجبر السلطان على إعادة دستور ١٨٧٦ وأجريت الانتخابات لأول مجلس نواب (المبعوثان) . ورغم أن الأكثرية البرلمانية كانت للاتحاديين ، لم يستلموا السلطة ، إلى أن حاول السلطان عبد الحميد في ١٩٠٩/٤/١٣ القيام بثورة مضادة للتخلص من الجمعية ، ومن الدستور ، ومن مجلس المبعوثان * . عندئذٍ زحف الجيش من سالونيك إلى الآستانة ، وأعاد إلى جمعية الاتحاد والترقي نفوذها ، وخلع السلطان ، ونفاه إلى سالونيك ، ونصّب أخاه محمد رشاد سلطاناً باسم محمد الخامس في ١٩٠٩/٤/١٧ . وبذلك أصبحت السيطرة المطلقة في الدولة لجميعة الاتحاد والترقي .

عقد العرب آمالهم على العهد الجديد ، وشارك كثيرون منهم في نشاطات الاتحاد والترقي ، وأيدوها بعد ارتقائها السلطة . لكن زمن التعاون والتفاهم لم يدم طويلاً ، لأن الاتحاديين اتجهوا نحو تطبيق سياسة مركزية شديدة أساسها سيادة العنصر التركي ، فأثار ذلك استياء العرب ، وتهيأت بذلك التربة الصالحة كي تنمو بذور الحركة العربية وتترعرع .

بدأ العرب يفكرون في مستقبل بلادهم ، وأخذ زعماؤهم يبدون مخاوفهم من الجمعية . وكان أحد أسباب الشك في الجمعية وتوجيه الاتهام إليها هو دور اليهود والدونمة الفعال في الإعداد لحركة سالونيك ، والنفوذ الكبير الذي احتلوه فيما بعد في أوساط الاتحاديين . والدونمة هؤلاء ، أو كما يسمون أحياناً « اليهود المتسترون» ، هم من أتباع شبتاي زفي وهو يهودي من أزمير ادعى عام ١٦٦٦م أنه المسيح المنتظر ، وكسب كثيراً من الأنصار ، فخيّره السلطان بين القتل واعتناق الإسلام ، فاختار الحل الثاني وتبعه آلاف من أتباعه الذين تظاهروا باعتناق الإسلام في حين بقوا على يهوديتهم سراً . وقد عاضد الصهيونيون الاتحاديين بأموالهم ونفوذهم وصحفهم وتبادلوا معهم المنافع وخاصة في فلسطين . لهذا التقى الصهيونيون والاتحاديون على الإطاحة بنظام حكم عبد الحميد الذي كان متمسكاً برفض مبدأ الهجرة اليهودية غير المقيدة إلى الدولة العثمانية ، وبخاصة فلسطين ، رغم الإغراءات الكثيرة .

لعب اليهود وجماعة الدونمة دوراً هاماً في مجالس الاتحاد والترقي في سالونيك (عدد اليهود في المدينة ٢٠,٠٠٠ ، الدونمة ٨٠,٠٠٠ ، من أصل مجموع السكان وهو ١٤٠,٠٠٠)، عن طريق مباشر أو عن طريق المحفل الماسوني هناك ، ورئيسه المحامي اليهودي والنائب في المبعوثان عمانويل قره صو . وكان عدد غير قليل من اليهود والدونمة من بين المتطوعين الزاحفين إلى الآستانة ، بل إن أحد أعضاء الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد قرار خلعه هو قره صو نفسه . وقد سجن عبد الحميد في منزل أحد يهود سالونيك الأغنياء . وهللت الصحف اليهودية في سالونيك للتخلص من مضطهد (إسرائيل) الذي فرض الجواز الأحمر وأعاق تحقيق أهداف الصهيونية في فلسطين .

أصبح لليهود والدونمة تأثير كبير في دوائر جمعية الاتحاد والترقي ، فقره صو كان أحد الأدمغة المفكرة البارزة في الجمعية ، وجاويد بيه (من الدونمة) أصبح وزيراً للمالية كبير النفوذ في الحكومة ، وكان رئيس مكتب الصحافة يهودياً من سالونيك . وكان منصبه يتيح له إيقاف أي صحيفة وتقديم المسؤول فيها للمحاكمة ، كذلك كان رئيس دوائر الشرطة ومستشار وزارة العدل يهوديين .

وقد ضمت البرامج الاقتصادية التي وضعتها حكومة الاتحاديين مكاناً للممولين اليهود يمكنهم من السيطرة الاقتصادية . وكان أمل المنظمة الصهيونية من وراء السيطرة اليهودية الاقتصادية أن يتيح نظام الحكم الجديد ظروفاً مواتية للعمل الصهيوني ، بعد ان تبع خلع عبد الحميد انتعاش الأماني الصهيونية بحيوية ظاهرة قوية .

نشط وكلاء المنظمة الصهيونية * على المسرح العثماني الجديد فوصل فيكتور جاكوبسون إلى الآستانة للإشراف على الدعاية (وهو زعيم صهيوني اشتهر بفن الدبلوماسية وبمعارضة أي بديل لفلسطين

كوطن قومي لليهود) ، كما وصلها فلاديمير جابوتنسكي (الذي عاش من ١٨٨٠ ـ ١٩٤٠ وكان من عتاة الحركة الصهيونية وقاد ما عرف بحركة الصهيونيين التصحيحيين) للإشراف على شبكة الصحف التي تديرها الصهيونية . وقد ركز الإعلام الصهيوني على إبداء مشاعر الود تجاه الحاكم الجديد ، وعلى أن الصهيونية لا تهدف إلى فصل فلسطين عن الدولة العثمانية . وتوقع المؤتمر الصهيوني * التاسع في هامبورغ (١٩٠٩/١٢/٢٦) أن تُطوِّر الدولة العثمانية الهجرة اليهودية من أجل مصالحها . وتركزت المساعي الصهيونية لدى الحكومة الجديدة على إزالة الإجراءات القانونية التي تحدّ من الهجرة (الجواز الأحمر الذي لا يسمح لحامله اليهودي بالهجرة الى فلسطين ، وملكية الأراضي) . واتخذ زعماء جمعية الاتحاد والترقي مواقف متعاطفة مع الهجرة اليهودية إلى الأقاليم العثمانية .

وعلى الرغم من ذلك كله لم يقدم حكام الدولة الجدد على إزالة القيود التي وضعها النظام السابق ، وظلت الحكومة الاتحادية حذرة فيما يتعلق بدعم النشاط الصهيوني بشكل مفتوح ، فهي من جهة لم تكن ترغب في أن تكون فلسطين هدف الهجرة الوحيد ، ومن جهة أخرى كان لا يمكنها تجاهل الرأي العام العربي ، خاصة بعد ازدياد النفور من الاتحاديين وازدياد نشاط حزب « الحرية والائتلاف » المعارض . وقد بدأ خصوم الاتحاديين يوجهون إليهم الاتهامات . وأخذت الصحف العربية تربط بين الهجوم على الاتحاديين والحملة ضد الصهيونية ، وبرز شكري العسلي * (من كبار الإئتلافيين) في مواقفه المعارضة منذ كان قائمقاماً في الناصرة * إلى أن أصبح عضواً في مجلس المبعوثان .

بدأت الجماهير التركية نفسها تلاحظ مدى النفوذ الذي يتمتع به اليهود والدونمة ، وأخذت الصحافة التركية المعارضة تناقش موضوع الصهيونية علناً لأول مرة منذ إعلان الدستور . كما أن بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أخذوا يبدون تخوفهم من الصهيونية . وقد أجبر وزير المالية « جاويد بيه » على الاستقالة بعد اجتماع حزب الاتحاد والترقي البرلماني الذي اتهم فيه بالارتباط مع اليهود ، كذلك نفى الصدر الأعظم المخطط الصهيوني في بيان رسمي ألقاه باسم الوزارة في مناقشة المبعوثان للمسألة الصهيونية ، ونفاه « طلعة بيه » باسم جمعية الاتحاد والترقي . وحاول بعض النواب أثناء المناقشة الثانية للمسألة الصهيونية في المبعوثان أن يهوّن من شأن الصهيونية .

شعرت المنظمة الصهيونية بعد مناقشات المبعوثان وتعليقات الصحف أن جمعية الاتحاد والترقي غير قادرة على تغيير نظرة الشك في الحركة الصهيونية ، فكان لا بد من اتباع خط دعائي آخر ينفي الأغراض السياسية للحركة ويؤكد المصلحة المشتركة ، مستغلاً الحرب الإيطالية ـ الليبية . لكن هذا الخط الجديد لم يُزل الشكوك .

ولمّا تسلم الإئتلافيون الحكم بعد انقلاب عسكري (تموز ١٩١٢) انتهز الرأي العام العثماني فرصة إزاحة الاتحاديين ليوجه إليهم الاتهام الصريح عن ارتباطهم بالصهيونيين وشن حملة على اليهود والصهيونية والماسونية في المساجد والصحف ودوائر الحكومة . لكن ذلك لم يغير من مواقف السلطات المحلية في فلسطين التي كانت تتصرف وفق أهواء المتصرفين بعيداً عن رقابة الحكم المركزي ، وتوافق على العديد من بيوع الأراضي .

ولما عاد الاتحاديون إلى الحكم إثر انقلابهم في ١٩١٣/١/٢٣ ضمت وزارتهم ثلاثة وزراء يهوداً ، هم وزير التجارة والزراعة ووزير المالية وناظر النافعة . واستغلت الصهيونية ظروف الحرب البلقانية الصعبة ، وحاجة الدولة إلى المال للحصول على تنازلات من جانب حكومة الاتحاد والترقي فيما يتعلق بالجواز الأحمر والهجرة وبيع الأراضي .

وقد ظل الرأي العام العربي على حاله إزاء الاتحاديين وصلتهم بالصهيونيين . ودعت صحف فلسطين الاتحاديين أن يتعلموا من الأغلاط السابقة ، فلا يسمحوا بسقوط فلسطين في أيدي الأجانب الطامعين فيها . واشتدت حملة الصحف العربية خارج فلسطين على الوزارة الاتحادية الجديدة ، واتهمتها بموالاة الصهيونية . وقد وصف صحفي عربي في الآستانة جمعية الاتحاد والترقي بأنها عصابة لصوص يؤيدها اليهود الصهيونيون ، وأن جريدة « جون ترك » الاتحادية ، ووكالة « الأجانس أوتومان » الاتحادية ، صهيونيتان ، واتهم الاتحاديين باتفاقهم مع المنظمة الصهيونية على بيع أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة في فلسطين . وسمّى محمد رشيد رضا جمعية الاتحاد والترقي « جمعية الأحمرين : الدم والذهب » . وبيّن أن في الوزارة الاتحادية ثلاثة وكلاء من قبل الجمعية الصهيونية بيدهم ينابيع الثروة في البلاد .

وعلى الرغم من تخوف الأتراك الاتحاديين من معارضة العرب ، كانت الظروف تدفع الحكومة العثمانية إلى التقارب مع الصهيونية بسبب القوة المالية التي تملكها ، وبسبب وجود شخصيات صهيونية كانت تلعب دورها في دوائر الاتحاديين ، وتوجه سياسة الدولة . وبعد تردد طويل ، ونتيجة لمساعي الحاخام باشي ، أصدرت الحكومة العثمانية قراراً بإلغاء الجواز الأحمر ، فحصل الصهيونيون بذلك على غايتهم في الهجرة غير المحددة لليهود في فلسطين ، وقد شجع تحسّن الموقف الرسمي تجاه الصهيونيين على أن يواصل هؤلاء الجهود لإلغاء جميع القيود، ولا سيما قيود شراء الأراضي . وكانت المفاوضات مع الباب العالي تتقدم بطريقة ودية ، وكان التساهل عاماً وعمليات شراء الأراضي تتسارع .

بعد نشوب الحرب العالمية الأولى وجهت الدولة العثمانية قدراً

كبيراً من اهتمامها إلى أوضاع اليهود في فلسطين ، بسبب ما يحيط بوجودهم من ملابسات دولية ولتمتع معظمهم بالحماية الأجنبية . ومع إلغاء الدولة نظام الامتيازات سهلت إجراءات الحصول على الجنسية العثمانية لليهود بشكل جماعي .

وقد عُين جمال باشا، أحد أقطاب الاتحاديين، قائداً عاماً للجيش الرابع في الشام مع صلاحيات مطلقة . فاتبع سياسة قمع وإرهاب لحق اليهود شيء منها . لكن ذلك لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما لاقى اليهود عطف جمال باشا ، وعيّن بعض زعمائهم في مراكز حكومية مسؤولة ، كما زار جمال باشا نفسه المؤسسات والمستعمرات الصهيونية ، ومنح اليهود بعض أراضي الدولة . وكان مدير مركز التجارب الزراعية في عتليت « آرون أرونسون » من الأصدقاء المقرّبين اليه . ويذكر أن مفاوضات جرت في صيف ١٩١٥ بين جمال باشا ووفد صهيوني في القدس من أجل إقامة وطن لليهود في منطقة من فلسطين تعينها الحكومة العثمانية ، على أن يخضع اليهود فيها لقوانين البلاد مع تمتعهم بالاستقلال في الإدارة البلدية مقابل تعهد اليهود بمساعدة الدولة العثمانية في تسديد ديونها وتقديم القرض اللازم لذلك .

وكان هذا الوضع المتصاعد في اتجاه صالح الصهيونية نتيجة تدخل دولتين كبيرتين لدى الاتحاديين ، بالإضافة إلى الضغط الصهيوني في الآستانة ، وهاتان الدولتان هما الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا . فقد تولت الولايات المتحدة (الحيادية آنذاك) القيام بأعلى الاتصالات لمصلحة اليهود مع وزراء الباب العالي ، وعلى رأسهم طلعة باشا وزير الداخلية ، والصديق الشخصي للسفير الأمريكي مورغنثو (اليهودي) . وسعى مورغنثو بعد انتهاء سفارته للعودة إلى الدولة العثمانية (١٩١٧) لإقناع الأتراك الاتحاديين بقطع تحالفهم مع الألمان والتوصل إلى صلح منفرد يكون مقبولاً لدى الصهيونيين والحلفاء ، عن طريق تأثيره على شخصية طلعة باشا صاحب الشعبية بين الجماهير . لكن فكرة الصلح المنفرد لم تكن تلائم الخطط البريطانية الصهيونية ، إذ دخلت القضية الصهيونية مرحلة جديدة التقت فيها المصالح البريطانية والمصالح الصهيونية لنقل فلسطين إلى منطقة النفوذ البريطاني ، تمهيداً لتحقيق المطامع الصهيونية . وقد تولى وايزمان إحباط المشروع بتوجيه من الحكومة البريطانية .

ومن جهة ثانية سعى زعماء الصهيونية إلى ضمان دعم النفوذ الألماني لحماية المستعمرات الصهيونية ، وللتأثير على الأتراك الاتحاديين لإصدار تصريح مواتٍ للصهيونية شبيه بما كان الجناح الصهيوني في معسكر الحلفاء يركز جهوده من أجل إصداره . ويبدو أن الاتحاديين كانوا لا يزالون يترددون في اتخاذ أية خطوة نحو هذا التقارب ، خوفاً من إثارة عداء العرب . لكن إعلان الثورة العربية دفع الأتراك والألمان إلى الاعتقاد بأن جزيرة يهودية في فلسطين قد تقف في وجه المطامع الإنكليزية والتحالف البريطاني ـ العربي . وقد دارت المحادثات بين الطرفين في الآستانة وبرلين . وإذا كانت المساعي الألمانية في إقناع الاتحاديين بتبني موقف موال للصهيونية محدودة النجاح ، فإنها ساعدت على تخفيف الإجراءات المقيدة لليهود في فلسطين .

وتحول الموقف الألماني والتركي تجاه الصهيونية بعد وعد بلفور * (١٩١٧) ، فسعى زعماء الصهيونية في ألمانيا إلى دفع الحكومة الألمانية للضغط على تركيا من أجل الحصول على امتيازات كبيرة للصهيونية على نفس المبادىء التي تضمنها تصريح بلفور . وكان الوضع العسكري المتدهور قد دفع الأتراك الاتحاديين إلى الاستنتاج بأنه لن يضيع شيء بالموافقة على بعض المطالب الصهيونية . لكن المحادثات التركية ـ الصهيونية المتقطعة لم تصل إلى نتيجة محسوسة ، في الوقت الذي كان فيه الطرف الآخر في المنظمة الصهيونية في لندن يتولى مفاوضات مدروسة ومحكمة .

وأصدر الصدر الأعظم طلعة باشا في ١٩١٨/١/٢ تصريحاً عن عزم الحكومة العثمانية ، نظراً لصداقتها الطويلة لليهود ، على أن تساعد الاستيطان اليهودي بالسماح بالهجرة الحرة ، والاستيطان ضمن حدود مقدرة البلاد على الاستيعاب ، ومنح الحكم الذاتي طبقاً لقوانين الدولة ، والتطور الحر للثقافة اليهودية . وعبّر تصريح ألماني عن دعم ألمانيا للأماني الصهيونية .

لكن ممثلي الحركة الصهيونية في فلسطين رفضوا العروض التركية بحجة أنها تجعل الاستيطان ضمن حدود قدرة البلاد على الاستيعاب والتي ستحددها الحكومة التركية نفسها . وفي خطوة أبعد تولى طلعة باشا نفسه في برلين بحث مسألتي تنظيم الهجرة والاستيطان اليهوديين مع لجنة من اليهود الألمان ، ووافق على اقتراح تشكيل شركة ذات امتيازات مقرها الآستانة تكون وسيطاً بين الحكومة التركية والطائفة اليهودية ، وبالتالي تكون الأداة والإطار لتنظيم الهجرة والاستيطان ، وتفوّض بمنح الحكم الذاتي البلدي الموسّع للطوائف اليهودية في فلسطين وفي جميع أنحاء الدولة العثمانية .

وتجددت المفاوضات في الآستانة بمبادرة الحكومة التركية ، ودعا طلعة باشا إليها عدداً من المنظمات اليهودية في ألمانيا والنمسا ، بينها المنظمة الصهيونية . ثم توقفت هذه المفاوضات لعدم الاتفاق حول مطالب الحكم الذاتي ، رغم استعداد الدولة لإصدار تصريح بدعم الصهيونية ، والمفاوضة حول شركة الاستيطان . وفي شهر آب

١٩١٨ جرت محاولة أخيرة لتشكيل لجنة لحل الخلافات ، لكن الدولة العثمانية إنهارت قبل عقد الاجتماع .

المراجع :

ـ محمد روحي الخالدي : أسباب الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة ، القاهرة ١٩٠٩ .

ـ ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، بيروت ١٩٦٥ .

ـ خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية في Public Record Office تحت رقم F.O. 371 .

ـ الأهرام (١٩٠٨ ـ ١٩١٨) ، المقطم (١٩٠٨ ـ ١٩١٨) ، المنار (١٩٠٨ ـ ١٩١٤) ، الكرمل (١٩١٢ ـ ١٩١٤) ، فلسطين (١٩١٢ ـ ١٩١٤) .

— Ahmad, F. : **The Young Turks,** Oxford 1971.

— Antonius, G.: **The Arab Awakening,** London 1939.

— Aaronsohn, A.: **With the Turks in Palestine,** London 1917.

— Mandel, N.: **Turks, Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914,** Oxford 1978.

— Ziene N. Zeine: **Arab Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism,** Beirut 1956.

أتسز بن أوق الخوارزمي (ـ ٤٧١ هـ) (ـ ١٠٧٩ م) :

معين الدين أتسز ، أو أطسز . من مشاهير زعماء التركمان بعد الفتح السلجوقي لبلاد الشام (رَ : السلجوقيون) . وقد لقب نفسه « الملك المعظم » ، ويسميه المؤرخ المقريزي مقدم الأتراك . حاول سنة ٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م احتلال دمشق ، فحاصرها ، وقطع الميرة عنها دون جدوى . لذلك سار نحو فلسطين ، وفتح الرملة * ، ثم حاصر القدس * التي اعتصمت فيها القوات المصرية الفاطمية . واستولى على المناطق المجاورة للقدس ، ما عدا عسقلان ، وفتح طبرية * . وقد سهلت له الانتصارات إعادة الكرّة على القدس ، ففتحها ، وجعلها مركزا له . وأقام في فلسطين الدعوة للخلافة العباسية والسلطان السلجوقي بدل الدعوة الفاطمية .

وفي سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٥ م فتح أتسز مدينة عكا * ، وطرد أميرها شكلي بن أوق الذي استنجد بابن عم السلطان ألب أرسلان ، وحثّه على قتال أتسز . وعندئذ تحرك أتسز من القدس لقتالهما في طبرية ، وقضى على حركتهما .

وبعد أن غدا أتسز حاكما لفلسطين وجنوبي بلاد الشام دون منازع اعترف بنفوذه السلطان السلجوقي ملك شاه ، وأرسل إليه نجدات عسكرية لمساعدته في فتح دمشق التي كانت تعاني من سوء الإدارة والأزمة الاقتصادية على يد الوالي الفاطمي ، فكانت فرصة نادرة استغلها أتسز للانقضاض عليها فاستسلمت المدينة سنة ٤٦٨ هـ / ١٠٧٦ م بعد حصار شديد .

بدأ أتسز يتطلع إلى ضمّ مصر إليه والقضاء على النفوذ الفاطمي فيها . وقد شجعه على ذلك هرب عدد من القادة مع عساكرهم لاختلافهم مع أمير الجيوش الفاطمي بدر الجمالي . وقد بدأ أتسز زحفه إلى مصر سنة ٤٦٩ هـ / ١٠٧٦ م ، ومعه قرابة عشرين ألفا من التركمان والأكراد والعرب . ودارت معركة حاسمة انتهت بهزيمة أتسز الذي تراجع نحو فلسطين تتبعه الجيوش المصرية الفاطمية حتى الرملة ، حيث قتلت عدداً كبيراً من أتباعه . كما ثار عليه أهل غزة والرملة ودمشق .

وحين عاد أتسز إلى القدس مركز إدارته اعتصم سكان المدينة بزعامة القاضي في المدينة ، ومنعوه من الدخول رغم مراسلته لهم . ولكن أتسز استطاع اقتحام المدينة ، وقتل حوالي ثلاثة آلاف إنسان ، واحتمى الكثيرون بالصخرة والجامع . ثم سار إلى الرملة ، فلم ير فيها أحداً لأن أهلها هجروها ، وقتل غالبية سكان غزة ، ثم حاصر يافا * ، وهدم أسوارها قبل أن يعود إلى دمشق .

لم يهمل بدر الجمالي أمير الجيوش المصرية أتسز الخوارزمي ، بل أعدّ جيشاً كبيراً ، وأرسله إلى بلاد الشام سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٨ م . وقد استولى هذا الجيش على فلسطين وأعمال دمشق ، ثم ضرب حصارا شديداً على دمشق نفسها . وقد اضطرت هذه الأزمة أتسز إلى الاستنجاد بتاج الدولة تتش بن ألب أرسلان ، فانتهز هذه الفرصة واحتل دمشق . ثم قرر أن ينفرد هو بحكم دمشق ، فاعتقل أتسز ، ثم خنقه حتى مات .

المراجع :

ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .

ـ جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق ، القاهرة ١٩٦٤ .

ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ .

ـ السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢ .

ـ سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٧٢ .

— Atiya, A.S. : **The Crusades, Historiography and Bibliography,** Bloomington 1962.

الاتفاق الأنكلو ـ أمريكي (١٩٢٤) :

على الرغم من قبول الولايات المتحدة لوعد بلفور * ، ظل

الرئيس ويلسن متردداً بشأن إخضاع فلسطين وسورية ككل إلى حكم الدول الاستعمارية ، ولو عن طريق الانتداب . ولم تبد حكومته اهتماما بفكرة منح الانتداب إلى الولايات المتحدة منفردة أو بالاشتراك مع إنكلترا . وبعد إغفال تقرير لجنة كينغ ـ كرين *، وتمنع فرنسا وإنكلترا عن القبول بحق تقرير المصير الذي أعلنه ولسن ، تقلص اهتمام الولايات المتحدة إلى صيانة المصالح الأمريكية في المنطقة ، فدخلت عام ١٩٢٢ في مفاوضات مع الحكومة البريطانية بشأن فلسطين انتهت بما يعرف بالاتفاق الأنكلو ـ أمريكي لسنة ١٩٢٤ .

ونص هذا الاتفاق على اعتراف الولايات المتحدة بالانتداب البريطاني على فلسطين ، مقابل ضمان إنكلترا للمصالح التجارية الأميركية في هذا القطر العربي ، وعلى الأخص امتياز البحث عن النفط من قبل شركة ستاندارد أويل الأميركية في منطقة النقب . وكانت الحرب العالمية الأولى قد أوقفت نشاط الشركة الذي بدأ في عام ١٩١١ .

ومما يلفت النظر في هذا الاتفاق أن الولايات المتحدة عارضت إدخال وعد بلفور في مقدمة الوثيقة كما أرادت إنكلترا ، ولكنها سمحت فيما بعد بإدخال نص وثيقة الأنتداب التي احتوت على الوعد .

المراجع :

— **Diplomatic Correspondence on Mandate for Palestine,** Washington 1927.

— John. R. and Hadawi, S.: **Palestine Diary,** Beirut 1970.

— **Treaty Series,** No 24, CMD 2559, 1925.

اتفاقيـــة :

رَ : سايكس بيكو
رَ : فصل القوات بين مصر وإسرائيل (١٩٧٤)
رَ : فصل القوات بين مصر وإسرائيل (١٩٧٥)
رَ : فصل القوات على الجبهة السورية (١٩٧٤)
رَ : هاداساه (١٩٤٨)
رَ : الهدنة الأولى والهدنة الثانية بين الدول العربية وإسرائيل
رَ : الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل
رَ : الهدنة الدائمة بين سورية وإسرائيل
رَ : الهدنة الدائمة بين لبنان وإسرائيل
رَ : الهدنة الدائمة بين مصر وإسرائيل

الأثاث (صناعة ـ) رَ : الخشب (صناعة ـ)
رَ : الصناعة

أجـــاز : رَ : المؤسسة الأمريكية اليهودية لبدائل الصهيونية

اجتمـــاع : رَ : السيدات العربيات
رَ : عاليه
رَ : عمان ودمشق
رَ : القدس

إجريشـــة (قـرية ـ) : رَ : جريشة (قرية ـ)

إجْـــزِم (قـــرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ٢٨ كم جنوبي حيفا ، أنشئت في القسم الغربي من جبل الكرمل * ، على ارتفاع ١٠٠م فوق سطح البحر . يقع في شرقها جبل المقَوْرة ، وفي غربها جبل المغيّر ، ويوجد في شمالها الشرقي سهل صغير يدعى وادي الحمام . ينتهي قرب القرية وادي المسْطَبل ، ويمر بشمالها وادي المغارة الذي يصب في البحر المتوسط إلى الجنوب من عتليت . والقرية غنية بينابيعها وآبارها ، ففي شرقها عين المقوّرة ، وآبار المقوّرة ، وفي جنوبها الشرقي عين العجلة ، وعين الصفصافة ، وعين الحاج عبيد ، وعين الشقّاق وعين الصوانية ، وفي غربها بئر اخربة المنارة ، وتقع البئر الغربية قرب البلدة . وآبار القرية كلها من الآبار الكفرية (الرومانية) .

الامتداد العام للقرية هو من الشمال إلى الجنوب . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٤٤٢ مسكناً ، بُني معظمها من الحجارة والإسمنت ، وبُني الباقي من الحجارة والطين . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٩١ دونماً ، وهي بذلك في المرتبة الثانية في قضاء حيفا . أما مساحة الأراضي التابعة لها فقد بلغت في العام نفسه ٤٦,٩٠٥ دونمات ، وهي أيضاً الثانية في قضاء حيفا فيما تملكه من أراضٍ ، ولم يكن الصهيونيون يملكون من أراضيها شيئاً .

كان في إجزم ١,٠١٩ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، ارتفع

عددهم إلى ٢,٢٦٠ نسمة في عام ١٩٣١ . ويدخل في هذا العدد سكان المغارة والمزار * والشيخ بريك والوشاهية وقمبازة . بلغ عدد سكان القرية عام ١٩٤٥ نحو ٢,٩٧٠ نسمة ، فكانت الرابعة في قضاء حيفا عدد سكان . ينسب إلى إجزم الشيخ مسعود الماضي زعيم ساحل حيفا حتى عتليت في أوائل القرن التاسع عشر ، وعيسى الماضي الذي عمل متسلماً ليافا في عام ١٨٣٢ . ومنها القاضي والأديب الشاعر يوسف إسماعيل النبهاني (١٨٤٩ - ١٩٣٠م) .

ضمت القرية مسجدين ، ومدرسة ابتدائية للبنين أسست في العهد العثماني ، وأغلقت خلال الحرب العالمية الأولى ، ثم أعيد افتتاحها بعد الحرب . اعتمد السكان على مياه البئر الغربية وعين المراح في الشرب والأغراض المنزلية ، بالإضافة إلى الآبار التي تجمع فيها مياه الأمطار .

كان اقتصاد القرية يقوم على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * . وإجزم من القرى المشهورة بزراعة الزيتون * في قضاء حيفا ، إذ كان فيها ١,٣٤٠ دونماً مزروعة زيتوناً في موسم ١٩٤٣/٤٢ ، تركز معظمها في جنوب القرية وجنوبها الغربي وفي شمالها وشمالها الغربي ، وكان فيها ثلاث معاصر زيتون يدوية ومعصرة آلية .

في ١٩٤٨/٧/٢١ قصف الصهيونيون إجزم وعدة قرى مجاورة بقنابل الطائرات ، واحتلوها في ١٩٤٨/٧/٢٢ ، وشردوا سكانها ودمروها . وفي عام ١٩٤٩ أقاموا موشاف « كرم مهرال » في مكان القرية ، وقد بلغ عدد سكانه ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٧٠ .

المراجع :

- أنيس صايغ : **بلدانية فلسطين المحتلة** (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة إجزم .
- **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحتا الطنطورة ومجدّو .

أجْـفِـي (سـهـل) :

يقع هذا السهل في الوسط الجنوبي من مثلث النقب * ، في منخفض متطاول نحو الشمال الشرقي ، بين مرتفعات جبلية تسايره من جهة الشرق بمتوسط ارتفاع ٤٥٠ - ٦٥٠م ، ومن جهة الغرب بمتوسط ارتفاع ٥٠٠ - ٦٠٠م فوق سطح البحر . أما الارتفاع المتوسط للسهل فلا يتجاوز ٤٠٠م . ويبلغ طول السهل قرابة ١٥ كم ، ومتوسط عرضه ٦ كم .

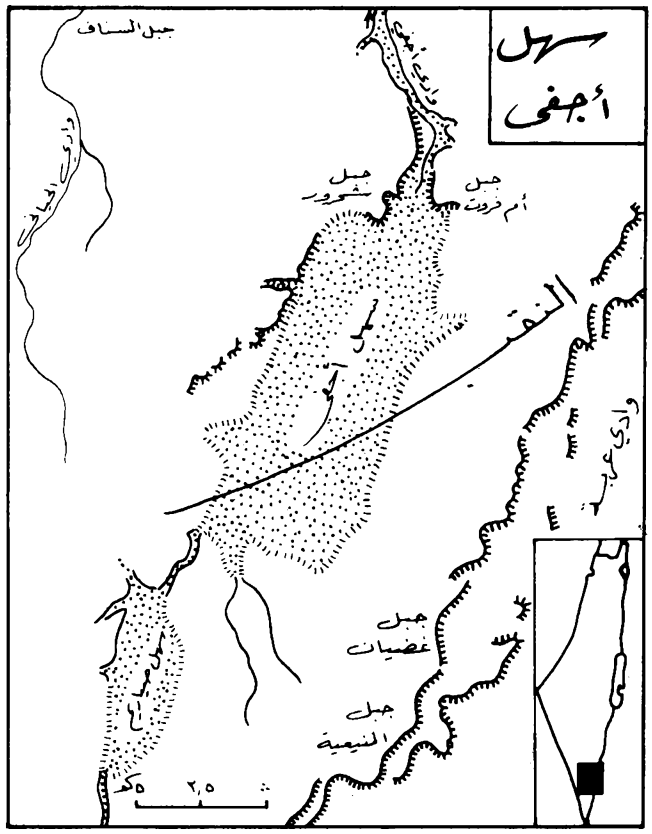

يتصل سهل أجفي في الجنوب الغربي بسهل أصغر منه وأعلى ، وهو سهل صياريم ، في حين ينتهي في الشمال الشرقي بوادي أجفي ، حيث يرتفع جبلا شحرور في الغرب وأم فروت في الشرق على جانبي مخرج الوادي من السهل . ويكوّن وادي أجفي هذا مع السهل الذي يصرف مياهه المجاري العليا والوسطى لوادي الحياني * الذي ينتهي في وادي عربة * ، لذلك يسمّى أحياناً وادي الحياني أيضاً . ويبلغ طول الوادي من بداياته حتى مصبه في وادي الحياني ٥٥ كم .

يحتل سهل أجفي أخفض جزء من وحدة بنائية (تكتونية) هامة في جنوب النقب . إذ يقع السهل وحوض الوادي بين طيّتين التوائيتين تبرزان على الجانبين بمحور مساير لمحور الانهدام السوري - الأفريقي في وادي عربة وخليج العقبة * . وقد تعرضت الطيّات المذكورة لعمليات انهدامية بصدوع كثيرة لها المحور نفسه أيضاً . وكان من نتيجتها خفس منطقة سهل أجفي بين حافتين صدعيتين تحتويان على ما يعرف بوهدة أجفي . فسهل أجفي من الناحية البنائية هو سهل انهدامي واضح في الطبيعة ، تكوّن ضمن طبقات صخرية يغلب عليها الحجر الكلسي والدولوميتي والمارني ، وتعود هذه الطبقات إلى العهد الكريتاسي (التوروني والكاماني) ، إذ تظهر صخور التوروني شرقي السهل ، وصخور الكاماني غربيه

(رَ : الصخور) . أما أرض السهل فمغطاة بتوضعات سميكة من اللحقيات والترسبات والمجروفات المائية (السيلية) العائدة للحقبة الرابعة الحديثة .

فرضت الأوضاع التضريسية والبنائية المذكورة انحدارات للسطوح تتجه نحو السهل . وهذا ما يلاحظ في شبكة الأودية والروافد في جميع أرجاء المنطقة المدروسة ، فقد قامت المياه الجارية على السطح بحفر أوديتها ، والتعمق في صخور المرتفعات المحيطة بالسهل ، لكنها مياه من النموذج السيلي الموقت . ونظراً لسيادة المناخ الصحراوي الجاف في المنطقة ، فلا يتجاوز متوسط كميات الأمطار السنوية ٥٠ مم ، ولا تقل مقادير التبخر عن ٢,٧٠٠ مم سنوياً . فإذا أضيف إلى ذلك كون الصخور التي تنحدر عنها مياه السيول والفيضانات الموقتة عقب الأمطار النادرة ذات طبيعة منفذة للمياه ، أمكن تفسير انعدام الجريان المائي السطحي الدائم ، وتفسير انتشار الجروف والحافات الصخرية القائمة والقاسية على امتداد الأودية الرافدة ، وعلى طول جوانب السهل . وتتميز مخارج الأودية الرافدة بتكوينها مخاريط (مراوح) أنقاض فيضية صغيرة تنتشر عند أقدام المرتفعات المطلة على السهل . وتختلط مواد المخاريط المؤلفة من الحصى والأحجار والرمال بتوضعات تربة اللوس الصحراوية في النصف الشمالي من السهل .

يخلو السهل من مصادر المياه المختلفة (ينابيع ، عيون ، آبار) ، مما يزيد في فقره وجفافه ، وبالتالي في انعدام مظاهر الحياة البشرية والاقتصادية فيه . وباستثناء الغطاء العشبي الفقير الذي ينمو عقب الأمطار المفاجئة ، ليس في السهل مصدر اقتصادي آخر . وتستفيد قطعان عرب السعيديين في الشمال ، وعرب الأحيوات (اللحيوات) في الجنوب من هذه الأعشاب القصيرة العمر فترعاها أثناء نجعتها .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين: مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الكنتيلة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

أَجْفـــي (وادي ـ) : رَ : الحَيّـاني (وادي ـ)

إجليـل الشمالية والقبلية (قريتـا ـ) :

قرية عربية مزدوجة مؤلفة من تجمعين سكانيين تفصل بينهما مسافة نصف كيلومتر واحد فقط ، ويقعان في السهل الساحلي الفلسطيني * ، إلى الشمال الشرقي من مدينة يافا * على مسافة ١٤ كم (اجليل القبلية) و ١٥ كم (اجليل الشمالية) . ويبعدان عن البحر المتوسط مسافة ٢ كم ، قريباً من طريق يافا ـ حيفا الرئيسة ، ويتصلان بها بطرق فرعية معبّدة .

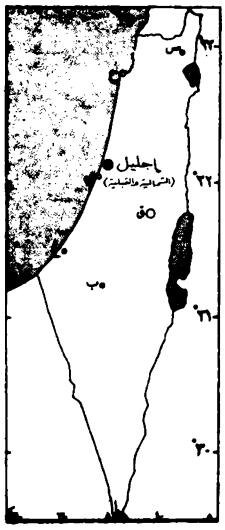

نشأت القريتان على رقعة سهلية منبسطة من الأرض يراوح ارتفاعها بين ٢٥ و ٣٠م فوق سطح البحر . وتتكون هذه الرقعة من تربة بنية حمراء رملية لحقية تنتشر عليها مساحات من الكثبان الرملية الساحلية التي تفصل القريتين عن ساحل البحر ذي الحافات الجرفية . وقد سميت القريتان باسمهما نسبة إلى شيخ صالح يدعى عبد الجليل . وبنيت بيوتهما من اللبن والإسمنت .

واجليل الشمالية ذات مخطط طولي مساير لمحور طريق يافا ـ حيفا الرئيسة الشمالية ـ الجنوبية ، وتحتوي على عدد من الدكاكين ومسجد ومدرسة ابتدائية تأسست عام ١٩٤٥ ، وتشتمل على بئر مياه للشرب ، وتضم آثار خربة وبقايا أرضيات مرصوفة بالفسيفساء وغيرها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وبالرغم من توسع اجليل الشمالية وازدياد بيوتها وعمرانها ظلت صغيرة لم تتجاوز مساحتها ٧ دونمات . أما اجليل القبلية فذات مخطط مبعثر نسبياً . تتوزع بيوتها في ثلاث وحدات سكنية ، تفصل بينها مساحات فضاء كانت آخذة بالتقلص نتيجة تزايد العمران . واجليل القبلية أصغر من الشمالية ، فمساحتها لم تتجاوز ٦ دونمات ، وتشترك مع اجليل الشمالية بالمدرسة ، وفيها بئر مياه للشرب .

بلغت مساحة أراضي القريتين معاً ١٧,٦٥٧ دونماً ، منها ١٥,٠٢٧ دونماً لاجليل القبلية . وقد تسرب للصهيونيين ٩,٥٨٠ دونماً ، أما الباقي وهو ٢,٤٥٠ دونماً فلاجليل الشمالية ، وتسرب للصهيونيين منها ٥٢١ دونماً . ونظراً للطبيعة الرملية لتربة المنطقة فقد زرعت بأشجار الفواكه ، ولا سيما بالحمضيات * . وهي تروى بمياه الآبار التي حفرت بالعشرات في البيارات المنتشرة على مساحة ١,٦٧٩ دونماً حول القريتين . ويمارس السكان ، إلى جانب الزراعة * وأعمال البستنة ، حرفة صيد الأسماك * .

بلغ عدد سكان القريتين ٣٠٥ نسمات عام ١٩٣١ ، كانوا يقيمون في ٢٩ بيتاً . وزاد عددهم عام ١٩٤٥ إلى ٤٧٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قريتي اجليل الشمالية والقبلية ،

وطردوا السكان منها ودمروهما ، وأقاموا على أنقاضها مستعمرة « جليلوت » التي أصبحت ضاحية لمدينة هرتسليا * حالياً .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

أحبّـاء صهيـون :

أحباء صهيون أو هواة صهيون ، ترجمة للاسم العبري " حوفيفي تسيون " وهو اسم يطلق على جمعيات صهيونية نشأت في روسيا سنة ١٨٨١ بعد صدور قوانين أيار التي فرضت قيوداً على الأقلية اليهودية هناك بين عامي ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ ، وعلى حركة المهاجرين اليهود من روسيا وبولونيا ورومانيا إلى فلسطين (الهجرة الأولى ١٨٨١ ـ ١٩٠٤) . وكان هدف حركة أحباء صهيون محاربة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها ، و" العودة إلى صهيون " . وقد اتخذت شعارا لها " إلى فلسطين " ودعت إلى الاستعداد للهجرة لشراء الأراضي فيها ، ومساعدة الاستيطان اليهودي هناك . وكانت حركة أحباء صهيون همزة الوصل بين ما أطلق عليه " طلائع " الصهيونية في منتصف القرن التاسع عشر وبداية الصهيونية السياسية مع ظهور تيودور هرتسل وانعقاد المؤتمر الصهيوني * الأول في سنة ١٨٩٧ .

وقد سبق هذه الحركة أفكار ومشاريع مختلفة من جانب أشخاص فرادى ، مثل الحاخام تسفي هيرش كليشر ويهودا القلعي وموشيه هيس ، والأدباء دافيد غوردون وبيرتس سمولينسكين واليعيزر بن يهودا وآخرين . كما قامت في تلك الفترة أيضاً جمعيات يهودية تعمل من أجل الاستيطان في فلسطين أطلقت عليها في البداية أسماء مختلفة . وكان القاسم المشترك بينها فكرة أنه لا خلاص لليهود في أماكن وجودهم ، والحل هو العودة إلى " صهيون " .

وقد انتشرت حركة أحباء صهيون بين اليهود في روسيا ورومانيا وغربي أوربا والولايات المتحدة الأميركية ، وإن كان بعض أعضائها قد راودتهم المخاوف من الشك في وطنيتهم ومن ازدواج الولاء . وكان يغلب على الحركة في دول أوربا الوسطى والغربية طابع ثقافي نظري ، غير أنها ساهمت بدور كبير في مكافحة الاندماج ، ووضعت الأساس للحركة الصهيونية السياسية وظهور هرتسل على منبر الصهيونية .

وضع يهودا ليون بينسكر (١٨٢١ ـ ١٨٩١) الأساس الفكري لحركة أحباء صهيون في كراسة " التحرير الذاتي " نشرت بالألمانية أولاً سنة ١٨٨٢ ، ثم ترجمت إلى اللغتين العبرية والروسية . وقد عقد أول مؤتمر لحركة أحباء صهيون ، بمبادرة بينسكر ، في كاتوفيتش في تشرين الثاني ١٨٨٤ ، وحضره ٣٥ ممثلاً عن جمعيات أحباء صهيون في روسيا وأوربا ، وتم فيه تشكيل لجنة مركزية مؤلفة من ١٩ عضواً ، للإشراف على نشاط أحباء صهيون وتوحيد قواهم ونشاطهم خارج فلسطين وداخلها . وتم انتخاب الدكتور بينسكر رئيساً للجنة المركزية ، وشكلت لجنة فرعية تابعة لها في وارسو . وكان أهم ما تمخض عنه هذا المؤتمر البحث عن السبل الكفيلة بتقوية المستعمرات الصهيونية في فلسطين ، وتوفير الدعم المالي لها ، وتوحيد صفوف الحركة ، وإقامة علاقات حسنة مع السلطات التركية . ومن أجل تحقيق هذا الغرض قرر المؤتمر تشكيل " جمعية مونتفيوري " ـ بمناسبة مرور مائة عام على ميلاد موشيه مونتفيوري ـ مهمتها تشجيع الزراعة بين اليهود ، وتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين . ومن القرارات التي اتخذها المؤتمر إرسال وفد إلى فلسطين لدراسة أوضاع المستعمرات ، وبحث سبل دعمها ، وبذل المساعي لدى الحكومة التركية لإلغاء القيود التي فرضتها على دخول المهاجرين اليهود إلى فلسطين .

عملت اللجنة المركزية لحركة أحباء صهيون على توحيد صفوف أحباء صهيون ، فارتفع عدد الجمعيات التي انضمت إلى الحركة خلال الأشهر الأولى من سنة ١٨٨٥ ، إلى ٥٥ جمعية ، منها ٥١ جمعية داخل روسيا ، قدر عدد أعضائها بنحو ٨,٥٠٠ عضو ، و٤ جمعيات في الخارج ، ووصل عدد أعضاء الجمعيات كلها إلى ما يقارب ١٤ ألفاً . غير أن الخلافات سرعان ما نشبت داخل الحركة بين المتدينين والعلمانيين ، مما أدى إلى اضعافها وازدياد تأثير روتشيلد ونفوذه على النشاط الاستيطاني في فلسطين .

عقد المؤتمر الثاني لحركة أحباء صهيون في دروسكينك ، في حزيران ١٨٨٧ ، بحضور مندوبين عن ٣٠ جمعية من جمعيات الحركة في روسيا فقط . ونشبت فيه خلافات بين الشبان العلمانيين (مناحيم أوسيشكين وم. ديزنجوف وآخرين) وبين المتدينين الذين كان على رأسهم الحاخام شموئيل موهيليفر (١٨٢٤ ـ ١٨٩٨) أحد زعماء الحركة في روسيا ومؤسس الصهيونية الدينية . ونجح المتدينون في انتخاب ثلاثة حاخامين ، من بينهم موهيليفر ، أعضاء في اللجنة المركزية . وقرر المؤتمر عدم إقامة مستعمرات جديدة في فلسطين ما لم تنته عملية تأسيس المستعمرات القائمة هناك ، وأوصى بإقامة مكتب في فلسطين لشراء الأراضي وتقديم الخدمات للمهاجرين والمستوطنين .

ضعفت الحركة بعد ذلك ، مما استدعى عقد المؤتمر الثالث لها في فينا ، في آب ١٨٨٩ . وقد تمت الغلبة فيه لأوساط المتدينين ،

وانتخبت قيادة جديدة للحركة ، كان الحاخام موهيليفر من أبرز أعضائها . وجرى توسيع تمثيل المتدينين ونفوذهم في داخل الحركة ، مما حدا ببعض الزعماء العلمانيين إلى البحث عن تعبير ثقافي وروحي آخر لصهيونيتهم ، وبرز على هذا الصعيد اشرتسفي جينزبرج (١٨٥٦ - ١٩٢٧) المعروف باسم آحاد هاعام، الذي نشر أولى مقالاته تحت عنوان " ليست هذه هي الطريق "وانتقد فيها نظرة زعماء أحباء صهيون إلى أوضاع المستعمرات اليهودية في فلسطين ، ووصفها بأنها نظرة غير واقعية. ودعا إلى تقوية الاهتمام بما أسماه «نجاح الأمة بأسرها في بلاد أجدادها ، دون الاهتمام بسعادة الفرد » . ونادى بضرورة إصلاح اليهود في المهجر كشرط مسبق لإنقاذهم . وقد أثارت آراؤه تلك جدالا شديدا بين زعماء حركة أحباء صهيون ومفكريها لمعارضتها لنظريات الحركة . لكن آحاد هاعام اتجه إلى العمل ، وتم تأسيس جمعية " بني موشيه " (أبناء موسى) في آذار ١٨٨٩ لتقوية الروح القومية بين اليهود . وتولى هاعام رئاستها ، فشدد على أولوية العمل الثقافي بين اليهود في العالم . غير أن هذه الجمعية لم تنجح فيما كانت تصبو إليه ، وجرى حلها في سنة ١٨٩٧ . وكان الخلاف في هذه المرحلة يدور حول الأولويات ، إذ كان دعاة الاتجاه العملي يؤيدون النشاط الاستيطاني المباشر ، في حين كان الثقافيون يرون ضرورة النشاط الثقافي كمقدمة للاستيطان ، وليس كمرحلة لاحقة . وقد أسس أحباء صهيون جمعيات لإحياء ونشر اللغة العبرية ، وأصدروا دوريات أدبية . كما أن جمعية " بني موشيه " أسست في سنة ١٨٩٣ دار " أحيآساف " للنشر في وارسو ، وقد نشرت أعمالا أدبية عدة ، وأصدرت مجلة عبرية باسم " هاشيلواح " بين سنوات ١٨٩٦ و١٩١٤ ، ثم انتقلت فيما بعد إلى فلسطين .

حصلت حركة أحباء صهيون في أواخر شباط ١٨٩٠ على ترخيص من الحكومة الروسية لممارسة نشاطها بصورة رسمية ، وأسست في السنة ذاتها جمعية عرفت باسم " جمعية دعم اليهود الفلاحين والحرفيين في سورية وفلسطين " . وهكذا أضفت الحركة طابعا رسميا على نشاطها في أنحاء روسيا ، وأطلق على لجنتها المركزية اسم " اللجنة الأوديسية " ، نسبة إلى مدينة أوديسا ، حيث المقر الرئيسي لأحباء صهيون .

انعقد المؤتمر الرابع للحركة ، بعد وقت قصير من الاعتراف بها في روسيا ، فانتخبت فيه لجنة تنفيذية جديدة وأعيد انتخاب بينسكر رئيسا للحركة . وقد امتنع الحاخامون عن حضور هذا المؤتمر ، بسبب غضبهم من المستوطنين في فلسطين الذين لم يلتزموا جميعا بتعاليم الشريعة اليهودية ، ولم يمتنعوا عن فلاحة أراضيهم خلال الموسم الزراعي لسنة ٥٦٤٩ عبرية (١٨٨٩ - ١٨٩٠) التي كانت " سنة تبوير " (وسنة التبوير تحل مرة كل سبع سنوات ، وينبغي على اليهودي الملتزم بتعاليم الدين الامتناع خلالها عن فلاحة أراضيه أو استغلال ثمارها ، إلّا بناء على فتوى يصدرها حاخامون معتمدون ، وفي ظروف قاهرة) .

قامت اللجنة التنفيذية الجديدة لأحباء صهيون بنشاط تنظيمي واسع ، وجمعت مبالغ كبيرة ، وقدمت المساعدات المالية للمهاجرين إلى فلسطين ، وساهمت في شراء الأراضي . وتقرر إنشاء لجنة تنفيذية في يافا * للإشراف على عمليات شراء الأراضي والهجرة والاستيطان ، وأوفدت الحركة في أواخر سنة ١٨٩٠ زئيف طيومكين للقيام بهذا العمل . ونشط طيومكين ، بشكل خاص ، في مجال تنسيق عمليات شراء الأراضي ، واستطاع حصر هذا النشاط باللجنة التنفيذية لأحباء صهيون وحدها ، إلّا أن روتشيلد عارض هذا الاتجاه ، ورفض زعماء المستوطنين في فلسطين التعاون مع طيومكين مما اضطره إلى ترك فلسطين .

ومع ظهور هرتسل وإقامة المنظمة الصهيونية العالمية * ، انضمت معظم جمعيات أحباء صهيون ونشيطيها إلى الحركة الصهيونية . وواصل أحباء صهيون نشاطهم العملي في إقامة المستعمرات في فلسطين ، وتقديم المساعدات للمدارس العبرية وغير ذلك . وفي سنة ١٩٠٠ سافر وفد خاص من أحباء صهيون برئاسة آحاد هاعام إلى فلسطين لبحث وضع المستعمرات هناك . كما اقترح وفد آخر على البارون روتشيلد إلغاء وصاية الموظفين على اليشيوف * اليهودي في فلسطين ، وإدخال تغييرات في إدارة شؤون المستعمرات . وقدم أحباء صهيون مساعدات للمستعمرات القائمة ، وشجعوا وساعدوا في إقامة مستعمرات أخرى جديدة . كما هاجر كثيرون منهم إلى فلسطين ، وأقاموا مستعمرات ريشون لتسيون * في آب ١٨٨٢ ، وروشبينا بعد عدة أسابيع ، ثم تلتها في العام نفسه مستعمرة زمارين التي أطلق عليها فيما بعد اسم زخارون يعقوب ، تخليداً لوالد البارون روتشيلد ، بعد أن تعهد بتقديم المعونة المالية لها . كذلك أقيمت مستعمرة يسود هامعلا غربي بحيرة الحولة * في شمال فلسطين . وجدد أحباء صهيون الاستيطان في بتاح تكفا * . وبلغ مجموع ما صرفته جمعيات أحباء صهيون على إقامة المستعمرات الصهيونية في فلسطين حتى نهاية الهجرة الأولى ، سنة ١٩٠٣ ، نحو ٨٧ ألف جنيه إسترليني .

المراجع :

- عبد الوهاب المسيري : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية**، القاهرة ١٩٧٥ .
- صبري جريس : **تاريخ الصهيونية** ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .

ـ أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، بيروت ١٩٦٨ .

الأحجار الكريمة : رَ : المعادن

الأحداث (منظمات ـ) :

تعني كلمة « الأحداث » لغوياً الشباب . وتعني تاريخياً المنظمات العسكرية التي كانت موجودة في المناطق الحضرية ، أو بتعبير آخر الجيش الشعبي أو « ميليشيا » المدن . وقد اضطلعت منظمات الأحداث هذه بدور هام في مدن بلاد الشام ، وإقليم الجزيرة الفراتية خلال القرن الرابع والقرن الخامس والقرن السادس للهجرة / العاشر والحادي عشر والثاني عشر للميلاد . وكانت معروفة بصورة خاصة في دمشق وحلب والقدس * وعكا * وعسقلان وطبرية * .

كان لهذه المنظمات رئيس يسمى « نقيب الأحداث » أو « مقدّم الأحداث » وقد سمي « رئيس البلد » أحياناً . وتقوم هذه المنظمات بأعمال الشرطة ، فهي مسؤولة بصورة عامة عن النظام العام وضمان الأمن والاستقرار ومكافحة الحرائق وغير ذلك من الخدمات في أوقات السلم . وكانت تقوم أيضاً ، عند اللزوم ، بالدفاع ومساندة الجيش . وكان الأحداث يقبضون مقابل ما يؤدّونه من خدمات رواتب تؤخذ من الضرائب * المفروضة على سكان المدن .

وتختلف منظمات الأحداث عن الشرطة من حيث طبيعتها المحلية المرتبطة بالمدينة ، كما أنها ، على خلاف الشرطة ، منظمة ليست رسمية . وربما كان هذا الفارق بالذات هو الذي جعل منظمات الأحداث أكثر أهمية والتصاقاً بالمدن من الشرطة . كما جعل عملها مختلفاً عن عمل الشرطة في الغالب .

كانت منظمات الأحداث في فلسطين مسلّحة ومدرّبة على القتال ، ومستعدة في أية ساعة للدفاع عن مدنها . مما جعل الأحداث يكوّنون معارضة محلية نشطة للسلطة السياسية الأجنبية في المدن الفلسطينية مثل القدس أو عكا أو الرملة . فقد كانت السلطة في الأعم الغالب إما فاطمية وإما سلجوقية وإما صليبية غريبة فيما بعد . ولذا وجد سكان مدن فلسطين في منظمات الأحداث المتنفس السياسي والاجتماعي للتعبير عن موقفهم وطموحهم . وقد لوحظ استمرار ثورة الأحداث ، بقيادة رئيسهم أو مقدّمهم ، على سلطة الأمراء الأجانب المتسلطين . وكانت المنظمة تفرض ، في حالة ضعف الحاكم ، نوعاً من المشاركة في إدارة المدينة . وهكذا تجبر السلطة على الاعتراف برئيس الأحداث رئيساً للبلد ، وتكون سلطته شبيهة بسلطة رئيس البلد ، وتتعداها في حالات الحرب والدفاع . وقد يعيّن أحياناً رئيس الأحداث قاضياً على المدينة .

وكان الأحداث يتكوّنون من العامة وجماهير الناس ، ويرتبطون بتوجيه بعض المتنفذين من طبقة البورجوازية ، أو يتبعون شخصاً بارزاً من أسرة أو أكثر . لذا لم يمثل الأحداث جميع سكان المدينة أو البلدة ، وإنما بعضاً منهم .

وليس في المصادر العربية معلومات كثيرة تكشف عن أصل منظمة الأحداث وأسباب نشوئها . وليس صحيحاً ثابتاً ما قاله المستشرق الفرنسي كلود كاهين *C. Cahen* من أن منظمة الأحداث في بلاد الشام هي امتداد لمنظمة بيزنطية عرفتها الشام في العهد البيزنطي ، فليس هناك روايات تاريخية تؤيد ما ذهب إليه ، كما أن طبيعة منظمة الأحداث والظروف التي نشأت فيها تدل على أنها عربية المولد والأصل ، وأنها ولدت لتحل مشاكل المدن الشامية في ظروف سياسية واجتماعية معينة .

كانت القبائل العربية في فترة الحكم العباسي لبلاد الشام متمردة على سلطة العاصمة بغداد ، مفضلة اللامركزية . ولذلك كانت بلاد الشام مصدر قلق وإزعاج للعباسيين . وشعر سكان المدن في فلسطين خاصة ، وبلاد الشام عامة خلال فترة الصراع والتنافس بين السلاجقة (رَ : السلجوقيون) والفاطميين * ، وهما قوتان أجنبيتان ، شعروا بفقدان الأمن وعدم الاستقرار . وقد شجع هذا الوضع السياسي والاجتماعي سكان كل مدينة على التجمع المحلي ، وبهذا كان نشوء منظمة الأحداث استجابة طبيعية للوضع المتأزم ، والصراع المستمر ، وفقدان الشعور بالأمان .

ولهذا يُلاحظ أن موقف منظمات الأحداث كان معارضاً للسلطة الأجنبية ، سلجوقية كانت أو فاطمية ، وكان الأحداث في مدن فلسطين يناصبون دوماً التركمان العداوة ، بالرغم من أن موقفهم السياسي هذا كان عرضة للتحول تبعاً للظروف السياسية ، لأنهم لم يكونوا يمثلون دائماً جميع سكان المدينة ، ولم يدافعوا دوماً عن مصلحة أهل المدينة أو العامة ، بل ربما اندفعوا للدفاع عن مصالحهم وسلطاتهم التي خلصتهم إياها السلطة الأجنبية المحتلة .

وقد بدأت سلطة منظمات الأحداث بالتدهور التدريجي مع إقامة الحكم الفردي السلجوقي في فلسطين والشام . لأن الطبيعة الأوتوقراطية لهذا النظام السلجوقي ، بالإضافة إلى إصرار السلاجقة على تعيين الشحنة ، أي الشرطة ، في كل مدينة ، تساعدها حامية من الجيش ، أضعف منظمات الأحداث ، وأفقدها قوتها ، وقطع الطريق أمامها ، وبهذا تلاشت وزالت .

المراجع :

ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

ـ ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ .
ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ليدن .
ـ سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٧٢ .
— Cahen, C.: Mouvements Populaires et Autonomie Urbain dans L'Asie Musulmane du Moyen Age I. Arabica, Vol.v, 1958

أحدوت هاعافودا (حزب ـ) :

أنشىء حزب أحدوت هاعافودا (العمل الموحد) سنة ١٩١٩ في فلسطين كحزب صهيوني عمالي اشتراكي ضم عمّالاً زراعيين وسكان مدن وجنوداً خدموا في الجيش البريطاني . وقد حدث في أواخر العشرينات تقارب بينه وبين حركة هابوعيل هاتسعير (العامل الفتى) ذات الميول الاشتراكية ، بزعامة حاييم أرلوزوروف ، وأدّى هذا التقارب إلى الاندماج في كانون الثاني ١٩٣٠ ، وإلى قيام حزب ماباي * (عمال أرض إسرائيل) .

بعد تأسيس ماباي ، أخذت تتكون داخل الحزب بذور معارضة بسبب « خطوته الإصلاحية اليمينية » . وتكونت هذه المعارضة من شبان قدموا من الاتحاد السوفييتي وكانوا ينتمون إلى حركة الشبيبة الصهيونية والصهيونية الاشتراكية ذات الميول الماركسية ، ومن بعض نشيطي بوعالي تسيون (عمال صهيون) القادمين من بولونيا ثم من نقابة عمال البناء في تل ـ أبيب ، التي سعت إلى تعميق المضمون الطبقي لنشاط الهستدروت * المهني ، ومن بعض الأعضاء السابقين لحزب اليسار الاشتراكي في ألمانيا . وأعلنت هذه المعارضة في نشراتها عن خوض " نضال الاشتراكية الماركسية ضد الأممية الإصلاحية من جهة ، وضد الشيوعية من جهة أخرى " .

أخذت هذه المعارضة تتفاعل وتنشط داخل حركة الكيبوتز الموحّد والاتحادات العمالية في المدن ، وسمّت نفسها «كتلة ب». وعارضت هذه الكتلة سياسة اللجنة التنفيذية للماباي و « قوة الهستدروت البيروقراطية » . إلّا أن حزب ماباي أصدر قراراً في سنة ١٩٤٢ بمنع قيام كتل منفردة داخل الحزب . وفي أيار ١٩٤٤ أسس جماعة الكتلة ب « تنوعا أحدوت هاعافودا » (حركة وحدة العمل) . وفي انتخابات المؤتمر السادس للهستدروت حصلت هذه الحركة على ١٧,٧٪ من الأصوات .

وقبيل إنشاء (إسرائيل) انتهجت حركة وحدة العمل سياسة متطرفة ، واحتل أعضاؤها مناصب رئيسة في الهاغاناه * والبالماخ * . وفي نيسان ١٩٤٦ اتحدت الحركة مع بقايا حزب بوعالي تسيون ونشأ حزب جديد ، أطلق عليه حزب « أحدوت هاعافودا ـ بوعالي تسيون » .

اتحد هذا الحزب في شباط ١٩٤٨ مع حركة هاشومير * (الحارس) ، وشكّلا حزباً واحداً أطلق عليه « مفليجيت هبوعاليم هميئوحيدت ـ مابام » ، (حزب العمال الموحد) . إلّا أن الوحدة لم تكن كاملة ، إذ بقي في المابام * جناح يساري معارض . ولكن الحزب (مابام) قرر في آب ١٩٥٣ طرد « العناصر اليسارية التي كانت تعارض الصهيونية » .

وعاد هذا الجناح المفصول من مابام بزعامة يتسحاق طبنكين ، ويسرائيل غاليلي ، ويتسحاق بن أهارون وبيغال آلون (من الكيبوتز الموحد) إلى إنشاء حزب مستقل أطلق عليه مرة أخرى اسم « أحدوت هاعافودا » ، وأصدر صحيفة تنطق باسمه تدعى « لامرحاف » . وقد أخذ حزب أحدوت هاعافودا يخوض الانتخابات بقائمة مستقلة ، وكان يحصل على عدد من مقاعد الكنيست يتراوح ما بين ٨ و ١٠ مقاعد .

انتهج حزب أحدوت هاعافودا سياسة متطرفة ، فنادى باتخاذ موقف عسكري متشدد من العرب ، وشجع على انتهاج سياسة خارجية عدوانية في الشرق الأوسط . وهو يأتي بعد حزب حيروت * في مدى مجاهرته باستخدام العنف لتحقيق الأغراض السياسية .

شارك حزب أحدوت هاعافودا في الإئتلاف الوزاري منذ عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٦٥ ، حين تحالف مع حزب ماباي في تجمع واحد أطلق عليه بالعبرية المعراخ * (التجمع) . وفي سنة ١٩٦٨ اندمجت أحزاب ماباي ، وأحدوت هاعافودا ، ورافي * في حزب واحد ، سمي حزب العمل الإسرائيلي * .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٨ ، بيروت .
ـ كاميليا بدر : نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية ، القدس ١٩٨١ .

الأحراج (قانون ـ) :

يعتبر قانون الأحراج والغابات الإسرائيلي المعمول به حالياً امتداداً لقانون الأحراج والغابات البريطاني الذي سنته سلطات الانتداب في فلسطين ، وصدر للمرة الأولى في كانون الأول عام ١٩٢٥ ، وعدل عام ١٩٢٦ .

أعلنت السلطات البريطانية المنتدبة آنئذٍ أن القصد من سنّ القانون المذكور هو حماية أشجار البلاد التي تقع ضمن ما أطلق عليه « الأرض المشاع » ووضعها تحت إشراف الدولة ، سواء كانت مثمرة

أو غير مثمرة . وقد عرّف القانون « أرض الغابة » بأنها : " كل أرض مغروسة بأشجار غير مثمرة كثيفة أو غير كثيفة ، والأرض المغطاة بالشجيرات الصغيرة التي يمكن ان تستخدم وقوداً أو لصنع الفحم أو ما شابه ذلك ، وكذلك الأرض المغروسة من قبل الإنسان بغراس الأشجار غير المثمرة أو الأشجار البرية التي تنمو من تلقاء نفسها "

وقد ميّز القانون البريطاني بين نوعين من الأحراج ضمن مادة حددت الأحراج والغابات التابعة للحكومة ، وتلك التي يمتلكها أشخاص . كما تنصّ هذه المادة على أنه يحق لكل صاحب غابة أن يطلب من الحكومة أن تضع غابته تحت إشرافها ومراقبتها وإدارتها ، وفقاً للشروط التي يتفق عليها الطرفان . كما خوّل القانون المذكور المندوب السامي وضع أراض غير مشجرة تستحق التشجير سواء كانت « الأراضي » ملكية خاصة أو مملوكة من قبل قرية أو طائفة تحت إشراف موظف الغابات ، على أن يعطى الدخل الصافي الناجم عن استثمار هذه الأراضي لمن كان يملكها في السابق .

كذلك أعطى القانون السلطات المنتدبة صلاحية الاستيلاء على أي أرض تعتبرها « غابة دولة » . ولما كانت السلطات المنتدبة البريطانية قد استغلت أيضاً قانون « الأراضي الموات » العثماني الذي ينص ، في جملة ما ينص ، على أنه يحق للدولة الاستيلاء على كل أرض تبعد عن القرية مسافة لا يصل إليها صوت المؤذن إذا ما قام برفع صوته من أطراف القرية فإن الحكومة البريطانية استولت في الواقع على أراض واسعة من فلسطين وحولتها إلى أراضي غابات ، أو منحت أقساماً منها للمشرفين على الغابات .

وأعطى القانون البريطاني صلاحيات واسعة لموظفي الأحراج فيما يتعلق بتنفيذ المواد الخاصة بكيفية استخدام الأهالي للغابات ودخولها او المرور فيها ، والعقوبات التي تطبق بحق من ينتهك نصوص القانون الخاص بها .

وقد أدخلت (إسرائيل) تعديلات على القانون البريطاني في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ . وجاء في هذه التعديلات ، التي شددت بمقتضاها القيود المفروضة على استخدام السكان للغابات أو مرورهم فيها ، ما يلي : " لا يجوز لأي إنسان كان الدخول إلى غابة الدولة أو إلى غابة خاصة خاضعة لإشراف الحكومة إلّا بعد أن يحصل على تصريح خاص . وكل من يقوم بأخذ أشجار للبناء من الغابة أو كل من يقوم بقطع أو حرق الأشجار أو تقشيرها أو التصرف بها بشكل أو بآخر ، أو كل من يقوم بقطع ونقل ما في الغابة من حجارة ونحوها ، أو يحرق الحجارة لاستخراج الكلس ، أو يصنع الفحم من الأشجار او الزفت من دون أمر خطي صادر عن موظف الأحراج ، أو من دون تفويض منه ، وكل من يشعل حريقاً في الغابة أو يضرم النار في شجرة دون حرص عليها ، وكذلك كل من يتسبب في شبوب حرائق ، ومن يمرر مواشي وحيوانات أخرى في الغابة ، كل واحد من هؤلاء يتعرض لدفع غرامة لا تزيد على خمسين ليرة ـ أو يودع السجن لمدة لا تزيد على ستة أشهر ، أو تنزل به العقوبتان معاً ، بالإضافة إلى أنه قد يغرم بدفع تعويض عن الضرر الذي أحدثه في الغابة وفقاً لما تنص عليه المحكمة " .

ويمكن للمحكمة المنوط بها فرض عقوبة على كل أنواع المخالفات الواردة في هذا القانون أن تقضي بأن يدفع قسم من رسوم الغرامة إلى الشخص الذي جاء إلى المحكمة وأبلغ عن المخالفة . إضافة إلى ذلك يحق لموظف الأحراج أن يحتجز كل محصول غابة تنطبق عليه إحدى المخالفات ، وكذلك كل الأدوات التي استخدمها المخالف أثناء العمل (أدوات ـ عربات ـ بهائم) . وهذه الممتلكات يمكن أن تخضع للمصادرة بصفة عقوبة إضافية إلى العقوبة العادية . ولكن في كل حال تصادر فيها الممتلكات يتعين على موظف الأحراج أن يبلغ حاكم المنطقة . ويحق للموظف أن يمنع كل من يخالف هذا الأمر دون أن يتلقى تخويلاً قانونياً بذلك .

وقد ورد في تعديل القانون سنة ١٩٥٦ أيضاً مادة تصنف ما يسمى « بالأشجار المحمية » وتعددها . ولم يكن قانون الأحراج والغابات البريطاني يضم هذه التقسيمات ، ولا حتى مصطلح « الأشجار المحمية » .

أما بالنسبة إلى العقوبات التي تطبق ضد المنتهكين لقوانين الأحراج فقد صدر في عام ١٩٦٠ قانون « أنظمة الغابات الإسرائيلية » الذي منح صلاحية إدارة الغابات والإشراف عليها لموظفين مخولين إصدار تراخيص سارية المفعول بالنسبة إلى قطع الأشجار والرعي . كما يقوم موظفو الأحراج بجباية الرسوم المستحقة على التراخيص . وكل الأنظمة والأوامر خاضعة لوزير الزراعة ، وهو يمنح من صلاحياته المسؤولين عن الإشراف والحراسة في الغابات .

وقد وردت في هذا القانون مادة تنص على أن " من يحرق أو يقتلع ، عن سابق إصرار أو بصورة اعتباطية ، شجرة تنمو في أرض خاصة أو حكومية قد يواجه عقوبة حبس لا تزيد على ثلاث سنوات . ويجوز إلزامه أيضاً بدفع تعويض للمالك عن كل شجرة أو دغلة تضررت أو دمرت " .

وكان يشرف على الغابات في السابق قسم تشجير خاص تابع لوزارة الزراعة الإسرائيلية . إلّا أن هذا القسم ألغي واستحدث قسم تشجير خاص بالغابة الطبيعية والغابة الاصطناعية يتبع الكيرين كايمت * (الصندوق القومي اليهودي) منذ عام ١٩٥٩ .

وقد عمدت السلطات الإسرائيلية إلى الاستفادة من قانون الأحراج للاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي العائدة للقرى

العربية . إذ اتخذت هذه السلطات إجراءات مضادة عندما كان يتضح لها أن إجراءات التسوية ، ولا سيما تلك التي تمت أيام الانتداب ، لم تكن في مصلحتها . ففي زمن الانتداب البريطاني تمت عمليات تسوية الأراضي في كثير من القرى العربية . وسجلت الممتلكات الخاصة بأسماء أصحابها ، أما الأراضي العمومية التابعة لتلك القرى ، ولا سيما الأراضي الحراجية التي كان يستعملها سكان تلك القرى للرعي أو لقطع الأخشاب او للبناء عليها في المستقبل ، فقد اعتبرت ملكاً مشاعاً للقرية بكاملها وسجلت باسم المندوب السامي لمصلحة سكان القرية لعدم وجود مجالس محلية تسجل الأراضي باسمها في معظم تلك القرى . وقد اعتبرت سلطات الكيان الصهيوني أن هذه الأراضي ملكها وما كانت لتسجل هكذا لو كانت التسوية تمت بعد قيام « الكيان » . ولما لم يكن بامكان السلطات الإسرائيلية إلغاء إجراءات التسجيل فقد عمدت إلى إيجاد « حل » لذلك بإعلان تلك الأراضي أحراجاً حكومية محفوظة . وبهذه الصفة الجديدة ما عاد جائزاً لأحد استعمالها أو التصرف بها . وحتى سنة ١٩٦٥ كان قد أعلن ، مثلاً ، نحو ٣٠ ألف دونم من أراضي قرى سخنين وطوعان وكفر سميع والرينة وجت وعرب السواعد ، أحراجاً محفوظة .

ثم عادت الحكومة وأعلنت في سنة ١٩٦٩ قرابة ١١,٥٣٤ دونماً أخرى تعود إلى أربع قرى عربية هي عين ماهل (٩٦٠ دونماً) ودبورية (٢,٠٠٧) ويافا الناصرة (٢,٧٣٠) والمغار * (٥,٨٣٧) أحراجاً محفوظة .

ولقد دأبت السلطات الإسرائيلية على تفسير القوانين لصالحها من أجل مصادرة مزيد من الأراضي العربية . وكانت تعمد حيث لا يمكنها تفسير القانون لصالحها ، إلى سن قوانين وأنظمة جديدة ، أو تقوم بالتحايل على القانون . والهدف من ذلك كله ابتلاع مزيد من الأراضي العربية . ولعل قضية أراضي كفر برعم خير ما يجسد سياسة (إسرائيل) العنصرية ضد المواطنين العرب ، وخاصة ما يتعلق منها بنزع ملكية أراضيهم (رَ : إقرت وكفر برعم ، قضية) .

المراجع :

ـ قانون الأحراج والغابات البريطاني لعام ١٩٢٦ ، الوقائع الفلسطينية (بالإنكليزية) ، عدد ٥ الصادر ١٩٢٦/٣/١ .

ـ الوقائع الإسرائيلية (بالعبرية) ، مجموعة الأنظمة ٢,٤٨٦ ، ١٩٦٩/١١/٢٧ .

الأحرار (حزب ـ) :

تأسس حزب الأحرار (الليبرالي) في (إسرائيل) في عام ١٩٦١ بعد اندماج الحزب التقدمي الصهيوني وحزب الصهيونيين العامين . والمعروف أن الحزب الأخير هو حزب المنظمة الصهيونية العالمية * ، ويعتبر عضواً فيه كل من التزم ببرنامج المؤتمر الصهيوني * الأول بصرف النظر عن معتقداته السياسية حول أنجع السبل لتحقيق أهداف هذا المؤتمر . لذلك فقد استطاع الحزب استقطاب كبار أثرياء اليهود في العالم ورجال الأعمال والصناعيين ، كما تركز مؤيدوه في حيفا * وتل أبيب * والقدس * حيث كان يقطن الأثرياء اليهود في فلسطين . وبحكم تكوينه الطبقي كان الحزب المذكور معادياً لجميع الأفكار الاشتراكية . ولم يشترك هذا الحزب في الحكم إلاّ بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٥ . وكان في المرتبة الثانية من حيث عدد المقاعد في الكنيست * لكنه أخذ يفقد مركزه تدريجياً .

أما الحزب التقدمي الصهيوني فقد ظهر في عام ١٩٤٨ بعد وصول عدد من المهاجرين الجدد من ألمانيا والنمسا والمجر . كما انضم إليهم بعض العمال المعتدلين . وكان هذا الحزب يجمع عدداً من أفراد الطبقة المتوسطة وبعض المثقفين وأرباب المهن . وقد اشترك في جميع الحكومات الإئتلافية الإسرائيلية .

وفي عام ١٩٦١ اندمج الحزبان تحت اسم حزب الأحرار . وتتلخص أهدافه في تأليف حكومة اتحاد وطني تعمل بمفهوم غير طبقي ، وتقوم بتحقيق التوازن السياسي والاجتماعي ، وتعمل على رفع مستوى العرب المقيمين عن طريق إلغاء الحكم العسكري .

وفي عام ١٩٦٥ انقسم الحزب إلى حزبي الأحرار والأحرار المستقلين وعمد الأحرار إلى تشكيل قائمة موحدة مع حزب حيروت * تحت اسم كتلة غاحال * بينما خاض الأحرار المستقلون الانتخابات بقائمة مستقلة .

وتحتل كتلة غاحال مكاناً بارزاً في الكنيست كما تشترك في معظم الحكومات الإئتلافية في (إسرائيل) . وكجزء من تكتل غاحال دخل حزب الأحرار في تكتل ليكود * عام ١٩٧٣ والتزم خطه السياسي .

الأحرار (رابطة ـ) : رَ : الاتحاد والترقي (جمعية ـ)

الأحرار المستقلين (حزب ـ) :

عندما قرر حزب الأحرار * الاتحاد مع حزب حيروت * عام ١٩٦٥ لتأسيس حزب غاحال * انشقت مجموعة من العناصر الصهيونية معظمها ينتمي إلى الجناح التقدمي في الحزب ، وأنشأت حزب الأحرار المستقلين .

ولا يختلف هذا الحزب كثيراً عن الأحزاب الصهيونية التي يضمها إطار الليكود * ، سواء من حيث تركيبه الطبقي أو توجهاته

السياسية ، فهو يرى أن أمن (إسرائيل) وسلامتها هما الهدف الأول للإسرائيليين ، ولكل يهود العالم ، وأن السلام بين (إسرائيل) والدول العربية يقوم على أساس التسوية الإقليمية ، وأن أي انسحاب إسرائيلي من الأراضي العربية المحتلة يجب أن يتم في إطار اتفاقية سلام شاملة مع الدول المجاورة ، ويجب أن تظل المناطق التي تنسحب منها (إسرائيل) منزوعة السلاح ، وأن تبقى القدس عاصمة موحدة (لدولة إسرائيل) .

أما الحل الأمثل للقضية الفلسطينية من وجهة نظر الأحرار المستقلين فهو إقامة دولة أردنية ـ فلسطينية فدرالية .

لم يعد لهذا الحزب الذي يتزعمه موشي كول أي أثر فعّال في السياسة الإسرائيلية، فقد هبطت شعبيته ، وخبا بريقه ، وتقلصت مقاعده في الكنيست * من خمسة مقاعد في انتخابات عام ١٩٦٥ إلى مقعد واحد في انتخابات عام ١٩٨١ .

المراجع :

ـ كاميليا بدر : نظرة على الأحزاب والحركات السياسية الإسرائيلية ، القدس ١٩٨١ .

ـ حركة فتح : الأحزاب والكتل السياسية في إسرائيل ، دمشق .

الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين (لجنة ـ) : رَ : إنقاذ فلسطين (جمعية ـ)

الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان (جبهة ـ) :

ارتبط نضال العمل الجبهوي الوطني اللبناني دائما بالنضال من أجل دعم القضية الفلسطينية والوجود الفلسطيني في لبنان ، وقد مرّ هذا العمل منذ تأسيسه حتى الآن بأربع مراحل :

١) المرحلة الأولى : سنة ١٩٦٤ ، حين تشكلت جبهة الأحزاب والهيئات والشخصيات الوطنية والتقدمية برئاسة كمال جنبلاط ، وضمت الحزب التقدمي الاشتراكي ، والحزب الشيوعي ، وحركة القوميين العرب ـ فرع لبنان . وكان الهدف الأساس من وراء إنشاء الجبهة التصدّي للقضايا الاجتماعية والنقابية ومشكلات الفلاحين الزراعية في لبنان . ولكن الفلسطينيين كانوا يعانون آنذاك من تعرضات يومية منظمة من أجهزة رسمية فأخذت الجبهة على عاتقها الدفاع عن حريات الفلسطينيين ، وكشف عمليات الاعتقال التي تمارس ضدهم . وقد انفرط عقد هذه الجبهة عقب هزيمة حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، وذلك بعد بروز التيار الماركسي ـ اللينيني داخل حركة القوميين العرب ، وانطلاقها لتحليل سياسي ينتقد تجربة النظام الناصري في مصر ، كما ينتقد أنظمة البورجوازية الصغيرة العربية (الأنظمة الوطنية) ويحمّلها مسؤولية الهزيمة في تلك الحرب بسبب بنيتها الاجتماعية والطبقية . وشمل نقد الحركة أيضاً الجبهة التي يقودها جنبلاط ، لافتقارها إلى البرنامج السياسي الواضح والمحدد. ونتيجة لهذه الخلافات أعلن كمال جنبلاط وقف نشاط الجبهة في بيان ألقاه يوم ١٩٦٧/١١/١٩ .

٢) المرحلة الثانية : بدأت في عام ١٩٦٩ ، وكانت لها مقدماتها الفلسطينية الطويلة . ففي عام ١٩٦٨ أخذ العمل الفدائي الفلسطيني يتركز لأول مرة في منطقة الجنوب اللبناني ، وبدأت في مطلع سنة ١٩٦٩ مناوشات بين الفدائيين والسلطات اللبنانية التي حاولت منع العمل الفدائي المسلح من الانطلاق من الأرض

اللبنانية . وهنا نشأ " تجمع الأحزاب الوطنية والتقدمية " وكانت له مهمة وحيدة هي الدفاع عن المقاومة الفلسطينية ، وحقها في الوجود المسلح في لبنان . وكان من أبرز إنجازات هذا التجمع الذي لم يعمر طويلاً التظاهرات الشعبية الضخمة التي نظمت يوم ١٩٦٩/٤/٢٣ احتجاجا على محاولات المساس بالعمل الفدائي . وقد تجددت هذه الاضطرابات في أيلول وتشرين الأول ١٩٦٩ ، ثم أسفرت عن عقد اتفاقية القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية * ، وشكل تحرك القوى الوطنية اللبنانية عاملا أساسيا في تحقيق هذا الإنجاز الذي أعطى للوجود الفدائي في لبنان صفة الوجود الشرعي .

٣) المرحلة الثالثة : بدأت سنة ١٩٧٥ ، وكانت لها مقدمات لبنانية وفلسطينية وعربية متشابكة . فعلى الصعيد اللبناني تفاقمت الأزمة الاجتماعية والسياسية داخل لبنان ، وشهد عام ١٩٧٤

ومطلع عام ١٩٧٥ إضرابات عمالية وطلابية ونسائية واسعة جدا ، ونشب على الصعيد السياسي صراع داخلي تحت شعار " المشاركة في السلطة " . وتعرض الجنوب اللبناني لاعتداءات إسرائيلية كثيرة بحجة الرد على العمليات الفدائية المنطلقة من الجنوب ، وشملت هذه الاعتداءات العمق اللبناني في بيروت وطرابلس ، مما أدى إلى التسليم بالحاجة إلى وجود أقوى للعمل الفدائي داخل المدن اللبنانية ، من أجل تحصين المخيمات وحمايتها بالمدفعية من الغارات الجوية .

وقد ردت القوى اليمينية اللبنانية بالبدء بعملية تسلح واسعة ، وبرفع شعارات تدعو للتخلص من السلاح الفلسطيني ، ومن الوجود الفلسطيني البشري في لبنان ، بحجة أن هذا الوجود المسلّح أخلّ بالتوازن السياسي ، فأصبح الفدائيون جيش المسلمين ، كما أخل بالتوازن السكاني ـ الطائفي في لبنان لصالح المسلمين ، متجاهلة بهذا الطرح المشكلات اللبنانية الداخلية الاجتماعية والسياسية التي كانت في صلب الصراع وجوهره ونتيجة لذلك كله انفجرت حرب أهلية في لبنان ، وكان انفجارها يوم ١٩٧٥/٤/١٣ ، بحادث مدبر ضد سيارة ركوب كبيرة كانت تقل فلسطينيين يمرون في منطقة عين الرمانة ، قادمين من مخيم تل الزعتر الفلسطيني . ومع انفجار الحرب الأهلية تشكل في البداية تحالف جبهوي برئاسة كمال جنبلاط ، ضم مجموعة الأحزاب السياسية الوطنية القائمة بالإضافة إلى هيئات اجتماعية ، مثل جمعية خريجي المقاصد . ووضع هذا التحالف لنفسه برنامجاً سياسياً أعلنه جنبلاط يوم ١٩٧٥/٥/١٨ ، وجاء فيه تحت بند إعادة تنظيم الجيش " حصر مهمته بالدفاع عن حدود لبنان واستقلاله الوطني والإضطلاع بمسؤوليته القومية حيال القضية الفلسطينية " .

سمي هذا التحالف " جبهة الأحزاب والقوى الوطنية والتقدمية " ، وأنشأت هذه الجبهة أثناء الحرب اللبنانية قيادة موحدة مع المقاومة الفلسطينية سميت " القيادة المشتركة " التي أشرفت على سير المعارك في لبنان . وبقي هذا التحالف الجبهوي يعمل متماسكا إلى أن انسحبت منه بعض التنظيمات التي تحالفت مع قوى سياسية أخرى في لبنان وشكلت "الجبهة القومية " . وفي ١٩٧٦/٧/٢٣ ، وبسبب انهيار سلطة الدولة اللبنانية كليا ، وتعاظم مسؤوليات الحرب الاجتماعية والتموينية بالنسبة إلى الجماهير ، قررت القيادة تطوير وضع الجبهة الداخلي ، فتحولت من تحالف إلى جبهة منظمة ذات هيئات قيادية دائمة . وكانت الخطوة الأولى على ذلك الطريق تشكيل المجلس السياسي المركزي الذي كان قيادة يومية عليا ، ربطت به هيئات تنفيذية تتولى مختلف الاختصاصات (التموين ، والأمن ، والتسليح . . . الخ) . وقد انتهت هذه المرحلة من حياة الجبهة عند اغتيال قائدها ورئيسها كمال جنبلاط في آذار ١٩٧٧ ، إذ بدأت مواقف أطراف الجبهة تختلف وتتناقض بصدد القضايا اللبنانية والعربية ، ولكنها بقيت ثابتة تجاه القضية الفلسطينية والعمل الفدائي ، وإن كانت بفعالية أقل من السابق .

٤) المرحلة الرابعة : بدأت مع تولي وليد جنبلاط رئاسة الحزب التقدمي الاشتراكي خلفاً لوالده ، فقد طلب منه قادة الجبهة الآخرون أن يتولى أيضاً رئاسة " المجلس السياسي المركزي " ، فتريث ، وقام أثناء ذلك بجولات سياسية عربية ، وبمفاوضات مع منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي (أحد أطراف الجبهة القومية) لإعادة الوحدة الى صفوف الحركة الوطنية ، ووقّع مع منظمة حزب البعث بيان أيلول ١٩٧٧ الذي كان فاتحة حوار بين أركان المجلس المركزي وأركان الجبهة القومية حول ضرورة التوحيد . وقد تعثرت هذه المفاوضات في البداية ، ثم تسارعت وتكللت بالنجاح بعد زيارة الرئيس المصري (لإسرائيل) وتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * . فوافق وليد جنبلاط على تولي رئاسة المجلس السياسي المركزي ، وأصدرت الجبهة في مطلع آذار ١٩٨١ برنامج عمل سياسي جديداً مستوحى في مبادئه من البرنامج القديم ، مع إضافات حول الموقف من القضايا السياسية المستجدة .

المراجع :

ـ البرنامج المرحلي للاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في لبنان .

ـ غسان العياش : ما هي الحركة الوطنية اللبنانية ، مجلة الأنباء اللبنانية الأعداد ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ ، شباط ١٩٨١ .

ـ النادي الثقافي العربي : الأحزاب اللبنانية ، بيروت ١٩٧٣ .

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (كتاب ـ) :

ر : محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي

أحمد بن إبراهيم بن نصر الله (٨٠٠ ـ ٨٧٦ هـ)

(١٣٩٧ ـ ١٤٧٠ م) :

أبو البركات ، عز الدين الكناني ، العسقلاني الأصل ، القاهري المولد ، الحنبلي المذهب . ولد بالمدرسة الصالحية في القاهرة . توفي أبوه وهو طفل صغير ، فكفلته أمه ، وعنيت به ، وتلقى على يديها مبادىء علم الحديث ، وقرأ الفقه ، والتفسير

والحديث ، والعربية على علماء زمانه أمثال : عز الدين عبد السلام البغدادي ، وأخذ عنه التفسير ، والعربية ، والمعاني والبيان ، والمنطق . وسمع على بعض العلماء المشهورين منهم : أحمد ابن حجر العسقلاني * ، وزين الدين الزركشي ، وغيرهما . وأخذ التاريخ ونحوه عن تقي الدين المقريزي ، وبدر الدين العيني ، وغيرهما . وأخذ علم الوقت عن المهتمين به ، وجوّد الخط على ابن الصائغ . أجازه بعض العلماء أمثال : زين الدين العراقي ، وأبي بكر المراغي ، وعائشة بنت محمد بن عبد الهادي ، وشمس الدين الجزري ، وغيرهم . وإليه انتهت رياسة الحنابلة في مصر .

زار العسقلاني القدس * والخليل * أكثر من مرة . وأدّى فريضة الحج ، والتقى ببعض العلماء في المدينة المنورة . ودخل الشام مرتين .

اشتغل عز الدين بالقضاء وولي قضاء القضاة ، واشتغل بالتدريس في مدارس الجمالية ، والحسينية ، والأشرفية ، والمؤيدية ، وغيرها . وتصدر بالأزهر ، وباشر الخطابة بجامع الملك بالحسينية . وحدّث كثيرا بالقاهرة ، وبيت المقدس، وغيرهما . وسمع منه طالبو العلم ، ومنهم تقي الدين القلقشندي ، ونجم الدين محمد بن فهد ، والسخاوي ، والسيوطي ، وغيرهم . وانصرف عز الدين عن القضاء ، وانقطع بمنزله للمطالعة والتصنيف والإفتاء .

أكثر العسقلاني من التأليف والتصنيف والجمع والاختيار والاختصار . وله آثار أكثرها مخطوط أو مفقود ، منها : « المسافر » في التفسير ، ونظم « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » في مصطلح الحديث لابن حجر العسقلاني (مطبوع) ، و« مختصر شرح ألفية الحديث » و« مختصر المحرر » في الفقه ، ونظم أصول ابن الحاجب ، ومختصر منهاج الأصول . وفي العربية اختصر ألفية ابن مالك وشرحها ، وله « المقايسة الكافية بين الخلاصة والكافية » ومنظومة في النحو تسمى « صفوة الخلاصة » ، وأرجوزة في العروض ، والوافي في القافية ، ونظم التلخيص . وله كتاب في فن الأدب سماه « تنبيه الأخيار فيما قيل في المنام من الأشعار » ، وهو مقامات منظومة ، ومرتب على حروف المعجم . وله ديوان شعر . وكانت بينه وبين السخاوي مراسلات . وله في التاريخ كتاب طبقات الحنابلة في عشرين مجلدا كما روى الجلال السيوطي ، و« شفاء القلوب في مناقب بني أيوب » ، والنشر في التاريخ ، وأرجوزة في قضاة مصر . ومنها أراجيز في أنواع الحساب ، وله منظومة في الجبر والمقابلة ، وأخرى في المساحة . ومنها نظم كتاب إيساغوجي (المقولات الخمس) لبورفيريوس ، والشمسية في المنطق ، وتوضيح على الجمل للخونجي ، ومقدمة في الميقات ، وأخرى في علم الحرف .

توفي بمصر .

المراجع :

- السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ .
- جلال الدين السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
- جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٦ هـ .
- ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
- عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٧ .

أحمد بن أحمد بن محمد الرملي (٨٥٤ - ٩٢٣ هـ) (١٤٥٠ - ١٥١٦ م) :

شمس الدين الرملي ، ثم الدمشقي ، الشافعي . المعروف بابن الحلاوي ، وبابن الشفيع . ولد في الرملة * ، ونشأ فيها .

ثم توجه إلى دمشق طالبا العلم ، فأخذ عن العلماء فيها ، ومنهم ابن نبهان ، بدر الدين حسن بن محمد بن عمر الدمشقي ، المتوفى سنة ٨٨٩ هـ /١٤٨٣ م ، وزين الدين خطاب بن عمر بن يوسف بن يحيى الغزاوي العجلوني الدمشقي الشافعي ، المتوفى سنة ٨٧٨ هـ / ١٤٧٢ م ، وعمر بن يعقوب بن أحمد الطيبي الدمشقي ، المتوفى بعد سنة ٨٧٠ هـ / ١٤٦٥ م . ولازم شمس الدين البقاعي ، وأخذ عنه كثيرا .

وقرأ شمس الدين الفقه ، والحديث ، والقراءات ، والنحو . وذكر أنه حفظ المنهاج ، وألفية ابن مالك ، وألفية الحديث للعراقي ، والشاطبية ، والدرة في القراءات للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، المتوفى سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م ، وعرض على عدد من العلماء .

وذكر أنه تلا القراءات السبع على أبي زرعة المقدسي الرملي ، وتلا على ابن عمران المقدسي المقرىء . ولم يحدد السخاوي وابن العماد أين قرأ شمس الدين عليهما .

توجه شمس الدين إلى القاهرة ، ساعياً في سبيل العلم ، وأخذ عن العلماء فيها ، ومنهم المناوي ، وابن الهائم الشاعر ، ونور الدين الهيثمي ، وجعفر السنهوري ، وشمس الدين محمد بن أبي بكر الحمصاني ، وغيرهم . وقرأ على شيوخ الإقراء الثلاثة : الهيثمي ، والسنهوري ، والحمصاني ، القرآن ، وقرأ عليهم « حرز الأماني

ووجه التهاني » وهو الشاطبية المشهورة في القراءات السبع . وقرأ عليهم ، كما قرأ على غيرهم من العلماء ، علوماً وكتباً أخرى .

وذكر السخاوي أن شمس الدين الرملي قصده بالقاهرة ، وأخذ عنه .

سمع شمس الدين الرملي على جمال الدين عبد الله بن جماعة (رَ : عبد الله بن محمد) خطيب المسجد الأقصى * .

ثم استوطن شمس الدين دمشق ، واشتغل فيها بالقضاء ، والإمامة ، والإقراء . فقد ولي القضاء نيابة ، وولي الإمامة بالجامع الأموي نيابة واستقلالا . وولي مشيخة الإقراء بالجامع الأموي ، وبدار الحديث الأشرفية ، وبالتربة الأشرفية ، وبتربة أم الصالح (المدرسة الصالحية) في دمشق .

وذكر أن له نظما حسنا .

توفي شمس الدين في دمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة** ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .

ـ ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ النعيمي : **الدارس في أخبار المدارس** ، دمشق ١٣٦٧ هـ ـ ١٣٧٠ هـ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن أحمد بن نعمة (٦٢٢ ـ ٦٩٤ هـ)

(١٢٢٥ ـ ١٢٩٤ م) :

شرف الدين ، أبو العباس ، المقدسي ، النابلسي ، الشافعي . إمام ، محدث ، مدرّس ، مفتٍ ، فقيه ، أصولي ، عالم بالعربية ، خطيب دمشق ، وابن خطيب القدس . وكان أبوه كمال الدين أحمد بن نعمة المقدسي النابلسي * قد قدم دمشق شابا ، واستقر بها ، ونشأ هو ، أي شرف الدين ، بدمشق ، وأخذ عن علمائها : الفتح بن عبد السلام ، وأبي علي الجواليقي ، وأبي حفص السهروردي ، وابن الصلاح ، والسخاوي وغيرهم . وكان حادّ الذهن سريع الفهم . تقلب في المناصب ، فولي القضاء نيابة في دمشق ، والخطابة بالجامع الأموي . وكان مدرّس الغزالية ، ودار الحديث النورية ، والشامية البرانية . وقد ظهر فضله في العلم ، فأجاز لجماعة من الفضلاء ، وأذن لهم في الإفتاء ، ومنهم شيخ الإسلام الإمام ابن تيميّة . وكان يفتخر بذلك ويقول : " أنا أذنت لابن تيميّة بالإفتاء " وكان يتقن فنوناً من العلوم ، وينظم الشعر الحسن . وانتهت إليه رياسة المذهب الشافعي * في الشام بعد التاج الفركاح . وصنّف كتابا في أصول الفقه سمّاه « البديع في أصول الفقه » ، جمع فيه بين طريقتي الإمام الفخر الرازي وسيف الدين الآمدي .

توفي في دمشق عن اثنين وسبعين عاما ، ودفن بمقابر باب كيسان عند والده .

المراجع :

ـ إسماعيل الباباني البغدادي : **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** ، حيدر آباد الدكن ١٩٤٥ .

ـ ابن تغري بردي : **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي** ، القاهرة ١٩٥٦ .

ـ تاج الدين السبكي : **طبقات الشافعية الكبرى** ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

ـ جلال الدين السيوطي : **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .

ـ صلاح الدين الصفدي : **الوافي بالوفيات** ، إستانبول ١٩٣١ .

ـ فضل الله بن فخر الصقاعي : **تالي كتاب وفيات الأعيان** ، دمشق ١٩٧٤ .

ـ ابن كثير : **البداية والنهاية** ، القاهرة ١٣٥١ هـ ـ ١٣٥٨ هـ .

أحمد بن أمين البسطامي (ـ ١١٥٧هـ)

(ـ ١٧٤٥م) :

الشافعي النابلسي ؛ عالم ، فقيه ، فرضي تولى إفتاء الشافعية بنابلس (رَ : المذهب الشافعي) . من مؤلفاته : شرح البردة للبوصيري ، وشرح الأربعين النووية . جمع كتاباً في المواعظ أسماه « المناهج البسطامية في المواعظ السنية » ، ومناهج الإعراب عن مباهج الأغراب .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : **سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر** ، القاهرة ١٣٠١ هـ .

ـ اسماعيل باشا البغدادي : **هدية العارفين ، أسماء المؤلفين ، وآثار المصنفين** ، إستانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

ـ إسماعيل باشا البغدادي : **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** ، إستانبول ١٩٤٥ م .

أحمد بن بكر بن أحمد بن محمد (١٠٩٥ ـ ١١٤٧ هـ)

(١٦٨٣ ـ ١٧٣٤ م) :

العكّي ، الحنفي ، المعروف ببطحيش . مفتي عكا وعالمها . له

من التآليف : فتاويه المشهورة الملقّبة باسمه . وله حاشية على « تنوير الأبصار » بالفقه ، والألفة الجيبية في علم الميقات ، وشرح منظومة ابن الشحنة في الفرائض ، ومختصر السيرة الحلبية ، وقد سمّاه « خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر » ، وله حاشية على « نزهة النظار في علم الغُبار » في الحساب ، وشرح على « ملتقى الأبحر » في الفقه . وله شعر .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١ هـ .

ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

ـ إسماعيل البغدادي : هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧ .

أحمد باشا الترزي (ـ ١٠٨٩ هـ) (ـ ١٦٧٨ م) :

حاكم القدس * واللجّون * . وهو ابن حسين بن إسماعيل المعروف بالترزي الدمشقي . كان أول أمره من إنكشارية دمشق ، ورافق قافلة الحج الشامي عام ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م مع أميرها عساف بن فروخ ، بصفته سرداراً . ثم غدا كتخدا الإنكشارية عام ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م ، فكتخدا محمد باشا الذي بعثه السلطان أميراً للحج عام ١٠٨٣هـ/١٦٧٢ م ، فمتسلماً لولاية دمشق عام ١٠٨٤هـ /١٦٧٣م . ثم برز أميراً للأمراء وباشا للقدس في عام ١٠٨٧هـ /١٦٧٦م ، وكلف بإمارة الحج في ذلك العام . وقد خرج العرب على الحجاج في أرض المعظم ، فقاتلهم وصدّهم عنهم . وأعطي في عام ١٠٨٨هـ /١٦٧٧م إمارة اللجون بعد يوسف بن علي من آل طرباي ، وبذلك جمع بين القدس واللجون .

توفي عام ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م ، وخلّف ولدين : أحدهما محمد ، وقد ذهب إلى بلاد الروم وأتلف جميع متروكات والده ، وباع ما ورثه ، في حين أقام الثاني ، وهو مصطفى ، في دمشق ، وكان أديباً وشاعراً . وقد ترجم له المحبّي في كتابه « ذيل نفحة الريحانة » ، والمرادي في « سلك الدرر » . وبيّنا أنه كان « فائقاً ماهراً بالأدب مع معرفة تامة بالطب وغيره » . وله ديوان شعر لا يزال مخطوطاً في برلين تحت الرقم *Pet (1) 287 8034.* . وقد أصيب مصطفى في ولده ، " عندما قتل الوزير أسعد باشا العظم والي دمشق وأمير الحج الشامي ثار أشقياء الجند في دمشق " ، ونهبت داره ، واضمحل حاله . وتوفي عام ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م .

المراجع :

ـ مجلة معهد المخطوطات العربية : صفحات من تاريخ دمشق ، القاهرة ١٩٦٠ .

ـ محمد أمين المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر .

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٨٩٢م .

أحمد باشا الجزّار (١١٤٨ ـ ١٢١٩ هـ) (١٧٣٥ ـ ١٨٠٤ م) :

واحد من رجالات الدولة العثمانية الذين اشتهروا بالكفاية والمقدرة والجبروت . وهو من أصل بشناقي ، بدأ حياته مملوكاً في خدمة عبد الله بك أحد رؤساء المماليك في مصر . ثم علا شأنه بعدما أظهر مهارة عالية وقسوة متناهية في ذبح خصوم أسياده . فكافأه هؤلاء بلقب « الجزّار » .

وفي وقت لاحق اضطرته مؤامرات أسياده المماليك إلى الرحيل إلى الشام حيث التحق بخدمة الدولة العثمانية . وفي حوالي عام ١٧٧٢م كان أحمد الجزار على رأس حملة لانتزاع بيروت التي كان يتصارع عليها الأمراء الشهابيون . وقد آثر أحمد الجزار الاحتفاظ ببيروت ، وقام بجباية أموالها ، ورفض مطالب الأمير يوسف الشهابي لإعادتها .

وقد جلب هذا العمل على الجزار نقمة الأمير الشهابي ، واستعان لهذا الغرض بحليفه ظاهر العمر * . هذا وقد دافع أحمد الجزار عن بيروت التي أضحت محاصرة ، ثم اضطر إلى الاستسلام بشروط بعد أن قامت وحدات من الأسطول الروسي بقصف المدينة قصفاً شديداً بطلب من الشيخ ظاهر العمر .

والمرجّح أن أحمد الجزار حمل معه بعد انسحابه من بيروت أموالاً طائلة أنفقها في التقرّب إلى الباب العالي ، فنال لديه الحظوة والمكانة العالية ليعود في عام ١٧٧٥م والياً على صيدا .

والواضح ان الهدف من تعيين أحمد الجزار والياً على صيدا هو تهيئة الأجواء المناسبة للقضاء على الشيخ ظاهر العمر . وقد أبدى أحمد الجزار مهارة فائقة في توظيف خبرته وعلاقاته السابقة في البلاد الشامية من أجل تفتيت الجبهة المؤيدة للشيخ الظاهر ومساندة قائد البحر العثماني حسن باشا الجزائري في حرب الشيخ الظاهر ، فتمّت المهمة بنجاح تام .

واتّصل أحمد الجزار بهمّة ونشاط مطاردة أبناء الشيخ الظاهر وأتباعه . وكانت خبرته بأحوال زمانه قد دفعته إلى ابتزاز الأموال واكتنازها ، ثم استخدامها في تقوية نفوذه وسلطته . وقد وجد الجزار بعد حسم قضية الشيخ ظاهر كثيراً من الأمراء المحليين ممن انتهزوا أيام تغلب سلطة الظاهر فامتنعوا عن دفع الأموال ، فبطش بهم بطشاً شديداً ، حتى كان تعذيبه لهم مضرب المثل لعهود تالية .

ووجد أحمد الجزار في الأمير يوسف الشهابي كبشاً سميناً ، فهو حليف الشيخ الظاهر ، وفي ذمته ديون سنوات مستحقة للباب العالي . فضيّق عليه الخناق ، وأجبره على التنازل عن بيروت ، كما صادر أملاك عدد من أقربائه .

أصبح أحمد الجزّار شخصية مهيبة في بلاد الشام ، ودفعه نفوذه الواسع إلى تعزيز مركزه السياسي ، ونقل مركزه إلى عكا * ، وعمد ـ على غرار ظاهر العمر ـ إلى تحصينها تحصيناً جيداً ، وعزّز أسوارها بالمدفعية ، كما أنشأ جيشاً من المرتزقة ، بالإضافة إلى أسطول قوي للدفاع عن عكا والساحل الشامي .

أثارت قوة أحمد الجزار المتعاظمة ولاة الأمور في الشام ، فجرت محاولات للحدّ منها ، وذلك عن طريق دعم الأمراء الشهابيين ، وحثهم على المقاومة . على أن الجزار نجح في شق الأمراء الشهابيين ، واصطنع من بعضهم قوة مساندة له . وانتهى الصراع مع باشا الشام (محمد باشا العظم) بهزيمة الأخير وتعيين أحمد الجزار باشا مكانه (١٧٨٠م) .

وبحصول أحمد الجزار على باشوية الشام أصبح أقوى رجل في بلاد الشام ، فهو الباشا ، وأمير الحج ، وسيد صيدا ، وطرابلس ، وعكا . كما كان الأمراء الشهابيون لحين من الزمن رهن إشارته ، يغيّر ويتدخل في شؤون إمارتهم بما يتفق وأهواءه .

وبالرغم من سطوة الجزار وجبروته اضطرت الدولة العثمانية إلى تنحيته عن باشوية الشام ، بسبب الشكاوى التي رفعها الأهلون حول عسفه وجوره وطغيانه ، وكذلك بسبب الثورات التي اندلعت في لبنان (١٧٨٩ ، ١٧٩٠م) والشام (١٧٩٨م) وكان الجزار قد قمعها بقساوة متناهية .

وكانت ذكريات الشيخ ظاهر العمر لا تزال عالقة في أذهان المتولين للأمور في الباب العالي ، وكان اعتصام الجزار في عكا يمكن أن يحوّله إلى ثائر على الدولة في أية لحظة . ومن هنا كان موقف الباب العالي دقيقاً ، إذ كان عليه السعي للحيلولة دون اتساع نفوذ أحمد الجزار ومحاولة الاستفادة من خدماته قدر الإمكان .

وبالفعل ، تأتّى للعثمانيين الاستفادة من أحمد الجزار عام ١٧٩٩م حين أنيط به مواجهة زحف الفرنسيين على فلسطين ، وايقاف الحملة الفرنسية * التي قادها نابليون بونابرت . ولم يخيّب أحمد الجزار ظن أسياده فيه ، فقد استجاب لنداء الباب العالي في مقاومة الفرنسيين ، وألقى بإغراءات بونابرت جانباً ، وحرص على البقاء في عكا ، ليشدّ من ساعد المدافعين ويقوّي وسائل الدفاع .

وتمكن أحمد الجزار بمساعدة الأسطول البريطاني في البحر المتوسط من إيقاف الزحف الفرنسي . وهكذا انهارت عند أسوار عكا قوى الفرنسيين ، ومُني بونابرت بالخذلان (ر : الحملة الفرنسية) .

وحاول أحمد باشا الجزار الذي رفعه دفاعه عن عكا إلى قمة المجد أن يستثمر نصره في فرض هيمنة مطلقة على بلاد الشام . وكانت باكورة أعماله بعد انسحاب بونابرت تنحية الأمير بشير بن قاسم الشهابي الثاني * الذي اعتلى عرش إمارة لبنان منذ أمد قصير . ولكن الدولة العثمانية ساندت الأمير بشير الثاني على أحمد باشا ، فأعادته إلى مركزه السابق ، وربطته بالباب العالي مباشرة .

على أن إجراءات الدولة العثمانية ظلّت اسمية فحسب ، ولم يستطع الباب العالي أن يعمل شيئاً إزاء تعيين أحمد باشا الجزّار لإثنين من أعوانه حكّاماً في جبل لبنان .

وكانت الأعوام الأخيرة من حياة أحمد باشا الجزّار هادئة نسبياً ، ويقال إنه كان يعد العدة خلالها للبطش بالوهّابيين ، غير أن المنيّة أدركته بعد نصف قرن من الحياة العاصفة ، وعمر ناهز السبعين عاماً .

المراجع :

ـ ميخائيل مشاقة : مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان ، القاهرة ١٩٠٨ .
ـ حيدر الشهابي : الغرر الحسان في أخبار الزمان ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ عبد الرحمن الجبرتي : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ .
ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٩ .

أحمد بن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) (١٣٧٢ ـ ١٤٤٩م):

قاضي القضاة الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني الأصل والأجداد ، المصريّ المولد والنشأة والدار والوفاة ، الشافعي المذهب . وُلد بمصر في أسرة اشتهرت بالأدب والعلم . عكف على طلب العلم منذ صغره ، وأخذ عن مشايخ عصره في مصر وغيرها ، ومن أجل ذلك شدّ الرحال إلى كثير من المدن والأقطار طلباً للحديث والفقه وعلوم الدين . وقد وصفه

أستاذه الحافظ زين الدين العراقي بأنه أعلم أصحابه بالحديث . وأعانه على ذلك ما اتصف به من قوة ذاكرة ، حتى أطلق عليه حافظ الديار المصرية .

ومن بين البلاد التي رحل إليها وأخذ عن شيوخها ، احتلت فلسطين مكانة خاصة ؛ فسمع في غزة * من الشيخ أحمد بن محمد الخليلي ، وسمع في الرملة * من الشيخ أحمد بن محمد الأيكي ، وسمع في الخليل * من صالح بن خليل ، وسمع في بيت المقدس من المفتي شمس الدين عبد الله بن محمد بن إسماعيل القلقشندي * . مما يدل على أن مدن فلسطين في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كانت مراكز لنشاط ديني وعلمي واسع ، بفضل من فيها من أئمة علماء العصر .

وقد ولي ابن حجر عدة مناصب ، منها الخطابة بالجامع الأزهر ، ثم الإقراء والتدريس في أشهر مدارس القاهرة . وكانت وظيفة التدريس في ذلك العصر من الوظائف الجليلة ، يخلع السلطان على صاحبها ، ويكتب له توقيعاً من ديوان الإنشاء . كذلك باشر ابن حجر القضاء أكثر من اثنين وعشرين عاماً ، واختير سنة ٨٢٧هـ لِيَلِيَ منصبَ قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية . ويبدو أن ابن حجر لم يسعد كثيراً بولاية القضاء ، وعزل نفسه أكثر من مرة من المنصب ، حتى تركه نهائياً سنة ٨٥٢هـ ليعاود التفرغ للتأليف والتصنيف .

أما مصنفاته فهي كثيرة . ذكر تلميذه السخاوي الذي ترجم له في « الضوء اللامع » أنها زادت على مائة وخمسين مصنفاً ، وأن مصنفاته « انتشرت في حياته ، وتهادتها الملوك ، وكتبها الأكابر » . وعلى رأس هذه المؤلفات يأتي كتاب « الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة » في أربعة مجلدات ، وكتاب « الإصابة في تمييز أسماء الصحابة » ، وكتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » ، وكتاب « لسان الميزان » في التراجم في ستة أجزاء ، وكتاب « تهذيب التهذيب » في رجال الحديث في اثني عشر مجلداً ، وكتاب « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » ، وكتاب « بلوغ المرام من أدلة الأحكام » ، وكتاب « نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر » ، وكتاب « القول المُسدَّد في الذبّ عن مسند الإمام أحمد » ، وكتاب « إنباء الغمر بأبناء العمر » ، وغيرها . وهذه الكتب مشهورة مطبوعة ، في حين أن كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » وكتاب « ذيل الدرر الكامنة » ما يزالان مخطوطين .

المراجع :

ـ السخاوي : الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٣٥٥هـ .
ـ محمد بن علي الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع ، القاهرة ١٣٤٨هـ .
ـ جلال الدين السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٢٩٩هـ .
ـ طاش كبري زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، القاهرة ١٩٤٩ .

أحمد بن الحسن بن عبد الله (٦٩٣ ـ ٧٧١هـ) (١٢٩٤ ـ ١٣٧٠م) :

شرف الدين ، أبو العباس ، ابن قدامة ، المشهور بابن قاضي الجبل . إمام ، مفتٍ ، عالم بالحديث وعلله ، واللغة ، والمنطق ، قاضي القضاة ، شيخ الحنابلة بدمشق . وهو مقدسي الأصل من بني قدامة الذين نزح أجدادهم من قرية جمّاعين (جماعيل) إلى دمشق في أواسط القرن السادس الهجري إبّان الاحتلال الصليبي لفلسطين (رَ : آل قدامة) ، ونزلوا في الصالحية بدمشق . ولد بدمشق ، وقرأ على علمائها كالمنجا التنوخي ، وابن القواس ، وابن عساكر . بيد أن أشهر أساتذته هو الشيخ تقي الدين بن تيمية (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) الذي أقرأه عدة مصنفات ، وأجازه في الإفتاء .

قام بالتدريس بعدة مدارس في دمشق ، ثم طُلب في آخر عمره إلى مصر ، فدرّس بمدرسة السلطان حسن ، وولي مشيخة سعيد السعداء ، ثم عاد إلى دمشق سنة ٧٦٧هـ / ١٣٦٦م وولي قضاء الحنابلة فيها ، وبقي في هذا المنصب أربع سنوات إلى أن توفي .

كان يحفظ ، كما قيل ، عشرين ألف بيت من الشعر ، وكان له اختيارات في المذهب ، منها إجازة بيع الوقف للحاجة . وله عدة مصنفات ، منها « الفائق في فروع الحنبلية » في الفقه ، و « شرح المنتقى في الحديث » ، و « المنهج المفيد في حكم التوكيد » ، و « المناقلة في الأوقاف وما في ذلك من النزاع والخلاف » ، وله نظم ونثر .

توفي بالصالحية ، ودفن بتربة جده الشيخ أبي عمر .

المراجع :

ـ ابن تغري بردي : المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، القاهرة ١٩٥٦م .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٥٠ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، بيروت ١٩٣١ .
ـ عبد القادر النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، دمشق ١٩٥١ .

أحمد بن حسين بن حسن الرملي (٧٧٣ - ٨٤٤هـ) (١٣٧١ - ١٤٤٠م) :

شهاب الدين ابو العباس الرملي ، المقدسي ، الشافعي . شيخ إمام ، وصوفي مشهور ، أصله من العرب من كنانة . وُلد بالرملة * ، ونشأ بها ، وحفظ القرآن وله عشر سنين . وكان في الابتداء يشتغل بالنحو واللغة والنظم ، ثم رحل طلباً للعلم . وكان من أشياخه الذين أخذ عنهم الشيخ شمس الدين القلقشندي ، والشيخ شهاب الدين بن الهائم ، وقاضي القضاة جلال الدين البلقيني ، وقاضي القضاة الباعوني ، والشيخ محمد القرمي .

وُلي تدريس المدرسة الخاصكية بالرملة مدة طويلة ، ثم تركها ، وأقبل على التصوف . ثم رحل إلى القدس * ، وأقام بالزاوية الخُتَنِيّة وراء قبلة المسجد الأقصى ، حيث انقطع للعبادة . وألّف كتباً كثيرة في الفقه والنحو والقراءات ، منها شرح سنن أبي داود في أحد عشر مجلداً ، وشرح جمع الجوامع ومنهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي ، كما جمع طبقات الفقهاء الشافعية .

كان الرملي منصرفاً عن الدنيا . عرض عليه الأمير حسام الدين حسن الكشكلي مشيخة مدرسته الحسينية ، وقرر له فيها كل يوم عشرة دراهم فضة ، فأبى . وقد أصبح مضرب المثل في العلم والزهد والورع وصحة العقيدة ، وتروى عنه كرامات كثيرة . وكانت له جماعة مشهورة من التلاميذ والمريدين .

عمّر برجاً على شاطىء يافا ، وكان كثير الرباط به للعبادة . توفي بالزاوية الختنية ، ودفن بمقبرة ماملا ، وصلي عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق وفي الأزهر في القاهرة .

المراجع :

- إسماعيل الباباني البغدادي : **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون** ، حيدر آباد ١٩٤٥ .
- حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، حيدر آباد ١٩٤٣ .
- ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ١٣٥١هـ .
- مجير الدين الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، عمان ١٩٧٣ .
- شمس الدين محمد السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، القاهرة ١٣٥٣هـ .
- محمد بن علي الشوكاني : **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، ١٣٤٨هـ .

أحمد حلمي عبد الباقي (١٨٨٢ - ١٩٦٣) :

سياسي واقتصادي فلسطيني ، ولد في مدينة صيدا حيث كان والده ضابطاً في الجيش العثماني ، وانتقل مع والده إلى نابلس * ، وتعلم العربية وأصول الدين على أيدي بعض الأساتذة . عمل في المصرف الزراعي بنابلس ، ثم نقل محاسباً ومديراً لأملاك الدولة في لواءي الديوانية والعمارة بالعراق ، وشغل منصب وكيل متصرف اللواء .

تولى أحمد حلمي قيادة فرقة متطوعين من أبناء العشائر في العراق حاربت إلى جانب الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى . وحين تولى الأمير فيصل بن الحسين الحكم في سورية الشمالية ، عين أحمد حلمي مديراً عاماً لوزارة المالية (١٩١٩ - ١٩٢٠) ، وقد عرف عنه أنه من أركان حزب الاستقلال العربي الذي تأسس في العهد الفيصلي كمظهر علني من جمعية العربية الفتاة * السرية .

وبعد احتلال الفرنسيين لسورية ، نزح إلى شرقي الأردن وعيّن مشاوراً للمالية سنة ١٩٢٢ ، ونظارة الخط الحديدي الحجازي .

نفته السلطات الإنكليزية إلى الحجاز بتهمة التحريض على مقاومة الانتداب الفرنسي على سورية ، لكن ما لبث أن غادرها إلى القاهرة . وفي سنة ١٩٢٦ توجه إلى فلسطين بدعوة من رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى فيها ، وعيّن مراقباً عاماً للأوقاف الإسلامية . واستقال من عمله سنة ١٩٣٠ حين اشترك مع عبد الحميد شومان * في تأسيس البنك العربي بفلسطين وتولى إدارته العامة . ثم أسس البنك الزراعي لإمداد الفلاحين بالقروض الزراعية ، وبنك الأمة العربية * ، وشركة صندوق الأمة * لانقاذ الأراضي العربية المهددة باستيلاء الصهيونيين عليها .

اختير أحمد حلمي عبد الباقي رئيساً فخرياً للغرفة التجارية بالقدس (رَ : التجارة العربية ، غرفة) ، ورئيساً للجمعية الخيرية الصلاحية التي أنشأت معهد أبناء الأمة لإيواء أبناء الشهداء . وعمد إلى تأسيس المعرض العربي الأول (١٩٣٣) ، والثاني (١٩٣٤) اللذين اشترك فيهما صناعيون من معظم الأقطار العربية (رَ : المعارض) .

وعلى أثر إعلان الإضراب العام بفلسطين وتأليف اللجان القومية * ، اختير أحمد حلمي عضواً في اللجنة العربية العليا * (١٩٣٦/٤/٢٥) . ثم نفته سلطات الانتداب البريطاني إلى جزيرة سيشل مع بعض أعضاء اللجنة بعد مقتل الجنرال أندروز حاكم لواء الجليل ، في تشرين الأول سنة ١٩٣٧ ، ثم أطلقت سراحهم في نهاية العام التالي .

اختير عضواً في الهيئة العربية العليا * التي ألفها مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان (سورية) في حزيران سنة ١٩٤٦ (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) ، وكان من المشاركين في قيادة الدفاع

عن مدينة القدس في وجه الهجمات الصهيونية إثر صدور قرار تقسيم فلسطين * في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ .

وعقب الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، قرر مجلس جامعة الدول العربية في آب ١٩٤٨ إنشاء حكومة عموم فلسطين * ، واختير أحمد حلمي رئيساً لها بموافقة المجلس الوطني الفلسطيني الذي انعقد في مدينة غزة في ١٩٤٨/١٠/١ (رَ : غزة ، مؤتمر) ، وشارك بصفته هذه في اجتماعات مجلس جامعة الدول العربية ممثلاً عن فلسطين .

غادر القاهرة إلى لبنان في منتصف سنة ١٩٦٣ ، وتوفي في بلدة سوق الغرب في حزيران من العام نفسه ، ونقل جثمانه ليدفن في القدس .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : الحركة الوطنية الفلسطينية ، بيروت .
ـ عارف العارف : النكبة ، بيروت .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب ، عمان ١٩٧٦ .

أحمد بن خليل بن كيكلدي (٧٢٦ ـ ٨٠٢هـ) (١٣٢٥ ـ ١٣٩٩م) :

أبو الخير ، جدّه الأمير التركي سيف الدين كيكلدي ، وأبوه الحافظ العلائي * الذي ترك الجندية وانصرف الى العلم . وقد استقر الحافظ في القدس * يدرس ، ويفتي ، ويحدث ، ويصنف . وفي هذا الجو العلمي نشأ أبو الخير ليكون أحد العلماء الأعلام الذين عرفتهم القدس في القرن الثامن الهجري .

ورث أبو الخير عن والده الحافظ العلائي حبّ العلم ، وأخذ الوالد ينشّئه على ذلك ، ينقل إليه علمه ، ويصله بعلماء عصره .

فقد سمع بإفادة أبيه من أكابر المحدّثين والمسندين والحفّاظ كالحجّار والمزّي بدمشق . ثم ارتحل به أبوه الى القاهرة فأسمعه من أبي حيّان وغيره .

وبلغ أبو الخير من العلم منزلة رفيعة حتى صارت الرحلة في سماع الحديث بالقدس إليه . ولكنه اقتصر على التدريس والتحديث ، ولم يخلف مؤلفات على نحو ما فعل أبوه . وظهر له في أواخر عمره سماع في « سنن ابن ماجة » من الحجار . ويقول عنه شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني * : " رحلت إليه من القاهرة بسببها في سنة ٨٠٢ . وبلغتني وفاته وأنا بالرملة ، فعرّجت عن القدس إلى دمشق " .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، القاهرة ١٩٣٨ .

أحمد بن رضوان : رَ : آل رضوان

أحمد سامح الخالدي (١٨٩٦ ـ ١٩٥١) :

مربّ فلسطيني ، ولد في مدينة القدس ، وتلقى علومه في الكولونية الأمريكية ، وتابعها في مدرسة المطران بالقدس (أي مدرسةسانت جورج) . ثم أنهى دراسته الجامعية في كلية الصيدلة بالجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩١٧ ، ونال درجة أستاذ في العلوم .

خدم في صفوف الجيش العثماني في أواخر الحرب العالمية الأولى ، ثم عاد إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب ودخول القوات البريطانية إليها ، واعتزل على إثر ذلك مهنة الصيدلة .

عين سنة ١٩٢٠ مفتشاً في إدارة المعارف بلواءي يافا وغزة ، ونال درجة أستاذ في التربية . ثم عين بعد ذلك مساعدا لمدير المعارف العام . وقد خلف الدكتور خليل طوطح * في إدارة دار المعلمين في القدس سنة ١٩٢٥ ، فأطلق عليها اسم الكلية العربية * . وقد خرّجت هذه الكلية عدداً كبيراً من الشبان الذين عملوا في التدريس بفلسطين . .

أولى الخالدي اهتمامه لأبناء الشهداء ، فأنشأ لجنة اليتيم العربية العامة ، وتولى رئاستها ، وضمت كلا من الدكتور يوسف هيكل ورجائي الحسيني وشفيق منصور وميشيل أبيكاريوس وشبلي الجمل وأحمد طوقان وأحمد خليفة وأحمد القاسم ونصوح بيضون . كما أنشأ معهداً لأبناء الشهداء في دير عمرو * بالقدس .

غادر فلسطين إلى لبنان ، بعد إعلان قيام الكيان الصهيوني في أيار ١٩٤٨ ، حيث وجه نشاطه لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين وتعليم أبنائهم .

وقد توفي في مصيف بيت مري اللبناني .

لأحمد سامح الخالدي دور كبير في إغناء المكتبة العربية بتصانيفه الكثيرة ، ومنها :

١) أنظمة التعليم ، وهو جزءان طبع الأول سنة ١٩٣٣ والثاني سنة ١٩٣٥ .
٢) نظام التعليم في العهد العثماني .
٣) أهل العلم بين مصر وفلسطين (١٩٤٦) .
٤) رجال الحكم والإدارة في فلسطين (من العهد الراشدي إلى القرن الرابع عشر الهجري) .

٥) العرب والحضارة الحديثة (١٩٥١) .

٦) أهل العلم والحكم في ريف فلسطين (١٩٦٨) .

٧) تاريخ المعاهد الإسلامية ، وهو في ثمانية مجلدات ، تناول فيه تطور الثقافة عند العرب والمسلمين في جميع معاهدهم .

٨) تاريخ بيت المقدس .

وقام بنشر عدد من المخطوطات ، منها :

١) فضائل بيت المقدس للواسطي .

٢) الإعلام في فضائل الشام للمنيني . وأضاف إليه ملحقاً بتراجم الصحابة والتابعين الذين نسبوا إلى الشام ، أو نزلوا أو استشهدوا فيها ، طبع سنة ١٩٤٦ .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

أحمد شاكر الكرمي (١٨٩٥ ـ ١٩٢٧) :

ابن الشيخ سعيد الكرمي . ولد في مدينة طولكرم * . وهو من أسرة عريقة في الأدب والعلم . وبعدما أنهى دروسه الابتدائية رحل إلى الأزهر الشريف حيث قضى هنالك ستة أعوام يتلقى العلوم العالية .

توجه من مصر إلى مكة ليعمل في تحرير جريدة « القبلة » . ولكنه ما لبث أن عاد إلى مصر ليسهم في تحرير جريدة « الكوكب » الأسبوعية . ثم سافر إلى دمشق حيث كان والده عضوا في المجمع العلمي العربي . واشتغل محاسباً في سكة حديد الحجاز ، ثم عمل محررا في جريدة « ألِفْبَاء » وكتب مقالات جادة كان يوقعها باسم « قدامة » .

برز أحمد شاكر الكرمي في أوساط دمشق الأدبية ، ونال إعجاب المثقفين وتقديرهم ، ولم يكن تجاوز عهدئذ عقده الثالث . ثم تولى تحرير مجلة « الفيحاء » الدمشقية عام ١٩٢٣ ، وأنشأ كذلك مجلة « الميزان » التي عاشت بين عامي ١٩٢٥ و١٩٢٦ فقط . وتوفي بدمشق . وترك بعض الأعمال الهامة هي :

١) الكرميّات : مجموعة مقالات (١٩٢١) .

٢) خالد : رواية مترجمة عن الإنكليزية للقصصي الأميركي ماريون كراوفورد (١٩٢٣) .

٣) مي ، أو الخريف والربيع : رواية مترجمة عن الشاعر الإنكليزي جيوفري تشوسر .

٤) مذكرات بكويك : رواية مترجمة عن الإنكليزية نشرت تباعا في مجلة الميزان .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي : أحمد شاكر الكرمي ، دمشق ١٩٥٤ .

أحمد الشقيري (١٩٠٨ ـ ١٩٨٠) :

محام فلسطيني، واول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية * . ولد في بلدة تبنين ، جنوبي لبنان ، حيث كان والده الشيخ أسعد الشقيري * منفيًا لمناهضته سياسة السلطان العثماني عبد الحميد * وتسلطه . ثم انتقل ، وهو طفل ، إلى مدينة طولكرم * للعيش مع والدته . وفي سنة ١٩١٦ انتقل إلى عكا * حيث أنهى دراسته الابتدائية والإعدادية سنة ١٩٢٤ ، وأتم دراسته الثانوية في القدس سنة ١٩٢٦ ، والتحق بالجامعة الأميركية في بيروت ، ولكنه طرد منها في العام التالي بقرار من سلطة الانتداب الفرنسي لمشاركته في قيادة مظاهرة ضخمة قام بها الطلاب العرب في الجامعة الأمريكية بمناسبة ذكرى يوم السادس من أيار . فعاد إلى فلسطين ، وانتسب إلى معهد الحقوق في القدس يدرس ليلا ويعمل نهاراً في صحيفة مرآة الشرق * ، دون أن يشغله ذلك عن القيام بواجبه تجاه وطنه . وبعد تخرّجه من هذا المعهد عمل وتمرن في مكتب المحامي عوني عبد الهادي * ، أحد مؤسسي حزب الاستقلال * في فلسطين . وتعرّف خلال هذه الفترة على عدد من رجالات الثورة السورية الكبرى الذين لجأوا إلى فلسطين ، ومنهم شكري القوتلي ورياض الصلح ونبيه العظمة وعادل أرسلان .

عاشت فلسطين في العشرينات والثلاثينات من هذا القرن ثورات متتالية ، كان أهمها الثورة الفلسطينية الكبرى (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، وقد شارك الشقيري فيها مناضلاً بلسانه وبقلمه الانتداب البريطاني والصهيونية * ، ومدافعاً عن المعتقلين والثوار العرب الفلسطينيين أمام المحاكم البريطانية . وحين انتهت تلك الثورة لاحقته سلطات الانتداب البريطاني فغادر فلسطين إلى مصر حيث أمضى بعض الوقت ، ثم عاد إلى فلسطين في أوائل الحرب العالمية الثانية فافتتح مكتباً كبيراً للمحاماة ، واختص بالدفاع عن المناضلين الملاحقين وبقضايا الأراضي فعمل على إنقاذ قسم من الأراضي العربية ومنع تسربها إلى الصهيونيين . ولما تقرر تأسيس المكاتب العربية * في عدد من العواصم الأجنبية برئاسة

موسى العلمي ، عيّن الشقيري أول مدير لمكتب الإعلام العربي في واشنطن ، ثم نقل مديراً لمكتب الإعلام العربي المركزي في القدس . وقد ظل على رأس عمله هذا ، إضافة إلى المحاماة ، إلى أن وقعت نكبة ١٩٤٨ فاضطر إلى الهجرة إلى لبنان ، واستقر مع أسرته في بيروت .

قررت الحكومة السورية أن تفيد من خبرات الشقيري في مجال السياسة الخارجية فعينته عضوا في بعثتها إلى الأمم المتحدة (١٩٤٩ - ١٩٥٠) . ثم عين أميناً عاماً مساعداً للجامعة العربية بوصفه يحمل الجنسية السورية . وقد بقي في منصبه هذا حتى سنة ١٩٥٧ ، حين عيّن وزير دولة لشؤون الأمم المتحدة في الحكومة السعودية ، وسفيرا دائما لها لدى هيئة الأمم المتحدة . وكان الشقيري خلال وجوده في الأمم المتحدة خير محام عن القضية الفلسطينية ، وعن قضايا العرب الأخرى ، ولا سيما قضايا المغرب والجزائر وتونس . وفي ١٩٦٣ أنهت المملكة العربية السعودية عمل الشقيري في الأمم المتحدة لخلافه مع وزارة الخارجية السعودية .

لم يبتعد الشقيري عن الحياة العامة ، فقد وقع اختيار الملوك والرؤساء العرب عليه ، فور عودته من الأمم المتحدة ، ليشغل منصب ممثل فلسطين في جامعة الدول العربية ، بعد وفاة ممثلها أحمد حلمي عبد الباقي * . ثم اتخذ مؤتمر القمة العربي الأول (ر : القمة العربية ، مؤتمرات) المعقود في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٤ قراراً بتكليف الشقيري ، بوصفه ممثل فلسطين في الجامعة ، باجراء اتصالات مع أبناء الشعب الفلسطيني حول إنشاء الكيان الفلسطيني على خير القواعد السليمة ، والعودة بنتيجة اتصالاته ودراساته ومساعيه إلى مؤتمر القمة العربي التالي . فقام الشقيري بجولة في الدول العربية التي يعيش فيها الفلسطينيون ، ووضع مشروع الميثاق القومي والنظام الأساسي لمنظمة التحرير الفلسطينية (ر : الميثاق القومي الفلسطيني ١٩٦٤) ، وتم اختيار اللجان التحضيرية التي وضعت بدورها قوائم بأسماء المرشحين لعضوية المؤتمر الفلسطيني الأول (٢٨ آذار - ٢ حزيران سنة ١٩٦٤) الذي أطلق عليه اسم المجلس الوطني الفلسطيني * الأول لمنظمة التحرير . وقد انتخب هذا المؤتمر أحمد الشقيري رئيسا له ، وأعلن قيام منظمة التحرير الفلسطينية ، وصادق على الميثاق القومي والنظام الأساسي للمنظمة . ثم انتخب المؤتمر الشقيري رئيساً للّجنة التنفيذية للمنظمة ، وكلفه اختيار أعضاء هذه اللجنة وعددهم خمسة عشر . كما قرر إعداد الشعب الفلسطيني عسكرياً وإنشاء الصندوق القومي الفلسطيني * .

قدم الشقيري إلى مؤتمر القمة العربي الثاني (١٩٦٤/٩/٥) تقريرا عن إنشاء الكيان الفلسطيني ، وأكد فيه الناحيتين التنظيمية والعسكرية للكيان ، من أجل تحقيق هدفي التعبئة والتحرير . كما قدم إلى المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد وافق المؤتمر على ما قام به الشقيري ، وعلى تقديم الدعم المالي للمنظمة .

تفرغ الشقيري لرئاسة اللجنة التنفيذية في القدس ، ولوضع أسس العمل والأنظمة في منظمة التحرير الفلسطينية ، وإنشاء الدوائر الخاصة بها ومكاتبها في الأقطار العربية وفي الدول الأجنبية ، وبناء الجهاز العسكري تحت اسم جيش التحرير الفلسطيني * . وفي الدورة الثانية للمجلس الوطني الفلسطيني (القاهرة ٣١ أيار - ٤ حزيران ١٩٦٥) بيّن الشقيري ما قامت به اللجنة التنفيذية برئاسته ، ومن ذلك إنشاء القوات العسكرية ، والصندوق القومي ، ودوائر المنظمة ومقرها العام في القدس . ثم قدم استقالته ، فقبلها المجلس ، ثم جدد رئاسته للجنة التنفيذية ومنحه حق اختيار أعضائها .

وبعد عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ (ر : حرب ١٩٦٧) حدث تغير كبير على الساحتين العربية والفلسطينية ، كما قام تباين في وجهات النظر بين بعض أعضاء اللجنة التنفيذية ورئيسها ، فتقدم الشقيري في كانون الأول سنة ١٩٦٧ باستقالته إلى الشعب العربي الفلسطيني . وقد قبلت اللجنة التنفيذية تلك الاستقالة ، وانتخبت عضو اللجنة التنفيذية يحيى حمودة رئيسا بالوكالة ، وأصدرت بيانا أعلنت فيه أنها ستعمل ، بالتعاون مع القوى الفلسطينية العاملة ، على قيام مجلس وطني جديد لمنظمة التحرير تنبثق عنه قيادة جماعية مسؤولة تعمل على تصعيد النضال المسلح وتوحيده ، وتحقيق الوحدة الوطنية وتعبئة الجهود القومية وتطوير أجهزة المنظمة .

رفض الشقيري ، بعد استقالته ، أي عمل أو منصب رسمي ، وانصرف إلى الكتابة . فكان يقيم في منزله في القاهرة معظم أيام السنة ، وينتقل صيفا إلى منزله في لبنان .

لم يكن بيته في القاهرة يخلو من زائريه الفلسطينيين وعرب الأقطار الأخرى ، يتبادلون فيه الأحاديث ويديرون النقاش حول شتى القضايا العربية والدولية . وكان يؤكد دائما أن المساومات السياسية لن تحرر فلسطين ، وأن الكفاح المسلح هو وحده الطريق السليم للتحرير . كما كان يؤكد وجوب محاربة الإمبريالية الأمريكيّة باعتبارها الجهة التي ترتبط ارتباطا موضوعيا مع الصهيونية (وإسرائيل) ومخططاتها ، وهي التي تعمل على فرض سيطرتها على الأمة العربية ونهب ثرواتها . ويؤكد ضرورة استعمال النفط سلاحا من أسلحة التحرير ومحاربة الإمبريالية .

وقد عدّ توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح

المصرية ـ الإسرائيلية * ، وتطبيع العلاقات بين مصر والكيان الصهيوني خيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية ، لذلك غادر القاهرة إلى تونس سنة ١٩٧٨ .

أمضى الشقيري بضعة شهور في تونس حيث أصيب بمرض عضال نقل على أثره إلى مدينة الحسين الطبية في عمان ، وقد توفي فيها يوم ١٩٨٠/٢/٢٥ ، ودفن ، بناء على وصيته ، في مقبرة الصحابي أبي عبيدة بن الجراح في غور الأردن ، على بعد أقل من ثلاثة كيلومترات من حدود فلسطين المحتلة، تلك المقبرة التي تضم عدداً من قادة الفتوحات الإسلامية ، ومنهم سعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل وشرحبيل بن حسنة * .

خلف الشقيري وراءه عددا كبيرا من الدراسات والمؤلفات ، تدور حول القضايا العربية والقضية الفلسطينية ، ومنها :

١) من القدس إلى واشنطن (حول تجربته في المكاتب العربية) .
٢) قضايا عربية .
٣) دفاعا عن فلسطين والجزائر .
٤) فلسطين على منبر الأمم المتحدة .
٥) حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء العرب .
٦) أربعون عاما في الحياة السياسية .
٧) مشروع الدولة العربية المتحدة .
٨) من القمة إلى الهزيمة ـ مع الملوك والرؤساء العرب
٩) إلى أين ؟ .

أحمد بن طرباي الحارثي (٩٧٩ ـ ١٠٥٧ هـ) (١٥٧١ ـ ١٦٤٧ م) :

سيّد اللجّون * من أرض فلسطين الشمالية خلال نصف قرن تقريبا (١٠١٠ ـ ١٠٥٧ هـ /١٦٠١ ـ ١٦٤٧ م) ، وأمير من أسرة طرباي الحارثية السنبسية (بكسر السين والباء ، أو بضمهما) التي ينتهي نسبها إلى طيء * . وقد استقرت هذه الأسرة في العهد المملوكي في منطقة جنين ـ صفد . وحين فتح العثمانيون بلاد الشام أظهرت هذه الأسرة الولاء لهم ، فاعترف السلطان سليم الأول بسلطة أميرهم ، وعيّنه حاكما على صفد * .

ورث أحمد الإمارة عن أبيه طرباي بن علي الذي تولى حكم سنجق اللجّون في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وتوفي عام ١٠١٠ هـ / ١٦٠٢ م . وقد أوكلت الدولة العثمانية إلى الأمير طرباي ، كما أوكلت إلى أمراء أسرته من قبله ، حماية الجزء المارّ في سنجقه من طريق دمشق ـ القاهرة ، وعهدت إليه أيضاً حماية التجار والمسافرين على الطريق بين اللجّون وقاقون * (وادي عارة) . وعهدت إليه عام ١٠٠٢ هـ / ١٥٩٤ م بسنجق غزة أثناء غياب أميرها أميرا للحج .

ويبدو أن الأمير أحمد قد ولي حكومة صفد في حياة أبيه ، ثم أضيفت إليه إمارة اللجون بعد وفاته .

حكم الأمير أحمد إمارته خلال فترة من تاريخ بلاد الشام توترت فيها الأوضاع السياسية ، واحتدم الصراع بين القوى المحلية ، بنعراتها المتضاربة القيسية واليمنية ، ومطامحها التوسعية ، وتنافسها على الإقطاع والسلطة والنفوذ . كذلك اشتد الصراع بين بعض تلك القوى المحلية الثائرة والدولة العثمانية الحاكمة .

وقد أقحم أحمد طرباي نفسه في قلب ذلك الصراع عندما قبل لجوء يوسف بن سيفا والي طرابلس إليه بعد هزيمته قرب حماة (١٠١٥ هـ / ١٦٠٦ م) أمام قوات علي جنبلاط الثائر على الدولة العثمانية ، وقد استقبله الأمير أحمد بالحفاوة والإكرام ، ورفض تسليمه لابن جنبلاط . وكان تصرف الأمير أحمد متسقا في الواقع مع العادات العربية الأصيلة في حماية من يدخل بالجوار ، ومتطابقاً مع مصالحه الخاصة : لأن ابن سيفا هو حليفه الطبيعي تجاه مطامح الأمير فخر الدين بن قرقماز المعني الثاني * التوسعية في الأجزاء الشمالية من سورية الجنوبية ، وبصفة خاصة بعد أن أصبح حاكما لسنجق صفد ، وأظهر طمعه بسنجق عجلون . كما أن ذلك التصرف من الأمير كان منسجما مع ميوله اليمنية مقابل ميول فخر الدين القيسية ، ومع موالاته السلطة العثمانية ، وتمرد فخر الدين عليها .

وعلى الرغم من ميول أحمد بن طرباي المناصرة للسلطة العثمانية في حربها ضد الثائر علي بن جنبلاط لم ينضم إلى حملة مراد باشا عليه عندما استنجد هذا الأخير بالقوى المحلية ، بل تعلل عن السفر كما فعل فخر الدين ، واكتفى بإرسال رسول وهدية . ولعلّه رأى ألاّ مصلحة له في حرب تبدو بعيدة عن حدوده ، وفخر الدين المعني مجاور له بمطامحه ، ولا سيما بعد أن مدّ نفوذه على سنجقية صيدا ، وبيروت ، وغزير .

وقد تفجر الصراع بين أحمد طرباي وفخر الدين المعني الثاني وانضم الأمير أحمد إلى الحملات التي نظمها والي دمشق لحرب الأمير فخر الدين في عام ١٠٢٢ هـ و١٠٢٣ هـ /١٦١٣ م والتي انتهت بحصار قلعة الشقيف المحصنة ، وهرب فخر الدين إلى دوقية توسكانا في إيطاليا .

ويبدو أن الأمير أحمد قد سكنت نفسه في غياب فخر الدين خمس

سنوات في إيطاليا ، حتى انه عند عودة الأمير المعني في ١٠٢٧ هـ /١٦١٨ م ، قدم له خيلا هدية . إلاّ أن الصراع معه عاد حارًا عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢ م عندما عاود فخر الدين سيرته التوسعية السابقة ، ومدّ حكمه على بلاد عجلون ، وإربد ، ونابلس * ، وأعطى المشيخة لمشايخ موالين له في المناطق المجاورة . وقد هاجم فخر الدين المعني أراضي الأمير أحمد بن طرباي واستولى على برج حيفا وأحرق قرى الكرمل . واضطر الأمير أحمد أمام هذا الاجتياح أن يرحل باتجاه نهر العوجا * . وهنا حدثت معركة عنيفة اشترك فيها عرب المفارجة إلى جانب فخر الدين ، والسوالمة في صف ابن طرباي وكان النصرفيها للأميرأحمد .واسترجع هو وحلفاؤه ما فقدوه ، بل تابعوا جيش فخر الدين ، وألحقوا به الأذى .

وفي هذا الوقت حدثت معركة عنجر في البقاع (١٠٣٢ هـ /١٦٢٢ م) التي انتصر فيها فخر الدين انتصاره الكبير على قوات والي دمشق مصطفى باشا ، ووقع الوالي نفسه أسيراً بين يديه . وكان من نتائج هذه المعركة أن حصل الأمير المعني لابنه منصور على سنجق اللجون ، المركز الرئيسي لابن طرباي . وكانت ردة فعل الأمير أحمد تكوين حلف من عرب السوالمة وخيالة نابلس وبلاد عجلون والغور ، ومهاجمة حلفاء فخر الدين من المفارجة ، بل هاجم سواحل عكا ، وأعمل فيها النهب والخراب . وأمام استفحال ضرباته عاد الأمير فخر الدين لمحاربته . فاضطر الأمير أحمد إلى النزوح إلى الرملة * ، ومرة ثانية التقى الطرفان على نهر العوجا ، وانتصر الأمير أحمد على فخر الدين ، واسترجع مدينة جنين * ، وأثخن في جيش خصمه . ولعل هذه الحملة هي التي يشير إليها المؤرخ المحبّي بقوله : " أشهر وقعاته وقعة يافا ، ومعه حسن باشا حاكم غزة ، والأمير محمد بن فروخ أمير نابلس ، فقتل من جماعة معن مقتلة عظيمة " .

وقد أدرك الطرفان المتحاربان أن الحرب منهكة لهما ، فقررا التعايش . وقامت مفاوضات بين الطرفين أسفرت عن صلح في شوال ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م . وكان من شروطه أن تنسحب قوات فخر الدين من حيفا * ، ويهدم البرج ، ويمنع أحمد بن طرباي عربانه من تخريب بلاد صفد ويتعهد بتأمين الطريق بين بلاد صفد وبلاد حارثة . وبذلك تخلى الأمير فخر الدين عن جبل نابلس للأمير الحارثي ، واعترف بامتداد حدود سلطته إلى حيفا .

سارت العلاقات سليمة بين الطرفين زمنا ، لكن الجو عاد إلى التوتر بعد عشر سنوات ، إذ تذكر الأخبار أن علي بن فخر الدين قد حرّك في عام ١٠٤٣ هـ /١٦٣٣ م عرب الوحيدات ضد الحارثيين ، وأن هؤلاء ردّوا بمهاجمة بلاد صفد . وقد تكون دعوة أحمد باشا كوجك الذي تولى دمشق عام ١٠٤٢ هـ / ١٦٣٢ م ، لجميع أمراء أطراف الشام ، ومنهم أمير اللجون أحمد طرباي ، كي يكونوا إلى جانبه في حرب فخر الدين ، هي السبب في ذلك التوتر .

ويمكن القول أخيراً إن أحمد بن طرباي قد تصرف طوال إمارته ، حيال فخر الدين المعني ، تصرف الندّ ، وكانت له هو الآخر مطامحه في السيادة على الجزء الشمالي من فلسطين كله ، وله أنصار وموالون . فكان بذلك شوكة في جنب فخر الدين ، ومنافسا له . ويذكر بعض المؤرخين أن ابن طرباي قد استولى على قسم كبير من الجليل والسامرة وساحل البحر من حيفا إلى يافا * .

توفي أحمد بن طرباي وهو يناهز الثمانين بعد ثلاثة عشر عاما من مقتل فخر الدين المعني . وخلّف على الإمارة ابنه زيناً ، ثم ابنه محمداً . وتوفي هذا الأخير سنة ١٠٨٢ هـ/ ١٦٧١ م . وبقي حكم هذه المنطقة في آل طرباي حتى سنة ١٠٨٨ هـ / ٧٧ ـ ١٦٧٨ م حين خرج الأمر من أيديهم ، ونصب أحمد باشا الترزي * والياً عليها .

المراجع :

ـ البوريني : **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** ، دمشق ١٩٥٩ ، ١٩٦٦ .
ـ المحبي : **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر** ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .
ـ أحمد الخالدي الصفدي : **تاريخ الأمير فخر الدين** ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ حيدر أحمد الشهابي : **الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان** ، القاهرة ١٩٠٠ .
ـ عيسى إسكندر المعلوف : **تاريخ فخر الدين المعنى الثاني** ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ محمد عزة دروزة : **العرب والعروبة** ، دمشق ، ١٩٥٩ .
ـ عبد الكريم رافق : **بلاد الشام ومصر** ، دمشق ١٩٦٨ .
—D'Arvieux: **Mémoires du Chevalier d'Arvieux,** Paris 1735.
— Heyd.U.: **Ottoman Documents on Palestine (1552-1615),** Oxford 1960.

أحمد بن طولون (٢٢٠ ـ ٢٧٠ هـ) (٨٣٥ ـ ٨٨٤ م) :

مؤسس الأسرة الطولونية التي سيطرت في مصر وجنوب الشام بين ٢٦٤ ـ ٢٩٢ هـ / ٨٧٨ ـ ٩٠٥ م ، إبّان الأزمات السياسية والاجتماعية التي عصفت بالخلافة العباسية في منتصف القرن ، إذ شهد الناس مصرع الخلفاء الواحد بعد الآخر ، وقيام ثورة الزنج في جنوب العراق التي هددت العاصمة ذاتها (رَ : العصر العباسي) . وهو ينتمي إلى قوم من الترك يدعون « طغزغز » . وقد وصل أبوه إلى بغداد سنة ٢٠٠ هـ ، وفيها ولد ابنه أحمد . جمع أحمد المهارة الحربية إلى العلم ، واتصل بالقادة الأتراك المسيطرين على

الأمور في بغداد عاصمة الخلافة العباسية ، وتزوج ابنة القائد يارجوخ . عمل في الثغور ، ثمّ قرّبه الخليفة المستعين (٢٤٨ - ٢٥١ هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) إليه لشجاعته . وقد رافقه في منفاه بواسط ، وعاد بعد مقتله إلى سامراء ، ووقع عليه اختيار القائد التركي بايكباك كي يحكم باسمه الفسطاط حاضرة مصر (٢٥٤هـ / ٨٦٨ م) . ثم استخلفه حموه يارجوخ على مصر كلها ، بعد أن آل إليه إقطاع مصر سنة ٢٥٦ هـ . ولمّا مات يارجوخ بعد سنتين أصبح ابن طولون حاكم مصر .

وكان أحمد بن طولون ، أثناء ذلك ، يوسّع سلطاته إلى أن قلّدته الحكومة المركزية شؤون خراج مصر أيضاً ، وكان بيد أحمد بن محمد ابن مدبر .

سار ابن طولون ، بعد سيطرته على فلسطين والنواحي الأخرى من بلاد الشام ، على سياسة داخلية حازمة أشرف بها على كل صغيرة وكبيرة في إدارته . وقلّد الخلفاء وأشهر اسمه وسلطانه أمام المسلمين في مكة .

واجه أحمد بن طولون طوال حكمه ما اعتاد الولاة قبله أن يواجهوه من ثورات داخلية . لكنه استطاع إخمادها ، بالرغم من كثرتها ، ولم تصل أي منها إلى الحد الذي يهدد حكمه بالانقضاء . وكان التهديد الأكبر خارجيا ، ظهر أول ما ظهر في منطقة فلسطين المجاورة لمصر ، وكانت إدارياً تنقسم إلى منطقتين : جند فلسطين وقاعدته الرملة ، وجند الأردن وقاعدته طبرية (رَ : الإدارة) . وقد قوي في هذه المنطقة شأن عيسى بن الشيخ بن السليل الشيباني * ، وتطلع إلى السيطرة على بقية بلاد الشام ومصر ، فامتنع عن حمل المال إلى الحكومة المركزية في بغداد ، وصادر المال الخارج من مصر إليها عبر أراضي ولايته ، وكتب لأحمد ابن طولون عام ٢٥٦ هـ يطلب منه الخروج من بلده وتسليم أعماله إليه .

وشعرت حكومة بغداد بخطر ثورة ابن الشيخ لأنها تقطع الطريق بينها وبين واحدة من أكثر ولاياتها غنى ، فأرسلت جيشها من العراق لإخمادها وكتبت إلى ابن طولون للتوجه الى ابن الشيخ من الجنوب . واستغل أحمد بن طولون الفرصة ، فأخذ يبني لنفسه قوة خاصة . ولم يكن مستعجلا ، فلم يتحرك إلى فلسطين إلاّ بعد أشهر حاول خلالها مراسلة ابن الشيخ لردّ مال السلطان ، وانتظر ما تسفر عنه الحرب بين ابن الشيخ والجيش العباسي بقيادة أماجور التركي .

ولمّا انتهت ثورة ابن الشيخ بخروجه من فلسطين إلى ولاية أرمينيا ، وتولى حكم الشام أماجور ، كانت علاقات ابن طولون بحاكم الشام حسنة هادئة دامت سبع سنوات . ثم طرأت أحداث جديدة في أنحاء دولة الخلافة العباسية جعلت بلاد الشام ، ولا سيما فلسطين ، هامة في نظر ابن طولون ، سواء أكان ذلك من أجل الدفاع عن حدود الدولة العباسية من هجمات البيزنطيين أم من أجل الدفاع عن مصر في وجه أطماع الطامعين بها من أصحاب النفوذ والسلطة في بغداد .

فمن جهة أدى سوء سيرة الأمراء الذين عينتهم الخلافة في ثغر طرسوس إلى إخفاقهم في مواجهة البيزنطيين فعيّن الخليفة المعتمد أحمد بن طولون على طرسوس ، فأصبحت بلاد الشام ، بذلك ، طريق البر الواصل إلى هذا الثغر ، وأصبح جند الأردن ذا أهمية كبرى لابن طولون بسبب وجود داري الصناعة في عكا * وصور .

من جهة أخرى ، كانت الخلافة تطالب أحمد بن طولون دائماً بالمزيد من الأموال لحاجتها إليها في إخماد ثورة الزنج في جنوب العراق . وقد سعت إلى إزاحته وتعيين قائد آخر مكانه . لكنها أخفقت في محاولاتها ، ومات القائد موسى بن بغا الذي حاول حشد الجيش لهذه الغاية قبل أن يفعل شيئا .

وسنحت الفرصة لأحمد بن طولون كي يوسع حدوده ، ويضم الشام إليه سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، السنة التي توفي فيها والي الشام أماجور . فتقدم إلى فلسطين وخضعت مدن الشام لحكمه إلاّ أنطاكية ، فأخضعت عنوة . ويفسّر سقوط بلاد الشام السهل في يد ابن طولون ، وسكوت بغداد المتعمّد على ذلك بعد محاولتها استخلاص مصر ذاتها منه ، بضعف الحكومة المركزية في بغداد بعد أن تعاظمت ثورة الزنج في العام نفسه ، وسقطت بيدها مدينة واسط .

لكن الحال تغيرت بعد قرابة أربع سنوات ، ورجحت كفة الحكومة المركزية ، وبدأت تحركها لضرب الطولونيين في الشام ، واستمالت لؤلؤا حاكم المنطقة الشمالية من بلاد الشام إلى جانبها ، وخرج على أثر ذلك ثغر طرسوس عن سلطان ابن طولون أيضاً .

ردّ ابن طولون على ذلك بالقدوم إلى بلاد الشام وتوطيد سلطانه . واستغلّ ضيق الخليفة المعتمد بأخيه وولي عهده الموفق ، فأعلن ابن طولون خلع الموفق من ولاية العهد ، فرد الموفق بإجبار الخليفة على إصدار أمر بلعن أحمد بن طولون من على المنابر . ثم اشتد الصراع بين الطرفين ، ولحق الإخفاق بابن طولون في هذا الصراع . وكانت الحلقة الأخيرة من هذه السلسلة انسحاب ابن طولون من أمام ثغر طرسوس ، ومرضه ، ثم وفاته في مصر .

يعدّ أحمد بن طولون واحداً من كبار مشيّدي العمران في التاريخ العربي الإسلامي . وقد ساعده على ذلك غنى المنطقة التي حكم فيها ، ونشاطها الاقتصادي الكبير منذ القديم ، والقدر الكبير من الاستقلال الذي حصل عليه . وتتحدث المصادر كلها عن كبر

الواردات ، وتثبت أرقاماً عالية لخراج مصر وفلسطين والأردن في أيام ابن طولون .

وتميّز عمران ابن طولون في فلسطين بأنه ذو طابع حربي ، إذ اهتم بالموانىء والتحصينات البحرية لتصمد في وجه الهجمات البحرية التي كان البيزنطيون يشنونها على سواحل بلاد الشام . ومن أبرز أعماله في هذا الميدان بناء ميناء عكا على غرار ميناء صور . ويروي المقدسي الجغرافي قصة تكليف أحمد بن طولون جده أبا بكر البناء أمر بناء ميناء عكا ، وطريقة البناء .

المراجع :

ـ البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، دمشق ١٩٣٩ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٢١ هـ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بريل ١٩٠٦ .
ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ سيدة إسماعيل كاشف وحسن أحمد محمود : مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين ، القاهرة ١٩٦٠ .
— Mohamed Zaki Hasan: **Les Tulunides**, Paris 1933.
— Mohamed Zaki Hasan: **Encyc.Isl.** Vol. I, Ahmad Ibn Tulun.

أحمد عارف الحسيني (١٨٧٠ ـ ١٩١٦) :

أحد الشهداء الذين أعدمهم جمال باشا . ولد في غزة * ، وأبوه الشيخ العالم حنفي الحسيني مفتي غزة . وقد لازم أباه وتلقى العلم على يده حتى غدا أمين سره . وصار مناضلاً يشار إليه بالبنان .

اشتبهت الحكومة العثمانية بولاء الأب الشيخ حنفي ، وأخيه الشيخ العالم عبد الحي (أبي فهمي) ، وولده أحمد عارف فقبضت عليهم ، وقضت بإبعادهم إلى قونية في الأناضول ، وبإقامتهم الجبرية فيها . وبعد سبع سنوات أعيدوا إلى غزة . وكان الشيخ أحمد عارف في الثانية والثلاثين من عمره حين شغر منصب الإفتاء بغزة ، فانتخب مفتياً لها ، وترأس لجنة المعارف فيها ، وانتخب عضواً في مجلس إدارتها ، ثم انتخب نائباً (مبعوثاً) عن غزة مع نواب القدس ويافا . وانتمى إلى حزب الحرية والإئتلاف العثماني الذي ناهض حزب الاتحاد والترقي * المعروف بنزعته التركية (رَ : النضال الفلسطيني في العهد العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٧) .

ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى عاد إلى بلده ، وانتخب عضواً في المجلس العمومي في القدس . ثم ما لبثت السلطات التركية أن أمرت بنفيه للمرة الثانية إلى الأناضول ، فطلب إمهاله أياماً ، وفكر في النجاة بنفسه ، فذهب وابنه مصطفى الضابط في الجيش العثماني وخادمه على أحصنتهم بحجة رغبته في وداع أبناء عمه من رؤساء قبيلة الوحيدات . ولكن السلطات تعقبتهم متهمة إياهم بالعزم على الالتحاق بالثورة العربية بقيادة شريف مكة الحسين بن علي ، وقبضت عليهم ، وسيقوا إلى المجلس العسكري العرفي . وقد حكم المجلس على الوالد بالسجن خمسة عشر عاماً ، وعلى الولد بالسجن اثني عشر عاماً . ولكن جمال باشا قائد الجيش الرابع أقال المجلس العرفي وعيّن غيره موعزاً إليه بإصدار حكمه بالإعدام شنقاً على الشيخ عارف وخادمه ، وبالرصاص على ابنه الضابط مصطفى بتهمة فراره من الجيش . وقد نفذ حكم الإعدام شنقاً بالمفتي وبخادمه ، ورمياً بالرصاص بولده في آن واحد في ساحة باب العمود في القدس أواخر سنة ١٩١٦ . وكان المفتي في السادسة والأربعين من عمره وولده في السادسة والعشرين .

عرف أحمد عارف الحسيني بغزارة علمه وشجاعته وفصاحته وقوة حجته وتفتح ذهنه وحرية فكره .

المرجع :

ـ أدهم الجندي : شهداء الحرب العالمية .

أحمد بن عبد الدايم بن نعمة (٥٧٥ ـ ٦٦٨ هـ) (١١٧٩ ـ ١٢٧٠ م) :

زين الدين ، أبو العباس ، المقدسي ، الصالحي ، الفندقي ، الحنبلي . محدث ، وخطيب ، وكاتب ، ومؤرخ ، وناسخ . ولد بفندق الشيوخ من جبل نابلس . وطلب العلم وسمع في بلدان شتى . ففي دمشق سمع من يحيى الثقفي ، وأبي عبد الله بن صدقة ، وأبي الحسن بن الموازيني ، وإسماعيل الجنزوي ، والمكرّم بن هبة الله الصوفي ، وابن طبرزد . وفي بغداد سمع من ابن كليب ، والمبارك بن المعطوش ، وأبي الفرج بن الجوزي ، وعبد الوهاب بن سكينة وغيرهم . وسمع بحرّان من خطيبها الشيخ فخر الدين ، وأجاز له خطيب الموصل أبو الفضل الطوسي ، وأبو الفتح بن شاتيل ، ونصر الله القزاز .

وقرأ بنفسه كثيراً ، وعني بالحديث .

ولي الخطابة بكفر بطنا من أرض دمشق بضع عشرة سنة . وأنشأ خُطَباً كثيرة ، وحدّث ستين سنة ، واشتغل في نسخ الكتب . وكان يكتب سريعاً إذ كان ينظر في الصفحة الواحدة نظرة واحدة ويكتبها ، فكتب ما لا يوصف كثرة ، لنفسه ، وبالأجرة . وذكر أنه

كتب بيده ألفي مجلدة ، وأنه لازم الكتابة أزيد من خمسين سنة . وكف بصره في آخر عمره .

سمع منه الحفّاظ المقدسيون في الصالحية بدمشق ، كالحافظ ضياء الدين ، والزكيّ ، والبرزالي ، والسيف بن المجد ، وعمر بن الحاجب . وروى عنه الشيخ محيي الدين ، والشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد ، وابن تيمية ، ونجم الدين بن صصّري القاضي ، وشرف الدين منيف قاضي القدس ، وعلاء الدين بن العطار ، وسواهم بمصر والشام .

له بعض المصنفات منها « فاكهة المجالس » ، كما اختصر لنفسه تاريخ ابن عساكر . وله نظم .

توفي عن ثلاث وتسعين سنة ، ودفن بسفح قاسيون بدمشق .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، حيدر آباد ١٩٤٣ .
ـ ابن رجب : **كتاب الذيل على طبقات الحنابلة** ، بيروت ١٩٠٨ .
ـ صلاح الدين الصفدي : **نكت الهميان في نكت العميان** ، مصر ١٩١١ .
ـ صلاح الدين الصفدي : **الوافي بالوفيات** ، فيسبادن ١٩٦٩ .
ـ محمد بن شاكر الكتبي : **فوات الوفيات** ، بيروت ١٩٧٣ .

أحمد بن عبد الرحيم الحراني : رَ : آل قدامة

أحمد بن عبد الله بن بدر بن مفرّج

(٧٧٠ ـ ٨٢٢ هـ)

(١٣٦٨ ـ ١٤١٩ م) :

شهاب الدين ، أبو نعيم ، العامري ، الغزّي مولداً ، الدمشقي سكناً ، الشافعي مذهباً . فقيه ، أصولي ، مشارك في بعض العلوم . ولد ونشأ في غزة * واشتغل بالعلم ، فحفظ القرآن ، وأخذ الفقه والحديث عن عالم بلده علاء الدين علي بن خلف بن كامل بن عطاء الله الغزي ، قاضي غزة ، وحفظ كتباً في الفقه مثل كتاب « التنبيه في فروع الشافعية » وكتاب « الحاوي الصغير في الفروع » .

ثم توجه إلى دمشق ساعياً في طلب العلم ، وقطن فيها . وأخذ عن بعض العلماء فيها ، ومنهم شرف الدين الغزي وابن الشريشي والزهري قاضي دمشق ، وغيرهم . وحصل على الإذن بالإفتاء من شيخه الزهري هذا ، وكان ذلك في سنة ٧٩١هـ / ١٣٨٨م .

ثم توجه شهاب الدين إلى القدس * ، وطلب العلم فيها ، فأخذ عن علمائها ، ومنهم تقي الدين القلقشندي ، وغيره .

اشتغل شهاب الدين بالقضاء * ، والإفتاء ، والتدريس . وولي إفتاء دار العدل ، بل تفرد برياسة الفقه في دمشق . وقد ذكر أنه لم يبق في أواخر عمره من يقاربه في رياسة فقه الشافعية إلّا أحمد بن نشوان ، المعروف بابن نشوان . وذكر النعيمي أن شهاب الدين الغزي وابن نشوان كانا يتناظران في العلم .

وولي شهاب الدين الغزي التدريس ، وتصدى له بالجامع الأموي . وكان قد جلس لذلك ، وأعاد في حياة شيوخه الذين تلقى عليهم . ومَنَح الإجازات العلمية .

وأقرأ شهاب الدين في مكة ، وأذن لطالبي العلم بالإفتاء والتدريس ، وأخذ عنه الكثيرون من طالبي العلم هناك ، وروى بعضهم عنه .

وكان شهاب الدين قد حجّ مرّات كثيرة ، وجاور ثلاث سنوات متفرقة ، في مكة .

ولي شهاب الدين نظر البيمارستان النوري في دمشق . وذكر أنه ولي النظر في غير ذلك . وقد حُمد في مباشرته . ونمّى أوقاف ما تولى الإشراف عليه . وعارض في ذلك عدداً من القضاة ، والفقهاء ، والوعاظ .

كان شهاب الدين فصيحاً ، ذكياً ، مقداماً ، عالي الهمة والمروءة . أشاد به الكثير من العلماء ، ومنهم أحمد بن حجر العسقلاني * ، وعز الدين بن عبد السلام ، وتقي الدين ابن قاضي شهبة ، وتقي الدين الفاسي . وقال علاء الدين البخاري : " بلغني صيته وأنا وراء النهر من أقصى بلاد العجم " .

لشهاب الدين مصنفات في الفقه ، والحديث ، والعربية ، والتراجم ، وغيرها من العلوم . ومنها : شرح « الحاوي الصغير » في الفروع للقزويني ، في أربعة أسفار ، وشرح كتاب « جمع الجوامع » في أصول الفقه للسبكي ، وشرح كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » للبيضاوي ، وشرح مختصر ابن الحاجب . ومنها مختصر كتاب « المهمات » للأسنوي .

وله كتاب في المناسك ، وكتاب حول رجال البخاري ، وكم لكل منهم فيه من الحديث . وله شرح كتاب « عمدة الأحكام عن سيد الأنام » لتقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد الجمّاعيلي * المقدسي الحنبلي .

وفي العربية كتب كتاباً حول ألفيّة ابن مالك . وفي التراجم اختصر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

توفي شهاب الدين الغزي في مكة ، وصُلي عليه عند باب الكعبة ، ودفن بالمعلاة .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : إنباء الغمر بأبناء العمر ، دمشق ١٣٩٩ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .
ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .

أحمد بن علي بن علاء الدين الصفّوري

(٩٧٧ ـ ١٠٤٣ هـ)
(١٥٦٨ ـ ١٦٣٣م) :

شهاب الدين الصفوري ، الحسيني ، الشافعي ، الدمشقي . من أسرة فلسطينية معروفة . ولد بدمشق ، وبها نشأ واشتغل بالعلم وقرأ العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ . وأخذ عن علماء دمشق ، ومنهم عبد الحق الحجازي ، والحسن البوريني * ، وشرف الدين الدمشقي ، وشمس الدين الميداني ، ونجم الدين الغزي .

وأصبح شهاب الدين ذا معرفة تامة بالفقه واللغة ، والشعر . ووصف بأنه فقيه ، أديب ، شاعر .

واشتغل شهاب الدين بالتدريس ، فقد كان معيداً لدرسي شمس الدين الميداني ، ونجم الدين الغزي ، في صحيح البخاري ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي .

توجه شهاب الدين إلى حلب في سنة ١٠١٦هـ / ١٦٠٦م ، واشتغل بالتدريس فيها ، ودرّس بدار الحديث الأشرفية . وكانت له مطارحات مع الأدباء فيها ، وذكر أن المحبّي وقف على بعضها .

كان شهاب الدين قد اشتغل بالقضاء ، فقد ذكر أنه ولي قضاء الشافعية بمحكمة الباب في دمشق . وكان نزيهاً في قضائه ، مشهور السمعة .

من آثاره « مجاميع أربعة » اطلع عليها المحبي صاحب « نفحة الريحانة » ، وله أشعارٌ ذَكَرَ المحبي شيئاً منها .

توفي شهاب الدين بدمشق ، ودفن بمقبرة باب الصغير .

المراجع :

ـ المحبي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .

أحمد بن علي بن ياسين الدجاني (٩٠٢ ـ ٩٦٩هـ)
(١٤٩٦ ـ ١٥٦١م) :

الشيخ الإمام ، شهاب الدين الدجاني ، الشافعي . ولد في القدس * في بيت علم وتصوّف واشتغل بالعلم ، وحفظ القرآن الكريم ، وكتاب « المنهاج » للإمام النووي . وذكر أنه ركز على الاشتغال بالنحو ، بعد أن كان يحس بضعف فيه ، ففتح الله عليه في هذا المجال ، كما يقول نجم الدين الغزي ، وابن العماد .

كان شهاب الدين من المتصوفة ، وهو من أصحاب العارف بالله علي بن ميمون المغربي المتوفى سنة ٩١٧هـ / ١٥١١م ، والإمام العارف بالله شمس الدين محمد بن عراق الدمشقي المتوفى سنة ٩٣٣هـ / ١٥٢٦م . وقد أخذ عنهما في التصوف وغيره من العلوم . وذكر أن الشيخ شمس الدين محمد بن عراق صنف رسالة في صفات أولياء الله تعالى ، وكان قد سأله في تأليفها " تلميذه وفقيره " الشيخ أحمد الدجاني المقدسي ، في يوم الإثنين السابع من ربيع الأول سنة ٩٣١هـ / ١٥٢٤م .

وأصبح شهاب الدين الدجاني واحداً من مشهوري المتصوفة . وقرأ عليه طالبو العلم في التصوف وغيره من العلوم .

وفي عام ٩٣٦هـ / ١٥٢٩م ، في عهد السلطان سليمان القانوني ، حُوّل مقام النبي داود ، في بيت المقدس ، إلى مسجد . وكان ذلك على يد الشيخ شهاب الدين الدجاني ، وغيره من العلماء .

توجه شهاب الدين إلى دمشق ، في أوائل رجب سنة ٩٥١هـ / ١٥٤٣م ، وذلك من أجل قضاء حوائج للناس عند نائب الشام .

وزارَ الشيخ محيي الدين بن عربي وأقام الذكر عنده ، وحذا حذو شيخه محمد بن عراق السخيري .

وخطب بالجامع الأموي ، في يوم الجمعة منتصف رجب سنة ٩٥١هـ / ١٥٤٣م ، وأجاد في خطبته ، وشكره الناس .

وعاد شهاب الدين الدجاني إلى بيت المقدس وتوفي فيه .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هلال
(٧١٤ ـ ٧٦٥هـ)
(١٣١٤ ـ ١٣٦٤م) :

أبو محمود ، جمال الدين ، المقدسي ، الشافعي . إمام ، حافظ ، محدّث . يسوق نسبه إلى الصحابي الجليل تميم الداري الذي أقطعه النبي ﷺ أرض الخليل . ولد في القدس * ، وأخذ العلم عن علماء القدس ومصر ودمشق . جمع وضبط وحدّث ، وسمع منه جماعة من الفضلاء . درّس في المدرسة التنكزيّة ، وهي من أكبر المدارس التي أسسها المماليك * في القدس .

ألف أبو محمود هذا كتباً كثيرة ، أشهرها كتابه « مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام » ، وهو من كتب فضائل بيت المقدس ، ومن أشهر المؤلفات التي وضعت في تاريخ فلسطين الإسلامية ، واعتمد عليه الكثيرون . وينقسم الكتاب إلى قسمين : القسم الأول يبحث في فضائل الشام وفلسطين عامة . والقسم الثاني رسالة تبحث في فضائل المسجد الأقصى . وقد نشرت في يافا * سنة ١٩٤٦ . ومن هذا الكتاب نسخ مخطوطة في مكتبات العالم ، وفي المتحف الفلسطيني بالقدس .

ومن كتبه المخطوطة الأخرى : « المصباح في الجمع بين الأذكار والسلاح » ، و « إفحام المُمَاري بأخبار تميم الداري » ، و « اقتفاء المنهاج في أحاديث المعراج » ، وشرح سنن أبي داود ، وسماه « انتحاء السَنَن واقتفاء السُنَن » .

توفي الشيخ أبو محمود بمصر .

المراجع :

ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .

ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٦٦ .

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .

ـ كامل العسلي : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، عمان ١٩٨١ .

ـ كراتشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، (مترجم) ، القاهرة ١٩٦٣ ، ١٩٦٥ .

ـ تقي الدين محمد بن فهد المكّي : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفّاظ ، دمشق ١٣٤٧هـ .

— Ahlwardt: **Verzeichniss der arabischen Handschriften**, Berlin 1897.

— Brockelmann, C.: **Geschichte der Arabischen Literatur**, Leiden 1938.

— De Slane: **Catalogue des manuscrits arabes.**

أحمد بن محمد الباقاني (١١١٨ ـ ١١٩٥ هـ)
(١٧٠٧ ـ ١٧٨١م) :

النابلسي ، محدّث ، مفسّر ، متكلم ، نحوي ، منطقي . درس العلوم القرآنية على مشايخ بلده ، ثم قدم دمشق ومكث فيها مجاوراً ، وأخذ عن شيوخها أنواعاً من العلوم كالتفسير والحديث والفقه والأدب والتوحيد والتصوف . وحضر دروس الشيخ عبد الغني النابلسي * الدمشقي ، وقرأ عليه تفسير البيضاوي وصحيح مسلم فأجازه إجازة عامة . وحضر دروس الشيخ أحمد بن علي المنيني الدمشقي ، وسمع منه طرفاً من صحيح البخاري فأجازه إجازة خاصة . ولما عاد الباقاني إلى نابلس عمل في التدريس وألّف رسائل متعددة منها : « تحفة المحتاج لشرح المنهاج » في فقه الشافعية لابن حجر الهَيْتَمي (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) .

توفي الباقاني في نابلس .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١هـ .

أحمد بن محمد الشويكي (٨٧٥ ـ ٩٣٩ هـ)
(١٤٧١ ـ ١٥٣٢ م) :

شهاب الدين ، أبو الفضل ، النابلسي أصلاً ، ثم الدمشقي ، الصالحي مسكناً ، الحنبلي مذهباً . ولد في قرية شويكة * من أعمال نابلس (قيل سنة ٨٧٦ هـ / ١٤٧٢ م) .

قدم شهاب الدين دمشق ، وسكن الصالحية فيها . ودرس في

مدرسة أبي عمر ، محمد بن أحمد بن محمد قدامة الجمّاعيلي * المقدسي ، وحفظ القرآن ، وسمع الحديث على ناصر الدين بن زريق . وقرأ الفقه ، وعني بكتاب الخرقي .

تبوّأ شهاب الدين مكانة مرموقة ، علميا واجتماعيا ، فكان مفتي الحنابلة في دمشق .

وتوجه إلى مكة حاجّا ، وجاور فيها ، ثم حجّ ثانية ، وجاور في المدينة سنتين .

وقد صنف ، وهو مجاور في المدينة المنورة ، كتاب التوضيح ، وسمّاه « توضيح الجامع بين المقنع والتنقيح » ، وقد جمع فيه بين كتاب « المقنع » في فروع المذهب الحنبلي * ، لموفق الدين بن قدامة الحنبلي المتوفى سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٢ م ، وكتاب « التنقيح » لعلاء الدين المرداوي المتوفى سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٢ م . وأضاف شهاب الدين أشياء مهمة إلى الكتابين . وذكر ابن طولون أن الشيخ شهاب الدين العسكري سبق شهاب الدين الشويكي في هذا المجال ولم يتم الشويكي كتابه هذا ، ووصل فيه إلى باب الوصايا ، فقد توفي في المدينة قبل إتمام مصنفه ، ودفن بالبقيع ، وصلي عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ إسماعيل الباباني البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

أحمد بن محمد بن عبد الوليّ بن جِبَارة
(٦٤٧ ـ ٧٢٨ هـ)
(١٢٤٩ ـ ١٣٢٨ م) :

شهاب الدين أبو العباس المرداوي ، المقدسي ، الحنبلي . مقرىء ، مفسّر ، فقيه ، أصولي ، نحوي . ونسبة « المرداوي » تشير إلى أن بلده الأصلي هو مردة ، قرية قرب نابلس * ، وربما كانت مسقط رأسه أيضاً .

أخذ العلم في صباه عن خطيب مردة وابن عبد الدايم والكرماني وابن حصورا . ثم رحل في البلاد طلباً للعلم ، فذهب إلى مصر ، وفيها قرأ القراءات على الشيخ حسن الراشدي ، وقرأ الأصول على شهاب الدين القرافي المالكي ، والعربية على بهاء الدين ابن النحاس . ثم قدم دمشق ، فأقام بالصالحية مدة . ثم تحول إلى حلب فأقرأ بها ، وأخيراً استوطن بيت المقدس ، وتصدر لإقراء القراءات والعربية ، وانتهت إليه مشيخة بيت المقدس . كان أبو العباس صالحاً متعففاً ، خشن العيش ، جمّ الفضائل ، نشأ في صلاح ودين وزهد ، وقد حجّ وجاور بمكة . توفي في القدس فجأة ، ودفن بمقبرة ماملا .

له عدة مصنفات منها شرح لقصيدة « حرز الأماني » المشهورة بالشاطبية في القراءات السبع ، وهو شرح كبير حشاه بالاحتمالات البعيدة ، و « تفسير المقدسي » ، و « شرح عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد » ، وهي منظومة رائية للشاطبي في رسم المصحف ، وشرح ألفيّة ابن معطي المسماة « الدرة الألفية في علم العربية » في النحو ، وله كتاب في التفسير عنوانه « فتح القدير في التفسير » .

المراجع :

ـ ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القرّاء ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، طهران ١٣٨٧ هـ .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .

أحمد بن محمد بن عماد (٧٥٣ ـ ٨١٥ هـ)
(١٣٥٢ ـ ١٤١٢ م) :

بن الهائم الحاسب ، المصري ثم المقدسي . وقد لقب بابن الهائم ثلاثة رجال عاشوا في عصر واحد تقريباً ، أولهم أحمد بن محمد ، وهو شاعر من أهل المنصورة بمصر ، توفي سنة ٨٨٧ هـ . والثاني عالم من فلسطين هو المسند شرف الدين موسى بن محمد . وقد توفي بالقدس * بعد قليل من سنة ٨٢٠ هـ .

والثالث (ولعله شقيق الثاني) هو أبرزهم وأشهرهم ، واسمه أحمد بن محمد بن عماد (أبو العباس شهاب الدين) بن محمد بن علي المصري ثم المقدسي من كبار فقهاء الشافعية . ولد في القاهرة ، ودرس فيها الفقه ، ومهر في الفرائض والحساب ، ثم رحل سنة ٧٩٧ هـ/١٣٩٥م) إلى القدس مع شيخه زين الدين القمني الذي أنابه عنه في التدريس بالمدرسة الصلاحية فيها ، فبرز حتى رحل إليه الناس من الآفاق لدراسة الفرائض والوصايا والجبر والحساب ،

وصار من شيوخ المقادسة المشهورين المسموعي الكلمة والمعروفين بالدين المتين ، حتى لقب بشيخ الإسلام .

على أن العصر الذي عاشه ابن الهائم في الشام كان عصر اضطراب سياسي وعسر اقتصادي ، وزحام على الرزق . وقد زاحمه على وظيفته في التدريس الشيخ الهروي يؤيّده الأمير نوروز نائب الشام ، فوقف أهل القدس مع ابن الهائم الذي بذل الجهد للاحتفاظ بالوظيفة ، مما اضطر الأمير إلى قسمتها بين الإثنين سنة ٨١٤ هـ/ ١٤١١ م . ولكن ابن الهائم لم يعمر طويلا بعدها .

وإذا كان العلماء البارزون في فلسطين في العصر المملوكي يعدّون في الإحصاء أكثر قليلا من ٧٥٠ عالماً فإنهم جميعا ـ وفيهم ابن الهائم ـ كانوا منكبّين على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه ونحو ، كما كانوا يتنافسون على الوظائف الدينية . وليس بينهم سوى عشرة أطباء معروفين ، وخمسة من علماء النبات والحيوان والحساب . وقد تميز ابن الهائم بين علماء العصر المملوكي كله بأنه كان من هذه القلة الأخيرة التي اهتمت وبرزت بالعلوم العملية بجانب علوم الدين .

وقد كتب ابن الهائم في الحساب والجبر والفرائض عددا من المؤلفات منها قصيدة « المقنع في الجبر والمقابلة » ، وكتاب « مرشدة الطالب إلى أسمى المطالب » في الحساب ، « وأبرز الخفايا في فن الوصايا » .

توفي ابن الهائم في القدس ، ودفن في مقبرة ماملا .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، النجف ١٩٦٨ .
ـ الشوكاني : **البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع** ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
ـ السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ـ ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ١٩٣١ .

أحمد بن محمد بن عمر (٨١٩ ـ ٨٥٦ هـ) (١٤١٥ ـ ١٤٥١ م) :

المقدسي ، الشافعي ، شهاب الدين ، المشهور بابن زوجة أبي عذيبة . ولد في بيت المقدس ، ونشأ وتعلم فيه وبالأقصى والصلاحية وغيرهما . ودرس على بعض العلماء أمثال : عماد الدين ابن شرف المقدسي ، وعز الدين عبد السلام المقدسي ، وأبي العباس المقدسي . ولازم الأخير ، وقرأ عليه « منهاج السنة » لابن تيمية ، والبهجة ، والألفية . وسمع في بيت المقدس من ابن الجزري ، وشهاب الدين بن المحمرة وغيرهما .

ورحل إلى غزة *، والقاهرة ، والشام ، طالبا العلم . ودرس على أحمد بن حجر العسقلاني * ، وشرف الدين السبكي ، وزين الدين الزركشي بالقاهرة ، وابن قاضي شهبة وغيره بالشام . وأذن له الأخير في الكتابة في التاريخ ، والجرح والتعديل ، والتصنيف ، وأجازه .

ثم عاد شهاب الدين إلى بيت المقدس ، وعني بالتاريخ ، وكتب كتابين في هذا المجال ، وسمى تاريخه المطول : « تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان » . وله كتاب « إنسان العيون في مشاهير سادس القرون » ، وهو أحد مجلدات تاريخه المطول . وله تاريخ مختصر مرتب على حزوف المعجم ، وكتاب في قصص الأنبياء .

توفي في بيت المقدس .

المراجع :

ـ السخاوي : **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥ هـ .
ـ السخاوي : **التبر المسبوك في ذيل السلوك** ، القاهرة ١٨٩٦ .
ـ ابن العماد الحنبلي : **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ مجير الدين الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، النجف ١٩٦٨ .

أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر بن عبد الله المقدسي : رَ : آل قدامة

أحمد بن محمد الموقّت (ـ ١١٧١ هـ) (ـ ١٧٥٨ م) :

القدسي مولداً ووفاة والغزّيّ أصلاً ، المالكي ثم الحنفي مذهباً . عالم ، محدث ، متضلّع في العلوم ، ولا سيما في علم الميقات (أي تعيين أوقات الصلاة في المسجد الأقصى) . انتهت إليه « حقائق العلوم العقلية ، وألقت إليه العلوم النقلية مقاليدها » . جمع أحمد بين إمامة مسجد قبة الصخرة والتدريس في المسجد الأقصى * ، بالإضافة إلى إفتاء الحنفية في القدس والتدريس في المدرسة الأفضلية * التي أنشأها الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي على أرض أوقفها بجوار المسجد الأقصى . واشتغل الموقّت بالتجارة فأثرى ، وكان يكرم الغرباء ، ولا سيما أهل العلم منهم .

توفي الموقّت سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٨م ، ودفن في مقبرة مأمن الله المعروفة بمامِلاّ .

المراجع :

ـ محمد خليل المرادي : سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر ، القاهرة ١٣٠١هـ .

ـ غرس الدين خليل : تراجم جماعة من أفاضل بيت المقدس الشريف (مخطوط) ، مكتبة المتحف البريطاني ، والمكتبة الخالدية بالقدس ، والمتحف الفلسطيني بالقدس .

أحمد بن محمد بن يوسف (ـ ١٠٣٤هـ) (ـ ١٦٢٥م) :

ويعرف بالخالدي الصفدي نسبة إلى خالد بن الوليد . فقيه ، مؤرخ ، متأدب . ولد بصفد * ، وبها نشأ . ثم ارتحل إلى القاهرة ، وطلب العلم فيها . فدرس الفقه والحديث والتفسير والتاريخ على كبار علمائها .

ورجع إلى صفد ، ودرّس ، وأفتى ، وناب في القضاء * وألّف . ومن مؤلفاته : شرحه المفصّل على الكافية ، وتخميسه للقصيدة الهمزية للبوصيري ، وشرح ألفية ابن مالك ، وتشنيف المسمع ، ومتن الكنز . وكتاب في العروض ، وله رحلة إلى الحج ، وأخرى إلى بيت المقدس نظماً .

له نظم وليس بشاعر .

وهنالك مؤلف هام للخالدي هو « تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني » ، تناول فيه أخبار الأمير في لبنان وسائر الأقطار الشامية ما بين ١٠٢١ و ١٠٣٤هـ / ١٦١٢ و ١٦٢٤م . دوّن في مؤلفه حوادث شاهد بعضها ، واشترك في بعضها .

توفي الخالدي قبل أن ينهي كتابه هذا ، فبقي منسيّاً حتى تمّ العثور عليه .

وقد توفي بصفد ، ودفن فيها بمصلّى العيدين .

المراجع :

ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .

ـ خير الدين الزركلي : الأعلام ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ الخالدي الصفدي : تاريخ الأمير فخر الدين المعني .

ـ فهرس دار الكتب المصرية ٨ ـ ٦٧ ، القاهرة ١٣٤٣ ـ ١٣٦١هـ .

— Princeton University: **Descriptive Catalog of the Garrett Collection of Arabic Manuscripts in the University of Princeton Library** Vol I of Princeton Oriental Texts, Princeton 1939, Ms No. 200.

أحمد بن محمد بن يونس الدجاني (٩٩١ ـ ١٠٧١هـ) (١٥٨٣ ـ ١٦٦١م) :

صفي الدين الدجاني ، الشهير بالقُشَاشي . متصوف فاضل مشارك في أنواع العلوم . أصله من القدس * ، انتقل جده إلى المدينة المنورة . وكان متصوفاً ، احترف بيع القُشاشة ، وهي سقط المتاع فعرف بالقُشاشي . وولد حفيده أحمد بالمدينة ، وبها اشتهر وتوفي ، ودُفن بالبقيع .

كان أحمد مالكي المذهب ، وتحول شافعياً ، فصار يفتي في المذهبين (رَ : المذهب الشافعي) . وله نحو سبعين كتاباً ، أكثرها في التصوف ، منها « شرح الحكم العطائية » التزم فيه أن يختم كل حكمة بحديث يناسبها ، و « حاشية على المواهب اللدنيّة » صغير ، و « السمط المجيد في تلقين الذكر لأهل التوحيد » . وله شعر .

وكان من عادة المشارقة تلقيب من اسمه أحمد بشهاب الدين . وكان صاحب الترجمة يقول لأصحابه : " لا تلقبوني بذلك لأن اسمي أحمد ، وهو أشرف الأسماء ، فكيف يلقب بالشهاب الذي هو العذاب والرجم ؟" فلقب بصفي الدين .

المراجع :

ـ عبد الله بن محمد العياشي : الرحلة العياشية ، فاس ١٣١٦ هـ .

ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤ هـ .

أحمد بن موسى بن خفاجا (ـ ٧٥٠هـ) (ـ ١٣٤٩م) :

الصفدي ، الشافعي ، فقيه اشتغل بالعلم ، وأخذ عن علماء زمانه الفقه ، والحديث ، والفرائض ، والوصايا ، وغيرها ، ومنهم ابن الزّملكاني ، وغيره من العلماء . وتفوق شهاب الدين في هذه العلوم وأصبح فقيهاً ، محدثاً .

اشتغل شهاب الدين بالإفتاء ، والتصنيف . وكان ماهراً في الفرائض والوصايا ، نقّالاً للفروع الكثيرة ، فقد ذكر أنه انقطع بقرية

قرب صفد * يفتي ويصنّف ويتعبّد ويأكل من عمل يده بالزراعة ، وأعرض عن الوظائف إلى أن توفي .

له مصنفات كثيرة نافعة ، ومنها : « شرح التنبيه » في عشر مجلدات ، و« العمدة » وهو مختصر في الفقه ، وشرح الأربعين للنووي « ولكن لم يشتهر شيء منها » .

توفي شهاب الدين في صفد .

المراجع :

ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيدر آباد ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠ .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .

أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني (٧٥٢ ـ ٨١٦هـ) (١٣٥١ ـ ١٤١٣م) :

شهاب الدين أبو العباس المقدسي ، الباعوني ، الناصري . قاضي القضاة ، الشيخ الإمام ، العالم ، الشاعر ، الكاتب ، الخطيب . أصله من قرية باعون الواقعة في الشمال الغربي من عجلون ، وكان أبوه حائكاً بها ، ثم انتقل إلى الناصرة * ، حيث ولد ابنه أحمد . ونشأ أحمد في الناصرة ، فحفظ القرآن وله عشر سنين ، والمنهاجين : « منهاج السنة » لابن تيمية ، و« منهاج الوصول إلى علم الأصول » للبيضاوي . وألفية ابن مالك وغير ذلك . ثم قدم دمشق ، وعرض كتبه على جماعة من العلماء ، منهم القاضي تاج الدين السبكي وابن قاضي شهبة ، وأخذ عنهم الفقه والنحو ، وسمع الحديث . ثم نزل صفد * وقد أجيز ، فاشتغل بالعلم ، وأفتى ، وفاق في النظم والشعر . وبقي في صفد إلى بعيد التسعين وسبعمائة ، ثم سافر إلى القاهرة ، واجتمع بالملك الظاهر برقوق (حكم ٧٨٤ ـ ٨٠١هـ / ١٣٨٢ ـ ١٣٩٨م) ، فولّاه خطابة الجامع الأموي بدمشق سنة ٧٩٢هـ / ١٣٨٩م ، ثم ولّاه القضاء في السنة التالية .

ويشيد المؤرخون بسيرته في القضاء ، فقد باشره بعفّة ومهابة ، والتزم جانب الحق والاستقامة وعدم المحاباة ، كما ضبط الأوقاف . وقد طلب منه السلطان برقوق أن يقرضه شيئاً من أموال الأيتام ، فرفض ، فعزل وأهين ، وسجن ، ولفّقت عليه قضايا باطلة . ثم أطلق سراحه ولزم داره . وفي سنة ٨٠٢هـ ولّاه الناصر فرج خطابة بيت المقدس فوليها مدة طويلة . ثم أضاف إليه معها قضاء دمشق ، فباشره بعفّة ونزاهة ، ثم عزل وتوجه إلى بيت المقدس يلي خطابته . ولما استقر الأمر للمستعين بعد الناصر (٨١٥هـ/١٤١٢م) ولّاه قضاء الديار المصرية ، لكنه صرف قبل أن يباشر .

كان الباعوني خطيباً بليغاً وإماماً بارعاً ، وكان من أعز أنصار الحق وأعوانه وحريصاً على كرامته حتى مع السلاطين . وقد كتب أشياء وجمع كثيراً .

مات في دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون .

المراجع :

ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م .

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ / ١٣٥٥هـ .

– Brockelmann, C.: **Geschichte der Arabischen Literatur**, Leiden 1939.

أحمد بن نعمة بن أحمد (٥٧٩ ـ ٦٦٥هـ) (١١٨٣ ـ ١٢٦٦م) :

كمال الدين ، أبو العباس المقدسي ، النابلسي . إمام ، نقيه ، محدّث ، من علماء الشافعية ، ويلقّب بخطيب القدس . نابلسي الأصل . قدم دمشق شاباً ، وسمع فيها من القاسم بن عساكر ، وابن طبرزد ، وحنبل بن عبد الله الرصافي راوي مسند أحمد بن حنبل (المتوفى سنة ٦٠٤هـ) ، وغيرهم . وحدّث بدمشق والقاهرة ، وروى عنه كثيرون ، منهم ولداه العلّامة شرف الدين والفقيه محيي الدين ، والدمياطي ، والدواداري ، وابن الخبّاز . كان صالحاً متعبداً ، متزهداً ، منقبضاً عن الناس .

توفي بدمشق ، ودفن بمقبرة باب كيسان .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١هـ .

ـ الحافظ الذهبي : العبر في أخبار من غبر ، الكويت ١٩٦٦ .

ـ صلاح الصفدي : الوافي بالوفيات ، بيروت ١٩٧١ .

أحمد بن أبي الوفاء بن مفلح (٩٥٠هـ ـ) (١٥٤٢م ـ) :

شيخ الإسلام ، الحنبلي ، الدمشقي . ولد ونشأ في دمشق .

واشتغل بالعلم ، وأخذ عن شيوخها ، ومن شيوخه الشيخ أبو الفداء إسماعيل النابلسي ، وشيخ الإسلام موسى الحجازي . وتفوّق ابن أبي الوفاء في العلوم الشرعية ، وعلوم اللغة العربية ، والتاريخ والحساب ، كما يقول الحسن البوريني * .

وهو من أسرة اشتهرت في مجال العلم ، فهو من بني مفلح ، البيت الشهير بالعلم والتأليف .

اشتغل ابن أبي الوفاء بالتدريس ، في الجامع الأموي ، ودور الحديث في الشام .

وذكر البوريني أنه حضر بعض مجالس ابن أبي الوفاء العلمية ، وأشاد به أشادة بالغة ، وفضّله على أقرانه .

اشتغل ابن أبي الوفاء بالإفتاء ، فقد كان مفتي الحنابلة ، وكان أكبر قضاة الحنابلة في دمشق ، والمرجع في مذهبهم .

امتنع ابن أبي الوفاء عن قبول منصب القضاء وقد كان محمود السيرة ، زاهداً متقللا من اللباس ، مقبلاً على العبادة والعلم .

المرجع :

ـ الحسن بن محمد البوريني : **تراجم الأعيان من أبناء الزمان** ، دمشق ١٩٥٩ .

أُحَيمِر (وادي ـ) :

واد صغير طوله ٢٥ كم ، من أودية النقب الشمالي المنتهية في وادي عربة * والبحر الميت * . تقع بداياته وشعابه العليا في منطقة تل الصافي (٤٥٥ م) وجبل الصافي (٤٦٢ م) شمال الطريق الواصلة بين بير السبع * وغور الصافي * جنوبي البحر الميت . ويسير الوادي نحو الشمال مسافة ٣,٥ كم . ثم ينحرف نحو الشمال الشرقي ، فالشرق ، في أرض قليلة الانحدار مسافة ٥ كم تقريبا ، يدخل بعدها مناطق صخرية قاسية ، يحز ويحفر فيها بشدة وعنف ،

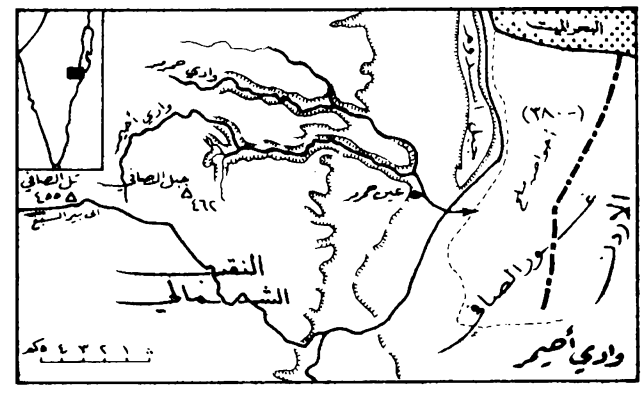

مكوّنا خوانق وممرات عميقة ضيقة ذات جوانب صخرية قائمة . ويسير الوادي ١٤ كم متعمقا في الحافات الصخرية المطلة على البحر الميت وغور الصافي راسما الكثير من الأكواع والتعرجات . ثم يخرج إلى أرض مفتوحة منبسطة مؤلفة من الرمال واللحقيات تقع جنوب جبل سدوم ، حتى ينتهي في المستنقعات * الملحية والسباخ المكونة لقاع وغور الصافي ، على انخفاض ٣٨٠ م تحت مستوى سطح البحر .

يلاحظ من أرقام بداية ونهاية الوادي وطوله أن انحداره شديد يحوم حول ١ : ٣٠ ، وبالتالي فإن عمل الحتّ والحفر الرأسي للمياه والسيول هو السائد في معظم أجزاء المجرى . وهذا يفسر كون الوادي خانقيا ذا جدران قائمة عالية ضمن الصخور * العائدة للحقبة الثانية ، ولا سيما السينومانية المكونة من الحجر الكلسي والدولوميتي القاسي . ومما يزيد في قسوة تضاريس الوادي وعنفها وجود حوضه في مناخ صحراوي قليل الأمطار (٥٠ ـ ٧٠ مم سنويا) ، كثير التبخر (٢,٠٠٠ مم سنوياً) ، متوسط حرارته مرتفع (٢٢° ـ ٢٥°) مما يطبع التضاريس بطابع المناطق الصحراوية وتضاريسها . ولما كان نظام الأمطار عاصفياً رعدياً موقتا ، والانحدار الطولي للوادي كبيرا ، فإن نمط الجريان في وادي أحيمر وبقية أودية المنطقة ، ولا سيما وادي حمرمر رافد وادي أحيمر ، سيلي عنيف .

يوافق الغطاء النباتي الشروط الطبيعية المذكورة ، فليس في حوض وادي أحيمر سوى بعض الأعشاب والشجيرات الصغيرة الصحراوية التي يستفيد منها رعاة عرب التياهة وعرب الظلام المتجولين في البقاع الجنوبية الغربية من البحر الميت . وليس هناك اثر لأي نشاط بشري اقتصادي في حوض الوادي إلّا قرب مصبّه ، حيث تستخرج الأملاح والبوتاس والبروميت والمغنزيوم من جنوبي البحر الميت قرب نهاية الوادي . وهناك مكامن للفوسفات * قليلة الكمية ضعيفة النوعية في الثلث الأخير من الوادي . ولا توجد مصادر للمياه إلا عين حمرمر في بطن الوادي على بعد ٤ كم من مصبه .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس : ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة يطة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الإخاء العربي ـ العثماني (جمعية ـ) :

ر : النضال الفلسطيني في العهد العثماني (١٩٠٨ ـ ١٩١٧)

الإخاء والعفاف (جمعية ـ) :

أدركت الشبيبة العربية الفلسطينية في وقت مبكر من تاريخ أمتنا المعاصر المخاطر الناجمة عن النشاط الصهيوني والهجرة الصهيونية إلى فلسطين * .

ففي عام ١٩١١ كتب سليمان التاجي الفاروقي * في جريدة المفيد البيروتية يحذّر الفلسطينيين من التسلّل الصهيوني إلى فلسطين . وفي عام ١٩١٤ دعا نجيب نصار * في جريدة الكرمل * التي تصدر في حيفا الشعب العربي الفلسطيني لتشكيل " جامعة عربية " هدفها إنقاذ فلسطين عن طريق التصدّي لخطر الصهيونية .

وفي حزيران ١٩١٤ كشفت صحيفة فلسطين * النقاب عن تشكيل أربع مؤسسات عربية فلسطينية هدفها الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدّد عروبة فلسطين . وهي الجمعية الخيرية الإسلامية ، وشركة الاقتصاد الفلسطيني العربي ، وشركة التجارة الوطنية الاقتصادية ، وجمعية الإخاء والعفاف .

تلخّصت أهداف جمعية الإخاء والعفاف في إيقاظ الروح الوطنية والقومية بين صفوف الشباب والشابات في فلسطين ، ومقاطعة الصهيونية ومحاربتها . وبدأت أول الأمر بتنفيذ أوامر أقرّها المنتدى الأدبي * . وبعد أن تعاظم دور النادي العربي * أصبحت جمعية الإخاء والعفاف جهازه التنفيذي .

عملت الجمعية على تحقيق فكرة الوحدة بين سورية وفلسطين ، رغم قلة التجربة لدى معظم الزعماء الشبان آنذاك . وبالإضافة إلى هذا قامت الجمعية بتوزيع المناشير والمحافظة على أمن الاجتماعات واللقاءات المتعددة للهيئات الشعبية وتنظيم المظاهرات ، كذلك بذلت الجمعية جهداً كبيراً في زيادة تثقيف جيل الشبان بمبادىء الوحدة العربية ، ولا سيما طلاب مدارس الرشيدية وروضة المعارف في القدس ، والنجاح في نابلس .

تزعم الجمعية الشيخ سعيد الخطيب ، وكان مرشدا وقائدا فكريا فيها . ووصفته المخابرات البريطانية بأنه رجل ذكي يعمل بهدوء .

انضم إلى الجمعية كثير من الشباب ، ولا سيما أولئك الذين كانوا في سلك الشرطة من المسلمين والمسيحيين . وعلّلت تقارير سرية دخول أعداد كبيرة من رجال الشرطة في الجمعية بأمرين : الأول تصاعد غضب أولئك على حكومة الانتداب . والثاني الخوف الذي خيّم على المنطقة من احتمال وقوع فلسطين تحت الحكم الصهيوني .

كان يخيم على جو اجتماعات الجمعية الاستعداد للتضحية ومقاومة الاحتلال حتى النهاية . وشاركت الجمعية جمعية الفدائية * ، التي كانت تعرف سابقا باسم « جمعية اليد السوداء » ، والنادي العربي والمنتدى الأدبي ، في تسليح الأعضاء بالأسلحة الخفيفة ، وإعداد قوائم بأسماء البارزين من العملاء والموالين للصهيونية من العرب ، مع جميع المعلومات المطلوبة عنهم .

ومن أعمال الجمعية أيضاً وضع الخطط للقيام بعمليات عسكرية وإعلامية ، ومنها أيضاً بث الدعاية والتوعية بين صفوف بدو شرق الأردن ، والاتصال بالضباط الفلسطينيين في عمان حتى يكونوا على أهبة الاستعداد لمعارضة أيّة سياسة موالية للصهيونية ومناهضة للوحدة مع سورية .

وحافظت الجمعية على علاقات وثيقة مع دمشق ، ومع شرق الأردن ، فكانت تأخذ الإرشادات والمعلومات والآراء من دمشق وتحصل على الأسلحة من شرق الأردن .

على صعيد آخر ، عملت الجمعية على استغلال المناسبات لتنظيم المظاهرات والأعمال الاحتجاجية . واتسم عمل الجمعية هذا بعامل المفاجأة .

ولقد كان للجمعية اليد الطولى في أحداث القدس التي بدأت بتاريخ ٤/٤/١٩٢٠ في ذكرى زيارة قبر النبي موسى . وقد استمرت الاضطرابات وأعمال العنف عدة أيام ، واشترك فيها آلاف العرب الذين احتجوا بشدة على سياسة الانتداب واستمرار الهجرة اليهودية وسلب الأراضي ، وطالبوا بالوحدة مع سورية تحت لواء الملك فيصل (رَ : ثورة ١٩٢٠) .

المراجع :

ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨ ، بيروت ١٩٧٣ .

أخدوت (عملية ـ) : رَ : دير ياسين (مذبحة ـ ١٩٤٨)

إخراج الفلسطينيين من ديارهم (١٩٤٨) :

قدر الصهيونيون أن إرهاب الفلسطينيين العرب وإخراجهم من ديارهم سينسيانهم حق العودة إليها ، أو أنهم سيتنازلون عن حقوقهم السياسية في بلادهم بذوبانهم في البلاد العربية المجاورة . فلما أظهر الفلسطينيون كل تمسك ببلادهم وحقوقهم ، وخاب تدبير الصهيونيين ، أراد الصهيونيون تضليل الرأي العام ، فافتروا على العرب الكذب ، وقالوا إن زعماءهم أمروهم بالخروج حتى يُخلوا

الميدان للحرب بين الجيوش العربية والإسرائيليين ، وزعموا أن العرب لم يُخْرَجُوا ولم يُكْرهوا على الخروج .

وأول ما يلاحظ على هذا الزعم أنه لم يصدر في وقت الحوادث بل بعدها بكثير ، إذ لم يذكره الوزراء الإسرائيليون ، لا تصريحا ولا تلميحا ، عندما كان وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت في خريف ١٩٤٨ يحثهم على وجوب رجوع العرب الذين أخرجوا من بيوتهم بسبب الحرب ، أي بتدبير العصابات الإرهابية أولاً ، ثم بتدبير الجيش الإسرائيلي ثانيا .

وثاني ما يلاحظ أن الدعاية الإسرائيلية لم تسمّ زعيما عربيا واحدا أصدر الأمر المزعوم ، ولم تذكر في أي تاريخ كان صدوره ، ولا من أي محطة في فلسطين أو خارجها أذيع ، ولا في أي جريدة في فلسطين أو خارجها نشر .

وثالث ما يلاحظ أن أمراً كهذا لا يمكن أن يصدر دون أن تعلم به الصحف العبرية والصحف الأجنبية ومحطات الإذاعة الصهيونية

اخراج عرب الرملة ١٩٤٨

السرية ومحطات الإذاعة الأجنبية . فلا ذكر للأمر المزعوم في الصحف العبرية ، ولا ذكر له في الصحف الأجنبية حتى تلك التي كانت ميالة إلى الصهيونيين . والواقع أن الصحف العبرية ومحطات الإذاعة الصهيونية ذكرت أوامر للزعماء العرب بالصمود لا بالخروج .

وحدث أن اهتم بالموضوع صحافي إرلندي اسمه إرسكين شلدرز عندما كان ضيفا على وزارة الخارجية الإسرائيلية ، فطلب التفصيلات ، ووعده المسؤولون في (إسرائيل) بتقديمها ، وأخلفوا وعدهم وهو بينهم ، ثم أخلفوه بعد سفره وتذكيرهم به كتابة . فدفعه ذلك إلى التحقيق ، فاكتشف أن الزعم الصهيوني لا أساس له . فراجع الصحفي المذكور سجلات هيئة الإذاعة البريطانية وسجلات وكالة الأنباء المركزية (الأمريكية) الخاصة بكل ما أذيع في اللغات العربية والعبرية والإنكليزية من فلسطين والبلاد المجاورة في سنتي ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، وقد سجلت هذه الإذاعات يوميا في قبرص . وكانت النتيجة برهاناً آخر على اختلاق الأمر المزعوم .

وعنوان ما كتبه الصحفي الإرلندي هو « الخروج الآخر » . وهو يقصد خروج العرب من فلسطين ، بالمقابلة مع خروج الإسرائيليين القدماء من مصر . والعنوان مستمد من سفر الخروج في التوراة * . ومن المؤسف أن كثيرين من كتاب العرب ، حتى بعض الاختصاصيين قد استعملوا هذا الاصطلاح غفلة منهم أو تقليدا للأوربيين . وكان الواجب عليهم أن يقولوا « إخراج » بدلا من « خروج » ، فالأول ينطبق على ما حدث للفلسطينيين غير المحاربين بإرعابهم وإرهابهم وإخراجهم بالعنف والقوة من بيوتهم . أما الخروج فيوحي بمعنى الحرية والاختيار . لا جدال أن بعض العرب قد خرجوا من تلقاء أنفسهم ، ولكن الأكثرية الساحقة قد أخرجت كرها . أما الأولون فكانوا أقلية من الأغنياء والتجار الذين لهم أقارب أو متاجر في البلاد المجاورة . وكانت بيوت هؤلاء غالبا في الأطراف بين بيوت العرب وبيوت اليهود في المدن المختلطة . فالضرر من خروج هؤلاء ظهر عند اشتداد القتال إذ اعتصم الصهيونيون في البيوت الخالية لإطلاق النار منها على الأحياء العربية المجاورة .

ولكن ما الأوامر التي أصدرها الزعماء العرب فعلا ؟ . كان الأمر الأول ما أصدرته اللجنة القومية في حيفا . فقد جاء في بيان لها : " نرجو أن يتذرع كل عربي وعربية بالثبات ، وألاّ تغره الشائعات وأن يظل في مركزه وعمله " . وجاء في بيان آخر " اثبتوا في منازلكم ولا تخلوها ولا تذعنوا للتهديد " . وأهم من ذلك أمر الهيئة العربية العليا لفلسطين * ، فقد منعت الخروج حتى للأطفال في برقية مؤرخة في ١٩٤٨/٣/٣ : " هجرة الأطفال وغيرهم من فلسطين إلى دمشق وبيروت مضرّة بالمصلحة . راجعوا الجهات المختصة في دمشق وبيروت لمنعها " . وكانت الهيئة قد طلبت من الحكومات العربية عدم السماح لأي فلسطيني قادر على حمل السلاح بدخول بلادها ، ولم تستثن من ذلك إلاّ الطلاب والمرضى .

هذه هي الأوامر التي ذكرتها الصحف العبرية ، وهذه هي الأوامر التي أشار إليها راديو الهاغاناه * ، دون الإشارة إلى أي أمر آخر يخالفها ، داخل فلسطين أو خارجها . وتوجد تسجيلات مرصدة متكررة لنداءات ، بل لأوامر صريحة عربية إلى سكان فلسطين بأن يبقوا في ديارهم . فقد أذاعت محطة جيش الإنقاذ * من دمشق يوم ١٩٤٨/٤/٤ أن غرض الصهيونيين هو إرهاب العرب غير المحاربين ، فهم الذين أرعبوا المدنيين بما أذاعوه من محطاتهم وما قالوه بمكبرات الصوت بوجوب إخلاء المدن والقرى من النساء والأطفال . وأذاعت محطة جيش الإنقاذ أيضاً من دمشق يوم ٢٤

نيسان حين بلغ إخراج الفلسطينيين من ديارهم حدا كبيرا : " بعض العناصر والعملاء اليهود ينشرون أخباراً انهزامية ليخلقوا الفوضى والذعر بين السكان المسالمين . وإن بعض الجبناء يتركون بيوتهم أو قراهم أو مدنهم . إن العملاء الصهيونيين والجبناء الفاسدين سوف يعاقبون بشدة " . وبرهان ذلك الأمثلة الآتية :

١) في أوائل شباط ١٩٤٨ ذهب وفد من اللجنة القومية في القدس إلى حي الطالبية ، واقترح على سكانه العرب تعيين حرس وطني للمحافظة على الأمن . وكان سكان هذا الحي وأصحاب معظم البيوت فيه من النصارى العرب (من طائفة البروتستانت) وكان فيه قليل من اليهود في بيوت عربية مستأجرة . لهذا السبب رأى السكان عدم استفزاز اليهود ، فاعتبرت الهاغاناه هذا علامة ضعف ، وعينت هي حرسها يطوف الحي ليلا ونهارا .

فلما أطلقت النار على أحدهم طافت سيارة عليها مكبر للصوت ، بعد ظهر اليوم نفسه ، تأمر بلغة عربية : " على جميع العرب في الطالبية أن يخرجوا حالاً ". فخرج معظمهم ، ولكن توسط مطران الإنكليز مع المندوب السامي جعل الحي " منطقة سلامة " بإحاطته بأسلاك شائكة ، ووضع حرس بريطاني على مداخل الحي فلا يدخلها إلاّ من معه بطاقة رسمية .

٢) انسحب الجيش البريطاني من مدينة حيفا إلى منطقة مينائها في ١٩٤٨/٤/٢١ . ويذكر مناحيم بيغن في كتابه « الثورة » ما قاله مراسل حربي يهودي هو آرثر كوستلر الذي كان في المدينة بعد ذلك بشهر ، ان الهاغاناه بدأت حرب الأعصاب تمهيداً للهجوم العسكري ، فأخذت مكبرات الصوت تخوّف العرب غير المحاربين من أهوال الحرب ، وتحثهم على أن يُخرجوا نساءهم وأطفالهم من المدينة ، بل تعدهم بسلامة المرور من المنطقة اليهودية إلى بلد عربي يختارونه ، ثم تنذرهم بسوء المصير إذا هم لم يقبلوا " النصيحة " .

٣) عندما اشتد هجوم عصابة الإرغون * في حي المنشية في يافا من جهة تل أبيب في ٢٨ نيسان ، وهجوم الهاغاناه على الأحياء المتطرفة من جهة الجنوب ، سمع السكان غير المحاربين إذاعات من راديو الهاغاناه وغيره تخبرهم بما حل بحيفا وغيرها من المدن والقرى . ويقول قائد الإرغون بيغن (الذي أصبح فيما بعد رئيس وزراء إسرائيل) إن العرب هربوا من بيوتهم في اتجاه الميناء وهم يصيحون : " دير ياسين " .

٤) شهد صحافي يهودي انتهاء الانتداب البريطاني في القدس وإعلان (دولة إسرائيل) ، فسجل في مذكراته في يوم ١٩٤٨/٥/١٥ أن مكبرات الصوت كانت تنذر السكان المدنيين باللغة العربية بوجوب الخروج من المدينة حالا على الطريق إلى أريحا . ومن تلك الإنذارات " أشفقوا على نسائكم وأطفالكم وأخرجوا من هذه المعمعة الدموية" . أما المسلحون فطلب منهم أن يسلموا سلاحهم أو أن يهربوا على الطريق إلى أريحا "أما إذا بقيتم فستجلبون المصيبة إلى أنفسكم " .

هذه بعض الشواهد على ما فعله الصهيونيون بالعرب من أجل إخراجهم من وطنهم . إلا أن العامل الأكبر والأهم في اغتصاب فلسطين وطرد العرب من ديارهم كان الإرهاب الذي مارسه الصهيونيون على شكل عمليات متنوعة وعديدة ، قصدوا من ورائها إجبار العرب على الهرب بأرواحهم وأنفسهم من القتل والإبادة (ر : الإرهاب الصهيوني) . وليست العمليات الإرهابية التالية التي جرت جميعها قبل إعلان قيام (إسرائيل) سوى بعض ما اقترفه الصهيونيون لتحقيق غرضهم :

ففي ١٩٤٧/١٢/١٩ هاجمت الهاغاناه قرية الخصاص * في شمال فلسطين ، وقتلت عشرة من سكانها العرب .

وفي ١٩٤٧/١٢/٢٩ ألقت عصابة إرغون برميلاً مملوءاً بالمتفجرات عند باب العامود بالقدس فقتل ١٤ عربياً وجرح ٢٧ ، وفي اليوم التالي رمت عصابة إرغون من سيارة مسرعة في القدس قنبلة انفجرت فقتلت ١١ عربياً وبريطانيين اثنين .

وفي ١٩٤٧/١٢/٣١ هاجمت الهاغاناه قرية بلد الشيخ * على سفح جبل الكرمل * وقتلت ١٧ عربياً وجرحت ٣٣ .

في ١٩٤٨/١/٤ وضعت عصابة إرغون سيارة مملوءة بالمتفجرات بجانب السراي القديمة في يافا فهدمتها وما جاورها وقتلت ٣٠ عربياً وجرحت ٩٨ . وبتاريخ ١٩٤٨/١/٥ هدمت الهاغاناه بالمتفجرات فندق سميراميس في حي القطمون بالقدس فقتل ١٨ عربياً وعربية وجرح عشرون . وبدأ بعد ذلك نزوح سكان الحي لقربه من الأحياء اليهودية . وفي ١٩٤٨/١/٧ قتل ١٨ عربياً وجرح ٤١ بقنابل رمتها عصابة إرغون في أماكن مختلفة . وفي ١٦ كانون الثاني دخل صهيونيون متخفون بلباس الجنود الإنكليز مخزناً بقرب عمارة المغربي في شارع صلاح الدين في حيفا بحجة التفتيش ، ووضعوا فيه قنبلة موقوتة انفجرت فهدمت العمارة وما جاورها ، وقتلت ٣١ من الرجال والنساء والأطفال وجرحت ضعف هذا العدد . وفي يوم ٢٨ كانون الثاني دحرج صهيونيون من حي الهادار المرتفع على شارع عباس العربي في أسفل المنحدر برميلاً مملوءاً بالمتفجرات فهدم البيوت على من فيها ، وقتل عشرون شخصاً وجرح نحو خمسين .

وفي ١٩٤٨/٢/١٤ هاجمت الهاغاناه قرية سعسع * في الجليل وقتلت ١١ عربياً ، وفي ١٩٤٨/٢/٢٠ سرقت عصابة شتيرن (ليحي *) سيارة جيش بريطانية وملأتها بالمتفجرات ، ثم

وضعتها أمام بناية السلام في القدس فقتلت ١٤ عربياً وجرحت ٢٦ .

وفي ١٩٤٨/٣/١٣ هاجمت الهاغاناه قرية الحسينية * في الجليل فهدمت بيوتها بالمتفجرات وقتلت أكثر من ثلاثين عربياً . وبتاريخ ١٩٤٨/٣/٣١ فجر الصهيونيون ألغاما تحت قطار إلى الجنوب من حيفا فقتلوا أربعين عربياً وجرحوا كثيرين .

وفي ١٩٤٨/٤/٩ نفذ الصهيونيون مذبحة دير ياسين * . وفي اليوم التالي هاجمت الهاغاناه قرية ناصر الدين * من أعمال طبرية وأحرقتها ، وقتلت معظم سكانها وأخرجت الباقين تمهيداً للهجوم على مدينة طبرية (رَ : ناصر الدين ، مذبحة) .

كما هاجمت في اليوم نفسه قرية قالونيا * بين القسطل * والقدس وأحرقتها . وبتاريخ ١٩٤٨/٤/١٣ هاجمت الهاغاناه قرية اللجون * من أعمال جنين وقتلت ١٣ عربياً . كما هاجمت في ١٩٤٨/٤/١٦ قرية ساريس * على الطريق إلى القدس ، وهدمت معظم بيوتها ، وطردت سكانها ، واحتلت في ١٩٤٨/٤/١٩ مدينة طبرية " وسهّل " الجيش البريطاني ترحيل العرب (رَ : طبرية ، معركة) .

وقد بلغ عدد العرب غير المحاربين الذين أخرجوا من ديارهم بين ١٧٥ ألفاً و٢٠٠ ألف من الرجال والنساء والأطفال .

هذا بعض ما فعله الصهيونيون حتى ١٩٤٨/٥/١٥ . أما بعد ذلك فقد تصرف الجيش الإسرائيلي كما تصرفت العصابات الإرهابية نحو غير المحاربين من المدنيين . ففي الحادي عشر والثاني عشر من تموز ١٩٤٨ هاجم الجيش الإسرائيلي مدينتي اللد والرملة ، ولم يكن فيهما جيش عربي (أردني أو عراقي أو مصري) ، فكان احتلالهما يسيرا . وحالاً أذاع الجيش الإسرائيلي بمكبرات الصوت يأمر السكان بالخروج من منازلهم " للتفتيش " ، فكان هذا " تشليحاً " ونهباً للدراهم والحلي والساعات وأقلام الحبر . بعد ذلك استولى الجيش على وسائل النقل ، وأمر الناس بالمشي في شهر رمضان وحر تموز نحو الشرق إلى رام الله (رَ : اللد والرملة ، معركة) . ونكتفي هنا بالإشارة إلى ما كتبه اسحق رابين رئيس وزراء (إسرائيل) السابق ، وقائد لواء « هاريل» في حرب ١٩٤٨ * الذي احتل اللد والرملة . فقد كتب هذا في مخطوطة مذكراته التي نشرت عام ١٩٧٩ أن بن غوريون أمره ويغال آلون بطرد سكان اللد والرملة البالغ عددهم خمسين ألف عربي من بيوتهم وتهجيرهم . واستعمل الإسرائيليون القوة والإرهاب لتحقيق غرضهم . وكانت عملية اقتلاع الفلسطينيين من ديارهم عسيرة ومأسوية ، حتى أن بعض الجنود رفضوا الاشتراك في العملية . وقد اضطرت القيادة الإسرائيلية فيما بعد ، حسب اعتراف رابين، إلى بذل جهود ونشاطات دعائية مستمرة " من أجل إزالة المرارة من نفوس هؤلاء الشبان ، ومن أجل شرح الأسباب التي أجبرتنا على القيام بمثل هذا العمل القاسي الوحشي " كما ورد في مخطوطة رابين . غير أن الحكومة الإسرائيلية رفضت الموافقة على نشر رواية رابين هذه بشأن اللد والرملة . وقد نشرت جريدة نيويورك تايمز الأميركية في عددها الصادر في ١٩٧٩/١٠/٢٣ النص الكامل للمقطع المحذوف .

ولعل المرء يتساءل : هل كان نجاح الصهيونيين ممكنا دون الالتجاء إلى إرهاب المدنيين وإخراجهم ؟ كيف نجحوا في خمسة أسابيع حيث أخفق الإنكليز في سنين ؟ ما الذي قصم ظهر العرب ؟ لا بد من الصراحة عبرة للمستقبل ، فالشعب العربي الفلسطيني أظهر من الشجاعة والتضحية في حرب الصهيونيين ما أظهره في حرب الإنكليز ، وقد شهد له حتى الأعداء أنه حارب حرب المستميت في القدس ويافا وحيفا ، من شارع إلى شارع بل من بيت إلى بيت ، وأن أهل القرى ، على قلة سلاحهم وتدريبهم ، نجحوا حتى شهر نيسان ١٩٤٨ في التغلب على الصهيونيين في كل معركة . ولكن الشعب العربي الفلسطيني ، والحق يقال ، قد زُج في حرب لم يستعد الزعماء لها ، ولم يُعدوا لها السلاح اللازم ، كما أنهم استهانوا بقوة العدو جهلاً ، ولم يتعلموا من الأمر الواقع أثناء المعركة . وأفظع تقصير هو عدم إعلان التجنيد العام كما فعل الصهيونيون ، وعدم إقامة قيادة موحدة عندها ما يلزم من الجنود والسلاح ، والاعتماد على المتطوعين الذين كان ينقصهم التدريب العسكري كما كان ينقصهم السلاح . وأعظم نقص في الاستعداد للحرب كان ترك المدن والقرى ، وخاصة المجاورة للمستعمرات والأحياء اليهودية ، دون حرس وطني له سلاحه وقيادته . وقد قصرت جامعة الدول العربية كما قصر زعماء فلسطين ، في تسليح الشعب قبل المعركة وأثناءها أيضاً .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٦ .

— **The Economist**, August 21, 1948.

— Erskine B. Childers: **The Spectater**, May 12, 1961.

— Menahem Begin: **The Revolt**, London 1951.

الإخشيديون : رَ : العصر العباسي

الأخلامو : رَ : الآراميون

الأخمينيون :

شعب آري هاجر إلى إيران في بداية الألف الأول قبل الميلاد من

منطقة تقع بالقرب من بحيرة « أورميا» عرفت باسم « بارسوا *Parsua* » ، الذي حرّف إلى « فارس » وأطلق على المنطقة التي استقر فيها الأخمينيون في جنوب غربي إيران . ويعتقد أنهم لقّبوا بالأخمينيين نسبة إلى « حاخاميش » الذي تنسب إليه التقاليد تأسيس مملكتهم التي خضعت في بداية تاريخها للدولة العيلامية المجاورة ، ثم للدولة الميدية المجاورة من ناحية الشمال . وفي سنة ٥٥٩ق.م. تولى العرش كورش الثاني الذي تحولت الدولة في عهده إلى إمبراطورية عظيمة ، بعد أن قضى على الدولة الميدية وبسط نفوذه على منطقة تمتد من الأناضول إلى الهند ، وتشمل العراق وسورية وفلسطين . واتسعت الإمبراطورية في عهد قمبيز ودارا الأول ، فشملت مصر ، وكادت تضم إليها اليونان . وفي عهد أحشويرش الأول أوقع اليونانيون هزيمة نكراء بالأسطول الفارسي في معركة سلاميس (٤٨٠ق.م.) التي كانت من المعارك الفاصلة بين الفرس واليونانيين، ووضعت حدّاً للمطامع الفارسية في اليونان . وقد عملت الحروب مع اليونان على إضعاف الدولة الأخمينية ، وجرّأت الشعوب الأخرى على القيام بالثورة عليها ، وبدأت الدولة بالانهيار التدريجي مما سهّل سقوطها على يد الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٠ ق.م.

بالغت المصادر اليهودية كثيراً في امتداح الأخمينيين والدعاية لهم ، وذلك لأن كورش سمح لليهود بالعودة من بابل إلى فلسطين وإعادة بناء هيكلهم الذي دمّره نبوخذ نصر (رَ : السبي البابلي) وبرع الأخمينيون في تنظيماتهم الإدارية وامتازوا بقدرتهم على الاقتباس من حضارات الشعوب الأخرى . وقد اقتبسوا في بداية تاريخهم الخط المسماري ، ثم تبنّوا الخط الهجائي الآرامي ، وأصبحت اللغة الآرامية في عهدهم لغة السياسة والتجارة ، وازدهرت التجارة بفضل عنايتهم بالطرق السريعة واستعمال المسكوكات . انتشرت في عهد الأخمينيين الديانة الزرادشتية التي فيها شيء من ملامح الديانات الموحّدة . أما ديانتهم الأولى التي ظلّت قائمة إلى جانب الزرادشتية فقد كانت وثنية تعبد فيها قوى الطبيعة المختلفة .

المراجع :

— Ghirshman, R.: **Iran, From the Earliest Times to the Islamic Conquest,** London 1964.

— Fry, R. N.: **The Heritage of Persia,** 2nd ed London 1976.

— Cameron, G.: **History of Early Iran,** Chicago 1936.

أخناتون :

ملك مصر ، تولى عرش الفراعنة * من ١٣٧٩ ـ ١٣٦٢ ق.م.

بعد والده أمنحتب الثالث ، وسمّي أمنحتب الرابع . وهو من أغرب الشخصيات التاريخية ، تضاربت الآراء حوله ، فعدّه بعض الباحثين رجلاً مثالياً نبيلاً ، وواحداً من كبار المصلحين الدينيين ، وداعية إلى الوحدانية . في حين قال عنه آخرون إنه شاذ منحرف متعصّب أدت محاولاته فرض عقيدة جديدة إلى كارثة .

أقدم بعد تتويجه على بناء معبد جديد للإله آتون في طيبة إلى جوار معبد آمون إله العاصمة . ثم غيّر اسمه في العام الرابع إلى آخناتون ، أي الذي يخدم آتون . وقد حارب كهنة آمون هذا الانقلاب الديني . فانتقل الملك إلى عاصمة جديدة بناها ، وسمّاها « آخت ـ آتون » أي : أفق آتون ، وعرف مكانها فيما بعد باسم تل العمارنة (رَ : مجدو) .

كان أخناتون يريد التحرر من سيطرة كهّان آمون الذين تفشّى الفساد فيهم ، وسعى للقضاء على عبادة آمون . وكانت عبادة آتون التي دعا لها تطوراً لعبادة الشمس التي شاعت في البلاد . وقد أعلن هذا الملك آتون إلهاً عالمياً ، وأكد أنه الإله الوحيد . وكانت الصورة التي ترمز اليه هي قرص الشمس الذي تنبثق منه أشعة تنتهي إلى ما يشبه الأيدي البشرية . وكان هذا الإله يعبد في أمكنة مكشوفة في الهواء الطلق تنيرها أشعة الشمس ، لا في الزوايا المظلمة الخفية .

وفي الحقيقة لم تكن عبادة آتون من اختراع أخناتون ، فقد ظهرت منذ عهد تحتمس الرابع ، في الفترة التي تعرّضت فيها مصر للمؤثرات الآسيوية ، وكانت أحوالها قد تبدّلت « بعد فتوحات السلالة الثامنة عشرة ، وتكوين الامبراطورية الحديثة ، إذ كثر عدد الأجانب الذين سكنوا مصر ، كما انتقل العديد من الضباط والجنود المصريين إلى البلاد الأجنبية ، لا سيما إلى فلسطين وسورية حيث شيّدت معابد للآلهة المصرية مثلما دخلت إلى مصر عبادة بعض الآلهة الأجنبية . . . » .

لم يكتب لديانة آتون النجاح والبقاء ، وقضي عليها بعد موت أخناتون . ولا شك أن هذا الملك لم يحسن الدعوة لمعتقده ، فقد كان متطرفاً بعيداً عن الاعتدال والأناة ، فأتاح الفرصة لكهنة آمون ليثيروا الرأي العام ضد هذه العقيدة .

ويتهم بعض المؤرخين أخناتون بالانهماك في التأملات الدينية والتخيلات المستمرة إلى حدّ أهمل معه شؤون الدولة ومصالح الإمبراطورية في فلسطين وسورية ، فثار الأمراء المحليون ، وأخذوا يتآمرون ويتعاونون مع الحثيين (رَ : الحثيون) . ومهما كان الأمر ، فقد كان لحكم أخناتون تأثير كبير في تطور الأوضاع السياسية في فلسطين ، لأن أمراءها المحليين فقدوا الأمل في مساعدة مصر لهم ، فانصرفوا إلى الثورة والتعاون مع خصوم المصريين .

وقد كان لتعاليم أخناتون في الوحدانية ومحبة الطبيعة وتقليدها

في الأعمال الفنية دور في توجيه المعتقدات الدينية والنزعات الفكرية والأدبية لدى سكان فلسطين ، وإن كان الإتيان بشواهد على ذلك أمراً صعباً .

المراجع :

ـ عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ .
— Gardiner, A.: **Egyptian Grammar,** London 1950.
— Vandier et Drioton: **L'Egypte,** Paris 1952.

الأخوية الكرملية :

ينتسب الكرمليون إلى جبل الكرمل * الذي اشتهر بتردد النبي إيليا والنبي اليشع عليه في القرن التاسع قبل الميلاد . هناك نزل النسّاك المسيحيون منذ القرن السادس الميلادي ، وأقام الرهبان في مختلف الأديار . ثم إن القديس بوركارد ، وليد القدس ، أسس في أحد هذه الأديار ، نحو أواخر القرن الثاني عشر الميلادي ، رهبانية الكرمليين (رَ : الرهبانيات) . وقد وضع لهم القديس ألبرتس ، بطريرك القدس ، سنة ١٢٠٨ ـ ١٢٠٩م ، قانوناً يسيرون عليه في عكوفهم على الصلاة والعمل والدرس في خطى النبي إلياس وإكراماً لمريم العذراء * . وتوالى البابوات في الموافقة على هذا القانون مع إجراء بعض التعديلات .

وبعد سنة ١٢٣٨م ، انتقلت الرهبانية إلى رومة حيث أُسس فرع للنساء عام ١٤٠٠م . وانتشرت الرهبانية حول البحر المتوسط ، وفي سائر الأرض . ومنذ عام ١٥٦٢م قامت القديسة الإسبانية تريزيا الأفيلية (١٥١٥ ـ ١٥٨٢م) والقديس يوحنا الصليبي ، وهو إسباني أيضاً ، بإصلاح جذري للرهبانية .

وللرهبانية النسائية اليوم ما لا يقل عن ٦٠٠ دير محصّن في العالم ينقطع أهلها إلى الحياة الصوفية . وقد نشأ إلى جانب هذه الأديار فروع نسائية أخرى تستلهم مسيرتها من روحانية الكرمل ، وتُعنى بالمدارس والمستشفيات والأعمال الخيرية .

وللرهبان الكرمليين أديار في الشرق منذ القرن السابع عشر ، في حلب ، وبغداد ، وماردين ، وحيفا * ، وبشرّي ، وطرابلس ، والقبيّات (لبنان) . أما عودتهم إلى الكرمل فكانت سنة ١٦٣١م .

وللكرمليات المحصنات أربعة أديار في فلسطين : في القدس * (منذ سنة ١٨٧٤) ، وبيت لحم * (١٨٧٥) ، وحيفا (١٨٩٢) ، والناصرة * (١٩١٠) .

وقد عمل أحد قديسي الرهبانية ، ويدعى سيمون ستوك ، في منتصف القرن الثالث عشر على نشر ما يسمى بثوب الكرمل ، غرضه أن يحظى لابسوه بحماية مريم العذراء الخصوصية .

المراجع :

— **Catholicisme,** V.11, Paris 1949.
— **Dictionnaire de Spiritualité,** V.II, Paris 1963.
— **Encicl. Cattolica,** V.III, Roma 1949.
— Hoade, A.: **Guide to the Holy Land,** Jerusalem 1979.

الإدارة :

أ ـ مقدمة : كانت سورية عامة ، وفلسطين خاصة، تتألف في العصور القديمة من جماعات صغيرة من ممالك ـ مدن مستقلة ، سواء في عهد العموريين * أو الكنعانيين * . ولم تتبدل الأوضاع بعد استيلاء الحثيين * والمصريين (رَ : الفراعنة) على أجزاء كبيرة من هذه البلاد التي كانوا يسيطرون عليها عسكرياً من مراكز حصينة ويتركون إدارة شؤونها الداخلية لحكام محليين تابعين لهم .

وقد ظلّت هذه البلاد مقسمة إلى دويلات صغيرة في عهد الآراميين والعبرانيين . وكذلك كان الأمر في عهد الأشوريين (رَ : أشور) والكلدانيين الذي لم تنقطع فيه الحروب والثورات .

ب ـ التقسيمات الإدارية في عهد الفرس والرومان والبيزنطيين :

١) أيام الفرس (القرن ٦ ـ ٥ ق.م.) : تمتعت سورية ، وفلسطين ضمنها ، بفترة من السلام والازدهار تحت الحكم الفارسي (رَ: البارثيون) بفضل الإصلاحات التي قام بها « داريوس * » . فقد دمج هذا الملك الكبير كل سورية وفلسطين وقبرص في ولاية واحدة ، هي الخامسة بين ولايات المملكة . وقد أطلق عليها اسم « عبر نهرا = ماوراء النهر » أي البلاد الواقعة غربي نهر الفرات ، وجعل دمشق عاصمة لها وقسمها إلى ألوية أو « مرزبانات » . وقد منح هذه المقاطعات والمناطق قسطاً من الحكم الذاتي ـ المحلي مع إخضاعها إلى مراقبة مركزية ، فكان يحرص على تعيين حكّام من أهل البلاد ، ولكنه كان يرفقهم بمستشارين ، ويكثر من إرسال المفتشين الفرس للإشراف على الحالة . ويرجع الفضل إلى « داريوس » في إنشاء شبكة ممتازة من الطرق لتسهيل الحركة التجارية ، وفي وضع القوانين الحقوقية والأنظمة النقدية اللازمة . وتدل الأخبار المأثورة على أن الإمبراطورية الأخمينية كانت تفوق كل الدول القديمة في حسن الإدارة وانتظام الحكم ، ولذلك لم تحدث أية ثورات في البلاد ضد الفرس خلال القرنين السادس والخامس قبل الميلاد (رَ : الأخمينيون) .

أما التقسيمات الإدارية من ألوية ومقاطعات في سورية وفلسطين فكانت كما يلي :

(١) حماة	(٢) أرواد	(٣) طرابلس	(٤) جبيل
(٥) ماسياس	(٦) صيدا	(٧) صور	(٨) دمشق
(٩) حوران	(١٠) قرنايم	(١١) الجليل	(١٢) جلعاد
(١٣) السامرة	(١٤) دور	(١٥) عمون	(١٦) مآب
(١٧) يهودا	(١٨) إيدوميا	(١٩) أسدود	(٢٠) النقب

(٢١) الحديقة الملكية (للصيد) .

٢) العهد الهلنستي : بعد الإسكندر المقدوني * احتدمت الخلافات بين خلفائه البطالمة * والسلوقيين * في مصر وسورية وفلسطين فأصبحت هذه البلاد مسرحاً للحروب باستمرار . على أن أهمية هذا العهد ترجع إلى انتشار الحضارة الهلنستية خلاله ، فقد تأسس عدد كبير من المدن اليونانية الجديدة ، وانقلب كثير من المدن القديمة إلى مراكز ثقافية يونانية . وكانت كل واحدة من هذه المدن ، أو كلّ مجموعة متحالفة منها تؤلف دويلة مستقلة ، مثل تحالف المدن العشر (ديكابوليس *) أو مدن بيلا ، واليوثيروبوليس (بيت جبرين) ، وجرش ، وبطلمايس (عكا) ، وفيلادلفيا (عمّان) ، وسكيثوبوليس (بيسان) ، ونيابوليس (نابلس) .

وقد اتخذ السلوقيون مدينة أنطاكية عاصمة لسورية وفلسطين وتجلّت النزعة الاستقلالية لدى الجماعات المحلية أيضاً ، فقام اليهود بالثورة بزعامة « المكابيين » ، وأخذوا يحاربون أنصار الحضارة الهلنستية من اليهود وسائر السكان من غير اليهود مثل الأدوميين * واليطوريين * .

وفي الوقت نفسه برز الأنباط * العرب الذين انتزعوا « سورية المجوفة » من أيدي السلوقيين حوالي سنة ٨٥ ق.م. وفرضوا حمايتهم على دمشق مدة من الزمن .

٣) في أيام الرومان : استمرت الحضارة الهلنستية في سورية وفلسطين بعد استيلاء الرومان على البلاد في سنة ٦٤ ق. م. إذ أصبحت (ولاية إمبراطورية) تابعة للإمبراطور نفسه يعهد بإدارتها إلى نائب عنه برتبة قنصل ، وتحت إمرته قوة عسكرية مؤلفة من أربع فرق ، وتساعده هيئة من الموظفين تعنى خاصة بجباية الضرائب (رَ: العصر الروماني) .

كذلك احتفظت الجماعات المحلية في عهد الرومان بنظام الحكم الذاتي ، فكان هناك آراميون يسيطرون على شؤونهم الداخلية ، وكان هناك أعراب بدو يخضعون لنظام قبلي ، في حين كان لليهود رئيس طائفة تعينه الطبقات الأرستقراطية .

وقد اهتم الرومان بتأمين حدود سورية وفلسطين وحمايتها من هجمات الفرس وغزوات القبائل البدوية . فأنشأ الإمبراطور « تراجان » في سنة ١٠٥ م « الولاية العربية » التي تضم البتراء * وفلسطين وسورية ، وأقام سلسلة من المراكز الحصينة على طول حدود الصحراء ، ورصف الطريق العسكرية التي تربط مدن دجلة

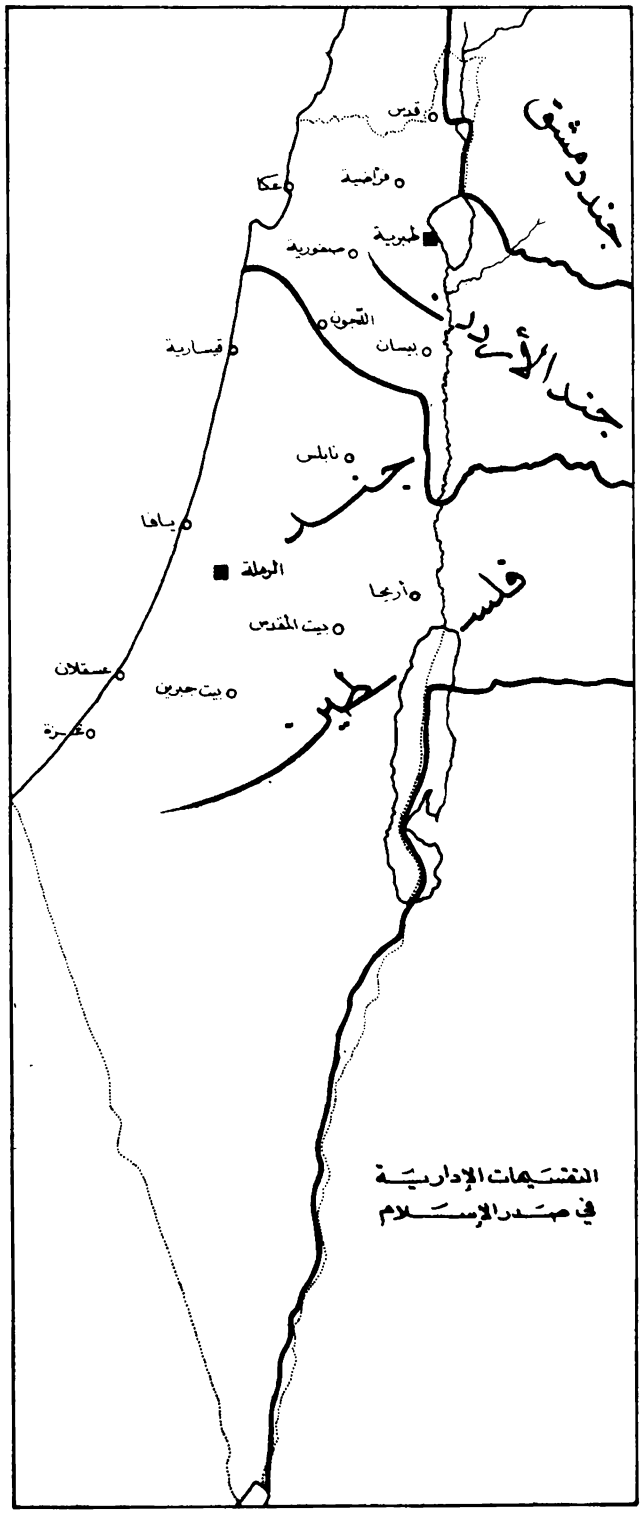

والفرات بمدن البحر المتوسط مروراً بتدمر ، ثم تمتد من دمشق إلى حوران (جلعاد) ، ومنها إلى مآب حتى تتصل بطريق القوافل إلى الجزيرة العربية .

٤) في العهد البيزنطي : كانت سورية في العهد البيزنطي (رَ : البيزنطيين) تقسم إلى عدة مقاطعات هي :

(١) ولاية سورية الأولى ، ومركزها أنطاكية ، وتتبعها مدن سلوقية وولاية اللاذقية وجبلة .

(٢) سورية الثانية ، ومركزها آفامية ، ومن مدنها ابيفانية (حماة) واريتوزة (الرستن) ولاريسة (شيزر) .

(٣) فينيقية الأولى ، ومركزها صور ومن مدنها بطلمايس (عكا) وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

(٤) فينيقية الثانية ، ومركزها حمص ، وتضم مدن دمشق وهليوبوليس (بعلبك) وتدمر .

(٥) فلسطين ، وقد قسمت أجزاء ثلاثة :

ـ فلسطين الأولى ، ومركزها قيسارية * ، ومن مدنها أورشليم ونيابوليس (نابلس) وجوبا (يافا) ، وغزة * ، وعسقلان .

ـ فلسطين الثانية ، ومركزها سيكثوبوليس (بيسان) ، ومن مدنها جدرة ، وطبرية * .

ـ فلسطين الثالثة المؤلفة من الولاية العربية ومركزها البتراء .

وكانت هناك في مناطق الحدود وحدات عسكرية سميت « البنود *Thema* » أنشأها « هرقل » لتستوطن البلاد وتؤلف جيشاً شعبياً دائماً .

هذه الأوضاع كلها تغيرت بعد الفتح الإسلامي وتقسيم البلاد إلى أجناد حسب مقتضيات الحركات العسكرية في بادىء الأمر .

جـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد الإسلامي : يرتبط ظهور التقسيمات الإدارية في دولة الإسلام بعصر الفتوح ، فقد اتسعت رقعة الدولة بعد أن انضمت إليها أقطار وبلدان قبلت سيادة الدولة الإسلامية نتيجة أعمال عسكرية ، أو بتوقيعها على معاهدات صلح وولاء . وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب * بلغت الفتوحات أوجها ، فأوجد عمر ما سمي بالأمصار ، وهي الأقسام الإدارية التي اتسمت بالطابع العسكري ، والتي بلغ عددها وفق ما ذهب إليه معظم المؤرخين سبعة ، ولكنهم اختلفوا في تسميتها . وكانت الشام بين أمصار الدولة السبعة زمن ابن الخطاب ، وفلسطين جزء منها . ويبدو أن استعمال كلمة « مصر » زمن الخليفة عمر كان مقتصراً على الأماكن السبعة التي اتخذها العرب قواعد عسكرية يقومون منها بحملاتهم الحربية وفتوحهم ، وجعلوها مراكز لإدارة البلاد والأقاليم التي يفتحونها . وقد غلب الطابع العسكري على هذه الأمصار طوال القرن الهجري الأول . وكانت الأمصار ، على سعة رقعتها الإدارية ، تتبع الخلفاء الذين كانوا يقيمون في المدينة المنورة أولاً ، ثم في دمشق بعد ذلك ، وتخضع لسلطانهم التشريعي والإداري .

لمّا آل أمر الدولة إلى بني أمية كانت الشام من أهم أمصار دولة الإسلام . وكانت الشام في عرفهم المصر الذي يحدّه بحر الروم من الغرب ، والبادية الممتدة من أيلة إلى الفرات شرقاً، وآخر حدودها مما يلي مصر رفح * ، ومما يلي الروم الثغور . وبهذا التعريف تكون فلسطين ضمن مِصْرِ الشام (رَ : العصر الأموي) .

وهذا التعريف للشام ، وبضمنها فلسطين ، متفق عليه بين الجغرافيين العرب قاطبة ، وما كان من خلاف بين هؤلاء الجغرافيين يتعلق فقط بموضوع الثغور ، التي اصطلح على تسمية بعضها باسم ثغور الشام ، وبعضها الآخر ثغور الفرات ، مما لا علاقة له بهذا البحث .

ويرتكز هذا التحديد الجغرافي الإسلامي للشام ، وبضمنها فلسطين ، على ما كانت عليه الحال إبّان الحكم البيزنطي لسورية قبل الفتح . وحين آل الأمر إلى المسلمين جعلتهم حاجات الفتح والإدارة يغيّرون في التقسيمات بما يتناسب مع مراحل الفتح أولاً ، ثم مع حاجات الدولة الطارئة بعد ذلك . ففي المصادر مثلاً ما يشير إلى أن عمر بن الخطاب في مراحل الفتح الأولى وقبل أن تستسلم له القدس * قسّم فلسطين إلى نصفين : نصف مع أهل إيلياء ، ونصف مع أهل الرملة ، وعيّن على كل نصف حاكماً يصرف شؤونه الإدارية والعسكرية والمالية .

وبعد أن مضت عملية الفتح قدماً وجد عمر بن الخطاب أن طبيعة البلاد والضرورات الإدارية والعسكرية ، بالإضافة الى انتشار القبائل وتنظيم توطينها ، توجب تقسيم الشام إلى أقسام إدارية وعسكرية أصغر دعاها « الأجناد » . وكانت أجناد الشام زمن عمر أربعة هي : حمص ودمشق والأردن وفلسطين . وقد استقرت في هذه الأجناد فرق من الجيش الإسلامي لحمايتها . وفي نظام الأجناد هذا شبه كبير بنظام البنود البيزنطي . وقد أشار المسعودي إلى هذا التشابه بين البنود البيزنطية والأجناد الإسلامية فقال : " أرض الروم واسعة في الطول والعرض ، آخذة في الشمال بين المشرق والمغرب ، مقسومة في قديم الزمن على أربعة عشر قسماً مفردة تسمى البنود ، كما يقال أجناد الشام ، كجند فلسطين وجند الأردن وجند حمص ، غير أن بنود الروم أوسع من هذه الأجناد " .

وطبيعي أن عمر بن الخطاب لم يقسم الشام إلى هذه الأجناد لأنها كانت كذلك زمن الروم البيزنطيين ولكن لأن الضرورات العسكرية هي التي أوجبت هذا التقسيم . كذلك يلاحظ أن كل مراكز الأجناد في العصر الإسلامي كانت من المدن الداخلية كحمص ودمشق وطبرية واللد * ، في حين كانت أهم مراكز الأجناد إبّان

الحكم البيزنطي هي المدن الساحلية كأنطاكية وصور وقيسارية ، وذلك لأن العرب كانوا يعتمدون على القوات البرية في حين أن البيزنطيين كانوا يعتمدون في دفاعهم على الأسطول أكثر من القوات البرية .

وفي العصر الأموي * انقسمت الشام إلى خمسة أجناد هي : جند دمشق وجند حمص وجند فلسطين وجند الأردن وجند قنسّرين .

أما جند فلسطين فكان على ما يذكر الإصطخري في « المسالك والممالك» أول أجناد الشام مما يلي المغرب ، وبينه وبين جند الأردن ثلاث مراحل ، وكانت قصبته مدينة اللد " ولم تزل على هذا الشأن إلى أن ولّى الوليد بن عبد الملك * أخاه سليمان * جند فلسطين . . فأحدث مدينة الرملة * ومصّرها واختط مسجدها . . فصارت القصبة ، وخربت اللد " . ومن كور فلسطين إيلياء ، وهي بيت المقدس ، وكورة اللد ، ونابلس * ، وعمواس * ، وسبسطية * وبيت جبرين * . أما مدن فلسطين الساحلية فهي قيسارية وهي مدينة الساحل وكانت من أمنع مدن فلسطين ، وهي آخر ما افتتح من مدن البلد ، افتتحها معاوية بن أبي سفيان * في خلافة عمر بن الخطاب ، ويافا * وعسقلان وغزة * . ويذكر صاحب « الأعلاق الخطيرة » أن عسقلان لم تزل في يد من يلي فلسطين إلى أن صارت في أيدي المصريين . ويعتبر الجغرافيون العرب مدينة نابلس من أقدم مدن فلسطين ، وفيها الجبلان المقدسان ، وبها أخلاط من العرب والعجم والسامرة . وآخر مدينة من مدن فلسطين مما يلي جفار مصر مدينة غزة التي بها قبر هاشم بن عبد مناف . وأهل جند فلسطين عموماً أخلاط من العرب من لخم * وجذام * وعاملة * وكندة * وقيس * وكنانة .

وقد استمرت فلسطين جنداً مستقلاً من أجناد بلاد الشام حتى كانت خلافة بني العباس الذين لم يغيروا التنظيم الإداري الذي وجدوا عليه فلسطين قبلهم في العصر الأموي . وكل ما في الأمر أن كلمة الجند التي كانت تستعمل لتقسيمات الشام الإدارية تحولت بالتدريج إلى كلمة « ولاية » . وكانت فلسطين تتبع ولاية الشام في مطلع الحكم العباسي ، ثم ما لبثت بعد عهد أبي العباس السفاح أن سلخت عنها ، وجعلت ولاية مستقلة مركزها الرملة ، وتمتد من اللجون حتى رفح ، وتقسم إلى اثنتي عشرة كورة ، هي الرملة ، وإيلياء - عمواس ، ولد * ، ويبنى * ، ويافا ، وقيسارية ، ونابلس ، وسبسطية ، وعسقلان غزة ، وبيت جبرين . أما ولاية الأردن فمركزها طبرية وتمتد من صور وعكا إلى البلقاء حتى أيلة على خليج العقبة * ، وفيها ثلاث عشرة كورة هي طبرية والسامرة وبيسان * وفحل وجرش وبيت راس وجدر وآبل وسوسية وصفورية وعكا وقدس وصور .

ويمكن القول إن بلاد الشام لم تجمع خلال دولة بني العباس تحت حكم وال واحد إلاّ في القليل النادر ، وكان يعين في أغلب الأحيان وال لكل جند من أجنادها ، ومن بينها فلسطين (رَ : العصر العباسي) . وكان في أحيان كثيرة يجمع لوال واحد إدارة أكثر من جند . ومما يؤكد أن أجناد الشام وكورها وقصباتها لم تجمع لوال واحد زمن بني العباس ، أو من حكم باسمهم فيما بعد ، أن المصادر حين تتحدث عن موارد الدولة تتحدث عن ارتفاقات كل قصبة على حدة مما يدل على استقلال إدارتها .

وقد جرت في بلاد الشام بعامة ، وفي فلسطين بخاصة ، خلال العصر العباسي * ، عمليات نقل سكان أكثر من مرّة ، وذلك بسبب الثورات التي كانت تنشب فيها . وفي إحدى هذه العمليات نقلت قبيلة لخم من موقعها في فلسطين إلى جبل لبنان . كما تكرر هذا الأمر بالنسبة إلى قبائل أخرى في فترات تالية .

وحين حلّ الضعف بالدولة العباسية ونجمت فيها بدعة استقلال الأمراء والولاة بأقاليم الدولة التي كانوا يتولون حكمها ، دخلت بلاد الشام ، وبضمنها فلسطين ، في هذه الدوّامة ، وأخذت تتبع إدارياً الدويلات والإمارات التي تقيم نفوذها على أنقاض سلطان بني العباس .

ففي زمن الدولة الأخشيدية مثلاً عادت فلسطين ، بجميع كورها وقصباتها ، وحدة إدارية ، إذ تذكر المصادر أنها عقدت لنواب كافور بخمسمائة ألف دينار ، وكذلك جند دمشق (رَ : الأخشيديين) .

د - النظام الإداري في عهد المماليك : كانت منطقة فلسطين زمن المماليك * هي القسم الجنوبي من بلاد الشام . وقد قسم المماليك بلاد الشام إلى وحدات إدارية عرفت الواحدة منها باسم « نيابة » ، وكان نصيب فلسطين ثلاث نيابات هي : نيابة صفد ، ونيابة غزة ، ونيابة القدس .

١) نيابة صفد : ظهرت أيام السلطان الملك الظاهر بيبرس * البندقداري (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ / ١٢٥٩ - ١٢٧٧م) ، عقب الانتهاء من تحريرها من الصليبيين عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٦م . وقد امتدت حدودها من منطقة نهر الليطاني شمالاً إلى منطقة الغور جنوباً، ومن منطقة الملاحة الفاصلة بين بلاد الشقيف وحولة بانياس شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً .

ضمت هذه النيابة أحد عشر عملاً ، هي : برّ صفد (أي ضواحي مدينة صفد) ، والناصرة * ، وطبرية ، وتبنين وهونين ،

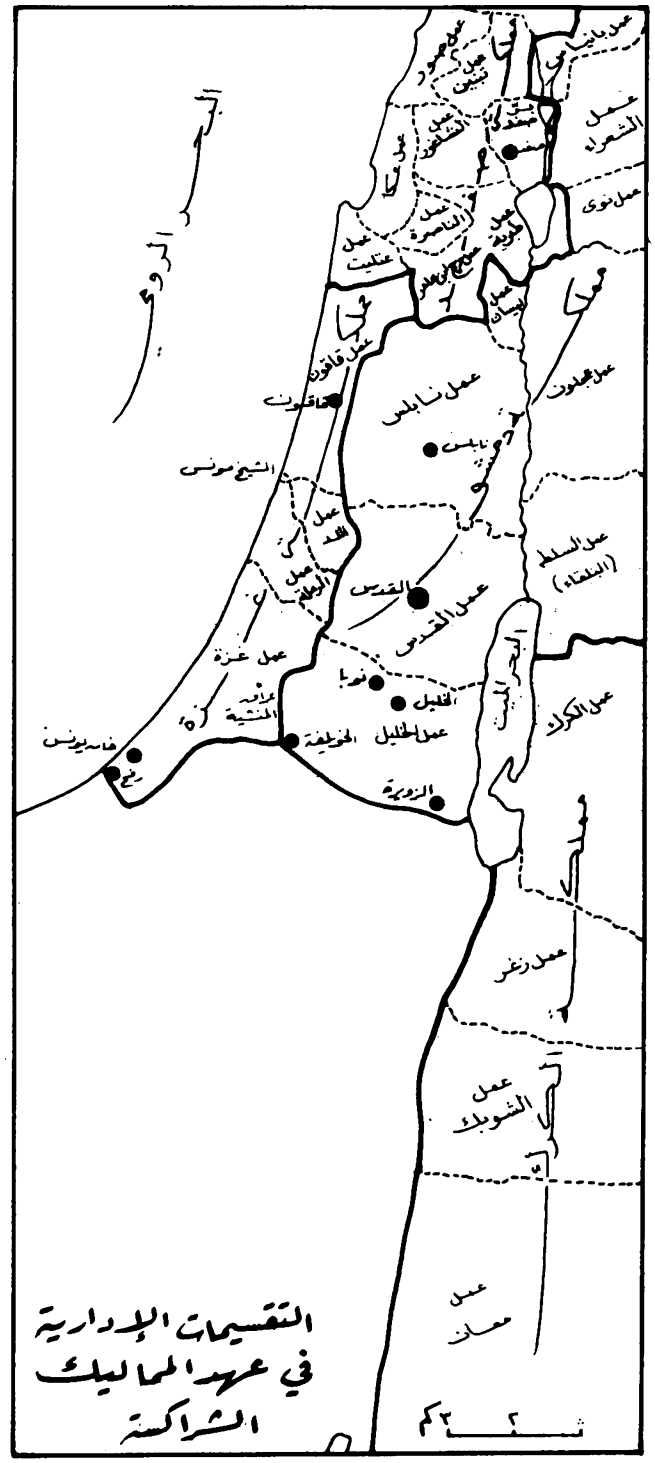

وعثليت ، وعكا، وصور ، والشاغور ، والإقليم ، والشقيف ، وجنين .

٢) نيابة غزة : ظهرت إبّان سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون* الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١هـ / ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م) ، وذلك عام ٧١١هـ / ١٣١١م . وتأتي في الأهمية والحجم بعد نيابة صفد .

أما حدودها فيمكن تقسيمها إلى قسمين : الأول حدود ثابتة تشمل مدينة غزة وقراها ، وتمتد من قرية يبنى شمالاً إلى خط البريد الواصل بين السكرية ورفح جنوباً ، ومن قرية عجور* شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً . والثاني حدود غير ثابتة ، تتجاوز فيها أحياناً حدود القسم الأول إلى المناطق المجاورة مثل القدس والخليل* ونابلس وقاقون* ولدّ والرملة . وكان هذا المد والجزر في حدود الولاية راجعاً إلى مقدار قوة نائب السلطنة في نيابة غزة .

٣) نيابة القدس : استحدثت هذه النيابة عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م أيام السلطان الملك الأشرف أبي المعالي (٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ ـ ١٣٧٦م) ، وشملت منطقتي القدس والخليل .

ضمّت كل نيابة من النيابات الثلاث نائباً للسلطنة تحت إمرته عدد من الموظفين من الأصناف الثلاثة التي كانت سائدة في التصنيف الإداري المملوكي : أرباب السيوف ، وأرباب الأقلام ، والموظفين الدينيين (رَ : المماليك) .

هـ ـ التقسيمات الإدارية في العهد العثماني : لمّا انتصر العثمانيون على المماليك في مرج دابق (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) واحتلوا فلسطين ، وأزالوا دولتهم من قاعدتها الرئيسة في مصر في العام التالي، عيّن السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) جان بردي الغزالي* (من القادة المماليك الذين ساعدوا السلطان على احتلال البلاد) والياً على دمشق ، وجعل جميع سورية الجنوبية ، وفيها فلسطين ، تحت نفوذه .

أبقى السلطان العثماني التقسيمات الإدارية على ما كانت عليه أيام المماليك ، ولم يحدث فيها تغييراً ، عدا اتخاذ الوحدة الإدارية العثمانية : السنجق (اللواء) أساساً للتقسيم بدلاً من الوحدة الإدارية المملوكية : النيابة ، وعدا رفع شأن بعض المدن ومن بينها القدس ، بتحويلها مراكز إدارية ، وتعيين حكّام أتراك عليها من درجة « بكوات » .

وبعد حركة التمرد الفاشلة التي قام بها جان بردي الغزالي في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) وضع نظام جديد لإدارة بلاد الشام هدفه تقوية السلطة العثمانية ، وقسّمت بلاد الشام ثلاث باشويات أو إيالات (ولايات) هي : إيالة دمشق ، وإيالة حلب ، وإيالة طرابلس . وقد ألحقت بكل إيالة من هذه الإيالات الثلاث وحدات إدارية كثيرة اسمها « سناجق » . وقد كانت سناجق نابلس وغزة والقدس واللجون* وصفد* الفلسطينية تتبع إيالة دمشق . ووضعت كل إيالة تحت سلطة « بكلربك » أي زعيم ، ووضعت الوحدات الإدارية الملحقة بالإيالة تحت سلطة أحد البكوات .

وكانت المنطقة التي مركزها جنين* ذات وضع خاص ، فقد

أقطعها العثمانيون آل طراباي * ، وهم من أمراء البدو ، وصار يطلق على المنطقة اسم « إقطاع آل طراباي » . لكن السلطات العثمانية عمدت إلى تصفية هذا الإقطاع وإلحاقه بسنجق اللجون بعد أن ثارت القلاقل في هذه المنطقة في الربع الأخير من القرن السادس عشر الميلادي .

ظلّ التقسيم الإداري لبلاد الشام إلى ثلاث إيالات قائماً حتى سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م حين أحدثت إيالة صيدا لمراقبة الإقطاعات المسلحة في جبل لبنان . وتكوّنت الإيالة الجديدة من أجزاء من إيالتي طرابلس ودمشق ، من بينها صفد .

ويعني ما مضى أن فلسطين كلها (ما عرف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى) كانت في مطلع القرن الثامن عشر تابعة لإيالة دمشق (الشام) ، وأنها لم تكوّن وحدة إدارية مستقلة بذاتها ، ثم أصبح بعضها تابعاً لإيالة صيدا (ولاية بيروت فيما بعد) وبعضها الآخر تابعاً لولاية سورية ، إلى جانب لواء القدس الذي غدا فيما بعد متصرفية القدس . وقد عمد العثمانيون إلى تصفية سنجق اللجون تركيزاً للسلطة في هذه المنطقة القبلية . وقد نقل مركز إيالة صيدا عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٧م من صيدا إلى عكا . وظلّ الأمر على هذه الحال حتى احتلال إبراهيم باشا بلاد الشام عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .

أصبح لواء القدس في الثلث الأول من القرن التاسع عشر تابعاً لإيالة صيدا ، وكان والي صيدا يوجّه المتسلمين إلى مدن اللواء ، مثل القدس وغزة ويافا . وقد استقلّ هؤلاء المتسلمون ، رغم ذلك ، بتصريف أمور متسلمياتهم ، وكانت لهم سلطات واسعة . ويدل هذا على ضعف الوحدة الإدارية للواء القدس .

وكان قرار السلطان العثماني إحالة الأجزاء الجنوبية من بلاد الشام المتاخمة لمصر إلى عهدة والي صيدا كي يواجه تهديد محمد علي والي مصر ، ولكن ذلك لم يحل دون سقوط بلاد الشام في قبضة والي مصر .

ألغى الحكم المصري لبلاد الشام (١٨٣١م - ١٨٤٠م) التقسيمات الإدارية العثمانية السابقة ، وأصبحت بلاد الشام في عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م وحدة إدارية واحدة يديرها حاكم عام (حكمدار) مقره دمشق مرتبط بإبراهيم باشا ابن محمد علي ، وعيّن إبراهيم باشا * متسلمين من أبناء البلاد ، في حين ظلّ هو ممسكاً بزمام السلطتين المدنية والعسكرية معاً . وقد استثني من ذلك جبل لبنان فقط فوضعت إدارته تحت إشراف الأمير بشير الشهابي الثاني * .

لم تستمر هذه الوحدة الإدارية طويلاً ، واضطر الحكم المصري ، بسبب اضطراب الأمن وبتأثير الثورات ، إلى إعادة التشكيلات الإدارية العثمانية ، وغدت بلاد الشام مؤلفة من ست إيالات ، بعد أن ظهرت للوجود إيالة يافا التي تبعتها عكا (بعد فصلها عن إيالة صيدا) والقدس . ولعل اختيار الحكم المصري يافا مركزاً للإيالة الجديدة بدلاً من القدس يرجع إلى عدم استقرار

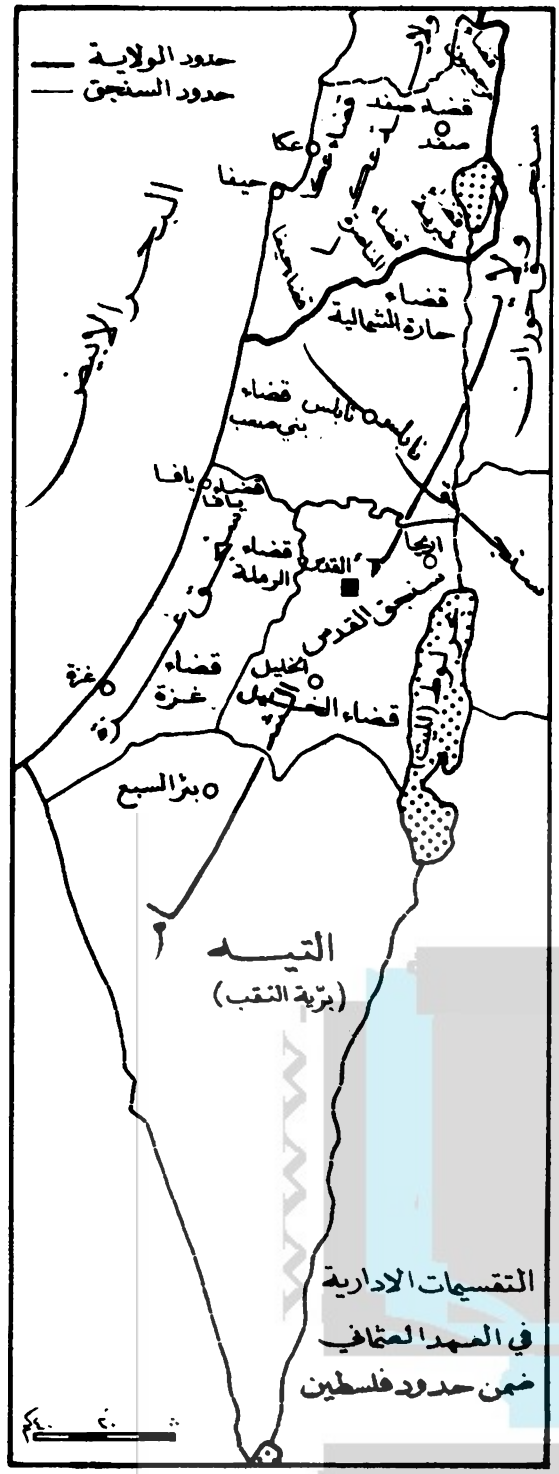

الأحوال في المدن الداخلية ، وإلى وجود أسطول مصري قوي في شرق البحر المتوسط .

ولمّا عاد العثمانيون إلى الحكم في بلاد الشام عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م أرجعوا تقسيماتهم الإدارية ، وربطوا لواء القدس بإيالة صيدا . ولم يكن الوضع الإداري في بلاد الشام مستقراً في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فكثرت التغييرات فيه ، لكن لواء القدس بأقضيته السبعة ظلّ تابعاً لإيالة صيدا ، كذلك لواء عكا بأقضيته الأحد عشر ، ولواء البلقاء (نابلس) الذي استحدث عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م وكان يتبعه تسعة أقضية .

أصدرت الدولة العثمانية في عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م نظام إدارة الولايات الجديد . وقد قسّمت البلاد العثمانية بموجبه إلى ثلاثين ولاية ، تتألف كل واحدة منها من ألوية يترأسها متصرفون ، وتتألف الألوية من أقضية يترأسها قائمقامون ، وتتألف الأقضية من نواح يترأسها مديرو نواح .

قسّمت بلاد الشام ولايتين هما : ولاية سورية وولاية حلب . وقد ضمّت إيالة صيدا، وفيها ألوية القدس وعكا والبلقاء، إلى ولاية سورية . ولمّا أنشئت ولاية بيروت عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م فصل لواء عكا والبلقاء وثلاثة ألوية أخرى عن ولاية سورية لتكوين الولاية الجديدة .

وكان يقوم على رأس كل لواء من الألوية الثلاثة في فلسطين متصرف يدير شؤونه ، ويشرف على تنفيذ أوامر الدولة ، ويتولى أمور الضابطة (الشرطة) ، وله حق تعيين مواعيد اجتماع مجالس النواحي والأقضية ، والتفتيش في جميع أنحاء المتصرفية .

وفي كل لواء «مكتوبجي» يحرر المعاملات الإدارية ويحافظ على القيود الرسمية ، وينشر أوامر الحكومة . وكان إلى جانبه في الجهاز الإداري للواء مدير للمعارف ، ومدير للأمور الأجنبية ، ومدير للزراعة والتجارة ، ومحاسب ، ومدير للأوقاف ، ومدير لقوة الأمن ، ومدير للنافعة مسؤول عن الطرق والمعابر ، ومدير للدفتر الخاقاني (الطابو) . وقد حرصت الدولة على أن تتوفر في موظفي « الطابو » العفة والاستقامة ، لكن عدداً منهم فتنتهم الرشاوي التي كانت تغدقها عليهم الجهات الصهيونية في فلسطين فتصرفوا بالأراضي ، ونقلوا الملكية ، وباعوا بيوعاً غير قانونية . لذلك كثيراً ما كان بعضهم ينقل ، أو يعزل ويحاكم لما جنى .

أما الجهاز الإداري في القضاء فقد تألف من القائمقام ، ومدير المال ، ومن موظفين من مختلف الاختصاصات . وتألف في الناحية من مدير الناحية وفي القرية من المختار .

وكان لكل متصرفية « مجلس إدارة المتصرفية » الذي ضم بالإضافة إلى المتصرف والمديرين المسؤولين في المتصرفية عضوين منتخبين من المسلمين ، وعضواً منتخباً من كل طائفة من الطوائف الأربع الأرثوذكس واللاتين والأرمن واليهود . ومهمة هذا المجلس تنظيم مختلف أمور المتصرفية واتخاذ القرارات بشأنها والنظر في كل ما له صلة بالإدارة المحلية . وكان مجلس إدارة متصرفية القدس يسمى « مجلس القدس الكبير » .

ولكل قضاء « مجلس إدارة القضاء » ، ولكل ناحية « مجلس إدارة الناحية » وفي القرية « مجلس اختيارية القرية » .

لم تكن هذه المجالس كلها ذات نفع كبير بسبب سيطرة السلطة التنفيذية عليها ، أو بسبب احتكار العائلات الغنية لعضويتها .

وكان من سياسة الدولة العثمانية فصل بعض الألوية عن الولايات وتسميتها متصرفيات وربطها بالعاصمة ربطاً مباشراً للوقوف على أحوالها والإسراع في إنجاز معاملاتها نظراً لأهمية اللواء الجغرافية ، أو لمواجهة التدخل الأجنبي ، أو لطبيعة التكوين الاجتماعي لسكانه . لهذا أولت الدولة العثمانية لواء القدس اهتماماً خاصاً بعد أن رأت كثرة أعداد الزائرين الأجانب للقدس ، ولمست اهتمام الدول الأجنبية بالمدينة وتدخلهم في شؤونها وفصلته عن ولاية سورية ، وأعلنته متصرفية مستقلة باسم « قدس شريف متصرفلغي إدارة مستقلة » في عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٤م .

وقد حافظت متصرفية القدس على وحدتها الإدارية حتى نهاية العهد العثماني ، فيما عدا السنوات التي ألحق بها قضاء الناصرة بعد فصله عن لواء عكا (١٣٢٥ ـ ١٣٢٨هـ / ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩م) . وضمّت المتصرفية أقضية القدس ويافا وغزة والخليل . وفي عام ١٣٢٨هـ / ١٩٠٩م أنشىء قضاء بير السبع ، وكان من قبل جزءاً من قضاء غزة .

وكان متصرف القدس ذا نفوذ في لواء نابلس ، على الرغم من انفصال هذا اللواء إدارياً عن القدس وإلحاقه بوالي صيدا أو بوالي الشام . حتى إن الحكومة المركزية ألحقت لواء نابلس بمتصرفية القدس أكثر من مرّة . ويعود ذلك إلى قوة مركز ورتبة متصرف القدس الذي كان في الغالب من الموظفين الأتراك .

مارس متصرف القدس سلطات الوالي في جميع الأمور ، وكان يرفع الأوراق المتعلقة بقضايا المتصرفية إلى الباب العالي في استانبول مباشرة ، في حين كان متصرفا لواءي نابلس وعكا تابعين لولاية سورية ثم لولاية بيروت . وكان متصرفو القدس أيام السلطان عبد الحميد * من الموظفين الكبار في قصر يلدز حتى يمكن للسلطان الاعتماد عليهم في مواجهة تيار الهجرة الصهيونية المتدفق إلى فلسطين آنذاك ، وفي مواجهة الضغوط الأجنبية المختلفة (ر : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

وقد ضمّت متصرفية القدس المستقلة في أواخر العهد العثماني

أقضية يافا وغزة والخليل وبير السبع . في حين ضمّ لواء عكا الذي كان يتبع آنذاك ولاية بيروت أقضية حيفا وصفد والناصرة وطبرية . أما لواء البلقاء الذي كان مركزه نابلس فقد كان يتبع ولاية بيروت ، وضمّ أقضية جنين وبني صعب وجماعين والسلط .

و ـ النظام الإداري في عهد الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٨ ـ ١٩٢٠) : أتمت القوّات البريطانية ، بقيادة الجنرال اللنبي ، احتلال فلسطين ووضعت تحت الإدارة العسكرية المباشرة في تشرين الأول ١٩١٨ . والقاعدة الدولية التي يجب أن يعمل بها المحتل في إدارة المناطق المحتلة هي إقامة « الإدارة العسكرية التي تدير شؤون البلاد، مع المحافظة على أوضاعها قبل الحرب ، إلى أن يتم تقرير مصيرها السياسي » . لكن الاحتلال البريطاني لم يسر على هذه القاعدة ، لأنه قد بيّت النيّة لتنفيذ سياسة مرسومة من قبل ، تهيء فلسطين بالتدريج كي تصبح وطناً قومياً للصهيونيين ، عملاً بما جاء في وعد بلفور * الذي صدر عام ١٩١٧ . لذلك لم تبق الإدارة العسكرية البريطانية المحتلة التقسيمات الإدارية العثمانية ، بل أعادت تقسيم البلاد إلى ثلاثة عشر لواء ، على رأس كل لواء حاكم عسكري بريطاني ، وجميعهم مرتبطون بحاكم عسكري في القدس كان بدوره مرتبطاً بالقيادة العامة للجيش البريطاني في القاهرة . ثم خفض العدد إلى عشرة عام ١٩١٩ . وكان يساعد هؤلاء الحكام العسكريين العشرة ٥٩ ضابطاً معظمهم بريطانيون . وقد تولّوا إلى جانب قضايا الأمن العام مهمات قضائية . ومن الطبيعي أن تستفيد الإدارة العسكرية البريطانية من النظام الإداري العثماني السابق ، وتبقي على معظم الدوائر التي كانت في العهد السابق ، وعلى كثير من الموظفين والمستخدمين . لكنها ذهبت في محاباة الصهيونية إلى حد كبير ، فكان من بين كبار الموظفين ، وجميعهم بريطانيون ، تسعة يهود. ولم يسند إلى أي من العرب مركز تنفيذي كبير . ومن عيّن منهم في مناصب استشارية كان من العرب الذين جاؤوا مع الجيش البريطاني من خارج فلسطين . وعلاوة على ذلك هيّأت هذه الإدارة العسكرية السبيل لقدوم البعثة الصهيونية العالمية برئاسة وايزمن إلى فلسطين في أواخر الحرب العالمية الأولى لإرساء أسس إقامة الوطن القومي . وقد زاد ذلك المخاوف العربية وحرّك الاضطرابات ، وأثار المشاعر العربية ضد هذه الزيارة المقبلة ، مما دفع لويس بولز ، أول حاكم عسكري عام في فلسطين ، إلى إرسال تقرير إلى حكومته ذكر فيه أن ٩٠٪ من سكان فلسطين المسلمين والمسيحيين يعادون الصهيونية بقوة ، وطلب إلغاء زيارة لجنة وايزمن الصهيونية .

ز ـ النظام الإداري في عهد الانتداب : تم الانتقال من الإدارة العسكرية إلى إدارة مدنية سميت « حكومة فلسطين » في تموز ١٩٢٠ . وأصبح الصهيوني البريطاني هربرت صموئيل أول مندوب سام بريطاني في فلسطين ، وعيّن الصهيوني نورمان بنتوتش مستشاراً قضائياً للحكومة ، واستبدل بالعسكريين في المناصب الكبيرة موظفون مدنيون من وزارة المستعمرات البريطانية .

قررت الإدارة الجديدة ، استباقاً لما سيكون عليه صكّ الانتداب * ، أن تتخذ المبادىء التي كان مقدّراً لها أن تعلن فيما بعد . فوضع هيكل جديد للحكومة ، وسنّت تشاريع وأنظمة جديدة ، وخوّل المندوب السامي ، بمساعدة مجلس تنفيذي ، سلطة إصدار القوانين بعد استشارة مجلس استشاري كان في ذلك الحين مؤلفاً من عشرة موظفين وعشرة أعضاء معيّنين ، أربعة منهم مسلمون وثلاثة مسيحيون وثلاثة يهود . وأعلن المندوب السامي أن تلك الخطوة هي الأولى في سبيل الحكم الذاتي ، وأصدر في السنة الأولى زهاء ٣٨ قانوناً ، وفي السنة الثانية ٢٦ قانوناً و ٦ قوانين معدّلة ، واعترف بثلاث لغات رسمية ، قبل أن تقرّ ذلك المادة ٢٢ من صكّ الانتداب .

وبتاريخ ١٩٢٢/٢/٩ نشر مشروع الدستور في فلسطين (القانون الأساسي) الذي وضعته الإدارة المدنية ، ووافقت عليه الحكومة البريطانية بعد التشاور مع ممثلي الحركة الصهيونية دون أخذ رأي اللجنة الإستشارية الإسلامية المسيحية التي ألفت لهذا الغرض . وتضمّن مشروع الدستور إنشاء المجلس التشريعي . وقد استقبل العرب نصوص الدستور باستياء شديد ، وكانت أهم مسببات الاعتراض على هذا الدستور اعترافه بوعد بلفور ، وكون أكثرية الأعضاء في المجلس التشريعي معيّنين لا منتخبين ، وتركيز السلطة في يد المندوب السامي ، ومنحه سلطة مطلقة لنقض أي قانون يقرّه المجلس التشريعي وحقاً في إبطال مواد الدستور وفي الإضافة إليها ، وحرمان الشعب وممثليه من أية سلطة حقيقية ، إدارية كانت أو تشريعية . وطالب الوفد العربي في لندن أن يكون الدستور ضامناً لحقوق الأهالي السياسية والمدنية والاقتصادية وأن يهيّء إنشاء حكومة وطنية مستقلة بمقتضى روح البند الرابع من المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم (رَ : عصبة الأمم) .

أصدر وزير المستعمرات البريطاني تشرشل الكتاب الأبيض في ١٩٢٢/٦/٢٢ لتهدئة مخاوف العرب على شكل بيان رسمي يوضح الأهداف البريطانية في فلسطين ، وأعلن أن الحكومة تعتزم تبني التطور التدريجي نحو الحكم الذاتي بإنشاء مجلس تشريعي أكثرية أعضائه منتخبة على أساس انتخابي واسع ، ويترأس المجلس المندوب السامي ويضمّ اثني عشر عضواً منتخباً وعشرة أعضاء من الموظفين . ووعد وزير المستعمرات أن تمنح فلسطين قسطاً أكبر من الحكم الذاتي ، وأن يتولى المجلس أمر الإشراف على السلطة التنفيذية بعد انقضاء مدة من الزمن تكون خلالها تشكيلات البلاد

قد توطدت وتمكن الموظفون الفلسطينيون من اكتساب الخبرة في أساليب الحكم .

رفض العرب بيان الحكومة ، إذ كان مبنياً على وعد بلفور ، وأصرت اللجنة التنفيذية على إقامة حكومة وطنية مستقلة ودستور يمكّن العرب من الإشراف على شؤونهم الخاصة بصورة كاملة . وهذا ما رفضته الحكومة البريطانية لأنه يحول دون إيفائها بوعد بلفور .

وبتاريخ ١٩٢٢/٧/٢٤ أقرّ مجلس عصبة الأمم صكّ الانتداب ، مخوّلاً في مادته الأولى الدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة ، مؤكداً في مادته الثانية مسؤولية الدولة المنتدبة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي ، معترفاً في مادته الرابعة بالوكالة اليهودية * هيئة عمومية لإسداء المشورة إلى الإدارة ، وللتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي ، وتساعد وتشترك في ترقية البلاد تحت رقابة الإدارة .

ومن خلال الوثائق الثلاث : دستور فلسطين ، والكتاب الأبيض ١٩٢٢ ، ومواد صك الانتداب يمكن رسم صورة للإدارة في فلسطين على النحو التالي :

١) الإدارة المركزية : في قمة الهرم الحكومي يشرف المندوب السامي المدني على تطور الإدارة المدنية . وكان واسطة اتصال المندوب السامي والدوائر المدنية هو السكرتير العام الذي يعتبر الموظف الإداري الأعلى في الحكومة وتشرف دائرته على أعمال بقية الدوائر . وباتساع أعمال الحكومة الأخرى وإيجاد دوائر خاصة اتسعت دائرة السكرتارية اتساعاً كبيراً ، وإن ظلّ يرأسها موظف واحد . وقد اشتملت هذه الدوائر عام ١٩٣٧ على مساعد للسكرتير العام ، وتسعة سكرتيرين مساعدين ، سبعة بريطانيون وواحد يهودي وآخر عربي ، ورئيس كتبة .

أشارت اللجنة الملكية في تقريرها ١٩٣٧ (رَ : لجنة بيل) إلى أنه لم تكن لمعظم السكرتيرين المساعدين خبرة سابقة في الأعمال الإدارية ، كما لم يسبق لموظفي السكرتارية أن كانوا في الألوية . واعترفت اللجنة بوجود شكاوى من الإسراف في المركزية ، فهناك رجوع دائم إلى الحكومة المركزية في مختلف المسائل ، وتدخّل مستمر فيما يجب أن يترك أمر البتّ فيه للموظف المحلي . ووجهت اللجنة النقد إلى النظام الذي يقضي بجعل موظف واحد ، هو السكرتير العام الذي قد لا تكون له خبرة سابقة بالبلاد ، واسطة الاتصال الوحيدة بالمندوب السامي ، وهو نظام غير مرض من وجهة نظر الشعب ورؤساء الدوائر المختلفة وموظفي الألوية .

ولمّا باءت محاولة الحكومة إجراء انتخابات المجلس التشريعي عام ١٩٢٢ بالفشل أوجدت مجلساً استشارياً كان من المفروض أن يتألف من أعضاء من غير الموظفين ، على أسس انتخاب المجلس التشريعي نفسها . لكن الحكومة عدلت عن هذه المحاولة بعد انسحاب الأعضاء العرب العشرة ، وخوّل المندوب السامي عام ١٩٢٣ حقّ تعيين مجلس استشاري يوافق عليه وزير المستعمرات ، ويقتصر على أعضاء من الموظفين فقط ، ويتألف من السكرتير العام ، والنائب العام (وهو المشاور القانوني للحكومة) ، ومدير المالية (وهو الموكل بمسائل المالية والحسابات) ، وعشرة من رؤساء الدوائر ، ومستشار الريّ ، وثلاثة من حكام الألوية . واستخدم المجلس لإعطاء الموافقة الصورية على التشاريع أكثر مما استخدم للاستنارة برأيه .

كان في القدس عدد كبير من الدوائر التي تشرف عليها السكرتارية ، ولكنها بعيدة عنها ، كدوائر الزراعة والآثار القديمة والمعارف والجمارك والمكوس والصحة والأراضي والمساحة والغابات وجمعيات التعاون والمهاجرة والإحصاء والأشغال العامة . وقد وسعت هذه الدوائر على حساب إدارة الألوية .

وقد أقرت اللجنة الملكية في تقريرها بأن صلة هذه الدوائر بإدارة الألوية لم تكن متينة ، إذ مال رؤساء الدوائر إلى الاستئثار بالعمل دون الاستنارة برأي حكام الألوية ، ولم يكونوا مثلاً يطلبون من حكام الألوية أو إلى القائمقامين أن يزوّدوا تلك الدوائر بالمعلومات عن العدد الذي يمكن قبوله من المهاجرين ، أو عن عدد العمّال العاطلين ، أو عن التوسع في أعمال الري .

٢) إدارة الألوية : في عام ١٩٢٠ خفض عدد الألوية العشرة التي كانت في عهد الإدارة العسكرية الى سبعة ، ثم إلى أربعة ، ثم صدر في عام ١٩٢٢ منشور التشكيلات الإدارية (المادة ١١ من مرسوم دستور فلسطين) ، فقسّمت فلسطين إلى ثلاثة ألوية :

(١) لواء القدس : قاعدته القدس ، ويضم أقضية بيت لحم والخليل والقدس وأريحا ورام الله .

(٢) اللواء الشمالي : قاعدته حيفا ، ويضم أقضية عكا وبيسان وجنين ونابلس والناصرة وصفد وطبرية وطولكرم .

(٣) اللواء الجنوبي : قاعدته يافا ، ويضم أقضية بير السبع وغزة ويافا والرملة .

كان يدير شؤون كل لواء مسؤول بريطاني أطلق عليه اسم « حاكم اللواء » ، يستمد سلطته من المندوب السامي ، ويرجع إليه في الأمور الهامة والخطيرة . وكان مركز اللواء هو أهم أو أكبر مدينة فيه ، وفيها مقرّ الحاكم ورجال إدارته .

وقد قسّم كل لواء إلى عدد من الأقضية يترأس الإدارة في كل

منها موظف كبير من أهل البلاد ، أطلق عليه اسم « قائمقام » ، يمثل السلطة الرسمية في القضاء ، ويرجع في الأمور الهامة إلى حاكم اللواء الذي يتبعه .

وفي كل مدينة مجلس بلدي له رئيس ينتخبه سكان المدينة ، ويشرف رئيس البلدية على المرافق والخدمات العامة داخل حدود منطقة البلدية . أما القرى الكبرى فلها مجالس قروية تدير شؤونها . وفي القرى وأحياء المدن أفراد ذوو مناصب شبه رسمية ، وهم « المخاتير » الذين يكوّنون همزات الوصل بين الإدارة المحلية والأهالي .

وجد في فلسطين عام ١٩٣٧ ثلاثة حكام للألوية ، واثنا عشر مساعداً لحكام الألوية كلهم من الموظفين البريطانيين ، وسبعة وثلاثون قائمقاماً .

زيدت ألوية فلسطين إلى ستة ألوية في ١٩٣٩/٧/١ . وهي ألوية : الجليل ، وحيفا ، ونابلس ، والقدس ، واللد ، وغزة . وقد ظلّ هذا التقسيم قائماً حتى نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .

٣) الاستقلال المحلي : جاء في المادة الثانية من صك الانتداب أن على الدولة المنتدبة ضمان ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، ونصّت المادة الثالثة على أن تعمل الدولة المنتدبة على تشجيع الاستقلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف . وكذلك فإن المبدأ الأساسي الذي انطوى عليه نظام الانتداب هو أن الانتدابات بمنزلة « أمانات » ينتهي أجلها عندما يصبح سكان البلاد المنتدب عليها قادرين على حكم أنفسهم بأنفسهم . وكان قد أعلن في الفترة الأولى للإدارة المدنية " أنه عندما ينتهي العمل التمهيدي ويصبح في الإمكان انتخاب الفلسطينيين الحائزين المؤهلات اللازمة ، ويتسنى تدريب هؤلاء الموظفين على العمل الإداري ، ينوى تخفيض عدد الموظفين البريطانيين وزيادة عدد الموظفين الفلسطينيين " . وعلى الرغم من ذلك لم يتح لعرب فلسطين الاشتراك الفعلي في إدارة شؤون بلادهم أو في سن القوانين ، على الأقل على النحو المتبع في أقطار مماثلة . وأشارت اللجنة الملكية في تقريرها إلى أن رؤساء الدوائر والموظفين الكبار والخبراء ، سواء في المركز أو في الألوية هم من البريطانيين ، وجميعهم من موظفي المستعمرات الذين لا يملكون خبرة بأحوال البلاد . ولم تنجح محاولات الحكومة البريطانية إنشاء مؤسسات الحكم الذاتي ، أو على الأقل إقامة حكم ذاتي كامل في أدوار تدريجية ، لأن الحكومة رفضت مراراً ما طلبه العرب من إقامة حكومة وطنية مستقلة ، ووضع دستور يمكّنهم من الإشراف على شؤونهم الخاصة ، بحجة أن تشكيل حكومة وطنية من شأنه أن يحول دون الإيفاء بالعهد الذي قطعته الحكومة البريطانية للشعب اليهودي . واعترفت الحكومة صراحة بأن موقف العرب العدائي من الوطن القومي يقف عقبة في سبيل إنشاء الحكم الذاتي في فلسطين .

وعلى نقيض ذلك خوّل مضمون المادة الرابعة من صكّ الانتداب الوكالة اليهودية حق إسداء النصح للحكومة ، والتعاون معها في معظم الأمور التي تؤثر في مصالح السكان اليهود في فلسطين . وقد استغلت الوكالة اليهودية المركز الذي منحها إياه صكّ الانتداب إلى أقصى حدّ ممكن ، واستطاعت ان تكوّن لها تنظيماً إدارياً كاملاً . وقد أقرّ تقرير اللجنة الملكية أن هذه المؤسسة هي في حكم الواقع حكومة تقف جنباً إلى جنب مع الحكومة المنتدبة ، وأنه ليس هناك فرع من فروع الإدارة لا تتدخل الوكالة به . ولا تقتصر أعمالها على شؤون الهجرة بل تدّعي أن من حقها أن تستشار في مختلف المسائل الأخرى من إدارية ومالية . ويظهر البون شاسعاً بين الوكالة اليهودية بتشكيلاتها المنظمة ودوائرها وموظفيها الذين ينتمون إلى الطوائف اليهودية في العالم وأية أداة كان يملكها العرب .

استبقت الإدارة البريطانية في القرى العربية شكلاً واضحاً من أشكال الاستقلال المحلي كان متبعاً في العهد العثماني هو نظام المختار . وقد ظلّ انتخابه يجري حسب الأصول المتبعة في السابق . وكان المختار الصلة الوحيدة التي تصل موظفي الحكومة بالفلاحين ، والمشرف على أعمال مجلس القرية . وللتقليل من احتكار المختار لأعمال مجلس القرية ، كما كان في العهد العثماني ، بادرت الإدارة البريطانية إلى إنشاء هيئة محلية تتوفر فيها صفة تمثيلية ، فصدر سنة ١٩٢١ قانون المجالس المحلية الذي قرر تأليف مجلس محلي لكل مجموعة من القرى ، وخوّله بعض السلطات . وفي عام ١٩٣٧ كان هناك عشرون مجلساً محلياً تختلف فيما بينها من حيث عدد أعضائها ومواردها المالية والأنظمة التي تنظم أعمالها طبقاً للأحوال المحلية . وقد أظهر التحقيق الذي أجرته اللجنة الملكية أن النجاح لم يكن من نصيب المجالس العربية المحلية ، وأن إدارة فلسطين لم تراع التقاليد القديمة حول حكم القرية من قبل شيوخها ، فجاءت المجالس تحمل طابع نظام أجنبي فرض على القرى فرضاً ، وغدت آلة في يد الإدارة المركزية ، لا مؤسسة حقيقية من مؤسسات الحكم المحلي فقد كانت سلطة القائمقام في الإشراف على ميزانية المجالس مثلاً ، سلطة كبيرة جداً ، لذلك لم يعن القرويون بمجالسهم المحلية لأنها لم تكن تقوم بعمل في صالحهم ، ولم يكن فيها ما يجذبهم إليها . وقد ألغي منها قرابة سبعة مجالس بناء على طلب أهل القرى أنفسهم .

بالمقابل ، تركت إدارة الانتداب للصهيونيين حرّية مطلقة في تكوين نظام شامل للاستقلال المحلي في مناطق المستعمرات الصهيونية . ولاحظت اللجنة الملكية أن الحكم عن طريق الجمعية العمومية هو المبدأ الرئيس لكل جماعة تقريباً في هذه المستعمرات .

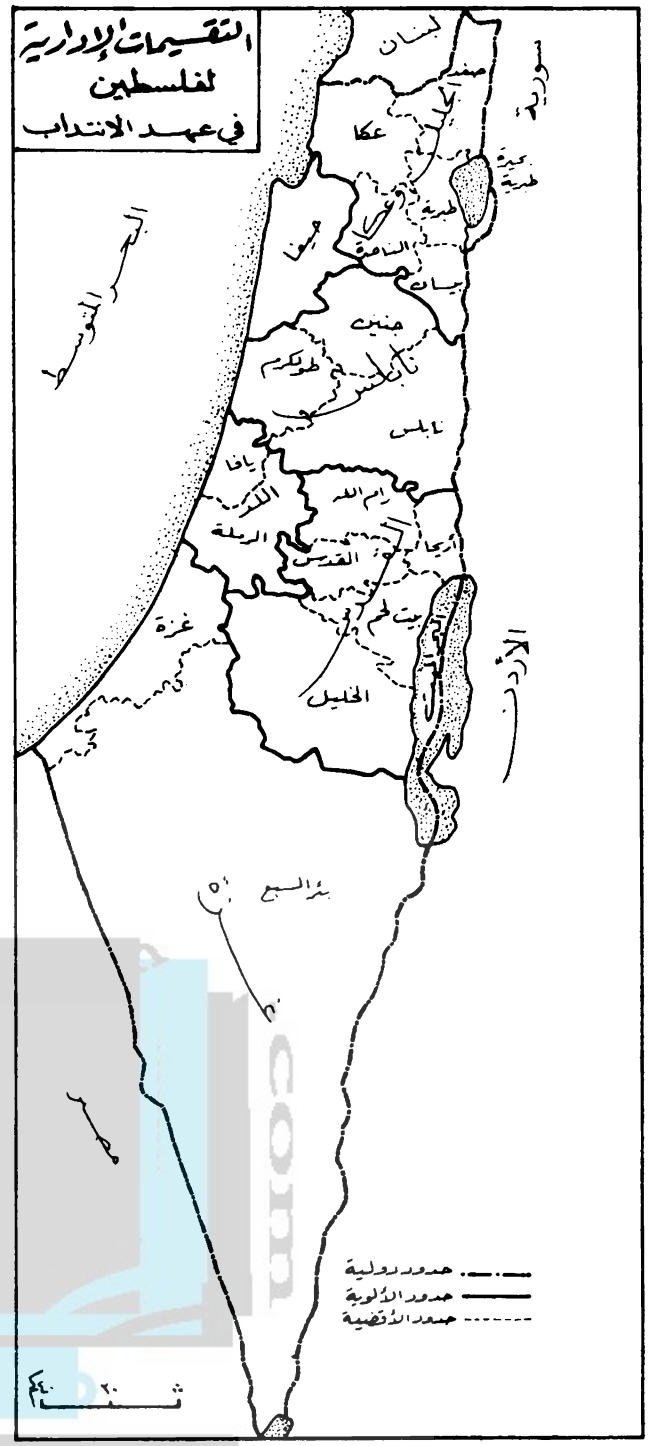

وتناولت الجمعيات كثيراً مما يدخل في العادة في أعمال الدولة ، وما يتصل بالأشغال العامة والخدمات الاجتماعية . ولم يكن للجمعيات مركز قانوني ، وبذلك لم تخضع ميزانيتها وسياستها لمراقبة الحكومة ، كما هي الحال في المجالس المحلية العامة . وكانت ، رغم ذلك ، تتهرب من أي إشراف لإدارة الألوية ، وتدّعي أن السلطة المخوّلة لها لا تفي باحتياجاتها المتزايدة في تخطيط المستعمرات واحتكار المنافع العامة كالماء والتنوير والمسائل المالية . وفي عام ١٩٣٧ وجد خمسة مجالس محلية صهيونية كانت من حيث المال وعدد السكان في الدرجة الثانية بعد البلديات الأربع الكبرى : القدس وحيفا ويافا وتل أبيب .

أما في المدن فقد كانت البلديات هي الصيغة المتبعة للاستقلال المحلي . وقد ظلّت تؤدي أعمالها وفقاً للقانون العثماني في الغالب ، ولم يتم وضع قانون جديد لها إلا عام ١٩٣٤ . وكان أعضاء البلديات يعيّنون تعييناً إلى أن جرت الانتخابات البلدية لأول مرة عام ١٩٢٦ . وقد حددت الغاية من وجود البلديات المختلفة طبقاً للتقرير السنوي الأول لإدارة فلسطين عام ١٩٢٠ بما يلي : " ممارسة الحكم المحلي في المدن ، والقيام بالخدمات التي تتطلبها الجماعات التابعة لها ، وهي أيضاً لسان حال الشعب لدى حكام الألوية ، وواسطة لتنفيذ مطالب الإدارة العامة " . وأباح التقرير السنوي للبلديات " أن تؤدي أعمالها بكل ما يمكن من حرية ، غير أنه من الضروري في الوقت نفسه أن تكون أعمالها منسجمة انسجاماً تاماً مع أعمال إدارة الألوية ، ولهذه الغاية فإن كل حاكم لواء يعتبر مسؤولاً عن عمل السلطات المحلية الواقعة في لوائه " . وفي كانون الثاني ١٩٣٤ وضع قانون البلديات موضع التنفيذ ، وأجريت بموجبه الانتخابات لعشرين مجلساً بلدياً ، وكانت الحكومة تراه خطوة لتحسين التعاون بين العرب واليهود ، توطئة لتأسيس مجلس تشريعي (تجدد اقتراح إنشاءمجلس تشريعي عام ١٩٣٥) . وكانت بلدية تل أبيب هي البلدية الوحيدة لمدينة سكانها كلهم من اليهود ، ثم رفعت بتاح تكفا (ملبس) إلى مصاف البلديات أواسط الثلاثينات .

ويبيّن قانون ١٩٣٤ طريقة السير بأعمال البلديات ، ويحدد سلطات المجالس البلدية ووظائفها والحد الأعلى للعوائد والرسوم التي يحق لها أن تفرضها ، والخدمات التي يصح لها أن تقوم بها ، والموظفين الذين يجوز أن تعيّنهم . وبموجب هذا القانون جعلت مشاريع الميزانية السنوية للبلديات ومشاريع القروض خاضعة لموافقة حاكم اللواء ، واشترط أن يدقق حساباتها فاحص حسابات تعيّنه الحكومة . وقدّر القانون كذلك ضرورة وجود هيئة من موظفي البلدية يضطلعون بأعمالهم طيلة الوقت . ونص القانون على أن لكل بلدية أن تعيّن عدداً من الموظفين المحليين ، كمدير الإدارة ومهندس وطبيب وغيرهم ، لكن هذا لم يطبّق إلاّ في المدن الثلاث الكبيرة المختلطة السكان وهي حيفا ويافا والقدس . أما معظم المدن العربية فلم تكن تستطيع أن تتحمل نفقات أكثر من موظف واحد .

أشار تقرير اللجنة الملكية إلى أن الخدمات العامة التي تؤديها البلديات (عدا المجاري والطرق وتوزيع المياه وإنشاء المسالخ وتنظيم

الأسواق) قليلة بسبب نقص موظفيها المدنيين ، وبسبب سيطرة إدارة اللواء والإدارة المركزية الشديدة على هذه البلديات ، والتأخر في إقرار دائرة السكرتير العام في القدس مشاريع ميزانيات البلديات السنوية ،وعدم كفاية المنح المالية التي تقدمها الإدارة المركزية ، وسياسة الحكومة بمنح الامتيازات لشركات خصوصية ، وتمركز الدوائر الرئيسة ، كالمعارف والصحة العامة ، في القدس، واحتكار الحكومة لبعض الخدمات العامة .

واعترفت اللجنة الملكية بأن هذه العوامل هي السبب في عدم اهتمام سكان المدن بأكثر المجالس البلدية . ويدل على ذلك إحصاء الأصوات في الانتخابات البلدية والانتخابات بالتزكية التي أصبحت أمراً مألوفاً ، مما يشير إلى إخفاق المجالس البلدية في الفوز بثقة الرأي العام ، والى أن المجالس التي قصد بها أن تكون تجربة في الحكم الذاتي وتوطئة لا بد منها لتأسيس مجلس تشريعي ، لم تملك من السلطة ما يخوّلها ان تكون هيئة فعّالة .

أما بلدية تل أبيب فقد شهدت نمواً عجيباً بسبب سيل المهاجرين الصهيونيين المتدفق إليها مما زاد الحاجة إلى الخدمات العامة الأساسية . وقد اتبع المجلس البلدي فيها سياسة مشبعة بالطموح - على حدّ قول تقرير اللجنة الملكية - فبلغت ميزانية عام ١٩٣٧ نصف مليون جنيه ، أي أكثر من ثلاثة أمثال ميزانية أي مدينة من مدن فلسطين . وكان المجلس البلدي فيها ، بالرغم من أخذه نفسه بالتزامات تعتبر خارجة عن نطاق سلطاته من الوجهة الفنّية ، وبالرغم من وضع السلطات أمام الأمر الواقع لإجبارها على الموافقة على أعمال سابقة ، يتهرب من الحصول على موافقة حاكم اللواء ، ويتجاهل قانون البلديات ، ويتهم الإدارة بأنها لا تدرك تطور الخدمات الاجتماعية على الأسس الغربية ، ويشكو من عدم كفاية الإعانة الحكومية .

٤) ألوية فلسطين : قسّمت إدارة الانتداب فلسطين ، منذ تموز ١٩٣٩ ، إلى ستة ألوية هي :

(١) لواء الجليل : في أقصى شمال فلسطين قرب الحدود اللبنانية والسورية ، ومركزه مدينة الناصرة . يتألف من خمسة أقضية هي : عكا ، وبيسان ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية .

بلغت مساحة هذا اللواء ، بموجب آخر إحصاء أجرته حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين عام ١٩٤٥ نحو ٢,٨٠١,٣٨٣ دونماً ، منها نحو ٥٧٦,٠٢٨ دونماً امتلكها الصهيونيون ، أي نحو ٢٠,٥٪ من مجموع أراضي اللواء . أما عدد سكانه فقد بلغوا آنذاك نحو ٢٣٠,٨٤٠ نسمة ، وكان عدد العرب منهم قرابة ١٩٣,٤٩٠ عربياً ، أو ٨٣,٨٪ من مجموع سكان اللواء . وبلغ عدد الصهيونيين ٣٧,٣٥٠ شخصاً ، أو نحو ١٦,٢٪ من هؤلاء السكان . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل لواء الجليل في سهل الحولة * لخصوبة تربته وتوافر مصادر المياه فيه .

ومعظم أراضي هذا اللواء جبلية وهضبية ، عدا منطقتي بيسان وعكا حيث الأرض سهلية وخصوبتها عالية .

(٢) لواء حيفا : مركزه مدينة حيفا . ويتألف من قضاء حيفا فقط . وتبلغ مساحته ١,٠٣١,٧٥٥ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها نحو ٣٦٤,٢٧٦ دونماً ، أو نحو ٣٥,٣٪ من جملة أراضي اللواء . وأراضي هذا اللواء ، عدا مرتفعات الكرمل التي تطل على البحر المتوسط مباشرة ، جيدة الخصوبة ، وبخاصة سهل مرج ابن عامر * الذي يعدّ من أجود أراضي فلسطين .

وقد بلغ عدد سكان لواء حيفا سنة ١٩٤٥ نحو ٢٢٤,٦٣٠ نسمة . وبلغ عدد العرب ١٢٠,١٢٠ نسمة ، أي ٥٣,٥٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغوا ١٠٤,٥١٠ نسمة ، أو ٤٦,٥٪ من عدد السكان . وقد تركز استيطانهم في جبل الكرمل * وسهل مرج ابن عامر .

(٣) لواء نابلس : مركزه مدينة نابلس . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : نابلس ، وجنين ، وطولكرم * ومعظم أراضيه جبلية صخرية عدا بعض المناطق حول مدينتي طولكرم وجنين حيث الأراضي سهلية خصبة . ويشتهر هذا اللواء بزراعة أشجار الزيتون * . مساحته نحو ٣,٢٦٢,٢٩٢ دونماً امتلك الصهيونيون منها ١٤٥,٦٢٧ دونماً أو نحو ٤,٤٪ من مجموع أراضي اللواء .

بلغ عدد سكان اللواء ٢٣٢,٢٢٠ نسمة منهم ٢١٧,٣٢٠ عربياً ، أو ٩٣,٦٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فكانوا أقلية لم يزد عددهم على ١٤,٩٠٠ نسمة ، أو ٦,٤٪ من جملة السكان .

(٤) لواء القدس : يتوسط فلسطين ، ومركزه مدينة القدس عاصمة البلاد . ويتألف من ثلاثة أقضية هي : القدس وتتبعه بيت لحم ،وأريحا ،والخليل ،ورام الله .أرضه جبلية وتربته فقيرة، عدا الأودية حيث التربة خصبة . وقد بلغت مساحة أراضي اللواء نحو ٤,٣٣٣,٥٣٤ دونماً ، امتلك الصهيونيون منها ٣٩,٦٧٩ دونماً ، أو نحو ٠,٩٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما السكان فقد بلغ عددهم ٣٨٤,٨٨٠ نسمة معظمهم من العرب ، أي قرابة ٢٨٤,٦٠٠ عربي ، ألّفوا ٧٣,٩٪ من مجموع السكان . وكان عدد الصهيونيين نحو ١٠٠,٢٨٠ صهيونياً أي نحو ٢٦,١٪ . وقد تركز الاستيطان الصهيوني داخل القدس الجديدة .

(٥) لواء اللد : مركزه مدينة يافا . ويتألف من قضاءي يافا والرملة . ومعظم أراضيه سهلية لأنها جزء من السهل الساحلي الفلسطيني * . ولون التربة ضارب إلى الحمرة لارتفاع نسبة

أكاسيد الحديد . وتجود فيها زراعة الحمضيات * (الموالح) . بلغت مساحة أراضي هذا اللواء ١,٢٠٥,٥٥٨ دونماً امتلك الصهيونيون منها نحو ٢٥١,٥٩٨ ، أي قرابة ٢٠,٨٪ من مساحة أراضي اللواء .

كان عدد السكان في عام ١٩٤٥ نحو ٥٠١,٠٧٠ نسمة ، منهم نحو ٢٠٧,٥٥٠ عربياً ، أي ٤١,٤٪ من مجموع السكان . أما الصهيونيون فبلغ عددهم ٢٩٣,٥٢٠ صهيونياً ، أي قرابة ٥٨,٦٪ . وفي هذا اللواء تقع مدينة تل أبيب ، أكبر المدن الصهيونية ، وكثير من المستعمرات الصهيونية ، مما رفع عدد الصهيونيين في هذا اللواء ، وجعلهم يفوقون السكان العرب عدداً . وقد كان لخصوبة الأرض ، وتوافر المياه ، وأهمية الموقع ، أثر في جذب الاستيطان الصهيوني إلى هذا اللواء .

(٦) لواء غزة : يقع في جنوب فلسطين ، ويشمل جزءاً من السهل الساحلي الفلسطيني ومنطقة النقب * التي تعادل وحدها نصف مساحة فلسطين تقريباً . ومركز اللواء مدينة غزة ، ويتألف من قضاءي غزة وبير السبع .

أراضي هذا اللواء ـ عدا القسم الشمالي من مدينة غزة ـ رملية خشنة الذرات ، ذات تربة مفككة جافة ، والمناخ يميل إلى النظام الصحراوي . وتبلغ مساحة أراضي لواء غزة نحو ١٣,٦٨٨,٥٠١ دونم ، امتلك الصهيونيون منها قرابة ١١٤,٤٩١ دونماً ، أي نحو ٠,٠٨٪ فقط من مجموع أراضي اللواء .

أما عدد السكان فبلغ ١٩٠,٨٨٠ نسمة ، غالبيتهم من العرب الذين قدّر عددهم بنحو ١٨٧,٨٤٠ نسمة ، أي ٩٨,٤٪ من مجموع السكان ، في حين بلغ عدد الصهيونيين ٣,١٤٠ نسمة ، او ١,٦٪ من مجموع سكان اللواء .

ح ـ التقسيمات الإدارية بعد عام ١٩٤٨ : تمخض عن حرب ١٩٤٨ * اغتصاب العدو الصهيوني نحو ٢٠,٠٠٠ كم٢ من فلسطين ، وقيام مصر بإدارة قطاع غزة حتى عام ١٩٦٧ (رَ : الإدارة المصرية لقطاع غزة) ، وضمّ الضفة الغربية إلى الأردن ضمن إطار المملكة الأردنية الهاشمية (رَ : مؤتمر نابلس ١٩٤٨ ، ومؤتمر أريحا ١٩٤٨ ، ومؤتمر غزة ١٩٤٨) .

وقد تم تقسيم فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ إلى ثلاث مناطق إدارية كبرى هي المنطقة الشمالية ، والمنطقة الوسطى ، والمنطقة الجنوبية . وتضم كل منطقة من هذه المناطق وحدات إدارية صغرى تسمى مقاطعات . فالمنطقة الشمالية تضم مقاطعات عكا ، والناصرة ، وصفد ، وطبرية ، وحيفا ، وبيسان ، وناثانيا * ، والخضيرة * . والمنطقة الوسطى تضم مقاطعات تل أبيب ـ يافا ، والرملة وهودهاشارون * ، وروحوبوت * ، والقدس ، وبتاح تكفا . وتضم المنطقة الجنوبية مقاطعات عسقلان وبير السبع وإيلات * .

أما قطاع غزة فيضم المنطقة الشمالية وقاعدتها غزة ، والمنطقة الوسطى وقاعدتها دير البلح * ، والمنطقة الجنوبية وقاعدتها خان يونس * . وتشتمل الضفة الغربية على ثلاث محافظات رئيسة هي : نابلس ، والقدس ، والخليل . وفي محافظة نابلس قضاء جنين وقضاء طولكرم ، في حين تضم محافظة القدس أقضية رام الله وأريحا وبيت لحم . أما الخليل فمحافظة وقضاء في الوقت نفسه . وقد انكمش قضاء الخليل عمّا كان عليه أثناء الانتداب ، وكذلك قضاء جنين وقضاء طولكرم . في حين زادت مساحة قضاء رام الله بضمّه بعض قرى قضاء الرملة المحتل منذ سنة ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ الطبري : **تاريخ الرسل والملوك** ، القاهرة ١٣٥٧هـ .

ـ اليعقوبي : **كتاب البلدان** ، ليدن ١٨٩١ .

ـ ابن شداد : **الأعلاق الخطيرة** ، دمشق ١٩٦٢ .

ـ ابن رستة : **الأعلاق النفيسة** ، ليدن ١٨٩١ .

ـ نجاة الخمّاش : **الإدارة في العصر الأموي** ، دمشق ١٩٨٠ .

ـ عبد العزيز محمد عوض : **الإدارة العثمانية في ولاية سورية** (١٨٦٤ ـ ١٩١٤) ، القاهرة ١٩٦٩ .

ـ أحمد عزة عبد الكريم : **التقسيم الإداري لسورية في العهد العثماني** ، القاهرة ١٩٣٢ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ عبد الوهاب الكيالي : **تاريخ فلسطين الحديث** ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ فيليب حتي : **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، بيروت ١٩٥٨ .

ـ **مجموعة سالفات الدولة العثمانية** من العدد ٣ إلى ٦٨ ، استانبول .

ـ محمد سلامة النحال : **سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين** .

ـ تقرير اللجنة الملكية لفلسطين سنة ١٩٣٧ .

ـ كامل محمود خلّة : **فلسطين والانتداب البريطاني** ، بيروت ١٩٧٤ .

— Bowen, H. and Gibb, H.A.R.: **Islamic Society and the West,** London 1951 - 1957.

— Heyd, U.: **Ottoman Documents on Palestine,** Oxford 1960.

— Holt, P.M.: **Egypt and the Fertile Crescent,** London 1966.

— Jones, A.H.M.: **Cities of the Eastern Roman Provinces,** London 1971.

— Le Strange: **Palestine under the Muslims,** London 1890.

الإدارة المدنية الفلسطينية : رَ : عموم فلسطين (حكومة ـ)

الإدارة المصرية لقطاع غزة :

أ ـ الوضع الخاص لقطاع غزة : بتاريخ ١٩٤٩/٢/٢٤ وقعت

في رودس اتفاقية الهدنة الدائمة بين مصر و(إسرائيل) * . وقد جاء في هذه الاتفاقية :

" يحتفظ المصريون بالسيطرة على الممر الساحلي الممتد من قرية رفح * على الحدود المصرية ـ الفلسطينية إلى نقطة تبعد ثمانية أميال إلى الشمال من غزة * ، وحددت الإحداثيات الطولية والعرضية على الخرائط المساحية لفلسطين بالنسبة لهذه المنطقة " .

وقد نصت المادة ١١ من اتفاقية الهدنة المذكورة على أن " خط الهدنة المحدد بموجب هذه الاتفاقية يجب ألاّ يعتبر حدوداً سياسية أو إقليمية ، وهو لا يمس الحقوق والمطالب التي تنتج عن تسوية القضية الفلسطينية " .

وهذا يعني أن هذه المنطقة التي سميت فيما بعد « قطاع غزة » لا تعني منطقة ذات حدود سياسية أو إقليمية ، وإنما هي المنطقة الفلسطينية التي تولت الحكومة المصرية إدارتها والتي تحددت بالشروط والتحفظات الواردة في اتفاقية الهدنة المصرية ـ الإسرائيلية ، وبقرار مجلس جامعة الدول العربية المؤرخ في ١٣/٤/١٩٥٠ الذي قضى :

" بأن دخول الجيوش العربية فلسطين لإنقاذها ينظر إليه كتدبير مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال والتجزئة لفلسطين وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون " .

ألحقت الحكومة المصرية منطقة غزة بسلاح الحدود، فعينت المدير العام لسلاح الحدود الملكي والحاكم العسكري للصحراء الشرقية وغيرها من مناطق الحدود حاكماً إدارياً « للمناطق التي تخضع لرقابة القوات المصرية بفلسطين » . كما عينت وكيل محافظة سيناء نائباً للحاكم الإداري وخوّلته جميع سلطات الحاكم الإداري . وظل مقر الحاكم الإداري العام القاهرة، واتخذ نائبه من غزة مقراً له .

قامت السلطة المصرية بإدارة القطاع إدارة مدنية بمسؤولين عسكريين في أكثر الأحيان ، وأعادت الدوائر الحكومية التي كانت قائمة في عهد الانتداب البريطاني للعمل ، مثل التعليم والصحة والزراعة والمحاكم المدنية والشرعية ، كما ألف نائب الحاكم المجلس الإسلامي الأعلى للمنطقة وخوّله جميع السلطات التي كانت مخوّلة للمجلس الإسلامي الأعلى * في فلسطين .

ظلت المنطقة تحمل اسم « المناطق الخاضعة لرقابة القوات المصرية بفلسطين » ويتولاها المدير العام لسلاح الحدود وينيب عنه نائباً يتولى سلطاته حتى عام ١٩٥٤ حين أصدر اللواء محمد نجيب رئيس وزراء الجمهورية المصرية آنذاك قرارا بتعيين حاكم عام « لقطاع غزة » . ومنذ ذلك التاريخ أطلقت هذه التسمية على المنطقة التي دخلت في مرحلة جديدة من الحكم تستهدف تطوير الإدارات وزيادة مسؤولية الموظفين الفلسطينيين .

ب ـ القانون الأساسي لقطاع غزة : حدد القانون الاساسي لقطاع غزة (القانون رقم ٥٥ لسنة ١٩٥٥) السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، كما نص على أن يستمر العمل بمرسوم دستور فلسطين لعام ١٩٢٢ وبالقوانين الفلسطينية التي كانت قائمة في ١٥/٥/١٩٤٨ بما لا يخالف الأحكام الواردة في القانون الأساسي ، وبما للسلطة التشريعية من حق إلغاء وتبديل ما تراه من قوانين .

وقد نظم القانون الأساسي السلطات الإدارية على الوجه الآتي :

١) الحاكم العام للقطاع : هو أعلى سلطة تنفيذية فيه ، ورئيس المجلس التنفيذي ، ويعين بقرار من رئيس الجمهورية المصرية .

٢) نائب الحاكم العام : يعين بقرار من وزير الحربية .

٣) مديرو المديريات : يعينون بقرار من وزير الحربية . والمدير عضو في المجلس التنفيذي. وقد نص القانون الأساسي على تعيين هؤلاء المديرين من الفلسطينيين ذوي الخبرة العلمية والفنية متى توفر وجودهم ، أو من المصريين ذوي الخبرة العالية . أما المديريات فهي : مديرية الشؤون القانونية ، ومديرية الداخلية والأمن العام ، ومديرية المالية والاقتصاد ، ومديرية الشؤون الاجتماعية واللاجئين ، ومديرية الشؤون البلدية والقروية ، ومديرية التربية والتعليم ، ومديرية الأشغال العمومية والمواصلات .

جـ ـ المجلس التنفيذي : نص القانون الأساسي على أن يتألف المجلس التنفيذي من الحاكم العام رئيساً ، ومن مديري المديريات أعضاء . كما نص على ألاّ يكون اجتماع المجلس صحيحا إلاّ بحضور خمسة أعضاء على الأقل عدا الرئيس ، وأن تصدر القرارات بالأغلبية المطلقة لأصوات الأعضاء الحاضرين ، وعند تساوي الأصوات يرجح الجانب الذي منه رئيس المجلس . أما اختصاصات المجلس التنفيذي فقد حددها القانون الأساسي على الوجه التالي :

١) وضع اللوائح اللازمة لتنفيذ القوانين .

٢) ترتيب الوظائف العامة وتولية الموظفين .

٣) إصدار قرارات تكون لها قوة القانون إذا طرأت أحوال غير عادية تتعلق بالأمن العام أو النظام وتتطلب اتخاذ تدابير عاجلة ، على أن لا تكون القرارات مخالفة للقانون الأساسي . وينتهي العمل بهذه القرارات بقرار يصدر عن المجلس التنفيذي .

د ـ السلطات المالية : نص القانون الأساسي على أن يعد الحاكم العام مشروع ميزانية القطاع ويقدمها إلى وزير الحربية لفحصها واعتمادها . كما نص على أنه لا يجوز فرض ضريبة ، أو تعديلها ، أو إلغاؤها إلاّ بقانون .

هـ ـ الحكام الإداريون : يعاون الحاكم العام لقطاع غزة حكام إداريون يعينهم الحاكم العام من الضباط المصريين على الوجه الآتي :

١) حاكم غزة : يتولى مدينة غزة ، ومعسكر الشاطىء للاجئين ، وقرى جباليا * والنزلة وبيت حانون ومعكسر جباليا للاجئين .

٢) حاكم دير البلح : يتولى بلدة دير البلح * ، ومعسكر اللاجئين في دير البلح ، ومعسكرات اللاجئين في البريج ، والنصيرات والمغازي .

٣) حاكم خان يونس : يتولى مدينة خان يونس * ومعسكر اللاجئين فيها وقرى عبسان * وبني سهيلة * وخزاعة .

٤) حاكم رفح : ويتولى بلدة رفح ومعسكر اللاجئين فيها .

و ـ النظام الدستوري لقطاع غزة : أصدر الرئيس جمال عبد الناصر * رئيس الجمهورية العربية المتحدة في ١٩٦٢/٣/٥ إعلاناً بالنظام الدستوري لقطاع غزة . وأهم أحكام هذا النظام :

النص في الباب الأول على أن قطاع غزة جزء لا يتجزأ من أرض فلسطين ، وأن شعبها جزء من الأمة العربية ، وعلى أن الفلسطينيين يكوّنون اتحاداً قومياً للعمل المشترك من أجل استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين ، وللمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية .

نصّ الباب الثاني على تنظيم الحريات والحقوق العامة . وقد كفل النظام الدستوري حرية الإقامة والتنقل والاعتقاد والقيام بشعائر الأديان وحرية الفكر والرأي ، ونص على حرية الملكية وعلى حق الفلسطينيين في مخاطبة السلطات العامة .

وتناول الباب الثالث : السلطات العامة التنفيذية والتشريعية والقضائية ؛ فناط السلطة التنفيذية والتشريعية بالحاكم العام مع المجلس التنفيذي ، وناط السلطة القضائية بالمحكمة العليا وغيرها من المحاكم وفقاً للأحكام التي نص عليها النظام الدستوري والقوانين الأخرى .

فُصلت أحكام النظام الدستوري لقطاع غزة في ستة فصول : وقد تناول الفصل الأول كيفية تعيين الحاكم العام ، ونص على أن لوزير الحربية أن ينذب ، بقرار منه ، من يقوم بأعمال الحاكم العام في حال غيابه ، أو وجود مانع ، ما عدا التصديق على القوانين وإصدارها .

كما حددت في هذا الفصل سلطة الحاكم العام في التصديق على القوانين وإصدارها والاعتراض عليها ، وحق المجلس التشريعي في الإصرار على القوانين التي أقرها ولو اعترض عليها الحاكم العام ، وفق أصول تفصيلية بيّنها النظام .

أما الفصل الثاني من النظام الدستوري فقد تناول الأحكام الخاصة بالمجلس التنفيذي ، فنص على كيفية تأليفه ، وشروط صحة انعقاده وحقه في أن يصدر ، في حالات الضرورة ، قرارات يكون لها قوة القانون ، بشرط عرضها على المجلس التشريعي عند انعقاده بما يحقق رقابة السلطة التشريعية على تلك القرارات .

وعرّج الفصل الثالث على الأحكام الخاصة بالمجلس التشريعي فنصت المادة ٣٠ على كيفية تأليف المجلس التشريعي . وقد روعي في تشكيله أن يكون مؤلفاً من أعضاء المجلس التنفيذي ومن ٢٢ عضواً ينتخبهم الأعضاء المنتخبون لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي طبقاً لنظام الانتخاب الذي أصدره الحاكم العام بهذا الشأن، ومن ١٠ أعضاء يعينهم الحاكم العام ليسدّ حاجة المجلس إلى بعض أهل التجربة والخبرة والكفاية . وبهذا تكون أغلبية أعضاء المجلس مؤلفة من الأعضاء المنتخبين .

وقد نصت المادة ٣١ على أن مدة العضوية في المجلس التشريعي ثلاث سنوات . وقضت المادة ٣٣ بأن ينتخب المجلس في أول اجتماع وكيلا له . وجعل الاختصاص في إبطال الانتخابات للمحكمة العليا ، على أن يحدد نظام الانتخابات الذي يصدر من الحاكم العام طريقة السير في هذا الشأن .

ونصت المادة ٣٦ على أن الحاكم العام يدعو المجلس للانعقاد ، ويفضّ دورته ، وعلى أن دور الانعقاد السنوي يدوم أربعة أشهر . وقيدت المادة ٣٧ حق الحاكم العام في تأجيل انعقاد المجلس التشريعي مدة لا تزيد على شهرين .

واستحدث النظام الدستوري حق الأعضاء في توجيه أسئلة إلى أعضاء المجلس التنفيذي تمكيناً لهم من الرقابة البرلمانية .

أما الفصل الرابع فقد اشتمل على أحكام السلطة القضائية ، فنصّ على استقلال القضاء ، وعلى أن القانون يرتب جهات القضاء . وبينت المادة ٥٧ طريقة تأليف المحكمة العليا ، وقررت أن رئيسها يعين بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الأعضاء يعينون بقرار من وزير الحربية .

ونصت المادة ٥٨ على سلطة المحكمة العليا في إلغاء القرارات الإدارية في الحالات التي تستوجب الإلغاء وفق أحكام فصلتها المادة .

وتناول الفصل الخامس القوات المسلحة ، فنصّت المادة ٦١ على أن القوات المسلحة المرابطة في قطاع غزة تكون خاضعة للقيادة التي تحددها القيادة العامة للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة ، وأن للقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة سلطة إصدار أوامر لها قوة القانون في كل ما يتعلق بالتدابير اللازمة لسلامة القوات ومقتضيات الدفاع العسكري .

ونصت المادة ٦٢ على أن القانون يبين نظام هيئات الشرطة وما لها من اختصاصات .

وعالج الفصل السادس موضوع الميزانية . وقد رُئي أن يؤخذ رأي المجلس التشريعي في مشروعها . وقد استحدث هذا الاختصاص بسبب زيادة إيرادات القطاع . وقد روعي في ذلك خصوصية ميزانية القطاع ، وكونها تتألف من اعتمادات ثابتة ، كمرتبات الموظفين ، لا تخضع لتسوية الاعتماد ، واعتمادات أخرى متغيرة هي التي تعرض على المجلس لإبداء الرأي فيها .

أما الباب الرابع من النظام الدستوري فقد خصص للأحكام العامة ، فنصت المادة ٦٩ على أن كل ما قررته الأنظمة والتشريعات واللوائح والأوامر الفلسطينية يبقى ساري المفعول فيما لا يتعارض مع أحكام النظام الدستوري . كذلك تبقى سارية المفعول كل القوانين والأوامر والتعليمات التي أصدرها وزير الحربية ، أو القائد العام للقوات المسلحة ، أو أي سلطة مختصة في تلك المنطقة ، منذ دخول القوات المصرية فيها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وانه لا تترتب أية مسؤولية بسبب الإجراءات والأعمال والأوامر والأحكام التي اتخذت بمقتضى القوانين واللوائح والأوامر والتعليمات المنصوص عليها في تلك المادة قبل تاريخ ١٩٥٨/٢/٢٥ .

ونصت المادة ٧٣ على أن للحاكم العام وللمجلس التشريعي اقتراح تنقيح النظام الدستوري . ولا يكون التنقيح نافذاً إلاّ بقرار من رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وعندما قامت منظمة التحرير الفلسطينية * أصدر رئيس الجمهورية العربية المتحدة قرارا بتعديل المادة الثانية من النظام الدستوري لقطاع غزة الصادر في آذار ١٩٦٢ لتصبح كالآتي :

" تحرير فلسطين واجب مقدس على أبنائها وعلى كل عربي ، وفي سبيل ذلك يعمل الفلسطينيون في قطاع غزة متلاقين مع إخوانهم أبناء فلسطين أينما كانوا في تشكيل قومي (منظمة التحرير الفلسطينية) هدفه الأسمى العمل المشترك على استرداد الأرض المغتصبة من فلسطين والمساهمة في تحقيق رسالة القومية العربية " .

ز ـ المجلس التشريعي حسب القانون الأساسي : تنفيذاً لما جاء في القانون الأساسي لقطاع غزة تم تشكيل المجلس التشريعي للقطاع على الوجه التالي :

١) الحاكم العام ويترأس المجلس .

٢) أعضاء المجلس التنفيذي .

٣) رئيس مجلس بلدية غزة وثلاثة من أعضائه ينتخبهم المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٤) رئيس مجلس بلدية خان يونس واثنين من أعضائه ينتخبهما هذا المجلس لمدة ثلاث سنوات .

٥) عضو من كل من المجالس القروية في رفح ودير البلح وجباليا تنتخبهم هذه المجالس لمدة ثلاث سنوات .

ح ـ الاتحاد القومي العربي الفلسطيني : عقد المجلس التشريعي في ١٩٥٨/٥/١٥ جلسة استثنائية قرر فيها قيام « الاتحاد القومي العربي الفلسطيني » ، وشكل لجنة من أعضائه ، ومن العناصر الوطنية من خارج المجلس ، لوضع الميثاق الوطني والنظام الأساسي للاتحاد . عقدت اللجنة عدة جلسات أتمت فيها وضع الميثاق . وفي ١٩٥٩/٣/٧ ، وفي مؤتمر شعبي عام ، تلي الميثاق الوطني وأعلن نظام الاتحاد .

وقد جاء في هذا الميثاق الوطني :

" نحن الشعب العربي الفلسطيني الذي يشعر من أعماق ضميره ، وبكامل وعيه ، بمرارة الكارثة التي ألمت به خلال عام ١٩٤٨ ، والذي يؤمن ايمانا لا يتزعزع بأن النصر آت لا ريب فيه ، وأن الوحدة وجمع الكلمة والكفاح المسلح هي طريق النصر ، ولا طريق سواها ، نحن الشعب العربي الفلسطيني نملي هذا الميثاق ، ونعلنه ، ونقسم على تحقيقه " .

وجاء فيه أيضاً أن :

" فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، وان تحريرها فرض محتم على أبنائها ، وعلى المواطنين العرب في كل مكان . وأن الوحدة العربية والقومية العربية هما روح المعركة والغاية منها . وأن إسرائيل كيان عدواني أثيم أقامه الاستعمار على أشلاء عرب فلسطين ، وأن القضاء عليها واجب على كل عربي ، وأن الاتحاد القومي ، أثناء المعركة ، ضرورة تستلزمها معركة التحرير " .

ط ـ اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني : قامت اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومي العربي الفلسطيني كهيئة تأسيسية في ١٩٥٩/٣/١٤ ، وباشرت تشكيل اللجان المحلية . وبعد مضي فترة من الانتقال ، أعلن الحاكم العام للقطاع في القرار رقم ٣١ لسنة ١٩٦٠ تحديد موعد انتخابات لجان الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، كما تضمن القرار كيفية إجراء الانتخابات بحيث تؤلف لجنة محلية للاتحاد القومي في قطاع غزة لكل وحدة انتخابية . ويحدد عدد الوحدات ودائرة كل منها ومقرها وعدد ممثليها بواقع ممثل لكل ألف نسمة من السكان .

وفي ١٥ كانون الثاني جرت انتخابات الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، وانتظم قطاع غزة في ٢٧ لجنة قوام كل منها ١٥ عضواً . وجرى بعد ذلك انتخاب اللجان التنفيذية في جميع المناطق ، وقد نظم القطاع في خمس مناطق هي : رفح وخان يونس والمعسكرات الوسطى ومنطقتا غزة .

وعقد أول اجتماع للقواعد الشعبية حضره جميع ممثلي الشعب العربي الفلسطيني للقطاع ، كما حضره رئيس المجلس التشريعي

الحاكم العام لقطاع غزة ، وأعضاء المجلس التنفيذي ، وعدد كبير من المواطنين . وقد ردد الجميع في بداية الاجتماع القسم الآتي :

" أقسم بالله العظيم ، وبشرف فلسطين وحريتها ، وبأرواح شهدائها أن أبذل مالي وروحي ودمي في سبيل تحرير فلسطين وفي سبيل تحرير الوطن العربي ، وأن أرعى ميثاق الاتحاد القومي ، وأعمل على تحقيقه . والله على ما أقول وكيل " .

ي ـ المجلس التشريعي المنتخب حسب الإعلان الدستوري : تطبيقاً لما جاء في الإعلان الدستوري لقطاع غزة ، وبعد قيام الاتحاد القومي العربي الفلسطيني ، دعا الحاكم العام الأعضاء المنتخبين لعضوية اللجان المحلية للاتحاد القومي إلى الإجتماع في ١٩٦٢/٥/١٦ لانتخاب أعضاء المجلس التشريعي .

وقد اشترط في عضوية المجلس التشريعي أن يكون العضو المرشح منتخباً من إحدى اللجان المحلية التابعة للدائرة الانتخابية التي يرشح نفسه فيها ، وأن يكون بالغا من العمر ثلاثين سنة ميلادية ويحسن القراءة والكتابة ، وألاّ يكون محكوماً عليه بسبب فعل يعتبره القانون جناية ، وألاّ يكون محجوزا عليه ، وأن يرشح نفسه للانتخاب .

جرت الانتخابات يوم ١٩٦٢/٥/٢٦ . وفي ٣٠ من الشهر نفسه صدرت مجلة الوقائع الفلسطينية متضمنة أسماء الأعضاء المنتخبين للمجلس التشريعي ، وعددهم ٢٢ عضواً ، والأعضاء المعينين وعددهم ١١ عضوا .

دعا الحاكم العام للقطاع المجلس التشريعي للانعقاد يوم ١٩٦٢/٦/٢٣ . وباشر المجلس المنتخب أعماله ، فعقد جلسته الافتتاحية الأولى التي بدأت بحلف اليمين الدستوري وهو :

"أقسم بالله العظيم أن أحترم النظام الدستوري لقطاع غزة ، والقانون ، وأن أرعى مصالح الشعب الفلسطيني رعاية كاملة " .

وقام المجلس بانتخاب أول رئيس فلسطيني له ، فانتخب الدكتور حيدر عبد الشافي ، كما انتخب محمود نجم وكيلاً .

ثم باشر المجلس التشريعي أعماله في استصدار التشريعات والقوانين .

ك ـ جيش التحرير الفلسطيني : وقد كان من أبرز القوانين التي استصدرها المجلس التشريعي ، وأقرها ، ونفذها ، قانون " الخدمة العسكرية والوطنية في قطاع غزة " . وكان ذلك استجابة لمطلب منظمة التحرير الفلسطينية الذي أقره مؤتمر القمة العربي الثاني (الإسكندرية ١٩٦٤/٩/٥) .

وقد جاء في المذكرة الإيضاحية لهذا القانون ما يلي :

" لما كان الشعب العربي الفلسطيني قد أثبت خلال تجاربه وتضحياته في مواجهة الأحداث أنه مصمم على انتزاع حقه الشرعي في عودته إلى وطنه المقدس فقد عمل طوال الأعوام الماضية على تعبئة جهوده ، وحشد طاقاته لإبراز كيانه ، وقد أذكى من عزيمته وقوّى من إيمانه في العودة القريبة إلى وطنه اشتعال القومية العربية وما حققته من انتصارات .

" ولما قامت منظمة التحرير الفلسطينية على قرار المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس الشريف في ٢٨ أيار ١٩٦٤ ، وتحقيقاً لمطالب الجماهير العربية الفلسطينية في قيام جيش التحرير الفلسطيني من أجل استعادة وطنها المغتصب فلسطين ، وقد بارك إنشاء جيش التحرير هذا مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الإسكندرية في ٥ أيلول سنة ١٩٦٤ ، كما وافق على دعم جهود الشعب العربي الفلسطيني المناضل في تحقيق إبراز كيانه لبسط سيادته على وطنه .

" وكان لا بد أن يكون لهذا الشعب قواته المسلحة التي تحقق أمنياته الغالية وتذود عن حياضه ، وتعيد إليه وطنه تأكيداً للعدل ودعماً للحق .

" ولما كانت الخدمة العسكرية والوطنية شرفا لكل عربي فلسطيني ، وواجبا مقدساً عليه ، والوسيلة المشرفة لتحقيق أسمى أهداف الأمة العربية جمعاء لتحرير فلسطين .

" وأصبح من الواجب إنشاء قوات عربية فلسطينية مسلحة لتكون طليعة الجهاد المقدس لتحقيق أهداف هذا الشعب العربي الفلسطيني .

" لذلك أعد القانون وبني على أسس رئيسية أهمها :

" المساواة بين جميع المواطنين في أداء ضريبة الدم للوطن سواء بتأدية الخدمة العسكرية الفعلية على الوجه المنصوص عنه في مواد هذا القانون ، أو بتأديتهم الخدمة في كتائب الأعمال الوطنية المنصوص عنها في هذا القانون كذلك" .

وقد بوشر فعلاً في تطبيق القانون فور صدوره ، واستجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لهذه الدعوة استجابة منقطعة النظير ، إيماناً منه بأن الكفاح المسلح هو الطريق الأساس لاسترداد حقه المغتصب ، واسترداد وطنه المسلوب .

ل ـ التدريب الشعبي : أصدر الحاكم العام لقطاع غزة قرارا بقانون بشأن التدريب الشعبي تدعيماً للقوات المسلحة الفلسطينية ، وتعبئة للشعب من أجل استرداد وطنه .

وقد فرض هذا القانون على جميع الأفراد الذين بلغوا سن الثامنة عشرة حتى سن الأربعين ، ولم يجندوا بالقوات الفلسطينية لأي سبب من الأسباب طبقاً لقانون الخدمة العسكرية والوطنية ، أن يسجلوا أسماءهم في مراكز التسجيل للتدريب الشعبي ، كما نص على أنه لا يجوز الترخيص لأي فرد ممن تطبق عليه أحكام المادة الخاصة بالتدريب الشعبي بالحصول على تأشيرة خروج من القطاع ، أو

الالتحاق بأية وظيفة عامة، أو الالتحاق بعمل عن طريق مكتب العمل إلاّ إذا كان حاصلاً على شهادة التدريب الشعبي في قيادة الحرس الوطني .

م ـ ضريبة التحرير : وكان القانون الآخر الهام الذي استصدره المجلس التشريعي هو قانون ضريبة التحرير الذي جاء في مذكرته الإيضاحية :

" لما أن قامت منظمة التحرير الفلسطينية ، وقرر المجلس التشريعي قانون الخدمة العسكرية لإنشاء جيش التحرير الفلسطيني لاستئناف الكفاح المسلح لأجل استعادة الوطن السليب .

ولما كان هذا العمل يحتاج بجانب ضريبة الدم ، أموالاً لتجهيز الجيش وتسليحه بصورة تليق بما ينتظرنا من كفاح ، لذلك فقد رئي إصدار القانون المرفق بفرض ضريبة تسمى ضريبة التحرير على الوجه المبين في القانون المذكور " .

وكما استجاب الشعب العربي الفلسطيني في قطاع غزة لنداء الخدمة العسكرية ودفع ضريبة الدم ، بادر بكل فئاته للاستجابة إلى دفع ضريبة التحرير .

ن ـ الإدارة المصرية ومنظمة التحرير الفلسطينية : وضعت الإدارة المصرية لقطاع غزة ، بناء على توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر ، جميع الإمكانيات في خدمة منظمة التحرير الفلسطينية . فقد أصبح القطاع في فترة وجيزة قاعدة شعبية عريضة لمنظمة التحرير الفلسطينية بوجود جيش التحرير الفلسطيني وضريبة التحرير والحرس الوطني الفلسطيني والتنظيم الشعبي .

وقد ظل ذلك قائماً حتى عدوان ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) ، حين واجه الشعب في القطاع العدوان بضراوة . وقاتل جيش التحرير الفلسطيني قوات الاحتلال الصهيونية ببسالة ، وتمكن بإمكانياته غير المتكافئة أن يعوق العدو وأن يوقع في صفوفه خسائر كبيرة قبل أن يسقط القطاع فريسة للاحتلال الإسرائيلي .

الأدب :

الأدب الفلسطيني من أشدّ الآداب التصاقا بشخصية شعبه ، وأصدقها في التعبير عن هموم الشعب الفلسطيني تعبيراً حيّا ، وعن العطاء الذي قدّمه الفلسطينيون لوطنهم وقدرتهم على الصمود والمقاومة والبذل والتضحية . وقد أصبحت أركان هذا الأدب ، من شعر ورواية وقصة * قصيرة ومقالة ونقد وبحث ودراسة ، في مستوى لا يقل عمّا بلغته الآداب العربية المتقدمة .

وثمة أنواع تدخل في نطاق هذا الأدب وفروعه كالخطابة *، والمسرحية *، والأدب الشعبي ، والنشاط اللغوي ، والترجمة * ، والرسائل ، والمذكرات ، والأدب الصحفي ، والتأليف في التاريخ والجغرافيا والفلسفة ، والقضايا العلمية ، والسياسية ، والسيرة ، وأدب الرحلات ، وأدب الأطفال ، والأدب الإذاعي ، وتحقيق التراث ، وغيرها . ولم يفت هذا الأدب فرصة التعبير عمّا في نفس بعض أصحابه بلغات أجنبية . ولهذا كان الأدب الفلسطيني أدباً واسع الآفاق متنوع التيارات . وسيقتصر البحث هنا على النقد الأدبي ، والأدب الإذاعي ، وأدب الأطفال ، وأدب الرحلات .

أ ـ النقد الأدبي : من يتتبع حركة النقد الأدبي الفلسطيني الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يكاد لا يظفر بشيء ذي بال ، فقد كانت هذه المرحلة مرحلة تقاريظ ساذجة ، ومن أمثلة ذلك ما عمد إليه عباس الخماش من نابلس من تقريظ مجلة « الجنان » للمعلم بطرس البستاني ، وما فعله أبو السعود أحد علماء القدس الشريف بكتاب « سر الليال » لأحمد فارس الشدياق ، وما فعله ياسين النابلسي بصحيفة الشدياق « الجوائب » ، وما فعله يوسف أسعد نجل مفتي السادات بالقدس الشريف « بالجوائب » أيضاً ، وما فعله كذلك يوسف النبهاني * « بالجوائب » و« سر الليال » .

وينقضي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويجيء القرن العشرون ، فيحدث ما يشبه القفزة في حركة النقد الأدبي في فلسطين ، وذلك بظهور كتاب روحي الخالدي * المقدسي « تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوجو» . فقد كان هذا الكتاب سبقا في عالم النقد الأدبي العربي الحديث ، وكان تأثره بالغرب أعمق من تأثر المهجريين الذين كانوا في وقته (بدأت طباعة هذا الكتاب وظهوره للجمهور ما بين سنة ١٩٠٢ و١٩٠٤) . وفي حين كان النقد الأدبي العربي الحديث في مطالع القرن العشرين الأولى يكتفي بالمطالبة بالجديد دون أن يبين عن أفكار أدبية متبلورة ، جاء كتاب الخالدي يحمل بعض هذه الأفكار .

أما حركة النقد الأدبي الفلسطيني في الرقعة الزمنية التي امتدت قرابة أربعة عقود انتهت بنكبة فلسطين سنة ١٩٤٨ فتكاد تكون أشدّ

المراجع :

ـ جامعة الدول العربية : الوثائق الرسمية في قضية فلسطين ، المجموعة الثانية ، ١٩٤٧ ـ ١٩٥٠ .

ـ محمد علي خلوصي : التنمية الاقتصادية في قطاع غزة (فلسطين) ١٩٤٨ ـ ١٩٦٦ .

ـ الوقائع الفلسطينية : (الجريدة الرسمية لقطاع غزة) العدد الأول ٣١/١٢/١٩٤٩ حتى العدد الأخير .

ـ نداء العودة : مجلة الاتحاد القومي العربي الفلسطيني .

ـ الوثائق الفلسطينية ، بيروت .

ـ حسين أبو النمل : قطاع غزة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ، تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية ، بيروت ١٩٧٩ .

فترات الحياة الفلسطينية النقدية حرارة وامتلاء بالعافية التي لا تقل في مستواها عمّا في الحياة النقدية والأدبية والفكرية في بعض البلاد العربية المتقدمة ، مع الفارق في الحجم والكم وحسب . إن هذه العقود الأربعة تكاد تكون الرقعة الزمنية المهمة التي تركت أبرز السمات في شخصية فلسطين الثقافية والسياسية والاجتماعية .

وقد ارتاد النقد الأدبي الفلسطيني بعد كتاب الخالدي آفاقا واسعة تضاهي آفاق النقد الأدبي في البلاد العربية الأخرى المتقدمة . فقد برز نشاط الأستاذ خليل بيدس * في مجلته « النفائس العصرية » منذ سنة ١٩٠٨ . وقد ظهرت بوادر النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة في الصحف أكثر من ظهورها في كتب نقدية .

وقد كان للمآسي التي عاناها المجتمع العربي الفلسطيني من جرّاء تألّب الاستعمار العالمي والصهيوني على فلسطين أثناء هذه المرحلة أن تجنب النقد الأدبي الإعلاء من ظاهرة المدرسة الرمزية التي تستعمل الإيعاز والتلميح في التعبير عن الحالات النفسية بدلا من الأسلوب التقريري المباشر ، وتحلّ الخيال محل الواقع والحقيقة ، وناهض هذا النقد الفكرة الجمالية « الفن للفن» . وربما كان لهذا كله أثر في توجيه حركة النقد الأدبي الفلسطيني في هذه المرحلة الزمنية نحو تيارين بارزين ، هما تيار المدرسة الرومانسية الذي غلبت فيه الاتجاهات الإيجابية ، وقلّت السلبية ، وتيار المدرسة الواقعية الجديدة .

وقد ظهرت وجوه غير قليلة في مضمار النقد الأدبي في هذه الفترة ، فكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الرومانسية كوكبة ، منهم : خليل بيدس ، وتوفيق زيبق ، ومحمد اسعاف النشاشيبي * ، وخليل السكاكيني * ، وأحمد شاكر الكرمي * ، وإسحاق موسى الحسيني ، وعادل جبر * ، وداود حمدان ، ويوسف سلوم ، وعلي كمال ، وعبد الكريم الكرمي * ، ومحمد العدناني * ، ورائدة جار الله ، وإبراهيم عبد الستار ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وخيري حماد * وغيرهم .

وكتب في النقد الذي يمكن أن ينضوي تحت لواء المدرسة الواقعية الجديدة ، أو ما يقرب منها قرباً إيجابيا، مغلّباً عوامل الجماعة على العوامل الفردية كوكبة ، منهم : عبد الله مخلص ، ونجاتي صدقي ، وعارف العزوني ، ورجا الحوراني ، وعبد الله بندك ، ومخلص عمرو * ، ومحمود سيف الدين الإيراني * ، ويوسف خوري .

وقد تناولت المدرسة الرومانسية قضايا أدبية هامة أبرزها : أهمية الروايات (أي القصص الروائي) في بناء الحضارة ، والثقافة . وحين يبين خليل بيدس العلاقة بين الكاتب ومجتمعه يقول : " الروائي يكتب للعامة ، وهم السواد الأعظم من كل أمة ، يكتب للنفوس الحائرة ، والقلوب المتألمة ، يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى " . ولخليل بيدس آراء فطنة في الرواية وعلاقاتها بالناس ، وبالشرق والغرب ، وآراء في الروائي العبقري .

أما محمد إسعاف النشاشيبي فقد تناول قضية اللغة وصلتها بأهلها وبعمرانهم وحضارتهم ، وقضية اللفظ و المعنى ، وقضية التجديد والتقليد وغيرها .

وكان خليل السكاكيني من الشخصيات النقدية التي أثارت قضايا نقدية بجد وإخلاص وأصالة ، فهو الذي أثار قضايا تحديد طبيعة الأديب ، والكاتب ، والشاعر . وهو الذي أثار قضية الشعر وأنواعه ، والكلام وأنواعه ، والأسلوب ، والصلة بين المذهب في الكتابة والفئة الاجتماعية ، والتطور في الأساليب ، وكذلك قضية القديم والجديد .

وأسهم أحمد شاكر الكرمي في الحركة النقدية ، فنقد كتاب « الشاعر » أو «سيرانو دي برجراك» لمؤلفه الشاعر الفرنسي إدمون روستان ، وهو تمثيلية شعرية في الأصل نقلها المنفلوطي إلى قصة عربية . وقد أثار أحمد شاكر الكرمي فيما أثار من قضايا نقدية قضية « الشخصية في الأدب » ، ورأى أن النقد الموضوعي أوسع مجالاً من النقد الذاتي ، وقسم النقد إلى نقد بياني يقتصر على الألفاظ ، ونقد تحليلي يتناول الآراء والأفكار . ومن آراء الكرمي النقدية قوله : " لا جدال في أن اللغة هي مادة الأدب ، ولكن امتلاك تلك المادة وحدها من غير إلمام بفنون التصرف فيها لا يصيّر المرء كاتبا ولا شاعرا ، كما أن امتلاك الذهب مثلاً ، وهو المادة التي تصنع منها الحلي ، لا يصيّر مالكه صائغاً " . ويرى الكرمي ثلاثة واجبات ينبغي للناقد التقيد بها : العدالة نحو القارىء ، والعدالة نحو المؤلف ، والعدالة نحو الناشر ، وهو يرى أن الكتّاب فريقان : فريق المتحررين ، وفريق المقيدين .

أما عادل جبر فقد كتب في « الأدب والأطفال » . وأسهم جبرا إبراهيم جبرا في هذه الفترة بجهد مبكر في النقد ، فكان من ذلك كلامه حول الفن والفنان بشيء من الرومانسية والميتافيزيقية .

هذا جانب من نشاط النقّاد الرومانسيين الفلسطينيين في هذه المرحلة . أما الواقعية الجديدة فقد عالجها أعلام كان لهم دور كبير في الثقافة الفلسطينية ، منهم عبد الله مخلص الذي ثقف طبيعة المجتمعات ، وحلل بصورة خاصة تركيبها الاقتصادي ، وسخر من الأدباء المغرضين ومن نظريتين مضحكتين : أما الأولى فهي « الفن للفن » وأما النظرية الثانية فهي أن الفن موهبة فطرية لا تكتسب بالمران والاجتهاد ولا يمكن للمرء أن يتعلمها أو يتلقاها .

ومن كتّاب الواقعية الجديدة نجاتي صدقي الذي سلط الأضواء على فلسفة ابن خلدون وقربها الشديد من فلسفة هيغل في الجانب

الجدلي منها ، ومن فلسفة كارل ماركس من ناحية المادية وصراع الطبقات فيها . وقد سلط نجاتي صدقي كذلك الأضواء على منهج بيتهوفن ومنهج داروين ، ومنهج ديكارت والمادية الميكانيكية ، وحاول تفسير هذه المناهج بطريقة النشاط الفكري والثقافي ، والفن المتصل بالتركيب الاجتماعي المتأثر بالعلاقات الإنتاجية والاقتصادية .

أما حركة النقد الأدبي في فلسطين المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ فقد التصقت التصاقا حميا بالشعر والأدب في فلسطين المحتلة . وتظهر سمات المدرسة الواقعية الجديدة في النقد الأدبي الفلسطيني داخل الأرض المحتلة بعد نكبة سنة ١٩٤٨ ، وخاصة عند الشعراء النقاد الثلاثة البارزين : محمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زيّاد . وكان نقدا ذا مذاق خاص ، بالإضافة إلى نضجه وعمقه وسعة آفاقه، له أيضاً مذاق النقد التطبيقي الذي يتحسس ما يقوله الواحد منهم في شعره هو نفسه ، ويتحسسه في شعر الآخرين وأدبهم .

ولكن هذا لا يعني أن هؤلاء الثلاثة هم الذين يقفون وحدهم في ساحة النقد الأدبي في هذه المرحلة ، أي مرحلة ما بعد نكبة ١٩٤٨ في الأرض المحتلة ، بل يقف معهم زملاء لهم ، منهم : سالم جبران الشاعر المعروف ، وطارق عون الله ، وعلي عاشور ، ومحمد خاص ، وعفيف سالم .

ومن القضايا التي عالجها هؤلاء الشعراء دور شعر الأرض المحتلة في الشعر العربي المعاصر الثوري . ويبين محمود درويش كيف يصبّ هذا الشعر في نهر الشعر العربي بتياره الخصب الملتحم بالأرض والإنسان ، وما يعترضها من اضطهاد وعذاب وعدوان ، وكيف يندغم هذا التيار بذلك النهر ، وبحركة التقدم الإنساني في العالم . يقول محمود درويش عن شخصية الشعر الفلسطيني وأبعاده : " شعر المقاومة ، كما أفهمه ، تعبير عن رفض الواقع ، معبأ باحساس ووعي عميقين بلا معقولية استمرار هذا الواقع ، وبضرورة تغييره والإيمان بإمكانية التغير . قد يبدأ هذا الشعر غالباً بالتعبير عن الألم ، والظلم ، ثم الاحتجاج والغضب والرفض " .

أما سميح القاسم فقد عالج فيما كتب قضايا نقدية من بينها : الموقف والفن ، والشكل الحديث للشعر ، وضرورة مواجهة الجماهير ، وتأثير الأساطير الشعبية والحكايات في شعره وشعر زملائه والمدرسة الشعرية التي ينتمي إليها .

ومن القضايا النقدية التي تناولها توفيق زيّاد : قضية الأدب الشعبي ، واهتمامه بهذه القضية ضارب في أعماق واقعيته الجديدة وإيديولوجيته العامة ، وقضية اللغة العربية السليمة ، وملامح الشعر الثوري في فلسطين المحتلة . ولتوفيق زيّاد ثلاث دراسات لثلاثة دواوين شعرية : الأولى حول مجموعة شعرية مخطوطة لشاعر آثر توفيق زيّاد أن يذكر اسمه المستعار ، وهو عبد المنعم ، والثانية ديوان " عاشق من فلسطين " لمحمود درويش ، والثالثة ديوان " موعد مع المطر " لفوزي عبد الله .

وإذا انصبّ الحديث على حركة النقد الأدبي في داخل فلسطين فإن هذا لا يعني أن النقد لم تمتد حركته الفلسطينية خارج فلسطين ، فقد ظهر نقّاد فلسطينيون في البلاد العربية ، وغير العربية، ومن هؤلاء : إحسان عباس ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وتوفيق صايغ * ، ومحمد يوسف نجم ، ومحمود السمرة ، وعبد الرحمن ياغي ، وهاشم ياغي ، وإسحاق موسى الحسيني وغيرهم .

ب ـ الأدب الإذاعي : كان عاملاً من عوامل النهضة الأدبية في فلسطين ، وقد جاء متأخراً عن العوامل الأخرى ، ولكن الذين أشرفوا عليه كانوا يدركون أهميته منذ وجدت الإذاعة ، وقد أدركت حكومة الانتداب البريطانية في فلسطين من قبل أهمية هذا العامل ، فسعت منذ مرحلة مبكرة لتأسيس محطة إذاعة . ومن الغريب أنّ اختيارها وقع على الشاعر إبراهيم طوقان * لإدارة البرامج العربية . ولكن الصدام وقع بين هذا الشاعر الوطني ، والسلطات ،وتضاربت الغايتان ، وثارت الصهيونية على وجوده هناك ، وشددت السلطات الرقابة على كل ما يذيعه . وانتهى الأمر بإقصائه عن الإذاعة . وقد استطاع إبراهيم طوقان من خلال سنوات إشرافه الأربع أن يُغني الأدب بالأحاديث والمحاضرات ،أبرزها سلسلة موضوعها " شخصيات فلسطينية بارزة " كان لها دورها في التراث العربي .

كذلك كان لعالم فلسطين قدري طوقان * أثر كبير في هذا الميدان الإذاعي بما قدم من أحاديث عن الجوانب العلمية وأبرز العلماء.

وعمدت الإذاعة الفلسطينية لدعوة الكتاب والباحثين والمحاضرين من فلسطين ومن البلاد العربية المجاورة ليلقوا أحاديثهم وليعرضوا نتاج أدبهم من خلالها . ومن هؤلاء الشاعر اللبناني الأخطل الصغير بشارة الخوري الذي حيّا فلسطين بقصيدة أذاعها مساء الخميس ١٩٤٢/٤/٢ ، وعبد اللطيف الطيباوي الذي كان يحاضر الناس عن الجيش في التاريخ الإسلامي ، ثم عن التربية والتعليم في العصور الإسلامية . وتحدث عبد السلام البرغوثي عن ديار العرب والإسلام ، وأذاع عدداً من التعليقات السياسية حول الأحداث الدولية ، وعدداً من التعليقات الاقتصادية كذلك . ومن الأدباء العرب الذي تحدثوا من خلال هذه الإذاعة عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري ومحمد كرد علي وخليل تقي الدين ويوسف يزبك. كذلك ألقت فيها

أسمى طوبي وماري صروف شحادة وقدسية خورشيد أحاديثهن عن المرأة والأسرة وتربية الطفل .

وهكذا أسهم هؤلاء الأعلام الكبار وكثيرون غيرهم في حركة الأدب الفلسطيني الحديث إسهاماً جيداً .

وحين قامت محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية في فلسطين مقام الإذاعة الفلسطينية ـ إذاعة حكومة الانتداب ـ دعا القائمون عليها علماء وصحفيين ومحاضرين من البلاد العربية المجاورة مثل عبد الله العلايلي ، وعلي الحوماني ، وكرم ملحم كرم . وقد عمل في هذه الإذاعة حين نقلت إلى جزيرة قبرص نجاتي صدقي ، وغيره من الفلسطينيين .

ولم يقتصر نشاط الفلسطينيين الإذاعي الثقافي على هاتين الإذاعتين بل امتد بعد نكبة ١٩٤٨ إلى غيرهما من إذاعات البلاد العربية . ففي الإذاعة الأردنية عدد من المثقفين الفلسطينيين في البرامج الثقافية . وقد أنشئت في معظم البلدان العربية إذاعات فلسطينية لخدمة النضال الفلسطيني بعد حرب ١٩٦٧ * ، وعملت هذه الإذاعات على تنشيط الحركة الثقافية الموجهة في الدرجة الأولى إلى الفلسطينيين بأساليب ثقافية متعددة ، منها شعبية فولكلورية ، ومنها غنائية ، ومنها تعليقات وأخبار وغيرها .

وحين نشأ التلفزيون في البلاد العربية أسهم الكتاب والمثقفون الفلسطينيون بجانب من النشاط الثقافي فيه .

جـ ـ أدب الأطفال : في أدب الأطفال الفلسطيني سمات أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث عامة ، وهي التي جعلت أدب الأطفال يتأخر في حضور شخصيته إلى وقت قريب ، ويتأخر في ظهوره بالمعنى العلمي الحديث ، حتى يصح القول إنه إلى الآن لم يظهر الأدب الفلسطيني المتخصص في كتابة أدب الأطفال بعناصره الأساسية .

بيد أن بالإمكان القول إنّ بعض المربين الفلسطينيين أسهموا في وقت مبكر من حياة الثقافة الفلسطينية الحديثة بالاهتمام بالأطفال والكتابة لهم ، وخاصة في مجال الكتب المدرسية . وربما كان خليل السكاكيني الرائد في هذا الميدان . ولعل كتابه « الجديد » الذي ألفه بطريقة درجات متصاعدة تبعاً لمدارك الأطفال من خير المؤلفات المدرسية في الوطن العربي الحديث عامة ، وفي الثقافة الفلسطينية الحديثة خاصة . وقد أسهم محمد إسعاف النشاشيبي بنصيب في هذا الحقل بكتابه « البستان » .

وإذا كان الكتاب المدرسي ، على ما فيه من مآخذ تخرجه أحيانا من دنيا الأطفال ، قد بَنَى لَبِنَة متواضعة الأهمية في هذا الشأن ، فإن بعض الكتاب الفلسطينيين كتبوا مادة يمكن أن تكون في بعض جوانبها في منال الأطفال ، وإن لم تجمع خصائص أدب الأطفال ولم يقصد كتّابها التوجه إلى الأطفال . وفي طليعة هؤلاء الكتاب إسحق موسى الحسيني في كتاب « مذكرات دجاجة » ، فالإصغاء النفسي للحيوان الذي يقارب منطقُه منطق الإنسان من عناصر الشخصية عند الأطفال . وهناك بعض الكتب الفلسطينية التي تثير اهتمام الأطفال الكبار ، وإن لم توجه إليهم في الأصل ، ككتاب « الدنيا حكايات » وكتاب « من سواليف السلف » لفايز علي الغول .

جاءت بعد هذا النوع من الكتابة مرحلة اتجه بعض الكتّاب الفلسطينيين فيها إلى كتابة كتب موجهة للأطفال خاصة . لكنها اتسمت ببعض السمات السلبية التي أصابت كتبا عربية أخرى ، مثل غياب تحديد مراحل العمر عند الأطفال الذين تصلح الكتب لهم فتثير اهتمامهم وفضولهم . ومثل غياب الربط بين واقع الأطفال ومضمون الكتب في بعض الأحيان ، وكذلك الربط بين لغة الكتب والجو النفسي لمراحل الطفولة الموجهة هذه الكتب إليها . ولكن هذه السلبية لا تقلل ، من الناحية التاريخية ، من مسيرة التأليف الأدبي للاطفال لدى المؤلفين الفلسطينيين . ومن الكتب التي يمكن الإشارة إليها في هذا الحقل : كتاب « كوكو البطل » وكتاب « خالد وفاتنة » لراضي عبد الهادي ، وكتاب « سمسمة الشجاعة » لأمين فارس ملحس ، وكتاب « أحمد المدلل » وكتاب « أيام الشتاء » وكتاب « وردان » ، وهذه الثلاثة من تأليف فايز علي الغول وإسحاق موسى الحسيني ، وكتاب « الملك سيف بن ذي يزن » لتوفيق أبو السعود ، وكتاب « ذكاء القاضي » وكتاب « العدل أساس الملك » ، وهما مسرحيتان للطلبة ألفهما نصري الجوزي ، وكتاب « مجموعة مسرحيات تاريخية » لجمال حجازي وجميل أبي ميزر .

ولما أخذت البلاد العربية المتقدمة نسبياً في نهضتها الثقافية تعنى بالأطفال ، وخاصة منذ بدايات الثلث الأخير من هذا القرن ، أخذت أقلام جديدة فلسطينية تتجه إلى كتابة أدب الأطفال ، لكن ظلت التقديرات الذاتية للجو النفسي للطفل هي الغالبة على هذه المرحلة أيضاً ، وكذلك عنصر التجريب بدل عنصر النضج الفني في كتابة هذا النوع من الأدب . ثم إن كتّاب هذه المرحلة لم يظهر بينهم كاتب متخصص تمام التخصص في الكتابة للأطفال بأدواته وعناصره ومؤهلاته الرفيعة المستوى .

وعلى الرغم من ذلك ، تعدّ هذه المرحلة مرحلة متقدمة نسبياً على ما مرّ بها من مراحل في أغلب الأحيان . ومن كتّاب هذه المرحلة الأخيرة البارزين : القصاصون محمود شقير ، وفخري قعوار ، وشحادة الناطور ، ومفيد نحلة ، وقد أسهموا بكتابة القصة القصيرة في هذا الميدان ، أما مفيد نحلة فقد أسهم أيضاً بالرواية . وشارك بالرواية وبالشعر كذلك أحمد أبو عرقوب .

ومن الذين أسهموا بكتابة الشعر الفلسطيني للأطفال : علي الخليلي ، ومحمود الشلبي ، ومحمد القيسي ، والشاعر الشعبي (أبو الصادق) . وكان لعبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) ولمعين بسيسو إسهام في هذا المجال . ومن الكاتبات الفلسطينيات اللواتي عنين بأدب الأطفال باسمة حلاوة ، وروضة الهدهد التي أخذت في كتابة بعض المؤلفات التي تصور أبطالاً من تراثنا للأطفال .

د ـ أدب الرحلات الفلسطيني : عرف الفلسطينيون هذا النوع من الأدب لأنهم ترجموا ثمرة اتصال فلسطين بكثير من بلدان العالم ، وثمرة اتصالهم هم أنفسهم بتلك البلدان . وقد برز بينهم رحالة ملكوا صفات الرحالة العرب القدامى الذين اشتهروا بيقظة الملاحظة ، وعمق الإدراك ، وبراعة التعبير عن كل ما يلقونه في البلاد التي رحلوا إليها . ولعل في طليعة هؤلاء جميعا : الشيخ خليل الخالدي * (١٨٦٣ ـ ١٩٤١) ، وروحي الخالدي (١٨٦٤ ـ ١٩١٣) . فقد أولع الشيخ خليل الخالدي بالرحلات الطويلة الشاقة إلى حدّ أنه استطاب شدّ الرحال إلى العالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا ، وطاف في دور الكتب القائمة في العواصم الإسلامية والعواصم العربية ، ووقف على تلك الخزانات وما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة ونسخ شاردة ، واجتمع له من هذا كله أن أصبح ثقة العالم الإسلامي في التراث العلمي الإسلامي الممثل في الكتب والمدوّنات والسجلّات والمكتبات والكراريس والمخطوطات . وأولع الشيخ خليل بالأندلس ، ورحل إليها رحلتين كانت الثانية في عام ١٩٣٢ ، ووقف في مساجدها وجوامعها يستنطق آثارها ويستقصي أخبارها . وقد كتب في ذلك كتابا بعنوان « رحلتي إلى بلاد المغرب والأندلس » . وقد قال عنه أحمد بن محمد الهواري في كتابه « معجم الشيوخ » : " إن للشيخ الخالدي مذكرة في نحو خمسين جزءاً في ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التي زارها " .

أما روحي الخالدي فله تطواف في بلدان شرقية وغربية ، وقد زار الأندلس ، ودوّن كتاباً بعنوان « رحلة إلى الأندلس » وصف فيه آثار تلك البقعة العربية النادرة

وهناك عدد من الفلسطينيين الذين اهتموا بأدب الرحلات ، وبالرحلات ، منهم إسكندر الخوري البيتجالي القاضي الشاعر الذي زار أمريكا الجنوبية في مهمة إنسانية سنة ١٩٥٢ ، وكتب في ذلك كتابا بعنوان « جولة في أمريكا اللاتينية » . وبندلي صليبا الجوزي * (١٨٧١ ـ ١٩٤٢) الذي ألف كتاباً بعنوان « رحلة البطريرك مكاريوس ابن عم الزعيم إلى بلاد الكرج » . وجورج إسكندر دوماني العكّي المولد الذي تخصص بدراسته في أمريكا في علم طبقات الأرض وعلم النباتات والحيوانات المتحجرة ، واختارته الأكاديمية العلمية في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٨ عضوا في البعثة الجيوفيزائية إلى القطب الجنوبي ، فكان أول عربي وطئت قدماه تلك المجاهل ، ونشرت له مكتبة الكونغرس الأميركي كتباً علمية بقلمه .

ومن الفلسطينيين الذين لهم نشاط في ميدان الرحلات وأدبها القس أسعد منصور ، والمطران نقولا عبد الله ، ودرويش المقدادي * ، ونقولا زيادة ، وأكرم زعيتر ، وعلي الدجاني ، ومحمود العابدي * ، وعارف العارف* ، وعزمي النشاشيبي .

فقد زار القس أسعد منصور بريطانيا ، وألف كتابا بعنوان « رحلة إلى بلاد الإنكليز » طبع في عام ١٩٣٠ . وألّف المطران نقولا عبد الله كتابا بعنوان « انطباعاتي في إفريقيا » .

وكتب درويش المقدادي مقالات في المجلات العربية وصف فيها رحلات كبار المؤرخين العرب والمسلمين . وفي سنة ١٩٢٤ زار عمّان (عاصمة الأردن) ، ووصف رحلته إليها بمقال نشرته مجلة دار المعلمين تناول فيه عمان ـ الرومان ومحالفاتهم ـ والمدن العشر وآثار عمان ـ والشركس وعادة الخطف عندهم .

واهتم نقولا زيادة بالرحلات وأدب الرحلات عند العرب وعند غيرهم من الأوربيين ، فألف كتابين في هذا الميدان ؛ الأول بعنوان « روّاد الشرق العربي في العصور الوسطى » نشره سنة ١٩٤٣ ، وعرض فيه للرحلة والرحالين في العصور الوسطى ، والرحلة والحج ، والحجاج المسيحيين ، والجغرافيا والرحلات في الإسلام ، والرحالة المسلمين ، والرحالة الأوربيين في زمن الصليبيين ، ورحالي القرن الرابع عشر ، ورحالي القرن الخامس عشر ، ورسم صورة للحياة في الشرق العربي مقتبسة من رحّالي العصور الوسطى ، وعرض للأسفار في العصور الوسطى .

أما كتابه الثاني في هذا الموضوع فهو « الجغرافيا والرحلات عند العرب » ، نشره في سنة ١٩٦٢ ، وعرض فيه لأدب الرحلة عند العرب ، فذكر طلائع الرحالين ، ووقف عند رحالين من المشرق ومن المغرب كابن بطوطة ، والرحالة ابن فضلان ، والتيجاني التونسي ، ووقف عند الخليج العربي ورحالي العصور الوسطى ، وعند الخليج العربي والرحالين الأوربيين .

أما أكرم زعيتر فقد ترأس وفداً عربياً إلى أميركا اللاتينية في سنة ١٩٤٧ لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها ، فطاف في جمهورياتها ، واتصل برساستها ، وألف كتابا في وصف رحلته هذه أسماه « مهمة في قارة » .

وقام علي الدجاني في سنة ١٩٤٤ بزيارة للملكة العربية السعودية ، وإثر عودته إلى القدس نشر كتاباً بعنوان « مشاهدات في الحج » .

وكان لمحمود العابدي إسهام في هذا المجال ، إذ أخرج في سنة ١٩٧١ ترجمة لرحلة السائح الإنكليزي « كينغليك » التي زار فيها فلسطين . وفي هذه الرحلة تفاصيل ضرورية عن الحياة الاجتماعية قلّ أن توجد في كتاب آخر كتب عنها في تلك الفترة .

وأسهم عارف العارف بالتعبير عن رحلته التي أجبر عليها حين أسره الروس في سنة ١٩١٥ مع رهط من الضباط العرب كانوا في الجيش العثماني ، وبعثوا بهم إلى معتقل قرب مدينة « كراس نويارسك » الواقعة على شاطىء نهر يني ساي ، حيث أمضى هنالك ثلاث سنوات . ثم هرب ومعه واحد وعشرون أسيراً عربياً إلى صفوف الثورة العربية الكبرى ، وسلكوا طريق منشوريا ـ اليابان ـ الصين ـ الهند ـ مصر عن طريق البحر الأحمر . وكان تعبير عارف العارف عن هذه الرحلة بمحاضرة عنوانها « رؤ ياي » ، طبعها أول طبعة سنة ١٩٤٣ .

وأما عزمي النشاشيبي فأسهم في هذا المجال بكتابين : الأول بعنوان « من القدس الشريف إلى النجف » ، والثاني بعنوان « من القدس إلى لندن » :

المراجع :

ـ هاشم ياغي : **حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين** ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ عبد الرحمن ياغي : **حياة الأدب الفلسطيني الحديث** ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ ناصر الدين الأسد : **محمد روحي الخالدي رائد البحث التاريخي الحديث في فلسطين** ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ ناصر الدين الأسد : **خليل بيدس رائد القصة العربية الحديثة في فلسطين** ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ يعقوب العودات : **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** ، عمان ١٩٧٦ .
ـ نزيه أبو نضال : **جدل الشعر والثورة** ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ هيفاء خليل شرايحة : **أدب الأطفال ومكتباتهم** ، عمان ١٩٧٨ .

إِدْنَـا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة نحو ١٣ كم إلى الغرب ـ الشمال الغربي من الخليل * . وتربطها طريق معبدة بكل من الخليل وترقوميا * ودير نخاس * وبيت جبرين * . وتربطها طريق معبدة أخرى بخربة بيت عوّا ، ويربطها درب ممهد بالدوايمة * والقبيبة .

نشأت ادنا على موقع مدينة « أشنه » الكنعانية ، وعرفت باسمها الحالي منذ عهد الرومان . وترتفع ٤٥٠ ـ ٥١٠ م فوق سطح البحر . تنحدر أراضيها الجبلية نحو الشمال الغربي حيث يمر أحد روافد وادي زيتا من طرفها الشمالي الشرقي ، ويمر وادي الدوايمة أحد روافد وادي القبيبة في أراضيها الجنوبية .

تتألف أدنا من بيوت مبنية من الطين أو الإسمنت أو الحجر ، وتخترقها طريق ترقوميا ـ الدوايمة من وسطها ، وتؤلف الشارع الرئيس في البلدة . وعلى جانبي هذا الشارع بعض المحلات التجارية والمرافق العامة . يتخذ مخططها شكل المستطيل ، وتبدو البيوت متجمعة متلاصقة في الجزء الشمالي من البلدة ، في حين تتباعد في تجمعات سكنية في الجزء الجنوبي منها ، على أن أكثر البيوت تتركز في الجزء الشمالي . وتشتمل البلدة على جامع ، وثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات ، وعيادة صحية ، ومركز لتغذية الأطفال تابع لوكالة غوث اللاجئين . وتشرب البلدة من الآبار الموجودة في غربها وشمالها .

بلغت مساحة البلدة في عام ١٩٤٥ نحو ١٥٣ دونما . لكن ازدياد عدد سكانها ، ولا سيما الازدياد الناجم عن استيطان بعض اللاجئين الفلسطينيين ، أدّى إلى امتداد العمران نحو الجنوب ونحو الشمال ، حتى وصلت مساحتها عام ١٩٨٠ إلى ٣٠٠ دونم .

لبلدة ادنا أراض واسعة مساحتها ٣٤,١١٢ دونماً ، منها ١٦ دونما للطرق والأودية . وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة كالزيتون * الذي يحتل المكانة الأولى بين الأشجار المثمرة ، والعنب * والتين . وتزرع الحبوب * والخضر * أيضاً في الأراضي المنبسطة وفي بطون الأودية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . وتنمو الأعشاب الطبيعية على المرتفعات الجبلية وتستخدم لرعي المواشي ، ولا سيما الأغنام والماعز .

بلغ عدد سكان ادنا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٠٠ نسمة ، ازدادوا في عام ١٩٣١ إلى ١,٧١٩ نسمة ، كانوا يقيمون في ٣١٩ بيتا ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٢,١٩٠ نسمة . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٥٦٨ نسمة ويقدر عددهم سنة ١٩٨٠ بنحو ٥,٥٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ **خارطة فلسطين** : مقياس : ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل .

الإدوميـون : رَ : الإيدوميون

الأدويــة (صناعة ــ) : رَ : الصناعة

أديب أبو ضبّة (١٨٩٦ ـ ١٩٢٢) :

أحد العاملين في الميدان الوطني الفلسطيني ، ولد بيافا * ، وأتم تحصيله الابتدائي والثانوي في مدارسها . ثم انتمى إلى الجامعة الأميركية ببيروت ، وأتم الدراسة التمهيدية للطب فيها . وحال اشتداد الحركة الوطنية بيافا واندماجه فيها دون مواصلته الدراسة ، وقد كان له دوره الفعال في ثورة يافا * سنة ١٩٢١ . وانتخب عضوا وسكرتيرا للوفد الفلسطيني إلى مكة في موسم الحج سنة ١٩٢٢ زميلا لرئيس الوفد الشيخ عبد القادر المظفر * ولرفيق التميمي . وعاد الوفد من الحجاز إلى نابلس رأساً لحضور المؤتمر الفلسطيني الخامس سنة ١٩٢٢ (رَ : المؤتمر العربي الفلسطيني) . وقد قرر المؤتمر المذكور مقاطعة الانتخابات للمجلس الاشتراعي الذي اقترحت تأليفه السلطة البريطانية ، بسبب الإجحاف الذي يصيب العرب من جرّائه . واختير وفد للطواف في المدن والقرى الفلسطينية للدعوة إلى مقاطعة الانتخاب والتبشير بقرارات المؤتمر . وكان مؤلفا من الشيخ عبد القادر المظفر وخليل السكاكيني * وأديب أبو ضبة . وحدث أن انقلبت السيارة بهم وهم في طريقهم إلى طولكرم * ونابلس * ، ونهض أديب أبو ضبة يحاول أن يساعد رفيقيه لإنقاذهما فتحولت السيارة عن موضعها فقضت عليه ، وجرح زميله المظفر . وقد احتفلت نابلس بتشييع جثمانه حين مر بها احتفالا كبيراً . وخرجت يافا لاستقبال جثمان فتاها الشهيد . وأقامت له في أربعينه احتفالاً تأبينياً أشاد بتضحيته ، وبما أثر عنه من مناقب الوطنية والأخلاق ، ودوره البارز في الحركة الوطنية على رغم صغر سنه .

المراجــع :

ــ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٩ .
ــ جريدة فلسطين (يافا) ، ١٩٢٢ .

أديل عازر (١٨٩٠ ـ ١٩٧٢) :

واحدة من رائدات الحركة النسائية * . ولدت في مدينة يافا * ، وفيها قضت شبابها ، وتزوجت ، وبقيت حتى عام ١٩٤٨ . نزحت عن يافا مع أسرتها في ذلك العام إلى مصر ، وأقامت في الإسكندرية حيث توفيت .

تلقت أديل عازر تعليمها في مدينة يافا ، وأنهت دراستها الثانوية فيها ، ثم انصرفت إلى تعلم اللغات الأجنبية فأتقنت اللغتين الفرنسية والإنكليزية .

اتجهت منذ بواكير صباها إلى الحركة النسائية الخيرية والعلمية ، وشاركت في تأسيس الجمعيات الخيرية * والمعاهد التعليمية ، كالمعهد العلمي ، أو الكلية الأرثوذوكسية بيافا . وهكذا تميزت أديل عازر بحبها للعلم ، وإيمانها العميق بخدمة أبناء وطنها عن طريقه .

أما على مستوى النشاط النسوي الوطني ـ السياسي فترجع شهرة أديل عازر إلى إسهامها في المظاهرات الوطنية والمؤتمرات السياسية . وقد اكتسبت مكانة خاصة عندما احتلّت مركز الرئاسة في اجتماع السيدات العربيات * الذي عقد في ١٩٣٦/٧/٢٧ في يافا بمناسبة اليوم المئوي للإضراب العام في مدن فلسطين وقراها . كما كان لمساعيها ونشاطها الأثر الأكبر في اتخاذ قرار عام بإصدار نداء وطني وجّهته المجتمعات إلى بنات فلسطين تحت عنوان :

" يا بنات فلسطين قدّمن حليكن وساعدن أمّتكن " .

المراجــع :

ــ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
ــ أسمى طوبي : عبير ومجد ، بيروت ١٩٦٦ .
ــ المؤتمر النسائي الشرقي : المرأة العربية وقضية فلسطين ، القاهرة ١٩٣٨ .

إذنــا رَ : إدنا

إذْنِبَّــة (قرية ــ) :

قرية عربية تقع في أقصى جنوب قضاء الرملة * متاخمة لحدود قضاء الخليل في منتصف الطريق بين قريتي التينة * ومغلّس * . نشأت إذنّبة فوق رقعة متموجة من الأرض الانتقالية بين المرتفعات الجبلية شرقاً والسهل الساحلي * غرباً . وترتفع قرابة ١٥٠م فوق سطح البحر وقد عرفت إذنبة في العهد الروماني باسم دانب .

كانت منازلها مندمجة ، مبنية من الطوب والحجر . وقد ظلت مساحتها صغيرة ونموها العمراني بطيئاً ، إذ لم تتجاوز مساحتها ٢٥ دونماً ، ولم تضم أكثر من ١٠٠ بيت . وتحيط بالقرية مجموعة خرب أثرية ، مثل خربة المنسية وخربة دير النعمان وخربة الشيخ داود (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وتدل هذه الآثار الغنية على أن منطقة إذنبة كانت في الماضي معمورة بالسكان .

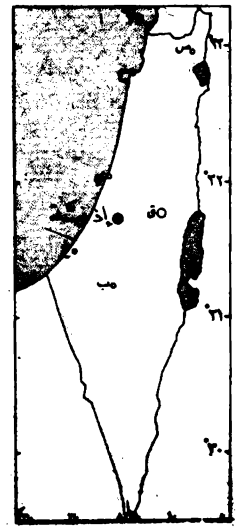

بلغت مساحة أراضي إذنبّة ٨,١٠٣ دونمات ، منها ١٤٩ دونماً للطرق والأودية ، و١,٠٨٣ دونماً امتلكها الصهيونيون . وتشتهر أراضيها بغنى مراعيها لتوافر الأعشاب في الربيع ، وبصلاحها لزراعة الأشجار المثمرة والحبوب * . وأهم الغلات الزراعية في القرية الزيتون * والحبوب .

نما عدد سكان إذنبة من ٢٧٥ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٣٤٥ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ٤٩٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل معظم السكان في الزراعة * والرعي وتربية المواشي والدواجن . لكن إنتاج الأرض كان ضعيفاً نسبياً لوجود الحجارة الصغيرة في التربة من جهة ، ولاعتماد الزراعة على الأمطار التي تتفاوت كمياتها من عام لآخر .

تعرضت إذنبة عام ١٩٤٨ للعدوان الصهيوني فغادرها سكانها . وقد دمرها الصهيونيون وأقاموا عام ١٩٥٥ على بقاياها مستعمرة « هارونيت » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الأراضـــي :

رَ : استملاك الأراضي (قانون ـ ١٩٥٣)
رَ : استملاك الأراضي للصالح العام (قانون ـ ١٩٤٣)
رَ : انتقال الأراضي (قانون ـ ١٩٢٠)
رَ : انتقال الأراضي (نظام ـ ١٩٤٠)

الأراضي (قانون ـ العثماني) : رَ : الأرض (ملكية ـ)

الأرثوذكس (بطريركية ـ)

رَ : القدس (بطريركية ـ)

الأرثـوذكســـية :

لفظة « أرثوذكس » لفظة يونانية تعني « المستقيم الرأي » . وأخذت تعني في المصطلحات الدينية المسيحية « أتباع الإيمان القويم » . بدأ استعمال هذه اللفظة في القرون الأولى لتمييز أتباع المذهب الأرثوذكسي من غيره من المذاهب المسيحية .

وبعد انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية في القرن الحادي عشر الميلادي ، أصبحت الكنيسة الشرقية تعرف باسم « الكنيسة الأرثوذكسية »، والكنيسة الغربية باسم « الكنيسة الكاثوليكية » . وهذه أيضاً لفظة يونانية تعني « الكنيسة الجامعة » .

كانت الكنيسة الشرقية قديماً تخضع لبطريركية القسطنطينية ، ثم أخذت الكنائس تستقل شيئاً فشيئاً لأسباب دينية أو سياسية أو قومية .

والكنائس الأرثوذكسية اليوم هي :

١) الكنيسة البيزنطية : وتستعمل اللغة اليونانية . وصيغة الصلوات فيها تعود إلى تقاليد بيزنطية تكوّنت في بيزنطة ، أي القسطنطينية . وتشمل هذه الكنيسة اليوم الكنيسة اليونانية في القسطنطينية وبلاد اليونان ، وفي جزيرتي كريت وقبرص ، وفي فلسطين وسورية ولبنان ومصر ، والكنائس الشرقية في روسيا وفي سائر دول أوربا الشرقية . وكل كنيسة من تلك الكنائس مستقلة عن الأخرى استقلالاً تاماً .

٢) الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية : ولغتها الأرمنية ، وجميع رعاياها من الأرمن .

٣) الكنيسة السريانية الأرثوذكسية ، أو الكنيسة اليعقوبية : ولغتها السريانية ، وصيغة صلواتها تعود إلى القرون الأولى . وقد تكونت في القدس وأنطاكية ، وجميع رعاياها من العرب ، ما عدا هنود الملابار الذين انضموا إلى كنيسة أنطاكية .

٤) الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر : ولغتها القبطية أو المصرية القديمة . وجميع رعاياها من المصريين .

٥) الكنيسة الحبشية الأرثوذكسية في الحبشة : وجميع رعاياها من الأحباش .

وجميع هذه الكنائس ممثلة الآن في فلسطين ، ولا سيما في القدس ، وفي كنيسة القيامة * نفسها ، ولكل منها شأن خاص . وهذه الكنائس قليلة العدد ، ما عدا الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية التي يعرف أتباعها في اللغة الدارجة باسم « الروم » ، أو « الروم الأرثوذكس » . وقد دعوا بذلك لأنهم كانوا ينتسبون أصلاً إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية . وأول من أطلق عليهم هذا اللقب هم المؤرخون العرب . وفي اللغات الأوربية يدعون باسم « اليونان الأرثوذكس » . وهم الأكثرية بين الفئات المسيحية المقيمة اليوم في فلسطين . والكلام في هذه المادة مقصور على هذه الفئة الأخيرة .

بدأ تعدد الطوائف المسيحية في المكان الواحد منذ القرن الخامس الميلادي أي القرن الذي ظهرت فيه الكنائس المونوفيزية * . كذلك بدأ في فلسطين وجود الكنيسة اليعقوبية*، أو كنيسة السريان الأرثوذكس ، وإلى جانبها الكنيسة الملكية ، أي التابعة لمذهب الإمبراطور أو الملك . وهذه الكنيسة الملكية هي التي أصبحت فيما بعد الكنيسة اليونانية العربية الأرثوذكسية . وعلى حين كان رعايا الكنيسة اليعقوبية كلهم من العرب السوريين او الفلسطينيين ، كان رعايا الكنيسة الملكية من اليونان ، ومن العرب المتأثرين بالحضارة اليونانية .

لم تصبح الأرثوذكسية في فلسطين كنيسة مستقلة بطابع متميز من الكنيسة العامة إلاّ بعد القرن الحادي عشر الميلادي إثر الانقسام الكبير بين الشرق والغرب . ولم تتأثر الكنائس في الشرق بهذا الانقسام إلاّ بصورة تدريجية . فقد بقيت كنيسة القدس مثلاً في القرون التالية على اتصال بكنيستي القسطنطينية وروما على السواء ، لهذا فإن تاريخ الأرثوذكسية في فلسطين هو تاريخ المسيحية فيها بصورة عامة حتى القرن الحادي عشر حين تم الانفصال عن روما بدءاً من سنة ١٠٥٤م .

واستقرت اللغة العربية في الكنيسة الأرثوذكسية بعد الفتح العربي ، لأن عدداً من بطاركة القدس وأساقفة سائر الأبرشيات في فلسطين كانوا من السوريين أو الفلسطينيين ، وكانوا يتقنون اللغتين اليونانية والعربية .

وظل مصير الكنيسة الأرثوذكسية في العصرين الأموي * والعباسي * متقلباً متوقفاً على علاقات الخلافة بالإمبراطورية الرومانية ، وعلى مصير المعارك الدائرة بينهما . فإذا حسنت العلاقات بينهما حسن حال الكنيسة ، وإذا ساءت العلاقات ساء حال الكنيسة . وقد أصبح بطريرك القدس في العهد الإسلامي رئيس ملة يتولى إدارة شؤون رعاياه من الناحية الدينية والمدنية .

في العهد الصليبي أقام الصليبيون على الكرسي البطريركي في القدس بطاركة من الفرنجة متّحدين مع كنيسة روما . فحلّت اللغة اللاتينية في هذا العهد محل اللغة اليونانية . وأصبح رعايا الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية، من يونان وعرب ، خاضعين لإدارة بطاركة القدس اللاتين (رَ : الفرنجة) .

عاد البطاركة اليونان إلى القدس بعد انقضاء عهد الصليبيين . لكن الكنيسة اليونانية في فلسطين تعرضت لاضطهادات المماليك * مما دعا إلى تعيين بطاركة عرب على الكرسي البطريركي في القدس . ولهذا يقول المؤرخ قنسطنسيوس الأول بطريرك القسطنطينية (١٨٣٠ - ١٨٣٤) : " بعد بطاركة اللاتين كان جميع بطاركة القدس عرباً ، وكانوا ينتخبون من بين أساقفة البطريركية ، وكلهم من العرب ومن بين الإكليروس الوطني " . وقال دوستاوس بطريرك القدس (١٦٦٩ - ١٧٠٧) في تاريخه : " منذ كانت السلطة في أيدي سلاطين مصر لم يكن بطاركة القدس يونانيين ، بل كانوا عرباً " .

وكان آخر البطاركة العرب في القدس البطريرك عطاالله ، أو دوروتاوس الثاني (١٥٠٥ - ١٥٣٤) . ويقال إن السلطان العثماني سليم الأول أصدر « فرماناً » يقضي بحرية العبادة للمسيحيين ، وبمنحهم السلطة الكاملة على الأماكن المقدسة .

وكان أول بطريرك يوناني في كنيسة القدس البطريرك جرمانس (١٥٣٤ - ١٥٧٩) . وقد عيّنه الباب العالي وأصبح تعيين البطاركة في القدس منوطاً بسلاطين القسطنطينية الذين حلّوا محل الأباطرة اليونانيين . وعمد البطريرك جرمانس إلى تقوية جمعية القبر المقدس للمحافظة على المصالح اليونانية في بطريركية القدس ، ولا سيما في الأماكن المقدسة . وانتهج هذا البطريرك سياسة قصد بها إقصاء العناصر العربية عن إدارة البطريركية ، وعن المناصب الكنسية العليا .

بدأت العناصر العربية في الكنيسة الأرثوذكسية تطالب بحقوقها منذ القرن التاسع عشر . ومن الدوافع التي أدّت إلى هذه اليقظة تعدد المدارس التي أسستها الكنيسة الكاثوليكية في فلسطين والكنيسة الروسية الأرثوذكسية (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس) . وقد نشطت الكنيسة الروسية بصورة خاصة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وحتى عام ١٩١٤ ، وحاولت أن تحلّ محل الكنيسة اليونانية في حماية ورعاية الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين . ولهذا حاولت أن تقف إلى جانب العناصر العربية في الكنيسة . يضاف إلى ذلك نشاط الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية المتزايد بين مسيحيي فلسطين . كل ذلك نبّه العناصر القيادية من العرب الأرثوذكس للمطالبة بحقوقهم .

وكانت العناصر اليونانية تعتمد على تأييد الباب العالي فرفضت جميع المطالب العربية . وأقرّ الباب العالي عام ١٨٧٥ أول نظام كنسي لكنيسة القدس يصدر عن سلطة مدنية غير أرثوذكسية . وقد حدد هذا النظام مهام المجمع المقدس ، أو السينودس ، وكيفية انتخاب البطريرك . ولم يراع في هذا النظام حقوق العرب ، حتى كان عام ١٩٠٨ فاضطر البطريرك دميانس إلى تقبّل المطالب العربية ، فقدّم بعض التنازلات ، وكوّن لجنة مختلطة من اليونان والعرب للإشراف على قسم من شؤون الكنيسة . ولم تكن هذه التنازلات كافية ، إذ أنها لم تعط العرب أية سلطة تؤثر في انتخاب البطريرك .

ولمّا حلّ الانتداب البريطاني محل الباب العالي ، وبدّل بنظام

١٨٧٥ نظام آخر عام ١٩٣٤ ، ظل عاجزاً هو أيضاً عن إنصاف العرب الأرثوذكس . ولهذا قاطع العرب ، بعد وفاة البطريرك دميانس سنة ١٩٣١ ، الانتخابات التي أدّت إلى تعيين البطريرك تيموثاوس عام ١٩٣٦ (رَ : الكهنة الأرثوذكس العرب ، مؤتمر) . وما زال الصراع قائماً حتى اليوم بين اليونان والعرب على الرغم من أن الأكثرية الساحقة من أبناء الكنسية الأرثوذكسية في فلسطين هم من العرب ، ولا تؤلف الجالية اليوناينة سوى أقلية ضئيلة .

تشمل الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين ، بالإضافة إلى الكرسي البطريركي في القدس ، ست مطرانيات في قيصرية وبيسان والبتراء وعكا وبيت لحم والناصرة ، وستة مراكز رئيس أساقفة في اللد وغزة وسيناء ويافا ونابلس وسبسطية وجبل الطور .

وعدد أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين اليوم نحو ٦٠ ألف نسمة . ويجب أن يكون البطريرك يوناني الأصل ، حاملاً الجنسية الأردنية ، وعضواً في جمعية القبر المقدس ، يساعده في إدارة الكنيسة مطران في الناصرة ، وآخر في عمان ، بالإضافة إلى المجمع المقدس ، أو السينودس المكوّن من ثمانية عشر عضواً كلهم من رجال الدين برتبة أسقف أو أرشمندريت ، والمجلس المختلط المكوّن من خمسة عشر عضواً من العرب واليونان ، والمنتخب لمدة ثلاث سنوات . وفي دار البطريركية في القدس محكمة كنسية تنظر في شؤون الرعايا الأرثوذكس بموجب قانون الأحوال الشخصية ، ومدرسة لاهوت تأسست عام ١٨٥٥ ، وجميع طلابها من اليونان . وفي دير القديسة هيلانة وقسطنطين مكتبة قديمة تحتوي على عدد من المخطوطات الثمينة .

المراجع :

— Duchesne, L.: **Histoire ancienne de l'Eglise,** Paris 1910.
— Fliche, A. et Martin, V.: **Histoire de l'Eglise,** Paris 1939.
— **Le Principali Communità Cristiane Oggi in Terra Santa,** Ms.
— Musset, H.: **Historire du Christianisme, spécialement en Orient,** Liban 1948.

الأرجنتين : رَ : أمريكا اللاتينية (دول —)

الأردن (استثمار مياه نهر — وروافده) :

أ ـ توطئة : تمتد مطامع الصهيونية العالمية بالسيطرة على مصادر المياه في شمالي فلسطين إلى المراحل الأولى من نشوء الحركة الصهيونية نفسها في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . وقد تبلورت هذه المطامع بأجلى صورها في الرسالة التي رفعها حاييم وايزمن باسم المنظمة الصهيونية العالمية * بتاريخ ١٩١٩/١٢/١٩ إلى ديفيد لويد جورج رئيس الحكومة البريطانية باعتباره ممثلا لمؤتمر الصلح * المنعقد في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، في الوقت الذي كان فيه الاستعماران البريطاني والفرنسي منهمكين في اقتسام أراضي سورية الطبيعية ورسم حدود الدويلات التي قررا تشكيلها فيها خلافا لكل العهود والمواثيق التي كانت بريطانيا قد أعطتها للعرب خلال ثورتهم العربية الكبرى .

أعلن وايزمن في رسالته هذه رفض الصهيونية المطلق لخطوط الحدود الشمالية لفلسطين التي سبق تعيينها من قبل الاستعمارين البريطاني والفرنسي في اتفاقية سايكس ـ بيكو * المبرمة في الخفاء بينهما عام ١٩١٦ . وأكّد وايزمن في رسالته : " أن مستقبل فلسطين الاقتصادي كله يعتمد على موارد مياهها للري والقوى الكهربائية . وتستمد موارد المياه بصورة رئيسية من منحدرات جبل حرمون ومن منابع حوض الأردن ومن نهر الليطاني " . وحدّد في البند الثامن من طلبات الصهيونية العالمية التي عدّدتها الرسالة رغبتها في رسم الحدود الشمالية لفلسطين وفقاً للنص التالي : " لهذه الأسباب نرى من الضروري أن يضمّ حد فلسطين الشمالي وادي الليطاني إلى مسافة نحو ٢٥ ميلاً فوق المنحنى ، ومنحدرات جبل حرمون الجنوبية ، لضمان السيطرة على منابع الأردن وإتاحة إعادة تحريج هذه المنطقة " .

وقد استجاب الحلفاء يومذاك لأكثر هذه الطلبات ، فعدّلوا الحدود المعتمدة سابقاً في اتفاقية سايكس ـ بيكو بما يتفق مع الكثير من الرغبات الصهيونية . فوضعوا الضفة الشرقية لمجرى نهر الأردن * الأعلى (نهر الشريعة) ولبحيرة طبرية * كاملة ضمن الحدود الفلسطينية ، واقتطعوا من لبنان بعض القرى والأراضي في حوض الحاصباني ، ومن سورية بعض المساحات والأراضي الهامة القريبة من بانياس واليرموك والمحيطة ببحيرة طبرية (خاصة ما جرى التعارف على تسميته فيما بعد بمثلث اليرموك) .

إلّا أن هذه الاستجابة ظلت قاصرة عن تلبية كل ما كانت الصهيونية تطمع في السيطرة عليه ، فظلت هذه تطمع في إخضاع المصادر المائية العربية لسيطرتها . ودأبت بعد الحرب العالمية الأولى ، بدعم وتأييد من الاستعمار البريطاني طوال فترة انتدابه على فلسطين ، وبدعم وتأييد من الاستعمار الأميركي عقب إقامة (الدولة الإسرائيلية) ، دأبت في حبك المؤامرات ورسم الخطط والمشاريع الهادفة لغرض تحكّمها بأكبر قدر من مصادر تلك المياه ، حتى تتمكن من استثمارها في تحقيق مشاريعها الاستيطانية والتوسعية الاستعمارية كلما سمحت لها الظروف الملائمة بذلك ، دون أي اكتراث بما للعرب من حقوق في تلك المياه . وقد احتدم حول هذه

المشاريع ، والمشاريع المضادة التي أعدها العرب لمجابهتها ، الكثير من النزاعات والصراعات التي بدأت خلال سني الانتداب وظلت تتصاعد خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن حتى انتهت عام ١٩٦٧ باحتلال (إسرائيل) أكثر مناطق تلك الينابيع والروافد ، وبسيطرتها على أكبر قسط من الموارد المائية في حوض الأردن (رَ : حرب ١٩٦٧) .

ب ـ مشاريع استثمار مياه نهر الأردن وروافده خلال فترة الانتداب (١٩٢٢ ـ ١٩٤٨) : تميّزت سياسة سلطة الانتداب البريطاني منذ قيامها في مطلع العشرينات بالالتزام الدائم بمحاباة مصالح الصهيونية والسعي إلى تحقيقها وصونها على حساب المصالح العربية . وقد اتجهت سياستها المائية في فلسطين ، وخاصة ما يتعلق منها باستثمار مياه حوض الأردن ، بانتهاج خطّين متلازمين في آن واحد :

الخط الأول : العمل على منح اليهود كل ما طلبوه من الامتيازات المائية ، سواء منها ما كانوا على استعداد لاستثماره مباشرة ، أو ما كانوا يخططون لاستثماره في المستقبل .

الخط الثاني : السعي لعرقلة إمكان قيام أي من الجهات العربية في فلسطين والأردن باستثمار أي من الموارد المائية التي يحتمل أن تكون لها صلة بالمشاريع الصهيونية المعدة للتنفيذ ، أو المتوقع إعدادها في المستقبل .

١) امتياز روتنبرغ : يتضح التطبيق العملي لهذه السياسة بعقد الامتياز الذي منحه المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٦ شركة الكهرباء الفلسطينية ، وهي شركة أسّسها المهندس اليهودي الروسي الأصل بنحاس روتنبرغ لاستخدام مياه نهر الأردن واليرموك عند نقطة تلاقيهما (في جسر المجامع ومستعمرة نهاريم اليهودية) لتوليد الطاقة الكهربائية مدة سبعين عاما . وبالرغم من أن مياه اليرموك كلها وأكثر مياه الأردن الأعلى عربية المصادر ، فقد أعطى الامتياز الشركة الصهيونية وحدها حق استثمار مياه الأردن وروافده ، وفيها اليرموك ، لتوليد الطاقة الكهربائية ، وحرم إمارة الأردن حق استعمال هذه المياه لأغراض الري إلاّ بترخيص من الشركة ، وهذا ما لم تسمح به الشركة قطّ . وأعطى صك الامتياز الشركة كذلك حق إنشاء محطات ومراكز لتوزيع القوة الكهربائية في شرقي الأردن ، باستثناء مناطق بلديات عمان والسلط والكرك . أما أرباح الامتياز فقد شرحت المادة ٣٤ منه أسلوب تقاسمها بين الشركة وحكومة الانتداب دون ان تعطي أياً من الدول العربية صاحبة الحق في المياه المستثمرة في المشروع أي نصيب منها .

ومما تجدر الإشارة إليه عند ذكر هذه الشركة أن صاحب امتيازها المهندس روتنبرغ أصبح منذ عام ١٩٢٩ رئيسا للمجلس الوطني اليهودي * في فلسطين ، وأن أول مدير عيّن لها كان هربرت صموئيل ، وهو أول مندوب سام للحكومة البريطانية ، وكان وراء الضغوط التي بُذِلَتْ لإعطاء الامتياز . وأن مدير الشركة عام ١٩٤٨ ، المدعو « أبا يوسف » ما كاد يجد مشروعه محتلا من قبل الجيش العراقي أثناء حرب ١٩٤٨ * حتى قام بنسف جميع منشآته واختفى ، ليثبت فيما بعد أنه كان يقود قوات الهاغاناه * في مقاتلة القوات العربية في المنطقة الشمالية من فلسطين .

٢) امتياز تجفيف الحولة : يتضح أيضاً التطبيق العملي لنهج الانتداب البريطاني في ممالأة مصالح الصهيونية على حساب المصالح العربية في مشروع تجفيف مياه الحولة * . ففي أواخر عهد الحكم العثماني في فلسطين (حزيران ١٩١٤) منحت الحكومة العثمانية عدداً من اللبنانيين امتيازا يخولهم الحق في استصلاح أراضي الحولة واستغلالها . وقد بدأ أصحاب الامتياز فور أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩١٨ يعدّون لتنفيذ مشروعهم ، فأسّسوا شركة زراعية عربية ، وبدأوا يشقّون بعض الأقنية لتصريف مياه بحيرة الحولة * . ولكنهم سرعان ما وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام عقبتين هامتين حدّتا من اندفاعهم ، أولاهما ضخامة التكاليف اللازمة لإنجاز مختلف عمليات التجفيف واستصلاح أراضي المنطقة وتهيئتها للاستثمار ، مما كان يفرض عليهم البحث عن مصادر مساعدة أخرى للتمويل . والعقبة الثانية الأخطر التي جابهوها في سلسلة العراقيل والصعوبات التي خلقتها سلطة الانتداب البريطاني ، بالتواطؤ مع المنظمات الصهيونية، هي الرغبة في الاستيلاء على الامتياز. وقد أدّت العقبات والعراقيل والضغوط إلى انسحاب المموّلين اللبنانيين ، وتنازلهم عن امتيازهم عام ١٩٣٤ لصالح شركة تطوير الأرض الفلسطينية اليهودية ، مما أتاح للصهيونية العالمية إمكان تحقيق هدف من أهم أهدافها التي كانت تخطط لها منذ أمد بعيد .

ومما يجدر ذكره هنا أن الشركة اليهودية التي كانت تبدي كل الحماسة للاندفاع في تنفيذ المشروع لم تقدم طوال فترة الانتداب ، على الرغم من جميع التسهيلات التي قدّمت لها ، على بذل أي جهد يذكر في دفع عجلته ، مؤثرة تأجيل العمل الجدي فيه إلى الوقت الذي تحقق فيه الصهيونية حلمها بتأسيس (دولة إسرائيل) ، والهيمنة على كل أراضي المنطقة ، لتتمكن آنذاك من السير في تنفيذ كل ما تبغي تنفيذه من أعمال دون حسيب أو رقيب .

٣) مشروع إيونيدس : لعل أول إشارة جاءت من أية جهة بريطانية خلال فترة الانتداب بشأن إمكانية استثمار مياه حوض الأردن في مشروعات الري كانت من لجنة بيل * التي كلفت من قبل الحكومة البريطانية عام ١٩٣٧ التحقيق في أسباب الثورة الفلسطينية

الكبرى (ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩) * وتقديم الحلول والتوصيات لمنع تكررها . وقد جاء بين الاقتراحات التي قدمتها هذه اللجنة لحكومتها يومذاك ضرورة إجراء دراسات مستفيضة حول موارد المياه في حوض الأردن ، وإمكانيات استثمارها في ري أراضي الأغوار في حوض الأردن لتبيّن إمكان تطبيق مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود الذي اقترحته اللجنة في تقريرها منعاً لتكرر الأحداث الدامية فيها .

وتنفيذاً لهذه التوصية عيّنت الحكومة البريطانية الخبير الهيدرولوجي م.ج. إيونيدس مديراً للتنمية في حكومة شرق الأردن ليقوم بإجراء هذه الدراسة . وبالرغم من قصر مدة العامين اللذين قضاهما الخبير إيونيدس في الأردن لهذه الغاية وعدم كفايتهما عادة للوصول إلى نتائج معتمدة علميا لمثل هذه الدراسات الهيدرولوجية ، خرج عام ١٩٣٩ بتقرير مطوّل عن هيدرولوجية حوض الأردن وروافده ، وعن أوضاعه الجيولوجية ، ظل إلى أمد طويل مرجعاً هاماً تستند إليه أكثر المشاريع المتعلقة باستثمار مياه حوض الأردن التي جرى بحثها والنقاش حولها في الخمسينات من هذا القرن .

وتتلخص النتائج والمقترحات التي توصل إليها الخبير إيونيدس في الفصل الأخير من تقريره ، والتي عاد وأفاض في شرحها عام ١٩٤٦ في بحث نشره ، تتلخص في الخطوط العامة التالية :

(١) أن يحوّل جزء بسيط من تصريف مياه نهر اليرموك لا يتجاوز ١,٦ م٣/ثا عبر قناة تتجه جنوبا لتقطع وادي العرب ، وتصل حتى وادي زقلاب لتجمع تصريفها الدائم ويصبح مجموع تصريفها ٣٢,٥٦ /ثا . ويقدّر التقرير أنه من الممكن ري نحو ٤٥,٣٦٠ دونماً من أراضي الغور * الشرقي بهذه الكمية من المياه .

(٢) تخزين فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وإنشاء قناة تسحب مياهها من البحيرة مباشرة لري نحو ٣٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي ، مع الإشارة إلى إمكانية إنشاء قناة موازية لري أراضي الغور الغربي .

(٣) يقدّر التقرير أن مجموع كميات المياه التي يمكن تأمينها سنوياً لغايات الري في شرق الأردن لا تتجاوز ٧٤٢ مليون م٣ من المياه يسحب ٤٦٠ مليون م٣ منها من نهر اليرموك وبحيرة طبرية ، والباقي، وهو ٢٨٢ مليون م٣، يمكن تأمينه من مجاري الوديان والآبار . ويقدّر أن مجموع كميات مياه الأمطار التي يمكن استثمارها في الزراعات البعلية، اي ١,٦٠٠ مليون م٣، هو كل ما يتوفر للأردن في مشاريعه الإنمائية للتطور في المستقبل .

(٤) يستطرد التقرير ليشير إلى أن استثمار مياه اليرموك وطبرية غير ممكن عملياً بسبب الامتياز المعطى لشركة روتنبرغ اليهودية ، ولا بد من التفاوض معها لعقد اتفاق يتيح إمكانية هذا الاستثمار .

وعندما كلفت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٨ لجنتها الفنية الثانية ، المعروفة باسم لجنة وود هيد * ، دراسة إمكانات تنفيذ مشروع تقسيم فلسطين من الناحية العملية ، رأت هذه اللجنة أن ضآلة الموارد المائية التي بيّنتها دراسة إيونيدس في المنطقة لا تؤيد سلامة تنفيذ مشروع التقسيم ، فأوصت بالتخلي عنه . وبقيت حكومة الانتداب عاجزة عن القيام باستثمار أي جزء من مياه الحوض لصالح الري في الأردن تحت ضغط المصالح الصهيونية المستمر حتى نهاية عهدها عام ١٩٤٨ ، وظلت مياه حوض الأردن تستثمر حصراً لصالح الاقتصاد الصهيوني طوال فترة الانتداب .

وبالرغم من تواضع التصورات التي قدمها إيونيدس في تقريره تميزت الخطوط العامة التي عرضها بأنها أصبحت منطلقاً لكثير من الدراسات والمشاريع التي تلتها ، لكن بتفصيل أوفى وبشمول أعمّ .

جـ - المشاريع الصهيونية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده : لم ترض الصهيونية العالمية عمّا توصل اليه الخبير إيونيدس في تقريره من نتائج ، ولم تجد في استنتاجاته ما يتناسب مع طموحاتها وآمالها . فراحت تلجأ لعدد من الخبراء ليساعدوها في إعداد أفضل مشروع لاستثمار مياه حوض الأردن في إرواء أراضي الجنوب والنقب * لتأمين استيعاب هجرة ملايين اليهود إليها . وكان من أبرز هؤلاء الخبراء والتر كلاي لاودر ميلك الذي أوفد إلى فلسطين عام ١٩٣٨ من قبل وزارة الزراعةالأميركية بذريعة أنه خبير في حماية التربة مكلّف "دراسة استعمالات الأراضي في البلاد العريقة في القدم لتبّين إمكان الاستفادة منها في حماية الأراضي في الولايات المتحدة " . وفي ظل هذا الغطاء الغريب من التعمية راح لاودر ميلك يتابع دراساته في المنطقة خلال سني الحرب العالمية الثانية ، في حين كانت أنظار العالم كله تلاحق أحداث الحرب المثيرة وتنشغل بمضاعفاتها الخطيرة . حتى إذا كان عام ١٩٤٤ ، حين أوشكت الحرب على النهاية ، خرج لاودر ميلك إلى العالم بكتابه « فلسطين أرض الميعاد » يلهب بما جاء فيه من أفكار ورؤى حماسة الصهيونيين ، ويعدهم فيه بفلسطين تدر عليهم الخيرات ، وتتسع لما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين الجدد يملأون أرض فلسطين ويحققون أحلام الطليعيين من زعمائهم .

١) مشروع لاودر ميلك : لم يقدّم كتاب لاودر ميلك مشروعاً بالمعنى المفهوم من التعبير ، ولكنه قدّم عدداً من المقترحات والتوجيهات اعتبرها الصهيونيون أفضل نواة لمشروع . وتتلخص الأفكار التي ضمنها لاودر ميلك كتابه في النقاط التالية :

(١) إن كميات المياه المتوفرة في مصادر حوض الأردن حسب تقديره تفيض عن حاجات إرواء المساحات القابلة للاستثمار

الزراعي فيه . وهو يقدر هذه المساحات بنحو ١٣٥ ألف فدان (٥٤٠ ألف دونم) تحتاج إلى نحو ٨٠٠ مليون م٣ من المياه (على أساس نحو ١,٥٠٠ م٣ من المياه للدونم الواحد) ، في حين يقدّر مجموع المياه المتوفرة في الحوض بنحو ١,٨٠٠ مليون م٣ من المياه تكفي لري نحو ١,٢٠٠,٠٠٠ دونم . وهولذلك يرى نقل الكمية التي قدّر لها أنها تفيض عن حاجة الحوض إلى مناطق أخرى (كالنقب مثلاً) لتأمين المجال الحيوي للملايين الذين يتنبأ بإمكان تهجيرهم إلى فلسطين من الخارج .

(٢) التعويض عن نقص المياه المستمر في البحر الميت * ، بسبب استهلاك مياه نهر الأردن الأعلى وروافده في مشاريع الري من جهة ، والتبخر من جهة أخرى ، بجرّ قناة تستوعب حوالي ٣٠ م٣/ثا من البحر المتوسط قرب حيفا * بطول ٧ أميال حتى جبل الكرمل * ، ثم عبر نفق بطول ٢٠ ميلاً لتصب في الجانب الغربي من وادي الأردن ، بمسقط مائي علوه نحو ٤٠٠ م ، مما يساعد في توليد طاقة كهرمائية قدرها حوالي ١١٠ ميغاوات (رَ : قناة البحرين المتوسط والميت ، مشروع ـ) ، إضافة إلى ٤٠ ميغاوات أخرى يمكن توليدها من مساقط أقنية الري في الحاصباني واليرموك .

(٣) تشكيل هيئة عليا ، على نمط هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة ، تتولّى مسؤولية استثمار المشروع وتنفيذ مختلف تفاصيله من منشآت ري وصرف وتسوية للأرض وزراعتها وسيطرة على الفيضانات وإنشاء للصناعات واستخراج لمعادن البحر الميت الخ . . . مما يساعد في توفير ثروة ومجالات عمل في فلسطين تكفي لاستيعاب ما لا يقل عن أربعة ملايين من المهاجرين اليهود الجدد إليها ، بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من العرب الموجودين فيها وفي شرق الأردن .

(٤) رأى لاودر ميلك أن السيطرة على المشروع واستثماره يجب أن يظلاّ بأيدي اليهود الذين تعرضوا للاضطهاد على أيدي مسيحيي أوربا ، مع إمكانية إشراف الأمم المتحدة عليه . وأما العرب ، فإذا " وجد بعضهم أنهم لا يحبّون العيش في بلاد صناعية فبالاستطاعة نقلهم بسهولة إلى سهول وادي الفرات ودجلة حيث يوجد متسع لأعداد هائلة من المهاجرين " .

وقد أثارت هذه الصورة الزاهية التي قدمها لاودر ميلك إلى الصهيونيين عن مستقبل الوطن الذي يحلمون بتشييده في فلسطين المشاعر والحماسة . فأسرعوا إلى خبراء هيئة وادي تنسي في الولايات المتحدة يستعينون بهم لتجسيد أفكار لاودر ميلك بمشروع هندسي متكامل يهدف إلى وضع ما يمكن وضعه من المصادر المائية المتوفرة في فلسطين والبلاد العربية المجاورة في خدمة المشاريع الصهيونية لتطوير « الوطن القومي » بما يساعد على استيعاب ملايين المهاجرين .

وكانت نتيجة ذلك مشروع « هيز » الذي يعتبر متمّما ومكمّلاً لمشروع لاودر ميلك .

وبالرغم من أن مشروع جيمس هيز لم ينشر إلاّ عام ١٩٤٨ تحت عنوان « اقتراحات لتطوير الري والطاقة الكهرمائية في فلسطين » فقد كان مع مشروع لاودر ميلك معدّاً بخطوطه العامة عام ١٩٤٦ ليستغل سلاحاً بيد الصهيونيين للضغط على لجنة التحقيق الانكلو ـ أميركية * المكلفة من قبل إنكلترا والولايات المتحدة عام ١٩٤٦ لدراسة مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وللتأثير في مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة عام ١٩٤٧ لإقرار مشروع التقسيم ، كي يتم رسم الحدود الشمالية لدولة (إسرائيل) بما يكفل لها السيطرة على جميع المصادر المائية الموجودة أصلاً ضمن حدود شمال فلسطين .

وقد قال عمانوئيل نيومان رئيس لجنة مسح أراضي فلسطين في تقريره الموضوع عام ١٩٤٨ : " إنه لمن حسن الحظ أن الذين كانوا مسؤولين عن وضع تفاصيل مشروع التقسيم كانوا على علم ومعرفة بوجهات النظر الأساسية لمشروع لاودر ميلك ، وأنهم اتخذوه ، لحد بعيد ، قاعدة حدّدوا على أساسها حدود المناطق العربية والمناطق اليهودية " (رَ : تقسيم فلسطين) .

٢) مشروع هيز : كان الهم الأول لهيز في وضع الخطوط العامة لمشروعه ، أسوة بزميله لاودر ميلك ، أن يخضع استثمار الموارد المائية في حوض الأردن حصراً لمصلحة المخططات الصهيونية ، دون أن يعير المصالح العربية أو الحقوق العربية في المنطقة أي اهتمام . وقد رسم الخطوات التي يرى تنفيذها لتحقيق أهدافه هذه ضمن ثماني مراحل خلاصتها :

(١) المرحلة الأولى : العمل على استثمار موارد المياه الجوفية ، وخاصة في الساحل . وكذلك إنشاء سدّ على نهر الحاصباني في لبنان لاستثمار مياهه بعد تحويلها عبر قناة مغلقة لتوليد الطاقة الكهربائية في محطة تنشأ داخل (إسرائيل) . وهو يرى أن تأمين هذه الطاقة في مراحل المشروع الأولى ضروري لتوفير ما تحتاج إليه عمليات ضخّ مياه الآبار من هذه الطاقة .

(٢) المرحلة الثانية : تحويل مياه نهر بانياس في سورية عبر قناة نحو تل القاضي (دان) لتجميع مياه ينابيعها مع المياه الفائضة من الحاصباني ، وجرّها كلها في قناة مكشوفة تجري بالراحة لإرواء أراضي سهل الحولة * والجليل * الأدنى ووادي مرج ابن عامر * ، ثم إمرارها عبر نفق لتخزين فائضها في سهل البطوف * .

(٣) المرحلة الثالثة : تحويل مياه نهر اليرموك إلى بحيرة طبرية تعويضاً عن مياه روافد الأردن المحوّلة في المرحلة الثانية للري . وبالرغم من أن نهر اليرموك لا يمسّ مثلث اليرموك المقتطع أصلاً من

الأراضي السورية إلّا بنحو ستة أميال فقط فهو يقترح تخصيص المملكة الأردنية الهاشمية بـ ٥٠٪ فقط من مياهه لري أراضيها في الغور ، وترك الباقي ، حسب ادّعائه ، لري أراضي المثلث ومنطقة بيسان * .

(٤) المرحلة الرابعة : لمنع انخفاض منسوب البحر الميت بعد استثمار مياه الأردن وروافده في مشاريع الري ، وللتعويض عن التبخر السنوي في هذا البحر المقدّر بحوالي مليارَي متر مكعب من المياه ، يقترح المشروع تحويل كمية كافية من مياه البحر المتوسط تقارب ٣٠ م٣/ثا إلى البحر الميت عبر قناة تبدأ من حيفا حتى جبل الكرمل ، ثم عبر نفق طوله ٢٠ ميلاً إلى الجانب الغربي من وادي الأردن ، لتنقل بعد ذلك في قناة تحت الضغط حتى البحر الميت . ويبلغ مجموع ارتفاع المسقط المائي الحاصل في هذا التحويل نحو ٤٠٠ م . ويقدر واضع المشروع إمكان توليد طاقة كهربائية في محطة أبو سدرة بقوة ١٠٠ ميغاوات ، وفي محطة البحر الميت بقوة ٣٧ ميغاوات . وتصل الطاقة المولّدة الصافية من المشروع ، بعد حسم الجزء المستعمل منها في عمليات الضخ ، إلى ٥٦٠ مليون كيلو وات ساعي .

(٥) المرحلة الخامسة : إقامة السدود والمنشآت اللازمة في سهل البطوف لتأمين تخزين مياه فيضانات الشتاء المجمّعة من مختلف الوديان والمسايل والفائضة من عمليات المرحلة الثانية في بحيرة كبيرة تستوعب مليار م٣ من المياه .

(٦) المرحلة السادسة : العمل على استصلاح أراضي سهل الحولة ، وتجفيف المستنقعات فيها ، وضخ مياه ينابيعها لاستخدامها في ري الأراضي المستصلحة وتحويل الباقي ، ويقدر بحوالي ٤٥ مليون م ٣ ، إما لريّ ٥٥ ألف دونم من أراضي سهول الساحل الجنوبية ، وإما لري نحو ٢٩ ألف دونم من سهول أريحا في الغور الغربي .

(٧) المرحلة السابعة : الاستفادة من مياه الينابيع المحلّية وسيول الوديان غربي نهر الأردن ، بدءا من وادي أبو سدرة والفارعة * في الشمال وحتى سهول أريحا في الجنوب ، في ريّ الأراضي الصالحة للاستثمار في مناطقها . وإمكان الاستفادة أيضاً مما يتبقى في نهر الأردن الأدنى من المياه بعد التحويلات التي أجريت في المراحل السابقة لريّ المزيد من أراضي غور أريحا ، على أن يؤجل ذلك إلى ما بعد التثبّت من أفضلية تحويل مياه الأردن وروافده إلى مناطق أخرى (يقصد النقب دون ذكره صراحة) حيث يكون استثمار المياه فيه ، حسب رأيه ، ذا جدوى اقتصادية أكبر ، لأن أراضي الأغوار متملحة غير خصبة ، وتحتاج لمقنّنات مائية عالية .

(٨) المرحلة الثامنة : إنشاء السدود على مختلف وديان الساحل الغربي من فلسطين لتخزين مياه فيضاناتها والينابيع التي تغذّيها ، ونقل كل ما يفيض عن حاجة الأراضي المحيطة بها إلى منطقة النقب في الجنوب للمساعدة في تطوّرها وتنميتها . وتقدّر كمية ما يمكن تجميعه من المياه في هذه المرحلة بنحو ٣٢٠ مليون م٣ .

وقد أشار هيز في مشروعه إلى إمكان إضافة مرحلتين أخريين في المستقبل دون أن يدخل في تفاصيلهما صراحة . ومن الواضح أنه كان يقصد بهما رغبته في تحويل مياه نهر الليطاني في لبنان لاستثمارها في الأراضي الفلسطينية لصالح المشاريع الصهيونية .

هذه هي باختصار الخطوط العامة لمشروع هيز ، ومنها يتبيّن مدى استعداد واضعيه لتجاهل حقوق العرب في مياههم وحرمانهم من هذه المياه في إرواء أخصب أراضيهم في الأغوار تحت مختلف المزاعم المفتقرة لأدنى حدّ من الأمانة العلمية . وقد استغلّ الصهيونيون هذا المشروع لأقصى حد ، وبلغ من دعايتهم له وضغوطهم في سبيله أنْ جعلوا أنصارهم مخططي حدود (الدولة الإسرائيلية) في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ يعتبرونه أساساً ودليلاً لهم ، فأدخلوا ضمن هذه الحدود كل المصادر المائية في شمال فلسطين ليضعوا هذه (الدولة) في مركز الهيمنة الكاملة على هذه المياه دون أي اكتراث بحقوق ومصالح أصحاب هذه المياه الأصليين . ويتجلّى خطر هذا المشروع من ناحية أخرى كذلك في أن الصهيونيين ، وقد أخذتهم الحماسة له كل مأخذ ، جعلوا منه مصدر التوجيه الأول الذي اعتمدوه في وضع الخطط البعيدة المدى لجميع مشاريعهم الإنمائية المائية بعد تأسيس دولتهم (إسرائيل) عام ١٩٤٨ .

٣) الخطة الإسرائيلية الأولى لاستثمار الموارد المائية ـ خطة السنين السبع : اندفع الصهيونيون منذ الأشهر الأولى لقيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨ يعدّون الخطط لاستثمار كل ما يقع تحت أيديهم من الموارد المائية في تحقيق آمالهم وأمانيهم في تنمية اقتصاد دولتهم الجديدة . وشكّلوا لهذا الغرض لجنة من سبعة عشر خبيراً ، ودعوا للمشاركة في دراساتهم هيز نفسه ومعه بعض كبار خبراء هيئة وادي تنسي . وحدّدوا أهداف خطتهم السبعية الأولى التي أعلنوها عام ١٩٥٣ بالعمل على زيادة استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) من ٨١٠ مليون م ٣ من المياه (وهو مجموع ما بلغه إنتاج المياه فيها حتى عام ١٩٥٣) إلى ١,٧٣٠ مليون م٣ في نهاية الخطة عام ١٩٦٠ ، آملين بذلك أن يتمكنوا من مضاعفة المساحات المزروعة ريّا في البلاد ثلاث مرات ، وأن يبلغوا في إنتاجهم الغذائي ما يؤمّن ٧٥٪ من حاجتهم الاستهلاكية عام ١٩٦٠ الذي يقدّرون أن عدد سكانهم سيرتفع فيه إلى المليونين .

وقد اقتضت الخطة أن يؤمّنوا هذه الزيادة المقررة، وهي ٩٢٠ مليون م٣ من مصدرين رئيسين :

الأول : ٣٨٠ مليون م٣ من مشاريع استثمار الينابيع والمياه الجوفية والسطحية المختلفة داخل فلسطين المحتلة .

والثاني : ٥٤٠ مليون م٣ من مياه نهر الأردن وروافده ، على أن يجري تأمين ٣٤٠ مليون م٣ منها من مشروع تحويل نهر الشريعة من نقطة جسر بنات يعقوب في الشمال إلى أراضي النقب في الجنوب ، و١٢٠ مليون م٣ من مشروع الحولة ، و٨٠ مليون م٣ من مشروع طبرية ـ بيسان .

وكان مشروع تحويل مياه نهر الأردن الأعلى (الشريعة) إلى النقب في الجنوب يشكّل المحور الأساسي لخطة السنين السبع الإسرائيلية الأولى دون أن تأتي على ذكره صراحة ، إذ كانت التصاميم المائية المعدّة في الخطة تقضي بإنشاء شبكة مائية موحّدة ومترابطة في (إسرائيل) تستثمر بمجموعها كوحدة متكاملة تؤمّن حاجة مختلف الاستعمالات الزراعية والصناعية والمدنية في مناطق البلاد كلها ، على أساس أن يسعف بعضها بعضها الآخر كلما اقتضى ذلك الصالح العام . وقد اعتبرت القناة الرئيسة الناقلة لمياه الأردن من الشمال إلى الجنوب العمود الفقري الأساسي لهذه الشبكة ، تغذّيها الموارد المائية الأخرى في البلاد ، وتغذي هي بدورها مختلف المشاريع الثانوية والفرعية بحاجتها من المياه .

وقد تضّمنت الخطة إنشاء ستة مشاريع تشمل جميع المناطق الرئيسة في (إسرائيل) ، وهذه المشاريع هي :

(١) مشروع تجفيف الحولة * : وهو المشروع الذي ظل حلما يراود القائمين على المنظمات الصهيونية منذ أن أشار عليهم زعماؤهم ، كروتشيلد وهرتزل في مطلع القرن العشرين ، بأهميته ، والذي بذلوا في سبيل استرجاع امتيازه من الأيدي العربية خلال فترة الانتداب كل ما كان بوسعهم بذله من ضغوط وجهود وأموال . وقد بُدىء بتنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥١ ، أي قبل عامين من إعلان الخطة السبعية . وحدث بعد البدء بأعمال التنفيذ أن احتجّت سورية لمجلس الأمن على عدوان اليهود على المنطقة المجردة غربي نهر الشريعة وعلى قصف القرى العربية وتهجير أهالي كراد البقّارة * والناعمة * ومزرعة الخوري بالقوة .

ولكن ،بالرغم من القرار الإيجابي الذي اتخذه مجلس الأمن في الموضوع ، سمح الجنرال رايلي ، كبير مراقبي هيئة الأمم المتحدة يومذاك ، للإسرائيليين باستئناف العمل في المشروع ، بدعوى أنه يجري في القسم الإسرائيلي من المنطقة المجردة .

ويترتب على تنفيذ هذا المشروع إتاحة استثمار مساحة يبلغ مجموعها ١٤٠ ألف دونم من الأراضي الخصبة ، وريّها من نبع تل القاضي (دان) (رَ : الحولة ، تجفيف بحيرة ـ) .

(٢) مشروع الجليل الأعلى : يقضي بتحويل مياه مختلف الينابيع في الجبال ، وبعض الينابيع التي ترفد نهر الأردن في شبكة ريّ تتيح استثمار نحو ١٠٠ ألف دونم من الأراضي الصالحة للاستثمار في جبال الجليل الأعلى .

(٣) مشروع غور الأردن : وحصيلته ريّ نحو ١٠٠ ألف دونم في غور بيسان والأردن بقناة خاصة من بحيرة طبرية ، وباستثمار عدد كبير من ينابيع المياه في المنطقة .

(٤) مشروع الجليل الغربي : يقضي باستثمار مياه الفيضانات والسيول في وادي مرج ابن عامر (جزريل) ومياه نهر المقطع * (كيشون) والينابيع الكثيرة في المنطقة لريّ أراضي الجليل الغربي ومرج ابن عامر .

(٥) مشروع العوجا (اليركون) ـ النقب الغربي : وهو مشروع يقوم على إنشاء قساطل خرسانية ضخمة تنقل مياه رأس العين * ونهر العوجا وكذلك جزءاً هاماً من المياه المحوّلة من نهر الأردن في الشمال والمياه المكررة من شبكة المجاري في تل أبيب لإرواء القسم الغربي من أراضي النقب .

(٦) مشروع العوجا (اليركون) ـ النقب الشرقي : ويهدف هذا المشروع الموازي لمثيله الغربي إلى نقل جزء من مياه نهر العوجا ومياه نهر الأردن المنقولة من الشمال للتوسع في ري أراضي القسم الشرقي من النقب .

ويلاحظ أن هذه القائمة من المشاريع التي اشتملت عليها خطة السنين السبع لتطوير استثمار الموارد المائية في (إسرائيل) لم تشر بشكل صريح إلى تضمين الخطة مشروع تحويل مياه الأردن من موقع جسر بنات يعقوب في الشمال إلى النقب في الجنوب . ولكن واقع التنفيذ كان يشير إلى ذلك . إذ من السنين الأولى لقيام دولة (إسرائيل) كانت ثمة مؤشّرات تدل على أن عمليات تنفيذية وتنقيبية تجري هنا وهناك كخطوات أولى للسير في تنفيذ مختلف أجزاء هذا المشروع دون إبطاء .

٤) مشروع تحويل مياه نهر الأردن إلى النقب : اعتمدته (إسرائيل) لتحويل مياه الأردن إلى النقب ، وكّلفت شركة ميكوروت اليهودية تنفيذه منذ عام ١٩٥٣ . ويتضمن هذا المشروع العمليات التالية :

(١) تحويل مياه نهر الشريعة من نقطة تقع بالقرب من موقع جسر بنات يعقوب جنوبي بحيرة الحولة ، وإنشاء سدّ تحويلي لهذه الغاية . وتنقل المياه في قناة مكشوفة باستيعاب ٤٣٥ مليون م٣

سنوياً، تجري جنوبا في الأرض المجردة من السلاح ، ومن ثم إلى موقع قرية الطابغة * في الشمال الغربي من بحيرة طبرية .

(٢) إسقاط ٢٣٦ مليون م٣ من تصريف القناة في موقع الطابغة من منسوب ٤٢ م فوق سطح البحر في نهاية القناة إلى منسوب ٢١٠ م تحت سطح البحر في بحيرة طبرية ، وتوليد الطاقة الكهربائية في محطة توليد تنشأ لهذه الغاية تحت الأرض .

(٣) الاستفادة من جزء من الطاقة الكهربائية المولدة في إعادة رفع ١٧٣ مليون م ٣ من المياه ضخّاً إلى منسوب + ٤٢ نفسه لمتابعة نقلها ، مع القسم المتبقي من تصريف القناة الأصلي ، إلى خزّان صغير ينشأ في موقع سلّامة (تسالمون) ، واستثمار الجزء الباقي من الطاقة الكهربائية المولّدة في مشاريع التنمية الصناعية .

(٤) رفع كميات المياه المراد تحويلها إلى الجنوب من محطة ضخ تنشأ في سلّامة إلى ١١٠ م أخرى لتصل إلى منسوب ١٥٠ م فوق سطح البحر ، ثم نقلها عبر نفق عيلبون إلى خزان البطوف الكبير المصمم ليستوعب مليار متر مكعب من المياه .

(٥) نقل المياه من خزان البطوف عبر نفقي « مينا شيه » و« شمرون » إلى السهل الساحلي * ، ثم نقلها من هناك جنوباً في قناة ضخمة من الخرسانة المسبقة الإجهاد قطرها ٢٧٥ سم حتى تصل إلى ضواحي تل أبيب * حيث تلتقي بمشروعي العوجا (اليركون) ـ النقب الشرقي والغربي ، ثم تمتد تفرعاتها لتروي مختلف الأراضي المعدّة للاستثمار في منطقة النقب .

اصطدم تنفيذ هذا المشروع ، وهو في مراحله الأولى ، بعقبتين هامتين أوجبتا إعادة النظر في بعض الخطوط الرئيسة لتصميمه . وكانت العقبة الأولى فنيّة ، فقد تبيّن بعد التحريات الضافية التي أجريت في الموقع المختار لإنشاء خزان البطوف أن المواصفات الجيولوجية المتوفرة فيه لا تؤمن الكتامة المطلوبة للخزان ، وأن نسبة تسرب المياه منه تجعله غير صالح لتخزين الكميات المصمم لها أصلاً ، وأن لا بد من البحث عن موقع آخر يكون أكثر ملاءمة للتخزين المطلوب . أما العقبة الثانية ، وهي الأخطر والأهم ، فكانت سياسية ؛ فمنذ الأشهر الأولى من عام ١٩٥٣ ، وحتى قبل إعلان الخطة السبعية رسميا ، بدأت شركة ميكوروت تحفر القناة الرئيسة من موقع جسر بنات يعقوب التي تشكّل الحلقة الأولى من مشروع التحويل . ولكن ما كادت الرقابة السورية ترصد تحركات الحفارات التي كانت تعمل ليلاً ونهاراً في المنطقة المجردة من السلاح قرب حدودها حتى طلب من كبير المراقبين الجنرال بنيكه الأمر بوقف الأعمال . وقد استجاب الجنرال بنيكه للطلب السوري فوراً . ولكن (إسرائيل) رفضت دعوته للتوقف عن العمل شكلاً وموضوعاً ، واستأنفت العمل ، مما اضطر سورية إلى رفع شكواها إلى مجلس الأمن مهددة باللجوء إلى القوة إذا اقتضى الأمر . وقد اتخذ مجلس الأمن قراراً إيجابياً في الموضوع بتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٧ وأمر بوقف الأعمال . ولكن (إسرائيل) عادت وأعلنت تمردها على قرار مجلس الأمن مرة أخرى .

د ـ المشاريع العربية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده :

خرجت المملكة الأردنية الهاشمية من نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ لتجد نفسها مثقلة بمشكلة تدفق مئات ألوف النازحين إليها من هول الإرهاب الصهيوني * . فكان من الطبيعي أن يصبح رأس اهتماماتها بعد الهدنة البحث عن إمكان استثمار ثروتها المائية المهدورة في حوض الأردن بريّ أراضيها الواسعة في الأغوار والأزوار لرفد اقتصادها بما يساعدها على تحمّل ما ترتب على تلك الهجرة الجماعية من أعباء وتبعات . وقد ساعدها على ذلك ما نال منشآت مشروع روتنبرغ الكهربائي من تدمير شامل على أيدي أصحابها اليهود خلال الحرب ، وتحرّر المملكة بذلك من قيود الامتياز التي كانت تحول بينها وبين استثمار تلك الثروة طوال مدة الانتداب .

وقد أوكلت حكومة الأردن مهمة دراسة استثمار الثروة المائية إلى شركة بريطانية هي شركة مردوخ ماكدونالد وشركاه . وتبعتها دراسة أخرى قدمها مهندس أميركي أوفدته « النقطة الرابعة » الأميركية للتحقيق في المشاريع التي تقرر أن تنفق عليها قروضها ، وهو الخبير المهندس م . أ . بونجر . وفي ضوء المستجدات التي طرأت بعد تلك الدراسات كلّفت الحكومة الأردنية شركة بيكر وهيرزا الأميركية وضع الدراسة النهائية والتصميمات للمشروع الأخير الذي اعتمدته يومذاك .

١) مشروع ماكدونالد : يعتبر هذا المشروع امتداداً وتطويراً لمشروع إيونيدس القديم . وقد رفعت الشركة تقريرها بشأنه إلى الحكومة الأردنية تحت عنوان « تقرير عن التوسع المقترح في ريّ وادي الأردن » ، في آذار ١٩٥١ ، وذلك بعد أن عرضته على الخبير إيونيدس وحصلت على موافقته عليه .

ويقوم المشروع على أساس أن يحصر استثمار مياه حوض الأردن في ري أراضي وادي الأردن على ضفتيه ، وأن يخزن فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وأن يراعى في تصميم شبكات الري وتنفيذها الوضع السياسي الذي طرأ على المنطقة بعد ١٩٤٨ ، بقيام (إسرائيل) من جهة ، وبضم الضفة الغربية من فلسطين إلى المملكة الأردنية الهاشمية من جهة أخرى .

ويقترح المشروع السير في تنفيذ مختلف أجزائه على أربع مراحل :

(١) المرحلة الأولى : أن تنشأ قناة في الضفة الشرقية من غور الأردن بطول ٧٠ كم ، وبسعة ١٠ م٣/ثا (قابلة للتوسيع إلى

٢٠ م٣/ثا) تستمد مياهها من تحويل مياه اليرموك إليها من سد تحويلي ينشأ بالقرب من موقع العدسية . ويقدّر أن مياه هذه القناة تكفي لري ١٨٩,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الشرقي الممتدة من اليرموك حتى وادي الزرقاء ، مقسمة إلى حوالي ٦,٠٠٠ قطعة أرض، مساحة كل منها ٣٠ دونما ، تستثمر مستقلة من قبل عائلة واحدة .

(٢) المرحلة الثانية : أن تُمدّد قناة الغور الشرقية المنشأة في المرحلة الأولى ٢٦ كم أخرى لري حوالي ١١٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الأردني المحيطة بجانبي طريق عمان ـ القدس ، والقريبة من البحر الميت . ويشير التقرير إلى ضرورة البدء بغسيل هذه الأراضي لإزالة ملوحتها قبل الشروع باستثمارها .

(٣) المرحلة الثالثة : متابعة المرحلتين الأولى والثانية باستثمار المياه الجارية في الوديان الشرقية من وادي الأردن لري ٥٦,٠٠٠ دونم أخرى ، بالإضافة إلى ما اقترح ريّه في المرحلة الثانية (١١٠,٠٠٠ دونم) ، وبذلك يتم استثمار كامل المساحات القابلة للزراعة في الضفة الشرقية من الأغوار بين نهر اليرموك والبحر الميت . وتتضمن هذه المرحلة كذلك شق قناة في الضفة الغربية من الأغوار تستمدّ مياهها من بحيرة طبرية لري ١٠٤,٠٠٠ دونم في غور بيسان ومثلث اليرموك ، وهما تحت السيطرة الإسرائيلية .

(٤) المرحلة الرابعة : أن يحول قسم من مياه القناة الشرقية عبر سيفونات تحت نهر الأردن ، وإنشاء قناة غربية لري ٢٠٠,٠٠٠ دونم من أراضي الغور الغربي في منطقة أريحا في الضفة الغربية .

يترتب على تنفيذ هذه المراحل الأربع استثمار مساحات يبلغ مجموعها في القسم الغربي من الأغوار حوالي ٥٥٥,٠٠٠ دونم يقترح تقسيمها إلى حوالي ١٨,٥٠٠ قطعة أرض ، مساحة كل منها ٣٠ دونماً ، وفي القسم (الإسرائيلي) من الغور الغربي ومثلث اليرموك ١٠٤,٠٠٠ دونم .

ومن الملاحظ أن تصريف ١٠م٣/ثا المطلوب إنشاء قناة الغور الشرقية لاستيعابه غير كاف لري جميع المساحات المقترح إرواؤها في المشروع . ولذلك أشار مشروع ماكدونالد إلى إمكان تأمين الكمية اللازمة للري من مخزون مياه اليرموك الفائضة أثناء الشتاء ، إما بتحويل كامل فيضانات اليرموك إلى بحيرة طبرية وسحب مياه قناة الري منها مباشرة ، وإما بإنشاء خزّان على اليرموك في موقع الباقورة ، وإما بإنشاء خزّان صغير على نهر الأردن جنوب تلاقيه مع نهر اليرموك مقابل وادي المالح . ولما كان من شأن الاحتمالين الأخيرين إغراق مساحات واسعة من الأرض المزروعة الخصبة فقد اتجه مشروع ماكدونالد إلى اعتماد الحل الأول للتخزين دون إعارة الملابسات السياسية والأضرار التي تصيب المصالح العربية من هذا الاتجاه أي اهتمام .

وفي الواقع ، كان الجانب العربي دائما ينظر بحذر إلى كل اقتراح يشير بتخزين مياه اليرموك في بحيرة طبرية لعدد من الأسباب ، أهمها :

ـ أن حدود بحيرة طبرية كلها تقع تحت سيطرة (إسرائيل) وأن تخزين المياه العربية فيها يعني وضعها ضمن إطار التحكّم الإسرائيلي بدلاً من أن تبقى في إطار التحكم العربي .

ـ وأن مياه اليرموك مياه عذبة لا يتجاوز معدل درجة الملوحة فيها ٨٨ جزءا في المليون ، في حين تبلغ درجة الملوحة في مياه بحيرة طبرية ٣٠٠ جزء في المليون ، وهذا يعني أنه بدلا من أن يروي الأردن أراضيه بمياه عذبة صالحة للزراعة ستعطى له من البحيرة مياه عالية الملوحة نسبياً وأقل صلاحا لأغراض الزراعة .

ـ وأن نسبة التبخّر وضياع المياه في بحيرة طبرية عالية ، تقدّر بحوالي ٣٠٠ مليون م ٣ في العام الواحد ، في حين تقلّ هذه النسبة كثيراً في حال تخزين مياه اليرموك في موقع ملائم على مسار النهر نفسه .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يرحّب العرب بمشروع الخبير الأميركي بونجر المصمم على أساس تخزين مياه نهر اليرموك على مسار النهر نفسه عند موقع المقارن ضمن إطار مشروع معدّل لاستثمار مياه حوض نهر الأردن .

٢) مشروع بونجر : كان الخبير الأميركي ميلز بونجر يعمل في عمان لصالح وكالة التعاون الفني المتفرعة عن مشروع النقطة الرابعة الأميركي . وقد لاحظ أن الوديان الثلاثة التي تتجمع عند موقع محطة المقارن تتوافر فيها المواصفات الملائمة لإنشاء خزان كبير يتسع لكمية لا تقل عن نصف مليار م٣ من المياه ، وهي أكثر من مجموع إيراد النهر السنوي المقدر معدله بـ ٤٧٥ مليون م٣ .

أجرى بونجر دراسة وافية للموقع قدّم على أثرها بتاريخ ١٩٥٢/٧/١١ إلى مجلس الإعمار الأردني تقريراً يتضمن مشروعه لاستثمار مياه اليرموك في خدمة الاقتصاد العربي حصراً دون أن يكون له علاقة بأية جهة أخرى . ويتلخّص هذا المشروع في النقاط التالية :

(١) إنشاء سد في موقع محطة المقارن على نهر اليرموك بارتفاع ١٧٨ م وطول ٥٠٠ م ، واستيعاب ٥٠٠ مليون م٣ من المياه .

(٢) إنشاء قناة خرسانية تمتد على الضفة الجنوبية من مسار نهر اليرموك وتوصل مياه خزان المقارن إلى سد تحويلي ينشأ في موقع العدسية .

(٣) إنشاء محطة توليد كهربائية تحت سد المقارن مباشرة

طاقتها العظمى عندما يكون الضاغط المائي في ذروته ١٥ ميغاوات وتهبط حتى ٨ ميغاوات عند استمثار كامل التخزين في أعمال الري . كذلك إنشاء محطة كهربائية ثانية في موقع العدسية يتوقع ألاّ تقلّ طاقتها الكهربائية عن ٣٥ ميغاوات . ويقدّر أن تبلغ الاستطاعة المولدة من المحطتين خلال العام الواحد حوالي ٢٨٠ مليون كيلووات ساعي .

(٤) إنشاء ناظم محوّل بعد محطة كهرباء العدسية ينقل مياه اليرموك إلى قناة الغور الشرقية لتوزّع منها إلى مختلف مساحات أراضي الغور الشرقي والغربي وفقاً لما سبق اقتراحه في مشروع ماكدونالد .

وقد لاقى مشروع بونجر هذا ترحيباً من الحكومة الأردنية وأيّدته دوائر النقطة الرابعة ، ومكتب وكالة إغاثة اللاجئين العامل في الأردن ، ورأت فيه تباشير حل لمشكلة توطين اللاجئين ، وخصصت مبالغ من موازنتها للبدء في مراحل التحريات ووضع التصاميم اللازمة لمختلف أجزاء المشروع ، وكلّفت بهذه المهمة شركتين أميركيتين هما شركة مايكل بيكر وشركة هيرزا الهندسية في الولايات المتحدة .

ونظراً لما لحكومة الجمهورية العربية السورية من علاقة مباشرة بالمشروع ، سواء من الناحية الحقوقية أو من الناحية السياسية ، لأن حوالي ٨٠٪ من مياه حوض اليرموك ترد من سورية من جهة ، ولأن إنشاء أي سد على النهر يتطلب شغل بعض الأراضي السورية من جهة أخرى ، نظراً لذلك قامت الحكومة الأردنية بالاتصال مع الحكومة السورية للتفاوض بشأن عقد اتفاقية بينهما حول الإجراءات الواجب اتخاذها للسير في تنفيذ المشروع . وقد تم إبرام هذه الاتفاقية بين الطرفين بتاريخ ١٩٥٣/٦/٤ .

نصّت الاتفاقية على السماح للأردن بالتصرّف بالمياه الخارجة من الخزان ومركز التوليد المشترك في المقارن لتوليد الطاقة الكهربائية في مركز العدسية ، ولإرواء الأراضي الأردنية ، في حين احتفظت سورية بحقّها في مياه جميع الينابيع التي تتفجر في أراضيها فوق منسوب ٢٥٠ م من حوض اليرموك ، كذلك احتفظت بحق الانتفاع من مياه النهر وروافده بعد السد لإرواء الأراضي السورية في حوض اليرموك الأسفل .

ونصت الاتفاقية أيضاً على توزيع الطاقة الكهربائية المولّدة في المشروع بنسبة ٧٥٪ لسورية و٢٥٪ للأردن . أما نفقات الإنشاء فتوزع بنسبة ٩٥٪ من الأردن و٥٪ من سورية .

ونصّت الاتفاقية على تشكيل لجنة سورية ـ أردنية مشتركة للإشراف على تنفيذ أحكام الاتفاقية ، وللنظر في جميع القضايا التي تنجم عن تطبيقها .

ولكن ما كاد العمل في تنفيذ المراحل الأولى من المشروع يبدأ بنشاط حتى فوجىء بصدمات أدّت إلى توقفه ذلك أن القوى الصهيونية التي كانت ترى في مشروع بونجر ما يعارض مطامعها في الحصول على ما تريد اغتصابه من مياه اليرموك بدأت تضغط على المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة لإيقاف العمل في المشروع . وهكذا كان فالحماسة للمشروع التي كانت تبديها الجهات العاملة في النقطة الرابعة الأميركية وفي وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين * تضاءلت ، وسرعان ما تبخّرت . وعانت الحكومة الأردنية مرارة الخيبة بالنكسة التي حلّت بمشروعها بعد كل الآمال التي عقدتها عليه والجهود التي بذلتها في سبيله . في ذلك الوقت كلفت الولايات المتحدة هيئة وادي تنسي مهمة وضع دراسة جديدة تهدف إلى استثمار مياه حوض الأردن بين مختلف دول المنطقة بشكل موحد ، وهي الدراسة التي انبثق عنها مشروع هيز ومهمة جونستون التي تلتها .

وقبل الخوض في تفاصيل ما ترتب على قيام جونستون بهذه المهمة لا بد من العودة إلى شرح مشروع بيكر وهيرزا ، لأنه يشكل تتمة للمشاريع التي جرت دراستها تحت إشراف عربي .

٣) مشروع بيكر وهيرزا : كان الهدف من إعداد هذا المشروع وضع النقاط على الحروف بالنسبة إلى مشروعي ماكدونالد وبونجر ، وتهيئة التصميمات التفصيلية والرسوم اللازمة لتنفيذ مختلف أجزاء ما يتطلّبه هذان المشروعان من منشآت وشبكات لاستثمار مياه نهري اليرموك والأردن في ري القسم الأدنى من وادي الأردن . ولم تكن الدراسة المسهبة التي رفعتها الشركتان بتاريخ ١٩٥٥/٧/١٥ إلى الحكومة الأردنية في ثمانية مجلدات ضخمة مع ملحقاتها نتيجة دراسة سريعة كسابقاتها ، وإنما جاءت وليدة بحوث وتحرّيات موقعية ودراسات تفصيلية في الحقول وفي المكاتب استغرق وضعها أكثر من ثمانية عشر شهراً ، بحيث تكون معدة للتنفيذ دون تأخير . وبالرغم من توافق أكثر ما جاء في دراسة بيكر وهيرزا مع مقترحات بونجر فإن هذه الدراسة خرجت عن توجيهات مقترحات بونجر في بعض الحالات . ويمكن تلخيص أهم مؤشرات هذه الدراسة والنتائج التي أوصت باعتمادها فيما يلي :

(١) في موضوع التخزين : يرى المشروع أن تخزين مياه اليرموك على مسار النهر وحده غير اقتصادي وغير مناسب . ولذلك فهو ، مع تأييده لإنشاء خزان في المقارن ، لا يستصوب إنشاء أي خزانات أخرى على النهر ، ويعود ليوصي بتخزين فائض مياه اليرموك في بحيرة طبرية ، وإقامة ما يلزم من منشآت لرفع منسوبها ثلاثة أمتار ونصف متر أخرى .

(٢) حول سد المقارن : يحدّد المشروع الارتفاع الأول لسد

المقارن بـ ٩١ م ، ويقدّر أن هذا هو الارتفاع الأقصى المبرر اقتصاديا لغايات الريّ . على أنه يوصي باتخاذ الإجراءات الفنية عند تصميم السد لإمكان تعليته ليصل إلى منسوب ١٦٨ م (أي بارتفاع السد من أساسه حتى قمته ١٤٧ م) وذلك لإيصال احتمال التخزين الأعظمي فيه إلى ٤٦٠ مليون م ٣ ، ولتأمين زيادة في الطاقة الكهربائية المولدة منه .

(٣) حول السد التحويلي في العدسية : يُنشأ هذا السد على نهر اليرموك في موقع يبعد حوالي ١٥ كم عن نقطة تلاقي اليرموك ونهر الأردن ، بطول ١٣٠ م وارتفاع ١٧ م ، ويستوعب خزانه حوالي ٤٥٠ ألف م٣ من المياه ، ويخدم هدفين : الأول تحويل فائض مياه اليرموك عبر قناة تصريف كبيرة بطول ٥ كم إلى بحيرة طبرية ، والثاني تحويل جزء من مياه اليرموك الجارية إلى قناة الغور الشرقية لري أراضي الأغوار الأردنية في الجنوب .

(٤) قناة الغور الشرقية : تجري تغذية هذه القناة بالمياه من مصدرين : الأول من نهر اليرموك عن طريق قناة تتصل بسدّ العدسية التحويلي ، والثاني عن طريق قناة فرعية طولها ١١ كم توصل إليها مياه بحيرة طبرية . وتنشأ قناة الغور الشرقية بموازاة نهر الأردن أسفل منحدرات الوادي الشرقية ، وبطول يبلغ مجموعه حوالي ١١٣ كم من اليرموك في الشمال إلى قرب البحر الميت جنوبا .

(٥) قناة الغور الغربية : تبدأ من حدود أغوار الضفة الغربية شمالاً وتمتد حوالي ٤٧ كم إلى قرب البحر الميت جنوباً . وتتغذى هذه القناة بالمياه من قناة الغور الشرقية عبر سيفون يمر تحت نهر الأردن بطول ٧٩٤٠ م وقطر ٢,٢ متراً وتصريف ١٥,٦ م٣/ثا .

(٦) محطات التوليد الكهربائية: يرى المشروع إنشاء ست محطات توليد كهربائية ، أربع منها على نهر اليرموك ، واثنتين صغيرتين على قناة الغور الشرقية ، يبلغ مجموع طاقتها المركبة حوالي ٥٠ ميغاوات .

(٧) نهر الأردن : لا يوصي المشروع باستعمال مياه نهر الأردن للريّ بسبب ما سيترتب على تحويل مياه روافد النهر في شمالي طبرية ومياه نهر اليرموك في جنوبها من ارتفاع في ملوحتها وجعلها غير صالحة للاستثمار الزراعي .

(٨) المساحات المرويّة في المشروع : يقدر المشروع أن مجموع المساحات القابلة للزراعة في منطقة الأغوار العربية يصل إلى حوالي ٥٢٠ ألف دونم من أصل ٩٤٨ ألف دونم موزعة بالشكل التالي :

الغور الشمالي الشرقي	١٧٥ ألفاً
الغور الجنوبي الشرقي	١٨٩ ألفاً
الغور الغربي	١٥٦ ألفاً
المجمـوع	٥٢٠ ألف دونم

على أن المشروع اعتمد لاستثمار الأراضي في مختلف مناطق الأغوار دورة زراعية تحتاج إلى مقّننات مائية تقل عن تلك المعتمدة في مشروع ماكدونالد بنسبة تقارب ١٥٪ . وقد حاول جونستون ، فيما بعد ، في مفاوضاته مع دول المنطقة بشأن توزيع مياه الحوض ، الاستفادة من توصية بيكر وهيرزا هذه لتخفيض حصة الأردن من المياه مقابل زيادة حصة (إسرائيل) .

هـ ـ مرحلة مفاوضات جونستون ـ مشروع مين الأمريكي والمشاريع الإسرائيلية والعربية المضادة : رأت الحكومة الأمريكية في مطلع الخمسينات أنّ تفاقم حدة الأزمة بين العرب والإسرائيليين حول موضوع استثمار مياه حوض الأردن ، وأن استمرار صراع المشاريع التي يجري إعدادها لدى الجانبين للسيطرة على مصادر تلك المياه والانفراد في استخدامها حتى بلغت الأزمة حد تهديد سورية (لإسرائيل) بتوقيف سير عمليات تحويل مياه الأردن بالقوة واتخاذ مجلس الأمن قراره بتأييد الاعتراض السوري ، رأت أن ذلك كله يدعو لتدخلها ، والسعي لإيقاف تصاعد حدة الصراع بين الفريقين ، مما يضمن عدم تعرض الأهداف العامة لسياستها المرسومة في توجيه أحداث الشرق الأوسط للنكسات . فقامت من ناحية بالضغط على (إسرائيل) لوقف أعمالها في مشروع التحويل ، ومن ناحية أخرى أعلن الرئيس ايزنهاور في ١٩٥٣/١٠/١٦ تكليفه المستشار أريك جونستون مهمة التفاوض ، كممثل شخصي له ، مع دول المنطقة المختصة ، لمحاولة إقناعها بالموافقة على مشروع استثمار موحّد للموارد المائية في حوض الأردن . وكانت الولايات المتحدة في الواقع ترمي من تدخلها هذا إلى تحقيق ثلاثة أهداف هامة ، كلها في خدمة (إسرائيل) ، هي :

١) السعي لتصفية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين بالعمل على توفير الإمكانات المادية لتوطينهم في الأقطار العربية التي نزحوا إليها (وخاصة الأردن) ابتغاء صرفهم نهائياً عن التفكير في العودة إلى وطنهم فلسطين .

٢) السعي لمساعدة (إسرائيل) بتخصيص أكبر ما يمكن تخصيصه لها من مياه حوض الأردن بموافقة الدول العربية المجاورة لتتمكن من السير في تنفيذ مختلف مشاريعها المخططة لزيادة قدرتها على استيعاب المزيد من ملايين المهجّرين اليهود دون اعتراض من أحد .

٣) الهدف الأهم ، وهو التمهيد لاعتراف الدول العربية بدولة (إسرائيل) عن طريق استغلال أي اتفاق يعد بين الدول العربية و(إسرائيل) حول استثمار مشترك للموارد المائية لخلق الظروف الملائمة لتلاقي وتعاون فنّيّ ومسؤولي الفريقين لمعالجة مشكلاتهما المشتركة .

بدأ أريك جونستون أولى جولاته في العواصم العربية و(إسرائيل) تحقيقاً لهذه الأهداف في تشرين الأول ١٩٥٣ حاملا معه مشروعاً أعدّته شركة تشارلز مين الأمريكية تحت إشراف هيئة وادي تنسي وبطلب من وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين ومن وزارة الخارجية الأمريكية . ولم يكن وضع هذا المشروع نتيجة لدراسات محلية وموضعية خاصة ، وإنما كان مزجا تحليلياً ومكتبياً لجميع الدراسات والمشاريع المعدّة سابقاً لدى العرب والإسرائيليين على السواء ، محاولاً الخروج منها بمشروع موحد يستهدف توزيع مياه حوض وادي الأردن بين دول الحوض على أساس استثمارها بشكل متكامل تحت إشراف جهاز دولي تعينه الأمم المتحدة . وكان السلاح الذي حمله معه جونستون لإغراء دول الحوض بقبول مشروعه وعداً من حكومة الولايات المتحدة بتمويل الجانب الزراعي من المشروع في حال حصوله على موافقة جماعية عليه .

وفيما يلي ما تضمنه المشروع الأمريكي من مقترحات ، واعتراضات العرب والإسرائيليين عليها ، والمشاريع المضادة التي قدمها كلا الجانبين العربي والإسرائيلي حول الموضوع ، وما تبع ذلك من مفاوضات ومحاولات مع بعثة جونستون ، والنتائج التي انتهت إليها .

١) مشروع مين : اعتمد مشروع شركة تشارلز مين في رسم خطوطه العامة على مشروع لاودر ميلك ـ هيز من جانب ، وعلى مشروعي ماكدونالد وبونجر من جانب آخر . ويمكن تلخيص أهم نقاط المشروع بما يلي :

(١) إنشاء سدّ على نهر الحاصباني لتخزين فائض النهر السنوي وجرّ المياه المخزونة وراءهُ في قساطل تحت الضغط ، بطول ٢١ كم ، إلى موقع قرية تل حي في الأراضي المحتلة لتوليد الطاقة الكهربائية بقدرة ٢٧ ميغاوات لصالح الاقتصاد الإسرائيلي .

(٢) تحويل مياه نهر بانياس من سورية ، وينابيع الوزاني وسريد وبريغيث ، وكذلك مياه الحاصباني الخارجة من محطة تل حي الكهربائية من لبنان ، ونهر الدان (تل القاضي) في الأراضي المحتلة ، وجرّها كلها عبر شبكة طويلة ومتشعبة من الأقنية تنشأ في جبال الجليل الأعلى لري مناطق الحولة ووادي مرج ابن عامر وتلال الجليل الأعلى في الأراضي المحتلة .

(٣) إنشاء سد تحويلي في موقع العدسية تتفرع منه قناة كبيرة (باستيعاب يكفي لتصريف ٧٥٠ م٣/ثا) تتجه شمالاً ، وهدفها تحويل مياه فيضانات نهر اليرموك لتخزينها في بحيرة طبرية .

(٤) تدعيم شواطىء بحيرة طبرية بما يلزم من إنشاءات لرفع منسوب مياهها الأعظمي مترين إضافيين ، ولزيادة استيعابها للتخزين .

(اقتبست هذه النقاط الأربع من مشروعي لاودر ميلك وهيز) .

(٥) إنشاء قناتين رئيستين غربي وشرقي نهر الأردن تستمدان مياههما من بحيرة طبرية مباشرة ، وتتجهان جنوباً لريّ أراضي الأغوار والأزوار في ضفتي النهر كلتيهما .

(٦) إنشاء السدود والأقنية اللازمة لتخزين مياه فيضانات ومسايل الوديان على جانبي حوض الأردن واستثمارها ، مع ما يثبت صلاحه من المياه الجوفية في ري أراضي الحوض .

(٧) إنشاء سد في موقع المقارن على نهر اليرموك بارتفاع ٥٨ م قابل للتعلية إلى ارتفاع أعظمي قدره ٩٥ م ، وذلك بهدف توليد ٢٣ ميغاوات من الطاقة الكهربائية من محطة تقام في موقع العدسية .

(٨) توزيع وارد الحوض من المياه التي يقدرها المشروع بنحو ١,٢١٣ مليون م٣على الشكل التالي :

	كمية المياه	المساحات المقترح إرواؤها
سورية	٤٥ مليون م٣	٣٠,٠٠٠ دونم
المملكة الأردنية الهاشمية	٧٧٤ مليون م٣	٤٩٠,٠٠٠ دونم
(إسرائيل)	٣٩٤ مليون م٣	٤١٦,٠٠٠ دونم

ولا شيء للبنان.

(أخذت هذه النقاط الأربع ،مع بعض التعديل، من مشروعي ماكدونالد وبونجر) .

وقد اقتصرت جولة جونستون الأولى في تشرين الأول ١٩٥٣ على الاجتماع بالمسؤولين المختصين في حكومات مصر وسورية ولبنان والأردن من الجانب العربي ، وفي (إسرائيل) من الجانب الآخر ، وطرح مشروع مين عليهم لدراسته ووضع الملاحظات عليه تمهيداً لمناقشته في الجولات القادمة للوصول إلى حلول توفّق بين مصالح جميع أصحاب العلاقة .

وعندما عاد جونستون إلى المنطقة ثانية في حزيران ١٩٥٤ وجد نفسه أمام اعتراضات كثيرة من الجانبين على مشروعه . وقُدم له مشروعان بديلان لمشروعه ، وضعت العربي منهما لجنة فنية عربية كلفتها الجامعة العربية دراسة تقرير مين من ناحيته الفنية فقط ، ووضع ثانيهما خبير أميركي يعمل في خدمة (إسرائيل) اسمه جون كوتون عرض فيه وجهة نظر الجانب الإسرائيلي في التقرير .

٢) اعتراضات الجانب العربي والمشروع العربي المضاد : يمكن تلخيص اعتراضات اللجنة الفنية العربية على مشروع مين في النقاط التالية :

(١) أهمل المشروع الحدود السياسية بين بلاد حوض الأردن وروافده . وقد نتج عن هذا الإهمال أن اقترح تخزين مياه اليرموك

بكاملها في بحيرة طبرية الواقعة في المنطقة المحتلة ، وجعل مصير معظم الأراضي الأردنية المروية بهذه المياه تحت رحمة (إسرائيل) ، وتحت إشراف لجنة دولية ، مما يعرّض المواسم الزراعية في حال انقطاع المياه إلى خطر جسيم .

(٢) إن تخزين مياه اليرموك العربية في بحيرة طبرية ذات الملوحة العالية يعني أن المياه التي سترد إلى الأردن من البحيرة عبر قناة الغور الشرقية ستكون ذات نوعية أقل ملاءمة للاستثمار الزراعي من المياه التي يحصل عليها مباشرة من النهر .

(٣) ورد في المشروع إجحاف فادح بحق العرب في توزيع المياه ، فحرم الأراضي اللبنانية من الاستفادة من المياه بتحويلها كلها لتوليد الكهرباء في مركز تل حي الإسرائيلي ، في حين أن للبنان ٣٥,٠٠٠ هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة في حوض النهر . يضاف إلى ذلك أن بالإمكان الانتفاع من مياه الحاصباني في توليد الكهرباء لصالح الاقتصاد اللبناني . .

(٤) خصّ المشروع سورية بكمية ٤٥ مليون م٣ من المياه لري مساحة ٣,٠٠٠ هكتار فقط ، في حين تزيد مساحة الأراضي السورية القابلة الإرواء من ينابيع اليرموك وبانياس ونهر الشريعة على ١٢,٠٠٠ هكتار (منها ٦,٨٠٠ في منطقة مزيريب و٢,٠٠٠ في بانياس و٢,٢٠٠ في البطيحة و١,٠٠٠ في وادي اليرموك) وتقدّر المياه اللازمة لها بما لا يقل عن ١٣٢ مليون م٣ .

(٥) حدد المشروع حاجة الأراضي الأردنية بمقنّنات مائية منخفضة لا تتلاءم مع حاجاتها الفعلية ، أو مع النمط الزراعي الواجب اتّباعه في برنامج التوسع الاقتصادي .

(٦) إن اقتراح المشروع تحديد ارتفاع سد المقارن بـ ٥٨ م (مع إمكان رفعه إلى حد أقصى يصل إلى ٩٥ م في المرحلة الأخيرة من المشروع) يخفض الطاقة الكهربائية الممكن توليدها من الموقع ، ويحرم سورية والأردن من إمكانات استثمارية هما في أمسّ الحاجة إليها لتطوير اقتصادهما .

(٧)إن حرص المشروع الموحّد على جمع ونقل المياه العربية من الحاصباني والوزّاني وبانياس وغيرها من المصادر المائية لري أراضي منطقة تلال الجليل ، بالرغم مما هو معروف من كثرة المياه الجوفية والينابيع في تلك المنطقة ، وبالرغم من التكاليف العالية ، يدل على وجود أهداف غير فنية لتقديم مثل هذا الاقتراح . ومن الواضح أن الغاية منه هي إيصال المياه العربية إلى خزّان البطوف ، ومن ثم إلى النقب ، كما كان مقترحا في مشروع هيز ـ لاودر ميلك دون ذكر ذلك صراحة .

(٨) لم تراعَ الأمانة في تقدير كلفة مختلف أجزاء المشروع المقترحة ، فبولغ في تقدير تكاليف إنشاء سد المقارن ، في حين خفضت بشكل غير منطقي كلفة القناة المطلوب إنشاؤها في منطقة جبلية في الجليل الأعلى ، وطولها لا يقل عن ١٢٠ كم ، وذلك ابتغاء الوصول إلى استنتاجات في صالح (إسرائيل) .

(٩) راعى البرنامج الزمني الذي قدمه المشروع لمختلف مراحل التنفيذ أن تتم الأجزاء الاسرائيلية منها قبل الأجزاء العربية ، مما يجعل انتفاع الدول العربية من المشروع مؤجلاً ، على حين يعجّل في استفادة (إسرائيل) منه .

وقد خرجت اللجنة الفنية العربية من مجموعة هذه الاعتراضات والملاحظات الى اقتناع بأن أي مشروع عادل وعملي لاستثمار مياه حوض الأردن يجب أن يستند بوضوح إلى المبادىء الرئيسة التالية :

(١) عدم إهمال الحدود القائمة وخطوط الهدنة الحالية ، ووجوب تقيد أي مشروع بما تفرضه هذه الحدود .

(٢) يجب إقامة المنشآت اللازمة لضبط المياه وتخزينها والسيطرة عليها لغايات الري وتوليد الكهرباء العائدة لمنفعة البلاد العربية داخل حدود هذه البلاد ، دون أن يترتب على أي منها وجوب إقامة أية صلة اشتراك أو تعاون مع (إسرائيل) .

(٣) إن مجموع مياه الحوض أقل من أن تكفي لتأمين حاجة الأراضي القابلة للاستثمار الزراعي فيه ، ولذلك لا يجوز السماح بنقل أية نقطة ماء منه لإرواء أراض خارج حدود الحوض .

وفي ضوء هذه المبادىء وضعت اللجنة الفنية العربية مشروعاً مضادا لمشروع مين يتضمن الأسس التالية :

أولا ـ في اليرموك :

(١) إنشاء سد ، إما في موقع المقارن وإما في موقع وادي خالد ، لتخزين ٤٧٥ مليون م٣ من الماء ، يترك منها ١٠٠ مليون م٣ كتخزين ميّت لتأمين الضاغط الأدنى اللازم لتوليد الكهرباء ، ولاستيعاب الطمي المحتمل . أما الكمية الباقية فتستعمل للري في سورية والأردن حسب المشاريع المعتمدة سابقا .

(٢) إنشاء أربع محطات توليد كهربائية متدرجة بين المقارن والعدسية للاستفادة من الفارق الكبير بين منسوب ١٦٨ م فوق سطح البحر في المقارن ومنسوب ٢١٠ م تحت سطح البحر في العدسية . وتقدر استطاعة هذه المراكز الأربعة بـ ٤٧ ألف كيلووات يوزع إنتاجها السنوي المقدر بـ ١٦٧ مليون كيلووات ساعي بين سورية والأردن حسب الاتفاق المبرم بينهما عام ١٩٥٣ .

(٣) يسمح المشروع بتحويل المياه التي تفيض عن التخزين في سد المقارن إلى بحيرة طبرية ، بحيث يمكن سحبها فيما بعد إلى قناة الغور الشرقية لري الأراضي في الأردن .

ثانيا ـ الموارد المائية شمالي طبرية : يوزع مجموع كميات موارد المياه البالغ ١٧٣ مليون م٣ شمالي بحيرة طبرية على الشكل التالي :

ـ لبنان : ٣٥ مليون م٣ من المياه لإرواء ٣٥ ألف دونم في وادي الحاصباني، وتنشأ محطة لتوليد الكهرباء في قرية الفجر اللبنانية تستمد مياهها من القناة المنشأة لغايات الري نفسها .

ـ سورية : ٤٢ مليون م٣ من المياه لإرواء ٢٠ ألف دونم في منطقة بانياس ، و٢٢ ألف دونم في منطقة البطيحة شرقي طبرية .

ـ (إسرائيل) : ٩٦ مليون م٣ من المياه لإرواء أراضي الحولة وما حولها .

ثالثاً ـ الموارد المائية جنوبي طبرية : يسحب من بحيرة طبرية ٥١٤ مليون م٣ من المياه لري الأراضي الصالحة للزراعة جنوب البحيرة ، وتوزّع على الشكل التالي :

ـ (إسرائيل) : ٨٤ مليون م٣ من المياه يستثمر ٤٥ مليونا منها لإرواء ٢٦ ألف دونم في مثلث اليرموك ، و٣٩ مليونا في الغور الغربي من المنطقة المحتلة .

ـ الأردن : ٤٣٠ مليون م٣ ، منها ١٢٥ مليون م٣ لإرواء أراضي الغور الشرقي (تضاف إلى الـ ٢٧٠ مليوناً الواردة من اليرموك ليصبح المجموع ٣٩٥ مليونا) ، و٣٠٥ ملايين م٣ لإرواء أراضي الغور الغربي .

رابعاً ـ مياه الوديان والآبار : المقدرة بـ ٣٨٢ مليون م٣ توزّع على الأراضي المجاورة لها مما يصلح للاستثمار على ضفتي الوادي في الحوض .

ويترتّب على تنفيذ التوزيع المقترح من قبل اللجنة الفنية العربية وفقاً لما جاء تفصيله أعلاه أن ينال الأردن ٩٧٥ مليون م٣ من المياه وسورية ١٣٢ مليون م٣ ولبنان ٣٥ م٣ و(إسرائيل) ٢٨٧ م٣ ، بحيث يبلغ المجموع ١,٤٢٩ مليون م٣ بدلاً من ١,٢١٣ مليون م٣ قدّرها من قبل مشروع مين .

ويعقد الجدول التالي مقارنة بين المشروع العربي ومشروع مين :

المشروع العربي :

	كميات المياه (مليون م٣)	المساحات المروية (ألف دونم)
لبنان	٣٥	٣٥
سورية	١٣٢	١١٩
الأردن	٩٧٥	٤٩٠
(إسرائيل)	٢٨٧	٢٣٤
المجموع	١,٤٢٩	٨٧٨

مشروع مين

	كميات المياه (مليون م٣)	المساحات المروية (ألف دونم)
لبنان	ـ	ـ
سورية	٤٥	٣٠
الأردن	٧٧٤	٤٩٠
(إسرائيل)	٣٩٤	٤٢٠
المجموع	١,٢١٣	٩٤٠

٣) اعتراضات الجانب الإسرائيلي ومشروع كوتون المضاد :

(١) إن المشروع لم يشمل ، ضمن مصادره المائية ، مياه نهر الليطاني الذي يعتبر ، برأي الجانب الإسرائيلي ، متمّماً لموارد المياه الأخرى في المنطقة ، ويجب التخطيط لاستثماره على أنه جزء من الإمكانات المائية الموجودة فيها .

(٢) إن مشاريع السدود على اليرموك غير اقتصادية ، ويجب التركيز على تخزين مياه اليرموك كلها في بحيرة طبرية ، ولا سيما أن أكبر كمية من مصادر مياه الشمال يجب تحويلها خارج البحيرة لري أراضي تلال الجليل وما حولها فلا بد من تعويضها بمصادر أخرى .

(٣) إن المساحة التي قدر المشروع صلاحها للاستثمار الزراعي في الأردن مبالغ فيها لأن كثيراً منها متملّح وغير ملائم للزراعة . ولذلك يجب تخفيض حصة الأردن من المياه لقاء زيادة حصة (إسرائيل) لأن لديها مساحات واسعة يحتاج استثمارها إلى مزيد من المياه .

(٤) إن حصر استثمار مياه الحوض ضمن أراضي الحوض نفسه لا يتفق مع مصلحة الاستثمار الاقتصادي الأفضل علميا ، ولذلك لا بد من التحرر من هذا القيد الذي لا مبرر له .

وفي ضوء هذه الاعتراضات كلف الإسرائيليون أحد الخبراء الأميركيين العاملين في خدمتهم ، وهو جون كوتون ، وضع مشروع يتبنّى وجهة نظرهم حول الموضوع . وفي شباط ١٩٥٤ نشر مكتب الإعلام الإسرائيلي في نيويورك تقريراً عنوانه « مشروع كوتون لتطوير واستثمار الموارد المائية في أحواض نهري الأردن والليطاني » . وقد أظهر المشروع بصورة جلية استخفاف (إسرائيل) بالحقوق العربية ، واستهانتها بأي عرض لا يلبّي متطلبات خططها الاستيطانية التوسعية .

ضخّم مشروع كوتون إيرادات المياه فرفعها إلى ٢,٣٤٥ مليون م٣ بدلاً من الـ ١,٤٥٠ مليون م٣ التي اعتمدها جونستون لمياه حوض الأردن . وطلبت (إسرائيل) أن يخصّص لها منها ما لا يقل عن ١,٢٩٠ مليون م٣، لأنها تجاوزت حدود الحوض في مشروعها وأصرّت على إدخال مياه الليطاني في حساب التقاسم ، وهو النهر اللبناني الصرف الواقع في حوض مستقل آخر لا علاقة له بحوض

الأردن . ورأت (إسرائيل) أن نصيبها من مياهه البالغة ٧٠٠ مليون م٣ يجب ألاّ يقلّ عن ٤٠٠ مليون م٣ ، في حين أبقت للبنان ، صاحب النهر ، ما لا يزيد على ٣٠٠ مليون م٣ . وراحت تتساءل عن قيمة بعض الهضاب والجبال التي تفصل هذا النهر عن حوض الأردن عندما لا يحتاج الوصل بينهما إلاّ إلى نفق بسيط يكفي فتحه ليتدفق الخير والرفاه إلى أراضي (إسرائيل) .

ورفضت (إسرائيل) في مشروعها قبول الإشراف الدولي على توزيع المياه ، وأصرّت على عدم تدخل أي من أجهزة الأمم المتحدة في موضوع استثمار المياه وتوزيعها بين دول المنطقة . من ناحية أخرى أخرج مشروع كوتون إلى النور مشروع تحويل مياه الأردن إلى النقب الذي أبقته جميع المشاريع المقدمة سابقاً ، بما فيها مشروعا هيز ومين ، في الظل وتحاشت الإشارة إليه صراحة . وباتت (إسرائيل) تتحدث عنه كأمر مفروغ منه ، معتبرة قبوله شرطاً أساسياً لأي تعاون يطلب منها في تحقيق المشروع .

ويقدر مشروع كوتون المساحات التي ستروى فيه بالمقارنة مع تلك التي ستروى وفقا لمشروع مين كالآتي :

مشروع كوتون :

	كميات المياه (مليون م٣)	المساحات المروية (ألف دونم)
لبنان	٣٠٠	٣٥٠
سورية	٤٥	٣٠
الأردن	٧١٠	٤٣٠
(إسرائيل)	١,٢٩٠	١,٧٩٠
المجموع	٢,٣٤٥	٢,٦٠٠

مشروع مين

	كميات المياه (مليون م٣)	المساحات المروية (ألف دونم)
لبنان	—	—
سورية	٤٥	٣٠
الأردن	٧٧٤	٤٩٠
(إسرائيل)	٣٩٤	٤٢٠
المجموع	١,٢١٣	٩٤٠

وهكذا تبيّن هذه الأرقام بجلاء أن (إسرائيل) تطلب من المياه العربية ما يكفي لاستثمار أكثر من ضعفي مجموع المساحات التي ترى أن تتيح لها إمكانات الري في البلاد العربية الثلاثة ، وهو منطق يكفي لبيان مفهوم العدالة عند (إسرائيل) في توزيع مياه المنطقة . ومن الواضح أنها اعتمدت هذه المبالغة في مشروعها ابتغاء الضغط على جونستون كي يخصّص لها المزيد . وقد استطاعت تحقيق هدفها هذا في المفاوضات التي تبعت تقديم هذه التقارير .

٤) المفاوضات والنتائج : قام جونستون ، استكمالاً لمهمته ، بجولة ثالثة (شباط ١٩٥٥) وجولة رابعة (تشرين الأول ١٩٥٥) تابع فيهما مفاوضاته مع ممثلي دول المنطقة ، محاولاً مساومة كل فريق للتنازل عن بعض مطالبه . وقد تركّزت المناقشات خلال هاتين الجولتين حول النقاط الرئيسة التالية :

(١) موضوع تخزين مياه اليرموك : كان الإسرائيليون يصرّون على وجوب تخزين مياه فيضانات نهر اليرموك في بحيرة طبرية ، في حين كانت اللجنة الفنية العربية تصرّ على وجوب تخزينها في المقارن .

(٢) تقاسم مياه الحوض : كل فريق يطالب بزيادة حصته .

(٣) مطالبة (إسرائيل) بإدخال مياه نهر الليطاني في مشروع الخطة الموحدة .

(٤) مطالبة (إسرائيل) بحق تحويل مياه الحوض إلى النقب والساحل .

(٥) موضوع إناطة مسؤولية الإشراف بهيئة دولية أو محايدة .

أما بشأن موضوع التخزين فقد اضطر الإسرائيليون ، وجونستون معهم ، إلى تغيير موقفهم من مقاومة إنشاء سد المقارن وتخزين مياه فيضانات اليرموك خلفه، بعد أن تبين لهم عدم ملاءمة الموقع الذي اختاروه في البطوف لتخزين المياه بالسعة المقدرة له بسبب عدم توفر الكتامة اللازمة للتربة فيه . إلاّ أن موافقتهم على إنشاء السد ظلت مقرونة بشرط تخفيض ارتفاعه إلى ١٢٦ م وسعته إلى ٣٠٠ مليون م٣ ، على أن ينظر بعد خمسين سنة في مدى ملاءمة رفع السد لاستيعاب خزانه كمية مياه أكبر . ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن بونجر الذي كان له الفضل الأول في اكتشاف ملاءمة موقع المقارن للتخزين واقتراح إنشاء سد فيه منذ عام ١٩٥٢ تعرّض لحنق وغضب جونستون الشديد إذ تجرأ على اقناع العرب بمشروع لا يتفق مع المشروع الذي جاء ليدافع عنه ، وطلب نقله من عمله في الأردن فنقل فعلاً إلى البرازيل . ولكن المهندس بونجر آثر الاستقالة على الانتقال بهذا الشكل دون رضاه .

وحول موضوع تقاسم مياه الحوض وتحديد حصة كل بلد فيها جرت مناقشات مطوّلة كان الهم الأكبر لجونستون خلالها زيادة الكمية المخصصة (لإسرائيل) . فبعد أن تبيّن أن متوسط مجموع كميات الموارد المائية في الحوض يقدر بـ ١,٤٢٩ مليون م٣ ، وليس ١,٢١٣ كما كان مقدراً سابقاً في مشروع مين ، سلّم جونستون بتخصيص ٤٥ مليون م٣ للبنان و١٣٢ مليون م٣ لسورية ، وهي كميات متواضعة لا تتناسب مع ما يساهم به البلدان في تغذية الحوض بالمياه . ثم انصرف اهتمامه ، تحت ضغط الجانب الإسرائيلي ، إلى تخفيض حصة الأردن ورفع حصة (إسرائيل) . ففي زيارته الثالثة (شباط ١٩٥٥) زاد حصة (إسرائيل) من ٣٩٤

مليون م³ إلى ٥٢٥ مليون م³ من المياه . ثم زادها مرة أخرى في زيارته الأخيرة (تشرين الأول ١٩٥٥) إلى ٥٦٥ مليون م³ ، أي إلى أكثر من الكمية التي اعتمدتها (إسرائيل) في خطتها السبعية وهي ٥٤٠ مليون م³ . من جهة أخرى خفض جونستون حصة المملكة الأردنية من ٧٧٤ مليون م³ في جولته الأولى إلى ٧٢٠ مليون م³ في الجولة الأخيرة ، منها ١٥ مليون م³ من الينابيع المالحة التي كانت (إسرائيل) قررت تحويلها بعيداً عن بحيرة طبرية إلى نهر الأردن تخفيفا لملوحة مياه البحيرة . وحاول جونستون تبرير هذا التخفيض على أساس اقتراح ورد في تقرير بيكر وهيرزا المرفوع إلى الحكومة الأردنية عام ١٩٥٥ ، ويقضي باتّباع استثمار زراعي في الأغوار يحتاج إلى مقنّنات مائية أقل مما سبق اعتماده في تقرير ماكدونالد . وهو اقتراح رفضته اللجنة العربية الفنية ، ولم تقرّه الحكومة الأردنية .

أما بشأن طلب (إسرائيل) إدخال مياه نهر الليطاني في مشروع الخطة الموحدة فمن الواضح أنها لم تكن تقصد من إقحامه سوى الإثارة والتذكير بمطامعها في مياه هذا النهر في المستقبل ، ولذلك عادت فوافقت على سحب طلبها أثناء المفاوضات باعتباره موضوعاً قابلاً للتأجيل بالنسبة إليها .

على أن (إسرائيل) وقفت موقفاً متشدداً من موضوع انتزاع الموافقة على استثمار حصتها من مياه حوض الأردن ، حيثما ترى أن مصلحتها تقضي بذلك ، سواء داخل الحوض أو خارجه . وقد كانت تمهّد بذلك لاستئناف أعمالها في تنفيذ مشروع تحويل مياه الأردن إلى الساحل والنقب دون اعتراض من أحد. كذلك ظلت تصرّ على رفض أية رقابة أو إشراف دولي على تنفيذ المشروع الموحد بين دول الحوض مدعية أن خبرتها بمراقبي هيئة الأمم المتحدة وأسلوب تعاملهم معها لم تكن لتشجعها على قبول المزيد منها .

وهكذا انتهت المفاوضات التي قادها جونستون في جولاته الأربع بين أعوام ١٩٥٣ و١٩٥٥ إلى مأزق . فبالرغم من كل الجهود التي بذلها لإقناع مختلف الأطراف بما توصل إليه ، وبالرغم من كل الإغراءات بالمساعدات المالية وبتمويل عمليات المشروع التي عرضها على دول الحوض ، أخفق في الحصول على ما كان ينشده من اتفاق بين الجانبين على مشروع موحّد لاستثمار مياه وادي الأردن . وعندما اجتمع مجلس الجامعة العربية في تشرين الأول عام ١٩٥٥ لينظر في التقرير المرفوع إليه من اللجنة الفنية العربية التي كان قد أوكل إليها متابعة الاتصال بجونستون حول الموضوع ، رأى في النتائج السلبية التي تم التوصل إليها ، وفي الملابسات السياسية الخطيرة التي ترتبط بالمشروع، مايبرّر رفض الموافقة عليه ، فقرّر إعادته مجدّدا إلى اللجنة الفنية للمزيد من الدراسة . وكانت (إسرائيل) أحجمت عن الموافقة على المشروع أيضاً مفضلة السير في تنفيذ مشاريعها متحررة من كل قيد .

على أنه إذا كان من الممكن القول إن المهمة التي كلّفها الرئيس أيزنهاور مستشاره جونستون قد انتهت عند هذا الحد إلى إخفاق ، فإن ذيول النتائج التي توصل إليها بعد سنتين من المفاوضات ظلت مستمرة ، ولم تقف عند حد هذا الفشل . ذلك أن الولايات المتحدة اعتمدت هذه النتائج في علاقاتها اللاحقة مع دول المنطقة حول مشاريع مياه الأردن . فعلى أساس هذه النتائج أمدّت الولايات المتحدة المملكة الأردنية الهاشمية بقرض لإنشاء قناة الغور الشرقية بتصريف ١٠ م³/ثا التي تستمدّ مياهها من اليرموك . وعلى أساسها أيضاً وافقت على تمويل مشروع (إسرائيل) الذي أوقف العمل فيه عام ١٩٥٣ لتحويل مياه الأردن من الشمال إلى النقب في الجنوب ، وعلى السماح لها باستئناف العمل في المشروع .

٥) خطة (إسرائيل) المائية بعد جونستون : أما (إسرائيل) فقد ثارت حفيظتها على الدول العربية بعد فشل جونستون في مهمته ، وعجزه عن جرّ العرب للاعتراف بها ولتصفية قضية اللاجئين تأميناً لاستقرارها . فحاولت أن تجابه هذه النكسة في سياستها بالنزوع إلى التحدّي والاستفزاز . وتجلّت محاولتها هذه في مجالين : الأول في تعديل خطتها السبعية المائية التي سبقت الإشارة إليها ، والاستعاضة عنها بخطة مائية جديدة لعشر سنين . والثاني في العودة لاستئناف العمل في مشروع تحويل مياه الأردن إلى النقب الذي اضطرت قبل سنتين إلى إيقافه تحت ضغط مجلس الأمن .

وفيما يتعلق بتعديل الخطة المائية رأى الإسرائيليون أن التأخير الطويل الذي تعرض له تنفيذ مشروع التحويل ، والتغييرات التي وجدوا أنفسهم مضطرين لإجرائها في تصميم بعض أجزائه ، والظروف التي استجدّت إثرختام مهمة بعثة جونستون دون نتيجة ، توجب عليهم إعادة النظر في خطتهم السبعية التي كانوا قد اعتمدوها منذ عام ١٩٥٣ . فعدّلوا هذه الخطة ، واستعاضوا عنها بخطة السنين العشر التي تقرر أن تنتهي عام ١٩٦٣ بدلاً من عام ١٩٦٠ . وكان أهم ما طرأ على الخطة من تعديل ناحيتين : الأولى إعادة تصنيف المشاريع المتضمنة في الخطة ، وإدخال مشروع تحويل مياه الأردن من الشمال إلى النقب ، ومشروع تحويل مياه البحر المتوسط إلى وادي الأردن ، صراحة ، بين المشاريع المطلوب تنفيذها خلال مدة الخطة الجديدة ، بعد أن كانت الإشارة إليهما عابرة في الخطة السبعية السابقة . والناحية الثانية رفعهم كمية المياه التي يخططون لاستجرارها من حوض الأردن من ٥٤٠ مليون م³ إلى ٧٠٠ مليون م³، على أن يسحب ٥٠٠ مليون م³ منها من مياه بحيرة طبرية إلى النقب بدلاً من الـ ٣٤٠ مليون م³ المعتمدة سابقاً .

ما كاد موسم ربيع عام ١٩٥٦ يحلّ حتى عادت مجموعات العمل والآليات تنطلق مرة أخرى للعمل في مشروع التحويل، وبمباركة الولايات المتحدة هذه المرة ، لإتمام ما سبق أن بدأت به من تنفيذ مختلف أجزاء وحلقات المشروع الهندسي الضخم بعد أن أجري عليه تعديلان هامان هما :

(١) تخفيض استيعاب خزان البطوف من مليار م٣ من المياه إلى ١٥٠ مليون م٣ فقط ، بعد أن ثبت عدم صلاح موقعه للتخزين . وقد اضطروا نتيجة لذلك إلى العودة إلى اعتماد بحيرة طبرية خزاناً رئيسا لمشروعهم بدلاً من خزان البطوف .

(٢) إلغاء القناة الرئيسة التي اعترضت سورية على إنشائها بين جسر بنات يعقوب وطبرية ، والاستعاضة عنها بضخ المياه المطلوب تحويلها إلى النقب مباشرة من بحيرة طبرية تجنباً للمرور عبر الأراضي المجردة من السلاح وإثارة المتاعب ضدهم في مجلس الأمن .

وتقرر السير في تنفيذ المشروع على مرحلتين : الأولى تنتهي عام ١٩٦٤ ، وغايتها إيصال ١٨٠ مليون م٣ من مياه طبرية الى النقب ليستعمل جزء منها في تغذية الحوض الجوفي الساحلي الذي بدأت مياه آباره تتعرّض للملوحة بسبب المبالغة في استنزافها ، والجزء الآخر يستمر في جريانه جنوباً لريّ مستعمرات النقب ومزارعه . وأما المرحلة الثانية فكان من المقرر أن تنتهي عام ١٩٦٦ ، وغايتها إيصال باقي كمية المياه التي سبق إقرار نقلها إلى النقب ، وهي ٣٢٠ مليون م٣ .

ويتّضح من هذا البرنامج المرحلي ، ومن التواريخ المقررة للتنفيذ، ومن الكميات المقدر إيصالها في كل مرحلة منه ، أن ما خططه الإسرائيليون للتنفيذ الفعلي هو غير ما أعلنوه في خطتهم العشرية . يثبت ذلك أن مجموعتي الضخ اللتين أتّموا تركيبهما في محطة الطابغة بقدرة ٦,٥ م٣/ثا لكل منهما كانتا غير كافيتين لضخ أكثر من ٣٢٠ مليون م٣ ، وهي الكمية التي تقرّر نقلها في المرحلتين ، وغير معدتين لنقل الـ ٥٠٠ مليون م٣ المذكورة في الخطة . أما من حيث التوقيت فقد بدا جليّاً أن الإسرائيليين وجدوا أنفسهم مضطرين لتجاوز مواعيد إنهاء كامل المشروع خلال فترة السنين العشر التي أعلنوا عنها ، والتي تنتهي عام ١٩٦٣ ، لذلك عادوا وأدخلوا إتمام هذا المشروع في خطة السنوات الثماني اللاحقة (١٩٦٣ - ١٩٧٠) التي أعدتها شركة تاهال اليهودية للدراسات والتصميم .

وقد عملت (إسرائيل) طوال فترة انهماكها في تنفيذ مختلف أجزاء مشروعها على إسدال ستار كثيف من الكتمان على كل ما كانت تنجزه من أعمال . وظل هذا الكتمان قائما حتى تشرين الأول عام ١٩٥٩ حين نشرت صحيفة « الجيروزالم بوست » بعض التفاصيل عن المشروع وما تمّ إنجازه منه . عندها فقط عادت ردود الفعل العربية للظهور .

و - مؤتمرات القمة العربية وهيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده : إثر تواتر الأخبار عن المرحلة المتقدمة التي بلغها الإسرائيليون في تنفيذ مختلف أجزاء مشروعهم في تحويل مياه الأردن إلى النقب دعي مجلس جامعة الدول العربية في ١٩٦٠/٢/١١ للاجتماع والتداول فيما يجب اتخاذه من اجراءات لمجابهة هذا العدوان السافر على الحقوق المائية العربية . ونتج عن هذا الاجتماع تشكيل لجنة فنية من الخبراء العرب لتدارس إمكان تحويل روافد نهر الأردن في لبنان وسورية والأردن بعيداً عن الاستغلال الإسرائيلي ، ليكون استثمار مياهها في خدمة الاقتصاد العربي .

وبعد دراسة سريعة تقدمت اللجنة الفنية في تشرين الثاني ١٩٦٠ بتقرير إلى مجلس الجامعة العربية تضمّن مشروعاً أولياً يهدف إلى استثمار مياه نهر الحاصباني ونبع الوزّاني في لبنان، ونبع بانياس في سورية، في ري ما يتوافر من أراض صالحة للاستزراع في المناطق المجاورة لها في البلدين ، ونقل ما يفيض عن حاجتها من هذه المياه إلى المملكة الأردنية لتجمع مع مياه اليرموك ويجري استثمارها في ري أراضي الأغوار والأزوار على ضفتي نهر الأردن فيها .

وبالرغم من أن الدراسة المقدمة من قبل اللجنة الفنية يومذاك كانت في الواقع خطوطاً عامة لمشروع ، وليست مشروعا متكاملا ، فقد رأى مجلس الجامعة العربية فيها جواباً ملائماً لمجابهة مشروع التحويل الإسرائيلي ، وأقرّ تكليف الجهات الفنية المختصة في كل من لبنان وسورية والأردن إعداد الدراسات والتصميمات اللازمة التي يتطلبها تنفيذ المشروع في حدود منطقته من الحوض . إلّا أنه آثر عدم البدء بأعمال التنفيذ إلّا بعد التثبّت من قيام (إسرائيل) بتحويل مياه الأردن إلى منطقة النقب وفقا لمشروعها فعلاً .

ثم ثارت الزوبعة مرة أخرى في مطلع عام ١٩٦٤ عندما أعلن الإسرائيليون أنهم على وشك إنجاز المرحلة الأولى من مشروعهم وإيصال مياه نهر الأردن إلى أراضي النقب في الجنوب . فدعا الرئيس المصري جمال عبد الناصر * ملوك ورؤساء دول الجامعة العربية إلى أول مؤتمر قمة عربي * يعقد في القاهرة في ١٩٦٤/١/١٣ . وقرر المؤتمر الرد على المشروع الإسرائيلي العدواني بتحويل روافد نهر الأردن العربية عن مجراها الأساسي ليجري استثمارها حصراً في ريّ الأراضي العربية ولصالح الاقتصاد العربي . واتخذ المؤتمر دعما لقراره هذا إجراءين :

١) الأول : تشكيل « هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده »، ومهمتها متابعة إعداد الدراسات والتصاميم والإشراف على تنفيذ مختلف المشاريع اللازمة لتحقيق منع (إسرائيل) من

استغلال مياه الروافد العربية لصالحها . وتعمل الهيئة تحت إشراف مجلس يترأسه الأمين العام للجامعة العربية ، ويشترك في عضويته فنيون ممثلون عن الدول العربية ذات العلاقة .

٢) والثاني : تشكيل « قيادة عربية مشتركة » * مهمتها إعداد ما يلزم لحماية أعمال المشروع العربي . واتفق على أن تكون هذه القيادة تحت إمرة رئيس أركان القوات المسلحة المصرية .

وتكفّل المؤتمرون بتغطية تكاليف المشروع ونفقات حمايته . وانطلقت الهيئة الموكول إليها تنفيذ قرار مؤتمر الملوك والرؤساء، بتحويل روافد الأردن في أعمالها دون تأخير . واتفق على أن تتولى المصلحة الوطنية لنهر الليطاني في لبنان إعداد الدراسات والتصاميم ، والإشراف على العمليات المطلوب تنفيذها ضمن الحدود اللبنانية من المشروع . وفي سورية كلفت هذه المهمة المؤسسة العامة للمشاريع الكبرى . وفي المملكة الأردنية الهاشمية أوكلت إلى المؤسسة الإقليمية الأردنية لاستغلال مياه نهر الأردن وروافده التابعة لمجلس الإعمار الأردني . وأخذ كل فريق من هؤلاء يعدّ الدراسات التفصيلية والمخططات والتصاميم وفق منهاج زمني حددت فيه الأولويات بما يتواءم مع تلبية الأهداف الأساسية للمشروع .

وتتخلص العمليات التي يقضي مشروع تحويل الروافد بتنفيذها في كل من الأقطار العربية الثلاثة ذات العلاقة بالحوض فيما يلي :

١) في لبنان :

(١) إنشاء سد تحويلي على مجرى نهر الحاصباني الأعلى ، ونفق في كوكبا ، وسد تخزيني في ميفدون ، وأقنية وسيفونات تجمع بينها هدفها تحويل مياه ينابيع الحاصباني وشبعا في الشمال إلى حوض الليطاني ، واستثمارها في ريّ أراضي منطقة النبطية في لبنان الجنوبي .

(٢) إنشاء سدود تحويلية ومآخذ على مجرى نهر الحاصباني الأدنى ونهر سريد لتحويل مياههما عبر قناة تصل حتى الحدود السورية ، ثم إلى بانياس ، تمهيداً لنقلها إلى الأردن مع المياه السورية الأخرى .

(٣) إنشاء محطة ضخ عند نبع الوزّاني الواقع في القسم الأسفل من مجرى الحاصباني لرفع مياهه إلى السهول المرتفعة المجاورة ، وريّ ما مساحته ١٥,٠٠٠ دونم داخل الحدود اللبنانية ، وإسالة الباقي إلى نهر الأردن في قناة بانياس ، وطولها ١١ كم .

٢) في سورية : إنشاء سد تحويلي عند ينابيع بانياس يهدف إلى نقل قسم من مياهها لإرواء نحو ٢٠,٠٠٠ دونم من الأراضي القريبة منها ، وإلى تجميع الباقي من مياه بانياس مع المياه الواردة من لبنان لتحويلها في قناة كبيرة طولها ٨٤ كم وسعتها ١٤م٣/ثا تمتدّ جنوباً من بانياس على ارتفاع ٣٥٠ م فوق سطح البحر من منحدرات هضبة الجولان * بموازاة نهر الشريعة حتى جليبينة ، ثم تنحرف تدريجياً إلى الجنوب الشرقي حتى تصل إلى وادي الرقاد أحد روافد نهر اليرموك على ارتفاع ٣٤٠ م . ويحتاج إنشاء هذه القناة إلى إقامة منشآت كثيرة من سيفونات وأنفاق عند اختراق التلال * والوديان .

٣) في الأردن :

(١) إنشاء سدّ ركامي بارتفاع ١٠٠ م واستيعاب ٢٠٠ مليون م٣ في موقع المخيبة أمام نقطة تلاقي نهر اليرموك برافده الرّقاد لحجز المياه المنقولة من سورية عبر قناة بانياس - الرقاد مع جزء من مياه اليرموك بقصد استثمارها في الأردن .

(٢) إنشاء محطة توليد كهرمائية بقوة ٣٠ ميغاوات قرب الشونة الشمالية تستمد المياه اللازمة لتشغيلها من خزان المخيبة (خالد بن الوليد) عبر نفق طوله ١١ كم .

(٣) رفع جوانب قناة الغور الشرقية لزيادة سعتها من ١٠ م٣/ثا إلى ٢٠ م٣/ثا ، مع العلم بأن سعة النفق القائم الذي ينقل المياه من مجرى اليرموك إلى القناة هي ٢٠ م٣/ثا . وبذلك يصبح من المتيسّر مضاعفة المساحات الممكن إرواؤها واستثمارها في أراضي الأغوار والأزوار الأردنية .

(٤) إنشاء سيفونين لنقل المياه من قناة الغور الشرقية إلى الأغوار الغربية الجنوبية ، ثم بناء شبكة من الأقنية في الزور الغربي والزور الشرقي لتزويدها بحاجتها من المياه .

شكّلت مجموعة هذه العمليات مشروعا عربيا متكاملا كان من المفترض أن يؤدي إنجازه بنجاح إلى النتيجتين التاليتين :

١) الأولى : أن يستردّ العرب من مواردهم المائية كمية تتراوح بين ٢٥٠ و٣٠٠ مليون م٣ من المياه يتاح لهم استثمارها في إرواء أراضيهم صاحبة الحق الأول في الاستفادة منها .

٢) الثانية : ما سيترتب على تحويل مياه روافد الأردن العذبة عن بحيرة طبرية من زيادة في ملوحة مياهها ، مما سيخفض من قيمتها في الاستثمار الزراعي ، ويجعل المشروع الإسرائيلي في تحويل مياه الأردن إلى النقب قليل الجدوى .

وكلتا النتيجتين اعتبرتها (إسرائيل) خطيرة تهدد مشاريعها ومصالحها ، وبلغ بها الأمر أن اتهمت الدول العربية بالعدوان .

ولكن العرب ردّوا على الاتهامات الإسرائيلية ، وبيّنوا أن المشروع العربي ليس عدوانا ، وإنما هو رد على العدوان ، وأنه ليس فعلا بذاته ، وانما هو ردّ فعل على تحويل غير شرعي قامت به (إسرائيل) ، وأن مياه الحوض أقل كثيراً من حاجة الأراضي القابلة للاستثمار الزراعي في الحوض ، باعتراف تقرير مين نفسه ،ولذلك فإن أراضي الأغوار والأزوار في حوض الأردن أحق بمياهه من أراضي حوض آخر تبعد مئات الكيلومترات عنها . وجاء في هذا

الردّ أن المشروع العربي ، وأكثر مياهه يجري بالراحة ، هو المشروع الطبيعي السليم ،وأما المشروع الإسرائيلي الذي يحتاج لضخ كل مياهه مئات الأمتار فهو غير الطبيعي . وأن تحويل (إسرائيل) لأي جزء من مياه الحوض خارجه يعني اعتداء صارخاً على حقوق العرب ، وسرقة مكشوفة لمياههم ، مما يبرر لهم أي إجراء يتخذونه لحفظ تلك الحقوق واسترداد تلك المياه .

انطلق العمل العربي باندفاع دون اكتراث بأي تهديد ، وأخذ مجلس هيئة المشروع يوالي جلساته دوريا متنقلاً بين القاهرة وبيروت ودمشق وعمان ، ويطّلع على الدراسات المعدّة ، ويناقش الإجراءات المتخذة ، ويتابع ما أخذ طريقه إلى التنفيذ الفعلي من المشروع . ولم تمض شهور قليلة بعد قرار مؤتمر القمة العربي الأول حتى كان دولاب العمل يدور بتسارع في كل الجبهات . وكانت مجموعات التنفيذ تعمل في لبنان وسورية والأردن دون توقف .

لكن انطلاقة المشروع ما لبثت أن تعرّضت لبعض الصعوبات والعقبات التي بدأت تحدّ من إنتاجها وتزيد تدريجياً من التكاليف . وكان أهم هذه الصعوبات فقدان الحماية الكافية للمشروع . وبسبب غياب هذه الحماية تعذّر في لبنان البدء بتنفيذ عمليات تحويل مياه الحاصباني الأعلى عبر نفق كوكبا إلى ميفدون . وبسبب غيابها أيضاً تعرضت أعمال إنشاء قناةبانياس ـ الرّقادي هضبة الجولان ـ وهي التي كانت تشكل العمود الفقري لمشروع التحويل كله ـ تعرضت ثلاث مرات للقصف والعدوان دون أن يصدر عن القيادة العربية المشتركة أي ردّ فعل حازم يوفّر الحماية للعاملين . أما الصعوبة الثانية فكانت في تأخر الكثير من الدول العربية في تسديد ما ترتب عليها من التزامات مالية ، إذ لم يزد مجموع ما سدّد من مبالغ لصالح المشروع حتى وقف العمل فيه على ثلث المقدّر من تكاليفه فقط .

وقد بلغ المشروع نهايته المأسوية في حرب حزيران ١٩٦٧ * حين احتلّ الإسرائيليون مواقع المشروع في هضبة الجولان السورية واستولوا على آلياته . وباتت كل مياه نهر الأردن وروافده تحت احتلال العدو الإسرائيلي .

ز ـ مشكلة تحويل مياه نهر الأردن وروافده في مجلس الأمن :

تضمنت اتفاقية الهدنة المشتركة السورية ـ الإسرائيلية * منطقة منزوعة من السلاح شملت في جملة ما شملته نهر الأردن الواقع بين بحيرتي الحولة وطبرية . وقد نصّت الاتفاقية على وضع هذه المنطقة المنزوعة السلاح (رَ : المناطق المنزوعة السلاح) تحت تصرف الرقابة الدولية ، وأنشىء جهاز خاص لذلك . وكلفت لجنة الهدنة المشتركة تطبيق نصوص اتفاقية الهدنة . وأعطي الجهاز سلطة البتّ في الخلافات حول الاتفاقية وتفسيرها وتطبيقها . وكان المعروف أن أي عمل عسكري في المنطقة المنزوعة السلاح يشكل مخالفة خطيرة للاتفاقية . يضاف إلى ذلك أن نسبة ٩٩٪ من أراضي هذه المنطقة الواقعة بين بحيرتي الحولة وطبرية جنوب « قصر عترا » يمتلكها العرب ، وأن أية عملية تقوم بها (إسرائيل) لتحويل مياه الأردن لا يمكن أن تتم بدون المرور بأراضيهم . ولا تملك (إسرائيل) حق استملاك هذه الأراضي أو أي جزء منها لأن هذا من حقوق السيادة ، ولا سيادة (لإسرائيل) على تلك المنطقة .

بدأت (إسرائيل) عمليات تحويل نهر الأردن في الجانب الغربي من المنطقة المنزوعة السلاح (الحولة) في ١٩٥٣/٩/٢ ، ونظرت لجنة الهدنة السورية ـ الإسرائيلية المشتركة برئاسة كبير المراقبين في الشكوى المقدمة من سورية حول الموضوع . وقد طلب كبير المراقبين إيقاف عمليات التحويل ، لكن السلطات الإسرائيلية لم تذعن لذلك . فتقدمت سورية ، في ١٩٥٣/١٠/١٢ ، بشكوى إلى مجلس الأمن الدولي طالبة إدانة العمل الإسرائيلي وإيقافه لأنه يتعارض والتزام السلطات الإسرائيلية بموجب اتفاقية الهدنة . وقد عدّد المندوب السوري الأسباب التي من أجلها جاءت سورية إلى مجلس الأمن .

وبغية منع (إسرائيل) من استغلال الوقت والمماطلة والتسويف إذا ما امتدت مناقشات مجلس الأمن فترة طويلة تقدمت الباكستان ـ وكانت عضوا في المجلس يومذاك ـ بعد التشاور مع سورية والدول العربية الأخرى بمشروع قرار يدعو (إسرائيل) إلى إيقاف عملية التحويل ريثما ينهي المجلس بحث الموضوع . وقد حاولت (إسرائيل) التسويف والمماطلة ، غير أن الولايات المتحدة ضغطت عليها فقبلت قرار المجلس الذي صدر برقم ١٠٠ وتاريخ ١٩٥٣/١٠/٢٧ ، وفيه دعوة إلى " تعليق الأعمال التي بدأت في المنطقة المنزوعة السلاح في ١٩٥٣/٩/٢ في أثناء بحث المسألة من قبل مجلس الأمن " . وأشار القرار إلى التصريح الذي أدلى به ممثل (إسرائيل) بشأن "تعهد حكومته بتعليق الأعمال المذكورة في أثناء هذا البحث " . وقد أخبر كبير المراقبين المجلس بأن أعمال التحويل توقفت بتاريخ ١٩٥٣/١١/١ .

وكان وراء الضغط الأميركي على (إسرائيل) لقبول قرار المجلس دافع رئيس هو أن الولايات المتحدة كانت على وشك أن توفد إلى منطقة الشرق الأوسط بعثة جونستون سعياً وراء إيجاد حل موحّد لتوزيع مياه نهر الأردن وروافده بين (إسرائيل) وسورية والأردن ولبنان . وكانت ترمي من سياستها تلك إلى تحقيق عدة أهداف كلها لصالح (إسرائيل) .

أخذ مجلس الأمن ، بعد صدور قراره المذكور ، يبحث في الشكوى السورية ، فذكر المندوب السوري يوم ١٩٥٣/١٠/٣٠ أن

حكومته اضطرت إلى اللجوء إلى مجلس الأمن لأن جميع الجهود الأخرى قد فشلت في إيقاف عمليات تحويل نهر الأردن التي تقوم بها السلطات الإسرائيلية . وأضاف أن هذه السلطات رفضت الإذعان لقرار كبير المراقبين الذي أمر بوقف هذه العمليات في المنطقة المنزوعة السلاح لأن هذه العمليات تخالف اتفاقية الهدنة السورية ـ الإسرائيلية المشتركة .

وإمعانا من (إسرائيل) في تحدي قرار كبير المراقبين أحضرت المزيد من الرجال والآلات لتكثّف عمليات التحويل . وأخذت تعمل ليلاً ونهاراً للإسراع في التنفيذ ، وفي الوقت نفسه دخلت في حوار مع كبير المراقبين حول قانونية العمل ، وحقوقها ، وغير ذلك من الذرائع التي استخدمتها كسباً للوقت .

ومن أجل خداع جهاز الهدنة والأمم المتحدة أطلقت السلطات الإسرائيلية على موضوع تحويل النهر اسم « مشروع الريّ الشمالي » . وقد تبيّن بعد ذلك أن الغاية هي بناء قنال يسحب مياه نهر الأردن عبر المنطقة المجردة إلى الأراضي التي تحتلها (إسرائيل) ، وأن لا علاقة لذلك بريّ الأراضي في شمال المنطقة كما زعمت .

وعندما توضحت نيّات (إسرائيل) أخذت هذه تعمد إلى وسائل تكتيكية ضاغطة ، فأحضرت قواتها المسلحة ، الأمر الذي زاد التوتر في المنطقة واضطر سورية للتقدم بشكوى إلى مجلس الأمن تعلمه فيها بالحالة التي خلقتها تصرفات السلطات الإسرائيلية حول تحويل نهر الأردن .

أضاف مندوب سورية أن (إسرائيل) لم توقف عملياتها ، وأن السدّ المسلّح الذي بني بديلاً من السدّ الحجري قد بني على أرض عربية ، وفي المنطقة المنزوعة السلاح ، وطلب ألاّ يسمح بأية محاولة للتعمية والتشويه لأن القضية هي قضية عدوان على المنطقة المنزوعة السلاح ، ويجب ألاّ يسمح بإدخال أمور خارجة عن هذا الموضوع المحدّد ، كالأمور الاقتصادية التي قد تثيرها (إسرائيل) من أجل الهروب من مسؤولياتها الدولية المحددة في اتفاقية الهدنة . فليس من اختصاص مجلس الأمن بحث أمور خارجة عن مشكلات الأمن . يضاف إلى ذلك أن أحكام اتفاقية الهدنة تنص صراحة على أنها اتفاقية أملتها اعتبارات عسكرية لا سياسية . ولهذه الجوانب العسكرية لا الاقتصادية ولا السياسية المقام الأول عند معالجة هذه الشكوى . ثم إن (إسرائيل) تتصرف على أنها صاحبة الحق في المنطقة المنزوعة السلاح ، ولها السيادة عليها ، في حين جمدت اتفاقية الهدنة الوضع ولم تعط أي حق لسورية أو (لإسرائيل) في القيام بأي عمل منفرد في المنطقة . وقد أيّد هذا كبير المراقبين في تقريره المرفوع إلى المجلس .

وأكدّ مندوب سورية أن نيّة (إسرائيل) تتجه دائما إلى تدمير جهاز الأمم المتحدة في المنطقة ، وتدمير اختصاصات كبير مراقبي الهدنة . لقد عينت الأمم المتحدة الكونت برنادوت وسيطاً ، وسرعان ما قتله الصهيونيون ، وكانت هذه إشارة لخط (إسرائيل) الجديد في المنطقة . فإذا استطاعت السلطات الإسرائيلية إكمال مشروع التحويل فسيتغير الوضع في المنطقة تغيّراً أساسياً ، لأن ذلك سيحقق ربط النهر بأقنية ، ويحول مياهه من المنطقة المنزوعة السلاح إلى الأراضي التي تحتلها السلطات الإسرائيلية . ومن المعروف أنه لا معنى للمنطقة المنزوعة السلاح من الناحية العسكرية بدون النهر ، لأن النهر هو العقبة في طريق تحرك القوات في هذه المنطقة . ولو تمّ التحويل لتغيرت الصورة الدفاعية ولاستفادت السلطات الإسرائيلية عسكرياً . في حين تقول اتفاقية الهدنة إنه لا يجوز لأي فريق أن يستفيد عسكرياً عن طريق أي تغيير يقوم به في المنطقة المنزوعة السلاح . ثم إن تحويل نهر الأردن سيضع السكان المدنيين في المنطقة المنزوعة السلاح تحت رحمة السلطات الإسرائيلية المتمكّنة من المياه ، في الوقت الذي تضمن فيه اتفاقية الهدنة إعادة الحياة المدنية العادية إلى سكان المنطقة ، خصوصاً أن أكثر من ٩٩٪ من هذه المنطقة يملكها ويسكنها العرب .

يضاف إلى ذلك كله أن التحويل سيؤثر في حقوق سورية والأردن ، لأن نهر الأردن بين بحيرتي الحولة وطبرية هو ، حسب القانون الدولي ، نهر دولي يخضع لمعاهدات دولية في المنطقة ، وأن تحويله سيجحف بحقوق تحميها اتفاقية الهدنة .

تحدث مندوب (إسرائيل) زاعماً أن ما تقوم به حكومته يستند إلى امتياز لاستغلال المياه حصلت عليه بتاريخ ١٩٢٦/٣/٥ شركة الكهرباء الفلسطينية ، وأن هذا المشروع بالنسبة إلى (إسرائيل) يدخل في صميم الاستقلال الوطني والاقتصادي . كما أن الامتياز المذكور قد أعطى شركة الكهرباء الفلسطينية حقاً خاصاً قبل قيام (إسرائيل) ، وهو حق تلتزم به أي حكومة وتعمل على احترامه وتنفيذه . وقال إن المشروع لا يخالف اتفاقية الهدنة ، وإن سورية لا تملك حق الفيتو ضد المشروع ؛ فالعلاقة هي بين شركة الكهرباء صاحبة المشروع وكبير المراقبين بصفته القيّم على المصالح الخاصة بالمواطنين في المنطقة المنزوعة السلاح .

تحدث مندوب الباكستان وقال إن مشروع التحويل يجعل (إسرائيل) سيدة الموقف بالنسبة ألى أهمية النهر العسكرية ، فهي تستطيع تجفيف النهر كي تعبر قواتها إلى الأراضي السورية إذا أرادت ، وتستطيع إعادة المياه من القناة إلى النهر إذا أرادت أن يكون مانعا للعبور . لهذا تستطيع قوات (إسرائيل) عبور النهر كلما أرادت ، على حين ستجد قوات الجانب الآخر صعوبة في تحقيق

ذلك . فالتحويل يضع النهر تحت تصرف (إسرائيل) وبذلك تنتهي فائدته العسكرية لسورية .

قدّمت الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا مشروع قرار ركّز فيه مقدّموه على النواحي الاقتصادية في منطقة الحولة ، ولم يتعرضوا لخرق (إسرائيل) أحكام اتفاقية الهدنة . وقد جاء في المادة التاسعة من المشروع ما يلي : " يطلب (المجلس) من كبير المراقبين ويفوّضه أن يدرس إمكانية التوفيق بين المصالح المتعلقة بالنزاع ، بما فيها الحقوق في المنطقة المنزوعة السلاح ، وتأمين حقوق الري القائمة في جميع الفصول ، وأن يتّخذ الخطوات التي يراها لتحقيق التوفيق ، آخذا بعين الاعتبار تنمية الموارد الطبيعية ذات العلاقة بأسلوب عادل يحقق المصلحة العامة " .

عارضت سورية ولبنان والباكستان والاتحاد السوفييتي هذا المشروع للأسباب التالية :

١) لا يشير المشروع إلى مخالفة (إسرائيل) اتفاقية الهدنة ، ولا إلى شكوى سورية وجوهرها .

٢) يخرج المشروع المجلس عن إطار مهامه الأساسية ، فالشكوى تتعلق بالأمن وبتطبيق أحكام اتفاقية الهدنة ، ولا علاقة لموضوع الشكوى بالاقتصاد ، ولا يجوز تجاوز أحكام اتفاقية الهدنة .

٣) من المفروض أن يستند أي قرار يتخذه المجلس على تقارير كبير المراقبين في المنطقة ، وقد أشار أحد تلك التقارير إلى الناحية العسكرية من عملية التحويل ، وإلى حق سورية في إيقاف العملية ، في حين لم يتعرض مشروع القرار إلى هاتين الناحيتين .

٤) تغاضى المشروع ، بقصد ، عن تحديد المصالح والحقوق ، في حين أن هذه المصالح والحقوق تخص سورية والسكان العرب في منطقة عملية التحويل .

٥) كان من المفروض أن يوجّه المجلس كبير المراقبين إلى أن التوفيق بين المصالح والحقوق يجب أن تحكمه اتفاقية الهدنة ، غير أن المشروع تغاضى عن ذلك .

٦) أوجدت اتفاقية الهدنة المناطق المنزوعة السلاح لفصل القوات بعضها عن بعض ، ومنعت الطرفين من إجراء أي تعديل فيها يستفاد منه عسكريا . ومن المفروض أن يأخذ مشروع القرار هذا الأمر بعين الاعتبار ، بدليل ما ذكره كبير المراقبين في تقريره حين قال إن المنطقة المنزوعة السلاح في الحولة سيصبح لها شكل آخر إذا تمكن أحد الفريقين من السيطرة على النهر بتحويل مياهه نتيجة " إكمال قناة التحويل ، ويكون بإمكان هذا الفريق تخفيف عدد قواته في هذه المنطقة وتكثيفها في مناطق أخرى ، وهذا ما لا تقرّه اتفاقية الهدنة " .

٧) إن مشروع القرار يشجع (إسرائيل) على الاستمرار في عدوانها .

تقدم مندوب لبنان بمشروع قرار يأخذ فيه مجلس الأمن علماً بما جاء في تقرير كبير المراقبين ، ويؤيّد الإجراء الذي اتخذه كبير المراقبين (أي وقف أعمال التحويل) ، ويدعو الفريقين ، السوري والإسرائيلي ، إلى العمل بموجب الإجراء المذكور . ويعلن المجلس في مشروع القرار " أن عدم الالتزام بهذا القرار ، واستمرار الإجراء المنفرد الذي تقوم به (إسرائيل) خلافاً لاتفاقية الهدنة من المحتمل أن يؤديا إلى إخلال بالسلام " . ويطلب المجلس من كبير المراقبين ويفوّضه " أن يحاول التوصل مع الفريقين إلى اتفاق " .

إزاء النقد الذي وجه الى مشروع قرار الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا ، والصورة التي عرضها الطاعنون في المشروع بشأن سياسة هذه الدول الثلاث ومواقفها حيال النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، ومساعدتها (إسرائيل) في تثبيت كل أمر واقع تخلقه ، قدّمت الدول الثلاث مشروع قرار معدّل ، تضمن المشروع السابق مضافاً إليه مادة جديدة يؤكّد فيها المجلس " أن لا شيء في القرار يؤثر على اتفاقية الهدنة ، أو يغيّر الوضع القانوني للمنطقة المنزوعة السلاح بموجب الاتفاقية " .

ولم يجد العرب في المشروع الجديد ما يزيل المآخذ والمساوىء منه ، فرفضوه .

انتهى المجلس من مناقشة الشكوى السورية ، وجرى التصويت على المشروع الأميركي ـ البريطاني ـ الفرنسي يوم ١٩٥٤/١/٢٢ ففاز بسبعة أصوات من أصل ١١ دولة (هي أعضاء مجلس الأمن) ، وامتنعت دولتان عن التصويت ، ورفضه الاتحاد السوفييتي ولبنان ، فسقط مشروع القرار بحق النقض الذي استعمله الاتحاد السوفييتي . ولم يجر التصويت على المشروع اللبناني ، لأن المجلس صوّت على المشروع الأميركي ـ الفرنسي ـ البريطاني .

وهكذا فشل مجلس الأمن في اتخاذ قرار يتفق وحقوق الدول العربية ويردع (إسرائيل) عن انتهاك أحكام اتفاقية الهدنة المشتركة .

المراجع :

ـ علي محمد علي : نهر الأردن والمؤامرة الصهيونية ، ١٩٦٤ .
ـ صبحي مظلوم : مشاريع استثمار مياه نهر الأردن واليرموك ، ١٩٦٠ .
ـ محمد أحمد سليم : مشروع تحويل نهر الأردن ، ١٩٦٤ .
ـ مؤتمر القمة العربي الأول ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٤ .
ـ محاضر اجتماعات المجلس الأعلى لهيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٧ .

ـ وثائق مجلس الأمن ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ .
— Ionides, M.G.: **Report on the Water Resources of Transjordan and their Development.** London 1938.
— Lowdermilk, W.C.: **Palestine Land of Promise,** New York 1946.
— The American Friends of the Middle East Inc.: **The Jordan water Problem: an analysis and summary of available documents,** 1949.
— Main, Ch.T.: **The Unified Development of the Water Resources of the Jordan Valley Region,** Boston 1953.
— Gobashy, O.Z.: **The Development of the Jordan River,** 1941.
— Risk, E.: **The River Jordan,** New York 1964.
— Stevens, G.G.: **Jordan River Partition,** New York 1964.
— Goich, A.M.: **L'Eau problème vital de la région du Jourdain,** Bruxelles, 1964.
— Mayer, A.: **Les Grands Travaux Hydrauliques en Israel,** Paris 1964.

الأردن (نهـــر) :

أطلق على هذا النهر ذات مرة اسم « المنخفض السوري » أو « التجويف السوري » . ولكن هذا الاسم كان عاماً يطلق على جنوب سورية وفلسطين عدا فينيقيا . وأطلق عليه في عهد الرومان واليونان اسم « وادي أولون » ، وفي زمن السيد المسيح اسم « ياردن » . وسماه العرب في العصور الوسطى « الغور » ، بمعنى الوادي الهابط بين الجبال . وسموه أيضاً « بحر الشريعة » أو « المشرع » أي مورد الشرب ، وتضم إليه أحياناً كلمة الكبير فيصبح اسمه « نهر الشريعة الكبير » ، تمييزاً له من شريعة المندور (اليرموك) . وكانوا يقصرون الاسم على جزء النهر الممتد من بحيرة طبرية * حتى البحر الميت * .

والاسم الشائع في الوقت الحاضر هو نهر الأردن ، ويطلق هذا الاسم على النهر من نقطة التقاء منابعه حتى البحر الميت . وقد ظهر نهر الأردن إلى الوجود منذ نهاية عصر البليوستوسين (الحقبة الرابعة) ، ونجح في أن يشق لنفسه مجرى في تكوينات اللسان البحيرية ، وهي الإرسابات التي خلفتها البحيرة الأردنية القديمة بعد جفافها . وفي عصر الهولوسين الحديث أنشأ نهر الأردن سهله الفيضي (الزور) الذي يتعرض للفيضانات السنوية .

وبالرغم من صغر نهر الأردن بمقارنته مع الأنهار الدائمة في الشرق الأوسط فإن مساحة حوضه ٤٣,٥٣٥ كم٢ ، وتشمل أراضي وحدات سياسية متعددة ، كالأراضي الفلسطينية والأردنية والسورية واللبنانية والمصرية . ويضم حوض نهر الأردن وادي الأردن الممتد من جنوبي لبنان حتى منتصف وادي عربة ، بالإضافة إلى المناطق المرتفعة المحيطة بالوادي الذي تنحدر أراضيها نحوه . ونظراً لاتساع مساحة الحوض فإنه يضم أقاليم مناخية متفاوتة تنعكس في نهاية الأمر على مائية نهر الأردن . والأقاليم المناخية هي :

١) إقليم البحر المتوسط شبه الرطب : يقع هذا الإقليم بين خطي عامل مطر ٣٠ و ٥٠ ، حسب معادلة لانغ (١٩٢٠م) . ويتميز بفائض مائي واضح خلال فصل الشتاء ، وبعجز مائي سنوي قليل .

٢) إقليم الإستبس : يقع بين خطي عامل مطر ١٥ و ٣٠ . ويتميز بفائض مائي شتوي قليل جداً خلال شهري كانون الأول والثاني ، وبعجز مائي سنوي كثير .

٣) الإقليم الصحراوي : يقع بين خطي عامل مطر صفر و ١٥ . ويتميز بعدم وجود فائض مائي شتوي ، وبوجود عجز مائي سنوي كبير جداً .

أ ـ النظام المائي : لا يتأثر النظام المائي لنهر الأردن بالظروف المناخية السائدة في منطقة تغذيته فحسب ، بل يتأثر بعدة عوامل أخرى أيضاً ، مثل البنية الجيولوجية ، وأشكال سطح الأرض ، والنباتات الطبيعية ، وغيرها من العوامل الطبيعية . ويتأثر أيضاً بالعوامل البشرية مثل الأوضاع السياسية في المنطقة من جهة ، والمنشآت التي يقيمها الإنسان على النهر من جهة ثانية ، وتغيير المعالم الجغرافية للنهر من جهة ثالثة .

١) العوامل الطبيعية : تبدو آثار العناصر الطبيعية في كثير من الخصائص الهيدرولوجية للنظام المائي . فالأردن نهر عنيف سريع التقلب في تصريف مياهه ، إذ يتدنى هذا التصريف إلى ٥م٣/ثا في أواخر الصيف ، في حين يرتفع إلى ذروته ليصل إلى ٦٠م٣/ثا في منتصف الشتاء . وليس من الغريب أن تتضاعف كمية التصريف أحياناً ثلاث مرات خلال ٤٨ ساعة نتيجة حدوث فيضانات مفاجئة بفعل الأمطار الغزيرة . وينتج عن تلك الفيضانات تجديد التربة في الزور ، وتزويدها بالرطوبة التي ساهمت في نمو شريط أخضر كثيف من النباتات الطبيعية * على ضفاف النهر ، كأشجار الحلفا والصفصاف والبوص والدفل والقصيب وغيرها . ولكن بعد أن قام الإنسان خلال الخمسينات من هذا القرن باجتثاث هذه النباتات وإحلال المحاصيل الزراعية محلها أصبحت هذه الفيضانات نعمة ونقمة على بساتين الخضار .

وليس صبيب نهر الأردن كبيراً ، لكن فعالية النهر في النحت عظيمة ، إذ تبلغ كمية المواد الطينية العالقة بمياهه عند الفيضان نحو ٥,٥٠٠ جزء في المليون ، أو نصف ذلك في الأحوال العادية ، مقابل ٦٠٠ جزء في المليون لكل من المجرى الأدنى للمسيسبي وللفرات ، ونحو ٨٠٠ جزء في المليون لنهر دجلة .

ويتجلى عنف نهر الأردن في سرعة تياره ، فهو نهر عظيم

الانحدار ، إذ يبلغ مقدار ما يهبطه النهر ٩٢٤م من منبعه الحاصباني (٥٢٢م) حتى مصبه في البحر الميت (- ٤٠٢م) لعام ١٩٨٠ . ويبلغ متوسط الانحدار ٤,٧م/كم إذا حسبت المسافة المباشرة من المنبع إلى المصب وهي ١٩٢ كم . أما إذا حسب الطول الحقيقي لمجرى النهر بتعرجاته ، ويصل إلى ٣٢٠ كم ، فإن معدل الانحدار يصبح ٢,٥م/ كم . وتجدر الإشارة إلى أن أعظم انحدار لنهر الأردن ينحصر في الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط بين جسر بنات يعقوب وبحيرة طبرية .

وهناك شذوذ واضح في أجزاء كثيرة من مجرى نهر الأردن يجعله بعيداً عن القاعدة العامة التي تتميز بها المجاري العليا والوسطى والدنيا للأنهار . وتفسر دراسة تطوّر النهر كثيراً من مظاهر هذا الشذوذ . وتبدو مظاهر النضج والشيخوخة على نهر الأردن عندما يجري في سهل الحولة * الذي يقع في منطقة المجرى الأعلى للنهر . أما الجزء الجنوبي من مجراه الأوسط فتبدو على النهر فيه مظاهر الشباب خلال جريانه من جسر بنات يعقوب إلى ما قبل سهل البطيحة . وفي سهل البطيحة الواقع في الطرف الشمالي لبحيرة طبرية يصبح النهر هادئاً بطيء الحركة حتى يصب في البحيرة . وتبدو على النهر في مجراه الأدنى ، من بحيرة طبرية حتى مصبه في البحر الميت ، مظاهر الشباب على الرغم من كثرة تعرجاته . فهو يجمع بين النقيضين عندما يكون سريع التيار وشديد التعرج في الوقت نفسه .

لم تكن نشأة نهر الأردن وتطوره كنهر واحد ، بل إن أجزاء منه تكوّن كل منها على حدة إلى أن حدثت أمور أدت إلى اتصالها فكوّنت نهراً واحداً . فالأجزاء الحديثة التكوين في نهر الأردن هي التي وصلت المسيلات القديمة بعضها ببعض . وتتميز هذه الأجزاء الحديثة بكثرة الجنادل والخوانق فيها . أما القديمة فقد كانت ، قبل الاتصال ، تامة النضج يتكوّن كل واحد منها من بحيرة هي المركز الذي تنصب فيه الروافد ، ثم وصلت بينها فيما بعد الحركات البنائية (التكوينية) من جهة ، والتعرية من جهة أخرى .

ويتبيّن من المقطع الطولي للمجرى الأدنى لنهر الأردن بين بحيرة طبرية والبحر الميت وجود انقطاعين في الانحدار العام للمجرى من الشمال إلى الجنوب ، أحدهما يقع بين بحيرة طبرية (- ٢١٢م) ومنحنى تسوية (- ٢٧٥م) ، وثانيهما يقع بين خطي تسوية (- ٣١٥م) و (- ٣٦٠م) . ويمثل هذان الانقطاعان مواضع صخور بازلتية صلبة اعترضت مجرى النهر وحالت دون توسيع مجراه فيها . وقد نتجا عن هبوط البحر الميت مرتين منذ عصر البليوستوسين ، واضطرار نهر الأردن إلى تجديد شبابه نتيجة هبوط مستوى قاعدته بتعميق مجراه والحفر تراجعياً .

وتسترعي الانتباه في المجرى الأدنى لنهر الأردن ظاهرة التعرج التي نجمت عن الترسبات البحيرية والنهرية في منطقة مجرى النهر . أما عن الترسبات البحيرية فهي أثخن في الجزء الجنوبي من وادي الأردن منها في الجزء الشمالي ، لأسباب تتعلق بارتفاع مستوى قاع الجزء الشمالي من البحيرة الأردنية القديمة بالنسبة إلى قاع الجزء الجنوبي . ومن شأن هذا الميل الطفيف للرسوبيات من الجنوب إلى الشمال تقييد قوة التيار النهري ، وإعاقته ، مما يضطر النهر إلى التعرج في مجراه . فالنهر لا يمكن أن يتعرج ثلاثة أضعاف مسافة مجراه المستقيم ، رغم انحدار الأرض وسرعة تيار النهر، ما لم يكن هناك ارتفاع تدريجي للترسبات البحيرية معاكس للانحدار العام لأرضيّة الوادي . أما عن الترسبات النهرية فإنها تساهم في صفة التعرج الملحوظة في المجرى الأدنى لنهر الأردن . وتُستمد هذه الترسبات من الفيضانات ومن النحت الذي يمارسه النهر ، بالإضافة إلى ما تلقيه الأودية الجانبية الرافدية من إرسابات تتخذ شكل الجزر الرملية والطينية في مجرى نهر الأردن ، الأمر الذي يضع عوائق أمام تيار النهر فيجنح إلى التعرج .

ويحيد مجرى النهر الذي يراوح عرضه بين ٢٠ و ٣٠م عن الجريان في وسط السهل الفيضي ، ويلتزم الجانب الغربي للزور . ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثير من أنهار نصف الكرة الشمالي ، إذ تميل تياراتها نحو يمين اتجاهها فتنحت من الجانب الأيمن لترسب في الجانب الأيسر . لذلك فإن مساحة السهل الفيضي على الجانب الشرقي لنهر الأردن ضعف مساحة نظيره على الجانب الغربي بسبب النحت من الجانب الغربي والإرسابات في الجانب الشرقي . ولا يخلو الزور الشرقي للنهر من بقايا الأكواع والثنيات المائية المقتطعة من النهر والمردومة بالترسبات بعد جفاف مياهها .

٢) العوامل البشرية : حصلت شركة صهيونية في فلسطين عام ١٩٢٦ على امتياز من حكومة الانتداب البريطاني مدته سبعون عاماً لاستغلال مياه نهر الأردن واليرموك وروافدهما لتوليد الكهرباء من القوة المستخرجة من هذه المياه وتوزيعها داخل فلسطين والأردن ، وهو المشروع المعروف باسم مشروع روتنبرغ * . وبموجب هذا الامتياز بنيت على جسر المجامع ، جنوبي بحيرة طبرية ، محطة كهرباء ، واستعملت بحيرة طبرية خزاناً للمياه بعد أن بني عليها سد لرفع المياه . وبذلك عمل هذا المشروع على تنظيم خروج المياه من بحيرة طبرية ، وأصبح بالإمكان التحكم في تصريف مياه نهر الأردن والسيطرة على النهر بالحدّ من أخطار الفيضانات .

وفي أواخر عام ١٩٥٠م بدأ الكيان الصهيوني في تنفيذ مشروع تجفيف بحيرة الحولة * ومستنقعاتها ، وتم تنفيذ المشروع في أواخر عام ١٩٥٨م . ونتج عن هذا المشروع تغيير المعالم الجغرافية للمنطقة ، ومنع الفيضانات الموسمية ، واستصلاح ما مساحته

٦٠,٠٠٠ دونم من الأراضي ، وتوفير ١٠٠ مليون م٣ من المياه سنوياً .

وفي ربيع عام ١٩٦٤م انتهى الكيان الصهيوني من تنفيذ مشروع نهر الأردن ـ النقب الذي يقوم على أساس ضخ ما يقرب من ٥٠٠ مليون م٣ سنوياً من مياه بحيرة طبرية ورفعها من مستوى ٢١٢م تحت سطح البحر إلى مستوى ٣٦٠م فوق سطح البحر حيث تتجمع في منخفض البطوف * الذي أصبح بحيرة اصطناعية لتخزين مياه نهر الأردن وتوزيعها في أنابيب إلى السهل الساحلي * والنقب * . وبالإضافة إلى ذلك قام الكيان الصهيوني بتحويل مياه الينابيع المالحة التي يقع بعضها خارج بحيرة طبرية ، ويقع بعضها الآخر داخل هذه البحيرة ، إلى نهر الأردن ، مما أضاف إلى النهر نحو

١٦٠,٠٠٠ طن من الملح سنوياً (رَ : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) .

ونتج عن هذا المشروع الصهيوني انحطاط نوعية المياه في نهر الأردن الأدنى ، وازدياد نسبة الملوحة في مياه النهر بالاتجاه جنوباً نحو مصبه في البحر الميت . ومما يؤكد هذه الحقيقة أن تحليلات مياه النهر تدل على أن معدل الملوحة يبلغ ١,٣٠٠ جزء في المليون عند التقائه برافده الرئيس نهر اليرموك ، وسرعان ما تزداد الملوحة إلى معدل ١,٣٧٨ جزءاً في المليون عند موقع قطاف ، وإلى معدل ١,٥١١ جزءاً في المليون عند الوهادنة ، وإلى معدل ١,٩٧٠ جزءاً في المليون عند جسر الملك حسين . وهذا يدل على أن مياه نهر الأردن، ما بين ملتقى نهر الزرقاء به وحتى مصبه، تحتوي على نسبة مرتفعة من الأملاح . فاستعمالها لأغراض الري يضرّ بالأرض الزراعية ومحاصيلها . وتجدر الإشارة إلى أن مياه نهر الأردن الأدنى تحتوي على نسب مرتفعة من أملاح الكلوريد ، ونسب متوسطة من أملاح الصوديوم ، ونسب قليلة من أملاح المغنيسيوم .

ولا شك أن المصير النهائي للأملاح المذابة في نهر الأردن هو البحر الميت . ويعتقد « إرون » أن المصدر الأساسي لملوحة البحر الميت هو نهر الأردن. وقد دلت الحسابات التي أجراها على أن البحر الميت اكتسب ملوحته الشديدة في غضون ٥٠,٠٠٠ سنة . ويستمد نهر الأردن ملوحته من الأملاح المذابة في مياه روافده ، بالإضافة إلى وجود بعض الينابيع ذات المياه المالحة في قاع النهر نفسه قبيل مصبه في البحر الميت . ونسبة الصوديوم إلى المغنيسيوم في مياه نهر الأردن الأدنى هي ٤ : ١ ، وتتغير هذه النسبة بعد دخول النهر في البحر الميت فتصبح ١ : ٢ .

ويتأثر النظام المائي لنهر الأردن وروافده بالاستغلال البشري له داخل حوض النهر ، إذ تساهم مياه النهر وروافده بقسط وافر في ري الأراضي الزراعية وفي الاستعمالات الأخرى المنزلية والصناعية . والانتفاع من المياه حق طبيعي لسكان حوض الأردن ، غير أن القانون الدولي يمنع سحب المياه إلى خارج الحوض ما دام السكان المقيمون داخل الحوض بحاجة إلى هذه المياه . فما فعله الكيان الصهيوني من تحويل المياه إلى خارج الحوض نوع من التحدي والمخالفة للقوانين الدولية ، ويمثل في الصراع العربي ـ الصهيوني معركة المياه بين العرب والكيان الصهيوني . وكان المشروع العربي لاستثمار مياه نهر الأردن الذي أقره مؤتمر القمة العربي عام ١٩٦٤ الرد العربي على اعتداء (إسرائيل) وسرقتها المياه العربية . وقد حال دون نجاحه عدوان ١٩٦٧ واحتلال الجولان (رَ : حرب ١٩٦٧) المنطقة الرئيسة التي يجري فيها تنفيذ المشروع العربي .

واستفادة البلدان العربية في المنطقة من النظام المائي للنهر هي استفادة محدودة إذا قورنت باستفادة الكيان الصهيوني ، والأردن أكثر بلد عربي ينتفع من النظام المائي لنهر الأردن فقد قام بحفر قناة الغور الشرقية التي أخذت تستمد مياهها من نهر اليرموك منذ عام ١٩٦١م عندما تم تنفيذ المرحلة الأولى في مشروع ري الغور الشرقي . ويسير العمل حالياً لتمديد قناة الغور الشرقية نحو الجنوب بحيث تصل إلى قرية سويمة شمالي شرق البحر الميت . وقد أنشىء مؤخراً سد الملك طلال على نهر الزرقاء لتزويد قناة الغور بكميات إضافية من المياه التي تلبّي الحاجات الاستهلاكية لوادي الأردن . وقد أقيمت بعض السدود الأخرى على الأودية الجانبية ، مثل أودية العرب وزقلاب وشعيب والكفرين ، لخزن المياه وتنظيم

عملية استغلالها . وكان الأردن ينوي بالتعاون مع سورية بناء سد المقارن على نهر اليرموك بديلاً من سد خالد بن الوليد الذي توقف العمل في إنشائه بعد احتلال الجولان . وتوقف العمل أيضاً في حفر قناة الزور التي كان من المقرر لها أن تسير بمحاذاة نهر الأردن في كل من الزور الشرقي والغربي ، وذلك نتيجة لاحتلال الضفة الغربية .

ب ـ أقسام نهر الأردن : يمكن أن نقسم نهر الأردن بصورة عامة إلى الأقسام التالية :

١) المجرى الأعلى من المنابع إلى بحيرة الحولة .
٢) المجرى الأوسط من بحيرة الحولة إلى بحيرة طبرية .
٣) المجرى الأدنى من بحيرة طبرية حتى مصب النهر في البحر الميت .

١) المجرى الأعلى : يتكون نهر الأردن من اتحاد منابعه دان وبانياس والحاصباني عند نقطة تقع على مسافة ٤ كم داخل الحدود الشمالية لفلسطين ، وعلى ارتفاع ٨١م فوق مستوى سطح البحر . ويلتقي قبل ذلك نهر دان نهر بانياس ، وبعد اتحادهما بمسافة ١,٥ كم تقريباً يلتقيان نهر الحاصباني الذي يرفده نهر بريغيت قبل نقطة الالتقاء بمسافة كيلو متر . ولما كان نهر الأردن يجري في خط مستقيم يمثل امتداداً جنوبياً لنهر الحاصباني الذي هو أطول المنابع فإن نهر الحاصباني يعدّ المنبع الحقيقي لنهر الأردن . وتنحدر منابع نهر الأردن عبر خمسة مدرجات من الأرض التي تفصل بين مستوياتها منحنيات تسوية تبلغ حوالي ٨م .

(١) نهر دان : يسمى أيضاً نهر القاضي لأنه ينبع من تل القاضي في الأراضي الفلسطينية على مسافة قريبة جداً من الحدود السورية . وهو يسير في مجرى خانقي عميق مسافة ٨ كم من منبعه حتى يلتقي نهر بانياس عند ارتفاع ٤٣م . وهو سريع الجريان ، ويقدر انحداره بنحو ٢م/ كم . يبلغ متوسط تصريفه ذروته خلال شهري آذار ونيسان (٧ و ١٠م٣/ثا) ، في حين يهبط إلى أدنى تصريفه في أيلول (٧,٣م٣/ثا) . بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من هذا القرن نحو ٢٤٠ مليون م٣ . وقد وصلت قمة تصريفه السنوي إلى ٢٨٥ مليون م٣ في عام ١٩٤٩ / ١٩٥٠م . وكان أدنى مستوى لتصريفه السنوي ٢١٧ مليون م٣ في عام ١٩٦١ / ١٩٦٢م .

(٢) نهر بانياس : سمي بهذا الاسم نسبة إلى موضع بانياس عند بداية التقاء حدود لبنان الشرقية بالحدود السورية . ينبع نهر بانياس من كهف بانياس على ارتفاع ٣٢٩م عند قدم حافة جبل الشيخ في الأراضي السورية ، ويجري مسافة ٢ كم داخل سورية قبل دخوله فلسطين ، وهو أقصى منبع لنهر الأردن صوب الشرق . يبلغ طوله نحو ٩ كم ، ويسير في مجرى خانقي عميق بانحدار يقدر بنحو ٥م/كم . وله روافد كثيرة أهمها وادي العسل ، ووادي خشابي ، ووادي زاري . ويشتهر نهر بانياس بثنياته الطويلة وباعتراض الصخور مجراه ، وبسرعة تيار مياهه المندفع بقوة . ويبلغ متوسط اتساع قناته نحو ٢٠م ، ومتوسط عمق المجرى نحو مترين .

يتعرض تصريف النهر لتذبذبات فصلية وسنوية أكثر وضوحاً من تذبذبات نهر دان . ففي حين يرتفع متوسط تصريفه خلال فصل الشتاء إلى ١٦م٣/ثا ، ينخفض أثناء الفصل الجاف إلى ٢م٣/ثا . وقد بلغ متوسط تصريفه السنوي خلال الربع الثالث من القرن الحالي نحو ١٢٠ مليون م٣ تراوح بين نهاية عظمى قدرها ١٤٨ مليون م٣ في عام ١٩٤٤ / ١٩٤٥م ونهاية صغرى قدرها ٨١ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١م .

(٣) نهر الحاصباني : سمي بهذا الاسم نسبة إلى بلدة حاصبيا . وهو ينبع من المنحدرات الشمالية الغربية لجبل الشيخ ، عند ارتفاع ٩٠٠م فوق مستوى البحر ، وعند نقطة في الأراضي اللبنانية تقع على مسافة ٤٨ كم من الحدود الفلسطينية . تفصل نهر الحاصباني عن نهر الليطاني حافة ضيقة لا يتعدى عرضها ٦ كم ، وهي ذات منسوب منخفض . ويشق النهر مجراه في خانق ضيق حفره في الصخور البازلتية التي تحفّ تلالها المخروطية بضفافه . وهو جاف في مجراه الأعلى الذي لا تجري فيه المياه إلا بعد سقوط الأمطار . ويصبح الحاصباني دائم الجريان عند بلدة حاصبيا على مسافة ١٩ كم من فلسطين حيث يبلغ اتساع مجراه نحو ١٥ م .

وعندما يصبح النهر على بعد ٤ كم من حدود فلسطين تغذّيه كثير من الينابيع الدائمة ، وأهمها ينابيع الوزان . ويتراوح المتوسط الفصلي لتصريف النهر بين ٢٠م٣/ثا خلال فصل الشتاء و ١,٤م٣/ثا في أيلول . ويبلغ متوسط التصريف السنوي لنهر الحاصباني نحو ١٥٣ مليون م٣ تراوحت خلال الربع الثالث من القرن الحالي ما بين نهاية عظمى بلغت ٢٣٦ مليون م٣ في عام ١٩٤٧ / ١٩٤٨ ونهاية صغرى بلغت ٦٣,٥ مليون م٣ في عام ١٩٦٠ / ١٩٦١ .

ويرفد نهر الحاصباني ، قبيل اتحاده بنهري دان وبانياس ، نهر بريغيت الذي هو أقصى منبع غربي لنهر الأردن . ويطلق عليه اسم « نهير الجبل الصغير » أو « نهير مرج عيون » لأن مياهه تنساب في خانق تحيط به تلال بلدة مرج عيون . وتستغل معظم مياهه للري في لبنان ، ويبلغ متوسط تصريفه السنوي نحو ٥ مليون م٣ .

تبلغ كمية التصريف السنوي لنهر الأردن بعد التقاء منابعه نحو ٥٢٠ مليون م٣ . أما عرض قناته عند الملتقى فلا يزيد على ١٥م . ويجري النهر بين ضفتين تنخفضان ٨م عن المستوى العام للسهل الفيضي . ثم يزداد عرض قناة النهر إلى أقل من ٣٠م جنوباً في

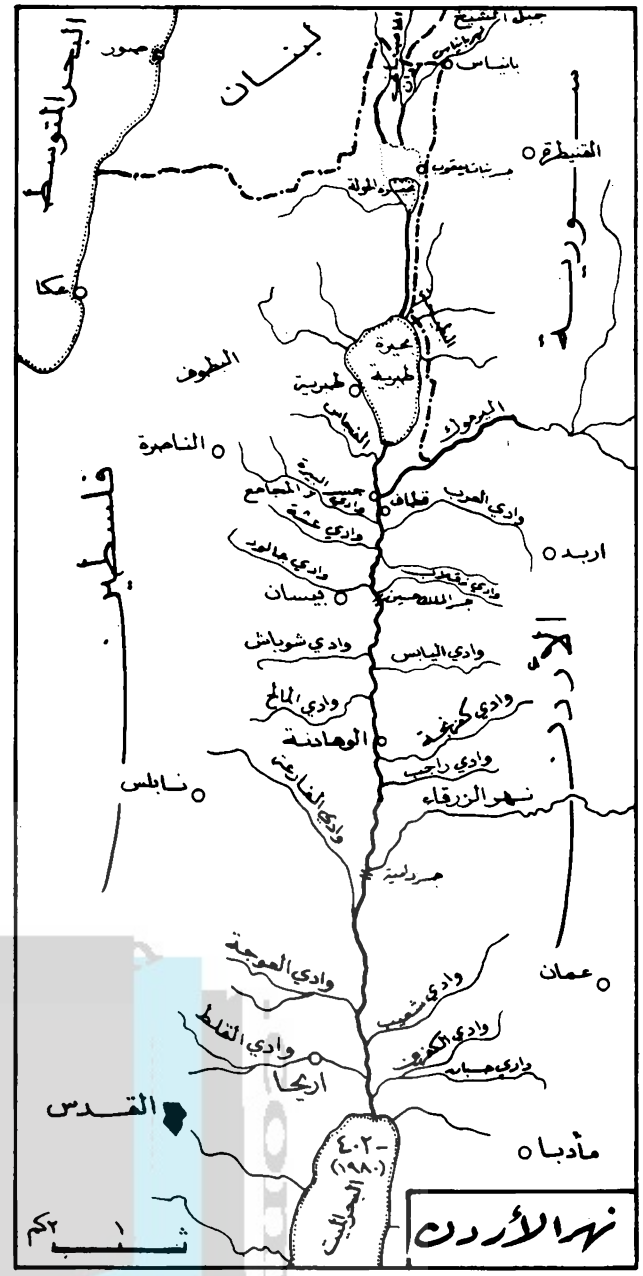

منطقة مستنقعات الحولة قبل تجفيفها . ثم تصب القناة في بحيرة الحولة بعد أن تكون قد قطعت في منطقة المستنقعات مسافة تزيد على ١٠ كم . وقد تفرعت قناة النهر ، بعد تجفيف البحيرة ومستنقعاتها ، إلى ثلاث قنوات صناعية ، شمالية وشرقية وغربية ، تلتقي فيما بعد في مجرى النهر الطبيعي .

٢) المجرى الأوسط : يسير نهر الأردن ، بعد خروجه من بحيرة الحولة ، ببطء مسافة ٣ كم في سهل زراعي إلى أن يصل إلى جسر بنات يعقوب ، ثم يدخل جنوبي هذا الجسر خانقاً بركانياً . ويصبح مجراه ضيقاً عميقاً ، وانحداره شديداً ، وتياره سريعاً . ويظل على هذه الحال ١٢ كم إلى أن يدخل سهل البطيحة قبيل مصبه في بحيرة طبرية حيث يعود هادئاً بطيء الجريان مثلما كان بين منطقة الحولة وجسر بنات يعقوب . وينحدر النهر في مجراه الأوسط الذي يبلغ طوله نحو ١٦ كم مقدار ٢٨٢م ، أي ١٧,٥م/ كم . وهذا يعني أن الانحدار في المجرى الأوسط هو أشد انحدار للنهر .

٣) المجرى الأدنى : يخرج نهر الأردن من الطرف الجنوبي الغربي لبحيرة طبرية ، ويتجه نحو الجنوب بمياهه الصافية . ويبلغ اتساع مجراه عند خروجه من البحيرة نحو ٢٥م ، ويتراوح عمقه بين ٢ و ٣م ، وتوجد فيه مخاضات كثيرة . وعلى مسافة ٨ كم جنوبي بحيرة طبرية يلتقي به رافده الرئيس اليرموك الذي يبلغ تصريفه السنوي المتوسط ٤٦٠ مليون م٣ . ويشتد بعد ذلك انحدار النهر ويقوى اندفاعه . وإلى الجنوب من ملتقى اليرموك بنحو ٢ كم أقيم جسر المجامع . ثم يواصل النهر جريانه نحو الجنوب ضحل المياه ، سريع التيار ، كثير المنعطفات . ويختلف اتساع المجرى وقت التحاريق (الشح) عن اتساعه وقت الفيضان ، فهو في الأول ٧٠م ، وفي الثاني بين ١٥٠ و ٣٠٠م . وتنحدر أرض الوادي بين بحيرة طبرية والبحر الميت بمعدل ١,٧٩م/ كم . ولكن معدل انحدار مجرى النهر وحده أقل من ذلك بمقدار النصف تقريباً لأن تعرجات المجرى وتعرجاته الكثيرة تعمل على مضاعفة طول قناته .

ويجمع المجرى الأدنى بين قوتي النحت من الجانب الأيمن والإرساب في الجانب الأيسر . ويرسب النهر بعض حمولته أيضاً في وسط قناته ، ويتجسد ذلك في عشرات الألسنة الرملية والحواجز الحصوية والجزر التي تظهر فوق صفحة مائه المنحسر صيفاً . وأهم روافده اليمنى من الشمال إلى الجنوب أودية الفجاس والبيرة * وعشة وجالود * وشوباش * والمالح والفارعة * والقلط * . أما روافده اليسرى فهي من الشمال إلى الجنوب ، نهر اليرموك ، ووادي العرب ، ووادي زقلاب ، ووادي اليابس ، ووادي كفرنجة ، ووادي راجب ، ونهر الزرقاء ، ووادي شعيب ، ووادي الكفرين * ، ووادي حسبان . وكثير من هذه الأودية الجانبية عميق متعرج يلقي بحمولات كبيرة في نهر الأردن . وهناك أودية صغيرة أخرى تبدأ من حواف التلال الفاصلة بين الغور * والزور وتنتهي في نهر الأردن . ويوجد جسران على نهر الأردن ، أحدهما جنوبيّ مصب نهر الزرقاء ، ويسمى جسر دامية أو جسر الأمير محمد ، وثانيهما شماليّ البحر الميت ويسمى جسر الملك حسين ، وتسلكه طريق عمان ـ القدس .

وينتهي المجرى الأدنى لنهر الأردن بدلتا محدبة (قوسية) يقع رأسها إلى الشمال قليلاً من جسر الملك حسين . ولأول مرة يتميز مصب الأردن الحالي الممتد مسافة ٥ كم فوق أرض الدلتا باستقامته

الشديدة ، وخلوه من المنعطفات التي تميز بقية مجراه . ومتوسط تصريف نهر الأردن قبيل مصبه في البحر الميت خلال السنوات الأربعين الماضية ٨٧٥ مليون م^3 تراوح ما بين نهاية عظمى قدرها ١,٦٥٠ مليون م^3 في عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ ونهاية صغرى قدرها ٦٤٨ مليون م^3 في عام ١٩٣٣ / ١٩٣٤ .

المراجع :

ـ حسن عبد القادر صالح : الأساس الجغرافي للنزاع العربي ـ الإسرائيلي حول مياه نهر الأردن ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، المجلد ٣ ، عمان ١٩٧٢ .

— Gregor, J.: **The Rob Roy on the Jordan,** London 1886.

— Irwin, W.: The Salts of the Dead Sea and River Jordan, **Geographical Journal.** Vol. LXI, 1923.

— Libbey, W. and Hoskins, F.E.: **The River Jordan and Petra,** Vol.1, 1905.

— Shattner, I.: **The Lower Jordan Valley,** Jerusalem 1962.

الأردن (وادي ـ) : رَ : الغور

الإرساليات الروسية (مدارس ـ) :

وجدت المدارس الأجنبية في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . وكان منها الأميركية والألمانية والإنكليزية والفرنسية والإيطالية والروسية . ويعود تأسيس هذه المدارس إلى اهتمام تلك الدول بالأراضي المقدسة . وكانت الدولة العثمانية قد منحت كل طائفة من الطوائف الدينية ، من غير المسلمين ، امتيازات في كل ما يتصل بالشؤون الدينية والتعليمية ، كما منحت هذه الدول حق تأسيس المدارس وإدارتها . وكانت هذه المدارس تبشيرية يشرف عليها ما يسمونه « الإرساليات الدينية » التي كانت تحميها الدولة التابعة لها .

كان للروس في فلسطين قبل الحرب العالمية الأولى عدة مدارس ابتدائية ، وعدة معاهد ثانوية ، ودار للمعلّمين ، وأخرى للمعلّمات . ومن الدوافع الرئيسة التي دعت إلى وجود هذه المدارس وانتشارها أن روسيا أخذت ترى نفسها حامية لطائفة الأرثوذكس .

وامتازت المدارس الروسية (المسكوبية) في فلسطين بتعليمها المثالي ، وباهتمامها باللغة العربية . لهذا أسّس الروس داراً للمعلمين وأخرى للمعلمات من أجل إعداد المعلمين باللغة العربية . وكان بعض مدرسي المدارس الروسية من العرب الذين أنهوا دراستهم العليا في روسيا ذاتها . وجرت العادة أن يوفد الطلاب المتفوقون الذين يتخرجون من هذه المدارس إلى روسيا لاستكمال دراستهم العالية فيها .

وقد كان مقر دار المعلمين الروسية في الناصرة * ، وضمّت في إحدى السنوات ٢١٠ طلاب ، معظمهم في القسم الداخلي . أما دار المعلمات الروسية فكان مقرها في مدينة بيت جالا * .

ومن الطلاب الذين تخرجوا من المعاهد الروسية في فلسطين ، وعلّموا فيها فيما بعد ، وكان لهم التأثير في الحركة الفكرية والأدبية فيها : إسكندر الخوري ، وخليل بيدس * ، وسليمان قباعين ، وفضيل النمر ، وناصر عيسى * ، ونعمة الصباغ * .

وقد أتاحت المدارس الروسية في فلسطين الفرصة أيضاً أمام الطلاب العرب من خارج فلسطين للدراسة فيها ، إذ تخرج منها نسيب عريضة ، وميخائيل إسكندر ، وميخائيل نعيمة .

أوصدت المدارس الروسية أبوابها بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .

المراجع :

ـ ساطع الحصري : **حولية الثقافة العربية** ، القاهرة ١٩٤٩ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٧٦ .

أرسوف :

بلدة على ساحل البحر المتوسط شمالي قرية الخرم * التي تقع على بعد سبعة كيلومترات شمالي يافا * . وهي واحدة من المدن التي شادها العرب الكنعانيون على الساحل ، ويحتمل أنهم اشتقّوا اسمها من الإله رشف الذي كانوا يعبدونه .

وقد شهدت مدن السهل الساحلي غزوات كثير من الأمم التي تعاقبت على فلسطين في حقب تاريخها الطويل . وكانت قبائل جزر بحر إيجة قد بدأت هجومها على فلسطين منذ أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وتمكّنت من بسط نفوذها على أرسوف وغيرها من بلدان السهل الساحلي الأوسط . ثم أخذت تتطلع إلى السيطرة على داخل البلاد ، فبنت اللد * إلى الجنوب الشرقي من أرسوف لتكون مركزاً على الطريق المؤدية إلى جبال فلسطين . وحفظت نقوش الأشوريين اسم أرسوف ، وأشارت إلى غزو الملك تغلات فلاسر الثالث لها . وحينما حكم اليونان فلسطين نمت أرسوف في عهدهم ، وجددوا بناءها ،وذكرتها المصادر اليونانية باسم « أبولونيا » نسبة إلى إله اليونان أبولو .

ولم تكن أرسوف ذات شأن في عهدي الحكم الروماني والبيزنطي ، إلى ان حرّرها العرب من حكم البيزنطيين في القرن

السابع الميلادي شأن المدن الفلسطينية الأخرى ، واستقرّوا فيها ، واستوطنتها الحاميات العسكرية . وقد درج الخلفاء على منح الأراضي في المدن الساحلية للجند شحناً للثغور بالمقاتلين ، فازدهرت أرسوف وغدت آهلة بالسكان . ووصفها المقدسي في القرن العاشر الميلادي قائلاً : " أرسوف أصغر من يافا ، حصينة عامرة ، بها منبر حسن بني للرملة ، ثم كان صغيراً فحمل إلى أرسوف " .

وقد شحن المسلمون أرسوف بالعساكر ، وتداعى إليها المرابطون درءاً لخطر سفن الروم المعادية التي كانت تغير على البلاد ، وأقام بها خلق من أشهرهم أبو يحيى زكريا بن نافع . وقام المسلمون ببناء الأسوار * حول أرسوف ، وشادوا فيها قلعة حصينة للدفاع عن البلدة . وكانت حاميتها توقد من منارتها النيران ليلاً ، وتثير الدخان نهاراً لإعلام الناس باقتراب خطر العدو .

كما كانت أرسوف أحد الرُبُط في فلسطين التي يتم بها تبادل الأسرى ، فتأتي إليها سفن الروم ومعهم أسرى المسلمين ، وفي كل رباط قوم يعرفون لغتهم ، ويذهبون إليهم في الرسالات . وحينما تظهر سفن الروم تضج القلاع الإسلامية بالنفير ، فيجتمع الناس ، ثم يكون الفداء ، فرجل يفتدي رجلاً ، وآخر يطرح شيئاً مما يملك حتى يشتري ما عند الروم من أسرى .

ظلّت أرسوف أحد ثغور فلسطين ، وكانت تحت سيادة الفاطميين * حينما بدأت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي . ولمّا تقدمت قوات هذه الحملات جنوباً نحو فلسطين ، بعد أن حقّقت بعض الانتصارات ، وسلك الإفرنج طريق الساحل الفلسطيني حتى أرسوف ، لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، فاتجهت عساكرهم إلى داخل فلسطين ، واحتلوا الرملة * ، وساروا منها إلى بيت المقدس التي سقطت في أيديهم سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ونشأت بذلك مملكة القدس اللاتينية * في شريط من الأرض امتد من يافا على ساحل البحر إلى الرملة والبلد فبيت المقدس . ولم ينجح الصليبيون في توفير الأمن للمسافرين منهم ، وأخذت الجماعات الإسلامية تغير عليهم من مدن الساحل التي اعتصمت وراء أسوارها ، كأرسوف وسواها (رَ : الفرنجة) .

وكانت مدن الساحل الفلسطيني الفاطمية محط أطماع غودفري دي بويون الذي اختير ملكاً على الصليبيين في بيت المقدس ، ورأى أن إخضاعها لنفوذه يحقّق للإفرنج قطع الطريق على أسطول الفاطميين في البحر المتوسط ، كما ييسّر سرعة اتصال الإفرنج بأوطانهم في أوربا . يضاف إلى ذلك أن احتلال الساحل سيتيح لهم فرصة توسيع ممتلكاتهم في داخل فلسطين . وتشجّع غودفري بالإمداد الصليبي الذي وصل إلى البلاد ، فتقدم بقواته نحو أرسوف في خريف سنة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م ، وهيّأ لاقتحام أسوار البلدة برجين يسير كل منهما على عجل .

وقد صدّت مقاومة حامية أرسوف وأهلها الصليبيين عنها ، ونجحوا في إحراق برجيهم الواحد تلو الآخر . ولم يستطع الصليبيون أن يحدثوا شيئاً في أسوار البلدة فاضطروا للانسحاب . غير أن غودفري أبقى نصف جيشه في الرملة ، وأصدر إليهم الأوامر بأن يغيروا على الأراضي المجاورة لأرسوف فيستحيل بذلك على سكانها أن يفلحوا حقولهم .

وقد أجبر خطر الإفرنج أمير أرسوف على أن يهادنهم . لكن اتصال البلدة بالفاطميين لم ينقطع ، وكانت تعتمد على معاونتهم لها عن طريق البحر .

وأدّت غارات الإفرنج الحربية إلى قلّة الأقوات في أرسوف وارتفاع أسعارها ، فاستنجدت بالفاطميين الذين أرسلوا لها عن طريق البحر قوة تتألف من ثلاثمائة جندي ، كما جلبت السفن الفاطمية المؤن من مصر إليها فصلحت أحوال أرسوف بتوفر الأقوات . إلا أن غارات الإفرنج ظلّت متصلة . وبسبب تعاون السفن الإيطالية مع غودفري أخذ يفرض الحصار على شواطىء فلسطين ، مما عرقل حركة سفن الفاطميين ، وزاد المشقة أمامها في بلوغ المدن الساحلية .

وقد تشجع أهل أرسوف بسبب إخفاق الصليبيين أمام أسوار بلدتهم ، وبما وصل إليهم من جند الفاطميين ، ودفعهم ذلك إلى شنّ الغارات على الفرنجة ، غير أنهم لم يلبثوا أن وقعوا في كمين لقي فيه كثير منهم مصرعه .

أحكم الصليبيون حصار أرسوف بعد اتفاق سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م بين بغدوين الأول الذي نصب خلفاً لغودفري على بيت المقدس والجنويين * الذين كانوا يطمعون في فتح أسواق جديدة لهم وموانىء حرة لبضائعهم ، والتقوا في ذلك مع رغبات بغدوين في احتلال مدن الساحل . ولم يكد الاتفاق ينعقد حتى تحرّك الحلفاء لمنازلة أرسوف ، فهاجمها بغدوين من جهة البر ، على حين هاجمها الجنويون من جهة البحر . ولم تستطع أرسوف أن تصمد طويلاً ، وعرض الأرسوفيون على الصليبيين التسليم على أن يمنحوهم الأمان فيخرجوا بأسرهم وأمتعتهم إلى بلاد المسلمين .

وقبل بغدوين ما عرضوه من شروط ، وتسلّمت قوات الإفرنج أرسوف سنة ٤٩٥هـ / ١١٠١م ، وأخرج سكانها في حراسة الصليبيين إلى عسقلان ، وشحنت البلدة بعساكر الصليبيين ، واتخذت قاعدة لهم .

وظلت أرسوف تحت سيادة الصليبيين حتى هزيمتهم الساحقة في معركة حطين * سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، فدخلت مع أغلب قلاع الإفرنج في فلسطين في حوزة صلاح الدين الأيوبي * .

ولما أرسلت أوربا الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٥ ـ ٥٨٨هـ / ١١٨٩ ـ ١١٩٢م) وسقطت عكا * بأيدي الفرنجة * سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م ، أخذوا يزحفون جنوباً باتجاه أرسوف يؤازرهم أسطولهم الذي كان يبحر بمحاذاة الشاطىء .

اختار السلطان صلاح الدين الأيوبي سهلاً صالحاً لملاقاة العدو قرب أرسوف من الجهة الشمالية ، وسبق بجنده إليه ، وما أن بلغ الصليبيون ذلك السهل حتى أحدقت بهم عساكر المسلمين . لكن الصليبيين اخترقوا الصفوف ، واستولوا على أرسوف سنة ٥٨٧هـ / ١١٩١م .

أقام الصليبيون في أرسوف قلعة وعدة أبنية ، وأصلحوا ميناءها ، وأخضعوها لنظامهم الاجتماعي والاقتصادي ، وظلّت في أيديهم إلى عهد سلطنة الظاهر بيبرس * الذي قاد حركة الجهاد لتطهير البلاد من الصليبيين ، وحاصرت جيوشه بلدة أرسوف سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، وكانت البلدة آنذاك بيد الإسبتارية * الذين كانوا قد حصّنوها وشحنوها بالعساكر والمؤن . إلّا أن ذلك لم يغن عنهم شيئاً ، فاستولى المسلمون على هذه البلدة ، ودكّوا أسوارها واستسلمت حاميتها بعد أربعين يوماً من الحصار ، وغنم المسلمون من قلعتها كثيراً من الأموال والذخائر .

رأى السلطان الظاهر بيبرس أن يخرّب أرسوف ، وأن يهدم أسوارها وقلاعها كي لا يعود الصليبيون إليها . وأقطع أراضي أرسوف أمراء المماليك ، وعمّر قلعة قاقون ـ قرب الرملة ـ عوضاً عن أرسوف وقلعتها . وذكر أبو الفداء (توفي ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أن أرسوف كانت في عهده خراباً ليس بها ساكن .

غدت أرسوف بعد تدميرها أطلالاً ، وظلّت غاباتها المتفرقة التي امتدت من العوجا * حتى جبل الكرمل * ، تجذب الصيادين لكثرة ما بها من حيوانات ، كما تردد الحطابون إلى غابتها ، والمزارعون إلى سهولها المعروفة بخصبها ووفرة إنتاجها وكثرة مراعيها ، فعاد بعض الناس واستقروا بالقرب منها . ومما أعان على ذلك قناطرها التي أقامها نائب غزة المملوكي سنجر الجاولي (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٥م) ، فنشأت بالقرب من أرسوف قرية الحرم التي عرفت أحياناً باسم سيدنا علي نسبة إلى علي بن عُلَيْل المدفون فيها ، واعتاد الناس إقامة موسم لزيارته والتبرك به صيف كل عام

المراجع :

ـ ابن شدّاد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ .
ـ العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، القاهرة ١٣٢٢هـ .
ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ .

الأرض (أصناف ـ) :

يعتمد تصنيف الأرض على أسس طبيعية أهمها التربة والانحدار والصرف . وعلى ضوء هذه الأسس تقسم الأرض إلى فئتين رئيستين هما : الأرض القابلة للزراعة ، والأرض غير القابلة للزراعة . وتضم كل من الفئتين في فلسطين أربع مجموعات . وإذا كانت مجموعات الفئة الأولى تصلح للاستعمال الزراعي أولاً ، وللاستعمالات الأخرى بصورة ثانوية ، فإن مجموعات الفئة الثانية تصلح فقط للاستعمالات الأخرى من نمو غابات وأعشاب طبيعية ، إلى مبان وإنشاءات عامة .

يبلغ مجموع مساحة أراضي فلسطين ٢٦,٣٢٣,٠٢٣ دونماً ، منها ٩,٢٠٥,٥٣٨ دونماً من أراضي الفئة الأولى القابلة للزراعة ، ونحو ١٧,١١٧,٤٨٥ دونماً من الأراضي غير القابلة للزراعة . وقد صنّفت هذه الأراضي ، حسب الدراسة التي قامت بها اللجنة الأميركية البريطانية سنة ١٩٤٦ ، على النحو التالي :

أ ـ الأراضي الجيدة : وتقسم إلى مجموعتين :

١) المجموعة الأولى : تضم السهل الساحلي * حيث الأراضي المنبسطة ، والتربة الطفلية الخصبة ، والموارد المائية الكافية . وتصلح أراضي هذه المجموعة لزراعة جميع أنواع المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الحمضيات * والخضر * والنباتات العلفية .

٢) المجموعة الثانية : وهي أراضي سهل عكا * ومرج ابن عامر * وسهل بيسان والجزء الشمالي من وادي الأردن الأدنى (رَ : الغور) وسهل الحولة * . تتميز هذه الأراضي بتربتها الطميية السميكة الصالحة لزراعة مختلف أنواع المحاصيل الزراعية . وإذا توافرت وسائل الري أمكن قيام زراعة كثيفة في هذه الأراضي .

ب ـ الأراضي المتوسطة : وتقسم أيضاً إلى مجموعتين هما

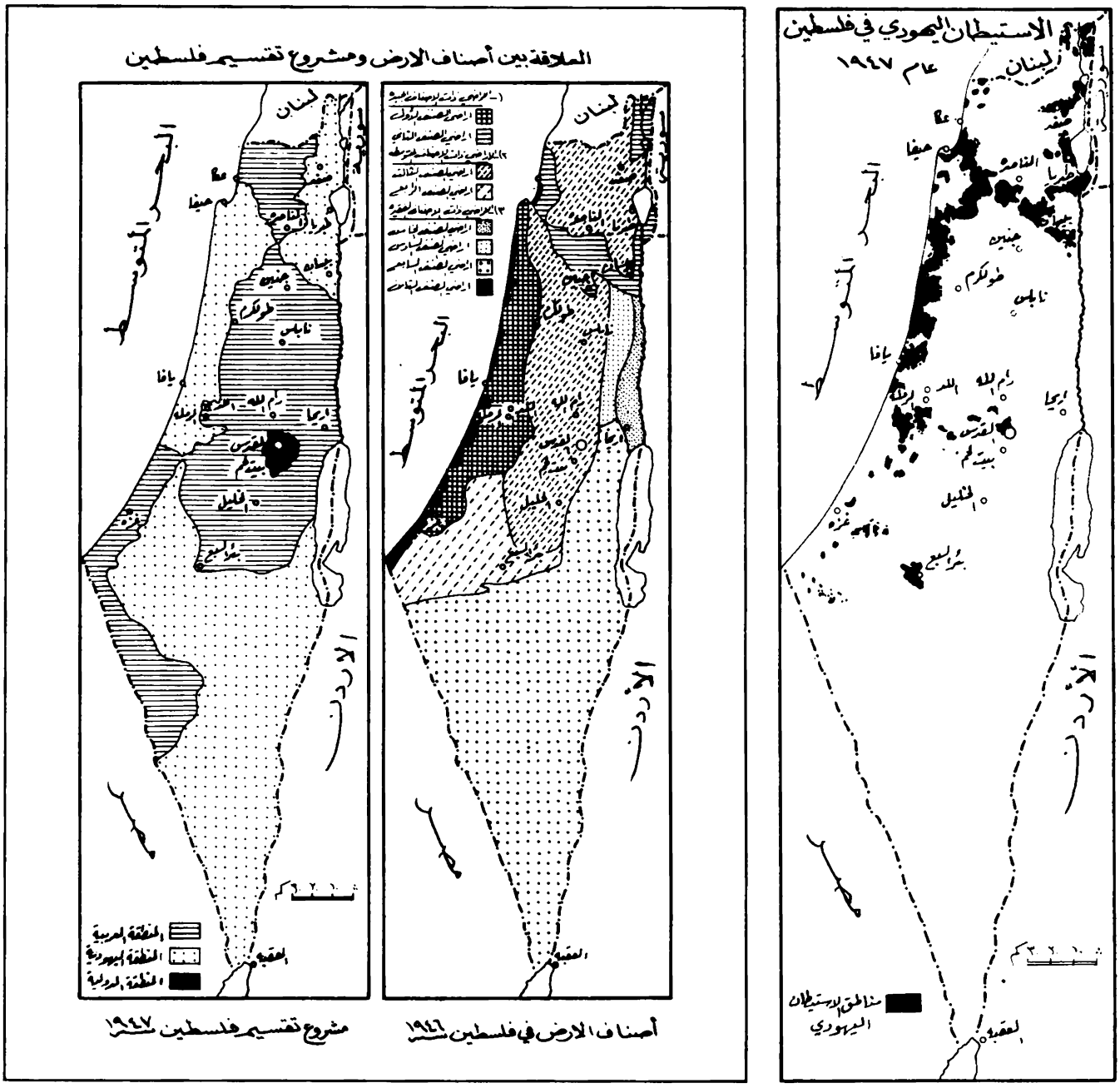

المجموعتان الثالثة والرابعة من مجموعات فئة الأراضي القابلة للزراعة :

١) المجموعة الأولى : تضم الأراضي في مرتفعات الجليل ونابلس والقدس والخليل . وهي تمتد على طول المرتفعات الجبلية (باستثناء مرج ابن عامر) من الحدود اللبنانية شمالاً حتى جنوبي قرية الظاهرية * جنوباً . وتتفاوت الأرض فيما بينها بحسب درجة انحدارها ، فبعضها يجمع بين الانبساط والتموج ، وبعضها ينحدر انحداراً متدرجاً ، في حين تنحدر بعض السفوح بشدة ، وتتخللها صخور ناتئة . والتربة في أراضي هذه المجموعة رقيقة أو منجرفة بصفة عامة ، لكنها في الأودية الجبلية سميكة . وتصلح هذه الأراضي لزراعة أشجار الزيتون * والعنب * والفواكه والحبوب * .

٢) المجموعة الثانية : تتركز أراضي هذه المجموعة في الجزء الشمالي الغربي من النقب * ، في منطقة مثلّثية الشكل ، قاعدتها المنطقة بين رفح * وبير السبع * ، وضلعاها طريق الفالوجة ـ بير السبع ، وطريق الفالوجة ـ رفح . وتتفاوت أراضي هذه المجموعة ، فهي حوضية أحياناً كما في حوض بير السبع ، وتلّية أحياناً أخرى كما

في الجهات المحيطة بحوض بير السبع والممتدة غرباً حتى رفح ، وسهلية منبسطة أحياناً ثالثة كما في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني . كذلك تتفاوت أنواع التربة أيضاً ، فهي لوسيّة في الجهات الجنوبية ، وطفلية طينيّة في الجهات الشمالية . المناخ شبه صحراوي في الجنوب ويقترب من المناخ البحري المتوسطي في الغرب والشمال . أما الزراعة * فهي محدودة بسبب قلة الأمطار وعدم انتظامها . فالأرض الزراعية تعتمد هنا على المطر أساساً . وقد تحول بعضها في السنوات الأخيرة إلى أراض مروية . وتسود في أراضي هذه المجموعة زراعة الحبوب ، ولا سيما الشعير ، بالإضافة إلى بعض أنواع الخضر .

جـ ـ الأراضي الفقيرة : وتقسم إلى أربع مجموعات : (من المجموعة الخامسة حتى الثامنة) .

١) المجموعة الأولى : وتمثلها الأراضي المنخفضة في الجزء الجنوبي من وادي الأردن الأدنى ، حيث التربة المحلية أحياناً ، والأرض الوعرة أحياناً أخرى . وتنمو أعشاب الرعي خلال فصل الشتاء ، في حين تزرع رقاع قليلة من الأرض التي تتوافر فيها مصادر المياه للري .

٢) المجموعة الثانية : توجد أراضي هذه المجموعة في السفوح والمنحدرات الشرقية لمرتفعات نابلس والقدس المطلة على وادي الأردن . والتربة هنا رقيقة تعاني الجفاف * ، لذلك تنمو الأعشاب الفقيرة الصالحة للرعي . وتقوم زراعة في الجهات التي تتوافر فيها المياه .

٣) المجموعة الثالثة : وتوجد في برّية القدس والخليل المحصورة بين المرتفعات الجبلية والبحر الميت * . وهي أراض وعرة تنمو فيها الأعشاب الفقيرة. كذلك توجد أراضي هذه المجموعة في النقب الأوسط والجنوبي حيث الوعورة النسبية والتربة الفقيرة التي لا تسمح إلا بنمو الأعشاب القصيرة ، والزراعة المحدودة جداً حول مصادر المياه .

٤) المجموعة الرابعة : وهي الكثبان الرملية بمحاذاة شاطىء البحر المتوسط . ولا تصلح الا بعد زراعة الأحراج والحشائش فيها عشر سنوات على الأقل .

د ـ أهمية أصناف الأرض السياسية : إن إلقاء نظرة على خريطة أصناف الأرض وخريطة الاستيطان الصهيوني في فلسطين يوضح مدى الارتباط الوثيق بين هذا الاستيطان والأصناف الجيدة للأرض . لقد كان الصهيونيون يمتلكون عام ١٩٤٥ نحو ١٣٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين فقط . لكن هذه النسبة العامة لا تعطي صورة صحيحة عن قيمة الأراضي التي وقعت في يد الصهيونيين ، فمعظمها من أراضي السهول الخصيبة حيث التربة الغنية ، والمياه المتوافرة ، والمناخ المعتدل .

وقد قدرت قيمة الأراضي التي يملكها الصهيونيون بمقياس نوع الزراعة وخصب التربة بنحو ٢٤٪ من مجموع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة . وهي نسبة عالية إذا قيست بنسبة الأرض العربية الصالحة للزراعة من مجموع ممتلكات العرب وهي ٦٠٪ تقريباً . لقد أخذ الاستيطان الصهيوني منذ البداية يستولي على أجود الأراضي الزراعية ، ويسيطر على السهول الساحلية والداخلية ، كالسهل الساحلي وسهل عكا وسهل مرج ابن عامر وسهل بيسان وسهل الغور الشمالي بين بيسان * وبحيرة طبرية * وسهل الحولة وغيرها . وتركزت ملكية الصهيونيين في أكثر المناطق خصباً داخل كل قضاء ، فكانوا يملكون ٤٥٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية في قضاء طبرية ، و ٤٠,٩٪ من مجموعها في قضاء حيفا ، و ٤٠,٨٪ في قضاء بيسان ، و ٣٧٪ في قضاء الناصرة ، و ٣٥,١٪ في قضاء يافا ، و ٢٥٪ في قضاء صفد ، و ٢٠,٨٪ في قضاء طولكرم ، و ١٦,٨٪ في قضاء الرملة ، و ١١,٩٪ في قضاء غزة . أما الأقضية الأخرى التي تقل فيها الأراضي الخصبة فقد نجت من أيدي الصهيونيين ، لذا لم يتملكوا في قضاء القدس سوى ٣,٩٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية ، و ٢,٨٪ من مجموعها في قضاء بير السبع ، و ٢,٦٪ في قضاء عكا ، و ٠,٩٪ في قضاء جنين ، و ٠,٧٪ في قضاء الخليل و ٠,٠٢٪ في قضاء رام الله .

وكانت الوكالة اليهودية * تمتلك ٥٨ مستعمرة زراعية عام ١٩٣٠ ، مساحة أراضيها ١٤٤,٢٢٤ دونماً ، منها ١٣٠,١٩٠ دونماً صالحة للزراعة ، بينها ١٢٢,٠٠٣ دونمات مزروعة فعلاً (تقرير السير جون هوب سمبسون *) . ويعني هذا أن نسبة مساحة الأراضي الصالحة للزراعة كانت ٩٠,٢٧٪ من مجموع مساحة أراضي المستعمرات الصهيونية في ذلك العام ، وأن نسبة الأراضي المزروعة تبلغ ٨٤,٥٩٪ من هذا المجموع . وقد بلغ مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون في عام ١٩٤٥ نحو ١,٥٨٨,٣٥٦ دونماً ، منها ١,١٧٦,٦٤٥ دونماً صالحة للزراعة ، أي أن نسبة الأراضي الصالحة للزراعة بلغت زهاء ثلاثة أرباع مجموع ما كان يملكه الصهيونيون في ذلك العام .

وقد كانت جميع مشروعات التقسيم التي اقترحتها اللجان المختلفة تعطي الصهيونيين أحسن أصناف الأراضي وتترك للعرب الأراضي الفقيرة . (فالدولة اليهودية) حسب مشروع التقسيم الذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ مثلاً تضم الغور الشمالي من وادي نهر الأردن الأدنى بين طبرية وبيسان ، وسهل مرج ابن عامر ، وسهل بيسان ، ومعظم السهل

الساحلي وقضاء بير السبع المشتمل على النقب. ومعظم هذه المناطق من الأراضي ذات الأصناف الجيدة (رَ : تقسيم فلسطين) . أما الدولة العربية المقترحة فتضم منطقة الجليل الغربية ، والأراضي الجبلية في أقضية نابلس ورام الله والقدس والخليل (عدا مدينة القدس) ، والسهل الساحلي الجنوبي الممتد من أسدود * حتى الحدود المصرية . ومعظم أراضي هذه الدولة من الأصناف المتوسطة أو الفقيرة .

وإذا قدّر حدّ السكان الأعلى الذين يمكن أن يعيشوا في الأراضي العربية المقترحة بحسب أصنافها ومساحة ما يلزم منها لكل أسرة (وهذا ما سارت على أساسه لجنة التقسيم فيما زعمت) كان العدد ٣٤٣,٢٧٠ نسمة فقط . في حين أن العدد الواقعي للسكان الذين كانوا يعيشون فيها بلغ ٨٧٦,٩٠٠ نسمة . وهذا يعني أن الأراضي العربية وفق مشروع التقسيم لم تكن تكفي إلا ٤٣٪ من السكان العرب سنة ١٩٤٧ . ويتبين من إحصاء آخر أن أراضي لواء الجليل تكفي ٤٦٪ من سكانها الفلاحين العرب ، وأراضي لواء حيفا تكفي ٢٧٪ منهم ، وأراضي لواء نابلس ٣٩٪ ، ولواء القدس ٣٢٪ ، ولواء اللد ٧٠٪ ، ولواء غزة ٦٦٪ . أما الأراضي التي كان اليهود يمتلكونها في هذه الألوية فتكفي السكان القرويين الصهيونيين جميعاً (١٠٠٪) .

وقد عني الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بشراء الأراضي الزراعية . فعلى الرغم من أنه لم يكن يملك حتى عام ١٩٤٨ سوى ٥,٦٪ من مساحة فلسطين العامة ، كان يملك في الحقيقة ٢٠٪ من مجموع مساحة الأراضي الزراعية آنذاك ، أي بزيادة ٧٪ عن نسبة ما كان يمتلكه سنة ١٩٤٥ . وقام الإقطاع الزراعي بدور كبير في تسهيل استيلاء الصهيونيين على هذه الأراضي ، فقد كانت نسبة الأراضي الزراعية التي باعها للصهيونيين الملّاك الاقطاعيون الغائبون (المقيمون خارج فلسطين) مرتفعة ، بلغت بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٣٦ نحو ٥٥,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من الأراضي الزراعية . وكانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الملاك الغائبين نحو ٣٣٪ ، في حين كانت نسبة الأراضي المتنازل عنها من الفلاحين في المدة نفسها نحو ١١,٥٪ من مجموع ما اشتراه الصهيونيون من أراض فلسطينية ، علماً بأن ١٣,٤٪ من الأراضي التي امتلكها الصهيونيون منحتهم إياها الحكومة المنتدبة . وقد استخدمت القوة المسلحة في طرد ٢,٧٤٦ أسرة عربية من ٢٢ قرية في سهل مرج ابن عامر ، و ١٥,٥٠٠ عربي من وادي الحوارث * ، و ١٥,٠٠٠ عربي من سهل الحولة ، وألوف آخرين من أراضي الساخنة * ، وغور بيسان ، وطبعون * ، والزبيدات ، والمنسي * وغيرها . وفي صيف سنة ١٩٢٠ اشترى الصهيونيون الأرض الأولى في سهل مرج ابن عامر ، وهي أكبر قطعة اشتريت حتى ذلك الوقت ، وبلغت مساحتها ٨٠,٠٠٠ دونم ، وعليها غدد من القرى العربية ، وكانت تخص عائلة سرسق اللبنانية .

هـ ـ أهمية أصناف الأرض الاقتصادية : تساعد معرفة أصناف الأرض في الكشف عن قابليتها للاستغلال . وقد استعان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني بخريطة توزيع أصناف الأرض في اختيار مناطق الاستيطان وتوجيهها لاستخدامها في الأغراض الزراعية أو الصناعية ، أو في تشييد الأبنية والمنشآت الأخرى .

وبسبب تركز معظم الاستيطان الصهيوني في الأراضي ذات الأصناف الجيدة كانت مهمة استخدام هذه الأراضي يسيرة ، وتكاليف استغلالها منخفضة . وقد اعتمد الصهيونيون على الزراعة الكثيفة المختلفة التي تدر أرباحاً كبيرة . في حين انتزعت من الفلاحين العرب أخصب الأراضي بطرق بشعة كثيرة الالتواء . وتعرضوا للطرد من أراضيهم وحرمانهم منها ، فأصبح أكثر من ثلث سكان القرى العربية بلا أرض . أما الباقون فكانت أراضيهم من الأصناف المتوسطة والفقيرة ، ولا سيما في القرى الجبلية .

كان وضع هؤلاء الفلاحين الاقتصادي في أيام الانتداب البريطاني سيئاً ، بسبب إرهاقهم بالضرائب وفوائد المرابين والمصارف . لذا عاشوا في فقر ، دون عون أو قدرة على التقدم . وقد أثرت أحوالهم في الوضع الإنتاجي للمحاصيل الزراعية ، فالقدرة الإنتاجية لدونم الأرض الزراعية الصهيونية كانت أكثر ارتفاعاً من مثيلتها في الأرض الزراعية العربية ، لأن الأرض الأولى جيدة ، وزراعتها كثيفة ومختلطة ومرويّة . أما الأرض الثانية فواسعة وزراعتها غير مختلطة وبعلية .

ورغم ذلك نجح الفلاح العربي ، بجدّه واجتهاده وصموده ، في رفع إنتاجه الزراعي لينافس الإنتاج الصهيوني ، بفضل قوة ارتباط الفلاح العربي بأرضه ، وخبرته القديمة بها ، ومعرفته الحقيقية بخواصها ، في الوقت الذي كان الصهيوني يكره الزراعة بطبعه ، ولا سيما في أرض يعلم أنها ليست له .

المراجع :

ـ عنان العامري : التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ معهد البحوث والدراسات العربية : الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، ج ١ ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ المكتب العربي بالقدس : مشكلة فلسطين ، النشرة الثانية المعروضة على لجنة التحقيق البريطانية الأميركية للنظر فيها خلال شهر آذار ١٩٤٦ ، القدس ١٩٤٦ .

— The Anglo - American Committee of Inquiry: A Tentative Land

Classification Map, **Survey of Palestine** 1946.
— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945,** New York 1957.
— Hadawi, S.: **A classification of Land and Area Ownership in Palestine,** Beirut 1970.

الأرض (حـركـة ـ) :

حركة سياسية قومية عربيـة تأسست في الجزء الذي احتل من فلسطين عام ١٩٤٨ نتيجة غياب أي تنظيم قومي يمثل نضال الشعب العربي الفلسطيني في هذه المناطق . وقد سبق هذه الحركة بعض المحاولات الرامية إلى خلق حزب عربي باءت جميعاً بالفشل ، إلى أن استطاع فريق من عرب فلسطين سنة ١٩٥٨ إنشاء الجبهة العربية التي سميت فيما بعد الجبهة الشعبية الديمقراطية * .

بقيت الجبهة تعمل من أجل تحقيق أهدافها العامة إلى أن دب الخلاف بين الجناح القومي والشيوعيين فيها ،وعندها بدأ أصحاب الخط القومي ، وعلى رأسهم منصور كردوش وحبيب قهوجي ، بالتفكير بشكل جدي في إنشاء حركة عربية مستقلة داخل فلسطين . وعلى هذا الأساس دعا كردوش وقهوجي إلى اجتماع حضره كل من محمود السروجي ، وعبد الرحمن يحيى من عكا * ، وتوفيق سليمان عودة ، وحنا مسمار من الناصرة * ، وزكي البحري من حيفا * . وكان هذا الاجتماع الذي عقد في نيسان ١٩٥٩ هو الاجتماع التأسيسي « لحركة الأرض » . وقد تم اختيار هذا الاسم للدلالة على تعلق الفلسطينيين بأرضهم . وتقرر في هذا الاجتماع تأسيس صحيفة علنية بالاسم نفسه ، ووزعت الحركة بياناً جاء فيه إن الجناح القومي في الجبهة الشعبية الديمقراطية يعلن أنه جزء من الشعب العربي الفلسطيني الذي هو بدوره جزء من الأمة العربية ، وأن هذا الجناح يناضل داخل البلاد من أجل المساواة التامة بين العرب واليهود . وطالب البيان (إسرائيل) بأن تنتهج سياسة تتضمن الاعتراف " بأن الحركة القومية العربية هي الحركة الحاسمة في المنطقة وان على إسرائيل أن تقطع ما بينها وبين الحركة الصهيونية من صلة " كما طالب البيان " بعودة اللاجئين إلى أراضيهم وأملاكهم " .

وقد اعتبرت الحركة أن أي طرح من قبلها بإلغاء الاعتراف الظاهري (بإسرائيل) يعني قضاء السلطات الإسرائيلية الفوري على الحركة في مهدها،ولذلك تلافت هذا الأمر ، وطرحت شعارات عامة لا تعرّضها للخطر المباشر ، وتؤدي بالحقيقة إلى تفريغ (إسرائيل) من مضمونها .

بعد البيان طالبت « الحركة » السلطات الإسرائيلية بالحصول على ترخيص لإصدار جريدة خاصة بها . إلا أن السلطات ماطلت في الرد على هذا الطلب ، فلجأت قيادة « الأرض » إلى طريقة تدور بها على القانون ، إذ وجدت أن هذا القانون يبيح لكل مواطن أن يصدر نشرة لمرة واحدة دون ترخيص . وبدأ أفراد « الأرض » ، كل بدوره ، يصدرون الجريدة باسم جديد ، فصدر العدد الأول بعنوان « الأرض» موقعاً باسم حبيب قهوجي ، وكان أشبه بالمجلة من حيث مواضيعه ، ثم صدر العدد الثاني بعنوان « الأرض الطيبة » موقعاً باسم منصور كردوش ، والعدد الثالث بعنوان « شذى الأرض » موقعاً باسم صبري جريس ثم أعداد أخرى بعناوين مختلفة مثل «نداء الأرض» و«هذه الأرض». وبعد العدد السادس شنت السلطة حملتها على «الأرض» واعتبرت أن عملها ينافي القانون ويعرّض أمن الدولة للخطر . وبدأت السلطات تمارس مع أفراد « الأرض » سياسة الترهيب والترغيب لدفعهم نحو الكف عن إصدار الجريدة . وفي أواخر كانون الثاني ١٩٦٠ عقد مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية شموئيل ديفون مؤتمراً صحافياً في تل أبيب * شن فيه هجوماً عنيفاً على جماعة « الأرض » . وأغلقت السلطات الإسرائيلية على أثره الجريدة وصادرت أعدادها ، بعد أن صدر منها ١٣ عدداً ، وقدمت ستة من محرري الجريدة إلى المحاكمة بتهمة التحايل على القانون وإصدار جريدة بدون ترخيص. وهؤلاء الستة حسب ما وردت أسماؤهم في لائحة الاتهام هم : حبيب قهوجي ، منصور كردوش ، صالح برانسي ، محمود السروجي ، إلياس معمر ، صبري جريس . غير أن هذه الخطوة لم تمنع جماعة « الأرض » من محاولتها إعادة تنظيم نفسها ، فعملت على إقامة « شركة الأرض المحدودة » للطباعة والنشر . وكان الهدف من هذه الشركة الحصول على وسيلة مشروعة لإصدار الجريدة مجدداً ، إضافة إلى تأمين غطاء مناسب للعمل السياسي ، ومورد مالي للحركة . وبعد صراع طويل مع مسجل الشركات ، أقرت المحكمة العليا تسجيل الشركة في أواخر ١٩٦٠ . وقد بيعت أسهم الشركة إلى مؤسسي « الأرض » ومؤيديهم .

وحتى ذلك التاريخ لم تكن « الأرض » قد اتخذت لنفسها شكل تنظيم حزبي محدد ، كما أنها لم تطلق على نفسها في البداية « حركة الأرض»، وإنما سمت نفسها بأسماء مختلفة،مثل أسرة الأرض ثم جماعة الأرض وشركة الأرض وأخيراً حركة الأرض. وبعد أن استوفى أصحاب « الشركة » كافة الشروط القانونية تقدموا بطلب لإصدار جريدتهم ، إلاّ أن طلبهم هذا رفض بحجة أن المحرر المسؤول صالح برانسي لا يحمل الشهادة الثانوية الإسرائيلية . ثم تبع ذلك عدة محاولات فشلت جميعها . وأخيراً أعدت الحركة سنة ١٩٦٤ مذكرة مطولة عن أوضاع العرب في (إسرائيل) والمظالم التي

يتعرضون لها ، وأرسلت نسخاً من المذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة ، وإلى الصحف العالمية والشخصيات المعروفة دولياً . وقد أثار هذا العمل السلطات الإسرائيلية ، وبدأت تفكر جدياً بتصفية « الأرض » وفروعها ، خاصة أن هذه الجماعة تمكنت من إقامة خمسة عشر نادياً ثقافياً ورياضياً في القرى العربية ، ولا سيما في قرى المثلث .

وبعد إعداد المذكرة حاولت « الأرض » تسجيل نفسها كحزب سياسي ، وأعلنت في منتصف تموز ١٩٦٤ قيام حركة الأرض ، ووضعت لنفسها أهدافاً تنص على حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في نطاق الأماني العليا للأمة العربية . غير أن السلطات الإسرائيلية رفضت السماح لحركة الأرض بالتسجيل كحزب سياسي واعتبرتها جمعية تهدف إلى المسّ بكيان (الدولة) وبسلامتها ، وطالبتها بحل نفسها . ثم قامت السلطات بعد ذلك باعتقال قيادي الحركة ، وما لبث أن أصدر ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنئذٍ قراراً بحل شركة الأرض وحركة الأرض واعتبارهما خارجتين على القانون .

بقي نشاط حركة الأرض مجمداً حتى سنة ١٩٦٥ ، إذ عادت الحركة للظهور مجدداً ، ولآخر مرة . ولما كان مقرراً في هذه السنة أن تجري الانتخابات العامة للكنيست * ، قرر أعضاء الحركة خوض معركة الانتخابات ، وأعدوا قائمة باسم « القائمة الاشتراكية » . وكان على رأسها صالح برانسي يليه حبيب قهوجي ، ثم صبري جريس ، وسبعة آخرون ، آخرهم منصور كردوش . أي ان القائمة كانت تضم أربعة من قياديي الحركة إضافة إلى ستة من مؤيديها . غير أن السلطات الإسرائيلية ردت على هذه الخطوة بنفي القياديين الأربعة إلى أماكن مختلفة من فلسطين لتفوت عليهم فرصة الاشتراك في الانتخابات . كما فرضت في الوقت نفسه الإقامة الجبرية على نشيطي الحركة ، وأوعزت إلى لجنة الانتخابات برفض ترشيح القائمة ، واتخذ قرار بهذا الشأن . وقد كان هذا الإجراء نهاية نشاط حركة الأرض العلني . وعشية حرب ١٩٦٧ * قامت السلطات الإسرائيلية باعتقال قيادة الحركة وبعض أعضائها . وفي شهر أيار ١٩٦٨ طردت السلطات الإسرائيلية حبيب قهوجي من فلسطين المحتلة بعد اعتقاله مع زوجته إعتقالاً إدارياً دام أكثر من سنة ، فتوجه إلى قبرص ثم لبنان فسورية . كما غادر صبري جريس فلسطين متوجهاً الى أثينا فلبنان .

المراجع :

ـ حبيب قهوجي : العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ شؤون فلسطينية : ندوة مع حبيب قهوجي ، العدد الأول ١٩٧١ .

الأرض (شركة ـ المحدودة للطباعة والنشر) :

رَ : الأرض (حركة ـ)

الأرض (مجلة ـ) :

رَ : الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسسة ـ)

الأرض (ملكية ـ) :

كان قانون الأراضي العثماني هو أساس قواعد حيازة الأرض في فلسطين حتى سنة ١٩٤٧ . ورغم كل ما أدخل على صورة « الخط الهمايوني » من تعديل وتبديل فإن التصنيف الحالي لأراضي الدولة إلى فئات معينة هو التصنيف نفسه الذي اصطلح عليه القانون المشار إليه عندما قسم الأراضي الكائنة في بلاد الدولة العلية خمسة أقسام تشمل ـ وإن استبدلت تسميات بأخرى في الوقت الحاضر ـ أراضي : الميري ، والمتروكة ، والموات ، والملك ، والأوقاف . وترجع ملكية الفئات الثلاث الأولى في الواقع ـ وتمثل حق الرقبة في النظام الإسلامي ـ إلى خزينة الدولة ، كبديل لبيت المال .

أ ـ الميري : أهم هذه الفئات الثلاث من حيث الرقعة والإنتاج ، وقد شملت في فلسطين والأردن مختلف المساحات الزراعية ، فضلاً عن بعض أراضي المراعي والأحراج . وقد وضعت هذه المساحات منذ العهد العثماني تحت تصرف أهالي القرى والعشائر ، مجتمعين أو فرادى ، مقابل دفع ضريبة العشر . وعندما صدر قانون « الطابو » كان على المنتفعين بأراضي الميري استصدار سندات تسجيل مقابل مبلغ من المال دعي « بدل المثل » . لكن هذا التسجيل لم يكن لينقل ملكية الأرض ـ أي يعطي حق الرقبة ـ إلى المنتفع نقلاً كاملاً ، بل ظلت الملكية الحقيقية للخزينة ، بحيث يمكن للدولة استردادها في أي وقت شاءت ، وليس للحائز سوى حق التصرف أو الانتفاع فقط ، وبالتالي لم يكن له الحق في التنازل عنها لآخر ، أو استبدال غيرها بها ، او إقامة مبان عليها ، أو غرس أشجار فيها دون إذن مسبق من السلطات الحكومية المعنية . ولم يكن له أيضاً الحق في رهن الأرض أو وقفها . ويجري هذا كلّه خلافاً للمفاهيم السائدة في مصر والعراق حيث يقتصر لفظ «ميري » على الأراضي التي تملكها الدولة فعلاً وتظل في حوزتها .

لكن معظم هذه المحظورات ألغيت منذ سنة ١٩١٢ ، وأصبح حائز الميري شبه مالك لأرضه ، وتلاشى حق الخزينة من الناحية العملية فلم يبق منه سوى شكليات معينة لعدم جواز تحويل الأرض إلى أوقاف ، أو إدخالها ضمن وصية ، لأن نظام توريث الميري منصوص عليه في القانون ، وبموجبه يعطى الذكر من الأبناء مثل حظ الأنثى تماماً ، وترث الزوجة ربع المساحة . فإن لم يوجد من هؤلاء أحد ورثت الأرض للأقارب بالترتيب حسب درجات القرابة . فإن لم يوجد أقارب ، ولم يطالب أحد بالأرض ، صارت محلولة بحكم القانون .

كان القصد من إقرار مبدأ الميري كمفهوم تشريعي قانوني إقناع الناس بأن حق الانتفاع بالأرض هو مِنّة وهبة من قبل الدولة العليّة ، وفضل تمنحه من تشاء تكريماً لجهوده ، ما لم يخالف مبادىء التفويض . ومن ثَمَّ كان قانون « المحلولات » تشريعاً مكمّلاً لمفهوم الميري تستطيع الدولة بموجبه أن تستعيد المنحة من أيدي المهملين . ولكن هذا الحق (المحلولات) الذي قصد به تنشيط الاقتصاد الزراعي بإعطاء الأرض لمن يرعاها ويفلحها ، وتوزيعها بشيء من العدالة فلا تتراكم لدى ناس دون آخرين ، ظل معطلاً فلم يطبق في الواقع على المهملين ، بقدر ما طبق في الحالات التي أرادت فيها الدولة امتلاك مساحات كبيرة من الأرض ، على نحو ما فعلت بقرابة مليوني دونم في المناطق التي مرّ بها خط سكة حديد الحجاز عبر شرقي الأردن . كذلك فعلت السلطات بكثير من الأراضي الزراعية الخالية في الأردن وفلسطين ، فأعلنتها محلولة ، واستبقتها ريثما وطّنت المهاجرين الشركس * في بعضها ، وباعت أو أهدت بعضها الآخر .

ب ـ المتروكة : وتسمى بالتعبير السائد اليوم « المنافع العامة » . والأراضي المتروكة قسمان : يشمل الأول منهما الأراضي المخصصة لاستعمال جميع أهالي البلاد ، كالمسطحات المائية من بحار وبحيرات وأنهار وعيون ، ومجاري سيول الأودية ، والطرق العامة وما شابهها . وليس لأي إنسان ، ولا لأية جماعة ، حقوق خاصة في هذه الأراضي . والقسم الثاني من الأراضي المتروكة هو ما خصص للارتفاق العام ، وينحى جانباً لاستعمال أهالي قرية أو مدينة ، أو مجموعة من القرى المتجاورة . من هذه الأراضي الروابي الطبيعية المستخدمة للرعي * ، والأحراج التي يحتطب منها ، وأراضي البيادر أو أجران الغلال ، والمقابر (التي آلت فيما بعد إلى الأوقاف) وأماكن الصلاة والساحات والأسواق . وقد كانت أمثال هذه الأراضي في الأصل ضمن فئة الميري ، وتحولت ـ عرفياً ـ إلى متروكة ، خدمة لمراكز العمران المجاورة ، دون استصدار فرمانات سلطانية قاضية بذلك رسمياً ، على نحو ما كان متبعاً في كثير من أنحاء الامبراطورية العثمانية . فهي من هذه الناحية ميري غير مشغولة يحرم استعمالها للزراعة او للبناء من قبل الأهالي . كما أنه لا ينص فيها صراحة أو ضمناً على أية حصص معينة مخصصة للأفراد أو للجماعات ، فكل من أراد انتجاع المرعى أو الاحتطاب فليس ثمة من يمنعه . ولكن هذا لا يعني حصول أحد على أي حق من حقوق الملكية في الأراضي المتروكة .

ولما كان الرعي هاماً في حياة سكان فلسطين فإن مساحات مترامية من الأراضي البور غير الصالحة للزراعة قد ضمت إلى المتروكة . وأهم هذه الأراضي سفوح التلال * الصخرية الوعرة ، وأراضي الأحراج التي كانت في وقت ما ضمن فئة الموات ، فضلاً عن بطون الأودية الحجرية المهملة ، ومسطحات الغياض الساحلية في غرب فلسطين . وقد كان بالمستطاع استغلال رقاع لا بأس بها من هذه المناطق في الزراعة * بعد استصلاحها وإجراء التحسينات اللازمة عليها ، وهي أمور لم تكن تستدعي عملاً مضنياً ، خاصة أن الحكومة كانت بحاجة إلى امتلاك المزيد من الأراضي ، لكن الأهالي عارضوا بشدة تلك الإجراءات ، لأن المتروكات ملك جماعي ومنافع مشتركة لقراهم . وقد انضم إليهم البدو ممن كانوا يرتادون هذه المراعي .

وعندما بدأت عمليات تسوية الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ سجلت مجاري الأنهار ومسارب الأودية في الأراضي المتروكة، واحتفظت الدولة بحق ملكيتها نيابة عن المجتمع كي تحول دون استئثار فئة بالانتفاع دون الآخرين . وقد بلغت مساحة الأراضي العمومية في فلسطين من طرق وأنهار وسكك حديدية وممتلكات دائرة الأحراج وغيرها من المرافق العامة قرابة نصف مليون دونم في نهاية عام ١٩٤٥ .

جـ ـ الموات : هي الفئة الثالثة من ممتلكات الدولة . وهي مساحات مترامية لم يعط أحد فيها أية حقوق بصفة رسمية . فهي بحكم القانون ليست في تصرف أحد من الأشخاص ، ولا متروكة مخصصة للأهالي . والأراضي الموات هي المحلات البعيدة عن القرى والقصبات بدرجة لا تسمع بها من أقاصي العمران صيحة الشخص الجهير الصوت . أي هي الأراضي الخالية التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف (٢,٤ كم) تخميناً ، أو مشي نصف ساعة حسب ما نصت المادة السادسة من قانون الأراضي العثماني .

كانت هذه الأراضي تعطى أول الأمر إلى كل من يفتحها للزراعة دون مقابل ، على أن يكون قد حصل على إذن مسبق من السلطات العثمانية . فإذا تحول ما فتح من مساحات إلى أراض منتجة صارت تلقائياً من « الميري » ، ينطبق عليها « الطابو » بموجب دفع « بدل المثل » . ويلاحظ أن هذا التشريع العثماني الخاص

بحقوق فاتحي الأرض الموات الذي يعود إلى أصول إسلامية يتلاءم مع طبيعة فلسطين التي يقع أكثر من نصفها ضمن نطاق الصحارى المجدبة . ففي القانون حفز على تعمير الأرض واستصلاحها وزراعتها . لذلك لم يكن عجيباً أن تسارع سلطات الانتداب البريطاني إلى إيقاف العمل بهذا التشريع منذ سنة ١٩٢١ ، بموجب ما سمي « قانون الأراضي الموات » الذي حرم كل من يتجرأ على حرمة الأرض الموات المطالبة بحق تسجيل الأرض التي عمرها ، فضلاً عن معاقبته بتهمة التعدّي على أملاك الدولة .

ومن الناحية الرسمية كان ينبغي أن تقيد جميع الأراضي الموات لحساب الخزينة . ولكن هذا لم يحدث قط إلا عندما بدأت عمليات المسح « الكاداستر » ، وتسوية حقوق الأراضي في فلسطين سنة ١٩٢٨ . فأينما وجدت أرض بين القرى بلا مالك سجلت على الفور ميري لحساب الدولة . وقبل ذلك لم يكن هناك ما يشير إلى التوزيع الجغرافي للأراضي الموات ، ولا إلى مقدارها في البلاد ، رغم أنها شملت مساحات هائلة من مناطق الكثبان والبطاح الساحلية والأراضي التلية التي كانت مسارح للرعاة في الربيع ، مثل السفوح الشرقية لمرتفعات الخليل ، ومناطق الأحراج في أعاليها . وعلى أي حال قدرت مساحة الأراضي الموات في بداية الحكم البريطاني بنحو ثلاثة ملايين دونم كان أكثرها قابلاً للزراعة . في حين أظهر الإحصاء الزراعي لعام ١٩٣١ أن ما يزيد على ٤,٨ مليون دونم من مساحة فلسطين ، باستثناء قضاء بير السبع ، كان غير مستغل . وهذا القدر يشكل حوالي ٣٦٪ من إجمالي المساحة المذكورة . أما منطقة بير السبع والنقب فهي بطبيعتها الصحراوية أراض موات .

د ـ الملك : وهي ما كان من الأراضي في حوزة المالك تماماً ، له ما عليها وما تحتها ، وبمستطاعه استعمالها في أي وجه ، لأنه يملك منها حق الرقبة ، على خلاف أراضي الميري التي يبقى للدولة فيها حق الرقبة ، في حين يعطى الحائز حق الاستغلال لظاهر الأرض منها فحسب ، ولغرض واحد فقط هو الزراعة . وقد يحظر على حائز الملك ، رغم ذلك ، استعماله في أغراض تضرّ الجار ، أو تؤذي الصالح العام للجمهور . ويمكن أن تنزع ملكيته في حالات كثيرة ، من بينها لزوم استملاكه من قبل البلديات كي تستقيم أمور التنظيم وتخطيط المدن ، أو عندما تحتاج إليه دوائر الآثار والتعدين او الأحراج . وفي جميع تلك الحالات يعوّض المالك مادّياً عما انتزع منه .

وتنقسم أراضي الملك إلى أصناف ، أهمها في فلسطين مواضع المباني في المدن وفي القرى ، وما يحيط بها من أراض فضاء لا تزيد مساحتها حول كل مسكن عن نصف دونم في المناطق الواقعة على المشارف الخارجية لمراكز العمران . أي أن أراضي الملك هي مجموع مساحة المناطق المبنية في قرى القطر ومدنه .

ولا يقتصر الملك في القانون العثماني على المناطق المبنية داخل المدن . بل من أصنافه أيضاً فئات من الأراضي الزراعية التي أقطعها السلاطين والحكام للقادة والعسكريين في أعقاب مراحل الفتح والتوسع . كذلك تعد من فئة الملك جميع الأراضي الحرجية التي استبقيت بأيدي الذمّيين من أصحاب الديانات الأخرى ، والأراضي الموات التي فتحها الناس في الماضي وتحولت بإذن من السلطات إلى ملك لهؤلاء الناس . ولكن يلاحظ أنه لم يشع من هذه الفئات في فلسطين سوى الأراضي الحرجية .

ومن الطبيعي أن تزداد رقعة أراضي الملك على حساب غيرها من الفئات مع استمرار نمو مراكز العمران . وقد وضع القانون العثماني هذه الظاهرة في الحسبان حين أجاز ان تحوّل مساحات من الميري إلى ملك عند الضرورة فتمنح الدولة حق الرقبة لقاء ثمن مضاعف يسدد للخزينة . لكن المشرّع العثماني وضع في قانون سنة ١٨٧٤ تحفظات كثيرة للحيلولة دون استغلال المبررات لسحب أراضي الميري من ميدان الإنتاج الزراعي ، أو للمضاربة في أسعار الأراضي .

هـ ـ الأوقاف : وهي صنفان ، الأول أوقاف صحيحة والثاني أوقاف غير صحيحة .

فأما الأوقاف الصحيحة فهي التي كانت من أراضي الملك وأوقفت وفقاً للشرع ، فعندئذٍ تكون رقبتها وجميع حقوق التصرف بها عائدة إلى جانب الوقف ، وتعامل بموجب شروط الواقف . ومهما كانت هذه الشروط فلا رجعة فيها . وقد اختلفت الأغراض التي أوقفت من أجلها العقارات والأموال غير المنقولة بشقيها : « المسقفات » أي المباني المسقوفة التي تدرّ دخلاً ، و « المستغلات » وهي الأطيان الزراعية المنتجة . فقد كان الواقف أحياناً يتوخى صالح أفراد عائلته والأجيال المتعاقبة من سلالته . فإذا لم يوجد وريث للمنفعة حُوِّل الوقف ـ بناء على الوصية ـ للأغراض الخيرية او الدينية ، فإن لم يوص بذلك صار العقار محلولاً . وكان الدافع إلى هذا النوع من الأوقاف خوف الملاك من ضياع ممتلكاتهم لسوء تصرف أبنائهم وورثتهم ، أو لجور السلطات وإمكانية نزع الملكية .

وكان الغرض الثاني الذي أوقف بعض الناس من أجله العقار دينياً ، كأوقاف المساجد والأضرحة أو المعاهد التعليمية ذات الصبغة الإسلامية والمكتبات . وقد قصد المتبرعون في جميع هذه الحالات أن يكون مردود إيجار العقارات الموقوفة ـ وتدعى تكايا ـ يكفي للقيام بمختلف نفقات إدارة هذه المؤسسات .

أما الغرض الثالث للوقف فكان خيرياً يخصص دخله

لصالح الناس جميعاً ، بإنشاء المساجد أو الحمامات العامة والمغاسل ومنازل الضيافة والاستراحة لأبناء السبيل (أي الخانات) ، والمخابز لتوزيع الخبز على المحتاجين ، والمستشفيات ومصحات الأمراض العقلية وملاجىء العجزة والأيتام .

وطبقاً للقوانين المعمول بها في البلاد تصبح أية أرض وقفاً إن بُني عليها مسجد وتمت فيه إقامة الصلاة . كذلك إن وهب شخص مساحة لبناء مقبرة وصرّح بالدفن فيها وتم ذلك فعلاً . لهذا تحرم الدولة دفن الموتى في أراضي الميري حتى لا تتحول إلى أوقاف .

كانت لهذه الفئة من أراضي الأوقاف الأهلية آثار اقتصادية سيئة تراكمت بمرور الزمن . فمع تعاقب الأجيال تضاعفت أعداد الورثة والمنتفعين منها ، فتوزعت العائدات ، وتفتت المردود بشكل قلل كثيراً من قيمتها . ونشأت لذلك خلافات مزمنة ، واحتدمت المنازعات القضائية بين المستحقين . وازدادت الأمور تعقيداً إذ كان من الصعب ، إن لم يكن من المستحيل ، التصرف في العقارات الموقوفة بالبيع أو الاستبدال في حال الوفاء بالديون .

وكانت أراضي الوقف في وقت ما تشغل مساحات كبيرة من فلسطين . لكن الحكومة العثمانية ، ومن بعدها سلطات الانتداب البريطاني، لم تتوان في كل مناسبة عن مصادرة العقارات الموقوفة وحلّها وإعادتها إلى خزينة الدولة مستغلة أية ثغرة شرعية يمكن أن تبطل حجج الأوقاف القائمة . ولهذا تقلصت مساحة الأوقاف الصحيحة في فلسطين أيام الانتداب إلى أقل من مائة ألف دونم .

الفئة الثانية من الأوقاف هي ما يدعى الأوقاف غير الصحيحة ، أو أوقاف التخصيصات . وهي مساحات مفرزة من الأراضي الأميرية ، أوقفها سلاطين آل عثمان وغيرهم بإذن سلطاني فظل حق الرقبة تابعاً لخزينة الدولة كأراضي الميري الصرف ، في حين خصصت منافعها فقط ، من أعشار ورسوم ، لجهة ما . وتنقسم هذه الفئة من الأوقاف إلى ثلاثة أقسام : الأول عقارات تخص الدولة ، ولكن ينتفع باستعمالها أو بعائداتها المزارعون الذين يقيمون عليها . وكان إيقاف هذا النوع من الأراضي بيد السلطان أو الدولة فقط ، وكان يحق للمنتفعين به نقل حق الانتفاع إلى غيرهم بشرط موافقة الجهة الواقفة . وكان معظم أراضي الوقف في فلسطين من هذا النوع .

القسم الثاني من أوقاف التخصيصات هو ما كان يدفع للخزينة ضرائب الأعشار ، ويؤجر كأحكار للفلاحين بعقود طويلة الأجل . وقد اقتصرت هذه الأحكار على بعض مناطق القدس والخليل ونابلس . أما القسم الأخير من هذه الأوقاف فكان كالسابق إلا انه معفى تماماً من دفع الأعشار أو أية ضريبة أخرى للخزينة .

وينبغي أن يلاحظ أن الوقف لم يقتصر على مؤسسات المجتمع الإسلامي في البلاد فحسب ، بل شمل أيضاً مؤسسات الأديان الأخرى من مسيحية ويهودية ، ويسمى الوقف في هذه الحالات « المستثنى » ، أي الذي لا تخضع إدارته للأوقاف الإسلامية .

و ـ الحيازة في فلسطين : كان عدد القرى العربية في فلسطين حتى عام ١٩٤٥ نحو ٨٦٢ قرية راوحت معدلات الحيازة الزراعية لكل منها ما بين ٩ آلاف و ١٢ ألف دونم ، وكان المفتلح منها في حدود ستة أو سبعة آلاف دونم . وقد قدر معدل عدد سكان القرية الفلسطينية في ذلك الوقت بنحو سبعمائة أو ثمانمائة نسمة . ومن الطبيعي أن تتفاوت مساحات الحيازة الزراعية وأعداد السكان كثيراً من قرية إلى أخرى طبقاً لتنوع الظروف الجغرافية السائدة في أقاليم فلسطين المختلفة . ففي حين كان زمام قرية أم الفرج * بقضاء عكا في حدود ٨٢٥ دونماً وسكانها نحو ٨٠٠ نسمة ، كانت قرية النويعمة بقضاء أريحا تنفسح على زمام يبلغ نحو ٥٣ ألف دونم ، ولا يقطنها سوى ٢٠٠ نسمة فقط . وتعد قرية طوباس * في قضاء نابلس نموذجاً للقرى الفلسطينية الكبرى في العقد الرابع من هذا القرن ، إذ امتدت رقعة ممتلكات أهاليها فوق ما يقرب من ثلث مليون دونم تقاسمها من السكان نحو ٥,٤٠٠ نسمة ، فكانت بهذا أم القرى في فلسطين قاطبة .

كان الفلاحون حتى ذلك الوقت فئات ثلاثاً : الفئة الأولى كبار الملاك ممن يتولون زراعة إقطاعاتهم بأنفسهم . وهؤلاء قلة رغم عظم المساحة التي كانت بحوزتهم . ونقيض هؤلاء كانت الكثرة من الفلاحين الذين حرموا نعمة امتلاك الأرض فعملوا أجراء ومرابعين لدى كبار الملاكين المسيطرين على مساحات مترامية والقاطنين في المدن او خارج البلاد .

أما الطبقة الثالثة فهي طبقة صغار الملاك الذين يعيشون على أرضهم . وقد قدرت الدراسات سنة ١٩٣١ نسبة عدد المالكين من الفلاحين بنحو ٧٨٪ فقط . وبلغ نصيب الفرد والأسرة من الأراضي بعامة ، ومن الأراضي المزروعة بخاصة في مناطق فلسطين ما يلي :

المنطقة	نصيب الفرد من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من الأرض عامة بالدونم	نصيب الأسرة من المفتلح فعلاً بالدونم
السهل الساحلي	١٢,٨	٦٤	٤٦,٥
المرتفعات الوسطى	١٩,٦	٩٨	٥٣
الجليل	١٧,٠	٨٥	-
مرج ابن عامر	٢١,٧	١٠٨	-

وتبيّن من دراسة أجريت سنة ١٩٣٦ على ٣٢٢ قرية فلسطينية أن أكثر من تسعة أعشار عدد الحيازات تقل رقعة كل منها عن مائة دونم وتشغل في مجموعها أكثر قليلاً من ثلث المساحة الزراعية

العامة للقرى المدروسة . في حين ضمت أراضي ثلاثة عشر مالكاً كبيراً فقط ما يزيد على نصف إجمالي مساحة الأرض التي كانت بحوزة ما يقرب من ستة وستين ألف مالك صغير .

تركيب الحيازات الزراعية العربية عام ١٩٣٦ .

الفئة	عدد القطع	نسبة العدد ٪
أقل من ١٠٠ دونم	٦٥,٩٣٣	٩١,٨٪
من ١٠٠ الى ١,٠٠٠ دونم	٥,٧٠٦	٨,٠
أكثر من ١,٠٠٠ دونم	١٥٠ قرابة	٠,٢
أكثر من ٥,٠٠٠ دونم	١٣	٠,٠١

كانت ملكية جميع أراضي فلسطين تقريباً حتى أوائل الستينات من القرن الماضي مما يعرف بالمشاع . وقد فرضت دوافع اقتصادية واجتماعية وأمنية هذا النظام من الملكية الجماعية للقرية او العشيرة أو الحمولة على معظم أرجاء البلاد . ولم تكن الملكية الفردية معروفة إلا في أحوال خاصة ، وفي الجهات القريبة من كبريات المدن الساحلية وبعض المدن الداخلية حيث سيطرت على الأرض طبقة التجار المتنورين . كذلك كانت تسود الملكية الفردية أينما كانت طبيعة الأرض تستدعي بذل مجهودات مضنية لإصلاحها وزراعتها والعناية بتربتها . إذ يتوقف نصيب كل فرد في هذه الحال على ما يبذل من عرق ، وعلى مقدار طموحه الشخصي ورغبته في العمل والكد . لهذا السبب شاعت الملكية الفردية في منطقة المرتفعات الوسطى منذ أقدم العصور ، في حين ظلت الأراضي الساحلية السهلية الممهدة، على نقيض ذلك ، مسرحاً للتنافس الجماعي لأنها تعطي الكثير الوافر بأقل مجهود ، فكان أن وقعت مشاعاً بين طالبيها من الجماعات الزراعية على مر الزمان . واستمر الأمر كذلك حتى السنوات الأولى من القرن الحاضر . وكان باستطاعة أي فلاح أن يجد لنفسه حصة من الأرض في المنطقة الممتدة بين حيفا وغزة ، باستثناء مشارف المدن والمناطق التي خضعت لملكية الأثرياء من سكانها .

أما من الناحية الاجتماعية فقد كان المشاع ضماناً لبقاء الأرض بأيدي أفراد الجماعة واستبعاد أي غريب لا ينتمي إليها . وفي هذا النظام شيء من العدالة والاشتراكية الفطرية أو التلقائية لأنه يضمن توزيع فرص الكسب من الأرض بين الجميع ، ولا سيما أن استقرار المُزارع في أية قطعة من أملاك المشاع لم يكن يستمر سوى فترة موقوتة تمتد من عام إلى تسعة أعوام ينتقل بعدها إلى استثمار قطعة أخرى حتى لا يستأثر واحد دون غيره بأحسن الأطيان . وفي حال تجانس الأرض من حيث الخصوبة والقدرة كانت الجماعة في الغالب ترتضي نمطاً توزيعياً ثابتاً .

وكان المشاع ، من ناحية الأمن ، حافزاً لجميع أفراد القرية على الاستماتة في الدفاع عن أملاكهم المشتركة . وكان قيام الجماعة عن بكرة أبيها لملاقاة العدو وصدّه عن الأرض أدعى إلى تلاحم الصلات بين الأفراد وتماسك البنيان الاجتماعي . أي أن المشاع كان مشاركة في وسيلة الانتاج ومعاشاً من جهة ، وأسلوب حياة ومصيراً مشتركاً من جهة أخرى . ومن هنا كانت المنازعات الدموية على امتلاك الأرض تجرّ إلى المعترك عائلات وحمولات بكاملها، بل ينزلق إليها أحياناً كثيرة أهالي القرى المتجاورة المتحالفة .

وكما هي الحال بالنسبة إلى نظام الوقف ، يضع بعض الباحثين اللوم على نظام المشاع ويجعله سبباً من أهم أسباب تردّي الاقتصاد الزراعي في البلاد . ففي ظله ينتفي الحافز الشخصي على البذل والإبداع وتجشم مشاق إجراء التحسينات على الأرض بالتسميد، أو تحسين شبكات الري والصرف ، أو زراعة الأشجار وإقامة المنشآت . بالإضافة إلى ذلك ، يذكر هؤلاء أن المشاع كان سبباً في وقوع مشاحنات داخلية دائمة بين الملاك والمنتفعين من العقارات المشتركة . وعلى الرغم من هذا كله كان لنظامي الوقف والمشاع حسنات لا تنكر ، فقد حالا زمناً دون تفتيت الحيازة الزراعية بشكل يعوق عمليات الإنتاج ويحول أحياناً دون فلاحة الملكيات الصغيرة بالوسائل الحديثة او التقليدية على حد سواء . وأهم من هذا أن نظامي الوقف والمشاع عاقا عمليات بيع الأراضي وانتقال ملكيتها إلى اليهود ومنظماتهم . ومن هنا جاء الهجوم الشديد على هذين النظامين من قبل كتّاب مغرضين .

وقد كان من سوء الحظ قومياً أن حاولت السلطات العثمانية خلال الربع الأخير من القرن الماضي تصفية نظام المشاع عندما ألزمت الملاّك بتسجيل أراضيهم ، وعندما صدر قانون ١٤ محرم سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م الشهير الذي سمح بتقسيم (فرز) العقارات المشتركة غير المنقولة فوحّد أسس تقسيم الأراضي الملك والأميرية والموقوفة ، وخوّل لأول مرة كل شريك الحق في أن يطالب شركاءه بالقسمة اتباعاً لأصول التشريع الفرنسي القاضي بأنه " لا يمكن ان يجبر أحد على البقاء في حالة الشيوع " .

وسار الإنكليز على النهج نفسه أثناء حكمهم البلاد . فقد أعطوا مأمور التسوية ، بموجب قانون تسوية حقوق ملكية الأراضي الصادر عام ١٩٢٨ ، السلطة المطلقة بأن يشرع فوراً بفرز (تقسيم) أية مساحة من الأرض المملوكة بأسلوب الاشتراك (أي المشاع) بعد تعيين حقوق المالكين ، إذا وجد المأمور أن في الفرز منفعة عامة . واستمد مأمورو التسوية ، وكان معظمهم من الصهيونيين الذين عملوا مع سلطات الانتداب في دائرة المساحة وتسوية الأراضي ، استمدوا سلطاتهم هذه من أوامر المندوب السامي البريطاني مباشرة .

وأجيز لكل مأمور القيام بفرز حصة أي شخص مالك لنصيب ما في أرض مشاع متى طلب المالك ذلك منفرداً . كذلك أجيز له أن يقسم أراضي المشاع في أية قرية بناء على رغبة مالكي ثلثي الحصص المدرجة في جدول الحقوق العقارية الخاصة بتلك القرية .

ورغم كل هذه الإجراءات والتشريعات بقيت نسبة لا يستهان بها من الأراضي ملكاً مشاعاً حتى اغتصاب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

تغيرت نظم حيازة الأرض وأساليب ملكيتها بالانتفاع بها جذرياً بعد قيام الصهيونيين بالهجرة إلى فلسطين لاستيطانها . وقد بدأت عمليات الاستيلاء على الأرض مبكرة عندما أنشأ المليونير اليهودي روتشيلد عام ١٨٨٣ رابطة الاستعمار اليهودي لفلسطين فاشترت منذ تأسيسها حتى أواخر عهد الانتداب سنة ١٩٤٨ ما يقرب من ٤٧٠ ألف دونم . كما أوكل مؤتمر بازل * سنة ١٨٩٧ إلى الصندوق القومي اليهودي (رَ : الكيرين كايميت) وشركة تطوير أراضي فلسطين * شراء الأطيان وتوطين المهاجرين فيها فبلغ ما ابتاعه الصندوق والشركة حتى عام ١٩٤٨ قرابة مليون دونم . وكانت أملاك الدولة مصدراً آخر للأراضي التي آلت ملكيتها إلى الصهيونيين . فبموجب البند رقم ٦٠ من معاهدة الصلح البريطانية التركية في لوزان سنة ١٩٢٥ آلت جميع الأراضي التي كانت بحيازة الحكومة العثمانية إلى إدارة الانتداب على فلسطين دون أي مقابل . ووضعت سلطة التصرف فيها آنذاك بيد المندوب السامي البريطاني موقتاً ، فكان من حقه وحده إجزال المنح منها ، أو تأجيرها ، أو السماح بالاستقرار فيها واستثمارها . وقد سارع اليهودي الإنكليزي هربرت صموئيل ، أول مندوب سام ، إلى تقديم ١٧٥ ألف دونم من أخصب أراضي الدولة على الساحل بين حيفا ويافا، قرب قيسارية* وعتليت هدية إلى أبناء مذهبه الصهيونيين أتبعها بعد ذلك بدفعة ثانية مقدارها ٧٥ ألف دونم على البحر الميت * لإقامة مشروع شركة البوتاس الفلسطينية ، فضلاً عن أراض شاسعة أخرى لم يكشف النقاب عن سعتها في منطقة النقب * . وتكررت هباته السخية من الأراضي الساحلية الخصبة حتى بلغ مجموع ما منح أو نقل إلى الصهيونيين من أراضي الدولة نحو مليون وربع من الدونمات ، أي ٥٨٪ من مجموع الأراضي التي كان يملكها الصهيونيون سنة ١٩٤٨ ، فأربت المساحات التي تحولت إليهم حتى قيام كيانهم على ٢,١ مليون دونم .

ورغم ذلك كانت غالبية الأراضي عام ١٩٤٨ ما تزال بأيدي العرب ، حتى قُدر ما كان بحوزتهم حينذاك بنحو ٦,٧ مليون دونم يضاف إليها ١٣٥ ألف دونم من بساتين الحمضيات * وأكثر من مليون دونم مغروسة أشجار زيتون * وفاكهة وموز * . ولا يدخل ضمن هذه المساحات أراضي المراعي . وقد شرعت سلطات الاحتلال الإسرائيلي بعد عام ١٩٤٨ تستولي على ممتلكات العرب بشكل رسمي عندما وضعت البلاد تحت أحكام ما أسمته « قانون الاستيلاء على أرض ساعة الطوارىء * » ، وهو القانون الذي خوّل الحاكم العسكري سلطة إعلان مساحات من البلاد « مناطق مغلقة » يحظر على العرب الدخول إليها أو الخروج منها . وفي ظل هذا القانون نقلت ملكية أراض عربية واسعة بحجة الأمن . كما سمحت مواد قانون أملاك الغائبين * لعام ١٩٥٠ باستغلال أملاك الغائبين واستملاكها على أنها أراض مهجورة آلت ملكيتها إلى (الدولة) بتقادم العهد . وقد استباحت سلطات الاحتلال في السنوات الأولى من تطبيق هذا القانون زهاء مليون وربع مليون دونم من أملاك العرب .

ولم تسلم أملاك الأوقاف الإسلامية من الاعتداء فعندما تولت سلطات الانتداب البريطاني حكم البلاد أوكلت إدارة الأوقاف إلى الهيئة الإسلامية العليا التي كانت تجبي إيجارات العقارات وأعشارها من المستغلين وتوزعها على المنتفعين من أفراد وهيئات . وظل الأمر كذلك حتى قررت الحكومة عام ١٩٣٥ دفع مبلغ سنوي ثابت مقداره ٣٠ ألف جنيه فلسطيني مقابل أعشار الأوقاف كبدل اعتباطي فلا تتجشم الهيئة مشقة الجباية .

وكان من المتوقع أن تحافظ سلطة الاحتلال الصهيوني على هذا الوضع لأنه أمر يمس تعاليم دين أهل البلاد . وعلى الرغم من أن قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم حفظت هذا الحق صراحة ، ضربت وزارة الأديان الإسرائيلية بكل ذلك عرض الحائط فأدخلت عائدات أوقاف المسلمين في الميزانية العامة ، بل حاولت اغتصاب المقابر وغيرها من أراضي الأوقاف .

وقد تابعت السلطات المحتلة سياستها المرسومة لنزع ملكية العرب المهجّرين والمقيمين في ظل احتلالها والاستيلاء على عقاراتهم وأراضيهم في عشرات المدن ومئات القرى متذرعة بشتى الوسائل ، مستغلة قوانين غاشمة سابقة ، أو فارضة تشريعات خاصة لهذا الغرض ، كقانون استملاك الأراضي * في عام ١٩٥٣ ، وتعديل قانون الأحراج والغابات * الموضوع من أيام الانتداب مرتين في عامي ١٩٥٦ و ١٩٦٠ . كل ذلك جرى في أكبر عملية نهب جماعية عرفها التاريخ ، على حد تعبير المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي . وقد ضربت سلطات الاحتلال طوقاً من السرية والتكتم على ممتلكات اللاجئين العرب فلم تسمح حتى للجنة التوفيق الدولية * المكلفة من قبل الأمم المتحدة بحماية ممتلكات اللاجئين بمعرفة شيء عنها . وظلت البيانات والمعلومات المتعلقة بحجم ممتلكات العرب المهجورة ، وتوزيعها الجغرافي ، وأساليب استثمارها ، وسياسة السلطات الإسرائيلية تجاهها، أموراً مبهمة

ومكتومة ، فلم يكشف النقاب قط عن سجلات ممتلكات الغائبين ، كما كانت جلسات الكنيست * التي نوقشت فيها هذه الأمور جلسات مغلقة دائماً . ولم تستطع الأمم المتحدة الحصول بصفة رسمية على أية بيانات بخصوص إدارة ممتلكات العرب والوسائل المتبعة في الحفاظ عليها ، والإبقاء على هويتها ، وإعادتها إلى أصحابها . " لقد أدمجت جميع ممتلكات الغائبين ـ ومعظمها من الأطيان الزراعية ـ في الكيان الاقتصادي للدولة الاسرائيلية " . هذا ما قاله مندوب (إسرائيل) لدى الأمم المتحدة ذات مرة في جلسة للمنظمة الدولية .

المراجع :

— Cattan, H.: **Palestine, The Arabs and Israel,** London 1968.
— Godabry, F.P. and Dukhan, M.J.: **The Land Law of Palestine,** Tel Aviv 1933.
— Granott, A.: **The Land System in Palestine: History and Structure,** London 1952.
— Hadawi, S.: **Bitter Harvest, Palestine between 1914 - 1967,** New York 1967.
— Weinstock, N.: **Le Sionisme Contre Israel,** Paris 1969.

أرض إسرائيل الكاملة (حركة ـ) :

ظهرت هذه الحركة بعد حرب ١٩٦٧ * مباشرة وتنامي الغطرسة والأوهام العنصرية الإسرائيلية . ويقف على رأسها الجنرال المتقاعد إبراهام يوفه الذي شارك في حرب ١٩٥٦ * وحرب ١٩٦٧ * ، وإسرائيل ألداد أحد القادة السابقين لمنظمة شتيرن الإرهابية (رَ : ليحي ، منظمة) .

وقد حظيت هذه الحركة بتأييد فئات واسعة من الإسرائيليين ، وضمّت في صفوفها شخصيات من مختلف الأحزاب ، وخاصة اليمينية .

أصدرت الحركة أول بيان سياسي لها في ١٩٦٧/١١/٢٦ ردّا على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ قالت فيه إن احتلال (إسرائيل) للأراضي العربية عام ١٩٦٧ هو استرداد لها رغم استمرار اقتطاع شرقي الأردن منها . ودعا البيان إلى الرد على قرار ٢٤٢ بالاستيطان في كل أنحاء المناطق المحتلة .

خاضت الحركة انتخابات الكنيست * السابعة لعام ١٩٦٩ إلى جانب قائمة كتلة غاحال *، وتمكن إبراهام يوفه من الفوز بعضوية الكنيست .

وقد مارست الحركة كثيرا من النشاطات السياسية ، ونظمت المهرجانات والمظاهرات المناوئة للانسحاب من الأراضي المحتلة ، ومن بينها مهرجان الاحتجاج على مشروع روجرز * (آب ١٩٧٠) ، والمظاهرة في كريات أربع تأييداً للمستوطنين (نيسان ١٩٧١)، والمظاهرة المناوئة للولايات المتحدة أمام السفارة الأميركية في تل أبيب (أيار ١٩٧٥) احتجاجاً على تزويد الأردن بالسلاح ، وقامت بغير ذلك من الأعمال المؤيدة للمستوطنين في كفر قدوم .

في آذار ١٩٧٦ قامت الحركة بالتعاون مع القائمة الرسمية وحزب المركز الحر * بتأسيس حزب " لاعام " الذي خاض انتخابات الكنيست التاسعة في إطار الليكود * وفاز بثمانية مقاعد ، وفاز في انتخابات الكنيست العاشرة بخمسة مقاعد . وتقف لاعام على يمين الليكود وهي أقرب إلى حزب " هاتحيا " الذي تتزعمه غيئولا كوهين .

المرجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية** لعام ١٩٦٧ ، بيروت ١٩٦٩ .

أرض بلا شعب لشعب بلا أرض :

رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين

الأرض للدراسات الفلسطينية (مؤسسة ـ) :

مؤسسة عربية مستقلة للأبحاث والدراسات أسسها حبيب قهوجي في دمشق (الجمهورية العربية السورية) في أيلول ١٩٧٣ وأطلق عليها اسم " مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية " وفاء لحركة الأرض * القومية التي كان أحد مؤسسيها في أواسط الخمسينات بين عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ .

هدف المؤسسة دراسة التجمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين المحتلة ، ومعرفة آلية عمل هذا الكيان ، ونشأته ، وتاريخه ، وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، ومخططاته ، وعلاقاته الخارجية ، ومتابعة ما يتعلق بالشعب العربي الفلسطيني وقضيته التي هي قضية الأمة العربية . وذلك بقصد الإسهام في مساعدة صانعي القرار العربي وذوي الاختصاص والإعلام في الساحة الفلسطينية وفي الوطن العربي على إدارة الصراع ضد العدو بطريقة علمية تقوم على الدراسة الموضوعية .

وتعتمد المؤسسة بشكل رئيس على المصادر الإسرائيلية والصهيونية للمعلومات تدرسها وتحللها بأقصى قدر من

الموضوعية مستفيدة من معرفة أعضائها وخبرتهم بشؤون التجمع الاستيطاني الصهيوني ولغته وتركيبه .

تصدر المؤسسة :

١) سلسلة من الكتب .

٢) سلسلة من الكتب المترجمة عن العبرية .

٣) مجلة الأرض نصف الشهرية .

٤) نشرة يومية عن الصحافة الإسرائيلية .

أقسام المؤسسة :

١) قسم الأبحاث والدراسات .

٢) قسم الترجمة من اللغة العبرية .

٣) المكتبة ، وتحتوي على حوالي سبعة آلاف كتاب بمختلف اللغات ، وفيها اللغة العبرية .

٤) قسم الوثائق : ويضم نحو ٣٨ ألف وثيقة عن الحركة الصهيونية ونشاطات الاستعمار في فلسطين والوطن العربي .

٥) قسم الأرشيف : وترد إليه حوالي ١٢٥ صحيفة ومجلة ودورية بمختلف اللغات، وفيها العبرية ، وتصنف حسب نظام خاص . كما يضم هذا القسم ترجمة عربية لجميع المقالات والدراسات التي تصدر في الصحف والمجلات الإسرائيلية والصهيونية . وقد انبثق عن هذا القسم « بنك» للمعلومات .

٦) قسم الطباعة والنشر والتوزيع .

يبلغ عدد العاملين في المؤسسة حوالي ٥٠ شخصاً ، بالإضافة إلى الأشخاص الذين تتعاون معهم من الباحثين والمترجمين وغيرهم .

الأرض الموعودة :

الأرض الموعودة ، أو أرض الميعاد ، أو أرض إسرائيل ، أو أرض المَعَادَ، أسماء مختلفة لمعنى واحد هو أرض فلسطين. والأرض الموعودة هي إحدى الحجج التي استخدمتها الصهيونية لدفع يهود العالم للهجرة إلى فلسطين واستعمارها . وتستغل هذه الحجة الحوافز الدينية المستوحاة من التوراة لتحقيق الأهداف الصهيونية .

يزعم اليهود أن الرب وعدهم بأرض فلسطين وأعطاهم إياها ردحا من الزمن . ثم وعدهم حين طُردوا منها بإرجاعهم إليها في الوقت المناسب . ولا ترسم التوراة نفسها حدوداً ثابتة لهذه الأرض . ففي حين ترد حدودها في الآية ١٨ من الإصحاح ١٥ من سفر التكوين " لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " ، تختلف حدودها في الآية ٨ من الإصحاح ١٧ من سفر التكوين " أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك ، كل أرض كنعان ملكاً أبدياً " .

ولم تقدم الحركة الصهيونية هي الأخرى حدوداً ثابتة ، فقد اكتفى إعلان قيام (دولة إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٤ بالإشارة إلى أرض (إسرائيل) ،مهد الشعب اليهودي ، دون أن يرسم لهذه الأرض حدوداً .

لقد استخدمت الصهيونية أسطورة أرض الميعاد ، أو أرض (إسرائيل)، لتأجيج الحماسة الدينية لدى اليهود للهجرة إلى فلسطين انطلاقاً من الادّعاءات التوراتية التي ترى أن أرض فلسطين ملك لليهود وحدهم ، وأن هذه الأرض لا وجود لها خارج التاريخ اليهودي . ولعل هذا هو الأساس الذي خرجت منه عبارة « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

وبالإضافة إلى ذلك مكّن مصطلح أرض الميعاد الصهيونية من تحاشي استخدام مصطلح أرض فلسطين الذي ينسف ادعاءاتهم من أساسها بما يحمله من دلالات على الوجود التاريخي غير اليهودي في فلسطين .

المراجع :

ـ عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ القضية الفلسطينية أو الخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .

إرغون تسفاي لئومي :

اسمها العبري الكامل هو "إرغون تسفاي لئومي بارتس يسرائيل " ، أي "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل " .

تأسست هذه المنظمة السرية عام ١٩٣١ بالاشتراك مع جماعة مسلحة من حركة بيتار الإرهابية والهاغاناه * (ب) احتجاجاً على ما اعتبر " سياسة الهاغاناه الدفاعية " . وكان فلاديمير جابوتنسكي الزعيم الصهيوني المتطرف هو الأب الروحي للمنظمة ، ودافيد رازيل القائد العسكري لها ، وابراهام شتيرن رئيسها السياسي . أما شعارها فكان يدا تمسك بندقية مكتوبا تحتها " هكذا فقط " . وقد شنّت هذه العصابة عمليات إرهابية ضد العرب والإنكليز في فلسطين ، وقامت بتهريب اليهود إليها . وفي عام ١٩٤٠ انشقّت جماعة شتيرن (رَ : ليحي ، منظمة) عن الإرغون حينما اتجهت المنظمة الأم إلى التعاون مع القوات البريطانية ، خاصة في مجال المخابرات .

وفي عام ١٩٤٣ استلم مناحيم بيغن زعامة الإرغون التي صعّدت عملياتها الإرهابية ضد العرب . وأهم تلك العمليات نسف فندق الملك داود في القدس في ١٩٤٦/٧/٢٢ ، والهجوم الوحشي

على قرية دير ياسين العربية في ١٩٤٨/٤/٩ (رَ : دير ياسين ، مذبحة) .

وكانت علاقات المنظمة مع الهاغاناه والوكالة اليهودية * تراوح بين العداء والتحالف بحسب المواقف السياسية . وقد اتجهت علاقاتها بسلطة الانتداب البريطاني مع مطلع عام ١٩٤٤ إلى الصدام كجزء من المخطط الصهيوني للضغط على بريطانيا كي تتخلى عن انتدابها وتمكّن الصهيونية من إعلان دولتها .

وفي أيلول ١٩٤٨ دمجت الإرغون في الجيش الإسرائيلي بناء على أوامر الحكومة الإسرائيلية ، وكان بن غوريون يومئذ هو رئيس الحكومة ووزير الدفاع ، فقامت قوات الهاغاناه بتطويق مراكز الإرغون في منطقتي ناتانيا * وتل أبيب * ، وجردت أفرادها من السلاح ، وأمرتهم بالانضمام بالقوة إلى قوات الجيش. وأسس بيغن بعد ذلك حزب حيروت * الذي حمل الايديولوجية العنصرية الإرهابية نفسها . وقد كرم رئيس (الدولة) قيادات الإرغون في تشرين الثاني ١٩٦٨ " لدورهم القيادي " في خلق (دولة إسرائيل) .

الإرهاب الدولي :

كثرت في الستينات ومطلع السبعينات من القرن العشرين حوادث اختطاف الطائرات واغتيال الزعماء السياسيين والممثلين الدبلوماسيين والمسافرين والسائحين ، أو احتجازهم رهائن من أجل الابتزاز المالي أو الحصول على اللجوء السياسي ، أو غيرهما من الأغراض . وقد انتهزت القوى الاستعمارية والعنصرية والصهيونية هذه الحوادث ، وسعت إلى استغلالها لمقاومة حركات التحرر الوطني والقضاء عليها ، وبخاصة حركة المقاومة الفلسطينية .

وكانت الأمم المتحدة قد أخذت تهتم بهذا النوع من الحوادث التي أدرجت تحت مصطلح « الإرهاب الدولي » ، فأعدت " مشروع اتفاقية خاصة بالجرائم ضد سلام الإنسانية وأمنها " ، و" مشروع اتفاقية لمنع المخالفات المرتكبة ضد الدبلوماسيين وغيرهم من الأشخاص الذين لهم حق التمتع بحماية دولية " . كما وضعت منظمة الطيران المدني الدولية ثلاث اتفاقيات بشأن : المخالفات المرتكبة على متن الطائرات (اتفاقية طوكيو ١٩٦٣) ، والحجز غير الشرعي للطائرات (اتفاقية لاهاي ١٩٧٠) ، والأعمال غير الشرعية الموجهة إلى أمن الطيران المدني (اتفاقية مونتريال ١٩٧١) .

وعلى الرغم من ذلك ظل موضوع الخلط بين حوادث الإرهاب ونشاط حركات التحرر الوطني بعيداً ، إلى حدّ ما ، عن الأمم المتحدة . لكن الصهيونية * والقوى الإمبريالية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية * شدّدت عام ١٩٧٢ ضغطها على المنظمة الدولية كي تعالج موضوع " الإرهاب الدولي " ، وتتخذ التدابير التي تؤدي إلى الحدّ من أعماله ومظاهره . وقدّم المندوب الإسرائيلي في هيئة الأمم المتحدة رسالة إلى الأمين العام طلب فيها من المنظمة الدولية " أن تتحرك بصورة فعالة وبلا تردد لتضع حداً للارهاب " ، وطالب بالضغط على الدول العربية كي تمنع وجود منظمات المقاومة الفلسطينية على أراضيها ، وهدد هذه الدول بأن (إسرائيل) ستتخذ " جميع التدابير الضرورية لتدافع عن نفسها " .

وبنتيجة هذا كله قدّم الأمين العام للأمم المتحدة يوم ١٩٧٢/٩/٨ اقتراحا إلى الجمعية العامة في دورتها السابعة والعشرين طلب فيه " دراسة التدابير المانعة للإرهاب الدولي ، ولأشكال العنف الأخرى التي تعرّض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرّض الحريات الأساسية للخطر " . وعلّل الأمين العام طلبه بقوله : " إن العالم يخضع في الوقت الحاضر لموجة من الأعمال الإرهابية أودت بحياة عدد من رجالات الدول والدبلوماسيين ، بالإضافة إلى أنها أزهقت أرواح أناس كثيرين كان خطؤهم الوحيد أنهم ينتمون إلى عرق أو ديانة أو دولة معينة " .

وقد دفع ذلك الدول العربية في الأمم المتحدة إلى التحرك ، فأوضحت للأمين العام أن عنوان الموضوع ، حسب اقتراح الأمين العام ، شامل ، واسع الإطار ، ويُخشى أن تستغلّه الدول المعادية لحركات التحرر الوطني فتحشر أعمال هذه الحركات ضمن إطار الإرهاب ، وفي ذلك انتهاك لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها .

حينذاك صرّح الأمين العام بأنه ليس من المناسب دراسة ظاهرة الإرهاب " دون الأخذ بعين الاعتبار بالأسباب الكامنة

وراءها " ، وأوضح أنه لم يهدف باقتراحه إلى " المسّ بالمبادىء التي حددتها الجمعية العامة فيما يتعلق بالشعوب المستعمرة أو غير المستقلة التي تناضل للحصول على استقلالها وحريتها " .

ولما بدأت دورة الجمعية العامة السابعة والعشرون في أيلول ١٩٧٢ تحدّث ٩٢ وزير خارجية ـ من بين ١٢٨ وزيراً ألقوا بيانات في الجمعية ـ عن الإرهاب الدولي ، فدان معظمهم الإرهاب إذا كان القصد منه نشر الرعب ، أو الابتزاز ، أو الكسب غير المشروع ، أو الاغتصاب ، أو قتل الأبرياء . وراحوا يرسمون الخطوط الفاصلة بين الإرهاب وأعمال التحرر الوطني ، وأوضحوا أن حركات التحرر الوطني يحقّ لها أن تستخدم جميع الوسائل المتوفرة لديها في سبيل تحقيق أهدافها وحصولها على حقوقها التي نصّ عليها ميثاق الأمم المتحدة وقرارتها .

وانبرت وفود الولايات المتحدة و(إسرائيل) وبعض دول أوربا الغربية وأمريكا اللاتينية تدين الإرهاب بمختلف أشكاله دون النظر إلى دوافعه وأسبابه ، وتطالب باتخاذ التدابير لمنعه والحدّ من أعماله وآثاره . وكان وزير الخارجية الأمريكية أكثر رؤساء الوفود حماسة ، فوزّع مع خطابه مشروع اتفاقية دولية في هذا الشأن .

وحينما عرض موضوع بند الإرهاب الدولي كما اقترحه الأمين العام على الجمعية العامة لإدراجه على جدول أعمالها أقرت الجمعية العامة ، باقتراح من أحد الوفود العربية ، إضافة فقرة إلى عنوان الموضوع بحيث أصبح : "التدابير المانعة للإرهاب الدولي ولأشكال العنف الأخرى التي تعرض الأرواح البشرية البريئة للخطر ، أو تودي بها ، أو تعرض الحريات الأساسية للخطر ، ودراسة الأسباب الكامنة وراء أشكال الإرهاب وأعمال العنف التي مردّها إلى البؤس وخيبة الأمل والحيف واليأس ، والتي تدفع ببعض الناس إلى إزهاق الأرواح البشرية بما فيهم أرواحهم هم أنفسهم في محاولة لإحداث تغييرات أساسية " .

درست اللجنة القانونية (إحدى اللجان الرئيسة السبع المتفرعة عن الجمعية العامة) موضوع الإرهاب الدولي بالعنوان الوارد أعلاه ، فتباينت الآراء ، وتعددت الاجتهادات ، واصطدمت الاتجاهات ، وتجسّد ذلك كله في ثلاثة مشاريع قرارات قدمت أولها الولايات المتحدة ، وثانيها بعض دول أوربا الغربية وأميركا اللاتينية * ، وثالثها مجموعة من الدول غير المنحازة . وقد تبنت الجمعية العامة بأكثرية أعضائها (٧٦ ضد ٣٥ ، واستنكاف ١٧) مشروع قرار الدول غير المنحازة . وصدر القرار برقم ٣٠٣٤ (د ـ ٢٧) وتاريخ ١٨/١٢/١٩٧٢ .

طلب القرار من الدول الأعضاء أن تعكف على دراسة الحلول العادلة والسلمية التي تؤدي إلى إزالة الأسباب الكامنة وراء أعمال العنف ، وبيّن أن الجمعية العامة تؤكد " الحق الثابت في تقرير المصير والاستقلال لجميع الشعوب الخاضعة للأنظمة الاستعمارية والعنصرية ولغيرها من أشكال السيطرة الأجنبية ، وتؤكد شرعية نضالها ، وبصورة خاصة نضال حركات التحرر الوطني ، وفق أهداف ومبادىء الميثاق وقرارات أجهزة الأمم المتحدة " . ودان "أعمال القمع والإرهاب التي تستمر الأنظمة الاستعمارية والعنصرية والأجنبية بممارستها حارمة الشعوب من حقها الشرعي في تقرير مصيرها واستقلالها ومن حقوق الإنسان الأخرى والحريات الأساسية " . وقررت الجمعية العامة تشكيل لجنة خاصة مؤلفة من ٣٥ دولة ، وطلبت من جميع الدول أن تقدم إلى هذه اللجنة الخاصة اقتراحاتها لإيجاد حل لمشكلة الإرهاب . وكلفت اللجنة أن تقدم تقريرها إلى الجمعية العامة في دورتها الثامنة والعشرين (١٩٧٣) .

قادت الولايات المتحدة معارضة هذا القرار في الجمعية العامة ، وأعلن رئيس وفدها أن بلاده ستعمل على اتخاذ التدابير المناهضة للإرهاب بالتعاون مع دول أخرى خارج إطار الأمم المتحدة ، وقال : " إننا مضطرون إلى سلوك هذا السبيل ما دامت عطالة الأمم المتحدة تجبر الدول على التلاقي خارجها " . وكان مندوب (إسرائيل) أكبر مناصر للمندوب الأميركي في تهجمه على المنظمة الدولية وتجريحه القرار ، وقال : " إن النهاية التي انتهت إليها مناقشة الإرهاب ليست سوى طلقة الرحمة أطلقت على كيان الأمم المتحدة " .

تصدت الوفود العربية والإفريقية وغيرها لجميع هذه المفاهيم الأمبريالية والصهيونية وكشفت بطلانها وكذبها ، وبخاصة أنها حاولت أن تخنق حركات التحرر الوطني تحت ستار الحد من أعمال الإرهاب الدولي . وكان بحث موضوع الإرهاب في الجمعية العامة فرصة مناسبة لكي تفتح الوفود العربية والصديقة ملف الإرهاب الصهيوني وتاريخه ومآسيه وأهدافه .

استمر عمل اللجنة الخاصة بالإرهاب الدولي سنوات . وقد اتخذت الجمعية العامة في الدورة ٣٤ قرارا رقمه ١٤٥/٣٤ وتاريخه ١٧/١٢/١٩٧٩ نص على أن تدرس الجمعية العامة في دورتها السادسة والثلاثين (أيلول ١٩٨١) تقرير اللجنة الخاصة . وجاء في إحدى فقرات هذا القرار " تسلم الجمعية العامة بأنه ينبغي لها ولمجلس الأمن ، من أجل الإسهام في القضاء على الأسباب الكامنة وراء الإرهاب الدولي ومشكلة الإرهاب الدولي ، أن يوليا اهتماماً خاصاً لجميع الحالات ، بما في ذلك ، في جملة أمور ، الاستعمار والعنصرية والحالات التي تنطوي على الاحتلال الاجنبي ، أي الحالات التي قد تدفع إلى الإرهاب الدولي ، وقد تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر ، وذلك بقصد تطبيق ما يتصل بالموضوع ،

حيثما أمكن ذلك ، من أحكام ميثاق الأمم المتحدة ، بما في ذلك الفصل السابع منه " .

ولا تزال الجمعية العامة للامم المتحدة تناقش هذا الموضوع حتى دورتها السابعة والثلاثين (١٩٨٢) .

المرجع :

ـ محاضر وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة .

الإرهاب الصهيوني :

أمام الباحث في أمر الإرهاب الصهيوني فرصة نادرة لا يمكن أن تتاح لأي باحث في الإرهاب مهما كان اتجاهه أو جنسيته . ذلك أن قادة الإرهاب الصهيوني نشروا مؤلفات ضخمة بحثوا فيها ، باسهاب وتفصيل دقيقين ، مختلف المنظمات الإرهابية التي كانوا ينتمون إليها ، والعقائد الأساسية (الايديولوجية) التي قامت عليها ، ونشوءها وتنظيمها وأهدافها ، ووصفوا بإسهاب الجرائم التي ارتكبوها ، أو التمثيل الذي عمدوا إليه بكل صراحة ووضوح ودون خجل أو خوف أو تردّد . وليس من المبالغة القول إنك لا تجد في أي تراث عسكري سياسي لأي شعب من شعوب العالم مثل هذا التراث الرهيب عن الإرهاب الصهيوني . إن مجرد الكشف عن هذه الحقائق بهذا الوضوح وتلك الصراحة من قبل قادة الإرهاب الصهيوني ، ونفر من الذين ارتكبوا أبشع الجرائم التي يمكن أن يقترفها بشر ضد بشر ، بل يهود ضد يهود عندما كانت المصلحة الصهيونية تقضي بذلك ، هو بحد ذاته تَحَدٍّ للعقل والضمير الإنسانيين .

على أنه لا بد أولاً ، وقبل بحث المرتكزات العقائدية والفكرية التي قامت عليها ايديولوجية الإرهاب الصهيوني ، أن نعتمد نقطة لبداية الإرهاب هي مرحلة التخطيط له والتصميم عليه قبل اقترافه ، كما أن التصميم على الحرب والتخطيط لها سابقان لتنفيذها .

فالقرار العقلي الذي تم بموجبه تجريد شعب بكامله من حقوقه قبل القضاء عليه هو بصورة أكيدة أول مصدر من مصادر العنف وأسبق من أي مصدر آخر . ففي وقت لم يكن فيه عدد اليهود في فلسطين يزيد كثيرا على عشرين ألفا كتب هرتزل عام ١٨٩٦ في كتابه « دولة اليهود » يقول بشكل جازم : " إن دولة اليهود يجب أن تشكّل في فلسطين جزءاً لا يتجزأ من سور الدفاع عن أوربا في آسيا ، وقلعة متقدمة للحضارة ضد البربرية " . وكتب في مذكراته : "سنحاول أن نخرج السكان المعدمين عبر الحدود بأن

نسف فندق الملك داود في القدس ١٩٤٦

نجد لهم عملاً في البلاد التي نطردهم إليها وننكر عليهم أي عمل في بلدنا" . وتابع قائلاً : "إذا انتقلنا إلى منطقة توجد فيها حيوانات مفترسة لم يتعوّد عليها اليهود ـ كالأفاعي الكبيرة مثلاً إلخ ـ فسأحاول أن استعمل السكان البدائيين للقضاء على هذه الحيوانات قبل أن أجد لهم عملا في البلاد التي يعبرون إليها " . ذلك كله كان المصدر الأول والأساسي للإرهاب والعنف .

وعندما وصف وعد بلفور * عام ١٩١٧ الأغلبية الساحقة من العرب في فلسطين بأنها « السكان غير اليهود » كان هذا الوصف المبهم يعني في ذهن صاحب الوعد وفي الزمن الذي صدر فيه « السكان البدائيين » ممن هم أحط من أن ينظر فيهم ، أو أن تكون لهم حقوق « الأسياد » ، وهو بذلك يشجع العنف الصهيوني الاستعماري على أن يتمادى ضد أولئك « البدائيين » ، ويشكل أيضاً عملاً أوّلَ من أعمال العنف .

وعندما قدم وايزمن إلى المجلس الأعلى لمؤتمر السلام المنعقد في باريس مذكرته المعروفة المؤرخة في ١٩١٩/٢/٣ التي تضمنت " الحد الأدنى لدولة اليهود المقبلة " وأدخل فيها كل فلسطين وجنوبي لبنان وجنوبي سورية حتى دمشق وخليج العقبة ، وخط

حديد الحجاز حتى معان ، ومنابع مياه الأردن في سفوح جبل الشيخ ، كان ذلك فعلاً من أفعال العنف أيضاً .

وعندما قال بلفور في ١٩١٩/٨/١١ للوزارة البريطانية : " في فلسطين ، نحن لا نفكر البتة أن نعمد إلى أي شكل من استشارة السكان الحاليين ومعرفة رغائبهم " ، كان يضع أساسا من أسس الإرهاب الصهيوني الذي نشأ واستمر ، وما زال مستمرا ضد العرب حتى اليوم .

ومن خلال كتابات الإرهابيين الصهيونيين نجد العقيدة الصهيونية قد بنيت ـ بين ما بنيت عليه ـ على المقدمات التالية :

١) الإيمان بالعسكرية إيماناً مطلقاً ، وتنشئة الأجيال المتعاقبة من الصهيونيين عليها حتى تصبح قسما من تكوينهم .

٢) نقض الحقوق الطبيعية للعرب نقضاً مطلقاً إلى درجة تصبح فيها جريمة إبادة الجنس العربي بالنسبة إلى الصهيوني عملاً مطلوباً من أجل ذاته .

٣) تبرير اللجوء إلى أية وسيلة ، مهما كانت ممعنة في الإجرام ، لتحقيق الأهداف المقدسة للصهيونيين في (أرض إسرائيل) ، حتى ليغدو القتل والاغتيال والإرهاب من عاديات الحياة اليومية .

٤) اعتماد قانون أعلى، هو « الحق المطلق » بالنسبة إليهم أو إلى « مطلق صهيوني» ، يضع الصهيونيين كلهم في جهة وباقي الجنس البشري في جهة أخرى أدنى منهم .

٥)الارتسام والدخول في « كهنوت صهيوني » غايته إنقاذ « وطن اليهود » حتى يصبح الحقد الأعمى ضد العرب من مقومات الإيمان ، وتطهير (أرض إسرائيل) من العرب سبيلاً لتحقيق المثل الصهيوني الأعلى .

٦) الجاسوسية التي لا تحجم عن ارتكاب أية جريمة لتحقيق أهدافها .

٧) الإيمان بأن الهجرة " اللاشرعية " إلى فلسطين ، دون الإحجام عن أية وسيلة لتحقيقها ، هي مجرد مرحلة للغزو الاستيطاني الصهيوني .

وتتوافر الأدلة التي توضح هذه المجموعة الرهيبة من عناصر العقيدة الصهيونية في كل مصدر من مصادر التراث الصهيوني الإرهابي . كتب موشي مينوحين الذي نشأ صهيونياً في فلسطين ثم ارتدّ عن الصهيونية ما يلي : " نحن أوائل المتخرجين من « المعبد المقدس » للقومية اليهودية السياسية ، نذرنا نفوسنا و« ارتسمنا » لننقذ « الوطن اليهودي » بأي ثمن كان ، ولنطهر فلسطين من كل من لم يكن يهودياً ـ غوييم ـ . . . أعرف من أي مصدر أتكلم . فقد تبعت أعمال « عصابتي » خلال هذه السنوات كلها . واحتجت إلى حياة كاملة كي أفصل نفسي عن هذه الفلسفة البدائية الهوجاء في القومية اليهودية التي أراها شكلاً مَرَضِيًّا من الأنانية الجماعية . هذه القومية التي تعتبر ذاتها « مطلقاً » يدين لها العالم بكل شيء ، ولا تدين لأحد بأي شيء " .

ويقول جابوتنسكي مخاطباً الصهيوني : "كل إنسان آخر على خطأ ، وأنت وحدك على صواب . لا تحاول أن تجد أعذاراً من أجل ذلك ، فهي غير ضرورية ، وهي غير صحيحة . وليس بوسعك أن تعتقد بأي شيء في العالم إذا اعترفت ، ولو لمرة واحدة ، أن خصومك قد يكونون على صواب لا أنت ، فهذه ليست الطريقة لتحقيق أي أمر . لا توجد في العالم إلاّ حقيقة واحدة ، وهي بكاملها ملكك أنت " .

وهناك قصة قديمة تروى عن شاب سئل في الكيبوتز : كيف ترى المشكلة العربية ؟ فأجاب : " من خلال فوهة البندقية " . وكتب بيغن : " تعلّمت منذ حداثة سنّي عن أبي أننا ، نحن اليهود ، لا بد أن « نعود » لأرض إسرائيل . ولا يجوز مطلقاً القول أن « نذهب » أو « أن نسافر » أو « أن نأتي » ، بل بكل حزم أن نعود . ذلك هو الفارق الكبير . وهو فارق شامل كل الشمول " . ويعطي بيغن التحديد الجغرافي (لأرض إسرائيل) فتشمل بالإضافة إلى فلسطين كلها ضفتي الأردن جميعاً ، ويعتبرها إرثاً للشعب اليهودي بكامله . أما عن الشرعية المطلقة المتجسمة في العقيدة الصهيونية فيقول : " لكي تتمكن من المحافظة على باب مفتوح مع الحركة السرية تحتاج إلى شيء أكثر من مجرد استعمال الأسماء الملفقة . إن أكثر الأمور ضرورة هو الشعور الداخلي الذي يحوّل ما هو « شرعي » إلى « غير شرعي » وما هو « غير شرعي » إلى « شرعي » و« مبرر » . لقد كنا مقتنعين « بالشرعية » المطلقة لأعمالنا « اللاشرعية »" . وفي هذا الإطار عن « شرعية » « اللاشرعية » يقول جابوتنسكي : " القول إن ابني يعمل في الهجرة « اللاشرعية » لإيصال اللاجئين اليهود إلى فلسطين شرف لا يحق لي أن أناقشه " .

تتضح هذه المنطلقات الأساسية في العقيدة الإرهابية الصهيونية بازدياد عند الرجوع إلى أمرين :

١) التاريخ الحقيقي لنشوء المنظمات الإرهابية « الأم » التي تفرعت عنها المنظمات التابعة .

٢) السرّيّة المطلقة في تشكيلها .

ولئن جرى تعداد مختلف المنظمات الإرهابية فسيكون التركيز هنا على المنطلقات العقائدية التي تشكل بمجموعها ما يمكن أن يسمى بحق « فلسفة الإرهاب الصهيوني » التي ما زالت حتى اليوم تشكّل العقلية الخلفية للعقيدة الصهيونية التي لم تتغير . وأهم ما يشدد عليه في هذا المدخل أن ما دعي بالمنظمات الأم ، كالهاغاناه * والهاشومير * ، إنما نشأت أصلاً في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل

القرن العشرين في أوربا الشرقية ، ولها غاية واحدة هي غزو فلسطين وإخراج العرب منها . وأن الوافدين الأوائل من اليهود، وجلّهم حينذاك من أوربا الشرقية ، لم يكونوا « مهاجرين » أو « لاجئين » إلى « ملجأ أمين » ، بل كانوا في الواقع طلائع الغزوة الصهيونية . ولم يكن وعد بلفور أو الانتداب البريطاني إلا من الوسائل التي سعت إلى إضفاء صبغة الشرعية الدولية على الغزوة الاستيطانية .

أ ـ الهاغاناه : يقول ييغال آلون ، أحد ضباط الهاغاناه ، ومن قادة البالماخ في كتابه « تكوين الجيش الإسرائيلي » : " منذ عام ١٨٨٠ ، عندما كانت البلاد لا تزال تحت الحكم العثماني ، ولم يكن عدد السكان يزيد على بضع عشرات من الألوف (يحدّد آلون عدد اليهود حينذاك في فلسطين كلها بأنه ٢٤,٠٠٠ ، نصفهم يعيش في القدس * والنصف الآخر موزع في الجليل وصفد * وطبرية * ويافا * وعكا *) ابتدأ تشكيل خلايا سرّية للدفاع ضد السرقة والسطو والقتل والاغتيال . ولم تكن لهذه التنظيمات صفة سياسية ، ولكن ترتب عليها بصورة غير مباشرة نتائج سياسية . وهكذا تشكلت منذ بداية هذا العصر نوى متعددة مختلفة لمنظمات عسكرية يهودية سرّية ذات اتجاهات سياسية ، وأهمها فرق الهاشومير التي تعتبر المنظمات التي سبقت الهاغاناه . وقد أخذت هذه الفرق تفكر في هذه المرحلة في أن يكون دفاعها عن اليهود على مستوى وطني قومي واسع . وكانت مستعدة دوماً للدفاع عن أية مستعمرات يهودية مهما كانت بعيدة أو نائية ، بل كلما كانت أبعد كانت أفضل . وأخذت تحمي هذه القرى النائية بالاشتراك مع الفلاحين والمزارعين فيها " .

ومما أدى إلى تقوية الهاغاناه في الفترة من ١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ تدفق المهاجرين اليهود من عدة بلاد ، وخاصة من أوربا الشرقية . ولم تكن هذه التقوية في العدد فحسب بل في النوع أيضاً ، لأن أغلبية المهاجرين الجدد كانت من الشباب ، وكلهم مثاليّ متحمس ، والكثير منهم اكتسبوا خبرة بالتنظيمات شبه العسكرية والسرية عندما كانوا يدافعون عن الأحياء اليهودية في شرقي أوربا أثناء تعرضها للهجوم .

وقد أثر على تكوين الهاغاناه وذهنية المنخرطين فيها اختيار أمكنة المستعمرات اليهودية الذي كان خاضعاً لأهداف استراتيجية وسياسية محض . ولم يكن العامل الاقتصادي وحده هو العامل المؤثر في اختيار مواقع المستعمرات ، ولكن حاجات الدفاع المركزي والاستراتيجية الشاملة للاستيطان التي كان هدفها الرئيسي ضمان وجودٍ سياسي يهودي في جميع أنحاء البلاد ، والدور الذي يمكن أن تلعبه مثل هذه المستعمرات في المستقبل ، خاصة في مجابهة حاسمة لا بد من وقوعها يوماً ضد العرب ، كانت كلها أكثر أهمية من العمل الاقتصادي في نظر المخططين للاستيطان الصهيوني . وهكذا نشأت المستعمرات ، على مختلف أنواعها ، منعزلة ، تفصل الواحدة عن الأخرى المسافات الجغرافية والحواجز الطبيعية . والنتيجة أن كل مستعمرة يهودية جاءت قلعة محصنة للهاغاناه . وقد رافق التخطيط الاقتصادي والزراعي التخطيط العسكري ، وكانت موازنة الهجرة تعنى بالسيف وبالمحراث معا ، وتؤمن احتياجاتها جنباً إلى جنب .

وقد أدخلت هذه الحاجات عدة عناصر جديدة في تفكير الهاغاناه العسكري وأسلوب تنفيذ مخططاتها . وشمل ذلك وضع استراتيجية متماسكة متكاملة تأخذ بعين الاعتبار الحاجات العسكرية في مختلف أنحاء البلاد ، والقدرة على التحرك السريع ، والاستعمال الأكبر للأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة . وفوق ذلك كله أدّى تطور الهاغاناه إلى إقامة قيادتين سريتين ؛ قيادة مدنية عليا ، وقيادة عسكرية عليا لها رئاسة أركان كاملة ، وتخضع القيادتان للتنظيم الصهيوني المتمركز في الوكالة اليهودية .

ب ـ الهاشومير (فرق الحراس): يذهب عاموس برلمتر في كتابه « العسكرية والسياسة في إسرائيل » إلى أن أولى قوى الدفاع اليهودي تشكلت في الشتات في أوربا الشرقية أواخر القرن التاسع عشر ، وأن حزب بوعالي صهيون * ، وهو الحزب الذي سبق الحركة الاشتراكية الصهيونية ، هو الذي أشرف أيضاً على تشكيل فرق الحرس في فلسطين عام ١٩٠٥ ، ثم حلت محلها عام ١٩٠٩ فرق الحرس المعروفة بهاشومير . ولم تكن فرق الهاشومير في بدايتها تشكل مجموعة متماسكة من الصهيونيين بل مزيجا من الصهيونيين من شرقي أوربا وأوكرانيا والقفقاس ، ثم انضم إليها يهود روسيون ماركسيون وبثّوا فيها روحا محاربة . والذي أبقى على فرق الهاشومير حتى منتصف العشرينات قرب التزامها الايديولوجي والقومي من الفئات الاشتراكية الرائدة في فلسطين .

وكانت فرق الهاشومير تعمل كنواة تآمرية (وقد استعمل برلمتر هذا التعبير) تغلغلت في معظم المنظمات الاشتراكية الصهيونية في فلسطين لتنافس عمل الهستدروت * . وهكذا سعت فرق الهاشومير الماركسية تحت ستار تأمين الدفاع أن تحوّل فعالية الصهيونية الاشتراكية إلى اتجاه ماركسي .

جـ ـ فرق العمل : شكلها يوسف ترمبلدور ، وهو صهيوني اشتراكي راديكالي ، ومحارب قديم اشترك في الحرب الروسية ـ اليابانية عام ١٩٠٥ . وقد اشترك مع جابوتنسكي ووايزمن في الدعوة لتشكيل فرقة يهودية تحارب في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . وقد تم تشكيلها بالفعل ، وكانت القاعدة لبنية سياسية تنافس حولها عدد من الأحزاب الصهيونية عندما قاربت الحرب العالمية الأولى نهايتها . وقد نظر جابوتنسكي إلى الفرق

اليهودية على أنها المرحلة الأولى من تطوير جيش يهودي في فلسطين . وقام جابوتنسكي بجهود كبيرة لإبقاء الفرق اليهودية كطلائع جيش الاحتلال اليهودي في فلسطين .

ولعل من الضروري التوقف لاستخلاص بعض النتائج المترتبة على هذه المرحلة الأولى مرحلة ولادة الارهاب الصهيوني . ومن الواضح أن هذه الروايات المتعددة والمتفقة فيما بينها حول نشأة الإرهاب الصهيوني تثبت النتائج الأولية التالية :

١) تعود نشأة الحركات الإرهابية الصهيونية إلى ولادة الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر في أوربا . وقد بدأت هذه الحركات الإرهابية تعمل بكل تأكيد في مطلع هذا القرن في أوربا الشرقية لتجعل مجيء اليهود إلى فلسطين ، أو على حد تعبيرهم « عودتهم لأرضهم »، غزوة عسكرية استيطانية . كما تعود قواعد الإرهاب وإطارات تشكيلاته إلى ما قبل وعد بلفور وإلى ما قبل الانتداب البريطاني على فلسطين بعقدين على الأقل .

٢) كانت المستعمرات اليهودية منذ تأسيسها قلاعاً عسكرية . وهي ، وإن كانت دفاعية في مرحلتها الأولى ، مجهزة لتصبح قلاعاً للهجوم والتوسع .

٣) الدمج الكامل في الاستيطان الصهيوني بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية ، تغذي الواحدة الأخرى باستمرار ، وكلما قضت الحاجة بذلك . بل إن المؤسسة العسكرية هي القاعدة الكبرى التي تغذت وما زالت تتغذى منها المؤسسة المدنية ، بدليل العدد الكبير من القادة العسكريين الإسرائيليين الذين انتقلوا ، فيما بعد ، إلى القيادة السياسية وإدارة الدولة . والانتقال من الواحدة للأخرى في زمن الحرب سهل وشبه آلي . ويترتب على ذلك أن المجتمع الإسرائيلي هو في أصله وتكوينه واتجاهه مجتمع عسكري عدواني .

٤) إن جمع الأسلحة وإخفاءها والتدرب عليها يعود لأواخر الحرب العالمية الأولى .

٥) إن المؤسسة الجاسوسية الصهيونية ، وهي كلها جزء لا يتجزأ من الارهاب الصهيوني وقسم منه ، رافقت المؤسسة العسكرية الصهيونية منذ الحرب العالمية الأولى مرافقة الظل للأصل .

٦) كان للفرقة اليهودية التي حاربت في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الأولى الأثر الأقوى في تكوين العسكرية الصهيونية التي قام عليها الإرهاب الصهيوني ، وفي ازدواجية الولاء عند كل صهيوني . فالجنود والمتطوعون الأميركيون والبريطانيون اليهود منذ ذلك الحين أحسوا بواجب الخدمة العسكرية في صفوف المستعمرين اليهود في فلسطين وإنشاء المستعمرات اليهودية بالقوة .

٧) تظهر العرقية ويبدو الاستعلاء العنصري منذ بداية الحركة الصهيونية . فالأحاديث عن الإرهاب الصهيوني في جميع المصادر التي اعتمدناها تشير كلها إلى العرب « كبدو » و« رجال عصابات » و« لصوص » و« قتلة » . وهذا يضع اليهود الصهيونيين ، منذ بدء المجابهة ، على مستوى أعلى من العرب في نظر أنفسهم ، ولا يتركون ثمة مجالا لشك القارىء في أنهم من طينة أعلى .

٨) هذا كله لم يمنع الذين أرّخوا للإرهاب الصهيوني ـ الذي كان قاعدة للعسكرية الإسرائيلية فيما بعد ـ من الاعتراف بقوة المقاومة العربية للغزوة الصهيونية منذ العشرينات ، وأنها كانت عاملا فعالاً في سعي المنظمات الإرهابية لتقوية نفسها وزيادة تسلحها .

لقد تجرّد الصهيونيون اليهود ، والإسرائيليون فيما بعد ، من كل الضوابط الأخلاقية العادية التي يأخذ بها جميع الناس ، وحللوا لأنفسهم ارتكاب أية جرائم وحشية بربرية ، ومنها جرائم الاغتيال ، وكل ذلك من أجل (الدولة) . لقد ضم كتاب « تاريخ الهاغاناه » لبن زيون دينور لوائح بأسماء الزعماء العرب الذين قررت قيادة الهاغاناه اغتيالهم منذ عام ١٩٤٥ في حال عدم قيام (إسرائيل) . ومن أعضاء هذه القيادة من أصبحوا وزراء في دولة (إسرائيل) فيما بعد .

أكملت الهاغاناه رسالتها وبلغت ذروة مهمتها في ١٩٤٨/٥/٣١ عندما أصدر رئيس الوزارة بن غوريون الأمر التالي : " مع إقامة دولة إسرائيل خرجت الهاغاناه من مخبئها وتحولت إلى جيش نظامي " . وقد احتفظ هذا الجيش في جوهره بالعقيدة الإرهابية التي ولدت في عقول مؤسسي الصهيونية . وهذا ما يفسر المجازر التي ارتكبها ، سواء في غاراته الغادرة على البلاد العربية المجاورة أو في حروبه التوسعية . فالتوسع والاحتلال من سمات الإرهاب الصهيوني الأساسية .

د ـ البالماخ * : هي القوة الضاربة للهاغاناه . وقد انتخب أفرادها من أقوى عناصر الهاغاناه وشباب المستعمرات . وكان تشكيلها نتيجة للتذمر بين الشباب وفي الكيبوتزات من أن الهاغاناه ، ويهود فلسطين إجمالاً ، يتعاونون مع السلطة المنتدبة ، أو لا يأخذون موقفاً هجومياً من العرب ، في حين يريد هؤلاء الشباب العكس .

وأفضل مصدر عن البالماخ هو كتاب « سفر البالماخ » الذي نشر بالعبرية في مجلدين في تل أبيب سنة ١٩٥٣ . وفيه أن الإرهابي إسحق ساده هو الذي أدّت جهوده إلى تشكيل البالماخ ، ثم تولى قيادتها . وقد غدت البالماخ الوحدة العسكرية المحترفة الأولى ، لها ايديولوجيتها السياسية إلى جانب نظامها الدقيق وهدفها العسكري الشامل ، وهو الإشراف على الوضع العسكري في فلسطين

بكاملها. وكانت تمثل في الحركة الصهيونية الاتجاه التوسعي العسكري الذي يجب تحقيقه على أكبر مستوى ممكن دون الاكتفاء بمجرد الدفاع عن المستعمرات . وقد تطورت البالماخ وتشعّبت بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٨ حتى أصبحت لها تنظيماتها العسكرية في كامل أنحاء فلسطين .

وفي حرب ١٩٤٨ * كانت فرق البالماخ تقاتل في الجبهة الجنوبية ، وهي التي احتلت النقب * . ومن الأدوار الرئيسة التي قامت بها إخراج الأكثرية العربية من فلسطين عن طريق المجازر التي ارتكبها الإرهابيون الصهيونيون ضد العرب ، كمذبحة دير ياسين * التي شاركت البالماخ في التخطيط لها وتنفيذها مع الإرغون * وعصابة شتيرن * .

يتخلل مجلدي سفر البالماخ إشارات متعددة إلى العرب بوصفهم « العدو » . ومما تجدر ملاحظته فيهما أيضاً وجود عشرات الخرائط عن جولات للبالماخ " أثناء قيام أفرادها بالواجب " في مختلف أنحاء فلسطين والمناطق المعدة للاحتلال . وقد تضمنت الصفحة ٩٨ من المجلد الأول خطة وضعتها البالماخ عام ١٩٤١ من أجل احتلال دمشق عسكرياً بالاشتراك مع قوات الحلفاء .

ومن إرهابيّي البالماخ الذين اشتهروا وأصبحوا رؤساء أركان الجيش الإسرائيلي موشي دايان (١٩٥٣ - ١٩٥٧) ، وإسحق رابين (١٩٦٣ - ١٩٦٧) ، وحاييم بارليف (١٩٦٨ - ١٩٧١) . وقد عرف الجيش الإسرائيلي ٤٥ لواء كانوا من إرهابيي البالماخ السابقين ، ومنهم من أصبحوا وزراء .

هـ - الإرغون تسفاي لئومي* ، أو المنظمة العسكرية القومية : لا يزال المصدر الأساسي لدراسة هذه المنظمة الإرهابية المتطرفة كتاب زعيمها مناحيم بيغن ، وعنوانه « الثورة : قصة الإرغون » . ويعتبر جابوتنسكي الأب الفكري لهذه المنظمة الإرهابية ، وقد وضع كتاباً عنوانه « الفرقة اليهودية » صوّر اليهود فيه غزاة أوربيين لا تربطهم بالعرب أي صلة ، وعليهم أن يحتلوا فلسطين بالقوة لتوسيع رقعة أوربا إلى الفرات . وقد ساهمت الفرقة اليهودية التي أسسها جابوتنسكي أثناء الحرب العالمية الأولى في غزو فلسطين ، لأنها كانت تحت إمرة الجيش البريطاني الذي دخلها .. ومن روحها وصفوفها نشأت العسكرية الصهيونية التي كانت ولادتها في شكل الإرهاب ، فقامت الهاغاناه أولاً ، والإرغون ثانياً ، لأنها وجدت أن الهاغاناه معتدلة ، وكان عليها أن تلتزم منذ البداية بخطة للهجوم ، لا بخطة للدفاع فحسب ، دون التراجع قيد أنملة عن أهداف الصهيونية الكبرى .

يقول بيغن في مقدمة كتابه الثورة : " كتبت هذا الكتاب أيضاً لغير اليهود ، خشية ألاّ يكون قد ثبت لديهم ، أو خوفاً من أن يكونوا قد نسوا ، أنه من الدماء والنار والدموع والرماد قد خلق صنف جديد من البشر لم يعرفه العالم لأكثر من ألف وثمانمائة سنة ، وهو اليهودي المحارب " .

والكتاب ينبض بالحقد في كل صفحة من صفحاته . ولا يحاول بيغن إخفاء ذلك بأي شكل بل يعلنه في المقدمة ويعترف أنه بين الدوافع الأولى التي استوحى منها فلسفته ومنطقه . يقول : " قال ديكارت ، أنا أفكر فأنا اذن موجود . وأقول أنا أحارب فأنا اذن موجود " .

لقد ارتكز الارهاب الصهيوني إلى مقدمة تستنتج منها مواقفه وخلاصتها : ما من وجود « شرعي » للعرب . وما هو « شرعي » للأكثرية العربية هو مجرد « لا شرعية » بريطانية . لذلك يقول بيغن إن الإرغون أخذت على عاتقها ، بالاشتراك مع حزب جابوتنسكي الصهيوني التصحيحي ، ومع منظمة بيتار في أوربا الشرقية، أن تأتي بآلاف المهجرين اليهود « غير الشرعيين » إلى البلاد ، رغم معارضة بريطانيا والعرب للهجرة اليهودية غير الشرعية . لقد كان بن غوريون ذاته وبإقراراه مهاجراً غير شرعي .

« الثورة » التي اختارها بيغن عنواناً لكتابه واسْماً لحركته هي التي تحوّل اللاشرعية شرعية . ولكنها ليست أكثر من ستارة للإرهاب الدموي والبطش اللذين تميزت بهما حركته . وليس ضرورياً أن يكون الإرهاب إرهاباً صهيونياً ضد العرب وحدهم ، فقد كان في بعض الأحيان إرهاباً يهودياً صهيونياً ضد اليهود . ولقد تحدث بيغن في كتابه عن حرب عصابته ضد الوقوف في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين : " إن الباخرة باتريا * التي وصلت حيفا تقل مهاجرين يهودا لم تبحر قط . فالإرهابيون اليهود - وقد استعمل هذه اللفظة بالذات - وضعوا قنبلة في الباخرة ليحولوا دون إقلاعها . وقد انفجرت القنبلة فقتل وغرق أكثر من مائتي يهودي " . فقتل اليهود على يد اليهود كان إذن في نظر بيغن خيراً من الحيلولة دون وصولهم إلى فلسطين ، لأن السلطات البريطانية كانت قد منعت الباخرة باتريا من إفراغ حمولتها من المهاجرين .

أما عن إرهاب الإرغون ضد العرب فيقول بيغن : " لقد نجحنا في المراحل الأولى من الثورة أن نحقق هدفاً استراتيجياً هاما ؛ لقد نجحنا في تعطيل العامل العربي الموضعي . فعندما وقعت الهجومات العربية ضد اليهود أعوام ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٩ و١٩٣٣ و١٩٣٦ - ١٩٣٩ كان البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بالدفاع عن اليهود ، ولكن بعد أن نجحنا في تعطيل القوة البريطانية دون أن نتعرض للعرب أخذ البريطانيون يبررون وجودهم في فلسطين بحماية العرب . وقد قلنا للعرب إنه ليس لدينا أية رغبة في محاربتهم أو إلحاق الأذى بهم ، وإننا حريصون كل الحرص أن

نراهم مواطنين مسالمين في الدولة اليهودية المقبلة . واستشهدنا بالحقيقة التي لا تنكر ، وهي أننا في العمليات التي قمنا بها في المناطق العربية لم نقم بأي عمل ضد سلام العرب أو أمنهم " . ثم لا يلبث بيغن أن يكذب نفسه بنفسه فمنذ عام ١٩٣٧ مارس الإرهابيون الصهيونيون قتل العرب واغتيالهم مستعملين أبشع أنواع الإرهاب والتحدّي . وعندما اقتضت الاستراتيجية الإرهابية مهاجمة العرب فعلوا ذلك ، ويكفي أن نذكر مجزرة دير ياسين التي وقعت في ١٩٤٨/٤/١٠ والتي ارتبط اسمها باسم بيغن لنرى كذب قوله .

وخصص بيغن الفصل التاسع والعشرين من كتابه لـ " غزوة يافا " ، وهذا الفصل برمّته يجب أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من وثائق الأمم المتحدة ومحاضرها لأنه يظهر بشكل قاطع تصميم الصهيونيين على « تطهير » فلسطين من جميع السكان العرب ، بما في ذلك المناطق العربية التي أعطيت للعرب بموجب التقسيم . ويكشف بيغن عن تعاون جميع المنظمات الإرهابية فيما بينها لتحقيق هذا الهدف ، رغم أن الوكالة اليهودية * الناطقة باسم يهود فلسطين حينذاك كانت تعلن عكس ذلك . لقد تم التصويت على التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ ولم تدخل الجيوش العربية فلسطين إلّا في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وكانت الأشهُر الواقعة بين هذين التاريخين حاسمة ، وهي الأشهر التي انْصبّ الجهد العسكري السياسي الصهيوني خلالها على هدف مزدوج : تعطيل التقسيم عمليا من جهة ، والدعاية من جهة أخرى بأن اليهود قبلوا التقسيم وأن العرب رفضوه .

يقول بيغن : "في اجتماع لقادة الإرغون اشترك فيه قسم التخطيط آخر كانون الثاني ١٩٤٨ : حددنا أربعة أهداف استراتيجية : (١) القدس (٢) يافا (٣) سهل اللد ـ الرملة (٤) المثلث "، والمقصود بالمثلث ، مجموعة الأراضي التي تضم المدن العربية الثلاث نابلس * ، وطولكرم * ، وجنين * . ومعظم هذه الأهداف لم تكن داخلة في حدود الدولة اليهودية التي رسمها مشروع التقسيم . ثم يتابع بيغن فيقول : "حين قررنا إستراتيجية الغزو لم تكن لدينا الأسلحة الكافية ، وكان لا بد من الحصول على الأسلحة ، ولا سيما أن الهجمات الأولى على يافا أثبتت صعوبة احتلال هذه المدينة المقاومة " . وهكذا أخذ إرهابيو الإرغون ينصبون الكمائن ، ويقومون بعمليات الغزو والسطو للحصول على الأسلحة .

و ـ عصابة شتيرن أو ليحي * : زمرة انشقت عام ١٩٤٠ عن الإرغون أسسها إبراهام شتيرن الذي قتل عام ١٩٤٢ . وقد يكون أفضل مدخل لتعريف عصابة شتيرن عناوين كتب ثلاثة ، كتب اثنين منها فردان من عصابة شتيرن . والكتب هي ، ١) مذكرات قاتل ، اعترافات مجرم من عصابة شتيرن ، لافنر ، وهو اسم مستعار ، ٢) امرأة من أتباع العنف : مذكرات فتاة إرهابية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٨ لغيئولا كوهين ، وهي عضو في الكنيست * ، ٣) الفعل العظيم للصحفي الأميركي جيرالد فرانك ، وهو يتحدث عن اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة من قبل شابّيْن يهوديَّيْن شُنقا بعد ذلك . وتأتي عمليات شتيرن في السطو على المصارف ، وقتل الأفراد ، ونسف المنازل ، وقتل الحراس ، وغير ذلك ، نماذج وأدلة على ممارسة العنف والإرهاب بمختلف أنواعهما .

وبالرغم من إنكار بن غوريون وشاريت المتكرر في عامي ١٩٤٥ و١٩٤٦ لأي صلة لهما وللهاغاناه بجرائم عصابة شتيرن وإرهاب الإرغون ، فقد كتبت المصادر الأساسية عن عصابة شتيرن العكس . فقد أكّدت الإرهابية غيئولا كوهين أن التعاون كان وثيقاً ومنسّقا ، حتى أن الهاغاناه والبالماخ والإرغون وشتيرن كانوا يستطعيون أن يضربوا معا ، وفي آن واحد . وهكذا ولدت قوة صهيونية محاربة واحدة عرفت باسم « الجبهة المقاتلة » . ففي ليلة ١٩٤٦/١٠/٢١ استطاعت هذه المنظمات كلها أن تشترك ، على قدم المساواة ، في سلسلة هجمات إرهابية من عكا شمالاً إلى غزة * جنوبا ، ومن الشاطىء غرباً إلى هضاب القدس شرقا . وقد عاد بن غوريون الذي كان قد شجب جرائم عصابة شتيرن فعبّر ، بعد بضعة أشهر من قيام (دولة إسرائيل)، عن احترامه " للذين نذروا نفوسهم كالرجلين اللذين شنقا في القاهرة لأنهما قتلا اللورد موين . وأما أبراهام شتيرن فهو أحد أرفع الرجال الذين عرفهم عصرنا " .

وقد وصفت الحكومة البريطانية عصابة شتيرن في وثيقة رسمية عنوانها « بيان حول العنف » أصدرتها في ١٩٤٦/٧/٢٤ برقم ٦٨٧٣ ، وصفتها بأنها انشقت عن الإرغون عندما قررت الإرغون إيقاف عملياتها عام ١٩٣٩ . ويقدر رجال شتيرن بين ٢٠٠ و٣٠٠ فرد متعصبين خطرين لا يتورعون عن أية جريمة . وقد تعاونوا لمدة مع جماعة الإرغون لأن كلتا العصابتين تؤمن بالتطرف الذي لا حدود له . وأكد هذا البيان البريطاني الرسمي :

" ١) أن الهاغاناه وقوتها الضاربة البالماخ ـ وكلتاهما تحت القيادة السياسية لأعضاء بارزين في الوكالة اليهودية ـ تقومان دائماً بأعمال تخريب وعنف خطط لها بعناية فائقة ، تحت ستار " حركة المقاومة اليهودية " .

" ٢) أن منظمة الإرغون تسفاي لئومي وعصابة شتيرن قد عملتا منذ الخريف الماضي (١٩٤٥) بالتعاون التام مع قيادة الهاغاناه في تنفيذ بعض العمليات المشتركة .

" ٣) أن محطة الإذاعة المسماة « صوت إسرائيل » التي تدّعي أنها « صوت حركة المقاومة » ، وتعمل بتوجيه كامل من الوكالة اليهودية ، كانت تدعم هذه المنظمات " .

وقد تحدثت مصادر حكومية ودولية أخرى ، غير البيان الرسمي البريطاني السابق ، عن الإرهاب الصهيوني ، ومنها كتاب العلاقات الخارجية للحكومة الأميركية (من المنشورات الرسمية لوزارة الخارجية الأميركية) الذي يتضمن الوثائق السرية الرسمية الأميركية . ففي المجلدين الرابع والثامن ما يثبت أن الحكومة الأميركية كانت على علم ، منذ عام ١٩٤٣ ، بأن الوكالة اليهودية والمنظمة الإرهابية الهاغاناه التابعة لها والمنظمات الإرهابية الأخرى كانت لها خطط موضوعة لطرد الأكثرية العربية من فلسطين ، والسيطرة سيطرة كاملة عليها وعلى مقدرات الشرق الأوسط الاقتصادية إنْ كُتب لها تنفيذ هذا الأمر الأخير .

وهنالك قراران صوّت عليهما مجلس الأمن الدولي في ١٨ و١٩٤٨/٩/١٩ فور اغتيال برنادوت الوسيط الدولي ومساعده الضابط الفرنسي من قبل « الإرهابيين » ، وتحت أنظار حكومة (إسرائيل) . وجاء في القرار الأول رقم ٥٧ "أن مجلس الأمن أصيب بصدمة عنيفة للموت المفجع الذي أصاب وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت نتيجة لفعل أثيم ارتكبته زمرة مجرمة من الإرهابيين في القدس حين كان ممثل الأمم المتحدة يقوم بواجبه من أجل تحقيق السلام في الأرض المقدسة " . ونصّ القرار الثاني رقم ٥٩ على ما يلي :

" ١) يسجل مجلس الأمن باهتمام أن حكومة إسرائيل المؤقتة لم تقدم حتى اليوم تقريراً لمجلس الأمن أو للوسيط بالوكالة حول تطور التحقيق في اغتيال الوسيط الدولي .

" ٢) يطلب من تلك الحكومة أن تقدم لمجلس الأمن في وقت مبكر تقريراً عن التطور الذي تم في التحقيق ، وأن تبيّن فيه الإجراءات التي اتخذت إزاء إهمال الموظفين ، أو أية عوامل أخرى ، أثرت في ارتكاب الجريمة " .

لكن الثابت الآن أن حكومة (إسرائيل) قد تنصّلت في التقرير الذي قدمه مندوبها لدى الأمم المتحدة من الجريمة وحاولت طمس معالمها . وأن الإرهابي الصهيوني الذي أشرف على تنفيذ قتل برنادوت ، واسمه فريدمان يلينّ ، اعتقل بعد محاكمة صورية ، ثم صدر عفو عام عن المعتقلين فأفرج عنه وانتخب فيما بعد عضواً في الكنيست الاسرائيلية . وقد جاء في التقرير الذي رفعه إلى مجلس الأمن الوسيط بالوكالة الدكتور رالف بانش عن حادث الاغتيال : "أن هذه الاغتيالات تشكّل تحدياً كبيراً من قبل عصابة مستهترة من الإرهابيين اليهود " .

ومن يود تقصّي حقيقة الإرهاب الإسرائيلي الرسمي ، ومعرفة جرائم إرهاب (دولة إسرائيل) والعصابات التي شكلتها الجاسوسية الإسرائيلية بعد عام ١٩٤٨ ، فبوسعه الرجوع إلى كتاب الكاتب الإسرائيلي بار زوهار « المنتقمون » ، ففيه عرض لما قامت به بعض العصابات الإرهابية الصهيونية في ألمانيا الغربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، كتسميم الخبز والماء في بعض المدن الألمانية ، و" اصطياد العلماء الألمان " وملاحقتهم وقتل أعداد كبيرة منهم ، واغتيال شهداء المقاومة الفلسطينية الثلاثة محمد يوسف النجار * وكمال ناصر * وكمال عدوان * في بيروت ليلة ١٩٧٣/٤/١٠ وغيرهم من زعماء المقاومة وممثليها في العواصم المختلفة . وذلك كله نموذج حي لما يمكن (لإسرائيل) أن تقوم به ، لا بل هي تدافع عنه .

وأخيراً ثمة بضع نتائج يمكن استخلاصها من هذا البحث :

١) إن النفسية الإرهابية الإجرامية لا يمكن أن تتغير بتغيير الأسماء . فتغيير أسماء الهاغاناه والبالماخ والإرغون وعصابة شتيرن إلى جيش الدفاع الإسرائيلي * ، وتغيير أسماء قادة (إسرائيل) ورجالها من ديفيد غرين إلى بن غوريون ، وشرتوك إلى شاريت ، وأودري إيفان إلى أبا ايبان لا يعنيان مطلقاً أن تركيبهم النفسي والخلقي ، وتصوّرهم للعلاقات الإنسانية ، وموقفهم من العرب قد تغيرت . فأكثر رجال هذه العصابات الإرهابية وقادتها هم اليوم من قادة (إسرائيل) ورجالها . ويكفي أن نتذكر ما ارتكبته (إسرائيل) وترتكبه ضد العرب من سكان الأراضي المحتلة . فلقد أحصت سجلات الأمم المتحدة خمس عشرة مخالفة لاتفاقيات جنيف على الأقل دينت (إسرائيل) من أجلها . وكان أوضحها وأقواها إدانتها « بجرائم الحرب » بدليل ما جاء في الفقرة ٧ من القرار رقم ٣ الذي صوّتت عليه لجنة حقوق الإنسان في ١٩٧٢/٣/٢٢ . فقد نصت على أن : "لجنة حقوق الإنسان تعتبر أن مخالفات اتفاقية جنيف الرابعة الخطيرة التي اقترفتها إسرائيل في المناطق المحتلة تشكل جرائم حرب وإهانة للإنسانية " . وقد تكررت هذه الإدانة من قبل اللجنة ذاتها في جميع قراراتها التي صدرت حتى الآن . ووفقاً للتشريع الدولي في جرائم الحرب لا تسقط جريمة الحرب عن المجرم بتقادم الزمن ، بل تجب محاكمته مهما انقضى من زمن على جريمته .

٢) يتضح من المصادر الكثيرة المنشورة أن الصهيونيين والإسرائيليين الذين قادوا عمليات الإرهاب ، ثم كتبوا عنها ، وصفوا جرائمهم بدقة وتفصيل ، وسمّوا أنفسهم القتلة والإرهابيين في عناوين كتبهم أحياناً ، لا في بطونها فحسب .

٣) تشكل هذه المصادر الأولى في الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي مجموعة فريدة لا مثيل لها في أي تراث تاريخي أو سياسي . ذلك أن القارىء يجد كتباً في عدة لغات كتبها « الكوماندوس » عن أفعالهم أثناء الحرب . وأما أن يجد تراثاً بكامله يبحث في الإرهاب ، ويؤكّده ، ويفلسفه ، ويبرر وجوده ، ويعطي تفاصيل أبشع

الجرائم ، فهذه ظاهرة جديرة بالتأمل لسبر أغوارها ومعانيها . وقد جاءت كتب هذا التراث الإرهابي من الغرب، ومن أكبر دور النشر في أمريكا وبريطانيا . فهلاّ فكر الغرب بهذا القسم من نتاجه ؟ لا يمكن أن يردّ على ذلك بالقول إن الغرب الحضاري يضجّ بالمتناقضات التي يعطل بعضها بعضا . فالموضوع هنا جوهري أكثر مما هو شكلي ، لأن الغرب سيوصم ـ كما هو موصوم الآن ـ بخطيئة الازدواجية والتناقض في القيم ، إذ يعدّ مجرم الحرب الألماني مجرماً ويعدّ مجرم الحرب الإسرائيلي أو الصهيوني مؤسس دولة ورجل دولة . وأما أن تطبع كبريات دور النشر في انكلترا وأمريكا كتباً لإرهابيين صهيونيين يذكرون فيها كيف قتلوا ضباطاً وجنوداً وأفراداً ومدنيين بريطانيين ، ناهيك عن العرب ، بل عن اليهود أحياناً ، فهذا بدوره ، كافٍ وحده ليكشف عن أن مقاومة الانتداب البريطاني للإرهاب الصهيوني لم تكن أكثر من مسرحية أو مسألة شكلية ، إذ إن نتيجة هذا الإرهاب كانت الاغتيال الجغرافي ـ السياسي لفلسطين وشعبها العربي بكامله .

٤) إن العرب في مجابهتهم (إسرائيل) يجابهون مجتمعاً عسكرياً إرهابياً «سبارتيا». لقد كتب بالعربية الكثير والقيّم عن أن مجابهة العرب مجتمعا علميا تكنولوجيا يجب أن يقابل بأساليبه ذاتها . وكل هذا صحيح ، ولكن المرحلة التي سبقت مرحلة العلم والتكنولوجيا كانت مرحلة تكوين عنفي وتأهب إرهابي عسكريين صهيونيين .

أي حكم يمكن إطلاقه على هذا السجل الإرهابي الصهيوني ـ الإسرائيلي الذي أدّى إلى مأساة فلسطين ؟ إن الأحكام التي أطلقت حتى الآن ليست قليلة ، وأفضلها هنا ما ليس عربيا ، بل ما يدين (إسرائيل) من (إسرائيل) . قال موشي دايان في رثاء صديق له اسمه روي روتنبرغ قتل في صدام مع العرب قبل بضعة أشهر من حرب ١٩٥٦ * : "لنتوقف اليوم عن قذف الذين قتلوا بالاتهامات . من نحن لنناقش حقدهم ؟ ها قد انقضت ثمانية أعوام الآن وهم يجلسون في مخيماتهم في غزة وتحت أعينهم وأبصارهم نحوّل إلى ممتلكاتنا الأراضي والقرى التي عاش فيها آباؤهم وأجدادهم . . نحن جيل من المستوطنين ، ودون الخوذة الفولاذية والمدفع لا نستطيع أن نزرع شجرة أو أن نبني بيتا " .

وكتب الفيلسوف الإسرائيلي مارتن بوبر في كتابه « إسرائيل والعالم » : " إن أكثر التعاليم فسادا بين جميع التعاليم المتهافتة هي التي تذهب إلى أن طريق التاريخ تقرره القوة وحدها دون غيرها . وقد تغلغلت هذه النظرية في تفكير الشعوب وتفكير حكوماتها ، ولم يبق من الإيمان بالروح إلاّ مجرد أقوال معادة " . ثم ينتقل إلى نقد الفظائع الإرهابية ضد العرب ، ويعلق على مذبحة دير ياسين بالذات فيقول : "هنا كانت الجريمة جريمتنا ، أو جريمتي أنا بالذات ، جريمة اليهود ضد الروح . إنني حتى اليوم لا أفكر بما وقع دون أن أشعر في نفسي بأنني مذنب " .

المراجع :

— Allon, Y.: **The Making of Israel's Army**, New york 1971.

— Avner: **Memoirs of an Assassin, Confessions of a Stern Gang Killer,** New York 1959.

— Bar-Zahar, M.: **The Avengers, The Drama of the Daring Jews who are Avenging the Six Million Dead,** New York 1967.

— Begin, M.: **The Revolt, Story of the Irgun,** New York 1951.

— Cohen , G.: **Woman of Violence , 1943-1948, Memoirs of a Young Terrorist,** Cleveland and New York 1966.

— Departement of State, **Foreign Relations of the United States,** 1943 Vol. IV and Vol. VIII, 1943-45 the Near East and Africa, Washington 1964.

— Jabostinky, V.: **The Story of the Jewish Legion,** New York 1945.

— Katz, S.: **Days of Fire, The Secret History of the Irgun Zvai Leumi and the Making of Israel,** New York 1968.

— Mardor, M.: **Strictly Illegal,** New York 1964.

— Perlmutter, A.: **Military and Politics in Israel , Nation Building and Role Expansion,** London 1969.

— Robnet, G.W.: **Conquest Through Immigration, How Zionism Turned Palestine into a Jewish State,** Pasadina, California 1968.

— Sharef, Z: **Three days,** New york 1962.

— Statement Relating to acts of Violence, July 24, 1945, **British Command Paper 6873.**

— Stone, I.F.: **Underground to Palestine ,** New york 1946.

— **United Nation Progress Report of the United Nations Mediator on Palestine** Submitted to the Secretary-General Transmission to the Members of the United Nations , General Assembly, Official Records, Third Session Supplement No. 21 (A/ 684) (Part 1 and 2), Paris 1948.

الأرواح (قبة ـ) :

رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

أريتريا :

تقع أريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر ، وهي جزء من الوطن العربي يقطنه ثلاثة ملايين عربي . وقعت تحت الاحتلال الإيطالي ، ثم ضمتها الحبشة إليها . وتعتبر أريتريا المنفذ الرئيس للحبشة إلى البحر الأحمر . لذلك فإن (إسرائيل) تنظر إلى الصراع الأريتري ـ الحبشي من زاوية مصالحها الاستراتيجية في هذا البحر أي من زاوية ضمان عدم جعل البحر الأحمر بحراً عربياً بل يترك

المجال للحبشة للسيطرة عليه ولو جزئياً . ومن هنا تقف (إسرائيل) ضد الثورة الأريترية التي اندلعت عام ١٩٥٨ .

أما الشعب الفلسطيني فقد تعاطف مع ثورة الشعب الأريتري . وشهدت العلاقات الفلسطينية ـ الأريترية تطوراً إيجابياً ، فقد قدمت الثورة الفلسطينية مساعدات عسكرية لثوار أريتريا ، كما قامت بتدريب الكثير منهم على استعمال السلاح . وهناك تنسيق إعلامي وسياسي بين الثورتين . ويعد الثوار الأريتريون أنفسهم في خندق واحد مع الثوار الفلسطينيين ، فحين هاجم ثوار أريتريا مدينة أسمرة (عاصمة الإقليم) كان من أهم أعمالهم تدمير القنصلية الإسرائيلية فيها .

المراجع :

ـ عبد الباري عبد الرزاق النجم : أريتريا شعباً وكفاحاً ، بغداد ١٩٧١ .
ـ محمد عبد المولى : ثورة أريتريا والصراع الدولي في البحر الأحمر ، ١٩٧٦
ـ خلف المنشدي : أريتريا من الاحتلال إلى الثورة ، ١٩٧٣ .

أريحا (مدينة ـ) :

مدينة عربية في قضاء القدس تقع على مسافة ٣٧ كم شرقي الشمال الشرقي لمدينة القدس * . كانت مركز ناحية في أواخر العهد العثماني ، ثم أصبحت مركز قضاء في عهد الانتداب البريطاني حتى عام ١٩٤٤ عندما عدلت التقسيمات الإدارية ، وألحقت أريحا بقضاء القدس (رَ : الإدارة) . وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها داخل الضفة الغربية للأردن . وفي عام ١٩٦٧ تعرّضت للاحتلال الإسرائيلي .

أ ـ الوضع الطبيعي لأريحا :

١) الموقع الجغرافي : تقع مدينة أريحا في الطرف الغربي لغور الأردن * الغربي ، أو ما يعرف محلياً بغور أريحا . وهي أقرب إلى الحافة الجبلية لوادي الأردن الانهدامي منها إلى نهر الأردن * . بل جعلها موقعها قرب خط الانقطاع بين البيئة الجبلية في الغرب والبيئة الغورية في الشرق نقطة عبور هامة ، منذ القدم ، للقوافل التجارية والغزوات الحربية التي كانت تتجه غرباً نحو القدس ، وشرقاً نحو عمان . وكانت المعبر الغربي لنهر الأردن والبحر الميت * يمرّ منها الحجّاج المسيحيون القادمون من القدس في طريقهم إلى نهر الأردن والبحر الميت . من جهة أخرى كانت أريحا بوابة شرقية لفلسطين عبرتها كثير من الجماعات البشرية المهاجرة إلى فلسطين على مدى العصور .

ترتبط أريحا حالياً مع غور الأردن ومع الضفتين الشرقية والغربية بشبكة طرق معبدة . فهي محطة على طريق طولية تسير بمحاذاة الحافة الغربية لوادي الأردن من بحيرة طبرية * شمالاً حتى البحر الميت وتسير بعد ذلك إلى خليج العقبة * جنوباً بطرق بعيدة عن الغور . وتتصل أريحا بطريق القدس ـ عمان الرئيسة ، وبالطريق الطولية للغور الشرقي . وبذلك يمكنها الاتصال بالجفتلك شمالاً (٣٧ كم) ومن ثم بنابلس * شمالاً بغرب (٧٢ كم) . ويمكنها الاتصال بالبحر الميت أيضاً (١٤ كم) ، وبجسر الملك حسين على نهر الأردن (٨ كم) ، وبالمغطس (١٠ كم) ، وبالشونة الجنوبية (١٧ كم) .

لموقع أريحا أهمية اقتصادية كبيرة لأن المدينة قابعة في قلب واحة زراعية خصبة تزوّد المناطق المجاورة لها بالمنتجات الزراعية كالحمضيات * والموز * ، ويؤمها كثير من السياح لمشاهدة الآثار التاريخية والأديرة حولها . وينتهز بعضهم فرصة زيارتهم للبحر الميت

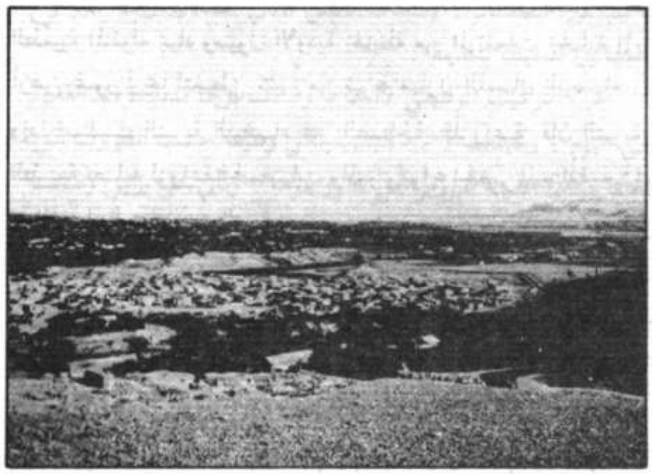

ونهر الأردن فيعرجون على أريحا لقضاء بعض الوقت مستمتعين بدفئها في الشتاء وبجمال المناظر الطبيعية حولها .

ولموقع أريحا بُعد عسكري ، فهي بوابة طبيعية تشرف على الطرق المؤدية إلى الأغوار والمرتفعات الجبلية . وقد استفادت (إسرائيل) من المزايا العسكرية لهذا الموقع فحرصت على احتلالها في حرب ١٩٦٧ * قبل غيرها من مدن الضفة الغربية للأردن ، وذلك بالالتفاف حول الضفة الغربية لاحتلال محور طوباس ـ أريحا ، وعزل الضفة الغربية عن الضفة الشرقية .

٢) طبيعة الأرض : تقوم أريحا اليوم على هضبة منبسطة هي أحد المدرجات البحيرية القديمة التي نشأت بعد انحسار وجفاف البحيرة الأردنية القديمة . وهي في موقعها هذا تشبه موقع مدينة بيسان * في الغور الشمالي . وتنخفض أريحا نحو ٢٧٦م عن سطح البحر ، وبالرغم من ذلك فإن مستوى أرض المدينة أكثر ارتفاعاً من

مستويات الأراضي الممتدة إلى الشرق منها نحو نهر الأردن والبحر الميت . ولهذا الارتفاع النسبي للمدينة مزايا كثيرة أهمها الإشراف على الأراضي الغورية الممتدة إلى الشرق ، وحماية المدينة من أخطار الفيضانات ، وتلطيف ارتفاع درجة الحرارة الناجم عن الانخفاض .

تتأثر مدينة أريحا بموقعها في غور الأردن ، فهي قائمة قرب حافة الغور حيث يتقاطع صدع عرضي مع صدع وادي الأردن الطولي ، الأمر الذي يجعل الأرض غير مستقرة تتعرض لحدوث الزلازل * والهزات الأرضية . وتوجد بالقرب من المدينة ينابيع مائية صدعية (إنكسارية) الأصل تساهم في تزويد المنطقة بمياه الشرب والري . وتتوافر أيضاً مياه الآبار التي أمكن الحصول عليها من الخزانات المائية الجوفية القريبة من سطح أرض المخاريط (المراوح) الفيضية . وتتكون المادة الأصلية لترب منطقة أريحا من إرسابات مارن اللسان البحيرية القديمة . لكن معظم الترب حول أريحا تنتمي إلى التربة الطمّيية المنقولة بمياه وسيول الأودية الهابطة من المرتفعات الجبلية إلى أرض غور أريحا لتغطي كثيراً من تربة مارن اللسان البيضاء . وإذا استثنيت التربة البيضاء غير الصالحة للزراعة فإن التربة الطميية تصلح لزراعة الحمضيات والموز وأنواع الخضر المختلفة حيثما تتوافر مياه الري (رَ : التربة) .

٣): المناخ والمياه : ينتمي مناخ أريحا ومنطقتها إلى المناخ المداري الصحراوي ، فمستوى الأرض ينخفض أكثر من ٢٥٠م دون سطح البحر ، ودرجة الإشعاع الشمسي ترتفع إلى حد كبير في معظم شهور السنة . وينتج عن ذلك ارتفاع متوسط درجة الحرارة السنوي إلى ٢٣,٥°، وارتفاع قيم البخر والنتح عن كميات الأمطار . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية الهاطلة على أريحا نحو ١٥٠مم ، وهي كمية لا تسمح وحدها بنمو المحاصيل الزراعية نمواً طبيعياً . وتواجه الموازنة المائية عجزاً ملموساً في منطقة أريحا ، مما يجعل الاعتماد على مياه الأمطار أمراً مستحيلاً ، ويحتم على السكان اللجوء إلى مصادر أخرى غير المطر لتوفير المياه. وأهم مصادر المياه في منطقة أريحا المياه الجوفية المستمدة من الينابيع المائية والآبار . وقد حفرت في ربع القرن الماضي مئات الآبار في المنطقة ،ويستغل معظمها في ري بساتين الحمضيات ومزارع الموز والخضر .

وقلّما يحدث الصقيع أو تسقط الثلوج في منطقة أريحا ، لذلك تعدّ أريحا من أكثر أماكن فلسطين المفضلة للتشتية ، إذ يؤمها كثير من سكان القدس لقضاء بعض أيام الشتاء فيها بالإضافة إلى السياح القادمين إليها من الخارج . ويؤثر الدفء في المحاصيل الزراعية ، ولا سيما الخضر الشتوية التي تنضج في فترة مبكرة ، وتعرض في الأسواق المحلية أو تصدّر إلى الخارج قبل موعد نزول محاصيل المناطق الجبلية . وتتحول هذه المزايا مساوىء في فصل الصيف الحار حين ترفع الأنسمة البحرية القادمة من البحر المتوسط والهابطة من المرتفعات الجبلية نحو أريحا درجة الحرارة ونسبة الأتربة في الجو ، ولا سيما بعد الظهر ، كذلك تنخفض نسبة الرطوبة في الجو فيصل معدلها إلى أقل من ٤٠٪ خلال الصيف .

ب ـ النشأة والنمو : أريحا مدينة كنعانية قديمة يعدّها الخبراء الأثريون أقدم مدن فلسطين ، ويرجعون تاريخها إلى العصر الحجري ، أي إلى ما قبل سبعة آلاف عام (رَ : العصور القديمة)، وهذا ما حمل بعضهم على القول إنها أقدم مدينة في العالم قائمة حتى اليوم . شخص الخبراء موقع أطلالها في تل السلطان الذي يقع على بعد نحو كيلومترين شمالي المدينة الحالية بجوار نبع عين السلطان . ومعنى « يريحو » في الكنعانية القمر ، مما يدل على أن عبادة القمر كانت منتشرة هناك . وقد تعني الكلمة مكان الروائح العطرية . اتخذها الهكسوس قاعدة لهم بين سنة ١٧٥٠ و ١٦٠٠ ق.م. وقد ورد ذكرها في التوراة * باسم « أريحة » . وهي أول مدينة كنعانية هوجمت من قبل بني إسرائيل ، إذ تمكّن قائدهم يوشع بن نون وجنده في سنة ١١٨٦ ق.م. من الاستيلاء على أريحا وأحرقوا المدينة وأهلكوا من فيها . وفي عصر القضاة (١١٧٠ ـ ١٠٣٠ ق.م.) أخرج عجلون ملك المؤابيين اليهود من أريحا واتخذها عاصمة له . وقد جدد هيرودس الكبير أريحا ووسعها وزينها بمختلف المنشآت ، فامتدت المدينة فوق ما يعرف اليوم بتلال أبي العليق قرب عين السلطان . ومن منشآت أريحا في عهد هيرودس القصور والجنائن والميادين والقنوات والبرك . وفي جنوب أريحا أنشأ هيرودس القلاع الحصينة لحماية المدينة والدفاع عنها . وبالرغم من ذلك خربت أريحا فيما بعد ، ولم يبق منها سوى الأنقاض الأثرية التي تدل عليها .

ويرجع الفضل إلى الرومان في إعادة بناء أريحا على وادي القلط حيث هي اليوم . وفي عهد قسطنطين الكبير* (٣٠٦ ـ ٣٢٧م) انتشرت المسيحية * في أريحا وأقيمت في ضواحيها الأديرة والكنائس * . وفي عام ٣٢٥م كانت أريحا مركزاً لأسقفية . وفي عهد البيزنطيين ازدهرت أريحا وتقدمت حتى دخلت في حكم العرب الذين فتحوا فلسطين في القرن السابع الميلادي وأتبعوا أريحا للرملة * في جند فلسطين .

كانت أريحا في صدر الإسلام أهم مدينة زراعية في غور الأردن ، وقد أحيطت بمزارع النخيل والموز وقصب السكر والنيل والريحان والحنّة والبلسم . وسكنها قوم من قيس وجماعة من قريش . وصفها ياقوت الحموي فقال : " إنها ذات نخل وموز وسكر كثير له فضل على سائر سكر الغور ، وهي مدينة الجبّارين " .

وفي القرن الثامن عشر قلّ شأن أريحا ولم تكن سوى قرية صغيرة فقيرة وفقاً لما ذكره الرحالة الفرنسي فولني في رحلته إلى الشام ومصر . وقد اشتهرت تلك القرية بزراعة أشجار الزقوم وإنتاج زيته . وظلّت أريحا قرية متواضعة طوال القرن التاسع عشر إلى أن نزلها في مطلع القرن العشرين جماعة من سكان القدس للإقامة فيها أثناء فصل الشتاء . وأنشأ هؤلاء المهاجرون الجدد المباني السكنية ومزارع الموز حولها .

اكتشفت في أريحا آثار هامة منها أسوار أريحا القديمة التي خربت سنة ١٤٠٠ ق.م. أو ١٣٥٠ ق.م. ، واكتشف أيضاً في تلول العليق قصر هيرودس الكبير الذي يظهر واضحاً من جبل التجربة ، ووجد المنقبون آثار بيوت مترفة .

أخذت أريحا تزدهر تدريجياً في عهد الانتداب البريطاني . وكان يشرف على تطوير المدينة مجلس محلي باشر أعماله بفتح الشوارع الجديدة ، وإعطاء رخص المباني وتنظيمها ، والإشراف على توزيع

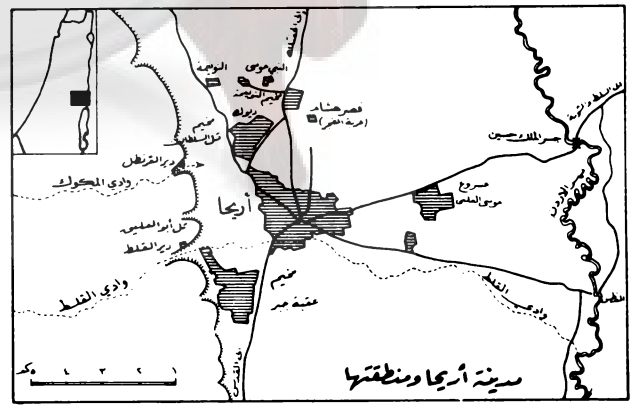

المياه على المزارعين . وتحولت أريحا من ناحية إلى مركز قضاء ، وأثّر هذا التحول في نمو المدينة وزيادة عمرانها .

زاد عدد سكان أريحا تدريجياً خلال النصف الأول من القرن العشرين . وارتفع عددهم من ٣٠٠ نسمة عام ١٩١٢ إلى ١,٠٣٩ نسمة عام ١٩٢٢ ، وإلى ١,٦٩٣ عام ١٩٣١ . ووصل عددهم إلى ٣,٠١٠ نسمات عام ١٩٤٥ . وقد واكب هذه الزيادة السكانية نمو عمراني ملحوظ ، إذ ارتفع عدد بيوت أريحا من ٣٤٧ بيتاً عام ١٩٣١ إلى أكثر من ٥٠٠ بيت عام ١٩٤٥ .

امتدت أريحا على رقعة من الأرض مساحتها ٣٨ دونماً حتى عام ١٩٤٥ . ومعظم بيوتها من الآجر الطيني وهي مسقوفة بالتراب الممزوج بالتبن والمرصوص فوق قضبان من القصب أو الخشب . وهذا النوع من المباني يخفف من حدة القيظ ويرطب جوّ البيت . وقد أخذ بعض الأهالي في أواخر عهد الانتداب يشيدون بيوتاً مبنية من الحجر والإسمنت محاطة بالحدائق المليئة بالأشجار لتنقية الهواء وتخفيف حدّة القيظ بما تلقيه من ظلالها على المساكن .

شهدت أريحا بعد عام ١٩٤٨ تحولاً كبيراً في حياتها ، إذ تدفق عليها آلاف اللاجئين للإقامة فيها أو بجوارها داخل مخيمات عين السلطان وعقبة جبر ، وقد بلغ عدد سكان مدينة أريحا وحدها عام ١٩٦١ نحو ١٠,١٦٦ نسمة . وزاد عدد سكانها في أواخر السبعينات على ١٥,٠٠٠ نسمة . وتوسعت المدينة في مساحتها نتيجة لزيادة حركة البناء التي صاحبت زيادة عدد السكان ، إذ وصل مجموع بيوتها وفقاً لتعداد عام ١٩٦١ إلى نحو ٢,١٠٦ بيوت . ولا ريب أن العدد قد تضاعف منذ ذلك الوقت حتى الآن ، وتضاعفت واردات ونفقات بلدية أريحا أيضاً ، ووصلت حصيلة الواردات في عام ١٩٦٥ إلى نحو ٥٨,٠٠٠ دينار ، والنفقات إلى ٦١,٨٠٠ دينار . ويمكن القول إن مدينة أريحا التحمت خلال نموّها العمراني بمخيم عين السلطان . وشيّدت بعض المباني السكنية وسط المزارع والبساتين المحيطة بالمدينة .

جـ ـ التركيب الوظيفي لأريحا : وظائف أريحا متعددة منذ القديم حتى اليوم . وتختلف الأهمية النسبية لكل وظيفة حسب الظروف التي كانت تمرّ بها المدينة عبر مراحل تطور نموها . وتأتي على رأس وظائف المدينة :

١) الوظيفة الزراعية : عرفت أريحا منذ القديم بغزارة مياهها وخصب تربتها ، إذ نشأت المدينة في قلب واحة جميلة تكثر فيها الأشجار . وقد حافظت أريحا تقريباً على شهرتها الزراعية منذ صدر الإسلام حتى اليوم . وتؤكد منتجاتها الزراعية مدى أهميتها بالنسبة إلى الأسواق المحلية والخارجية .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لأريحا نحو ٣٧,٤٨١ دونماً ، منها ١,٠٦٠ دونماً للطرق والأودية . ويستخدم جزء هام من أراضي أريحا في الزراعة المروية الكثيفة التي تعتمد أساساً على مياه الينابيع والآبار . وأهم مزروعات منطقة أريحا الخضر بأنواعها المختلفة . وتنتج أريحا أصناف الحبوب المختلفة كالقمح * والشعير والذرة والسمسم . وتزرع فيها الأشجار المثمرة كالحمضيات والموز والزيتون والعنب والنخيل ، بالإضافة إلى بعض المحاصيل الصناعية كالتبغ . كذلك تزرع حولها أشجار الحراج للوقاية .

وقد توسعت المساحات المخصصة لزراعة الحمضيات في السنوات الأخيرة معتمدة على مياه الآبار ، فأصبح لبرتقال أريحا شهرة محلية وعالمية مثل الشهرة التي حصل عليها موزها .

يصدّر الفائض من الخضر والفواكه إلى أسواق الضفتين الشرقية والغربية ، بالإضافة إلى أسواق منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية . ويعدّ مشروع موسى العلمي بالقرب من أريحا نموذجاً

ناجحاً للزراعة المروية وتربية المواشي . وقد نجحت بعض المزارع الخاصة في تربية الأبقار إلى جانب المحاصيل الزراعية .

٢) الوظيفة السياحية : يؤم أريحا عدد كبير من السياح سنوياً ، ولا سيما في فصل الشتاء ، لزيارة الأماكن الأثرية والدينية حول المدينة من جهة ، وللاستمتاع بدفء الشتاء في ظل المناظر الطبيعية الجميلة والأشجار الغنّاء من جهة أخرى . وأهم الأماكن التي يزورها السياح في منطقة أريحا البحر الميت ، والمغطس ، وقصر هشام بن عبد الملك ، وقصر حجلة ، ودير قرنطل ، ودير القديس يوحنا المعمدان ، وبيت جبر التحتاني ، وبيت جبر الفوقاني ، وعين السلطان . وقد أقيمت الاستراحات السياحية وسط الأشجار الباسقة لاستقبال السياح الداخليين الذين يقضون هناك نهاية الأسبوع ، وبنيت الفنادق لإيواء السياح الأجانب .

٣) الوظيفة التجارية : أريحا مركز تجاري يستقبل بالإضافة إلى السياح أعدادا من سكان القرى والمخيمات المجاورة ، ويرتاده البدو المقيمون في المنطقة . وتتركز السوق وسط المدينة حيث توجد المحلات التجارية والشركات والأسواق . وفي المدينة سوق مركزية للخضر والفواكه تجمع فيها هذه المحاصيل تمهيداً لتصديرها .

٤) الوظيفة الصناعية : عرفت أريحا الصناعة منذ القدم ، مثل صناعة السكر من القصب ، وتصنيع التمر من البلح ، والنيل من الوسمة ، والزيت من الزقوم ، والآجر من الطين ، والحصير من القصب . ويقوم حالياً في ضواحي المدينة مصنعان للنسيج ، أحدهما في مخيم عين السلطان والثاني في مخيم عقبة جبر . وتوجد في أريحا صناعات المياه الغازية والشراب ، وتخمير الموز ، وتشميع الحمضيات ، والكراسي ، والمفروشات ، والكبريت .

٥) الوظيفة التعليمية : كان في أريحا عام ١٩٤٢ / ١٩٤٣ مدرستان ابتدائيتان ، واحدة للبنين وثانية للبنات . وفي عام ١٩٦٦ / ١٩٦٧ بلغ عدد مدارس أريحا ٢٥ مدرسة تابعة لوزارة التربية والتعليم ولوكالة الغوث ولمؤسسات أهلية . وتشتمل هذه المدارس على مختلف مراحل التعليم العام الابتدائي والإعدادي والثانوي . وقد ظهر أثر النهضة التعليمية التي شهدتها أريحا في السنوات الأخيرة في المستويات الثقافية للأهالي ، وانتشر الوعي بينهم ، وتقدمت المدينة بفضل نشاط سكانها وتعلمهم .

٦) الوظيفة الإدارية : ارتفعت درجة أريحا من قرية إلى مركز ناحية عام ١٩٠٨م ، وضمّت آنذاك ست قبائل وعشرين قرية . وفي عهد الانتداب البريطاني أصبحت أريحا مركزاً لقضاء يحمل اسمها ، وبقيت كذلك حتى عام ١٩٤٤ عندما ألغت سلطة الانتداب قضاء أريحا وألحقته بقضاء القدس . كانت مساحة قضاء أريحا في عام ١٩٤٣ نحو ٣٤١ كم^2 وعدد سكانه نحو ٤,٦٠٠ نسمة . وكانت قرى العوجاء وديوك والنبي موسى والنويعمة تتبع أريحا ، فضلاً عن القبائل البدوية المتجولة والمستقرة .

وبعد عام ١٩٤٨ عادت أريحا مركزاً لقضاء ضمّ في عام ١٩٦٥ نحو ٧٥,٠٠٠ نسمة معظمهم من اللاجئين . وقد ظلّت مركزاً لهذا القضاء بعد الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٦٧ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، بيروت ١٩٥٧ .
ـ جورج بوست : **قاموس الكتاب المقدس** ، بيروت ١٩٧١ .
ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أريحا .
— Keller, W.: **The Bible as History,** London 1956.
— Garstang, J. and Garstang, J.F.E.: **The Story of Jericho,** London 1940.
— Kenyon, K.: Earliest Jericho, **Antiquity** Vol, 33, 1959.

أريحا (مدرسة ـ) :

أسست هذه المدرسة في عهد النبي إلياس وخادمه اليشع ، ودعيت مدرسة الأنبياء ، وكانت تقوم بتعليم الديانة اليهودية . وتبين مدى علاقة الإله يهوه بحوادثها ، فكان مؤرخو هذه المدرسة يشيرون مثلاً إلى تهدم أسوار أريحا المفاجىء في الغزو الإسرائيلي ، وكذلك إلى خراب سدوم وعمورة * الواقعتين على الطرف الجنوبي الغربي للبحر الميت*، وينسبون ذلك إلى قدرة الإله يهوه على معاقبة الأشرار . كما يرجعون عاداتهم وتقاليدهم إلى إرادة يهوه الربانية ، كتقديم الأضاحي البشرية ووضعها في جرار فخارية ، أو في أسس الأبنية ، كقصة إبراهيم * الذي همّ بتقديم ابنه إسحق * ضحية للإله يهوه ، وقصة ميشع ملك مآب الذي ضحّى بالفعل بولده الأكبر . ويضيفون أن من أروع الحوادث التاريخية إحراق أريحا برمّتها ، " وكل ما بها بأمر يهوه " .

فهذه المدرسة قد كرّست لتكتب التاريخ العبري بشتى مظاهره موضحة أعمال العنف التي أمر بها يهوه قضاته وأنبياءه .

المراجع :

ـ أسفار عاموس ٥ : ٨ ، وأشعيا ٢٩ : ٦ ، وأيوب ٩ : ٥ ـ ٦ و ٢٨ : ٩ ، والملوك الأول ١٩ : ١١ .
— Garstang, J. and Garstang, J.B.: **The History of Jericho,** London 1940.
— **Lexikon fur Theologie und Kirche.**

أريحا (مؤتمر ـ) :

ر : المؤتمر الفلسطيني (أريحا ١٩٤٨)

أريغاتيم : ر : الأشكنازيون

الأزرق (زاوية ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

الأزياء الشعبية :

لا شك في أن إحياء التراث الشعبي والحفاظ على خصائصه الفنية وإظهار أصالته شرط أساسي من شروط تخليد آثار الحضارة العريقة ، فالفن القومي لأي أمة من الأمم مظهر لثقافة الشعب عبر الزمان والمكان .

يشكو كثير من الأمم من صعوبة جمع وإحصاء تراثها القومي ، وكذلك يشكو الفلسطينيون من إهمال جمع تراثهم واستحالة إجراء المسح الفولكلوري في الوطن المحتل ، مما حدا الصهيونيين المحتلين إلى استغلال التراث الفلسطيني وادعاء ملكيته لأنفسهم فأخذوا يجوبون الأرض عارضين هذا التراث الشعبي وكأنه تراث (إسرائيلي) .

يقوم التقويم الجديد للتراث الفلسطيني على رؤية الماضي بمنظار الحاضر وفقاً لحاجات الظروف التي يعيش فيها الفلسطينيون اليوم ، وعلى الكشف عن جوانب تخدم أغراضهم الاجتماعية والسياسية والفنية المستحدثة .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من حسنات النكبة ، إن كان لها حسنات ، ما خلقته من رابطة قوية بين الفلسطينيين وتراثهم ، فغدا تعلقهم بأرضهم الحبيبة لا يقل عن تعلقهم بالثوب والتقصيرة والعقال والميجانا والدبكة * ، فهي كلها تراث تلك الأرض ونتاج ذلك الماضي وحصيلة تلك الأمة . ولا أدل على ذلك من إقبال النساء الفلسطينيات ،حتى المدنيات منهن، بعد حرب ١٩٦٧ * على ارتداء الثوب القرويّ الفلسطيني واعتزازهن به اعتزازاً بلغ حد التباهي والزهو والعمل على نشره وتطويره ، خصوصاً في بلاد الاغتراب .

أ ـ زيّ المرأة : يمتاز بالاحتشام والهيبة والجمال . ومن خلال خطوطه وأشكاله وألوانه يلمس المرء تجانساً وتناسقاً ينمّان عن ذوق وإبداع ومهارة .

ولا شك في أن تنوع الأزياء التي يفوق عددها ٣٠ نوعاً يعود لعوامل كثيرة منها وفرة الأقليات الدينية وتعدّد العادات تبعاً لذلك . يزاد على ذلك أن المدنيات التي تعاقبت على فلسطين تركت طابعها على اللبس وخصائصه وخطوطه وألوانه ، حتى إن الكثير من الكلمات ذات العلاقة باللبس هي غير عربية المصدر من مثل :

ـ طقيّة : فارسية الأصل تعني شريطاً يربط حول الرأس .

ـ طربوش : أصلها « ساربوش» فارسية الأصل بمعنى غطاء الرأس .

ـ منديل : إيطالية الأصل بمعنى منتيل .

ـ شروال : وهي معرب سروال بالفارسية .

ري بيت لحم

http://al-maktaben.com

وسيستشف القارىء من خلال عرض الأزياء الفلسطينية المؤشرات التاريخية والدينية والاجتماعية والإقتصادية والمناخية التي أثرت في الأزياء وميّزتها بطابع خاص .

١) زيّ المرأة المدنية : يمتاز زي المرأة المدنية بالبساطة والاحتشام . ولعل في ما كتبه عدد غير قليل من المؤرخين والبحّاثين في هذا الباب ، ولا سيما القس أسعد منصور في كتابه « تاريخ الناصرة » ، ما يساعد على كشف خصائص الزي لدى المرأة المدنية منذ أوائل القرن الثامن عشر . وربما انطبقت تلك الأوصاف وقتئذٍ على جميع مدن فلسطين .

تألف الزي المدني في أوائل القرن الثامن عشر تقريباً من :

(١) الجلاية : وهي جبة طويلة من نسيج قطني وطني مشقوقة من الأمام ، ذات كمّين قصيرين ضيقين ، لونها في الغالب نيلي . ولعل الجلاية مأخوذة من الجلوة ، وهي ما يعطيه الزوج عروسه عند الزفاف [١] .

(٢) الدامر : وهي جبة قصيرة تصل إلى الوسط فقط ، كمّاها بطول كمّي الجلاية أو أقصر قليلاً . وتكون غالباً من جوخ مقلم بالقصب . وإذا زاد قصر الأكمام سميت السلطة .

تلبس المرأة تحت الجلاية قميصاً طويلاً يصل إلى تحت الركبة ، ويكون فوق السروال المعروف « باللباس والشنتيان » ، ويقال له تأدباً نصف كسوة . وهو يشبه البنطلون الواسع لونه أبيض أو نيلي مقلّم على الرجلين بالحرير والقصب .

(٣) الزنار : على أنواع كثيرة ، وهو من نسيج بسيط ، أو مقلّم ، أو من فضة وذهب .

(٤) الزربند : تلبسه المرأة على رأسها . وهو شقة من الحرير مخططة خطوطاً تكون غالباً بيضاء ضاربة إلى السواد ، أو حمراء ، أو صفراء ، طولها أربعة أمتار وعرضها نحو نصف متر . تطوي المرأة أعلاه مزدوجاً ، وتضعه فوق الصمادة [٢] ، وتغطيه بمنديل مرسلة إيّاه على ظهرها ، وتشده على وسطها بزنار ، تاركة جزءاً منه منسدلاً فوق الزنار حتى يغطيه ، ومن ثم ترسله تحت الزنار حتى القدمين .

(٥) العصبة : وهي منديل تطويه المرأة طيًّا عريضاً وتتعصب به حتى يكسو أعلى الصمادة ، وترسله إلى الخلف تاركة أحد طرفيه أطول من الآخر بقليل .

(٦) الحذاء : كانت الأحذية على أنواع كثيرة أشهرها « البابوج » ويكون غالباً من جلد أصفر يكسو مشط القدم ، له من الخلف إطار علوه نحو قيراط وكعبه حديدة تشبه حدوة الفرس .

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر استبدل بالجلاية القمباز أو الفمباز . ويختلف عن الجلاية في أن قماشه أنعم ، وألوانه أكثر تنوعاً ، والفتحات على جانبيه أطول . كما حدث تغيير في السروال ، إذ أصبحت المرأة تلبس شروالين تزمّ أحدهما وتربطه تحت الركبة ، بينما تنزل الآخر بدون زمّ فيتدلى أعلاه على الساقين بشبه دائرة تدعى فرّارة . واستبدل بالدامر أو السلطة جلبان قصير الأكمام من جوخ مطرز عرف بالعباءة .

وفي أوائل القرن العشرين، ونتيجة الموجة السياحية وتغير وسائل النقل، وبسبب الاختلاط بالغربيين، ألغيت ملبوسات كثيرة، منها الصمادة ، والدامر ، والعباءة ، والزربند ، والعصبة ، والقمباز . ومن غطاء الرأس حوفظ على الحطّة ومن حولها العصبة ، ثم ألغيت الأخيرة واستعيض عنها بالبشنيقة (محرف بخنق) وهي منديل « بأُوية » . والأُوية هي إطار أو كنار يحيط بمنديل ناعم مزخرف ، وتكون من شغل الإبرة ، وتأتي بأشكال الزهور المختلفة ذات الألوان الزاهية . ومن فوق المنديل ، أو البشنيقة ، يلبس الشال أو الطرحة أو الفيشة ، وكلها أوشحة من حرير أو صوف .

كما استبدل بالعباءة الإزار ، وفي بعض المدن الملاية أو الحبرة .

(١) الحبرة : وتكون من الحرير الأسود أو غيره ، لها « شمار أو دكة » في وسطها ، وعند شدّها أو سحب الدكة بالمقدار الذي تريده السيدة يأخذ النصف من الخصر وما تحته شكل تنوّرة ، ثم يرفع النصف الأعلى ليغطي الرأس واليدين . أما الوجه والرقبة وجزء من الصدر فيغطى بالمنديل . ويلبس تحت الملاية فستان طويل تتفنن النساء بتفصيله ، وقماشه مستورد في الغالب من سورية .

(٢) الملاية : تشبه الحبرة في اللون وفي صنف القماش ، غير أنها تختلف عنها في التفصيل ، إذ تتكون من معطف ذي أكمام يلبس من فوقه برنس يغطي الرأس ويتدلى إلى الخصر . أما الوجه فيغطى بمنديل أسود .

(٣) الإزار : من اللون الأبيض ، ويتكون من قطعة واحدة تلتف بها السيدة من رأسها إلى أخمص قدميها ، وتحجب وجهها ورقبتها وجزءاً من صدرها بالمنديل الملون .

٢) زيّ المرأة القروية :

كل بلد ولها زيّ وكل شجرة ولها فيّ

يتكون اللبس القروي بعامة من ثوب طويل فضفاض يشدّ وسطه زنار أو حزام، ويسمّى في بعض القرى الجداد . ويصنع الثوب العادي (الخلق) الذي تلبسه القروية في حياتها اليومية وفي

---

(١) تطلق كلمة جلوة في هذا القرن على الاحتفال الذي يقام ليلة العرس ، ويحضره العريس وحده ، ويستمتع بالغناء والرقص المقدم على شرف عروسه . وفي هذه السهرة ترقص العروس أيضاً بعد أن تغيّر ملابسها قبل كل رقصة . وأطلقت كلمة جلاية بعد الثلاثينات على فستان العروس .

(٢) الصمادة من حلي المرأة . وهي أيضاً ما يلفّه الرجل على رأسه أو نحوه دون العمامة .

أثناء عملها من القماش القطني البسيط . وهنالك أقمشة أغلى ثمناً وأمتن حياكة وأجمل نسجاً تتركها للمناسبات ، وإن كانت من الميسورات لبستها يومياً . فمن المنسوجات الكتان والقطن المقلم والهرمز والتوبيت والكرمسوت والملك والرومي والمخمل وغيرها (رَ : الحرف اليدوية) .

أما ألوان الأثواب فهي النيلي والأسود والأبيض . وتراعي القروية في لبسها الفصول وتغيرات الطقس فتلبس الأثواب البيضاء في الصيف والسوداء في الشتاء .

تفصل أكمام الثوب على أشكال مختلفة ، منها الضيّق ، ومنها ما يتسع قليلاً عند الزند ، ومنها ما يتدرج بالاتساع حتى يلتقي طرفاه في نقطة يعلّق بها قليل من الشراريب . وتعرف هذه الأكمام بالردّان .

ثوب بيت دجن

وإنْ قصر الردّان عن طوله المألوف عرف بأبو الردّين . ولا شك أن طول الردّان يعيق المرأة عن القيام بواجباتها المنزلية ، لذلك « تقفع الكم » ، أي ترفعه ، إلى وراء رقبتها . وتفضل نساء بيت سوريك والقبيبة والجيب وبيت نبالا لبس أبو الردّين .

والشيء المميز في ثوب القروية هو التطريز بألوانه وأشكاله وحداته ومواقعه على الثوب . وكلها عوامل مهمة في تحديد منشأ الثوب تحديداً كان فيما مضى أقرب ما يكون إلى الجزم . غير أن عوامل كثيرة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، كوسائل النقل الحديثة ، وتطور تقاليد الاحتفالات، ولا سيما الأعراس (رَ : العرس) ، وما سببته النكبة من تشتيت وتهجير ، ساعدت على اختلاط الأمر ، وأصبح التعرف على القرية من خلال أثواب نسائها أمراً صعباً .

ويلبس فوق الثوب التقصيرة . وهي كالدامر القديم ذات اكمام قصيرة . وتلبس الجبة في مناطق أخرى .

ويمتاز لبس الرأس عند المرأة الفلسطينية بجمال شكله ، وتنوع صفاته ، وبكثافة تطريزه ، وبعظم كلفته . وهناك تقريباً أربعة أنواع من لباس الرأس هي :

(١) الشطوة : وتخص بيت لحم * فقط ، وهي أسطوانية الشكل طويلة ، ولكنها غير مدببة أو دقيقة الرأس كتلك التي كانت تلبسها الدرزيات اللبنانيات قديماً . إن الشطوة عمامة طويلة أو ربما هي تطوير للطرطور المذبذب الطرف أو المثلث الشكل الذي كان لبسه شائعاً في القرن الرابع عشر الميلادي في مصر وما جاورها . ثم لبسه الدراويش في مصر والمولوية في لبنان وسورية . ويقال إن الطرطور كان يلبسه البدو ، وكانوا يحلفون به . وهناك مثل يقول « وحق الطرطور » ، كما شبهوا الخصم المغلوب بمن وقع من أول ضربة « كطرطور البدوي » .

كانت الشطوة في أوائل هذا القرن أقصر مما هي عليه الآن ، وكان يصفّ على مقدمتها صف من الدراهم ، ومن فوقه صف ثان من المرجان . وفي العشرينات ازداد طول الشطوة وأصبحت خمسة صفوف من الدراهم الفضية والذهبية . أما التطريز الموجود على الشطوة فهو في غاية الدقة . وتوضع فوق الشطوة خرقة مربعة من الحرير الأبيض تعرف بالتربيعة .

(٢) الطفطاف والشكة أو العرقية : تصل إلى خلف الأذنين وهي مكونة من صفّين من النقود . وأما خلف الرأس فتوضع أربع قطع من النقود (الرباعيات) أكبر حجماً من تلك التي توضع في الأمام . وفي حال وجود صف واحد تدعى شكّة أو عرقية يلبسها نساء قضاء الخليل والقدس ويافا .

(٣) الوقاة : لعلها تحريف لكلمة « وقاية » ، أي ما يقي الرأس . وتعرف أيضاً بالصفّة لما يصف عليها من الدراهم ، وقد ينوف عددها أحياناً على الثمانين قطعة . وفي العهد العثماني كانت نساء رام الله يضعن من النقود الوزري الفضي أو نصف الوزري (والوزري يعادل عشرة قروش تركية) ، أما الميسورات فكن يضعن ليرات ذهب ، أو نصف ليرات ذهب . وتكون هذه النقود حصة المرأة من مهرها ، ويحق لها التصرف بها كما تشاء . والوقاة خاصة بنساء رام الله وقضائها وهي ذات دائرة بشكل لفّاتة محشوة بقماش لينّ تطوق الرأس حتى آخر الرقبة حيث تتصل بلفّاتة عرضية .

(٤) الحطّة والعصبة : وتلبسها نساء شمال فلسطين . وقد تأتي الحطّة على أشكال مختلفة ، كلفحة كبيرة كما في زي دبورية ، أو

شال كما في الصفصاف . وهناك دائماً العصبة المعقودة حول الرأس .

والتطريز عنصر أساسي من عناصر الزي . وهو يدل على مهارة المرأة وموهبتها وذوقها . وهو من الهوايات المفضلة عند المرأة الفلسطينية . وهناك بَلَدَان احترفت نساؤهما التطريز ، وهما بيت لحم وبيت جالا * . أثرت نكبة ١٩٤٨ وما سببته من ضغط على الحياة في هذه الهواية الجميلة وحدّت من انتشارها وتوارث الخبرة فيها . وقد سعت بعض المؤسسات والجمعيات في الأردن وسورية ولبنان للحفاظ على تراث التطريز الفني الأصيل ، ففتحت مراكز للتدريب عليه ، ولتأمين الكسب الشريف للمشتغلات فيه .

وهناك ثلاثة أشكال من القطب ، أو الغُرَز ، هي : قطبة الصليب ، وقطبة التحريري أو الرشيق ، وقطبة اللف . وتفخر المرأة الفلسطينية بإبراز تلك القطب في وحدات وأشكال رائعة جميلة . وقد كشفت تسمية المرأة الفلسطينية لهذه الوحدات عن نفسيتها ، وعن انطباعاتها بما تتأثر به في حياتها البسيطة ، إلى جانب ما تتميز به من روح النكتة والمرح . ومن الأسماء التي أطلقتها على بعض القطب : « سنان الشايب » و « مخدة العزّابي » و « شيخ مشقلب » و « ثلاث بيضات في مقلى » و « رجل الجاجة » .

ومن الأزهار التي تطرز : الزنبقة ، وعرق التوت ، وعرق الورد ، وعرق القطوف (أو الدوالي) ، وعرق النخلة ، وعرق السروة ، و « قوّار الزهور » .

ومن الحيوانات : البطة ، والسبع ، والحية ، والطاووس ، والحمامة ، والحلزون ، وعرف الديك .

ومن القطب الشائعة نجمة بيت لحم ، ومفتاح الخليل ، وحوض القيثارة .

ويغطي التطريز أماكن معينة من الثوب ، فهناك تطريز ضمن مربع على الصدر يعرف « بالقبة » ، وعلى الأكمام ويسمى « الزوائد » ، وعلى الجوانب ويعرف « بالبنايق » أو « المناجل » . كما يطرّز أسفل الظهر على مسافات مختلفة . ويلاحظ أن الجهة الأمامية من الثوب تكون دائماً خالية من التطريز إلاّ عندما يكون الثوب ثوب زفاف فيظهر عندئذٍ بكثافة ، أو يشقّ ويلبس من تحته « شروال » برتقالي اللون أو أخضر . وهناك قرى تضع قطعة من قماش المخمل وراء القبة وتزينها بالتطريز .

ومما هو جدير بالملاحظة أن جميع القرى الفلسطينية تشترك في تطريز بعض القطب وتختلف فيما بينها فقط في الأمكنة التي يضعونها فيها . كما أن بعض المناطق تكثر من استعمال عدد مختار من القطب حتى يصبح وجودها بهذا الشكل المكثف دليلاً على منشأ ذلك الثوب . فالقطبتان البارزتان في قضاء غزة هما القلادة والسروة . وفي رام الله * تبرز قطبة النخلة ، كما يكثر استخدام اللونين الأحمر والأسود (وكان يكثر في الماضي اللونان الأصفر والزهر) . ويكثف التطريز في بيت دجن * ، ويظهر بوضوح التتابع التقليدي للغرز . وتمتاز الخليل * بقطبة السبعات (٧) المتتالية ، وتكثر فيها قطبة الشيخ . وهناك ما يميز الثوب الخليلي من غيره ، وهو طريقة التطريز عند آخر الثوب ، ولا سيما من الخلف بشكل شريحة عرضية . وهو تأثير بدوي يظهر أيضاً في بيسان * وبير السبع * .

وهناك غرزة معروفة بالميزان تظهر بين الجبل والساحل . والمعروف أن غرزة الصليب هي الأكثر شيوعاً في التطريز ، لكنها غير مستعملة في بيت لحم . والقبّة التلحمية ذات أثر هام في تراث التطريز الفلسطيني ، وهي تختلف عن جميع المناطق في أن الخيطان المستعملة في تطريزها من الحرير والقصب ، وأن الغرز المستعملة فيها هي المعروفة بالتحريري أو الرشيق ، واللفّ . وطريقة التحريري هي أن يمد خيط القصب على مسافات يحددها الرسم ، ويلفّ حوله قطب على بعد مسافات قصيرة لتثبيته . ومن حسنات هذه الطريقة أنها تسهّل عمل التعرّجات والتحكم بإتقان الوحدة . وإذا ما مدّت بشكل خطوط متوازية ملء الفراغ بينها بقطبة اللف .

وقد استحوذ هذا النوع من التطريز التلحمي على الكثيرات من نساء فلسطين ، وأصبحن يقلدنه ويطعمن أثوابهن بتلك الطريقة . ومن القرى التي نقلت هذا الأسلوب قرية لفتا * التي يتكون ثوبها من الحرير الأحمر والأخضر (ويعرف بالجنّة والنار) ويضاف إليه قبة تلحمية ، وقريتا سلوان وأبو ديس ، والثوب فيهما قماش قمباز مقلم مع قبة تلحمية .

ومن الملاحظ أيضاً إضافة شرائح من قماش حريري على قماش الثوب الأصلي . وقد استلطفت ذلك نساء القدس ، ويافا * ، وغزة * ، وبيت دجن .

وقد تشذّ بعض القرى عن كل ما ذكر . فنساء الطيرة * ، قرب حيفا * ، يلبسن فساتين بيضاء بدون أكمام مطرزة بقطبة التيج وبرسوم طيور وسواها ، ويلبسن تحتها سروالاً مكشكشاً وبلوزة مكشكشة أيضاً . ولا بد من دراسة هذه الظاهرة هنا لمعرفة تأثير المدنيات المتعاقبة عليها .

أما في الصفصاف * في شمال فلسطين فإن لبس السروال الملوّن والضيق متداول . كما أن الثوب مقلم بألوان العلم العربي مضافاً إليها اللون الأصفر . ومما يلفت النظر قصر الثوب من الأمام بالنسبة إلى طوله من الوراء .

وتُعرف أثواب المجدل * وجوارها من تطعيم الأثواب بشرائح طويلة من الحرير البنفسجي .

أما الحزام أو الجداد فيختلف حسب المنطقة التي يلبس فيها .

ففي الشمال يكون من الحرير الصافي الملون تبدو عقدته على أحد الجانبين . وفي وسط فلسطين يكون من الحرير المقلّم ، ويعقد في الوسط . ويبطن أحياناً بقماش مقوّى ليبقى جامداً على الخصر . وقد يستعمل الصوف الملون في بعض القرى . وتشذ بعض القرى كقرية تلحوم عن هذه القاعدة ، فنساؤها لا يتنطقن بأي حزام .

٣) الزي البدوي : يظهر في جنوب فلسطين ، ولا سيما في أريحا * ، وعند التعامرة قضاء بيت لحم ، وفي شمال بحيرة طبرية * .

وثوب التعامرة مثلاً أسود ذو أكمام طوال فضفاضة ، ولا أثر للتطريز في لبسهم ، غير أن هنالك قليلاً منه حول أكمام العباءة القصار . وفي أسفل الثوب الخلفي أقلام من أقمشة ملونة تشير إلى القبيلة أو المنطقة التي تنتمي إليها لابسة ذلك الزي . ويمتاز لبس الرأس بطبقات من النقود الفضية تغطي كل الطقية ، وفي أطرافها عند الأذنين تعلق أقراط ثلاثية الشكل وخيوط طويلة مزينة بالنقود وبحجارة الكهرمان .

أما في أريحا فالثوب أسود طويل (٢٠ ذراعاً)، ويعرف « بالصاية » . يثنى في الوسط فيصبح مكوناً من ثلاث طيات ، ويطرّز بطرق تختلف اختلافاً تاماً عن زي باقي نساء فلسطين . ويكون التطريز بخطوط طويلة تجري من الكتفين إلى أسفل الثوب ، وتلبس من فوقه عباءة خفيفة .

والثوب البدوي شمال بحيرة طبرية أسود طويل في أسفله خطوط من قماش فضّي عليها رسوم تحمل أسماء خاصة ، مثل « ثلاث بيضات في مقلى » ، و « خطوات حصان في الربيع » . ويتدلّى على الصدر طوق فيه حبال من الفضة والمرجان . وتلبس فوق الثوب جبّة مطرزة إلى أسفل الركبة ، ولها أكمام عريضة ومطرزة .

٤) الحلي ، والزينة ، والتزيين : إن غالبية الحلي المستعملة في فلسطين من الفضة . ويرجع تاريخ صياغة الفضة في فلسطين إلى آلاف السنين عندما كانت الكنعانيات يتحلين بها . وقد اشتهرت القدس * في العصر الحاضر بصياغة الفضة .

وللحلي المصوغة أهمية كبرى عند المرأة ، إذ تحتل الجزء الأهم من جهازها .

وتأتي الحلي على أشكال وأحجام مختلفة ، وطريقة لبسها والتحلي بها محدد ومتعارف عليه تقليدياً، وبعض ذلك تشترك فيه المرأة المدنية والمرأة القروية . ومن الحلي :

(١) الصمادة : تضاءل لبسها بعد العشرينات . وهي كيس اسطواني يحشى بمواد لينة كالقطن وما شاكله - ويدعى هذا الكيس « مقرعة» - ثم يحنى حتى يحيط بالرأس ويتدلى قليلاً تحت الذقن . وتخاط على الجهة الخارجية منه مسكوكات أطرافها مثقوبة ، وقائمة على حروفها، وعددها ٢٠٠ - ٤٠٠ قطعة من الزهراويات وأنصاف الزهراويات . وفي مؤخرتها قطعة قماش تكسو مؤخرة الرأس تخاط فيها المسكوكات أيضاً .

(٢) الزناق : سلسلة فضية ، أو طوق فضي ، تربط به الصمادة تحت الذقن ، وتتدلى منه سلاسل أخرى بأشكال مختلفة في أطرافها مسكوكات صغيرة وأهلّة من فضة ، وتشترك في لبسها المدنية والقروية .

(٣) الصفة : كانت قديماً قطعة نسيج تخاط بها مسكوكات ذهبية وتوضع في أعلى الصمادة فوق الجبهة .

(٤) القفوة : هي طربوش يخاط عليه قرص من ذهب أو من فضة تعلق في أطرافه بنود حرير في أطرافها أنابيب ذهب ، ومنها مسكوكات ذهبية تلبسها بعضهن بدلاً من الصمادة .

(٥) القرامل : ما تشده المرأة إلى شعرها . وهي ست كرات من فضة مفرغة بحجم الجوزة ، ويعلق في أسفل كل كرة سلاسل وبنود حرير تضفر المرأة بها شعرها .

(٦) الشوكة : قطعة من فضة أو ذهب تشبه فقاعة الماء ذات ثقوب ، وفي وسطها حجر ثمين ، وعلى محيطها سلاسل في أطرافها نقود ، تناط حول العنق بسلسلة .

(٧) الدمالج : هي أساور فضية عريضة تلبس في العضد، وقد تناط بها كرات تحدث صوتاً عند الحركة .

(٨) الأساور : على أنواع كثيرة من فضة أو ذهب عليها بعض النقوش البسيطة . ويعرف منها « المكوبج » و « قبور اليهود » و « السليتات » . ومنها ما يكون من زجاج فيعرف « بالغويشات » .

(٩) الخلاخيل : هي أساور الرجلين . ويناط بها ما يحدث صوتاً عند المشي .

(١٠) الحياصة : زنار عريض من سلاسل الفضة يناط به عند عقدته عدة سلاسل صغيرة في أطرافها نقود أو أجراس صغيرة .

(١١) الشكل : عقد من سلك تنظم فيه نقود ذهبية أو فضية ،من أنواعها « الغازيات » أو « الغوازي » التي دعيت كذلك لأن نقودها تمثل السلاطين الغزاة . و « المشاخص » ، أي نقود مرسوم عليها تماثيل أشخاص غريبة، ويدعى بعضها « أبا لوزة » ، ولعل هذا الاسم لصانعها . ثم « الجهادي » أي نقود السلطان محمد المجاهدي .

(١٢) الكتاب : هو صورة كتاب من فضة بحجم الكف تقريباً ، تعلق بأطرافه مسكوكات ، ويناط بالعنق ، ويرسل إلى الصدر ، أو إلى أحد الجانبين . وقد توضع فيه الكتب السماوية ، أو الآيات الكريمة ، وفي بعض الأحيان التعاويذ .

(١٣) القلائد : وهي أنواع كثيرة من كهرمان ومرجان وخرز بسيط أو مسكوكات تسمى « براغيث الست » .

(١٤) البقمة : معرب « بوغمت » بالتركية وتعني القبة . وهي طوق من الفضة يوضع حول الرقبة ، تتدلى منه خمس سلاسل من الفضة تقطعها على مسافات معينة أربعة صفوف من النقود الفضية .

(١٥) الكردان : الكردان اسم فارسي يعني العقد . وهو قطع صغيرة من ذهب تشبه مدقات زهر العبير تثقب عرضاً وتنظم في سماط يحيط بالعنق .

(١٦) القبية : مسكوكات ذهبية منظومة في سمط (خيط) تقوم مقام الكردان .

(١٧) الشعيرة : قطع من ذهب تشبه حب الشعير تنقب عرضاً وتستعمل بدلاً من القبية .

(١٨) الذخيرة : علبة صغيرة من فضة أو ذهب على أشكال مختلفة توضع فيها التعاويذ وتناط بالعنق .

(١٩) المهبّر : أسورة فضية غليظة عليها نقوش .

(٢٠) الحيضري : أسورة فضية غليظة عليها فقاقيع مدببة .

(٢١) الشناف : خرص من ذهب أو فضة أو نحاس يناط بخشم الأنف .

(٢٢) البرقع : طوق من قماش مطرز حول الرأس يتفرع منه ما بين العينين شريطان مشكوك على جانبيهما نقود بأحجام مختلفة يغطيان الأنف والفم ويربطان خلف الرقبة . وعلى بعد ٥٠ سم من ملتقى الشريطين على الجبهة يتدلى عقدان من الخرز الملون والمرجان ينتهي كل منهما بقطعة نقود .

تعنى المرأة الفلسطينية بزينتها ، وتعير إبراز جمالها الاهتمام الكافي . وإذا كانت إمكاناتها المادية لا تسمح لها باقتناء الحلي الفضية والذهبية لجأت إلى تزيين شعرها بالورد والتفنن بلبس منديل الأويا . وهذا يكثر عند المرأة المدنية . كما أنها تهتم وأختها القروية بتكحيل العيون ، باعتبار أن الكحل إلى جانب أثره التجميلي صحي للعين ، حتى إن المرأة تكحل طفلها بعد الولادة . وتسمى المكحلة التي تصنع غالباً من خشب الزيتون « المرواد » .

وتهتم المرأة في الاحتفالات والأعياد بإلصاق البَرَق والخرز اللماع على وجهها ، فتلصقه العروس على وجهها وجبينها ، وترخي المنديل على وجهها .

ومن الزينة الوشم . وهو ذو أشكال مختلفة منها : الخضر راكب على حصانه ، أو بعض المعالم الدينية كالحرم والقيامة . ويستوي في هذا الوشم النساء والرجال . وهم يشمون ظهور الأيدي وباطن الذراعين والعنق والذقون .

وإذا كان الوشم ، كما يظهر ، قد فقد بعض رموزه الدينية ، وأصبح لوناً من ألوان التجميل والزينة ، فإنه في حقيقة الأمر ما زال يستعمل درءاً للإصابة بالعين ، وردّاً للحسد والشر .

ب ـ زي الرجل : إن الزي المعروف لدى الرجال هو القمباز ، ويعرف بالغمباز (بالغين) ، أو الكبر ، أو الدماية ، وهو رداء ضيق من الأعلى ، يتسع قليلاً من الأسفل ، مشقوق من الأمام ، ويرد أحد الشقّين على الآخر ، كما أنه مشقوق من جانبيه حتى الزنار . وقمباز الصيف من الكتان ، وذو ألوان مختلفة ، وقمباز الشتاء من الجوخ . ويلبس من تحته قميص أبيض قطني يعرف بالمنتيان . أما السروال فيزمّ عند الوسط « بدكة » . وهو طويل يكاد يلمس الحذاء .

يلبس فوق القمباز في الغالب الدامر ، وهو جبة قصيرة ، أو السلطة ذات الأكمام الأقصر .

وتغطي العباءة القمباز والدامر . والعباءة على أنواع وألوان متعددة ، منها المصنوع من القماش الثمين لبس الأغنياء ، ومنها المصنوع من الأقمشة البسيطة لبس القروي العادي . ومن أشهر أنواع العباءات : المحلاوية ، والبغدادية ، والمزّاوية العادية ، والمزّاوية الصوفية ، والأرجباوية ، والجمّصية ، والصدّية ، وشال الصوف الحرايري ، والخاشية ، والعجمية ، والحضرية ، والباشية .

والبشت أقصر من العباءة . وهو على أنواع أشهرها : الخنوصي ، والحلبي ، والحمصي ، والزوفي ، واليوز ، والرازي .

وقد اختصر لبس القمباز في بعض الأماكن ، واتسع السروال ، وأصبح يدعى «الإسكندراني» نسبة إلى إسكندرونة في الشمال، لأنه لبس بعض الأرناؤوط وغيرهم الآتين من تلك الجهات . ويلبس فوق هذا السروال الفضفاض الذي يصنع من ستة أذرع من القماش قميص أبيض بدون قبة ، ومن فوقه الصدرية أو الدامر ، ويلف على الوسط شملة يراوح طولها ما بين عشرة أذرع واثني عشر ذراعاً . وقد تمسّك بهذا الزي بحّارة يافا .

أما الحزام ، أو ما يسمونه «السير»، فهو إما من الجلد وإما من قماش مقلم قطني أو صوفي . ويسمى العريض منه اللاوندي :

يا بنت أنا ضيف أبوك ... يا بو الحزام اللاوندي
يا ميت هلا بضيف أبويا ... لو ان وراه ميت أفندي .

أما مشايخ البدو فيلبسون الحزام « السليمي » ، نسبة إلى السلطان سليم .

ويتكون غطاء الرأس من العمامة ، أو الحطة والعقال ، أو الطربوش .

١) العمامة : أو العمة ، أو الطبزية ، أو كما تسميها بعض

القرى الكفّية ، قماش يلف على الرأس فوق طقية أو طربوش . ويرجع أصل العمائم إلى الأشوريين والمصريين القدماء . وقد دلت الرسوم الأثرية على أنهم تعمموا . ويقال إن العرب قبل الإسلام لبسوا العمامات . كما يقال إن الرسول عليه السلام كان يعتمّ بعمامة بيضاء ، وأن الأبيض هو اللون المفضل عنده . وقد اتخذت العمامة في الإسلام * زياً تقليدياً قومياً وزياً دينياً عند المسلمين ورمزاً إلى مختلف الوظائف الدينية والرسمية . وللعمامة الخضراء أهمية في التاريخ الديني وما يزال المنتمون إلى الطريقة الرفاعية في فلسطين يعتمون بعمامات خضراء .

وتحظى العمامة في مختلف الأوساط العربية والإسلامية باحترام كبير . ويحفظ في بيوت الميسورين كرسي خاص لتوضع العمامة عليه . ومن التقاليد المرعية في البلاد العربية أن ترسل العمامة مع جهاز العروس .

وهناك آداب وأصول يجب على المعتم أن يتقيد بها . منها أن تلبس العمامة عند ظهور اللحية وعند البلوغ ، وأن على صاحبها أن يلفها من الجهة اليمنى إلى الجهة اليسرى وهو واقف بعد أن يذكر البسملة .

وهناك طرق كثيرة تلف بموجبها العمامة ، وقد ذكر منها ست وستون طريقة . وأما عدد اللفات فيجب ألاّ يقل عن أربعين لفة .

ويلبس أغلب القرويين بفلسطين عمائم مختلفة الألوان والأنواع تزيد أشكالها على الأربعين نوعاً . ويستعمل القروي الفلسطيني عمامته مكاناً لوضع بطاقته العسكرية ، وكوشان النفوس ، والمرآة والمشط ، والقداحة والفتيلة والصوفانية والمسلّة . ويلبس تحت العمامة أو الكفية أو الطبزية قبعة صغيرة تصنع عادة من القطن الناعم ، وتعرف بالعرميّة . ومن فوائدها امتصاص العرق ، وتثبيت العمامة مكانها ، وإبقاء الرأس مغطى في حال وضع العمامة عنه .

ومن الطريف أن أفراد شرطة القدس (١٩١٩) كانوا يلبسون العمامة زيّاً رسمياً . وكان الرجل المسلم يعتم بالعمامة البيضاء ، أما المسيحي فكان يعتم بالسوداء أو الصفراء .

٢) الكوفية : في عام ١٩٣٦ ، ولأسباب سياسية، قرر زعماء الثورة الفلسطينية توحيد لباس الرأس عند الفلسطينيين فأقرّوا لبس الكوفية والعقال والاستغناء عن العمامة والطربوش .

وتسمى الكوفية أيضاً « الحطة » . ويظن دوزي أنها إيطالية الأصل انتقلت إلى الشرق عن طريق التجارة * في القرون الوسطى ، ووصفها أحد الباحثين الأوربيين فقال : " إنها غطاء مربع يلبس على الرأس ، تكون من أقمشة مختلفة قطنية أو صوفية ، أو من الحرير ، وتزخرف أحياناً بالخطوط الذهبية ، ويلبسها اليوم السعوديون وكثير من القبائل البدوية " .

وقد جاء في قصص ألف ليلة وليلة وصف لعدد من النساء يلبسن الكوفيات الحريرية والصوفية والخزّية ، مما يشير إلى أن الكوفية كانت تعدّ من لبس النساء الخاص . ويؤكد ذلك ما جاء عن لبس نساء شمال فلسطين من قبل .

ويستعمل أهل المدن الكوفية شكلاً مكملاً لأناقتهم ، فيلقيها الرجل حول كتفه فوق القمباز أو الدامر ، وتكون عادة من الحرير ذي اللون العنّابي ومزخرفة بخطوط ذهبية .

٣) العقال : يصنع عادة من الصوف ويؤلف عصابة حول الرأس من دور أو اثنين أو ثلاثة . وللعقال عند الرجل منزلة عالية ، فهو يميزه من المرأة التي تلبس الحطة فقط ، وهو يعتز بلبسه ما دام في وضع شريف وكرامته محفوظة . وهو مثلاً يحرم على نفسه لبسه إن كان طالب ثأر ولم يثأر لنفسه بعد . " فإن القاتل يدخل بيت المقتول يوم (العيبة)، أي الصلح ، وهو يضع العقال في رقبته . وفي ذلك كناية عن أن الرجل الذي لم يثأر لنفسه مجرد من الرجولة حتى يستردها بالثأر ، وعندها يحق له أن يلبس العقال " .

٤) الطربوش : غطاء رأس الرجل في المدن الفلسطينية . والكلمة فارسية الأصل دخلت العربية في القرن السادس عشر الميلادي ، والطربوش مصنوع من الجوخ الأحمر ، وله زر من الحرير الأسود مثبت في منتصف قرصه الأعلى ، ويتدلّى إلى جانبه شراريب سود . استعمل الطربوش في البلاد العثمانية إبّان القرن التاسع عشر ليحل مكان العمامة التي بدأ بعض الناس يتخلون عنها . وقد قضت حكومة مصطفى كمال أتاتورك على استعماله .

ويقول القس أسعد منصور في كتابه « تاريخ الناصرة » إن الرجل الفلسطيني كان يلبس في أواخر القرن الثامن عشر « الشطفة » ، وهي طربوش يخاط على حافته زان (زيف) من الحرير ويكسر إلى الوراء إلى الجهة اليمنى . ويكون على الزيف قطعة نسيج حمراء تسمى « حرشة » ، وفوقها منديل يدعى « السمك بالشبك » كان يلبسها المسلم والمسيحي إلى أن منعها عبد الله باشا .

ويختلف الطربوش في فلسطين عن الطربوش في المغرب ، فهو أطول منه ومبطن بقماش مقوّى أو بقش للحفاظ على شكله . أما الطربوش المغربي الأحمر القاتم (الغامق) فكان يلبسه الرجل المسيحي .

كان الطربوش من أجمل أزياء الرأس عند الرجل ، غير أن لبسه غير عملي ، إذ لا يترك متنفساً لتهوية الرأس في الصيف ، ولا يقي

من البرد أو يتحمل المطر في الشتاء . ولا شك أن الكوفية خير منه لأنها توفر للابسها الدفء في الشتاء وتلطف حرارة الصيف .

المراجع :

— هاني العمد : أغانينا في الضفة الشرقية من الأردن ، عمان ١٩٦٩ .
— نمر سرحان : أغانينا الشعبية في الضفة الغربية من الأردن ، بيروت ١٩٧٣ .
— يسرى جوهرية عرنيطة : الفنون الشعبية في فلسطين ، بيروت ١٩٦٨ .
— Dozy, R.: **Supplement aux Dictionnaires Arabes,** 2d ed. London 1967.
— **The Encyclopaedia of Islam.**
— Kohler, E.: **A History of Costume,** New York 1963.

إسبانيا :

تعتمد السياسة الإسبانية في القضايا العربية عامة ، والمسألة الفلسطينية خاصّة، على أربعة عوامل منها عاملان ثابتان وعاملان متغيران . أما العاملان الثابتان فهما العامل الجغرافي والعامل التاريخي ، والعاملان المتغيران هما السياسي والاقتصادي .

يظهر العامل الجغرافي في أن موقع إسبانيا في الطرف الأقصى لجنوب أوربا ، مقابل المغرب الأقصى ، بوّأها أن تكون جسرا بين أوربا والمغرب العربي وإفريقيا . كذلك فإن هذا الموقع الجغرافي جعلها بلداً متوسطياً وأطلسياً معا ، فهي من جهة تطل على الشاطىء الغربي للبحر المتوسط ومن جهة أخرى تشرف على الشاطىء الشرقي للمحيط الأطلسي . إن كون إسبانيا بلداً متوسطياً وثّق صلاتها بحضارة شعوب هذا البحر الذي عن طريقه كذلك انتقلت إليها هجرات بشرية عبر التاريخ مثل الفينيقيين* والرومان والعرب . ولما كان الوطن العربي يشغل الضفتين الشرقية والجنوبية لهذا البحر فقد كان لا بد لإسبانيا من اتخاذ سياسة تقارب مع الأقطار العربية ، وبالتالي تأييد قضية العرب الأولى ، قضية فلسطين . وقد أدرك العدو الصهيوني أهمية هذا العامل في السياسة الإسبانية فأخذ يدّعي عن طريق إعلامه النشيط في إسبانيا بأن (إسرائيل) هي بلد متوسطي أيضاً .

يتلخص العامل التاريخي في أن الإسبان يعتبرون تاريخ الأندلس الإسلامي قاسماً مشتركاً أعظم جامعاً بين العرب وبينهم ، ولذلك فهم يعتزون بهذا التاريخ ويحرصون على حضارة الأندلس العربية ويعتبرونها جزءاً من حضارتهم وتاريخهم . وقد كان لهذا التراث المشترك أبلغ الأثر في الموقف الإسباني تجاه القضية الفلسطينية . وفهم العدو الصهيوني قيمة هذا العامل فرّكز نشاطه في مجالين : الأول هو أن لليهود قسطاً وافراً في هذه الحضارة الأندلسية يعادل ما للمسلمين ، والثاني هو أن السفارديين * هم ورثة الأندلس الوحيدون أضف إلى هذا أنهم يتكلمون اللغة الإسبانية القديمة " اللادينو " *Ladino* .

يتجلى العامل السياسي في أنه فُرِض على إسبانيا حصار اقتصادي وسياسي من قبل الدول الرأسمالية والاشتراكية على السواء إثر تسلّم الجنرال فرانكو السلطة فيها عام ١٩٣٧ باعتبار نظامه ديكتاتوريا فاشيّا تعامل مع النازية أثناء الحرب العالمية الثانية ، فلم يكن أمام هذا النظام من مجال سوى انفتاحه على دول أمريكا اللاتينية والدول العربية . أضف إلى هذا أن الجنرال فرانكو اعتمد في تمرده عام ١٩٣٦ على النظام الجمهوري الذي كان سائداً في إسبانيا منذ عام ١٩٣١ حتى عام ١٩٣٦ ، اعتمد على فرق عسكرية مغربية ساعدته في زحفه من جزر الكناري حتى شمال المغرب ثم إلى إسبانيا فيما بعد للاستيلاء على السلطة . وظل حرسه الخاص مؤلفاً من هذه الفرق حتى عام ١٩٥٨ حين نشب النزاع بينه وبين المغرب حول مسألة إفني . مع العلم أن فرانكو كان قد قدم خدمات كبرى لليهود أثناء الحرب العالمية الثانية ، إذ منح أعداداً كبيرة منهم جوازات سفر إسبانية وسمح لهم باللجوء إلى إسبانيا بحجة أنهم سفارديون من أصل إسباني . وقد استند نظام فرانكو على هذه الحجة كذلك في منحه الجنسية الإسبانية إلى عدد كبير من اليهود في البلدان العربية وتسفيرهم إلى اسبانيا خلال حروب ١٩٤٨ * و١٩٥٦ * و١٩٦٧ * .

يتمثل العامل الاقتصادي في أن البنية الاقتصادية لإسبانيا سواء في عهد فرانكو أو في العهد التالي له هي ذات طابع زراعي وسمة صناعية من النوع المتوسط ، مما دفع بإسبانيا إلى البحث عن أسواق لمنتجاتها في دول العالم الثالث ، ومن بينها البلدان العربية ، وكذلك إلى البحث عن المواد الأولية وفي مقدمتها النفط الذي تستورده من هذه الدول نفسها .

حين قام الكيان الصهيوني على أرض فلسطين استثنى بن غوريون إسبانيا من رسائله التي بعث بها آنذاك إلى زعماء دول العالم . وظلت (إسرائيل) تعارض دخول إسبانيا إلى الأمم المتحدة خلال عمليات الاقتراع على طلب إسبانيا الانتساب إلى هذه المنظمة . وقد تمّ قبول إسبانيا عضواً في الأمم المتحدة عام ١٩٥٥ بفضل أصوات الدول العربية ودول أمريكا اللاتينية وبعض الدول الإفريقية . وتقف (إسرائيل) إلى جانب بريطانيا في مسألة جبل طارق الذي تطالب إسبانيا بخروج الإنكليز منه وعودته إليها ، في حين كانت الدول العربية وما زالت تدعم حق إسبانيا في السيادة على جميع أراضيها بما فيها جبل طارق .

لم تعترف إسبانيا (بإسرائيل) ، وأيدت القضية الفلسطينية في جميع المحافل الدولية ، وكان اليمين الإسباني ، أيام فرانكو ، يؤيد

هـذا الموقف في حين كان اليسار المعارض يطالب بالاعتراف (بإسرائيل) وإقامة علاقات دبلوماسية معها على جميع المستويات . ولعل أهم تحوّل ، بعد انتهاء حكم فرانكو هو أن اليمين غدا يطالب بإقامة مثل هذه العلاقات مع الدولة الصهيونية ، في حين يقف اليسار إلى جانب قضية الشعب الفلسطيني في إقامة دولته على أرضه . أما الحكومة الإسبانية فتقف موقفاً مترددا ، فهي حكومة وسط لها سياسة غربية واضحة تطالب بالدخول في الحلف الأطلسي وفي السوق الأوربية المشتركة . ويدّعي الصهيونيون ومؤيدوهم في إسبانيا كذبا أن على إسبانيا الاعتراف (بإسرائيل) وإنشاء علاقات دبلوماسية معها لكي تقبل عضوا في السوق الأوربية المشتركة . ولم تفلح الولايات المتحدة الأمريكية بالضغوط الاقتصادية الكبرى التي تمارسها على إسبانيا في حملها على تغيير مواقفها تجاه القضية الفلسطينية . كذلك أخفقت ضغوط الجالية اليهودية في إسبانيا ، وعدد أفرادها يجاوز ٢٥ ألفاً ، في حمل إسبانيا على إقامة علاقات دبلوماسية مع تل أبيب ، رغم وجود علاقات تجارية وسياحية وثقافية بين إسبانيا (وإسرائيل) ، لكن علاقات إسبانيا الاقتصادية مع الوطن العربي تبقى أكبر وأشد أثراً .

وعلى صعيد الأمم المتحدة تقف إسبانيا بحزم وصلابة إلى جانب الحق العربي . وقد صوّتت إلى جانب جميع القرارات المؤيدة للحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي في فلسطين وفيها القرار التاريخي ٣٢٣٦ (الدورة ٢٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ حول إقرار حقوق الشعب الفلسطيني ، والقرار ٣٢٣٧ (الدورة ٢٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ والقاضي بمنح منظمة التحرير الفلسطينية * مركز المراقب في دورات الجمعية العامة والمؤتمرات الدولية التي تعقد برعايتها .

وقد شهدت برشلونة في نهاية عام ١٩٨٠ واحدة من أكبر التظاهرات الشعبية للتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني .

المراجع :

— Fernando Latorre: España el problema de Oriente Medio, **Revista Mundo Arab,** No 6.

— Fernando Morán: **Una Politica exterior para España, Palaneta,** Barcelona 1980.

الإسبتاريّة (منظمة ــ) :

أنشأ الفرنجة * في القدس * مشافي يشرف عليها الرهبان (رَ: المستشفيات) ، منها مشفى القديس عازار لمداواة المجذومين ومشفى القديس يوحنا . وقد نجم عنهما تأسيس ثلاث منظمات رهبانية عسكرية هدفها إيواء ومداواة المرضى والجرحى من الجنود والحجاج المسيحيين ، وهي : منظمة فرسان القديس يوحنا وتميّز أتباعها بالثوب الأسود والصليب الأبيض على الصدر ، ومنظمة فرسان الهيكل وتميّز أفرادها بالثوب الأبيض والصليب الأحمر على الصدر ، وهاتان المنظمتان فرنسيتان ، ومنظمة الفرسان التوتونيين ، وهم من الألمان ، وتميّز أعضاؤها بالثوب الأبيض والصليب الأسود على الصدر . وقد دلّ لباسهم جميعا على الصفة المزدوجة التي تجمع لديهم بين الرهبنة والجندية .

أما منظمة فرسان القديس يوحنا أو فرسان بيت المقدس ، وأسماهم العرب الإسبتاريّة ، فقد تأسست في السنة التي استولى فيها الصليبيون على القدس سنة ٤٩٣ هـ/١٠٩٩ م . وقد اضطلع أفرادها بدور كبير في الحروب التي خاضها الصليبيون في فلسطين . ولم تلبث المنظمة أن اكتسبت سلطة واسعة ونفوذاً قوياً بفضل المساعدات المادية والأموال التي كانت تُجبى باسمها في جميع أنحاء أوربا المسيحية ، فاقتنت العقارات وأنشأت الحصون والقلاع كقلعة الحصن في سورية (٥٤٠ هـ/١١٤٥ م) وأسست البيوت التجارية لاستثمار تلك الأموال التي مكّنتها من إعالة أتباعها والقيام بنفقات الحروب . ولمّا استرد العرب مدينة القدس بعد معركة حطين * المشهورة (٥٨٣ هـ/١١٨٧ م) رحل الإسبتاريّة عنها إلى عكا * ثم انتقلوا بعد تحرير عكا (٦٩٠ هـ /١٢٩١ م) إلى قبرص ، وبعدها إلى رودس سنة ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م ، وفيها أقاموا مؤسساتهم الدينية والدنيوية ، وعرفوا يومئذ بفرسان رودس ، وتمّ تجنيد كثير منهم من بين الأسر الكاثوليكية الأوربية العريقة . وقد نعمت المنظمة عهدئذ بفترة ازدهار وتألّق ، فامتدت سيطرتها وقامت بغزوات بحرية ناجحة على سواحل البحر المتوسط . ولمّا هاجمت جيوش محمد الثاني العثماني جزيرة رودس ثلاث مرّات متوالية دافع الإسبتارية عنها ببسالة ، ولكنهم لم يستطيعوا فيما بعد الثبات أمام جحافل السلطان سليم الأول القانوني سنة ٩٢٩ هـ/١٥٢٢ م ، وكاد شملهم يتفرق لولا أن منحهم الإمبراطور شارل الخامس سنة ٩٣٨ هـ/١٥٣٠ م جزيرة مالطة فجعلوها مقرهم الرئيس ، وسمّوا بعدها « فرسان مالطة » ، وانصرفوا ، بعد زوال تعصبهم الديني وضعف الروح العسكرية فيهم ، إلى أعمال البر والإحسان حتى استولى نابليون بونابرت على مالطة سنة ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م .

خضعت مالطة بعد انسحاب الفرنسيين منها سنة ١٢١٦ هـ/ ١٨٠١ م للحكم البريطاني . وكان من شروط المعاهدة التي لم تنفذ بين الدولتين إعادة الجزيرة إلى فرسان مالطة . حاول البابا سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩ م إعادة منصب الرئاسة العليا للإسبتارية ، ولكن

شهرة منظمة فرسان مالطة ظلت هي الغالبة . ولا يزال للإسبتارية بقايا مبعثرة في أوربا وفلسطين ليست ذات شأن يذكر .

المراجع :

— De Pierredon, M. : **Histoire Politique de L'ordre Souverain de Saint-Jean de Jérusalem** de 1789 à 1955, Paris 1956.

— **Encyclopedia Universalis.**

— Engel , C.E.: **L'Ordre de Malte en Méditerranée** (1530—1798), Monaco 1957.

أسبوع فلسطين العالمي : ر : فلسطين (أسبوع ـ العالمي)

الاستخبارات (جهاز ـ الإسرائيلي) :

هو حصيلة خبرة الصهيونية العالمية وجهودها في مجال جمع المعلومات وتحليلها واستثمارها . وقد ورث الكيان الصهيوني بعض مؤسسات استخبارات المنظمة الصهيونية العالمية * والوكالة اليهودية * ، وطوّرها ، وأنشأ مؤسسات جديدة حسب متطلبات سياساته وخططه .

يركز جهاز الاستخبارات الإسرائيلي جهوده الأساسية ضد الشعب الفلسطيني والدول العربية ليقف على نياتها وخططها وقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية والبشرية. ويسعى في الوقت ذاته إلى القيام بأعمال التخريب المختلفة . ويتخطى دوره هاتين المهمتين إلى ما يمكن أن نسميه " محاولة زيادة العمق الاستراتيجي " للكيان الصهيوني ، وإطالته ، إذا استطاع ، داخل أراضي الدول العربية تعويضاً عن قصر هذا العمق وضعفه الجغرافي .

يتألف جهاز الاستخبارات الإسرائيلي من مؤسسة رئيسة مشرفة هي " إدارة أمن الدولة " ومن خمس مؤسسات أخرى . وتعمل إدارة أمن الدولة على التنسيق بين اختصاصات وواجبات وميادين نشاط المؤسسات الخمس . وتضم الإدارة مجلساً أعلى لأمن الدولة يرأسه مفوض أمن الدولة ، وأعضاؤه هم رؤساء المؤسسات الخمس. وهذا المفوض مرتبط برئيس الوزراء ومسؤول أمامه عن الإشراف على المؤسسات الخمس والتخطيط العام لأعمالها ونشاطاتها . وهذه المؤسسات هي :

١) المكتب المركزي للاستخبارات والأمن : يرتبط برئاسة الوزراء . وهو الجهاز الرئيس المسؤول عن النشاط الخارجي للاستخبارات . ويقوم بجمع المعلومات الواردة من العملاء والأجهزة المعاونة ويحللها ويستقرئها . ويشرف على التجسس وأعمال الحرب النفسية ضد الشعب الفلسطيني والدول العربية . وله جهاز تنفيذي يدعى " موساد " * .

٢)شعبة الاستخبارات العسكرية وتسمى " أمان " *

٣) إدارة الأمن الداخلي وتسمى " شاباك " أو " شين بيت " .

٤) إدارة المباحث الخاصة بالشرطة .

٥) إدارة البحوث في وزارة الخارجية .

وهناك مدارس ودورات تدريبية خاصة لتخريج الاخصائيين للعمل في مختلف هذه المؤسسات .

ويتعامل جهاز الاستخبارات الإسرائيلي بشكل وثيق مع عدد من أجهزة استخباراتَ الدول الصديقة (لإسرائيل) كوكالة الاستخبارات الأمريكية *(C.I.A)* .

المراجع :

ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : **العسكرية الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٤ .

ـ عبد الوهاب المسيري : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ هيثم كيلاني : **المذهب العسكري الإسرائيلي** ، بيروت ١٩٦٩ .

الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية :

استطاعت (إسرائيل) منذ نشأتها أن تبني لنفسها نظرية عسكرية خاصة بها طبقتها في التخطيط الإستراتيجي العسكري وفي خطط العمليات الحربية . ومن المعروف أن القدرة العسكرية لأية دولة تقوم على حسن تنظيم وتشغيل واستغلال مجموعة من العناصر أهمها : الموقع الجغرافي ، والقوى البشرية ، والموارد الطبيعية والاقتصادية ، والعلاقات الدولية ، والروح المعنوية ، والفكر التنظيمي وسلبيات الخصم .

وبالرغم من ضعف بعض هذه العناصر في (إسرائيل) ، استطاعت القيادة العسكرية فيها أن تستغل الإمكانات المتاحة لها بشكل يخدم أهدافها . ومما ساعدها على ذلك أيضاً وجود بعض الثغرات في الجانب العربي عملت (إسرائيل) على استغلالها والاستفادة منها .

وتتصف الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية بأنها ثابتة في جوهرها ، صهيونية بطبيعتها ، عدوانية بوسائلها ، استعمارية توسعية في غاياتها . لذا فإن ما يطرأ عليها من تغييرات لا يعدو أن يكون تطويراً في الأسلوب يحقق لها القدرة على مواجهة مطالب مرحلة من المراحل .

تستند (إسرائيل) في تخطيط إستراتيجيتها على عدة معطيات تعتبرها وقائع أولية خاصة بها . وأهم هذه المعطيات : الوضع الجغرافي العسكري ، وقلة سكانها بالنسبة إلى العرب ، وعدم القدرة على تحمل حرب طويلة الأمد ، وخطر الهزيمة على كيانها ،وضرورة ربح معركة بعد معركة ، وانعدام حرية المناورة لديها ، والاعتماد على القوى الإمبريالية والاستعمارية .

وتتميز الإستراتيجية الإسرائيلية بأنها حددت أغراضها بدقة ، ورسمت الطرائق والأساليب التي توصلها إلى تلك الأغراض ، وعينت مراحل تحقيقها وفق الظروف المتاحة . وأهم هذه الأغراض :

١) الغاية القومية : فهي الهدف الأسمى الذي تسعى الدولة ومؤسساتها لبلوغه . وتشكل الغاية القومية لدى (إسرائيل) عنصراً ديناميكياً متحركاً متطوراً تتوالد فيه الأهداف بعضها من بعض ، الواحد تلو الآخر . وكلما تحقق هدف ظهر آخر يتلوه .

٢) تأكيد الوجود الإسرائيلي ، وتثبيت دعائمه ، وتحقيق أمنه وسلامته .

٣) فرض السلام الإسرائيلي على المنطقة العربية .

٤) حماية القاعدة الاقتصادية والقاعدة البشرية في الكيان الصهيوني .

٥) الاحتلال والتوسع الجغرافي للوصول إلى(إسرائيل) الكبرى .

٦) توسيع مجال المناورة ، ونقل الحرب إلى أرض الخصم .

٧) منع العرب من القتال بردعهم عنه أو شل قواهم بحرب وقائية أو ضربة استباقية .

٨) منع ظهور المقاومة المسلحة وحرب التحرير الشعبية .

٩) جعل ميزان القوى يميل دائماً إلى صالح (إسرائيل) .

وبما أن (إسرائيل) ولدت نتيجة الغزو والاستيطان الاستعماري فإن « إرادة البقاء » هي التي تسيطر على جميع معطيات الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية وأغراضها وأسسها ومفاهيمها . وتتولد عن هذه الإرادة ثلاثة مفاهيم أساسية توجه الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية وترسم لها سبل العمل وطرائق التنفيذ . وهذه المفاهيم هي :

١) الأمن : فمشكلة (إسرائيل) الأولى هي « أن تكون أو لا تكون » . ومن هنا غدت هذه المشكلة محور تفكيرها وسلوكها . ومن هنا أيضاً نشأت تلك الثنائية التي يتصف بها مفهوم الأمن ، فهو حركي ـ عدواني في آن معاً لأنه يجد مجاله الحيوي خارج (إسرائيل) .

٢) العنف : وهو وليد طبيعة الحركة الصهيونية ومبادئها ، إذ أن حماية كيان قام على الغزو والعدوان لا بد أن تخلق عقلية تعتنق مبادىء العنف والقتل والإبادة .

٣) حتمية الحرب : وهو مفهوم ينبثق من طبيعة إنشاء (إسرائيل) . ولذا كان تاريخ هذا الكيان ، وسيبقى ، سلسلة متواصلة من الحروب العدوانية والاعتداءات والمعارك . وبذلك تصبح الحرب سلوكاً حتميا يفرض نفسه على (إسرائيل) التي تؤمن ، بالفكر والتطبيق ، بأن السياسة هي امتداد للحرب على عكس المقولة المعروفة بأن الحرب هي امتداد للسياسة وأداة لها . وقد قال بن غوريون بعد العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ : " لقد أثبتنا قوتنا في عمليات سيناء . أما الآن فيجب أن نبرهن للعالم أننا على حق " .

استخدمت (إسرائيل) في تطبيق استراتيجيتها العسكرية مبدأ الهجوم استخداماً واسعاً . فالهجوم هو الصورة المثلى للحرب الناجحة في المذهب العسكري الإسرائيلي . وجوهر الهجوم عنصران هما المبادأة والعمل التعرضي ، فعليهما ترتكز نظرية الحرب الوقائية ، والهجوم الاستباقي ، والردع ، والضربة الأولى ، والحرب الخاطفة ، وغير ذلك من أشكال الأعمال الهجومية .

وكان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) تجربة خرجت منها (إسرائيل) بدرس هام فحواه أن القوة العسكرية الإسرائيلية ليست بقادرة على غلبة القوة العسكرية العربية التي تواجهها إلا إذا تحققت لها عدة شروط لا غنى عنها ، منها الشرطان الهامان التاليان :

١) تطبيق نظرية « الهجوم غير المباشر » إستراتيجيا وتكتيكيا . وتمثل هذه النظرية منهجاً عاماً للأعمال الهجومية التي تعتمد على تجنب الهجوم الجبهي على الخصم ، وعلى الاقتراب منه من الاتجاه الذي لا يتوقعه ، وبالاسلوب الذي لم يأخذه في حسبانه . ومن هنا جاء تركيز المذهب العسكري الإسرائيلي على عمليات التسلل ، والمباغتة ، والتوغل العميق ، وتجنب المواجهة المباشرة في القتال ، والالتفاف ، والسرعة في الضرب والحركة ، والترهيب ، والتأثير على الروح المعنوية لدى الخصم ، وغير ذلك من المظاهر والأساليب المرتبطة بنظرية « الهجوم غير المباشر » .

٢) تطبيق فكرة « الهجوم الإجهاضي الاستباقي » بحيث يقوم الجيش بعملية هجومية شاملة أو محدودة يتم فيها إجهاض خطة الخصم ، وإحباط نيته في الهجوم ، وأخذه على حين غرة ، وتعطيل ردود الفعل المعادلة للفعل أو المتفوقة عليه ، وبث الفوضى والرعب في صفوفه ، وجعل جميع التدابير والردود والاستعدادات

والتدخلات الداخلية والخارجية متأخرة ، وفي غير وقتها المناسب .

تبنّت (إسرائيل) في إستراتيجيتها « الهجوم الإجهاضي الاستباقي » ، أو ما تسميه « الحرب الوقائية » . ويثبت تاريخ (إسرائيل) أنها كانت تلجأ إلى هذا النوع من الحرب كلما اختل توازن القوى بينها وبين الدول العربية المحيطة بها ، (مثل قيام وحدة عربية ، أو توحيد جيوش عربية ، أو تسلح حديث واسع لدى هذه الجيوش ، أو امتداد المقاومة الفلسطينية داخل الأراضي المحتلة أو خارجها ، أو إحكام الحصار الاقتصادي ، وغير ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى إحداث ذلك الخلل) . وقد وجد المذهب العسكري الإسرائيلي في نظرية الهجوم غير المباشر منهلاً ثرّا ، وبخاصة أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الهجوم غير المباشر والهجوم الإجهاضي الاستباقي ؛ فجوهر نظرية الهجوم غير المباشر أن النصر يمكن أن يتحقق بصورة أفضل وأسرع مما يحققه الهجوم المباشر بسبب الانهيار المعنوي الذي يحدثه في الخصم . في حين يسعى الهجوم المباشر لإحداث دمار مادي قد ينعكس فيما بعد على الروح المعنوية للخصم . ولا يمكن أن يحدث الانهيار المعنوي إلا بالمفاجأة ، والمناورة السريعة ، والحسم الواضح ، وهي عناصر ثلاثة تمثل جوهر الهجوم الإجهاضي الاستباقي . ويمكن اعتبار حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧ * مثلين على ذلك .

وقد لجأت (إسرائيل) دائماً في الحروب التي شنتها إلى أسلوب استفراد الجبهات العربية ، الواحدة تلو الأخرى ، مستخدمة في ذلك المناورة السريعة والضربة القوية الحاسمة . ويعتبر أسلوب الاستفراد من أنجع الأساليب التي استعملتها (إسرائيل) في استراتيجية الهجوم غير المباشر . ففي عدوان ١٩٦٧ بدأت هجوماً كاسحاً وخاطفاً على القوات المصرية في سيناء ، ثم انتقلت بقواتها إلى الجبهة الأردنية . وبعد أن احتلت الضفة الغربية بسرعة خاطفة هاجمت الجولان بمعركة قصيرة واحتلته . وبذلك طبقت أسس استراتيجيتها العسكرية في الهجوم غير المباشر .

المراجع :

ـ مجموعة من الكتاب : **المعركة بين العرب وإسرائيل** ، القاهرة ١٩٦٧ .

ـ انجيلينا الحلو : **عوامل تكوين إسرائيل السياسية العسكرية والاقتصادية** ، بيروت ١٩٦٧ .

ـ محمد فاروق الهيثمي : **في الاستراتيجية الإسرائيلية** ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية : **العسكرية الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٢ .

ـ المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن (بالإنكليزية) : المنشورات الدولية للمعهد .

ـ هيثم كيلاني : **المذهب العسكري الإسرائيلي** ، بيروت ١٩٦٩ .

الاستعمار اليهودي (جمعية ـ) :

تأسست جمعية الاستعمار اليهودي عام ١٨٩١ على أنها جمعية خيرية يهودية هدفها " مساعدة وتطوير عملية تهجير اليهود الفقراء والمحتاجين من أي مكان في أوربا وآسيا حيث يعانون القهر والحرمان من الحقوق السياسية ، إلى أي مكان آخر في العالم حيث يمكنهم التمتع بحقوق الإنسان " . وقد تأسست الجمعية بمبادرة من البارون موريس دو هرش، وهو مصرفي ورجل أعمال يهودي من أصل ألماني كان يعيش في فرنسا مختلطاً بالأوساط الاحتكارية والاستعمارية التي كانت تقف وراء المشروع الصهيوني ، وكان واجهة يهودية لهذه الأوساط .

سجلت الجمعية عام ١٨٩٣ في لندن كشركة مساهمة رأسمالها الأولي مليونا جنيه إسترليني رفع فيما بعد إلى ثمانية ملايين جنيه إسترليني . وتشكل مجلس إدارتها من الشخصيات اليهودية المرتبطة بالاحتكارات الرأسمالية في بريطانيا وبلجيكا وفرنسا وألمانيا برئاسة البارون دو هرش . وكان من أبرز أعضاء مجلس إدارتها البارون إدموند دو روتشيلد الذي تولى بين عامي ١٨٨٦ و١٨٩٠ الإشراف على شؤون المستعمرات اليهودية التي أقيمت في فلسطين ، وأقام إدارة خاصة لهذا الغرض تحت إشرافه اتخذت من مدينة الخليل * مقرا لها .

حاولت جمعية الاستعمار اليهودي في أول الأمر إسكان اليهود المهاجرين من روسيا وشرقي أوربا في مستعمرات زراعية في أمريكا الشمالية والجنوبية ، وخاصة في الأرجنتين حيث حصلت على ٧٥٠ ألف هكتار من الأراضي استغلت ٥٠٠ ألف هكتار منها في إسكان نحو ٣,٥٠٠ عائلة يهودية من مهاجري شرقي أوربا يراوح عدد أفرادها ما بين ٣٥ و٤٠ ألف نسمة .

بدأ نشاط جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين منذ عام ١٨٩٦ حين حلت محل إدارة روتشيلد في الإشراف على المستعمرات اليهودية التي كانت قائمة في فلسطين آنذاك ، وأنشىء لهذا الغرض صندوق تحت إشراف دو هرش برأسمال مقداره ١٥ مليون فرنك فرنسي . وأخذت الجمعية تقدم المساعدات لهذه المستعمرات على شكل قروض ، وبدأت تشتري الأراضي وتقيم مستعمرات يهودية جديدة في فلسطين منذ عام ١٩٠٠ ، فأقامت عدداً من المستعمرات في منطقة الجليل * الأدنى الشرقي ومنطقة طبرية .

استمرت الجمعية في نشاطها هذا حتى عام ١٩٢٣ ، إذ أصبحت تعمل تحت اسم « جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين ـ بيكا » وبدأت تنسق جهودها في مجال الاستيطان مع مؤسسات

الوكالة اليهودية * والمنظمة الصهيونية العالمية * . ثم عادت إلى العمل بشكل مستقل منذ عام ١٩٢٩ .

ومنذ قيام (إسرائيل) ركزت جمعية الاستعمار اليهودي في فلسطين جهودها في مشاركة الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية في الأعمال الاستيطانية ، فساهمت حتى عام ١٩٦٨ في إنشاء وتقوية ٤١ مستعمرة ، كما قدمت مساهمة لتشجيع الأبحاث الزراعية في الجامعة العبرية ومعهد وايزمن للعلوم ، ولتحسين التدريب الزراعي في مدارس « مكابي إسرائيل » الزراعية وغيرها . وتشارك الجمعية كذلك في أعمال جمعيتي « هياس » و« جوينت » اليهوديتين الأمريكيتين اللتين تتوليان تقديم المساعدات لليهود المرتدّين عن الهجرة إلى (إسرائيل) ، ولا سيما يهود الاتحاد السوفييتي ، وتساعدانهم على دخول الولايات المتحدة .

الاستقلال (حزب ــ) :

كانت فكرة إنشاء حزب وطني في فلسطين تراود أذهان كثيرين منذ أواخر سنة ١٩٢٩ . وأخذت الفكرة تتبلور ، وجرت الاتصالات بين عدد من المعنيين لهذا الغرض . وقد أثمرت هذه الاتصالات في شهر تموز من عام ١٩٣٢ حين أعلن بيان إنشاء حزب الاستقلال .

ذكر البيان أسباب نشوء الحزب كما يلي :

١) الشعور " بما طرأ على الحركة الوطنية الاستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور ، وما وقعت فيه من اضطراب وانحلال وفوضى ، وما تسلط عليها من أهواء ونزعات زعزعت أساسها وبدلت أغراضها ومراميها " .

٢) أن تصبح القضية الاستقلالية رهن القضايا الشخصية وفريسة النزعات والحزبيات المحلية ، وأن يخلو الميدان من حزب يضم فريق الاستقلاليين الذين عملوا في القضية العربية ومن ينحو نحوهم ، فذلك كله جريمة وطنية .

٣) الايمان بأنه قد آن الاوان لإقامة مثل هذا الكيان والقيام بحركة وطنية خالصة على يد حزب سياسي استقلالي يكافح الاستعمار وما جره من نكبات كفاحاً شريفاً بلا مداورة ولا موارية ويعمل على نيل حقوق الأمة .

٤) الأساس الذي يقوم عليه هذا الحزب هو "التجانس في المبادىء الصحيحة ، والإخلاص الشريف ، وحب العمل النزيه . . . وجعل المصلحة العامة فوق كل مصلحة " .

وحدد قانون حزب الاستقلال مبادئه فيما يلي :

١) استقلال البلاد العربية استقلالا تاما .
٢) البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة .
٣) فلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سورية .

أما فيما يتعلق بفلسطين فخطط الحزب هي :

١) العمل على تحقيق المبادىء الثلاثة السابقة بما يستطيعه بنفسه وبالاشتراك مع الهيئات الاستقلالية في الأقطار العربية .
٢) الاحتفاظ بأراضي البلاد ومنابع الثروة للعرب .
٣) إلغاء الانتداب ووعد بلفور * .
٤) إقامة حكم عربي برلماني في فلسطين .
٥) إنهاض البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

وقد تألفت هيئة الحزب المركزية من عوني عبد الهادي * (سكرتيرا عاماً)، ومحمد عزة دروزة ، ومعين الماضي *، وصبحي الخضراء *، ورشيد الحاج إبراهيم *، والدكتور سليم سلامة ، وعجاج نويهض *، وأكرم زعيتر ، وفهمي العبوشي، وانضم إليهم فيما بعد حمدي الحسيني وحربي الأيوبي . وكانت العضوية تقوم على الاختيار الذي كان محصوراً في هيئة الحزب .

بدأ الحزب نشاطه بإقامة عدد من المهرجانات الكبرى في مدن فلسطين الرئيسة . وكان يصدر بيانات في المناسبات ترفع شعار مقاومة الإنكليز واعتبارهم « أصل الداء » ، وتطالب بوقف الهجرة الصهيونية ومنع بيع الأراضي . وقد أصدر عجاج نويهض ، عضو الهيئة المركزية للحزب ، مجلة أسبوعية أسماها " العرب " صدر العدد الأول منها في الأسبوع الأخير من آب ١٩٣٣ . وكانت المجلة تنشر أبحاثاً عن الحركة القومية العربية وتاريخها وأهدافها ، ودراسات عن الحركات السياسية والاجتماعية في العالم .

وعلى الرغم من الضجة الكبرى التي أحدثها الحزب ، والشعارات التي رفعها ، فإنه وجد نفسه في نهاية عام ١٩٣٣ غير

بعض اركان حزب الاستقلال ١٩٣٥

قادر على الاستمرار ، فاضمحل تدريجياً ، وتلاشى رغم استمرار وجوده شكلاً .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، بيروت ١٩٥٩ .
ـ عجاج نهويض : مجلة العرب ، القدس .
ـ ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٤ .

الاستقلال (حزب ـ) : رَ : العربية الفتاة (جمعية ـ)

استكشاف فلسطين (صندوق ـ)

رَ : الآثار : (مدارس ومؤسسات بحث ـ)

الاستكشافات الفلسطينية (جمعية ـ) :

رَ : الآثار (مدارس ومؤسسات بحث ـ)

استملاك الأراضي (قانون ـ ١٩٥٣) :

هو قانون أقرته الكنيست * الإسرائيلية في ١٩٥٣/٣/٤ . وأهم ما ورد فيه :

١) إن " الملكية " تعني الأرض ، و" الملكية المكتسبة " تعني تلك الملكية التي هي بحوزة " هيئة التطوير " التي انشئت بموجب قانون نقل الملكية لعام ١٩٥٠ .

٢) إن تاريخ الاستملاك أو الاستحواذ يعني التاريخ الذي آلت فيه الملكية إلى " هيئة التطوير " .

٣) إن " كلمة المالكين " فيما يتعلق بالملكية المكتسبة تعني الأشخاص الذين كانوا قبل تاريخ الاستحواذ مباشرة ملاكا لمثل هذه الملكية ، أو لهم حق أو مصلحة فيها . ويشمل ذلك من يخلفهم قانوناً . وإن الملكية التي يشهد بها الوزير المختص بموجب شهادة تصدر عنه هي :

(١) الأرض التي لم تكن في الأول من نيسان ١٩٥٢ بحوزة مالكيها .

(٢) الأرض التي استخدمت ، أو كانت مهمة لأغراض تطوير ضروري ، أو لأغراض استيطان أو أمن خلال الفترة الواقعة بين ١٩٤٨/٥/١٤ و١٩٥٢/٤/٦ .

(٣) الأرض التي ما تزال مطلوبة لتحقيق أي من هذه الأغراض .

كل هذه الأراضي يجب أن تؤول إلى هيئة التطوير وتعفى من أية ضريبة . ويجوز لهيئة التطوير عندئذ الإعلان عن ملكيتها وفقا لذلك .

كما نص القانون على أن تؤول الملكية إلى " هيئة التطوير " بدءاً من تاريخ يحدد في الشهادة الصادرة عن الوزير المختص . وقد يصار إلى إصدار الشهادة فقط في غضون عام من تاريخ تطبيق هذا القانون . ويجب أن تنشر في الجريدة الرسمية في أقرب وقت ممكن بعد إصدارها .

ونص القانون كذلك على أن الملكية التي آلت إلى هيئة التطوير بالطريقة سالفة الذكر يجب أن تسجل في قسم تسجيل الأراضي باسمها . غير أن عدم التسجيل لا يؤثر على شرعية الاستملاك .

ويحق لأصحاب الملكية المكتسبة ، بموجب هذا القانون ، أن يتلقوا من هيئة التطوير تعويضات عن أراضيهم المستملكة . وتدفع التعويضات نقداً ما لم يجر اتفاق بخلاف ذلك بين المالكين وهيئة التطوير . ويجب أن تحدد كمية التعويض . وعند الخلاف على هذا الأمر تبت المحكمة المختصة فيه .

أما إذا كانت الملكية المكتسبة أرضاً زراعية ، وكانت المصدر الرئيسي لمعيشة مالكها ، ولا يملك أرضاً أخرى تكفي لمعيشته ، فقد نص القانون على أن تقوم هيئة التطوير ، نزولاً عند طلبه ، بتقديم أرض أخرى له ، سواء كان ذلك للاستملاك أو للاستئجار ، وذلك تعويضاً كلياً أو جزئياً . ويتوجب على اللجنة المكلفة التي يعينها الوزير لهذا الغرض أن تقوم ، وفقا للأحكام التي يجري وضعها ، بتحديد النوعية والمكان والمنطقة للأرض البديل . وفي حال الاستئجار تقوم اللجنة بتحديد مدته (ولا تقل عن ٤٩ عاما) وقيمة الملكية المقدمة ، وذلك من أجل إجراء عملية حساب التعويض ، وتحديد كفاية مثل هذه الملكية لأسباب المعيشة .

وتناول القانون موضوع الحق في التعويضات على النحو التالي : يترتب الحق في التعويضات ويتحدد مقدارها بموجب طلب من هيئة التطوير أو مالك الأرض المكتسبة وبقرار من المحكمة المختصة في الحالات الآتية :

١) في حال عدم توفر اتفاقية بين هيئة التطوير ومالك الأرض المكتسبة فيما يتعلق بكمية التعويضات .

٢) إذا لم يتقدم صاحب الملكية المكتسبة برفع ادعاء بالتعويض في غضون عام من تاريخ نشر شهادة الاستملاك .

٣) إذا كان الادعاء الذي سبق ذكره قد رفع ، ولكن بدون أدلة كافية .

٤) إذا ما رفعت ادعاءات متضاربة ومختلفة فيما يتعلق بالملكية المكتسبة .

أما فيما يتعلق بتحديد مقدار التعويضات فتقوم المحكمة بتطبيق الأحكام التي جاءت بها المادة ١٢ من قانون الأراضي لعام ١٩٣١ مع إجراء تعديلات ضرورية ، شريطة أن يعتبر الأول من كانون الثاني ١٩٥٠ اليوم الذي يتم فيه نشر الإخطار بالاستملاك .

ويعد قرار المحكمة ، أو محكمة الاستئناف المدني، قراراً قاطعاً في هذه الأمور .

وبموجب القانون ذاته فإن التعويضات بشتى أشكالها وطرق دفعها تعفي هيئة التطوير من أية مسؤولية قانونية فيما يخص الطريقة التي تم بموجبها استخدام مثل هذا التعويض أو إساءة استخدامه بعد ذلك .

وتنبع أهمية هذا القانون بالنسبة إلى مصادرة الأراضي العربية من كون جميع قوانين مصادرة الأراضي منذ الاحتلال وحدة متكاملة زمنيا وعمليا . ولقد جاء قانون استملاك الأراضي الإسرائيلي (مصادقة الأعمال والتعويضات) لعام ١٩٥٣ مرحلة وحلقة أخرى من مراحل وحلقات تلك القوانين ، بل تتويجا لها . فقد كانت القوانين السابقة تتحدث عن "نقل " الأملاك أو " استعمالها " أو " الاستيلاء عليها " لا عن " ملكيتها " . إذ إن الكثير من ملكية تلك الأراضي التي تحدثت عنها القوانين المختلفة السابقة بقيت رسمياً في أيدي أصحابها الأصليين ، على الرغم من أنهم حرموا من حق استعمالها . لهذا كان لا بد من اتخاذ خطوة " قانونية " أخرى تتمم الخطوات السابقة ، وهي نقل " ملكية " تلك الأراضي رسميا بعد أن تم تحويلها عمليا إلى (الدولة الإسرائيلية) بأجهزتها المختلفة . وهذا هو هدف قانون استملاك الأراضي الإسرائيلي (مصادقة الأعمال والتعويض) ١٩٥٣ .

ويعتبر هذا القانون ملخصا لكل قوانين مصادرة الأراضي التي سبقته ، وخلاصته منح وزير المالية صلاحية " نقل ملكية الأراضي " التي تم الاستيلاء عليها بحسب القوانين السابقة إلى (دولة إسرائيل) عن طريق هيئة التطوير ، وتصفية مشكلة استملاك الأراضي العربية بصورة نهائية ، وإزالة أية عقبات قانونية قد تعترض في المستقبل سبيل هذه الغاية . لقد أعلن وزير المالية صراحة ، في أثناء عرضه القانون في الكنيست ، أن الهدف منه هو " إضفاء الشرعية على أعمال معينة تمت خلال الحرب وبعدها " . وهكذا يتبين أن من مقاصد هذا القانون المصادقة على عمليات الاستيلاء على الأراضي العربية التي قامت بها الكيبوتزات اليهودية خلال فترة الحرب وبعدها .

المراجع

ـ الوقائع الإسرائيلية : كتاب القوانين ، رقم ١٢٢ ، ١٩٥٣/٣/٢٠ .
ـ محاضر الكنيست ١٩٥٢/٦/٣ ، و١٩٥٣/٣/٤ .

استملاك الأراضي للصالح العام (قانون ـ ١٩٤٣) :

سنّ هذا القانون المندوب السامي البريطاني في فلسطين هارولد مكمايكل، ونشر في الوقائع الفلسطينية (الجريدة الرسمية لفلسطين في عهد الانتداب) ، العدد ١٣٠٥ ، الملحق رقم ١ ، تاريخ ١٩٤٣/١٢/١٠ ، تحت اسم « قانون الأراضي واستملاكها للغايات العامة » رقم ٢٤ لسنة ١٩٤٣ .

ويعطي هذا القانون في المادة الثالثة منه المندوب السامي البريطاني حق استملاك أية أرض استملاكاً مطلقاً ، والتصرف بها للغاية التي يقرر المندوب السامي أنها عامة . وكانت الغايات العامة ، من وجهة نظر الإدارة البريطانية ، هي ما يحقق أهداف الصهيونية في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

يقع هذا القانون في ٢٦ مادة ، وفيما يلي موجز لأهم ما تضمنه :

أ ـ أجاز هذا القانون للمندوب السامي أن يقوم بالأعمال التالية إذا اقتنع أن ذلك ضروري أو ملائم لأية غاية عامة :

١) أن يستملك أية أرض استملاكا مطلقاً .

٢) أن يملك حق التصرف بتلك الأرض أو استعمالها لمدة محدودة من الزمن .

٣) أن يستملك أي حق من حقوق الارتفاق في تلك الأرض أو عليها ، أو أي حق من الحقوق الأخرى فيها أو عليها .

٤) أن يفرض أي حق من حقوق الارتفاق على تلك الأرض .

ب ـ أعطى هذا القانون المندوب السامي ومستخدميه وعماله حق القيام بجميع الأمور التالية :

١) أن يدخلوا أية أرض ويقوموا بمسحها .

٢) أن يحفروا تربتها ، أو ينقبوها .

٣) أن يقوموا بجميع الأفعال الأخرى الضرورية للتأكد من صلاح الأرض لتلك الغاية ، وللتحقق من قيمة الأرض والأبنية المنشأة عليها والأشجار المغروسة فيها .

٤) أن ينظفوا الأرض المنويّ استملاكها ، وأن يخططوا ويعلّموا حدودها ، وأن يقوموا بالأشغال التي يراد القيام بها عليها .

وفي هذه الحالات لا يجوز لمن يشغل الأرض الممانعة إذا كان قد مضى أسبوع على تبلّغه إشعارا بذلك .

جـ ـ تعتبر أية غابة « غابة عامة » إذا شهد المندوب السامي أنها كذلك .

د ـ تبدأ إجراءات الاستملاك بعرض إعلان عام برغبة المندوب السامي في استملاك الأرض ، وينشر هذا الإعلان في الوقائع الفلسطينية . وإذا كانت الأرض مسجلة باسم شخص مالك للأرض يبلغ هذا المالك الإعلان .

هـ ـ يحق للمندوب السامي أن يأمر الأشخاص الذين يدّعون أي حق من الحقوق ، أو منفعة في الأرض المراد استملاكها ، بأن يرفعوا يدهم عنها .

و ـ يتم فصل الخلاف على مقدار التعويض أو الملكية من قبل محكمة تضم قاضياً مركزياً فردا . ويكون القرار الصادر عن المحكمة نهائيا ومبرما .

ز ـ بموجب هذا القانون يعتبر المالكون المسجلون أو واضعو اليد على الأرض كمالكين (إن لم تكن الأرض مسجلة) أصحاب الحق في تلك الأرض بصورة مشروعة ما لم يثبت خلاف ذلك . لكن إذا ادّعت حكومة فلسطين أن الأرض المراد استملاكها هي أرض أميرية خالية فإن عبء الإثبات يقع على عاتق الشخص الذي يدّعي العكس .

ح ـ إذا كانت الأرض المستملكة لغايات توسيع طريق موجودة ، أو لإنشاء طريق أو ملعب أو ساحة لهو ، فلا يحق لمالك الأرض المستملكة أن يطالب بأي تعويض إذا كانت المساحة المستملكة لا تزيد على ربع مجموع مساحة القطعة التي يملكها . وفي حال زيادتها على الربع يدفع التعويض عن المساحة المستملكة الزائدة على ربع مجموع الأرض فقط .

ط ـ أجاز هذا القانون للمندوب السامي فرض ضريبة التحسين (الشُّرَفية) على أي شخص زادت قيمة ملكه من جرّاء استملاك أية أرض لإنشاء طريق أو توسيعها . ويشترط ألاّ تتجاوز هذه الضريبة ربع مقدار زيادة القيمة . وتفصل المحكمة المشار إليها آنفاً في أي خلاف ينشأ حول حصول الزيادة في قيمة الأرض ومقدار تلك الزيادة .

ي ـ أجاز هذا القانون للمندوب السامي أن يستملك أي أرض بالنيابة عن أي شخص ، أو لمنفعته ، إذا ما رأى المندوب السامي أن استملاكها يحتمل أن يرافقه منفعة عامة للجمهور .

وإذا كان هذا الشخص هيئة بلدية أو مجلساً محليا أو أية سلطة محلية أخرى أو شخصا يحمل امتيازا فللمندوب السامي ، بإعلان ينشر في الوقائع الفلسطينية ، أن يجيز لذلك الشخص حق ممارسة جميع الصلاحيات المخولة له والقيام بجميع الالتزامات المترتبة عليه بمقتضى هذا القانون .

أما إذا كان الشخص غير من ذكر آنفا فيعقد بينه وبين المندوب السامي اتفاق يتضمن :

١) دفع كلفة الاستملاك للمندوب السامي .

٢) نقل الأرض إلى ذلك الشخص عند الدفع .

٣) الشروط التي يمتلك بها الشخص تلك الأرض .

٤) إذا كان الاستملاك لغاية إقامة إنشاءات يحدد الوقت والشروط التي تنجز هذه الإنشاءات بمقتضاها .

ك ـ يشمل تطبيق هذا القانون الأرض الموقوفة سواء أكان الوقف دينيا أم خيريا أم أي وقف آخر .

استغلت هذا القانون المجالس البلدية والقروية اليهودية التي تأسست في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني ، وضمت إليها آلاف الدونمات من الأراضي العربية لبناء المستعمرات والبيوت للمهاجرين الجدد ، ولإقامة المرافق والمؤسسات الصهيونية .

وكان هذا القانون من بين القوانين الأخرى التي استخدمتها السلطات الإسرائيلية بعد إقامة الكيان الصهيوني لتجريد الفلسطينيين العرب في فلسطين المحتلة ١٩٤٨ من أراضيهم ، وتمكنت بموجبه من مصادرة آلاف الدونمات من العرب تحت ستار إقامة المرافق العامة ، في حين أن الأراضي المصادرة كانت تستغل عادة لأغراض الاستيطان اليهودي وإقامة المشاريع الصناعية أو الزراعية لتشغيل المستوطنين الصهيونيين الجدد .

ومن أبرز حالات المصادرة التي تمت بموجب هذا القانون استملاك ١,٢٠٠ دونم من أراضي الناصرة عام ١٩٥٦ لإقامة بلدة الناصرة العليا اليهودية ، واستملاك ٣,٠٠٠ دونم من أراضي سهل البطوف * التابعة لقريتي عرّابة وسخنين بحجة إقامة أبنية للمكاتب الحكومية . إلاّ أن الأرض استعملت لبناء مساكن للمهاجرين الصهيونيين الجدد ومصانع للغزل والنسيج والحلويات لتشغيل أولئك المهاجرين .

وتم بموجب هذا القانون مصادرة ٥,٥٠٠ دونم عام ١٩٦٣ من أراضي قرى دير الأسد والبِعْنَة ونَحَف في الجليل الغربي ، وأنشئت على الأراضي المصادرة مدينة كرميئيل اليهودية .

المراجع :

ـ الوقائع الفلسطينية : العدد ١٣٠٥ الملحق رقم ١ ، ١٩٤٣/١١/١٠ .

ـ صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ عادل حامد الجادر : أثر قوانين الانتداب البريطاني في إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين . ، بغداد ١٩٧٦ .

الاستنزاف السورية ـ الإسرائيلية (حرب ـ) :

عمدت (إسرائيل) ، رغم موافقتها على قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ تاريخ ١٩٧٣/١٠/١٢ وقف إطلاق النار (رَ: حرب ١٩٧٣ في الأمم المتحدة)، عمدت إلى تحسين موقفها العسكري لتنطلق من موقع القوة في المفاوضات السياسية المحتملة ، فقامت قواتها بتجاوز خطوط وقف إطلاق النار على الجبهة المصرية ، في حين اكتفت على الجبهة السورية بزيادة تحصين مواقعها . وكان ذلك كله خلافاً لأحكام وقف إطلاق النار مما أدى إلى قيام القوات السورية بالتصدي لهذه المحاولات . وبقيت أعمال العدو الإسرائيلي في تلك الفترة محدودة ، كذلك ظل الرد عليها محدودا ، أي أن العمليات في تلك الفترة اتصفت بردود عسكرية سورية على تجاوزات إسرائيلية ضمن إطار محلّي محدود دون ارتباط بمخطط عام ، إذ رغبت القيادة السورية في تأمين الجو الملائم لمجلس الأمن لتنفيذ قراره ٣٣٨ .

ولكن بعد أن تم التوقيع على اتفاقية فصل القوات بين مصر و(إسرائيل)*، وبعد أن تم تجميد الجبهة الجنوبية عسكرياً وسياسياً ، بدا أن (إسرائيل) استعادت حرية المناورة على الجبهة الشمالية ، فكثرت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين حول أهمية الجولان * الإستراتيجية بالنسبة إلى (إسرائيل) ، وأن أقصى ما يمكن (لإسرائيل) القبول به ، ضمن إطار اتفاقية لفصل القوات مع سورية ، هو العودة إلى خطوط ما قبل السادس من تشرين الأول ١٩٧٣ ، على أن توضع المنطقة التي احتلتها القوات الإسرائيلية بعد ذلك تحت إشراف قوات الأمم المتحدة .

من ناحية أخرى بدا واضحاً أن الولايات المتحدة الأمريكية ، رغم تظاهرها بالقيام بدور الوسيط ، ما زالت مستمرة في انحيازها إلى العدو الصهيوني وماضية في دعمه عسكريا في الوقت الذي يناور فيه وزير خارجيتها من أجل تمييع القضية وكسب الوقت لتحقيق الشرخ السياسي في المعسكر العربي وتعميقه . فكان لا بد من أن تقوّم القيادة السياسية السورية الأوضاع، وتعمل على استعادة زمام المبادرة ، فلا تكتفي بردود الفعل السياسية أو العسكرية . لذا قررت ألّا ترفض عملية التفاوض السياسي ،وفي الوقت نفسه أن تؤكد ، عسكرياً ، النتائج التي ظهرت في حرب ١٩٧٣ * .

في إطار هذا القرار بدأت القيادة السورية حرب الاستنزاف في هضبة الجولان ابتداء من ١٩٧٤/٣/١٢ واستمرت بها قرابة ثلاثة أشهر (٨٢ يوماً) حتى تم الاتفاق على فصل القوات .

وكانت حرب الاستنزاف هذه نوعا من الضغط العنيف خلال فترة الإعداد للمباحثات وأثناء إجرائها . وشمل القتال الجبهة السورية كلها وفق مخطط مدروس ومعدّ مسبقاً . وكانت أداته الأساسية المبارزة بالنيران ، مع استخدام الإغارات والكمائن والهجمات المحدودة بالقوات المحمولة جواً ، ومع إسهام القوات الجوية في القتال .

اعتقد الإسرائيليون في البدء أن الرمايات السورية ليست سوى استمرار للرمايات السابقة المحدودة الهدف والمدى ، وأن سورية سرعان ما ستضطر إلى التخلي عن مثل هذه الأعمال . لذلك لم يُلاحَظ أي تبدل على الأسلوب الإسرائيلي المتعنت في المحادثات التي أجراها وزير الخارجية الإسرائيلية آبا إيبان في واشنطن مع وزير الخارجية الأمريكية هنري كيسنجر في الأسبوع الثاني من شهر آذار ١٩٧٤ . ولكن استمرار إطلاق النار ، وبشكل منسق ومخطط ، أظهر الحقيقة (لإسرائيل) وأمريكا . ومنذ ذلك الحين أصبحت

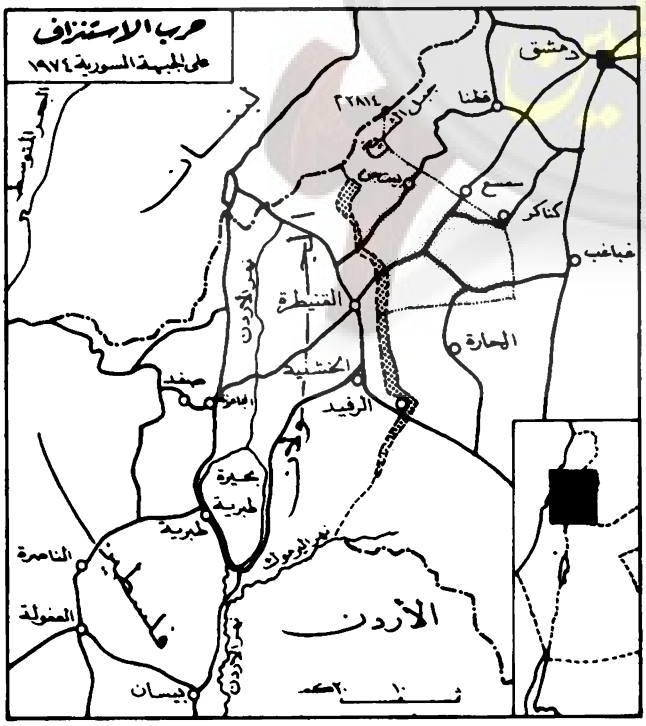

مسألة فصل القوات في الجولان من أهم مشاغل الخارجية الأمريكية، وتخلت هي و(إسرائيل) عن سياسة المماطلة الهادفة إلى استمرار الوضع القائم .

بقيت المبادرة خلال هذه الحرب بيد القيادة السورية التي كانت تنتقل من تصعيد إلى آخر حسب مقتضيات الموقف . في حين خضعت القوات الإسرائيلية للأساليب القتالية التي فرضها السوريون دون أن تستطيع تجاوزها إلى مستوى الحرب الشاملة الصاعقة القصيرة التي تتلاءم مع عقيدتها العسكرية والتكوين المادي والنفسي لرجالها ، لأن الظروف الدولية والجروح العميقة التي تركتها

حرب تشرين في المجتمع الإسرائيلي جعلت العدو الصهيوني يتخلى عن مبدأ هام من مبادئه القتالية ، واقتصر رد فعله على ما يفرضه السوريون من أساليب . كما لم تستطع القوات الجوية الإسرائيلية العمل بحرية بسبب قدرة الدفاع الجوي السوري على الردع وتقييده حرية مناوراتها .

وهكذا لم يكن (لإسرائيل) خلال حرب الاستنزاف هدف إستراتيجي إيجابي ، بل اقتصرت على هدف سلبي هو محاولة منع سورية من تحقيق أغراضها .

كان لسورية ، بالمقابل ، هدف إستراتيجي واضح هو كسر الجمود ، والضغط على العدو بعمل عسكري يضمن لها تحقيق النتائج التالية :

١) إلحاق الخسائر المادية والبشرية بقوات العدو يوميا حتى يؤدي تراكم الخسائر الكمّيّ إلى نتائج نوعية على الصعيدين المادي والمعنوي .

٢) خلق حالة انعدام الأمن للقوات المعادية الموجودة في المواقع المحتلة ، سواء داخل « جيب سعسع » أو في مستعمرات الجولان نفسها ، وإفهامها بشكل ملموس أن بقاءها في المنطقة يهدد حياتها .

٣) تثبيت عدم قبول سورية للوضع الراهن ، وتمسكها بمبدأ استعادة الأرض العربية المحتلة .

٤) منع العدو من تحصين مواقعه أو تحسين خطوطه القتالية داخل الجيب ، وتدمير وحداته الهندسية التي تحاول إنشاء التحصينات أو إعداد المواقع ، مما يجعل القوات الإسرائيلية المحشورة داخل الجيب مكشوفة معرضة للضربات .

٥) إجبار (إسرائيل) على إبقاء جيشها العامل (النظامي والاحتياطي) في وضع التعبئة المستمرة ، وإجبار جزء من قوى الاحتياط الإستراتيجي على البقاء تحت السلاح لتأمين التوازن الاستراتيجي في الجولان مقابل القوات السورية المحتشدة والمستعدة للانتقال من الدفاع إلى الهجوم دون إعداد مسبق .

٦) السيطرة على قمم جبل الشيخ لتحسين الوضع الإستراتيجي للترتيب القتالي السوري .

اقتصرت العمليات العسكرية خلال شهر آذار ١٩٧٤ على قصف مدفعي يومي ومستمر للمواقع العسكرية الإسرائيلية داخل الجيب المحتل ، واستهدفت ضرب أي رتل آلي يتحرك على المحاور بهدف منع القيادة الإسرائيلية من حرية المناورة ، وإجبارها على حشد أكبر حجم ممكن من القوات والوسائط في المواقع الراهنة ، وقصفها بصورة مستمرة حتى يشكل وجودها داخل الجيب عبئا ثقيلا على القيادة الإسرائيلية بسبب كثرة الخسائر البشرية .

وقد أثبتت المدفعية السورية مهارة عالية في دقة الرماية ، وفي سرعة المناورة بالنيران وبالمدافع لتجنب رمايات معاكسة من البطاريات المعادية . واشتركت وحدات مدرعة كاملة في تلك الفترة برمايات مركزة حققت نتائج جيدة في مجال تدمير التحصينات الإسمنتية الإسرائيلية ، مما أكسب القوات السورية خبرات ثمينة في فن السيطرة على النيران ، والمناورة بها ، وحسن توزيعها تبعا لفعاليتها على الأهداف المختلفة . وقد أدت كثافة النيران واستمرارها إلى إجبار القوات الإسرائيلية على الاختفاء المستمر داخل الملاجىء مع ما يؤدي إليه ذلك من تأثير على معنوياتها ، بالإضافة إلى الخسائر المادية والبشرية التي تتكبدها .

من جهة أخرى أدى استمرار الاشتباكات إلى تعاظم التأييد العربي والعالمي لسورية لأنها تعمل على الوصول إلى حق اعترفت به مختلف الدول في إطار الأمم المتحدة ، وإلى تعنّت (إسرائيل) وتهربها من الالتزام بمضمون قرار مجلس الأمن الذي سبق أن وافقت عليه .

ثم إن إقدام القوات السورية منفردة على التصدي للعدوان الإسرائيلي وتحقيق نتائج ملموسة استقطب مشاعر الشعب العربي في أنحاء الوطن العربي كلها فصار يطالب بدعم سورية بكل الإمكانات المتوفرة ، وعلى مختلف الأصعدة . وقد دفع ذلك الولايات المتحدة إلى التصميم على إنجاز اتفاق فصل القوات بأسرع وقت ممكن ، قبل أن يؤدي هذا الموقف إلى فرض حظر أشد على النفط ، ووضع القوات المسلحة المصرية في موقف تضطر معه إلى التدخل رغم اتفاقية سيناء الأولى .

استمرت القوات السورية في تنفيذ خطة حرب الاستنزاف ، وشهد شهر نيسان ١٩٧٤ تصاعداً في حدة الاشتباكات وتطورها إلى معارك فعلية مباشرة بين قوات الجانبين بعد أن اقتصرت خلال شهر آذار على المبارزة بنيران المدفعية والدبابات . ففي مطلع نيسان جرى صراع دموي بين القوات السورية والإسرائيلية من أجل السيطرة على قمم جبل الشيخ ، وخاصة المرتفع ٢٨١٤ الذي يشرف على معظم أنحاء المنطقة الجنوبية من سورية ولبنان والجزء الشمالي من فلسطين المحتلة . وقد تبادل الطرفان السيطرة على هذا المرتفع مرات عديدة خاضت خلالها القوات السورية معارك ضارية في ظروف مناخية وطبوغرافية بالغة الصعوبة والتعقيد ، إذ كانت الثلوج الكثيفة تكسو ميدان المعركة ، ودرجات الحرارة أدنى من الصفر وبخاصة في الليل ، وكانت هناك صعوبة كبيرة في إيصال الدعم والإمدادات للقوات المشتبكة بسبب فقدان الطرق نحو القمم ، مما كان يتطلب الاستفادة من الرواحل والسير على الأقدام . وقد استخدمت الحوامات بكثرة ، ولا سيما في فترات الاشتباكات ، حين كان الموقف يتطلب سرعة الإمداد بالعتاد والذخائر، ولكنها كثيراً ما

كانت تصادف صعوبات كبيرة في الهبوط بسبب الأحوال الجوية والضباب الكثيف ونيران المدفعية المضادة .

أمام هذا التحدي الكبير الذي واجه القيادة السورية كان لا بد لها من اتخاذ إجراءات سريعة وفعالة لتأمين عمل قواتها رغم جميع الصعوبات . فقامت بشق طريق بري صاعد نحو قمة الجبل . وقد أثبتت وحدات المهندسين العسكريين مقدرتها الفنية وحسن تخطيطها للأعمال المختلفة في ظروف القصف الجوي المعادي وصعوبة العمل في المناطق الجبلية . كما جرى تمديد الخطوط الهاتفية لتأمين إدارة العمليات الجارية في القمة وتنسيقها مع العمليات الأخرى ، وأنشئت قواعد تموينية خزنت فيها مختلف المواد المعيشية والقتالية مما سهل عملية الإمداد. وبالإضافة إلى ذلك حصّنت المواقع في الجبل نفسه ، وأنشئت مراصد محصّنة لتوجيه نيران المدفعية البعيدة المدى ، مما زاد في دقة رماياتها . وروعي أن تكون المواقع والمراصد قادرة على تحمل القصف الجوي والمدفعي المعادي .

ومع تصاعد حدة القتال على محور جبل الشيخ الذي أصبح المحور الرئيس للعمليات دفعت القيادة السورية لواء كاملاً من المشاة للعمل عليه بالتعاون مع عناصر الوحدات الخاصة . وقد نفذت هذه الوحدات مهمتها في الدفاع عن المحور المذكور بنجاح حتى نهاية حرب الاستنزاف .

تميزت معارك حرب الاستنزاف خلال شهر نيسان ١٩٧٤ أيضاً باستخدام (إسرائيل) أعتدة أمريكية جديدة في نطاق قواتها الجوية ، كالقنابل الحرارية التي ينجم عن انفجارها في الجو حرارة عالية تجذب نحوها الصواريخ المضادة للطائرات الموجهة حراريا . كما استخدمت الصواريخ جو ـ أرض الملقبة بالذكية والموجهة تلفزيونياً . ورغم ذلك لم تتمكن الطائرات المعادية من تحقيق نتائج ملموسة بسبب اعتراض الطائرات السورية لها ، وبسبب جودة التحصين الهندسي الذي أقامته وحدات المهندسين العسكريين السورية ، هذا بالإضافة إلى وسائط الدفاع الجوي التي لم تقل فعاليتها خلال حرب الاستنزاف عنها في حرب تشرين نفسها . وقد دارت أعنف المعارك الجوية في يوم ١٩/٤/١٩٧٤ واشتركت فيها مجموعات كبيرة من الطائرات السورية والإسرائيلية .

وفي الوقت الذي كانت فيه المعارك تدور على قمم جبل الشيخ ، والاشتباكات الجوية تشتد ، استمر القصف المدفعي على طول الجبهة ، مما أدى إلى منع العدو منعاً كلياً من القيام بأية أعمال هندسية . كما كانت المفارز العاملة خلف الخطوط المعادية تزيد من إنهاك القوات المعادية بمهاجمة المواقع ليلاً ونسفها ، أو بنصب الكمائن لمنع أي تحرك ليلي على الطرق .

مع بداية شهر أيار ١٩٧٤ صعّدت القوات السورية عملياتها نوعياً إذ أخذت وحدات النسق الأول من الجبهة السورية تشن غارات ليلية على المواقع الأمامية المعادية ، وكان أهمها الإغارة التي نفذتها إحدى الوحدات الخاصة يوم ٢/٥/١٩٧٤ على الموقع المعادي في المرتفع ٢٥٠٠ في جبل الشيخ الذي كانت تحتله وحدة مدرعة إسرائيلية . فقد تمكنت الوحدة المهاجمة من الاقتراب حتى مسافة ٢٥ م من العدو دون أن يلحظها ، ثم انقضت عليه وهو داخل دباباته ونفذت مهمتها كاملة خلال دقائق معدودات ، وعادت ومعها ثلاثة أسرى بعد أن قضت على عناصر الموقع البالغ عددهم اثنين وعشرين عسكريا .

تميزت الأعمال القتالية خلال هذا الشهر بقيام القوات الجوية السورية بقصف مواقع العدو بعد إبطال وسائط دفاعه الجوي بالمدفعية . وقد شنّت أربع غارات جوية على المواقع المعادية . كما تصدت يوم ٢٧/٥/١٩٧٤ للطائرات الإسرائيلية التي كانت تقصف مواقع الفدائيين الفلسطينيين في الأراضي اللبنانية .

أدت هذه العمليات إلى تحقيق الأهداف التي وضعتها القيادة السورية لحرب الاستنزاف ، ووجدت (إسرائيل) نفسها مضطرة إلى التخلي عن تعنتها لأنها لم تتعود تكبد خسائر بشرية كبيرة ، مما أثر على وضعها الداخلي ، خاصة أنها لمست تصميم القيادة السورية على الاستمرار في هذه الحرب حتى تحقيق أهدافها الموضوعة لها . وقد شوهدت كتابات كثيرة على جدران المواقع التي أخلتها القوات الإسرائيلية تدل على مدى تدني الروح المعنوية لدى جنود العدو .

وفي نهاية شهر أيار ١٩٧٤ توقفت الأعمال القتالية بعد التوصل إلى اتفاق لفصل القوات انسحب العدو بموجبه من الجيب المحتل وأخلى مدينة القنيطرة وأجزاء أخرى من الأراضي المحتلة في عام ١٩٦٧ . ولم يكن الوصول إلى هذا الاتفاق ممكناً لولا الأعمال البطولية والتضحيات التي قدمتها القوات المسلحة السورية .

كانت حرب الاستنزاف وسيلة ضغط عنيف لتحقيق هدف سياسي ، وقد بلغت هذه الحرب هدفها بنجاح . يضاف إلى ذلك أن هذه الحرب أكسبت القوات السورية خبرة قتالية جيدة .

الاستنزاف المصرية ـ الإسرائيلية (حرب ـ) :

توقعت (إسرائيل) أن تتوج انتصارها العسكري في حرب ١٩٦٧ * بانتصار سياسي فتحقق أهدافها من العدوان وتعقد اتفاقية مع العرب وفق الشروط الإسرائيلية . غير أن شيئاً من هذا لم يحدث ، بل على العكس من ذلك أخذت الدول العربية المحيطة (بإسرائيل) ، مدعومة ومؤيدة من الدول العربية الأخرى ، تسعى

إلى توفير عوامل الصمود ، وإعادة بناء قواتها المسلحة وتسليحها من جديد . وفي الوقت ذاته لم تغلق الدول العربية الباب في وجه الجهود السياسية الدولية الهادفة إلى إيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية بالطرق السلمية .

ولم تتوان (إسرائيل) منذ انتهاء حرب ١٩٦٧ وحتى بداية حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية في آذار ١٩٦٩ عن سعيها المحموم من أجل تحسين مواقعها المحتلة ، وإحباط المشروعات العربية لإعادة إنشاء القوات المسلحة وتطويرها وتسليحها استعداداً لجولة حربية أخرى ، فكانت تقوم باعتداءات متتالية على الدول العربية المحيطة بها . ومن أهم هذه الاعتداءات والأحداث :

١) معركة « رأس العش » التي حاولت فيها القوات الإسرائيلية احتلال مدينة بور فؤاد ، فأرسلت يوم ١٩٦٧/٧/١ وحدة مدرعة اصطدمت في موقع رأس العش قرب بور سعيد بحامية مصرية أصلتها ناراً حامية ، وكبّدتها خسائر فادحة ، وردّتها على أعقابها ، وجعلت القوات الإسرائيلية تمتنع عن تكرار المحاولة .

٢) محاولة تدمير المنشآت الدفاعية المصرية التي كانت مصر تبنيها على الضفة الغربية للقناة وتُصْلي منها القوات الإسرائيلية نيران المدفعية الثقيلة البعيدة المدى . وقد سخّر الإسرائيليون لهذا الغرض قواتهم الجوية مع مدفعيتهم . لكن القوات المصرية تابعت أعمال التحصين وردّت في الوقت ذاته على اعتداءات العدو .

٣) دخول المدمرة الإسرائيلية « إيلات » • المياه الإقليمية المصرية وإغراقها بالصواريخ المصرية . وكان ذلك حدثاً مأسوياً بالنسبة إلى (إسرائيل) .

٤) تبادل القصف المدفعي الثقيل على جبهة الإسماعيلية والسويس . وكان الردّ المصري يزداد قوة وتأثيراً بمرور الزمن لأن الأسلحة الجديدة كانت تصل تباعاً إلى الجبهة وتأخذ مواقعها فيها . وقد تميزت الفترة من أيلول ١٩٦٨ حتى آذار ١٩٦٩ بارتفاع النشاط الدفاعي على الجبهة المصرية ، مما زاد في خسائر العدو . وقد بلغ هذا النشاط ذروته في ١٩٦٨/٩/٨ حين وجهت ١٥٠ بطارية مدفعية مصرية نيرانها إلى المواقع الإسرائيلية (حوالي ١٠٠٠ قذيفة) . وقابلت القوات الإسرائيلية ذلك بقصف مكثف لمدينتي السويس والإسماعيلية ، مما أدّى إلى إجلاء ٤٠٠ ألف مواطن مدني مصري عن المنطقة .

٥) بناء (إسرائيل) خط بارليف الدفاعي على طول الضفة الشرقية لقناة السويس (رَ : التحصينات ، خطوط ـ الإسرائيلية) . وكانت القيادة السياسية المصرية ، بالتعاون مع الدول العربية والدول الصديقة ، تتابع جهودها المكثفة للوصول إلى حل سلمي للمشكلة . ولكن مختلف الجهود الدبلوماسية الدولية التي بذلها طيلة عام ١٩٦٨ المبعوث الدولي يارنغ اخفقت كما أخفقت محادثات الدول الأربع الكبرى في التوصل إلى تسوية سلمية على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في تشرين الثاني عام ١٩٦٧ . واتضحت بجلاء نيات الولايات المتحدة الأمريكية في المضي في سياسة دعم (إسرائيل) عسكرياً واقتصادياً بإعلانها عن صفقات الأسلحة إلى (إسرائيل) ، وخاصة طائرات الفانتوم الخمسين بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٢٨ .

تابعت (إسرائيل) اعتداءاتها وتعزيز تحصينات خط بارليف ، وبالمقابل تزايد نمو القدرات العسكرية المصرية بوصول الأسلحة والمعدات السوفيتية . أمام ذلك كله قررت القيادة المصرية السياسية والعسكرية البدء بتطبيق إستراتيجية عسكرية أكثر إيجابية تتفق مع ظروف توزان القوى القائم وقتئذٍ . وقد عرفت في بادىء الأمر باسم

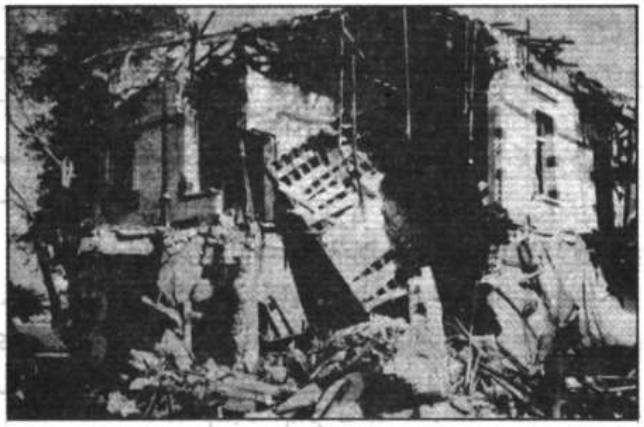

إستراتيجية « الدفاع الوقائي » ثم سميت « حرب الاستنزاف » عندما اتسع نطاقها .

في الساعة ١٧,٤٠ من يوم ١٩٦٩/٣/٨ بدأت المدفعية المصرية تقصف قصفاً عنيفاً وكثيفاً جداً مواقع وتحصينات خط بارليف بكاملها . ولم يتمكن الطيران الإسرائيلي من التدخل إذ سرعان ما خيم الظلام وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر • في اليوم ذاته بدء مرحلة جديدة من الصراع العربي ـ الإسرائيلي هي مرحلة الاستنزاف . وقد أوجز الفريق عبد المنعم رياض • رئيس هيئة الأركان المصرية أهداف هذه المرحلة في التالي :

١) تدمير تحصينات خط بارليف ، ومنع الإسرائيليين من إعادة بنائها .

٢) جعل الحياة مستحيلة للقوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة .

٣) زرع الروح الهجومية وإذكاؤها في قلوب الجنود المصريين .

٤) تعويد القوات المصرية على عمليات عبور القناة والعمل خلف الخطوط المعادية .

وهكذا كان يوم ٨ آذار بدء مرحلة دامت ٨٠ يوماً من القصف المستمر المتبادل والعمليات المحدودة ، وقد اشتركت فيها جميع أنواع الأسلحة لدى الطرفين .

وفي اليوم التالي من بدء حرب الاستنزاف ، وبينما كان الفريق عبد المنعم رياض مع مجموعة من ضباطه قرب الإسماعيلية يراقب سير المعركة ، سقطت بعض قنابل المدفعية الإسرائيلية قربه فاستشهد في ساحة المعركة ، فتولى الفريق أحمد إسماعيل علي رئاسة هيئة الأركان .

نفّذ المصريون خلال شهري آذار ونيسان ١٩٦٩ رمايات سد مدفعي على طول خط بارليف بشكل شبه مستمر مكبّدين العدو خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات ، بالإضافة إلى تعرض التحصينات إلى تدمير جزئي . وفي منتصف شهر نيسان طوّر المصريون عملياتهم ، إذ قامت وحدات المغاوير بعدة إغارات عبر القناة ، وهاجمت تحصينات خط بارليف والدوريات المعادية العاملة بينها وقوافل الإمداد والتموين والقواعد الخلفية الإسرائيلية . مما اضطر القيادة الإسرائيلية إلى زيادة حجم القوات الموجودة في هذه التحصينات ، ونشر لواءين مدرعين ، بالإضافة إلى حشد لواء ثالث مدرع كاحتياط قريب ، ولواء رابع جاهز لتعزيز المواقع الأمامية المحصنة إذا تعرضت لهجوم مصري .

وعلى الرغم من ذلك قامت وحدة مغاوير مصرية تقدر بقوة سرية كاملة بهجوم مفاجيء ناجح في وضح النهار على وحدة مدرعة إسرائيلية موجودة في مواجهة بور توفيق وكبدت العدو خسائر كبيرة أثارت قلق الحكومة الإسرائيلية فوافقت على اقتراح رئيس الأركان بزج القوات الجوية الإسرائيلية في المعركة .

شعرت القيادة الإسرائيلية أن العمليات العسكرية المصرية ، سواء منها القصف المدفعي الفعّال او العمليات الهجومية المحدودة التي تنفذها وحدات المغاوير المصرية ، قد بدأت تؤثر على معنويات جنودها وعلى سكان (إسرائيل) فقررت القيام ببعض العمليات المعاكسة . ففي ليلة ١٩ ـ ٢٠ تموز هاجمت وحدة مغاوير إسرائيلية محمولة على زوارق إنزال موقعاً مصرياً للرادار في الجزيرة الخضراء في خليج السويس . وقد تمكنت من مفاجأة عناصر الموقع ، ومن تدمير أجهزة الرادار والأسلحة المضادة للطائرات القريبة منه ، وعادت إلى قاعدتها بعد أن فقدت ستة قتلى . ومن الجدير بالذكر أن قائد الموقع المصري عندما شعر بعجز رجاله القلائل عن التصدي لقوة الهجوم طلب لاسلكياً من المدفعية المصرية قصف موقعه نفسه لإحباط الهجوم ، رغم معرفته أن ذلك قد يؤدي إلى استشهاده .

بعد أن وافقت الحكومة الإسرائيلية على زجّ القوات الجوية في المعركة بدأت الطائرات الإسرائيلية منذ يوم ١٩٦٩/٧/٢٠ بسلسلة من الغارات استمرت عشرة أيام متواصلة ، مركّزة على مرابض المدفعية وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات على الضفة الغربية لقناة السويس . وكانت تلك هي المرة الأولى التي يستخدم فيها السلاح الجوي الإسرائيلي بكثافة بعد عدوان حزيران . ثم نفذ الإسرائيليون عملية ثانية ، إذ أغرق الضفادع البشريون زورقي طوربيد مصريَّين في خليج السويس . وفي صباح ١٩٦٩/٩/٩ انتقلت قوة إسرائيلية مؤلفة من مئات من الرجال تعزّزها دبابات وناقلات مدرعة سوفيتية تم الاستيلاء عليها خلال عدوان حزيران ، انتقلت بزوارق إنزال إلى موقع جنوبي الحفاير ، على الشاطىء الغربي لخليج السويس ، ومن ثَمَّ تحركت على الطريق الساحلي وتمكنت من مفاجأة وتدمير عدد من مواقع الرادار المصرية المحضرة وقواعد الصواريخ الخالية بالإضافة إلى عدد من عربات النقل . وكانت الطائرات الإسرائيلية في الوقت نفسه تشترك في هذه العملية فتقصف الحفاير والمواقع المصرية في رأس زعفرانة وحولها ، بالإضافة إلى القوافل المتحركة من مدينة السويس وإليها . على أثر ذلك أصدر الرئيس جمال عبد الناصر تعليماته بإعفاء الفريق أحمد إسماعيل علي من منصبه .

تتابعت وكثرت عمليات العبور المصرية من مختلف قطاعات الجبهة ، وكانت عمليتان أو ثلاث تتم أحياناً في ليلة واحدة . وازدادت جرأةُ أهدافِها وعمقُ مسافاتها حتى بلغت أحياناً نحو خمسة كيلومترات شرقي القناة . هذا بالإضافة إلى تعدد نوعية القوات المشتركة فيها وتعاظم حجمها من وحدة صغيرة إلى سرية ثم إلى سريتين . ففي يوم ١٩٦٩/١١/٦ احتل المصريون بقوى سريتين رأس جسر عبر الضفة الشرقية للقناة في منطقة البلاح ومكثوا فيه ٢٤ ساعة .

قامت القوات الإسرائيلية ، في إطار الردّ على هذه العمليات ، بعدة عمليات انتقامية كان أخطرها العملية التي تمت ليلة ١٩٦٩/١١/٢٦ قرب رأس غارب ، إذ نجحت الوحدة المغيرة بنقل جهاز رادار مصري إلى سيناء المحتلة بالحوامات الضخمة . وفي ١٩٧٠/١/٢٢ هاجمت قوة من المظليين الإسرائيليين جزيرة شدوان الواقعة عند مدخل خليج السويس على بعد ٢٠ كم جنوبي غرب شرم الشيخ مستخدمة الحوامات في النزول على القسم المرتفع شمالي الجزيرة ، بعد أن مهّد لها بقصف جوي كثيف لمواقع الحامية الصغيرة المدافعة عنها ، ودار قتال عنيف جنوبي الجزيرة حيث تتمركز الوحدة المصرية حول المنارة ومحطة الرادار البحري ،

واستخدمت في القتال الأسلحة الفردية والسلاح الأبيض والقنابل اليدوية . وقد تكبد الطرفان خسائر كبيرة .

لم تكتف القيادة المصرية بعمليات القصف المدفعي وعبور الوحدات الخاصة ووحدات المشاة لقناة السويس ومهاجمة القوات الإسرائيلية داخل مواقعها المحصنة، بل قامت بتنفيذ عمليات كثيرة ناجحة وجريئة في عمق سيناء المحتلة ضد أهداف معادية مختلفة . فقد هاجمت وحدة من المظليين المصريين محمولة بالحوامات قبيل فجر يوم ١٩٦٩/٩/٢٨ مركزاً إدارياً للعدو في منطقة مصفق الواقعة على مسافة ٨٥ كم من قناة السويس على طريق سيناء الشمالي الممتد من القنطرة إلى العريش ورفح * . كما قامت قوة أخرى من المغاوير البحريين بمهاجمة المواقع الإسرائيلية في منطقة رأس مطارقة ـ رأس ملعب على الساحل الشرقي لخليج السويس بالصواريخ ، وتعرّض ميناء إيلات * الإسرائيلي لعدة هجمات مصرية قامت بها وحدات الضفادع البشرية التي نقلت إلى هناك بالحوامات وتمكنت من إغراق بعض السفن الإسرائيلية .

وفي الوقت نفسه كانت هناك تشكيلات فدائية خاصة تعمل بشكل دائم داخل سيناء المحتلة ، وعرفت باسم « منظمة سيناء العربية » * وكانت تغزو القوافل ، وتزرع الألغام ، وتهاجم بعض مراكز القيادة بنيران الهاونات وصواريخ الكاتيوشا .

وقفت القيادة الإسرائيلية عاجزة عن إيقاف عمليات الاستنزاف المصرية بالطرق التقليدية فقررت دفع القوات الجوية للعمل بشكل هجومي مباشر . وبدأت أولى العمليات الجوية المنتظمة يوم ١٩٦٩/٧/٢٠ بغارة على بور سعيد استهدفت بطارية صواريخ « سام ٢ » مضادة للطائرات وغيرها من الأهداف . وقد خسرت (إسرائيل) في هذه الغارة إحدى طائراتها . ثم توالت الغارات الجوية المعادية على الجبهة المصرية ، وخاصة على مواقع بطاريات الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات ومحطات الرادار . فردّ الطيران المصري بقصف قواعد صواريخ « هوك » الإسرائيلية المضادة للطائرات وغيرها من مواقع العدو . وقد وصلت هذه الغارات حتى العريش ، واشتركت في بعض الغارات أربعون طائرة من أنواع مختلفة .

دارت طوال أشهر تموز وآب وأيلول ١٩٦٩ معارك جوية كثيرة . وكلما دمرت الطائرات الإسرائيلية قاعدة صاروخية أسرع المصريون إلى تركيب غيرها . فبدا واضحاً للإسرائيليين أن غاراتهم المركزة على الجبهة لم تضعف إرادة القيادة المصرية الاستمرار في خوض معارك حرب الاستنزاف ، لذلك بدأوا يفكرون بنقل عملياتهم إلى عمق مصر وإلى الأهداف المدنية ، خاصة بعد وصول طائرات الفانتوم الأمريكية المتطورة . وقد نفذوا ذلك في شهر كانون الثاني من عام ١٩٧٠ حين قامت القوات الجوية الإسرائيلية بسلسلة من الغارات في عمق الأراضي المصرية ضد أهداف مدنية وعسكرية ، فهاجمت في اليوم السابع من الشهر نفسه مستودعات القوات الجوية المصرية قرب أنشاص وحلوان ، ولكنها فشلت في تحقيق أية اصابة جدية لهذه المستودعات . وفي ١٩٧٠/٢/١٢ صعّد الإسرائيليون الموقف بقصفهم مصنع الحديد والصلب في أبو زعبل أثناء عملية تبادل مجموعات العمل في الساعة الثامنة صباحاً ، وقد أدى ذلك إلى استشهاد ٧٠ عاملاً مدنياً وجرح الكثيرين . وبعد بضعة أيام ، وبينما كانت أصوات الاستنكار ترتفع ضدّ الغارات على العمال المدنيين خلافاً للاتفاقيات الدولية الخاصة بعدم جواز التعرض للأهداف المدنية والسكان العزّل ، شنت الطائرات الإسرائيلية غارة وحشية على مدرسة بحر البقر الابتدائية مسببة ضحايا كثيرين من الأطفال الأبرياء . ولم تجد (إسرائيل) عذراً لتبرير هذا العمل الوحشي سوى الادعاء بأن ذلك قد تم نتيجة خطأ ارتكبه الطيار .

إلى جانب سعي (إسرائيل) لإضعاف الروح المعنوية للشعب المصري وقيادته ظلّ هدف الغارات الجوية الإسرائيلية الأساسي تدمير قواعد صواريخ سام ٢ المضادّة للطائرات ، وفي تلك الأثناء كانت المعدات السوفيتية تصل إلى مصر وفيها الصواريخ المتطورة سام ٣ وطائرات الميغ ٢١ . فبدأت الطائرات الإسرائيلية المغيرة تسقط الواحدة تلو الأخرى بعد ان نجحت مصر في إقامة شبكة مضادة للطائرات تغطي العمق المصري .

وقعت آخر غارات العمق الإسرائيلية في ١٩٧٠/٤/١٣ ، ثم ساد الهدوء المنطقة زمناً . وعندما حاولت طائرتا فانتوم إسرائيليتان التوغل في عمق مصر أسقطتا فوراً . وشهد شهر تموز ١٩٧٠ كارثة لسلاح الجو الإسرائيلي ، إذ خسر عشرين طائرة . وكان نظام الدفاع الجوي المصري قد تكامل تقريباً ، وتكوّن من بطاريات الصواريخ سام ٢ للارتفاعات العالية ، وبطاريات سام ٣ للارتفاعات المنخفضة . وتمت حماية هذه القواعد بشبكة واسعة من الرادارات ، وبأكثر من ألف مدفع مضاد للطائرات ، وبنحو ٦٠٠ صاروخ خفيف مضاد للطائرات من نوع سام ٧ . وضمّ هذا النظام أيضاً حوالي ١٠٠ طائرة ميغ ٢١ . وقد نجح المصريون في إقامة قواعد الصواريخ والرادارات في ظروف قاسية جداً تحت القصف المدفعي والجوي المعادي . وقدّموا في سبيل ذلك مئات الضحايا من العسكريين والمدنيين العاملين في إنشاء هذه القواعد .

وفي ١٩٧٠/٨/٨ قبلت مصر و (إسرائيل) التوقف عن إطلاق النار نتيجة المساعي التي قام بها وزير الخارجية الأمريكية وليم روجرز (رَ : روجرز ، مشروع) . ثم ادّعت (إسرائيل) أن القوات

المصرية خرقت اتفاق وقف إطلاق النار بتقديمها القواعد الصاروخية نحو القناة ، ولكنها لم تقم بأي رد فعل عسكري ، بل استغلت الموقف للحصول على عدد جديد من الطائرات الأميركية ، وأسرعت إلى زيادة تحصين مواقع خط بارليف .

وهكذا انتهت حرب الاستنزاف المصرية التي استمرت من ١٩٦٩/٣/٨ حتى يوم ١٩٧٠/٨/٧ . وتعد أهم المراحل التي سبقت حرب ١٩٧٣ * .

وقد بلغت معظم أهدافها ، رغم أنها كلفت مصر ثمناً غالياً ، إذ فسحت المجال للاختبار العملي لمختلف أنواع الأسلحة التي تلقتها الوحدات المصرية ، وعزّزت الروح الهجومية في قلوب المقاتلين المصريين ، وكشفت للعالم المقدرة الفعلية للجيش الإسرائيلي « الذي

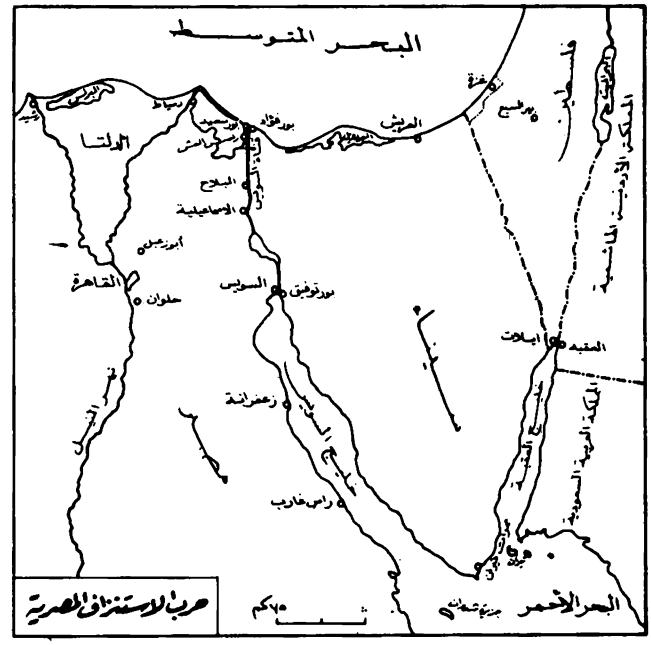

لا يقهر » على حدّ زعم الصهيونيين . وقد تدربت الوحدات المصرية من جهة على عبور القناة والتوغل في سيناء . وأجبرت (إسرائيل) ، من جهة أخرى ، على الاحتفاظ بعدد أكبر من الرجال في الخدمة ، وبالتالي أثّرت على قدرتها الاقتصادية ، واضطرتها إلى انفاق المبالغ الطائلة على تحصين وإعادة ترميم خط بارليف .

الناحية الأخرى التي برزت في حرب الاستنزاف هي كونها أولى حروب المنطقة التي لعبت الوسائط الإلكترونية فيها دوراً بارزاً ، وشهدت مبارزة حامية بين الوسائل الالكترونية والوسائل المضادة لها . فقد زوّدت الولايات المتحدة الأمريكية الطائرات التي قدمتها (لإسرائيل) بأجهزة إلكترونية خاصة تنذرالطيار عند انطلاق الصواريخ ، وبذلك تتيح له فرصة المناورة والهرب منها ، كما زودتها بمعدات أخرى للتشويش على الرادارات الموجّهة للصواريخ . وقد استفادت الولايات المتحدة من المعرفة التي اكتسبتها في ڤيتنام عن خصائص الصواريخ سام ٢ لاختيار الأجهزة الإلكترونية المضادة المناسبة ، مما ساعد (إسرائيل) وأتاح لها الاحتفاظ بسيطرتها الجوية على ساحة المعركة وعمق مصر خلال المرحلة الأولى من حرب الاستنزاف ، وتمكنت من تدمير عدد كبير من قواعد الصواريخ المصرية .

ولما بدأ الاتحاد السوفييتي يزوّد مصر بصواريخ سام ٣ الأكثر فعّالية والقادرة على التعامل مع الطائرات المحلّقة على ارتفاعات منخفضة والمزوّدة بأجهزة توجيه رادارية وإلكترونية متطورة يصعب التشويش عليها رجحت كفة الجانب العربي المصري في هذه الحرب الإلكترونية ، وحدّ من عمل طائرات الفانتوم ، وتوقفت غارات العمق بانتظار الحصول على أجهزة الكترونية أميركية قادرة على التصدي للصواريخ الجديدة . وبهذا كانت حرب الاستنزاف ، عملياً ، حقلاً لتجارب الدول الكبرى لاختبار أحدث الأسلحة لديها ، وتطوير أجهزتها الإلكترونية تبعاً للدروس المستفادة من المعارك الدائرة يومياً ولخصائص الوسائط المتوفرة لدى الطرف الآخر .

ولا بد من القول أخيراً إن حرب الاستنزاف كانت مرحلة تدريب واختبار للقوات المصرية وإعدادها للمعركة المقبلة ، فكانت الأساس الذي انطلقت منه إلى حرب تشرين .

المراجع :

ـ حسن البدري وطه المجذوب وضياء الدين زهدي : حرب رمضان ، القاهرة .
ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر : الموسوعة العسكرية ، المجلد الأول ، بيروت .

الاستيطان (مشاريع ـ الصهيونية خارج فلسطين) :

عند التعرض لبحث مشاريع الاستيطان اليهودية خارج فلسطين لا بد من الإشارة إلى أن تلك المشاريع اقترحتها هيئات وجهات مختلفة . فمشروعا الاستيطان في الأرجنتين وكندا قامت بوضعهما الجمعية اليهودية للاستيطان التي أسسها البارون دو هرش . بينما تقدم تيودور هرتزل والمنظمة الصهيونية بمشروع شرقي إفريقيا (المعروف أيضاً بمشروع أوغندا) ومشروع سيناء (العريش) . أما مشروع ليبيا فقد قامت بطرحه المنظمة اليهودية للأراضي وهي منظمة انشقت عن التيار الرئيس للحركة الصهيونية تحت قيادة إسرائيل زانغويل عام ١٩٠٥ .

١) الأرجنتين : يرتبط الاستيطان اليهودي في الأرجنتين ارتباطاً وثيقاً باسم البارون موريس دو هرش مؤسس الجمعية اليهودية للاستيطان في لندن سنة ١٨٩١ . وقد أنشئت مستعمرة مويزفيل في إقليم « سانتا في » الزراعي الخصب في العقد الأخير من القرن الماضي ، بالإضافة إلى العديد من المستوطنات الأخرى . ثم امتدت هذه الشبكة من المستوطنات مع حلول سنة ١٩١٤ إلى مقاطعات « لابامبا » و« انتري ريوس » و« بونس ايريس » وكانت غالبية المهاجرين اليها من يهود أوربا الشرقية . ولا بد من التذكير بأن هرتزل اختار الأرجنتين في كتابه « دولة اليهود » لتكون أحد الموقعين المحتملين لإقامة الدولة اليهودية ، أما الموقع الآخر فقد كان فلسطين .

شملت خطة العمل الأساسية للجمعية اليهودية للاستيطان مفاوضة الحكومة الأرجنتينية لاستعمار ما يقارب ٣,٧٥ مليون هكتار من الأراضي من جهة ، ومفاوضة روسيا القيصرية من جهة أخرى للسماح بهجرة ثلاثة ملايين يهودي إلى الأرجنتين على امتداد خمسة وعشرين عاماً . إلاّ أن هذه الخطة لم تنجح تماماً ، فلم يتم الحصول على أكثر من ٦٠٠,٠٠٠ هكتار من أراضي الأرجنتين .

وقد بلغ عدد اليهود في مستعمرات الأرجنتين الزراعية في عشرينات هذا القرن حوالي ٢٠,٠٠٠ يهودي . وهو أعلى رقم اجتمع في المستوطنات الزراعية ، لأن المدن الكبيرة استقطبت المزارعين اليهود كما حصل في المستوطنات الزراعية اليهودية في البلدان الأخرى . وهكذا فشلت مشاريع الاستيطان الزراعية .

وعلى الرغم من أن منظمة غير صهيونية هي التي أسست مستوطنات الأرجنتين وأمدتها بالعون فقد مال يهود هذه المستوطنات بولائهم السياسي والايديولوجي سريعاً نحو الحركة الصهيونية العالمية . ويهود الأرجنتين ، وعددهم اليوم نحو مليون ، يشكلون قوة سياسية ضاغطة لها تأثيرها في السياسة الخارجية للحكومة الأرجنتينية .

٢) الولايات المتحدة والبرازيل وكندا : كان الاستيطان اليهودي في كندا يجري تحت رعاية الجمعية اليهودية للاستيطان أيضاً . وبالرغم من أن نشاطها الأساسي كان يتجه نحو استقطاب هجرة اليهود الروس والبولونيين إلى الأرجنتين فإنها أولت بعض الاهتمام للمشاريع الاستيطانية في أماكن أخرى . فقد حصلت الجمعية على بعض الأراضي في الولايات المتحدة ، وتم تنظيم بعض المستوطنات في ولايات نيويورك ونيوجرسي وبنسلفانيا . واشترت الجمعية عام ١٩٠٤ أراضي في مقاطعة « ريوغراندي دوسول » البرازيلية حيث تم تأسيس مستوطنة في ضاحية « كواترو ايرامامـوس » مساحتها ٩٣ ألف هكتار . لكن هذه المشاريع لم تتحول إلى مستوطنات فعلية ، مما أدى إلى صرف النظر عنها .

أما في كندا فقد بدا الوضع مشجعاً ، إذ أسست الجمعية عام ١٨٩٢ « مستوطنة هرش » في مقاطعة ساسكا تشوان . وتم تأسيس مستوطنات أخرى في مقاطعة « مانيتوبا » ، كما تم تأسيس فرع كندي للجمعية للإشراف على العدد المتزايد من مشاريع الاستيطان هناك . وغدا فرع الجمعية الكندي ، مع حلول عام ١٩١٠ ، مسؤولاً عن خمسة مشاريع استيطانية يهودية رئيسة . وقد بلغت الحركة الاستيطانية أشدها في ذلك الزمن . لكن الحكومة الكندية رفضت فيما بعد أن تبيع مساحات واسعة من الأراضي . وهكذا منعت انتشار المستوطنات اليهودية في تلك البلاد .

٣) مشروع العريش : كان مشروع العريش للاستيطان في شبه جزيرة سيناء من أوائل مشاريع الاستيطان الصهيونية . وكان مشروعاً محبباً إلى تيودور هرتزل . وقد تولى الزعيم الصهيوني الألماني دافس تريتش دراسة هذا المشروع دراسة مستفيضة لأن تصوره « لفلسطين الكبرى » اليهودية كان يشمل فلسطين نفسها وسيناء وقبرص .

اعتقد هرتزل أن نجاح مشروع العريش يعتمد على دعم وزارة المستعمرات البريطانية ، ويعتمد كذلك على إمدادات مائية من نهر النيل . وقد سعى هرتزل لوضع هذا المشروع تحت حماية البريطانيين ورعايتهم على أنه مشروع استيطاني مستقل مستغلاً وجود اللورد كرومر حاكم مصر الفعلي في ذلك الوقت .

وقد زارت سيناء عام ١٩٠٢ لجنة صهيونية عالية المستوى تضم خبراء في الاستيطان وبعض المهندسين ، ثم أجرت مفاوضات مع المسؤولين في لندن ، ومع اللورد كرومر في مصر . وانتعشت آمال الصهيونيين من النتائج الإيجابية التي توصلت إليها تلك اللجنة . لكن هذه المفاوضات لم تصل في نهاية الأمر إلى غايتها المنشودة ، فقد رفضت الحكومة المصرية تقديم الإمدادات المائية من نهر النيل لشعور اللورد كرومر بأن المشروع قد يؤدي إلى خلق متاعب سياسية لبريطانيا في مصر وللأمبراطورية العثمانية في فلسطين .

٤) مشروع أوغندا : في عام ١٩٠٣ ، وبعد فشل مشروع الاستيطان اليهودي في العريش ، عقد جوزيف تشمبرلن وزير المستعمرات البريطاني محادثات مع تيودور هرتزل حول إمكانية الاستيطان اليهودي في بعض أجزاء الامبراطورية البريطانية المترامية الأطراف في إفريقيا ، وعلى الأخص في منطقتي كينيا وأوغندا . وكان هرتزل يرغب في الحصول على عرض محدد ، وعلى ترخيص رسمي بالاستيطان من الحكومة البريطانية إلى المنظمة الصهيونية * تواكبه تعهدات باستقلال يهودي ذاتي في الشؤون الداخلية . أما فيما يتعلق

بالحدود النهائية لهذا الإقليم فقد اقترح أن تحددها لجنة مشتركة من الصهيونيين ومن خبراء المستعمرات البريطانيين . وقد وجد البريطانيون في هذا المشروع الاستيطاني فرصة مؤاتية لاستقطاب ذوي المهارات ورأس المال إلى إمبراطوريتهم الإفريقية ، وربما لتحويل هجرة اليهود الروس من بريطانيا إلى إفريقيا أيضاً . أما فيما يتعلق بهرتزل فإن « مشروع أوغندا » ، كما أصبح يعرف ، كان يمثل تأكيداً لبرنامج بازل * (بال) وانتصاراً لدبلوماسيته التي كانت تتجه نحو الحصول على براءات للاستيطان . لذا فإن عرضاً بريطانياً من هذا القبيل كان من شأنه أن يمنح هرتزل كسباً هاماً يستخدمه في المؤتمر الصهيوني * السادس .

أدى مشروع أوغندا إلى انقسامات خطيرة في صفوف اليهود عندما عرض على المؤتمر الصهيوني السادس ، فقد دار الصراع بين أنصار هرتزل (والمشروع) من جهة والفئة التي عرفت باسم صهيوني صهيون من جهة أخرى ، وأصر هؤلاء على الالتزام بالاستيطان في فلسطين . وجرى طرح حل وسط يقضي باعتماد أوغندا مؤقتاً لتلبية الحاجات اليهودية الآنية ، ومرحلة على طريق الهدف النهائي ، أي فلسطين . لكن هذا الحل لم يلق تجاوباً من صهيونيي صهيون الذين خرجوا من قاعة المؤتمر ووجهوا إنذاراً نهائياً إلى هرتزل بالتخلي عن مشروع أوغندا .

وبعد ذلك التاريخ بعام واحد سحبت الحكومة البريطانية عرضها هذا ، ومات تيودور هرتزل ، فانتهى أمر هذا المشروع الاستيطاني ، بالرغم من أن إسرائيل زانغويل والمنظمة اليهودية للأراضي ثابرا على العمل لإحياء ذلك المشروع دون جدوى .

٥) أنغولا وأستراليا والمكسيك وليبيا والعراق : بعد موت تيودور هرتزل ، وخلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع عام ١٩٠٥ ، انشقت عن الحركة الصهيونية الأساسية زمرة من المندوبين الصهيونيين بقيادة إسرائيل زانغويل وأسست المنظمة اليهودية للأراضي كمنظمة مستقلة . وكان مبعث هذا الانشقاق في الدرجة الأولى الخلاف في الرأي حول المكان الذي قد تنشأ فيه المستعمرات اليهودية الكبيرة . فبينما ركز الصهيونيون جهودهم على فلسطين كان أعضاء المنظمة اليهودية للاراضي ، أو « أصحاب الأرض » كما جرت تسميتهم ، يرغبون في إقامة المستعمرات في أي مكان بشرط أن تكون الأرض كبيرة كافية . وقد قال زانغويل ذات مرة : " لا توجد بقعة من الأرض لم تفكر فيها المنظمة اليهودية للأراضي " .

تابع «أصحاب الأرض» في البداية المفاوضات التي كان هرتزل قد أجراها مع وزارة المستعمرات البريطانية حول مشروع أوغندا ، لكن هذه المفاوضات لم تتقدم بشكل ملموس . وحاول « أصحاب الأرض » الحصول على براءة للاستيطان في بقاع كبيرة من أنغولا عام ١٩٠٧ ، وفي أماكن أخرى كأستراليا والمكسيك ، وفي الشرق الأوسط حيث ركزوا جهودهم على الحصول على أراض ملائمة من الحكومة العثمانية في ليبيا عام ١٩٠٨ ، وفي العراق عام ١٩٠٩ .

ويرتبط مشروع الاستيطان في ليبيا باسم ناحوم سلاوش أحد أتباع هرتزل الأوائل ، وأحد مؤسسي الاتحاد السويسري الصهيوني الذي انضم فيما بعد إلى جماعة زانغويل ، أي « أصحاب الأرض » . وكان سلاوش أستاذاً للأدب العبري في جامعة السوربون الفرنسية وخبيراً في شؤون يهود إفريقيا الشمالية . وقد أمضى بعض الوقت في ليبيا بين عام ١٩٠٦ وعام ١٩٠٨ لدراسة الأوضاع هناك بغية تأسيس مشروع يهودي كبير للاستيطان فيها . وأصبح التقرير السري الذي قدمه سلاوش أساساً لمبادرة قام بها « أصحاب الأرض » . ويروي ناحوم سلاوش في كتابه « رحلات في شمال إفريقيا » أن بعثة من « أصحاب الأرض » تضم خبراء في الزراعة والهندسة بقيادته هو استقبلت بحفاوة من قبل السلطات العثمانية في ليبيا عام ١٩٠٨ . وقد أجرت البعثة مفاوضات حول مشروع لإقامة « مستعمرة يهودية قومية تتمتع بالاستقلال الذاتي » في ليبيا . لكن هذه المفاوضات لم تؤد إلى نتائج ملموسة .

وهكذا تداعت مشاريع الاستيطان اليهودي خارج فلسطين واحداً بعد الآخر واتجهت الحركة الصهيونية كما خططت من البداية إلى فلسطين حيث استعمرتها تدريجياً وأقامت فيها (الدولة) التي أقر إنشاءها مؤتمر بازل (بال) .

المراجع :

ـ أحمد طربين : فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ، دمشق .
ـ خالد القشطيني : مشروع إنشاء المستعمرة الإسرائيلية في أوغندا ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢ ، أيار ١٩٧١ ، بيروت .
ـ خيرية قاسمية : وثائق بريطانية حول اقتراح يهودي بإقامة دولة يهودية في منطقة الخليج العربي ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٥ ، ١٩٧٢ ، بيروت .
— Herzl, Theodor.: The Complete Diaries, New York 1960.

الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧ :

أ ـ لمحة تاريخية : يشكّل الاستيطان الاستعماري حجر الزاوية في الفكر الصهيوني ، والقاعدة التي قامت عليها الدولة الصهيونية ،

والأساس الذي تعتمده لإضفاء صفة الأمر الواقع السكاني على توسعاتها العسكرية المتتالية .

ويختلف الاستيطان الصهيوني عن أشكال الاستيطان الاستعماري التي عرفها العالم في العصر الحديث كلها ، لأنه يستند في تبرير وجوده إلى فلسفة ذرائعية وادّعاء ديني ، ويعتمد سياسة الأمر الواقع التي تساندها القوة العسكرية .

ولما لم تكن فلسطين بلداً خالياً من السكان فقد كان على الصهيونية أن تقوم بطرد سكانها العرب الذين يشكّل وجودهم عائقاً أمام حركة الاستيطان الصهيونية . ومن هذه الزاوية شكلت عمليات مصادرة الأراضي وتهجير السكان العرب الوجه الآخر لعملية الاستيطان . ففي بعض الحالات كان لا بد من طرد السكان العرب أوّلاً لإقامة مستعمرة ما . وفي حالات أخرى كان قيام المستعمرات يؤدي إلى طرد السكان العرب او تفتيت كثافتهم تمهيداً لإجلائهم .

عندما أعلن قيام (إسرائيل) في ١٩٤٨/٥/١٥ كان عدد المستعمرات اليهودية التي أقامتها الوكالة اليهودية * والمنظمة الصهيونية العالمية * ٢٨٥ مستعمرة أقيمت على شكل حزام متكامل من القلاع العسكرية الاستيطانية حول الخطوط التي حدّدها قرار التقسيم * لعام ١٩٤٧ . وخلال الفترة الممتدة حتى عدوان حزيران ١٩٦٧ والتوسع الإسرائيلي الجديد أقامت الحكومة الإسرائيلية والوكالة اليهودية ومؤسسات الاستيطان المختلفة ٥٨٧ مستعمرة أخرى تركّزت كلها في المناطق الفلسطينية التي ضمّتها (إسرائيل) بالقوة زيادة على حدود قرار التقسيم لضمان تهويد هذه المناطق ، وتم إسكان حوالي ١٨٠ ألف مستوطن فيها . وقد جاء ذلك تنفيذاً لتعليمات بن غوريون القائلة إن حدود (إسرائيل) هي حيث يشعر جنودها أنهم في مأمن .

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ واحتلال (إسرائيل) الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء ومرتفعات الجولان * سارعت (إسرائيل) إلى تنفيذ السياسة الاستيطانية نفسها التي نفذتها في الأراضي الفلسطينية التي احتلتها في حرب ١٩٤٨ * زيادة على حدود التقسيم . وبدأت بعد حزيران مباشرة عمليات الاستيطان الصهيوني الواسعة في كل أنحاء الأرض الفلسطينية والعربية المحتلة، في محاولة لجعل الاحتلال الجديد أمراً واقعاً، وتحويل خطوط وقف إطلاق النار إلى حدود مرحلية جديدة (لإسرائيل) يتم تثبيتها بفرض الأمر الواقع الاستيطاني الصهيوني فيها إلى أن يتم إلحاقها رسمياً بدولة (إسرائيل) ، كما حدث للقدس في ١٩٨٠/٧/٣٠ ، والجولان في ١٩٨١/١٢/١٤ .

إن النظر إلى حركة الاستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ يؤكد نيّة (إسرائيل) ومؤسساتها وأحزابها عدم التخلي عن شبر واحد من الأراضي المحتلة الجديدة . فالأحزمة الاستيطانية الأولى جاءت محاذية وملاصقة للحدود في الأغوار والجولان وقطاع غزة ، وحتى في المناطق المحاذية لفلسطين من سيناء .

إن التعريف بالاستيطان الصهيوني في المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ يقتضي تقسيمه إلى الأقسام الأربعة التالية :

١) الضفة الغربية بما في ذلك القدس .
٢) قطاع غزة .
٣) سيناء ومشارف رفح .
٤) مرتفعات الجولان .

وقد ذهب بعض الذين درسوا الاستيطان الإسرائيلي إلى تقسيمه قسمين هما :

ما تم في عهد حكومات المعراخ * من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٦ .
وما تم في عهد حكومتي الليكود * من ١٩٧٧ حتى ١٩٨٢ .

لكن الحاجة إلى مزيد من الإيضاح ، وعدم وجود فروق جوهرية في السياسة الاستيطانية بين المعراخ والليكود ، يفرضان دراسته وفقاً للمناطق الجغرافية الأربع السابقة .

ب ـ الاستيطان في الضفة الغربية : قامت السلطات الإسرائيلية بتطبيق نمطين من الاستيطان في الضفة الغربية يختلفان في المظهر ويتفقان في الهدف والنتيجة . فقد سارعت الحكومة الإسرائيلية إلى إعلان ضم مدينة القدس * إليها في ١٩٦٧/٦/٢٧ في محاولة لإضفاء نمط مزيف من الشرعية على احتلالها للمدينة . وأباحت بهذا القرار لنفسها ولمؤسساتها المختلفة حرية ممارسة التهويد ومصادرة الأراضي وإقامة الأحياء السكنية وإجلاء السكان العرب من مساكنهم وهدمها ، وتوسيع المخططات الهيكلية لمدينة القدس على حساب أراضي القرى والمدن العربية المجاورة شرقاً وشمالاً وجنوباً .

أما في باقي مناطق الضفة الغربية فقد كان الأمر خلاف ذلك ، إذ شرعت (إسرائيل) تفرض الأمر الواقع الاستيطاني عن طريق إقامة الأحزمة الاستيطانية في الأغوار ، ثم على سلاسل الجبال المحاذية ، ثم في المناطق المحاذية لخطوط الهدنة لعام ١٩٤٨ ، ثم في مجمعات استيطانية مكثفة حول المدن العربية الرئيسة ، خاصة في منطقتي نابلس والخليل .

في المراحل الأولى للاستيطان التي تلت حرب حزيران بدأت الحكومة الإسرائيلية تقيم سلسلة مما أسمته نقاط المراقبة الأمنية على امتداد خطوط وقف إطلاق النار ، ثم أخذت توسّع هذه النقاط شيئاً فشيئاً حتى تحوّلت خلال السبعينات إلى مستعمرات زراعية . في الوقت نفسه كانت عمليات إنشاء مستعمرات أخرى قائمة على قدم

وساق تحت مختلف الأشكال والذرائع . وكانت عمليات تضخيم المستعمرات وتوسيعها على حساب الأراضي العربية تتم جنباً إلى جنب مع عمليات إنشاء المستعمرات الجديدة .

عشية تسلّم الليكود السلطة عام ١٩٧٧ كان المعراخ قد انتهى من إقامة ٤٨ مستعمرة في مختلف أنحاء الضفة الغربية (عدا الأحياء السكنية في القدس وحولها) . وكانت عمليات الاستيطان قد بدأت تتم في إطار لعبة مسرحية يجري إعدادها بدقة وتقوم فيها المجموعات الاستيطانية (وغالباً ما تكون جماعة غوش إيمونيم *) باحتلال مساحات من الأرض في مواقع استراتيجية محددة ومتفق عليها ، وإعلان إقامة مستعمرة جديدة فيها ، فتبادر الحكومة إلى

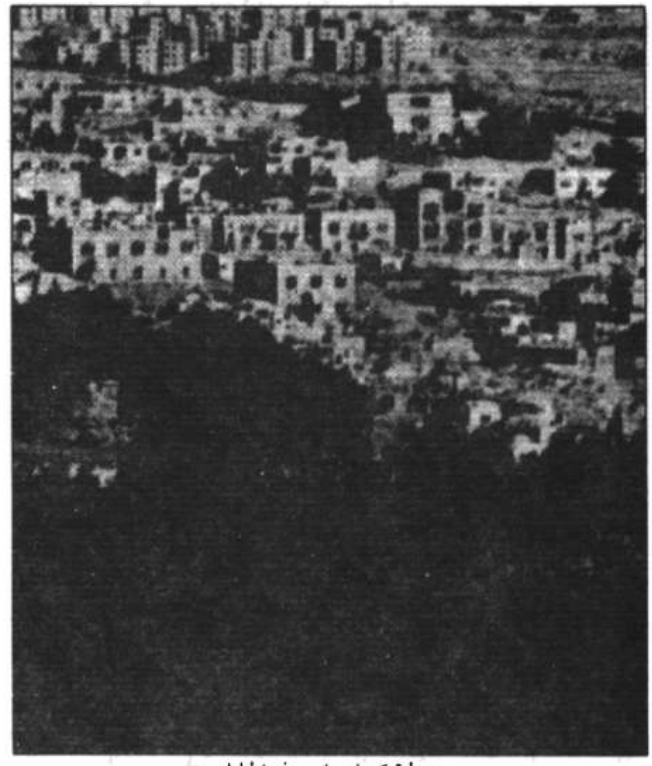

مستوطنة كريات اربع في الخليل

إرسال جنودها متظاهرة أنها تحاول إجلاء هؤلاء المستوطنين ، إلاّ أن الأمر ينتهي إلى تثبيت هذه النقطة الاستيطانية ومدّها بالدعم وإطلاق يدها للتوسع على حساب الأرض المجاورة .

تسارعت عمليات الاستيطان في الضفة الغربية بعد تسلم الليكود الحكم ، وبخاصة خلال فترة مفاوضات ما يسمى بالحكم الذاتي بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد * . ففي هذه الفترة أطلقت حكومة الليكود يد جماعة غوش إيمونيم للقيام بعمليات استيطان واسعة شملت كل أنحاء الضفة الغربية ، وعُزّزت هذه الحملة بسلسلة من الأوامر والتشريعات والقرارات الرسمية التي تسهل عمليات الاستيلاء على الأراضي ، ومن بينها إعلان حق (إسرائيل) في مصادرة الأراضي العامة والأراضي الصخرية في الضفة (حوالي مليون ومائتي ألف دونم) ، والأمر ذو الرقم ٥٩ الصادر عن الحاكم العسكري العام الذي يعطي الحاكم العسكري سلطة تحويل أية قطعة أرض إلى ملكية عامة ، وإعطاء أصحابها مهلة لا تتجاوز ثلاثة أسابيع للاعتراض ، وإبراز الأوراق الثبوتية المؤيدة لاعتراضهم . ومن بين هذه القرارات أيضاً القرار الذي اتّخذ في أيلول ١٩٧٩ وسمح بموجبه للأفراد والشركات اليهودية بشراء الأراضي في الضفة . ويذكر أن الشراء كان محصوراً في الكيرن كايميت * قبل صدور هذا القرار .

بلغ مجموع الأراضي التي صودرت حتى الربع الأول من عام ١٩٨٢ في الضفة الغربية وفقاً للأرقام التي نشرتها الصحف في المناطق المحتلة ، وهي أرقام لا تشير إلى الحقيقة كلها ، بلغ ٢,٢١٣,٧٨٤ دونماً ، أي ما يعادل ٤٠,٢٥٪ من المجموع الكلي لمساحة الضفة الغربية وهو ٥,٥ مليون دونم . ومن هذه الأراضي المصادرة ١,٣٠٠,٠٠٠ دونم أملاك دولة ، ومنها ١١٧,٦٥٧ دونماً ما تزال مغلقة لأسباب أمنية مزعومة .

إن النظر إلى الخريطة الاستيطانية للضفة الغربية كما تمّت في عهدي المعراخ والليكود يظهر أن هناك ثلاثة أحزمة رئيسة من المستعمرات تقسم الضفة الغربية إلى ثلاث شرائح على النحو التالي :

١) سلسلة مستعمرات الأغوار على امتداد الجانب الغربي من نهر الأردن * وحتى عين جدي (وفقاً لمشروع آلون *) .

٢) سلسلة المستعمرات التي أقيمت على امتداد المرتفعات الشرقية للضفة الغربية، وتمتد من الجنوب الشرقي لبيت لحم * جنوباً على امتداد سفوح سلسلة مرتفعات الجبال المطلة على الأغوار وحتى بيسان * شمالاً . وهي سلسلة المستعمرات التي تشكل الحاجز الأمني في منطقة رام الله والبيرة (وفقاً لمشروع دايان) .

٣) سلسلة المستعمرات الممتدة من القدس جنوباً إلى جنين * شمالاً بمحاذاة خطوط الهدنة (وفقاً لمشروع شارون) .

هذه السلاسل والأحزمة الطولية تتقاطع عرضياً مع التجمعات الاستيطانية التي دعا اليها مشروع شارون وخطة دروبلس . ويمكن تمييز التكتلات العرضية التالية في نطاق مشروع شارون :

١) التكتل الاستيطاني بسلاسله الثلاث التي تقسم الضفة الغربية إلى شطرين منفصلين تماماً .

٢) التكتل الاستيطاني حول مدينة الخليل * .

٣) التكتل الاستيطاني حول منطقة بيت لحم .

٤) التكتل الاستيطاني حول منطقة رام الله * .

٥) التكتل الاستيطاني حول مدينة أريحا * .

وتهدف هذه التكتلات إلى تحويل المدن العربية في الضفة إلى جزر منعزلة ، وتحويل التجمعات السكانية فيها إلى أقليات مفتتة تسهل السيطرة عليها ومحاصرتها تمهيداً لإجلاء سكانها تدريجياً . وإذا كانت الأطواق الاستيطانية حول بعض المدن لم تكتمل بعد فإن مشروع شارون الاستيطاني حتى عام ١٩٨٥ ينص على استكمال هذه الأطواق بحيث يصبح عدد المستعمرات في الضفة في نهاية العام المذكور ١٤١ مستعمرة .

وتنفيذاً لهذا المشروع قرر آريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلي في مطلع شباط ١٩٨٢ إقامة أربع عشرة مستعمرة جديدة في الضفة الغربية خلال شهر آذار ١٩٨٢ موزعة على النحو التالي :

١) مستعمرتان حول مدينة الخليل ، وهما : حبر في الشرق ، ولاهف في الغرب .

٢) سبع مستعمرات في منطقة جنين وهي : اماتسيا ، وادولام ، ونجوهوت ، ومتسفيه ، وتيلم ، وتيرتسي ، وبلاس جرزيم .

٣) خمس مستعمرات في منطقة جنين وهي : ملوح ، وفرات ، وجان ، وحريش ، وبيت هعرباب .

هذا بالإضافة الى ثلاث مستعمرات جديدة ستقام في منطقة الأغوار . وفي هذه الأثناء يجري العمل في شق وتوسيع طريق آلون التي تربط سلسلة مستعمرات المرتفعات الشرقية المطلة على الأغوار بعضها ببعض .

أما عدد المستوطنين الذين يقيمون في مستعمرات الضفة ، باستثناء الأحياء السكنية العشرة حول القدس ، فيبلغ حوالي ٣٠ ألف مستوطن وفقاً لما أعلنه آريل شارون أثناء جولته التي قام بها في مستعمرات الضفة برفقة ١٧٠ من أعضاء الجباية اليهودية الموحدة في مطلع شباط ١٩٨٢ .

ويذكر أن مشروع دروبلس الاستيطاني للسنوات الخمس التي تنتهي في أواخر عام ١٩٨٣ يقتضي أن يصبح عدد مستعمرات الضفة ما بين ١٣٦ و ١٥٠ مستعمرة يراوح عدد سكانها ما بين ١٢٠ و ١٥٠ ألف مستوطن ، عدا سكان الأحياء اليهودية حول القدس الذين سيصل عددهم إلى ١٢٠ ألف مستوطن . إن عدد المستعمرات التي أقيمت حتى نهاية ١٩٨١ في الضفة الغربية والقدس هو ١٢١ مستعمرة ، عدا الأحياء السكنية العشرة التي أقيمت حول مدينة القدس . وفي حال تنفيذ قرار شارون الأخير سيصبح عدد المستعمرات في الضفة ١٣٥ مستعمرة بعد آذار ١٩٨٢ ، وفي ذلك المستعمرات الثلاث التي تقررت إقامتها في الأغوار .

ويمكن دراسة الاستيطان في الضفة الغربية من خلال ثلاث مناطق رئيسة ، هي : الأغوار ، والقدس ، والخليل ونابلس .

١) الاستيطان في الأغوار : كان الاستيطان في غور الأردن هدفاً رئيساً ومبكراً لحكومات المعراخ ، وقد شكلت هذه المنطقة الخط الأول للاستيطان لطبيعتها الأمنية من جهة ، ولما تحمله من دلالات استراتيجية وسياسية كبيرة من جهة أخرى . فمنطقة الأغوار تسيطر على محاور العبور إلى الضفة الغربية وتؤدي دوراً كبيراً في تحقيق مطامع (إسرائيل) التوسعية في الضفة . إن السيطرة على الأغوار تعني ضمّ الضفة الغربية والسيطرة على مساحات واسعة من أراضي الغور * الزراعية ، وعلى كميات كبيرة من مخزون المياه فيها .

وقد سارعت السلطات الإسرائيلية بعد حزيران ١٩٦٧ إلى تفريغ مناطق الأغوار الغربية من سكانها بشكل قسري وجماعي تحت ستار الدواعي الأمنية ومنع التسلل بين الضفتين . فطردت الآلاف من المزارعين والبدو ، وصادرت وأغلقت مئات الآلاف من الدونمات بعضها ملكية خاصة والقسم الأكبر منها أراض أميرية ، ثم شرعت تقيم سلسلة من نقاط المراقبة الأمنية تمتد من جنوبي بيسان شمالاً إلى عين جدي غربي البحر الميت * جنوباً .

ويبدو من النظر إلى شريط مستعمرات الغور أنها تمّت في نطاق ما يسمى بمشروع آلون الذي يهدف إلى تجنب الكثافة السكانية العربية قدر المستطاع تطبيقاً لمبدأ « أكبر مساحة من الأرض وأقل عدد من السكان » . وتنسجم هذه المعادلة مع البرنامج السياسي لحزب العمل الذي يحتفظ بإمكانية التوصل إلى تسوية سلمية مع الأردن يتم بموجبها الاحتفاظ بالأشرطة الاستيطانية والتخلّي عن المراكز الآهلة بالسكان حفاظاً على الأغلبية اليهودية في الدولة الصهيونية .

وسرعان ما تحولت المراكز الأمنية التي أقيمت في الأغوار وعلى السفوح الشرقية لمرتفعات الضفة إلى مستعمرات مدنية زراعية أخذت تتوسع تدريجياً على حساب الأرض العربية المجاورة ، وكانت مستعمرة « محولا » أول نقطة مراقبة أمنية تتحول إلى مستعمرة دائمة في شباط ١٩٦٨ . ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت في الأغوار وعلى مشارفها ٢٨ مستعمرة . ويمكن اعتبار سلسلة المستعمرات التي أقيمت على سفوح المرتفعات الشرقية للضفة الغربية امتداداً لمستعمرات الأغوار . وقد شرعت الحكومة الإسرائيلية تقيم هذه السلسلة من المستعمرات في أوائل السبعينات كجزء من المخطط الشامل لتهويد الضفة الغربية تحت ستار « الحق التاريخي » لليهود في أرض (إسرائيل) الكاملة . وهي الذريعة التي تستخدم لتبرير عمليات الاستيطان الواسعة في هذه المناطق .

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة الأغوار ومدينة أريحا
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ محولا	١٩٦٨	أراضي قرية بردلة	٦,٤٠٠
٢ ـ كاليه	١٩٦٨	غرب البحر الميت	٢,٢٠٠
٣ ـ أرغمان	١٩٦٨	طريق نابلس الجفتلك شمال جسر داميـة	٨,٦٠٠
٤ ـ مسؤاة	١٩٦٩	أراضي الجفتلك والعجاجرة	٤,٣٠٠
٥ ـ متسبي شاليم	١٩٧٠	قرب عين جـدي	١٥٠
٦ ـ يطاف	١٩٧٠	العوجة	٣,٠٠٠
٧ ـ حمره(عطروت سابقاً)	١٩٧١	الفارعة والجفتلك	١٠,٦٠٠
٨ ـ معاليه أفرايم	١٩٧٢	مجدل بني فاضل	٥,٦٠٠
٩ ـ بقعـوت	١٩٧٢	سهل البقيعة الشمالي	٦,٦٠٠
١٠ ـ مخوره	١٩٧٣	أراضي بيت دجن * وبيت فوريـك	٥,٠٠٠
١١ ـ مسؤاة الجديدة	١٩٧٣	أراضي الجفتلك والعجاجرة	٨٠٠
١٢ ـ جلجال	١٩٧٣	فصايل / عقربة	٤,٠٠٠
١٣ ـ جتيت	١٩٧٣	خربة الطويل/جنوب عقربة	٥,٧٠٠
١٤ ـ نعران(مقسام سابقاً)	١٩٧٣	العوجة	٢٠,٠٠٠
١٥ ـ تومـار	١٩٧٥	جنوب غرب فصايل	—
١٦ ـ بتسائيل ب	١٩٧٥	أراضي قريتي فصايل وعقربة	٣,٠٠٠
١٧ ـ بقعوت ب	١٩٧٦	أراضي طمـون وطوباس *	٨٠٠
١٨ ـ نتيف هغدود	١٩٧٦	الغور الأوسط جنوب مسـتعمرة تـومـر	٥٠٠
١٩ ـ المـوغ	١٩٧٧	طريق أريحا عين جدي	٥٠٠
٢٠ ـ بتسائيل ب	١٩٧٧	جنوب مستعمرة بتسائيل	١,٥٠٠
٢١ ـ متسبي يريحو	١٩٧٧	أراضي الخان الأحمر	٥٠
٢٢ ـ رعي ب	١٩٧٨	طوباس	١,٨٠٠
٢٣ ـ نوعيمة	١٩٧٩	شمال العوجة	—
٢٤ ـ محولا ب	١٩٧٩	شمال وادي الأردن	—
٢٥ ـ يافيت	١٩٧٩	شمال الجفتلك أراضي عقربة وفصـايـل	
٢٦ ـ عيدان	١٩٨٠	وادي عربة	—
٢٧ ـ بيت همرفاه	١٩٨٠	جنوب شرق أريحا	١٥٠
٢٨ ـ وردة أريحا	١٩٨٠	جنوب مدينة أريحا	٥,٠٠٠

٢) الاستيطان في القدس : منذ اللحظة الأولى لاحتلال القدس كان واضحاً أن هناك إجماعاً تلتقي حولـه أحزاب التجمـع العمالي الحاكم وأحزاب اليمين المعارضة ، وهو أن القدس ستكون العاصمة الموحدة للكيان الصهيوني ، وأن الانسحاب منها أمـر غير وارد عـلى الاطلاق . وقد جاءت الممارسات التالية لتؤكد هذه الحقيقة ، ففي أعقـاب صـدور قـرار ضم القـدس في ١٩٦٧/٦/٢٧ بـاشـرت

السلطات الإسرائيلية عمليات التهويد فحلّت مجلس أمانة القدس العربية ، وألغت الإدارات العربية ، وفي ذلك المحاكم ، وربطت مرافق الخدمات العامة بالبلديات الإسرائيلية للقدس التي يترأسها تيدي كوليك ، وعزلت القدس عن الضفة الغربية اقتصادياً وجمركياً وتنظيمياً ، ثم شرعت تنقل الدوائر والوزارات الإسرائيلية إليها . وفي الوقت نفسه كانت عمليات هدم المنازل العربية في البلدة القديمة وترحيل السكان العرب منها تسير جنباً إلى جنب مع عمليات هدم المنازل والبنايات الوقفية أمام ساحة البراق لتوسيعها . ثم أعطيت شركة « إعادة إعمار الحي اليهودي » حق بناء أول حي سكني لليهود في القدس العربية ، وهو الحي اليهودي في البلدة القديمة الذي أقيم فيه ، حتى عام ١٩٨٢ ، ٤٦٨ وحدة سكنية .

وفي الوقت الذي كانت تتم فيه عمليات الهدم وبناء الحي اليهودي في البلدة القديمة كانت حركة استيطان أخرى تتم في نطاق حدود أمانة القدس على شكل طوق من الأحياء السكنية يحيط بالمدينة من الناحيتين الشمالية والجنوبية . وكان حي أشكول في الطرف الشمالي الغربي للقدس أول الأحياء السكنية التي أقيمت حول المدينة ضمن الحدود التنظيمية لأمانة القدس العربية . أما الحي السكني لطلبة الجامعة العبرية فقد بدىء بإنشائه في أواخر عام ١٩٦٧ .

سدّت الأحياء السكنية التي بنيت حول مدينة القدس المنفَذَيْن الشمالي والجنوبي للمدينة . أما المنفذ المتبقي في اتجاه الشرق فقد خطط لسده في المرحلة الاستيطانية التالية التي تقرر أن تتم في نطاق الخطة الاستيطانية للقدس الكبرى . وتشكل مجموعة مستعمرات معاليه أدوميم الطوق الأبعد لإغلاق المنفذ الشرقي للمدينة . أما الطوق الأقرب فقد خطط لإقامته على أراضي قريتي العيزرية وأبو ديس التي تمت مصادرتها لهذه الغاية .

يبلغ عدد الأحياء السكنية التي بنيت في إطار الطوق الداخلي حول المدينة عشرة أحياء أقيم فيها ١٦,٣١٩ وحدة سكنية (رَ : القدس ، تهويد) . أما المستعمرات التي أقيمت حول القدس في نطاق ما يسمى « مشروع القدس الكبرى » الذي يقتضي اقتطاع قسم كبير من أراضي الضفة الغربية ، بما في ذلك ٩ مدن و ٦٠ قرية عربية ، أي حوالي ٣٠٪ من المساحة الكلية للضفة ، فقد بلغت حتى الآن ١٨ مستعمرة .

ولا تتوقّف الخطورة التي ينطوي عليها طوق المستعمرات حول القدس وفي منطقتها (رام الله والبيرة *) عند حدود تهويد المدينة بأغلبية سكانية يهودية مطلقة ، او ابتلاع مساحات واسعة من الأراضي العربية المحيطة بها ، ولكنها تتمثّل في تمزيق الضفة الغربية وشطرها إلى نصفين منفصلين وفقاً لما توخّته المشاريع الاستيطانية الرامية إلى تفتيت الضفة الغربية جغرافياً وسكانياً بالأشرطة الاستيطانية وشبكات الطرق الطولية والعرضية وفقاً لمشروعي آلون وشارون .

٣) الاستيطان في منطقتي الخليل ونابلس : كانت مستعمرة كفار عصيون أول مستعمرة إسرائيلية تقام في الضفة الغربية في موقع المعسكر الأردني على الطريق بين بيت لحم والخليل في ١٩٦٧/٩/٢٧ . وقد شكلت معسكرات الجيش الأردني في كل أنحاء الضفة الغربية المراكز الأولى للاستيطان ، ثم جرى توسيعها فيما بعد على حساب الأراضي العربية المجاورة .

ولعبت العوامل الدينية دوراً هاماً في توجيه الاستيطان اليهودي إلى مدينة الخليل في وقت مبكر . فبعد كفار عصيون التي تحوّلت الآن إلى طوق كامل من المستعمرات يعزل مدينتي الخليل وحلحول * عن بقية أنحاء الضفة الغربية من الناحية الشمالية توجهت حركة الاستيطان إلى مشارف مدينة الخليل الشمالية الشرقية، وجرى توسيعها أكثر من مرة ، وأصبحت تضم الآن مجلساً بلدياً ومحكمة صلح .

وفي الوقت الذي كانت أطواق المستعمرات تحاصر فيه مدن بيت لحم وأريحا ورام الله كانت مدينة الخليل هدفاً لمحاولات الاستيطان في داخلها (البلدة القديمة) وحولها من جهاتها الأربع . وقد شهدت سنوات حكم الليكود حملة واسعة لمصادرة الأراضي حول مدينة الخليل بهدف عزلها وتطويقها تماماً بالمستعمرات .

أما في منطقة نابلس فقد جاءت الحملة الاستيطانية في وقت متأخر نسبياً (النصف الثاني من السبعينات) لأن الكثافة السكانية العربية العالية في هذه المنطقة شكلت عائقاً في وجه العمليات الاستيطانية المبكرة . وبالنظر لوعورة المنطقة لم يكن تأسيس مستعمرات زراعية تسيطر على مساحات واسعة من الأراضي أمراً سهلاً . وعلى الرغم من ذلك تم تأسيس أكثر من ثلاثين مستعمرة في نطاق مخطط واسع للسيطرة على مفارق الطرق الإستراتيجية في الشمال وإكمال الاتصال الاستيطاني بين منطقة الأغوار ومنطقتي شفاعمرو * والساحل الفلسطيني .

ومن الجدير بالذكر أن ٩٠٪ من مستعمرات منطقة نابلس أقيمت خلال سنوات حكم الليكود ، ولا سيما بعد التوقيع على اتفاقيات كامب ديفيد إذ تسارعت عمليات الاستيطان بشكل محموم .

جـ ـ الاستيطان في قطاع غزة : واجهت حركة الاستيطان الإسرائيلية في قطاع غزة مشكلتين رئيستين هما الكثافة السكانية العالية وندرة الأراضي الزراعية الصالحة للاستيطان لأن الأرض الصالحة للزراعة في القطاع كانت مستغلّة كلها . ولذلك جهدت

السلطات الإسرائيلية في العمل على خلخلة الكثافة السكانية بإخلاء مخيمات اللاجئين بحجة إعادة تنظيمها وشق شوارع واسعة فيها ، الأمر الذي أدّى إلى ترحيل سكان المخيمات وإعادة توطينهم في أماكن أخرى خارج القطاع (الضفة الغربية والمناطق المحاذية من سيناء) .

وقد تركز الاستيطان الإسرائيلي في القطاع على الأخص جنوبي مدينة غزة * ، وفي الشريط الساحلي شمالي العريش ، وكان ذلك مع بداية السبعينات لأن الجو الأمني في القطاع لم يكن مهيأ للبدء في الاستيطان بعد حزيران مباشرة .

وقد اقيمت أول نقطة للناحال عام ١٩٧٠ ، ثم تحولت فيما بعد إلى مستعمرة كفار دروم . وحتى نهاية عهد المعراخ كانت خمس مستعمرات قد أقيمت جنوبي مدينة غزة في محاولة لعزل القطاع عن سيناء ، ولخلق تواصل جغرافي استيطاني بين مستعمرات القطاع ومستعمرات مشارف رفح / العريش .

أما في عهد الليكود فقد أقيمت ست مستعمرات أخرى في القطاع . وذكرت الصحف الإسرائيلية أن مستعمرة جديدة قد أقيمت في منطقة بيت لاهيا * على أرض مساحتها ٤ آلاف دونم ، ولم تذكر الصحف اسم هذه المستعمرة .

د ـ الاستيطان في مشارف رفح وسيناء : عملت (إسرائيل) منذ احتلالها سيناء على تحقيق أحلامها القديمة في تهويد أجزاء واسعة من الصحراء لخلق حواجز سكانية بين مصر وفلسطين . وقد انصبّ الاستيطان الإسرائيلي على ثلاث مناطق رئيسة هي :

١) منطقة شرّم الشيخ لضمان السيطرة الدائمة على مضائق تيران .

٢) مشارف رفح لخلق حاجز بشري يهودي يفصل قطاع غزة عن العريش .

٣) الشريط الساحلي على امتداد خليج العقبة * للسيطرة على الخليج ، ولخلق اتصال سكاني بين إيلات وشرم الشيخ .

لم تكن هناك أية مشاكل أمام العمليات الاستيطانية في منطقة شرم الشيخ والشريط الساحلي بسبب عدم وجود سكان عرب في هاتين المنطقتين اللتين كانتا من المناطق العسكرية المصرية . لكن المشكلة الحقيقية كانت في مشارف رفح والعريش شمالي سيناء حيث تعيش مئات العائلات البدوية على الرعي والزراعة وتستثمر عشرات الآلاف من الدونمات بعضها ملكية خاصة وبعضها أراض أميرية .

في عام ١٩٧٢م قامت (إسرائيل) بمصادرة ١٢٠ ألف دونم من أراضي البدو وطردتهم منها في ظروف بالغة القسوة بعد أن هدمت مساكنهم وأتلفت مزروعاتهم ودمّرت خزّانات المياه التي يعيشون منها .

وفي شباط ١٩٧٣م بدأت عمليات الاستيطان الإسرائيلي في مشارف رفح فأقيمت النواة الاستيطانية الأولى التي تحولت عام ١٩٧٥ إلى مدينة يميت (جرى تفكيك هذه المستعمرة حين استعادت مصر سيناء) . أما البدو المرحّلون فقد خيّرتهم الحكومة الإسرائيلية بين التعويض النقدي او الاستيطان في بيوت خاصة أو الحصول على أراض جديدة في منطقة الداهنية ، لكن معظمهم رفضوا هذه العروض .

ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت حتى شباط ١٩٨٢ في شريط مشارف رفح ـ العريش ١٥ مستعمرة . وقد ازدادت الكثافة السكانية في هذه المستعمرات بعد تشكيل حركة وقف الانسحاب من سيناء في النصف الأول من عام ١٩٨٠ ، وهي حركة يمينية متطرفة ترمي إلى منع الانسحاب الإسرائيلي من سيناء المقرر في نيسان ١٩٨٢ بالقوة ويتزعمها أعضاء في الكنيست * من بينهم حاييم دروكمان وغيئولا كوهين .

وقد رصدت الحكومة الإسرائيلية في كانون الأول ١٩٨١ مبلغ ٨,٥ مليار شيكل لتعويض مستوطني سيناء اليهود الذين سيجري نقلهم للاستيطان في النقب * والضفة الغربية .

أما القطاع الشرقي الجنوبي من سيناء فيبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت فيه تسع مستعمرات تحيط بمضائق تيران من الجهتين الشمالية والجنوبية ، ومعظمها مستعمرات قروية ، ما عدا مدينة أوفيرا . وترتبط هذه المجموعة الاستيطانية بمجموعة مشارف رفح بمستعمرتين هما دي زهاف ونبيعوت اللتان أقيمتا في موقع القريتين العربيتين دهب والنويبة .

هـ) الاستيطان في هضبة الجولان : لم يكن هناك أي خلاف في الأوساط الإسرائيلية الحاكمة أو المعارضة حول الاستيطان في هضبة الجولان . فمسألة الانسحاب من الجولان ، بالنسبة إلى المعراخ ، أمر غير وارد على الإطلاق حتى في نطاق أية تسوية إقليمية مع سورية . وانطلاقاً من ذلك بدأت (إسرائيل) بعد حزيران ١٩٦٧ مباشرة تثبت واقعاً استيطانياً جديداً في الهضبة يحول دون الانسحاب منها . ولم تكن الكثافة السكانية العربية المتبقية في الهضبة بعد الحرب والاحتلال (حوالي ١٣ ألف نسمة) عائقاً أمام عمليات الاستيطان .

وبالرغم من الطابع العسكري المبكر لمستعمرات الجولان ، فانها تكيّفت مع الطبيعة الجغرافية للهضبة ، ومع الأهداف الاستعمارية الحقيقية للاستيطان الصهيوني . ففي المناطق الوعرة أقيمت مستعمرات صناعية ، وفي المناطق ذات الأراضي الزراعية

الخصبة ، وخاصة الجنوبية ، أقيمت مستعمرات زراعية ، وفي المنطقة الوسطى ذات الأرض الزراعية المحدودة والمياه القليلة أقيمت مشاريع زراعية مكثفة من النوع الذي لا يحتاج إلى مساحات واسعة من الأرض .

وكانت ميروم هغولان أول مستعمرة تقام في الهضبة السورية في ١٩٦٧/٧/١٦ ، وقد أنشئت في شمال غرب القنيطرة ، ثم تلتها مستعمرة كفار شاريت . ويبلغ عدد المستعمرات التي أقيمت في عهد المعراخ ٢٦ مستعمرة في حين أقيمت سبع مستعمرات بعد تولي الليكود السلطة . وقد أقيمت مستعمرتان جديدتان خلال شهر آذار ١٩٨٢ هما كينع ومنغوخا ، وذلك في نطاق الخطة الاستيطانية التي قررها شارون ، وبعد موافقة الكنيست على القانون الأساسي لضم الجولان في ١٩٨١/١٢/١٤ ، وبذلك يصبح عدد المستعمرات في الهضبة السورية المحتلة ٣٥ مستعمرة .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : المستعمرات الصهيونية في الأراضي المحتلة بعد١٩٦٧، بيروت .

ـ ملفات مكتبة وزارة شؤون الأرض المحتلة ، عمان .

ـ جريدة الدستور الأردنية : الاعداد ١٤ و١٧ و١٨ و١٩ كانون الثاني ١٩٨٢ .

ـ عبد الرحمن أبو عرفة : الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية ، القدس ١٩٨١ .

ـ وليد الجعفري : المستعمرات الاستيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ١٩٦٧ ـ ١٩٨٠ ، بيروت ١٩٨١ .

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة القدس
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ نيفي حورون	١٩٦٩	عمواس* ، يالو* ، بيت نوبا*	٢٠ الف للمراعي +٢,٥٠٠
٢ ـ عطروت	١٩٧٠	أراضي قلندية	١٠,٠٠٠
٣ ـ معاليه ادوميم	١٩٧٢	الخان الأحمر	٧٠,٠٠٠
٤ ـ معاليه أدوميم(ب)	١٩٧٢	الخان الأحمر	٦,٧٠٠
٥ ـ راموت	١٩٧٣	أراضي بيت اكسا وبيت حنينا	٤,٥٠٠ + ٣٠,٠٠٠
٦ ـ جيلو ـ هارجيلو	١٩٧٣	أراضي جبل الراس / بيت جالا*	٤,٠٤٤
٧ ـ روش جيلو	١٩٧٦	أراضي جبل الراس	٢٥٠
٨ ـ بيت حورون	١٩٧٧	أراضي بيت عور الفوقا	٢,٣٥٠
٩ ـ جبعون	١٩٧٧	أراضي الجيب	١,٥٥٠
١٠ ـ معاليه أدوميم(جـ)	١٩٧٩	الخان الأحمر	٣٥٠ + ٤,٠٠٠
١١ ـ جبعون (ب)	١٩٧٩	أراضي الجيب	٦٥٠
١٢ ـ جيفا حداشا	١٩٧٩	أراضي الجيب	١٨٠+٨٥
١٣ ـ مخميش	١٩٨٠	أراضي قرية مخماس	١٦٠
١٤ ـ تل زئيف	١٩٨١	١٠ كم شمال غرب القدس	ـ
١٥ ـ حلميش	١٩٨١	النبي صالح ودير نظام	ـ
١٦ ـ بسفات تال	١٩٨١	شرق بيت حنينا	٤,٤٠٠
١٧ ـ تسفون يروشلايم	١٩٨٢	أراضي بيت حنينا	ـ
١٨ ـ بيتار	١٩٨٢	رأس بيت جالا وقرية بتير	٤,٠٠٠

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة رام الله والبيرة
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كوخاف هشاحر	١٩٧٥	أراضي قرية كفر مالك	٥,٠٠٠
٢ ـ أوفرا (عفره)	١٩٧٥	أراضي قريتي عين يبرود وسلواد	١,٢٥٠
٣ ـ متتياهو	١٩٧٦	أراضي قرية نعلين * والمدية	٧٠٠
٤ ـ ريمونيم (رمون)	١٩٧٧	أراضي قريتي رمون والطيبة *	٣٠٠ + ١٠,٠٠٠
٥ ـ بيت ايل (بيتين)	١٩٦٨	أراضي قرية بيتين ودورا القرع شمال رام الله	٦٠٠
٦ ـ كفار روت	١٩٧٧	أراضي اللطرون	٢٥٠
٧ ـ شيلات	١٩٧٦	أراضي المدية شمال غرب رام الله	١,٥٠٠
٨ ـ مركاز شيرونيم	١٩٨١	جبل الطويل/البيرة	—
٩ ـ نفي تسوف	١٩٧٩	ما بين دير بلوط وقرية عابود	٩٠٠
١٠ ـ شيلو	١٩٧٨	قريوت ـ ترمسعيّا	١٥٠
١١ ـ غفعات أدوماه	١٩٧٩	ترمسعيّا والمغير وأبو فلاح	١,٣٠٠
١٢ ـ ليبونه	١٩٨٠	قرب اللبن	١,٠٠٠
١٣ ـ بيت ايل (ب)	١٩٧٩	أراضي بيتين	—
١٤ ـ بيت أريه	١٩٨١	قريتي عطاره وأم الصفا	٥٠٠
١٥ ـ بيغسوت	١٩٨١	جبل الطويل/البيرة	٦٠٠
١٦ ـ نتافيم	١٩٨١	شمال شرقي القدس	—

المستعمرات الإسرائيلية في قطاع غزة
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كفار دروم	١٩٧٠	٣كم جنوب دير البلح *	٢٠٠
٢ ـ موراغ	١٩٧٢	بين خان يونس* ورفح	١٣,٠٠٠
٣ ـ كاديش	١٩٧٢	شمال خان يونس	—
٤ ـ ناحال نتساريم	١٩٧٢	بين غزة ودير البلح	٧,٠٠٠
٥ ـ نتسر حزاني	١٩٧٣	شمال خان يونس	١٥,٠٠٠
٦ ـ قطيف	١٩٧٧	بين غزة وخان يونس	—
٧ ـ ميراف	١٩٧٨	بالقرب من خان يونس	—
٨ ـ غاني طال	١٩٧٨	بالقرب من شاطىء البحر جنوب غزة	—
٩ ـ غيدود	١٩٧٩	منطقة تل السلطان خان يونس	—
١٠ ـ غان أور	١٩٨٠	أراضي بيت لاهيا شمال غزة	—
١١ ـ يغول	١٩٨٠	بين دير البلح وخان يونس	—

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة الخليل
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كفار عصيون	١٩٦٧	كفار عصيون	٤,٥٠٠
٢ ـ كريات أربع (أ.ب.جـ)	١٩٦٨	أراضي مدينة الخليل	٣,٧٠٠
٣ ـ روش تسوريم	١٩٦٩	كفار عصيون	٣,٥٠٠
٤ ـ الون شيفوت	١٩٦٩	كفار عصيون بيت اسكاريا/ ارطاس	٢,٣٠٠
٥ ـ الظاهرية «زوحار»	١٩٧٧	أراضي الظاهرية *	٢٠
٦ ـ ياطر	١٩٧٧	أراضي قريتي يطة * والسموع *	٤,٠٠٠ + ٢٧ ألف للمراعي
٧ ـ مجدل عوز	١٩٧٨	بيت أومر *	٢,٠٠٠
٨ ـ تكواع	١٩٧٥	بيت ساحور * / قرية الرفيد	٥,١٥٠
٩ ـ اليعزر (أ.ب)	١٩٧٥	كفار عصيون/أراضي الخضر	٢٧٠+٣٥٠
١٠ ـ مستوطنة ناحال	١٩٧٩	منطقة اليغمة / شمال شرقي الخليل	—
١١ ـ زيف يعفوحرون	١٩٧٧	جنوب مدينة الخليل/طريق بير السبع	٢٠
١٢ ـ ميتار (عومر ب)	١٩٨٠	تل شوكت جنوب الخليل	٥,٠٠٠
١٣ ـ افرات	١٩٧٩	أراضي قرية الخضر	٥٠٠ + ١,٥٠٠
١٤ ـ تكواع (ب)	١٩٨١	شرق بيت ساحور	—
١٥ ـ متسبي جوبرين	١٩٨١	أراضي ترقوميا * ، بيت جبرين	٧٠٠
١٦ ـ قاعون	١٩٨١	أراضي يطة	—
١٧ ـ كرميل	١٩٨١	أراضي يطة	٢,١٠٠
١٨ ـ معاليه عاموس	١٩٨١	جنوب شرق الخليل	—
١٩ ـ نيلي	١٩٨١	جبال الخليل *	—
٢٠ ـ عيناف	١٩٨١	مركز الرهوه جنوب الخليل	—

المستعمرات الإسرائيلية في مشارف رفح وسيناء
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ أوغدا	١٩٧٥	مشارف رفح	٥,٠٠٠
٢ ـ أوفيرا	١٩٧٣	شاطىء شرم الشيخ	ـ
٣ ـ برئيل	١٩٧٣	مشارف رفح قرب يميت	ـ
٤ ـ ترساغ	١٩٧٥	طريق رفح العريش	٢,٥٠٠
٥ ـ تلمي يوسف	١٩٧٧	مشارف رفح	١,٠٠٠
٦ ـ حروفيت (ب)	١٩٧٨	شرق العريش	ـ
٧ ـ حوليت	١٩٧٧	مشارف رفح	٣,٠٠٠
٨ ـ دكلا	١٩٧٩	الشيخ زويد/غرب رفح	٢,٥٠٠
٩ ـ دي زهاف	١٩٧١	غرب خليج العقبة / أراضي قرية الذهب	ـ
١٠ ـ زهرون	١٩٧٨	بين إيلات * وشرم الشيخ	ـ
١١ ـ سادوت	١٩٧١	مشارف رفح	٥,٠٠٠
١٢ ـ سوفه	١٩٧٤	مشارف رفح	٢,١٠٠
١٣ ـ شالهيفت	١٩٧١	خليج السويس قرب أبو اردیس	ـ
١٤ ـ الطور	١٩٧٠	خليج السويس	ـ
١٥ ـ عتسمون	١٩٧٩	قرب الشيخ أزويد/مشارف رفح	ـ
١٦ ـ كاديش بارنياع	١٩٧٧	قرب أبو عجيلة	ـ
١٧ ـ مركاز افشلوم	١٩٧٣	مشارف رفح جنوب غرب رفح	ـ
١٨ ـ نتيف هعسره	١٩٧٣	جنوب رفح/الطريق الرئيسة	٤٠٠
١٩ ـ نيفعوت	١٩٧١	خليج العقبة	٢,٥٠٠
٢٠ ـ نيئوت سيناي	١٩٦٧	طريق العريش ـ الإسماعيلية	١,٢٠٠
٢١ ـ نيرابراهام	١٩٧٦	مشارف رفح	ـ
٢٢ ـ يام	١٩٦٧	شاطىء بحيرة البردويل	ـ
٢٣ ـ يميت	١٩٧٣	جنوب مدينة رفح على الشاطىء	١٢,٠٠٠
٢٤ ـ حتسير ادار	١٩٨١	مشارف رفح	ـ

المستعمرات الإسرائيلية في منطقة نابلس
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ كدوميم (أ)	١٩٧٥	أراضي كفر قدوم	٣٠٠
٢ ـ مسحة	١٩٧٥	أراضي قرية مسحة *	٣٠٠
٣ ـ نيفي شيلو	١٩٧٦	أراضي قرية ترمسعيا	١,٥٠٠
٤ ـ ملكي شوعة	١٩٧٦	أراضي قرية ياسوف	ـ
٥ ـ كرناي شمرون (أ)	١٩٧٧	أراضي أبو القرنين وكفر لاقف	٣,٠٠٠
٦ ـ الكنا	١٩٧٧	جنوب قلقيلية/قرية مسحة	٢,٨١٠
٧ ـ تسورناتان	١٩٧٧	قرب قرية كفر صور	ـ
٨ ـ شمرون	١٩٧٧	شمال غرب نابلس/أراضي دير شرف	١٠٠
٩ ـ سانور	١٩٧٧	أراضي قرية صانور *	٧٥٠
١٠ ـ ريحان (أ)	١٩٧٧	أراضي قرية اليامون *	ـ
١١ ـ ريحان (ب)	١٩٧٧	أراضي قريتي اليامون وريحان	٤,٠٠٠
١٢ ـ تبواح	١٩٧٨	أراضي قريتي تفوحة وياسوف	٤٠٠
١٣ ـ ارئيل حارس	١٩٧٨	أراضي سلفيت * وكفر حارس	٨,٦٠٠
١٤ ـ ناحال معاليه	١٩٧٨	أراضي قرية سيلة الظهر *	٥٥٠
١٥ ـ تابواه	١٩٧٨	أراضي قرية ياسوف	٢,١٥٠
١٦ ـ ترتسا	١٩٧٨	غرب قرية يعبد *	ـ
١٧ ـ ارئيل (ب)	١٩٧٨	أراضي سلفيت وكفر حارس	٣,٥٠٠
١٨ ـ الون موريه	١٩٧٩	أراضي روجيب وعورتا *	١,٩٠٠
١٩ ـ سلعيت	١٩٧٩	أراضي قرية كفر صور	١,٣٣٠
٢٠ ـ كرناي شمرون(ب)	١٩٧٩	منطقة أبو القرنين	٣,٠٠٠
٢١ ـ كرناي شمرون(جـ)	١٩٧٩	منطقة أبو القرنين	٣,٠٠٠
٢٢ ـ كرناي شمرون(د)	١٩٧٩	٨كم غرب كرناي شمرون(أ)	٣,٠٠٠
٢٣ ـ دوتان	١٩٧٩	شرق قرية يعبد	١,٥٠٠
٢٤ ـ تل كبير	١٩٧٩	أراضي التل الكبير ودير الحطب	ـ
٢٥ ـ ريحان (هـ)	١٩٨٠	أراضي اليامون / جنين	ـ
٢٦ ـ الكنا (ب)	١٩٨٠	أراضي بدية * وحارس	١٧٠
٢٧ ـ جبعات عوز	١٩٨٠	أراضي كفر سالم	ـ
٢٨ ـ معاليه ناحال	١٩٨٠	طريق نابلس جنين	ـ
٢٩ ـ حومش	١٩٨٠	بين نابلس وجنين	ـ
٣٠ ـ حنانيت	١٩٨١	غرب جنين	ـ
٣١ ـ حنانيت (ب)	١٩٨١	بين ريحان ويعبد	٤٠٠
٣٢ ـ ياكير	١٩٨١	بين مستوطنتي ارئيل والكنا	ـ
٣٣ ـ شفي شمرون	١٩٨١	أراضي عنبتا * وكفر اللبد وبيت ليد *	ـ
٣٤ ـ جفي طال	١٩٨١	طريق قلقيلية نابلس	ـ
٣٥ ـ عمانوئيل	١٩٨١	أراضي قرية جينصافوط	ـ
٣٦ ـ مناشي	١٩٨١	أراضي قلقيلية	ـ
٣٧ ـ ميتوفيم	١٩٨١	أراضي قرية سلفيت	ـ
٣٨ ـ كوخاف يئير	١٩٨٢	أراضي قلقيلية والطيبة	ـ
٣٩ ـ بيت ارئيه (جـ)	١٩٨٢	أراضي رنتيس	ـ

المستعمرات الإسرائيلية في هضبة الجولان
حتى شباط ١٩٨٢

اسم المستعمرة	تاريخ الإنشاء	الموقع	المساحة بالدونم
١ ـ ميروم هغولان	١٩٦٧	شمال غرب القنيطرة	٤,٥٠٠ + ٣٣ ألف للمراعي
٢ ـ كفر شاريت (سنير)	١٩٦٧	شمال الهضبة قرب نبع بانياس	٥,٥٠٠+ ٢٠ ألف للمراعي
٣ ـ افيك ـ ناحال هغولان	١٩٦٧	جنوب غرب الهضبة	٤,٥٠٠
٤ ـ مفوحمه	١٩٦٨	جنوب الهضبة قرب الحمة	٤,٥٠٠+ ٢٥ ألف للمراعي
٥ ـ عين زيفان	١٩٦٨	شمال وسط الهضبة	٥,٠٠٠
٦ ـ غفعات يوآف	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
٧ ـ رامات مغشيميم	١٩٦٨	جنوب شرق الهضبة	٤,٥٠٠
٨ ـ نيئوت غولان	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
٩ ـ غيشور	١٩٦٨	الوسط الغربي للهضبة	٨٠٠
١٠ ـ ايلي عاد (العال)	١٩٦٨	جنوب الهضبة	٤,٥٠٠
١١ ـ راموت	١٩٦٨	الأراضي المطلة على طبرية	٤,٠٠٠
١٢ ـ نيفة أطيف ـ رامات شالوم	١٩٦٩	شمال الهضبة منحدرات جبل الشيخ	٤٠٠
١٣ ـ آل ـ روم	١٩٧١	بين القنيطرة ومسعدة	٤٠٠ + ٤,٦٠٠
١٤ ـ نوف	١٩٧٢	جنوب وسط الهضبة	٤,٠٠٠
١٥ ـ بني يهودا	١٩٧٢	جنوب الهضبة	ـ
١٦ ـ كفار حاروف	١٩٧٣	جنوب الهضبة أراضي قرية كفر حارب	٢,٨٠٠
١٧ ـ انيعام	١٩٧٣	شمال وسط الهضبة	٤,٠٠٠
١٨ ـ علياه شفعيم	١٩٧٣	جنوب الهضبة/أراضي قرية رمانة	ـ
١٩ ـ مركز خسفين	١٩٧٣	جنوب وسط الهضبة/قرية خسفين	ـ
٢٠ ـ كيشيت	١٩٧٤	قرب القنيطرة	٢,٥٠٠
٢١ ـ كتسرين	١٩٧٤	شمال غرب وسط الهضبة	ـ
٢٢ ـ افني ايتان	١٩٧٤	جنوب وسط الهضبة	٤,٠٠٠
٢٣ ـ يوناتان	١٩٧٥	جنوب وسط الهضبة	٢,٠٠٠
٢٤ ـ هاراودم	١٩٧٥	شمال الهضبة بين مسعدة وبقعاثا	٢٠٠
٢٥ ـ شاعل	١٩٧٦	شمال الهضبة/مزرعة القنيطرة	ـ
٢٦ ـ معاليه غملا	١٩٧٦	جنوب الهضبة	ـ
٢٧ ـ أورطال	١٩٧٨	الوسط الغربي للهضبة	ـ
٢٨ ـ ناطور	١٩٧٨	جنوب الهضبة	ـ
٢٩ ـ كيلع	١٩٨٠	شمال الهضبة/منطقة القلع	ـ
٣٠ ـ جاوزه	١٩٨٠	وسط الهضبة/قرية الجويزة	ـ
٣١ ـ حفات يئير	١٩٨٠	وسط الهضبة/مزرعة القنيطرة	ـ
٣٢ ـ الدبوسية	١٩٨٠	جنوب الهضبة/مصب نهر الرقاد	ـ
٣٣ ـ مرصد	١٩٨٠	شمال الهضبة/قرية رمتا	ـ
٣٤ ـ كينع	آذار ١٩٨٢	ـ	ـ
٣٥ ـ منفوخا	آذار ١٩٨٢	ـ	ـ

الاستيطان الصهيوني (بنك ـ) :

رَ : بازل (برنامج ـ)

الاستيطان في الضفة الغربية :

رَ : الخطة الصهيونية للاستيطان في الضفة (١٩٧٩ ـ ١٩٨٣)

الاستيطان اليهودي (صندوق ـ) :

رَ : المؤتمر الصهيوني

الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارىء (قانون ـ) :

على الرغم من أن قرار تقسيم فلسطين * الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ نص بشكل صريح على عدم جواز مصادرة أية أرض يملكها شخص عربي داخل (الدولة اليهودية) إلاّ للأغراض العامة فقد وافقت الكنيست * الإسرائيلية الأولى في ١٩٤٩/١١/١٤ على قانون للاستيلاء على الأراضي في ساعة الطوارىء ، ونشر القانون رسمياً في ١٩٤٩/١١/٢٣ ، وسرى مفعوله بدءاً من ٣٠ تشرين الثاني من السنة نفسها .

ويتألف هذا القانون من ٣٢ مادة مقسمة إلى ستة فصول، ومن ملحق خاص بالمواد ٨ و٩ و١٠ مؤلف من سبع فقرات .

يحدّد القانون في مادته الأولى معنى كلمات " أرض " و" منزل " و"ساعة الطوارىء " . ثم يعطي الحكومة في المادة الثانية حق تعيين سلطة مختصة بتنفيذ أغراض القانون تعييناً عاماً أو محدوداً .

وتنص المادة الرابعة على ما يلي :

١) يحق للسلطة المختصة بموجب أمر بتوقيعها أن تأمر بالاستيلاء على أرض . ويسمى هذا "أمر استيلاء على أرض " .

٢) يحق للسلطة المختصة أن تتملك الأرض التي صدر أمر استيلاء عليها . ويحق لها وحدها طوال نفاذ مفعول هذا الأمر أن تشغل الأرض وتستخدمها وتستغلها بنفسها أو بواسطة أشخاص آخرين ، وحسبما تقتضي الغاية التي صدر الأمر من أجلها .

ويشترط القانون الاّ تتجاوز فترة الإشغال ثلاث سنين . كما ينص على زوال مفعول أمر الاستيلاء بصورة تلقائية بعد ستة أشهر من انتهاء حالة الطوارىء التي صدر الأمر أثناءها (المادة ٦) .

وتخول المادة السابعة من القانون السلطة المختصة إصدار " أوامر إسكان " تطلب بموجبها من سكان المنزل الذي يصدر الأمر بحقه تسليمه إلى شخص يحدده الأمر ، ويسميه القانون "الساكن " ، وذلك إما لأغراض سكنية وإما لاستعمالات أخرى ينص الأمر عليها . ويحق لهذا " الساكن " دخول المنزل وإشغاله واستخدامه للغرض المنصوص عليه . وإذا كان هذا الأمر يسبب إخلاء ساكن المنزل الشرعي فإن القانون يوجب على السلطة المصدرة للأمر تأمين مسكن بديل له إذا لم يتوفر لديه مثل هذا المسكن . وينظم القانون كيفية تحديد الإيجار الذي يتوجب على " الساكن " أن يدفعه لصاحب الملك إذا كان المنزل بيتاً للسكن أو مكاناً للعمل . أما إذا لم يكن كذلك فإن السلطة التي تصدر أمر الإسكان تحدد الإيجار الشهري الذي يتوجب على الساكن أن يدفعه (المواد ٨ و٩ و١٠) . ويلغي أمر الإسكان أي عقد إيجار منزلي لشخص لم يكن قد سكن هذا المنزل لدى دخول الساكن المحدد اسمه في الأمر إليه وإشغاله . وينص على أنه لا يجوز المطالبة بأي تعويض بناء على مثل هذا العقد (المادة ١١) .

ومن جهة أخرى يعطي القانون الحق لأي شخص كان يشغل الأرض أو المنزل لدى صدور أمر الاستيلاء أو الإسكان بالتخلي عن كافة حقوقه في الأرض أو المسكن بشرط إعطاء إنذار بذلك خلال مدة يحددها القانون . وتسقط عنه عندئذ جميع الالتزامات المتوجبة عليه بموجب القانون أو بموجب عقد منذ تاريخ تبليغ الإنذار لصاحب الملك (المادتان ١٤ و١٥) . وتستثنى من أحكام القانون المنازل التي اكتمل بناؤها بعد ١٩٤٨/٥/١٤ (المادة ١٣) .

وتحدد المادة الثالثة من القانون الحالات التي يمكن فيها إصدار أوامر استيلاء على أراض أو أوامر إسكان في ساعة الطوارىء بالحالات التي تقتنع فيها السلطة المختصة بأن مثل هذا الأمر ضروري "للدفاع عن الدولة أو للأمن العام أو للحفاظ على التموينات الأساسية أو الخدمات العامة الأساسية أو لاستيعاب المهاجرين أو لإعادة تأهيل الجنود السابقين أو مرضى الحرب " . ويخول القانون السلطة التي تصدر أمر الاستيلاء أو الإسكان صلاحية استخدام القوة لتطبيقه (المادة ٢٢ ـ ب) .

ومن جهة أخرى توجب المادة السادسة عشرة من القانون على وزيرالعدل تعيين لجان استئناف خاصة بأمور هذا القانون فور قيام الحكومة بتعيين سلطة الاستيلاء ، وتتألف كل لجنة من ثلاثة أعضاء يترأسهم أحد القضاة . وتحدد المواد ١٧ ـ ١٩ شروط الاعتراض على أمر الاستيلاء أو الإسكان ومدته وإجراءاته . وتعطي لجنة الاستئناف الحق في تأكيد الأمر ، بتعديلات أو بدون تعديلات ، أو نقضه على أساس قناعتها بضرورته أو عدم ضرورته للأغراض المنصوص عليها في المادة الثالثة المذكورة من قبل .

وتستطيع السلطة التي أصدرت أمر الاستيلاء أو الإسكان إلغاءه بشرط ألاّ يكون الساكن المسمى في أمر الإسكان قد دخل بيت السكن أو مكان العمل بموجب الأمر . ويوجب الغاء أمر الاستيلاء

على من تملك الأرض إخلاءها ، كما يوجب على الساكن إخلاء بيت السكن أو مكان العمل إذا كان الإلغاء في هذه الحالة صادرا عن لجنة الاستئناف (المادة ٢٣) .

وينص القانون على أن التعويضات المنصوص عليها في قرار التعويض (الدفاع) لعام ١٩٤٠ والأحكام الصادرة بموجبه تنطبق على أوامر الاستيلاء على الأرض المصادرة بموجب هذا القانون إذا كانت المصادرة تشكل ممارسة لسلطات الطوارىء المحددة في ذلك القرار (المادة ٥) .

ويعطي القانون السلطة المعينة بموجبه الحق في الاستيلاء على أية أملاك منقولة تم الاستيلاء عليها قبل صدوره مباشرة بموجب أحكام سابقة يحددها (ولكنه لا يحدد بالضبط معنى كلمة "مباشرة " هنا) كما يتضمن قواعد انتقالية أخرى (المادتان ٢٩ و٣٠) .

ويحدد الملحق العلاقة بين الساكن المسمى بموجب أمر الإسكان وصاحب الملك وواجبات كل منهما تجاه الآخر والتزاماته .

ويعهد إلى رئيس الوزراء بمهمة تنفيذ هذا القانون ، ويخول وزير العدل صلاحية إصدار أنظمة تحدد الإجراءات المتبعة أمام لجان الاستئناف . ولرئيس الوزراء صلاحية إصدار أنظمة تتعلق بأية مسألة تخص تطبيق هذا القانون (المادة ٣١) .

واضح أن القصد من هذا القانون والقوانين الإسرائيلية المماثلة نزع ملكية الأراضي العربية في فلسطين كخطوة لازمة لتهويدها وجعل السكان الأصليين مجرد أجراء لدى الصهيونيين .

المرجع :

—Sefer HaChukkim: **Laws of Israel,** No. 27, 23 November , 1949.

إسحـــق (النبي) :

هو ابن إبراهيم الخليل * من سارة . ولد في النقب * ، وفي بير السبع * على الأرجح . ومعنى إسحق بالعبرية « يضحـك » لأن مولده سبّب السعادة والفرح ولاسيما لأمه التي كانت قد فقدت الأمل من حملها . وتذكر الروايات المقدسة أن أمه أرضعته بنفسها رغم أنها كانت في التسعين من العمر . كما تضيف أن إسحق كان في صغره على علاقة سيئة بأخيه إسماعيل * ، ولكنها ، أي الروايات المقدسة ، تختلف فيمن أمِرَ إبراهيم بالتضحية به من الأخوين .

في الأربعين من عمره زّوجه أبوه من امرأة سورية تدعى ربكاه أو رفقة . وقد حملت بعد عشرين سنة من زواجها به بتوأمين يروى أنهما كانا يتقاتلان في أحشائها ، وعندما استشير الإله في هذا الشأن ذكر أن التوأمين سيكونان على طباع مختلفة ، وأن الأمم المتحدرة منهما ستتصارع ، وأن الأكبر سيخدم الأصغر . وكان أن ولدت « رفقة » عيسو ، أو العيص الذي تذكر المصادر العربية أن الروم قد تحدرت منه ، ثم ولدت يعقوب * الذي تحدر منه العبرانيون * . وكان الأكبر مقرّباً من أبيه والأصغر من أمه .

وعندما حصلت مجاعة في كنعان * هاجر إسحق إلى جرار في فلسطين وكان ملكها يدعى ابيمالك، وهناك قام إسحق بحفر عدد من الآبار التي تنازع ملكيتها مع فلسطينيّي جرار . ولذلك أطلق على أولها اسم ايساك وتعني خصام ،وعلى الثاني اسم سيتنا وتعني كراهية . وتذكر الروايات المقدسة أنه سافر بعد ذلك إلى بير السبع ، وهناك جدّد الرب له عهده ، وأنه عندما بلغ السابعة والثلاثين بعد المائة من العمر فقد بصره . وقد استغلت زوجه رفقة هذه العاهة للحصول على بركته لأولاد ابنها المحبب يعقوب ، البركة التي كان إسحق قد خص بها العيص . وقبل عشر سنوات من سفر يعقوب إلى مصر مات إسحق ودفن في كهف مكفيلة إلى جانب زوجه رفقة .

المراجـع :

ــ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٦ .
ــ سفر التكوين : الاصحاح ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٥ .
ــ المسعودي : التنبيه والإشراف ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
ــ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
ــ جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
—— Fleming: **The Dictionary of the Bible,** London 1910.

إسحق بن ابراهيم التدمري (- ٨٨٣ هـ) (- ١٤٣٠م) :

تاج الدين التدمري الشافعي . أصله من تدمر ، قدم أجداده إلى فلسطين ، وسكنوا مدينة الخليل * . واشتهر التدمري بأنه خطيب مقام الخليل إبراهيم عليه السلام . ويبدو أن أفراداً من أسرته شغلوا هذاالمنصب قبله ، منهم شمس الدين محمد بن قاسم (٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) ، وشهاب الدين أحمد (٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .

قال ابن حجر : ذكر أنه (أي التدمري) أخذ عن قاضي حلب الشمس محمد بن أحمد بن المهاجر ، وعن الشيخين العراقي وابن الملقن وغيرهما ، وأجاز له ابن الملقن في الفقه .

تقوم شهرة التدمري العلمية على كتابه الوحيد : « مثير الغرام إلى زيارة الخليل عليه الصلاة والسلام » . ويتناول هذا الكتاب المختصر سيرة إبراهيم الخليل * عليه السلام ، ويورد كل ما جمع من

أخباره . بيد أن أهم ما فيه إنما هو وصف قبور الأنبياء في الفصل الخامس عشر وما بعده . ويتألف الكتاب من سبعة وعشرين فصلاً . وقد حققه ونشره المستشرق الأمريكي تشارلز ماثيوز في المجلد السابع عشر من مجلة الجمعية الاستشراقية لفلسطين (١٩٣٧) .

توفي التدمري في الخليل .

المراجع :

ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٣٥١هـ .

ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، عمان ١٩٧٣ .

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٤هـ .

ـ كامل العسلي : مخطوطات فضائل بيت المقدس ، عمّان ١٩٨١ .

ـ كراتشكوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، القاهرة ١٩٦٣/١٩٦٥ .

— Brockelmann, C.: **Geschichte der Arabischen Literatur,** Supplementband II, Leiden 1937-1939.

— Mathews, C.D.: Mūtir al-Gharām of Abu-l- Fida of Hebron, **JPOS,**1937.

أَسْدود (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمالي الشمال الشرقي لغزة * على الطريق الرئيسة للسهل الساحلي * وترتبط بالقدس بطرق معبدة . فيها محطة سكة حديد يمر بها خط القنطرة ـ حيفا .

نشأت القرية على ربوة ترتفع ٤٢ م فوق سطح البحر ، وتبعد عن شاطىء البحر المتوسط نحو ٥ كم ، وتبعد ٦ كم عن نهر صقرير * الذي يمر بشمالها في طريقه إلى البحر المتوسط .

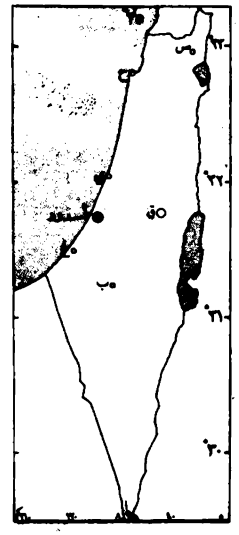

يرجع تاريخ أسدود ، كما دلّت الحفريات الأثرية الأخيرة ، إلى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وسكانها الأولون هم العناقيون ، وهم من القبائل الكنعانية التي سكنت الساحل الفلسطيني وجنوب فلسطين في العصور القديمة * . وقد أطلق العناقيون على المدينة اسم « أشدود » بمعنى الحصن . وكانت أسدود منذ ذلك الزمن القديم ميناء هاماً ومركزاً تجارياً . وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد نزل الفلسطيون * الساحل الفلسطيني وجعلوا أسدود إحدى مدنهم الخمس الرئيسة ، ومركز عبادة إلههم داجون . وفي حوالي عام ١٠٥٠ ق.م. هاجم اليهود أسدود ، ولكن الفلسطيين انتصروا عليهم انتصاراً باهراً في معركة رأس العين قرب يافا ، واستولوا على « تابوت العهد » الذي كان يحفظ فيه اليهود شرائعهم ، ووضعوه في هيكل داجون ، وبعد ذلك بحوالي ثلاثة قرون هاجم عزاريا ملك يهودا المدينة مرّة أخرى وهدم أسوارها .

وقد دلّت الحفريات الأثرية التي جرت في الستينات من هذا القرن على أن أسدود الفلسطينية كانت على جانب كبير من الحضارة والغنى المادي . وقد اكتشفت فيها أختام كتبت بخط غير معروف وألواح وأوان دينية مختلفة . بيد أن وقوع المدينة على الطريق الساحلي الذي يصل بين سورية ومصر جرّ عليها كثيراً من ويلات الحروب ، وخاصة تلك التي نشبت بين الأشوريين (رَ : أشور) والمصريين (رَ : الفراعنة) . ففي سنة ٧٣٤ ق.م. استسلمت المدينة إلى تغلات بلاسّر الثالث ملك أشور . وفي سنة ٧١٥ ق.م. نشبت فيها ثورة ضد الأشوريين بتحريض من شاباقا فرعون مصر ، فأرسل صارغون الثاني ملك أشور قواته لمحاصرتها ، ودام الحصار أكثر من ثلاث سنوات تمكّن في نهايتها (٧١١ ق.م.) من اقتحام المدينة وإخضاع ملكها ، وأسكن فيها مستوطنين أشوريين . وأصبحت أسدود من ثمّ عاصمة لولاية أشورية . وفي عهد أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٢٥ ق.م.) فرض بساميتكوس فرعون مصر الحصار على أسدود. ووصف المؤرخ هيرودوتس هذا الحصار بأنه أطول حصار في التاريخ ، لأن المصريين لم يتمكنوا من أخذها ألاّ بعد ٢٩ سنة (٦٥٩ ـ ٦٣٠ ق.م.) .

وفي القرن السادس قبل الميلاد كانت أسدود عاصمة الفلسطينيين مدينة مزدهرة للغاية مما جعل هيرودوتس يسميها « مدينة سورية الكبرى » . ولمّا استولى الفرس على مصر في أواخر هذا القرن استولوا في طريقهم على أسدود وكل فلسطين . وقد قاوم أهالي أسدود إرجاع اليهود من بابل إلى القدس ، ونددّ نحميا حاكم القدس اليهودي الموالي للفرس بالفلسطينيين في أسدود الذين كانوا يتكلمون بلسان غير يهودي ، وهاجم زواج اليهود من بنات أسدود الوثنيات .

وفي القرن الرابع قبل الميلاد وقعت أسدود تحت سيطرة الإسكندر المقدوني وبقيت في العصر الهليني عاصمة لمنطقتها ، وعرفت إذ ذاك باسم أزوتوس *Azotus* . وعلى الرغم من أن أسدود عانت النزاعات المستمرة بين البطالسة (رَ : البطالمة) والسلوقيين (رَ : السلوقيون) خلفاء الاسكندر في مصر وسورية فإنها شاركت في ازدهار المدن في العصر الهليني .

ولا شك ، كما يقول العالم باير *G.Beyer* ، «أن ضخامة المدينة ، وكذلك اتساع المنطقة التابعة لها ، كانا السبب الذي دعا اليهود الذين تسيطر عليهم شهوة التوسع إلى الانقضاض على المدينة

في عهد المكابيين » . ففي سنة ١٦٥ق .م. استولى المكابيون على المدينة وهدموا هيكلها وجعلوها ، هي وضواحيها من قرى ومزارع ، طعمة للنار .

وفي عام ٦٣ ق.م. دخل الرومان البلاد واستولى القائد الروماني بومبي على أسدود وجعلها جزءاً من ولاية سورية . ووجد الرومان أسدود مدينة مهدمة ، فأعاد القائد غابينيوس بناءها سنة ٥٥ ق.م. وأرجع لها رونقها القديم . وما لبث أغسطس قيصر إمبراطور روما أن وهبها هيرود الكبير الذي تركها بوصية منه إلى أخته سالومي *Salomè* . وأوصت سالومي بها إلى ليفيا *Livia* أخت أغسطس التي أورثتها بدورها الإمبراطور طيباريوس .

في سنة ٣٨ م تنصّر سكان أسدود مع غيرهم من سكان الساحل الفلسطيني من أسدود إلى قيسارية * . وفي القرن الرابع للميلاد كانت أسدود مركز أبرشية ، واشترك أسقفها الأول سيلفانوس *Silvanus* في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م .

وفي عام ٤٠٠ م كانت أسدود مركزاً لمقاطعة تشمل قرى كثيرة منها عاقر * وقطرة * وإدنبة * .

وتدلنا خريطة مادبا * على أنه كان هنالك في العصر البيزنطي ، إلى جانب مدينة أسدود التي كانت تدعى أزوتوس هبّوم *Azutus Hippum* مدينة أخرى هي أزوتوس بارالياس *Azutus Paralias* أو أسدود على البحر . وهذه المدينة الأثرية القديمة هي المعروفة باسم « مينة أسدود » أو« مينة القلعة » كما سميت في العهد الإسلامي .

دخلت أسدود في حوزة العرب المسلمين في القرن السابع الميلادي . وقد ذكرها كتّاب المسلمين القدامى باسم أزدود . ويذكر ابن خرداذبة في المسالك والممالك (القرن الثالث الهجري) أن « أزدود » كانت محطة على طريق البريد بين مصر والشام ، ويذكر المقدسي في أحسن التقاسيم « أزدود » بين البلدان التي كان فيها رُبط للمسلمين محصّنة بالابراج على الشواطىء الفلسطينية في القرن الرابع الهجري .

ويبدو أن أسدود فقدت أهميتها القديمة مع الوقت فلمّا احتلّها الصليبيون (رَ : الفرنجة) في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي لم يجدوا فيها سوى قرية صغيرة . وقد عسكر الصليبيون سنة ٥١٢هـ/١١١٨م حول أسدود مدّة ثلاثة أشهر . ويعتقد أن القائد الصليبي فولك الأنجوي حصّن المدينة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م .

من الآثار الإسلامية في أسدود مسجد أقيم على مزار سلمان الفارسي الصحابي المعروف في عهد الظاهر بيبرس * سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م . ومقام الشيخ إبراهيم المتبولي وهو ولي مشهور مصري الأصل رحل ألى أسدود إثر خلاف بينه وبين السلطان المملوكي قايتباي ، ثم مات فيها سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م . وقد عُمّر المقام سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م .

وفي أسدود أيضاً مقام يعرف بمقام أحمد أبي الإقبال ، وهو شخص لا يعرف عنه أهل البلدة شيئاً . وعلى مقربة من أسدود ، وعند مصب نهر صقرير المجاور لها تلّة صخرية عليها مقام للنبي يونس . وكان في أسدود في أوائل القرن الحالي مسجد جامع يدعى جامع سيدي عامر . وفي هذا الجامع عمود رخامي أبيض قديم يسند أقواس البناية . وجنوبي الجامع خرائب خان قديم جميل ، وحول القرية في أماكن مختلفة عدد من الأعمدة المتكسرة المتناثرة وعدد من الخرب التي تضم آثاراً من بقايا أسدود القديمة .

كانت مساحة الأراضي التابعة لأسدود أيام الانتداب البريطاني ٤٧,٨٧١ دونماً ، منها ١,٠١٦ دونما للطرق والأودية و٢,٤٨٧ دونما ملكها الصهيونيون . وتتوافر مقومات الزراعة الناجحة في هذه الأراضي ، لخصب التربة ، وهطول الأمطار الكافية ، ووجود الآبار التي تراوح أعماقها بين ١٦ و٣٤م . وأهم منتجاتها الزراعية الفواكه والحبوب *، وبخاصة الحمضيات * والعنب * والتين * والقمح * . وكانت الزراعة * هي الحرفة الرئيسة للسكان ، تتلوها حرفة التجارة * ، إذ كان يقام في أسدود كل يوم أربعاء سوق يؤمها سكان القرى المجاورة .

جذب موقع أسدود الهام وموضعها الطبيعي السكان للإقامة فيها ، فنما عدد سكانها من ٢,٥٦٦ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٣,١٣٨ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٤,٦٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وتوسعت القرية عمرانيا حتى أصبحت مساحتها في أواخر الانتداب ١٣١ دونماً ، يشغلها كثر من ٨٥٠ بيتاً . واشتملت القرية على مسجدين ومدرستين واحدة للبنين وأخرى للبنات. بالإضافة إلى المحلات التجارية المختلفة .

دمّر الصهيونيون القرية عام ١٩٤٨ وأقاموا على أراضيها مدينة وميناء أشدود * .

المراجع :

ـ أحمد سامح الخالدي : أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ، عمان ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .
—Barnabas, M.: **Guide to the Holy Land**, London 1923. .
— Beyer, G: **Zeitschrift des deutschen Palästina, Vereins, 1933.**

« إسرائيـــل »

جاء في التوراة * (سفر التكوين ٣٢ : ٢٨) أن " الله ظهر

http://al-maktabeh.com

ليعقوب • وقال له : لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب ، بل يكون اسمك إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت " .

وكلمة « إسرائيل » من أصل كنعاني مؤلفة من « إسر » و« أيل » ، ومعناها : عبد أو جندي الإله « أيل » .

بالاستناد إلى رواية التوراة أطلق العبرانيون • من ذرية يعقوب على أنفسهم اسم « بني إسرائيل » . ويأتي ذكر كلمة « إسرائيل » لأول مرة في الشواهد التاريخية على المسلة التي نصبها فرعون مصر « مرنبتاح » بعد غارته على فلسطين حوالي سنة ١٢٢٥ ق.م. ، إذ يقول : "لقد نسفت عسقلان واكتسحت جزر ودمرت إسرائيل واقتلعت جذورها فأصبحت فلسطين أرملة لمصر " .

إن « إسرائيل » هنا قد تعني مدينة أو قبيلة . ولا سبيل إلى الربط مباشرة بين هذه الكلمة وبين يعقوب وذريته الذين هاجروا من حران وتنقلوا بين فلسطين ومصر قبل خمسة قرون على أقل تقدير من عهد مرنبتاح .

وقد أطلق اسم « إسرائيل » أيضاً في التوراة على المملكة التي قامت في فلسطين وحكمها شاؤل وداود وسليمان من حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م. حتى ٩٢٢ ق.م. ثم خصّ هذا الاسم بعد انقسام المملكة بالجزء الشمالي الذي شمل عشرة أسباط ، وكانت عاصمته السامرة . وقد قضى الأشوريون على هذه المملكة في سنة ٧٢٢ ق.م. ونقلوا سكانها إلى نواحي حران والخابور وكردستان وفارس ، وأحلوا مكانهم جماعات من الآراميين • ، فلم يبق بعد ذلك أثر للأسباط العشرة من « بني إسرائيل » .

أما القسم الجنوبي الذي ضم سبطي يهوذا وبنيامين ، والذي كانت عاصمته « أورشليم » فقد عرف باسم « مملكة يهوذا » التي ظلت تتأرجح بين رحمة المصريين والأشوريين حتى اكتسحها الملك الكلداني نبوخذ نصر (بختنصر) في سنة ٥٨٦ ق.م. ، فدمر مدينة أورشليم ، وحرق الهيكل ، واستولى على خزائن الملك ، وسبى السكان وساقهم إلى الأسر في بابل (رَ : السبي البابلي). ولما أعاد الملك الفارسي قورش هؤلاء الأسرى إلى بلادهم في سنة ٥٣٩ ق.م. ، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل ، عرفوا منذ ذلك الوقت باسم « اليهود » نسبة إلى مملكة يهوذا ، فشاع هذا الاسم عوضا عن « إسرائيل » .

عاش اليهود في العصور التالية تحت حكم الفرس ، ثم البطالمة • ، والسلوقيين • ، والرومان ، وقاموا بعدة ثورات محاولين الاستقلال ، ولكنهم فشلوا ، واضطر القائد الروماني تيتوس في سنة ٧٠ م إلى تدمير « أورشليم » وحرق الهيكل وإزالته من الوجود ، كما قتل عددا كبيراً من اليهود وحكم على الباقين بالعبودية . وكانت آخر ثورة قام بها اليهود على الرومان تلك التي قادها سمعان باركوخبا الذي ادّعى أنه المسيح . وقد استمرت الثورة ثلاث سنوات (١٣٢ - ١٣٥ م) حتى استطاع الإمبراطور هادريان إخمادها ، وحوّل مدينة أورشليم إلى مستعمرة رومانية سماها « إيليا كابتولينا » وحرم على اليهود دخولها . وبذلك قُضِي نهائياً على الكيان اليهودي .

وقد عاش اليهود منذ ذلك العهد طائفة دينية لها حرية العبادة . ولكنها كانت تتعرض للاضطهاد بسبب تعصبها ، وتطرفها العنصري ، ومعارضتها لتقاليد البلاد التي تسكنها ، ومخالفتها لسياسة الحكومات ومصالحها الوطنية . وكانت التسمية الشائعة للطائفة هي « اليهودية » أو « الموسوية » ، كما كان يطلق على أفرادها اسم « الإسرائيليين » و« العبرانيين » أيضاً . واذا كانت كلمات يهودي (أو موسوي) وإسرائيلي وعبراني أصبحت تفيد المعنى نفسه فإنه ظهر في القرون الاخيرة اتجاه إلى تخصيص اصطلاح « اليهودية » بالناحية الدينية ، و« العبرانية » بالناحية اللغوية ، و« الإسرائيلية » بالناحية السياسية ـ القومية . وتبعا لذلك فإن الكيان الصهيوني الذي اختلقته المؤامرات الاستعمارية في فلسطين قد أطلق عليه اسم (دولة إسرائيل) .

بن غوريون يعلن قيام إسرائيل ١٩٤٨

إسـرائيل في الأمم المتحدة (عضوية ـ) :

نظمت المادة الرابعة من ميثاق الأمم المتحدة أحكام العضوية اللاحقة او العضوية بالانضمام في هذه المنظمة الدولية على النحو التالي :

" ١) العضوية في الأمم المتحدة مباحة لجميع الدول الأخرى المحبة للسلام التي تأخذ نفسها بالالتزامات التي ينظمها هذا الميثاق ، والتى ترى الهيئة أنها قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات وراغبة فيه .

" ٢) قبول أي دولة من هذه الدول في عضوية الأمم المتحدة يتم بقرار من الجمعية العامة بناء على توصية مجلس الأمن " .

وقد فسرت محكمة العدل الدولية في رأيها الاستشاري الصادر في ١٩٤٨/٥/٢٨ نص الفقرة الأولى من المادة الرابعة السالفة الذكر وبينت أن الجهة التي تتقدم للعضوية يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية :

١) أن تكون دولة .
٢) أن تكون محبّة للسلام .
٣) أن تقبل التزامات الميثاق .
٤) أن تكون قادرة على تنفيذ تلك الالتزامات .
٥) أن تكون راغبة في تنفيذ تلك الالتزامات .

وكان قبول الأعضاء الجدد في الأمم المتحدة محل نقاش ونزاع شديدين ترتب عليهما عدم قبول أغلب الدول الراغبة في الانضمام . وبذا تعطلت أحكام المادة الرابعة عملياً لمدة تقرب من تسع سنوات . وعرف ذلك باسم « أزمة العضوية » ، وخلاصتها أن قبول العضو الجديد كان يخضع لعوامل سياسية بحت تتمسك بها كل من الكتلتين المتناهضتين في الأمم المتحدة . فالاتحاد السوفييتي * وقف في وجه كل دولة وجدها موالية للغرب مستعيناً على ذلك باستخدام حقه في النقض في مجلس الأمن (الفيتو) . في حين وقفت الكتلة الغربية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية * في وجه كل دولة رأتها مرتبطة بالاتحاد السوفييتي مستعينة على ذلك بالأغلبية التي تمتعت بها داخل مجلس الأمن والجمعية العامة معاً . وقد ظل هذا النزاع قائماً من يوم ولادة الأمم المتحدة حتى ١٩٥٥/١٢/١٥ ، إذ تم الاتفاق بين العملاقين على ما عرف « بالصفقة الإجمالية *Package Deal* » وبموجبها انتهت أزمة العضوية .

في أثناء أزمة العضوية هذه وصل عدد الطلبات التي تعثرت ، إما في مجلس الأمن أو في الجمعية العامة ، إلى نحو ثلاثين طلباً لم يقبل منها سوى تسعة طلبات فقط : ثمانية منها لدول ساعدها وضعها السياسي المعروف خلال مرحلة إنشاء الأمم المتحدة على الحصول على العضوية ، أما الطلب التاسع الذي حظي بالقبول ، ولأسباب خاصة وشاذة ، فكان طلب الدولة الصهيونية (إسرائيل) . وهكذا كانت (إسرائيل) من الدول التسع المحظوظة التي وصلت إلى عضوية المنظمة الدولية في فترة عزّت فيها العضوية حتى على دول لا مراء في أنها تستحقها .

بدعم وتشجيع من الولايات المتحدة الأمريكية ، تقدمت الحكومة المؤقتة (لإسرائيل) في نهاية عام ١٩٤٨ بطلب انضمامها للأمم المتحدة في محاولة واضحة لإسباغ الشرعية الدولية على هذا الكيان الجديد . وفي الجلسة التي عقدها مجلس الأمن لمناقشة الطلب جرى حوار فقهي حاد بين المندوب السوري من جهة ومندوب الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى حول مدى انطباق شروط العضوية على (إسرائيل) . فقد أصر المندوب السوري في سياق حملته على أن (إسرائيل) ليست دولة بالمعنى المعروف في القانون الدولي ؛ فحدودها غير محددة ، كما أنها ليست محبة للسلام ، ولا أدل على ذلك من مسؤوليتها عن مقتل وسيط الأمم المتحدة الكونت فولك برنادوت ذاته ، إضافة إلى طابعها العدواني أصلاً . أما المندوب الأمريكي فقد راح يحاول البرهنة على جدارة إسرائيل بالعضوية ، ورفض الحجة السورية في وجوب كون الكيان السياسي ذا حدود محددة ومعروفة حتى نعدّه دولة بموجب قواعد القانون الدولي. وقد تجاهل بذلك ما استقر عليه التعامل الدولي حتى الآن ، بما في ذلك تعامل حكومته بالذات التي هي طرف في « معاهدة مونتيفيدو » الموقعة في ١٩٣٣/١٢/٢٦ ، والتي تنص على أنه لكي تعدّ الدولة شخصاً من أشخاص القانون الدولي لا بد أن تتوافر فيها أربعة عناصر ثانيها حيازتها « لإقليم محدد » .

في جلسة ١٩٤٨/١٢/٢ غدا واضحاً أن دولتين فقط في مجلس الأمن ، هما الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفييتي ، كانتا متحمستين للتوصية بقبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة . أما بقية الدول الأعضاء في المجلس فقد كان رأيها أن قبول (إسرائيل) سابق لأوانه . وقد أحال مجلس الأمن ، حسب الأصول المرعية ، طلب القبول إلى « لجنة قبول الأعضاء الجدد فيه » . وبعد خمسة أيام أعلنت اللجنة " عدم تمكنها من جميع المعلومات الضرورية التي تخولها اتخاذ قرار البت في المسألة " .

وخروجاً على الإجراءات المعتادة قرر مجلس الأمن التصويت على القبول . لكن المشروع القاضي بذلك فشل في الحصول على الأصوات السبعة المطلوبة ، فقد صوتت إلى جانبه الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وأوكرانيا والأرجنتين وكولومبيا وعارضته سورية ،

في حين امتنعت بلجيكا وكندا وفرنسا وبريطانيا والصين عن التصويت .

وفي شباط ١٩٤٩ تقدمت (إسرائيل) بطلب جديد لقبولها عضواً في الأمم المتحدة . وعرض الموضوع على مجلس الأمن في ١٩٤٩/٣/٤ . وعند إجراء الاقتراع صوّت ٩ أعضاء إلى جانب قبولها (الأرجنتين ، وكندا ، والصين ، وكوبا ، وفرنسا ، والنروج ، وأوكرانيا ، والاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة الأميركية) في حين عارضت مصر هذا القبول ، وامتنعت بريطانيا عن التصويت . وفيما يلي نص قرار مجلس الأمن رقم ٦٩ (١٩٤٩) القاضي بالتوصية بقبول (إسرائيل) عضواً في الأمم المتحدة :

" إن مجلس الأمن ، وقد تلقى طلب إسرائيل الدخول في عضوية الأمم المتحدة ، ونظر فيه ، يقرر أن إسرائيل ، في رأيه ، دولة محبة للسلام وقادرة وعازمة على تنفيذ الالتزامات التي يتضمنها الميثاق . وبناء على ذلك يوصي الجمعية العامة بقبول إسرائيل لعضوية الأمم المتحدة " .

وأحيلت توصية مجلس الأمن هذه إلى الجمعية العامة للنظر فيها . وهناك تجددت المناقشات القانونية والسياسية حادة ودقيقة بين المجموعة العربية والأقلية من الدول الأعضاء التي وقفت معها تعارض قبول (إسرائيل) من جهة ، والأغلبية التي كانت بالغة الحماسة لقبول الدولة الصهيونية من جهة أخرى . وغدا واضحاً من المناقشات أن هذه الأغلبية التي تزعمتها الولايات المتحدة الأميركية خاصة أعارت أذناً صماء لكل الحجج القانونية التي سيقت ضد أهلية (إسرائيل) لعضوية المنظمة الدولية ، وأصرت على تفسير المادة الرابعة من الميثاق تفسيراً سياسياً محضاً يخدم هدفها في إدخال (إسرائيل) إلى الأمم المتحدة بأي ثمن . فقد تقدم لبنان مثلاً باقتراح في الجمعية العامة يدعو إلى إرجاء قبول عضوية (إسرائيل) إلى أن تعلن بوضوح قبولها تدويل القدس * وإعادة أو تعويض اللاجئين . لكن الاقتراح رفض حين حصل على ١٩ صوتاً فقط في حين عارضته ٢٥ دولة . واقترحت تشيلي تعديل مشروع قرار قبول (إسرائيل) بإدخال فقرة شرطية تنص على ما يلي : " إن مجلس الأمن ، إذ يشير إلى قرارات ١٩٤٧/١٠/٢٩ و ١٩٤٨/١٢/١١ والقرار رقم ١٩٤ (د ـ ٣) بخصوص حقوق اللاجئين ، وإذ يحيط علماً بأن الإيضاحات والشروط التي قدمها ممثل حكومة إسرائيل أمام اللجنة الخاصة بشأن تطبيق القرارات سالفة الذكر . . . " . لكن هذا الاقتراح ذاته لقي في البداية معارضة عنيفة من جانب مجموعة من الدول أصرت على وجوب قبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة بلا قيد ولا شرط .

وأخيراً ، ولكي يضمن أنصار (إسرائيل) الأغلبية اللازمة لإصدار قرار يضمن لها العضوية كيفما كان ، وافقوا على الأخذ بالاقتراح التشيلي . وكان أن صدر قرار الجمعية العامة رقم ٢٧٣ (٣) بتاريخ ١٩٤٩/٥/١١ ونصه الآتي :

" إن الجمعية العامة ،

" وقد تسلمت تقرير مجلس الأمن بشأن طلب إسرائيل الدخول في عضوية الأمم المتحدة ،

" وإذ تلاحظ أن إسرائيل ، بحسب تقدير مجلس الأمن ، دولة محبة للسلام ، وقادرة على تحمل الالتزامات الواردة في الميثاق ، وراغبة في ذلك ،

" وإذ تلاحظ أن مجلس الأمن قد أوصى الجمعية العامة بقبول إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة ،

" وإذ تلاحظ أيضاً تصريح دولة إسرائيل بأنها تقبل ، دون تحفظ ، الالتزامات الواردة في ميثاق الأمم المتحدة منذ اليوم الذي تصبح فيه عضواً في الأمم المتحدة ،

" وإذ تذكر قراريها الصادرين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وفي ١١ كانون الأول ١٩٤٨ ، وإذ تأخذ علماً بالتصريحات والإيضاحات التي صدرت عن ممثل حكومة إسرائيل أمام اللجنة السياسية الخاصة فيما يتعلق بتطبيق القرارات المذكورة . . .

" فإن الجمعية العامة ،

" عملاً بتأدية وظائفها المنصوص عليها في المادة ٤ من الميثاق والقاعدة ١٢٥ من قواعد الإجراءات :

" ١) تقرر أن إسرائيل دولة محبة للسلام ، راضية بالالتزامات الواردة في الميثاق ، قادرة على تنفيذ هذه الالتزامات ، وراغبة في ذلك .

" وتقرر أن تقبل إسرائيل عضواً في الأمم المتحدة " .

وتجدر الإشارة إلى أن ٣٧ دولة أيدت هذا القرار في حين عارضته ١٢ دولة (أفغانستان ، بورما ، مصر ، الحبشة ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، باكستان ، المملكة العربية السعودية ، سورية ، اليمن) ، وامتنعت تسع دول عن التصويت . وهكذا أصبحت (إسرائيل) بدءاً من ١٩٤٩/٥/١١ العضو التاسع والخمسين في الأمم المتحدة .

وعلى إثر إعلان نتيجة التصويت تتابع المندوبون العرب واحداً بعد الآخر يعلنون أن قبول المنظمة الدولية (لإسرائيل) عضواً فيها ، إضافة إلى أنه عمل غير شرعي وفقاً لأحكام الميثاق ، لا يعني ولا يمكن أن يعني بحال من الأحوال اعتراف الدول العربية بها ، فالاعتراف كما يعرّفه القانون الدولي شيء مستقل تماماً عن الوجود مع الدولة المعنية في المنظمة الدولية . وقد تناقش الفقهاء الغربيون كثيراً حول هذه النظرية وانتهت غالبيتهم إلى الإقرار بأنها سليمة .

كان قبول (إسرائيل) في الأمم المتحدة أول قبول شرطي لدولة عضو ، وهو الوحيد حتى الآن . فقد جعلت هذه العضوية مرهونة باحترام الدولة الصهيونية لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بالتقسيم ، وبحق العودة للشعب الفلسطيني المهجّر ، والتعويض عليه . غير أن (إسرائيل) التي التزمت رسمياً باحترام هذه القرارات لم تفِ بالتزاماتها بل ، على العكس تماماً ، اتجهت تصرفاتها قبل العضوية وبعدها في الطريق المضاد . فلا هي احترمت حدود التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) وشروطه ، ولا هي أقرّت ، أو تقرّ، حق الشعب الفلسطيني في العودة (رَ : العودة ، حق) والتعويض . ورغم هذا كله لم تفكر المنظمة الدولية يوماً ما في مساءلتها عن خرق شروط العضوية ، أو حتى عن إمعانها في خرق التزاماتها بموجب الميثاق . وهو ما يبرر من الناحية القانونية فصلها من الأمم المتحدة عملاً بالمادة السادسة منه .

لقد كان نجاح الحركة الصهيونية وحلفائها في إدخال (إسرائيل) منظمة الأمم المتحدة الانتصار الكبير الثاني من حيث الأهمية بعد إنشاء الدولة ذاتها .

المرجع :

ـ وثائق الأمم المتحدة : السنة الرابعة، آذار ١٩٤٩ .

« إسرائيل الكبرى » : رَ : التوسعية الصهيونية

أسطول : رَ : معاوية (أسطول ـ)

إسعاد الطفولة (بيت ـ) :

مدرسة أسسها الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني * في لبنان عام ١٩٥٧ وظل يتفرد في الإشراف عليها حتى عام ١٩٧٠ حين بدأت مؤسسة الشؤون الاجتماعية ورعايةأسر الشهداء والأسرى * التابعة لحركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) بالمساهمة في دعم المدرسة مادياً .

تستوعب المدرسة الأطفال من سن الرابعة فما فوق . وتضم صفوفاً من الحضانة حتى الصف الثالث التكميلي (الإعدادي) . تتكفل المدرسة بجميع نفقات رعاية وتعليم أولاد الشهداء والأسرى والعاملين في صفوف الثورة الفلسطينية بغض النظر عن جنسياتهم . وينطبق هذا أيضاً على الأطفال الأيتام والمحتاجين من الفلسطينيين واللبنانيين على حد سواء . أما غير هؤلاء فإن المدرسة تستقبلهم ، بغض النظر عن جنسياتهم ، مقابل رسوم مقررة للتعليم والإقامة .

تضم المدرسة إلى جانب رياض الأطفال فرعين رئيسيين هما : فرع التعليم النظري الذي يدرس فيه المنهاج المعتمد في وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة في لبنان ، إضافة إلى دروس خاصة عن جغرافية وتاريخ فلسطين ؛ وفرع التعليم المهني الذي يضم أقساماً لتعليم الحِرف المختلفة . وقد زودت المدرسة بما تحتاج إليه من أدوات ومعدات وأجهزة ومختبرات كي تتحقق الأهداف التي وضعت للمدرسة على مختلف الصعد من علمية وثقافية واجتماعية وقومية .

المرجع :

ـ شؤون فلسطينية : العددان ٦ و ٤٣ ، بيروت .

إسعاف النشاشيبي : رَ : محمد إسعاف النشاشيبي

أسعد الشقيري (١٨٦٠ ـ ١٩٤٠) :

رجل دين ولد في مدينة عكا * وتلقى تعليمه الابتدائي فيها، ثم قصد مصر والتحق بالجامع الأزهر وواظب على حضور حلقة الشيخ جمال الدين الأفغاني وحلقة خلفه الشيخ محمد عبده .

عاد إلى عكا بعد أن أنهى دراسته في الأزهر وعين قاضياً للمحكمة الشرعية في قرية شفاعمرو* . ونقل سنة ١٩٠٤ إلى مدينة اللاذقية قاضياً للتحقيق فيها . وبعد عام رحل إلى الآستانة حيث تعرّف على الشيخ أبي الهدى الصيادي الذي عمل على تعيينه أحد أمناء مكتبة السلطان عبد الحميد * . ثم عيّن رئيساً لمحكمة الاستئناف الشرعية في أدنه . ولكن إقامته لم تطل ، فقد اعتقلته السلطات العثمانية وأبعدته إلى قلعة تبنين في جنوبي لبنان . وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ أفرج عنه ، وعاد إلى عكا ، ورشح نفسه لمجلس المبعوثان * العثماني فنجح ، وعاد إلى استانبول .

انضم أسعد الشقيري إلى حزب الاتحاد والترقي * التركي وأصبح من أركانه . وحين أعلنت الحرب العالمية الأولى عيّن مفتياً للجيش العثماني . وأصبح من أقرب المقربين إلى القائد التركي جمال باشا . وقد لجأ عند انتهاء الحرب إلى أدنه حيث أقارب زوجته . ثم عاد بحراً الى حيفا * فاعتقلته السلطات البريطانية مدة ١٤

شهراً ، ثم أطلقت سراحه فعاد إلى عكا ليعمل في الوعظ والإرشاد إلى أن توفي ودفن في مقبرة الشيخ مبارك .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

أسعد قدورة (١٨٨٠ ـ ١٩٥٩) :

مفتي صفد والقاضي الشرعي في شمالي فلسطين . ولد في مدينة صفد * ، وتلقى دراسته الأولى في دمشق ، ثم انتقل إلى الأزهر حيث تابع دراسته الدينية وتتلمذ على يدي الشيخ محمد عبده في آخر أيامه .

عاد إلى مدينته بعد أن أنهى دراسته وأنشأ فيها مدرسة وطنية في الجامع الأحمر عني فيها بتعليم اللغة العربية . وفي العهد العثماني شغل وظائف كثيرة في سلك القضاء * ، ثم عيّن مفتياً لصفد أثناء الحرب العالمية الأولى .

وفي فترة الانتداب البريطاني شارك أسعد قدورة في الحركة الوطنية ، وبخاصة في الثلاثينات . عينه المجلس الإسلامي الأعلى * قاضياً شرعياً في الناصرة * وعكا * وصفد . وقد قاوم عمليات بيع الأراضي للصهيونيين ، وكان أحد الموقعين على الفتوى الصادرة في ١٩٣٥/١/٢٦ عن مؤتمر علماء فلسطين * المنعقد في القدس بشأن بيع الأرض للصهيونيين ، وجاء فيها : " إن بائع الأرض لليهود في فلسطين ، سواء كان ذلك مباشرة أو بالواسطة ، وإن السمسار والمتوسط في هذا البيع ، والمسهّل له ، والمساعد عليه . . كل أولئك ينبغي ألّا يصلى عليهم ولا يدفنوا في مقابر المسلمين ، ويجب نبذهم ومقاطعتهم واحتقار شأنهم وعدم التودد إليهم والتقرب منهم ولو كانوا آباء أو أبناء أو إخواناً أو أزواجاً " .

شارك في عدد من المؤتمرات ، ومنها المؤتمر العربي الفلسطيني * السابع سنة ١٩٢٨ ، ومؤتمر علماء فلسطين . وبعد نكبة سنة ١٩٤٨ نزح إلى دمشق وفيها توفي ودفن .

المراجع :

ـ عجاج نويهض : رجال من فلسطين ، بيروت ١٩٨١ .
ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٩ .

الإسفلت : رَ : المعادن

إسكندرونة (نهر ـ) :

ويعرف أيضاً باسم نهر المالح . تتكون بدايات هذا النهر من تجمّع مسيلات مائية موقتة تجري فيها مياه أمطار المنطقة الواقعة بين قرى كفر قدوم والكور وكفر عبّوش . ويسير الوادي المكوّن منها نحو الغرب شمال قرية كفر جمال وفلمة (أو فلامة) . ويعرف النهر هنا بوادي إسكندرونة ، وهو يسير في الأقدام الغربية لجبال نابلس * ويحزّ مجراه في صخورها . وبعد قطع مسافة ١٢ كم يدخل السهل الساحلي الفلسطيني * ، ثم ينعطف نحو الشمال بزاوية قائمة ويسير متعرجاً ماراً ببلدة قلنسوة ، ثم يتخذ بعدها محوراً شمالياً شرقياً حتى أراضي قرية قاقون * . وهناك يرفده وادي زِبْمَر القادم من جبال نابلس ماراً شمالي طولكرم * . وبعد التقاء النهر برافده زبمر بنحو كيلومترين ينعطف النهر نحو الغرب ـ الشمال الغربي متعرجاً في أرض السهل الساحلي باتجاه البحر المتوسط ، مخترقاً سهل الحوارث ورمال الساحل حتى يصب في البحر عند ميناء أبو زابورة شمالي قرية أم خالد العربية ونتانيا * الصهيونية بين أراضي عرب النفيعات * في الشمال وأراضي عرب الحوارث في الجنوب . ويكون النهر قد قطع مسافة قدرها ٣٧ كم بدأت بارتفاع متوسط قدره ٣٠٠ ـ ٣٢٥م فوق سطح البحر ، وبذا يكون مقدار الانحدار ١ : ١٢٤ تقريباً ، لكنه كبير في المجرى الأعلى ضمن أقدام الجبال والتلال * ، وقليل في السهل الساحلي الفلسطيني .

يقسم مجرى النهر إلى ثلاثة أقسام ، الأول منها واد سيلي يشغل معظم أجزاء النهر العليا والوسطى . والقسم الثاني يصبح فيه النهر مستمر الجريان بما يتلقاه من تغذية روافد وينابيع ومياه جوفية في المجرى الأدنى (رَ : عيون الماء) . أما القسم الثالث فطوله ٢,٦ كم حتى المصب ، وفيه يصبح النهر عريضاً دائم الجريان يتجاوز عرضه ٥٠ م ويصلح لسير الزوارق والمراكب الصغيرة فيه .

مساحة حوض نهر إسكندرونة مع جميع روافده والسيول المنتهية إليه ٥٦١ كم^2 . وهو ، أي الحوض ، مؤلف في أجزائه الجبلية والعليا من صخور رسوبية عائدة للحقبة الجيولوجية الثانية (السينوماني ـ التوروني) ، ويغلب عليها الحجر الكلسي والدولوميتي (رَ : الصخور) ، في حين تسود بقية قطاعاته (الوسطى والدنيا) ترسبات رباعية لحقية ـ فيضية ومجروفات مائية سيلية من حصى وأحجار ورمال وغيرها من المواد الناعمة المكوّنة لأرض السهل الساحلي الفلسطيني . ويمر النهر في منطقة مصبه بين تلال وكثبان رملية ساحلية بعضها من تلال الكركار الرباعية . وهكذا فإن بناء وبنية حوض النهر بسيطان إذا استثني سير جزء من المجرى الأعلى للنهر على امتداد صدع شرقي ـ غربي ، وكذلك

مسايرة رافده وهو يمرّ في جزء من مجراه الأوسط لصدع شرقي ـ غربي آخر . ومن الجدير بالذكر أن المجاري العليا لهذا الرافد تمر في مناطق صخور سينونية ـ ايوسينية في الأجزاء الغربية من جبال نابلس . ولما كانت انحدارات المقطع الطولي لنهر إسكندرونة وروافده شديدة في الأجزاء الجبلية والتلّية المكوّنة من صخور الحقبتين الثانية والثالثة القاسية نسبيا فإن المياه تسيل في واد عميق ضيق محفور في الصخور المذكورة . أما في المنطقة الرباعية في السهل الساحلي الفلسطيني فإن ضعف الانحدار يسبب تعرج النهر وعدم تعمق واديه كثيراً في التوضعات الطرية . ويصبح الانحدار في الكيلومترات الأخيرة من النهر ضعيفاً جداً ، حتى إن الفيضانات تسبب نشوء برك ومستنقعات * على جانبي النهر جفف معظمها وحوّل إلى برك لتربية الأسماك * .

يخضع نظام جريان مياه نهر إسكندرونة للنظام المناخي السائد

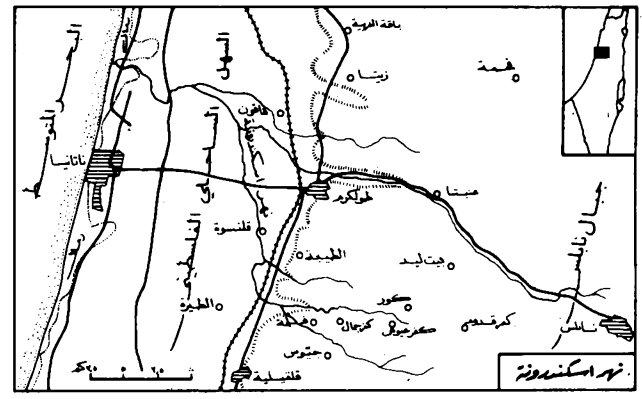

في الساحل الفلسطيني والسفوح الغربية لجبال فلسطين (رَ : المناخ) ، وتهطل في الشتاء أمطار تراوح كمياتها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ مم سنوياً ، فتسيل المياه على شكل سيول وفيضانات تملأ الأودية والروافد العليا للنهر ، في حين تنقطع في بقية فصول السنة ، ولا سيما في الصيف ، فتجف بطون الأودية ولا يبقى جارياً من مياه النهر سوى مياه المجرى الأدنى . وإن تبقّى في بعض الحفر شيء من الماء فإن حرارة الصيف العالية (متوسط الحرارة الصيفية ٢٦°) والتبخر الشديد (مقدار التبخر الصيفي في شهر تموز ١,٨٠٠ ـ ٢,٠٠٠ مم) يسببان جفاف الأودية وتبخر مياهها ، عدا ما يتسرب منها ضمن صخور بطن الوادي .

النشاط السكاني ـ الاقتصادي : حوض نهر إسكندرونة من المواطن القديمة التي عمرها الإنسان ، ومارس جوانب نشاطه الاقتصادي المختلفة فيها ، في السهل وفي التلال وفي الجبال ، من ساحل البحر وحتى مرتفعات نابلس . فقد عثر في موقع قرية أم خالد العربية على أدوات وأحجار صوانية (ظران) تدل على سكنى إنسان العصور الحجرية في حوض نهر اسكندرونة والسهل الساحلي الفلسطيني (رَ : العصور القديمة) . وتنتشر الخرب والآثار القديمة العائدة لما قبل العهد الروماني ، وتشهد الأسماء الكنعانية والسريانية على نشأتها القديمة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . واستمر إعمار واستغلال الإنسان لهذه البقعة من فلسطين حتى اليوم ، وما زالت بعض القرى والمدن القديمة قائمة ، منها طولكرم وقلقيلية * وعنبتا * والطيبة * والطيرة * وجتّ وغيرها .

اعتمدت الحياة في حوض النهر على الزراعة * والرعي * ، فقد قامت الزراعات المختلفة من زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة ، وفي مقدمتها الحمضيات * والزيتون * ، وازدهرت في الأجزاء المنخفضة والسهل ، إلى جانب تربية المواشي ولا سيما في الأجزاء العليا والتلال . وتزرع الحبوب بعلاً بمساندة قليلة من الري في حين تعد بقية الزراعات مرويّة . أما أشجار الفواكه ، عدا الحمضيات ، فهي أقل أهمية وتعتمد على الري . وقد تراجعت زراعة أشجار الزيتون من السهل أمام انتشار زراعة الحمصيات ، فما عادت أشجار الزيتون تُرى إلاّ في أجزاء المجرى الأعلى للنهر حيث تتوزع مساحات الزيتون على التلال والمرتفعات الغربية لجبال نابلس متناوبة مع حقول القمح * والشعير والخضر * وأشجار الفاكهة . وقد انتشرت تربية المواشي من أغنام ومعز وأبقار في حوض نهر إسكندرونة (رَ : الحيوانات الأليفة) . والبقاع الوحيدة التي تكاد تخلو من الزراعات هي الكثبان الرملية قرب الساحل ، ومناطق الصخور الجرداء في الداخل ، ومناطق المستنقعات التي حوِّل معظمها إلى أحواض لتربية الأسماك .

وتنتشر في منطقة حوض النهر شبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية للسيارات وللقطارات تربط المنطقة بجميع أنحاء القطر الفلسطيني ، مما يسهل عملية التطور والتنمية وانتشار العمران (رَ : الطرق) . وانطلاقاً من إدراك الصهيونيين للأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة بدأوا أعمال استيلائهم على أراضيها بشتى الأساليب مبكرين ، تشهد على ذلك حادثة أراضي سهل وادي الحوارث * (منطقة المجرى الأدنى من نهر اسكندرونة) وتدخّل سلطات الاحتلال البريطاني لصالح الصهيونيين ، واحتلال المنطقة بأكملها بعد ١٩٤٨ ، وطرد سكانها العرب منها ، وإقامة المدن والمستعمرات الصهيونية على أراضيهم (رَ : القرى العربية المندثرة قبل ١٩٤٨) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ ، وج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحات نتانيا وطولكرم وسلفيت ويافا ـ تل أبيب .

الإســـلام :

حمل المسلمون رسالة الإسلام في حماسة بالغة إلى الناس في أطراف الجزيرة العربية وما يتلوها من بلاد بعد أن ملك الإيمان عليهم أنفسهم ، ولفت القرآن الكريم أنظارهم إلى عالمية الدعوة ، وكلّفهم تبليغها للناس . فقامت حركة الفتوح الإسلامية لتمهيد الطرق أمام الإسلام الذي وجد طريقه إلى القلوب بالحجة والإقناع .

كانت فلسطين آنذاك تحت حكم الإمبراطورية البيزنطية ، وبحكم موقع البلاد وجوارها لمهد الإسلام كانت من أسبق البلدان التي تطلع المسلمون إليها .

ويرجع تطلع المسلمين إلى نشر الإسلام في فلسطين إلى عهد النبي ﷺ ، وآية ذلك كُتُبُ الرسول التي بعثها إلى حكام فلسطين والبلدان المجاورة ودعاهم فيها إلى الإسلام ، والبعوث التي وجهها إلى أطراف بلاد الشام . فقد جهّز بعث مؤتة في السنة الثامنة للهجرة / ٦٢٩م ، ثم خرج النبي ﷺ بجيشه في السنة التي تلتها إلى تبوك . وكان قد أعدّ قبيل وفاته (١١ هـ / ٦٣٢م) جيشاً بقيادة أسامة بن زيد وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين .

وسار أبو بكر الصدّيق على النهج الذي بدأه النبي فاختار عمرو بن العاص * ـ أحد أبرز القادة ـ لفتح فلسطين وتحريرها من ربقة الروم . وحينما اتجه عمرو بن العاص إلى فلسطين أوصاه الخليفة الأول وصية أشبه ما تكون بالخطّة العسكرية يُعرف منها حرص أبي بكر على المسلمين ، وسلوك الأمراء مع سكان البلاد التي اتجهوا إليها ، وضرورة الوفاء لهم بعهودهم .

التقى المسلمون بقيادة يزيد بن أبي سفيان * بالروم في وادي عربة سنة ١٣هـ / ٦٣٤م ، وكانت الروم بقيادة سرجيوس بِطْريق فلسطين ، وكان مقره قيسارية * جنوبي حيفا * . ونجح المسلمون في دحر الزوم ، واضطروهم أن يرتدوا إلى غزة * بعد أن أفنوا الكثيرين منهم . كما ألحق عمرو بن العاص الهزيمة بجيوش بيزنطة في أجنادين ـ بلد بين الرملة * وبيت جبرين * ـ واضطرت إلى التراجع نحو بيت المقدس بقيادة الأرطبون . وكان المسلمون قد أحرزوا نصراً حاسماً في اليرموك أدى إلى تسلّمهم زمام بلاد الشام (رَ : اليرموك ، معركة) .

وقد استطاعت الجيوش الإسلامية بعد المعارك الحاسمة التي خاضتها أن تثبّت أقدامها في فلسطين ، وفتحت بيسان * وطبرية * ، وأذعنت لهم كل من : بيت جبرين ، ونابلس * ، واللد * ، وغزة ، ورفح * ، وعسقلان ، ويافا * ، وعكا * ، وعمواس . وفرضوا الحصار على بيت المقدس أربعة أشهر استسلم بعدها البطريق صفرونيوس لهم بشرط أن يتسلم المدينة الخليفة نفسه . فقبل عمر بن الخطاب * ذلك ، ودخل بيت المقدس ، وكتب لأهلها عهداً أمّنهم فيه على دينهم وأنفسهم وأموالهم وفرض عليهم جزية زهيدة (ر : ايلياء ، عهد) .

كان لفتح بيت المقدس سنة ١٦هـ / ٦٣٦ م وقع عظيم لدى المسلمين لأهميتها الدينية ، فهي مسرى الرسول ﷺ ومنها عرّج إلى السماء ، كما أنها أولى القبلتين . وقد ترك الفتح أثراً واضحاً في معنويات المتحاربين ، فزاد النصر المسلمين إصراراً على إتمام الفتوح ، وبذلوا في ذلك كثيراً من الدماء ، وخذلت بيزنطة وزال نفوذها عن البلاد إلى الأبد ، واستراح السكان من استبدادها الديني والضريبي والسياسي .

وقد أعقب حركة الفتح انتشار الإسلام في فلسطين واستقرار العرب فيها .

وكانت فلسطين معروفة في وقت مبكر من تاريخها عند العرب الذين أقاموا على أرضها وازدادت جموعهم منذ القرن الثالث الميلادي حتى ظهور الإسلام ، ومن ذلك توطن لخم * وجذام * في جنوبي فلسطين (رَ : العرب قبل الإسلام في فلسطين) .

ومع موجة الفتوحات الظافرة اتسعت الهجرة ، وزاد استقرار العرب وتوطنهم في البلاد ، ولا سيما بعد أن اتخذت طبرية واللد مراكز رئيسة للأجناد ، كما وضعت حاميات في المدن الساحلية كقيسارية وعسقلان ، ووطنت تلك الحاميات بمنحها الأراضي منذ عهد الخليفتين عمر وعثمان .

وتشير المصادر في مطلع العصر الأموي * إلى القبائل الكبرى في فلسطين ، ومنها كنانة وقيس * وعاملة * وبلقين وكندة * وكلب * ، إضافة إلى لخم وجذام الذين أسلموا بعد الفتح . وقد تفرعت من تلك القبائل بطون وعشائر سكنت فلسطين ، سهلها وجبلها وأطراف صحرائها وأوديتها .

وقد عجّل ذلك التوطن ، واتخاذ بعض الخلفاء والأمراء من مدن البلاد وقراها وغورها مقراً لهم ، وتشييد مدينة الرملة وغيرها من العمائر الإسلامية في الوسط الفلسطيني ، عجّل بصبغ فلسطين بالصبغة العربية الإسلامية ، وما ان حل الصدر الأول من العصر العباسي * حتى كان تعريب البلاد وسيادة الدين الإسلامي قد بلغا الذروة .

ويقسم المجتمع الإسلامي في فلسطين بوجه عام إلى حضر وبدو . والحضر هم أهل المدن والقرى ، وقد اتصفت حياتهم

بالاستقرار ، واشتغلوا بالنشاط الاقتصادي من تجارة * وزراعة * وصناعة * . وكانت مدن فلسطين ، كبيت المقدس والخليل * وبير السبع * وغزة ونابلس والرملة ويافا وحيفا وعكا ، المحور الأساسي لنشاط الحضر ، وكانت مساجدها مراكز إشعاع لنشر الإسلام . وقد أرسل عمر بن الخطاب إلى فلسطين معاذ بن جبل * ، وهو من أعلم الناس بالحلال والحرام ، وعبادة بن الصامت * وعبد الرحمن بن غَنمْ شيخ أهل فلسطين لتعليم الناس أمور الدين . وظهر بعد هؤلاء كثيرون قاموا بالمهمة نفسها على اختلاف عهود تاريخ فلسطين .

وقد نبغ من أهل فلسطين كثيرون في الإدارة * والسياسة والحرب والعلم والفقه والحديث والتعليم والقضاء * ساهموا ، مع غيرهم من علماء الأمصار الأخرى ، في إقامة الحضارة العربية الإسلامية وازدهارها .

وقد حفلت المدن الفلسطينية بحياة اجتماعية نشطة تجلّت في الأعياد الدينية التي شارك في إحيائها المسلمون كافة ، وحرصوا على إضفاء قدر من البهاء عليها ، لا سيما عيدي الفطر والأضحى ومولد النبي ﷺ ، فضلاً عن شهر رمضان .

أما القبائل فكانت هجرتها إلى فلسطين في صدر الإسلام تقوم على أسس عسكرية واقتصادية ، وشجع الخلفاء الهجرة إلى الأمصار وفق متطلبات الجهاد ، وشحن السواحل بالمقاتلين ، وإقطاع من ينزلها القطائع . كما مُنِحت الأراضي الخالية في الأماكن النائية ، أو الاستراتيجية التي جلا عنها أهلها عند الفتح ، للقبائل المهاجرة وللقبائل التي سبقت بالاستقرار . وكان عثمان بن عفان قد استنّ سياسة إنزال العرب بمواضع نائية من المدن والقرى ، وأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حقَّ فيها لأحد . أما المناطق التي أقام عليها أهلها فقد تركت زراعتها للفلاحين وأهل القرى منهم .

وقد استمرت بعض القبائل على حياة البداوة وتربية الماشية ، واستقر بعضها الآخر في الحواضر والإقطاعات التي منحت لهم . وكان الحكام قد استغلوا الصوافي ـ وهي التي قتل أصحابها أو جلوا عنها ـ في منح الإقطاعات للقبائل أو الأفراد ، فعمّ الاستقرار مناطق متعددة في فلسطين .

إن دخول الأقوام غير العربية في الإسلام جعل مسلمي فلسطين يرجعون إلى أصول جنسية مختلفة ، لكنهم عاشوا في البلاد شعباً واحداً ذا لغة واحدة مدة أربعة عشر قرناً مضت .

ومعظم سكان فلسطين قبل الغزو الصهيوني مسلمون أكثرهم سنيّون. وهم ينقسمون إلى مذاهب أربعة ، كانت نسب أتباعها على عهد الانتداب البريطاني ٧٠٪ شافعيون ، ٢٠٪ حنفيون ، ٩٪ حنابلة ، أما أتباع الإمام مالك فكانت نسبتهم ١٪ . ولكل مذهب من هذه المذاهب قاض يحكم بين أفراد فئته على أساس مذهبهم الديني (ر : المذهب الشافعي والمذهب الحنفي والمذهب الحنبلي) .

وقد نظر المسلمون إلى أصحاب الديانات الأخرى نظرة تسامح انطلاقاً من دعوة الإسلام إلى بناء العلاقات الإنسانية على أساس من المحبة والعدالة والمساواة .

وقد كانت سياسة المسلمين في فلسطين تقوم على تأمين الناس على أنفسهم وأموالهم ، وأكّدت كتب الصلح هذه السياسة ، فكتاب عمر بن الخطاب إلى أهل بيت المقدس لا يقتصر على منح الأمان لأهل المدينة فحسب ، بل شمل الروم ومن كان بها من أهل الأرض : " من أقام منهم فهو آمن ، ومن شاء أن يخرج إلى الروم كان له ذلك " ، وحينما استردّ صلاح الدين الأيوبي * بيت المقدس من الفرنجة * سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م سار على هدي ذلك التسامح في معاملة الصليبيين المغلوبين .

وقد انتظمت الدولة الإسلامية في فلسطين كل من كان يعيش تحت سمائها في حرية وصفاء ما التزم بشروط الصلح ودفع الجزية . وقد توخى المسلمون العدالة في جباية الجزية التي فرضت على القادرين من الرجال دون النساء والأطفال بشكل يقلّ عما كانوا يدفعونه للروم من ضرائب . كما كانت تجبى في الوقت الملائم فلا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم (ر : الضرائب) .

وإلى جانب تأمين الأنفس والأموال أمّن المسلمون أهل الذمة في عقائدهم ، فلم يرغموا أحداً منهم على الدخول في الإسلام ، بل أعطى عمر بن الخطاب أهل بيت المقدس وأهل لدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم ، " أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ولا مللها ، ولا من صُلُبهم ولا من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم " . فعاش أهل الذمة في فلسطين في ظلال وارفة من تسامح المسلمين على امتداد الحكم الإسلامي بوجه عام . وأدّوا شعائرهم الدينية دون أن يتعرّض لهم أحد .

وقد لجأت الدول الإسلامية في معظم فترات تاريخها إلى سياسة التعايش الديني . والإسلام لا يميل إلى استخدام القوة أو العنف لنشره بل يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة ، ويجادل الناس بالتي هي أحسن . وكان دور الفتوحات أن هيأت السبل أمام وصول دعوة الإسلام للناس في فلسطين ، فمن قبلها دخل في جماعة المسلمين ، ومن أبى فليس عليه للمسلمين إلّا ما عوهد عليه .

وعندما استقر المسلمون في فلسطين تدفقوا في أرجاء البلاد ينشرون دينهم في حماسة دائبة تنفيذاً لأمر الله واقتداء بسنة رسوله ، واتخذوا من دينهم منهجاً يسيرون عليه في حياتهم بعد أن تشبّعوا بروح الإسلام ، وضربوا الأمثلة على التمسك بأصوله وقواعده ، ممّا يسر أمر انتشاره .

وقد توطّدت الصلات الودية بين المسلمين وسواهم من أصحاب الديانات الأخرى ، وأخذوا في الاندماج السلمي عقب حركة الفتوح ، وأخذ التماثل في العادات والأخلاق يتم تدريجياً ، ونقل ديوان فلسطين من الرومية (اليونانية) إلى اللغة العربية في عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي . ولا شك في أن هذه الأمور مجتمعة قد تركت صدى في الحياة الدينية والفكرية لدى الكثيرين فأقبلوا على دخول الإسلام وتعلم اللغة العربية عن اختيار وإرادة حرة .

وكان الفتح الإسلامي قد أيقظ القرابات القديمة بين عرب فلسطين وإخوانهم من عرب الجزيرة ، وجمعتهم وحدة اللغة والجنس ، فأقبلت قبائل فلسطين على اعتناق الإسلام ، وشاركت في حركة الفتوح الممتدة إلى الغرب والشمال ، وتحقق التواصل الاجتماعي بين العرب الوافدين والسكان المقيمين .

ولا شك في أن الحياة الفكرية التي ازدهرت في العالم الإسلامي منذ القرن الثاني الهجري قد حملت الكثيرين على اعتناق الإسلام ، وغدت فلسطين بلداً عربياً إسلامياً .

المراجع :

ـ توماس أرنولد : **الدعوة إلى الإسلام** (مترجم) ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ البلاذري : **فتوح البلدان** ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ جاك ريسلر : **الحضارة العربية** (مترجم) ، القاهرة .
ـ حامد عبد القادر : **الإسلام ظهوره وانتشاره في العالم** ، مصر ١٩٥٦ .
ـ ويل ديورانت : **قصة الحضارة** (مترجم) ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ شكري فيصل : **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول** ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ الطبري : **تاريخ الرسل والملوك** ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : **الموجز في تاريخ الدول العربية وعهودها في بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ الواقدي : **فتوح الشام** ، بيروت ١٩٦٦ .
— **The Encyclopaedia of Islam,** New Edition, Leiden, 1960.

إسماعيل (النبي) :

إشماعيل ، أو إسماعيل كما اشتهرت لسهولة النطق ، هو جدّ

العرب المستعربة . ويعتقد أنه أول من نطق بالعربية . تختلف المعلومات عنه في تفاصيلها بين كتب الرواة وما تذكره التوراة بشكل خاص . وهو ابن إبراهيم الخليل * من زوجه هاجر (وهي أَمَة سارة زوج إبراهيم الأولى) . تذكر المصادر أن إسماعيل كان مقرباً من أبيه لدرجه أنه ختنه وهو في الثالثة عشرة من عمره . كما تذكر أنه كان على علاقة سيئة بإسحق * أخيه من أبيه وسارة . ويبدو أن تأثير سارة على إبراهيم قد أدّى بالنهاية إلى انفصال إسماعيل ووالدته هاجر عن أبيه إبراهيم .

حقق أولى معجزاته أثناء مساعدته أباه على بناء البيت الحرام ، وكاد يموت من الظمأ إلى أن أمره هاتف بحفر البئر المشهورة زمزم . أقام إسماعيل وهو في طريقه إلى مصر برفقة أمه فترة في صحراء باران (أو فاران) وعاش على الصيد . وتضيف بعض المصادر أنه تزوج للمرة الأولى من إحدى نساء قبيلة جرهم ، وأن والده أكرهه على تركها بعد زيارته إياه للمرة الأولى ، في حين تذكر مصادر أخرى أنه تزوج بإيحاء من أمّه من سيدة مصرية ، وأنه أنجب اثني عشر ولداً من الذكور ، وسكنت جماعته بادية الشام وهادار (أو حدر) ، وتيما ، ويطور ، ونافيش ، وكيديما (أو قيدما) ومن هؤلاء تحدرت اثنتا عشرة قبيلة عربية بادت سريعاً باستثناء نابت وقيدار * اللتين استمرتا لفترات أطول وذكرهما الأخباريون العرب . كما رزق بابنة هي ماهالات أو باشمات . وقد اتخذت ذريته مكاناً لإقامتها بين هافيلا (أو حويلة) وشور في القسم الشمالي من الصحراء العربية . وقد أطلق عليها اسم « الإسماعيليين » أو « الهاجريين » ، وفي أزمنة متأخرة اسم ساراكنس *Saracens* .

تذكر الروايات أنه عندما حضرت إسماعيل الوفاة كان قد بلغ من العمر مائة وسبعة وثلاثين عاماً ، وأنه أوصى بزواج ابنته الوحيدة من ابن عمها عيسو أو العيص بن إسحق ودفن عند قبر أمه هاجر .

المراجع :

ـ جواد علي : **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ **سفر التكوين** .
ـ ابن كثير : **البداية والنهاية** ، ج ١ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ الطبري : **تاريخ الرسل والملوك** ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٧ .
— Fleming: **The Dictionary of the Bible** London 1910.

إسماعيل بن إبراهيم بن محمد (٧٨٢ ـ ٨٥٢ هـ) (١٣٨٠ ـ ١٤٤٨م) :

ابن شرف المقدسي ، الشافعي ، عماد الدين ، أبو الفداء ، فقيه ، فرضيّ ، حاسب ، متأدب .

ولد ابن شرف في بيت المقدس ونشأ فيه . واشتغل بالعلم فحفظ القرآن ، وحفظ كتباً كثيرة ، وأخذ العلم والحديث عن علماء بلده .

ولازم شهاب الدين بن الهائم المتوفى سنة ٨١٥هـ/١٤١١م ، وقرأ عليه غالب تصانيفه ، وانتفع به كثيرا في العلوم الرياضية وغيرها من العلوم . وحصل منه على الإجازة . ووصف السخاوي تلك الإجازة بأنها إجازة حافلة .

تفوّق ابن شرف وصار إماماً في الحساب بأنواعه ، كما يقول السخاوي . وصار عالما بعلوم الوقت ، والفرائض ، والفقه ، مبرّزاً في النحو ، متقدّماً في الأصول ، واسع الاطلاع في المعقول والمنقول . ووصفه مجير الدين الحنبلي صاحب « الأنس الجليل » فقال : "عين فقهاء الشافعية " .

توجّه إلى مكة حاجّا . ومن ثم رحل إلى القاهرة في سبيل العلم فأخذ عن علمائها ، ومنهم أحمد بن حجر العسقلاني *، وجلال الدين البلقيني ، وولي الدين العراقي ، وغيرهم . وكان ابن شرف عند قدومه عانى الفقر والبؤس ، فكان يبيع البطيخ على باب الجامع الأزهر ، وبلغ أمره أحد العلماء فعهد إليه بتعليم أولاده مقابل أجر .

عاد ابن شرف إلى بيت المقدس وصار أحد أركان العلم فيه ، ودرّس العلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والعلوم الرياضية ، بالمدرسة الصلاحية في بيت المقدس .

صنّف ابن شرف مصنفات كثيرة : ففي الفقه والأصول صنّف توضيحاً لكتاب « البهجة الوردية » لزين الدين عمر بن مظفر الوردي المتوفى سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٧م ، في مجلدين . وله مصنف وضعه حول كتاب « التنبيه في فروع الشافعية » للشيخ أبي إسحق إبراهيم بن علي الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٢ م .

ومنها مختصر كتاب طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، ومختصر لكتاب في الألغاز لجمال الدين عبد الرحيم بن حسن الأسنوي الشافعي المتوفى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م ، وكتاب وضح فيه ألفية شيخه شمس الدين البرماوي في الأصول .

وشرح ابن شرف هذا مصنفات شيخه ابن الهائم . ولم يوضح السخاوي أو غيره المصنفات التي شرحها ابن شرف من مصنفات شيخه ، وهي كثيرة . وفي أغلب الظن أن ابن شرف عني بمصنفات شيخه في العلوم الرياضية بخاصة . ويؤكد هذا أن من مصنفاته كتاب « اختصار مفتاح ابن الهائم» في الحساب .

ولابن شرف نظم قليل .

توفي ابن شرف في بيت المقدس ودفن بمقبرة الساهرة .

المراجع :

ـ السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، القاهرة ١٣٥٣ ـ ١٣٥٥هـ .
ـ السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، القاهرة ١٨٩٦ .
ـ الشوكاني : البدر الطالع مَنْ بعد القرن التاسع ، القاهرة ١٣٤٨هـ .
ـ السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، نيويورك ١٩٢٧ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، إستانبول ١٩٤١ .
ـ إسماعيل البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، إستانبول ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ .

إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم (٩٣٧ ـ ٩٩٣هـ) (١٥٣٠ ـ ١٥٨٤م) :

النابلسي الشافعي . اشتغل بالعلم منذ صباه ، وقرأ على جماعة من العلماء العلوم الشرعية ، واللغوية ، والعقلية . درّس في دمشق بالجامع الأموي ، ودار الحديث الأشرفية . كما درّس في المدرستين الشاميّة البرّانية ، والعادليّة الكبرى ، وغيرهما . واشتغل بالإفتاء ، وعني بالكتب . وأصبح ، لعلمه وفضله ، من أعيان العلماء في دمشق . واشتغل الشيخ إسماعيل بالزراعة إلى جانب اشتغاله بالعلم .

ومن مصنفاته : « حاشية على صحاح الجوهري » و« رسالة في الردّ على الكفرة » .

المراجع :

ـ نجم الدين الغزي : الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، بيروت ١٩٤٥ ـ ١٩٤٩ .
ـ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٥٧ .

الأسماك :

في فلسطين مساحات مائية تنتشر في اليابسة ، كالبحيرات والبرك والمستنقعات * ، وأنهار دائمة الجريان تعيش فيها أسماك المياه العذبة . وتشرف فلسطين بسواحل طويلة على البحر المتوسط ، وبساحل قصير على مياه خليج العقبة * في أقصى الجنوب ، وتعيش في هذه السواحل أسماك المياه المالحة . والأسماك جزء من غذاء إنسان فلسطين منذ القدم . وقد تطور استغلال هذه الثروة الغذائية تطوراً كبيراً مع ازدياد الأهمية الاقتصادية للأسماك ، فأقيمت مزارع لتربية السمك في برك وأحواض صناعية مكان البرك والمستنقعات الطبيعية ، أو قربها ، وعلى امتداد بعض الأنهار ، وقرب السواحل .

ولما كانت البيئات المائية في فلسطين متنوعة فإن أنواع الأسماك الموجودة فيها تتغير تبعا لذلك . وتقسم البيئات المائية الحالية في فلسطين إلى :

١) نهر الأردن * وبعض الروافد العذبة المياه الصابة فيه والأنهار الساحلية .
٢) بحيرة طبرية * ومنطقة الحولة .
٣) أحواض تربية الأسماك .
٤) بيئة البحر المتوسط .
٥) بيئة مياه خليج العقبة وشعابها المرجانية .

وتنتمي أسماك البيئات الثلاث الأولى إلى مجموعة أسماك المياه العذبة ، في حين تنتمي أسماك البيئتين الرابعة والخامسة إلى مجموعة أسماك المياه المالحة .

بدأت دراسة الأسماك في فلسطين ، ولا سيما أسماك المياه العذبة ، مبكرة في القرن الثامن عشر ، إذ نشرت عام ١٧٥٧ م أول دراسة حولها قام بها العالم « هاسيلكيست » أعقبتها ، وإلى اليوم ، دراسات ونشرات وتقارير ومقالات وكتب جيدة نشرها عدد من العلماء الاختصاصيين . وهكذا أصبح بالإمكان تقديم صورة دقيقة متكاملة عن الثروة السمكية لفلسطين ، ودراسة صحيحة للأنواع والأصناف التي أضحت معروفة ، ويقدر عددها حالياً بنحو ٤٣٤ نوعاً من الأسماك في المياه العذبة والمالحة .

أ ـ مجموعة أسماك المياه العذبة : يتأثر وجود انتشار الأسماك في المياه العذبة في فلسطين بعوامل كثيرة منها نقاء المياه ونسبة ملوحتها ، ونوع الغذاء وكميته ، ووجود المخابىء بين الطحالب والأحجار ، ودرجات الحرارة القصوى والدنيا للمياه ، وكذلك عمق المياه وسرعة جريانها ، وتركيز الفحمات (الكربونات) الذي يشكل عاملاً مهماً لحياة الأسماك . وقد أدى ذلك كله إلى توزع الأسماك ووجود مواقع كثيرة لها يزيد عددها على ٢٤٠ موقعاً في أنحاء فلسطين المختلفة .

١) أسماك مياه وادي الأردن : هي الأسماك التي تعيش في مياه نهر الأردن نفسه . ومن أهم أنواعها البلطي الزيللي الأخضر *Tila-pia Zilli* ، والبلطي الجليلي *Tilapia Galilaea* ، والشبوط الكانس *Barbus canis* والشبوط اللونجيسبس *Barbus longiceps* . وتوجد هذه الأنواع في المجاري العليا لنهر الأردن وبعض الروافد في

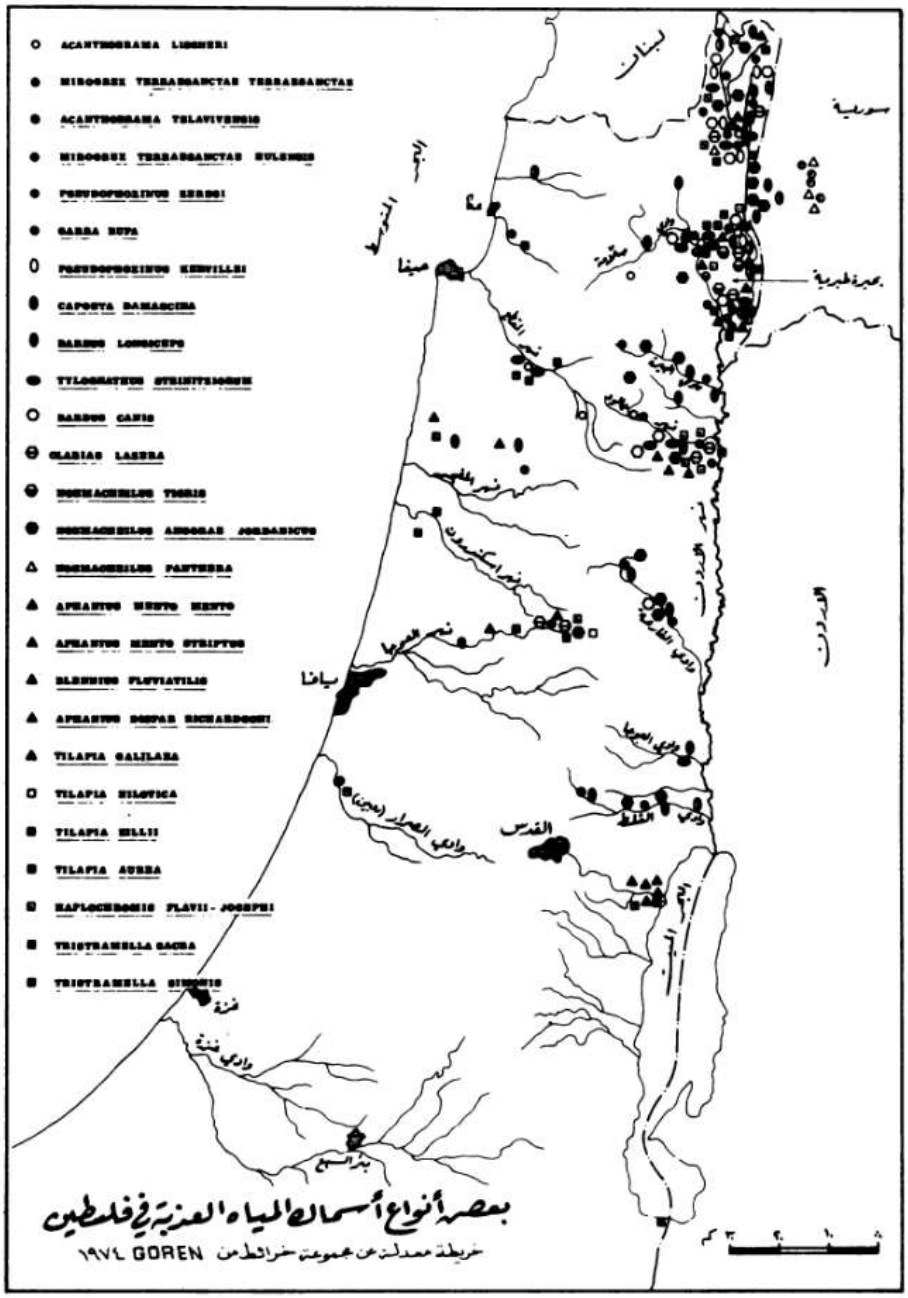

صيد السمك في غزة

منطقة الحولة . أما في نهر بانياس ومنابعه وأمثاله من المجاري المائية السريعة الجريان حيث تنعدم النباتات والخضراوات المائية وتنتشر الأحجار في قيعانها فتكثر أنواع أخرى من الأسماك منها الكركور الأحمر *Gara rufa* ، والكابوتاداماسين *Capoeta Damascin* ، ولخ الأنكورة الأردني *Cheilus Noema angorae Jordanicus* . ويوجد الكركور الأحمر ، وسمك بطريخ المنتو *Amphanius mento* ، وغيرها في مياه وادي بيسان ومنطقتها وجداولها الصغيرة الرافدة مباشرة أو بشكل غير مباشر لمياه نهر الأردن .

٢) أسماك بحيرة طبرية : تعد بحيرة طبرية أهم مساحة مائية داخلية ذات مياه عذبة غنية بالأسماك ، مساحتها قرابة ١٦٨,٦ كم٢ ، وأكبر عمق فيها يصل إلى ٤٤ م ، وكتلة مياهها نحو ٤,٢٣٦ مليون م٣ . وتتميز مياهها بارتفاع نسبة الكلوريد بالقياس إلى الكربونات ، كما أن نسبة الصوديوم فيها أعلى من نسبة الكالسيوم . وهي ميزات طبيعية لبحيرة داخلية ترتفع درجات الحرارة في منطقتها فيؤدي ذلك إلى تبخر يرفع كميات الأملاح المحمولة إليها من المياه الصابّة فيها . وتراوح حرارة مياه بحيرة طبرية بين ١٢° و١٥° في الشتاء ، وتبلغ ٣٠° في الصيف . علماً بأن درجة

الحرارة ١٥° تظل ثابتة طوال العام على عمق ٢٠ م فما دون . وتتغير نسبة الأوكسجين في مياه البحيرة فترتفع في فصل الشتاء وتنخفض في الصيف . وأشهر أنواع السمك الموجودة في طبرية منذ العهد الروماني المشط (البلطي) والشبوط والسلور .

أما الأسماك الموجودة المعروفة اليوم فهي جميع الأنواع التي سبق ذكرها من أسماك مياه وادي الأردن (رَ: الغور) ، ما عدا أسماك لخ الأنكورة الأردني ، ولخ بانثيرة *Noemacheilus Panthera* . وتكثر إلى جانب هذه الأنواع أسماك لخ تيجرس ـ الدجلة *Noemacheilus Tigris* ، وبليني‌وس النهري *Blennius fluviatilis* ، وتريستاميلا ساكرا *Tristamella sacra* ، وتريستاميلا سيمونيس *Tristamella Simonis* .

وكانت بحيرة طبرية مصدراً هاماً لبيع السمك الطازج في طبرية * وصفد * والناصرة * . أما سمكها المملح فكان يصدّر إلى القدس * ودمشق في العهد العثماني . وكانت الحكومة العثمانية تتقاضى خمس المحصول من أصحابه . ولكن هذه الضرائب ألغيت عام ١٩٢٠ وأصبح الصيد مباحاً للجميع شرط الحصول على رخصة للصيد ، مما أدى إلى ازدياد عدد الصيادين وارتفاع كمية ما يصاد من أسماك إلى ٣٠٠ ـ ٣٥٠ طناً في السنة . لكن الحكومة عادت عام ١٩٣٥ فحددت عدد الأفراد المسموح لهم بالصيد ، ثم حددت في عام ١٩٤٠ اتساع عيون الشباك المستعملة في الصيد لمنع انقراض الأسماك في بحيرة طبرية .

كان جميع الصيادين من السكان العرب الذين بلغ عددهم عام ١٩٤٨ نحو ٢٠٠ صياد توارثوا مهنة الصيد في أسرهم ، وكانت نساؤهم يساعدنهم في إصلاح الشباك . وكان اهتمام الصهيونيين بصيد السمك ضعيفاً ، لكن ازداد بعد عام ١٩٤٨ ، وارتفع عدد قوارب الصيد في البحيرة فارتفعت كمية السمك المصطاد إلى ٩٥٣ طناً عام ١٩٥١/١٩٥٢ . وأهم مراكز الصيد هي الشواطىء الشمالية والشمالية الغربية والشواطىء الشرقية للبحيرة .

٣) أسماك ينابيع سواحل البحر الميت : لا تسمح الشروط الفيزيائية والكيميائية لمياه البحر الميت * بوجود ثروة سمكية فيها . لذا اقتصر وجود الأسماك على نقاط محدّدة مرتبطة بالينابيع والمجاري المائية القصيرة على سواحل البحر الميت ، وبشكل خاص على الساحل الشمالي الغربي منه . مياه هذه الينابيع ومجاريها ضحلة عكرة بطيئة الجريان تكثر الحجارة والصخور والنباتات في قيعانها . وفيها من الأسماك سمك بطريخ ديسبار هاردسوني *Aphanius dispar hardsoni* ، وبطريخ ديسبار ريتشاردسوني *Aphanius dispar richardsoni* ، وبطريخ منتو *Aphanius mento* ، ثم البلطي الزيللي الأخضر *Tilapia Zilli* ، والبلطي الأوريا *Tilapia aurea* .

٤) أسماك الأنهار الساحلية : تصب في البحر المتوسط مجموعة من الأنهار الصغيرة ذات المياه الدائمة الجريان في مجاريها الدنيا كنهر وادي القرن * والنعامين * والمقطّع * والزرقا * والمفجر وإسكندرونة * والعوجا * وروبين ـ الصرار * . ومياه بعض هذه الأنهار سريع الجريان كوادي القرن الذي توجد فيه أسماك من نوع كابوتا داماسين *Capoeta damascine* . ومعظمها بطيء الجريان وعميق وعريض توجد فيها أنواع من السمك البلطي أهمها البلطي الأخضر ـ الزيللي ، والبلطي الجليلي .

٥) أسماك البرك الصناعية : لبرك تربية الأسماك الصناعية دور رئيس في إنتاج السمك في الأرض المحتلة . وقد تم إدخال أنواع من سمك *Cyprins caripo* في بداية مرحلة استخدام برك المياه العذبة لتربية الأسماك أوائل الثلاثينات ، لكن ذلك لم يعمم إلا بعد عام ١٩٣٩ حين بدأت المساحة المستغلة تزداد من ١٥ هكتاراً في عام ١٩٣٩ إلى ٣,٤٠٠ هكتار في نهاية عام ١٩٥٣ . أما معدل الإنتاج لكل هكتار فقد زاد من ٩٠٠ كغ سنة ١٩٣٩ إلى أكثر من ١,٦٠٠ كغ . وقد بلغ الإنتاج ذروته عام ١٩٤٩/١٩٥٠ ، إذ وصل إلى ١,٧٦٠ كغ/هكتار ، في حين انخفض إلى ١,٤٨٠ كغ/هكتار عام ١٩٥١/١٩٥٢ .

وأهم العوامل التي ساعدت على زيادة الإنتاج طولُ الفترة التي تكون فيها درجة الحرارة ملائمة لنمو الأسماك (وهي ما بين ٢٥° ـ ٣٨°) لمدة ٨ ـ ١٠ شهور، بالإضافة إلى استخدام المخصّبات الصناعية الكيمائية ، وتربية سلالات من سمك الشبوط قادرة على العيش في ظروف البيئة الخاصة من حيث التربة * الملحة والماء ذو النسبة العالية من الكالسيوم . وقد خصص الكثير من البحوث العلمية ، وأجريت التجارب الكثيرة للتغلب على مشكلات تربية الأسماك ، وزيادة الإنتاج ، وإدخال أنواع جديدة من الأسماك لتربيتها في البرك ، وقد ساعدت منظمة الزراعة والأغذية الدولية *(FAO)* على إدخال نوعين من السمك عام ١٩٥٢ هما *Catla catla* و *Ctenophargngodon Edellus* ، وكانت النتائج جيدة بالنسبة إلى تربية سمك البوري *Mygil* . أما سمك *Salmo Irideus* المستورد فلم تنجح تجارب تربيته في البرك، في حين كان نمو سمك *Tinea tinea* بطيئا . وقد أجريت تجارب لتربية بعض الأسماك المحلية في البرك الصناعية مثل سمك البلطي الجليلي الموجود في بحيرة طبرية ، وسمك البلطي النيلي *Tilapia Nilotica* .

ب ـ أسماك المياه المالحة :

١) أسماك البحر المتوسط : تتأثر أسماك البحر المتوسط بعدة عوامل طبيعية أهمها :

(١) درجة الحرارة : الجزء الشرقي الجنوبي من حوض البحر المتوسط مماثلٌ للبحار الدافئة المدارية والاستوائية ، إذ تصل درجة حرارة مائه إلى ٢٩° ، وتبلغ حرارات المياه أعلى معدلاتها في شهر أيلول . وتأخذ الحرارة بالانخفاض من السطح باتجاه الأعماق حتى عمق ١٢٥ م حيث تستقر دون ذلك الحرارة بلا تغير على مدار العام . وبما أن الماء الدافىء أقل كثافة من الماء البارد فإن هذا يؤدي إلى طفو مياه الأنهار على السطح .

(٢) المحتوى الأوكسيجيني ودرجة الملوحة : لمياه نهر النيل تأثير كبير على درجة ملوحة مياه البحر المتوسط المقابلة للساحل الفلسطيني . ويراوح معدل درجة الملوحة للشواطىء الفلسطينية ما بين ٣٧ و٣٩,٥ غرام لكل ألف بالوزن . وعادة ما يكون ثابتاً عند ٣٩غ من شهر تشرين الأول إلى أيار ، ويرتفع في بداية فصل الصيف ، ولكن يحدث انخفاض مفاجىء في شهر آب وأيلول عند وصول مياه الفيضان من نهر النيل بسرعة ١٠ كم في اليوم . وبانخفاض درجة الملوحة يرتفع المحتوى الفوسفاتي لمياه البحر ، مما يؤدي إلى زيادة كمية العالقات النباتية التي تؤلف المصدر الغذائي الأول في السلسلة الغذائية . وقد أثر بناء السد العالي في مصر في درجة الملوحة هذه ، فلم يعد لمياه نهر النيل أثرها السابق في تخفيض درجة الملوحة .

(٣) التيارات المائية المتدفقة عبر قناة السويس : ترجع في أصولها إلى المحيطين الهندي والهادىء . وقد نتج عن هذه التيارات هجرة بعض الأسماك إلى البحر المتوسط ونجاحها في البقاء في المياه الفلسطينية القليلة العمق . ومع الوقت استطاع بعض هذه الأحياء القادمة أن يسود في البيئات الجديدة ، كما حدث لأسماك *Saurida Undosquammis* من عائلة *Sabillidae* ، وأسماك *Eurytho Camplanter* من عائلة *Amphinomidae* . وأصبح هذان النوعان من الأسماك الشائعة في السواحل الصخرية للشاطىء الفلسطيني .

وهناك نوع جديد من الأسماك المهاجرة يدعى *Synaptula Reciprocans* وقد سجل وجوده لأول مرة بمحاذاة الشواطىء الفلسطينية عام ١٩٦٠ ، وهو الآن نوع سائد . ويساعد اتجاه التيارات عبر قناة السويس الهجرة باتجاه البحر المتوسط لمدة عشرة شهور في حين تنعكس هذه التيارات باتجاه البحر الأحمر خلال شهري آب وأيلول .

ومعظم الأحياء المائية التي تنتقل عبر قناة السويس صغيرة أو في الأطوار اليرقية العالقة . وهي تواجه عبر القناة اختلافاً كبيراً في التغيرات الفصلية والملوحة ، ولا يصل منها إلاّ الأنواع القادرة على تحمل التغيرات البيئية الواضحة . وتوجد بعض أسماك البحر الأحمر في السواحل الفلسطينية ، ومنها *Rhonciscus striden* ، *Autisthes Puta* و *Herklocsichys Punctatus* .

وقد بيّن الصيادون أن كلب البحر وحنكليس السهم *Rays* لم يشاهدا في المياه الساحلية الفلسطينية قبل فتح قناة السويس . وتنتمي الأسماك العظمية القاطنة في الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط إلى أكثر من عشرين عائلة هي :

Gadidae (Cod fishes), Pleuronectidae (Flat-Fish), Clupeidae (Herrings), S. Comberesocidae (Skippers), Mugilidae (Gray Mullets), Sphyraenidae (Barracudas), Labridae (Wrasses), Maenidae (Picarels), Sparidae (Sea – Breams), Mullidae (Red Mullets), Triglidae (Gurnards), Percidae (Sea-Perches), Sciaenidae (Meagres), Scombridae (Mackerels), Carangidae (Horse Mackerels), Trichiuridae (Hairtails), Gobiidae (Gobies), Trachinidae (Weevers), Blennidae (Blennies), Amphinomidae Sabillidae.

٢) أسماك خليج العقبة : يتصف خليج العقبة بضيقه وعمق مياهه ، ويعدّ جزءاً من الانهدام السوري ـ الإفريقي ، ويمتد مسافة ١٨٠ كم من مضائق تيران إلى خليج العقبة . وعند طرفه الشمالي يصبح عرضه ٥كم في حين يصل أقصى عرض له الى ٢٨كم . وهذا يوضح أن قعر الخليج على شكل رقم ٧ . ودرجة حرارة الماء في الشمال أعلى منها في الجنوب ، وتنخفض درجة الحرارة لتصل إلى أدنى مستوى لها في شباط ، كما تصل إلى أعلى مستوى لها في شهري آب وأيلول . ويراوح المعدل السنوي لدرجة الحرارة ما بين ٢١° و٢٦° دون تأثّر بالحرارة اليومية أو بالتغيرات الفصلية .

وخليج العقبة جسم مائي هادىء . أما الأمواج فتبدأ بالتكوّن من العقبة وتصل إلى أعلى ارتفاع لها عند قرية ذهب حيث تبدأ بالاختفاء ثانية عند مضائق تيران . ويصل ارتفاع الأمواج إلى أعلى مستوى له وهو ٣,٥ م في العقبة خلال العواصف الجنوبية .

تمتاز العقبة بما تحويه من شعاب مرجانية تنتشر من السطح إلى عمق ١٠٠م، ثم تتناقص دون هذا العمق . وقد ساعدت نقاوة مياه خليج العقبة والتيارات المستمرة الهادئة على نمو الشعاب المرجانية التي أصبحت ملجأ طبيعياً لكثير من الأسماك . وقد ظهر أثر البيئة في الشكل واللون المميزين لأسماك الشعاب المرجانية . وأدّى وجود الشعاب المرجانية وطبيعة خليج العقبة إلى توفر بيئات كثيرة محمية ، وإلى تنوع الأسماك الموجودة في تلك المنطقة . وعلى هذا فإن الأنواع المختلفة من الأسماك تصل إلى ما يزيد على عدة

مئات من الأسماك العظمية ، إضافة إلى عدة أنواع معروفة من الأسماك الغضروفية .

وقد أدّى التقدم الصناعي ، وتلوث البيئة الساحلية ، ومخلفات المصانع إلى نقصان في الأسماك والحيوانات اللافقرية ، وإلى موت بعض المجتمعات الحية ، وخاصة القريبة من الشاطىء ، وإلى تغير الأنظمة البيئية والدورات الطبيعية وتغير الغطاء الطحلبي والأحياء القاطنة في تلك المناطق .

جـ ـ صناعة السمك في فلسطين : كانت صناعة السمك في فلسطين بشكل عام متأخرة عن ركب التقدم العام . وعلى الرغم من وجود طلب كبير للاسماك في الأسواق المحلية ، وعلى الرغم من طول ساحل فلسطين على البحر المتوسط ، كان ما يستخرج من السمك في فلسطين قرابة ٣٠٠ ـ ٩٠٠ طن من الأسماك في العام فقط . ويرجع هذا الانخفاض إلى عدة عوامل منها نقصان المرافىء الملائمة ، وصغر حجم أسطول قوارب الصيد ، بالإضافة إلى أن تجارة السمك كانت تسيطر عليها جماعة ليس لها أي دافع لزيادة كمية السمك . كما أن استعمال الصيادين للمتفجرات والمواد السامة قد أثر في كمية الأسماك الموجودة بالمياه الفلسطينية ، وأدّى إلى نقصانها .

ويبين الجدول التالي تطور صناعة السمك بين عامي ١٩٢١ و١٩٣٠ :

١٩٢١ ـ ١٩٢٥	١٩٢٨/١٩٢٧	١٩٣٠/١٩٢٩
عدد القوارب ٩١	٢٨٠	٣٤٥
عدد الصيادين ٥٣٤	٩٨٢	١,٠١١
كمية السمك المصطاد/كغ ٢٠٨,٦٣٧	٤٧٨,٧٧٢	٨٧٣,٢٥٤
كمية السمك المستورد/طن ١,٦٧٧	١,٧٢٤	١,٧٥٧

وفي عام ١٩٢٧ صيد ثلاثة أرباع السمك من المياه الإقليمية . وكانت أساليب الصيد بسيطة لا تتعدى استعمال الشباك العادية في المياه القريبة من الشاطىء . ولم تستعمل آنذاك الشباك ذات الكفاءة الأعلى . وكان عدد الصيادين المتفرغين لمهنة الصيد قليلاً معظمهم في مدينتي يافا * وحيفا * . وكان عدد القوارب قليلاً ، وأكثرها مصنوع محليا ، وبطول لا يتجاوز ثمانية أمتار . وقد لوحظ زيادة نشاط عملية الصيد في الثلاثينات بسبب انتهاج أساليب حديثة في الصيد ، وإقامة صناعة تعليب سمك السردين التي لاقت رواجاً .

والجدول التالي يبين الأهمية النسبية لمرافىء الصيد من أول شهر تشرين الأول ١٩٢٩ إلى تشرين الأول ١٩٣٠ :

المرفأ	كيلوغرام	النسبة
الزيب *	١٩,٢٣٦	٢,٠٪
عكا *	٤٦,٦٥٧	٤,٩٪
حيفا	٤٢٤,٢٨٠	٤٤,٦٪
الطنطورة *	٢١,٣٥٠	٢,٢٪
يافا	٣٠٦,٢٧٨	٣٢,٢٪
الجورة *	٧٣,٧٠١	٧,٨٪
غزة	٥٩,٧٨٧	٦,٣٪

وقد بلغت أنواع الأسماك المصطادة من شواطىء البحر المتوسط ، والموجودة في الأسواق المحلية خلال ثلاث السنوات التي تبدأ من شهر تشرين الأول ١٩٢٧ حتى تشرين الأول ١٩٣٠ تسعة وعشرين نوعاً . وأشهر أنواع الأسماك التي تم صيدها خلال هذه الفترة والتي تزيد نسبتها عن ٥٪ من المجموع الكلي للصيد هي : كلب البحر *Acanthias Vulgaris* (٥,١٪) ، والسردين *Clupea Spp* (١٨,١٪) ، والبوري *Mygil Spp* (١٣,٥٪) ، وداواكير *Epinepheles Spp* (٦,٥٪) ، وموسكار *Sciaena aquila* (١١,٤٪) ، وجونبار *Temnodon Saltator* (٦,٩٪) .

وكانت أعلى نسبة للصيد في شهر آذار من كل عام ، إذ تصل إلى ١٣٪ .

لم تكن السلطات الحكومية تقدم لصناعة الصيد المساعدة اللازمة لتحسينها وتطويرها . لهذا ظلت ضعيفة بدائية في الوقت الذي كان فيه أسطول صيد إيطالي يقوم بالصيد على السواحل الفلسطينية خلال الربيع من كل سنة ، ولم يكن المحصول يباع في الأسواق الفلسطينية بل كان يحفظ وينقل إلى أوروبا .

اشتهرت سواحل قيسارية * وأرسوف وعسقلان وغزة وعكا ويافا وحيفا بصيد الأسماك . وشكلت أسماك السردين نسبة كبيرة من الصيد ، وقد بلغت كمية ما صيد منها ومن البوري الرمادي والأحمر عام ١٩٤٤ قرابة ٢,٨٢٠ طناً .

وخلال الحرب العالمية الثانية ازداد عدد مصائد الأسماك في فلسطين فأصبح خمساً وأربعين بدلا من اثنتين فقط ، وبلغ عدد الصيادين خلال عام ١٩٤٥ في أنحاء البلاد ٣,٣٥٧ صياداً ، ومجموع ما صيد ٤,٠٤٠ طناً ، وعدد الزوارق المستعملة في الصيد ٦٧٣ زورقاً .

أما الثروة السمكية في خليج العقبة فلم تكن مستغلة لعدم

وجود طريق معبدة تربط العقبة بالمدن الفلسطينية الأخرى حتى قيام الحرب العالمية الثانية حين أنشئت ثلاجة لحفظ السمك وسفينة للتبريد ولجمع السمك من الصيادين . وقدر السمك المستخرج من خليج العقبة منذ عام ١٩٤٣ وحتى أوائل عام ١٩٤٥ بنحو ٢٥ طنا تم شحنها وبيعها في فلسطين .

وفي عام ١٩٥١/١٩٥٢ كان إنتاج السمك البحري ٢,٣٤٢ طناً متريا ، والإنتاج من داخل فلسطين ٥,٢٩١ طنا متريا . وكان الانتاج في العام نفسه من بحيرة طبرية ٩٥٣ طناً متريا ، ومن بحيرة الحولة * ١٥٢ طناً متريا ومن نهر الأردن ٢٥ طناً متريا ، ويمثل مجموع السمك من الأماكن الثلاثة الأخيرة ١٤,٨٪ من انتاج فلسطين . أما إنتاج مزارع الأسماك فكان ٤,١٦١ طنا ، أو ما نسبته ٥٤,٤٪ من الإنتاج الكلي لعام ١٩٥١/١٩٥٢ .

تقدمت صناعة الأسماك في الأرض المحتلة باستعمال أساليب الصيد الحديثة ، وتم استعمال أول سفينة صيد مجهزة بنيت في النرويج عام ١٩٦١ . وقد جهزت بعض المدن الساحلية بالأجهزة الضرورية لحفظ السمك . ويوجد في فلسطين المحتلة أحد عشر مصنعاً لتعليب الأسماك ، ولا سيما السردين ، أنتجت ١٥ مليون علبة عام ١٩٦٢ .وفي عام ١٩٦٥ قدرت كمية الأسماك المصطادة بنحو ١٧ ألف طن ، وهذه الكمية تمثل ٦٠٪ من الاستهلاك المحلي . وغالباً ما يباع السمك طازجا .

المراجع :

ـ محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين العربية ، يافا ١٩٤٦ .

— Bodenheimer, F.S.: **Animal Life in Palestine,** Jerusalem 1935.

— Borgstrom, G.and Paris, C.D.:The Regional Develpment of Fisheries and Fish Processing, In: **Fish as Food,** New York 1965.

— Goren, M: **The Freshwater Fishes of Israel, 1974.**

— Gunther, A: **Report on a Collection of Reptiles and Fishes from Palestine,** London 1864.

— Hofstede, H.S: **Inland Fisheries in Israel,** FAO 1954.

— Steinitz, H: **The Distribution and Evolution of the Freshwater Fishes of Palestine,** 1954.

الإسمنت : رَ : مواد البناء (صناعة ـ) :

الأسوار :

كانت مدن فلسطين ، كسائر المدن القديمة ، محصنة بأسوار متينة . ومعظم هذه الأسوار دمرها الإهمال والحروب وعوادي الزمن . لكن بعضها ظل قائماً صامداً رغم الأحداث والكوارث .

ويدلّ التاريخ على أن الأسوار كانت تحيط بالقدس * وطبرية * وقيصرية واللد * ونابلس * وسبسطية * وعسقلان وغزة * . كما أن جميع المدن التي بنيت بين الألف الثالث قبل الميلاد والعهد الروماني كانت محصنة بالأسوار . وقد عثر على آثار بعضها أثناء الحفريات التي أجريت منذ أكثر من ستين عاماً . من هذه المدن « لاخيش » التي تدعى اليوم تل الدوير * ، و « بيت شمش » واسمها الحالي عين شمس ، و « جيزر » أو تل الجزر * الآن ، و « تعنّك » التي تعرف اليوم بتل تعنك ، و « مجدّو » * وهي تل المتسلّم حالياً ، وأريحا * القديمة ، واسمها تل السلطان ، و « شروحن » التي تدعى اليوم تل الفارعة ، وغزة واسمها الحالي تل العجول ، و « مزفا » وهي تل النصبة ، و « دبير » أو تل بيت مرسيم حالياً ، و « حاصور » * و « عاي » * وتدعى الأولى اليوم تل القاضي ، والثانية التل .

وكانت أريحا وعاي من المدن الأولى ذوات الأسوار إذ أقيم

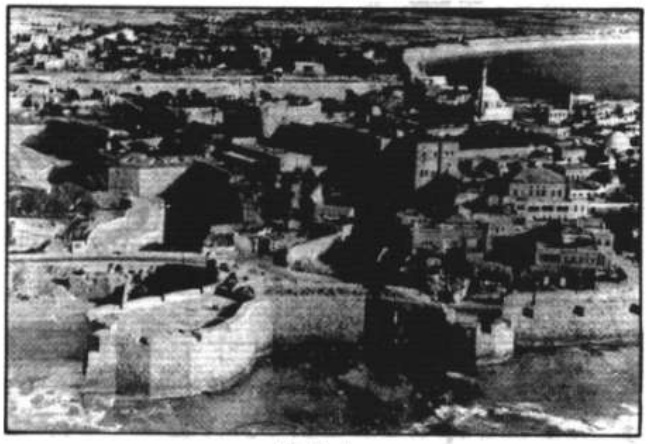

سور مدينة عكا

السور حول كل من المدينتين في أوائل الألف الثالث قبل الميلاد . وقد بني من اللبن والطوب غير المشوي فوق أسس من حجارة الحقول على مرحلتين : فبني سور قائم في المرحلة الأولى ، ثم زيد عليه في المرحلة الثانية حائطان مائلان من الداخل والخارج حتى يدعما القسم القائم من جهة ، ويمنعا تقدم الأعداء ونقب السور من أسفله من جهة ثانية .

ظل بناء الأسوار يجري على هذا الأسلوب قرابة خمسمائة سنة . ثم تغير الوضع سنة ٢٦٠٠ ق.م. تقريباً ، وأقيمت الأسوار الحجرية ، وجعلت قائمة من الداخل مائلة من الخارج . واستمر البناء على هذا النمط حتى سنة ٢٣٠٠ ق.م. حينما داهم العموريون * المدن الفلسطينية ودمروها شر تدمير .

وعندما عادت الحضارة إلى فلسطين بعد مضي أربعمائة سنة من

الدمار والفوضى ، بنيت مدن جديدة على أنقاض المدن السابقة . وقد حصّنت هذه المدن جميعها بأسوار منيعة من الحجارة الضخمة التي وصفها المؤرخون اليونانيون بالحجارة « الكيكلوبية » لضخامة حجمها . وكانت هذه الأسوار مائلة من الخارج قائمة من الداخل . وقد يكون القسم العلوي منها مبنياً باللبن . وقد زوّدت هذه الأسوار ، على عكس سابقاتها ، بأبراج كثيرة . وكان للسور باب واحد فقط مكوّن من مدخل تحصّنه أربع غرف للحراسة ؛ غرفتان في كل جانب . وهذا المدخل مزود بثلاثة أبواب متتالية لإعاقة المهاجمين . وقد عثر على مثل هذا النوع من الأسوار في « شكيم » التي هي اليوم بلاطة * قرب نابلس ، وفي أريحا ، ومجدو وأماكن أخرى . وظلت المدن الفلسطينية تعتمد هذا الأسلوب في تحصين أسوارها مدة تزيد على سبعمائة سنة .

وتعرضت فلسطين في القرون الرابع عشر والثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد إلى غزوات كثيرة انقضّت عليها من الشرق من قبل أقوام تسميهم النصوص المصرية « الخبيرو » . ومما لا شك فيه أن بعض القبائل الإسرائيلية كانت بين هؤلاء الأقوام . وقد تمكن هؤلاء من السيطرة على القرى غير المحصنة ، لكن المدن المحصنة تمكنت من صدّ الهجمات . وبعد قرنين ونيف ، أي في أوائل الألف الأول ، تمكن الغزاة الإسرائيليون ، بعد نزاع عنيف مع الفلسطينيين من جهة ، والكنعانيين من جهة أخرى ، تمكنوا من احتلال المدن المحصنة والسيطرة على البلاد .

وكان الإسرائيليون عندما استوطنوا فلسطين غير متحضّرين ، ولم يكن في وسعهم بناء أو ترميم الأسوار التي تهدمت بالحروب أو بسبب الإهمال . لذلك التجأ ملوكهم إلى الفينيقيين * في صور لتزويدهم بالمهندسين والبنّائين ، وأقاموا الأسوار حول القدس والسامرة (سبسطية حالياً) وغيرهما . وكانت تبنى بحجارة نحتت أطرافها نحتاً ناعماً في حين ظلت واجهاتها خشنة . وطرأ بعض التغيير على أسلوب بناء الأسوار كما هي الحال في سبسطية ومدينة مجدّو ، فقد بنيت قائمة من دون حيطان الدعم المائلة . لكنها ظلت كما كانت مزودة بأبراج كثيرة . أما المدخل المحصن فقد جعلت فيه غرفتان ، واحدة من كل جانب بدلاً من الغرف التي كانت ، في الألف الثاني ، أربع غرف .

وفي مزفا (تل النصبة) لا يلتقي طرفا السور ليشكّلا دائرة مغلقة ، بل ينحرف الطرف عن الآخر ، ويتباعدان حيث أقيم المدخل بينهما .

ولما جاء الاسكندر دخلت آثار الحضارة الهلنستية إلى فلسطين ، وأضحت المدن تنقل أنماط بناء أسوارها عن الأنماط اليونانية . فبدلاً من الشكل الدائري أصبحت مربعة أو مخمسة . وقد عثر على هذا النمط في مدينة هلنستية أُقيمت قرب بيت جبرين * في موقع يدعى « صند حنا » . فلسور المدينة المربع أبواب أربعة لأن المدينة تضم شارعين رئيسين يتقاطعان متعامدين في وسط المدينة ، وقد أقيم باب عند كل طرف من أطراف هذه الشوارع . ولم يعثر على أي برج في هذا السور ، سواء في الزوايا أو في الأطراف ، على عكس سور مدينة سبسطية المزود بأبراج مستديرة .

وقد سار الرومان في بناء تحصيناتهم على نمط الإسكندر فأقاموا الأسوار المربعة حول المدن التي أنشأوها في فلسطين واختطّوا فيها شارعين رئيسين . ووجدت آثار أسوارهم في عسقلان وغزة وقيصرية ، وأبرزها سور القدس . وتتميز الأسوار الرومانية بضخامة حجارتها التي يصل طول بعضها إلى ١٤م . ولا تزال الآثار الرومانية في سور القدس تظهر تحت ما زاده عليها الصليبيون والعثمانيون .

سور مدينة القدس

وكانت أبواب الأسوار الرومانية تعلوها الأقواس ، لذلك كانت أعرض من الأبواب المعروفة في العصور السابقة .

بعد الفتح العربي سار العرب بادىء الأمر على خطوات الرومان والبيزنطيين في بناء أسوار مدنهم . لكنهم أدخلوا فيما بعد ، ولا سيما في القرون الوسطى ، بعض التغييرات الطفيفة .

ولما جاء الصليبيون أدخلوا في بناء الأسوار الطرق الهندسية السائدة في أوربا . فاستعملوا الحجارة المدقوقة دقّاً موروباً . وكثيراً ما نقشوا على الحجارة أسماء النحاتين ، كما هي الحال في أقسام سور القدس التي ترجع إلى عهد الصليبيين ، وفي أسوار عسقلان وعكا * وأرسوف * وغيرها من المدن التي حصنها الصليبيون .

ولم يبدل المماليك * شكل الأسوار ، لكنهم رمموها بحجارة منحوتة مزودة بهوامش على أطرافها الأربعة ، كما يشاهد في سور

مدينة القدس الذي تهدمت أقسامه العليا فأعاد بناءها السلطان العثماني سليمان بن سليم بحجارة جمعها من هنا وهناك وليس لها طابع خاص .

وقد بنى ظاهر العمر* ، فيما بعد ، سوراً حول عكا لا تزال بعض أقسامه قائمة حتى الآن .

المراجع :

— Albright, W.F.: Tell Beit Mirsim I. **ASOR XII.**
— Flinders Petrie.: **Gaza I - IV,** London 1931 - 34.
— Flinders Petrie.: **Beth Pelet,** London 1930 and 1932.
— Grant, E.: **Ain Shems I, II, III,** 1931 - 1934.
— Kenyon, K.: **Digging Up Jericho,** London 1957.
— Kenyon, K.: **Excavations of Jericho,** London 1960.
— Lamon, S. and Shipton, G. M.: **Megiddo I,** 1939.
— Macalester, R.A.S.: **Excavations of Gezer,** London 1912.
— Marquet, Y.: **Les Fouilles de Ay,** Beyrouth 1949.
— Rowe, A.: **The Topograhpy and History of Beth-Shan** U.S.A.1930.
— Starkey, J.L.: **Lachish I - IV,** 1938 - 57.
— Sukenik, E.L.: **Samaria Sebaste, I,** London 1942.

الإسينيون :

فرقة يهودية ظهرت في فلسطين في القرن الثاني قبل الميلاد يطلق على أتباعها اسم « المغتسلين » أو « الأطهار » . وهي تختلف اختلافاً جوهرياً عن سائر الفرق في عقائدها وتقاليدها . فقد كان الإسينيون يؤلفون جماعة ذات قوانين صارمة لها صبغة اشتراكية تحرم الملكية الفردية ونظام الرق يعيش أفرادها حياة العزاب الزاهدين ، بعيداً عن المدن ، ويقيمون في الكهوف والمغاور قرب البحر الميت ، ويحرصون على التقشف والنسك ، ويحتّمون على أنفسهم الطهارة والاغتسال كل صباح في مياه الينابيع الصافية . وكانوا يفلحون الأرض ويرعون الماشية لتدبر أمر معيشتهم ، ويشتركون في الطعام تبعاً لطقوس خاصة . كما كانوا يرفضون تأدية القسم وتقديم الذبائح والقرابين وحضور المراسم في الهيكل .

وقد اكتشف نظام هذه الجماعة وعدد من كتبها بين مخطوطات البحر الميت* التي عثر عليها في كهوف قمران سنة ١٩٤٧ . ويتحدث النظام عن رئيس الجماعة الذي يسمى « معلم العدالة » .

يذهب الباحثون إلى أن الإسينيين قد تأثروا بآراء البراهمة والبوذيين والفيثاغوريين التي كانت منتشرة في فلسطين ملتقى الطرق التجارية العالمية في القرن الأول قبل الميلاد . ومن المحتمل أن يكون يوحنا المعمدان (رَ : المسيحية) قريباً من الإسينيين الذين كانوا ينتظرون نزول المسيح لينشىء على الأرض ملكوت السموات ويحقق المساواة والسلام بين البشر . ومن الواضح أن آراءهم كان لها تأثير كبير في المسيحية* .

آمن الإسينيون بيسوع الناصري على أنه أحد أنبياء إسرائيل المصلحين . ولكنهم رفضوا دعوة بولس* إلى العقيدة المسيحية وظلوا متمسكين بالنواميس اليهودية . وقد عرفوا بعد تدمير الهيكل باسم المسيحيين اليهود أو الأبيونيين* .

المراجع :

ـ قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٥ .
— Dupont - Sommer,: **Les Ecrits esséniens découverts près de la Mer Morte,** Paris 1959.

الأشبال (مؤسسة ـ) :

رَ : حركة التحرير الوطني الفلسطيني

أشدود (مدينة ـ) :

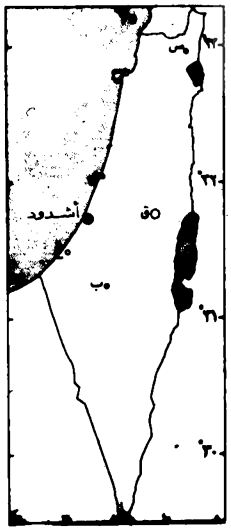

مدينة صهيونية من مدن قضاء غزة تقع على بعد ٤٠ كم شمالي الشمال الشرقي لغزة* . تأسست على شاطىء البحر المتوسط عام ١٩٥٦ على بعد ٥ كم غربي قرية أسدود* العربية التي دمرها الصهيونيون عام ١٩٤٨ ، وامتدت في نموها العمراني فوق الكثبان الرملية جهة الغرب حتى وصلت إلى شاطىء البحر المتوسط . وكان امتدادها على حساب أراضي عرب صقرير بعد طردهم منها . وقد أعيد تخطيط المدينة القديمة ، وأقيمت مدينة حديثة على الكثبان الرملية ، كما أنشىء لها ميناء واسع وعميق عام ١٩٦١ بمساهمة مالية وفنية من الولايات المتحدة الأمريكية . وفي أوائل الستينات أصبحت أشدود المرفأ الثاني في فلسطين حجماً وأهمية بعد مرفأ حيفا* .

اكتسب موقعها أهمية خاصة لأنها تقع في السهل الساحلي* الجنوبي حيث يسهل اتصالها بجميع جهات فلسطين ، ولا سيما المنطقتين الجنوبية والوسطى اللتين تعدان ظهيرين هامين لميناء أشدود . وترتبط أشدود بما حولها من مدن بشبكة طرق معبدة

رئيسة ، فهي تبعد عن يافا ٣٧ كم ، وعن القدس * ٦٦ كم ، وعن حيفا ١٣٢ كم ، وعن طبرية * ١٧١ كم ، وعن نابلس * ١١٥ كم ، وعن بير السبع * ٨٣ كم . ويمر بها خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا، وينتهي فيها خط سكة حديد إيلات وأنابيب النفط القادمة من هناك (رَ : السكك الحديدية) ومن أشدود يصدر جزء كبير من هذا النفط * إلى الخارج بعد تكريره ، ويوزع جزء آخر منه في الداخل للاستهلاك المحلي .

لميناء أشدود شأن هام في تصدير كميات كبيرة من الحمضيات * التي تنتجها المنطقتان الوسطى والجنوبية من السهل الساحلي . وفي تصدير كميات من البوتاس المستخرج من البحر الميت * . وبعد إغلاق ميناء يافا عام ١٩٦٥ أصبحت لميناء أشدود أهمية كبيرة بالنسبة إلى التجمع العمراني الحضري حول يافا ـ تل أبيب . وأخذ ظهير يافا يعتمد اعتمادا كبيرا على ميناء أشدود في تجارته الخارجية .

ولميناء أشدود أهمية استراتيجية لأنه يعد قاعدة بحرية لسفن الأسطول الإسرائيلي في البحر المتوسط ، وهو يستقبل جزءاً من المعدات الحربية التي يزود بها الغرب (إسرائيل) . ولا يستخدم الميناء لنقل السلع المدنية والمواد الحربية فحسب ، بل يستخدم لنقل المسافرين من فلسطين وإليها . ويدخل عدد كبير من المهاجرين الصهيونيين القادمين إلى فلسطين من هذا الميناء .

ومن الطبيعي أن تتعدد الوظائف التي تمارسها أشدود كمدينة وكميناء ، فالوظيفة التجارية تشغل مكانة هامة بين هذه الوظائف اذ تعمل نسبة لا بأس بها من القوى البشرية في هذه الحرفة . كذلك فإن أشدود مركز صناعي يشتمل على صناعات متنوعة . وقد ساعد على قيام هذه الصناعات وجود الميناء الذي يستورد كثيراً من المواد الخام ويصدر كثيراً من المنتجات الصناعية إلى الخارج ، علاوة على توافر الأيدي العاملة ، إذ يعمل في قطاع الصناعة نحو ٤٠٪ من مجموع القوى العاملة في المدينة . في حين يعمل في قطاع البناء نحو ٣٠٪ . وتشتمل أشدود على محطة كهرباء كبيرة طاقتها ٣٠٠,٠٠٠ كيلوات/ساعة . وأهم الصناعات في أشدود النسيج والسيارات والآلات والكيميائيات . وفيها مصنع « ليلاند» لتركيب هياكل سيارات الركوب الكبيرة وسيارات الشحن ، ومصنع « ألتا » للصناعة الإلكترونية ، ومصنع « ريفلون » لأدوات التجميل ومنتجاتها ، وفيها مصنع نسيج وأقمشة صوفية ومعامل صقل الماس ، ومركز لتعبئة الحمضيات ، ومصنع لإنتاج العصير . وفيها ١٥٠ معملا صناعياً صغيراً ، وعدد من « ورشات » تصنيع الخشب والمعادن والإسمنت وغيرها (رَ: الصناعة) . أما نسبة العاملين في قطاع الزراعة فهي قليلة ، وأهم المنتجات الزراعية حول المدينة الحمضيات * والخضر * وأشجار الفواكه ، ولا سيما العنب * .

نما عدد سكان أشدود نتيجة لإعمار المدينة وإنشاء الميناء فزاد من ٤,٦٠٤ نسمات عام ١٩٦١ إلى ١٩,٤٠٠ نسمة عام ١٩٦٤ ، وإلى ٣٥,٦٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ ، وإلى ٤٨,٢٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . ومن المتوقع أن يصل عددهم عام ١٩٨٢ إلى ١٤٠,٠٠٠ نسمة وفقاً لتخطيط المدينة . كما يخطط لتوسيع الميناء وتطويره ليستوعب في الثمانينات حمولة إجمالية تقدر بنحو ٤ ملايين طن سنوياً .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق١ ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
— Spiegel, E.: **New Towns in Israel**, New York 1966.

الأَشْرَفِيّة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجنوب الغربي من بيسان * قرب الحدود الإدارية مع قضاء جنين . وتبتعد مسافة كيلومترين تقريباً إلى الغرب من طريق بيسان ـ الجفتلك ـ أريحا . يتميز موقعها بارتفاعه النسبي عن الأراضي الغورية الممتدة شرقيها ، لذا فهو يشرف على المنطقة الممتدة بين القرية ونهر الأردن * . وبالرغم من ذلك تنخفض القرية نحو ١١٤م دون سطح البحر . وقد اختير موضع القرية المرتفع نسبياً للدفاع عنها ضد هجمات البدو التي كانت تتكرر في الماضي على القرى الزراعية ، ولحماية القرية من أخطار فيضانات وادي المَلّوع الذي يمر بطرفها الغربي متجهاً نحو وادي شوباش * أحد روافد نهر الأردن .

مساحة الأشرفية صغيرة لأن مبانيها اللبنية التي لا تزيد على ٥٨ بيتاً متراصّة ليس بينها إلا بعض الأزقة الضيقة . وكان نمو القرية العمراني يجري ببطء باتجاه الشرق .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للأشرفية نحو ٦,٧١١ دونماً منها ١٢٣ دونما للطرق والأودية ، و١,٢٩٣ دونما تسربت إلى الصهيونيين . ومعظم هذه الأراضي مزروع لتوافر مياه الأمطار والينابيع ، ولخصوبة التربة وانبساط الأرض . وقد قامت زراعة

ناجحة لمختلف المحاصيل الحقلية ، وللأشجار المثمرة ، كالحمضيات * والموز * والزيتون .

كان عدد سكانها العرب عام ١٩٢٢ نحو ٣٦ نسمة وزاد إلى ٢١٩ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ٢٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان معظمهم يعمل في الزراعة * وتربية المواشي . وقد طردتهم سلطات الاحتلال الإسرائيلي عام ١٩٤٨ ودمرت القرية واستغلت أراضيها في الزراعة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

الأشكنازيون :

كلمة « أشكناز » في أساسها اسم لأحد أحفاد نوح ، وقد أطلقت على أحد الشعوب التي ورد ذكرها في سفر التكوين (١٠ ـ ٣) . وفي كتب الربيين للقرون الوسطى كانت العبارة تطلق على ألمانيا ، ولا سيما أرض الهجرة الأساسية في منطقة ماينز وفورمز على ضفاف الراين . وقد أخذت كلمة أشكنازي تطلق على اليهود الألمان بشكل خاص ، وعلى يهود أوربا الغربية بشكل أعمّ ، مع أن ليهود فرنسا مثلاً اسماً آخر هو « أريغاتيم » .

ونقابل عبارة الأشكنازيين (أشكنازيم بالعبرية) عبارة السفرديين * التي تشمل اليهود الشرقيين ويهود إسبانيا الذين هاجروا في القرن الخامس عشر وانتشرت تجمعاتهم في حوض البحر المتوسط ، ويستعمل تعبيرا « سفردي » و« يهودي شرقي » كمفهوم واحد .

ولقد تميز الأشكنازيون عن السفرديين بعدم تقبل حضارات الشعوب التي عاشوا على أرضها ، وبمحافظتهم على لغة « اليديش » الخاصة بهم ،وهي لغة تطورت من اللغة الألمانية ودخلتها بعض الكلمات والمصطلحات العبرية ، كذلك دخلتها فيما بعد كلمات من السلافية .

ويمكن التفريق بين أشكنازي أوربا الشرقية وأشكنازي أوربا الغربية في الطقوس الدينية وفي نمط الحياة ، فالأولون أكثر تمسكاً بحرفية نصوص الكتاب المقدس وأشد تزمتاً في أمور الدين ، وهم أقل حضارة .

انتقل الأشكنازيون في أوربا القرون الوسطى من التمركز في مهنة التجارة إلى الإقراض الربوي ، وبصورة خاصة إلى إقراض الأمراء والنبلاء . وتوصل قسم كبير منهم إلى درجة عالية من الغنى عن طريق إدارة أموال هؤلاء الأمراء والنبلاء وتدوين حساباتهم ، إذ كانوا أمناء خزينة ومحصلي ضرائب يحصلونها لحسابهم الخاص لقاء مبلغ مقطوع للخزينة . كما منحت لهم حقوق استثمار احتكارات الممالح والمناجم .

وجاء طرد الأشكنازيين من دول أوربا الغربية عقب التطور الاجتماعي هناك ، وعلى أثر ظهور البرجوازية التجارية في بلدان أوربا الغربية التي أرادت الحلول محل اليهود في الأعمال المصرفية والتجارية ، خاصة أن هؤلاء أساؤوا وتعسفوا حتى أصبحوا مضرب المثل في الجشع والاحتكار . وقد شهدت هذه المرحلة أعمال اضطهاد موجه للأشكنازيين أشهرها مجازر وحرائق سنوات ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠ في ألمانيا التي سميت بسنوات الموت الأسود . وقد أخرج الأشكنازيون نهائياً من إنكلترا في نهاية القرن الثالث عشر ، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر ، ومن ألمانيا في القرن الخامس عشر . وذهب معظمهم إلى أوربا الشرقية إلاّ أقلية اندمجت تدريجياً بالسكان الأصليين متأثرة بصورة خاصة بظهور حركة الاستنارة اليهودية .

حمل الأشكنازيون الذين هاجروا إلى ليتوانيا وبولونيا وروسيا البيضاء معهم حضارة وأفكار أوربا الغربية ، ونقلوا مهنهم في التجارة والإقراض الربوي وإدارة أموال واحتكارات الأمراء وتعهد مواردهم كما حملوا معهم سلوكهم التعسفي وجشعهم المعهود . ففي دوقية ليتوانيا تسلم الأشكنازيون مثلا بين عامي ١٤٦٣ و١٤٩٤ مكاتب الجمارك في جميع المدن الرئيسة مثل : بيليك وبرينسك وبرشكزن وأردينو وكييف ومينسك ونفغورود وجيتومير . وشكل الأشكنازيون في أوربا الشرقية حتى مطلع القرن العشرين أكبر تجمع سكاني يهودي يمتد من بحر البلطيق إلى البحر الأسود ، وكانوا يشكلون نصف عدد يهود العالم . وقد أنشأوا نمطاً حضارياً منفصلا عن المجتمعات الزراعية المحيطة بهم . ويعّد هذا بدء ظهور صورة « الغيتو » * أو الحي اليهودي . وكان ٨٧٪ من أشكناز أوربا الشرقية في القرن التاسع عشر يعملون بالتجارة ، و١٢٪ حرفيين و١٪ يعملون بالزراعة .

وعندما بدأت أوربا الشرقية تنتقل من مرحلة الإقطاع إلى الرأسمالية تكررت هناك مسألة محاربة اليهود على نحو ما حصل في غرب أوربا ، وبدأت هجرة الأشكنازيين إلى أوربا الغربية وأمريكا خاصة بعد التمرد الشعبي الذي قاده « بوغدان شميلنيكي » (١٥٩٥ ـ ١٦٥٧) عام ١٦٤٨ ضد نظام الحكم البولوني في أوكرانيا حيث كان الإقطاعيون والتجار المرابون اليهود مسيطرين . وقد أدّى إقراض اليهود الإقطاعيين أموالاً ضخمة إلى أن تحوّل التجار والمرابون اليهود إلى ممثلين للإقطاعيين في جباية الضرائب

الباهظة من ضياع الإقطاعيين وأملاكهم . وكان من نتيجة هذا التمرد أن قُتل بعض اليهود .

وقد سبّب ذلك كله إعاقة حركة اندماج اشكنازيي الغرب في المجتمعات المحيطة بهم . وكان تكاثرهم أسرع من تكاثر اليهود المقيمين من السفرديم ، حتى وصلت نسبتهم في مطلع الثلاثينات من القرن العشرين إلى ٩٤٪ من مجموع عدد يهود العالم ، وزاد عددهم على عدد السفرديم في تلك الدول التي هاجروا إليها ، عدا دول شمال إفريقيا وإيطاليا والشرق الأوسط .

لكن نسبة الأشكنازيين العامة انخفضت إلى ٧٧,٧٪ عام ١٩٤١ وإلى ٥٩٪ عام ١٩٦٣ . وانتقل مركز الأشكناز منذ مطلع هذا القرن من روسيا إلى الولايات المتحدة . ويعتبر الأشكنازيون المؤسسين الفعليين للحركة الصهيونية ، وقد شغلوا المراكز السياسية والاقتصادية والإدارية في الكيان الصهيوني بعد إعلان قيامه . وكانوا يشكلون حتى مطلع الخمسينات من القرن العشرين الأغلبية الساحقة من سكان (إسرائيل) .

لم ينصهر الأشكنازيون مع اليهود الشرقيين في المجتمع الإسرائيلي ، بل حافظوا على نمط معيشتهم الأوربي ، وبقي لهم حاخام مستقل وعدد من الحاخامين الرئيسين للشؤون الدينية . وظلوا ينظرون بكثير من التعالي إلى السفارديم .

كذلك ظهر تمايز بين أقسام الأشكناز حسب الدول التي جاؤوا منها ، فأطلق مثلاً على اليهود الألمان تعبير « يكش » أي اليهود الذين يصعب أن يفهموا (بالعبرية : يهودي كشيه لهفين) .

ورغم أن أبناء الأشكنازيين الذين ولدوا في (إسرائيل) يعتبرون جزءاً من الصابرا * (مواليد البلاد) إلّا أن مجتمع الأشكناز في (إسرائيل) سيبقى متميزاً ومتفوقاً ما حافظ الأبناء الأشكنازيون على خصائصهم وأصروا على تعاليهم على السفارديم .

المراجع :

— Landshut: **Jewish Communities in Muslim Countries of the Middle East,** London 1950.

— Puppin: **The Jewish Fate and Future,** London 1970.

أشـــور :

يطلق اسم « أشور » على أقدم العواصم الأشورية ، وعلى إله الأشوريين الأعظم ، وعلى البلاد التي استوطنها الأشوريون في شمال العراق ، وعلى الدولة التي أقاموها .

اصطلح المؤرخون على تقسيم التاريخ الأشوري إلى ثلاثة عهود : الأول عهد تأسيسي قديم أشهر ملوكه شمس ـ أدو الأول (١٨١٣ ـ ١٧٨١ ق.م.) الذي كان أول من مدّ نفوذ الأشوريين إلى مناطق خارجية عندما استولى على مدينة ماري (تل الحريري على نهر الفرات في سورية) .

وقعت البلاد تحت نفوذ الملك البابلي حمورابي ، ثم بدأ العهد الثاني بعد سقوط دولة بابل الأولى (حوالي ١٦٠٠ ق.م.) . وحكم خلال هذا العهد عدد من الملوك الأقوياء أشهرهم تغلات بلاسر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧ ق.م.) الذي كان أول ملوك أشور الذين وصلوا بفتوحاتهم إلى البحر المتوسط .

وجاء العهد الثالث الحديث حوالي سنة ٩١١ ق.م. بعد فترة تراجع عسكري واقتصادي . وفي هذا العهد كان لدولة أشور علاقات قوية بسورية وفلسطين . وشهد قيام إمبراطوريتين أشوريتين عظيمتين . وكان من أشهر ملوك الإمبراطورية الأولى أشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق.م.) الذي غزا سورية ووصل إلى « البحر العظيم » ، أي البحر المتوسط ، لكنه لم يدخل فلسطين . وكان ابنه شلمناصر الثالث (٨٥٨ ـ ٨٢٤ ق.م.) أول ملك أشوري يذكر « إسرائيل » حين تحدث عن الحلف الذي عقد بين ملك دمشق

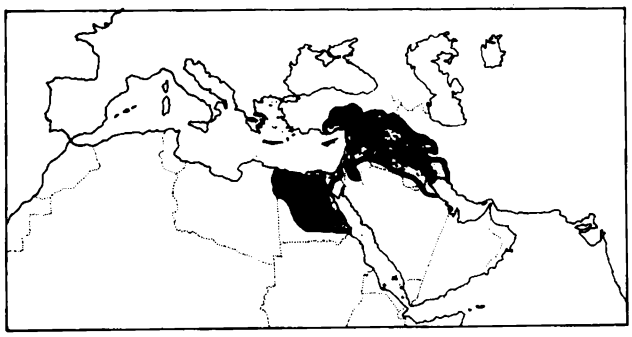

الآرامي بن حدد وآخاب ملك إسرائيل وعدد من المدن السورية للوقوف في وجه الأشوريين في معركة قرقر . وفي حملة ثانية انتصر شلمناصر على الملك الإسرائيلي « ياهو » وفرض عليه ضريبة كبيرة . وحفر شلمناصر أخبار انتصاراته على مسلّته المشهورة « المسلّة السوداء» ، وكان الملك الأشوري أداد نيراري الثالث (٨٠٥ ـ ٧٨٢ق.م.) أول ملك أشوري يذكر اسم فلسطين .

ضعفت أشور أواخر القرن التاسع قبل الميلاد إلى أن تولى الملك تغلات بلاسر الثالث سنة ٧٤٧ ق.م. وهو يعدّ مؤسس الإمبراطورية الثانية التي وصلت أشور فيها إلى قمة مجدها العسكري والاقتصادي ، وتوالت حملاتها على سورية وفلسطين .

بدأ تغلات بلاسر الثالث عهده بغزو بابل ، ثم قام بهجوم على مدن فلسطين فأوقع الهزيمة بملك غزة ووقعت عمون وآدوم ومآب ويهودا تحت نفوذه . وورد في التوراة * أن « مناحيم » ملك « إسرائيل » دفع له جزية تقدّر بألف قنطار من الفضة . وأطلق

تغلات بلاسر على « إسرائيل » اسم « بيت عومري » . وكان تغلات بلاسر يضطلع بدور كبير في أحداث فلسطين ، ويهبّ لنصرة الملوك الموالين له . ولمّا استعان به « آحاز » ملك «يهودا » لحمايته من « فقح » ملك « إسرائيل » و« رصين » ملك دمشق اللذين عقدا حلفا عليه ضرب تغلات بلاسر جيوش الحلف ، وخلع فقح عن العرش وأقام « هوشع » ملكاً على « إسرائيل » ، وكان الثمن الذي دفعه « آحاز » لهذه الحماية سبباً من أسباب انهيار « يهودا » الاقتصادي فيما بعد .

وثارت « إسرائيل » في عهد شلمانصر الخامس (سنة ٧٢٦ ـ ٧٢٢ ق . م .) فحوصرت السامرة حتى سقطت على يد الملك التالي صارغون الثاني (٧٢١ ـ ٧٠٥ ق.م.) فانهارت بسقوطها دولة إسرائيل (٧٢٠ ق.م.) وحارب صارغون المدن الفلسطينية التي أعلنت العصيان عليه . وفي عهد ابنه سنحاريب (٧٠٤ ـ ٦٨١ ق.م.) تجددت الاضطرابات ، وثار نبلاء عكرة على ملكهم الموالي للأشوريين ، وسلموه إلى « حزقيا» ملك « يهودا » الذي ثار اعتماداً على تأييد مصر له . فغزا سنحاريب المدن الفلسطينية ، وانتصر على الجيش المصري الذي تقدم لنصرتها ، وحاصر القدس التي لم تنج من الدمار إلّا بتقديم هدايا ثمينة . ورأى الملك أسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩ ق.م.) أن استقرار الأحوال في فلسطين يستدعي وضع حد لتدخل دولة مصر فغزاها وأسقط الأسرة الحبشية التي كانت تحكم آنذاك . وتوقف التدخل المصري في فلسطين حتى نهاية الدولة الأشورية . وكان أشور بانيبال آخر ملك أشوري قوي غزا فلسطين وانتصر على « يهودا » ، وآدوم ، ومآب ، وغزة وعسقلان .

يتضح مما ذكر أن علاقة الأشوريين بفلسطين بدأت في القرن التاسع قبل الميلاد ، واستمرت إلى أيام الملك أشور بانيبال الذي انتهى حكمه في سنة ٦٢٥ ق.م. وقام الأشوريون خلال هذه الفترة بدور بارز في الأحداث التي كانت تجري في فلسطين ، وهم الذين أسقطوا دولة « إسرائيل » وتركوا دولة « يهودا » ضعيفة منهارة لتسقط بعد فترة وجيزة على يد نبوخذ نصر الكلداني .

لم تقتصر الحروب الأشورية على المناطق الغربية فقط بل شملت الجهات الشرقية في إيران ، والشمالية في بلاد الأناضول ، والجنوبية في بابل وعيلام . وكان لها أثر بعيد في حياة شعوب هذه المناطق وتاريخها ، وعملت سياسة التهجير التي اتبعت على مزج الشعوب بعضها ببعض .

اهتم الأشوريون اهتماما كبيراً بالأعمال العمرانية فشيّدوا العواصم الكبيرة كنينوى ، وكلخ ، ودور شروكين ، وزينوا قصورهم بالنقوش والتماثيل ، وبذلوا عناية خاصة في أمور لم تكن مألوفة من قبل ، كإقامة حدائق الحيوانات وغرس الأشجار الغريبة في المتنزهات . واهتموا بالتدوين فوصلت منهم كتابات مفصلة لم تكشف عن التاريخ الأشوري فحسب ، بل كشفت عن تاريخ شعوب أخرى ما كان تاريخها ليعرف لولا المدونات الأشورية .

سقطت الدولة الأشورية في سنة ٦١٢ ق.م. على يد الكلدانيين والميديين الذين تحالفوا على إسقاطها بعد أن أنهكتها الحروب المتواصلة .

المراجع :

ـ طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، بغداد ١٩٧٣ .

— Luckenbill, D.D.: **Ancient Records of Assyria and Babylonia (ARAB),** Chicago 1926 and 1927.

— Olmstead, A.T.E.: **History of Assyria,** New York 1923.

إشْـــوَعْ (قـرية ـ) :

قرية عربية تبعد نحو ٢٧ كم إلى الغرب من مدينة القدس * ، وهي على طريق بيت جبرين ـ باب الواد الرئيسة المعبدة . وترتبطها طرق ممهدة بقرى عسلين * وعرطوف * وبيت محسير * ودير أيوب * وكسلة * وصرعه * وبيت سوسين * .

نشأت إشوع في منطقة الأقدام الغربية لجبال القدس * منذ عهد الكنعانيين * ، وأقيمت على ارتفاع ٢٧٥ م فوق سطح البحر وسط واد يتجه نحو الجنوب ، منتهيا في وادي إشوع الذي يرفد وادي الصرار*. وتألفت معظم بيوتها من الحجر ، واتخذ مخططها التنظيمي شكل النجمة إذ امتدت المباني في محور مسايرة للطرق المتفرعة عن القرية . وكان نموها العمراني يتجه نحو الجنوب ، ونحو الشمال الغربي صوب قرية عسلين المجاورة . وبلغت مساحتها في عام ١٩٤٥ نحو ١٨ دونماً . اشتملت إشوع على بعض الدكاكين ، وعلى مسجد ومدرسة ابتدائية ، وكانت تحتوي على بعض الآثار القديمة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وفي شمالي القرية عين إشوع التي اعتمد عليها الأهالي لتزويدهم بمياه الشرب إلى جانب اعتمادهم على مياه بعض العيون الصغيرة المجاورة ، وعلى آبار الجمع .

مساحة أراضي إشوع ٥,٥٢٢ دونماً جميعها ملك للعرب . وقد استثمرت أراضيها في زراعة الزيتون * والعنب * والفواكه الأخرى ، وكذلك في زراعة الحبوب * . وقد اعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار .

كان في إشوع عام ١٩٢٢ نحو ٣٧٩ نسمة ، وازداد العدد في عام ١٩٣١ إلى ٤٦٨ نسمة كانوا يقيمون في ١٢٦ بيتاً . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٦٢٠ نسمة . اعتدى الصهيونيون عام ١٩٤٨ على إشوع ، وطردوا سكانها ، ثم دمروا بيوتها وأقاموا على أراضيها وأراضي قرية عسلين مستعمرتي « اشتاؤل » و« هارطوف » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

الإصلاح (حزب ـ) :

مؤسسه في عام ١٩٣٤ هو الدكتور حسين فخري الخالدي * الذي كان موظفاً في دائرة الصحة العامة في فلسطين أيام الانتداب . وفي عام ١٩٢٨ شغل منصب كبير الأطباء في الدائرة المذكورة . وكان يتحلى بروح وطنية قوية .

وفي سنة ١٩٢٩ وقع حادث سياسي بعيد المدى رفع الدكتور خالدي إلى مركز الصفوة الممتازة من الوطنيين ، وأوجد تقارباً ملموساً بينه وبين الجبهة الوطنية . ففي ٢٣ آب من ذاك العام نشبت في القدس * الثورة التي عرفت بثورة البراق (رَ : ثورة ١٩٢٩) ، واستمرت أكثر من أسبوع وعمت سائر أنحاء فلسطين ، وبصورة خاصة مدينتي الخليل * وصفد * حيث وقعت اصطدامات مسلحة عنيفة بين العرب والصهيونيين .

وزعم الإنكليز والصهيونيون أن أهل مدينة الخليل مثلوا بجثث الصهيونيين الذين قتلوا في الثورة . وتركت هذه الدعاية رد فعل سيئاً ضد العرب في الخارج ، فطلب الحاج محمد أمين الحسيني * واللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني * السابع إجراء تحقيق رسمي في هذا الموضوع ونبش القبور وإخراج جثث القتلى الصهيونيين للمعاينة والتحقيق . ولكن الحكومة البريطانية ، ومن خلفها الوكالة اليهودية * ، عارضت هذا الطلب بقوة .

ظل الوطنيون يصرون على تحقيق مطلبهم هذا ، فأمر الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس الأطباء في دائرة الصحة العامة آنذاك ، بإجراء التحقيق متحدياً بذلك الحكومة نفسها ، وعيّن لجنة من الأطباء العرب والإنكليز للقيام بهذه المهمة . وعند اتمام مهمتها ومعاينة الجثث أصدرت اللجنة المذكورة بياناً رسمياً نفت فيه اتهامات الإنكليز والصهيونيين ، وأكدت أنه لم يجر أي تشويه أو تمثيل بأي من القتلى الصهيونيين . فغضب الإنكليز والصهيونيون على الخالدي لهذا الموقف المشرف ، وشنوا عليه حملات مضللة قاسية ، ولكنه لم يكترث لموقفهم في حين سارع زعماء الجبهة الوطنية في البلاد إلى الإعراب عن شكرهم وتقديرهم للدكتور الخالدي .

ونتيجة لهذا الموقف الممتاز الذي وقفه الخالدي ازداد التقارب بينه وبين الوطنيين ، وانطلق الدكتور الخالدي يسدي ما يستطيع من الخدمات والمساعدات للحركة الوطنية .

وفي عام ١٩٣٤ قررت الحكومة البريطانية إجراء انتخابات عامة للمجالس البلدية في فلسطين ، واتجهت أنظار العرب والصهيونيين على السواء ، فضلاً عن الحكومة ، إلى مدينة القدس حيث كانت معركة الانتخابات البلدية أشد عنفاً وضراوة من أية معركة انتخابات بلدية أخرى في فلسطين ، لأن الحكومة والصهيونيين كانوا حريصين على فوز راغب النشاشيبي * في الانتخابات وبقائه رئيساً للبلدية في حين كان الوطنيون يركزون معظم جهودهم لإسقاط راغب النشاشيبي (زعيم المعارضة) في الانتخابات وانتزاع رئاسة بلدية القدس منه لأنه جعل من مجلس بلدية القدس أداة فعالة لمناهضة الحركة الوطنية ومقاومة المجلس الإسلامي * ، ولأنه كان يعمل باستمرار على عرقلة جهود الحركة الوطنية وإحباط العديد من المخططات المرسومة لمقاومة الحكم البريطاني .

ولما بدأت معركة انتخابات بلدية القدس تباحث زعماء الوطنيين في أمر اختيار الشخص الذي يرشحونه لمنافسة راغب النشاشيبي ، وقرروا ترشيح الدكتور الخالدي الذي نزل عند رغبتهم واستقال من وظيفته .

وبعد معركة انتخابية عنيفة وقف فيها الإنكليز والمعارضون إلى جانب النشاشيبي ، والوطنيون إلى جانب الخالدي ، فاز الدكتور الخالدي على النشاشيبي .

كان الدكتور الخالدي حريصاً على أن يظهر أمام الشعب بأنه محايد ومستقل وغير تابع لأي حزب أو زعيم . ومن هنا اتجه تفكيره إلى إنشاء حزب يكون هو زعيمه وقائده ، ويكون قادراً على الصمود في وجه المقاومة المنتظرة من مناهضيه ، خاصة أن منافسه راغب النشاشيبي شكل حزب الدفاع الوطني * . فأسرع الخالدي إلى تأسيس حزب الإصلاح الذي انضم إلى عضويته عدد من الأعيان والوجهاء ، مما جعل بعض الناس يصفونه بحزب الأعيان . وكان من أبرز

الأشخاص الذين تشكلت منهم لجنة الحزب المركزية : اسحق البديري (القدس) محمود أبو خضرا (يافا) حسني خليفة (عكا) عيسى البندك (بيت لحم) سعد الدين الخليلي (القدس) .

تولى الدكتور الخالدي زعامة الحزب في نفس الوقت الذي كان يتولى فيه رئاسة البلدية ، الأمر الذي أثار موجة من الحملات الصهيونية والإنكليزية ضده . ولم يكن الإنكليز والصهيونيون يخشون حزب الإصلاح ، أو نفوذه ، فقد كان من أحزاب الأقلية المحدودة ، ولكنهم كانوا يمهدون السبيل يومئذ لجعل رئيس بلدية القدس يهودياً .

وذكرت حكومة الانتداب في فلسطين في تقاريرها المرفوعة إلى لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم * وإلى الحكومة البريطانية في لندن أن الحزب العربي الفلسطيني * هو أكبر حزب في البلاد ، ويليه في القوة والنفوذ حزب الدفاع الوطني . أمّا سائر الأحزاب ومنها حزب الإصلاح فهي أحزاب أقلية .

وعندما تشكلت اللجنة العربية العليا لفلسطين * في ربيع ١٩٣٦ برئاسة الحاج أمين الحسيني ، انضم الدكتور الخالدي إلى عضويتها لأنه رئيس حزب . وأخلص الخالدي في العمل الوطني ووقف في جميع الظروف والمناسبات إلى جانب الجبهة الوطنية . ولما ضاق الصهيونيون والإنكليز ذرعاً بالحركة الوطنية وزعمائها ، وباللجنة العربية العليا لفلسطين وصمودها في وجه المؤامرة المبيتة ضد فلسطين ، أقدمت الحكومة البريطانية في تشرين الأول ١٩٣٧ بحجج واهية على حل المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة المذكورة واللجان القومية * ، وألقت القبض على الدكتور حسين الخالدي وأحمد حلمي عبد الباقي * وفؤاد سابا ويعقوب الغصين * ورشيد الحاج إبراهيم * وأبعدتهم إلى سيشل .

وفي أواخر عام ١٩٣٨ أفرجت السلطات البريطانية عن المبعدين المذكورين . وعاد الدكتور الخالدي إلى بيروت . ولما تقرر عقد مؤتمر المائدة المستديرة بين العرب وبريطانيا في لندن انتخب الخالدي عضواً في الوفد الفلسطيني (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) . وانتهى المؤتمر المذكور في صيف ١٩٣٩ إلى الفشل بسبب السياسة البريطانية والنفوذ الصهيوني العالمي ، فعاد الخالدي إلى بيروت وآثر البقاء فيها إثر نشوب الحرب العالمية الثانية .

وعندما أضحت الظروف العامة في فلسطين تسمح باستئناف النشاط السياسي عاد الخالدي إلى الوطن ، واستأنف في عام ١٩٤٣ جهوده السياسية ، وأعاد تشكيل حزب الإصلاح وتنشيطه . ولعب الخالدي دوراً كبيراً وفعالاً في تحقيق هدف الفلسطينيين باشتراك وفد عنهم في اجتماعات اللجنة التحضيرية لإنشاء جامعة الدول العربية . وكان للخالدي فضل كبير في هتك الستار عن المؤامرات التي كانت تحاك ضد قضية فلسطين في ١٩٤٣ / ١٩٤٤ ، وتصدى بجرأة وشجاعة لمشروع المكاتب العربية * .

ظل حزب الإصلاح قائماً حتى حزيران ١٩٤٦ عندما تم إنشاء الهيئة العربية العليا لفلسطين * واختير الخالدي عضواً فيها . فقد أوقفت جميع الأحزاب الفلسطينية نشاطها وأعمالها مع إنشاء الهيئة ولم يعد أي منها إلى العمل بعد هذا التاريخ . وتجدر الإشارة الى أن حسين فخري الخالدي كان الوحيد من أعضاء الهيئة الذي بقي في فلسطين في أعقاب قرار التقسيم (رَ : تقسيم فلسطين) .

المراجع :

ـ مذكرات حسين فخري الخالدي ، مخطوط من ٧ أجزاء محفوظة في مكتبة مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الأصمعي (مجلة ـ) :

مجلة اجتماعية نصف شهرية ظهرت في القدس * . وصدر العدد الأول منها حاملاً تاريخ ١٩ آب و ١ أيلول ١٩٠٨ . وهي تعتبر أول مجلة عربية صدرت في فلسطين . سماها صاحبها حنا عبد الله العيسى * « الأصمعي » لولعه بالأصمعي ، وتكنى بكنيته « أبي سعيد » . وقد عالجت المجلة الموضوعات الاجتماعية والسياسية والتربوية والأدبية .

طبعت الأصمعي في القدس في مطبعة جورجي حبيب حنانيا * صاحب جريدة القدس ، أما مكاتب إدارتها فكانت في يافا * .

صدر من المجلة أحد عشر عدداً في مدة خمسة أشهر ونصف ، وتوقفت عن الصدور بعد وفاة صاحبها بتاريخ ١٩٠٩/٩/١٢ .

شارك في تحرير المجلة والكتابة فيها خليل السكاكيني * الذي تكنّى بأبي الطيب لولعه بالمتنبي ، ومحمد إسعاف النشاشيبي * الذي تكنّى بأبي الفضل لولعه ببديع الزمان الهمذاني .

المراجع :

ـ أحمد خليل العقاد : الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .

أصناف الأرض : رَ : الأرض (أصناف ـ)

الأطعمة :

الطعام اليومي في فلسطين طعام بسيط يتألف عادة من

الحبوب * والألبان والخضر * والنباتات الطبيعية * التي ظل الإنسان الفلسطيني يعتمد كثيراً على نتاجها ، وخاصة في الأجزاء الشمالية والغربية من فلسطين حيث تسمح الأمطار بنموّ غطاء نباتي وجد الناس فيه مصدراً خصباً لقوتهم . كما أن هذا الغطاء النباتي ساعد أيضاً على وجود طيور * وحيوانات برّية * كانت مصدراً آخر لغذاء الإنسان . ويضاف إلى ذلك الساحل الفلسطيني الغني بالأسماك * ومختلف صنوف الصيد البحري . وهكذا فإن الأطعمة في فلسطين تتخذ مادتها من خيرات بلد يعتمد على الزراعة * ، والرعي * ، ونبات البر ، وحيواناته ، وصيد البحر .

وكانت فلسطين منذ القديم تتعرض إلى غزوات القبائل البدوية المجاورة التي تتلف الزرع وتنهب المحصولات والمواشي ، كما كانت البلاد تصاب ، أحياناً كثيرة ، بالجفاف * والقحط والأوبئة والجراد . لذلك كان السكان يقلقون دوماً على مصادر معيشتهم ، ولا ينقطعون عن التفكير في « خبزهم اليومي » . فقد كان الخبز ، كما يستدل من روايات الأناجيل ، هو الغذاء الرئيس لعامة الناس . وفي الدعاء إلى الرب إنما يقصد بالخبز كل طعام إطلاقاً . و « الأرغفة الخمسة » « مع السمكتين » التي أعطاها الغلام السيد المسيح (سفر يوحنا ٦ : ٩) هي خبز من الشعير الذي كان هو الشائع .

وإلى جانب الخبز كان طعام السكان في عهد المسيح وقبله وبعده يتألف من الفواكه والخضر مثل : العنب * والزبيب والتين والزيتون * والتمر ، ثم العدس والبازلا والفاصوليا والبصل والبطيخ والخيار . أما اللحم فلم يكن يؤكل إلاّ قليلاً ، ويقتصر أكله عند عامة الناس على المناسبات الخاصة من أعياد وأفراح وولائم ، حتى بعد أن خفف المسيح القيود الشديدة الواردة في التوراة * على أنواع الحيوانات وطريقة ذبحها . وبعكس اللحم كان السمك من الأطعمة الهامة في عهد السيد المسيح . ومن المعروف أن أكثر تلامذة المسيح كانوا من صيادي السمك . وكان السمك يطبخ طازجاً أو يشوى أو يجفف مع الملح .

وفي العصر الحاضر تتنوع الأكلات في شمال فلسطين وسأحلها حيث المنتجات الزراعية المختلفة ، ويظهر طابع الرفاه على بعضها . في حين يتميز طعام السكان في أقصى جنوب فلسطين وجنوبها الشرقي من غيره باعتماده على ثلاثة مصادر هي : الألبان ، ولحوم الماشية ، والحبوب .

ومن الضروري أيضاً التمييز بين طعام أهل المدن وطعام أهل الريف ، فهناك هوّة كبيرة بين الاثنين . ومردّ ذلك إلى أن المدينة الفلسطينية ، شأنها في ذلك شأن المدينة في كل مكان من الأرض العربية ، كانت مقاماً للمجموعات العسكرية التركية من دالاتية ، وأكراد ، وأرناؤوط ، ومغاربة . . الخ ، وكانت هذه المجموعات ، فضلاً عن تمتعها بمستوى معيشي مرتفع بالنسبة إلى السكان المحليين الفقراء ، قد جلبت معها إلى الأرض الفلسطينية أكلات أجنبية تركية ، سواء من حيث ماهيتها أو تسميتها على الأقل . وتتسم مآكل المدينة بطابعها البورجوازي إذا ما قورنت بمآكل الفلاحين الذين اعتمدوا على بقول البر ، وحبوب الفلاحة ، وثمار التين والعنب والبطيخ ، وألبان المواشي ، وطبخ كل ذلك بطريقة بسيطة توفر الليونة الضرورية التي يحدثها المرق للخبز الجاف في أحسن الأحوال .

ولا بد من الإشارة إلى وجود فروق بين طعام الرجل وطعام المرأة ؛ إن الطعام الأكثر والأفضل في الوسط الشعبي هو من نصيب الرجال والكبار بالسن أولاً ، ثم النساء والأطفال . وتضطر التقاليد المواطن الفلسطيني إلى إعارة الضيف ومن هو في حكمه كممثلي السلطة اهتماماً خاصاً قد يصل في بعض الحالات إلى تجاهل حقوق الأطفال والنساء في الأسرة .

وفيما يلي أنواع الأطعمة في فلسطين بالتسميات الأصلية مع ذكر أساليب إعدادها وتناولها . وهذه الأطعمة مرتبة ترتيباً هجائياً . ولا بد من التنبه إلى أن أكثر هذه الأطعمة تشبه الأنواع المعروفة في الأقطار المجاورة ، ومن الصعب معرفة أصل كل منها ؛ أهو من فلسطين أم من غيرها ؟ .

١) إبرة العجوز : تطبخ جذوع النبتة البرية التي تحمل الاسم نفسه مع البصل المقطّع والزيت .

٢) الإدرة : وهي مأخوذة من كلمة « قدرة » أي القدر . أكلة شائعة في مدينة الخليل * ، وتتألف من الرز والصنوبر واللحم والسمن البلدي ، توضع في قدر يدفع بها إلى الفرن حتى ينضج ما فيها .

٣) اكريزة : حلويات تصنع من السميد والسكر ويرش على السطح مبشور الجوز .

٤) بابا غنوج : باذنجان مشوي يقدم مع اللبن والثوم وزيت الزيتون .

٥) البازلاء : تطبخ البازلاء الجافة مع مرق اللحم .

٦) البامية : تطبخ « قرون » البامية مع اللحم و / أو البندورة . وفي وسط وشمال فلسطين تقدم « يخنة » البامية مع الرز ، بدلاً من « مريس » اللبن الشائع في جنوب البلاد .

٧) بحبثونة : وهي أكلة الفقراء المعدمين . تصنع البحبثونة من الطحين المحرّك في طبق واسع مبلول حتى تتألف حبيبات منه ، ثم تلقى الحبيبات هذه في الماء الغالي . تطبخ البحبثونة أيضاً مع أوراق نبتة الجعدة المجففة .

٨) البحتة : يسلق الرز بالحليب المحلى بالسكر ويصب

الطعام في وعاء حتى يجمد . وقد يضاف إليه بعد أن يجمد شيء من السمن أو الزبدة .

٩) البُخّيتة : تطبخ أوراق وعروق هذه النبتة البرية بعد تقطيعها مع الزيت والبصل .

١٠) البرازق : نوع من الكعك المستدير الرقيق المغطى بالسمسم .

١١) برانيط المسكوب : أنظر ششبرك .

١٢) بَرَّط حُومه : يضاف البيض إلى مرق فيه بصل وزيت ، ويفتّ الخبز بالمرق .

١٣) البرغل : هو القمح المسلوق ، وتستعمله الفلّاحة الفلسطينية بدلاً من الرز لوفرته ورخصه ، يطبخ مع العدس ، ويدخل في عمل المفتول والكبة .

١٤) بُرّيدِة : نبتة برية تنتج حبيبات لذيذة الأكل .

١٥) بَسوم : تؤكل جذوع هذه النبتة البرية نيئة .

١٦) بسيسه : يمزج الزيت وطحين القمح ليتكون منه مزيج لزج القوام يؤكل بغمس حبّات التين المجفف (القطّين) فيه .

١٧) البصَامه : نوع من العجين الرخو المخبوز على « صاج » مدهون بالزيت . وبعد إعداد « الرقاق » تدهن بالسمن والسكر وتقطع بسكين .

١٨) البطاطا : تطبخ مع البصل والزيت واللحم . وقد تؤكل البطاطا مشوية ، أو مسلوقة ، أو مقلية بالزيت ، أو على شكل طبقة مهروسة فوقها طبقة من اللحم وأخرى مهروسة .

١٩) البقدونسيّة : نوع من السلطة المؤلفة من البقدونس المقطّع مع الطحينة المحلولة بالليمون .

٢٠) البَلُوظَه : يطبخ نشا القمح ويضاف إليه القطر المصبوغ بلون أحمر .

٢١) البندورة : غذاء رئيسي للفقراء ، ومادة تزين « سفرة » الموسرين . وتدخل البندورة في إعداد السلطة والمرق واليخاني .

٢٢) البوزة : هي تخمير الخبز الجاف والخميرة بنقعهما بالماء ووضعهما تحت حرارة الشمس .

٢٣) البيتنجان : يحشى الباذنجان بخلطة من الرز واللحم المفروم والتوابل ويطبخ ، ويكدّس بالزيت بعد حشوه بالجوز ليستعمل مقبلاً . ويطبخ الباذنجان مع البندورة ، كما يؤكل مقلياً ومشوياً . ويدخل في طبخة « المقلوبة » .

٢٤) البيصارة : يطبخ الفول المجروش بالملوخيّة . وهي أكلة ذات جذور فرعونية وكنعانية .

٢٥) البيض: في الثلاثينات من هذا القرن كان سعر البيضة الواحدة يعادل مليماً فلسطينياً وربع المليم . وقد توفر البيض غذاء يومياً للأسر القروية التي كانت تربي كل منها عشرات بل مئات من الدجاج . وهكذا كان البيض يستعمل على نطاق واسع مشوياً ، مقلياً ، مع البندورة في القلّاية ، ومع أوراق « الجعدة المجففة » (جعاجيل) ومسلوقاً مع البطاطا (مفركية) ، ومع اللحم ، ومع الزهرة (القنّبيط) ، ومع « زنابيط » البصل ، وأخيراً ، وفي الأوساط البورجوازية ، محشواً باللحم المفروم المقلي .

٢٦) التمر : يؤلف العمود الفقري للطعام عند بدو أقصى جنوب فلسطين . وفي المناطق المتحضرة شمالاً يصنع منه شراب لذيذ .

٢٧) الثريد : الخبز الجاف المفتوت بمرق أو لبن أو ما شابه ذلك .

٢٨) الجاج : يطبخ الدجاج مع الحساء ويحشى بالأرز والتوابل . وفي الوسط الشعبي يؤكل مع الملوخية والخضار .

٢٩) الجريشة : الأكلة الشعبية الرئيسة في المواسم وعند أضرحة الأولياء . يطبخ مع القمح المجروش بالماء ، ومع اللحم ، أو بدونه .

٣٠) الحصرمية : العدس غير المجروش يطبخ مع الحصرم .

٣١) الحلاوة : تصنع في المصانع ، وعليها إقبال عظيم ، ومنها البيضاء المتحجرة التي تسمى « حلاوة النبي » .

٣٢) حلّي سنونك : مادة مصنوعة من السكر المغلي بالماء حتى يجمد .

٣٣) الحلبة : نوع من الحلويات المؤلفة من السّميد والسكر والطحين ، وكذلك بذور الحلبة .

٣٤) الحليب والليمون : من أعمدة الغذاء في طول البلاد وعرضها ، ومنهما تشتق عشرات المأكولات والحلويات .

٣٥) الحمام : من هذه الطيور المنزلية تشتق أكلات كثيرة .

٣٦) الحمّص : من الحمّص يقدم صحن الفطور الشرقي المعروف ، ومنه تصنع الفلافل الأكلة الوطنية الشائعة .

٣٧) الحمّصيص : تطبخ جذور هذه النبتة البرية الحامضة الطعم مع العدس أو جريشة الذرة .

٣٨) الحمّيظ : تنظف أوراق هذه النبتة البرية وتقلى مع الزيت والبصل .

٣٩) الخُويرة : تؤكل أوراق وجذوع هذه النبتة التي تنمو بالقرب من مصادر المياه ، أو تقلى مع الزيت والبصل .

٤٠) الخبّيزة : نبتة برية ذات أوراق خضراء عريضة . تفرم الأوراق وتطبخ مع الزيت والبصل . وقد تطبخ مع الرز .

٤١) الخبيصة : نوع من « الهيلطية » المؤلفة من النشا ومنقوع الخروب .

٤٢) الخرّوب : تؤكل قرون الخروب المجففة في الشتاء كغذاء وكمادة حلوة .

٤٣) الخميعة : الخبز المفتوت بالحليب .

٤٤) الدّبس : يصنع من التمر ويؤكل بمزجه مع الطحينة أو وحيداً . وربما كان آكلوه مع الطحينة يقلدون الموسرين الذين يأكلون العسل والزبد .

٤٥) الدُّقَّة : أوراق الزعتر المجففة والمدقوقة مع السمسم ونحوه .

٤٦) الدَّقَّة : سلطة غزّاوية يتألف معظمها من الفلفل مع قليل من البندورة .

٤٧) الدّوالي : ورق العنب الملفوف بخلطة من الرز واللحم والبهارات .

٤٨) الرّاحة : معجّنة من السكر والطحين تصنعها المصانع خصيصاً للوسط الشعبي .

٤٩) الرّز : مادة غذائية أساسية . يستعاض عنها في الوسط الشعبي بالبرغل ، وفي الأوساط الفقيرة يظهر الرز في المناسبات الاجتماعية واحتفالات الضيافة .

٥٠) الرّشتة : عجين مقطع يلقى به في ماء غال به عدس . تؤكل هذه الأكلة بعد أن تبرد .

٥١) الرّمّانيّة : أكلة غزاوية تتألف من الباذنجان والعدس والرمان .

٥٢) الزّعمطوط : نبتة برية ذات ورق عريض أخضر مشرب بالزرقة . يطبخ ورق الزعمطوط ملفوفاً بخلطة من الرز واللحم والبهارات .

٥٣) الزّلابية : العجين الرخو المقلي بالزيت . ويمكن تصنيف هذا النوع من المأكولات ضمن مواد الترف في الوسط الشعبي .

٥٤) الزيتون : تؤلف منتجات الشجرة المباركة الجزء الأكبر من غذاء الفلاح الفلسطيني ، فهو يأكل حب الزيتون بأشكال شتى . ويستعمل الزيت تقريباً في كل أكلة من أكلاته .

٥٥) السلطة : خليط من البندورة والفلفل والبصل المفروم مع الملح والزيت .

٥٦) السمك : يتوفر السمك في فلسطين ، في ساحلها الطويل وبحيرة طبرية * ونهر الأردن * ، ويؤلف جانباً هاماً من غذاء الشعب ومصدر رزقه .

٥٧) السّميدة : وهي مجروش القمح أو البرغل ، وتؤلف جزءاً هاماً من طعام الناس في الوسط الشعبي . تؤكل بطبخها مع اللحم ، أو بدونه .

٥٨) الشاكرية : اللحم المطبوخ باللبن .

٥٩) الششبرك : قطع من العجين المحشوة باللحم ونحوه . تطبخ بمرق اللبن .

٦٠) الشعيرية : تصنعها الفلاحة الفلسطينية من عجين القمح لتكون بديلاً للرز ، أو لتخلط معه .

٦١) الصّبر : من ثمار الصيف البرية التي تعوض عن الكثير من الطعام .

٦٢) الطاجن : ما يطبخ في إناء من النحاس من خضار ولحم . وتنتمي أكلات الطاجن لجنوب فلسطين .

٦٣) العدس : طعام الفقراء الذي يغني عن اللحم . يطبخ لصنع الثريد ، أو لخلطه مع الرز أو البرغل .

٦٤) العسل : وهو منتوج وافر في فلسطين ، وعلى الأخص في الساحل والجبل والغور حيث يتوافر غطاء نباتي ضروري لنشاط النحل .

٦٥) العكّوب : نبتة برية ذات جذور تطبخ بعد تنظيفها .

٦٦) الفتّ : بمعنى إذابة الخبز في مرق اللحم والحساء والحليب ، ومرق اللبن ، وما شابه ذلك من أطعمة ذات قوام رخو .

٦٧) الفريكة : وهي حبات القمح قبيل نضجه مشوية بنار هادئة ، تصنع منها أكلة لذيذة الطعم ، وخاصة مع لحم الطيور .

٦٨) الفلافل : أكلة فلسطينية وعربية مشهورة تحضر من مجروش الحمص مع البهارات ، وتقلى بالزيت . وأكثر ما تؤكل مع الفطور .

٦٩) الفول : طعام شعبي شائع ، يطبخ وهو أخضر ، كما يطبخ الفول المجروش مع اللحم أو بدونه .

٧٠) القرص : تصنع أشكال شتى من الأقراص . وهي عجين يضاف إليه اللحم والزعتر والسبانخ والحلبة والبيض ، الخ .

٧١) القطايف : يرتبط تناول هذا النوع من الحلويات في الذهن الشعبي بأيام رمضان ، وهي إحدى ملامح الأكل في هذا الشهر .

٧٢) القطين : التين المجفف .

٧٣) القمر الدين : يصنع من الفواكه ويكون على شكل رقائق . يستعمل مذاب قمر الدين أكلة خفيفة للسحور في رمضان .

٧٤) الكبة : أكلة فلسطينية شمالية شائعة . وهي بوجه الإجمال برغل منقوع بالماء ومحشوّ باللحم .

٧٥) الكعك : على الأغلب يؤكل الكعك في عيد الفطر في الوسط الشعبي ، وفي الأوساط المتقدمة تتنوع أشكاله ومناسبات تناوله .

٧٦) الكفتة : اللحم المطحون والممزوج بالبصل والبقدونس ، تصنع منه كرات تقلى بالزيت أو تطبخ بالمرق .

٧٧) الكوسا : تطبخ بالحساء ، أو تحشى بالرز واللحم .

٧٨) اللحم : تتوفر الماشية والجمال والطيور والحيوانات البرية في فلسطين مما يكوّن مصدراً جيداً للّحم . وقبل الخمسينات من هذا القرن كان من الممكن شراء عنز في سنتها الثانية مقابل جنيه فلسطيني واحد . وكان بعض الناس يحصلون على اللحم من صيد البر الوافر . وفي الغور * كانت تتوافر الجواميس والطيور البرية بصورة كافية .

٧٩) اللزازيق : عجين رخو يخبز على الصاج المحمي .

٨٠) اللّسينة : نبتة برية ذات ورق أخضر خشن . تطبخ الأوراق بعد حشوها بخلطة من الرز واللحم . وهي أكلة ذات نكهة جيدة .

٨١) المجدّرة : البرغل والعدس ، أو الرز والعدس .

٨٢) المدفونة : يدفن اللحم بين حبات الرز ، ويطبخ الجميع بعد إضافة الماء والسمن والبهارات .

٨٣) المسخّن : أكلة فلسطينية أصيلة ، أغلب ما توجد في وسط وشمال فلسطين . يخبز خبز الطابون ويضاف إليه البصل المقلي مع الطيور المحمرة وزيت الزيتون الأصيل . شاع استعمالها فيما بعد كأكلة رسمية .

٨٤) المعمول : الكعك المصنوع من السكر والسميد والسمن .

٨٥) المفتول : أكلة فلسطينية نموذجية تتألف من البرغل المفتول مع الطحين ، والمطبوخ ببخار مرق الدجاج ونحوه . وهي أكلة شعبية .

٨٦) المقلوبة : أكلة شعبية سميت بهذا الاسم لأنها تطبخ وتصب كقالب مقلوب . تتألف من الرز والخضار واللحم .

٨٧) الملفوف : تلف أوراق الملفوف بخلطة من الرز واللحم .

٨٨) الملوخية : أكلة شعبية وتاريخية . وغالباً ما تطبخ أوراق الملوخية مع لحم الطيور .

٨٩) المنسف : أكلة شعبية ورسمية تنتمي إلى جنوب ووسط فلسطين ، وهي غير موجودة في الشمال ، باستثناء مناطق البدو . وفي الأجزاء غير الصحراوية من فلسطين يقدم الرز منفصلاً عن المرق مهما تعدد الحضور . ويرتبط المنسف تاريخياً بالأوساط البدوية . وهو يعطي الفرصة لإطعام عدد كبير من الناس باستعمال أدوات قليلة جداً .

إن ما أورد من قائمة الأطعمة في فلسطين ما هو إلا جزء من قائمة طويلة من الأكلات والحلويات التي عرفها الشعب الفلسطيني ونتجت عن خيرات أرضه المعطاء . إن دراسة الأفكار والعادات المتصلة بالأكل توضح ، إلى حد كبير ، عادات الشعب وواقعه المعيشي ، وهي وجهة نظر نتجت عن التفاعل بين الإنسان وواقع أرضه .

وقد عانى الفلسطينيون الكثير ، وأوذوا في أرزاقهم منذ أن بدأت الهجمة الصهيونية على وطنهم ، وذاقوا مرارة الجوع والعوز . وما زالت رحلة المعاناة من أجل لقمة العيش مستمرة ما دامت رحلة العدوان قائمة ، وما دام الشعب الفلسطيني مصرّاً على تحرير أرضه مصدر قوته ، تلك الأرض التي عرفت منذ القديم بأنها الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً ، والتي وصفها رحالة القرن التاسع عشر بأحلى الأوصاف : غطاء نباتي أخّاذ ، وغطاء حيواني وافر ، وطيور تحجب نور الشمس عن الأرض ، ومياه وينابيع تملأ كل مكان .

المراجع :

ـ موسوعة الفولكلور الفلسطيني : ج ٣ ، الأكل الشعبي .

ـ يسرى عزنيطة : الفنون الشعبية في فلسطين ، بيروت ١٩٦٨ .

— Fridric Scrim Geour: **Nazareth of To - day,** London 1913.

— Mary Eliza Rogers: **Domestic Life in Palestine,** London 1863.

— Thomson, W.: **The Land and the Book,** New York 1892.

الأطلسي : رَ : مجلس الأطلسي الأمريكي (تقرير ـ)

اعتداء : رَ : عدوان

الإعلام الموحد (مجلس ـ) :

هو المجلس الذي عبّر خلال عامين من العمل عن الوحدة الإعلامية لمنظمات المقاومة الفلسطينية .

وكانت اللجنة المركزية لحركة فتح قد قررت في جلستها المنعقدة بتاريخ ١٩٧٢/٥/١٩ إنشاء هذا المجلس في إطار الإعلام الموحّد لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، وضمن التوجه لتوحيد العمل الفلسطيني الذي سبق أن أقره المؤتمر الشعبي والمجلس الوطني الفلسطينيان المنعقدان في القاهرة في آذار ١٩٧٢ (رَ : المجلس الوطني الفلسطيني) .

أصدر مفوّض الإعلام في فتح كتاباً مؤرخاً في ١٩٧٢/٦/٣ قرّر فيه أن " يصبح اسم جميع الإذاعات التابعة للحركة إعتباراً من يوم الخامس من حزيران ١٩٧٢ : صوت فلسطين ـ صوت الثورة الفلسطينية " . وضمّت هذه الإذاعات أربع محطات هي إذاعة القاهرة و إذاعة درعا وإذاعة بغداد وإذاعة الجزائر . وقرر

المفوض أيضاً أن تصبح جميع مكاتب إعلام حركة فتح ، في دمشق والقاهرة وبغداد والجزائر والكويت وليبيا وتونس ، منذ ١٩٧٢/٦/٥ تابعة لدائرة الإعلام والتوجيه القومي في منظمة التحرير الفلسطينية ، وتتلقى تعليماتها منها .

وعندما اتخذ قرار توحيد أجهزة إعلام الثورة الفلسطينية في جهاز الإعلام الموحّد تولّى مسؤولية هذا الإعلام كمال ناصر * ، فيما كان مسؤول الإعلام في فتح كمال عدوان * . وقد صدرت عن هذا الجهاز صحيفة « فلسطين الثورة » الأسبوعية .

تم تمثيل مختلف منظمات المقاومة الفلسطينية في جهاز الإعلام الموحّد وإن ظلت المساهمة الأساسية لفتح أكثر من غيرها من المنظمات . وألغت فتح نشراتها ومطبوعاتها الخاصة فيما واصلت بقية المنظمات ممارسة نشاطها الإعلامي الخاص ، على الرغم من مساهمتها في الإعلام الموحّد ، إلى أن استشهد كلٌ من كمال ناصر وكمال عدوان فتمّ اتخاذ قرارين ، أولهما اتّخذته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويقضي بتعيين مسؤول عن الإعلام ، فيما اتخذت القرار الثاني اللجنة المركزية لحركة فتح ، وكلفت فيه أحد مسؤوليها مهمة إدارة الإعلام المركزي والعلاقات الخارجية لفتح ، إلى جانب الإعلام الموحّد .

وقد أولى هذا المسؤول اهتماماً خاصاً بمجلس الإعلام الموحّد فأعاد تشكيله من مسؤولي الإعلام في منظمات المقاومة الفلسطينية ، ومدير مركز الأبحاث * ، ومدير مركز التخطيط * (التابعين لمنظمة التحرير الفلسطينية) ، ومدير مؤسسة الدراسات الفلسطينية * . وتولّى مسؤول فتح رئاسة هذا المجلس .

وبعد حرب ١٩٧٣ * برزت مسألة التسوية وثارت الخلافات بصددها في الساحة الفلسطينية . وكان طبيعياً أن تنعكس هذه الخلافات على جهاز الإعلام . وسرعان ما جرى تغيير الجهاز القيادي للإعلام الموحد في كانون الثاني ١٩٧٤ . وفقد الإعلام الموحد ومجلسه مبرر وجودهما بعد أن استفحل الخلاف ، وبذا تعطّل مجلس الإعلام الموحّد على الرغم من استمرار الإعلام الموحد كمؤسسة .

الإعلانات الشرقية (شركة ــ) :

رَ : الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية

ابن الأعور الكناني المدلجي : رَ : علقمة بن مجزّر

أغــرانــات (لجـنة ــ) :

لجنة شكلتها الحكومة الإسرائيلية في أعقاب حرب تشرين الأول عام ١٩٧٣ (رَ : حرب ١٩٧٣) للتحقيق في الأخطاء التي حدثت في تلك الحرب . ففي يوم ١٩٧٣/١١/١٨ اتخذت الحكومة الإسرائيلية قراراً بتشكيل لجنة تحقيق من خمسة أعضاء يختارهم رئيس المحكمة العليا للتحقيق في أمرين :

١) المعلومات التي جمعت خلال الأيام التي سبقت حرب « يوم الغفران » عن خطوات « العدو » ونواياه ببدء الحرب وتقديرات ومواقف الجهات العسكرية والمدنية المعتمدة فيما يتعلق بالمعلومات المذكورة .

٢) استنفار الجيش الإسرائيلي للحرب بصورة عامة وتأهبه خلال الأيام التي سبقت الحرب والأعمال التي قام بها في الحرب .

وفي ١٩٧٣/١١/٢١ أصدر رئيس المحكمة العليا شمعون أغرانات قراراً بتعيين لجنة برئاسته تضم :

١) موشي لانداو قاضي المحكمة العليا .

٢) الدكتور يتسحاق نفنتسال مراقب حسابات الدولة .

٣) اللواء الاحتياط ييغال يادين رئيس الأركان الأسبق والأستاذ بالجامعة العبرية .

٤) اللواء الاحتياط حاييم لاسكوف رئيس الأركان الأسبق ومفوض شكاوى الجنود .

بدأت اللجنة يوم ١٩٧٣/١١/٢٥ أعمالها بجمع الشهادات ، وعقدت ١٤٠ جلسة واستمعت إلى ٥٨ شاهداً ، كما قدمت إليها مواد خطية أخرى . وفي يوم ١٩٧٤/٤/٣ أصدرت تقريراً أول أدانت فيه الجنرال دافيد اليعازر رئيس الأركان أثناء حرب تشرين ، والجنرال شموئيل غونين قائد الجبهة الجنوبية ، والجنرال زعيرا رئيس شعبة المخابرات آنذاك ، وعدداً من ضباط شعبة المخابرات ، بتهمة التقصير . وبرأت غولدا مائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية في ذلك الوقت ووزير دفاعها موشي دايان من هذه التهمة .

وقد أبقت اللجنة مداولاتها سرية ، وكذلك الشهادات التي قدمت إليها .

انتقدت اللجنة في التقرير الأول الذي نشرته تقويمات رئيس شعبة المخابرات في الأركان العامة ومساعده الرئيس المسؤول عن قسم الأبحاث في الشعبة ، وألقت عليهما تبعة التقديرات الخاطئة بالنسبة إلى نيات سورية ومصر بشأن إعلان الحرب وتوقيتها . وقالت اللجنة في تقريرها إن هذين المسؤولين أخفقا لأنهما أعطيا الجيش إنذاراً قبل وقت غير كاف على الإطلاق . ورغم توفر معلومات في موعد أسبق فقد أعلن رئيس شعبة الاستخبارات في حوالي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الحرب فقط أن « العدو » يزمع بدء الحرب في الساعة ١٨ تقريباً على الجبهتين . وهكذا لم يمكّن هذا القرار القصير المدى القيادات المسؤولة من تعبئة الاحتياط بصورة

منتظمة وكاملة ، واقتضى تعبئة مسرعة لاحتياط القوات البرية لم تتم بموجب الجداول الزمنية وإجراءات التعبئة الاعتيادية . كما أن الساعات الإضافية الأربع بين تقدير رئيس شعبة المخابرات (الساعة ١٨) وبين البدء عملياً بالحرب (الساعة ١٤) قلصت كثيراً المجال الزمني بين دعوة الاحتياط وبدء القتال ، وأدى هذا الخطأ الثاني إلى مزيد من الارتباك في استنفار القوات النظامية على الجبهات وانتشارها السليم ، خصوصاً في جبهة القناة .

وجاء في التقرير أن هناك ثلاثة أسباب لفشل الجهات المسؤولة عن التقويم : أولها تمسك هذه الجهات المتعنت بما كانت تطلق عليه المفهوم الأمني الذي يقول :

١) إن مصر لن تشن حرباً على (إسرائيل) إلّا بعد أن تضمن لنفسها في الدرجة الأولى القدرة الجوية على مهاجمة (إسرائيل) في العمق ، وخصوصاً المطارات الإسرائيلية الرئيسة لشل سلاح الجو الإسرائيلي .

٢) إن سورية لن تشن هجوماً شاملاً على (إسرائيل) إلّا بالاشتراك مع مصر .

وبموجب تقرير اللجنة أيضاً لم تكن أخطاء المخابرات العسكرية الأخطاء الوحيدة التي أربكت خطوات الجيش الإسرائيلي في بداية الحرب ، فقد أضيفت إليها أخطاء تتعلق بتطبيق استنفار الجيش خلال الأيام التي سبقت الحرب ، إذ حدث تأخير لا مبرر له في تعبئة الاحتياط . وقد قالت اللجنة : " إننا نعتقد أنه كان على رئيس الأركان ، بناء على المعلومات التي كانت في حيازته ، أن يوصي بتعبئة جزئية لاحتياط القوات البرية منذ بداية الأسبوع الذي سبق الحرب كي يحافظ على التوازن الصحيح بين قوات العدو التي كانت على أهبة الاستعداد الكامل لمهاجمة قواتنا . وكان عليه أن يوصي ، في ضوء الأخبار التي وصلت ، بتعبئة قوات كبيرة منذ صباح يوم الجمعة ٥ تشرين الأول ١٩٧٣ على الأقل ، حتى لو افترض أن نيات العدو لم تكن واضحة في ذلك الوقت " .

أما السبب الثاني فهو : عدم وجود خطة دفاعية جاهزة للاستخدام في حال اضطرار القوة النظامية إلى أن تصد وحدها الهجوم الشامل ، بسبب الاعتماد المطلق على قدرة المخابرات العسكرية على إعطاء تحذير مسبق كاف لتعبئة الاحتياط بصورة منظمة .

والسبب الثالث في رأي اللجنة أن القوات النظامية على جبهة القناة لم تنتشر ، حتى بعد الحصول على الإنذار صباح يوم السبت ١٩٧٣/١٠/٦ ، الانتشار الأمثل في الظروف التي نشأت بموجب الخطة الموضوعة للانتشار الدفاعي للقوة النظامية ، ولم تعط أيضاً في ذلك الصباح توجيهات واضحة من قائد الجبهة الجنوبية ولا ممن هم ادنى منه رتبة كي ترشدها في التأهب لمواجهة الهجوم ، وساد الغموض إصدار الأوامر القتالية وتأكيد تنفيذها .

وبعد أن برأت اللجنة الحكومة بشخص رئيستها غولدا مائير ووزير دفاعها موشي دايان أوصت ، فيما أوصت ، بما يلي :

١) تعيين مستشار خاص لرئيس الحكومة لشؤون المخابرات (من غير أفراد الجيش النظامي) ، ويعمل إلى جانبه فريق صغير ، ولكنه متميز ، لمساعدة الحكومة في تقويم مستقل للمعلومات السياسية والاستراتيجية .

٢) تعزيز قسم الأبحاث في وزارة الخارجية الإسرائيلية وتنظيمه كهيئة مستقلة ضمن إطار الوزارة ، على أن يكون أحد الأهداف الأساسية لهذه الهيئة التقويم المستقل للمعلومات السياسية والاستراتيجية .

٣) إجراء تغييرات أساسية وجوهرية في هيكل شعبة المخابرات العسكرية ، وجهاز المخابرات بكامله ، تضمن جعل مركز الثقل والتقويم ينصب في مجالات معلومات الاستخبارات العسكرية والاستراتيجية والميدانية والتكتيكية ، وتضمن التعبير الملائم بل تشجيع الآراء المختلفة والمتضاربة للعاملين في قسم الأبحاث حول تقويمات شعبة المخابرات العسكرية التي توزعها على الهيئات المختلفة .

٤) أن تحدد بوضوح قواعد تلقّي ، وجمع ، وتوزيع معلومات المخابرات الأولية بواسطة هيئات الجمع ، سواء داخل المخابرات العسكرية أم خارجها ، وسواء أكان ذلك شغلها الرئيسي أو الثانوي ، وتوزع على هيئات البحث المختلفة وعلى وزير الدفاع ورئيسة الحكومة .

٥) إنشاء وحدات ضمن أطر الموساد* تتولى تقويم المواد التي تجمعها الموساد .

وقد ألحقت لجنة أغرانات تقريرها الأول بتقرير إضافي ثان في ١٩٧٤/٧/١٠ . ثم أصدرت تقريرها الثالث والأخير في ١٩٧٥/١٠/٣٠ . وقد أوصت فيه بعدم نشره لأسباب أمنية ، والاكتفاء بنشر مقدمة التقرير وملاحقه ، كما أوصت بعدم نشر محاضر مداولات اللجنة لمدة ثلاثين عاماً اعتباراً من تاريخ تقديم التقرير ، على أن ينشر كله أو بعضه بعد ذلك بموافقة رئيس المحكمة العليا ، وبناء على طلب الحكومة او لجنة الخارجية والأمن ، ويشترط أن يتضمن الطلب مبررات رفع السرية .

وقد أثار الجزء المنشور من التقرير الثالث ردود فعل وتعليقات في الأوساط الشعبية الإسرائيلية ، خصوصاً أن اللجنة لم تجب على كل الأسئلة التي طرحت نتيجة الحرب ، مما كان له أثره البالغ على تطور

الحياة السياسية في الكيان الصهيوني منذ تاريخ نشر هذا الجزء من التقرير .

المرجع :

ـ يشعياهو بن فورات وآخرون : التقصير (مترجم) ، بيروت ١٩٧٦ .

الأغنام : رَ: الحيوانات الأليفة

الأغنية الشعبية :

تنبثق الأغنية الشعبية عند الأمم من أصل واحد ذي موضوع مشترك يصور البيئة والحالة النفسية والعادات الملازمة لتلك الشعوب . وهذا يصدق على الأغاني الشعبية في فلسطين ، فهي أغان فطرية لا أثر فيها لصنعة متعمدة ارتجلها فرد مجهول من أفراد الشعب بطريقة بدائية لا كلفة فيها ولا « تكنيك » ، وتناقلها الأبناء عن آبائهم والبنات عن أمهاتهن . وترافق هذه الأغنيات صور واضحة عن العادات والخرافات والمعتقدات التي تحرص عليها تلك الشعوب .

وبالرغم من الاختلاف الفني والنظري بين أنواع موسيقى الشعوب ، وبالرغم من التفاوت في مواهبها وعزلتها ، أو استقلالها ، فهناك قاسم مشترك يجمع بينها ، وما ذلك سوى أداء الأغاني الشعبية ؛ إذ يقوم الرجال والنساء والأطفال مجتمعين أو منفردين بتقديمها بشكل بسيط ساذج محرّر من كل قيد ، كالخروج عن اللحن المعروف ، أو الرغبة في التهليل أو الزغاريد . فليس هناك فنان وجمهور بالمعنى المألوف ، والجمهور هو الفنان .

وقد شعر العالم الغربي بأهمية التراث الموسيقي وحفظه فشرع الإنكليز في أوائل القرن التاسع عشر بجمع منظّم منسق للموسيقى الشعبية ، وكانت دراسة التراث تبعاً لعلم الآثار ، ولكن ظهور الرومانسية الأوربية والروح القومية خصتا الفنون الشعبية *Folklore* بدراسة خاصة .

وكان من سوء حظ فلسطين أن أخرت النكبة وتشريد السكان ، منذ ثلاثين سنة عملية جمع الفنون الشعبية ودراستها ، علماً بأن النكبة ونتائجها المباشرة زادت وتزيد أهمية عملية جمع التراث المذكور والفائدة التي لا بد أن تجنى من دراسة الفنون ونشرها .

وقد جاء في كتاب « تطوير الفن الموسيقي » لشارلز بري *Charles Perry* " أن الموسيقى الشعبية تختلف عند الشعوب باختلاف طبائعها ونفسيتها وتقاليدها وحالتها الاجتماعية وحياتها المعيشية " . وقد رسم المؤلف اللوحة التالية :

موسيقى قاتمة = لشعب كئيب عابس .
موسيقى شجية = لشعب شاعري .
موسيقى بسيطة وغير محكمة الصنع = لشعب واقعي .
موسيقى متوحشة = لشعب همجي شرس .
موسيقى مرحة وضعيفة = لشعب نشيط .
موسيقى نبيلة وجليلة = لشعب جاد .

وتميل بعض الشعوب إلى الأنغام العاطفية أكثر من ميلها إلى الأنغام الجدية . ولكن ما من أمة تميل كلياً إلى أحد النوعين ميلاً كاملاً . فإلى أي نوع يميل الشعب الفلسطيني إذن ؟

إن الفن الموسيقي الفلسطيني فن شعبي عربي واحد انبثق عن ثقافة عربية واحدة تمثل جميعاً فناً عربياً واحداً .

أجمعت الآراء على أن الموسيقى العربية تتصف بالحزن والكآبة والرتابة ، أي أنها تصنف في الفئة الثانية والثالثة من تنسيق بري المذكور أعلاه . ولا شك في أن هذا التصنيف لا يعدو الصواب كثيراً ، ولكن الصفات التي اتسمت بها الموسيقى العربية نتيجة عوامل كثيرة تكونت في عصور الانحطاط والخمول والاستعباد والاحتلال . فالموسيقى العربية ، وإن كانت في ظاهرها تميل إلى النوع العاطفي الشجي الحزين ، تتصف في الوقت ذاته بالحيوية والرجولة ، ويؤيد هذا القول النظر إلى الدبكة*، الرقصة الشعبية ، وما يصاحبها من موسيقى حيوية ، فذلك يزيل عن هذه الموسيقى نقيصة الميوعة والبكاء .

أ ـ مواضيع الأغاني الشعبية : تقسم الأغاني الشعبية الفلسطينية ، كأغاني الشعوب الأخرى ، إلى أنواع وموضوعات . وهي :

١) أغاني الأعياد والاحتفالات الدينية .
٢) أغاني الحب والغزل ، وأغاني الأفراح والأعراس والختان والميلاد .
٣) أغاني الحرب والحماسة والحث على القتال .
٤) أغاني العمل والتجارة .
٥) أغاني الشراب والسياسة والهزل .
٦) أغاني الرقص .
٧) أغاني المآتم والرثاء .
٨) أغاني الروايات والأقاصيص .

ب ـ اللهجات في الأغنية الشعبية الفلسطينية : هناك لهجات كثيرة يتخاطب بها أهل فلسطين ويعبّرون بها عن مرادهم . وهي تصوّر ، بأسلوبها وعفويتها ، أغراض حياتهم المعاشية ، وتعطي فكرة واضحة عن مزاج أهلها وطريقة معالجتهم مختلف القضايا

والأمور التي تعترضهم في دنياهم . إن اللغة العامية ، بلهجاتها الفلسطينية ، تجسّم القيم الجمالية في محتوياتها لا في أسلوبها . وهي مستكملة لمقوماتها كأداة فنية قادرة على تصوير ذات الشعب الفلسطيني والإفصاح عن عواطفه ومعتقداته .

والعامية ، في أي بلد من العالم ، صورة لتفاعل التيارات الحضارية القديمة المختلفة ، وما أكثر تلك التيارات التي تعرّض لها العرب في فلسطين .

وقد تعاقبت على فلسطين منذ أقدم الأزمنة التاريخية حتى اليوم ثلاث لغات هي الكنعانية * ، والآرامية * ، ثم العربية الحديثة . وفي العربية اليوم كلمات آرامية الأصل عرّبها العرب واقتبسوها من السريانية .

وقد كان لنزوح القبائل العربية إلى فلسطين ، قبل الإسلام وبعده ، تأثير في اللهجة الفلسطينية ، لكن تلك التيارات لم تؤثر في اللغة الفصحى التي بقيت لغة الأدب والدين والرسميات .

وهناك قبائل كثيرة استقرت في فلسطين قبل الإسلام (رَ: العرب قبل الإسلام في فلسطين) . وقد تركت تلك القبائل آثاراً ما زالت متأصلة حتى يومنا هذا في كثير من القرى والمدن العربية . وقد أوجدت اللهجات التي أدخلتها هذه القبائل النازحة من الجزيرة العربية ، وما صحبها من تفاعلات ومؤثرات أشورية وفارسية ويونانية ، ثم تركية وإنكليزية ، أوجدت لهجة فلسطينية من خصائصها كلمات وصفات وسمات لغوية تخضع كليا للظواهر : كالكشكشة ، والعنعنة ، والاستنكاء ، وإبدال حروف الحلق ، وإبدال حرف الضاد ، واستعمال مرادفات تؤدي المعنى نفسه ، وتأدية مقاطع معينة بأصوات ذات جرس معين يعطي طابع القرية والمدينة .

وهناك فروق حديثة يصعب الإفصاح عنها بالكتابة المعتادة ، كمد الصوت في أحرف العلة (أهل القدس) ، واستعمال نغمة خاصة في آخر الكلمة في صيغة السؤال (أهل غزة) . وهذا التباين في الصفات الصوتية أمر طبيعي يدخل في باب العادات التي يتصف بها كل مجتمع على حدة . وللبيئة دور هام في تكوين هذه الفروق عند الشعوب .

جـ ـ ظاهرة اللحن في الأغنية الشعبية : قد يتصور المستمع المثقف عند سماعه الموسيقى الشعبية لدى الشعوب النامية أنها موسيقى بدائية غير خاضعة لنظام خاص أو أسلوب علمي متبع . ولكن التدقيق في مثل هذه الألحان دلّ على أنها تخضع ، بالرغم من بساطتها وسذاجتها، لأنظمة معيّنة تعطي فكرة ولوناً خاصاً للشعوب التي تنتمي إليها . فهناك ألحان مثلاً يكون مركز الثقل فيها البعد الثالث ، وهناك الرابع أو الخامس ، ويكون بعضها غير موزون ، على حين يدل إيقاع مجتمعات أخرى بوضوح أكثر كدول أوربا مثلاً .

وهناك صفات في اللحن الشعبي الفلسطيني أكسبته لونا خاصاً ، وهي :

١) قصر الجمل : إن جمل اللحن الشعبي الفلسطيني قصيرة جداً لا تتجاوز موازينها *Measure tune* الصوتية الثمانية . وهناك عدد قليل جداً منها يتجاوز الاثني عشر ميزانا صوتياً . وتتكرر هذه الجمل مرارا . والغريب أن هذا التكرار ، رغم رتابته ، يزيد في حلاوة اللحن ومرونته ، كما يزيد في جذب السامع إليه . ويرجع التكرار في الأسلوب الفني إلى أن فنون الأدب الشعبي جميعاً ترتكز قواعدها على أغاني العمل التي أنشئت لتوجد اتّساقاً بين الحركة الجسمية المتكررة وما يصاحبها من نغم ولفظ ، وإلى أن الكلمة المسموعة تحتاج إلى التكرار لتثبيتها في الذهن والسمع ، على خلاف المطبوعة والمكتوبة التي يرسيها ويجمّدها التدوين .

إن عملية التكرار موجودة في أغلب الألحان الشعبية الأصيلة في العالم ، تلك الألحان البسيطة التي استقرّت عبر الأجيال وفرضت نفسها على بقية أنواع الموسيقى في مراحل تطورها وأثبتت صحة القول المأثور : " البقاء للأفضل " .

ويجب التفريق بين أصالة اللحن وقدمه ، فاللحن الشعبي الأصيل الموثوق به ، المعتمد من الوجهة الاجتماعية ، لا يستحق أن يكسب رضى المؤرخ أو الباحث الاجتماعي . فأصالة اللحن ترتكز على مدى ما للطبقة الشعبية من أثر في تكوينه وأدائه ، ومدى ما تتجاوب وتنفعل به . كما يحق لهذا اللحن أن يكون منتمياً الى الفن التقليدي ، الشفهي المجهول المؤلف المتوارث ، وموطنه القرية ، أو إلى الفن المستحدث ، أدب الطبقة الوسطى ، وموطنه المدينة، والذي لوسائل النشر والإعلام الحديثة فضل في نشره والإكثار من ترداده .

ويُلاحظ أن اللغة في النوع الأول عامية يحدد القروي من خلالها موقفه من مشاكل الحياة والطبيعة ويدوّن انطباعاته الفكرية والعاطفية . ويشاركه في ذلك أهل المدينة ، فهم بأغانيهم ، الشفهية والمكتوبة، والمعروفة المؤلف أو المجهولة، و الفصيحة اللغة أو العامية ، والمتوارثة عن السلف أو التي أنشأها ملحنون محدثون ، لا يحيدون عن السمات والخصائص المشتركة بينهم وبين القرويين .

فالتركيز يجب أن ينصب إذن على الفن القروي والمدني الشعبي على السواء . فالاختلاف يكمن في مواضيع الأغاني ، وفي اللهجات ، وفي طريقة الأداء فقط . أما اللحن والإيقاع فيوضحان آثار نفسيات القروي والمدني .

٢) أبعاد اللحن : البعد هو المسافة بين الصوتين ، وأحد

الصوتين يكون الحد الأعلى للبعد الآخر ، أو الحد الأدنى له . وتقاس المسافات والأبعاد بما تحويه من درجات ، وتكون تسميتها تبعاً لهذا المقياس .

فالمسافات في الألحان الشعبية الفلسطينية بسيطة ، أي أنها تنحصر في دائرة الطبقات الواحدة (أي مرتبة الديوان أو الأوكتاف *Octave*) ، فمسافاتها غالباً ما تراوح بين المسافة الثانية والخامسة فقط .

٣) الطابع المقامي : بنيت الأغاني الشعبية الفلسطينية على المقامات العربية . وتبيّن من تحليل بعض الأغنيات (بالرغم من أن أكثرها لا يعطي ـ لقصر محوره الطبقي ـ الصورة الكافية لمتطلبات المقام) غلبة مقام البياتي على أغلب الأغنيات ، وكثرة استعمال مقامي الراست والسيكاه . أما الأغاني الدينية عند المسلمين فإن مقام العجم يغلب فيها على المدائح والموالد ويليه مقام الحجاز . وغلبة مقام البياتي على أكثر الأغاني الشعبية يخلق دافعاً كبيراً للتمسك بالسلم الموسيقي الشرقي المحتوي على أرباع الأصوات ، وللصمود أمام موجة التطور الخاطئة الطارئة على الموسيقى العربية الآن .

٤) الجاذبية اللحنية : تتجه جاذبية اللحن في الأغاني الشعبية في فلسطين اتجاهاً منخفضاً ، وتشاطرها ذلك الشعوب التركية والهنغارية ، بعكس الألحان الإسكندنافية والألمانية التي يتساوى فيها سير اللحن الصعودي والانخفاضي .

٥) الزخرفة اللحنية : لعل مما يخلع على اللحن الشعبي صفته العربية تلك الزوائد والتحسينات أو الزخارف التي يستعملها بل يرتجلها المغني أو العازف الشعبي . وقد أصبحت هذه الزخرفة اللحنية من مستلزمات الموسيقى العربية ، حتى الكلاسيكية منها ، إلى اليوم هذا . والمراد بهذه الزخرفة عند المغني الساذج إما لفت الأنظار إليه وإثارة الأهتمام بمقدرته الغنائية الخلاقة ، وإما إعطاء اللحن الذي يغنيه مزيداً من الجمال فهو متأكد أنه ، بعمله هذا ، سيرضي نفسه ويحظى بإعجاب مستمعيه ؛ فوالده كان يغني هذا اللحن بذلك الشكل ، ولكن باستطاعته هو أن يبتكر تحسينات أو زخارف أكثر . وتشبه الأغنية الشعبية بهذا خبراً أو شائعة يضاف إليها في كل مرة تتناقلها الأفواه نكتة صغيرة ، أو خبرٌ مرتجل ، أو نبأ جديد . ولا شك في أن مثل هذه الإضافات تغيّر من معالم الأغنية ومن أصالتها ، وبالتالي تحول دون تحديد عمرها . وهذا مما يزيد عمل الباحث صعوبة وغموضا غير أن البحاثين والموسيقيين وعلماء الاجتماع اتفقوا على أن الأغنية الشعبية مجهولة العمر ، فلا هي بالقديمة ولا المستحدثة . وقد شبّهوها بشجرة كبيرة جذورها القديمة ضاربة في الماضي البعيد وأغصانها وفروعها وثمارها في نمو مستمر .

٦) الإيقاع : إن إيقاع أغلب الأغاني الشعبية في فلسطين بسيط ، لكنه ذو حيوية ومرونة ، وتكثر في الحانه الأوزان الثنائية والمركبة . هذا وللزخرف والتحسينات تأثير كبير في تجميل الإيقاع كتأثيرها في اللحن ، لكنها لا تخلو من تعقيدات وغموض مما يصعب فهمه على المستمع الأجنبي ومن ثم ضبطه .

د ـ الغناء : صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدالّ على المعاني . وتشترك الأمم ، على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري ، في هذه الظاهرة الطبيعية . فحنجرة الإنسان تتكوّن من أوتار متفاوتة ، والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر . ويلقّب مثل هذا الصوت تكنيكيا بالصوت الصدري . أما الغربيون فيختلفون بطريقة إصدارهم أصواتهم ، فيجيزون بطريقة مدربة اهتزاز أجزاء من أوتار الحنجرة فقط ، مع ارتخاء بالحلق وتنفس من الأنف . ويعرف مثل هذا الصوت بصوت الرأس .

أما الناحية الفنية في الأغنية الشعبية فهي غير مكتملة ولا واضحة المعالم . ويبدو هذا الضعف في ترجمة الكلمة الموسيقية ، إذ لا يمكن أن تطلق على الأغاني الشعبية الفلسطينية صفة الموسيقى التصويرية ، ففي اللحن الواحد وفي الأغنية الواحدة كلمات توحي بالحزن وأخرى تنم عن غبطة وسرور .

هـ ـ القوالب اللحنية ، أو التآليف في الموسيقى الشعبية : لعل الرابط الوثيق الذي يربط الفنون بعضها ببعض هو التناسق المحكم الذي يجمع شمل وحيها ، ويربط أطراف إلهامها ، ويرسم لها خطة هندسية منتظمة الشكل بديعة الصنع يبني الموحى إليه فكرته عليها . والتناسق في هذه الحال هو العماد الأول في إظهار الجمال ، كما في جميع الأعمال الفنية .

وقد كوّن التناسق مع الزمن نظاماً خاضعاً لكل نوع من أنواع التآليف الموسيقية ، حتى صار اتّباعه حتماً على كل ملحن . إن المؤلفات الموسيقية الشعبية في فلسطين ، بالرغم من بساطتها وبدائيتها ، تخضع أيضاً لأنظمة موسيقية تقليدية ورثتها عن السلف ولا تزال تحاول تطويرها والانطلاق بها إلى أفق أوسع .

إن المؤلفات نوعان : غنائي وآلي . والنوع الأول أكثر عددا فهدف الآلة الأول في الموسيقى الشعبية مصاحبة المغني ومرافقته بل مساندته في غنائه الطويل والتعبير عن المناسبات التي يغني فيها . أما النوع الآلي فإنه في الغالب ألحان بل قوالب غنائية معروفة ، لكن دون كلام . وهناك أمثلة قليلة جدا تكون فيها الموسيقى خاصة بالآلة فقط ، ولا علاقة لها بكلام شعري أو زجلي أو ما شابههما . ولا بد في المؤلفات الغنائية من الإشارة إلى الاندماج

الكامل بين الكلمة والموسيقى . وقد قال بتهوفن : "الشعر جسم الوردة والموسيقى رائحتها " .

فالأغنية هي أساس الشعر لاقترانها بالإيقاع والوزن الموسيقي ، وما بحور الشعر العربي المعروفة إلاّ بقايا ألحان شعبية كانت معروفة منذ القدم .

والمعروف أن الموشح والزجل يعدان من الثورات الكبرى في تاريخ الأدب العربي ، وهما في خصائصهما يعبران عن الذهنية الشعبية . ففي المؤلفات الغنائية في الموسيقى الشعبيةالفلسطينية ما يشابه هذه النماذج الشعرية ، فمنها نوع هو أقرب ما يكون إلى القصائد في جرسها وأبياتها وقافيتها ومواضيعها ويمكن تحديد بحرها بمجزوء الرجز أو مجزوء الكامل . ويشمل ذلك قصائد الشروقي ، ويا حلالي يا مالي ، وطلعات السامر .

أما النوع الثاني فيلتزم وزن الرمل ومجزوئه ، ومنه الدلعونة ، وتتكون من أربعة اشطر الثلاثة الأولى منها تأتي على قافية واحدة ، أما الشطر الرابع فينتهي بحرف الألف ، لحاجة اللوّاح الماسة إلى سحب الراقصين إلى القفز السريع . ويُصبّ هذا النوع في قالب من ستة أوزان ذات إيقاع ثنائي تنتقل درجاته الصوتية بقفزات صغيرة جداً *Microtonic* فتشترك مجموعة من المنشدين بغناء الكورس ، أو القرار ، أو اللازمة ، وتكون من لحن الأبيات نفسه ، وقد تختلف عن دور الغناء المنفرد كما في الميجانا .

وقد حدد المستشرق المعروف جوستاف دالمان أنواع التأليف الغنائية بالشكل الآتي :

١) التحنين : أغاني الحجاج .

٢) الندّب : وكانت تقوم به نساء محترفات .

٣) المطوحة : أغنية الزفاف للمرأة البدوية .

٤) القصيدة : ذات القافية الواحدة في السطرين الثالث والرابع [١] .

٥) الموال : على نوعين ، موال مصري ، وموال بغدادي [٢] .

٦) العتابا : اعتبرها موّالا ذا أربعة أسطر .

٧) الهلابا : شطران ينتهيان بكلمة هلابا ، كذلك مطالع المعنى والقريدي .

٨) الجعيدية : نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد .

٩) الزجل : ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه : مثل ميجانا ، حنينا ، مواليا ، زينة ، هويدلي .

١٠) الترويد : تغنّى في الأعراس ، ولدى البدو عند حلب المواشي وفي المراعي .

١١) الحداء : عرّفها دالمان بمشارات البدو أثناء الحرب[٣] .

١٢)املالا : ويغنى في الكروم[٤] .

كما تشمل الشوباش ، والجلوة ، والزغروتة ، وتقال « بآه» و« يها » في شمال فلسطين ، و« آهيها » في جنوب فلسطين ، وتعرف بالمهاهاه .

وللاغنية ، أية أغنية ، طابع خاص يحدد شخصيتها ؛ فالمقام ، وتباعد الدرجات الصوتية وتتابعها، ومركز الابتداء والقفلة ، وسرعة الأداء والنص ، كل ذلك يساعد في تحديد الشخصية . فبعض الأغاني الشعبية الفلسطينية يحمل سمات مصرية ، أو سورية ، أو لبنانية ، أو عراقية ، أو بدوية ، وهناك القليل يحمل طابعاً تركياً مثل دندرما .

ومن الأغاني ذات الطابع المصري : يا عزيز عيني ، يا مريا . ومن السورية واللبنانية : أغاني المعنّى والقرّادي ، زريف الطول ، هيلا هيلا ليه ، مرمر زماني وغيرها . ومن العراقية: الموال البغدادي والميجانا . ومن البدوية : باقون بعدن عالرجم وغيرها . ولعل أشهر أغنية يتداولها الشعب وتحتضن كل آماله وكل تفكيره وحبه وحنينه ومشاكله السياسية والاجتماعي هي الدلعونة . وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بإحداهما عازف الناي أو المِجْوِز أو الربابة المنفرد .

أما فيما يتعلق بمؤدّي الأغنية فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحنا ونصا . وبالنظر لعدم وجود مكبرات الصوت قديما كان من المفروض أن يكون المغني ذا صوت جهوري قوي ، ومن مؤهلاته أيضاً الذاكرة القوية التي تتيح له حفظ الكثير من الأشعار والأغاني ، ويجابه أكثر من زميل له في الأفراح حيث يتناظران حول مواضيع مختلفة منها : الفلاّحة والمدنية . والشقرا والسمرا ، والعلم والمال ، والسيف والقلم ، وغيرها ، وهو يؤدي أيضاً السحجة * والسامر * .

وهناك فئتان من مؤدّي الغناء الشعبي ، المحترف والهاوي ،

---

(١) الأصح أنها رباعيات تلتزم الأشطر الأولى منها قافية والشطر الرابع قافية ، وهكذا حتى آخر القصيد، ومن مواضيعها الوصف والغزل .

(٢) المواليا من ابتكار أهل واسط من مدن العراق ، ولعل النكبة التي ألمت ببغداد أيام البرامكة أثرّت في الشعب فانطلقت النساء يبكين الأطلال ويترحمن على ما كن عليه وينهين أقوالهن بكلمة مواليا .

(٣) على شكل مقطوعات قصيرة تتألف من بيتين غير متلزمين بقافية معينة بل يتغيران بتغيير المقاطع .وزنه هو الرجز المعروف ، ويجيء على مجزوئه (كلمة رجز وحداء كانتا في القديم مترادفتين) مثل :

بارودتي حبوبتي	ما أحلى طلق زنادها
يا رب تكبر مهرتي	تكبر ونا خيالها

(٤) تمتاز بإدخال اللام قبل وبعد بضعة حروف من الكلمة .

وكلاهما لا يقل عن الآخر موهبة وجمال صوت ومقدرة على العطاء .
وهؤلاء المغنون هم :

١) الحادي، ويتطلب الشروط المذكورة أعلاه .

٢) الشاعر : يحترف إلقاء الحكايات والقصائد على نغم الربابة . وقد يبرع في تمثيل الأدوار التي يتحدث عنها ، فهو « مونولوجست » وعازف ومقلد .

٣) الشيخ الطبانجي : هو الذي يمارس الغناء الشعبي في مناسبات الموالد والمواسم الدينية، ويقرأ قصة المولد بما فيها من شعر ونثر بصوت رخيم .

٤) الدراويش: من أصحاب الطرق الصوفية ، وما ينشدونه آيات وسير .

٥) الحكواتي : يحكي بإيقاع منغّم السير والحكايات الشعبية ، ولا يصحبه في أدائه هذا أية آلة موسيقية ، ومسرح عمله يكون غالباً في المقاهي أو المضافات .

٦) المسحّراتي : ذو دور بارز في شهر رمضان ، ويقوم بعمل روتيني كل ليلة ، فهو يحمل الطبلة المعروفة « بالبازة » ويضرب عليها بقطعة من الجلد ليصحو الناس من النوم فيتناولوا طعام السحور . فهو ينشد بأسلوب شجي أناشيد دينية فيها ابتهالات إلى الله ، ومدائح نبوية . وبين الفينة والأخرى ينادي " قوموا لسحوركم خلي النبي يزوركم " ، و"يا نايم وحّد الله " .

وقد تكوّنت الخلفيات الاجتماعية والتاريخية للأغنية الشعبية من ظروف المجتمع والبيئةالتي يعيش فيها الشعب الفلسطيني بمختلف أنماط حياته الاجتماعية من البداوة والحياة الزراعية وحياة المدن . وتبيّن دراسة هذه الخلفيات أن أغلب العادات ترتكز على الأسرةكوحدة تقليدية ، فإن الأسرة تعتز بأمجادها محاولة دوما أن تحتكر المكانة الاجتماعية العليا في مجتمعها ، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية وتماسكها الوحيد ضمن إطارها . ويمثل ذلك القول المأثور : " أنا وأخي على ابن عمي ، وأنا وابن عمي على الغريب " . والزواج في نظره اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد بين فردين .

وقد تكونت نتيجة نظم اجتماعية ، مشتركة وعامة ، عصبيات مختلفة منها :

١) عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل حق ابن العم حتى على ابن الخال ، وما نتج عن ذلك من مشاكل وإضاعة فرص أفضل للعروسين فيما لو ترك لهما حق الاختيار .

ابن العم يا شعر على ضهري إن حال الموت لا ردّه على عمري
ابن العم يا تربي عليّا إن حال الموت لا ردّه بايديا

وفي حال تزويج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعا منه بمهر أكبر يقال ويغنى :

يا ابن العم يا كومة ترايب بنات العم أخذوهم الغرايب
يا ابن العم يا ريتك للضبوعة بنات العم أخذتهم السبوعة

٢) إن دائرة العلاقات السائدة في حياة القروي دائرة ضيقة خاضعة لمدى تطور وعيه الطبقي . فالخط الأول بعد أسرته هو خط قرابته يليه مباشرة خط جواره فالفلاح يحتاج إلى جاره ، وهو يشاركه في السراء والضراء . " تمنى الخير لجارك بتشوفه بديارك " ، " والجار أولى بالشفعة " ، و" الجار ولو جار " ، " وقال : مين أدرى بحالك ؟ قال ربك وجارك " وغيرها من الأمثال التي تفصح عن أهمية الجار .

أما النسوة فيزغردن ويقلن :

ها هي ، يا فلان يا جار المجاورني
ها هي ، يا جار الرضى ما إنتْ جار خوّاني
ها هي ، ما إنتْ طلّال ع حيطان جاراتك
ها هي، ولا يوم تركتني إلّا رفعت الضيم عني . .لولولولي

٣) هضم حقوق المرأة : ترزح المرأة تحت وطأة التراث التقليدي ، فهي عموما خاضعة . ومع أنها تقوم بقسط كبير في مجال العمل في الحقل وفي الحرف اليدوية * ، يهيمن الرجل ويسيطر ويتحكم فى مصيرها ، خصوصا عند الزواج .

عاليوم يا رفيقة لو الشور بايدينا
كان قضينا العمر في دار أبونا

٤) عصبية الجاه والمركز : إن للطبقية أثرها في حياة الفرد الفلسطيني ، فالأكثرية الساحقة تعيش على هامش الحياة الزراعية . وهناك طبقة من الأثرياء التجار والملاكين وأصحاب العقارات والبيارات والأراضي الزراعية . وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق فيتباهى أصحاب الجاه والمركز بما لهم من نفوذ كما تفاخر نساؤ هن بلبسهن الثمين :

يا بو العروس افرش منزلك ريش لفت عليك الامارة والدراويش
لفت عليك الامارة راكبين الخيل ومعمّمة بالذهب روس الطرابيش
وعاداتنا نلبس ملوكي ما نناسب غير الملوكي
ريدونا ريدونا نسايب لا تزعلونا
عادتنا نلبس شنابر ما نناسب إلا الأكابر
رودونا رودونا نسايب لا تزعلونا

(الملوكي : ثوب العرس) .

٥) روح التعاون المادية والمعنوية التي يظهرها الأهلون بعضهم لبعض في الملمات والأفراح : وبالرغم من أن هذه التقاليد في العرف الشعبي هي قاعدة أخلاقية فإنها في مضمونها الجوهري دَيْن واجب أداؤه . ولو أمعنّا النظر في هذه الظاهرة لوجدنا أنها تنبع من رغبة في التكافؤ المادي والاجتماعي عند أفراد الشعب .

٦) عصبية الأحزاب : خصوصاً القيسية واليمنية . فأكثر القرى وكبرى العائلات في فلسطين تنتمي إلى أحد هذين الحزبين .

وقد كلفت خصومات هذه الأحزاب البلاد كثيراً من الدماء وأثرت فيها تأثيراً مشؤوما . وكان لها مفعولها في الأغاني ، وفي فرص أزياء العرس ، وفي مراعاة تقديم المأكولات أثناء الضيافة .

٧) هناك عادات ومعتقدات شعبية تؤمن بالخرافات والسحر ومفعوله . أو بالعين الحاسدة وتأثيرها . ولا شك في أن أكثر هذه العادات والمعتقدات هي من بقايا وثنية . وقد يقع المرء تحت سيطرة أفكار خرافية لا يعرف طريقاً أفضل منها لمواجهة مشاكل الحياة ومخاطرها . ولا شك في أن الشعب الفلسطيني مرّ بحالات من القلق والأضطراب والشعور بالضعف والعجز أحياناً عن حل مشكلاته . فهو قد عاش صراعاً مباشراً مع أنماط من الاستعمار العثماني والبريطاني والصهيوني ، كما عاش صراعاً طبقياً مع القوى التي ارتبط وجودها بوجود مختلف أنماط واشكال الاستعمار .

وبما أن الدين شيء أساسي في حياة الفلاح فهو يتعلق بالأنبياء والأولياء ، ويتشفع بهم ، ويؤمّ مزاراتهم ، ويتعوّذ بأسمائهم ينطقها ويحتمي بها ، كما يستنجد بالشيوخ ليبعدوا عنه الشر بالأحجبة والرقى والتعاويذ :

سيدي يا شيخ واكتب لي حجاب طلقني من النمرة ينوبك ثواب

كذلك :

حرزين من ذهب وحرزين من فضة وحرزين من عند الشيخ مبارك

وعلى الرغم من أن العلم يرفض مثل هذه الأوهام والمعتقدات فإن شيوعها وارتباطها الوثيق بالمعتقدات الشعبية يفرضان الاعتراف بوجودها والإشارة إلى تأثيرها في الشعب .

أما تطور وانتشار الأغنية الفلسطينية فلا شك في أن لوسائل الإعلام الحديثة فضلاً في انتشارها وإن لم يكن دائما مخلصا في الحفاظ على أصالتها . فالإذاعة الفلسطينية التي تأسست عام ١٩٣٦ في القدس ساهمت في نشر الأغنية الشعبية ، وفي تقديمها بشكل مهذب ، أي أنها أبعدتها عن « الاعتباطية » من ناحيتي المعنى واللحن ، سواء في ركاكة المعنى وابتذاله أو في ميوعة اللحن وحزنه واتكاليته . فقد ساهمت الفرقة الموسيقية (أو التخت) بجميع آلاتها من كمان وعود وقانون وناي وآلات إيقاع في إعطاء اللحن والكورس زخما وقوة . كما قام الملحنون فيها بإضافة لازمات موسيقية ، أي جمل بسيطة تربط ما بين الأبيات الشعرية أو ما بين الأبيات والقرار . كذلك أدخلوا فكرة لحنية ثانية على فكرة اللحن الأساسي ، مما أطال في مدة الأغنية ونوّع تصميمها . وهو بالرغم من بساطته بالنسبة إلى القوالب المتطورة أعلى قيمة الأغنية الشعبية . وقد ساهم عدد ليس بقليل من الفلسطينيين في هذا الإنعاش والتطور أداء أو تأليفاً ومنهم : محمد غازي ، ومحمد رضوان ، وفهد نجار ، وفروسو زهران ، وفرقة أولاد أبو السباع ، وعيسى الصوص ، ومتري المني ، وواصف جوهرية ، ويوسف بتروني ، وغيرهم .

وقد ساهمت النكبة واحتكاك الفلسطينيين بالشعوب العربية الأخرى في تغذية هذا اللون الشعبي وصهره في بوتقة واحدة . وكان للتفاعل أثره في إنعاش الأغنية وإيصالها إلى مرتبة استرعت اهتمام وحبّ الشعوب الشقيقة ، فتناقلتها الإذاعات العربية وتداولتها الأندية الموسيقية .

ولا بد من الإشارة إلى اهتمام وجهود الإذاعات العربية في جمع الأغاني والألحان الشعبية الفلسطينية المعروفة والعمل على صقل وتهذيب كلماتها ونحت ألحانها وصياغتها .

المراجع :

ـ يسرى جوهرية عرنيطة : **الفنون الشعبية في فلسطين** . بيروت ١٩٦٨ .
ـ شارلز بيري : **تطور الفن الموسيقي** .

أغودات إسرائيل (حزب ـ) :

يستمد الحزب اسمه من عبارة عبرية تعني « وحدة إسرائيل » وقد تأسس عام ١٩١٢ في بولونيا . وكان الهدف من تأسيسه آنذاك محاولة وقف تغلغل الروح اللادينية بين العمال اليهود . والدفاع عن مصالح اليهود الأرثوذكس العاملين في الصناعة . وكانت قد بدأت تظهر بعض الخلافات بين المتدينين والعلمانيين في المنظمة الصهيونية العالمية * ، مما دفع بعض رجال الدين اليهودي المتطرفين إلى تأسيس هذا الحزب للوقوف بوجه انتشار الأفكار الاشتراكية بين العمال اليهود .

وقد استطاع حزب أغودات إسرائيل أن يستقطب عددا كبيرا من يهود العالم . ولم يكن في بداية ظهوره مقتنعاً بفكرة إنشاء دولة صهيونية في فلسطين ، وحصر نشاطه في بناء المدارس الدينية وتعليم الديانة اليهودية . لكن موقف الحزب من موضوع الدولة الصهيونية تغيّر عام ١٩٢٧ فوافق عليها من حيث المبدأ .

وفي عام ١٩٤٨ قرر الحزب أن ممارسة النشاط السياسي هو الكفيل بتحقيق أهدافه . وقد بدأ الحزب يطالب بدولة " ثيوقراطية " تلتزم بتعاليم الديانة اليهودية ، كما أعلن رجاله معارضتهم لفكرة إصدار دستور مكتوب (لإسرائيل) لأن أي دستور مكتوب من قبل فقهاء دستوريين لن يصل إلى مرتبة الوصايا العشر * . كما حارب الحزب فكرة تجنيد النساء في الجيش أو في الخدمات المدنية الأخرى .

وفي الانتخابات الإسرائيلية التي جرت على امتداد الثلاثين عاماً

الماضية كان حزب أغودات يعارض علمنة المدارس والإدارات المشرفة عليها ، ويرفض إقامة أية علاقات سياسية أو تجارية مع الدول الاشتراكية . وقد قاوم الحزب بضراوة جميع الخطط التي أعدّتها السلطات الحكومية في (إسرائيل) لدمج المهاجرين الجدد القادمين من الخارج ، إذ أصر الحزب على ترك هؤلاء يختارون حياتهم الخاصة .

ولا شك أن حزب أغودات قد اكتسب مزيدا من القوة اعتمادا على المهاجرين اليهود القادمين من البلدان العربية في المشرق والمغرب ، ومن بعض البلدان الإسلامية الأخرى والبلدان النامية ، لما لدى هؤلاء من نزعة للتديّن ، كما أن المذهب الأرثوذكسي هو السائد بينهم .

يسيطر هذا الحزب حاليا على حوالي ١٥ قرية زراعية في (إسرائيل) . كما أنه يشرف على إدارة مدرسة زراعية . وأفراده غير منضمين إلى الهستدروت * . أما نفوذه الرسمي سواء في الكنيست * أو في الحكومة فهو ضئيل .

أفانغارد (مجموعة ـ) : رَ : ماتسبن (منظمة ـ)

الإفـرنج : رَ : الفرنجة

الإفـرنج (وادي ـ) :

يعرف بوادي الخليل ، وبوادي بيت جبرين أو وادي جبرين أيضاً . وله أسماء كثيرة بحسب المناطق والمواقع المختلفة التي يمر بها . يصرف هذا الوادي قسماً من المياه السطحية في منطقتي الخليل وغزة إلى وادي صقرير * الذي ينتهي فيه عند موقع قرية السوافير * الشمالية ، ويعرف عندها بوادي الجلدية .

يبدأ الوادي في الشرق عند قرية بيت كاحل على بعد ٤ كم شمالي غرب مدينة الخليل * حيث يتألف من التقاء شعبين صغيرين يبدآن من ارتفاع ٨٥٠ م . ويتجه الوادي بعد ذلك غرباً مسايراً لشمالي قرية ترقوميا * ، ومتفقا مع الطريق الواصلة بين ترقوميا وقرية بيت جبرين . وبعدئذ يفترق الوادي عن الطريق ليتجه شمالاً بغرب .

يتغذى الوادي في مجراه الأعلى بعدد من الينابيع الفقيرة التي لا تساعد على تكوين مجرى مائي دائم الجريان . وفي هذا المجرى الأعلى تحزّ المياه السيلية خط سيرها في صخور قاسية ، مما يفسر عمق وضيق المقطع العرضي للوادي بالمقارنة مع مجراه الأوسط والأدنى

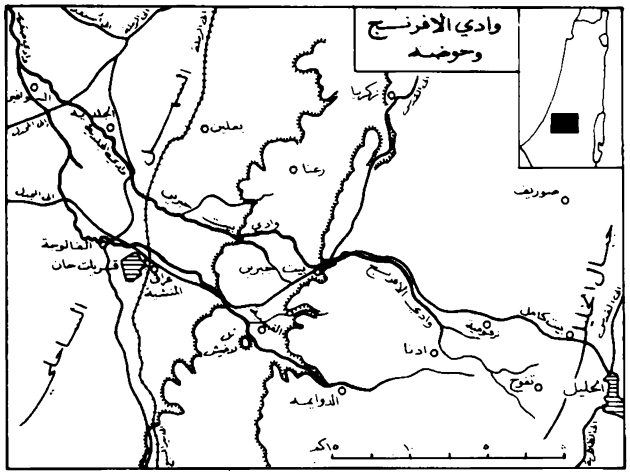

العريض والقليل العمق . هذا إلى جانب سير المجرى الأعلى في منطقة جبال الخليل * وأقدامها الغربية ، وسير مجراه الأوسط والأدنى في أرض السهل الساحلي الفلسطيني * المنبسطة القليلة الانحدار .

يشق الوادي قبل بيت جبرين مجراه في مرتفعات جبلية ذات صخور كلسية ـ دولوميتية قاسية عائدة للكريتاسي (السينوماني والتوروني) (رَ : الصخور) . ويشق طريقه في صخور كلسية ايوسينية أقل قساوة عند أقدام الجبال وبداية السهل الساحلي الفلسطيني . وإلى الغرب من منطقة بيت جبرين يتعرج الوادي ضمن الترسبات اللينة العائدة للحقبة الرابعة الجيولوجية . ويتخذ محوراً شماليا غربيا مع تعرجات واضحة حتى يلتقي وادي صقرير ، بعد أن يكون قد قطع مسافة ٤٠ كم في منطقة تراوح أمطارها بين ٣٥٠ و٥٠٠ مم .

تكثر على امتداد وادي الإفرنج أطلال الخرب وآثار التجمعات السكانية مما يدل على أن حوضه كان معموراً في الماضي (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٥ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحات الخليل وبيت جبرين وغزة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

الأفضل نور الدين علي : رَ : العصر الأيوبي

أفنـيري (مشروع ـ) :

طرح أوري أفنيري مشروعاً لحل القضية الفلسطينية وإقامة

السلام مع الدول العربية ، وشرحه في كتابه (إسرائيل بلا صهيونيين) الذي أصدره عام ١٩٦٨ .

ويتألف المشروع من قسمين : الأول يتناول إقامة جمهورية عربية فلسطينية ترتبط فدراليا مع الدولة الإسرائيلية . وتتألف الجمهورية الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما يمكن لشرقي الأردن الانضمام إلى الدولة الفدرالية الجديدة إذا أراد مواطنوه ذلك . وتصبح القدس عاصمة الدولة الفدرالية وتكون في الوقت نفسه مركز عاصمتي الدولتين العربية والإسرائيلية . ويسبق إقامة الروابط الفدرالية بين الدولتين عقد معاهدة اقتصادية وسياسية وعسكرية بين الطرفين تضمن أمن (إسرائيل) العسكري القائم على منع دخول أية جيوش عربية إلى الأراضي الفلسطينية . ويتم ذلك بالتنسيق بين جيشي (إسرائيل) والجمهورية العربية الفلسطينية على غرار حلف الأطلسي أو حلف وارسو .

كما يتم بموجب المعاهدة المقترحة إقامة وحدة اقتصادية بين الطرفين . وتنص المعاهدة على إلزام الطرفين بعدم إقامة أحلاف خارجية مع أطراف أخرى بدون موافقة الطرف الآخر .

يؤلف ما تقدم الخطوط العريضة ـ حسب تعبير أفنيري ـ للخطة التي يجب أن تتقدم بها الحكومة الإسرائيلية إلى الشعب الفلسطيني العربي المقيم في المناطق التي احتلتها (إسرائيل) بعد عام ١٩٦٧ . وكان أفنيري قبل عام ١٩٦٧ نادى بعودة اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة إلى (إسرائيل) وأوضح شروط قبول عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي هي اليوم جزء من « الدولة الإسرائيلية » ، وكيفية التعويض عما فقدوه من ممتلكات ، وما لحق بهم من أضرار ، وتعويض من لا يرغب في العودة ، ومنح العائدين الجنسية الإسرائيلية الخ . . لكن احتلال (إسرائيل) ، بعد حرب ١٩٦٧ * ، لأراض يقيم عليها القسم الأكبر من الشعب الفلسطيني جعل المسألة تطرح نفسها من جديد بشكل آخر .

لهذا ذهب أفنيري إلى أن حل مشكلة اللاجئين لا يكون بقبول عودة قسم منهم إلى (إسرائيل) بل بإقامة دولة فلسطينية تضم الفلسطينيين داخل وخارج الأراضي المحتلة والراغبين في إقامة دولة مرتبطة فدراليا بالدولة الإسرائيلية . ويرى أفنيري أن حل القضية الفلسطينية سيكون منطلقا لإقامة السلم الدائم بين (إسرائيل) وجاراتها العربيات .

ويتعرض أفنيري في القسم الثاني من مشروعه إلى إقامة ما يدعوه « الاتحاد السامي » بإقامة كونفدرالية تضم كل دول المنطقة .

ويوضح أفنيري ما يعنيه بتعبير سامي ، فيقول إنه لا يقصد بذلك المفهوم العرقي للكلمة بل التأكيد على التراث التاريخي المشترك للشعوب الناطقة بلغات تنتمي إلى الأسرة اللغوية السامية من عربية وعبرية وأمهرية وغيرها ، والتأكيد كذلك على الثقافة المشتركة والتراث الروحي المشترك لكل شعوب المنطقة . وبالتالي تضم "الأسرة السامية الثقافية " أيضاً الأتراك والأكراد والإيرانيين والذين ينحدرون من أجناس مختلفة ويتكلمون لغات غير سامية إلا أنهم مرتبطون تاريخياً بالعالم السامي وبالديانات السامية العظيمة .

ويتابع أفنيري قائلاً أنه قومي عبري ، ويتوجه بكلامه إلى القوميين العرب عارضاً عليهم مشروعه للاتحاد السامي الذي سيجمع القوميتين في إطار كونفدرالي ، على أن تضع (إسرائيل) حداً للحقبة الصهيونية من تاريخها ، وأن تبدأ مرحلة جديدة بالاندماج في « المنطقة » والمشاركة في كفاحها من أجل « التقدم والوحدة » . كما أن على العرب بالمقابل الاعتراف بدولة إسرئيل « ما بعد الصهيونية » كجزء من المنطقة لا يجب ولا يمكن القضاء عليها لأنها ستصبح في شكلها الجديد عنصراً هاما في الكفاح المشترك لشعوب المنطقة .

والجدير بالذكر أن مشروع « السلام السامي » لأوري أفنيري لم يحصل في الاقتراع أمام الكنيست * سنة ١٩٦٨ إلا على صوتين اثنين من أصل مئة وعشرين صوتا .

المراجع :

— Avneri,U.: **Israel Without Zionists,** New York 1968.
— Merhav, P.: **La gauche Israelienne,** Paris 1973.

أبو الإقبال : رَ : سليم اليعقوبي

إقبالا (خربة ـ) : رَ : دير البنات

الاقتصاد الفلسطيني العربي (شركة ـ) :

رَ : الإخاء والعفاف (جمعية ـ)

الأُقْحُوَانة (معركة ـ) :

كان بين الطامعين في إخراج الفاطميين * من بلاد الشام وإقامة دولة فيها بنو مرداس . وكان مؤسس هذه الدولة صالح بن مرداس الكلابي ، وقد استولى على حلب (٤١٤هـ/١٠٢٣م) منتزعا إياها

من منصور بن لؤلؤ ، وقد كان هذا يحكم حلب نيابة عن الخليفة الظاهر (٤١١ ـ٤٢٦ هـ/ ١٠٢١ ـ ١٠٣٦ م) . وكان بنو الجراح يطمعون في إقامة حكم لهم في فلسطين ، كما أن سنان بن عليان كان يريد أن يقيم لنفسه ملكاً في بلاد الشام . لذلك قام حلف بين صالح ابن مرداس وحسان بن الجراح وسنان بن عليان ، على أن يتعاونوا على إخراج الفاطميين ويقتسموا البلاد : المرداسيون في شمال بلاد الشام ، وبنو الجراح لهم من الرملة * إلى حدود مصر ، وتكون دمشق وما يحيط بها لسنان وجماعته .

إلاّ أن الخليفة الظاهر لم يكن غافلاً عمّا يخطّطون فأرسل جيشاً حسن التجهيز (٤٢٠هـ/ ١٠٣٠م) أوكل أمره لأمير الجيوش أنوشتكين الدزبري الذي كان بدمشق نائباً عن الظاهر .

والتقى الجيش الفاطمي بقوات الحلف الشامي عند الأقحوانة فانتصر الدّزبري ، وقتل صالح بن مرداس ، وهرب حسّان بن الجراح إلى البيزنطيين . واسترد الفاطميون بذلك النصر جنوب سورية وأواسطها .

والأقحوانة كانت تقوم جنوبي مدينة طبرية * على نهر الأردن * . والمكان هناك ، مثل أماكن أخرى كثيرة في المنطقة ، يقع على الطريق الأردني ـ السوري ـ الفلسطيني .

الإقـــدام (صحيفة ـــ) :

جريدة سياسة أسبوعية تأسست في مدينة حيفا * في ١٩٢٦/٨/١ ، وقد أسسها سليم الحلو ويوسف سلوم ، ثم تحول امتيازها إلى طانيوس نصر وجورج عازر .

انتقلت الجريدة إلى يافا * في سنة ١٩٢٩ ، وبقيت تصدر هناك إلى أن انفرد بها سنة ١٩٣٥ طانيوس نصر دون شريكه . واستمرت في الصدور نصف أسبوعية حتى عام ١٩٤٨ حين توقفت نهائياً .

المراجع :

ـ أحمد خليل العقاد : تاريخ الصحافة العربية في فلسطين ، دمشق ١٩٦٧ .

ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .

إقْـرِت (قرية ـــ) :

قرية عربية من قرى قضاء عكا مجاورة للحدود اللبنانية . ترتفع عن سطح البحر ٦٠٠ م . عرفت في عهد الاحتلال الصليبي باسم « أكْرِف » ، وكانت في العهد العثماني من أعمال صور .

بلغ مجموع أراضيها ٢٤,٧٢٢ دونماً ، ولم يستطع الصهيونيون طوال عهد الانتداب تملّك أي جزء منها . ويزرع فيها الزيتون * والتين والكرمة (رَ : العنب) والتبغ والقمح * والشعير . والقسم الأكبر من أراضيها مكسو بأحراج السنديان والصنوبر .

لم يتجاوز عدد سكانها في نهاية عهد الانتداب البريطاني ٥٠٠ نسمة ، وجميعهم من المسيحيين الكاثوليك.. ولم تكن فيها مدرسة حكومية بل كانت هناك مدرسة ابتدائية كاملة تابعة لأسقفية الروم الكاثوليك .

من آثارها أرضيات مرصوفة بالفسيفساء وبقايا معصرة خمر ومدافن منقورة في الصخر وصهاريج وأدوات صوانية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تمكنت (إسرائيل) من احتلالها بعد ستة أشهر من احتلالها مدينة عكا (رَ : عكا ، معركة) ، وذلك في ١٩٤٨/١٠/٣١ . وبعد ستة أيام أُمِر سكانها بمغادرتها لمدة أسبوعين فقط بحجة إتمام الأعمال العسكرية في تلك المنطقة . فغادرها أهلها مكرهين إلى قرية الرّامة . ولكن عودتهم إلى قريتهم بعد مدة الأسبوعين المقررة لم تكن إلاّ سرابا . وقد استمرت مفاوضاتهم مع السلطة الغاصبة سنة ونصفا دون جدوى ، فتوجهوا إلى محكمة العدل العليا بشكوى طالبين إعادتهم إلى قريتهم . فقررت هذه في ١٩٥٢/٧/٣١ أنه لا يوجد أي عائق قانوني يحول دون هذه العودة . على أن هذا القرار لم ينفذ ، وعلى عكس ذلك تماما عمد الجيش الإسرائيلي إلى نسف جميع بيوت القرية في ليلة عيد ميلاد المسيح من تلك السنة متحدياً بذلك الشعور الديني للأهلين (رَ : إقرت وكفر برعم ، قضية ـــ) .

وما زال في هذه القرية المبادة جماعة من شيوخها يراوح عددهم بين ١٠ و١٥ نسمة مقيمين في كنيسة القرية إقامة دائمة في اعتصام مستمر حتى يومنا هذا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945,** Beirut 1970.

إقرت وكفر برعم (عملية ـــ) : رَ : ميونيخ (عملية ـــ)

إقْـرِت وكفر برعم (قضية ــ) :

بعد انتهاء العمليات العسكرية في شمال فلسطين بين القوات الصهيونية والقوات العربية في خريف عام ١٩٤٨ (رَ : حرب ١٩٤٨) احتل الجيش الإسرائيلي قريتي كفر برعم * وإقرت * والقرى المجاورة لهما في ١٩٤٨/١٠/٣١ . وبعد زمن قصير من الاحتلال أعلنت المنطقة المحاذية للحدود منطقة أمن بموجب أنظمة الدفاع * (الطوارىء) التي سنتها سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين سنة ١٩٤٥ ، واستغل وزير الدفاع الإسرائيلي صلاحياته وفق هذه الأنظمة فأعلن أن المساحة الواقعة بين الحدود اللبنانية والسورية شمالاً وطريق نهاريا ـ ترشيحا ـ حرفيش ـ سعسع ـ صفد الرئيسي ، ومن هناك إلى جنوبي بحيرة طبرية * جنوباً ، وبين البحر غرباً ، والحدود السورية ـ الأردنية شرقاً ، أعلن أنها منطقة أمن . وهذه المساحة هي نصف مساحة الجليل تقريباً ، وتحتوي على العديد من القرى العربية . كذلك أعلنت منطقة المثلث المأهولة بالعرب في أواسط البلاد منطقة أمن .

ولقد طبقت هذه الأنظمة أول ما طبقت ضد سكان قرية إقرت ، ففي ١٩٤٨/١١/١٣ أبلغ الجيش الإسرائيلي سكان القرية " بأن هناك هجوماً عربياً وشيكاً ، وأن عليهم في الوقت الحاضر أن يغادروا قريتهم القريبة من الحدود إلى منطقة أخرى بصورة مؤقتة " . ولقد أذعن السكان للأمر وتوجهوا إلى قرية الرّامة التي تقع في وسط الجليل على طريق عكا ـ صفد . وهناك أقيم للمهجرين من إقرت مخيم ، ثم تدبروا أمرهم بالسكن في بعض بيوت الرامة ، وبعد حوالي أسبوعين رفع سكان قرية إقرت طلبات كثيرة إلى السلطات طالبين السماح لهم بالعودة ، إلا أن طلباتهم رفضت . وقد استمرت المفاوضات أكثر من سنتين دون جدوى ، إلى أن أدرك السكان أنهم لن يُعادوا عن طيب خاطر إلى قريتهم فرفعوا قضيتهم إلى المطارنة والأساقفة وزعماء الكنيسة الكاثوليكية ، وحتى إلى البابا نفسه ، فلاقت من الجميع التأييد .

ولما اتضح لسكان قرية إقرت أن هذا الحشد الهائل من التأييد لقضيتهم لم يجد نفعاً توجهوا إلى المحكمة العليا بشكوى ضد وزير الدفاع والحاكم العسكري طالبين إعادتهم إلى بيوتهم .

وفي ١٩٥١/٧/٣١ قررت المحكمة " أنه لا يوجد أي مانع قانوني من إعادة القرويين ـ وليس اللاجئين ـ الذين يحملون جنسية إسرائيلية إلى أراضيهم " . وأضافت المحكمة أن أراضي إقرت لا تعتبر متروكة ، " ولذا لا يمكن وضعها تحت تصرف القيّم على أموال وأملاك العدو " مثل ما جرى في قرى عربية أخرى .

لكن قرار المحكمة لم ينفذ ، فحاول السكان العودة إلى القرية ، وظلوا أكثر من شهر في نقاش عقيم مع الحاكم العسكري ووزير الدفاع حتى تسلموا آخر الأمر أوامر بالخروج من قريتهم . إلّا أن السكان تقدموا في الحال باستئناف إلى لجنة الاستئناف التي صادقت على أوامر الطرد بحسب أنظمة مناطق الأمن .

وحتى يقطع سكان إقرت أملهم في العودة إلى قريتهم قامت قوات الجيش الإسرائيلي في ١٩٥١/١٢/٢٥ بنسف جميع بيوت القرية . وفي ١٩٥٢/٢/٦ نظرت المحكمة العليا في شكوى جديدة توجه بها إليها سكان القرية ، ولكن دون نتيجة .

أما سكان قرية كفر برعم فقد تم ترحيلهم عن قريتهم في ١٩٤٨/١١/١٥ ، أي بعد ثلاثة أيام من ترحيل سكان إقرت ، فتوجهوا إلى قرية الجش المهجورة القريبة من أراضي كفر برعم فأقاموا في الأكواخ والخيام على أمل العودة قريباً إلى قريتهم . إلّا أن المدة الزمنية المحددة التي أعلنت عنها السلطات العسكرية انتهت دون أن يسمح لسكان القرية بالرجوع .

توجه سكان هذه القرية أيضاً ، بعد تردد ، بشكوى إلى المحكمة العليا التي أصدرت في أوائل أيلول ١٩٥٣ أمراً تمهيدياً يجبر السلطات على إبداء الأسباب التي تمنع سكان القرية من العودة إلى بيوتهم . عندئذٍ قامت القوات الإسرائيلية في ١٩٥٣/٩/١٦ بمهاجمة القرية براً وجواً ودمرتها تدميراً كاملاً . وقد تم تقسيم أراضي كفر برعم بعد ذلك بين كيبوتز برعام وموشاف دوفيف .

لقد صودرت أراضي قريتي إقرت وكفر برعم بموجب قانون استملاك الأراضي * الذي أقرته الكنيست * في ١٩٥٣/٣/٢٠ واستملكت أراضي كفر برعم في ١٩٥٣/٨/٢٧ وأراضي إقرت في ١٩٥٣/٩/٣ . وقام المستوطنون الصهيونيون بتسخير سكان القريتين للعمل أجراء عندهم .

طوال السنوات التي انقضت لم يتوقف أهالي القريتين العربيتين عن المطالبة بإرجاعهم إلى أراضيهم . ولقد علّمتهم التجربة عدم الاعتماد على وعود الأحزاب السياسية الصهيونية بعدما تبيّن كذبها غير مرة .

عرضت السلطات الإسرائيلية بعد ذلك تعويضات على أهالي قريتي كفر برعم وإقرت . وفي صيف ١٩٧٢ ورد على لسان روفين آلوني نائب مدير دائرة أراضي إسرائيل أن تسعين عائلة من كفر برعم قد أعيد توطينها ولكن دون أن توقع على اتفاقيات رسمية بذلك ، إلّا أن ست عائلات منها تلقت ١٥٥,٠٠٠ ليرة إسرائيلية و ٢٧٢ دونماً من الأراضي مقابل أراضيها . وأشار آلوني إلى أن ثمانين عائلة من قرية إقرت سيعاد توطينها في (إسرائيل) وهذه العائلات تملك ٣,٠٠٠ دونم . وقد وقعت اتفاقيات مع ٥٥ عائلة

فمنحت ٧٠٠ دونم من الأراضي الخصبة وتعويضات وصلت إلى ٧٠٠,٠٠٠ ليرة إسرائيلية مقابل ١,٥٠٠ دونم تملكها .

إلا أن ادعاءات آلوني كانت باطلة من أساسها ، فلقد وقّع سكان قرية إقرت على رسالة مفتوحة نشرت في جريدة هآرتس رفضوا فيها بيانات آلوني ووصفوها بأنها كذب محض ، إذ لم تغادر قرية إقرت أسرة واحدة سواء قبل قيام (إسرائيل) أو بعده . وأكدوا أن عدد العائلات التي رفضت توقيع الاتفاقيات بلغ ١٢٦ عائلة تمثل ٦١٦ شخصاً يملكون ٤,٥٠٠ دونم من الأراضي الزراعية ، وقد قبلت ٣١ عائلة فقط بالتعويضات .

وجدد سكان إقرت وكفر برعم مساعيهم للعودة إلى قريتيهم عام ١٩٧٢ على أثر إلغاء العمل بقانون مناطق الأمن العسكرية . وفي ذلك العام قرر المطران يوسف ريّا مطران الروم الكاثوليك البدء في إعادة ترميم كنيسة إقرت التي أصيبت بأضرار جسيمة عام ١٩٥١ . وفي حين سمحت السلطات الإسرائيلية بإعادة بناء الكنيسة ، لم تسمح للقرويين بالعودة إلى أراضيهم . ولقد انتهز سكان قرية إقرت فرصة السماح لهم بترميم الكنيسة ليثيروا قضيتهم على أعلى المستويات ، وقد أوصلوا هذه القضية إلى رئيسة الوزراء آنذاك غولدا مائير .

اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي في ١٩٧٢/٧/٢٣ لينظر في مسألة السماح لسكان قريتي إقرت وكفر برعم بالعودة ، وقرر رفض طلب سكان القريتين دون بيان أسباب هذا الرفض . ودل ذلك على خشية السلطات الصهيونية من أن تشكل حادثة القريتين سابقة يستند إليها سكان بقية القرى العربية المستملكة ، مما يضعف الأيديولوجية التوسعية العنصرية .

أثار رفض الحكومة طلب سكان قريتي كفر برعم وإقرت احتجاجات واسعة ، وقام السكان بتوجيه رسائل مفتوحة إلى رئيس الدولة آنذاك زلمان شازار ورئيسة الوزراء غولدا مائير وأعضاء الكنيست والمثقفين اليهود وغيرهم عرضوا فيها مأساتهم . إلا أن ذلك لم يجد نفعاً بالرغم من أنه حرّك بعض المثقفين اليهود إلى جانبهم . ولما حاول بعض سكان القريتين العربيتين الاعتصام في أطلال بيوتهم تصدت السلطات العسكرية الإسرائيلية لهم بناء على طلب من دائرة أراضي إسرائيل التي تدعي ملكية أراضي القريتين وأُجلي المعتصمون بالقوة . وقد جرح العديد من السكان وتم الاعتداء على رجال الدين بالضرب كما اعتقل آخرون .

وقاد المطران يوسف ريّا في ١٩٧٢/٨/٢٣ عدة آلاف من المتظاهرين اليهود والعرب في مسيرة احتجاجية انطلقت من بوابة يافا في القدس إلى مبنى رئاسة الحكومة الإسرائيلية . ونظم الصهيونيون المتعصبون مظاهرات مناهضة هتفوا فيها ضد العرب متهمين إياهم بأنهم أعداء " يتبعون منظمات التخريب " .

خرجت قضيتا كفر برعم وإقرت الى خارج الأرض المحتلة إذ عرض المطران ريّا القضية على الفاتيكان طالباً التدخل لمصلحة السكان ، إلاّ أن (إسرائيل) رفضت مثل هذا التدخل .

وفي عهد حكومة الليكود* الذي كان يتظاهر وهو في المعارضة بالموافقة على إعادة سكان القريتين ، أعيد طرح موضوع إعادة سكان إقرت وكفر برعم، وكان هناك اتجاه عام في الحكومة ضد عودة أهالي إقرت ، أما بالنسبة إلى سكان كفر برعم فقد انقسم الوزراء أنفسهم . ثم لم يلبث الموضوع أن جمد بعد أن اتخذت اللجنة الإقليمية للتخطيط والبناء في الجليل قراراً يجعل منطقة كفر برعم منطقة غابات ويمنع السكن فيها ، بالإضافة إلى أنها وقرية إقرت تدخلان في نطاق منطقة الأمن .

وهكذا ستظل قضية إقرت وكفر برعم شاهداً حيّاً على مدى الاضطهاد الذي يلاقيه العرب في وطنهم على أيدي الصهيونيين من جهة ، وعلى مدى تمسك العربي بأرضه ووطنه من جهة أخرى .

المراجع :

ـ صبري جريس : العرب في إسرائيل ، بيروت ١٩٦٧ .

— Amos Alon.: Two Arab Towns That Plumbet Israel's Conscience, **New York Times magazine** 22/11/1072.

الأقصى : رَ : المسجد الأقصى

الإقطاع :

لا يمكن الإلمام بالجوانب المختلفة لموضوع الإقطاع في فلسطين دون العودة إلى نظام الملكية الذي كان سائداً أثناء الحكم العثماني لفلسطين (رَ : الأرض ، ملكية) . فقد كانت الدولة العثمانية تملك أراضي أميرية شاسعة ، وكانت السلطة تقسم هذه الأراضي إلى قطاعات تدعى « تيمار » ، وهي الأراضي التي تدرّ ريعاً يراوح بين عشرين ألفاً ومائة ألف درهم . وكانت تهبها لكبار رجال الدولة من مدنيين وعسكريين لقاء خدمات ماضية أو آتية . وقد ألغي نظام المقاطعات بعد تنظيم الجيش العثماني على أسس حديثة ، غير أنه بقي في فلسطين مالكون ورثوا مساحات شاسعة من الأراضي ، وظل هؤلاء المالكون يؤجرون أراضيهم لقاء مبلغ عيني من الحاصلات أو لقاء أجر نقدي معين . وعندما يقوم المزارعون

بدفع التزاماتهم كافة فإنهم يتمتعون بكل الحقوق والامتيازات التي يتمتع بها أصحاب الملكية الفردية بحيث يخلفهم وارثوهم في المزارعة . وقد سجلت هذه الأراضي بأسمائهم عند صدور قانون التمليك (الطابو) سنة ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م .

ويمكن تقسيم ملكية الأراضي الفردية في فلسطين إلى نوعين رئيسيين :

١) الأراضي المملوكة التي يتصرف بها صاحبها كيفما يشاء ، ويتصرف بالمنقولات فيجوز له بيعها أو رهنها أو الإيصاء بها ، كما أنه يستطيع توريثها ورثته الشرعيين .

٢) الأراضي الأميرية التي تعود إلى الحكومة غير أن أصحابها يملكون التصرف بها كاملاً من خلال زراعتها .

وفي ظل هذين النوعين من الأراضي ظهر ثلاثة أنواع من المزارعين العرب في فلسطين :

١) المزارع الذي يملك حصة مشاعة من الأراضي لا يحق له بيعها أو فرزها فرزاً نهائياً .

٢) المزارع الذي يستأجر بعض مساحات من الأرض من ملاكي المساحات الشاسعة من السكان .

٣) المزارع الذي يعمل في أرضه الخاصة التي يملكها ويتصرف بها تصرفاً كاملاً .

وكان القانون الذي حدد حقوق الأملاك غير المنقولة في فلسطين أيام الانتداب البريطاني هو قانون الأراضي العثماني المستوحى من الشرع الإسلامي ، كما كان معمولاً به عام ١٩١٤ مضافاً إليه عدد من القوانين والملاحق والتعديلات التي أدخلتها عليه حكومة الانتداب البريطاني .

ويمكن تقسيم الأراضي الزراعية في فلسطين من حيث طريقة التصرف بها واستغلالها ووضعها القانوني بشكل عام إلى الأنواع التالية :

١) الأراضي الملك : ويتمتع صاحبها بمختلف حقوق التملك والتصرف بها كيفما يشاء . وكانت هذه الأراضي منذ القدم تقسم إلى قسمين : الأراضي « العشرية » التي تدفع العشر ، أي عشر المحصول ، والأراضي « الخراجية » التي تدفع الخراج .

٢) الأراضي الأميرية : يستوجب التصرف بهذه الأراضي موافقة الحكومة ، على أن يعطى المتصرفون بها سندات تمليك (طابو) لقاء رسم يدفع مقدّماً للحكومة .

٣) الأراضي المحلولة : عندما تنتهي حقوق المتصرف المعطاة له بسند تفويض تصبح الأراضي محلولة ، ثم يحق للدولة أن تفوضها إلى شخص آخر . ويحق للدولة ان تسترد الأراضي إذا أهملت دون زرع ثلاث سنوات متتابعة .

٤) الأراضي الخالية (الموات) : وهي الأراضي التي تبعد عن أقصى العمران مسافة ميل ونصف ، وليست ملكاً لأحد . وكان معظم هذه الأراضي في منطقة بير السبع ، وفي بعض المناطق الجبلية .

٥) الأراضي المتروكة : وتشمل الطرق والمراعي وباقي الأراضي التي ينتفع منها الناس بشكل جماعي .

٦) أملاك الدولة : هذه الأراضي خاضعة لمراقبة سلطات الانتداب البريطاني . وحسب القانون الذي كان سارياً في فلسطين يناط بالمندوب السامي جميع الحقوق في الأراضي العمومية أو الحقوق المتعلقة بها . وله أن يمارس تلك الحقوق بصفته ممثلاً لحكومة الانتداب . وتشمل هذه الأراضي كل ما له علاقة بالمعادن والمناجم سواء أكانت في البر أم البحر . لذلك يمكن القول إن اسم الأراضي العمومية يشمل جميع الأراضي التي تستثمرها الدولة بالطريقة التي تشاء دون مراقبة أو تشريع .

وقد بلغت مساحة أراضي الدولة حسب القيود الرسمية قرابة ١,٤١٠,٠٠٠ دونم .

٧) أراضي الوقف : ينص القانون الذي كان معمولاً به في فترة الانتداب البريطاني على حظر وقف أرض ما في فلسطين إلاّ بوصية ، وبشرط أن يكون « الواقف » قد حصل مسبقاً على إجازة خطّية من حكومة الانتداب البريطاني . وقد عهد القانون إلى المحاكم الشرعية الإسلامية ، وكذلك إلى المحاكم الدينية المسيحية والمحاكم الدينية اليهودية ، بصلاحيات مماثلة .

٨) أراضي المشاع : اعترف القانون المعمول به في فلسطين أثناء الاحتلال العثماني اعترافاً كاملاً بملكية الأملاك غير المنقولة (مثل الأراضي) من قبل شخصين أو أكثر . وليست هنالك معلومات وإحصاءات موثوقة عن مساحة الأراضي المشاع في فلسطين .

هذه هي أهم أنواع الأراضي في فلسطين كما نص عليها القانون المعمول به في فترة الانتداب البريطاني (١٩١٧ - ١٩٤٨) . ويلاحظ في هذا الصدد تنوع الأراضي ووجود تعقيدات فيما يتعلق بالنصوص القانونية التي تنظم طريقة الامتلاك والاستثمار والتصرف لمختلف أنواع الأراضي في فلسطين . كما يلاحظ وجود ثغرات قانونية كثيرة مكّنت السلطات والجهات الصهيونية فيما بعد من وضع يدها على مساحات كبيرة من الأراضي تحت ستار القانون .

والسؤال الذي كان دوماً مثار التعليق والتأمل هو : مدى وجود إقطاع زراعي في فلسطين ، وإمكانية مقارنته بالإقطاع الذي كان سائداً في مصر وسورية والعراق ولبنان . إن الإجابة على هذا التساؤل بشكل علمي دقيق يتطلب دراسة الجوانب المختلفة لقوانين التملك ، وعلاقة المالك بالفلاحين ، وغيرها من الأمور قبل إعطاء

رأي نهائي في الموضوع . ولكن يمكن القول إن الإقطاع بالمعنى المتعارف عليه لم يكن موجوداً بشكل حاد في فلسطين كما هي الحال في كثير من البلدان العربية والآسيوية والإفريقية . ويقصد بالإقطاع في هذا السياق متوسط حجم الحيازات الزراعية وطريقة ونمط توزّع الملكيات بين السكان لمعرفة وجود أو عدم وجود تفاوت كبير في الثروة المتاحة للسكان . والدراسات الاختبارية حول هذا الموضوع إما قليلة ، وإما ناقصة ، وإما غير موثوقة بالنسبة إلى المساحات الفعلية التي تصرفت بها مختلف فئات السكان في فلسطين .

تعود أقدم المعلومات المتوفرة عن توزع الملكية في فلسطين إلى العام ١٨٨٢م ، وتدل المعلومات على أن متوسطي الملاّك وصغارهم كانوا يملكون ٢٥٪ من أراضي الجليل و ٥٠٪ من أراضي فلسطين الجنوبية . وبعد مرور أربعين عاماً على هذه المعلومات قدّر خبير الأراضي « أوهاجن » أن هاتين الفئتين كانتا تملكان ٢٠٪ من أراضي فلسطين الشمالية و ٢٠٪ من أراضي فلسطين الجنوبية . وإذا ما كانت هذه المعلومات صحيحة فإن ذلك يعني ازدياد ملكية كبار الملاّك على حساب ملكية متوسطي الملاّك . ويمكن القول إن السبب الرئيس لهذا التطور هو طبيعة القوانين العثمانية التي أباحت مصادرة الأراضي التي تبقى ثلاث سنوات متتالية دون زراعة ، والتي أجبرت في الوقت نفسه الملاكين على تسجيل أراضيهم ، بينما لم يقم عدد كبير من صغار الملاك بذلك لارتفاع رسوم التسجيل وتهرباً من دفع الضرائب * ، مما أدى إلى سقوط حقهم في ملكية أراضيهم .

وجاء في أحد التقارير التي نشرتها السلطات التركية في عام ١٩٠٩ أن هنالك ١٦,٩١٠ عائلات في مناطق القدس ونابلس وعكا تعمل في الزراعة * ، وأن هذه العائلات تملك ما مجموعه ٧٨٥,٠٠٠ دونم ، أي بمعدل ٤٦ دونماً للعائلة الواحدة . وجاء في التقرير نفسه أن ٦٧٪ من عائلات منطقة القدس و٦٣٪ من عائلات نابلس تملك أقل من ٥٠ دونماً للعائلة الواحدة .

وجرى زمن الاحتلال البريطاني لفلسطين تقدير للملكية الزراعية تبيّن منه أن هناك ١٤٤ مالكاً يملكون ٣,١٣٠,٠٠٠ دونم ، أي بمعدل ٢٢,٠٠٠ دونم للمالك الواحد ، وأن ٢٥٠ أسرة فلسطينية كانت تملك ٤,١٤٣,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ١٦,٥٧٢ دونماً للأسرة ، في حين يملك باقي الفلاحين مساحة مقاربة للمساحة التي تملكها هذه الأسر .

وفي تقرير أعدّه جونسون كروسبي عام ١٩٣٠ اتضح أن حوالي ٦٦٪ من الفلاحين يملكون أراضي ، و ٥٤٪ منهم لا تتجاوز ملكيتهم أربعة دونمات ، وأن ٢٩,٤٪ من الفلاحين هم شركاء أو عمال زراعيون لا يملكون شيئاً ، ويملك الأراضي التي يعملون بها ملاّكون يسكنون خارج القرية .

وجاء في تقرير جون هوب سمبسون حول وضع المزراعين في فلسطين أن الأراضي المشاع كانت تؤلف نحو ٥٦٪ من مجموع أراضي القرى ، وأن نسبة ٤٤٪ الباقية كانت مفرزة (رَ : سمبسون ، تقرير) . وكان هذا الوضع سائداً في مطلع العشرينات ، أما في مطلع الثلاثينات فقد انخفضت نسبة الأراضي المشاع إلى ٥٤٪ ، وارتفعت نسبة الأراضي المفرزة إلى ٤٦٪. وقدّر التقرير عدد الأسر التي تعيش على الزراعة بنحو ٦١,٤٠٨ أسرة تزرع ما مجموعه ٥,٦٤٤,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ٩٢ دونماً لكل منها .

كانت الإحصاءات الزراعية عام ١٩٤١ تشير إلى أن ٣٠٪ من الفلاحين لا يملكون أية أرض ، وأن ٥٠٪ من الفلاحين يملكون أراضي صغيرة لا تكفيهم . أما خبير الأراضي « غرانوت *Grannot* » فيؤكد أن الملكية الزراعية في فلسطين كانت تتركز في أيدي عدد قليل من الملاكين حتى ان ١١٦ مالكاً كانوا يملكون ١,١٣٣,٠٠٠ دونم ، بمعدل قدره ٩,٧٥٠ دونماً للفرد الواحد ، وأن ٢٨ مالكاً في قطاع غزة ومنطقة بير السبع كانوا يملكون ٢,٠٠٠,٠٠٠ دونم ، ويملك ١١ منهم ١,٠٠٠,٠٠٠ دونم ، ويراوح ملكية سبعة أفراد منهم ما بين ٣٠,٠٠٠ و ١٠٠,٠٠٠ دونم ، في حين أن ١٦,٩١٠ أسرة من الفلاحين في مناطق نابلس وعكا والخليل يملكون فقط ٧٨٥,٠٠٠ دونم ، بمعدل ٤٦ دونماً للأسرة الواحدة .

وتوضح هذه الأرقام أن هنالك تفاوتاً في حجم الحيازات الزراعية التي كانت سائدة في فلسطين خلال حكم الانتداب البريطاني والاحتلال العثماني قبله . ولعل أكثر الدراسات دقة حول حجم الإقطاع في فلسطين هي تلك التي قامت بها دائرة الأراضي والمساحة في حكومة الانتداب البريطاني ، وكانت تلجأ الى أسلوب « العيّنات » لدراسة هذا الموضوع . فقد قامت الدائرة المذكورة في عام ١٩٣٦ بانتقاء عيّنة عشوائية من القرى في فلسطين بلغ عددها ٣٢٢ قرية ، وعدد سكانها ٢٤٢,٠٠٠ نسمة . وقد اتضح من دراسة هذه العيّنة أن الملكية الصغيرة تؤلف أغلبية الملكية ، مع وجود فروق في حجم الملكية ، فقد بلغ عدد المالكين في تلك القرى ٧١,٧٨٩ مالكاً يملكون ٣,٢٥٢,٧٥٣ دونماً ، بمعدل ٤٥,٣ دونم للفرد . أما معدل توزيع الملكية فكان على النحو التالي :

١٥٠ مالكاً يملك الواحد منهم ١,٠٠٠ دونم .

٥٨ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٣,٠٠٠ دونم .

٢٠ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٤,٠٠٠ دونم .

١٣ مالكاً يملك الواحد أكثر من ٥,٠٠٠ دونم .

وتبين من الدراسة أن فئة الملاكين الكبار التي تضم ١٣ مالكاً تملك ٦٢٤,٤٣٥ دونماً ، أي حوالي ١٩,٢٪ من مجموع مساحة القرى المدروسة . أما صغار الملاكين والذين تبلغ نسبتهم ٩١,٨٪ فإنهم لا يملكون سوى ٣٦,٧٪ من مجموع المساحة موضع الدراسة .

الإكوادور : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

ألباغيورا (منظمة ـ) : رَ : هاشومير

الألبـــان : رَ : المواد الغذائية (صناعة ـ)

ألبـانيا : رَ : أوربا الشرقية (دول ـ)

ألتـالينا (الباخرة ـ) :

دبّت الخلافات بين زعماء المنظمات العسكرية الصهيونية الإرهابية بعد إعلان قيام (إسرائيل) في منتصف أيار ١٩٤٨ . فقد رفض مناحيم بيغن في بادىء الأمر حل منظمة إرغون تسفي لئومي * وضمها إلى الهاغاناه * ، ثم انصاع ووقع اتفاقاً مع قيادة الجيش في ١٩٤٨/٦/٢ ينص على أن تتوقف أرغون عن اقتناء العتاد الحربي لقواتها .

وكان بيغن قبل أيار ١٩٤٨ قد تعاقد على استئجار سفينة اسمها ألتالينا *Altalene* ، وهو اسم مستعار استعمله فلاديمير جابوتنسكي لتوقيع بعض مقالاته ، لنقل ١٥٠ مدفعا مضادا

للطائرات والمدرعات ، و٥ دبابات ، و٣٠٠ رشاش ، و ٥٠٠٠ بندقية ، و٤ ملايين طلقة ، وعدة آلاف من القنابل المختلفة ، و٩٠٠ متطوع مدرب .

غادرت ألتالينا ، وهي الباخرة ١٤١ في سلسلة بواخر تهريب اليهود إلى فلسطين ، بورت دي بوك *Port-de-Bouc* الفرنسي في شهر حزيران باتجاه تل أبيب * .

وأثناء رحلة السفينة اختلف بيغن مع دافيد بن غوريون رئيس الوزراء آنذاك على كيفية توزيع الأسلحة والذخائر بين قوات الهاغاناه والإرغون . وقد وجد بن غوريون في هذا الخلاف فرصة للقضاء على أحد خصومه فصمم على استعمال القوة إذا استمر بيغن في التمسك برأيه بشأن اقتسام حمولة السفينة .

وصلت ألتالينا إلى تل أبيب يوم ١٩٤٨/٦/٢٠ ، وبعد أن نزل المهاجرون المقاتلون أمر بن غوريون بإطلاق نيران المدفعية عليها فاحترقت وانفجرت وقتل اثناء العملية ١٥ شخصاً . وقد اتهم بيغن دافيد بن غوريون بأنه أمر بإطلاق النار على ألتالينا كي يقتله حين كان بيغن على ظهر الباخرة يحاول تفريغ حمولتها .

وقد أدت هذه الحادثة إلى حل منظمة « إرغون » حلا نهائيا ، كما أدت إلى توسيع شقة الخلاف بين الأحزاب الإسرائيلية ، فمنها من أيّد بن غوريون في فعلته ، ومنها من رفض هذا الأسلوب .

المراجع :

ـ جاك ديروجي وهيزي كارمل : تاريخ إسرائيل السري (١٩١٧ ـ١٩٧٧) ، مترجم ، دمشق ١٩٧٩ .

ألفـرد بطرس روك (١٨٨٥ ـ ١٩٥٦) :

عضو اللجنة العربية العليا * . ولد في مدينة يافا * حيث تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في مدرسة الفرير ، وزاول بعد تخرجه الأعمال الحرة من تجارة وزراعة .

شغلته هموم وطنه ، ولا سيما تدفق المهاجرين الصهيونيين على مدينته يافا ، وشارك في اشتباك مع بعضهم سنة ١٩٠٥ أدّى إلى مقتل واحد منهم . فترك يافا ولجأ إلى اليونان . ولكنه عاد إلى فلسطين سنة ١٩١٠ وأخذ على عاتقه شرح القضية الفلسطينية عن طريق المحاضرات والندوات والمؤتمرات ، وقد شهد له معاصروه بحبه الكبير لوطنه وإخلاصه العظيم له .

وعندما أعلن الشريف حسين الثورة العربية سنة ١٩١٦ في الحجاز أظهر ألفرد روك وبعض رفاقه تعاطفهم معها ، ونشطوا

لكسب التأييد لها وشرح غايتها وأهدافها ، فأبعدته السلطات العثمانية إلى الأناضول . وبعد انتهاء الحرب عاد إلى مدينته ، فوجد أن أمواله قد صودرت ، وبيارته قد أتلفت ، فتردّت أوضاعه المادية بعد ثراء ، ولكن هذا لم يمنعه المشاركة في الحركة الوطنية .

اختير عضوا في الوفود العربية الفلسطينية إلى مؤتمرات كثيرة عقدت من أجل القضية الفلسطينية ، منها مؤتمر لندن ١٩٣٠ ، والمؤتمر البرلماني في القاهرة ما بين ٧ و١٩٣٨/١٠/١١ (رَ: المؤتمر البرلماني العربي) ، ومؤتمر سانت جيمس في لندن أيضاً في ١٩٣٩/٢/٧ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

وفي شهر نيسان ١٩٣٦ انتخب عضواً في اللجنة المشرفة على تنفيذ الإضراب الكبير في مدينة يافا . كما اختير عضواً في اللجنة العربية العليا لفلسطين ، التي ترأسها الحاج محمد أمين الحسيني * . وفي ١٩٣٦/٨/٢٠ كان أحد الموقعين على بيان زعماء المسيحيين في فلسطين ، وفيه ناشدوا العالم المسيحي إنقاذ الأماكن المقدسة من الخطر الصهيوني ، ولفتوا أنظار مسيحيي العالم إلى ما تجرّه السياسة البريطانية وراءها . وحين حلّت سلطات الانتداب البريطاني اللجنة العربية العليا في ١٩٣٧/١٠/١ ، ونفت بعض أعضائها إلى جزر سيشل كان ألفرد روك في جنيف ضمن وفد فلسطيني يدعو للقضية الفلسطينية ، فأفلت من النفي ، ولكنه حظر عليه دخول فلسطين ، ثم سمح له بذلك بعد أن عاد منفيو سيشل .

انتسب إلى الحزب العربي الفلسطيني * ، برئاسة جمال الحسيني * ، وانتخب سنة ١٩٣٥ نائباً لرئيسه . ثم انتخب سنة ١٩٤٤ عضواً في مجلس بلدية يافا ، فكان هذا آخر منصب شغله في فلسطين . وقد كان ضمن وفد بلديتها الذي قابل السلطات الأردنية في أوائل سنة ١٩٤٨ طالباً معونات ومددا لإنقاذ يافا من الوقوع في أيدي العصابات الصهيونية (رَ : يافا ، معركة) .

المرجع :

ـ أكرم زعيتر : يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٥ ـ١٩٣٩) ، بيروت ١٩٧٩ .

الألماس (صناعة ـ) :

دخلت هذه الصناعة فلسطين على أيدي مهاجرين صهيونيين من هولندا وبلجيكا ، قدموا إليها إبّان الحرب العالمية الثانية (رَ : الصناعة) . وتقوم هذه الصناعة على استيراد الألماس الخام من أفريقيا الجنوبية وهولندا وبلجيكا والولايات المتحدة وبريطانيا وسويسرا ، فتقوم الأيدي الخبيرة بصقله وإعادة تصدير الجزء الرئيس من الإنتاج ، لأن استهلاك السوق الداخلية منه قليل . وقد استوردت هذه الصناعة عام ١٩٧٦ ألماساً خاماً بمبلغ ٧٦٠ مليون دولار أمريكي ، وأعادت في العام نفسه تصدير الألماس المصقول بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار أميركي .

تحتل هذه الصناعة المركز الأول بين صادرات (إسرائيل) الصناعية . وقد وصلت نسبة صادرات الألماس عام ١٩٧٦ إلى ٣٣,٤٪ من مجموع الصادرات الإسرائيلية للعام نفسه .

نشطت بسبب ذلك صناعة آلات القطع والصقل التي تشترك مع الأيدي الخبيرة في دفع عملية الإنتاج إلى الأمام ، وتقوية هذه الصناعة الهامة .

أما أبرز مراكز الإنتاج فهي تل أبيب * وناتانيا * .

ألمانيا الاتحادية :

ساهمت النازية الألمانية ، برنامجاً وممارسة ، في دفع هجرة اليهود إلى فلسطين . فقد تناولت اتفاقية « هعفراه » التي أبرمت بين الصهيونية والنازيين عشية صعود هتلر إلى الحكم دعم الهجرة اليهودية إلى فلسطين (رَ : النازية والصهيونية) . وتضمّنت مقدّمة قوانين نورمبرغ العنصرية الصادرة في ١٩٣٥/٩/١٥ فقرة حول الصهيونية اليهودية وتبريرها النازي جاء فيها : " لو كان لليهود دولة خاصة بهم يقيم فيها غالبية الشعب اليهودي لأمكن اعتبار المسألة اليهودية منتهية اليوم حتى بالنسبة إلى اليهود أنفسهم ، فقد كان الصهيونيون الغيورون أقل الناس تشددا في معارضة الأفكار الأساسية لقوانين نورمبرغ لأنهم يعلمون أن هذه القوانين هي الحل السليم الوحيد للشعب اليهودي " . وكانت المذابح النازية لليهود من العوامل الهامة التي دفعت اليهود للهجرة خارج أوربا ، وبالتالي للاستقرار في فلسطين في بحثهم عن ملجأ آمن .

وبعد أنتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتوقيع اتفاقية وكالة التعويضات للدول المتحالفة ، بدأت الصهيونية ، ثم (إسرائيل) بعد قيامها ، تطالب ألمانيا بالتعويضات عن ضحايا الحرب من منطلق قومي تعدّ به نفسها ممثلة للشعب اليهودي كله ومسؤولة عن اليهود من ضحايا النازية . وفي ١٩٥٢/٩/١٠ تمّ توقيع ثلاث اتفاقيات دولية هامة ، اثنتان منها في اللكسمبرغ ، الأولى بين ألمانيا الاتحادية و(إسرائيل) ، والثانية بين ألمانيا الاتحادية ومؤتمر المطالب المادية اليهودية الذي كان يمثل ثلاثا وعشرين منظمة يهودية خارج (إسرائيل) ، وتدفع جمهورية ألمانيا الاتحادية بموجبها ٤٥٠ مليون مارك ألماني (لإسرائيل) لصالح المؤتمر المذكور. أما الاتفاقية الثالثة فكانت بين مؤتمر المطالب المادية اليهودية و(إسرائيل) ،

ووقّعت في نيويورك وأصبح المؤتمر بموجبها خاضعا (لإسرائيل) .

وقد بلغت قيمة التعويضات بموجب الاتفاقية الأولى ٨٢٠ مليون دولار . وأسهمت اتفاقية التعويضات ـ بمختلف جوانبها ـ وقد قدمت نقداً أو سُلفاً أو على شكل مشاريع في تطوير (دولة إسرائيل) . فقد وسّع الألمان بهذه المساعدات مرفأ حيفا ، ومدّوا خط السكة الحديدية إلى بير السبع ، وشيّدوا خمس محطات لتوليد الطاقة وغير ذلك . وفي الوقت الذي قدمت فيه المساعدات على مدى ١٢ عاما للاجئين اليهود أعلن أديناور ـ مستشار ألمانيا آنذاك ـ " أنه ليس للجمهورية الاتحادية الحق ولا المسؤولية لاتخاذ موقف حول مسألة اللاجئين الفلسطينيين " .

وفي عام ١٩٦٤ ، وبضغط من الولايات المتحدة الأمريكية ، قدمت ألمانيا (لإسرائيل) صفقة دبابات بقيمة ٢٥٠ مليون مارك ألماني . وقد توقف ٣٠٪ من الصفقة حين اكتشف أمرها وثارت حولها ضجة عربية . وفي ١٩٦٥/٣/٧ أعلنت المانيا رسميا إقامة علاقات ديبلوماسية مع (إسرائيل) ردّا على زيارة أولبرخت ـ زعيم ألمانيا الشيوعية ـ للقاهرة في أوائل عام ١٩٦٥ . وفي ١٩٦٥/٥/١٢ أعلن عن إنشاء علاقات ديبلوماسية رسمية بين البلدين إثر تبادل كتابين بين إيرهارد المستشار الألماني وأشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي نشرت نصوصهما في كل من بون والقدس المحتلة ، وقد ترتبّ على ذلك أن قطعت الدول العربية علاقاتها الديبلوماسية مع ألمانيا الغربية، باستثناء ليبيا وتونس والمغرب .

قبيل حرب حزيران ١٩٦٧ أخذت المانيا الاتحادية موقفاً منحازاً (لإسرائيل) حين قال المستشار فيللي براندت في ١٩٦٧/٥/٣١ : "لسنا مع الحلول من جانب واحد بل مع الحلول التعاقدية ، ولسنا مع استخدام القوة بل مع نبذ القوة ، لهذا السبب تتخذ الجمهورية الاتحادية الموقف بوجوب صيانة مبدأ حرية البحار . وإن مصالح أسرة الأمم تنتهك عندما تقاطع أو تدمر الإنجازات السلمية في بناء الدولة " . وترتّب على ذلك أن أغلقت مصر (الجمهورية العربية المتحدة) قنصليتها في فرانكفورت في اليوم نفسه .

وفي ١٩٦٧/٦/٣ تمّ تسليم الإسرائيليين صفقة أقنعة غاز ألمانية . واستمرت ألمانيا الاتحادية تقدم مساعدة اقتصادية (لإسرائيل) في السنوات التالية تراوح بين ٣٥ و٤٠ مليون دولار سنويا .

وكان أول تغيّر في المواقف الألمانية اشتراكها في التوقيع على وثيقة دول السوق الست التي عرفت بوثيقة شومان ، وذلك في ١٩٧١/٥/١٢ . وقد تحدثت الوثيقة عن انسحاب كامل من الأراضي المحتلة مع تعديلات طفيفة في الحدود وإنهاء حالة الحرب ، وتكوين مناطق منزوعة السلاح ، وتدويل القدس ، وحلّ قضية اللاجئين حسب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (رَ : العودة ، حق) ، لكن ألمانيا أخذت تتهرب من الاعتراف بالوثيقة فأعلن وزير خارجيتها أن بون تعتبر قرار مجلس الأمن ٢٤٢ * في نصه الإنكليزي أساساً للمفاوضات ، وأن ألمانيا الاتحادية تعتبر تفسير واشنطن ولندن لنص هذا القرار تفسيراً صحيحاً ولا ضرورة للتعهد بانسحاب سابق ، وأن ما يسمى بوثيقة الدول الست مجرد وثيقة عمل لم يوافق عليها كاملة بعد (رَ : الجماعة الاقتصادية الأوربية) .

وفيما بين حربي حزيران ١٩٦٧ * وتشرين الأول ١٩٧٣* اتسع نطاق تأييد حقوق الشعب الفلسطيني في الأوساط الطلابية والأوساط اليسارية الألمانية .

وفي عام ١٩٧٢ ، وبعد عملية ميونيخ * في القرية الأولمبية صيف ١٩٧٢ ، اتخذت ألمانيا الاتحادية موقفاً معادياً للفلسطينيين حين أعلنت حلّ فرعي اتحادي الطلبة والعمال الفلسطينيين ، وأبعدت نحو ٢٠٠ فلسطيني مدّعية الاشتباه في أن سلوكهم السياسي خطر على أمن ألمانيا الاتحادية .

في الموقف من حرب تشرين الأول ١٩٧٣ صرّح وزير الخارجية والتر شيل بقوله : " نحن نسير وراء سياسة التوازن في علاقاتنا تجاه بلدان الشرق الأوسط ، وهي لا تقبل التحيز لأي طرف في النزاع بالشرق الأوسط ، فعلى أساس سياسة عدم الانحياز التي نسير عليها حيال الشرق الأوسط ، ونظراً لعودة علاقاتنا الديبلوماسية فإننا نستطيع أن نراعي في المستقبل اتصالات ودية مع جميع بلدان هذه المنطقة " . وأطلق المستشار براندت في العاشر من تشرين الأول نداء لوقف القتال أتبعه بالقول : " إن حياة الباقين على قيد الحياة في إسرائيل مهددة بالخطر " . وأعلنت حكومة ألمانيا الاتحادية احتجاجها على خرق الولايات المتحدة للمعاهدة الألمانية ـ الأميركية المعدّلة في ١٩٥٤/١٠/٢٣ التي لا تعطي الولايات المتحدة حق استخدام الأراضي الألمانية لتزويد مناطق الصدامات المسلحة بالأسلحة ، وذلك بعد انكشاف أمر تزويد أمريكا (إسرائيل) بالسلاح انطلاقاً من المطارات والمرافىء الألمانية .

وفي الوقت نفسه استمرت سياسة « الحياد والحذر » ، قياسا على السابق ، تطبع سياسة التحالف الحاكم الجديد بين الحزب الديمقراطي الاشتراكي والحزب الليبرالي الديمقراطي ، إذ اشتركت ألمانيا في إصدار وثيقة ١٩٧٣/١١/٦ لدول السوق الأوربية الوثيقة التي تحدثت لأول مرة عن أن السلام في المنطقة مرهون بتلبية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . وامتنعت عن التصويت على القرار

٣٢١٠ في الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة عام ١٩٧٤ بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك في المداولات (رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) ، وامتنعت عن التصويت على القرار ٣٢٣٦ (١٩٧٤) حول الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني * ، لكنها صوتت ضد القرار ٣٢٣٧ الذي يمنح المنظمة مركز مراقب ، وضد قرار تشكيل لجنة الأمم المتحدة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة * ، وضد قرار إدانة الصهيونية وقرنها بالعنصرية (رَ : العنصرية والصهيونية) ، ونعت المندوب الألماني هذا القرار بأنه إهانة للإنسانية .

ظلت ألمانيا تؤكد في بياناتها الرسمية الفردية وبياناتها الثنائية مع عدد من الدول الفقرة الخاصة بالشعب الفلسطيني التي جاءت في وثيقة ١٩٧٣/١١/٦ لدول السوق ، ثم تطور موقف دول السوق في بيان وزراء خارجية الدول التسع في روما ١٩٧٥/١٠/٣٠ الذي أعلن أنه " لا بد من الاعتراف الدائم بحق الشعب الفلسطيني في التعبير عن شخصيته الوطنية " . وفي خطاب وزير الخارجية غينشر في الدورة ٣١ للأمم المتحدة في ١٩٧٦/٩/٢٨ قال : "لقد عبّرت ألمانيا الاتحادية عن رأيها في ذلك من فوق هذا المنبر في عام ١٩٧٤ ، وأكّدت أنه لا بد من الأخذ بالاعتبار ، خلال التسوية السلمية ، وعند انتهاء احتلال الأراضي ، حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير الذي يتضمن في النهاية حقه في إقامة سلطته القومية ، وكذلك حق إسرائيل في العيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها " .

وفي ١٩٧٧/٦/٢٩ أصدرت دول السوق التسع وثيقة جديدة طوّرت فيها مواقفها السابقة ،«وتحدثت عن أن السلام ليس ممكناً إلاّ إذا تُرجم الحق المشروع للشعب الفلسطيني في إعطاء تعبير فعال لهويته الوطنية إلى واقع يأخذ في الاعتبار الحاجة إلى إقامة وطن قومي للشعب الفلسطيني ، وأن من الضروري اشتراك ممثلي الشعب الفلسطيني في أية مفاوضات . وقد أكّد ممثل ألمانيا الاتحادية في الجمعية العامة في الدورة ٣٢ (١٩٧٧) أن موقف بلاده معبّر عنه في وثيقة حزيران .

وفي ١٩٧٨/٦/٢١ ألقى المستشار هيلموت شميدت خطابا بمناسبة استقباله وليّ العهد السعودي قال فيه : " إن حق تقرير المصير الذي طالبنا به للشعب الألماني يجب ألاّ تحرم الشعوب الأخرى منه . لذلك ، وبناء عليه ، فقد طالبت حكومة ألمانيا الاتحادية دائما وعلناً بوجوب تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني . ويبدو لي ضرورة تركيز المناقشات الدولية حول إمكانية الأخذ بعين الاعتبار قضية التوقعات الإقليمية للعرب المشتركين في الأزمة ، وحق تشكيل دولة للفلسطينيين ، وذلك بنفس مقدار مناقشة المصالح الأمنية لدولة إسرائيل " .

وفي حزيران من عام ١٩٨٠ صدر بيان البندقية لدول السوق الأوربية الذي سجل أن اتفاقات كامب ديفيد * زادت التوتر في المنطقة ، لكنه ـ أي البيان ـ تجاهل حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته المستقلة ، وتجاهل الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، وأكد تمسك المجموعة الأوربية بالقرار ٢٤٢ وتبنّي اتفاقيتي كامب ديفيد نهجا ومضمونا ، خصوصاً ما يتعلق بتطبيع العلاقات .

وفي ١٩٨٠/١١/٢٤ ألقى شميدت البيان الوزاري للحكومة الائتلافية الجديدة من الحزبين الاشتراكي الديمقراطي والديمقراطي الحر أمام البرلمان وجاء فيه :

"إننا نريد في الشرق الأوسط ، بالاشتراك مع شركائنا في المجموعة الأوربية وبالاعتماد على بيان البندقية ، المساعدة في تحقيق حل سلمي شامل وعادل ودائم " .

وبعد زيارة شميدت للسعودية في نيسان ١٩٨١ قال في مقابلة تلفزيونية عند عودته إلى بلاده : "إن المرء لا يستطيع في الأزمة الفلسطينية إعطاء جانب واحد كل الحق وإدارة ظهره للجانب الآخر . هذا غير ممكن خاصة إذا كان المرء ألمانياً يعيش في أمة مقسمة ويطالب بحق تقرير المصير للشعب الألماني ، حينئذ يجب على المرء أن يعترف بالمطلب الأخلاقي لحق تقرير المصير للشعب الفلسطيني " .

وأضاف : "إذا أردنا في الغرب أن ننظر إلى منظمة التحرير على أنها إرهابية دون التفريق بين الكتل المختلفة ضمن المنظمة ـ إذ إن منظمة التحرير ليست إلاّ المنظمة الرئيسة للمنظمات المختلفة ـ إذا استمررنا على ذلك فسندفع المنظمة إلى أحضان موسكو ، وهذا ليس من العقل . يجب أن يتجه الفلسطينيون والإسرائيليون إلى اعتراف كل منهما بالطرف الآخر . إنني أتمنى لليهود من صميم قلبي أن يبقى كيان دولتهم هذا وألاّ يتعرض للخطر نتيجة لسياسة لا تنظر بعيدا بما فيه الكفاية " .

وقد أثارت تصريحات شميدت هذه ردّة فعل عنيفة لدى أوساط الحكم الإسرائيلي ، وخاصة لدى رئيس الوزراء مناحيم بيغن .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية، الأعوام ١٩٦٤ ـ ١٩٧٦ .

ـ مصطفى عبد العزيز : إسرائيل ويهود العالم ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ ـ ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧١ .

ـ رجينا الشريف : الصهيونية اللايهودية ـ تعبير عن التواطؤ الصهيوني العنصري

المعادي للسامية ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد خاص عن فلسطين ، الكويت .
ـ كنيث ليفان : ألمانيا الغربية والشعب الفلسطيني ، شؤون فلسطينية ، عدد ٤٤ ، نيسان ١٩٧٥ ، بيروت .
ـ أسعد عبد الرحمن : المساعدات الأمريكية والألمانية الغربية لإسرائيل ، بيروت ١٩٦٧ .
ـ محمود عباس : الصهيونية والنازية توأمان ، شؤون فلسطينية ، العدد ١١٢ ، آذار ١٩٨١ ، بيروت .

ألمانيا الديمقراطية : رَ : أوربا الشرقية (دول ـ)

إلياس مرمورة (١٨٨٧ ـ ١٩٤٧) :

ولد في مدينة الناصرة * وأنهى دراسته الابتدائية في مدارسها . ثم ارتحل إلى القدس * حيث درس في مدرسة صهيون * الإنكليزية الثانوية . ولمّا تخرج عيّن أستاذا فيها . ثم انتسب إلى كلية الحقوق وتخرج فيها وعاد معلماً في مدرسة صهيون من جديد .

انتسب إلى السلك الكهنوتي عام ١٩٠٨ وأخذ يخدم طائفته الإنجيلية في رام الله * ونابلس * طوال خمسة عشر عاما تقريبا .

نفته السلطات العثمانية مع أسرته خلال الحرب العالمية الأولى إلى أدرنة . ولكنه عاد بعد الحرب إلى نابلس حيث تعلم لغة السامريين وترجم كتابهم المقدس إلى العربية . ولكن مخطوطة الترجمة فقدت . ثم ألف كتابا عن هذه الطائفة يضمّ تاريخاً لمدينتي نابلس وسبسطية * (١٩٣٤) . انتقل إلى رام الله عام ١٩٢٥ وبقي هناك راعيا دينيا حتى نقل سنة ١٩٢٩ إلى القدس .

أسس مجلة « الأخبار الكنسية » عام ١٩٢٤ في القدس وظل يحرّرها حتى عام ١٩٤٠ . وفي عام ١٩٤٣ انتخب بالإجماع رئيسا عاما للمجمع الكنسي في فلسطين وشرق الأردن . وظل في هذا المنصب إلى أن أحيل إلى التقاعد سنة ١٩٤٤ .

اشتهر بحبه للغة العربية ، وتضلعه فيها والدعوة إلى تدريسها لطلبة اللاهوت .

المرجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

إلياف (مشروع ـ) :

آرييه إلياف يهودي ولد في روسيا عام ١٩٢١ وهاجر مع أسرته إلى فلسطين وعمره ثلاث سنوات . انضم أيام الانتداب البريطاني إلى صفوف الهاغاناه * وتقلد بعد قيام دولة الاحتلال عدة مناصب عسكرية وسياسية ، كما درس التاريخ والاجتماع في الجامعة العبرية . وقد أصبح عام ١٩٧٧ زعيماً لكتلة " شلي " التي تملك مقعدين في الكنيست * يشغل أحدهما الياف نفسه .

أصدر إلياف عدة كتب منها « أرض الظبي » الذي نشره عام ١٩٧٤ وضمّنه مشروعا لتسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي ركز فيه على وجوب حل المشكلة الفلسطينية لأنها أساس الصراع . وقد أثارت أفكار إلياف في حينها ضجة كبيرة في الأوساط الصهيونية رغم أنها لا تخرج عن إطار الايديولوجية الصهيونية ونظرتها العامة ، لأنه طرح مسألة الاعتراف بالشعب الفلسطيني في حين تنكر القيادات الإسرائيلية وجود هذا الشعب .

وتتلخص أفكار إلياف التي عرضها في كتابه والتي أصبحت تعرف باسم « مشروع إلياف » حول ثلاث قضايا :

١) المشكلة الفلسطينية : فهو يرى أن إنكار وجود مشكلة فلسطينية أو فلسطينيين لا يمكن أن يساعد (إسرائيل) . وأي حل دائم أو مؤقت مع الدول العربية بدون حل المشكلة الفلسطينية لن ينهي النزاع العربي ـ الإسرائيلي ولن تحصل (إسرائيل) بواسطته على السلام الحقيقي . فعلى (إسرائيل) ، كما يقول إلياف ، أن تواجه المشكلة بشكل مباشر . " فالفلسطينيون عاشوا هنا ثلاثة عشر قرناً، ولم يكونوا عابري سبيل " . " وهم اليوم يعيشون بيننا وداخل حدودنا ، ونحن الآن مسؤولون عن نحو مليون منهم . ومن بينهم خرج وما زال يخرج ألد أعدائنا . وقدرنا أن نستمر في العيش معهم دائما " .

إن ضم المناطق المحتلة إلى (إسرائيل) يخلق مشكلات أمنية وديمغرافية وأخلاقية وديمقراطية كثيرة " وفي مقابل السلام الدائم على إسرائيل أن تتنازل عن جزء من حقوقها التاريخية " . ويجب أن تبادر إلى إعلان استعدادها لإعادة معظم الضفة الغربية وقسم من قطاع غزة إلى العرب الفلسطينيين (وليس الانسحاب منه) ، بحيث يمكن إقامة دولة مستقلة مع الأردن تترك لهم حرية تحكل الحكم فيها واسمها (أردنية ـ فلسطينية أو فلسطينية ـ أردنية أو غير ذلك) . وهذا في نظره خير من إنشاء دولة صغيرة في الضفة الغربية وأجزاء من قطاع غزة ، لأنها لا تحل مشكلة الفلسطينيين ، إذ سيكون نصفهم تقريبا خارج هذه الدولة ولن يعدوّا ذلك حلا لمشكلتهم .

ويجب أن تفرض هذه الدولة قيوداً تتعلق بأمن (إسرائيل) منها أن يحال بين القوات العربية وعبور نهر الأردن ، كذلك فصل قطاع غزة عن مصر ومنع أي نشاط عسكري فيه ، وتجريد الضفة وقطاع غزة من السلاح ، لا بضمانات الاتفاق المكتوبة بل

بضمانات عملية يجسّدها إشراف إسرائيلي أو مراقبة مشتركة من الدولتين إلى أن تترسخ دعائم السلام النهائي وتصبح العلاقات بين الدولتين طبيعية .

ويعارض إلياف سياسة الأمر الواقع في إقامة المستعمرات في المناطق المحتلة . أما المستعمرات القائمة في الضفة الغربية فيرى إلياف أن يضم بعضها رسميا ونهائيا إلى (إسرائيل) في ختام المفاوضات ، وأن يحول قسم آخر إلى قواعد مؤقتة للقوات العسكرية ودوريات المراقبة الأمنية التي سينص على إنشائها في اتفاقيات السلام . أما القسم الثالث فيبقى ضمن حدود الدولة الأردنية ـ الفلسطينية الجديدة . فالعلاقات الوثيقة التي ستنشأ بين الدولتين سوف تسمح بوجود يهود تتطلب أعمالهم الاستيطان المؤقت أو الدائم في أرض الدولة العربية .

ويرى إلياف أن إقامة الدولة العربية الفلسطينية ـ الأردنية إلى جانب (إسرائيل) يمكن أن يخفف حدة المشكلة السيكولوجية لعرب (إسرائيل) . فهؤلاء ، حسب قوله ، يواجهون مشكلة مزعجة بالنسبة إلى هويتهم ، فهم من جهة جزء من الشعب الفلسطيني لا يرغبون في الاندماج مع اليهود ، واليهود لا يريدون ذلك . ومن جهة ثانية هم مواطنون إسرائيليون . ويمكن لعرب (إسرائيل) ، في حال إقامة دولة عربية فلسطينية ـ أردنية فقط تعيش بسلام مع (إسرائيل) ، يمكنهم أن يشعروا بأنهم رعايا إسرائيليون وأنهم امتداد للشعب الفلسطيني ذي الهوية الخاصة في آن واحد . وقد يختار بعضهم الانتقال مؤقتاً أو نهائياً إلى الدولة الجديدة . ثم يقول " ويمكن الافتراض بأن معظم العرب سيظلون معنا ويشكلون جسرا بين الدولتين ، كما يشكل اليهود في المستعمرات القائمة في الدولة العربية جسرا مماثلاً " . ويتصور إلياف أن " إسرائيل والدولة العربية الجديدة سوف تقيمان مع الزمن سوقاً مشتركة قد تجران إلى المشاركة فيها دولا أخرى عربية وغير عربية " .

أما بالنسبة إلى مشكلة اللاجئين فإن إلياف يدعو إلى عدم النظر إليها على أنها مشكلة تخشاها ، فقد يكون فيها حسب رأيه بركة ونفع يستفاد منه . فالمليون لاجىء هم احتياطي من الأيدي العاملة الماهرة التي تستطيع بناء تجمعات مدنية وصناعية جديدة إذا توفر لها التمويل اللازم . وعلى (إسرائيل) أن تساهم في ذلك التمويل الفردي الجماعي . كذلك على دول النفط العربية الغنية والأوساط المالية الدولية أن تساهم أيضاً . وفي إمكان (إسرائيل) أن تبدأ منذ الآن بخطوات عملية في التعامل الجدي مع مشكلة اللاجئين بأن تزيل المخيمات القائمة وتُسكن اللاجئين في مساكن عصرية وأحياء جديدة حول مدن قطاع غزة والضفة الغربية . ولا ينسى إلياف أن يشير إلى أن على (إسرائيل) مطالبة الدول العربية في المستقبل بتعويضات عن أملاك اليهود الذين هاجروا منها إلى (إسرائيل) .

وحول موضوع القدس يقول إلياف بعد أن يستعرض مكانة القدس لدى اليهود والعرب : إن على (إسرائيل) أن توضح بعض الأمور منها :

(١) إن القدس الموحدة هي عاصمة (إسرائيل) وستظل كذلك . ولن تقبل (إسرائيل) بإعادة تقسيمها وعودتها إلى الحكم العربي .

(٢) إن المسلمين يستطيعون أن يصلّوا في مساجدهم في القدس . ولحل المشاكل المعقدة بالنسبة إلى الأماكن المقدسة يمكن إيجاد شكل من أشكال « فتكنة » هذه الأماكن (أي إعطائها وضعا شبيها بوضع الفاتيكان في روما) ، وتحديد منطقة مقدسة تتلقى خدماتها البلدية من المدينة ، ولكن تحظى بنوع من الإدارة الذاتية الدينية .

(٣) من الناحية العربية هناك طابع قومي لمشكلة القدس يمكن حله بخلق ممر إقليمي من الدولة الأردنية ـ الفلسطينية عندما يحل السلام ، وهذا الممر يقود إلى منطقة الآثار الإسلامية المقدسة التي يمكن أن توضع تحت سيطرة الدولة الإسلامية .

(٤) يجب أن نوضح للعرب والعالم أننا سنبحث مشكلة القدس في نهاية عملية التصالح والسلام فقط لا في بدايتها .

٢) التسوية مع مصر : يقرر إلياف أن الصهيونية لم تدّع يوما أن لها حقوقا تاريخية في سيناء التي هي أراض خاضعة للسيادة المصرية . فالمسألة إذن محصورة بين (إسرائيل) ومصر ، وليست مسألة حقوق تاريخية وإنما هي مسألة أمن " ذات أهمية حيوية لوجودنا " .

وإذا حدث السلام بين مصر و(إسرائيل) وقامت علاقات طبيعية فإنه ، فيما عدا نوعا من الوجود الإسرائيلي في مضائق تيران ، يجب علينا أن نعيد شبه جزيرة سيناء إلى مصر على مراحل ، بعد أن تكون قد جردت كليا من السلاح ووضعت تحت مراقبة مشتركة وضمانات دولية وثنائية .

٣) التسوية مع سورية : يصف إلياف السوريين بأنهم أكثر الشعوب العربية عداء (لإسرائيل) ولكنهم واقعيون . ويرى في هذه الواقعية الأمل في إمكانية التوصل إلى حل بين سورية و(إسرائيل) . ويضيف إلياف : من أجل ذلك يجب أن نبلور موقفا واضحا بالنسبة إلى هضبة الجولان * . يجب أن تحتفظ (إسرائيل) بالسيطرة العسكرية على هذه السلسلة الجبلية ، وأن يسمح في الوقت نفسه للسوريين بإعادة سكانها المهجرين أو بعضهم على الأقل . ويتطلب هذا الحل ، شأنه شأن الحلول في الجبهات الأخرى ، مفاوضات وتوقيع معاهدة سلام وخطوات مرحلية وتجريداً كاملاً من السلاح وضمانات دولية وثنائية ورقابة مشتركة . ومصير مستعمرات

الجولان سيكون كمصير مستعمرات الضفة الغربية وقطاع غزة ، فمع حلول السلام سيتحول قسم منها إلى قواعد للدوريات والقسم الآخر إلى جزء من سورية المسالمة (لإسرائيل) والقسم الثالث سيضم إلى (إسرائيل) .

أما بالنسبة إلى لبنان فلن تكون هناك مشكلة في توقيع معاهدة سلام معه بعد توقيع معاهدات سلام مع مصر والفلسطينيين والأردن وربما سورية . وكل ما يريده إلياف هو إقامة حدود مفتوحة في رأس الناقورة * ومرجعيون ونقاط أخرى ، وعبور البضائع والناس من الجانبين .

المرجع :

— Eliav, L.: **Land of The Hart: Israelis, Arabs, The Territories, and A Vision of The Future,** Philadelphia , 1974.

الأليانس :

الأليانس كلمة فرنسية تعني التحالف . والاسم الكامل لجمعية الأليانس هو « التحالف الإسرائيلي العالمي » وبالعبرية « كل يسرائيل حفيريم » أي « جميع اليهود أخوة » .

تأسست هذه الجمعية في باريس في سنة ١٨٦٠ بمبادرة بعض اليهود في فرنسا ، وكان من بينهم أدولف كريميو عضو مجلس النواب والوزير في الحكومة الفرنسية آنذاك . سعت الأليانس لتكون اتحادا عالميا لليهود بهدف تقديم المساعدة السياسية والثقافية لليهود أينما كانوا ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة عن طريق التعليم والتدريب المهني من خلال الفكرة الداعية إلى وحدة اليهود في كل أنحاء العالم . وقد نشطت الأليانس في الدفاع عن حقوق اليهود السياسية في مختلف الدول الأوربية وآسيا وإفريقيا . وكان أدولف كريميو أول رئيس لها ، وظل في هذا المنصب حتى وفاته (١٨٨٠). في سنة ١٨٧١ انفصل عن الأليانس فرعها في إنكلترا وأسس الجمعية الإنكليزية اليهودية .

أبدت الأليانس في سنواتها الأولى تحفظاً من حركة أحباء صهيون * والصهيونية * وسعت إلى نشر اللغة والثقافة الفرنسيتين. واتجهت إلى الاهتمام بالنشاط الثقافي فأوفدت إلى فلسطين سنة ١٨٦٨ كارل نيطر عضو لجنتها المركزية لدراسة أوضاع اليهود . وبعد التقرير الذي قدمه نيطر تقرر إقامة مدرسة زراعية في فلسطين لتعليم أبناء اليهود أصول الزراعة الحديثة . وفي سنة ١٨٧٠ أقيمت مدرسة " مكفيه يسرائيل " الزراعية على أرض مساحتها ٢,٦٠٠ دونم تابعة لقرية يازور * العربية بعد أن تمكنت جمعية الأليانس من استئجارها من السلطات العثمانية . فكانت أول مدرسة زراعية من نوعها عند اليهود . وأصبحت هذه المدرسة مع بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين مصدر تشجيع وتدعيم البيشوف * اليهودي ، ومن العوامل الرئيسة التي خلقت " الفلاح اليهودي " .

نظمت الأليانس سنة ١٩١٩ حملة واسعة لمساعدة يهود بولونيا ، وحملة إغاثة لضحايا المجاعة من اليهود في الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٢٢ . واتخذت بعد الحرب العالمية الثانية موقفاً مؤيداً للأهداف الصهيونية في فلسطين ، وطلبت من لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين * السماح لليهود بالهجرة الواسعة إلى فلسطين . وساعدت الأليانس في تحقيق الأهداف السياسية للحركة الصهيونية ، وذلك بشراء الأراضي في فلسطين وتحويل عدد من صغار الملاك العرب إلى أجراء والإسهام في استيعاب المهاجرين اليهود من أوربا الشرقية في مستعمرات زراعية . كما أسست الأليانس شبكة تعليمية في بلاد البلقان وآسيا وشمال إفريقيا وفلسطين . وللأليانس مدارس ابتدائية في القدس * وحيفا * وطبرية * وتل أبيب * ومدرسة للصم والبكم . وفي سنة ١٩٥٠ تسلمت وزارة المعارف والثقافة في (إسرائيل) الإشراف على هذه المدارس وعلى مدرسة "مكفيه يسرائيل " وواصلت توفير الميزانيات اللازمة لها .

وقد بلغ عدد تلاميذ المدارس التابعة للأليانس في سنة ١٩٦٧ نحو ٢٥,٠٠٠ تلميذ منهم ٥,٢٢٧ تلميذاً في (إسرائيل) .

المراجع :

ـ صبري جريس : **تاريخ الصهيونية** ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .
ـ عبد الوهاب المسيري : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٥ .

الأماكن الأثرية : رَ : الخرب والأماكن الأثرية

الأماكن المقدسة : رَ : الحج إلى الأماكن المقدسة في فلسطين

أمان :

إحدى مؤسسات جهاز الاستخبارات الإسرائيلي * . وهي إدارياً قسم من أقسام رئاسة الأركان العامة للجيش ، وتتبع رئيس الأركان ، أما في التخطيط العام فتلتزم بما يقرره مجلس أمن الدولة الأعلى . وهي بذلك تماثل إدارة المخابرات العسكرية او ما

يشبهها في الجيوش الأخرى . وتعتبر أمان ثاني مؤسسة استخبارية بعد موساد * ، بل إنها أصبحت تضاهيها في اتساع مجالات عملها وتنوع نشاطاتها ، وبخاصة بعد أن تم تجهيزها بأدوات ومعدات تقنية حديثة .

يشتق مصطلح أمان من العبارة العبرية « أغاف موديعين » ومعناها مكتب الاستخبارات . وتختص بأمن القوات المسلحة وجمع المعلومات العسكرية الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية والميدانية عن القوات المسلحة العربية والطاقات العربية السياسية والاقتصادية التي يمكن توظيفها لصالح القوات المسلحة واستثمارها في العمليات الحربية . وتقوم أمان بتحليل هذه المعلومات واستقرائها واستخراج النتائج منها وتشارك مشاركة أساسية في وضع الخطط الحربية والتنسيق مع الأجهزة الأخرى . ويقوم بجمع المعلومات ضباط استخبارات الميدان المبثوثون على الحدود وفي مناطق العمليات ، وضباط الاستطلاع الذين يستخدمون وسائل الرصد والاستطلاع البري والبحري والجوي واللاسلكي والألكتروني والأقمار الصناعية وغيرها من وسائل الرصد والاستطلاع .

هذا عن المعلومات عما يحيط بالحدود ، أما المعلومات الخارجية فتأتي عن طريق الملحقين العسكريين التابعين لأمان والعاملين في السفارات الإسرائيلية . كما تأتي المعلومات أيضاً من شبكات التجسس العاملة في الخارج ومن أجهزة الاستخبارات التابعة للدول المتعاونة مع (إسرائيل) في مجال جمع المعلومات العسكرية وتبادلها .

تضم أمان عدة أقسام منها قسم للاستخبارات التكتيكية وقسم لكل من الاستخبارات البرية والجوية والبحرية . وتشارك أمان في إعداد الدراسات الاستراتيجية الخاصة بتقدير إمكانيات الدول العربية وقدراتها العسكرية وتقييم المواقف السياسية المختلفة . وهي تضم أيضاً قسماً خاصاً بالإعلام ذا صلة وثيقة بالصحفيين الأجانب العاملين في (إسرائيل) ، وبخاصة المراسلين الحربيين . ولهذا القسم حق المراقبة على كل ما ينشر عن الجيش .

المراجع :

ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام : العسكرية الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٤ .

ـ عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

ـ هيثم كيلاني : المذهب العسكري الإسرائيلي ، بيروت ١٩٦٩

أم برج (قرية ـ) : رَ : خربة أم برج (قرية ـ)

أم التوت (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

أم خالد (قرية ـ) :

قرية عربية تنسب إلى امرأة صالحة عاشت ودفنت فيها . تقع القرية على بعد ١٤ كم غربي مدينة طولكرم * ، وكانت تجاور مدينة نتانيا * الصهيونية من الناحية الشرقية . وتمر طريق طولكرم ـ نتانيا المعبدة الرئيسة جنوبيها ، لذا فهي محطة على هذه الطريق الحيوية التي تربط شاطىء البحر المتوسط بالسهل الساحلي * الفلسطيني .

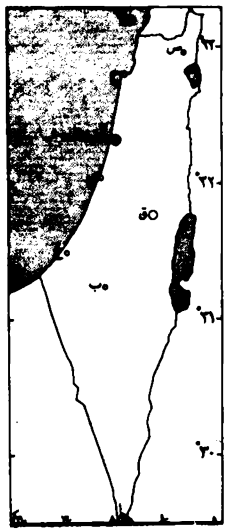

نشأت القرية فوق بقعة مرتفعة نسبياً من السهل الساحلي الفلسطيني (ارتفاعها ٢٥م فوق سطح البحر) لتتحاشى أخطار الفيضانات في المنطقة من جهة ، ولتستفيد من عامل الحماية من جهة ثانية . وقد اشتملت هذه البقعة على آثار كثيرة تعود إلى ما قبل التاريخ وإلى بعض العصور التاريخية (رَ : العصور القديمة) . وتضم هذه الآثار بقايا أبراج وقلاع وآبار وخزانات وصهاريج للمياه وأدوات صوانية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

أبنية القرية من الحجر والطين ، وكانت متلاصقة لا تترك بينها سوى أزقة ضيقة . وقد ضمت القرية في وسطها مسجداً ومدرسة ابتدائية للبنين وأربعة دكاكين لبيع البقالة والأقمشة ، وبلغت مساحتها ٢٣ دونماً ، واتخذ امتدادها شكلاً طولياً من الشمال إلى الجنوب .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ٢,٨٩٤ دونماً منها ٨٩ دونماً للطرق والأودية . وتتميز هذه الأراضي بخصبها ورطوبتها وتوافر المياه الجوفية فيها ، وتمتد هذه الخزانات الجوفية على عمق ٤٠م تحت سطح الأرض . لهذا تجود في أراضي أم خالد زراعة البطيخ والحمضيات * والخضر * والحبوب * . وكان فائض الإنتاج الزراعي يصدّر إلى طولكرم والقرى المجاورة .

يعود قسم من سكان القرية في أصولهم إلى القرى المجاورة . وقد فضلوا الهجرة إلى أم خالد لتوافر فرص العمل الزراعي فيها . لذا نما عدد سكان القرية من ٣٠٧ نسمات عام ١٩٢٢ إلى ٩٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل معظم السكان في الزراعة * وتربية المواشي وتصنيع بعض المنتجات الزراعية والحيوانية كمشتقات الألبان .

طرد العدو الصهيوني سكان أم خالد ودمر قريتهم في عام

١٩٤٨ . وبعد سنوات امتدت مدينة نتانيا الصهيونية عمرانياً فوق أرض أم خالد .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطيرة .

أم الدَّرَج (عين ـ) : رَ : العذراء (عين ـ)

أم الزينات (قرية ـ) :

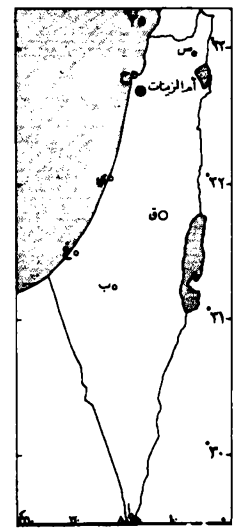

قرية عربية تقع جنوب شرق حيفا * وتتصل بها بطريق معبدة عبر جبل الكرمل * طولها ٢٧ كم وأخرى طولها ٢٤ كم عبر مرج ابن عامر * .

تربض القرية فوق قمة شبه مستوية في النهاية الجنوبية لجبل الكرمل على ارتفاع ٣١٧ م عن سطح البحر في منطقة تقسيم المياه بين بعض روافد نهر المقطّع * وبعض روافد الأودية المتجهة غرباً نحو البحر . ومن آبار القرية بئر النظيف وبئر الشمهوريش في شمالها ، وبئر الحراميس في جنوبها .

الشكل العام للقرية يشبه مضرب كرة يده تتجه نحو الشمال الشرقي . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ٢٠٩ مساكن حجرية من النوع المندمج ، وبلغت مساحة القرية ٦٩ دونماً عام ١٩٤٥ ، في حين بلغت مساحة القرية وأراضيها ٢٢,١٥٦ دونماً ملك الصهيونيون ٥١ دونماً منها فقط .

كان عدد سكان القرية ٧٨٧ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ارتفع إلى ١,٠٢٩ نسمة عام ١٩٣١ وإلى ١,٤٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، أي بزيادة سنوية مقدارها ٣,٠٢٪ بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ ، و ٢,٥٩٪ بين عامي ١٩٣١ ـ ١٩٤٥ . وبذا كانت أم الزينات من قرى قضاء حيفا العشر الأولى عدد سكان ومساحة أرض .

كان في القرية مدرسة ابتدائية للبنين . وقد اعتمد السكان في معيشتهم على زراعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية . والتربة السائدة هي التربة الكلسية الطينية أو الطبشورية التي تصلح لزراعة الأشجار المثمرة والزيتون * . بلغت المساحة المزروعة زيتوناً ١,٨٣٤ دونماً عام ١٩٤٣ ، (أي ٨,٩٪ من مساحته في قضاء حيفا) ، وقد تركزت في شمال شرق وشمال غرب القرية . وفي العام المذكور كان فيها أربع معاصر يدوية لاستخراج زيت الزيتون ، وإلى جانب الزراعة * عمل السكان في تربية المواشي .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب عام ١٩٤٨ ودمروها وأسسوا في العام التالي موشاف « الياقيم » على بعد نحو كيلومتر واحد جنوبي موقع القرية . وقد بلغ عدد سكانه ٦٤٠ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ ، وج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أم الزينات .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

أم الشراشيح (قرية ـ) : رَ : عرب البواطي (قرية ـ)

أمّ الشوف (قرية ـ) :

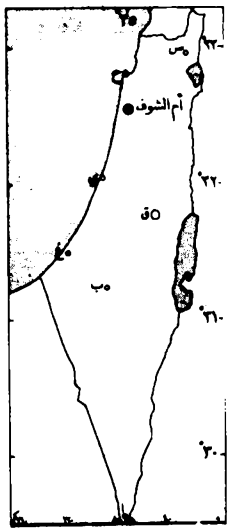

قرية عربية تقع جنوب جنوب شرق حيفا * وتبعد عنها قرابة ٣٧ كم عن طريق مرج ابن عامر * ، وعبر صبّارين * . أما عن الطريق الساحلية فالمسافة بينها وبين حيفا نحو ٤٨ كم .

أنشئت أم الشوف في جبل الكرمل * على ارتفاع ١٣٠ م عن سطح البحر على سفح يطل نحو الشمال على واد صغير يصب في وادي الغدران أحد روافد نهر الزرقاء * . ويؤلف وادي الغدران الحد الشمالي لأراضيها ويفصلها عن أراضي قرية صبّارين . ومن ينابيع القرية عين أم الشوف في شمالها الشرقي ، وعيون طبش في شرقها ، وعين الخضيرة في شمالها الغربي .

الامتداد العام للقرية من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٧٣ بيتاً بنيت من الحجارة والإسمنت ، أو الحجارة والطين . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٢١ دونماً ، ومساحة أراضيها ٧,٤٢٦ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا .

كان في أم الشوف ٢٥٢ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ،

وارتفع العدد إلى ٣٢٥ نسمة في عام ١٩٣١ وإلى ٤٨٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

ضمت القرية جامعا ، ولم يكن فيها خدمات أخرى ، واعتمد السكان على مياه عين أم الشوف في الشرب والأغراض المنزلية .

قام اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي ، وأهم المزروعات فيها الحبوب * بأنواعها . وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ٣٢ دونما مزروعة زيتوناً * مثمراً تركزت في غرب القرية وفي شمالها الغربي .

شرد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة كفر راعي .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

أمّ عَجْرة (قرية ـ) :

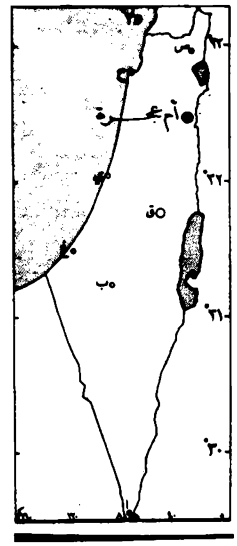

تقع مضارب وبيوت أم عجرة إلى الجنوب من مدينة بيسان * بانحراف قليل إلى الشرق . وتربطها بكل من بيسان والزرّاعة * طريق معبدة متفرعة عن طريق بيسان ـ الجفتلك ـ أريحا الرئيسة المعبدة التي تسير بمحاذاة حافة الغور * الغربية . وترتبط طرق ترابية ممهدة أم عجرة بالقرى والمواقع المجاورة .

أقيمت مضارب وبيوت أم عجرة فوق بقعة منبسطة من أراضي غور بيسان . ويراوح انخفاضها ما بين ٢٠٠ و٢٢٥ م عن سطح البحر . وكانت هذه المضارب خالية من المرافق والخدمات العامة ، لذا اعتمد السكان على مدينة بيسان للحصول على حاجاتهم وعلى الخدمات المطلوبة . وتركزت معظم المضارب والبيوت بالقرب من أقدام الحافة الغربية لغور بيسان حيث تكثر ينابيع المياه التي استخدمت في الشرب وري المزارع . وكانت بعض المضارب والبيوت متناثرة داخل المزارع الممتدة نحو الشرق . وأهم عيون الماء عين نصر الواقعة إلى الغرب من أم عجرة ، وتوجد العيون أيضاً داخل التجمع الرئيس لبيوت أم عجرة . وتروى منها مزارع النخيل والخضر . وهناك بعض العيون في الخرب القريبة مثل خربة حاج مكة وخربة سرسق . وتوجد بعض التلال الأثرية في أراضي أم عجرة مثل تل السريم وتل الوحش وتل الشيخ سماد الذي يقع إلى الغرب منه مقام الشيخ سماد (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي أم عجرة ٦,٤٤٣ دونما منها ١,٢١٨ دونما تسربت للصهيونيين ، وكانت هذه الأراضي تستثمر في زراعة الحبوب * والخضر * وبعض الأشجار المثمرة كالموز * في حين استثمرت في الرعي * بعض الأراضي ، وبخاصة فوق أقدام مرتفعات الحافة الغربية للغور . وقد استفاد سكان أم عجرة من أسواق بيسان لبيع منتجاتهم الزراعية والحيوانية .

كان عدد سكان أم عجرة ٨٦ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢٤٢ نسمة كانوا يقيمون في ٤٨ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٢٦٠ نسمة . وقد طرد الصهيونيون في عام ١٩٤٨ هؤلاء السكان ودمروا بيوتهم واستغلوا أراضي أم عجرة في الزراعة * الكثيفة والمختلطة ، وتربية المواشي في المزارع والأسماك * في برك المياه .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة إربد .

أمّ العقارب (عملية ـ) :

إحدى العمليات الخاصة التي نفذتها المقاومة الفلسطينية في فلسطين المحتلة . ففي الساعة ٨,٣٠ من صباح يوم ١٩٧٤/٦/١٤ قامت مجموعة « أبطال الخالصة » المؤلفة من أربعة فدائيين من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة * بتنفيذ عملية القائد الشهيد أبو علي إياد ضد كيبوتز كفار شامير الواقعة شمال شرق فلسطين في منطقة صفد على الحدود السورية ـ الفلسطينية في موقع أم العقارب بسهل الحولة * على طريق كريات شمونة ـ شامير . وتبعد كيبوتز كفار شامير عن كريات شمونة مسافة ١٢ كم ، وقد تأسست سنة ١٩٤٤ .

اقتحمت مجموعة الهجوم المؤلفة من فدائيَّين اثنين الكيبوتز ، وتمكنت من احتجاز ٣٢ رهينة من سكانه في المطعم ، في حين رابطت مجموعة الحماية المؤلفة من الفدائيَّيْن الآخريْن في موقع محدّد لمشاغلة العدو وضرب تعزيزاته . وطالبت المجموعة في بيان باللغتين العربية والعبرية سلّمته إلى السلطات الإسرائيلية إحدى الرهائن بإطلاق سراح مائة فدائي من بينهم عدد من المناضلات والمناضلين الجرحى ، وحددت مهلة تنفيذ مطالبها بست ساعات غير قابلة للتمديد تقوم المجموعة بعد انقضائها بتفجير نفسها مع الرهائن .

وحذّرت العدو الإسرائيلي من تجاهل مطالبها ، ومن استخدام أسلوب المماطلة والمراوغة الذي مارسه دوما تجاه هذا النوع من عمليات المقاومة .

بادرت المقاومة إلى الاتصال بالصليب الأحمر الدولي لتأمين عملية نقل الأسرى في حال استجابة العدو الصهيوني لمطالب المجموعة . وتم إبلاغ سفارتي فرنسا ورومانيا بأنهما ستبلغان كلمة السر التي سيفرج على أساسها مقاتلو المجموعة عن الرهائن بعد وصول المعتقلين الفلسطينيين إلى دمشق .

وضمن إطار سياسة العدو الإسرائيلي بعدم التسليم بمطالب المقاومة الفلسطينية ولو أدّى ذلك إلى مقتل الرهائن قامت القوات الإسرائيلية بتعزيز قواتها في المنطقة منذ اقتحام المجموعة المقاتلة للكيبوتز، فتصدت لها مجموعة الحماية واشتبكت معها في معركة عنيفة ، وأعطبت لها آلية عسكرية وسيارة شرطة وقتل وجرح من فيها ، واستشهد عنصرا المجموعة . بعدها حاول العدو اقتحام المطعم واستمرت المعركة حتى الساعة الثالثة بعد الظهر حين نفّذ المقاتلان إنذارهما وفجّرا نفسيهما مع الرهائن .

كانت خسائر العدو مقتل ٣١ رهينة ، ومقتل تسعة من سكان الكيبوتز في شوارع المستعمرة ، ومقتل وإصابة أكثر من ١٥ جنديا وتدمير سيارة عسكرية وأخرى للشرطة .

المرجع :

- شؤون فلسطينية : العدد ٣٥ ، تموز ١٩٧٤ ، بيروت .

أمّ العَمَد (قرية ـ) :

قرية عربية تقع جنوبي شرق حيفا * وشمالي غرب الناصرة * . وتبعد عن حيفا قرابة ١٨ كم منها ٦ كم طريق فرعية تصلها بطريق حيفا ـ الناصرة .

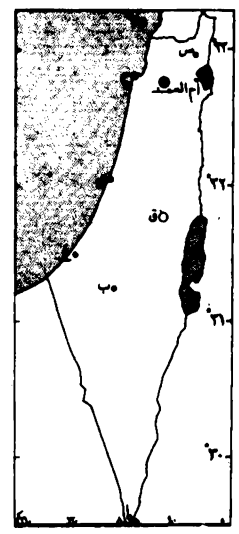

نشأت القرية في الطرف الجنوبي الغربي لجبال الجليل * على ارتفاع ١٦٥ م عن سطح البحر فوق سفح يواجه الجنوب الشرقي ويطل على مرج ابن عامر * . ويبدأ وادي المصرارة أحد روافد نهر المقطّع * من شرق القرية . ومن آبار القرية وينابيعها عين الحوارة في شرقها ، وبئر العبيد في جنوبها الشرقي ، وبئر السمندورا في جنوبها ، وبئر البيدر في جنوبها الغربي .

باعت الحكومة العثمانية عام ١٨٦٩ م أراضي هذه القرية مع عدة قرى أخرى في مرج ابن عامر لبعض تجار بيروت ومنهم آل سرسق . في عام ١٩٠٧ باع هؤلاء بدورهم الهيكليين الألمان أراضيها وأراضي قرية بيت لحم الواقعة شرقيها ، فأقاموا على موقع أم العمد مستعمرة أسموها « فالدهايم » .

كانت أم العمد تمتد بصورة عامة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي فوق مساحة مقدارها مائة دونم ودونمان ، وكان فيها ٧٦ مسكناً حجرياً عام ١٩٣١ . أما مساحة الأراضي التابعة لها فكانت ٩,١٢٣ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

بلغ عدد سكان أم العمد (فالدهايم) في تعداد ١٩٢٢ نحو ١٢٨ نسمة ارتفع إلى ٢٣١ نسمة عام ١٩٣١ ، منهم ١٦٣ عربيا والباقي من الألمان، ثم ارتفع إلى ٢٦٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد عمل السكان في زراعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية والخضر * .

شرد الصهيونيون سكان القرية عام ١٩٤٨ . وفي ١٩٤٨/٥/٢٣ أسسوا موشاف « آلوني آبا » في موقع القرية . وقد بلغ عدد سكانه ٢٣٢ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين، ج ١، ق١ ، بيروت ١٩٧٣ ، وج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة نهلال .
- خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة زخرون يعقوب .

أمّ الفحم (بلدة ـ) :

سميت بذلك نسبة إلى الفحم الخشبي الذي كان ينتج فيها بكثرة لانتشار الغابات حولها . وهي بلدة عربية تقع على بعد ٤١ كم جنوبي شرق حيفا * ، و٢٥ كم شمالي غرب جنين * . وتصلها بها طرق معبدة من الدرجة الأولى ، عدا الطريق الفرعية بين القرية والطريق التي تصل الخضيرة بطريق مرج ابن عامر * عبر وادي عارة .

تربض أم الفحم فوق سطح مرتفع يطل نحو الشمال الشرقي على علو ٤٥٠ م عن سطح البحر في الطرف الشمالي لجبال نابلس * ، وفي منطقة تقسيم المياه بين وادي العراد ووادي السويسة ووادي البصة من روافد نهر المقطّع * العليا ، ووادي الشغور ووادي السلطان من روافد وادي عارة العليا أيضاً . ومن معالمها المشهورة

جبل إسكندر الواقع شرقيها ، ويرتفع ٥١٨ م عن سطح البحر ، ويوجد فوق قمته مزار ديني يعرف بمزار إسكندر . وقد شهد هذا الجبل في كانون الثاني عام ١٩٤٥ معركة مشهورة امتدت حتى قرية اليامون * بين الثوار الفلسطينيين وسلطات الانتداب البريطاني استخدمت فيها هذه السلطات الدبابات والطائرات ، واستشهد فيها ١٥ مجاهداً .

تشتهر القرية بكثرة ينابيعها ، ومنها الشعرة والبر والوسطة وأم الشيد والمغارة وأم خالد وجرار والزيتون وإبراهيم وداود والذروة ، وعين البني الواقعة في جنوب شرقي القرية ، وقد سحبت مياهها عام ١٩٤٠ بأنابيب إلى جوار القرية لاستخدامها في الشرب والأغراض المنزلية .

يشبه الشكل العام للقرية حرف S وهي من النوع المكتظ ، وكان فيها عام ١٩٣١ نحو ٤٨٨ مسكناً بنيت من الحجارة . بلغت مساحة القرية ١٢٨ دونماً عام ١٩٤٥ . وهي أول قرى قضاء جنين في مساحة الأراضي التابعة لها ، إذ تملك ٧٢,٣٤٢ دونما بما فيها أراضي قرى اللجون * ومعاوية ومشيرفة ومصمص ، وجميعها قرى صغيرة استوطنها سكانها الذين يعودون بأصولهم إلى أم الفحم ليكونوا قرب أراضيهم الزراعية . ولايملك الصهيونيون شيئا من أراضي أم الفحم وتوابعها .

بلغ عدد سكان أم الفحم ٢,١٩١ نسمة عام ١٩٢٢ ، وارتفع إلى ٢,٤٤٣ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٥,٤٣٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، ويدخل ضمن هذه الأرقام سكان القرى السابقة الذكر . كان في القرية ثلاث مدارس ابتدائية ، واحدة للبنين أنشئت في العهد العثماني ، وثانية للبنات أنشئت عام ١٩٤٢ ، وثالثة مختلطة .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * ، إذ كانت تزرع في مساحات واسعة الحبوب * والمحاصيل الحقلية والأشجار المثمرة والخضر * . ساعد على ذلك توفر مياه السري وكون التربة بازلتية خصبة في مناطق وكلسية في أخرى . وفي عام ١٩٤٤ بلغت مساحة الأراضي المزروعة حبوباً ومحاصيل حقلية ٣٤,٢٢٠ دونما ، ومساحة أراضي الخضر ٣,١٠٠ دونم ، ومساحة أراضي أشجار الفاكهة ١,٩٤٣ دونما ، ومساحة ما زرع زيتوناً * ٣,٥٤٠ دونما ، وهذه المساحة الأخيرة تؤلف نسبة ٤,٤٪ من مساحة الأراضي التي زرعت زيتوناً في القضاء . وقد كان في أم الفحم في العام نفسه ثلاث معاصر آلية لاستخراج زيت الزيتون . وعمل السكان في تربية المواشي إلى جانب الزراعة . وكان في القرية ٦,٠٠٠ رأس من الغنم ، و٢,٠٠٠ رأس من البقر . وأدى وجود ٨,٠٠٠ دونم من الغابات في أراضي القرية إلى قيام صناعة الفحم الخشبي ، وبلغت الكمية المنتجة عام ١٩٤٤ قرابة ٣٦٠ طنا (١,٢٠٠ قنطار) .

وأم الفحم أكبر قرية عربية في فلسطين المحتلة منذ عام

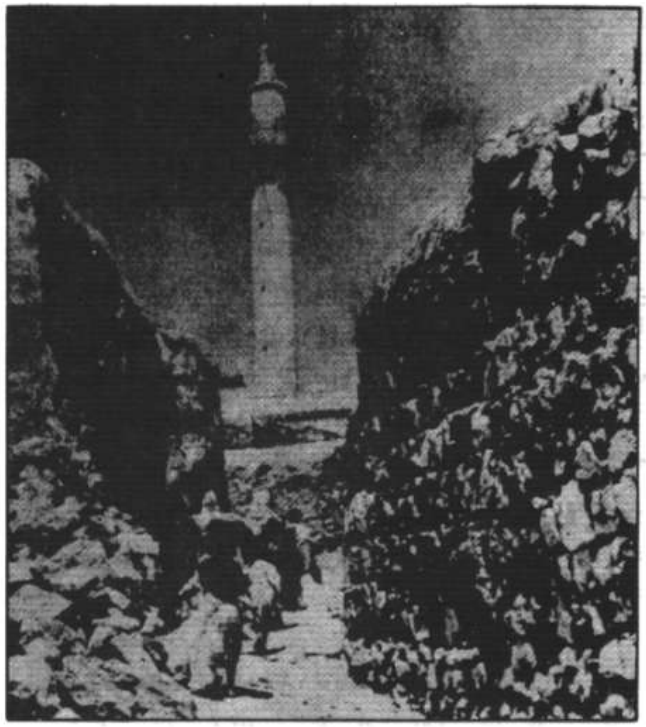

١٩٤٨ . بلغ عدد سكانها عام ١٩٦٩ نحو ١١,٥٠٠ نسمة من العرب ، وارتفع عددهم إلى نحو ١٤,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٤ . وقد صادر الصهيونيون جميع أراضي القرية الواقعة في مرج ابن عامر وأقاموا مستوطنة « مي عمي » في موقع يشرف على القرية .

المراجع .

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ق ٢ ، وج ٣ ق٢ ، بيروت ١٩٧٠ و١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أم الفحم .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة حيفا .

أمّ الفَـرَج (قرية ـ) :

قرية عربيها تقع شمالي مدينة عكا * على الضفة الجنوبية لوادي المفشوخ * ، وعلى بعد ٥ كم من مصبه في البحر المتوسط .

تمر بها طريق ترشيحا ـ الكابري ـ النهر ـ أم الفرج ـ الحميمة ـ مستعمرة نهاريا ـ عكا .

عرفها الصليبيون باسم " لي فيرج " . وقد جرت في موقعها معركة عنيفة بين العرب والصليبيين المعسكرين في قرية الكابري * انتصر فيها العرب نصرا مبينا . ولعل اسم القرية قد جاء من الفرج الذي تحقق للعرب بانتصارهم .

نشأت القرية في أرض سهلية ترتفع ٢٥ م عن سطح البحر وتربتها فيضية (طينية) . وتروى من مياه بركة الفوارة وبركة التل الواقعتين في قرية النهر ، ومن بعض الآبار . كانت مساحة القرية ١٥ دونما ، ولم تتجاوز مساحة أراضيها ٨١٠ دونمات لم يقدر الصهيونيون أن يتملكوا منها شيئا . ولا تزيد مساحة الأرض غير الزراعية على ٥ دونمات . وقد زرع نحو ٧٤٥ دونما بالحمضيات * أما الباقي فتكسوه أشجار الزيتون * أو يزرع خضراً * .

وصل عدد سكان القرية في أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ٨٠٠ نسمة . وهم جميعا يعتمدون على الزراعة * ويعملون بها .

مساكن القرية القديمة مجمعة بشكل مستدير . وقد بدأ بعد عام ١٩٣٦ إنشاء المساكن الحديثة من الحجر والإسمنت مبعثرة في البساتين .

حاول الصهيونيون بعد احتلالهم عكا في ١٩٤٨/٥/٢٠ (رَ : عكا ، معركة) إغراء أهل القرية المتبقين فيها (لم يتجاوزوا ٢٥ عائلة) بالتنازل عن أراضيهم والنزوح إلى مكان آخر . لكن الأهالي أبوا ذلك ، فراح الصهيونيون يضيقون عليهم الخناق ، ويقطعون عنهم الماء ، ويحولون بينهم وبين الاتصال بالعالم الخارجي . ولم يستسلم سكان القرية ولم يهنوا ، فأجبرتهم قوة صهيونية عسكرية في حزيران عام ١٩٤٨ على الجلاء ، ونهبت منازلهم ، ودمرت معظمها ، وأحرقت المزروعات . وقد أقام الصهيونيون فوق أراضي القرية مستعمرة « بن عمّي » وأسكنوا فيها صهيونيين مهاجرين من أوربا الشرقية . ورغم ذلك كله ظل في القرية إلى اليوم نفر ضئيل من أهلها العرب .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945,** Beirut 1970.

أمّ كَلْخَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٣ كم إلى الجنوب من مدينة الرملة * ، وتمر بطرفها الجنوبي طريق القدس ـ غزة الرئيسة المعبدة ، ويمر بطرفها الشرقي خط سكة حديد القدس ـ يافا ، وتوجد بالقرب منها محطة وادي الصرار . وتربطها دروب ممهدة بقرى قزازة * وخلدة * والمنصورة * وشحمة * وعاقر * .

أقيمت أم كلخة على الضفة الشمالية لوادي الصرار الذي يتجه غرباً ليصب في البحر المتوسط باسم نهر روبين * . وترتفع ١٠٠م عن سطح البحر ، وهي من قرى السهل الساحلي * الأوسط . تألفت من عدد محدود من البيوت المبنية من اللبن والحجر ، وليس لها مخطط واضح ، ولا وجود للشوارع فيها ، وهي مندمجة بصفة عامة وفيها بعض الأزقة الضيقة . وتكاد تخلو من المرافق والخدمات العامة ، وتشرب من بئرها القريبة منها .

تبلغ مساحة أراضي أم كلخة ١,٤٠٥ دونمات منها ٣١ دونماً للطرق والأودية و ٩٦ دونماً تسربت إلى الصهيونيين . وتزرع في أراضيها المحاصيل الحقلية والخضر * والأشجار المثمرة كالحمضيات* والزيتون * . وتعتمد الزراعة * فيها على الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية ، إلى جانب اعتمادها على بعض الآبار . وتوجد في القرية وأراضيها بعض الآثار التي تضم أسساً ومدافن منقورة في الصخر ومغاور وصهاريج (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تعد أم كلخة حديثة النشأة تقريباً ، وضمت في عام ١٩٣١ نحو ستة بيوت أقام فيها ٢٤ فرداً . وقدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ٦٠ نسمة .

تعرضت أم كلخة لعدوان الصهيونيين عليها عام ١٩٤٨ ، فطردوا سكانها ودمروا بيوتها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

الامتيازات الأجنبية :

عندما كانت الدولة العثمانية في أوج مجدها وقوتها منحت بعض

رعايا الدول الأوربية إعفاء من القوانين المحلية أثناء إقامتهم في بعض الموانىء أو محطات القوافل للتجارة . وأول هذه الامتيازات ما أعطاه السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٥م ملك فرنسا فرنسوا الأول ، ثم ما نالته إليزابث ملكة إنكلترا سنة ١٥٨٠م من السلطان مراد الثالث بلغته المتعالية " قد أعطينا ووهبنا . . . " . لكن هذه اللهجة تغيّرت بعد قرنين عندما أخذت روسيا امتيازات مهمة بعد انتصارها على الدولة العثمانية . وسرعان ما تغيّر الغرض الأساسي من الامتيازات ، وهو تسهيل التجارة ، فلم تكتف الدول الأجنبية بعد ذلك بحماية رعاياها من « الفرنج » ، بل ادّعت فرنسا حماية النصارى الكاثوليك في جميع أنحاء الدولة العثمانية ، وادّعت روسيا حماية الأرثوذكس ، وادّعت بريطانيا حماية اليهود في فلسطين والبروتستانت في جميع الولايات العثمانية .

وهكذا شملت الامتيازات حماية المبشرين وما أسسوه من مدارس ومستشفيات ، كما شملت بعض اليهود والنصارى الذين اكتسبوا جنسية أو حماية دولة أجنبية بالعمل في القنصليات والوكالات التجارية أو المعاهد العلمية . فأصبحت الامتيازات عبئاً ثقيلاً على كاهل الدولة العثمانية وواسطة لتدخل الدول الأجنبية في شؤونها الداخلية . وقد عانت البلاد العربية من شرّ الامتيازات كثيراً ، وبخاصة في فلسطين وسورية ولبنان . ففي منتصف القرن التاسع عشر مثلاً كان التاجر الأجنبي يدفع ٣,٥ بالمئة ضريبة على بضاعته ، ويدفع التاجر المحلي الوطني ١٢ بالمئة . وفي فلسطين أساء اليهود استعمال الامتيازات في عدة نواح ، فكان الذين هاجروا من روسيا يحتفظون بجنسية مزدوجة يفيدون منها في التخلص من أحكام القانون العثماني ، وقد شجعهم قناصل روسيا على ذلك لا محبة بهم بل لزيادة النفوذ الروسي في تركيا .

فلا غرابة أن تغتنم تركيا نشوب الحرب سنة ١٩١٤ فتسرع إلى إعلان إلغاء الامتيازات الأجنبية دون موافقة الدول صاحبة العلاقة .

المراجع :

ـ فؤاد شباط : المركز الحقوقي للأجانب في سورية ، دمشق ١٩٦٥ .

ـ عز الدين عبد الله : القانون الدولي الخاص ، ١٩٧٢ .

— Tibawi,A. L: **British Interests in Palestine, 1800-1901,** Oxford 1961.

— Tibawi, A.L:**A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine,** London 1969.

الأمثال الشعبية :

من أحسن ما قيل في المثل عامة ما أثر عن أبي إسحق النظّام حين وصفه بقوله : " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة " . ويوصف المثل العربي الشعبي الفلسطيني في هذا الضوء بأنه جملة مفيدة موجزة متوارثة شفهياً من جيل إلى جيل . وهي محكمة البناء بليغة المعنى واسعة الانتشار في الأوساط الشعبية على اختلاف مستوياتها وطبقاتها . كما أنها تلخص تجربة سابقة عاناها الفرد ، أو عانتها الجماعة . ومن ثم فالمثل عند استعماله يحظى بدرجة عالية من التصديق لأنه يثير لدى سامعه صدى تجربة أسلافه ومعاناتهم ، ويواجهه بما كانوا عليه من ذكاء ودراية فلا يسعه آنئذٍ إلاّ أن يحترم ذلك كله ويسارع في غالب الأحيان إلى التسليم بوجهة النظر التي عرضت عليه معزّزة بذلك المثل .

والشعب العربي الفلسطيني ، شأنه في ذلك شأن مختلف الشعوب عامة والعربية خاصة ، ذو ثروة هائلة من الأمثال الشعبية تلتقي إلى حد كبير مع مثيلاتها لدى الشعوب المختلفة ، ولا سيما الشعوب العربية . وتمتاز في الوقت ذاته بخصائص فلسطينية ناجمة عن الظروف التي تميّزت بها الحياة العربية الفلسطينية عبر مسيرتها الحضارية .

ومن نماذج الأمثال الشعبية الشائعة :

العين بصيرة واليدّ قصيرة . العين ما بتعلا على الحاجب . أنا وأخوي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الغريب . الدم ما بيصير ميّه . اعمل معروف وارميه في البحر . الجنون فنون . الراس اللّي ما فيه كيف حلال قطعه . عين ما تشوف قلبٍ ما يحزن . إنْ لقي أحبابه نسي أصحابه . إنْ دخلت الملايكة خرجت الشياطين . القرعة ابتتباها بشعر بنت عمها . مثل لُقْرَع وين ما ضربته بسيل دمّه . السكافي حافي والمحيّك عريان . لو جحا بدّاد بدّد في بلاده . لو عكا خايفة ما وقفت على شط البحر . شِدّ شِدّ قربت الرملة على اللد . الخواجا ياما نصب . ضربوا اليهودي بعلبة لبن قال : وحياة ديني اني مشتهيها . الزيت مسامير الركب . غنم الدير في زرع الدير . كلامه مثل قواديس البيارة واحد طالع و واحد نازل . العرس في عمّورية وأهل المزارع بترقص .

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (جمعية ـ) :

رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

رَ : علماء فلسطين (مؤتمر ـ)

أمريكا اللاتينية (دول ـ) :

أ ـ خلفيات سياسة دول أمريكا اللاتينية نحو القضية

الفلسطينية : منذ بداية الصراع العربي ـ الإسرائيلي ودول أمريكا اللاتينية تلعب دوراً على جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بقضية فلسطين . وقد تجلى هذا الدور بصورة خاصة في أروقة الأمم المتحدة حيث كان للثقل العددي الذي تتمتع به هذه الكتلة أثر واضح في تطور القضية على الصعيد الدولي منذ عام ١٩٤٧ . ثم إن بُعد هذه القارة عن الوطن العربي وعدم وجود صلات اقتصادية أو سياسية وثيقة بين المنطقتين جعلا من الأمم المتحدة المجال الذي تستطيع فيه دول أمريكا اللاتينية أن تؤثر على مجرى القضية الفلسطينية وتطوراتها .

وقفت معظم دول أمريكا اللاتينية إلى جانب (إسرائيل) . ويمكن تفسير هذا الموقف على أنه نتاج عناصر رئيسة هي :

١) ما يسمى النزعة الحقوقية للفكر السياسي في دول امريكا اللاتينية .

٢) النشاط الصهيوني الدائم في تلك الدول والوجود اليهودي فيها .

٣) نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية في أمريكا اللاتينية .

١) النزعة الحقوقية : لقد تميزت خطب مندوبي دول أمريكا اللاتينية وتصريحاتهم في الأمم المتحدة بمحاولة تفسير مواقف بلادهم السياسية على ضوء عدة مبادىء عامة مستمدة من نظرة خاصة إلى المجموعة الدولية ترى أن هذه المجموعة مكونة من دول عديدة متفاوتة في الحجم والغنى والقوة ، ولكن متساوية تماماً في الحقوق ومنها حق « الوجود السياسي » للدولة . وهذا الحق مستقل عن اعتراف الدول الأخرى به . ولها حق الدفاع عن سلامتها واستقلالها حتى قبل أن يعترف بها . إن حقوق كل دولة ليست مبنية على تمكّن الدولة من تنفيذها ولكن على حقيقة وجود الدولة كشخصية في نظر القانون الدولي .

ويعني هذا أنه فور إعلان ولادة دولة ما على أراض تسيطر عليها حكومة الدولة الجديدة أو قواتها العسكرية سيطرة فعلية تكتسب هذه الدولة شخصية قانونية دولية ، وتتمتع بجميع حقوق وواجبات الدول الأخرى . ويجب على هذه الدول أن ترحب بالمولود الجديد ، وتعترف به دون إبطاء . ومما يذكر أن إحدى عشرة دولة أمريكية لاتينية كانت بين الدول الاثنتين والعشرين الأولى التي اعترفت بقيام (إسرائيل) .

أما لماذا اعتبرت دول أمريكا اللاتينية أن مساندتها لقيام (إسرائيل) هو تعبير عن هذه المبادىء التي تؤمن بها ، وأنه ليس هناك من تناقض بين هذه المواقف والمواقف التي تؤمن بها ، وليس هناك من تناقض بين هذه المواقف وسلامة الدول وسيادتها وحق الشعوب في تقرير مصيرها ؟ ولماذا هذا التنكر لحقوق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وسيادته ؟ فإن سر الجواب يكمن في العنصر الثاني، أي النشاط الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية .

٢) النشاط الصهيوني : باشرت الحركة الصهيونية عملية تعبئة اليهود في دول أمريكا اللاتينية لصالح الصهيونية وأهدافها في مطلع الأربعينات طبقاً لبرنامج الصهيونية المقرر في مؤتمر بازل لعام ١٨٩٧ (رَ : المؤتمر الصهيوني) . وقد باشرت الحركة الصهيونية عملية التعبئة خلال الحرب العالمية الثانية بعد أن توافر لدى الوكالة اليهودية * اقتناع كاف بقرب إنشاء الأمم المتحدة ، وبأن قضية فلسطين سوف تعرض عليها ، وأن الدول الأمريكية اللاتينية العشرين ، آنذاك ، والمقدر انضمامها إلى عضويتها سوف تلعب دوراً فاصلاً فيها . ومن هنا بدأ صهيونيو هذه القارة جهودهم للتأثير على الشخصيات غير اليهودية في البلاد التي يقيمون فيها .

وقد تميزت المداخل النظرية للإعلام الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية بالمعالم الرئيسة التالية :

(١) شرح الصلات « التاريخية والدينية » التي تربط اليهود بفلسطين .

(٢) شرح ما تعتبره الصهيونية * الأسانيد « القانونية » ممثلة في وعد بلفور * وصك الانتداب البريطاني على فلسطين * لدعم فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

(٣) التركيز على معاناة اليهود في ظل الحكم النازي وما سبقه من أنظمة مارست اضطهادهم .

(٤) إبراز دور اليهود في المجهود الحربي للحلفاء ، وفي مقاومة الاحتلال النازي لأوربا خلال الحرب العالمية الثانية « دفاعاً عن الحرية » و « المفاهيم الغربية للديمقراطية » .

(٥) دعوة أقطار أمريكا اللاتينية إلى تأييد « الحقوق » اليهودية في فلسطين وهدف اليهود « المشروع » في إقامة دولة لهم فيها تطبيقاً للمبادىء التي تدّعي هذه الأقطار الاهتداء بها في علاقاتها الدولية ، والتي تتمثل في النزعة الإنسانية ، وروح الكاثوليكية وتعاليمها ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، والمساواة بين الدول .

أما المداخل التطبيقية فأهمها :

تشكيل لجان نصرة فلسطين : وقد بدأت هذه اللجان لنصرة « فلسطين يهودية » أعمالها في حزيران ١٩٤٥ في الكثير من دول أمريكا اللاتينية مثل بوليفيا وتشيلي وكوبا * وكوستاريكا وكولومبيا والمكسيك . وقد كانت شخصيات غير يهودية تؤيد وجود وطن قومي لليهود في فلسطين . ومن أبرز هذه الشخصيات خوسيه فيجريس رئيس جمهورية كوستاريكا ، وأستولفو مور رئيس مجلس النواب التشيلي ، و ومزوكتوسو بيتالوجا وزير خارجية الأورغواي ، وخوسيه جالفس نائب رئيس جمهورية البيرو ، وخوسيه

فاسكونسيلوس المفكر المكسيكي الشهير . وفي أمريكا اللاتينية حيث يتمتع موظفو الحكومة والكتّاب والصحافيون والشخصيات الشعبية ، ولا سيما المثقفون والفنانون المبدعون ، بقدر كبير من الاحترام الشعبي عملت هذه اللجان على الاستفادة من هذه المشاعر وإدراج مثل هؤلاء الأشخاص في صفوفها ، ودعوتهم لرعاية الاجتماعات العامة وحضورها ، وإلقاء المحاضرات وكتابة المقالات وإصدار التصريحات . ومما أعلنه خوسيه جالفيس نائب رئيس جمهورية البيرو السابق بصفته « رئيس لجنة البيرو لنصرة فلسطين » قوله : " لقد أسسنا لجنة البيرو لنصرة فلسطين في ١٩٤٥/٦/٢٧ مع ممثلي الأوساط الثقافية والسياسية والمهنية . وسوف نساعد الشعب اليهودي الديمقراطي الذي يرغب في تنظيم حياته مجدداً في ديمقراطية حقيقية في داخل بلاده . وإننا لنضم أيدينا في سلسلة أمريكية أخوية تمتد من الولايات المتحدة إلى تشيلي دفاعاً عن أهداف الصهيونية " .

أما على المستوى العالمي فقد عقد في واشنطن في شهر تشرين الثاني ١٩٤٥ « المؤتمر الدولي المسيحي من أجل فلسطين » واشتركت فيه ١٤ دولة أمريكية . وقد صدر عن المؤتمر نداء موجه إلى جميع حكومات العالم يطالب بالغاء جميع العوائق في طريق الهجرة إلى فلسطين وشراء الأراضي من قبل اليهود ، وألحّ على الأمم المتحدة بالعمل على أن تصبح فلسطين « وهي الوطن الأم التاريخي للشعب اليهودي » دولة ديمقراطية يهودية في أقرب وقت ممكن . وقد اتخذ المؤتمر توصيات تتعلق مباشرة بقضية الدعاية للمطالب الصهيونية ، وتقرر بموجبها إصدار وتوزيع منشورات دعائية بالإسبانية ، وبثّ البرامج عبر الإذاعات المحلية ، وإنشاء وكالة أنباء يهودية تخدم جميع البلدان الناطقة بالإسبانية ،وإقامة مركزيْ إعلام في مدينتي مكسيكو (المكسيك) ومونتيفديو (الأورغواي) .

كما قرر المؤتمر إنشاء « اللجنة العالمية من أجل فلسطين » ومهمتها تنسيق نشاط اللجان الوطنية المحلية لنصرة فلسطين التي تؤيد إنشاء الوطن القومي اليهودي فيها . وتم إنشاء هذه اللجنة من أعضاء معظمهم من أمريكا اللاتينية ، وبدأت بإصدار نشرة بالإسبانية .

كان لوكالة الأنباء اليهودية شبكة عملاء تمتد عبر القارة الأمريكية ،وتشرف على الحملة الدعائية الصهيونية في العواصم الرئيسة . وقد دعم هذا النشاط الصهيوني وجود جاليات يهودية في كافة دول أمريكا اللاتينية . فقد استطاع اليهود في الثلاثينات من هذا القرن توطيد أقدامهم في الكثير من دول أمريكا اللاتينية ، وساعدتهم في ذلك التطورات السياسية الهامة التي أعقبت استيلاء هتلر على الحكم في ألمانيا . إذ أنه مع اشتداد حملة النازيين ضد يهود ألمانيا والنمسا هاجر المزيد من اليهود إلى دول أمريكا اللاتينية لأن الحركة الصهيونية لم تفتح لهم أبواب الولايات المتحدة الأمريكية حتى تستطيع استغلال مشكلة " عدم وجود ملجأ ليهود أوربا المضطهدين " للدعوة إلى إنشاء (دولة إسرائيل) واحتلال فلسطين . وترجع هجرة الجاليات اليهودية إلى هذه الدول أصلاً إلى عام ١٨٥٢ و ١٨٩٨ (الأرجنتين وكوبا) . وفي أورغواي بدأت هجرتهم في أوائل القرن الخامس عشر مع طلائع المستعمرين الإسبان . وتملك الجاليات اليهودية مفاتيح الحياة في أغلب دول أمريكا اللاتينية ، وتمارس نفوذها من وراء ستار . واليهود هناك كاليهود في سائر أنحاء العالم أقلية مكروهة ، ولكنها مرهوبة الجانب .

تمكّنت الحركة الصهيونية من « صهينة » جزء كبير من الجاليات اليهودية في دول أمريكا اللاتينية ، فقد نفذت برنامج السنوات الخمس للتثقيف الصهيوني في دول أمريكا اللاتينية ، وضمنت بالتالي ولاء اليهود لأهداف الحركة الصهيونية بشكل كبير .

٣) نفوذ الولايات المتحدة الأمريكية : السيطرة الأمريكية على دول أمريكا اللاتينية قديمة منذ ثورات هذه الدول على الاستعمارين الإسباني والبرتغالي ودعم الولايات المتحدة لها . وقد سيطرت الولايات المتحدة بالفعل على مجرى الأحداث السياسية والاقتصادية والعسكرية في معظم بلدان أمريكا اللاتينية تحت ستار مبدأ مونرو لعام ١٨٢٣ . ومن الطبيعي أن يعكس الترابط الصهيوني - الأمريكي نفسه على مواقف دول أمريكا اللاتينية .

لقد استطاعت (إسرائيل) على ضوء العوامل السابقة أن تتغلب على البعد الجغرافي والتباين الحضاري ، وأن تقيم علاقات وثيقة مع دول أمريكا اللاتينية جميعها . وقد عمدت منذ قيامها إلى تقديم المساعدات الفنية للتنمية ، وأرسلت الخبراء والمستشارين ، وعقدت دورات لتدريب المبعوثين من دول القارة في مجالات الصناعة والتنظيم النقابي .

ب - موقف دول أمريكا اللاتينية من القضية الفلسطينية (١٩٤٧ - ١٩٥٦) : وقفت معظم دول أمريكا اللاتينية إلى جانب قرار تقسيم فلسطين * عام ١٩٤٧ بهدف تمكين اليهود من إقامة دولتهم . فقد أعلنت ١٣ دولة من دول أمريكا اللاتينية تأييدها المطلق لقرار تقسيم فلسطين في جلسات هيئة الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ . وكانت هذه الدول تمثل ٤٠٪ من مجموع الأصوات التي صوتت على القرار في حين عارضت كوبا القرار وامتنعت عن التصويت كل من الأرجنتين والتشيلي وكولومبيا وهندوراس والسلفادور والمكسيك .

وأثناء اندلاع حرب ١٩٤٨ * طالبت دول أمريكا اللاتينية بانسحاب القوات العربية ، كما حثّت هيئة الأمم على دعم

« استقلال إسرائيل » . واعترفت دول أمريكا اللاتينية (بدولة إسرائيل) بعد قيامها مباشرة بشكل واقعي ، ثم تبع ذلك في شباط ١٩٤٩ اعتراف قانوني ورسمي . وكان من نتيجة ذلك أن تقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٩/٥/١٠ سبع دول كانت أربع منها أمريكية لاتينية (غواتيمالا ، وبنما ، وهايتي وأورغواي) بمشروع قرار ينص على قبول (إسرائيل) في عضوية الأمم المتحدة . وعندما جرى التصويت في اليوم ذاته على المشروع صوتت إلى جانبه ١٨ دولة أمريكية لاتينية ، وامتنعت اثنتان (البرازيل والسلفادور) عن التصويت . وكانت دول أمريكا اللاتينية في مقدمة الدول التي تبادلت مع الكيان الصهيوني التمثيل القنصلي والدبلوماسي .

سعت بعض دول أمريكا اللاتينية إلى اقامة علاقات اقتصادية مع بعض الدول العربية في بداية الخمسينات ، كما أقامت بعضها علاقات دبلوماسية معها . إلاّ أن الجانب العربي لم يعمل في اتجاه تنمية هذه العلاقات . وهكذا بقي المجال مفتوحاً أمام الصهيونية و (إسرائيل) لمواصلة نشاطها هناك ، مما ترك أثراً كبيراً على مواقف هذه الدول في تطور الصراع بعد ذلك . فأثناء عدوان (إسرائيل) وفرنسا وبريطانيا عام ١٩٥٦ على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) وقفت دول أمريكا اللاتينية موقف « اللامبالاة » ، وهذا يعود إلى غياب إعلام عربي نشيط في تلك المنطقة . ولكن هذه الدول صوتت في الأمم المتحدة إلى جانب انسحاب المعتدين من بور سعيد لأن الولايات المتحدة أرادت ذلك . ودرجت أكثر دول أمريكا اللاتينية في الخمسينات والستينات على تأييد (إسرائيل) في الأمم المتحدة أسوة بالولايات المتحدة الأمريكية .

جـ - دول أمريكا اللاتينية وقضية فلسطين (١٩٦٣ - ١٩٦٧) : في تشرين الأول ١٩٦٤ قام وزير خارجية (إسرائيل) بجولة في دول أمريكا اللاتينية للحصول على تأييد مشروعها لتحويل مياه نهر الأردن . ويبدو أن الوزير الإسرائيلي وجد تعاطفاً مع رغبات (إسرائيل) هذه . وفي الوقت نفسه ظهرت بوادر حركة مقاومة على المستوى الشعبي ضد النفوذ الصهيوني . فقد قام الشباب الأرجنتيني بمهاجمة المؤسسات اليهودية في بيونس أيرس ، كذلك هاجموا المدارس والمعابد اليهودية . وأمام تزايد الموجات الشعبية المعادية للصهيونية تعمدت وسائل الإعلام الصهيونية في دول أمريكا اللاتينية اتهام جامعة الدول العربية بتحريك التيارات المعادية لليهود هناك ، وخاصة في الأرجنتين .

أخذت نتائج هذا الوضع الجديد تظهر بأشكال مختلفة ، ففي الأمم المتحدة اشتركت البرازيل ودول أخرى مع الولايات المتحدة الأمريكية في تقديم اقتراح « بإدانة اللاسامية » * والتعهد باتخاذ التدابير اللازمة لاقتلاع جذورها من مختلف بقاع الأرض .

وفي مقابل ذلك حاولت بعض حكومات دول أمريكا اللاتينية التقرب من الدول العربية . ففي آب ١٩٦٥ قام وفد أرجنتيني برئاسة نائب رئيس جمهورية الأرجنتين بزيارة لعدة دول عربية . وقد صرح رئيس الوفد بأن للشعب الفلسطيني حقاً في أرضه لأن قضيته قضية حق ، وطالب بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن . وحين زار إرنستو غيفارا القاهرة في آذار ١٩٦٥ قال إن " إسرائيل صنيعة إمبريالية " . كما دعت كوبا دول أمريكا اللاتينية إلى تفهم أفضل لقضايا العرب العادلة . وفي تموز ١٩٦٥ قام وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينية * بزيارة لدول أمريكا اللاتينية حيث قام بشرح وجهة النظر العربية والتنسيق مع الجاليات العربية هناك . وقد عقد المؤتمر الأول للمغتربين الفلسطينيين في أمريكا اللاتينية في عاصمة تشيلي (سانتياغو) بحضور ممثلين عن الجاليات الفلسطينية في كافة دول أمريكا اللاتينية ووفد من منظمة التحرير الفلسطينية . وقد تحدث في المؤتمر سلفادور يانين رئيس اللجنة المركزية الفلسطينية التشيلية وطالب بدعم نضال شعب فلسطين . قرر المؤتمر إنشاء لجنة مركزية تمثل كافة العرب الفلسطينيين في دول أمريكا اللاتينية يكون مقرها سانتياغو .

وحين اندلعت أزمة الشرق الأوسط في أيار ١٩٦٧ وقفت دول أمريكا اللاتينية ، باستثناء كوبا ، إلى جانب ادعاء (إسرائيل) حقها " في الملاحة في خليج العقبة " . لقد استطاعت الصهيونية أن تؤثر ، من خلال أجهزة الدعاية ، في توجيه نظرة بلدان أمريكا اللاتينية لصالح السياسة الإسرائيلية . وجاء عدة آلاف من المتطوعين إلى (إسرائيل) من بلدان أمريكا اللاتينية للعمل في القطاعات الصناعية والزراعية ، وللاشتراك في العدوان (حزيران ١٩٦٧) على الشعب الفلسطيني والدول العربية . وقد أيدت دول أمريكا اللاتينية ، عدا كوبا ، (إسرائيل) في عدوانها في ٥ حزيران ١٩٦٧ حين ربطت انسحاب (إسرائيل) من المناطق المحتلة بضرورة قبول العرب بوجود (إسرائيل) والاعتراف بها . وقد عبّر مشروع القرار الذي قدمته كتلة دول أمريكا اللاتينية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٦٧ عن هذا الموقف أدق تعبير (رَ : حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة) . أما حكومة كوبا فانفردت بإصدار بيان نددت فيه بالعدوان الإسرائيلي ، وطالبت بوقف إطلاق النار فوراً مع انسحاب جميع القوات إلى المواقع التي كانت تحتلها قبل ٥ حزيران ١٩٦٧ . لكن حكومة كوبا لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع (إسرائيل) أسوة بأكثرية الدول الاشتراكية ، وانما فعلت ذلك في عام ١٩٧٣ (رَ : كوبا) .

وبشكل عام وقفت دول أمريكا اللاتينية ضد كافة القرارات التي استهدفت إدانة عدوان (إسرائيل) . فقد صوتت هذه الدول في الجمعية العامة ضد المشروع السوفياتي ، والمشروع الألباني ، والمشروع الآسيوي ـ الإفريقي . وكانت هذه كلها في صالح القضية العربية . وقد وجدت (إسرائيل) في هذا التأييد شبه الشامل من دول أمريكا اللاتينية فرصة ذهبية لتعميق علاقاتها الاقتصادية والسياسية والثقافية والسياحية مع هذه الدول . فوسّع الصهيونيون نفوذهم في الأرجنتين والبرازيل ، وسيطروا على الإذاعات والتلفزيون والصحافة والسينما والأحزاب والمؤسسات الأخرى . كما شنّت حكومة (إسرائيل) هجوماً إعلامياً لكسب تأييد دول أمريكا اللاتينية بصدد ضمها للقدس العربية . فاجتمع أبا إيبان وزير خارجية (إسرائيل) في ١٩٦٧/٦/٢٢ بعدد من مندوبي دول أمريكا اللاتينية في الأمم المتحدة ، في محاولة لتطويق أي رد فعل محتمل من قبل هذه الدول ذات الأكثرية الكاثوليكية تجاه وضع الأماكن المقدسة في فلسطين . وقد أبلغهم أبا إيبان أن (إسرائيل) على استعداد لوضع الأماكن المقدسة في القدس تحت إدارة الأديان الثلاثة التي تعتبرها مقدسة .

د ـ دول أمريكا اللاتينية والمقاومة الفلسطينية : بقيت دول أمريكا اللاتينية على تأييدها (لإسرائيل) حتى بعد أن دانت أكثر دول العالم عدوان (إسرائيل) في عام ١٩٦٧ . ويتضح هذا من المواقف التي اتخذتها حكومات دول أمريكا اللاتينية ، ومن تصويتها على القرارات المختلفة خلال عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ في الأمم المتحدة ، ويستثنى من هذا قرار مجلس الأمن في ١٩٦٨/٥/٢١ الذي طالب (إسرائيل) بإلغاء جميع التدابير التي اتخذتها من أجل تبديل وضع مدينة القدس القانوني . ولعل هذه هي القضية الوحيدة التي لم تستطع (إسرائيل) أن تكسب تأييد الكتلة اللاتينية لها . وقد عبّر المندوب البرازيلي عن هذه السياسية إذ قال في ١٩٦٨/٥/٢٠ إن حكومته " أيدت باستمرار مبدأ تدويل القدس ولم تعترف بأي عمل قام به الأردن أو إسرائيل من طرف واحد لتبديل وضع المدينة " . ومع تصاعد العمل الثوري الفلسطيني وقفت حكومات دول أمريكا اللاتينية ضد كفاح المقاومة الفلسطينية ، باستثناء كوبا التي عبّرت عن دعمها المطلق للثورة الفلسطينية . وقد عدّت حكومات أمريكا اللاتينية هجمات الفدائيين الفلسطينيين عبر خطوط النار في الجبهتين الأردنية والسورية " خرقاً لاتفاقية الهدنة " . كما هاجمت هذه الحكومات الاتجاه « الثوري اليساري » للنضال الفلسطيني ، وتخوفت من قيام تعاون وثيق بين منظمة التحرير الفلسطينية والقوى الثورية في بلدان أمريكا اللاتينية .

أكدت دول أمريكا اللاتينية تأييدها لسياسة (إسرائيل) ولمطالبها في " حدود آمنة * ومعترف بها " ، كما طالبت بإجراء مفاوضات مباشرة بين العرب (وإسرائيل) . ولعل أوضح تعبير للتأييد السياسي الذي حصلت عليه (إسرائيل) من دول أمريكا اللاتينية هو ما جرى في المؤتمر الدولي لحقوق الإنسان * الذي عقد في طهران بين ٤/٢٢/ و ١٩٦٨/٥/١٣ تحت رعاية الأمم المتحدة ، وبحضور مندوبين عن ٨٤ دولة . فقد أدخل في جدول الأعمال بند يتعلق بمعاملة السلطات الإسرائيلية للعرب في الأراضي المحتلة ، وتقدمت السودان وإسبانيا والسعودية بمشروع قرار ينـدّد بإنتهاكات (إسرائيل) لحقوق العرب الإنسانية ويطالب (إسرائيل) بالتوقف فوراً عن سياسة هدم البيوت في الأراضي العربية المحتلة . وأدخلت الوفود العربية في المؤتمر تعديلاً فيما بعد فحواه أن المؤتمر يطالب أيضاً الجمعية العامة للأمم المتحدة بتعيين لجنة خاصة للتحقيق في انتهاكات (إسرائيل) لحقوق العرب الإنسانية . عند ذلك تقدمت الأورغواي وهولندا بمشروع قرار مضاد يطالب باحترام حقوق الإنسان وتطبيقها في الأراضي المحتلة بصورة عامة ، ولم يأت على ذكر (إسرائيل) أو الشرق الأوسط . ولكن هذا المشروع فشل . أما مشروع الدول العربية وإسبانيا فقد نجح ، لكن دول أمريكا اللاتينية كانت من بين الدول التي امتنعت عن التصويت عليه .

استمرت (إسرائيل) في تمتين علاقاتها بدول أمريكا اللاتينية . ففي ١٩٦٨/١٠/٢٤ عقد المؤتمر الخامس للطوائف اليهودية في دول أمريكا اللاتينية في عاصمة أورغواي (مونتيفديو) حيث اتخذ المؤتمرون قرارات بدعم (إسرائيل) في كافة المجالات . كما رفضت حكومة الأرجنتين ، بضغط صهيوني ، قبول عضوية لجنة ثلاثية خاصة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة تعيينها (١٩٦٨/١٢/١٩) للتحقيق في أحوال معيشة السكان العرب في المناطق التي احتلت في عدوان ١٩٦٧ . وقد حاول وزير خارجية غواتيمالا ، وكان في ذلك الوقت رئيس الجمعية العامة ، أن يعرقل إرسال مثل هذه البعثة ، وذلك من منطلق صداقة بلاده مع (إسرائيل) . وحين اجتمع مجلس الأمن في ١٩٦٩/٣/٢٧ لدراسة الشكوى الأردنية ضد هجمات (إسرائيل) الجوية على الأردن وقفت دول أمريكا اللاتينية إلى جانب (إسرائيل) . وعندما ناقش مجلس الأمن في ١٩٦٩/٩/٩ قضية إحراق المسجد الأقصى وقف مندوبا كولومبيا وباراغواي إلى جانب (إسرائيل) وأعلنا أن " لا مبرر للاعتقاد أن حكومة إسرائيل التي ليست لها مصلحة في الحريق قد تعمدت حرق المسجد الأقصى أو إلحاق الضرر به " وطالبا بإجراء تحقيق غير متحيز في الحادث .

رغم هذا التأييد الأعمى للسياسة الإسرائيلية من أكثر دول

أمريكا اللاتينية التي تسير في ركاب الإمبريالية الأمريكية ظهرت بعض التحولات في مواقف بعض الدول ، منها بيان مجلس النواب التشيلي في ١٩٦٩/٧/٢٥ الخاص بإدانة السياسة الإسرائيلية التوسعية ضد العالم العربي . كما أصدر الحزب الشيوعي المكسيكي وبعض المنظمات اليسارية المكسيكية بياناً في الذكرى الثانية لعدوان ١٩٦٧ حمل فيه بشدة على الإمبريالية الأمريكية التي تدعم (إسرائيل) وتحميها . وقد بلغت مناهضة بعض الفئات التحررية والتقدمية في عدة دول لاتينية لسياسة (إسرائيل) قمّتها حين قامت مظاهرات شعبية كبيرة في أورغواي والأرجنتين تأييداً لحركة المقاومة الفلسطينية . كما جرت عمليات نسف تعرضت لها بعض المؤسسات اليهودية والإسرائيلية على يد القوى الثورية في بعض دول أمريكا اللاتينية .

ومن جهة أخرى أعلن القطاع العمالي في دول أمريكا اللاتينية تأييده لكفاح العمال العرب . كما قام الأمين العام المساعد لاتحاد نقابات العمال العرب في حزيران ١٩٦٩ بزيارة تشيلي والأرجنتين والبرازيل وفنزويلا وبنما والمكسيك ، وأجرى اتصالات عديدة بسياسيين ونقابيين، وشرح لهم أبعاد القضية الفلسطينية وأهداف النضال الفلسطيني ، وفضح أساليب وأهداف الصهيونية حليفة الإمبريالية العالمية . وكان لهذه الجهود أثرها في تقوية التيار الجديد المؤيد للجانب العربي في الرأي العام اللاتيني . ففي تشيلي ،مثلاً ، أعرب الأمين العام للحزب الاشتراكي عن ضرورة تلاحم القوى العمالية في أمريكا اللاتينية مع القوى العمالية العربية ضد الصهيونية والإمبريالية .وانضم إليه في هذه الرغبة زعماء عماليون في الأرجنتين والبيرو والبرازيل . وشهدت بعض دول أمريكا اللاتينية ، وخاصة الأرجنتين والتشيلي ، تزايداً في الجهود المبذولة من قبل أوساط فلسطينية للتعريف بوجهة النظر العربية من ضمنها الجولة التي قام بها روحي الخطيب أمين القدس وزهدي الطرزي (مدير الإعلام السابق في منظمة التحرير الفلسطينية) في أيار ١٩٧٠ . ومع تصاعد العمل الفدائي لوحظ تحول في الرأي العام في دول أمريكا اللاتينية لصالح قضية الشعب الفلسطيني . وقد وجدت الثورة الفلسطينية في حركات اليسار والتقدم في دول أمريكا اللاتينية حليفاً طبيعياً في النضال ضد الإمبريالية والصهيونية . كما أيد شباب الحركة البيرونية الثورة الفلسطينية ، وتعمقت الاتصالات بين ثوار توباماروس والفدائيين من أجل الكفاح المشترك .

هـ ـ التعاون العسكري بين دول أمريكا اللاتينية و (إسرائيل) : عمّقت (إسرائيل) تعاونها العسكري مع دول أمريكا اللاتينية ، وفي مقدمتها البرازيل . فقد اشتمل اتفاق التعاون العسكري المعقود بين البرازيل و (إسرائيل) على إرسال طيارين برازيليين إلى (إسرائيل) للتدرب على طائرات الميراج الفرنسية . كما وافقت (إسرائيل) على إرسال خبراء عسكريين للمساعدة في تنظيم شبكة الدفاع الجوي البرازيلي . واستغلت (إسرائيل) مناسبة حصول الأرجنتين وبيرو وكولومبيا على طائرات ميراج من فرنسا لتعرض على هذه الدول القيام بتدريب طياريها في (إسرائيل) . كما سعت (إسرائيل) لبيع أسلحة خفيفة من صنعها ، ومنها مدافع رشاشة من طراز «عوزي» إلى دول أمريكا اللاتينية ، وخاصة كولومبيا التي زار رئيس أركانها (إسرائيل) في حزيران ١٩٧٢ . ومن جهة أخرى قام القائد المساعد للقوات الجوية في فنزويلا بزيارة رسمية (لإسرائيل) في تشرين الثاني ١٩٧٢ تفقد خلالها المصانع والقواعد العسكرية الإسرائيلية . وكثّفت (إسرائيل) علاقاتها العسكرية مع بنما وبيرو والإيكوادور وبوليفيا وكوستاريكا .

وتوازيا مع التعاون العسكري عمقت (إسرائيل) تعاونها الاقتصادي مع تلك البلدان . فقد وقعت الأرجنتين مع (إسرائيل) اتفاقية اشترت الأولى بموجبها أسلحة مثل الصواريخ والطائرات من (إسرائيل) . كما تعاونت (إسرائيل) مع الأرجنتين في مجال البحث النووي . ويقال الشيء نفسه في علاقة (إسرائيل) بالبرازيل والمكسيك . إلّا أن (إسرائيل) أخذت في الآونة الأخيرة تفقد زخمها العسكري بسبب التحولات السياسية التي طرأت في أعقاب حرب ١٩٧٣ * .

و ـ الصورة الجديدة لمواقف دول أمريكا اللاتينية من القضية الفلسطينية : تعتبر سنة ١٩٧٣ نقطة تحول رئيسة في تقويم دول أمريكا اللاتينية لموقفها تجاه قضية فلسطين . وقد تغيرت بعدها مواقف بعض الدول بشكل واضح بسبب عدة عوامل محلية ودولية منها :

١) الإدراك المتزايد لعدالة القضية الفلسطينية والموقف العربي .

٢) نشاط الأقليات العربية ، وخاصة الفلسطينية ، في دول أمريكا اللاتينية .

٣) تشابك المصالح الاقتصادية بين هذه الدول والعالم العربي .

٤) تصاعد نضال شعوب أمريكا اللاتينية ضد الإمبريالية الأمريكية ، مما يعني أيضاً نضالاً ضد الصهيونية .

٥) الانتصارات السياسية التي حققتها الثورة الفلسطينية على الصعيدين العربي والدولي .

٦) انتصارات العرب في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

إضافة إلى ذلك دفع فشل سياسة الولايات المتحدة الدولية بعض الدول في أمريكا اللاتينية إلى رسم سياسة خارجية مستقلة . ونتيجة لمواقف دول أمريكا اللاتينية منذ عام ١٩٧٣ برزت ثلاثة تجمعات مختلفة بين دول أمريكا اللاتينية تجاه قضية فلسطين :

١)الدول المؤيدة للقضية الفلسطينية : وتتكون هذه الدول من المجموعة التي انضمت الى حركة عدم الانحياز* ، ومن أخرى متعاطفة معها . ويضم هذا التجمع : الأرجنتين وتشيلي وكوبا وكولومبيا والإيكوادور وغويانا وجامايكا وبنما والبيرو وترينيداد وتوباغو ، وكذلك نيكاراغوا بعد الثورة الساندينية . ومن المفيد إلقاء الضوء على مواقف هذه الدول .

(١) الأرجنتين : أظهر نظام بيرون في مراحله الأولى تأييداً (لإسرائيل) غايته كسب تأييد الجاليات اليهودية في الأرجنتين لهذا النظام . لكن تعاظم القوة الاقتصادية للعرب وازدياد قوة حركة عدم الإنحياز دفعا بالرئيس الأرجنتيني كامبورا في ١٩٧٣/٧/٧ إلى إعلان الأرجنتين دولة غير منحازة، وانضمت بلاده بالفعل إلى دول عدم الانحياز . واشتركت بعضوية كاملة في مؤتمر الحركة الذي عقد في الجزائر في ١٩٧٣/٩/٨ ، وأيدت القرار الصادر عنه بإدانة (إسرائيل) لاستمرارها في احتلال الأراضي العربية ، وبالاعتراف بالحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني وبمنظمة التحرير الفلسطينية . كما أيدت الأرجنتين كافة قرارات الأمم المتحدة الصادرة في عام ١٩٧٣ والمؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني ، ودعت (إسرائيل) إلى سحب قواتها من الأراضي العربية المحتلة . وبصدد اتفاقيات كامب ديفيد* امتنعت الأرجنتين عن اتخاذ موقف واضح ، لكنها وصفت المعاهدة بأنها " لا تحقق طموحات شعب فلسطين " . وبالتالي لا تحقق السلام العادل والشامل في منطقة الشرق الأوسط .

(٢) تشيلي : انضمت جمهورية تشيلي في ظل حكم رئيسها الاشتراكي (أللينـدي) إلى حركة عدم الانحياز لأسباب أيديولوجية ، ولتأكيد استقلالها عن الولايات المتحدة الأمريكية . لكن حكومة أللينـدي حافظت قبل سنة ١٩٧٣ على علاقاتها الودية (بإسرائيل) ، وعلى الاعتقاد بأن " الصهيونية هي حركة التحرر الوطنية للشعب اليهودي " ورفضت إعطاء جامعة الدول العربية الصفة الدبلوماسية. كما أن أللينـدي أكد باستمرار أن تحقيق أي سلام في الشرق الأوسط يجب أن يستند إلى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . غير أن موقف تشيلي تغير سنة ١٩٧٣ عندما حضرت مؤتمر دول عدم الانحياز في الجزائر بعضوية كاملة ، وصوتت إلى جانب قرار المؤتمر المتعلق بالقضية الفلسطينية ، مما أدى إلى فتور علاقاتها السياسية (بإسرائيل) .

وفي ١٩٧٣/٩/١١ حدث انقلاب عسكري أطاح بحكومة أللينـدي . ورغم أن الانقلاب من صنع أمريكي إلا أن الانقلاب أعلن عن تأييد بلاده للموقف العربي . لكن حكومة تشيلي الجديدة اختارت العزلة السياسية فيما يختص بأحداث العالم . أما مندوبها في الأمم المتحدة فقد طالب بانسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية المحتلة وباحترام حقوق شعب فلسطين .

(٣) البيرو : أصبحت البيرو ملتزمة دبلوماسياً بمعظم وجهات النظر العربية حول قضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي بسبب التحاقها بحركة دول عدم الانحياز . وقد شاركت في مؤتمر الجزائر بعضوية كاملة إلى جانب كوبا والأرجنتين وغويانا وتشيلي . ونددت حكومة البيرو باستمرار (إسرائيل) في احتلال الأراضي العربية ، وطالبت بضرورة احترام حقوق شعب فلسطين . وقد أيد رئيس البيرو موقف الدول العربية في حرب ١٩٧٣ ، وطالب (إسرائيل) بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، وأيد نضال شعب فلسطين . هذا ولم تؤيد حكومة البيرو اتفاقيات كامب ديفيد ، وكانت من الدول التي أدانت ذلك في مؤتمر قمة رؤساء بلدان عدم الانحياز في هافانا عام ١٩٧٩ .

(٤) الإيكوادور : أخذت الإيكوادور إثر الانقلاب الذي وقع فيها في شباط ١٩٧٢ تتجه نحو سياسة عدم الانحياز . وبانضمام الإيكوادور الى منظمة الدول المصدرة للنفط (الأوبيك) في تشرين الثاني ١٩٧٣ ازداد تأييدها بالتدريج للقضية العربية . فقد صرح مندوب الإيكوادور في الأمم المتحدة أن للعرب " الحق في استرجاع أراضيهم " . وقد صوتت الإيكوادور في الأمم المتحدة إلى جانب الدول العربية بصدد قضية الشعب الفلسطيني . كما عبر وزير خارجية الإيكوادور صراحة عن أن حقوق الشعب الفلسطيني " غير قابلة للتصرف ، وهي أساسية من أجل تحقيق سلام عادل في الشرق الأوسط " . كما أيدت الإيكوادور حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم . وكان لها موقف مؤيد للعرب في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ .

٢) الدول المحايدة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي : والحياد هنا نسبي ، إن هذه الدول تدّعي الحياد بالنسبة إلى القضايا المتعلقة بفلسطين والنزاع في الشرق الأوسط فحسب . وأبرز دول هذه المجموعة البرازيل والمكسيك وفنزويلا وباراغواي وأورغواي .

(١) البرازيل : تعتبر البرازيل من الدول البارزة في مواقفها في الأمم المتحدة ، خاصة أنها امتنعت عن التصويت في الأمور المتعلقة بالقضية الفلسطينية . وقد رسمت سياستها الحيادية على أساس عدم التحيز إلى أي طرف في النزاع العربي ـ الإسرائيلي . وقد أكد وزير خارجيتها أثناء زيارته للقاهرة في ١٩٧٣/١/٢٨ التزام حكومته بعدم تورط نفسها في قضية النزاع العربي ـ الإسرائيلي . كما وقفت البرازيل على الحياد في حرب تشرين الأول ١٩٧٣ ، لكنها طالبت بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بقضية الصراع في الشرق الأوسط . وأكدت فيما بعد ضرورة إنسحاب (إسرائيل) واحترام

حقوق شعب فلسطين ، وأدانت الصهيونية بوصفها حركة عنصرية . وفي هذه المواقف الأخيرة ما يقترب بالبرازيل من المجموعة الأولى .

(٢) المكسيك : اتسمت سياسة المكسيك نحو القضية الفلسطينية بالازدواجية ، فمن ناحية عقدت اتفاقيات ثقافية واقتصادية وعسكرية مع (إسرائيل) ، ومن ناحية أخرى طالبت بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين . وبعد حرب ١٩٧٣ أخذت سياسة المكسيك تتجه نحو تأييد متحفظ للعرب . فقد رفضت المكسيك سياسة (إسرائيل) في الاستيلاء على الأراضي العربية ، إلاّ انها طالبت العرب بالاعتراف (بإسرائيل) . وقد تغير موقف المكسيك من منظمة التحرير الفلسطينية عندما أيدت اشتراك المنظمة في كافة المناقشات التي تجري بشأن قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة . كما صوتت المكسيك ضد (إسرائيل) من خلال وقوفها إلى جانب قرار الأمم المتحدة رقم ٣٣٧٩ الذي دان الصهيونية بوصفها أحد أشكال العنصرية .

ويمكن القول إن موقف المكسيك المتصدي للصهيونية لم يولد نتيجة تعاطف مع الدول العربية وإنما نتيجة لحكمها وفق الاتجاه السائد لدى الرأي العام العالمي . وقد برّر وزير خارجية المكسيك موقف بلاده هذا أثناء اجتماعه بالسياسي الإسرائيلي ييغال آلون بقوله : " إن المكسيك تعارض الصهيونية طالما استمرت هذه الحركة تنكر على شعب فلسطين حقه في تقرير المصير " وقال " إن الصهيونية حركة توسعية " . وقد غضبت (إسرائيل) لهذا الموقف ، واستخدمت جماعات الضغط الصهيونية ضد حكومة المكسيك . وقال رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي * : " إن الملايين منا نحن اليهود الأمريكيين يتملكهم الخوف من انحياز المكسيك إلى الكتلة العربية ـ السوفييتية في برنامج سياسي لمعاداة السامية " . وأثار الضغط الصهيوني سلسلة من الردود المرتبكة من جانب السياسيين في المكسيك . وقال بعضهم : "إن تصويت المكسيك ضد إسرائيل كان عملاً حكومياً من جانب واحد لم يكن الشعب المكسيكي طرفاً فيه " . وبعد حرب ١٩٧٣ سعت المكسيك إلى توطيد علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع العالم العربي في الوقت الذي ظلت تحتفظ فيه بعلاقات ودية مع (إسرائيل) في كافة المجالات .

(٣) فنزويلا :كانت فنزويلا وما زالت دولة محايدة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وامتنعت في الأمم المتحدة عن التصويت على عدد من القرارات التي صدرت حول القضية الفلسطينية . وقد ذكر وزير خارجية فنزويلا في ١٩٧٣ أن " بلاده مهتمة بالإبقاء على العلاقات الودية مع كل دول الشرق الأوسط " .

من ناحية أخرى تتطابق مصالح فنزويلا الاقتصادية بوضوح مع مصالح كثير من الدول العربية لكونها عضواً بارزاً في منظمة الأوبيك . لكن هذا الترابط في المصالح لم يؤد إلى تغير ملحوظ في سياسة فنزويلا نحو الشرق الأوسط .

(٤) باراغواي وأورغواي : ليس لهاتين الدولتين أي نشاط سياسي في الشرق الأوسط . وقد امتنعتا عن التصويت على القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية في هيئة الأمم المتحدة .

٣) الدول المؤيدة (لإسرائيل) : وأهمها :

(١) بوليفيا : تعتبر حكومة بوليفيا العسكرية التي توجهها المخابرات الأمريكية متحمسة في تأييد (إسرائيل) ، وقد عبرت بوليفيا عن تأييدها (لإسرائيل) في المحافل الدولية كما أيدت (إسرائيل) في نظرية « الحدود الآمنة » ، وأيدت مطالبها في المفاوضات المباشرة مع العرب . وكانت غير مرة « صهيونية » أكثر من (إسرائيل) نفسها . وقد تعهدت بوليفيا بتأييد كفاح (إسرائيل) ضد ما تسميه " الإرهاب الفلسطيني " .

(٢) كوستاريكا ، الدومينيك ، نيكاراغوا : حافظت هذه الدول على دعمها (لإسرائيل) بسبب اعتماد هذه الحكومات على الدعم الكامل للمخابرات الأمريكية ولخضوعها للاحتكارات الصهيونية والأمريكية . وهي تصوت إلى جانب (إسرائيل) باستمرار ، فقد كانت بوليفيا والدومينيك مثلاً الدولتين الوحيدتين اللتين صوتتا مع الولايات المتحدة و(إسرائيل) ضد قرار الجمعية العامة ٣٢١٠ (د ـ ٢٩) القاضي بدعوة منظمة التحرير للمشاركة في مداولات الجمعية العامة حول القضية الفلسطينية . كما كانت بوليفيا وكوستاريكا ونيكاراغوا والتشيلي (بعد أللينذي) بين من صوّت ضد القرار التاريخي رقم ٣٢٣٦ (د ـ ٢٩) بإقرار حقوق الشعب الفلسطيني . وهناك تعاون عسكري واقتصادي وإعلامي وثيق بين هذه الدول و (إسرائيل) . لكن الثورة الساندينية في نيكاراغوا التي وضعت حداً لحكم سوموزا المعروف بتواطئه مع الصهيونية أخرجت نيكاراغوا من فئة الدول المؤيدة (لإسرائيل) ، ووضعتها في الفئة الأولى المؤيدة للقضية العربية .

المراجع :

ـ منذر عنبتاوي : أضواء على الإعلام الإسرائيلي ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .

ـ إبراهيم عبد الله إبراهيم : الصهيونية وإسرائيل في أمريكا اللاتينية ، مجلة الكاتب ، العدد ١٣٨ ، أيلول ١٩٧٢ ، القاهرة .

ـ غلوريا لوبيز : **المكسيك في اطارَ الصهيونية والإمبريالية** ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٥ ، كانون الأول ١٩٧٧ ، بغداد .
ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٦/٥/١٩٧٤ ، بيروت .
— **American Jewish yearbook,**1971, V. 72, Prepared by the American Jewish Committee, New York 1971.
— Glick, E.: **Latin America and the Palestine Problem,** New York 1958.
— Glinkin, A: Changes in Latin America, **International Affairs,** Moskow , Vol 1.1975.
— Jeol Barromi.: Latin America and Israel: A case Study in Latin American Behavior at the U.N. General Assembly, **Middle East Review,** Vols. III, IV, 1975.
— Leopold Lauver.: **Israel and the Developing Countries: New Approaches to Cooperation,** New York 1967.
— Murray Zuckoff: Chiles Jews after Allende, in: **Israel's Horizons,** Vol. 21. No 9. 1973.
— Shimeon Amir: **Israel's Development Cooperation with Africa, Asia and Latin America,** New York 1974.
— Victor Alba: Latin American Relations with the Middle East, The Contribution Actors, **Middle East Information Service** Vol, XXII. 1973.
— Weiser, B.: The Pro - Zionism in Latin America, **Jewish Frontier,** XV, October, 1948.

الأمريكيين من أجل تفهم الشرق الأوسط (جمعية ـ) :

تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٦٧ ، وسجلت في ولاية نيويورك كمنظمة ثقافية معفاة من الضريبة . ومن أعضائها المؤسسين جاك صندرلاند ، والدكتور هنري فيشر عالم الآثار المصرية في متحف الآثار المركزي للفنون في نيويورك ، والدكتورة هيلن هيلينغ المستشارة السابقة للشرق الأوسط للعناية الصحية . يتألف مجلس مديري المنظمة والمجلس الوطني من رجال أعمال وقادة كنسيين وأكاديميين وإداريين سابقين في مجال النفط وموظفين في وزارة الخارجية وغير ذلك من المؤسسات .

والعامل المشترك لهذه المجموعات المتباينة هو الاهتمام " بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية الحيوية " في الشرق الأوسط ، وانحسار هذه المصالح نتيجة دعم الولايات المتحدة غير الحصيف (لإسرائيل) خلال العقدين الماضيين .

أما أهداف المنظمة الرئيسة فهي تعزيز :

١) التفهم المتزايد في أمريكا لتاريخ وأهداف وقيم جميع شعوب الشرق الأوسط .

٢) التفهم الأوسع للمعتقدات الدينية والأوضاع الاقتصادية والعادات الاجتماعية في الشرق الأوسط .

٣) الصداقة المتينة بين جميع شعوب الشرق الأوسط وشعب الولايات المتحدة .

٤) تفهم القوى التي تصنع أو تؤثر في صنع السياسة الأميركية في الشرق الأوسط .

تسعى المنظمة جادة في تنفيذ أهدافها عن طريق برنامج خدمات إعلامية . فهي تصدر مجلة نصف شهرية بعنوان " الرباط *The Link* " وتوزعها مجانا . ولديها برنامج لتوزيع الكتب عن الشرق الأوسط بأسعار مخفضة . كما أنها تعيد طباعة مقالات وخطب ووثائق حول الشرق الأوسط وتوزعها كذلك مجاناً ، وتعدّ من حين لآخر مجموعة من الرسائل الإعلامية للمدرسين ولمجموعات الطلاب . ويركز كثير من هذه البرامج على فلسطين . وما يدل على ذلك أن معظم المواد التي نشرتها مجلة الرباط خلال السنوات العشر الماضية خصصت لفلسطين . وتتناول هذه المواضيع بخاصة حقوق الإنسان للفلسطينيين ومعاملة سجنائهم في المعتقلات الصهيونية وقرارات الأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين ، وكذلك نقد المواقف الأميركية من هذه القضية .

الأمطار : رَ : المناخ

أملاك الغائبين (قانون ـ) :

كان الصراع على ملكية الأرض * في فلسطين منذ البداية واحداً من أهم مظاهر الصراع العربي ـ الصهيوني إن لم يكن أهمها على الإطلاق وانعكس في شراء المؤسسات الصهيونية المختلفة الأراضي ، وطرد الفلاحين العرب ، والمقاومة العربية لعمليات الشراء والإخلاء ، والحملات الصهيونية السياسية والدعائية المناهضة لبعض القيود التي فرضتها سلطات الانتداب البريطاني بين الحين والآخر على انتقال ملكية الأراضي . كما كان لهذا الصراع دور كبير في تحديد مجرى الصراع العسكري قبيل إعلان قيام الكيان الصهيوني في فلسطين وبعده .

ومن الطبيعي أن تتخذ السلطات الإسرائيلية بعد إعلان قيام (الدولة) سلسلة من الإجراءات لتسهيل نقل ملكية الأراضي من الأيدي العربية إلى الإسرائيلية . وفي هذا الصدد يعدّ قانون أملاك الغائبين الصادر سنة ١٩٥٠ ذا أهمية كبرى لأنه جاء تتويجا لسلسلة من الإجراءات والقرارات الصادرة منذ سنة ١٩٤٨ من جهة ، ولأنه من جهة أخرى الأساس الذي استندت إليه السلطات الإسرائيلية في مصادرة جزء كبير من الأراضي العربية في فلسطين المحتلة . ثم أنه من جهة ثالثة خرق رسمي صريح لنص قرار تقسيم

فلسطين * الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في سنة ١٩٤٧ . كذلك يبلور هذا القانون بصورة نهائية الموقف الإسرائيلي المعارض لعودة الفلسطينيين إلى ديارهم وممتلكاتهم خلافا لما قضت به قرارات الأمم المتحدة .

ومما يلفت النظر في هذا القانون تعريفه كلمة " غائب " الواردة في الفقرة ب من مادته الأولى. وتنص هذه الفقرة على أن " الغائب " يعني :

" ١) الشخص الذي كان ـ في أي وقت يقع بين يوم ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ واليوم الذي يعلن فيه أن حالة الطوارىء التي أعلنها مجلس الدولة المؤقت في ١٩ أيار ١٩٤٨ قد ألغيت ـ كان المالك الشرعي لأية ملكية تقع في منطقة إسرائيل ، أو كان منتفعا بها ، أو واضعا يده عليها إما بنفسه أو بواسطة غيره ، وكان في أي وقت خلال تلك الفترة :

(١) من رعايا لبنان أو مصر أو سورية أو العربية السعودية أو شرقي الأردن أو العراق أو اليمن ، أو

(٢) في إحدى هذه الدول أو في جزء من فلسطين خارج منطقة إسرائيل ، أو

(٣) كان مواطنا فلسطينيا غادر مكان إقامته المعتاد في فلسطين إلى مكان خارج فلسطين قبل الأول من أيلول ١٩٤٨ ، أو إلى مكان في فلسطين كانت تسيطر عليه في ذلك الوقت قوات سعت إلى منع إقامة دولة إسرائيل أو حاربتها بعد إقامتها .

"٢) مجموعة من الأشخاص كانت ، في أي وقت من الفترة المحددة في الفقرة ١ ، المالكة الشرعية لأية ملكية تقع ضمن منطقة إسرائيل ، أو منتفعة بها ، أو واضعة يدها عليها إما بنفسها أو بواسطة غيرها ، وكان جميع أعضائها والشركاء فيها أو مالكي أسهمها أو مديريها من الغائبين حسب المعنى المحدد في الفقرة ١ ، أو التي تقع إدارة عملها بشكل آخر تحت يد غائبين من هذا القبيل بشكل واضح ، أو التي يكون كل رأسمالها في يد غائبين من هذا القبيل " .

هذا التعريف الشامل يجعل كل مالك فلسطيني غائباً أذا كان قد غادر قريته أو مدينته إلى إحدى البلاد المجاورة لتدبير بعض شؤونه في أي وقت منذ تاريخ إصدار قرار تقسيم فلسطين . وهذا أمر تعوّد كثير من سكان القرى والمدن العربية أن يفعلوه . كما يعتبر الفلسطيني غائباً إذا ترك قريته وانتقل إلى إحدى المدن والقرى المجاورة كما فعل ويفعل سكان القرى العرب حين تحتل القوات الإسرائيلية مناطقهم . بل يجعل القانون المالك الفلسطيني غائبا إذا انتقل من حي إلى آخر ضمن إحدى المدن الكبيرة ، أو إذا نقلته قوات الاحتلال الصهيوني بالقوة من مكان إلى آخر .

يتألف قانون أملاك الغائبين من تسع وثلاثين مادة ، وقد أقرته الكنيست * الإسرائيلية في ١٩٥٠/٣/١٤ ونشر في "كتاب القوانين " في ١٩٥٠/٣/٣٠ ، واعتبر قانوناً معدلاً لأنظمة الطوارىء (أملاك الغائبين) الصادرة في ١٩٤٨/١٢/١٢ وبديلاً لها ابتداء من ١٩٥٠/٣/٣١ .

وكانت المنظمات الصهيونية حتى قبل إعلان قيام (الدولة) قد اتخذت عددا من الإجراءات للعمل على الاستيلاء على أية أملاك عربية تقع تحت يد القوات الصهيونية . ففي آذار سنة ١٩٤٨ أقامت الهاغاناه * لهذا الغرض "لجنة الأملاك العربية في القرى " . وعين قيّم عام على أملاك العرب في الشمال في نيسان سنة ١٩٤٨ بعد احتلال حيفا . وتلا ذلك تعيين قيّم آخر في يافا بعد احتلالها في ١٩٤٨/٥/١٤ . ثم أنشئت دائرة سميت " دائرة أملاك العرب " مهمتها مراقبة الأملاك العربية التي تسيطر القوات الإسرائيلية عليها . وفي تموز سنة ١٩٤٨ عين قيّم عام على أملاك الغائبين ، وفي كانون الأول سنة ١٩٤٨ أصدرت الحكومة الإسرائيلية أول مجموعة أنظمة بشأن أملاك الغائبين . وكان الهدف الواضح من هذه الأنظمة التي اتخذت أساسا لقانون عام ١٩٥٠ منع عودة أي من المهاجرين العرب إلى الأراضي أو الممتلكات التي تركها قبيل حرب ١٩٤٨ * ، أو أثناءها ، أو بعدها . كما أصدرت الحكومة الإسرائيلية في حزيران وأيلول وتشرين الثاني وكانون الأول سنة ١٩٤٩ قوانين تحدد مفعول الأنظمة المذكورة .

وبحسب أحكام المادة الرابعة من قانون أملاك الغائبين لعام ١٩٥٠ تصبح جميع أملاك الغائبين حسب تعريف القانون لهم منوطة بالقيّم على أملاكهم . وهذا القيّم يعينه وزير المالية الإسرائيلي (المادة الثانية ، وتنتقل إليه تلقائيا كافة الحقوق التي يتمتع الغائب بها في أية ملكية . كما يحق له وضع اليد على أية ملكية حين يجد ذلك مناسبا (المادة الرابعة) .

وللقيّم أيضاً أن يقوم بإدارة أي عمل تجاري يعتبر من أملاك الغائبين ، وتصفية العمل إذا كان يعود إلى شخص واحد ، أو حل الشركة إذا كان العمل يعود إلى مجموعة من الشركاء (المادة الثامنة) .

وإذاكانت أية ملكية من أملاك الغائبين محتلة من قبل شخص لا يحق له احتلالها حسب تقدير القيّم يكفي أن يصدر القيّم وثيقة يعلن فيها ذلك لكي يصار إلى إبعاد ذلك الشخص عن الملكية . وتعتبر أية وثيقة يصدرها القيّم من هذا القبيل حكماً قضائياً . وعلى الشخص المبعد ، أو الذي صدرت وثيقة من هذا النوع بحقه، اللجوء إلى محكمة مختصة لإبطال فعل الوثيقة إذا كان له الحق في

احتلال الأرض خلافا لتقدير القيّم على أملاك الغائبين (المادة العاشرة) .

كما يحق للقيّم ايقاف أي عملية بناء تجري على ملكية من أملاك الغائبين دون إذن منه ، وهدم أية أبنية تمت إقامتها ، وتغريم الشخص المسؤول عن البناء أو الأشخاص المنفذين بدفع تكاليف الهدم . ويعتبر أي شخص يحاول عرقلة الهدم مرتكباً جنحة (المادة الحادية عشرة) ، ويتعرض لعقوبة السجن أو الغرامة أو كلتيهما معا (المادة الخامسة والثلاثون) .

ويحصر القانون حق شراء أملاك الغائبين غير المنقولة بسلطة تنمية تشكل بموجب قانون يصدر عن الكنيست (المادة التاسعة عشرة) . وقد شكلت سلطة للتعمير والإنشاء بقانون أقرته الكنيست بعد خمسة أشهر من صدور قانون أملاك الغائبين .

ويحتوي القانون على عدد من المواد التعسفية الأخرى التي تعطي القيّم حرية شبه مطلقة في وضع اليد على الأراضي وتجعل الاعتراض على إجراءاته أمراً بالغ الصعوبة. فالمادة السادسة عشرة تعفي القيّم ، أو أي شخص يعمل بناء على توصياته ، من أية مسؤولية مدنية إذا قام بإجراءات بحق ملكية ما على أساس أنها من أملاك الغائبين وهي في الواقع ليست كذلك ، تعفيه إذا كان تصرفه بناء على اعتقاد نزيه ومعقول . ولا تحدد المادة أي مقياس لتقرير نزاهة مثل هذا الاعتقاد الخاطىء أو معقوليته .

كما تقضي المادة السابعة عشرة بأن أية صفقة تعقد بحسن نية بين القيّم وشخص آخر بصدد ملكية اعتقد القيّم في حين عقد الصفقة أنها ملكية منوطة به (أي من أملاك الغائبين) لا تصبح باطلة المفعول وتبقى نافذة ولو ثبت أن الملكية لم تكن في ذلك الحين منوطة بالقيّم .

وتنص المادة الخامسة على أن " كون هوية الغائب غير معروفة لا يمنع أن تكون ملكيته من أملاك الغائبين " .

ولم يكن التعسف في طبيعة مواد هذا القانون ونصوصها فحسب بل كان تطبيقها أشد تعسفا في معظم الحالات . ففي المدن مثلاً كانت كل ملكية عربية تعتبر من أملاك الغائبين إلا إذا استطاع صاحبها أن يثبت العكس . وقد طبق القانون حتى على أملاك سكان المثلث العربي الذين ضمت مناطقهم إلى (إسرائيل) وفقاً لاتفاقية الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل * المعقودة في نيسان سنة ١٩٤٩ ، رغم أن الاتفاقية تنص صراحة على التزام (إسرائيل) بالمحافظة على حقوق هؤلاء السكان الكاملة . كذلك طبق القانون على أملاك الوقف الإسلامي . وأصبح تحرير أية أرض أو ملكية من قبضة القيّم على أملاك الغائبين مسألة من أكثر المسائل تعقيدا في (إسرائيل) .

وقد تعرض هذا القانون لانتقادات شديدة ، ولمعارضة فئات مختلفة عربية ويهودية . وطرحت على الكنيست عدة مشاريع قوانين مضادة لهذا القانون ، أو معدلة له ، ولكنها رفضت جميعا . وأصدرت الكنيست في شباط سنة ١٩٥٦ تعديلاً أضيفت بموجبه فقرة جديدة إلى المادة السابعة عشرة . ولكنه كان تعديلا طفيفا لا يمس جوهر القانون .

وقد طبق القانون على نطاق واسع جداً إذ استولى القيّم على أراضي حوالي ثلاثمائة قرية عربية متروكة أو شبه متروكة تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين دونم ، أي الغالبية العظمى من أراضي الملكية الخاصة في الأرض المحتلة . وشملت الأراضي المستولى عليها مساحات واسعة من الأراضي العربية الجيدة الخصبة تقدر بحوالي ٢٨٠ ألف دونم منها الكثير من البيارات والأراضي المزروعة بالأشجار المثمرة .

كما استولى القيّم في المدن على ما يزيد على ٢٥,٠٠٠ بناء تحوي أكثر من ٥٧,٠٠٠ مسكن و١٠,٠٠٠ محل تجاري أو صناعي ، وحولت هذه الأبنية إلى شركة " عميدار " لإسكان المهاجرين اليهود فيها .

واستولت السلطات الإسرائيلية بموجب هذا القانون على ما يزيد على ربع مليون دونم من أراضي المواطنين العرب الذين ظلوا في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ .

وهكذا كان قانون أملاك الغائبين الغطاء القانوني لنقل ملكية جزء كبير جدا من الأراضي العربية نقلاً تعسفيا ظالما إلى الأيدي الصهيونية . وقد كان هذا هدفا من أهداف الصهيونية منذ قيامها .

المراجع :

— Landau,J.M.: **The Arabs in Israel: A Political Study,** London 1969.

— Lucas, N.: **The Modern History of Israel,** London 1974.

— Sachar, H.M.: **A History of Israel , From the Rise of Zionism to Our time,** Oxford 1977.

الأمم المتحدة :

رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة (عضوية ــ)

رَ : التوفيق (لجنة ــ الدولية)

رَ : الصحة (منظمة ــ العالمية)

رَ : العمل (منظمة ــ الدولية)

رَ : فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة

رَ : القدس في الأمم المتحدة

رَ : لجنة الأمم المتحدة الخاصة المعنيّة بالتحقيق في الممارسات

الإسرائيلية التي تمسّ حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة
رَ : لجنة الأمم المتحدة للتوفيق بشأن فلسطين
رَ : لجنة الأمم المتحدة المعنيّة بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة
رَ : اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة
رَ : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى
رَ : اليونسكو

أمناء جبل البيت (جماعة ــ اليهودية) :

رَ : الحرم القدسي الشريف (تهويد ــ)

الأمن الإسرائيلي (مناطق ــ) :

رَ : الطوارىء (قوانين ــ ١٩٤٩)

الأمن الإسرائيلي (نظرية ــ) : رَ : حرب ١٩٧٣

الأمــة (صندوق ــ) :

كان إنقاذ الأراضي العربية في فلسطين بمنع تملّك اليهود لأي منها في طليعة أهداف وهموم النضال العربي الفلسطيني ضد الانتداب البريطاني والهجرة الصهيونية . فما إن وافقت عصبة الأمم * عام ١٩٢٢ على صك الانتداب * حتى اندفعت الحركة الصهيونية تشتري الأراضي العربية ، ولا سيما في الساحل الفلسطيني ، مغتنمة في ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية لعرب فلسطين نتيجة لامتداد التخلف الاقتصادي إبّان العهد العثماني بسبب ظروف الحرب العالمية الأولى . وقد وجدت الحركة الصهيونية في الضرائب * التي دأبت الحكومة البريطانية المنتدبة على فرضها على الأراضي بنسب عالية لا تتلاءم مع القدرات المالية لأصحابها منفذاً آخر لنشاطاتها في شراء الأراضي . وكانت قد بادرت لإنشاء مصرف صهيوني صرف تحت ستار " بنك أنكلو ـ فلسطين " أي البنك البريطاني ـ الفلسطيني ، ومؤسستي الكيرين هايسود * ، أي مؤسسة تملك الأراضي ، والكيرين كايميت * ، أي مؤسسة رأس المال الإسرائيلي . وعلى الرغم من كل ما بذلته الحركة الصهيونية من الأموال وشرائها لبعض الأراضي المملوكة لعائلات غير فلسطينية لم تزد مساحة الممتلكات اليهودية من الأراضي حتى حرب ١٩٤٨ * على ٨,٦ بالمائة من مجموع مساحة فلسطين .

وكان في مقدمة الأسباب التي أوقدت ثورة شهر آب عام ١٩٢٩ المشهورة باسم ثورة البراق (رَ : ثورة ١٩٢٩) النقمة على امتناع الحكومة المنتدبة عن وضع تشريع لمنع بيع الأراضي العربية .

وعندما اندلعت ثورة عام ١٩٣٣ في يافا (رَ : يافا ، ثورة) استقدمت الحكومة البريطانية خبيرا بريطانياً اسمه ستركلند *Strickland* وضع تقريراً أوصى فيه بمنع بيع الأراضي الزراعية العربية لليهود في مناطق معينة من فلسطين (رَ : ستركلند ، تقرير) . لكن الحكومة المنتدبة لم تنفذ توصيات التقرير . وعندها استقر الرأي العربي ، بدعوة من المجلس الإسلامي الأعلى * والمؤتمر العربي الفلسطيني * عام ١٩٣٥ ، على إنشاء لجنة باسم لجنة صندوق الأمة غايتها إنقاذ الأراضي المعرضة للبيع واستغلالها لصالح العرب وقد تولى رئاستها أحمد حلمي عبد الباقي * .

كان من مهام اللجنة صدّ محاولات البيع بالإقناع وجمع المال لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الأراضي المعرضة للبيع . وكانت خطة اللجنة عزل الأراضي المملوكة لليهود بإحاطتها بحزام من الأراضي العربية التي يشتريها الصندوق ، أو حث أصحابها على تحويلها إلى ممتلكات وقفية .

لكن الهمّ كان أكبر كثيراً من أن تستوعبه الأموال الزهيدة المتحصلة من التبرعات والرسوم المالية على بعض المشتريات كتذاكر السفر والسينما وغيرها . ومع ذلك استطاعت اللجنة إنقاذ نحو ألف دونم في قريتي بيت حنون وجولس * في منطقة غزة ، وبعض المساحات في قرية عاقر * بمنطقة يافا وغيرها . كما قامت اللجنة بمنح قروض صغيرة لبعض المزارعين لتمكينهم من استغلال أراضيهم بسبب عدم وجود أي مصرف زراعي في ذلك الوقت . ولقد تأثرت نشاطات الصندوق بعد نفي الزعماء الفلسطينيين إلى جزيرة سيشل وتشرد غيرهم خارج الوطن الفلسطيني .

وقد توقفت أعمال الصندوق عند ابتداء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ لما جمّدت الحركة الصهيونية عمليات شراء الأراضي . وحالما شعر رئيس اللجنة بتجدد التيار الصهيوني لشراء الأراضي بسبب تغير مجرى الحرب آنذاك لصالح الحلفاء عام ١٩٤٣ بادر إلى إحياء اللجنة وتجديد تشكيلها . إلّا أن المال استمر العقبة الكأداء . فبالرغم من التوسع في فرض الجباية على المشتريات ازدادت الأعباء المالية على العرب شدة بسبب توقف تصدير الحمضيات * التي كانوا مضطرين لإنفاق المال لقطفها وردمها تحت الأرض تجنباً لأضرار عفنها .

ولما نشطت عام ١٩٤٦ حركة موسى العلمي لإنشاء المشروع

الإنشائي العربي * ضاعف رئيس اللجنة نشاط صندوق الأمة وضم إلى لجنته بعض زعماء الحركة الوطنية .

لكن المنافسة المؤسفة بين المشروع واللجنة ، وما رافق ذلك من خلافات جانبية حزبية ، أدت إلى شل حركة الصندوق والمشروع معا .

ولدى عقد الجلسات الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية في بلودان في ١٩٤٦/٦/١١ ، وتشكيل الهيئة العربية العليا لفلسطين * ، تم إنشاء لجنة خاصة لإنقاذ أراضي فلسطين ، وتخصيص مبلغ مليون جنيه فلسطيني لها سنويا (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) . لكن القرار تجمد ، فقد داهمت فلسطين حرب العصابات الإرهابية الصهيونية ، وتكاثرت المشاغل السياسية التي أثارها تقرير لجنة هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦ بتقسيم فلسطين ، وعرض القضية على هيئة الأمم المتحدة ، وانسحاب الحكومة البريطانية المنتدبة تاركة وراءها ذلك الفراغ الذي استغلته العصابات الصهيونية عام ١٩٤٨ .

الأمة الإسلامية الفلسطينية (مؤتمر ـ) :

انعقد هذا المؤتمر في فندق الملك داود بمدينة القدس * في ١٩٣١/١٢/١١ . وكان الهدف الرئيسي للداعين اليه مواجهة المؤتمر الإسلامي العام * الذي دعا إلى عقده الحاج محمد أمين الحسيني * .

حضر المؤتمر نحو ١,٥٠٠ شخص من الأعيان ورجال الدين والمحامين العرب الفلسطينيين . وتولى راغب النشاشيبي * رئاسة المؤتمر .

ألقى بعض أعضاء المؤتمر كلمات انتقدوا فيها بقسوة المجلس الإسلامي الأعلى * ، والمؤتمر الإسلامي العام ، والحاج محمد أمين الحسيني بشخصه .

وقرر المؤتمر :

١) تسمية هذا المؤتمر " مؤتمر الأمة الإسلامية الفلسطينية " .

٢) مطالبة الحكومة بتنفيذ مشروع قانون المجلس الإسلامي وفقا للاقتراحات التي تقدمت بها المعارضة للحكومة .

٣) مطالبة الحكومة بمحاسبة المجلس الإسلامي الأعلى من طرف محاسبين رسميين فنيين .

٤) نزع الثقة من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى وعدم الاعتراف به كرئيس للمؤتمر الإسلامي " لأن فلسطين لم تشترك في هذا المؤتمر ولأن تصرفاته في الدعوة للمؤتمر كانت شخصية بحتة " .

٥) مطالبة الحكومة باستقلال إدارة القضاء الشرعي عن المجلس الأعلى تأميناً لمصالح المسلمين الشرعية .

٦) تحية الوفود الإسلامية التي حضرت إلى فلسطين لحضور جلسات المؤتمر الإسلامي العام .

٧) مفاوضة الهيئات الإسلامية في جميع الأقطار الإسلامية لعقد مؤتمر إسلامي عام في أحد الأقطار الإسلامية .

٨) المحافظة على الأماكن الإسلامية المقدسة في فلسطين وإرجاع ما فقد أو تغير منها إلى ما كان عليه .

٩) مطالبة الحكومة بتنفيذ مطالب الوفد العربي الفلسطيني الأخير " وهي المطالب التي توصل البلاد إلى استقلالها وأمانيها القومية وتدفع خطر الصهيونية " .

١٠) إصدار بيان برأي هذا المؤتمر تجاه المؤتمر الإسلامي العام .

وقد تألفت لجنة لمتابعة تنفيذ هذه المقررات .

المراجع :

ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ جريدة فلسطين (يافا) ١٩٣١/١٢/١٢ .

الأمة العربية (بنك ـ) :

أسس هذا البنك الاقتصادي الكبير أحمد حلمي عبد الباقي * عام ١٩٣٧ بعد أن استقال من البنك العربي * .

وقد استهدف بنك الأمة العربية تقديم القروض إلى المزارعين العرب لآجال تصل إلى عام في الوقت الذي كانت فيه المصارف * التجارية تمنح قروضها لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر .

وقد استمر بنك الأمة العربية في نشاطه حتى نهاية فترة الانتداب . لكنه لم يستأنف نشاطه المصرفي خارج فلسطين ، وظلت له ديون كبيرة على المزارعين العرب الذين لم يتمكنوا من الوفاء بالتزاماتهم تجاهه بسبب طردهم من أملاكهم .

كذلك أدى توجه مؤسس بنك الأمة العربية نحو العمل

السياسي وترؤّسه حكومة عموم فلسطين * إلى توقف المصرف عن العمل في نهاية الانتداب عام ١٩٤٨ .

المرجع :

ـ سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٩ .

الأمويون : رَ : العصر الأموي

الأمويين (قصور ـ) : رَ : المفجّر (خربة ـ)

أمين الحسيني : رَ : محمد أمين الحسيني

أمين عادل التميمي (١٨٩٢ ـ ١٩٤٤) :

أحد مناضلي الرعيل الأول في فلسطين ، ولد في مدينة نابلس* وتلقى تعليمه الابتدائي فيها ، ثم توجه نحو إستانبول (الآستانة) لتكملة دراسته العالية ، وهناك تعرف على عدد كبير من أحرار العرب ، وخاصة أعضاء المنتدى الأدبي * ، وجمعية العربية الفتاة * . لذلك ما إن دخل الجيش العربي دمشق بقيادة الأمير فيصل حتى توجه أمين التميمي نحو سورية ليشترك مع رفاقه أعضاء جمعية العربية الفتاة في تدعيم هذا العهد .

انتخب أمينٌ التميمي في الهيئة الإدارية الجديدة لجمعية العربية الفتاة في ١٩١٨/١٢/٢٠ ، ثم أصبح السكرتير العام للجمعية ، وفي ١٩٢٠/٥/١٣ انتخب عضوا مؤسساً في الجمعية . وحمل رقم ١٦٩ ورمز ١٠,١٠٠ .

وبعد انتهاء الحكم العربي في سورية عاد أمين التميمي إلى فلسطين مع أعضاء حزب الاستقلال * ، وهو الواجهة العلنية لجمعية العربية الفتاة ، وانخرط في الحركة الوطنية الفلسطينية فكان من أبرز قادتها وأعلامها . كما تولى عدة مناصب رسمية في هذه الحركة ، ففي سنة ١٩٢١ كان أحد أعضاء الوفد العربي الفلسطيني الذي سافر إلى لندن (رَ : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) وفي سنة ١٩٢٣ كان أحد أعضاء الوفد الفلسطيني إلى سويسرا * لحضور مؤتمر الحلفاء وتركية في مونتريه . وفي سنة ١٩٢٥ أصبح عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني * ثم انتخب لمركز نائب الرئيس فانتقل إلى القدس * وأقام هناك .

وفي أواخر سنة ١٩٣٧ غادر أمين التميمي القدس إلى لبنان ليلتحق بالحاج محمد أمين الحسيني وبقي فيه حتى بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ولكنه اضطر إلى مغادرة لبنان سرًّا في أواخر سنة ١٩٣٩ متجهاً إلى بغداد بعد المحاولة التي قام بها الفرنسيون للقبض على زعماء الحركة الفلسطينية .

وفي العراق اشترك في حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ . وبعد فشل الحركة اتجه نحو إيران برفقة الحاج محمد أمين الحسيني وعدد من أبناء الأقطار العربية الأخرى ، ولكن الإنكليز تمكنوا من القبض عليه بعد إخفاق الحركة نهائيا ، واعتقل مع عدد من رفاقه في سجن الأحواز أولاً ، ثم نفي إلى معتقل بريطاني في سالسبري (روديسيا) في إفريقيا فتردت صحته نتيجة لسوء المعاملة ، ورفض الانكليز نقله إلى لبنان أو مصر للمعالجة ، وتوفي في معتقله .

الأنباء (صحيفة ـ) :

جريدة يومية إسرائيلية ناطقة باللغة العربية صدرت في القدس * اعتباراً من ١٩٦٨/١٠/٢٤ . وتعد الأنباء الشكل الجديد لجريدة اليوم التي كانت تصدر باللغة العربية في تل أبيب منذ عام ١٩٤٨ حتى أيار ١٩٦٨ .

وتصدر الجريدة بالتنسيق بين " مكتب مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية " وهيئة تحريرها . أما الذين تتابعوا على إدارتها ورئاسة تحريرها فهم من الإسرائيليين . وكان رئيس التحرير حتى سنة ١٩٧٠ يتسحاق بار ـ موشه ، وتبعه المحامي اليهودي العراقي يعقوب خزمة . ويشارك في تحرير الجريدة عدد من الصحافيين المرتبطين بسلطات الاحتلال ، والمروّجين لسياستها انسجاما مع مصالحهم .

تصدر الأنباء في ست صفحات باستثناء عدد الجمعة فهو بثماني صفحات . وتعالج الجريدة الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية . وتلعب دورا خطيراً على صعيد التشكيك في الأمة العربية . وتعمل على تشويه الحقائق وترويج الأكاذيب، وتتستّر بغطاء التعايش الزائف بين العرب والإسرائيليين ، وتدعو إلى بلورة " قيادة محلية " من رجالات الضفة الغربية كهيئة تمثيلية ناطقة باسم الفلسطينيين .

المرجع :

ـ علي الخطيب : الصحافة العربية في الأرض المحتلة ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٢ ، أيار ـ حزيران ١٩٧٧ ، بغداد .

الأنبـــاط :

في أعقاب انكفاء الامبراطوريات الرافدية والشرقية، وتوغل المدّ اليوناني في قلب آسيا، وتفتته إلى دويلات هلنستية، نشأت في شمال الجزيرة العربية وفي الهلال الخصيب ممالك وإمارات عربية اضطلعت بدور سياسي وعسكري واقتصادي بالغ الأهمية أحياناً، ومنها مملكة الأنباط.

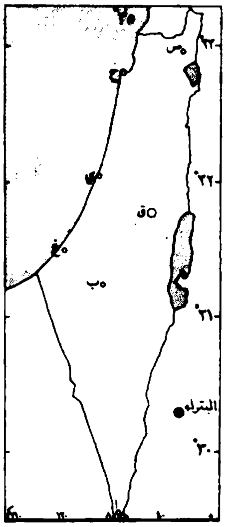

وأصل الأنباط عربي ثابت يجمع عليه الباحثون تقريباً بدليل موطنهم (العربية الحجرية)، واللغة العربية التي تظهر في كتاباتهم بالآرامية، وأسماء أعلامهم (الحارث وعبادة ومالك..)، وأسماء آلهتهم (ذو الشرى واللات والعزّى ومناة وهبل..) وبدليل ما ورد عنهم في المصادر اليونانية واللاتينية. ويرى بعض المؤرخين أنهم قدموا من جنوب الجزيرة العربية واستقروا زمناً في الحجاز. ويرى آخرون أنهم حجازيون أصلاً حلّوا محلّ الأيدوميين * في موطنهم، وأخذوا اللغة الآرامية * عنهم. وأسسوا مملكة هامة. أما ما يرد في المصادر العربية الإسلامية من كلمات «الأنباط، والنبط، والنبيط» فلا يدل على هؤلاء الأنباط، بل يدل على السكان المحليين العاملين في الزراعة ولا سيما فلاحي سواد العراق.

ويرجح أن الأنباط قدموا في القرن السادس قبل الميلاد وإن كان وجودهم التاريخي الواضح الهام يراوح بين القرنين الرابع قبل الميلاد والثاني بعده. وقد تركزت مملكتهم في البلاد التي كانت تعرف في المصادر التاريخية القديمة باسم «العربية الحجرية *Arabia Petraea*» مع امتداد نحو الحجاز والبحر الأحمر والبحر المتوسط والشام وبادية الشام حتى الفرات. وكانت جبال الشراة (في شرقي الأردن) العمود الفقري لأرضهم، فيها أعظم حواضرهم وهي البتراء.

اتصف الأنباط بالمنعة وحب الحرية والغزو والصبر على الجوع والعطش، ويذكر المؤرخون أنهم لم يخضعوا لأحد، ولم ينجح أحد في السيطرة عليهم. واعتمد اقتصادهم على تجارة القوافل وتجارة البحر، وسيطروا على طرق التجارة العالمية مستفيدين من موقعهم الممتاز الذي تتلاقى عنده أهم طرق القوافل. وقد نظم الأنباط شؤون القوافل الخاصة بهم والعابرة بأراضيهم، وأمّنوا حمايتها، ووضعوا المكوس على العبور وعلى البيع والشراء، وبنوا لأنفسهم مملكة قوية غنية في القرن الثاني قبل الميلاد معتمدين على تجارتهم الغنية وعاصمتهم المنيعة.

كانت علاقة الأنباط السياسية بالبطالمة * والسلوقيين * ثم بالرومان، وصراعهم مع اليهود الأشمونيين المكابيين في فلسطين مبنيّين في أكثر الحالات على أساس الرغبة في تأمين السير الطبيعي المأمون لتجارتهم الناجحة. وكانت معظم حروبهم موجهة لهذه الغاية.

ويقسم تاريخ الأنباط السياسي والاقتصادي إلى فترتين أساسيتين:

١) الفترة الهلنستية: وتبدأ من أيام البطالمة والسلوقيين وتنتهي في عام ٦٤ ق.م. الذي تمّ فيه للرومان احتلال جنوب سورية. وقد أخفق البطالمة ثم السلوقيون في إخضاع المملكة النبطية. ومن ملوك الأنباط في هذه الفترة الحارث الأول والحارث الثاني وعبادة الأول والحارث الثالث. وقد اصطدم الأنباط باليهود المكابيين الذين هددوا مصالحهم الاقتصادية لما استولوا على ميناء غزة *. وقد هزم ملكهم عبادة الأول عام ٩٣ ق.م. الملك اليهودي اسكندر جانوس عند مدينة جدرة (أم قيس فوق الحمة *)، كما هزم عبادة السلوقيين بقيادة أنطيوخوس الثاني عشر في النقب * عام ٨٥ ق.م. وقد بلغت دولة الأنباط درجة عالية من القوة حتى ضمت دمشق إليها في عهد الملك الحارث الثالث الذي سيّر أيضاً جيشاً جراراً إلى القدس يحاصرها.

٢) الفترة الرومانية: استطاع الرومان في بداية هذه الفترة أن يهزموا الأنباط ويدفعوهم إلى ترك حصار القدس، وقد دار النزاع في هذه المرحلة بين الأنباط وهيرود الذي نصبه الرومان ملكا على اليهود (وهو غير يهودي) وهيرود انتيباس الذي خلفه. ومن أبرز ملوك هذه الفترة الحارث الرابع (٨ق.م. - ٤٠ ب.م.) الذي يعدّ عهده أطول العهود وأزهاها. وقد ظل الرومان يهددون مصالح الأنباط الاقتصادية ووجودهم السياسي إلى أن ألحق الإمبراطور تراجان مملكة الأنباط بولاية سورية وأسس ولاية جديدة باسم الولاية العربية في ٢٢/٣/١٠٦م عاصمتها بصرى، وضمت مملكة الأنباط مضافاً إليها حلف المدن العشر * (ديكابوليس).

ظلت حضارة الأنباط مستمرة بعد نهايتهم السياسية، ولكن بمظهر روماني. وقد تمسك قسم من الأنباط بديانتهم القديمة زمناً بعد انتشار المسيحية *. وفي القرن الرابع الميلادي قويت المسيحية بينهم وأصبح للبتراء أسقف اشترك في مجمع نيقيا عام ٣٢٥ م.

تروي المصادر شيئاً عن تنظيم الدولة النبطية، فالملك رأس الدولة تشاركه زوجته أو أخته أو أمه. وله حاشية بمنزلة الوزراء المستشارين، وهناك مجلس للشعب يقدم له الملك حساباً عن

عمله . وكان للنساء منزلة رفيعة لدى الأنباط . وكان التآزر سائداً مجتمعهم . وقد عبدوا ، كالعرب قبل الإسلام ، أرباباً ترمز إلى عناصر الطبيعة وإلى بعض القيم التي يتعلق بها الناس كالشجاعة والعدالة . وكانوا يمثلونها تمثيلاً رمزياً إلى أن قوي عندهم تأثير الديانات اليونانية ـ الرومانية فنزعوا إلى التشخيص وتقريب النصب من الأشكال البشرية . ومن أربابهم ذو الشرى (منسوب إلى جبال الشراة) والعزىّ واللات ومناة .

والفن النبطي فن محلّي متأثر بفن جنوب الجزيرة العربية والرافدين . وقد طبع بطابع هلنستي . وتجلى أكثر ما تجلى في العمارة * ، ولا سيما عمارة المدافن . وقد تركز معظم فن العمارة في العاصمة البتراء ، وتجلّى بنحت الصخر الرملي الجميل وإنشاء الأوابد في أعماقه أو على ذراه . وبرز نحت الواجهات المعمارية الزخرفية الرشيقة للمدافن . وقد أبدع فن العمارة النبطي طرزاً جديدة من تيجان الأعمدة فيه اختزال وجمال .

أما النحت النبطي فهو أقل طرافة وأهمية ، وظهر في منحوتاتهم مزج الفن الإغريقي والتقاليد المحلية . وقد مالوا إلى النقش البارز أكثر من ميلهم إلى التماثيل .

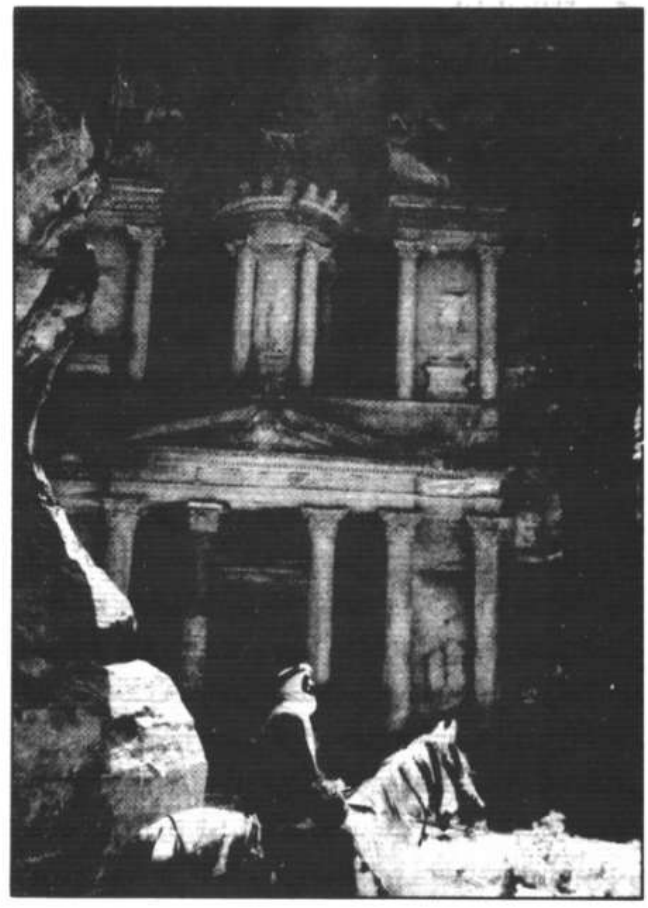

وكان إبداع الأنباط أعظم في ميدان صناعة الفخار *، فقد تركوا إلى جانب الفخار العادي فخاراً رقيقاً ناعماً جيّد الشيّ ذا لون وردي أو طحيني ، مزخرفاً بلون زهري أو خمري أو قاتم . واستخدموا في زخرفهم أشكالاً نباتية ، ثم أكثروا في طور متأخر من عناصر زخرفية هندسية في داخلها طلاء أبيض .

كان أول من زار البتراء وكشف موقعها بوركهارت عام ١٨١٢ م ، ثم تلاه عدد من الرحالة والعلماء . وكثر المستكشفون الألمان في مطالع القرن العشرين . وأشهرهم فيغاند *Th . Weigand* الذي قام بدراسة هندسية عن البتراء خلال الحرب العالمية الأولى . وتعود أعمال التنقيب الأولى إلى عام ١٩٢٩ . ثم قامت مديرية الآثار الأردنية منذ عام ١٩٥٤ بأعمال التنقيب والترميم المختلفة بمشاركة البعثات الأثرية الأجنبية أو باتفاق مع منظمة اليونسكو . ومن المواقع النبطية التي تلي البتراء أهمية من الناحية الأثرية : الحِجْر ، أو مدائن صالح ، وواحة العلا ، وواحة الجوف ، أو دومة الجندل ، ومأدبا وسيع .

المراجع :

ـ جواد علي : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ، ١٩٦٩ .

— Contineau, J.: **Le Nabatéen,** Paris 1930.1932.
— Dalman, G.: **Petra und seine Felsheiligtümer,** Leipzig 1908.
— Hammond, Ph.: **The Nabataens, Their History , Culture, and Archaeology,** Lund 1973.
— Kammerer, A: **Petra et la Nabaténe,** Paris 1929.
— Linder , M.: **Petra und das Königreich der Nabatäer,** Bad Windsheim 1974.
— Musil, A.: **Arabia Petraea,** Wien 1907.
— Musil, A.: **The Northern Hegaz,** New York 1926.
— Shippan, I.Sh.: **The Nabataean State and its culture** (in Russian), Moscow 1976.
— Weigand, Th: **Petra,** Berlin 1921.

الانتداب على فلسطين (صك ـ) :

أ ـ وعود الحلفاء : كانت فلسطين العربية ولاية عثمانية ، ثم تحررت من هذه التبعية بفضل نضال العرب وتضحيات جيشهم الذي كان ميمنة القوات التي دخلت فلسطين بقيادة « اللنبي » عام ١٩١٧ . وقد احتلت جيوش الحلفاء فلسطين بزعم تحريرها وضمان استقلالها ، ولم تكن الصفة الاستعمارية لهذا الاحتلال واضحة آنئذ ، وثمة أكثر من دليل على هذا :

١) فقد صرح الرئيس الأمريكي ولسن في شهر كانون الأول سنة ١٩١٥ بأن " الفتح والاستيلاء ليسا داخلين في برامج الحكومات الديمقراطية ولا يتفقان مع مذاهبها " .

٢) وصرح الجنرال اللنبي يوم دخوله القدس في ١٩١٧/١٢/٢٩ بأن " غاية الاحتلال البريطاني هي تحرير فلسطين من النير التركي وإنشاء حكومة وطنية حرة فيها " .

٣) وأعلن لويدجورج رئيس وزراء بريطانيا في خطاب ألقاه في اجتماع نقابات العمال البريطانية في ١٩١٨/١/١٥ " أن بريطانيا تعترف بحق فلسطين وسورية والعراق والجزيرة العربية في الحرية والاستقلال وتكوين حكومات وطنية فيها " .

٤) وفي ١٩١٨/٢/٨ أرسل بلفور صاحب التصريح الشهير (رَ : بلفور، وعد) برقية إلى الشريف حسين بن علي باسم الحكومة البريطانية ودول الحلفاء جاء فيها "وحكومة صاحب الجلالة البريطانية تؤكد مرة أخرى وعودها السابقة بتأييد استقلال العرب ومساعدة البلاد العربية التي لم تنل استقلالها بعد على الحصول عليه بعد الحرب " .

٥) وأصدرت بريطانيا وفرنسا في ١٩١٨/١١/٧ تصريحاً (رَ : البيان الأنكلو ـ فرنسي ١٩١٨) أكدتا فيه أن السبب الذي حاربتا من أجله في الشرق هو تحرير الشعوب العربية ، وإقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من اختيار الأهالي الوطنيين فيها اختياراً حراً " .

وإذاً فقد التزم الحلفاء صراحة وعلناً بتأييد استقلال فلسطين وإنشاء حكومة وطنية فيها يختارها شعب فلسطين العربي . وهذا ما تمسّك به العرب منذ البداية على لسان فيصل بن الحسين أمام مؤتمر فرساي في القرارات التي أصدرها المؤتمر السوري العام * عام ١٩١٩ . أي أن حق فلسطين في الاستقلال التام حق ثابت قانونياً .

لكن الحلفاء تعاموا عن هذه الحقيقة الواضحة لأن أغراضهم الحقيقية كانت عكس ما وعدوا به العرب . كانت أغراضهم الحقيقية هي الحلول محل الاحتلال العثماني ، واقتسام مناطق نفوذه فيما بينهم ، وتهيئة فلسطين العربية لتكون دولة الحركة الصهيونية الموعودة . وتكشفت نواياهم هذه في اتفاقية سايكس ـ بيكو * الشهيرة عام ١٩١٦ . وقد قرروا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني لتحقيق أهدافهم في خدمة الصهيونية مستندين إلى نص في ميثاق عصبة الأمم * يقدم الاستعمار التقليدي في « زي جديد » .

ب ـ نظام الانتداب في عهد عصبة الأمم : يستند الانتداب البريطاني على فلسطين من الناحية القانونية إلى المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم التي تنص بعض فقراتها على :

" ١) أن تطبق المبادىء التالية على المستعمرات والأقاليم التي لم تعد بعد الحرب تحت سيادة الدول التي كانت تحكمها من قبل والتي تسكنها شعوب غير قادرة على أن توجه نفسها بنفسها ولا سيما في ظروف مدنية العالم الحديث القاسية . إن رفاهية وتقدم هذه الشعوب يعتبران أمانة مقدسة في عنق المدنية ، ويجب أن يحوي العهد الحالي ضمانات للوفاء بهذه الأمانة .

" ٢) إن الطريقة الفضلى لتحقيق هذا المبدأ هي أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب إلى أمم راقية تمكنها مواردها وتجاربها ومركزها الجغرافي من تحمّل تلك المسؤولية وتقبل تحملها فوراً . إنها تمارس تلك الوصاية بصفتها منتدبة باسم العصبة .

" ٣) إن بعض الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية قد بلغت درجة من الرقي والتقدم تجيز الاعتراف بها أمماً مستقلة ، بشرط أن تسدي إليها الدولة المنتدبة النصح والمعونة حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه أن تعتمد على نفسها ، ويجب ان يكون لرغبات هذه الجماعات الاعتبار الأساسي في اختيار الدولة المنتدبة " .

والواضح من نص الفقرة الأولى للمادة أن غاية نظام الانتداب ، أو الحكمة التي ادّعاها أربابه من ورائه ، هي رفاهية الشعوب التي توضع تحت نظام الانتداب ورقيها . وقد عدت تلك الغاية أمانة مقدسة في عنق المدنية عمل عهد عصبة الأمم على تحقيقها عن طريقين إجرائيين هما :

١) إجراء عام : هو نظام الانتداب ذاته . لذلك نصت الفقرة الثانية من المادة ٢٢ على أن يتحرى في اختيار الدولة المنتدبة أن تكون من الدول الراقية التي يمكنها أن تقوم بهذه المهمة فعلاً بسبب مواردها وتجاربها ومركزها الجغرافي .

٢) إجراء خاص : هو الالتزامات المحددة التي يتضمنها صك الانتداب والتي يشترطها مجلس العصبة على الدولة المنتدبة لضمان حسن قيامها بواجبها نحو رفاهية وتقدم شعوب الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب .

كذلك تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ على أن الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية فيما مضى (ومنها بالطبع فلسطين) قد وصلت في تقدمها إلى مرحلة تؤهلها أن تكون أمماً مستقلة . وقد حصرت الفقرة المذكورة مهمة الدولة المنتدبة في تقديم النصح والمعونة فحسب ، واعتبر الانتداب في هذه الحالة من الدرجة أ . ولما كانت الفقرة الأولى تنص على أن الدولة المنتدَبة تستمر في تقديم النصح والمعونة حتى يأتي الوقت الذي تستطيع فيه الجماعات التي كانت تتبع الدولة العثمانية أن تعتمد على نفسها فقد ثار التساؤل حول السيادة على الأقاليم التي تسكنها هذه الجماعات وإلى من تعود

تلك السيادة خلال الانتداب . وقد ظهرت في ذلك نظريات شتى أقربها إلى منطق المادة ٢٢ ذاتها تلك التي تقول إن السيادة على أقاليم الانتداب لم تنقل إلى الدول الكبرى أو إلى عصبة الأمم او إلى الدولة المنتدبة بل ظلت ملكاً لشعب الإقليم الخاضع للانتداب لأنه صاحب السيادة أصلاً .

وما دام الانتداب ، على ما يوجه إليه من انتقادات أخلاقية وقانونية ، يستند في مبرره القانوني إلى نص المادة ٢٢ من عهد العصبة فإن صك الانتداب يجب أن يتقيد بأحكام المادة كما أن نصوصه يجب أن تفسر عند الشك أو الغموض على هدي المادة المذكورة ، ومن ثم فإن ما قد يحويه صك الانتداب على الأقاليم التي سلخت عن تركيا من مخالفات للمادة ٢٢ يعتبر باطلاً قانونياً ولا يجوز إقراره ، وتُسأل الدولة المنتدَبة عن تنفيذه طبقاً لأحكام المسؤولية الدولية . فإلى أي حد روعيت المادة ٢٢ من ميثاق العصبة في فرض الانتداب البريطاني على فلسطين ، من حيث اختيار الدولة المنتدبة ، أو من حيث التزاماتها تجاه شعب الإقليم ؟

جـ ـ الانتداب على فلسطين : تنص الفقرة الرابعة من المادة ٢٢ من عهد العصبة على أنه " يجب أن يكون لرغبات هذه الجماعات (أي الجماعات التي توضع تحت الانتداب) الاعتبار الأساسي في اختيار الدولة المنتدبة " .

لكن الحلفاء لم يراعوا حق هذا الإجراء الشكلي ، فقد اتفقوا في مؤتمر سان ريمو* الذي عقد في ١٩٢٠/٤/٢٥ على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وتقدموا بمشروع صك الانتداب إلى عصبة الأمم دون أي اعتبار لرغبات شعب الإقليم . وهذه المخالفة وحدها ترتّب بطلان الانتداب من أساسه . وقد وصف العلامة هنري رولان ذلك التصرف بقوله : " ما دام الأمر قد جرى على هذه الصورة فالأولى بنا أن نقول إن ذلك ليس إلّا بيعاً تجارياً ، وإن مجلس الدول الخمس الكبرى المتحالفة (بريطانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وفرنسا ، وإيطاليا ، واليابان) لم يفعل في سان ريمو في ٢٥ نيسان ١٩٢٠ باقتسامه البلاد العربية بين أعضائه ، إشباعاً لمطامع غير شرعية ، غير ما فعله في ٧ أيار عام ١٩١٩ عندما اقتسم المستعمرات الألمانية " .

واستنكر الأمين العام لعصبة الأمم ـ في مذكرة قدمها إلى مجلس العصبة بتاريخ ١٩٢٠/٧/٣٠ ـ عمل المجلس الأعلى للحلفاء ، وقال : " إن توزيع الدول الكبرى للانتدابات ليس قانونياً ولا يمكن الاعتراف به " . وأيد المسيو هيماش (مندوب بلجيكا) هذه النظرية وأعلن أن قيام المجلس الأعلى بتوزيع الانتدابات يخالف عهد العصبة وأحكام القانون .

وأكد الفقيه فوشيل " أن اختيار الدول المتحالفة الكبرى بريطانيا العظمى للانتداب على فلسطين قد جرى خلافاً لأحكام ونص المادة ٢٢ من ميثاق العصبة . فهو إذن باطل من الوجهة القانونية ولا يقام له وزن " .

لكن الحلفاء الذين فرضوا بريطانيا دولة منتدبة لم يكونوا من الناحية العملية ليعيروا أي اهتمام لأهداف العصبة أو عهدها بل كان همهم الرئيسي إضفاء الشرعية على وعد بلفور* الذي كان يفتقر إلى مثل هذه الشرعية ووضعه موضع التنفيذ . ومَنْ أفضل من بريطانيا التي صدر عنها الوعد لمثل هذه المهمة ؟ ومن أفضل من مجلس العصبة (التي هي في التحليل النهائي منظمة أقامها الحلفاء لتكريس انتصاراتهم) لمباركة قيام بريطانيا بمهمتها ؟

هذا ما يؤكده صك الانتداب ذاته الذي أقره مجلس عصبة الأمم في ١٩٢٢/٧/٢٤ والذي تسلمت بموجبه بريطانيا وفي رعاية العصبة " مهمتها التاريخية " في فلسطين .

د ـ مضمون الصك : تقول مقدمة الصك : " ولما كانت دول الحلفاء الكبرى قد وافقت أيضاً على أن تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي أصدرته في الأصل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني عام ١٩١٧ ، وأقرته الدول المذكورة لصالح إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية الموجودة الآن في فلسطين أو بالحقوق والوضع السياسي مما يتمتع به اليهود في أية بلاد أخرى .

" ولما كان قد اعترف بذلك بالصلة التاريخية التي تربط الشعب اليهودي بفلسطين وبالأسباب التي تبعث على إعادة إنشاء وطنهم القومي في تلك البلاد . . . " .

وتنص المادة الثانية من الصك على أن " تكون الدولة المنتدَبة مسؤولة عن وضع البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقاً لما جاء في ديباجة هذا الصك ، وعن ترقية مؤسسات الحكم الذاتي ، وتكون مسؤولة عن صيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بغض النظر عن الجنس والدين " .

وهكذا يتضح ، ومن غير حاجة إلى استنتاج أو تكهن ، أن السلطة المنتدبة على فلسطين لم تكن غايتها ، كما نصت المادة ٢٢ من عهد العصبة ، تحقيق رفاهية وتقدم شعب الإقليم الأصلي كأمانة مقدسة في عنق المدنية بل بكل بساطة التمهيد والتهيئة لترجمة وعد بلفور إلى واقع عملي ، وإقامة الدولة اليهودية في فلسطين . أما سكان البلاد وأغلبيتهم الساحقة يومئذٍ من العرب فكل ما التزمت به بريطانيا تجاههم هو عدم المساس بحقوقهم المدنية والدينية (لا السياسية) فقط .

ويمضي صك الانتداب في تجاهل الشعب الفلسطيني الذي يفترض أن الانتداب أقيم من أجل إيصاله إلى الرفاهية والتقدم والاستقلال الناجز ، فلا ينص في أية مادة منه على تعامل سلطة الانتداب مع هيئات تمثله ، ولو على غرار الوكالة اليهودية * . أما اليهود وهم يومئذٍ أقلية قليلة فقد خصص الانتداب لهم من يمثلهم ، وألزم السلطة المنتدبة بالتعامل مع هذا الممثل . وفي هذا تنص المادة الرابعة منه على ما يلي :

" يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور ، ولتساعد وتشترك في ترقية البلاد على أن يكون ذلك خاضعاً دوماً لمراقبة الإدارة .

" ويعترف بالجمعية الصهيونية كوكالة ملائمة ما دامت الدولة المنتدَبة ترى أن تأليفها ودستورها يجعلانها صالحة ولائقة لهذا الغرض . ويترتب على الجمعية الصهيونية أن تتخذ ما يلزم من التدابير ، بعد استشارة حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، للحصول على معونة جميع اليهود الذين يبغون المساعدة في إنشاء الوطن القومي اليهودي " .

ولما كان الحلفاء يعلمون أن اليهود في فلسطين كانوا ، عند إقامة نظام الانتداب ، قلة قليلة في البلاد لا تملك من الأراضي إلا النزر اليسير فقد نصوا في صك الانتداب على تشجيع هجرة يهود « الشتات * ـ الدياسبورا » إلى فلسطين ، ومنحهم الجنسية وتمليكهم الأراضي بأسهل الشروط . وفي هذا تقول المادة السادسة " على إدارة فلسطين أن تسهل هجرة اليهود في أحوال ملائمة مع ضمان عدم إلحاق الضرر بحقوق فئات الأهالي الأخرى وأوضاعهم ، وأن تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية المشار إليها في المادة الرابعة حشد اليهود في الأراضي الأميرية والأراضي الموات غير المطلوبة للمقاصد العمومية " .

أما المادة السابعة فتنص على أن " تتولى إدارة فلسطين مسؤولية سن قانون الجنسية . ويجب أن يشتمل هذا القانون على نصوص تسهل اكتساب اليهود الذين يتخذون فلسطين مقاماً دائماً لهم الجنسية الفلسطينية" .

ويجب ألاّ يغرّنا ما ورد في المادة السادسة السالفة الذكر من ضرورة ضمان " عدم إلحاق الضرر بحقوق ووضع فئات الأهالي " ، فالشعب العربي الفلسطيني في نظر أرباب صك الانتداب ليس أكثر من « أهالي » . وقد بينت مواد الصك الأخرى أن الحقوق والأوضاع التي يجب ألاّ تمس لهؤلاء « الأهالي » هي الحقوق المدنية والدينية لا أكثر . ثم كيف يعقل منطقياً أن يفتح باب إقليم ما على مصراعيه أمام هجرة أجانب أغراب عنه فينالوا بأيسر الشروط حق التجنس والتملك دون أن يؤثر ذلك في حقوق أغلبية السكان وأوضاعهم، حتى المدنية ؟ كلها أسئلة تغافل عنها أرباب الصك الذين ما تركوا مجالاً لاجتهاد في أن « الوطن القومي » الذي وعد به بلفور اللورد روتشيلد هو في الواقع « دولة يهودية » . فهذا نص المادة ١١ من صك الانتداب يوضح أن " إدارة البلاد تتفق مع الوكالة اليهودية (دون سواها) على أن تقوم هذه الوكالة بإنشاء أو تسيير الأشغال والمصالح والمنافع العمومية ، وترقية مرافق البلاد الطبيعية بشروط عادلة ومنصفة ، ما دامت الإدارة لا تتولى هذه الأمور بنفسها " .

وهذا نص المادة ٢٢ من الصك يقضي بأن " تكون الإنكليزية والعربية والعبرية اللغات الرسمية في فلسطين . وكل عبارة أو كتابة بالعربية وردت على طابع او عملة يستعملان في فلسطين يجب أن تكرر بالعبرية . وكل عبارة أو كتابة بالعبرية يجب ان تكتب بالعربية " .

ويذهب بعض الكتاب في محاولة للتقليل من آثار صك الانتداب السياسية والقانونية السلبية على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني إلى التفتيش عن التناقضات او التباينات التي احتواها الصك سواء في صياغته أو في مضمون بعض مواده . ومن ذلك مثلاً أن الصك تكلم عن هيئتين : الدولة المنتدَبة وحكومة فلسطين ، وجعل الدولة المنتدَبة مسؤولة عن بعض الضمانات وجعل حكومة فلسطين مسؤولة عن بعضها الآخر، مما يؤكد في نظرهم "أن حكومة فلسطين ليست هي الدولة المنتدبة" . ويخلص هؤلاء إلى أن ما قرره عهد العصبة من استقلال فلسطين وما جاء به صك الانتداب في مختلف نصوصه يفترض أن هناك "سلطات وطنية لفلسطين تقوم الدولة المنتدَبة بمساعدتها بصورة غير مباشرة عن طريق النصح والإرشاد " لتحقيق أهداف عصبة الأمم من نظام الانتداب أصلاً ، ونعني تحقيق رفاهية وتقدم الشعب الموضوع في ظل هذا النظام . أما ما أسلفنا من نصوص دامغة في صالح تحقيق الدولة اليهودية (كتعبير حقيقي عن المقصود بالوطن القومي لليهود) فيرتب ـ في نظر هؤلاء الكتاب ـ على السلطة المنتدبة وحدها الالتزام بذلك ، وفي حدود روح ونص المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم . ومن شأن ذلك ، فيما يرى هؤلاء ، أن ما ورد من نصوص لصالح اليهود في صك الانتداب لا يمكن حمله على أكثر من اعتبارهم أقلية تستحق الرعاية دون أن تؤدي هذه الرعاية إلى الإضرار بحقوق الأغلبية العربية ومصالحها .

والحقيقة أن مثل هذه الآراء وسواها قد تصلح لجدل فكري مجرد حول صك الانتداب على فلسطين . ولكن الواقع الذي طبق هذا الصك من خلاله يجعل هذه الآراء ، على وجاهتها ، أقرب إلى ما كان يجب أن يحصل مما حصل فعلاً تحت سمع وبصر عصبة

الأمم والعالم كله . إن المشكلة في صك الانتداب على فلسطين ليست فيما حواه من تناقضات وتباينات داخل إطاره ، وهي كثيرة ، بل في تناقضه البيّن مع المادة ٢٢ من عهد العصبة نصاً وروحاً ، وهذا ما يجعله في رأي الكثيرين من المحللين باطلاً شكلاً وموضوعاً . ولا أدل على ذلك من أن أكثر من عضو في اللجنة السياسية الخاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة قد طرح قبيل اتخاذ الجمعية قرار التقسيم الشهير موضوع سؤال محكمة العدل الدولية عن شرعية هذا الصك في ضوء عهد عصبة الأمم . غير أن العوامل السياسية ذاتها التي فرضت صك الانتداب على فلسطين بالشكل والموضوع اللذين طبقا فيه حالت دون وصول هذا السؤال إلى المحكمة الدولية لتقول كلمة الحق والعدل فيه .

والحقيقة التاريخية أن هذا الصك ، رغم عدم شرعيته ، طبق كما اشتهت الحركة الصهيونية تماماً ، وآل إلى ما لم تكن تنص عليه المادة ٢٢ من ميثاق العصبة ، وإلى ما لا يحقق العدالة والإنصاف لشعب فلسطين ، فكان فصلاً من فصول مأساة فلسطين العربية التي يعيشها العالم حتى اليوم .

المراجع :

ـ محمد طلعة الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، ١٩٦٧ .

ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .

ـ محمد عزيز شكري : التنظيم الدولي العالمي بين النظرية والواقع ، دمشق ١٩٧٣ .

— Charles Ayoub : **Les Mandats Orientaux,** Paris 1924.

— Koliar : **Droit International et Histoire Diplomatique de 1815 à 1950,** Paris 1955.

— Ridslob : **Le Système des Mandats Internationaux,** Paris 1925.

— Zeindeen : **Le Régime du contrôle des Mandats.**

الانتدابات الدائمة (لجنة ـ) : رَ : عصبة الأمم

انتقال الأراضي (قانون ـ ١٩٢٠) :

كانت القوانين والأنظمة العثمانية عقبة أمام انتقال الأراضي إلى الصهيونيين ، فقد حصرت القوانين الانتقال برعاياها وفيهم الفلسطينيون . أما بالنسبة إلى الشركات فقد وضع القانون العثماني الصادر بتاريخ ٢٢ ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٩١٣م) المتعلق بحق الشركات في امتلاك الأراضي قيودا على الشركات التي تؤسس بقصد الزراعة من أهمها :

١) أن تكون أسهمها اسمية ، وهذا يحول دون حصول الأجانب عليها .

٢) أن يكون حامل الأسهم من التبعية العثمانية .

٣) أن يصرح في نظامها المصدق من الحكومة بصلاحيتها لتملك العقارات .

٤) ألاّ تكون الأراضي مجاورة للقدس .

وقد وصف وايزمن خطورة القوانين العثمانية التي ظلت نافذة في فلسطين لمدة قصيرة بقوله : "لا يمكن أن يكون في فلسطين وطن قومي بدون أرض . وإن تضييق هجرتنا لأسباب سياسية ، أو وضع قانون يجعلنا غير قادرين على شراء الأراضي اللازمة لإنشاء مستعمراتنا معناه الفعلي محو سياسة الانتداب نفسها " . لكن الإدارة العسكرية لفلسطين بين عامي ١٩١٨ و١٩٢٠ كانت إدارة مؤقتة تمثل مرحلة انتقالية . وإذا كانت قد قامت بتقييد عمليات شراء الأراضي ، وأقفلت دوائر السجل العقاري بعد أن نقل الأتراك أو أتلفوا بعض سجلاتها ، فإن هذه الدوائر عادت تفتح أبوابها في أيلول ١٩٢٠ بعد أن أصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني برئاسة مندوب سام بريطاني صهيوني هو هربرت صموئيل وقد استخدم هذا جميع سلطاته لتنفيذ المخططات الصهيونية ، ولا سيما في مجال تغيير القوانين العثمانية ، والاستعاضة عنها بقوانين جديدة تضفي الشرعية على عمليات انتقال الأراضي إلى الصهيونيين . فكان قانون انتقال الأراضي الذي صدر في أيلول ١٩٢٠ أول قانون يمهد الطريق أمام اليهود لامتلاك الأراضي . وكان ذلك إرضاء لوايزمن الذي ادّعى أن سبب الجمود الذي تعاني منه حياة البلاد الاقتصادية يرجع إلى إغلاق السجل العقاري ، وقال : " إن بناء الفنادق والمنازل وافتتاح المشاريع الصناعية والعمرانية وسواها من التحسينات التي تبرز الحاجة إليها ملحّة يجري وقفها نتيجة للقيود المفروضة على انتقال الأراضي " .

وزعم أو . أ. سكوت من موظفي وزارة الخارجية البريطانية أن هدف الإدارة من إصدار القانون وإعادة فتح دوائر السجلات العقارية هو مساعدة السكان أبناء البلاد وإعطاؤهم فرصة " إشباع حاجاتهم ، والاستقرار باطمئنان قبل بدء الهجرة الصهيونية التي من المحتمل أن يشرع بها فور تشكيل الإدارة المدنية " .

لكن الحقيقة كانت غير ذلك لأن قانون انتقال الأراضي وضع الشروط الملائمة لاستيلاء الصهيونيين على الأرض . فقد جاء في ديباجته " رئي من المناسب أن يصرح بمعاملات يكون الغرض منها استعمال الأرض وزرعها حالا " ، أي أن القانون سمح بتسجيل

أعمال البيع والشراء . وحدد في المادة السادسة شروط امتلاك الفرد العقارات بما يلي :

١) الإقامة في فلسطين .

٢) أن ينوي زراعتها أو إعمارها بنفسه حالا .

٣) ألاّ يزيد الحد الأقصى لمساحة الأرض المسموح بنقل ملكيتها على :

(١) ٣٠٠ دونم في الأراضي الزراعية .

(٢) ٣٠ دونماً داخل المدن .

أما الأراضي التي تزيد مساحتها على الحد الأعلى فقد أُعطِي المندوب السامي البريطاني سلطة الموافقة على انتقالها (المادة الثامنة) . وإذا كان المشتري غير مقيم في فلسطين تسجل الأرض باسم « المصلحة العامة » التي تعني في نظر المندوب السامي ـ كما حددها صك الانتداب * ووعد بلفور * ـ إنشاء الكيان الصهيوني في أوسع مساحة ممكنة من الأرض الفلسطينية . وإذا أضيف إلى هذا التفسير للمصلحة العامة السلطات الواسعة التي يتمتع بها المندوب السامي أمكن إدراك الخطورة الفعلية لهذا القانون لأن المندوب السامي لم يكن يتوانى عن إعطاء موافقته ، بل استغلال نفوذه ، لتمليك الصهيونيين أكبر مساحة ممكنة من الأراضي الزراعية في فلسطين .

عمد القانون الجديد إلى إزالة جميع القيود المفروضة على انتقال الأراضي إلى الشركات الصهيونية .فقد أجاز لأي شركة تشتغل بالصرافة أو بالأعمال التجارية أن تمتلك الأراضي للقيام بمشروعها ، إذ نصت المادة الثامنة على أنه " يجوز للمدير أن يخول أية شركة تتعاطى الصرافة حق ارتهان الأراضي ، وأن يجيز لأية شركة تجارية مسجلة في فلسطين امتلاك الأراضي الضرورية لمشروعها ، ويجوز له ـ مع مراعاة الشروط الواردة في القانون العثماني ـ أن يوافق على انتقال أية أرض ألى أية هيئة مسجلة " . فالقانون إذن اشترط الإقامة في فلسطين لبيع أية أرض إلى أية هيئة أو شركة مسجلة .

ولتنفيذ مخطط شركات الصرافة عملت إدارة المندوب السامي على إغلاق المصرف الزراعي ، وهو الوحيد في فلسطين . فاضطر الفلاح الفلسطيني إلى اللجوء إلى شركات الصرافة الصهيونية للحصول على القروض . وإذا لوحظت الفوائد العالية التي كانت تؤخذ على القروض ، والضرائب الباهظة التي كانت تثقل كواهل الفلاحين ، أمكن إدراك خطورة الأمر ، لأن قانون انتقال الأراضي نصّ على جعل المال غير المنقول مرتهناً ، بل أجاز بيع الأموال غير المنقولة تنفيذاً لحكم أو وفاء لرهن .

وقد تضمن قانون انتقال الأراضي لعام ١٩٢٠ بعض القيود التي تمنع المضاربات في شراء الأراضي ، ووجوب موافقة المندوب السامي على البيع ، لكن هذه القيود أتت شكلية . وعلى الرغم من ذلك أصدرت حكومة الانتداب عام ١٩٢١ ، بتأثير الصهيونيين ، تعديلاً ألغى المواد التي اعتبرها هؤلاء عقبة في سبيل تملكهم للأرض . وبهذا التعديل فتحت الأبواب على مصاريعها لحيازة الأرض العربية .

بعد تسع سنوات من وضع القانون موضع التنفيذ صرّح مدير دائرة الأراضي إلى لجنة شو* " أن القانون لم تتضح معالمه في حال من الأحوال " . وقد انتقلت مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية إلى اليهود (نحو نصف مليون دونم في منطقة الحولة ووادي الحوارث * ومرج ابن عامر *) . وجدير بالذكر أن هذه الأراضي كانت من أملاك أسر لبنانية وسورية تعيش خارج فلسطين .

لقد نتج عن عمليات الاستيلاء على الأراضي وجود طبقة من الفلاحين الذين لا يملكون الأرض ، فبين العائلات العربية البالغة ٨٦,٩٨٠ عائلة لم يكن ثلثها يملك أرضا لزراعتها والعيش منها . والأخطر من ذلك موقف الصهيونيين الذين كانوا يرفضون تشغيل العامل العربي . وهكذا غدت عملية تشريد الفلاحين ، بنتيجة هذا القانون وأمثاله ، خطرا سياسيا واجتماعيا على الشعب الفلسطيني .

المراجع :

ـ إبراهيم أبو لغد : تهويد فلسطين ،بيروت ١٩٧٢ .

ـ دورين انغرامز : أوراق فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٢٢ ، بذور القضية ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ نقابة المحامين الأردنية : موسوعة التشريع الأردني ، ج ٤، عمان .

ـ عادل حامد الجادر : التشريعات البريطانية لتهويد فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، عدد ١٣ ، بغداد ١٩٧٥ .

انتقال الأراضي (نظام ـ ١٩٤٠) :

قدر تقرير رسمي بريطاني نشره جون هوب سمبسون * عام ١٩٣٠ أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في فلسطين ـ إذا استثنيت منطقة بير السبع لاستحالة استغلالها ـ تبلغ ٦,٥٤٤,٠٠٠ دونم يملك اليهود منها مليوناً واحداً ، أي نسبة ١٤٪ . ونتيجة لسياسة الحكومة المنتدبة أصبحت فيما بعد الأراضي الصالحة للزراعة التي يملكها العرب لا تكفي للمحافظة على مستوى لائق لمعيشتهم . وقد اضطر عدد كبير منهم إلى ترك أراضيهم ، وأصبح ٢٩٪ من العائلات العربية بدون أرض . ومن هذا يمكن إدراك مدى الخطر الذي كان يتهدّد العرب في ضوء حقيقة أن الحركة

الاستيطانية الصهيونية آنذاك حرّمت استخدام العرب في مشاريعها . فقد جاء في دستور الوكالة اليهودية * " أن المبدأ العام الذي يتبع في جميع الأشغال او المشاريع التي تقوم بها الوكالة أو تنشطها هو استخدام العمال اليهود فقط " . فالعربي لم يحرم من الأرض فقط بل منع من العمل فيها أجيراً . هذا إضافة إلى الأوضاع السيئة التي كان الفلاح العربي يرزح تحتها ، والمتمثلة في إغراقه في الفقر والديون والضرائب وحرمانه من المساعدات المادية والعلمية التي كان ينعم بها الفلاح اليهودي . وقد اعترف سمبسون في تقريره بأن " البلاد لا تتسع لكائن جديد " وإثر ذلك أصدرت الحكومة المنتدبة الكتاب الأبيض عام ١٩٣٠ ، ونص على تحسين أساليب الزراعة لزيادة الفائدة من الأرض وحماية مستأجريها . ولكنه بقي حبراً على ورق (رَ : باسفيلد ، كتاب ـ الأبيض ١٩٣٠) .

ازدادت أوضاع المزارعين العرب سوءاً بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ نتيجة قيام شعب فلسطين بثورته الكبرى والإضراب الشامل الذي واكبها (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . ولقد قامت تلك الثورة احتجاجاً على استمرار تدفّق المهاجرين وانتقال الأراضي العربية إلى اليهود ، وإثقال كاهل الفلاح بالضرائب ، وإهمال إنشاء المصارف الزراعية ، مما جعل العرب يقعون فريسة لجشع المرابين الصهيونيين .

عندما اشتدت المعارك الحربية بين ثوار فلسطين من جهة والصهيونيين وحلفائهم الإنكليز من جهة أخرى ، كادت الأمور تفلت من يد الدولة المنتدبة في وقت كانت فيه الحرب العالمية الثانية على الأبواب ، وبريطانيا في أمسّ الحاجة لتحسين موقعها في المنطقة . لذلك عمدت الحكومة البريطانية ـ كعادتها ـ إلى إرسال لجنة تحقيق وإصدار توصيات لحل النزاع . وقد أرسلت هذه المرة لجنة بيل * عام ١٩٣٧ .

وما كاد تقرير بيل ينشر حتى عمّت الثورة المسلحة جميع أنحاء فلسطين ، في حين أعربت الدول العربية المجاورة لفلسطين عن عدم ارتياحها للتقرير ، فعادت بريطانيا لإصدار ما سمي الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ (رَ : ماكدونالد ، كتاب ـ الأبيض ١٩٣٩) محاولة منها لكسب العرب إلى جانبها في الحرب العالمية الثانية ، أو على الأقل جعلهم على الحياد . وفي إثر هذا الكتاب أصدرت بريطانيا نظام انتقال الأراضي في ١٩٤٠/٢/٢٨ . وجاء هذا النظام تنفيذاً للمادتين ١٦ و ١٧ من الكتاب الأبيض . وهو يهدف إلى تخفيف حدة التوتر وحالات العنف في البلاد . وقد قسمت فلسطين بموجبه إلى مناطق هي :

١) المنطقة الأولى : تشمل المناطق الجبلية الفقيرة اقتصادياً والقسم الجبلي الداخلي ومنطقة الجليل الغربي وجزءاً من منطقة غزة وبير السبع . وفي هذه المناطق يمنع انتقال الأراضي إلاّ إلى العربي الفلسطيني ، مع وجود بعض الحالات الاستثنائية ، إذ مُنح المندوب السامي في البند (د) من المادة الثالثة سلطة تخوّله السماح بنقل ملكية الأرض إلى غير العرب الفلسطينيين . وكثيراً ما استغل المندوب السامي هذه السلطة لنقل الأراضي إلى اليهود . وأمثلة ذلك كثيرة منها أن المندوب السامي أصدر أمراً " بالسماح بانتقال أية أرض " من أراضي قرية العنب (أبو غوش) " أو أي جزء منها أو أي حق فيها أو في قسم منها لأي شخص ليس من العرب الفلسطينيين " .

٢) المنطقة الثانية : وتشمل مرج ابن عامر * وشرقي الجليل والسهول الساحلية الممتدة من حيفا * والطنطورة * وجنوب الرملة إلى القسم الجنوبي من قضاء بير السبع . وتقيّد فيها عملية انتقال الأراضي التي يملكها الفلسطينيون العرب إلى اليهود بموافقة المندوب السامي . ومما يجدر ذكره أن المندوب السامي كان يمنح موافقته لغير العرب بحجة توحيد أو توسيع أو تسهيل شؤون أي ممتلكات تكون في ذلك الحين بتصرف المنقول إليه ، أو بتصرف طائفة خاصة ، إذا كانت مجاورة لتلك الممتلكات ، لأجل مشاريع العمران أو الإفراز . إضافة إلى أن المادة الرابعة من نظام انتقال الأراضي تجيز انتقال الأراضي التي يملكها العرب غير الفلسطينيين ، كالعائلات اللبنانية والسورية ، إلى اليهود .

٣) المنطقة الثالثة : تشمل جميع مناطق البلديات ، ومنطقة حيفا الصناعية ، وبصورة عامة الساحل الفلسطيني من الطنطورة إلى الحد الجنوبي لقضاء الرملة . وهذه المناطق لا تنطبق عليها القيود المفروضة على المنطقتين الأولى والثانية . فانتقال الأراضي فيها إلى اليهود كان مباحاً بلا قيد ولا شرط .

يرى المدقق في هذا النظام أنه اعتمد على نيات المندوب السامي وخوّله سلطة السماح بانتقال الأراضي أو منعه . وقد جاءت الوقائع تؤكد أن المندوبين السامين لم يتركوا فرصة إلا أكّدوا فيها ، بالفعل لا بالقول ، تعاطفهم مع اليهود فسمحوا لهم بامتلاك الأراضي العربية . إلى جانب ذلك كانت الأراضي الزراعية الجيدة الموجودة في المنطقة الثانية التي هي ممتلكات للعرب غير الفلسطينيين أجازت المادة الرابعة من نظام انتقال الأراضي انتقالها . ولم يكتف الصهيونيون بذلك كله بل تمكنوا ، بمساعدة المندوب السامي وسلطاته الواسعة ، من امتلاك مساحات واسعة من الأراضي الأخرى في الأقسام المحظور نقل الملكية فيها إلى غير العرب . واستطاعت الشركات الصهيونية الاحتيال على نظام انتقال الأراضي للعرب الفلسطينيين ، وابتاعت الكيرين كايمت * بين

عـامي ١٩٤٠ و١٩٤٧ حـوالي ٨٢,٥٠٠ دونم في المنـاطق الأولى والثانية ، إضافة إلى ٧٠,٠٠٠ في المنطقة الثالثة .

المراجـع :

ـ جلال يحيى : مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية ، الإسكندرية ١٩٦٥ .
ـ عادل حامد الجادر : التشريعات البريطانية وتهويد فلسطين ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد الثالث ، كانون الأول ١٩٧٥ ، بغداد ١٩٧٥ .
ـ عمر رشدي : الصهيونية وربيبتها إسرائيل ، القاهرة ١٩٦٥ .

الإنجيـل : رَ : المسـيحية

إنْـدور (قـريـة ـ) :

قرية عربية تقع في جنوب شرق الناصرة * ، وتبعد عنها قرابة ٢٢ كم عن طريق العفولة * منها ٢٠ كم طـريق معبدة من الـدرجـة الأولى وكيلومتـران غـير معبـدين . وكان خط أنابيب نفط العراق يمرّ على بعد نحو ٢,٥ كم شمالي القرية .

أنشئت إندور في القسم الجنوبي من جبال الجليل * (الجليـل الأدنى) فوق سـطح ينحـدر نحـو الشمـال الشـرقي على ارتفاع ٢٠٠ م عن سـطح البحرّ ، ويقـع جبـل الـدحي (٥١٥ م) وتـل العجول (٣٣٢م) في جنوبهـا الغربي . أمـا تـل الصّيـرة (٣٣٩ م) فيقـع في جنوبها على بعد ١,٥ كم . وتبدأ من أراضيها عدة أودية ترفد وادي البيرة * الذي يصب في نهر الأردن * جنوبي جسر المجـامع . وأهم هـذه الأودية وادي عـين الصّفصافـة ، ووادي خلّة الشيخ حسن ، ووادي دبـوش الـذي يكـوّن الحد الفـاصل بـين أراضيها وأراضي قرية نـين الواقعة في غرب القرية مـع الانحراف نحـو الجنوب . وتقع عين الصّفصافة على بعد قـرابة كيلو مـتر واحد شمـالي شرق القرية .

كانت إندور قائمة على بقعة بلدة كنعـانية تـدعى عين دور أي عـين المأوى . وذكـرها الفـرنجة * في العصـور الوسـطى بـاسمهـا الحـالي ، مما يـدل على أنها حـافظت عـلى اسمها ردحـاً طويـلاً من الزمن .

في قرية إندور بقايا بعض المغاور والصهـاريج والمـدافن . وفي الطرف الجنوبي الغربي منها تل أثري يدعى تل العجول ،وهوغير تل العجول الذي يقع قرب غزة * (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

الشكل العام للقرية شريطي ، وتمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمـال الغربي ، ويتفق ذلـك مع اتجـاه السفح الـذي تقـع عليـه القرية . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ٧٥ مسكنـاً بنيت من مواد البنـاء المختلفـة كـالحجـارة والإسمنت ، أو الحجـارة والـطين ، او الإسمنت المسلح . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٢٩ دونماً ، ومساحة أراضيها ١٢,٤٤٤ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

عاش في إنـدور ٣١١ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ،وارتفع عددهم إلى ٤٥٥ نسمة في عـام ١٩٣١ ، وإلى ٦٢٠ نسمة في عـام ١٩٤٥ .

ضمّت القـريـة مـدرسـة ابتـدائيـة للبنـين أنشئت في العهـد العثماني ، وكان يدرس فيها أيضاً أطفال قرية نين ، ولكنها أغلقت في العهد البريطاني .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة * وخاصـة الحبوب * ، وفي مـوسم ١٩٤٢ / ١٩٤٣ كان فيهـا ١٨٠ دونماً مـزروعـة زيتـونـاً * مثمـراً ، وفي عام ١٩٤٥ كـان فيها ٢٤ دونمـاً مزروعـة بـرتقـالاً ، وزرعت أنواع أخرى من الأشجار المثمرة ، وتركزت بساتين الأشجار المثمرة في شرق وجنـوب وغرب القـرية ، وحـول عين الصفصـافة شمـالي شرق القـرية . وإلى جـانب ذلك عمـل السكان في تـربيـة المواشي .

شهـدت القـريـة في ليلة ١٩٣٦/٨/٢٩ معـركـة بـين الثـوار الفلسطينيين والجيش البريطاني أسقطت فيها طائرة بريطانيـة فانتقم البريطانيون بنسف بعض منازل القرية وفرض الغرامات الماليـة على سكانها (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) .

احتل الصهيونيون هذه القرية العربية عام ١٩٤٨ وتـركوا فيها سكانها العرب الذين بلغ عددهم ٢٩٩ نسمة في ١٩٤٩/١٢/٣١ . لكنهم عادوا فطردوهم فيما بعد .

المراجـع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة أندور .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة العفولة .
ـ الوقائع الفلسطينية : العدد ١٣٧٥ ، الملحق رقم ٢ ، ١٩٤٤ .

أنشـــاص (مؤتمر ـــ) :

تحت وطأة الحملات ضد الدول العربية وجامعة الدول العربية إثر ظهور تقرير لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية المشتركة في ١٩٤٦/٤/٢٢ (رَ : الأنكلو ـ أمريكية ، لجنة التحقيق ـــ) شعر المسؤولون العرب بأن الظرف القائم يحتم عليهم توكيد تمسكهم بقضية فلسطين ، وإقناع الرأي العام العالمي والعربي بأنهم حريصون على سلامة هذه القضية ، وأنهم يعتزمون القيام بأعمال جدية لإنقاذها ، فتقرر دعوة مجلس جامعة الدول العربية إلى عقد دورة استثنائية في بلودان بسورية في ١٩٤٦/٥/١٨ (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٤٦) .

ويبدو أن رؤساء الدول العربية أنفسهم أقلقهم الأمر ، وشعروا بخطورة الحملات الموجهة إلى الدول العربية والجامعة ، وأدركوا أنهم أنفسهم لم ينجوا من هذه الحملات ، فقرروا وجوب العمل على

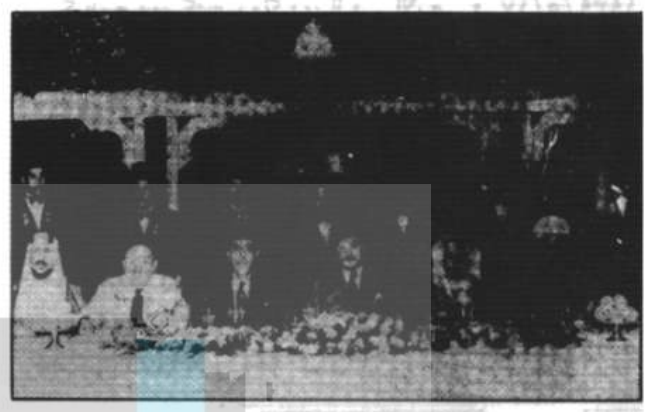

إقامة الأدلة على صدق نياتهم واستعدادهم للعمل المجدي المفيد .

جرت اتصالات مستعجلة بين رؤساء الدول العربية لتدارك الموقف . وقام الأمين العام للجامعة ببذل الجهود والمساعي لإقناع رؤساء الدول العربية بوجوب عمل شيء ما ، واقترح عقد مؤتمر لهم .

وقد تم الاتفاق بين الرؤساء العرب على عقد مؤتمر قمة لهم ، هو في الحقيقة أول مؤتمر قمة عربي ، في أنشاص قرب القاهرة بمصر في ١٩٤٦/٥/٢٧ . وتقرر إرجاء موعد الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية إلى ما بعد انعقاد مؤتمر القمة .

عقد مؤتمر القمة في أنشاص واستمر يومي ٢٧ و٢٨ أيار ١٩٤٦ . وقد اشترك فيه ملوك ورؤساء مصر والسعودية واليمن والعراق والأردن وسورية ولبنان . وألقى الأمين العام لجامعة الدول العربية بيانا مطولاً عن الأوضاع العربية عامة وأوضاع فلسطين خاصة . وعند انتهاء المؤتمر صدر بيان يعلن أن الملوك والرؤساء العرب قرروا :

١) رفض تقرير لجنة التحقيق البريطانية ـ الأمريكية المشتركة .

٢) التمسك باستقلال فلسطين وصيانة عروبتها .

كذلك تناول الملوك والرؤساء بالبحث في مؤتمرهم موضوع الاختلافات الناشبة بين الفلسطينيين فقرروا وجوب العمل على إزالة هذه الاختلافات وأسبابها ، وتشكيل هيئة فلسطينية تمثل جميع الفلسطينيين وتنطق باسمهم . وأحيل هذا القرار إلى مجلس جامعة الدول العربية لوضعه موضع التنفيذ .

وجددت الدعوة لعقد دورة استثنائية لمجلس الجامعة ، وتقرر عقدها في بلودان في ١٩٤٦/٦/٨ .

أنطـــون داود (١٩٠٩ ـ ١٩٦٩) :

مناضل فلسطيني من أسرة عربية فلسطينية هاجرت من مدينة بيت لحم • واستقرت في بوغوتا عاصمة جمهورية كولومبيا في أمريكا اللاتينية وفيها ولد ونشأ وتعلم .

عاد إلى فلسطين سنة ١٩٣٦ ليشارك في ثورة شعبه (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . وبعد أن توقفت هذه الثورة اشتغل سائقا للقنصل الأمريكي العام في القدس ، وكان هذا القنصل يتردد دائما على دار الوكالة اليهودية • للاتصال بالمسؤولين فيها ، ولذا كان حرس الوكالة يعرفون أنطون داود .

بعد قرار تقسيم فلسطين • أخذ يعمل سرا مع المناضلين العرب . وفي ١٩٤٨/٣/١١ عبّأ سيارة القنصل بالمتفجرات الموقوتة ودخل بها دار الوكالة وتركها هناك فانفجرت ، ودمرت الجناح الشمالي لدار الوكالة تدميراً كاملاً ، وصدّعت باقي الأقسام ، وشبّ حريق هائل أتى على أكثر الملفات والسجلات ، كما دمرت في الانفجار عمارة صحيفة الجيروزاليم بوست ، وأصيبت بنايات أخرى بأضرار جسيمة ، وقتل نحو ٣٦ صهيونياً كان من بينهم عدد من المسؤولين في الوكالة اليهودية ، وجرح ٤٠ آخرون (رَ : الوكالة اليهودية ، نسف مبنى) .

وبعد نكبة سنة ١٩٤٨ نزل أنطون داود القاهرة ، ثم عاد سنة ١٩٥٠ إلى بوغوتا . وقد انضم إلى الثورة الكوبية بقيادة فيدل كاسترو وحمل رتبة كولونيل .

بقي بعض الوقت في كوبا ، ثم عاد إلى المشرق العربي للمشاركة في الثورة الفلسطينية الحالية . وزار الكويت ثم جاء الأردن حيث وافته المنية في ١٩٦٩/٨/٤ .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٨ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

أنطيوخس العسقلاني (ـ ٦٩ م) :

ولد في عسقلان على ساحل البحر المتوسط بين يافا * وغزة * . أسس الأكاديمية الخامسة في أثينا ، كما أسس غيرها من المدارس الفلسفية القائمة على نظرية الانتقال من الشك إلى اليقين (رَ : عسقلان ، أكاديمية) . ويعدّ بحق من عباقرة الفلسفة اليونانية الذين كان لهم الباع الطويل في تطويرها . من أهم تلامذته الكاتب الروماني المعروف شيشرون الذي كتب حول معلمه ملاحظات هامة .

الإنقاذ : رَ : جيش الإنقاذ

إنقاذ أراضي فلسطين (لجنة ـ) :

رَ : الأمة (صندوق ـ)

إنقاذ فلسطين (جمعية ـ) :

شكلت في أربعينات هذا القرن في العراق لجان وجمعيات على المستوى الرسمي والشعبي لنصرة الشعب العربي الفلسطيني . ومن هذه اللجان " لجنة الأحزاب العراقية للدفاع عن فلسطين " التي تألفت على أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الأنكلو ـ أمريكية * احتجاجا على مقترحات هذه اللجنة . وقد حلّت لجنة الأحزاب العراقية نفسها في ١٩٤٦/٨/١٤ على أن يستقل كل حزب بأسلوب معالجته قضية فلسطين في ضوء خطته السياسية .

ثم آلت اختصاصات لجنة الأحزاب العراقية إلى جمعية الدفاع عن فلسطين التي شكلت في العراق بعد انعقاد مجلس جامعة الدول العربية في بلودان (سورية) في حزيران سنة ١٩٤٦ (رَ : بلودان ، مؤتمر) .

وفي كانون الأول سنة ١٩٤٧ تأسست جمعية إنقاذ فلسطين ، ومركزها العام في بغداد . أما غرضها فكان العمل على إنقاذ فلسطين من الصهيونية عن طريق :

١) جمع المال والتبرعات بالوسائل المشروعة .

٢) التعاون مع المؤسسات والهيئات التي تتفق مع هذه الجمعية في غايتها داخل العراق وخارجه .

٣) بث الدعوة لنصرة فلسطين ، وتحقيق غاية الجمعية بالاستعانة بجميع وسائل النشر والدعاية .

أصدرت الجمعية عدة منشورات ومطبوعات أهمها كتاب " ١٥ أيار ١٩٤٨ كارثة فلسطين " الذي ألفه محمود فهمي درويش سكرتير الجمعية وتناول فيه أهم أحداث فلسطين في تلك المرحلة ومعارك القوات العربية في الجبهات الفلسطينية (رَ : حرب ١٩٤٨) .

وقد حلّت الجمعية في عام ١٩٦٥ لأنها ـ استناداً إلى قانون الجمعيات رقم ١ لسنة ١٩٦٠ ـ لم تمارس أعمالها مدة تزيد على سنة .

المراجع :

ـ نظام جمعية إنقاذ فلسطين في العراق ، بغداد ١٩٥٤ .

ـ محمود فهمي درويش : ١٥ أيار ١٩٤٨ كارثة فلسطين ، بغداد ١٩٤٩ .

الأنكلو ـ أمريكية (لجنة التحقيق ـ) :

كان صدور كتاب ماكدونالد * الأبيض في ١٩٣٩/٥/١٧ مؤشراً على استنفاد الصهيونية للدور البريطاني في خدمة أهدافها في فلسطين . وكان واضحا أن هذا الكتاب الأبيض ، رغم ما قوبل به من رفض عربي ، لا يماشي الأهداف الصهيونية ، وخاصة لتحديده الهجرة اليهودية إلى فلسطين خلال السنوات الخمس التي تلي سنة إصداره بخمسة وسبعين ألف نسمة فقط ، ووضعه قيوداً على عمليات انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود .

وكان هذا الكتاب الأبيض محاولة واضحة من بريطانيا لامتصاص النقمة العربية التي تفاقمت بعد فشل مؤتمر لندن * لحل القضية الفلسطينية (٢/٧ ـ ١٩٣٩/٣/١٧) ، لكنه لم يَحُل دون أن تحقق الصهيونية أهدافها . فقد أدى نشوب الحرب العالمية الثانية وتسلم تشرشل المعروف بميوله الصهيونية لمقاليد الحكم في بريطانيا (أيار ١٩٤٠) ، وخمود الثورة الفلسطينية بعد أن استنزفت قوتها وتعرض قادتها للتصفية والملاحقة ، ولجوء الصهيونية إلى العنف في مواجهة الانتداب البريطاني وقيام منظمات الهاغاناه * والشتيرن * والإرغون تسفاي لئومي * الصهيونية بسلسلة من أعمال العنف ضد الحكومة البريطانية وسلطات الانتداب ، أدى ذلك كله إلى تمكين الصهيونية من مواصلة تحقيق أهدافها في فلسطين .

ولم يحل الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ دون أن تستمر بريطانيا في تقديم العون والتسهيلات اللازمة لليهود في فلسطين . وكان في مقدمة ذلك تأليف اللواء اليهودي * عام ١٩٤٤ واستمرار تدفق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * .

وخلال الفترة الممتدة من صدور الكتاب الأبيض وحتى انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج الولايات المتحدة الامريكية منها قوية ظافرة أخذت الحركة الصهيونية تراهن على الحصان الأمريكي

إحساساً منها ببداية نهاية الدور البريطاني في خدمة الحركة الصهيونية . وقد ركّزت الحركة الصهيونية نشاطاتها لكسب الولايات المتحدة لتكون بديلا عن بريطانيا في خدمة الأهداف الصهيونية مستثمرة المطامع الأمريكية في المنطقة العربية مستغلة في الوقت نفسه حاجة بريطانيا إلى المساعدات الأمريكية بعد أن خرجت من الحرب مهيضة الجناح مدمرة الاقتصاد.

وكان مؤتمر بلتمور في نيويورك (رَ : برنامج بلتمور ١٩٤٢) البداية العلنية للتحرك الصهيوني باتجاه الولايات المتحدة بعد محاولات مستمرة تمكنت خلالها الحركة الصهيونية من التغلغل في مراكز القوى في الإدارة الأمريكية (رَ : الولايات المتحدة الأمريكية). وقد استمر هذا التحرك في التنامي على مختلف الصُعُد حتى وصل إلى قمة إنجازاته بتولي الرئيس ترومان الحكم في الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ .

ظهرت أول استجابة أمريكية رسمية وعلنية كاملة للضغوط

الصهيونية في ١٩٤٥/٨/٣١ حين طلب ترومان من رئيس وزراء بريطانيا كليمنت أتلي السماح بإدخال مائة ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين . وقد استغلت بريطانيا هذا الطلب ، رغم معارضتها الظاهرة للتدخل الأمريكي فيما اعتبرته من شؤونها الخاصة ، فسعت للحصول على المساعدات الأمريكية . ووجدت في الوقت نفسه أن هذا التدخل الأميركي سيتيح لها التخلص من الانتداب الذي حققت هي والصهيونية الغرض منه فاقترحت على لسان وزير خارجيتها بيفن (١٩٤٥/١١/١٤) إرسال لجنة تحقيق إنكليزية - أمريكية مشتركة تكون الرئاسة فيها دورية لبحث مسألة يهود أوربا ، وللقيام باستعراض آخر لمشكلة فلسطين . وحدد بيان بيفن عمل اللجنة على النحو التالي :

١) فحص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين ، وتأثيرها على الهجرة والاستيطان اليهوديين .

٢) فحص حالة اليهود في الأقطار الأوربية حيث كانوا ضحية للاضطهاد النازي والفاشي ، والتدابير التي اتخذت أو المنويّ اتخاذها لإنقاذهم ، وتقدير عدد الذين يودّون منهم الهجرة إلى فلسطين أو غيرها من الأقطار .

٣) سماع آراء الشهود من ممثلي العرب واليهود بشأن مشكلات فلسطين وعلاقتها بأحوال اليهود ، وتقديم التوصيات لحكومتي بريطانيا والولايات المتحدة لمعالجة هذه المشكلات .

وفي ١٩٤٥/١٢/١٠ أعلن في كل من لندن وواشنطن عن تشكيل لجنة التحقيق الأنكلو - أمريكية من ١٢ عضوا نصفهم من البريطانيين ونصفهم الآخر من الأمريكيين . وتذهب المصادر التاريخية الموثوقة إلى أن معظم أعضاء اللجنة كانوا منحازين إلى وجهة النظر الصهيونية .

بدأت اللجنة عملها في ١٩٤٦/١/٤ في واشنطن وسط جو من الضغوط الصهيونية المحمومة . وعقدت عدة جلسات لم تسمع فيها كلمة واحدة تمثل وجهة النظر العربية . ثم اتجهت اللجنة إلى لندن حيث بدأت عقد جلساتها في ٢٥ كانون الثاني وسط جو مماثل من التطرف الصهيوني . وفي ١٩٤٦/٢/٤ انقسمت اللجنة إلى عدة لجان لزيارة مختلف الدول الأوربية بحجة الاطلاع على أوضاع اللاجئين اليهود في كل من ألمانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا وإيطاليا واليونان . واستمرت هذه الجولات حتى ٢٨ شباط حين اتجهت اللجنة إلى القاهرة واستمعت إلى وجهة نظر جامعة الدول العربية بلسان أمينها العام عبد الرحمن عزام . ثم توجهت اللجنة إلى فلسطين ولبنان وسورية والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن .

وفي فلسطين اجتمعت اللجنة باللجنة العربية العليا لفلسطين * التي أدلت بشهادتها وقدمت تقريراً ضافياً يشرح مراحل القضية الفلسطينية ومطالب الشعب العربي الفلسطيني ، في حين قاطع اللجنة حزب الكتلة الوطنية * وعصبة التحرر الوطني * وبعض الشخصيات الفلسطينية .

غادرت اللجنة فلسطين في ١٩٤٦/٣/٢٨ متوجهة إلى سويسرا حيث عكفت على كتابة تقريرها الذي أصدرته في ١٩٤٦/٤/٢٠ .

جعلت اللجنة تقريرها في مقدمة وعشر توصيات وبعض الملاحق . وجاءت كل توصية مشفوعة بتعليق . وفيما يلي موجز لأهم هذه التوصيات :

١) المعضلة الأوربية : لا يمكن الاعتماد على فلسطين وحدها في حل مشكلة اللاجئين اليهود ، ويبدو أن الأكثرية الساحقة منهم ستبقى في أوربا . ولذا فإن اللجنة توصي كلاً من بريطانيا وأمريكا

بالسعي لإيجاد مساكن جديدة لليهود ، والسعي لضمان أحكام ميثاق الأمم المتحدة .

٢) هجرة اليهود إلى فلسطين : دعت اللجنة إلى إصدار إجازة سريعة تبيح لليهود الهجرة إلى فلسطين . وقدرت العدد المطلوب السماح له بمائة ألف مهاجر (وهو الرقم الذي كان يطالب به ترومان) .

٣) لا دولة عربية ولا دولة يهودية : رفضت اللجنة فكرة أن تكون فلسطين دولة يهودية أو دولة عربية ، وقالت إن الشكل النهائي للحكم يجب أن يضمن مصالح الديانات الثلاث ، الإسلام والمسيحية واليهودية .

٤) الانتداب ووصاية الأمم المتحدة : استمرار الانتداب البريطاني إلى أن يتم الاتفاق على تنفيذ وصاية الأمم المتحدة .

٥) سياسة الهجرة المستقلة : مطالبة سلطات الانتداب بتسهيل الهجرة اليهودية ، مع عدم الإضرار بحقوق الطوائف الأخرى .

٦) سياسة الأراضي : طالبت اللجنة بإلغاء القوانين المتعلقة بانتقال ملكية الأراضي الصادرة عام ١٩٤٠ (رَ : انتقال الملكية ، نظام ١٩٤٠) وذلك يعني إلغاء القيود التي وضعها الكتاب الأبيض على عمليات بيع الأراضي .

أما التوصيات الأخرى فهي تتعلق بالتطور الاقتصادي والتعليم والحاجة إلى استتباب السلم في فلسطين .

سارع الرئيس الأمريكي ترومان إلى الترحيب بالتقرير بعد نشره ، وألّف لجنة وزارية ذات سلطات واسعة لتنفيذ توصيات اللجنة ، ولا سيما التوصية المتعلقة بتهجير مائة ألف يهودي حالا . أما رئيس الوزراء البريطاني كليمنت أتلي فقد دعا إلى الأخذ بالتقرير كله لا ببعضه . وأعلنت الحكومة البريطانية عن رغبتها في التعاون مع الولايات المتحدة لمواجهة أعباء القضية الفلسطينية .

استقبلت الحركة الصهيونية التقرير بالترحاب ، وطالبت بسرعة تنفيذ ما يتعلق بالهجرة وحرية انتقال ملكية الأراضي .

أما العرب فقد كان وقع التقرير عليهم صاعقا وعنيفا ، فأعلنت فلسطين الإضراب العام يوم ١٩٤٦/٥/٣ ، وعقدت اللجنة العربية العليا جلسة في ١٩٤٦/٥/١ قررت فيها رفض التقرير ، وأرسلت المذكرات وبرقيات الاحتجاج ، وعمّ السخط أنحاء البلاد العربية كلها . وقامت المظاهرات في كل من سورية ولبنان ومصر وشرق الأردن ، وعقد في مصر مؤتمر أنشاص * للملوك ورؤساء الدول العربية ، وعقدت جامعة الدول العربية مؤتمراً على مستوى رؤساء الوزارات ووزراء الخارجية في بلودان * ١٩٤٦/٦/٨ ، واتخذ الكثير من القرارات العلنية والسرية .

لكن ذلك كله لم يَحُل دون تنفيذ توصيات اللجنة واستمرار التنسيق البريطاني ـ الأمريكي في التآمر على الشعب الفلسطيني ، ذلك التآمر الذي تبلور لاحقا في مشروع موريسون * ثم في قرار التقسيم * .

المراجع :

ـ عبد الوهاب الكيالي : الموجز في تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧١ .

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٠ .

ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين ١٩٤٦ ـ ١٩٥١ ، القاهرة .

ـ أميل توما : ستون عاما على الحركة القومية العربية الفلسطينية ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ فلاح خالد علي : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٣٩ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨٠ .

ـ هنري كتن : فلسطين في ضوء الحق والعدل ، بيروت ١٩٧٠ .

أنور السادات (مشروع ـ) :

أعلن الرئيس المصري أنور السادات في ١٩٧١/٢/٤ ضمن سلسلة مبادرات إحلال السلام في الشرق الأوسط " أن مصر تعتبر نفسها ملتزمة بمسؤولية تحرير جميع الأراضي العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ " . ولكنه أعلن استعداده لقبول نداء الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت بضرورة وقف إطلاق النار على قناة السويس . وقد وافق الرئيس المصري بالفعل على وقف لإطلاق النار لمدة ٣٠ يوماً فقط من تاريخ خطابه ، وقال : " إننا نرغب أن يتحقق في هذه الفترة انسحاب جزئي للقوات الإسرائيلية على الشاطىء الشرقي للقناة ، وذلك كمرحلة أولى على طريق جدول زمني يتم وضعه بعد ذلك لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ . وإذا تحقق ذلك فإننا على استعداد أن نبدأ فوراً تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية وإجراء اتصالات دولية " . وأضاف : "إن الموقف يتلخص في حقيقتين ، الأولى : إن وقف إطلاق النار ليس هو القضية ، ولكن القضية هي تحرير الأراضي العربية كلها ، ورد الحق العربي لشعب فلسطين ، والثانية : إننا مقتنعون بأن العدو لن يرتدع بغير القوة ولن يتراجع إلاّ تحت ضغطها " .

وجاء الرد الإسرائيلي بعد أيام قليلة من خطاب الرئيس السادات مخيباً لآمال الرئيس المصري . ففي ١٩٧١/٢/٩ ألقت رئيسة وزراء (إسرائيل) غولدا مائير خطابا أمام الكنيست * الإسرائيلية رفضت فيه مقترحات الرئيس المصري ، وأتبعت ذلك بطرح مشروع إسرائيلي مضاد . وقالت غولدا مائير إنها على استعداد

للتفاوض مع السادات حول موضوع تنظيف قناة السويس للملاحة الدولية ، وطالبت بضرورة السماح لسفن (إسرائيل) بعبور القناة . وقد رد المسؤولون المصريون على ذلك بأن السفن الإسرائيلية سيكون بإمكانها استعمال قناة السويس إذا ما فتحت . ولكن ذلك لن يكون إلاّ بشرط حل مشكلة " اللاجئين الفلسطينيين " .

وعاد الرئيس المصري أنور السادات فشرح الأبعاد الحقيقية والكاملة لموقف مصر من الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، وذلك في مقابلة صحفية مع مراسل مجلة نيوزويك الأمريكية بتاريخ ١٩٧١/٢/١٥ جاء فيها : " ما نص عليه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ واضح وكامل ، ولكني ما زلت أنبّه إلى أن حقوق شعب فلسطين هي أساس المشكلة . . لست في حل من أن أقرر شيئاً للفلسطينيين . لا بد أن يقرروا هم بأنفسهم لأنفسهم " .

لكن (إسرائيل) رفضت من جديد أي اعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . ففي ١٩٧١/٤/٤ أعلنت غولدا مائير أن نهر الأردن * يشكل الحدود الشرقية (لإسرائيل) ، وأن الجولان * إسرائيلية ، وأن قطاع غزة إسرائيلي . أما سيناء فإنه يمكن التفاوض بشأنها .

لكن الرئيس السادات عاد مرة أخرى في مقابلة صحفية مع مراسل المجلة الأمريكية السابقة نشرتها الأهرام في ١٩٧١/١٢/٧ فطالب (إسرائيل) بأن تقوم بانسحاب جزئي من سيناء ، وهدد باستعمال القوة لتحرير الأرض .

شهد عام ١٩٧٢ محاولات متعددة من الرئيس أنور السادات لحمل أمريكا على الضغط على (إسرائيل) من أجل تحقيق تسوية سلمية . لكنه لم يجد آذاناً صاغية لدى المسؤولين الأمريكيين الذين نصحوه باتباع " سياسة الأمر الواقع والدخول في مفاوضات ثنائية مع الحكومة الإسرائيلية " . عندها بدأ الرئيس المصري يستعد مع سورية لمعركة عسكرية ضد (إسرائيل). وجاءت حرب ١٩٧٣ * لتثبت مقدرة الأمة العربية على الدفاع عن حقوقها ، وتمكنت القوات العربية أثناء الحرب من تحقيق انتصارات عسكرية كان بالإمكان أن تحقق انتصارات سياسية لو أحسن استغلالها . إلاّ أن الرئيس المصري فاجأ العالم بعد عشرة أيام من القتال ، أي في ١٩٧٣/١٠/١٦ ، ووجه نداءه من " أجل السلام " من على منبر مجلس الأمة المصري . وقد طرح الرئيس السادات في ندائه شروطه لوقف القتال وتحقيق السلام مع العدو الصهيوني . ومن بين هذه الشروط :

١) انسحاب (إسرائيل) الكامل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧/٦/٥ بإشراف دولي .

٢) عقد مؤتمر دولي تحت إشراف الأمم المتحدة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط ، على أن يشترك في المؤتمر " ممثلو الشعب الفلسطيني " .

وفي ١٩٧٣/١٠/٢٢ قرر مجلس الأمن الدولي الموافقة على مشروع سوفياتي ـ أمريكي حول تسوية النزاع في الشرق الأوسط ، وحمل القرار رقم ٣٣٨ . ويقضي هذا المشروع بإجراء مفاوضات بين الأطراف ذات العلاقة في نزاع الشرق الأوسط لإقامة سلام عادل وشامل .

في ١٩٧٣/١١/١٥ نشرت وكالات الأنباء تصريحاً لأحد أعضاء مركز الدراسات الاستراتيجية في واشنطن جاء فيه : "إن الولايات المتحدة تقوم حاليا بوضع مشروع تسوية سلمية لأزمة الشرق الأوسط على أساس إنشاء دولة فلسطينية في الضفة الغربية لنهر الأردن وقطاع غزة مقابل اعتراف عربي بإسرائيل . ويتضمن مشروع أمريكا محاولة إخراج مصر من النزاع العربي ـ الإسرائيلي بطريقة حاسمة ونهائية عن طريق ممارسة الضغوط على إسرائيل لقبول مبدأ سيادة مصر على شبه جزيرة سيناء " .

سار الرئيس السادات بعد ذلك في طريق الاستسلام للعدو ومطالبه فوقّع على اتفاقيتي كامب ديفيد * ، ثم على معاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * في ١٩٧٩/٣/٢٦ مضحيا بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، ولا سيما حقه في العودة وتقرير المصير ، ومنفصلا عن مسيرة الأمة العربية ونضالها من أجل حقوقها .

المرجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الأهالي (حزب ـ) :

أنشىء هذا الحزب في نابلس * سنة ١٩٢٥ ، وكان لعبد اللطيف صلاح * وعادل زعيتر * الفضل الأكبر في ذلك ، وقد انضوى تحت لواء الحزب بعض الأشخاص البارزين من مدينة نابلس .

تبنّى الحزب في منهاجه سياسة وطنية من أسسها إلغاء وعد بلفور * ونظام الانتداب ، وقيام حكم وطني برلماني دستوري في فلسطين ، والحدّ من الهجرة اليهودية ، وتحديد بيع الأراضي .

قام الحزب ببعض النشاط السياسي الوطني فقدّم المذكرات والمطالب ، واحتجّ على مواقف سلطات الانتداب . لكن هذا النشاط لم يدم طويلاً وأخذ يتضاءل في عام ١٩٢٧ .

المرجع :

ـ عادل حسن غنيم : الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ـ ١٩٣٦ .

أوربا الشرقية (دول ــ) :

صوتت دول أوربا الشرقية الأعضـاء في الأمم المتحدة في عـام ١٩٤٧ عـلى قرار جمعيتهـا العـامـة بتقسيم فلسـطين * ، بـاستثنـاء يوغسلافيا * التي امتنعت عن التصويت . كـما أقدمت هـذه الدول على الاعتراف (بإسرائيل) بعد إعلان قيامها في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وهي ما زالت تعترف بوجودها . كما أقامت معها علاقات دبلوماسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية . وقد حاربت (إسـرائيل) الجيوش العربيـة عام ١٩٤٨ بسـلاح ورد قسم منه من بعض هـذه الـدول كتشيكوسلوفاكيا وبولونيا .

كـذلك صـوتت جميع دول أوربـا الشرقيـة الأعضـاء في الأمم المتحدة في عام ١٩٤٩ على قرار الجمعية العامة بقبول (إسـرائيل) عضوا فيها ، رغم ما شاب هذا القبول من مطاعن سياسية وقانونية (رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية) .

لكن هـذه الدول أيـدت في الوقت نفسـه الموقف العـربي من بعض قرارات الأمم المتحـدة كـالقـرار رقم ١٩٤ (الدورة الثالثـة) الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ والخاص بعودة اللاجئـين الفلسطينيـين إلى ديارهم ، والقرار رقم ٣٠٣ (الدورة الرابعـة) الصادر بتـاريخ ١٩٤٩/١٢/٩ والخاص بوضع القدس . غير أن مثل هذا التأييد لم يكن يعبّر عن موقف ثابت لهذه الدول إلى جانب القضية العربية ، إذ يمكن القول إن موقف دول أوربا الاشتراكية من القضية الفلسطينية كان أميل إلى الجانب الإسـرائيـلي حتـى وقوع العدوان الثلاثي عـلى مصر في أواخر عام ١٩٥٦ . ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها :

١) مـوقف الاتحاد السـوفياتي * المؤيـد لإقامـة (إسـرائيـل) واستمرار وجودها ، وتأثيره المباشـر على مـواقف الدول الاشتـراكية الأوربية الأخرى الحليفة له (باستثناء يوغسلافيا) .

٢) تجارب الدول الأوربية الاشتراكية ، على اختلاف الدرجة ، مع الاحتلال النازي ومعاناتها منه . وقد أفادت الحركـة الصهيونيـة من هذا ، وخاصـة مما أصـاب يهود تلك الـدول من عنت على يـد المحتل النازي ، فصـورت للعالم أن إقـامة (إسـرائيل) هي الحـل الأمثل لما أسمته المشكلة اليهودية .

٣) انعـدام الصلات الفـاعلة بين الـــدول العـربيـة والـــدول الاشتراكية حتى منتصف الخمسينات ، بل اتخاذ بعض الدول العربية مواقف اعتبرتها الدول الاشتراكية موالية للغرب .

مع كسر سورية ومصر لطوق العزلة الغربية عليهـا وانفتاحهـا على الدول الاشتراكية تدريجيا ، ولا سيما في مجال التسلح منـذ عام ١٩٥٤ ، ومع العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) ، بـدأت الدول الاشتـراكية تـراجع مـواقفها وتعـدلهـا في المحافل الدولية ، وأخذت تقترب من الجانب العربي .

غير أن عدوان (إسرائيل) عـام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) كان نقطة البداية الفعلية في تحديد مواقف جـديدة للدول الأوربيـة الاشتراكية حيال القضية الفلسطينية . وكان أهم مظاهره قطع جميع هـذه الدول ، بـاستثناء رومـانيا ، عـلاقاتهـا الدبلومـاسية بـالكيان الصهيوني .

وقد تحدد هذا الموقف الجديد من القضية الفلسطينيـة في البيان الصادر عن اللجنة السياسية الاستشارية للدول الأعضـاء في حلف وارسـو الذي يضم دول أوربـا الشرقيـة السبع (الاتحـاد السوفييتي وبلغـاريـا وهنغـاريـا وألمـانيـا الـديمقـراطيـة وبـولـونيـا ورومـانيـا وتشيكوسولـوفاكيـا) والمنعقد في بـوخارست في شهـر تشرين الثـاني ١٩٧٦ . وكذلك في البيان الصادر عن هذه اللجنة العليـا نـفسـهـا عقب اجتماعها المنعقد في موسكو في شهر تشرين الثاني ١٩٧٨ .

أما البيان الأول فقد تضمن ، بالنسبة إلى القضية الفلسطينية ، العناصر الأساسية الآتية :

١) تأكيد الدعم لنضال الدول العربية من أجل الحل السياسي العادل لقضية الشرق الأوسط .

٢) التأكيد بالإجماع على أن هذا الحـل يتطلب انسحـاب جميع القـوات الإسرائيليـة من الأراضي العـربيـة المحتلة عـام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق الثابتة للشعب الفلســطيني * بما فيها حقه في إنشاء دولته الخاصة ، وضمان حق الوجود المستقل لجميع الدول المشاركة في النـــزاع ، وانهاء حـال الحـرب بـين الـــدول العـربيـــة المعنيـة و(إسرائيل) .

٣) إدراج هـذه الموضـوعات في جـدول أعمـال مؤتمـر جنيف الخـاص بالشـرق الأوسـط تحـت إشراف منـظمة الأمم المتحـدة ، وبرئاسة الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمـريكية المشتـركة ، وبحضور جميع الأطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية * " لأن دول أوربا الشرقية تعتقد أن هذا المؤتمر الذي انعقد في نهاية ١٩٧٣ مـا زال الوسيلة الشرعية الوحيدة للتسوية المطلوبة " (رَ : السلام للشرق الأوسط ، مؤتمر) .

وقـد جاء في البيـان الثاني للجنـة السياسـة الاستشاريـة لحلف وارسـو أن المجتمعين يؤكدون من جديد موقفهم المبدئي إلى جانب إحـلال السلام العـادل والدائم في الشـرق الأوسط ، وإلى جـانب التسوية السياسية الشاملة لمسألة الشرق الأوسط ، هذه التسوية التي يجب أن تتضمن : انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العـربيـة المحتلة عـام ١٩٦٧ ، والاستجـابـة لحق الشعب العـربي

الفلسطيني الكامل في تقرير مصيره بنفسه ، ومن ذلك حقه في إقامة دولته ، وتأمين الوجود المستقل والآمن لجميع دول المنطقة وفيها (إسرائيل) . ومن أجل هذه التسوية التي لا يمكن التوصل إليها إلاّ عن طريق مشاركة كل الأطراف المعنية ، وفيها منظمة التحرير الفلسطينية ، ستواصل الدول الاشتراكية نضالها مع الدول والشعوب العربية ومع القوى التقدمية كافة .

وقد استكمل هذا الموقف المبدئي للدول المذكورة من القضية الفلسطينية ببيان خاص صدر عن اجتماع اللجنة الاستشارية المشار إليه في عام ١٩٧٨ ووقعته دول الحلف جميعها ـ باستثناء رومانيا ـ وقد جاء فيه :

" إن قادة الأحزاب الشيوعية والعمالية والحكومات يدينون بشدة سياسة الصفقات المنفردة المصرية ـ الإسرائيلية ، تحت رعاية الولايات المتحدة الأمريكية ، التي لن تقود إلاّ إلى تعقيدات خطيرة جديدة في المنطقة ، ويعربون عن يقينهم بأن مثل هذه الصفقات المنفردة المعادية للعرب تتعارض مع مصالح تحقيق تسوية سياسية شاملة لأزمة الشرق الأوسط وفقاً لمصالح جميع شعوب المنطقة ومن بينها الشعب الإسرائيلي ، وتتناقض مع مصالح الأمن الدولي ومقررات هيئة الأمم المتحدة . وهم يعلنون عن تأييدهم لقرارات مؤتمر بغداد ، ويعتقدون أن هذه القرارات ستلعب دوراً إيجابيا هاماً في النضال من أجل تسوية فعّالة وعادلة لقضية الشرق الأوسط ، وفي سبيل مصلحة السلام في الشرق الأوسط ، ومصلحة السلام العالمي " .

فدول حلف وارسو ، بحسب ما جاء في هذه البيانات ، تقف إلى جانب إيجاد حل سياسي شامل لمسألة الشرق الأوسط وللقضية الفلسطينية على أساس انسحاب القوات الإسرائيلية من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني ، وفيها حقه في إقامة دولته المستقلة الخاصة به ، مع مراعاة تأمين الوجود الآمن والمستقل « لجميع دول المنطقة » . إلاّ أنها ـ باستثناء رومانيا ـ تصرّ منذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * ، والمفاوضات الجارية بشأن ما يسمى الحكم الذاتي ، تصر على انعقاد مؤتمر السلام في جنيف ، وتدين هذه الاتفاقيات والمفاوضات اعتقاداً منها بأنها لن تؤدي إلى الحل الشامل والعادل المنشود ، وهي في نظرها عقبة في سبيل هذا الحل ، ونهج ينال من الحق العربي ويلحق ضررا جسيما بالحقوق والمصالح العربية .

هذا من حيث الموقف المبدئي العام للدول المذكورة من القضية الفلسطينية وتطوراتها الأخيرة . أما من حيث موقف كل من هذه الدول من القضية ، عدا يوغسلافيا (رَ : يوغسلافيا) ، فيمكن إيجازه فيما يلي :

أ ـ رومانيا : تميّز الموقف الروماني بخروجه على إجماع دول حلف وارسو بشأن القضية الفلسطينية وتفرده عنها . ففي ١٩٦٧/٦/٩ لم توقع رومانيا على بيان اجتماع موسكو القاضي بقطع العلاقات الدبلوماسية مع (إسرائيل) إثر عدوانها على الدول العربية في ١٩٦٧/٦/٥ بل انفردت بالإبقاء على هذه العلاقات ، واعتذرت عن عدم حضور اجتماع الحلف المنعقد في بودابست بتاريخ ١٩٦٧/٧/١١ الذي تمت فيه مناقشة موقف الدول الاشتراكية من مسألة الشرق الأوسط بعد العدوان الإسرائيلي المذكور .

وفي عام ١٩٦٩ رفعت رومانيا درجة تمثيلها الدبلوماسي مع الكيان الصهيوني من مفوضية إلى سفارة غير آبهة بردود الفعل العربية .

إلاّ أن تحسناً طرأ على الموقف الروماني بإعلان الرئيس شاوشيسكو في نيسان ١٩٧٠ ضرورة انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واعتبار الإجراءات الإسرائيلية بضم مدينة القدس إجراءات باطلة ، وضرورة إيجاد تسوية لمشكلة " اللاجئين الفلسطينيين " وفق مصالحهم المشروعة . كما أن رومانيا خطت في العام نفسه خطوة أخرى متقدمة بتوقيعها على بيان حلف وارسو الذي أكد متابعة دعم دول الحلف للنضال العادل الذي تخوضه الدول العربية ، وفيها " الشعب الفلسطيني " ، ضد العدوان الأمبريالي من أجل تحرير أراضيها .

أما بعد حرب ١٩٧٣* فقد قام الرئيس شاوشيسكو بزيارة للمنطقة العربية التقى فيها لأول مرة برئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وتم الاتفاق على فتح مكتب للمنظمة في بوخارست ، مع الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، كما أيدت رومانيا إقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة .

بعد هذه الزيارة توافق الموقف الروماني وموقف بقية دول الحلف من حيث الأسس التي ينبغي أن يقوم عليها حل القضية ، إلاّ أن هذا الموقف لم يَخْلُ بعد ذلك من بعض السلبيات . ففي عام ١٩٧٥ أعلنت رومانيا تأييدها لاتفاقية سيناء الثانية بل اعتبرتها خطوة في طريق الحل الشامل . وفي عام ١٩٧٧ أيد الرئيس الروماني مبدأ المفاوضات المباشرة بين مصر و(إسرائيل) ، ودعا إلى ضرورة إشراك أطراف عربية أخرى في هذه المفاوضات ، وأعرب ، تمهيداً لاستئناف مؤتمر السلام للشرق الأوسط * في جنيف ، عن تأييده لمؤتمر تمهيدي في القاهرة ولدعوة الأمين العام للأمم المتحدة

فالدهايم إلى عقد مؤتمر تحضيري في نيويورك . أما بالنسبة إلى منظمة التحرير الفلسطينية فبدا الموقف الروماني آنئذ أميل إلى تأييدها كممثل شرعي ، ولكن ليس وحيدا ، للشعب الفلسطيني .

في عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩ اتسم الموقف الروماني بتأييده للمفاوضات المصرية ـ الإسرائيلية وللبحث عن إطار دولي مناسب لإشراك أطراف عربية أخرى في هذه المفاوضات . واعتبر محادثات « بلير هاوس » في واشنطن والتوقيع على معاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية خطوة إيجابية في سبيل التوصل إلى الحل الشامل . وبالنسبة إلى اتفاقيتي كامب ديفيد كان الموقف الروماني إلى جانب ما جاء فيهما حول سيناء . ولكن رومانيا اشترطت فيما يتعلق بالضفة الغربية وقطاع غزة وبمفاوضات الحكم الذاتي أن تؤدي آخر الأمر إلى تمكن الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في تقرير المصير والتوصل إلى الحل الشامل المنشود . ولا تزال رومانيا تدعو إلى عقد مؤتمر دولي للسلام وتعتبر أنه ليس بديلا عن المفاوضات الثنائية بل متابعا لها يمكّن أطرافا أخرى معينة من المشاركة .

وقد حافظت رومانيا على علاقات اقتصادية وثقافية وطيدة مع كل من (إسرائيل) وعدد من الدول العربية في آن واحد .

ب ـ تشيكوسلوفاكيا : يمكن القول إن الصراع بين الشعب التشيكوسلوفاكي والصهيونية العالمية قديم العهد ، فالصهيونيون كانوا المالكين الرئيسيين للمؤسسات الاقتصادية والثقافية في البلاد ، وكانت منظماتهم على تعاون وثيق مع النازية قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها ، وقد أوضحت ذلك الوثائق التي نشرتها صحيفة « تريبونا » الناطقة بلسان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٧٢ (رَ : النازية والصهيونية) .

كما أنه قد أصبح معروفاً أن عددا من الصهيونيين التشيك كانوا من منظري الثورة المضادة (١٩٦٨) والداعين لها والمساهمين فيها .

وقد جاء في تقرير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي عام ١٩٧٣ ، وبمناسبة مرور خمس سنوات على القضاء على الردة اليمينية التي تعرضت لها البلاد ما يلي :

١) أثبتت أحداث عام ١٩٦٨ الارتباط العضوي ووحدة الهدف في تشيكوسلوفاكيا بين قوى الرجعية والانتهازية واليمينية والصهيونية .

٢) كما ثبت أن لليهود دوراً كبيراً في تنظيم ما يسمى بـ (ميثاق الـ ٧٧) المتعلق بحقوق الإنسان في تشيكوسلوفاكيا .

ينسجم موقف تشيكوسلوفاكيا انسجاما تاما مع مواقف بقية الدول الاشتراكية في إدانتها للسياسة العدوانية الإسرائيلية على الأقطار العربية ، وفي مطالبتها بالانسحاب الإسرائيلي التام من الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وإحقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . وقد عبّر عن ذلك بوضوح المؤتمران الرابع عشر والخامس عشر للحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي اللذان عقدا بعد القضاء على ثورة ١٩٦٨ المضادة ووضعا الخطوط العريضة والمبادىء الأساسية للسياسة الخارجية التشيكوسلوفاكية . كما أكدته تشيكوسلوفاكيا في توقيعها على بياني اللجنة السياسية الاستشارية للدول الأعضاء في حلف وارسو الصادرين في بوخارست (تشرين الثاني ١٩٧٦) وفي موسكو (تشرين الثاني ١٩٧٨) . وتجدر الإشارة إلى أن لمنظمة التحرير الفلسطينية مكتبا في براغ منذ عام ١٩٧٥ يتمتع بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية أسوة بسائر البعثات الدبلوماسية فيها .

جـ ـ المجر : لم يتطرق حزب العمال الاشتراكي المجري في المقررات الصادرة عن لجنته المركزية إلى النزاع العربي ـ الإسرائيلي إلّا بعد العدوان الإسرائيلي على الأقطار العربية في ١٩٦٧/٦/٥ . فقد جاء في بيان اللجنة عن قضية الشرق الأوسط الصادر بتاريخ ١٩٦٧/٦/٢٣ ما يلي : " قومت اللجنة المركزية الوضع الناشىء في الشرق الأوسط نتيجة للعدوان الإسرائيلي ، وهي توافق على إجراءات ومواقف الحكومة والمكتب السياسي ، وعلى بيان الحكومة المجرية في السادس من حزيران حول قطع العلاقات الدبلوماسية بين المجر وإسرائيل ، وعلى بيان دول المنظومة الاشتراكية الصادر عن اجتماع موسكو في التاسع من الشهر المذكور .

" وترى اللجنة المركزية أن حكومة إسرائيل قد خرقت المبادىء والحقوق المتعارف عليها دوليا وقامت بعدوان مسلح ومخطط له مسبقاً على كل من الجمهورية العربية المتحدة وسورية والأردن وتوغلت في أراضي هذه الدول .

"وتدين اللجنة المركزية العدوان الإسرائيلي ، كما تدين محاولات إسرائيل الهادفة لضم أراضي الحكومات العربية المجاورة إليها وطرد السكان العرب العزل من قبل السلطات العسكرية الإسرائيلية من أراضيهم .

"وتؤكد على أن الإمبرياليين الألمان الغربيين والإنكليز والأمريكيين شركاء في الجريمة والمسؤولية في الدعم والإعداد للعدوان المسلح . وتعتبر أن الهجوم على الدول العربية هو جزء من السياسة الإمبريالية الشاملة والهادفة إلى ضرب حركات التحرر الوطنية وحرمان الشعوب التي اختارت طريق التقدم من استقلالها الوطني ، وإعاقتها عن تقرير مصيرها بنفسها محاولة منها لابقائها مرتبطة بالنظام الاستعماري أو إعادتها إليه بشكل آخر " .

وقد أكدت المجر مواقفها المذكورة ببيانات اللجنة المركزية المتتابعة ومن أبرزها بيانات ١٩٦٧/١١/٢٤ ، و١٩٦٨/٨/٧ ، و١٩٧٠/٧/١٦ ، و١٩٧١/١/٢٨ ، و١٩٧٢/١١/١٥ ،وبيانا

اللجنة المركزية ومجلس الوزراء في ١٩٦٩/٣/٦ و١٩٧١/٨/٤ . وقد جاء في بيان اللجنة المركزية الصادر بتاريخ ١٩٧٢/١١/١٥ :

"إننا متضامنون مع الأقطار العربية المكافحة ضد العدوان الإسرائيلي ، ومع نضال الشعب الفلسطيني المعادي للإمبريالية ، وندعم التسوية العادلة لأزمة الشرق الأوسط وتحرير الأراضي العربية المحتلة وتحقيق الحل السلمي وفقا لقرار مجلس الأمن الدولي " .

أما بيانات اللجنة المركزية لحزب العمال الاشتراكي المجري الصادرة عقب حرب ١٩٧٣ فقد كان أبرزها البيان الصادر عن اللجنة بتاريخ ١٩٧٣/١١/١ الذي جاء فيه : "أن اللجنة المركزية بحثت الوضع في الشرق الأوسط فأكدت أن تجدد الحرب تتحمل مسؤوليته الكاملة حكومة إسرائيل التي فجّرت حرب ١٩٦٧ * ، ومنذ ذلك الحين تتبع سياسة العدوان والتحدي . . . وأنها تحمي وتدعم قرار مجلس الأمن لوقف إطلاق النار الصادر بتاريخ ١٩٧٣/١٠/٢٢ بناء على اقتراح مشترك من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية ، وأن تنفيذ قرارات مجلس الأمن سيفسح المجال للتسوية العادلة للمشاكل الخطيرة لجميع الشعوب التي تعيش في المنطقة " .

وجاء في البيان الصادر عن اللجنة المركزية بتاريخ ١٩٧٤/٧/٢٠ : "أن السلام الدائم في الشرق الأوسط لا يمكن أن يتم إلّا بالجلاء عن جميع الأراضي العربية المحتلة ، وبإعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين وضمان أمن جميع دول المنطقة ، وبمشاركة جميع الأطراف المعنية بمؤتمر جنيف للسلام . . . وتحيي اللجنة الخطوة التي اتخذتها منظمة الأمم المتحدة بطرحها لمسألة حقوق الشعب الفلسطيني ودعوة ممثلها الشرعي منظمة التحرير الفلسطينية إلى الاجتماع في الأمم المتحدة " . وقد تأكد هذا الموقف مجددا ببيان اللجنة المركزية الصادر في ١٩٧٥/٥/١٦ .

وقد شجبت المجر زيارة الرئيس السادات للقدس وما تبعها . ورأت في اتفاقيتي كامب ديفيد " خرقا للقانون الدولي وتعارضا مع قرارات الأمم المتحدة " ، في حين وجدت اللجنة المركزية في بيانها الصادر بتاريخ ١٩٧٩/٣/٢٨ :

" أن المعاهدة الإسرائيلية ـ المصرية المنفصلة التي تمت بوساطة الولايات المتحدة الأمريكية لن تُنهي النزاع بل ستزيد حالة التوتر في الشرق الأوسط " .

ولم تؤثر على مواقف المجر الرسمية حيال القضية زيارة عدة وفود شعبية إسرائيلية بدعوة من مجلس السلم الهنغاري ، وزيارة وفد حزبي مجري (لإسرائيل) خلال عام ١٩٧٩ .

د ـ بلغاريا : لم يخرج موقف بلغاريا عن مواقف بقية دول المنظومة الاشتراكية في شجبها للأعمال العدوانية والتوسعية الإسرائيلية ، وفي دعمها لنضال الأمة العربية في سبيل استرجاع الأراضي العربية المحتلة وإحقاق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني .

ولعل من أبرز المقررات التي اتخذها الحزب الشيوعي البلغاري في هذا الصدد تلك التي صدرت عن مؤتمره الحادي عشر المنعقد عام ١٩٧٦ والتي جاء فيها ما يلي :

"ما زالت الإمبريالية وحلفاؤها تؤجج لهيب الحرب في الشرق الأوسط ، وما زال خطر حرب جديدة في المنطقة قائما باستمرار للأسباب التالية :

١) متابعة احتلال الأراضي العربية التي اغتصبت عام ١٩٦٧ .

٢) حرمان الشعب العربي الفلسطيني من إمكانية إقامة دولة له .

٣) عدم خلق الظروف المناسبة لكي تعيش جميع الدول والشعوب في المنطقة بسلام وأمان .

"هذا ويمكن التوصل إلى حل عادل ودائم لمشكلة الشرق الأوسط فقط عن طريق مؤتمر جنيف وبمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني " .

إلّا أن بلغاريا ، حيال خطوات الرئيس السادات منذ عام ١٩٧٧ وخروجه عن الإجماع العربي ، لم تعد ، كسائر دول المنظومة الاشتراكية ، ترى جدوى في انعقاد مؤتمر جنيف . وقد أعلن الرئيس البلغاري جيفكوف عقب توقيع معاهدة الصلح المنفرد بين مصر (وإسرائيل) أن بلغاريا ستقدم الدعم الكامل لنضال الشعب العربي ضد جميع الاتفاقيات المنفردة ، ومن أجل إقامة سلام عادل ودائم على أساس الانسحاب الكامل من جميع الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وإحقاق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ، وتقرير مصيره بنفسه ، وإقامة دولته المستقلة والخاصة به . وقال وزير الخارجية البلغارية "إن بلغاريا ، حزباً وحكومة وشعباً ، تندد بالمعاهدة ، وتعتبر الرئيس السادات ، بخروجه عن الاجماع العربي ، خائناً لقضية أمته ، وأن المعاهدة لن تحقق السلام في المنطقة وستكون عاملاً في تأزم الموقف ، وبداية لانطلاق شرارة الحرب ، وأن السلام العالمي قد أصبح في خطر بعد توقيعها " .

وجاء في البيان السوري ـ البلغاري المشترك الصادر عقب زيارة الرئيس جيفكوف للجمهورية العربية السورية (٢١ ـ ١٩٨٠/٤/٢٤) :

" دان الجانب البلغاري بشدة الصفقات المنفردة والحلول الاستسلامية التي تم التوصل إليها بالمشاركة النشيطة للولايات المتحدة الأمريكية ، والتي تمثّلت باتفاقيتي كامب ديفيد ، وبمعاهدة الصلح المنفرد ، وبتطبيع العلاقات المصرية ـ الإسرائيلية الموجهة جميعها ضد حقوق ومصالح الأمة العربية " . كما "أعرب الجانب البلغاري عن اقتناعه الراسخ بأن ما يجري في إطار اتفاقيتي كامب ديفيد تحت خدعة ما يسمى بـ (الحكم الذاتي) لن يؤدي إلى تحقيق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب العربي الفلسطيني بل يستهدف التنكر لهذه الحقوق ، وتكريس الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية بمحاولة إضفاء الشرعية على استعمار إسرائيل الاستيطاني لهذه الأراضي " .

هـ ـ بولونيا : بالرغم من التزام بولونيا بالخطوط العامة للسياسة الخارجية المتبعة من قبل المنظومة الاشتراكية إلاّ أنها ، قبل عام ١٩٦٧ وفي تحليلها للقضية الفلسطينية ، كانت تتخذ موقفاً أقرب إلى الانحياز إلى جانب (إسرائيل) ، وذلك لعدة عوامل أبرزها ـ إضافة لما ورد في القسم الأول من هذا البحث ـ عدد اليهود الكبير في بولونيا وتغلغلهم في مختلف الأجهزة الحساسة للحزب والدولة وسعيهم ، بالتعاون مع الحركة الصهيونية ، إلى جعل بولونيا معقلاً للنفوذ الصهيوني في دول أوربا الشرقية . وقد كانت زيارة ناحوم غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي * آنذاك لبولونيا عام ١٩٦٥ واستقباله فيها استقبال رؤساء الدول ظاهرة معبرة عن هذا المخطط . وجدير بالذكر أن الشعب البولوني ما زال يذكر معارك الغيتو * في وارسو ومعتقلات أوشفيتز أثناء الاحتلال النازي .

إلاّ أنه بعد قطع بولونيا علاقاتها الدبلوماسية (بإسرائيل) في أثر عدوان ١٩٦٧ ، وما رافق ذلك من اضطرابات قامت بتنظيمها والإشراف عليها عناصر صهيونية في بولونيا ، جرت حملة تطهير واسعة أسفرت عن طرد عدد كبير من الصهيونيين من مناصب هامة في الحزب والدولة وفي الجامعات البولونية .

وقد زاد بعد ذلك اطلاع البولنديين على حقيقة (إسرائيل) ، وعلى سياستها العدوانية والتوسعية ، وعلى تحالفها الوثيق مع الإمبريالية ضد الحقوق والمصالح العربية . ورافق ذلك اطلاعهم على حقيقة القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط ، وقد انعكس أثر ذلك كله في مقررات حزب العمال البولوني الموحد وتصريحات كبار المسؤولين في الحزب والدولة . ومن بين هذه التصريحات ما قاله « إدوارد غيريك » الأمين الأول للحزب آنذاك في خطاب ألقاه بتاريخ ١٩٧١/٣/١٩ في منطقة شلنسك : "إن مبدأ سياستنا السلمية لا يسمح بأن نغفل وجود قوى واتجاهات في العالم الإمبريالي تسعى لزيادة حدة التوتر الدولي ولإشعال الحروب ، ولا يزال احتلال الأراضي العربية قائماً على حين ترفض إسرائيل باستمرار الاقتراحات البناءة التي من شأنها أن تحد من الخطر ومن استفحال نتائجه " .

وفي ١٩٧١/١٠/٥ قال وزير الخارجية البولوني في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة : " إن المجتمع الدولي لا يستطيع أن يتسامح في تحدي إسرائيل ومؤيديها . إن الحل السلمي لمشكلة الشرق الأوسط يمكن أن يتم فقط بضمان الحقوق الكاملة للشعب الفلسطيني ضحية العدوان الإسرائيلي وبانسحاب (إسرائيل) من جميع الأراضي العربية " .

ووصفت الحكومة البولونية معاهدة الصلح المنفرد بين مصر و(إسرائيل) بأنها عملية استسلام أخرج السادات بها مصر من صف المواجهة مع (إسرائيل) ، واستفادت منها الولايات المتحدة بدعم وجودها ونفوذها العسكري في المنطقة ، ورأتها تشكل خطراً واقعياً بالنسبة لدول الشرق الأوسط والدول الإفريقية ، كما أنها عقّدت مشكلة الشرق الأوسط ، وأبعدت تحقيق الحل الشامل والعادل . وقد تأكد هذا الموقف في البيان المشترك الصادر عقب زيارة وزير خارجية بولونيا لسورية في أواخر عام ١٩٧٩ .

و ـ ألمانيا الديمقراطية : تعدّ جمهورية ألمانيا الديمقراطية في طليعة دول المنظومة الاشتراكية في دعمها لنضال الأمة العربية لتحرير أراضيها من الاحتلال الإسرائيلي واسترجاع الحقوق المغتصبة للشعب العربي الفلسطيني . وهي أول دول المنظومة التي سمحت لمنظمة التحرير الفلسطينية بإقامة مكتب لها في برلين منذ عام ١٩٧٣ ، وكان ذلك تمهيداً للاستقبال الكبير الذي أعدته لوفد فلسطين برئاسة ياسر عرفات . وهي تقيم سنويا أسبوعاً للتضامن مع الشعب العربي تعبر فيه عن تأييدها للقضايا العربية ، وعلى رأسها القضية الفلسطينية ، وعن دعمها لمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ولحقوقه الوطنية الثابتة وفيها حقه في تقرير المصير وفي العودة وفي إقامة دولته المستقلة الخاصة به .

وقد تميز موقف ألمانيا الديمقراطية بشأن مشكلة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية بإدانة صارمة لأعمال (إسرائيل) التوسعية والتعسفية المتتابعة منذ عدوان عام ١٩٦٧ . وتعددت بعد ذلك زيارات كبار رجالات الحزب والدولة الألمانية الديمقراطية إلى بعض الأقطار العربية لتأكيد وقوفها إلى جانب النضال العربي ، ولتوسيع وتعميق التعاون السياسي والاقتصادي والعلمي مع هذه الأقطار .

ويلخص البيان الذي أصدره المؤتمر الثامن للحزب الاشتراكي

الألماني الموحد في حزيران ١٩٧١ الموقف الألماني الديمقراطي بالعناصر الرئيسة الآتية :

١) الاعتراف بحق (إسرائيل) بالوجود كدولة .

٢) أن أسباب الصراع في الشرق الأوسط تعود إلى العدوان الإسرائيلي وتأثير الأوساط الإمبريالية الأمريكية على الأوساط الحاكمة في (إسرائيل) .

٣) أن إزالة النفوذ الأمريكي في المنطقة وتغيير ميزان القوى لصالح القوى التقدمية كفيلان بخلق الشروط المناسبة لإقامة سلم دائم في المنطقة .

٤) دعم الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني .

٥) انسحاب (إسرائيل) من جميع الأراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

وقد وقفت المانيا الديمقراطية موقف المستنكر من اتفاقيتي كامب ديفيد . وشنّت أجهزة الإعلام فيها حملة شديدة ضد معاهدة الصلح بين مصر و(إسرائيل) .

وفي البيان المشترك السوري ـ الألماني الصادر في ١٩٧٨/١٠/٥ إثر زيارة رئيس الجمهورية العربية السورية لألمانيا الديمقراطية أعرب الجانب الألماني عن: " رفضه بحزم سياسة الاتفاقيات المنفردة . ودان بشكل خاص الاتفاقيات التي تمت المساومة عليها أخيراً في كامب ديفيد من وراء ظهر الأمة العربية والتي تستهدف شق الصف العربي وفرض شروط المعتدي الإسرائيلي ، وهو يرى أن هذه السياسة تعيق التوصل إلى حل شامل عادل ودائم للنزاع في الشرق الأوسط على أساس قرارات الأمم المتحدة ، وتشكل في حقيقتها مؤامرة معادية للعرب وتهديداً خطيراً للسلام والأمن الدوليين " .

ز ـ ألبانيا : يتميز موقف جمهورية ألبانيا الشعبية الاشتراكية من مواقف دول المنظومة الاشتراكية حيال القضية الفلسطينية بأنها لا تعترف بوجود (إسرائيل) وتنطلق في موقفها من ضرورة إزالة " الدولة الصهيونية " باعتبارها قاعدة للإمبريالية في المنطقة قامت على العدوان . وتؤيد ألبانيا حركة التحرر الوطني في الأقطار العربية وترى الثورة الفلسطينية إحدى فصائلها الأكثر ثورية ، ولذلك فإن ألبانيا في موقفها من مشكلة الشرق الأوسط ترفض القرار ٢٤٢ وغيره من قرارات منظمة الأمم المتحدة ، وتعتبر أن تسوية المشكلة لا تتم إلّا عن طريق النضال الثوري الطويل الأمد الذي يعتمد على التحولات الاجتماعية ، وعلى ربط هذه التحولات بالنضال ضد الصهيونية والأمبريالية . وعلى هذا الأساس تقف ألبانيا ضد الحلول السياسية مهما كانت وتنادي بالنضال الثوري ضد (إسرائيل) مقدرة أن الثورة الفلسطينية يمكن أن تكون نواة الثورة في سائر الأقطار العربية .

أورغواي : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

أوريهودا (مستعمرة ـ) :

مستعمرة ريفية أقيمت عام ١٩٥٠ على أراضي قريتي ساقية * وكفر عانا * العربيتين في قضاء يافا . تقع هذه المستعمرة شرقي الجنوب الشرقي لمدينة يافا * على بعد ١٣ كم عن وسط تل أبيب * وتتبع حالياً مقاطعة تل أبيب . موقعها الجغرافي هام لوجودها في السهل الساحلي الفلسطيني * بين طريقين رئيسين : طريق تل أبيب ـ مطار اللد شمالها ، وطريق بيت دجن ـ مطار اللد جنوبها .

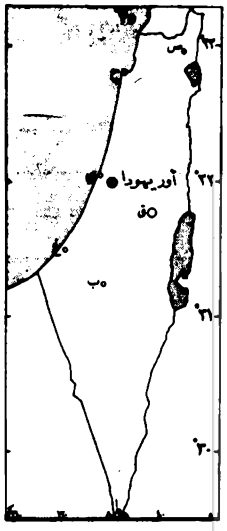

تقوم المستعمرة على رقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي ترتفع قرابة ٥٠م عن سطح البحر . مناخها معتدل وتهطل عليها الأمطار بكميات سنوية كافية لنمو جميع المحاصيل الزراعية . مياهها متوافرة تحصل عليها من الآبار ومن مياه مشروع نهر الأردن ـ النقب . تنتمي تربتها إلى نوع تربة البحر المتوسط الحمراء، وهي من الترب الخصيبة التي تصلح لزراعة معظم المحاصيل الزراعية، وبخاصة الحمضيات * .

تأسست المستعمرة على يد جماعة من الصهيونيين المهاجرين من ليبيا وتركيا سنة ١٩٤٩ ، ثم تبعهم مهاجرون من العراق ورومانيا . بلغ عدد سكانها ١١,٦٠٠ نسمة عام ١٩٦١ ، وارتفع عددهم إلى ١٦,٦٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . وهي مركز صناعي هام يضم مؤسسات صناعية وتجارية كثيرة ،واقتضت زيادة مساحة المستعمرة توسيع مبانيها أفقياًوعمودياً وزيادة المرافق العامة فيها .

المراجع :

ـ أنيس صايغ :بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .

ـ خريطة فلسطين ؛ مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

الأوقـــاف : رَ : الأرض (ملكيـة ـ)

أونـــروا :
رَ : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى .

ابن أبي إياس العسقلاني : رَ : آدم بن عبد الرحمن بن محمد

إيبـــان (مشـــروع ـ) :

هو من أوائل المشروعات الإسرائيلية لحل قضية الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وقد قدمه آبا إيبان ضمن بيانه الذي ألقاه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩٦٨/١٠/٨ (الدورة ٢٣) . وكان يومذاك يشغل منصب وزير خارجية (إسرائيل) . وقد تضمن بيان آبا إيبان نقاطاً تسعاً هي :

١) إن الوضع الذي يعقب وقف إطلاق النار يجب ان يكون سلاماً عادلاً ودائماً ، تجري مناقشته بكل دقة ويعبر عنه باتفاقات تعاقدية . ويجب أن يتضمن هذا السلام الشروط الدقيقة لتعايش (إسرائيل) مع جيرانها وخارطة متفقاً عليها للحدود الآمنة * والمعترف بها . إن جوهر السلام هو أنه يجب ان يسمح لكلا الطرفين بامكانية القول إن نزاعهما الذي استمر عقدين من الزمن قد انتهى نهائياً .

٢) في إطار السلام تستبدل بخطوط وقف إطلاق النار حدود دائمة وآمنة ومعترف بها بين (إسرائيل) وبين كل واحدة من الدول العربية المجاورة . وتجري إعادة ترتيب وضع القوات وفقاً للحدود التي ستقام في ظل السلام النهائي .

٣)بالإضافة إلى إقامة حدود إقليمية متفق عليها يجب بحث موضوع إقامة ترتيبات أمنية أخرى متفق عليها لتجنب الوضع الحساس الذي سبب انهيار السلام في عام ١٩٦٧ . ويجب أن تتضمن الاتفاقية التي سيقام بموجبها السلام تعهدات متبادلة بعدم الاعتداء .

٤) عندما يتم التوصل إلى إقامة السلام على أساس حدود دائمة يجب الإبقاء على حرية الانتقال والحركة القائمة الآن عبر الحدود في المنطقة ، وبخاصة في القطاع الإسرائيلي ـ الأردني .

٥) إن الترتيبات الخاصة بضمان حرية الملاحة يجب أن تكون دقيقة وغير مشروطة ومقامة على أساس المساواة الكاملة في الحقوق والالتزامات بين (إسرائيل) وكل الدول الأخرى ذات السواحل وجميع أعضاء مجموعة الدول البحرية .

٦) يجب عقد مؤتمر لدول الشرق الأوسط بالاشتراك مع الدول التي تساهم في إغاثة اللاجئين ووكالات الأمم المتحدة المختصة لوضع خطة لخمس سنوات لحل مشكلة اللاجئين في إطار السلام الدائم ودمج اللاجئين في البيئات التي يقيمون فيها . ويمكن الدعوة لهذا المؤتمر قبل محادثات السلام . ويجب أن يكون إنشاء لجان مشتركة لإعادة توطين اللاجئين ودمجهم من الأمور المنصوص عليها في اتفاقيات السلام .

٧) لا تسعى (إسرائيل) من أجل ممارسة السيطرة من الناحية القانونية ، ومن جانب واحد ، على الأماكن المقدسة للمسيحية والإسلام . وهي ترغب في كل الأحوال في إيجاد وضع خاص لهذه الأماكن ، وفي التوصل الى تفاهم مناسب مع الأطراف المعنية . وسياسة (إسرائيل) هي أن الأماكن المقدسة المسيحية والإسلامية يجب ان تكون تحت مسؤولية الجهات الدينية التي تقدسها .

٨) يجب عقد اتفاقيات تعاقدية بين حكومة (إسرائيل) وكل واحدة من حكومات الدول العربية تتضمن اعترافاً متبادلاً بسيادة ووحدة أراضي كل دولة وحقها في بناء حياتها القومية . ويجب أن يتبع ذلك منطقياً أن تسحب الدول العربية جميع التحفظات التي وضعتها على المواثيق والاتفاقيات الدولية بسبب انضمام (إسرائيل) إليها .

٩) إن السلام يقتضي دراسة مسألة إيجاد تعاون مشترك في بعض الموارد ووسائل الاتصالات في المنطقة في محاولة لوضع أسس مجموعة شرق أوسطية من الدول المستقلة .

يمثل مشروع آبا إيبان هذا جوهر الفكر الصهيوني في معالجة قضية فلسطين وتسوية الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وليس هذا المشروع سوى التفسير الإسرائيلي لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ . وهو مشروع يعكس نتائج عدوان حزيران عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) . ولم تكن (إسرائيل) تسعى ، بمشروع وزير خارجيتها ، إلى إيجاد تسوية للصراع وإنما كان هدفها إطالة أمد احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية تمهيداً لتحقيق أهدافها في التوسع والاستعمار . ولم يكن مشروع آبا إيبان أكثر من ظاهرة دعائية تُعلن على منبر المنظمة الدولية . وقد تجاهل المشروع ، عن قصد مبيّت ، حقوق الشعب الفلسطيني والانسحاب من الأراضي المحتلة ، واكتفى بتحديد أهداف (إسرائيل) من عدوان حزيران ١٩٦٧ . ولهذا لم يكن الاهتمام بالمشروع في المنظمة الدولية وخارجها ظاهراً لأن المشروع كان بعيداً جداً عن مفهوم السلام العادل ومقوماته .

ومن الجدير بالذكر أن وزير خارجية (إسرائيل) أعلن مشروعه هذا أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في الوقت الذي كان غونار

يارنغ الممثل الشخصي للأمين العام للأمم المتحدة يباشر مهمته تنفيذاً لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

المرجع :

ـ محاضر الدورة ٢٣ (١٩٦٨) للجمعية العامة للأمم المتحدة .

الأيتام (دُور ـ) :

ظهرت مشكلة اليتم في فلسطين في القرن العشرين عندما اضطر أبناء هذا البلد إلى حمل السلاح وخوض المعارك ضد الاستعمار والصهيونية ، هذه المعارك التي خلّفت وراءها كثيراً من الأيتام ، فكان لا بد من التصدّي لهذه المشكلة . وهذا ما حدث ، إذ كان عدد دور الأيتام في فلسطين قبل عام ١٩٣٠ أربعاً فقط ، لكن هذا العدد ازداد بسرعة خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * وما تبعها من أحداث ومجازر .

أ ـ التوزيع الجغرافي لدور الأيتام : بلغ عدد دور الأيتام التي تقدّم العناية للأيتام ١٨ داراً في سنة ١٩٦٧ وهي موزعة كما يلي (انظر الملحق) .

المحافظة	عدد الدور	عدد السكان
محافظة نابلس	٣	٣٥٦,٠٠٠
محافظة القدس	١٣	٣٠٩,٠٠٠
محافظة الخليل	١	١٤٠,٠٠٠
قطاع غزة	١	٥٠٠,٠٠٠
المجموع	١٨	١,٣٠٥,٠٠٠

يتضح من ذلك أن دور الأيتام تتركز في محافظة القدس ، وخاصة في مدينتي القدس * وبيت لحم * ، بينما تعاني محافظة الخليل وقطاع غزة من نقص واضح . فقطاع غزة الذي يزيد عدد سكانه على نصف مليون نسمة لا يوجد فيه سوى دار واحدة . بالإضافة إلى التركز العددي هذا يوجد تركز مماثل في قدرة الدور على الاستيعاب ومستوى الخدمات التي تقدمها . لكن معظم الدور لا تحصر خدماتها في منطقة معينة بل تقبل الأيتام من فلسطين كلها ، وبعضها يقبل الأيتام من الدول العربية المجاورة كلجنة اليتيم العربي (القدس) ومدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية الجديدة (القدس) .

ب ـ شروط القبول : تركز بعض الدور على الأطفال في الروضة دون سن الخامسة ، كروضة الزهور (القدس) وحضانة الأطفال (الكريش) (بيت لحم) . لكن السن المفضل للقبول في معظم الدور يراوح بين ست سنوات وثماني عشرة سنة ، وإن كانت دور أخرى تستمر في تقديم خدماتها لأبنائها حتى الدراسة الجامعية وربما بعد ذلك ، مثل المعهد العربي الأردني في أبو ديس ، وجمعية البر بأبناء الشهداء في أريحا . أما الدين فهو ليس شرطاً للقبول ، فجميع الدور ترحب بالأيتام من جميع الأديان . وتخصص دور للإناث كدار اليتيمات التابعة للاتحاد النسائي (نابلس) والبيت الإنجيلي للبنات ، وتوجد دور مختلطة تحوي أقساماً خاصة حسب الجنس . ومعظم هذه الدور تفضل يتيم الأبوين والفقير المعدم حسب تقرير من الباحثة الاجتماعية المختصة .

جـ ـ أهم وارداتها : تعتمد دور الأيتام في فلسطين على موارد غير ثابتة باستثناء القليل الذي حصل على أموال مكّنته من استثمارها والاعتماد على عائداتها . فهي تعتمد على :

١) تبرعات الأفراد والمؤسسات في فلسطين والخارج .

٢) مِنَح الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي والمؤسسات الإسلامية والمسيحية .

٣) مساعدات الاتحاد العام للجمعيات الخيرية وريع اليانصيب الخيري .

٤) ريع الحفلات والأسواق الخيرية التي تعرض فيها بعض الدور منتوجاتها اليدوية .

٥) دعم اللجنة الأردنية الفلسطينية المشتركة لدعم صمود الأهل في الأرض المحتلة .

وقد قدرت نفقات دور الأيتام في فلسطين عام ١٩٨٠ بما يزيد على مليون دينار أردني .

د ـ نشاطها : يقدر عدد الأيتام الذين يستفيدون من الخدمات التي تقدمها دور الأيتام بنحو ٤,٠٠٠ يتيم يضم القسم الداخلي قرابة ١,٥٠٠ منهم فيقدم لهم المأوى والملبس والغذاء والعناية الصحية والتعليم بمراحله المختلفة من الروضة حتى الدراسة الجامعية مروراً بالدراسة الابتدائية والثانوية . وعلى سبيل المثال تقدم كل من دار السلام للأيتام (القدس) ودار اليتيم العربي (طولكرم) بعثات ومنحا جامعية في فلسطين أو خارجها ، بالإضافة إلى الرعاية الروحية ومحاولة تعويضهم عمّا فقدوه من عطف الوالدين وحنانهما ، كما تعمل على تأهيلهم مهنياً بتعليمهم الأشغال اليدوية كالخياطة والتطريز والتنجيد وصناعة الأحذية لتزويد اليتيم بمهنة تؤمّن للعضو وأسرته مصدر دخل مستقل يكفل لهم جيمعاً العيش الكريم .

وفي حين تفضل الأقسام الداخلية يتيم الوالدين فقير الحال ، وبخاصة ذلك الذي يكون عمره دون سن العاشرة ، تقبل الأقسام الخارجية الأيتام في سن المدرسة ، ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية .

وتوجد مدرسة ثانوية كاملة في كل من دار الطفل العربي (القدس) والبيت الإنجيلي للبنات والصبيان (رام الله) . وتقوم دور الأيتام التي لا يوجد فيها مدارس أو صفوف ثانوية كاملة بإرسال طلابها إلى المدارس الحكومية والخاصة .

ويلاحظ أن نشاط القسم الخارجي يتركز على التعليم بفروعه المختلفة ؛ الأكاديمية منها والمهنية . ومن أشهر مؤسسات هذا القسم مدرسة دار الأيتام الصناعية الجديدة (القدس) التي تضم أقساماً للنجارة والدهان والطباعة والتنجيد والخياطة والتفصيل والتدبير المنزلي وصناعة الأحذية والخيزران .

وتضم دار اليتيم العربي معهداً للخدمة الاجتماعية بالإضافة إلى بعض فروع التعليم التجاري .

مما تقدم يتضح أن دور الأيتام قد شملت بخدماتها نسبة كبيرة من الأيتام في فلسطين . واستطاعت أن تؤمن لهم متطلباتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . ومما يجدر ذكره أن القسم الداخلي لا يتقاضى رسوماً عن الأطفال . في حين يتقاضى القسم الخارجي رسوماً رمزية ، وتصل نسبة الإعفاءات بين الأطفال إلى ٣٣٪ .

يقدر عدد العاملين في دور الأيتام بنحو ٣٠٠ شخص من الإداريين والمعلمين والموجهين التربويين ، إضافة إلى المشرفات الاجتماعيات وعمّال التنظيفات والطهاة وغيرهم .

يلاحظ أن الجمعيات الخيرية * في السبعينات من هذا القرن قد أخذت تهتم بالأيتام ، ومن هذه الجمعيات : جمعية المرابطات (قلقيلية) ، وجمعية الهلال الأحمر (جنين) ، وجمعية أصدقاء المجتمع (البيرة) ، وجمعية مشاغل تأهيل الفتيات في الضفة الغربية والقطاع .

المراجع :

- اتحاد الجمعيات الخيرية : **تقرير موجز عن أعمال الجمعيات الخيرية في الضفة الغربية** ، القدس ١٩٧٦ .
- الاتحاد العام للجمعيات الخيرية في الأردن : **دليل الجمعيات الخيرية في الضفتين الشرقية والغربية** ، عمان ١٩٨٠ .
- الجمعية الخيرية الإسلامية (الخليل) : **تقرير عن نشاطاتها وأهدافها عام ١٩٧٧** .
- لجنة اليتيم العربي : **تقرير سنوي عن نشاطها عام ١٩٧٨ وعام ١٩٧٩** .
- مدرسة دار الأيتام الإسلامية الصناعية الجديدة : **تقرير عن أهدافها ونشاطاتها** ، القدس ١٩٧٨ .

دور الأيتام في فلسطين

الرقم	اسم الدار	الجهة المسؤولة	مركز نشاطها	تاريخ تأسيسها
١	دار اليتيم العربي	مستقلة	طولكرم	١٩٦١
٢	دار اليتيمات	الاتحاد النسائي العربي	نابلس	١٩٥٢
٣	دار حضانة أبناء الشهداء والأيتام	جمعية رعاية الطفولة والأمومة النسائية	نابلس	١٩٦٦
٤	بيت الطفولة (الكريش)	مستقل	بيت لحم	—
٥	البيت الإنجيلي للبنات والصبيان	مستقل	رام الله	١٩٥٤
٦	دار حضانة أبناء الشهداء	جمعية البر بأبناء الشهداء	أريحا	١٩٥٢
٧	دار السلام للأيتام	مستقلة	القدس	—
٨	دار الطفل العربي	مستقلة	القدس	١٩٤٨
٩	دار الأولاد	مستقلة	القدس	١٩٤٨
١٠	روضة الزهور	مستقلة	القدس	١٩٥٢
١١	لجنة اليتيم العربي	مستقلة	القدس	١٩٤٠حيفا
١٢	قرى الأطفال	مستقلة	بيت لحم	١٩٦٥
١٣	مدرسة دار الأيتام الإسلامية	الأوقاف الإسلامية	القدس	١٩٢١
١٤	الملجأ الخيري الأرثوذكسي	مستقل	القدس	—
١٥	المعهد الأردني	مستقل	أبو ديس	١٩٥٧
١٦	ميتم راهبات الوردية	مستقل	بيت لحم	١٨٩٣
١٧	البيت الخيري للأيتام	الجمعية الخيرية الإسلامية	الخليل	١٩٦١
١٨	معهد الأمل للأيتام	—	غزة	—

الائتمان اليهودي (صندوق ـ للاستعمار) :

رَ : المنظمة الصهيونية العالمية

إيحود (جمعية ـ) :

حركة يهودية يمينية تزعمها نفر من مفكري اليهود سنة ١٩٤٢ ، وعلى رأسهم الحاخام الدكتور يهودا مغنيس أول رئيس للجامعة العبرية (١٩٢٥ ـ ١٩٤٨) ، وإسرائيل شاحاك ، وموشي سميلافسكي ، وشمعون شرشفكي . وأيّد الحركة ألبرت إينشتاين ومارتن بوبر .

أما الباعث على إنشاء الحركة في إطار جمعية اسمها « إيحود ـ أي التوحيد » فمرده إلى اعتقاد منشئيها أن تقسيم فلسطين * وإقامة دولة يهودية لا ينهيان الخلاف بين العرب واليهود . وأما أهدافها فيمكن إجمالها فيما يلي :

١) إقامة دولة متحدة ثنائية القومية في فلسطين يتساوى فيها العرب واليهود في الحقوق والواجبات .

٢) فتح الأبواب للهجرة اليهودية على ألّا يزيد عدد اليهود على النصف .

٣) ضم فلسطين وشرقي الأردن وسورية ولبنان في اتحاد اقتصادي ـ سياسي يتسع ليشمل بلاداً عربية أخرى .

٤) السماح لعدد معين من اللاجئين اليهود بالإقامة في دول الاتحاد جميعها .

٥) أن تكون القدس مركزاً وعاصمة للاتحاد .

٦) ضم هذا الاتحاد إلى اتحاد إنكليزي ـ أمريكي يكون مسؤولاً عن الطمأنينة والرفاهية الاقتصادية .

وبعد قيام (إسرائيل) اقتصر نشاط الحركة على معالجة مشكلات العرب كالدعوة إلى التعويض عن أراضيهم ، وإلغاء الحكم العسكري ، وإلقاء المحاضرات ونشر المذكرات . وقد أصدرت الحركة مجلة « نير » (الشعلة) بالعربية والعبرية . وبرز من أعضائها كورت غرونمارن وماركوس ليفنجر ، وانضم إليهم نفر ضئيل من العرب لأن معظم العرب عارضوا الجمعية معارضة شديدة وأحجموا عن التعاون معها . ثم إن رد الفعل على نشاط الحركة كان ضعيفاً عند اليهود أنفسهم بداية ونهاية .

أيخمان (قضية ـ) :

ترتبط قضية ادولف ايخمان بالصراع المرير بين الحركة النازية واليهود . وقد اعتقد هتلر أن اليهود كانوا وراء الهزائم التي لحقت بألمانيا في الحرب العالمية الأولى كما اتهمهم في كتابه المشهور « كفاحي » بأنهم سبب انهيار معنويات شعب ألمانيا . وحين أصبح أدولف هتلر في عام ١٩٣٣ زعيماً لألمانيا قام بإصدار قوانين تمييزية وإجراءات ضد اليهود . فهاجر الكثيرون منهم إلى فلسطين والولايات المتحدة الأمريكية وامريكا اللاتينية (رَ : النازية والصهيونية) .

وكان من أبرز الضباط الذين اشتركوا في تنفيذ هذه الإجراءات ادولف ايخمان الذي اتهم بالذات بالإشراف على تعذيب اليهود وإبادتهم في معسكرات الاعتقال .

بعد انهيار القوات الألمانية في أيار ١٩٤٥ أخذ عدد كبير من ضباط النازيّة يهربون إلى بلدان أمريكا اللاتينية . وكان ادولف ايخمان واحداً من هؤلاء فسافر في عام ١٩٥٠ إلى عاصمة الأرجنتين « بيونس ايرس » حيث حصل في عام ١٩٥٢ على هوية باسمه الجديد « ريكاردو » .

أسهم في عملية اكتشاف شخصية ايخمان في الأرجنتين المدعي العام في ألمانيا الغربية « فريتز بادر » الذي وضع المعلومات التي حصل عليها تحت تصرف المخابرات الإسرائيلية (رَ : الاستخبارات ، جهاز ـ الإسرائيلي) . وقد أوفدت (إسرائيل) مجموعة من رجال مخابراتها إلى بيونس ايرس للتحقق من شخصية ايخمان وسوقه إلى (إسرائيل) . اختطفه هؤلاء يوم ١٠/٥/١٩٦٠ ، ثم نقلوه بعد عشرة أيام مُخَدراً متخفياً في زي مضيف جوي على متن طائرة إسرائيلية جاءت إلى الأرجنتين تحت ستار نقل وفد إسرائيلي رسمي للاشتراك في احتفال الأرجنتين بالذكرى المائة والخمسين لاستقلالها .

بدأت محاكمة ايخمان في ١١/٤/١٩٦١ في القدس المحتلة حيث وجه اليه المدعي العام الإسرائيلي تهمة المشاركة في قتل اليهود الألمان . وقد حكم عليه بالموت في ١٥/١٢/١٩٦١ ونفذ فيه حكم الإعدام شنقاً في ٣١/٥/١٩٦٢ في سجن الرملة ، وحرقت جثته وألقي رمادها في البحر خارج المياه الإقليمية . وقد هللت بعض الصحف الألمانية الموالية للصهيونية لإعدام ايخمان . أما الأحزاب الألمانية فأيدت دون تحفظ إعدام ايخمان ، ولم يشذ عن ذلك سوى الحزب الوطني الألماني الذي رأى في عملية الإعدام جريمة صهيونية ترتكب ضد ضابط ألماني قام حسب العرف العسكري بتنفيذ أوامر صدرت إليه .

كان لعملية ايخمان مضاعفات دولية ، فقد اعتبرت الأرجنتين عملية خطفه افتئاتاً إسرائيلياً غير مشروع ولا أخلاقياً على سيادتها الوطنية ، وطالبت مجلس الأمن الدولي بتعويض ملائم . عُرضت الشكوى الأرجنتينية على المجلس خلال يومين اثنين . وعبر المندوب

الإيطالي عن الشعور السائد في مناقشات المجلس فقال إن المسألة كانت تتجلى في التوفيق بين « الأخلاق والقانون » . وقد انتهى الأمر إلى إصدار قرار جاء فيه أن ما قامت به (إسرائيل) إذا تكرر يمكن أن يهدد السلام والأمن الدوليين ، وأن على (إسرائيل) أن تعوض الأرجنتين . وقُبِل اعتذار (إسرائيل) وإعلانها أن من قام بعملية الخطف قد خرق القانون الأرجنتيني كتعويض كاف ، وأسدل الستار على الرواية .

المراجع :

— Hillgruber, .: **Staatsmanner und Diplomaten bei Hitler,** Hamburg 1966.

— Jacques Derogy: **Histoire Secrète D'Israel 1917-1977,** Paris 1978.

إيدن (مشروع —) :

وقعت اشتباكات خطيرة بين مصر و (إسرائيل) على حدود النقب في آب ١٩٥٥ انتهت باحتلال (إسرائيل) لمنطقة العوجة . وسبقت ذلك صفقة شراء مصر للأسلحة من تشيكوسلوفاكيا . وقد استشفت إنكلترا والولايات المتحدة من ذلك أن محاولاتهما لكسب المنطقة العربية ضد ما يسمى « الخطر السوفييتي » ستبقى فاشلة حتى يُسوّى النزاع العربي ـ الإسرائيلي . وتبين لإنكلترا بعد مقابلة تمت بين أنطوني إيدن رئيس الوزراء البريطاني والجنرال برنز كبير المراقبين الدوليين أنه لا الأمم المتحدة ولا الدول الكبرى في وضع يمكنها من إرغام (إسرائيل) على الانسحاب واحترام قرارات الأمم المتحدة .

في هذا الجو جرت مشاورات بين إيدن ودالاس وزير الخارجية الأمريكية للوصول إلى حل يحسم النزاع . وفي ١٩٥٥/٨/٢٦ أعلن دالاس مقترحاته في الموضوع (رَ : دالاس ، مشروع) . ثم تبعه إيدن فعرض مشروعاً لحل القضية الفلسطينية في خطاب ألقاه يوم ١٩٥٥/١٠/٩ أثناء الوليمة التقليدية لرئيس بلدية لندن . وقد أشار إيدن في خطابه إلى تردّي الموقف في العوجة ، وتدفق الأسلحة السوفييتية إلى المنطقة ، وضرورة بذل محاولة جديدة لتسوية النزاع . ثم أشار إلى اقتراحات دالاس التي لم تلق الترحيب ، ولكنه أعاد الكرّة واقترح الاهتداء بها . ووضّح مشروعه في النقاط التالية :

١) يستند موقف (إسرائيل) إلى الواقع العسكري المتمثل بحدود رسمتها اتفاقيات الهدنة عام ١٩٤٩ بينما يستند موقف الدول العربية إلى قرارات الأمم المتحدة " وبالتحديد قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ " .

٢) ترى الحكومة البريطانية أن الاختلاف بين الموقفين ليس على درجة كبيرة من الاتساع بحيث لا يمكن لأية مفاوضات مجدية أن تجد حلاً له . ولا بد من أن يقدم الطرفان العربي والإسرائيلي تنازلات لسد الثغرة بين الموقفين المتعارضين .

٣) لا يمكن إهمال قرارات الأمم المتحدة ، كما أنه لا يمكن تطبيقها بحرفية دون تعديل . " ليس من الحق تجاهل قرارات الأمم المتحدة ، ولكن كذلك هل يمكن الجزم بأن قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين يمكن الآن تطبيقها كما هي ؟ "

٤) لا بد من وضع حد لمأساة اللاجئين ، وذلك عن طريق تقديم مساعدة مالية لتسوية مشكلتهم .

٥) تبدي الحكومة البريطانية استعدادها للمساعدة في الوصول إلى حل وسط وتقديم الخدمات الممكنة لتحقيق تسوية سلمية عن طريق المفاوضات .

رفض رئيس وزراء (إسرائيل) دافيد بن غوريون مشروع إيدن ، على أساس أن " غزو الدول العربية أرض إسرائيل في حرب ١٩٤٨ * جعل كافة قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين لاغية وباطلة " ، ووصف المقترحات البريطانية بأنها " لا يبررها القانون ولا الأخلاق ولا المنطق " .

أما في الجانب العربي فقد صرح الرئيس المصري جمال عبد الناصر * يوم ١٩٥٥/١١/٢٨ " أن إيدن لم يتقدم بأية مقترحات محددة تتطلب دعماً مصرياً بل عاد إلى التقاط قرارات الأمم المتحدة من جديد ، مما يشكل في نظر مصر اعترافاً بحقوق الشعب العربي الفلسطيني الذي اغتصب وطنه عندما كان خاضعاً للانتداب البريطاني " . وأعلنت الحكومة الأردنية على لسان ناطق رسمي أنها لن تتخذ أي قرار بشأن اقتراحات إيدن ما لم توافق عليها حكومات الدول العربية الأخرى . وقال الناطق " هذه هي المرة الأولى التي تقترب فيها اقتراحات غربية من وجهة النظر العربية التي تطالب بتنفيذ مشروع الأمم المتحدة في التقسيم " .

وبالنظر للنيات الإسرائيلية التوسعية لم يلق مشروع إيدن تأييد الكيان الصهيوني فطوي .

المرجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

الإيدوميون :

يستخلص من المصادر المقدسة والكتابات القديمة والآثار ان

الإيدوميين *Edomites* أو الادوميين ، قوم من العناصر ذات الأصول العبرانية والعربية ومن سكان البلاد الأصليين التي استوطنت المنطقة جنوبي البحر الميت * وأطلقت عليها اسمها إيدوم ، وإن كانت تسمى في بعض مواضع التوراة * باسم بلاد سعير ، نسبة إلى جبال المنطقة ، كما سمي الإيدوميون بالعماليق . وتنتسب هذه الجماعات ـ حسب التوراة ـ إلى « آدوم » أي الأحمر بالعبرية ، وهو الاسم الثاني لعيسو الابن التوأم الأصغر لإسحق * بعد يعقوب * أو إسرائيل . ومن نسل آدوم تحدر الإيدوميون . وتذكر المصادر أن الإيدوميين كانوا أكثر الأقوام التي احتك بها العبرانيون * في فلسطين وكانت علاقاتهم بهم تراوح ما بين الجوار الحسن الذي يدلّ عليه إطلاق العبرانيين عليهم لقب «الإخوة» والتبعية العسكرية وبخاصة في حالات الضائقة الاقتصادية في فلسطين والاضطرار إلى احتكار تجارة البحر الأحمر .

ويعتبر التاريخ السياسي والحضاري للإيدوميين من أغمض تواريخ الأقوام التي استوطنت فلسطين ، وجنوبها بشكل خاص . ترد أول إشارة إلى هؤلاء عندما أرسل موسى * عليه السلام من قادش ، وكان في طريقه من مصر إلى كنعان * (فلسطين) ، أرسل رسولاً يطلب إليه مفاوضة ملك الإيدوميين من أجل السماح للعبرانيين بالمرور عبر أراضي مملكته واعداً إيّاه بعدم التعرض للكروم والحقول والمياه . ولكن الملك الإيدومي رفض وهدد بقتال موسى وقومه ، مما اضطر موسى إلى اتخاذ طريق أطول للوصول إلى أريحا * بداية الأرض التي يريد الوصول إليها . وعندما اشتد ساعد العبرانيين بعد تأسيس أول ممالكهم في عهد داود (١٠٠٤ ـ ٩٦٣ ق.م.) أخضعوا الإيدوميين لسلطانهم . وفي أواخر حكم ابنه سليمان (٩٦٣ ـ ٩٢٣ ق.م.) تحررت آدوم من السيطرة العبرانية ، ولكن ذلك لم يمنع استمرار العلاقات بين الشعبين لدرجة أن يورام أو يهورام ملك إسرائيل (المملكة العبرانية الشمالية بعد انفصالها) استعان بالإيدوميين عندما قام حوالي عام ٨٤٢ ق.م. بحملة ضد المآبيين . وقد ساءت العلاقات في عهود بعض ملوك يهودا (المملكة العبرانية الجنوبية) اللاحقين . وتخبر المصادر أن الإيدوميين ثاروا من ملك يهودا يورام بن يهوشافاط ، فقام أحد خلفائه ، وهو أمصيا بن يؤاش (٧٩٥ ـ ٧٨٦ ق.م.) بتجريد حملة هزمت الإيدوميين ، كما استولى ابنه عزريا (٧٨٦ ـ ٧٤٠ ق.م.) على مدينة أيلة على خليج العقبة * وحصّنها .

ويبدو أن الإيدوميين تمكنوا بعد ذلك من الانتقال من مرحلة الخضوع إلى مرحلة ردّ العدوان على أراضيهم ، إذ تذكر المصادر أن ملك يهودا آحاز بن يوثام طلب من الأشوريين مساعدته في صدّ الغزوات الإيدومية المتكررة على قومه . بيد أن الإيدوميين لم يتمكنوا على ما يبدو من فرض سيطرتهم لفترة طويلة على فلسطين الجنوبية ، إذ تضيف المصادر نفسها ان آدوم اضطرت بعد فترة قصيرة إلى دفع الجزية للأشوريين أسوة بما كانت تدفعه فينيقية وعمون ومآب . وأنه عندما قام صارغون الثاني عام ٧١١ق.م. بتوجيه حملة ضد أشدود الثائرة استخدم قوات إيدومية، كما استخدم بعد ذلك الملك البابلي نبوخذ نصر الإيدوميين ضد الأورشليميين قبل حملته الشهيرة التي انتهت بسبي اليهود الثائرين عليه إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. (رَ : السبي البابلي) . وخلال فترة السبي قام الإيدوميون ، بنتيجة ضغط القبائل العربية من الجنوب ، بالتوسع في فلسطين الجنوبية واستولوا على أقسام من أراضي دولة يهودا . ولكنهم سرعان ما خضعوا ، مع بدايات القرن الثاني قبل الميلاد ، للسيطرة اليهودية وأكرهوا على اعتناق اليهودية بحدّ السيف . وحوالي منتصف القرن الأول قبل الميلاد استولى الرومان على سورية وانضمت المنطقة الجنوبية من فلسطين إلى روما باسم إيدومية *Edomea* .

لم يخلف الإيدوميون معالم حضارة بارزة ، وكل ما يمكن استخلاصه من المصادر أنهم اعتمدوا في فترة ما مدينة « حبرون » عاصمة لهم ، وأنهم كانوا يتحدثون بلهجة شديدة الشبه بالعبرية والمآبية والعمونية ، وأنهم احتكروا في فترات قوتهم تجارة البحر الأحمر الشمالية .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ نجيب مخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، سورية ١٩٦٦ .
— **Encyclopedia International,** vol 6, S,V. Edom.
— **New Standard Encyclopedia,** vol 4, S.V. Edomites.

أيزنهاور (مشروع ـ) :

في أول بيان أمريكي صدر منذ العدوان الثلاثي على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) وجه الرئيس الامريكي أيزنهاور يوم ١٩٥٧/١/٥ رسالة إلى الكونغرس بعنوان " ضمان الأمن والاستقلال في الشرق الأوسط ودعم السلام العالمي " أعلن فيها مقترحات محددة عرفت باسم مشروع أيزنهاور . وتضمن البيان إشارات قليلة إلى الأفكار والمخاوف والمشاعر التي انتظمت الوطن العربي إثر العدوان الثلاثي : " منذ وقت قريب نشبت حرب تورطت فيها دول غربية تمارس نفوذاً كبيراً في المنطقة . لقد قوّى الهجوم الإسرائيلي الكبير نسبياً الفروق الأساسية بين إسرائيل وجيرانها العرب ، واستغلت

الشيوعية الدولية كل هذا العجز . . وهذا المشروع لن يحل جميع مشكلات الشرق الأوسط . . هنالك مشكلة فلسطين ، وعلاقات إسرائيل بالدول العربية ، ومستقبل اللاجئين العرب ، وهنالك مشكلة مستقبل قناة السويس . . وقد تضاعف خطر هذه المشكلات بسبب تهديد الشيوعية الدولية الذي ينبغي إبعاده " .

وبما أن العدوان الثلاثي على مصر كان قد نقض البيان الثلاثي * لعام ١٩٥٠ القاضي بالمحافظة على الوضع الراهن في الشرق الأوسط فقد عملت الولايات المتحدة الأمريكية على تطويق مضاعفات انحسار النفوذ البريطاني والفرنسي من المنطقة العربية مدّعية مواجهة احتمالات غزو سوفييتي ، فأعلنت منفردة تحملها مسؤولية المحافظة على الوضع الراهن ، وأذاعت مشروع أيزنهاور الذي قصد منه أساساً أن يعالج ما يسميه " احتمالات الغزو الشيوعي المباشر وغير المباشر " . وعلى الرغم من أن أيزنهاور وصف أحداث العدوان الثلاثي بأنها « حرب » و « هجوم إسرائيلي كبير نسبياً فقد رأى أنها ليست بذات بال إذا قيست بما أسماه بخطر الهجوم الشيوعي الدولي .

والمشروع الامريكي يهدف إلى ملء « الفراغ » الذي تركه الغرب في الشرق الأوسط على صعيدين : اقتصادي بمساعدة أية دولة شرق أوسطية على تنمية أحوالها الاقتصادية ، وعسكري باتخاذ تدابير عسكرية تشمل استعمال القوات الأمريكية المسلحة« لضمان وحماية » الكيانات الإقليمية والاستقلال السياسي للدول التي تطلب هذا العون في سبيل " مواجهة أي عدوان مسلح مكشوف من قبل أية دولة تسيطر عليها الشيوعية الدولية " .

في ١٩٥٧/٣/٩ صادق الكونغرس الأمريكي على مشروع أيزنهاور ، وجرى تصنيف دول الشرق الأوسط بحسب موقفها من المشروع إلى موالية للغرب وغير موالية له .

وفي ٢٣ آذار أعلنت واشنطن أنها ستنضم إلى اللجنة العسكرية لحلف بغداد * ، وأرسل أيزنهاور مبعوثه جيمس ريتشارد إلى الشرق الأوسط فاستطاع أن يكتسب لصالح المشروع بعض الحكومات العربية ودول المنطقة ، فأعلنت ليبيا وتونس والمغرب وباكستان وإيران وتركيا موافقتها على المشروع ، وقبل العراق به على أن تكون المساعدة غير مشروطة ، وهاجمته سورية ، ورفضته مصر . وكان لبنان في عهد رئاسة كميل شمعون الدولة العربية الوحيدة التي التمست المساعدة العسكرية في إطار مشروع أيزنهاور عندما تفاقمت الاضطرابات فيها .

أما (إسرائيل) فقد أعلنت يوم ١٩٥٧/٥/٢١ تأييدها للمشروع ، ورحبت بالعون الأمريكي وبوجوب بذل كل جهد لتحقيق السلام الدائم في الشرق الأوسط وفي العالم . ولهذه الغاية تتعاون مع الولايات المتحدة والحكومات الصديقة ، وتعبّر عن تقديرها للحكومة والشعب الأمريكي لاهتمامهما بتقدم حكومة (إسرائيل) وبذل المساعدة لها . ونوهت الحكومة الأمريكية في اليوم نفسه بالبيان الإسرائيلي المساند لمقترحات أيزنهاور ، وأعلنت أنها تشارك في المبادىء والأهداف التي وردت في البيان المذكور وتؤيدها . وبذلك أدمجت الإدارة الأمريكية (إسرائيل) صراحة بأهداف سياستها تحت ستار التركيز على تهديد شيوعي مزعوم في الشرق الأوسط متجاهلة نزعة (إسرائيل) العدوانية وتهديدها للسلم والأمن في المنطقة .

إلى جانب ذلك قامت الولايات المتحدة بحملة ضغط وتحريض على سورية ومصر للحيلولة دون سيرهما في طريق التحرر والوحدة .

أما الاتحاد السوفييتي فقد نظر إلى مشروع أيزنهاور بوصفه محاولة لنسف قواعد النفوذ البريطاني ـ الفرنسي في الوطن العربي وإحلال النفوذ الأمريكي الاقتصادي والعسكري محله . وأرسلت موسكو إلى واشنطن مذكرة تحتوي على ستة مبادىء تصلح أساساً لعلاقات الدول الكبرى مع بلدان الشرق الأوسط ، وتستند إلى تسوية النزاعات بالطرق السلمية ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية ، والكف عن محاولات زج بلدان الشرق الأوسط في التكتلات العسكرية ، وإزالة القواعد العسكرية ، وسحب الجيوش الأجنبية ، وحظر شحن السلاح ، وتنشيط التطور الاقتصادي دونما شروط عسكرية ملحقة به . وقد رفضت الولايات المتحدة هذه المبادىء .

تجاهل مشروع أيزنهاور أسباب النزاع العربي ـ الصهيوني ، وجوهره قضية فلسطين ، فنجح مؤقتاً في تثبيت الوضع الراهن في المنطقة وأخفق في حل القضية الفلسطينية على أي نحو معقول يعيد إلى الغرب اعتباره في نظر الدول العربية . وبما أن الاستعمار الغربي هو المسؤول عن غصب حقوق العرب في فلسطين وتمزيق الوطن العربي عموماً فلم يكن التلويح بالخطر الشيوعي مفيداً للغرب ولا مقبولاً لدى العرب .

ونجم عن التجاهل الأمريكي لأصول قضية فلسطين تزايد التقارب العربي ـ السوفييتي ، وبالمقابل توثق التقارب الإسرائيلي ـ الأمريكي الذي تجلى بالدعم الأمريكي للكيان الصهيوني ديبلوماسياً واقتصادياً وعسكرياً بداعي موازنة السلاح الذي اشترته بعض الدول العربية من الكتلة الاشتراكية للدفاع ضد الغزو الصهيوني والامبريالية الداعمة له .

لم ينقض زمن طويل على مشروع أيزنهاور حتى انهار في المنطقة في إثر الهبّة الشعبية العربية ضد المشاريع الغربية الاستعمارية (مثل حلف بغداد ومشروع أيزنهاور) ، وقيام الوحدة

بين مصر وسورية في شباط ١٩٥٨ ، وانسحاب العراق من حلف بغداد بعد انهيار النظام الملكي وظفر الثورة في ١٩٥٨/٧/١٤ .

المراجع :

— John C. Campbell: **Defense of the Middle East,** New York 1960.
— John C. Campbell.: **The Middle East in the Muted Cold War,** Denver 1964.
— **Kessing's Contemporary Archives.**

إيسكـــرا : رَ : الرابطة الإسرائيلية لمكافحة الصهيونية

إيـــلات (المدمرة ــ) :

في أثر العدوان الإسرائيلي في ١٩٦٧/٦/٥ (رَ : حرب ١٩٦٧) ازداد التوتر على خطوط وقف إطلاق النار بين الدول العربية و(إسرائيل) وكثرت الاعتداءات والتحرشات الإسرائيلية .

دخلت المدمرة الإسرائيلية "إيلات" المياه الإقليمية المصرية في ١٩٦٧/١٠/٢١ ، وحينما اقتربت إلى مسافة ١٠ أميال من بور سعيد ، أي داخل المياه الإقليمية المصرية بميلين ، تصدى لها زورقا طوربيد من القوات البحرية المصرية من طراز " كومار " وأطلقا عليها صواريخ أصابتها ، فغرقت المدمرة بسرعة . وكان على متنها من البحارة ٢٠٢ قتل وغرق ٤٧ منهم وجرح ٩١ ونجا الباقون.

كانت المدمرة إيلات البريطانية الأصل إحدى مدمرتين تملكهما (إسرائيل) وكانت مزودة بأحدث المعدات الالكترونية ، وبعشرة مدافع ، وثمانية صواريخ طوربيد ، وأربعة مدافع لإطلاق قنابل الأعماق .

وقد قدمت مصر و(إسرائيل) في ٢٢ تشرين الأول مذكرتين عن الحادث إلى مجلس الأمن الدولي . واجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي * لدراسة الحادثة ونتائجها وما يجب عمله . وصرح رئيس الوزراء بعد الاجتماع أن " الهجوم الإجرامي " الذي لا مبرر له على المدمرة إيلات ، هو خرق خطير للقوانين البحرية الدولية . وقال : " إن هذا العمل العدواني المتعمد يحمل معنى لا يمكن قبوله " . وشبّه وزير الدفاع الإسرائيلي إغراق المدمرة بإغلاق خليج العقبة * في أيار ١٩٦٧ ، وأعلن أن هذه الحادثة تعدّ استئنافاً للقتال من قبل مصر .

وفي ١٩٦٧/١٠/٢٣ فتحت المدفعية الإسرائيلية المتمركزة على الجانب الشرقي لقناة السويس نيراناً كثيفة على ميناء السويس ومصافي النفط فيه فأحدثت حرائق أنزلت أضراراً بالميناء والمصافي . وردت المدفعية المصرية على النار بالمثل وتمكنت من إسكات المدفعية المعادية . ثم قدمت مصر شكوى إلى مجلس الأمن وطلبت اجتماع المجلس لدراسة الموقف الناجم عن هذا الاعتداء . وفي الوقت ذاته قدمت (إسرائيل) شكوى بشأن إغراق المدمرة إيلات . فاجتمع المجلس يومي ٢٤ و٢٥ / ١٠ /١٩٦٧ وأصدر قرارا رقمه ٢٤٠ (١٩٦٧) شجب فيه خرق وقف إطلاق النار ، وأكد " ضرورة الامتثال لقرارات وقف إطلاق النار " ، وطلب من الدول المعنية "أن تمتنع فورا عن القيام بأي نشاطات عسكرية ممنوعة في المنطقة" .

كان لحادث إغراق المدمرة إيلات أثر معنوي ونفسي كبير في الجماهير العربية ، فقد وجدته أول انتصار على الغطرسة العسكرية الإسرائيلية بعد هزيمة حرب حزيران ١٩٦٧ ، ورأت فيه بارقة أمل في استعادة القوات العسكرية العربية قوتها المعنوية وقدرتها على مجابهة العدو المحتل .

المراجع :

ــ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٦٧** ، بيروت ١٩٦٩ .
ــ اليوميات الفلسطينية : المجلد السادس ، بيروت ١٩٦٨ .
— **Kessing's Contemporary Archives,** November 1967.

إيـــلات (مدينة ــ) :

أقام الصهيونيون هذه المدينة في موقع أم رشرش العربي على الرأس الشمالي الغربي لخليج العقبة * . وأنشىء ميناؤها الذي ساهم في تطوّر ونمو المدينة عام ١٩٥١ . وإيلات اسم المدينة الإيدومية القديمة التي كانت تقع على الخليج قرب مدينة العقبة الحالية . وقد ذكرتها التوراة في حديثها عن تيه بني إسرائيل فقالت إنهم مرّوا بها عند خروجهم من مصر (القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) . وفي ذلك الوقت كان الإيدوميون * أصحاب السيادة على هذه المنطقة التي تمتد من البحر الميت حتى خليج العقبة . وقد اشتهرت بلاد الإيدوميين هذه بثروتها المعدنية وبموقعها التجاري مما جعلها ملتقى طرق التجارة بين الجزيرة العربية ومصر والشام والبحر المتوسط . ودلّت النقوش على أن المصريين القدماء قاموا باستغلال مناجم النحاس والحديد والمنغنيز التي كانت تمتد من شمال وادي عربة إلى خليج العقبة في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد .

كانت ثروة إيدوم وازدهارها السبب الرئيس للحرب التي شنّها عليها الملك داود في القرن العاشر قبل الميلاد ، وهي الحرب التي أدّت إلى انتصاره وتحكّمه في رأس الخليج . وفي أواسط القرن العاشر قبل الميلاد أنشأ ابنه الملك سليمان مدينة عصيون جابر واستخدمها ميناء له على البحر الأحمر للاتجار مع جنوب جزيرة العرب وشرق إفريقيا . ودلّت الحفريات التي قام بها نلسون غلوك وفريتز فرانك في تلّ الخليفة الذي يقع على مسافة ثلاثة أميال إلى الشمال الغربي من مدينة العقبة الحالية على أن هذا التل هو موقع عصيون جابر وإيلات القديمة ، وأن الموقع كانت تشغله مستوطنة حصينة تحيط بها أسوار قوية بين القرن العاشر والقرن الرابع قبل الميلاد . ويعتقد بعض العلماء أن عصيون جابر وإيلات لم تشغلا الموقع نفسه وإنما كانتا مدينتين متجاورتين . ودلّت الحفريات كذلك على أنه كانت لعصيون جابر تجارة نشيطة مع المعينيين في جنوب جزيرة العرب . ويبدو أن حروب الإسرائيليين مع الإيدوميين استمرت عشرات السنين . ويروي العهد القديم (سفر الملوك : ٢/٤ ، ٢/٧) أن الملك أمصيا احتل سلع حاضرة الإيدوميين وقتل عشرة آلاف منهم وألقى بعشرة آلاف آخرين من قمة أحد الجبال، ثم أخذ آلهتهم إلى القدس . وفقدت إيدوم أيضا ميناءها على البحر قرب العقبة الحالية ، واضطر الإيدوميون إلى قبول إقامة مستعمرة تجارية يهودية . لكن الحرب ظلّت بعد ذلك سجالا بين الطرفين حتى اضطر اليهود إلى الانسحاب نهائياً من عصيون جابر ومنطقة خليج العقبة كلها في عهد الملك آحاز (٧٣٥ ـ ٧١٥ ق.م.) .

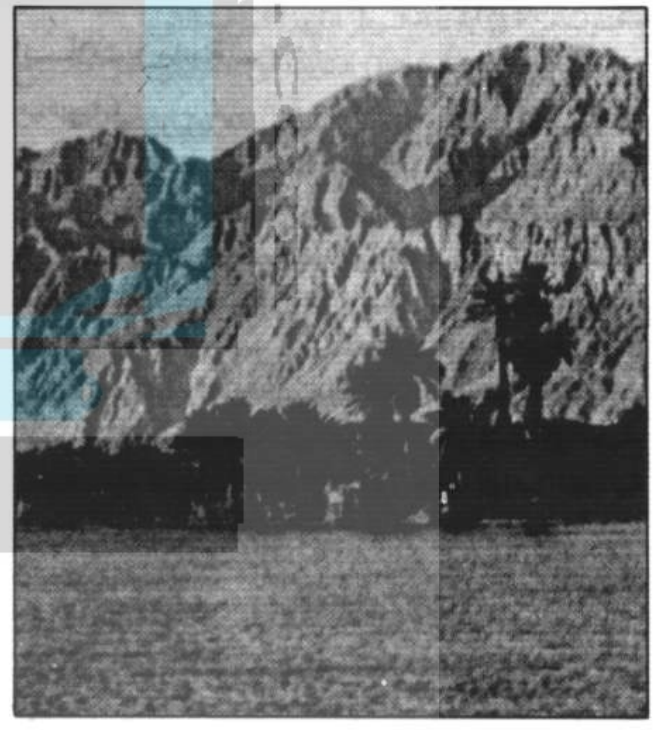

وظلّ الإيدوميون في إيلات بعد ذلك قرابة ثلاثة قرون إلى أن احتلها الأنباط * ربما في القرن الرابع قبل الميلاد .

وفي هذا القرن حلّ الأنباط محل الإيدوميين في المنطقة وأصبحت أيلة ميناء الأنباط على البحر الأحمر . وكان الأنباط هم أول من استعمل اسم « أيلة » المشتق من اسم إيلات الأسم الإيدومي القديم . وقد نقل الأنباط أيلة من موقعها القديم قرابة ٣ أميال باتجاه الجنوب الشرقي إلى حيث تقع مدينة العقبة الحالية الآن .

ازدهرت أيلة ازدهارا كبيرا مع ازدهار دولة الأنباط الاقتصادي لأنها كانت هي والبتراء عاصمتهم تقعان على خطين هامين من خطوط التجارة العالمية آنذاك بين الشام وجنوب الجزيرة العربية وآسيا من جهة ، وبين الشام ومصر من جهة أخرى . وكانت هناك طريق تجارية هامة تصل بين أيلة وغزة (رَ : الطرق) .

وفي أثناء حكم البطالمة * أصبح اسمها بيرينكة *Berenike* ، وظلّت تتمتع بمركز تجاري هام مع شرق إفريقيا وجنوب جزيرة العرب . وفي سنة ١٠٦ ق.م. تمكّن الامبراطور الروماني تراجان من قهر الأنباط ، واحتل البتراء وأيلة ، وبنى طريقا تبدأ من أيلة وتنتهي بدمشق . وأصبحت بلاد الأنباط ولاية رومانية أطلق عليها اسم بروفنسيا أرابيا (الولاية العربية) ، وأصبحت أيلة مقرا للفرقة الرومانية العاشرة وغدت حصنا عسكرياً جنوبي فلسطين .

وفي عهد البيزنطيين احتفظت أيلة بمكانتها التجارية فكان ينقل عبرها الحرير والتوابل إما إلى بلاد اليونان عن طريق غزة وإما إلى مدن الشمال في سورية . وفي سنة ٣٢٥ م أصبحت أيلة مركزاً لأسقفية كان بعض أساقفتها من العرب . وفي الفترة التي سبقت ظهور الإسلام حكمها ملوك الغساسنة * باسم الدولة البيزنطية .

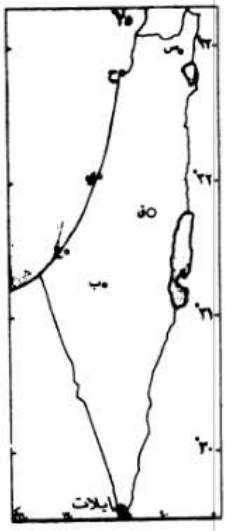

ظهر اسم أيلة لأول مرّة في التاريخ الإسلامي سنة ٩هـ/٦٣٠ م ؛ فعندما وصل الرسول عليه السلام إلى تبوك في تلك السنة قدم يوحنا بن رؤبة مطران أيلة على النبي فصالحه على جزية قدرها ٣٠٠ دينار في السنة ، وعلى قرى من يمر بأيلة من المسلمين . وكتب الرسول لهم كتابا أن يُحفظوا وأن يُمنعوا « وأن لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر » . وأهدى يوحنا إلى النبي بغلة بيضاء ، وأهدى النبي إليه بردة من بروده .

وعندما زار الخليفة عمر بن الخطاب * الشام بعد طاعون

عمواس خرج للقائه بـأيلة جمهور كبـير من الناس . وقضى ليلة في ضيافة مطران البلدة .

ومنـذ بـدايـة العهـد الإسـلامي أصبحت أيلة ملتقى الحجيـج المصـري والشامي وانتـعشـت التجـارة فيها . وكـان بها في العهـد الإسـلامي وبعده قـوم يذكـرون أنهم من موالي عثمـان بن عفان ، وكانوا سقاة الحج . وفي عام ١٩١ هـ في خلافـة هارون الـرشيد امتنع أهل أيلة بقيادة أبي النّداء عن دفـع الضرائب ، وتمـردوا على الحكـومة العبـاسية ، فبعث إليهم الـرشيد بجنـوده فظفـروا بهم وأرسل أبو النّداء إلى بغداد حيث قتل .

أصبحت أيلة في القرن الثالث الهجري تحت حكم الطولونيين . وذكـر أن خمارويـه (توفي ٢٨٢هـ/٨٩٦ م) عبّـد طريقهـا ورمّم الجبل العالي « ذا العقبة » الواقع ازاءها ليسهل وصول القادمين إلى المدينة .

وعلى الرغم من وقوع أيلة عند ملتقى أقـطار ثلاثـة هي الشام ومصـر والحجاز فقـد كانت في الغـالب « تعـد في بـلاد الشـام » . وشهدت المدينة قمة ازدهارها في القـرن الرابـع الهجري / العـاشر الميـلادي . ووصفهـا المقـدسي ٣٧٥ ـ ٣٧٦هـ/٩٨٥ ـ ٩٨٦ م في « أحسن التقـاسيم » فقـال : « مـدينـة عـامـرة جليلة ذات نخيـل وأسماك ، فُرضة فلسطين وخزانة الحجـاز . وفي أيلة تنازع حصـل بين الشاميين والحجازيين والمصريين وإضافتها إلى الشام أصوب لأن رسومهم وأرطالهم شامية ، وهي فُرضة فلسطين » .

أصيبت أيلة في القـرن الخامس الهجـري بنكبتين ، ففي سنـة ٤١٥هـ/١٠٢٤ ـ ١٠٢٥ م نهبها عبد الله بن أدريس الجعفري مع جماعة من بني الجرّاح . وفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢ ـ ١٠٧٣ م حدثت في البلاد زلزلة هائلة أهلكت أيلة ومن فيها .

وقد جلبت فترة حكم الصليبيين (رَ : الفرنجة) إلى أيلة كثيرا من المصـائب التي أدّت إلى تدمـير قسم كبير من المـدينـة . ففي سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٦م احتـل بغدوين الأول ملك القـدس مدينـة أيلة وضمّهـا إلى بارونيـة الكرك التـابعـة لمملكـة القـدس * . وحـاول الصليبيون استغلال موقعها العسكري ليمنعوا الاتصـال بين الشـام ومصـر والحجاز . فـأنشأوا حصنـا على جـزيـرة فـرعـون المجـاورة للشاطىءوبنوا أسطولاً في العقبة أبحر في عام ٥٥٥هـ/١١٦٠ م .

وفي سنـة ٥٦٦هـ/١١٧٠م تمكّن صـلاح الـدين الأيـوبي * من استرداد أيلة بعد معركة برية وبحرية ، فطرد الفرنجة وتـرك حامية في المدينة . لكن رينـو دي شاتيـون أمير الكـرك الصليبي تمكّن من احتـلال أيلة فترة قصيـرة عام ٥٧٨ ـ ٥٧٩هـ / ١١٨٢ ـ ١١٨٣م في سياق حملته ضد الأماكن المقدسة في الحجاز . وكان قد بنى السفن في عسقلان ونقلها إلى أيلـة وشـرع يهاجم سفن المسلمين في البحر الأحمر . بيد أن حسام الدين لؤلؤ قائد صلاح الدين دمّـر أسطول رينو سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م ، وعادت أيلة إلى أصحابها .

عاد الصليبيون إلى أيلة مرّة أخرى ، ثم استرجعها منهم نهائيـا السلطان الـظاهر بيبـرس * عـام ٦٦٥هـ/١٢٦٧م ، لكن المـدينـة كـانت في حالـة من الخراب . وبـزوال الخطر الصليبي عـادت أيلة ملتقى للحجاج القادمين من مصر والشام . وفي أوائل القرن العاشر الهجـري/ السادس عشـر الميـلادي بنى السلطان قـانصـو الغـوري ٩٠٦ ـ٩٢٢هـ/١٥٠١ ـ ١٥٢٢م قلعـة على شـاطىء أيلـة رممهـا السلطان العثماني مراد الثالث سنة ٩٩٦هـ/١٢٩٦م . وكان هنالك قبـل هذه القلعـة قلعة أخـرى قديمـة تحمي أيلة في جزيـرة فرعـون القريبـة وقلعة أخرى بناها الصليبيـون على الأرجـح سنة ٥٧٨ أو سنة ٥٧٩/١٨٨٢ ـ ١١٨٣م . ولم يعد لهذه الأخيرة من أثر اليوم .

أصبحت أيلة ابتداء من القرن السـادس عشر الميـلادي تدعى باسمها الجديد « العقبة » . وهذا الاسم اختصار لعقبة أيلة . وكان هذا الاسم ، أي عقبة أيلة ، قد أطلق على المدينة من القرن الرابع عشر الميلادي حتى القرن السادس عشر الميلادي . وابتداء من القرن السادس عشر الميـلادي أسقطت كلمـة أيلـة واقتصر الاسم عـلى العقبة . وتشير عقبة أيلة إلى الممر الوعر الذي مهّده ملوك مصـر ابتـداء مـن خمـارويـه الـطولـوني حتى النـاصـر محمـد بن قـلاوون (٧١٩ هـ / ١٣٣٠م) في جبل أمّ نصيلة المجـاور للمدينـة ليسهل الوصول إليها .

ظـلّ خليج العقبـة تحت السيادة العـربية الكـاملة ألى أن قـام الاحتـلال الصهيوني بتـأسيس ميناء إيـلات عـام ١٩٥١ . وظلّت القوات المسلحة المصرية المتمركزة في شرم الشيخ تحاصره حتى عـام ١٩٥٦ عنـدما شنّت دول العدوان الثلاثي هجوما على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) ، ونتج عن ذلـك العدوان تمـركز قـوات الطوارىء الدولية في شرم الشيخ ، والسماح للسفن الإسرائيلية وسفن الدول الأخرى بالمرور في خليج العقبة . لذلـك أخذ ميناء إيلات منـذئذ يزدهر تدريجيا ، وتجلى ازدهاره في تطور نمو مـدينة إيـلات سكانـاً وعمراناً .

بدأ ميناء إيـلات يقوم بدور حيوي في تجـارة الكيان الصهيـوني الخارجية منذ عام ١٩٥٦ ، وبخاصة مع دول شرقي إفريقيا وجنوب شرق آسيا وأوستراليا . وتمّ ربط إيلات بمدينة بير السبع * وميناءي أسدود * وعسقلان على البحر المتوسط بطريق رئيسـة معبدة تخـترق إقليم النقب . وتنتقـل البضائـع عـلى هـذه الـطريق بـالشـاحنـات الضخمة،وتمّ أيضا ربط إيلات بمنشآت البوتاس في أسدوم وبمركز المفاعل النووي في ديمونة * بطريق رئيسة معبدة أخرى تخترق وادي عـربة * . وتـرتبط إيلات أيضـاً بمناجم الفـوسفـات * في النقب *

بطريق متفرعة من طريق إيلات ـ بير السبع . وهنالك خطّان من أنابيب النفط يصلان بين إيلات وكل من حيفا * وعسقلان . ويبلغ طول الخط الأول قرابة ٤٠٠ كم ، وقطره نحو ٤٠ سم ، وتجاوزت طاقته ٦ ملايين طنّ سنوياً . أما الخط الثاني فيبلغ طوله ٢٥٦ كم ، وقطره نحو ١٠٥ سم ، ووصلت طاقته إلى ٢٠ مليون طنّ سنويا ، وقد تصل طاقته في المستقبل إلى ٥٠ مليون طنّ سنويا .

ولشركة زيم الصهيونية للملاحة خطوط منتظمة عبر البحر الأحمر إلى أثيوبيا وكينيا وتانزانيا ومالاغاشي وموزامبيق وجنوب إفريقيا . وتدير الشركة خطوطا منتظمة إلى الموانىء اليابانية وهونغ كونغ وماليزية وسنغافورة وأستراليا . وأهم الصادرات الإسرائيلية إلى أفريقيا والشرق الأقصى ، عبر إيلات ، البوتاس والفوسفات والإسمنت والنحاس والإطارات والمنسوجات ومسحوق الصابون والمبيدات والحمضيات * . وأهم الواردات النفط * والمنتجات الصناعية والحديد والمطاط الصناعي وزيت جوز الهند والأرز والذرة والعلف . وقد ساهم ميناء إيلات في أكثر من ٧٪ من مجموع النقل البحري للكيان الصهيوني في عام ١٩٨١ . ويقدّر مجموع كمية الصادرات والواردات عبر ميناء إيلات (باستثناء النفط) بنحو ثلاثة أرباع مليون طن من البضائع .

بلغ عدد سكان إيلات في عام ١٩٥٢ نحو ٢٧٥ نسمة ، وازداد عددهم إلى ٢,٦٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ ، وإلى ١١,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٦٦ ، وإلى ١٤,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٧٣. ويقدّر عددهم بنحو ٢٠,٠٠٠ نسمة في عام ١٩٨١ . يعود غالبية سكانها في أصولهم إلى صهيونيين مهاجرين من شمال إفريقيا والمجر ورومانيا وبولونيا وهولندة . وفيها مطار هو الثاني في فلسطين المحتلة بعد مطار اللد ، ويبعد نحو كيلومترين عن الساحل على الجانب الغربي من الطريق العامة . ولإيلات مرفأ مدني وآخر عسكري . وفيها عدد من المصانع كمصنع قطع الأحجار وصقلها ، ومصنع صقل الماس ، ومصنع الجص ، ومصانع لتعليب الأسماك ، ومصنع للنحاس ، ومعمل لحياكة الملبوسات ، ومعمل لتعقيم الحليب . وفيها أيضاً مصفاة للنفط ، ومحطة لتقطير المياه تنتج أكثر من مليون غالون ماء يوميا لسد حاجة المدينة من المياه ، ومحطة للقوة الكهربائية . وإيلات مركز تجاري وترفيهي وسياحي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ حامد سلطان : **مشكلة خليج العقبة** ، القاهرة ١٩٦٧ .
ـ موسى عبود سمحة : **مدينة العقبة وميناؤها** ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ الياس مرمرجي : **بلدانية فلسطين العربية** ، بيروت ١٩٤٨ .
ـ المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن ١٩٠٦ .
ـ فؤاد بسيسو : **تأثير المقاطعة العربية على الاقتصاد الإسرائيلي** ، عمان ١٩٧١ .
— The Economist Intelligence Unit, **Quarterly Economic Review,** «Israel», London 1981.
— **Encyclopedia Britannica,** Chicago 1974.
— **Encyclopedia of Islam,** Vol 1. Leiden 1960.
— Lindner M. (ed.): **Petra und das Koenigreich der Nabataer,** Bad Windsheim 1974.

إيليـــاء (عهد ـ) :

ينسب هذا العهد تارة إلى المدينة « إيلياء » أي بيت المقدس ، أو القدس * ، وتارة إلى عمر بن الخطاب * الخليفة الثاني الذي تم في خلافته فتح فلسطين ومنها بيت المقدس .

منذ انتصار المسلمين على الحامية البيزنطية في داثن بأرض العربة في فلسطين ، وحتى عام ١٦هـ/٦٣٧م تقريبا ، كان قد تم تحرير فلسطين باستثناء قيسارية * وبيت المقدس . ثم دخلت الأخيرة في أمان المسلمين عام ١٦هـ ، وقيل عام ١٧هـ ، وقيل عام ١٥هـ . وتختلف الروايات حول من أعطى الأمان من جانب المسلمين لأهل بيت المقدس ، وحول من قام من أهل بيت المقدس بأخذ الأمان ، ثم تختلف بعد ذلك في مضمون العهد وشروط الأمان: فمن جانب المسلمين قيل إن العهد كان على يد قادة المسلمين في بلاد الشام ، وقيل إنه كان على يد الخليفة عمر بن الخطاب . ويبدو أن الذي تولّى الصلح هو عمر بن الخطاب بنفسه بناء على إصرار أهل إيلياء . وكتب عمر لهم العهد وأشهد فيه قوّاد المسلمين .

أما من جانب أهل إيلياء فقيل إن صفرونيوس بطرك إيلياء هو الذي تولى الصلح مع المسلمين وطلب من أهل إيلياء أن ينزلوا ويعقدوا الأمان معهم . وقيل بل كان قد لحق بمصر ، وإن الذي تولى مصالحة المسلمين هم العوام من أهل إيلياء والرملة * . وقيل إن أبا الجعيد ـ رجل من المستعربة ـ نزل في ناس من عظماء إيلياء وصالحوا المسلمين . وقيل اليهود ، ولكن اليعقوبي يقول : والمجمع عليه النصارى .

أما بخصوص العهد فقد ذكر الأزدي وابن أعثم أن أهل إيلياء سألوا العهد والميثاق والذمة والإقرار بالجزية فأعطوا ذلك ودخلوا فيما دخل فيه أهل الذمة من أهل الشام . يقول ابن أعثم : "وكتب لهم (أي عمر ابن الخطاب) كتابا يتوارثونه إلى يومنا هذا (عصر ابن أعثم) والله أعلم " .

ويقدم اليعقوبي نصا للعهد جاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطاب

لأهل بيت المقدس ، انكم آمنون على دمائكم وأموالكم وكنائسكم ، لا تسكن ولا تخرب إلاّ أن تحدثوا حدثا عاما " . وأشهد شهودا .

ونصّ العهد عند ابن البطريق يماثل تقريبا ما جاء عند اليعقوبي ، جاء عند ابن البطريق :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، من عمر بن الخطاب لأهل مدينة إيلياء انهم آمنون على دمائهم وأولادهم وأموالهم وكنائسهم ألاّ تهدم ولا تسكن " . وأشهد شهودا . ولا يذكر "إلاّ أن تحدثوا حدثا عاما " .

وجاء عند عبد الرحمن بن الجوزي على النحو التالي :

فلما قدم عمر بن الخطاب بيت المقدس كتب لهم : " إني قد أمنتكم على دمائكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم ولا تكلفوا فوق طاقتكم ، ومن أراد منكم أن يلحق لأمنه فله الأمان وأن عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين " .

ولكن العهد في تاريخ الطبري يأتي أوسع ، وجاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمهم وبريئهم وسائر ملّتهم أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضارّ أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن (مدائن الشام) وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصّوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلّي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل "فلان " فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن شاء رجع إلى أهله ، فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية " . شهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص * وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان * .

ثم يظهر التوسع في العهد في تاريخ ابن عساكر والحنبلي ، وتكثر شروطه وتتنوع بشكل يختلف كثيرا عما عرفت به عهود الرسول (صلعم) مع أهل مقنا * ويوحنا بن رؤبة صاحب أيلة وغيرهم ، وعمّا عرفت به عهود المسلمين لأهل مدائن الشام ، ثم يصبح العهد عاما لجميع النصارى ، ويطلق ابن قيّم الجوزية عليه اسم « الشروط العمرية » .

المراجع :

ـ أحمد بن اعثم : **الفتوح** ، حيدر آباد ١٩٧٠ .
ـ سعيد بن البطريق : **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق** ، بيروت ١٩٠٩ .
ـ علي بن محمد بن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٦٧ .
ـ علي بن الحسن بن عساكر : **تهذيب تاريخ دمشق** ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ إسماعيل بن كثير : **البداية والنهاية** ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ محمد بن عبد الله الأزدي : **فتوح الشام** ، كلكتا ١٨٥٤ .
ـ أحمد بن يحيى البلاذري : **فتوح البلدان** ، القاهرة ١٣١٩ هـ .
ـ محمد بن جرير الطبري : **تاريخ الرسل والملوك** ، مصر ١٩٦٠ .
ـ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي : **تاريخ اليعقوبي** ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ مجير الدين الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، عمان .
ـ عبد الرحمن بن الجوزي : **فضائل القدس** ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ ابن قيم الجوزية : **أحكام أهل الذمة** ، دمشق ١٩٦١ .

الأيوبيون : رَ : العصر الأيوبي

أيونيدس (مشروع ـ) :

رَ : الأردن (استثمار مياه نهر ـ وروافده)

باب الأسباط (مئذنة ـ) :

رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

بـاب الـواد (معـارك ـ) :

باب الواد ممر يربط السهل الساحلي * بجبال القدس * وتؤدي إليـه وتتشعب منـه طـرق القـدس والـرملة * وبيت جبـرين * وعـرطوف *وغـزة * ورام الله * . ويشتمل الموقع عـلى وادي علي ومـداخله ، والهضـاب المـطلة عليـه ، والقـرى القـريبـة منـه ، كعمـواس * واللطرون وتـل الجـزر وأبـو شـوشـة * وبيت نـوبـا * ويالو * .

ولباب الواد أهمية عسكرية عظيمة ،فهو مفتاح مدينة القدس* ، دارت فوق أرضه معارك كبرى على مر القرون . عنده صدّ صلاح الـدين الأيوبي * غارات ريكاردوس قلب الأسـد أواخر القرن الثاني عشر الميلادي . وفي موقعه وقف المقدسيون في وجه جيش إبراهيم باشـا سنة ١٨٣٤ م ، ودارت فوق أرضه معارك دامية بين الجيش التـركي والجيش الإنكليزي سنة ١٩١٧ .

وقد فطن العرب والصهيونيون إلى أهمية موقع بـاب الواد منـذ اللحـظات الأولى بعد صـدور قرار التقسيم * عـام ١٩٤٧ . وتهيـأ الصهيونيون لغزوه من السهل الساحلـي لضمان مرور قوافلهم إلى القدس . وعمل العرب بالمقابل على قطع الـطريق عليهم ، فتنادوا لشـراء السلاح ، وتجمّـع المقاتلون من قـرى عمواس ويـالو ودير أيـوب * وبيت نوبـا وبيت محسير * وسـاريس * وغيـرهـا . وكـان عددهم في البداية ٣٠٠ مناضــل بينهم الشيخ هـارون بن جازي أحـد شيوخ قبيلة الحـويـطات في شـرقي الأردن وقـوة من رجـالـه المتطوعين ، وقـد انضووا تحت لـواء قوات جيش الجهـاد المقدس * بقيادة عبد القادر الحسيني * .

كان أول عمل قامت به القوات العربية تخريب الطريق هناك ، وإتلاف الأنابيب التي تمد الأحياء اليهودية في القدس بمياه الشرب من رأس العين * . وأخذ العرب بعد ذلك يتصدّون للقوافل الصهيونية المحروسة التي تمر بباب الواد مرة في الأسبوع ، ويوقعون بها الخسائر الفادحة ، أو يمنعونها من متابعة طريقها .

ففي ١٩٤٨/٣/١ هاجم المناضلون العـرب قافلة صهيـونية ، وقتلوا أربعـة من رجالهـا ، وجـرحـوا ثمـانيـة ، وأعـطبـوا إحـدى السيارات . وفي اليوم الثـالث من آذار دمروا سيـارتين صهيـونيتين كبيرتين عند حوض الماء القريب من مقام الشيخ علي ، وقتلوا خمسة عشر صهيونياً . وفي اليوم التالي هاجموا قافلة صهيونية ، وقتلوا أربعة من رجالها ، وكادوا يقضون عليها لولا تدخل الجنود البريطانيين .

فجّر العرب الألغام تحت السيارات الصهيونية يومي ١٢ و١٣ آذار ، وقتلوا خمسة من ركابها . وفي ١٧ آذار اشتبكوا مع الصهيونيين عند بئر الحلو على الطريق المؤدية إلى باب الواد وأعطبوا مصفحة صهيونية . ثم هاجموا في ١٩ آذار قافلة صهيونية من تسع سيارات قادمة من عرطوف ، وقتلوا ١٥ رجلاً ، وأعطبوا مصفحة للحراسة في المقدمة ، وغنموا كمية من الأسلحة . وفي ٢٢ آذار أعدّ العرب كميناً لقافلة قادمة من تل أبيب * ، وأشعلوا النار في سيارتي مؤن وقتلوا سائقيها ، كما أعطبوا سيارة ثالثة وجرحوا السائق ومساعده .

ومع اشتداد الهجمات العربية في باب الواد شعر يهود القدس بوطأة الحصار وقلة المؤن ، فاستنجدوا بسلطات الانتداب التي وضعت في عرطوف قوة بريطانية من نحو ٢٠٠ جندي لحماية القوافل الصهيونية . وقد استطاع الصهيونيون منذ ٢٣ آذار أن يسيّروا قوافلهم في ظل هذه الحماية البريطانية ، وأنجدوا صهيونيي القدس بحوالي ١,٥٠٠ مقاتل .

ظلت عمليات بث العرب الألغام مستمرة ليلاً . وقد قتل بنتيجتها في ٢٤ آذار ١٢ صهيونياً ، وجرح ٣٠ آخرون ، ودمرت ثلاث سيارات ، وأعطبت ثلاث .

حاولت القوات الصهيونية ليلة ٣١ آذار احتلال التلال المشرفة على باب الواد والتمركز فيها لحماية قافلة قادمة عن طريق وادي الصرار . لكن المناضلين من سكان القرى المجاورة تنادوا للقتال ، وانقضّوا على القافلة وحماتها قرب مستعمرة خلدة ، واشتبكوا مع الصهيونيين في قتال عنيف دام طوال ذلك النهار وانجلى عن عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين . ورغم خسارة العرب الأكثر في الأرواح استطاعوا دحر الصهيونيين وإعادتهم إلى خلدة، وغنموا بعض سيارات القافلة .

اشتبك الفريقان يوم ١٩٤٨/٤/١ في القطاع الممتد بين ساريس وباب الواد ، ثم اشتبكا ثانية في اليوم التالي . وقد خسر الصهيونيون في هذين اليومين حوالي ٦٠ رجلاً بين قتيل وجريح . وكانت محاولاتهم السيطرة على باب الواد مستميتة في الأيام الثلاثة ليمنعوا وصول النجدات العربية إلى القسطل * من الغرب . وقد نجحوا في ذلك ، وسقطت القسطل بأيديهم صباح يوم ٣ نيسان . وكان ذلك كله جزءاً من عملية سموها « عملية نحشون » تهدف إلى السيطرة على باب الواد واحتلال القرى العربية على جانبي الطريق من باب الواد إلى القدس . وقد احتلوا دير ياسين* يوم ٩ نيسان ، وقرية ساريس يوم ١٦ نيسان . وبذل العرب الكثير في مقاومة القوات الصهيونية المتفوقة تنظيماً وتسليحاً وعدداً .

وفي ١٦ نيسان قدمت من تل أبيب قافلة مؤن مؤلفة من حوالي ٢٥٠ سيارة تحرسها أعداد كبيرة من الجنود والمصفحات . وقد كمن لها المناضلون العرب من أبناء القرى المجاورة تساعدهم قوة من رجال الجهاد المقدس بقيادة أحمد زونا ، وقوة من البدو بقيادة الشيخ هارون بن جازي . ولما وصلت القافلة إلى قرية دير أيوب على بعد كيلو متر واحد من باب الواد أطبق عليها المناضلون بعد أن سدّوا في وجهها الطريق بالحجارة وبثّوا الألغام . دامت المعركة من شروق الشمس حتى الساعة الرابعة بعد الظهر . وسقط فيها عدد من القتلى في الجانبين . وانتهت المعركة لصالح العرب ، واستطاعوا تدمير وإعطاب زهاء ٦٠ سيارة ، واستولوا على ١٥ سيارة أخرى وكمية من الأسلحة .

لكن الصهيونيين تابعوا دفع القوافل على طريق باب الواد . وقد مرت قافلة لهم يوم ١٧ نيسان دون أن يستطيع العرب التعرض لها بشكل حاسم . وتمكنت قافلة أخرى من المرور إلى القدس يوم ٢٠ نيسان بعد ان كبّدها المناضلون خسائر فادحة . بعد ذلك نشط

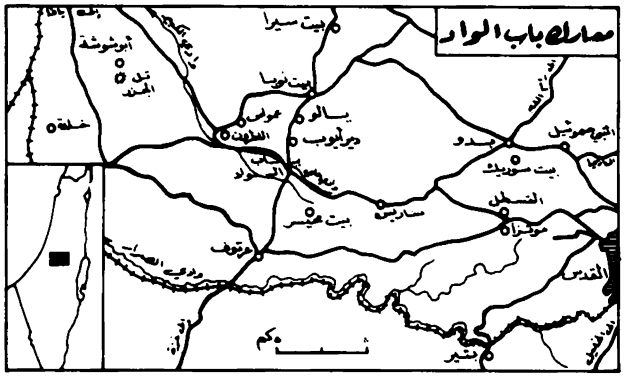

المناضلون لسد الطريق سدّاً محكماً بالحجارة الضخمة ، وحفروا في عرض الطريق ثلاثة خنادق يبعد الواحد عن الآخر ١٥٠ متراً وعرض الخندق متران ، وعمقه متر . وقد انتهوا من ذلك كله مساء يوم ٢٥ نيسان وارابطت هناك قوة من رجال الجهاد المقدس والمتطوعين البدو . وبذلك أغلقت طريق باب الواد إغلاقاً تاماً في وجه القوافل الصهيونية .

في الوقت نفسه كانت طريق الخليل ـ القدس ، وطريق رام الله ـ القدس ، وطريق أريحا ـ القدس مغلقة في وجه الصهيونيين . لذلك أصبحت مدينة القدس محصورة من جهاتها الأربع ، فاستولى اليأس على صهيوني القدس ، وأخذت القيادة الصهيونية تعدّ لضربة قوية تفتح بها طريق باب الواد . وبالمقابل أخذت قيادة الجهاد المقدس تستعد لمجابهة الأعداء وصدّ ضربتهم ، فدفعت قوات جديدة إلى الميدان ، وانضمت إليها في الخامس من أيار فصائل من جيش الإنقاذ * بقيادة المقدم محمد مهدي صالح العاني (عراقي)

مسلحة بمدفعين من عيار ٦ بوصات . وانضمت إلى هذه القوات جموع كثيرة من أبناء قرى المنطقة ، وتولى القيادة المقدم العاني .

بدأت المعركة المترقّبة يوم ١٠ أيار عندما قذف الصهيونيون الى أرض المعركة قوات كبيرة جاءت من القدس والمستعمرات اليهودية في المنطقة ، وتمركزت في الأحراج الممتدة بين ساريس وباب الواد ، وحاولت رفع السدود وفتح الطريق . وقد تصدّى لها المقاتلون العرب ، وقصفتها مدفعية جيش الإنقاذ بشدة . وحتى يخفف الصهيونيون الضغط على قواتهم قاموا بهجوم مخادع على المرتفعات الواقعة بين بيت سوريك وبدّو والنبي صموئيل في قضاء القدس ، لكنهم ردوا على أعقابهم .

أخذ الموقف يميل إلى صالح العرب الذين خاضوا المعارك بمعنويات عالية . وقد أذاعت قيادة جيش الإنقاذ في ١٣ أيار بياناً جاء فيه أن معركة باب الواد ما برحت مستمرة ، وأن الحرب تدور في صالح العرب ، وأن مراكز الدفاع الصهيونية قد انهارت ، وأن الصهيونيين خسروا حتى ذلك الوقت ٣٠٠ قتيل بينهم قائد المعركة ، وأن العرب غنموا ١٥٠ بندقية ، وست مصفحات وعدداً من الأجهزة اللاسلكية ، وأنهم دمّروا وأعطبوا عدداً آخر من المصفحات والسيارات .

انتهت المعركة في ١٣ أيار بفشل ذريع مني به الصهيونيون وتراجعت قواتهم عن باب الواد . وظلّ رجال الجهاد المقدس وجيش الإنقاذ يتمسكون بموقع باب الواد حتى ١٩٤٨/٥/١٥ حين تسلم الموقع الجيش الأردني .

المرجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، بيروت ١٩٥٦ .

البابية :

مذهب ديني ظهر في إيران في أواسط القرن التاسع عشر (١٨٤٣ م) . وصاحبه الميرزا علي محمد رضا الشيرازي (١٨١٩ - ١٨٥٠م) الذي ادّعى أنه « الباب » إلى الإمام المنتظر المستور ، فسمي بذلك .

أودع الباب تعاليمه الدينية كتاب « البيان » ، وزعم أنه أنزل عليه ، وظلّ يدعو الناس إلى مذهبه سراً وعلانية . وأثارت دعوته ضجة ، حتى أصدر العلماء فتوى بارتداده عن الإسلام وبقتله . وقد سجن ، ثم أعدم عام ١٨٥٠ ، ولاحقت السلطات الإيرانية أتباعه ، وقد نقل البابيون بقايا الباب خلسة إلى حيفا * ، وله فيها ضريح اصبح مزاراً لهم .

يذكر بعض الباحثين أن للباب علاقة بالأجانب ، وأن البابية حركة أوجدها واحتضنها الاستعمار ، وان هناك علاقات مع اليهودية العالمية التي عرفت بدعمها للبابية ورعايتها لها وللبهائية * في فلسطين واعتناق أعداد من اليهود لها تحت ستار ما نادت به البابية من وحدة الأديان والإنسانية . وفي المقابل ينكر البهائيون المعاصرون أية علاقة خاصة مع الصهيونية او مع اليهودية .

المراجع :

ـ محمد البشبيشي : **الفرق الإسلامية** ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ محسن عبد الحميد : **حقيقة البابية والبهائية** ، بيروت ١٩٧٥ .
ـ عمر عنايت : **العقائد** ، القاهرة ١٩٢٨ .
ـ **دائرة المعارف الإسلامية** (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٩٣٧ .
— Goldziher, J.: **Le Dogme et la loi de L'Islam,** (Traduction de F. Arim), Paris 1920.

بات يام (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية تقبع على شاطىء البحر المتوسط جنوبي مدينة يافا * مباشرة . ويعني اسمها « بنت البحر » . وقد أسسها خليط من الصهيونيين يضم ٢٤ عائلة متدينة سنة ١٩٢٦ . وقد أطلقت هذه الجماعة على حيّها الذي أنشأته آنذاك اسم بايت قاغان ، أي « البيت والحديقة » . وقد هجرته إلى تل أبيب * في ثورة ١٩٢٩ * هرباً من الهجمات العربية ، ثم عادت إليه عام ١٩٣١ . وشهد الحيّ زيادة كبيرة في عدد سكانه عام ١٩٣٣ إثر قدوم عدد من المهاجرين الصهيونيين من ألمانيا . ثم أصبح للحي مجلس محلي عام ١٩٣٧ ، واستبدل باسمه الأول اسم بات يام .

كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٨ نحو ١,٠٠٠ نسمة . وقد أخذ هذا العدد ينمو لتدفق الصهيونيين من مصر وسورية الى المدينة حتى وصل إلى ١٠,٠٠٠ نسمة في نهاية عام ١٩٥٣ ، وإلى ١٥,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ ، فتحولت مدينةً عام ١٩٥٨ . وقد ظل سكانها في تزايد مطرد نتيجة ورود أعداد كبيرة من الصهيونيين الشرقيين إليها ، وتضاعف عددهم فبلغ ٦٢,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٧ ، و ١٠٦,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

ساعد الموقع الجغرافي لبات يام على نموها ، فهي تقع غربي

حولون * ، وشمالي ريشون لتسيون * ، وترتبط بكل من يافا وحولون بطريق رئيسة معبدة متفرعة عن الطريق الرئيسة الساحلية . وتعد هي وحولون مدناً أو ضواحي تابعة لتل أبيب أقيمت على أراضي يافا العربية لتخفيف الضغط السكاني عن تل أبيب . وهي وما يجاورها من مدن تجمع حضري كبير .

تقوم بات يام على منبسط من الأرض يراوح ارتفاعه بين ١٠٠ و ٢٠٠م عن سطح البحر . وتحيط بها كثبان الشاطىء الرملية من الجنوب ومن الشرق . وقد زرعت الكثبان بين بات يام وحولون بالأشجار المثمرة وبالأشجار الحرجية لتثبيت الرمال .

يوضح مخطط المدينة أن شكلها العام يشبه المثلث المتساوي الساقين ، قاعدته في الجنوب ، ورأسه في الشمال . ويتجه النمو العمراني للمدينة حالياً نحو الجنوب . أما من جهة الشمال فقد التحمت بمدينة يافا ، وأصبحت مبانيها تشرف على شاطىء البحر مباشرة عبر شارع يحاذيه ، وتمتد على جانبيه الأبنية العالية والفنادق والمقاهي والاستراحات وملاعب الأطفال .

تعد بات يام مدينة صناعية وسياحية في الدرجة الأولى . فقد غدت من أبرز المنتجعات السياحية ، يؤمها آلاف السائحين من الداخل والخارج لتمضية إجازاتهم عند شاطئها الذي يبلغ طوله ٣,٢ كم منها ثلاثة أرباع الكيلومتر مخصصة للسباحة .

يعتمد اقتصاد المدينة على الصناعة * إلى جانب السياحة * ، ففيها أكثر من ١٧٠ مصنعاً ومعملاً صغيراً . ومن أبرز صناعاتها صناعة المواد الغذائية * كالخبز واللحوم المعلبة والأسماك * المجففة والمرطبات والبيرة وغيرها . وفيها مصانع للزجاج والخراطيم والريش والقطن والجلود والمعادن ومواد البناء والمواد الكيميائية وبعض المنتجات الخفيفة . وفيها مطبعة كبيرة ، بالإضافة إلى الفنادق ودور السينما والمشافي .

والوظيفة التجارية للمدينة وظيفة ثانوية ، فهي تكاد تخلو من الأسواق التجارية ما عدا الحوانيت التجارية المتفرقة في الأحياء المختلفة . ويعتمد السكان على أسواق تل أبيب . أما الوظيفة الزراعية فهي هامشية بسبب ضيق المساحات الزراعية حول المدينة ، إلّا ما يتركز في الجهة الشرقية قرب حولون .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة يافا ـ تل أبيب .
ـ المكتب المركزي الإحصائي (لإسرائيل) : نشرة المواقع والسكان رقم (٤) ، بالعبرية ، القدس ١٩٧٤ .

باتـريا (الباخرة ـ) :

على الرغم مما قدمته سلطات الانتداب البريطاني إلى الصهيونيين من مساعدة في الهجرة إلى فلسطين (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) فقد كان هؤلاء غير قانعين بذلك كله ، فدفعوا بآلاف اليهود إلى الهجرة بصورة غير قانونية ، لوضع السلطات البريطانية أمام الأمر الواقع وإجبارها على قبول المهاجرين .

وقد حدث أن منعت السلطات البريطانية دخول عدد من هؤلاء اليهود المهربين ، وأعدت الباخرة باتريا *Patria* لترحيل ١,٧٧٠ يهودياً من ميناء حيفا * . لكن انفجاراً وقع في الباخرة في ١٩٤٠/١١/٢٥ فغرقت ، ونجم عن ذلك موت حوالي ٢٥٧ يهوديا .

بادرت الوكالة اليهودية * عقب الحادث إلى إثارة الرأي العام ضد بريطانيا ، فزعمت أن الانفجار هو انتحار احتجاجا على منع اليهود من دخول فلسطين . وقد نجحت الوكالة المذكورة فيما رمت إليه ، إذ سمحت الحكومة البريطانية للناجين من ركاب الباخرة بدخول فلسطين .

وقد كشفت التحقيقات الرسمية أن الحادث لم يكن انتحاراً أو احتجاجاً كما زعمت الوكالة ، بل كان مدبّرا من قبل عناصر صهيونية . فقد قررت الهاغاناه * تخريب آلات الباخرة لمنعها من مغادرة الميناء ، غير أن خطأ حسابيا وقع فيه المسؤول عن العملية شاؤول مئيروف ، فخرقت المتفجرات السفنية وآلاتها . ولم يكن لركابها علم بما نوت الهاغاناه فعله . وقد سخر رئيس الجالية اليهودية الألمانية من "قصة الانتحار المزعومة" فجرت في عام ١٩٤٢ محاولة لاغتياله . وقد اعترف صحفي إسرائيلي عام ١٩٥٠ أن الهاغاناه هي التي دبّرت الحادث .

المراجع :

— Edwin Samuel: Immigration to Israel, its Causes and Consequences, **Herzl Yearbook, 11, 1959.**
— Robert John and Sami Hadawi: **The Palestine Diary,** Palestine Research Center, Beirut, 1970.
ـ جاك ديروجي وهيزي كارمل : تاريخ إسرائيل السري (١٩١٧ ـ ١٩٧٧) (مترجم) ، دمشق ١٩٧٩ .

البَاذان (وادي ـ) : رَ : الفارعة (وادي ـ)

بارغـواي : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

بارليف (خط ــ) : رَ : التحصينات (خطوط ـ الإسرائيلية)

باريس (مؤتمر ــ) : رَ: التوفيق (لجنة ـ الدولية)

بـازل (برنامج ــ) :

انعقد المؤتمر الصهيوني * الأول في شهر آب سنة ١٨٩٧ في مدينة بازل السويسرية التي استضافت فيما بعد العديد من المؤتمرات الصهيونية . وكان إقرار صيغة رسمية للأهداف الصهيونية واحدا من أهم بنود جدول أعمال المؤتمر الأول . وقد عرف هذا البند فيما بعد باسم برنامج بازل . وهو البرنامج الذي أضحى دعامة رئيسية من دعائم الفكر السياسي للحركة الصهيونية الناشئة وخططها العملية . وكان المسؤول الأول عن وضع ذلك البرنامج هو تيودور هرتزل .

تكوّن البرنامج من جملة افتتاحية تحدد بإيجاز هدف الحركة الصهيونية قائلة :" تهدف الصهيونية إلى إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين تحت حماية القانون العام " .

ووضع البرنامج نصب الأعين ، للوصول إلى هذا الهدف ، الأساليب الأربعة التالية :

١) تنمية الوسائل المناسبة لتوطين المزارعين والعمال والحرفيين اليهود في فلسطين .

٢) تنظيم اليهودية العالمية وتوحيدها عن طريق هيئات محلية وعالمية مناسبة ، ووفقا للقوانين السائدة في البلدان المختلفة .

٣) تقوية العاطفة القومية اليهودية والوعي القومي وتنظيمهما .

٤) اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومات على هدف الصهيونية إذا لزم ذلك . ولا يتم هذا إلاّ بالمفاوضات السياسية في الدول الكبرى للاعتراف بالحقوق القانونية لليهود ، ولتحقيق استيطان يهودي واسع .

وقد ثار جدل كثير حول لفظة " وطن " ، ومنشئها ، واستعمالها ، ومعناها . وجرى اعتماد هذه اللفظة مرة أخرى بعد هذا التاريخ بعشرين عاما في وعد بلفور * الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام ١٩١٧ . ولا ريب أن لفظة "وطن " مبهمة وعرضة لمختلف التفسيرات . وقد آثرت الحركة الصهيونية بعد مؤتمرها الأول هذا استعمال صيغة أقوى وذات مدلول سياسي أعمق هي " وطن قومي يهودي" ، لكن هذه الصيغة أيضاً لم تكن واضحة كل الوضوح . وقد امتنعت الدبلوماسية الصهيونية ، في الواقع ، عن إعلان التزامها العلني حول هذه النقطة لمدة طويلة من الزمن ، ولا سيما زمن الحكم العثماني .

وعلى الرغم من إبهام هذه اللفظة وغموضها كانت النية من ورائها واضحة . فقد صرح هرتزل نفسه خلال النقاش الذي دار في المؤتمر حول اعتماد كلمة "وطن " أو " دولة " في البرنامج ، صرح قائلا : " لا داعي للقلق حول صياغة هذه الكلمة ، فالناس سوف يفهمون ، على أي حال ، أنها تعني دولة " .

والكلمات التي دونها هرتزل في مفكرته خلال انعقاد المؤتمر ذات دلالة أبلغ وأعمق . فقد كتب "لو كان عليّ أن اختصر برنامج بازل بجملة واحدة ـ وهي جملة لا اجرؤ أن أعلنها للملأ ـ لقلت: في بازل أوجدت الدولة اليهودية " .

وقد أشار العديد من المؤرخين إلى أن اختيار كلمة "وطن " بدل كلمة " دولة " يعود إلى عاملين رئيسين ، الأول هو الرغبة في بعث الطمأنينة في الباب العالي والرأي العام العثماني من أجل الحصول على براءة من السلطان عبد الحميد * للاستيطان في فلسطين بمساعدة بعض الدول الأوربية الكبرى التي يتم تجنيدها لهذا الهدف . والعامل الثاني هو الرغبة في تخفيف حدة اعتراضات الطبقة الارستقراطية المالية ، وطبقة المثقفين الليبراليين والطبقات الوسطى اليهودية في أوربا الغربية . فقد كان أفراد هذه الطبقات يعدّون أنفسهم مواطنين في دولهم الأوربية يتمتعون بالمساواة السياسية والاقتصادية ، ويربطون بين نمو الحركة الصهيونية ونمو الشعور المعادي للسامية . لذلك أبدى هؤلاء نوعا من العداوة لتيودور هرتزل، لاعتقادهم أن الحجة المطروحة لقيام دولة يهودية من شأنها أن تقوض مكاسب الاندماج التي حصلوا عليها في مجتمعاتهم ودولهم الأوربية بعد طول انتظار ، وأن مثل هذه الحجة الصهيونية قد تصبح سلاحاً إضافياً في أيدي القوى المعادية للسامية .

وهكذا جاء برنامج بازل مؤيداً لجهود هرتزل الدبلوماسية والسياسية وواضعا نصب عينيه العاملين المذكورين . فقد بدأ هرتزل ، من قبل ، إجراء مفاوضات مع الباب العالي للحصول على براءة استيطان . وزار الآستانة لهذا الغرض ، لكنه لم يفلح . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أرضى برنامج بازل الآراء المتضاربة لليهود الشرقيين والغربيين . وهذا أحد أسباب أهميته . وقد صيغ هذه الصياغة الدقيقة لينال رضاء أكبر عدد من الفئات اليهودية الفعالة ، وليخفف ما وسعه من الاحتكاك والصدام على مختلف الجبهات اليهودية. فقد ارتاح اليهود الغربيون إلى الفقرات التي تشير إلى ضرورة الاستعانة بالدبلوماسية الدولية ، وإلى ضرورة العمل بمقتضى القوانين السارية في البلدان المختلفة . أما اليهود الشرقيون فقد راقتهم الفقرات التي تعد بالرجوع إلى فلسطين ، وأرضت مطامعهم الدينية والطوباوية والقومية .

وتجدر الموازنة بين صياغة برنامج بازل وما كتبه تيودور

هرتزل في كتابه " دولة اليهود " الذي صدر قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بعام واحد . فالكتاب يشدد على لفظة " دولة " في حين يعتمد البرنامج لفظة " وطن ". والكتاب يعطي فلسطين والأرجنتين أهمية متساوية من حيث كونهما مركزين محتملين للاستيطان اليهودي ، في حين يعرب البرنامج بوضوح عن تفضيل فلسطين محققاً مطالب اليهود البولونيين والروس .

ولا بد من الإشارة إلى أن كتاب هرتزل وبرنامج بازل ، كليهما ، يشددان على أهمية الاستيطان في الخطط الصهيونية ، وهو أمر يماشي التوسع الاستعماري في ذلك الوقت . وقد تم إبراز المشروع الصهيوني على أنه يمثل موقعا متقدما من مواقع الامبريالية الأوربية في العالم الآسيوي ـ الإفريقي . يضاف إلى ذلك كله أن اغفال البرنامج أي ذكر لعرب فلسطين يشير بوضوح إلى الطابع العدواني الاستعماري الذي اصطبغت به الحركة الصهيونية منذ أيامها الأولى .

وقد أرسى المؤتمر الصهيوني الأول الدعائم التنظيمية المتعلقة بتنفيذ ذلك المشروع . فجعل المؤتمر أعلى هيئة للحركة الصهيونية ، وجرى تأسيس لجنة عمل من ثلاثة وعشرين عضوا لمعالجة الأمور الهامة التي تطرأ في الأوقات التي لا يكون فيها المؤتمر منعقدا . لكن السلطة الفعلية كانت ، في الواقع ، بيد هيئة تنفيذية صغرى اسمها "لجنة الأعمال الداخلية " مؤلفة من خمسة أشخاص ، ورئيسها تيودور هرتزل ، ونائبه ماكس نورداو .

وتأسس عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في العام اللاحق بنك اسمه " بنك الاستيطان اليهودي " ليكون الأداة المالية المساعدة على تنفيذ برنامج بازل .

المراجع :

— Theodor Herzl: **The Jewish State,** London 1964.

— Theodor Herzl: **The Complete Diaries,** Vol. I, New York 1960.

بازل (مؤتمر ـ) :

رَ : المؤتمر الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

باسفيلد (كتاب ـ الأبيض ١٩٣٠) :

اشتهر اللورد باسفيلد (أو كما كان معروفاً بين الأوساط العالمية باسم سدني وب) وزوجه بتحمسهما النظري والعملي للاشتراكية بصيغتها الأولى المتفتحة نحو الأممية وحقوق الشعوب الأخرى . وسبق له أن أبدى آراء صريحة بتأييد الإفريقيين ضد المستوطنين البيض . وعندما تسنم رمزي ماكدونالد رئاسة الحكومة العمالية في بريطانيا عام ١٩٢٩ أسندت إلى باسفيلد وزارة المستعمرات . ولم يكن حزب العمال البريطاني قد وقع بعد في أسر الأجنحة الصهيونية . وقد امتاز باسفيلد من زملائه الوزراء بهذه الاهتمامات الإنسانية العامة ، ووجد في المطامع الصهيونية اعتداء صريحا على حقوق شعب آخر ، لذلك اعتبره الصهيونيون أقسى عدو واجهوه في الحكومات البريطانية .

بعد أشهر قليلة من استلام باسفيلد الوزارة صدر تقريران مهمان للجنتين بعثت بهما بريطانيا للتحقيق في الأوضاع في فلسطين هما لجنة السير ولتر شو التي ناشدت الحكومة ضرورة وضع سياسة واضحة تجاه حقوق العرب ومشاكل الهجرة والأرض (رَ : شو ، لجنة) ، ولجنة السير جون هوب سمبسون التي دعت إلى تقييد الهجرة اليهودية ، بحيث لا تؤثر على حياة الفلسطينيين واقتصادهم (رَ: سمبسون ، تقرير) . وبادر اللورد باسفيلد على أثر ذلك إلى إصدار الكتاب الأبيض الذي عرف باسمه في ٢١/١٠/١٩٣٠ ، وتبنى الأفكار الرئيسة لتقريري شو وسمبسون . وتضمن هذا الكتاب الأبيض في الجانب النظري أجزاء مسهبة من صك الانتداب * والكتاب الأبيض لتشرشل فيما يتعلق بالالتزامات المتقابلة نحو طرفي النزاع (رَ : تشرشل ، كتاب ـ الأبيض) ، وخلص من ذلك إلى أن هذه الالتزامات متساوية في وزنها ، وليست " غير قابلة للتوفيق " . أما في النواحي العملية من السياسة فتقرر إعطاء "قسط من الحكم الذاتي " على غرار ما اقترحه تشرشل عام ١٩٢٢ في إقامة مجلس تشريعي من ٢٢ عضوا منهم ١٢ عضوا منتخبا مع حق الاستئناف لعصبة الأمم * .

واقترح باسفيلد اتباع تنمية زراعية منظمة . ولهذا الغرض دعا إلى تسجيل ملكية الأراضي . واعتبر التقرير نظام المشاع العربي التقليدي عقبة في وجه التقدم ، وارتأى أنه ينبغي في كافة الأحوال تقييد نقل الملكية بمخططات الإدارة وموافقتها . وقرر الكتاب فيما يتعلق بالهجرة ربطها بأحوال العمل في فلسطين ، على أن يؤخذ بعين الاعتبار عدد العاطلين عن العمل في البلاد عند إعداد جداول المهاجرين ، وأن تكون القدرة الاستيعابية هي الدليل في تحديد مقدار الهجرة .

وانتقد الكتاب الأبيض الأساليب السياسية التي اتبعتها الوكالة اليهودية * واتحاد النقابات (الهستدروت) * في تعاملها ومواقفها ومقاطعتها للعمال العرب . ولفت النظر إلى أن الوكالة اليهودية ليست جزءاً من السلطة وإن كان من الضروري التعاون معها .

وما أن نشر الكتاب الأبيض حتى هبت زوبعة الدعاية الصهيونية وضغط المنظمة الصهيونية * في معركة ضارية ضد اللورد باسفيلد

والحكومة . ولم تهدأ هذه الزوبعة إلاّ عندما اضطر رئيس الوزراء إلى التراجع وإصدار كتاب خاص (كتاب ماكدونالد الأسود) * يخفف فيه من غلواء كتاب باسفيلد الأبيض .

المراجع :

— John, R. and Hadawi, S.: **Palestine Diary,** Beirut 1970.
— **Publication Information,** Paper No, 26, 1946.
— **Statement of Policy,** cmd 3692, 1930.

باسل الكبيسي (١٩٣٤ - ١٩٧٣) :

مناضل عربي من العراق ، ولد في مدينة بغداد ، وتلقى فيها دراسته الابتدائية والثانوية ، ثم التحق بالجامعة الامريكية ببيروت سنة ١٩٥١ . أصدرت إدارة الجامعة قراراً بفصله مع مجموعة من زملائه إثر المظاهرات الطلابية التي شهدتها بيروت استنكاراً لإعلان قيام الحلف التركي ـ الباكستاني في شباط سنة ١٩٥٤ .

سافر باسل الكبيسي إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أتم دراسته الجامعية ، ونال شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية سنة ١٩٥٥ . ثم عاد إلى العراق وساهم في تأسيس فرع حركة القوميين العرب هناك .

عيّن مديراً لمكتب وزير الخارجية العراقية سنة ١٩٥٦ فاستطاع التعرف عن كثب على تحركات النظام العراقي السياسية ، وتمكن من وضع عبوة ناسفة في إحدى السيارات المرافقة للوفد الأردني إلى مفاوضات إعلان الاتحاد الهاشمي (رَ : الاتحاد العربي) في آذار سنة ١٩٥٨ . وقد انفجرت في قصر الزهور ببغداد ، واعتقل على أثرها للتحقيق معه .

أفرج عن باسل الكبيسي إثر ثورة تموز ١٩٥٨ ، ثم أعيد اعتقاله في عهد عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٩ مع عدد من أعضاء حركة القوميين العرب لمدة تزيد على العام .

تولى رئاسة تحرير مجلة الوحدة الناطقة بلسان الحركة في العراق سنة ١٩٦٣ . وفي العام التالي غادر العراق إلى الولايات المتحدة للحصول على شهادة الدكتوراه .

وعند تأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * في خريف سنة ١٩٦٧ كان باسل الكبيسي من أبرز العناصر في أوساط المثقفين والطلاب العرب والأجانب في الولايات المتحدة وكندا لدعم الثورة الفلسطينية .

عين أستاذاً في جامعة كالغاري بكندا سنة ١٩٦٩ . وبقي في منصبه حتى سنة ١٩٧٢ حين عاد إلى الوطن ، وتولى عدة مسؤوليات هامة في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

استشهد على أيدي عملاء الاستخبارات الصهيونية في أحد شوارع باريس يوم ١٩٧٣/٤/٦ ، حيث كان يتابع مهماته النضالية .

باسيليوس الأصغر (١٢١ - ١٩٠م) :

ولد في بيسان * أو سكيثو بوليس سابقاً (نسبة للسكيثيين الذين هاجموا سورية حوالي عام ٦٢٧ ق.م.) .

كانت هذه الشخصية ، في العهد الأنطونيني ، كغيرها من الأفلاطونيين الذين ميّزوا بين الله والمادة مستعملين الأرواح الشريرة كوسيط بين الخالق والمخلوق ، وقد استطاع أن يقنع بتعاليمه هذه الإمبراطور ماركوس أوريليوس الذي أعجب بها ، وأن يسخّر لها تشابيهه الرمزية ومقتطفاته الشعرية مقتفياً أثر مؤسس الأفلاطونية الحديثة ابن أفاميا نومينيوس الذي عرف آنذاك بفيلسوف مصر اليوناني .

المراجع :

— Meiser, K.: **Studien zu Basileus dem Jungeren,** München, 1909.
— Rowe, A.: **Topography and History of Beth-Shan.** Philadelphia 1930.

الباعوني :

رَ : إبراهيم بن أحمد بن ناصر الباعوني
رَ : أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني
رَ : يوسف بن أحمد بن ناصر بن خليفة الباعوني

الباقاني : رَ : أحمد بن محمد الباقاني

الباكستان :

منذ بداية الصراع العربي ـ الإسرائيلي وباكستان ، حكومة وشعباً ، تقف مع القضايا المصيرية للأمة العربية ، وفي مقدمتها قضية فلسطين . ويسجل للباكستان موقفها المتميز من تقسيم فلسطين * ، فقد كان لمندوبها في الأمم المتحدة آنذاك ، محمد ظفر الله خان ، موقف واضح إلى جانب العرب ، وبذل أقصى الجهد في

الدفاع عن وجهة نظرهم إزاء مشروع التقسيم ، وتقدم بمشاريع مُضادة للتقسيم ، الواحد تلو الآخر . ولما أخفق العرب ، وأقرّت الجمعية العامة قرار التقسيم كانت الباكستان بين الدول الثلاث عشرة التي صوتت ضده بعنف وحزم .

ورغم أن باكستان دخلت في منتصف الخمسينات في الأحلاف العسكرية الغربية (السنتو والسيتو) ، ورغم أن حكومتها اتخذت موقفاً سلبياً خلال حرب السويس عام ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) فقد بقي شعبها على ولائه للعرب وقضيتهم ، وشهدت العاصمة الباكستانية مظاهرات صاخبة دموية نددت بسياسة فيروز خان ، وزير الخارجية آنذاك ، وآلت إلى إسقاط حكومته .

ومع بداية الستينات تحسنت العلاقات الباكستانية ـ العربية أكثر فأكثر ، واتخذت الباكستان مواقف واضحة التأييد للقضية الفلسطينية . فقد أكد وزير خارجية الباكستان آنذاك ، ذو الفقار علي بوتو ، تأييد بلاده لقضية شعب فلسطين ، ونددّ بإنشاء (إسرائيل) ، ووصفه بأنه انتهاك لمبادىء القانون الدولي . كما أعلن بوتو تأييد بلاده لمنظمة التحرير الفلسطينية * في كفاحها العادل لاستعادة حقوق شعب فلسطين .

وعلى الصعيد الشعبي أعلن رئيس المجلس الاستشاري للمنظمة الباكستانية للشؤون الدولية في ندوة فلسطين العالمية " أن الحل الوحيد لمشكلة فلسطين هو في إزالة إسرائيل وإعادة الفلسطينيين إلى وطنهم " .

وقد أكدت حكومة الباكستان ، في مناسبات كثيرة ، أنها تعتبر قضية فلسطين « قضية إسلامية » ، وعليه فإن باكستان ، حكومة وشعباً ، ملتزمة بدعم الشعب الفلسطيني . ومن هذا المنطلق دعت الباكستان إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في كراتشي لبحث القضية الفلسطينية . وعُقد هذا المؤتمر الإسلامي في ١٩٦٧/٤/٢٤ ، وحضره عن الجانب الفلسطيني الحاج محمد أمين الحسيني * رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين * . وفي المؤتمر ألقى شريف الدين بيرزادا ، وزير الخارجية الباكستاني آنذاك ، خطاباً أكّد فيه أن باكستان ستواصل تأييدها لقضية عرب فلسطين ، وقال إن (إسرائيل) قامت بطرد سكان فلسطين ، وإن بلاده تتعاطف مع هذا الشعب .

حين قامت (إسرائيل) بعدوانها عام ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) بعث الرئيس الباكستاني محمد أيوب خان برسائل إلى رؤساء دول المواجهة مع (إسرائيل) قال فيها : " أرجو أن تشعروا بملء الحرية في أن تطلبوا منا ما تحتاجون إليه من مساعدات مادية ، وسنبذل كل ما في وسعنا لتقديمها " . كما تظاهر مئات الألوف من الباكستانيين تأييداً للعرب ، وقاموا بحرق مكتب المعلومات الأمريكي ، ومكتب المجلس الثقافي البريطاني في روالبندي . أما وزير الخارجية الباكستاني فقد أكّد رفض بلاده لسياسة الاحتلال الإسرائيلية ، وطالب الدول الغربية والولايات المتحدة بكبح جماح (إسرائيل) . ودعا مندوب باكستان في جلسات مجلس الأمن والمناقشات الدائرة فيه حول الحرب في الشرق الأوسط في ١٩٦٧/٦/١٤ ، دعا إلى شجب العدوان الإسرائيلي ، وطالب بالانسحاب الفوري غير المشروط للقوات الإسرائيلية إلى ما وراء خطوط الهدنة . وتساءل : " هل هناك من يشكّ بعد الحوادث الأخيرة في أهداف إسرائيل التوسعية ؟" . وقد عارضت الباكستان قيام (إسرائيل) بضم القدس إليها ، وتقدمت إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بمشروع قرار يقضي باعتبار ضم (إسرائيل) لمدينة القدس عملاً غير شرعي ، ويطالب (إسرائيل) بالتخلي عنه . وقد أيدت المشروع جميع الدول ، ولم تعارضه إلا (إسرائيل) .

وعلى الصعيد الشعبي تشكلت لجان باكستانية لمقاطعة البضائع الأمريكية والإنكليزية . وطالب آلاف الباكستانيين بالسماح لهم بالتطوع في الحرب إلى جانب العرب . لكن سرعة انتهاء الحرب لم تتح الفرصة لهؤلاء لنيل شرف النضال على أرض فلسطين . وقد استنكرت حكومة الباكستان ووسائل الإعلام فيها تزويد أمريكا (لإسرائيل) بالأسلحة . وقال رئيس جمعية علماء الإسلام في الباكستان في برقية أرسلها إلى الرئيس جمال عبد الناصر : " إن جمعية علماء الإسلام وقادتها يعلنون تأييدهم لقضيتكم العادلة ضد الصهيونيين ، فلا تخشوا شيئاً ، وضعوا ثقتكم في الله وجميع المسلمين " . وحين أحرق الصهيونيون المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩ (رَ : المسجد الأقصى ، إحراقه والحفريات فيه) ثارت جماهير الشعب الباكستاني ، وطالبت حكومة الباكستان بتشكيل لجنة للتحقيق في الحادث الإجرامي .

اشتركت الباكستان في مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية الذي عقد في جدة بين ٢٣ و ١٩٧٠/٣/٢٥ ، وأكد مندوبها في المؤتمر تأييد بلاده لكفاح الفدائيين ضد الصهيونية . وفي ١٩٧٠/١١/٢٩ عقد في كراتشي مؤتمر وزراء الخارجية للدول الإسلامية ، ودعا المؤتمر إلى انسحاب (إسرائيل) من الأراضي العربية ، ونددّ بالحركة الصهيونية ، بصفتها حركة عنصرية توسعية ، وأعلن تأييده المطلق للمقاومة الفلسطينية .

برز تأييد الباكستان للعرب في حرب ١٩٧٣ * ، فقد أعلن رئيس وزرائها آنذاك ، ذو الفقار علي بوتو ، مساندة بلاده الكاملة لسورية ومصر وللمقاومة الفلسطينية في الحرب ضد (إسرائيل) . كما دعا السفراء العرب في إسلام أباد لتقبل مشاعر " فرحه العظيم وسعادته " لأخبار الانتصارات العربية ضد العدو الصهيوني .

وشارك عدد من الطيارين الباكستانيين في المعارك الجوية في حرب ١٩٧٣ على الجبهة السورية .

طالب علي بوتو بإرغام (إسرائيل) على الانسحاب الكامل من الأراضي العربية . وقال في خطاب له بمناسبة عيد الفطر : " إننا نحيّي الجنود العرب الذين حاربوا ببسالة وشجاعة ضد عدوّ لا حدود لشراسته ولأطماعه التوسعية . إن المجد الخالد يكسبه أولئك الذين خاضوا المعركة ضد الظلم والاغتصاب والتوسع . وقد قدّم الصراع الأخير في الشرق الأوسط برهاناً آخر على أن الروح البشرية ليست أقل أهمية من المهارة التكنولوجية في تقرير مصير الشعوب . إن الأمة المصممة على استعادة شرفها ومسح العار عن جبينها قادرة على تحقيق الأعاجيب التي كانت تبدو مستحيلة " . كما بعث الرئيس بوتو برسائل تأييد وتضامن إلى كل من الرئيسين أنور السادات وحافظ الأسد بمناسبة الانتصارات التي تحققت في حرب ١٩٧٣ .

وقد عقد في شباط ١٩٧٤ في مدينة لاهور الباكستانية مؤتمر القمة الإسلامي الثاني (رَ : منظمة المؤتمر الإسلامي) . وقد قرر المؤتمر اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في نضاله المشروع . وكان الباكستان بين الدول التي تقدمت بمشاريع القرارات التاريخية الصادرة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة حول حق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير . وفيما يختص باتفاقيتي كامب ديفيد * ، أبدت حكومة الباكستان أسفها لعدم وجود إشارة إلى منظمة التحرير الفلسطينية في الاتفاقيتين ، وقالت : " إن تجاهل منظمة التحرير يعتبر أمراً خطيراً ، لأن منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين " . كما عبّرت حكومة باكستان عن أسفها لأن اتفاقيتي كامب ديفيد لم تتطرقا إلى إمكانية قيام دولة فلسطينية . وعلى الصعيد الشعبي رفضت جماهير الباكستان اتفاقيتي كامب ديفيد صراحة وأعلنت تأييدها للمقاومة الفلسطينية .

المراجع :

- اليوميات الفلسطينية ١٩٦٥ و١٩٦٦ و١٩٦٧ و١٩٦٨ ، مركز الأبحاث ، بيروت .
- شحادة موسى : علاقات إسرائيل مع دول العالم ١٩٦٧ - ١٩٧٠ ، بيروت ١٩٧٣ .
- وزارة الإعلام الأردنية : مواقف دول العالم من حرب رمضان ١٩٧٣ ، عمان ١٩٧٣ .
- **International Documents on Palestine 1970,** Institute for Palestine Studies, Beirut 1973.

بـال (برنامـج ـ) : رَ : بازل (برنامـج ـ)

بـال (مؤتمر ـ) :

رَ : **المؤتمر الدولي للتضامن مع الشعب الفلسطيني**

البالمـاخ :

البالماخ كلمة منحوتة من لفظتين عبريتين هما "بلوغوت ماهاتزو" ومعناها « جند العاصفة » .

والبالماخ تنظيم عسكري أنشىء في ١٩٤١/٥/١٩ حين كانت قوات المحور تقترب من فلسطين . وتكون التنظيم من وحدات خفيفة تلقّى أفرادها تدريبات شاقة ، خاصة في أعمال النسف والتخريب والهجوم الصاعق .

شارك هذا التنظيم في الحملة البريطانية ضد حكومة فيشي في سورية ولبنان . وكان قائد البالماخ اسحق سادي وهو ضابط سابق في

أفراد من البالماخ يهاجمون سعسع ١٩٤٨

الجيش القيصري الروسي وواحد من مؤسسي العسكرية الإسرائيلية . وارتبط التنظيم منذ البداية بحركة مزارع الكيبوتز * وحزب المابام * .

تمكنت قوات البالماخ ، نتيجة لعلاقتها المتينة بحكومة الانتداب البريطاني على فلسطين ، من التزود بأحدث الأسلحة ، وتأمين سرعة الحركة ، كما أولتها قيادة الهاغاناه * أهمية خاصة ، فكانت قوات البالماخ قوة الهاغاناه الضاربة ، نظرا لقدرتها على تنفيذ المهام الهجومية العدوانية البحتة ، ولتمتع أفرادها بدرجة كبيرة من التثقيف السياسي الذي يركّز على مبادىء الصهيونية العالمية .

كانت لقوات البالماخ قيادة خاصة مفرزة من الوكالة اليهودية* ، ومتمركزة في تل أبيب * ، كما كان لها قيادات ميدانية في معظم المدن الفلسطينية الرئيسة ، مثل القدس * وحيفا * .

لعبت المرأة دورا في تنفيذ عمليات البالماخ العسكرية . وقد تجاوز عدد النساء في بعض سرايا البالماخ ٣٠٪ من مجموع أفرادها . وقد اشتركت بعضهن في عدد من العمليات العسكرية ، مثل نسف خطوط السكك الحديدية ، بالإضافة إلى أعمالهن الأساسية في الحراسة والإسعافات الأولية وتشغيل أجهزة اللاسلكي والإذاعة السرية .

وكان للبالماخ مخابرات جيدة التنظيم، استطاعت بواسطتها التسلل إلى بعض معسكرات أسرى الحرب الألمانية لأغراض التجسس . كما تخفّى كثيرون منهم بالزي العربي واستقروا في سورية ولبنان للهدف ذاته .

عملت قوات البالماخ ضد الانتداب إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولعبت دورا رئيسا في حرب ١٩٤٨ * في الجليل الأعلى وسيناء والنقب * والقدس ، وشكل ضباط البالماخ ، مثل ييغال آلون وإسحق رابين وحاييم بارليف ودافيد اليعازر وغيرهم ، نواة قيادة الجيش الإسرائيلي . وعند قيام (إسرائيل) أصدرت حكومة (إسرائيل) قرارا بحل البالماخ ودمجها في الجيش .

المرجع :

ـ عبد الوهاب المسيري : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٥ .

البالي : رَ : حسين بن محمد البالي

باندونغ (مؤتمر ـ) : رَ : المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي

بتاح تكفا (مدينة ـ) :

مدينة صهيونية من مدن قضاء يافا تقع على بعد ١١ كم شمالي شرق يافا * على مفترق الطرق التي تربط شمال فلسطين بجنوبها . وهي عقدة مواصلات هامة تتصل بالمدن الرئيسة الشمالية ، مثل كفار سابا * وهرتسليا * ونتانيا * والخضيرة وحيفا * ، وبالمدن الرئيسة الجنوبية مثل اللد* والرملة * ورحبوت * وبير السبع * . وتتصل بمستعمرات سهل مرج ابن عامر * والجليل عن طريق الخضيرة . وهي جزء من التجمع الحضري ليافا ـ تل أبيب ، ذلك التجمع الذي يضم بالإضافة إلى هذه المدينة مدنا أخرى تحيط بيافا ـ تل أبيب مثل بني براق * وجفعتيم* وحولون* .

تعد بتاح تكفا من بين أقدم المستعمرات الصهيونية الزراعية التي أنشئت في فلسطين ، فقد تأسست بتاريخ ١٨٧٨/٨/٨ على يد صهيونيين متدينين قدموا إلى فلسطين للإقامة فيها متذرعين بحجة إنشاء مستعمرات زراعية لهم . وقد أخفق هؤلاء المهاجرون في مشروعاتهم الزراعية ، لكن المساعدات المالية التي قدمها روتشيلد شجعتهم على مواصلة الاستيطان ، وجعلتهم يعيدون تأسيس المستعمرة في عام ١٨٨٢ بمساعدة مهاجرين جدد من الصهيونيين الذين قدموا إلى فلسطين في الموجة الأولى من موجات الهجرة الصهيونية (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

أخذت الأوضاع الاقتصادية في المستعمرة تتحسن تدريجيا ، باستثمار أموال جديدة في زراعة العنب * والحمضيات * حولها . وقد ساعدت الظروف الطبيعية على نجاح الزراعة ، فالمناخ معتدل ، والأمطار كافية ، ومياه الآبار متوافرة جيدة ، والتربة خصبة تصلح للزراعة ، وبخاصة زراعة الحمضيات . وقد تحسنت أوضاع المستعمرة منذ أوائل الانتداب ، فزاد عدد سكانها تدريجياً ، وامتد عمران المستعمرات . وما إن جاء عام ١٩٣٧ حتى تحولت المستعمرة إلى مدينة أخذت منذئذ تنمو بمعدلات سريعة وهي الآن مركز قضاء في المقاطعة الوسطى (رَ : الإدارة) .

ارتفع عدد سكان بتاح تكفا الذين يمثلون خليطاً من المهاجرين الصهيونيين من قرابة ٢٢,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٤٦,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٦ وإلى ٥٤,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١ وإلى ٨٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ . ووصل عددهم إلى ١٠٠,٠٠٠ عام ١٩٧٣ . وتشتمل المدينة على عدد من المستشفيات والمدارس الزراعية والدينية . وفيها محطة لمراقبة الإشعاعات النووية . كما أنها مجمع صناعي هام (رَ: الصناعة) . وتشتهر بتاح تكفا بمنتجاتها الزراعية المتنوعة ولا سيما الحمضيات ، وتمارس المدينة الزراعة الكثيفة المختلطة منذ أوائل هذا القرن (رَ: الزراعة) .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : **بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧)** : ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين ، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا .

البتراء : رَ : الأنباط

البترول : رَ : النفط

بَتّير :

قرية تقع على بعد ٨ كم إلى الجنوب الغربي من القدس * ، في منتصف المسافة بين قريتي الوجلة * والقبو * .

وربما كان اسمها مأخوذاً من كلمة « بت تيرا *Bet Tira* » ، وتعني مكان الطير . أو من كلمة « بت تيارا *Bet Tyara* » وتعني الحظيرة أو مربض الغنم . وقد يكون من « بتر » السامية ، بمعنى : قطع أو فصل .

عرف الرومان قرية بتّير باسم « بثير *Bethther* » وكانت قلعة حصينة أوقع الرومان بالقرب منها هزيمة بجماعات اليهود لمّا تمردت على الحكم الروماني عام ١٣٥م .

وقرية بتّير موقع أثري يحتوي على بقايا أبنية وبرك ومغاور وأرضيات مرصوفة بالفسيفساء . وتحيط بها عدة خرائب منها : خربة اليهودية ، وخربة حمدان وخربة أبو شوشة . وقد اكتشف سيجورن *Sejourne* في بتّير عام ١٩٠٩ قطعة هامة من الفسيفساء عليها كتابة يونانية .

احتل الصهيونيون عام النكبة قسما من القرية فيه المدرسة ومحطة السكك الحديدية ، وأنشأوا عام ١٩٥٠ مستوطنة بالقرب من بتّير سموها « هيفوبيتار *Hevo Bitar* » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
— Albright , W. F: **The Archaeology of Palestine,** Penguin 1960.
— Sejourne, P.M.: Une Mosaïque , anciennes Inscripitions Greques Trouvées à Battir, Jerusalem, **CAÏBL,** 1909.
— Vincent, H.: **Une Mosaïque Byzantine à Battir,** RB 1910.

البحر الميّت :

من أهم المظاهر الجغرافية الطبيعية ، لا في فلسطين وحدها بل في العالم أجمع ، لما يتمتع به حوضه من وضع بنائي ـ جيولوجي معين ، ولما تتحلى به مياهه من صفات خاصة يندر وجودها في مكان آخر مشابه . وتتجلّى الأهمية الاقتصادية لمياه البحر الميت في الثروات الطبيعية التي تحتويها ، والتي بدىء باستغلالها منذ عام ١٩٣٠ .

أ ـ لمحة تاريخية : معرفة الإنسان بالبحر الميت قديمة قدم الحضارات التي قامت في المنطقة . فقد ورد ذكر البحر الميت ، ورسمت له خرائط ، فيما كتب عن فلسطين وبلاد الشام الأخرى في العهود اليونانية ـ الهيلينستية والرومانية والبيزنطية ، ثم في العهد العربي الإسلامي والقرون الوسطى حتى الوقت الحاضر .

١) في العصور القديمة : ورد ذكر البحر الميت في الكتاب المقدس تحت اسم بحر الملح (تكوين ١٤ : ٣) وورد ذكره مرّة أخرى تحت اسم عمق السديم ، أو بحر العربة . ولقد عرف الأنباط * ، أبناء الموجة العربية الرابعة التي وصلت مشارف شبه الجزيرة العربية في حدود سنة ٥٠٠ ق.م. ، عرفوا طريقة استخراج البيتومين والقطران من مياه البحر الميّت . إذ تذكر المصادر أنهم كانوا يصدّرون هاتين المادتين إلى مصر حيث استخدمتا في التحنيط . ويذكر أرسطو البحر الميّت في مؤلفه « الميتيورولوجيا». وكذلك يذكره سترابون في « الجغرافيا » . وسترابون هو أول من وصف البحر الميّت بشيء من التوسع ، وتحدث عن عمق مياهه الكبير وكثافتها العالية ، إلى جانب وصفه قطع الإسفلت الطافية على سطحها ، وغازات البحر وينابيعه الحارة . أما بليني الذي نقل عن سترابون الكثير من المعلومات فهو أول من سمّى البحر الميّت باسمه اللاتيني القديم « بحيرة الإسفلت » . وظهرت تسمية البحر الميت لأول مرة في كتابات بوسانياس ثم غالين . ومنها انتقلت إلى المؤلفات الأوربية المتأخرة والحالية . وتعدّ خريطة كنيسة مأدبا المرسومة بالفسيفساء في القرن السادس الميلادي من أهم الخرائط القديمة للبحر الميت ، وتشتهر منطقة البحر الميت بالمخطوطات القديمة (رَ : البحر الميت ، مخطوطات) . وقد عثر على هذه المخطوطات داخل جرار فخارية في كهوف قمران التي تقع جنوب مدينة أريحا * .

٢) في العصور الوسطى : لم تستفض الكتابة عن البحر الميّت إلّا في العصور الوسطى مع ظهور المؤلفات التاريخية والجغرافية في العهد العربي حيث يندر ألّا نجد ذكراً للبحر الميّت في معظم المؤلفات المذكورة . وقد ورد ذكره تحت أسماء كثيرة منها « بحيرة زُغَر » نسبة إلى واحة نخيل جنوبية ، ويظن أن مدينة زغر القديمة التي لها علاقة بالنبي لوط كانت تقع في غور الصافي بالقرب من مصب وادي الحسا . وقد وصف ابن حوقل بلدة زغر بقوله إنها مدينة حارّة متصلة

بالبادية صالحة الخيرات وبها النخيل الكثير ولها تجارة واسعة . وذكر الإصطخري أن بها تمراً عذباً حسن المنظر وله لون الزعفران . وذكرها المقدسي بقوله إن أهلها سودان غلاظ ، وماءها حميم ، إلاّ أنها البصرة الصغرى والمتجر المربح . وقد تدهورت قرية زغر وزالت لفتك الحميات بأهلها ولتحول طرق التجارة عنها .

وسمي هذا البحر « بحيرة سدوم وعمورة » و « البحيرة المقلوبة » و « البحيرة المنتنة » كما يدعوه المسعودي وياقوت الحموي . أما تسمية « بحر لوط » فواردة في مؤلف ناصر خسرو . ويذكره ابن الفقيه والإدريسي . وهكذا لا تخرج المعارف عن البحر الميت في العصور الوسطى عن نطاق ما قدمه العرب بالدرجة الأولى إلى جانب اسم « بحر الشيطان » الذي أطلقه عليه بعض الحجاج الأوربيين إلى الأراضي المقدسة . ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤلفات العربية القديمة والوسيطة تحتوي على خرائط فيها البحر الميت .

٣) في العصر الحديث : كان الألماني زيتسن أول من قام بمحاولة لدراسة البحر الميّت في مطلع القرن التاسع عشر عندما قام بجولة في سواحل البحر ووصف التضازيس المحيطة به ، ودرس مناخه عام ١٨٠٦ ـ ١٨٠٧م . وتلاه الإيرلندي كوستيجان الذي أبحر في مياهه سنة ١٨٣٧م . لكن بداية الدراسات الحديثة تأخرت حتى سنة ١٨٥٢ م عندما قامت بعثة تابعة للبحرية الأمريكية بدراسة البحر الميّت ونهر الأردن * ، وظهرت نتائجها في تقرير أصدره رئيسها لينش في السنة نفسها . وبعد ذلك تتالت الأبحاث وكثرت الدراسات على يد علماء أجانب . ولا تزال تتتابع إلى اليوم .

ب ـ جغرافية البحر الميّت : البحر الميّت ، وهو الاسم المتعارف عليه حالياً ، كتلة مائية تحتل أخفض حوض في غور الانهدام السوري ـ الإفريقي الممتد مسافة تتجاوز ٦,٠٠٠ كم بين مرعش في تركيا شمالاً ونهر الزامبيزي في إفريقية جنوباً . ويساير غور الانهدام هذا سواحل بلاد الشام على بعد يراوح بين ٤٠ و ٩٠ كم في سورية ولبنان وفلسطين . ويأخذ غور الانهدام شكلاً نموذجياً في غور (وادي) الأردن ، ولا سيما في حوض البحر الميت ذاته حيث يظهر المفهوم الجغرافي والجيولوجي للأغوار الانهدامية بأجلى صوره . ويقع هذا البحر في العروض فوق المدارية شبه الصحراوية حتى الصحراوية . وهو يؤلف فاصلاً مائياً بين فلسطين في الغرب والأردن في الشرق . ويمتد متطاولاً من الشمال نحو الجنوب مسافة قدرها ٧٨ كم ، بعرض متوسط يبلغ ١٤ كم . وينخفض هذا الرقم إلى ٤ كم فقط لتقدّم بروز أرضي نحو الغرب يعرف باللسان . ويكاد بروز اللسان يفصل الربع الجنوبي عن باقي كتلة البحر الميت في الشمال لولا هذا المضيق المائي الضحل الذي يصل بين ما يدعى بحيرة اللسان وبقية البحر الميت شماليها . وتشير الدراسات إلى أن بحيرة اللسان التي تشكلت بفعل هزّة أرضية ، والتي لا يتجاوز عمق مياهها ٤,٥م ، لم تكن متصلة بجسم البحر الميت ، ولم تتحد مياههما إلا قبل نحو ١,٥٠٠ سنة . وتقدّر مساحة البحر الميت بنحو ٩٤٠ كم^2 ، أما حوضه فتبلغ مساحته نحو ٤٠,٠٠٠ كم^2 .

ينحصر حوض البحر الميت بين كتلتين من الجبال هما جبال القدس * والخليل * من الغرب ، وجبال البلقاء والكرك (مؤاب) والطفيلة من الشرق . وترتفع قمم الجبال فوق مستوى سطح البحر الميت بين ١,٢٥٠م و ١,٣٠٠م . وتتميز صفحات الجبال الفلسطينية المشرفة على البحر الميت بالانحدارات الشديدة والسفوح القاسية التي تنقلب جروفاً قائمة في معظم الأجزاء . وتنحدر هذه الجروف بعنف شديد على سواحل البحر دون أن تترك بين أقدامها وخط مياه البحر شريطاً سهلياً ساحلياً عريضاً إلا فيما ندر . وعند

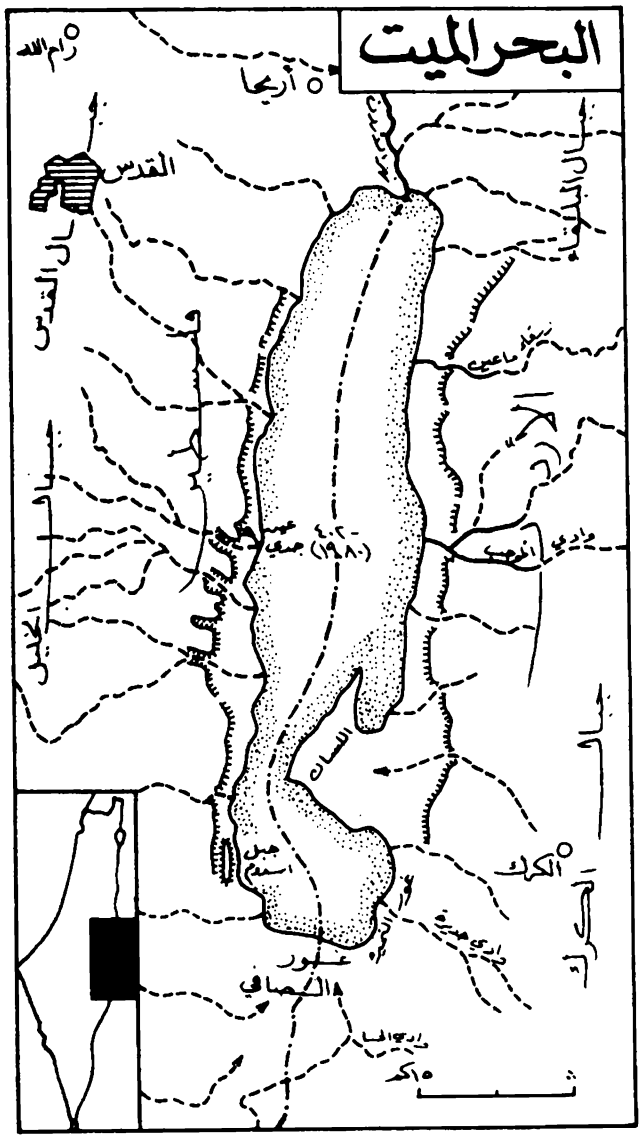

مخارج الأودية السيلية من الجبال تتقدم دالاتها من المجروفات والأنقاض السيلية في البحر على شكل رؤوس صغيرة بارزة . وباقتراب المرء من نهايات البحر في الشمال والجنوب تبتعد الجبال الفلسطينية عن البحر لتفسح المجال لمساحات سهلية منبسطة صغيرة يحتل جبل أسدوم في أقصى الجنوب مساحة متطاولة منها مسايرة لساحل البحر الميت الجنوبي الغربي . أما في الشرق فلا يختلف الوضع اختلافاً جوهرياً إلّا من حيث كون الانحدارات أضعف ، والجروف القائمة أقل عدداً وارتفاعاً وأقصر امتداداً . ومما يميز الأطراف الشرقية من الغربية بروز وتقدم شبه جزيرة اللسان السهلية ، وتقدم لسان سهلي أصغر هو غور النميرة الواقع جنوبي شبه جزيرة اللسان عند مصب وادي حديرة .

وينتهي البحر الميت في الشمال بأراضي غور الأردن * في منطقة سهل أريحا ، وفي الجنوب بسبخة واسعة منبسطة تمتد ٢٠ كم وتحتل معظم سهل غور الصافي ، نهاية وادي عربة * .

جـ ـ جيولوجية وأصل البحر الميّت : نشأ غور الانهدام السوري ـ الإفريقي نتيجة الحركات البنائية (التكتونية) التي أصابت القشرة الأرضية فكسرتها على امتداد خطوط صدوع أو انكسارات سببت خفس أجزاء منها طغت عليها مياه البحار (البحر الأحمر وخليج عدن وخليج العقبة وخليج السويس) ، أو امتلأت بالبحيرات الطولية في إفريقيا الشرقية وبلاد الشام . والبحر الميت واحد من الكتل المائية الكبرى التي ملأت أخفض حوض لا في غور الأردن وحده، بل في العالم كله، إذ يقع مستوى سطح مياهه على ارتفاع ـ ٤٠٢ م دون مستوى سطح البحر .

وقد أخذ الغور شكله الحالي في البليوسين المتأخر وحتى مطلع البلايستوسين . وتدل الدراسات الجيولوجية على أن حوض البحر الميّت محصور بين محورين للانكسارات يتفقان مع السواحل الشرقية والغربية . وتظهر على مرآة الصدع (الانكسار) الغربية منها طبقات من صخور الكلس والدولوميت القاسية العائدة للعمر السينوماني والتوروني ، في حين تظهر على المرآة الشرقية مجموعة صخور أقدم عمراً ترجع إلى الكريتاسي الأدنى والفترة الباليوزويكية ـ الميزوزويكية وتتألف في معظمها من الحجر الرملي النوبي المتعدد الألوان . أما في الطبقات العليا فتظهر صخور السينوماني والتوروني أيضاً . وتظهر في أقصى الجنوب الشرقي صخور عائدة إلى ما قبل الكامبري تغلب عليها الكونغلوميرا (رَ : الصخور) .

وعند أقدام هذه الطبقات الصخرية ، وعلى امتداد الساحلين توضعت رسوبيات رباعية طرية مؤلفة من مواد لحقية ـ نقضية وبحيرية الأصل . كما تظهر ترسبات ثلاثية العمر (نيوجينية) قارية الأصل شرقي شبه جزيرة اللسان وفي جسم جبل أسدوم المؤلف في معظمه من صخور ملحية . ويكثر ظهور الملح في الترسبات الساحلية الحديثة ، كما في سبخة الجنوب (غور الصافي) ، وأطراف البحر الذي تراجع فانحسر عنها الماء المالح .

وهناك آراء مختلفة حول الأصل الانهدامي لغور الأردن والبحر كنظرية غريغوري المعروفة بنظرية الشد ، ونظرية الضغط لويلز ، ونظرية الانزياح لكونيل .

د ـ التغذية المائية للبحر الميّت : يقدّر حجم مياه البحر الميت بـ ١٤٢ كم^3 تقريباً . وهو حجم يتبدل تبعاً لكمية المياه التي تغذيه من حوض التصريف والأنهار والأودية السيلية والينابيع ، وتبعاً لمقادير المياه المتبخرة من سطحه والخاضعة للأوضاع المناخية المتميزة بالحرارة المرتفعة والأمطار القليلة . فالحرارة السنوية المتوسطة لمنطقة البحر الميت ٢٥°، والحرارة القصوى المتوسطة لفصل الصيف ٤٠° ويحوم متوسط الأمطار السنوية حول ٥٠ مم . وهذا كله يشير إلى نسبة تبخر عالية تُدْخِل المنطقة في نطاق المناخ الجاف وشبه الجاف (رَ : المناخ) .

يشكل نهر الأردن بصبيبه المتبدل والبالغ متوسطه السنوي العام ١,٢ × ١٠^9 م^3 أهم مصدر لمياه البحر الميت . ويساعده عدد من السيول والمياه القادمة من الجبال ، ولا سيما من الجبال الشرقية . أهم الأودية السيلية الشرقية وادي الموجب الذي تصل الغزارة السنوية المتوسطة لصبيبه ٣٠ × ١٠^6 م^3 منها ١٨ × ١٠^6 م^3 من ينابيع الوادي المذكور وحوض تصريفه وشبكة أوديته الصابّة فيه . تليه في الأهمية منطقة تغذية وادي زرقاء ماعين ذات الغزارة السنوية المتوسطة البالغة ٤ × ١٠^6 م^3 . وهناك عدد آخر من الأودية السيلية يأتي وادي الحسا في طليعتها . هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الينابيع الباردة والحارة المرتصفة على امتداد خط الصدع (الانكسار) الشرقي ، كمياه ينابيع زرقاء ماعين الحارة .

وتغذية البحر الميت بالمياه من الغرب ضعيفة نسبياً ، ولا تتعدّى مياه سيول الأودية الهابطة من جبال القدس والخليل وامتداداتها جنوباً ، إلى جانب عدد من العيون والينابيع المنبثقة من أقدام الجدار الصدعي للجبال المذكورة (رَ : عيون الماء) .

إن المتوسط السنوي للمياه التي يتلقاها البحر الميت يقدّر بـ ١,٦ × ١٠^9 م^3 . وهي كمية معرضة للتبدل والزيادة والنقصان حسب الأوضاع المناخية وتبدّلها السنوي ، أو على مرّ السنين . وهذا يفسر التغيرات الطارئة على مستوى مياه البحر الميت وعمق المياه .

هـ ـ الخصائص الفيزيائية لمياه البحر الميّت : لمياه البحر الميتّ خصائص فيزيائية يندر وجودها في بحر داخلي آخر له هذا الاتساع والحجم . فالوزن النوعي للمياه يبلغ على السطح متوسطاً عاماً قدره

١,٢٠٦ غ / سم^3 ، ينخفض في فصل الصيف إلى ١,٢٠١ غ / سم^3 ، ويرتفع في الشتاء إلى ١,٢١٠ غ / سم^3 . وتزداد هذه القيمة في بحيرة اللسان الجنوبية حتى تصل إلى ١,٢٣٠١ غ / سم^3 . وباستطاعة المرء أن يستلقي على المياه الكثيف ويطالع أثناء ذلك كتاباً أو صحيفة يومية . وهذا يعطي البحر الميت ميزة سياحية ترويحية غير معروفة في مكان آخر (رَ : السياحة) . والكثافة في الأعماق شبه ثابتة لا تتأثر بالتغيرات الفصلية ، لكنها تتزايد من ١,٢٢٦ غ / سم^3 على عمق ٥٠م إلى ١,٢٣٤ غ / سم^3 على عمق ١٠٠م فما فوق .

إلى جانب هذه الكثافات العالية المتزايدة باتجاه قاع البحر الميت تتميز المياه بحرارات عالية أيضاً ، إذ تراوح حرارة الطبقة المائية العليا من السطح وحتى عمق ٤٠م بين ٣٥° في الصيف ، و ٢١° في الشتاء . أما أدنى درجة حرارة معروفة فلم تنخفض دون ١٠° ، وأقصى درجة لم تتجاوز ٣٨° . وتصبح الحرارات ثابتة ومتزايدة بانتظام في الأعماق التي تزيد على ٤٠ ـ ٥٠م ، وترتفع من ١٩° إلى ٢٢° باتجاه أعمق المياه .

وتتأثر حركة مياه البحر الميت بالرياح وبفروق كثافة المياه فتتولد بفعل الرياح أمواج صغيرة أو متوسطة الارتفاع ، وقد تعلو إلى متر واحد وعشرة سنتمترات حين تشتد حركة الرياح . لكن هذا قليل ، فالأمواج شبه معدومة معظم أيام السنة عدا فصل الشتاء حين تنشط الرياح بين الحين والآخر .

أما التيارت المائية فهي مسيرة بعامل فروق الكثافة المائية في الدرجة الأولى . وتبيّن أن لحوض بحيرة اللسان الصغيرة التي تحتل نحو ربع مساحة البحر الميت ، و ٠,٥٪ فقط من حجم الكتلة الإجمالية لمياه البحر ، تبيّن أن لهذا الحوض دوراً هاماً في نشأة التيارات وحركة الماء الأفقية . فمن حوض بحيرة اللسان القليلة العمق العالية الكثافة يخرج تيار من المياه الدافئة المرتفعة الكثافة مساير للشواطىء الشرقية عن طريق مضيق اللسان إلى الشواطىء الأردنية في البحر الميت حيث الأعماق الأكبر والكثافة المائية الأقل . وتتم عملية تعويض فاقد بحيرة اللسان بتيار قادم من الشمال مساير للشواطىء الغربية للبحر الميت يدخل عن طريق المضيق المذكور إلى البحيرة . ومياه هذا التيار أقل دفئاً وأدنى كثافة من مياه التيار المقابل المتجه شمالاً . وهكذا فإن دورة التيارات المائية في البحر الميت متكاملة ، حركتها عكس حركة عقارب الساعة .

وإلى جانب فرق الكثافة بين مياه الحوض الرئيس للبحر الميت ومياه بحيرة اللسان تساهم الرياح على امتداد المحور الشمالي الجنوبي للبحر في تنشيط حركة المياه الأفقية هذه .

و ـ الخصائص الكيميائية والترسبات : الملوحة الزائدة هي الميزة الكيميائية الرئيسة التي تميز مياه البحر الميت من أي بحيرة داخلية في العالم ، إذ يبلغ مقدار الملوحة المتوسطة ٣١,٥ ٪ تنخفض باتجاه المياه السطحية إلى ٢٨٪ ، وتزداد باتجاه الأعماق إلى ٣٢,٧٪ . ويعطي الجدول التالي التركيب الكيميائي ومقادير العناصر البارزة المؤلفة لهذه النسبة العالية جداً من الملوحة :

CL^-	الكلور	٢٠٨	مغ / ل
Mg^{2+}	المغنزيوم	٤٢	مغ / ل
Na^+	الصوديوم	٣٥	مغ / ل
Ca^{2+}	الكالسيوم	١٥,٨	مغ / ل
K^+	البوتاسيوم	٧,٥٦	مغ / ل
Br^-	البروم	٥,٩٢	مغ / ل

ويبلغ مقدار هذه العناصر المذكورة في الجدول مع بعض العناصر الأقل أهمية نحو ٣١٥ مغ / ل . وتنخفض هذه المقادير في المياه السطحية فلا تجاوز ٢٧٣,٣٥٠ مغ / ل .

ومياه البحر الميت فقيرة بالأوكسجين ، إذ لا يجاوز الأوكسجين الحرّ في المياه السطحية ١,٦ مل/ل . ولم يسجل له أي وجود أو أثر في الأعماق الزائدة على ٥٠م .

وهكذا فإن مياه البحر الميت منقع ملحي كبير يسود فيه الكلور والمغنزيوم والصوديوم والكالسيوم . والمركبات الملحية الناتجة عن هذه العناصر تقدم الثروات الطبيعية التي يكتنزها هذا البحر من كلورات المغنزيوم وكلور الصوديوم والبوتاس وغيرها من الأملاح المنحلة في الماء .

أما بالنسبة إلى المواد المترسبة في أرض البحر الميت فالغالب عليها الوحل الذي تراوح سماكته بين ١٠ ـ ٥٠ سم في الحوض الواقع شمال اللسان . ويتركز هذا الوحل على قاعدة من الملح الصخري ذات سماكة غير معروفة . وتتألف ترسبات حوض بحيرة اللسان من تعاقب سافات من الملح والطين والمارن . وتتناوب ترسبات المارن والوحول الأخرى عامة مع الأراغونيت والكالسيت والجص . وتختلط هذه الترسبات بما يصل البحر الميت من الحصباء الدقيقة التي تحملها مياه نهر الأردن والسيول الأخرى من أراضي حوض البحر . وكذلك تختلط بالرمال وفتات البازالت والصوان وغيرها من مواد الصخور المحيطة بالبحر .

ويفسر العلماء ظاهرة التلّون بالبياض التي ينقلب فيها اللون الأزرق للمياه إلى لون أبيض حليبي مرّة كل ٤ ـ ٥ سنوات ، وفي أشدّ أوقات السنة حرارة ، يفسرونها بالترسيب المفاجىء لمادتي الأراغونيت والجص .

وما تقدم من الخصائص الفيزيائية والكيميائية لمياه البحر الميت هو السبب في انعدام الحياة في مياه البحر المذكور . وان وجدت بعض الأسماك * الصغيرة القليلة العدد إلى جانب بعض أنواع الطحالب فعند مصبّات ينابيع المياه العذبة على الشواطىء فقط حيث تتعدل خصائص المياه .

ز ـ تغيرات مستوى البحر الميت : إن جميع الأرقام السابقة عن مياه البحر الميت من حيث الحجم والمساحة والنسب المئوية وغيرها عرضة للتبدل لعدم ثبات مستوى مياه البحر . وقد لاحظ الدارسون هذه الحقيقة من خلال الشواهد الجيومورفولوجية ، ولا سيما المصاطب الساحلية للبحر والمصاطب النهرية لنهر الأردن ، وكذلك من خلال القياسات المختلفة لمستوى مياه البحر ، وتذكر الأبحاث المختلفة أن المستوى كان في أوائل القرن العشرين على انخفاض ٣٩٢ م تحت مستوى سطح البحر، وأن أكبر عمق لمياه البحر الميّت هو ٤٠١ م ، أي أن قاعه يقع على عمق ٧٩٣ م تحت سطح البحر المتوسط ، وأن كمية المياه قد تزايدت عمّا كانت عليه قبل ربع قرن ، وأن مستوى المياه قد ارتفع مترين . وقد رأى ماسترمان عام ١٩٠١ أن التبدلات السنوية القصوى (الدنيا والعليا) تبلغ ٩٦,٣٦ سم . والجدول التالي يرينا تذبذب المستوى منذ سنة ١٨٦٥ حتى ١٩٨٠ .

مستويات البحر الميّت من عام ١٨٦٥ ـ ١٩٨٠			
السنوات	المستوى	السنوات	المستوى
١٨٦٥	ـ ٣٩٣,٨م	١٩٤٤	ـ ٣٩٥م
١٩١٠	ـ ٣٩٢م	١٩٤٦	ـ ٣٩٤,٢٩م
١٩١٢	ـ ٣٩١ م	١٩٦١	ـ ٣٩٥م
١٩١٥	ـ ٣٨٧م	١٩٦٣	ـ ٣٩٨,٥ م
١٩٢٨	ـ ٣٩٣م	١٩٦٦	ـ ٣٩٩م
١٩٣٣	ـ ٣٩٤م	١٩٧١	ـ ٣٩٩م
١٩٣٨	ـ ٣٩٥م	١٩٧٣	ـ ٣٩٨م
		١٩٨٠	ـ ٤٠٢م

ويتبيّن من هذا الجدول أن الفرق بين أدنى مستوى وصلت إليه المياه وأعلى مستوى هو ١٥م خلال هذه الفترة الزمنية .

وتؤكد بعض الدلائل والأبحاث أن مستوى مياه البحر الميت كان أعلى من مستواه الحالي بنحو ٢٢٠م ، أي أنه كان على انخفاض ١٨٢ م . وبالتالي فإن المياه كانت ممتدة على طول غور الانهدام ،من أطراف بحيرة طبرية* في الشمال وحتى موقع عين حصب* في وادي عربة * على بعد ٣٨ كم جنوبي البحر الميت الحالي ، وذلك في الحقبة الواقعة بين ٢٠,٠٠٠ و ٧٠,٠٠٠ ـ ١٠٠,٠٠٠ سنة سابقة .

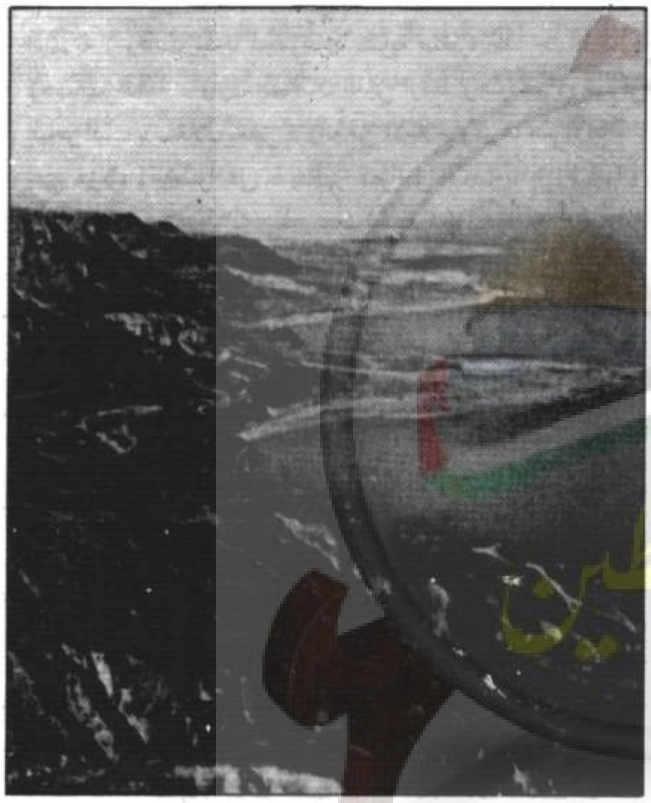

وترى هذه الدراسات أن عمر البحر الميت الحالي نحو ١٢٠,٠٠٠ سنة .

ترجع أسباب تغيرات مستوى مياه البحر الميت إلى التغيرات المناخية التي تعرضت، وتتعرض لها المنطقة ، واختلاف نسب التبخر . لكن يجب أن يضاف إلى الأسباب المناخية الأسباب البنائية (التكتونية) التي لا بد أن تكون قد لعبت دورها أيضاً إلى جانب العامل البشري ومدى استغلال الإنسان لمياه الأنهار والينابيع المغذية للبحر ، خاصة مياه نهر الأردن في الأغوار الشمالية لوادي الأردن نفسه ، وتحويل قسم كبير منها إلى الأراضي الغربية في فلسطين مما يقتطع جزءاً كبيراً من حصة البحر الميت من مياه هذا النهر .

ح ـ الإنسان وثروات البحر الميّت : لا تشجع سواحل البحر الميت ولا مياهه على السكنى والاستقرار . فالأرض الصالحة للزراعة صغيرة المساحة ومحصورة في نقاط معينة ، والمياه الصالحة للري قليلة الكمية . والحرارة عالية ، والأمطار قليلة والمناخ قاس ، حتى الأسماك التي يمكن أن تجتذب السكان إلى البحر غير متوفرة في مياهه . كما أن الصخور الجرداء العارية تحيط البحر بجدران عالية تجعل من الحوض حفرة خانقة تعيق المواصلات وتقيد نشاط الإنسان .

لذلك كانت سواحل البحر الميت من المناطق القليلة الكثافة

البشرية ، وكانت ملجأ لمجموعات بشرية صغيرة جداً جاءتها هاربة لأسباب مختلفة . وأول السكان الذين ارتبط وجودهم في شرقي البحر الميت باستغلال بعض ثرواته من الأملاح وغيرها هم الأنباط . حتى هؤلاء لم يقطنوا على ما يظهر سواحل البحر ، بل أقاموا في الجبال الشرقية حيث عاصمتهم سلع (البتراء) . وكانت فئات منهم تأتي البحر لاستخراج مادة البيتومين . أما جبال غربي البحر الميت فكانت موطنا لقبائل فلسطينية مختلفة اقتصر نشاطها وتحركها على المرتفعات الغربية ، ولم تول البحر الميت أي اهتمام . وبرغم عداء الطبيعة للإنسان قامت بعض المراكز البشرية الصغيرة جنوبي البحر حيث كانت تقوم واحة نخيل (زُغَر) التي أعطت البحر اسمها العربي القديم . وكذلك الواحة الصغيرة التي قامت عند عين جدي على الساحل الغربي .

وقد بقي الإنسان جاهلاً بثروات البحر الميت الطبيعية ، أو عاجزاً عن استغلالها استغلالاً صحيحاً حتى الربع الأول من القرن العشرين حين واكبت تطور العلوم والصناعة الدراسات والأبحاث حول البحر الميت ، وازدادت الحاجة إلى الأملاح المختلفة في الصناعات الكيميائية . فقامت شركة بوتاس فلسطين عام ١٩٢٩ بإنشاء معمل شمالي البحر الميت عام ١٩٣٠ . ثم ألحقت به سنة ١٩٣٤ فرعاً بنته جنوبي غرب البحر الميت في أسدوم . وقد تعطّل المعمل الشمالي في أحداث ١٩٤٨ .

وجميع الأرقام التي تشير إلى ما يستخرج من ثروات البحر الميت أرقام صغيرة جداً إذا ما قورنت بمخزون هذا البحر من الأملاح المعدنية التي تدخل في صلب الكثير من الصناعات الهامة . يضاف إلى ذلك أن بعض ما يفقده البحر من الأملاح يتجدد ويتعوض بما تحمله إليه المياه الصّابة فيه . وتقدّر كمية الثروة المعدنية بنحو ٤٥ مليون طن من الأملاح يتوزع أهمها على الشكل التالي :

١) كلوريد المغنزيوم	٢٣,٠٠ مليون طن
٢) كلوريد الصوديوم	١٢,٦٥ مليون طن
٣) كلوريد الكالسيوم	٦,١١٩ مليون طن
٤) كلوريد البوتاسيوم	٢,٠٥ مليون طن

وقد تأسست عام ١٩٧٦ في الأردن شركة البوتاس العربية لاستخراج البوتاس وغيره من المواد مثل كلوريد المغنزيوم وكلوريد الصوديوم والكلورين والبرومين من الجزء الجنوبي الشرقي من البحر الميت ، وقد بدأ الإنتاج عام ١٩٨١ .

يضاف إلى هذا بعض النشاط الزراعي المتواضع الذي يستفيد من المساحات الصغيرة المروّية الصالحة للزراعة ، ولا سيما في منطقة الأغوار الجنوبية على الساحل الشرقي جنوبي شبه جزيرة اللسان ، وكذلك في سهل أريحا شمالي البحر الميت ، وواحة عين جدي على الساحل الغربي . وتمتاز هذه الواحات المتفرقة بزراعة البواكير وفواكه المناطق فوق المدارية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
ـ الأب مرمرجي الدومنيكي : بلدانية فلسطين العربية ، بيروت ١٩٤٨ .
ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ١ و ج ٣ ، بيروت ١٩٥٥ و ١٩٧٥
ـ الإصطخري : المسالك والممالك ، القاهرة ١٩٦١ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .
ـ إبراهيم شريف : نهر الأردن ومشاريع الري ، بغداد ، ١٩٦٢ .
ـ هاردنغ لانكستر : آثار الأردن (مترجم) ، عمان ١٩٦٥ .
ـ العهد الجديد : إنجيل مرقس .
ـ العهد القديم : سفر نشيد الإنشاد ، وسفر يشوع ، وسفر التثنية ، وسفر الملوك الأول .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحات القدس والبحر الميت وجبل أسدوم ووادي عربة .
— Blanckenhorn, M.: **Entstehung und Geschichte des toten Meeres,** Zeitschr. Deutsch - Palaest. Vereins 1896.
— Blanckenhorn, M.: **Naturwissenschaft Studien am Toten Meer und in Jordantal,** Berlin 1912.
— Burrows,M.: **The Dead Sea Scrolls,** London 1956.
— Garstang, J.: **The Story of Jericho,** London 1940.
— **The Encyclopedia Americana,** Vol.8, 1976.
— **The Encyclopedia Britannica,** Vol III, 1974.
— Lynch, W.F.: **Official Report of the U.S. Expedition to Explore the Dead Sea and the River Jordan,** Baltimore 1852.
— Quennell, A.M.: **The Structural and Geomorphic Evolution of the Sea Rift,** London 1959.
— Willis,B.:**Dead Sea Problem: Rift Valley or Ramp Valley,** 1928.

البحر الميت (أملاح ـ) : رَ : المعادن

البحـر الميت (مخطوطات ـ) :

« قمران » اسم مغارة عثر فيها عام ١٩٤٧ على مخطوطات قديمة تعد من أروع المكتشفات في العصر الحديث . فقد وجد أحد رعاة عشيرة التعامرة العربية البدوية ، مصادفة ربيع عام ١٩٤٧ ، إحدى مخطوطات البحر الميت التي كتبت باللغات الآرامية * والعبرية واليونانية القديمة في كهوف ومغاور النهاية الشمالية الغربية للبحر الميت * ، ومنها خربة قمران ، ووادي المربعات ، وخربة المرد (شمال وادي النار *) ، وكهف الفشخة . وقد احتوت اللفائف

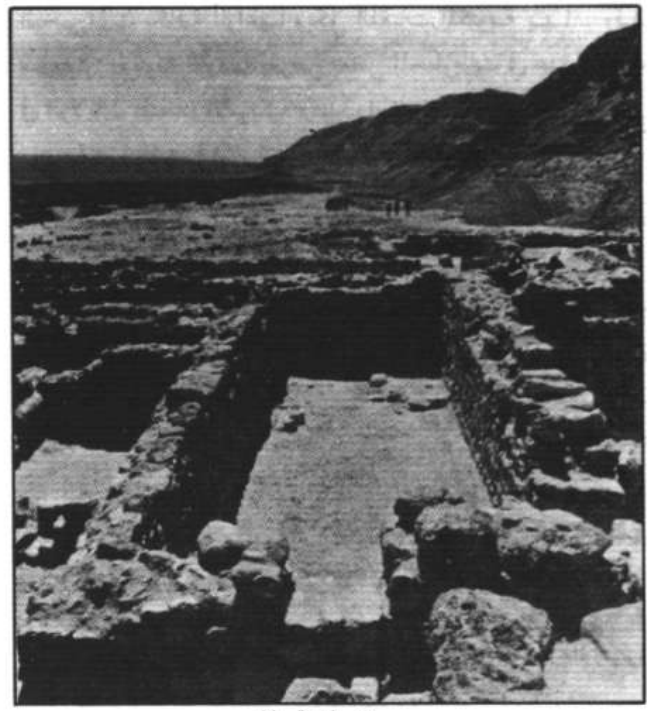

حفريات قمران

الكتّانية المغلفة بعناية والمحفوظة في قدور كبيرة من الفخار لصيانتها من الرطوبة والعبث موضوعات غير معنونة ، وبدراستها تبين أنها أسفار أصلية من العهد القديم (التوراة *) ، ومكتوبات أخرى أدبية مختلفة ، وقد كشف حتى الآن عن أحد عشر كهفا ، واكتشف آخرها التعامرة أيضا عام ١٩٥٦ . واحتوت المخطوطات على :

١) كتاب النبي أشعيا : وقد نشرته المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية عام ١٩٥٠ . ويبلغ طول الرق المكتوب عليه نحو سبعة أمتار وأربعة وثلاثين سنتيمترا مدونة بخط عبري قديم . وهو أقدم ملف للتوراة العبرية كتب في أربعة وخمسين عمودا بالخط المربع أو الحروف الآرامية . ويشبه نصه سفر أشعيا المألوف مع بعض الاختلافات .

٢) تفسير حبقوق والتعليق عليه : وهو صغير نسبيا مليء بالفواجع التي ستحل بالجيل الأخير الذي يشهد نهاية العالم . (حبقوق أحد أنبياء اليهود) .

٣) كتاب النظام : وهو يمثل عقائد طائفة من اليهود فيها معاني التضحية وحب المساعدة .

٤) حرب أبناء النور مع أبناء الظلام : وفيه يبدو التشابه كبيرا بين صفات معلم الخير والصدق المختار من الله مخلّصاً للعالم، وكيف وقف في وجهه الكهنة ، وحكموا عليه بالموت ونفّذوه فيه ، السيد المسيح المخلص وكيف حكم عليه اليهود والرومان . وهو قول بالرغم من تشابه ظواهره مختلف بالجوهر ، فالقمرانية بقيت مذهبا يهوديا ،ولم تخرج عن هذا الدور الخاص ، في حين أن النصرانية رسالة إنسانية عالمية .

٥) مخطوط لامك باللغة الآرامية : فيه تسعة عشر عموداً تتضمن تعليمات لإدارة الحرب بين أسباط لاوي ويهوذا وبنيامين المدعوين بأبناء النور ، والإيدوميين * والمآبيين والعمونيين والفلسطينيين والإغريق المدعوين بأبناء الظلام (ولامك حفيد أخنوخ ووالد النبي نوح) .

٦) مزامير التسبيح والشكران : وتبلغ عشرين مزمورا تشبه مزامير العهد القديم .

٧) قطع أخرى من أسفار متنوعة : شملت كتب الأبوكريفا *Apochrypha* ، ويقصد بها كتب التوراة التي لم تثبت صحتها ، والتي رفضتها الكنائس المسيحية ، وكتابات تتعلق بمذهب سكان قمران .

٨) الوثيقة الدمشقية : وقد ظهر بين مخطوطات البحر الميت في كتابات الأسينيين * الذين امتد عهدهم من ١٥٠ ق.م. إلى ٦٨ ب.م. ما يشابه إلى حد كبير محتويات وثيقة دمشق التي عثر عليها في كنيس يهودي بالجيزة قرب القاهرة . وهي خاصة بجماعة اعتقدوا أن الله أرسل إليهم معلم الحق ليخلّصهم من ذنوبهم ، فخرجوا إلى دمشق ، وسمّوا أنفسهم أبناء العهد الجديد. وليس هناك أي دليل يثبت أنهم وصلوا إلى دمشق . والأسينيون طائفة من اليهود عاشت قبل الميلاد . وكانت معيشتهم أضيق من معيشة الفريسيين * أقدم الطوائف اليهودية .

ودل الكشف على أن سكان قمران كانوا يعنون باستنساخ الأسفار المقدسة وسواها ، وأنهم خصصوا لهذه الغاية قاعة معينة أقاموا فيها الموائد والمقاعد للكتابة ، وأنشأوا المغاسل للتطهّر قبل البدء بالعمل ، نظرا لقدسية ما يفعلون . ويلاحظ أن محابرهم لا تزال موجودة حتى اليوم .

يسّرت المخطوطات معلومات للدراسة المقارنة مع النصوص المتداولة للعهد القديم ، ولدراسة نشأة العهد الجديد .

وقد عكف كثير من العلماء والمعاهد العلمية على دراسة المخطوطات المكتشفة ، ومنهم :

١) الدكتور جون تريفر *J. Trever* من المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس .

٢) الأثري الإنكليزي جيرالد . ل . هردينج *G.L. Harding* مدير الآثار بالأردن .

٣) الأثري الأمريكي وليم . ف . أولبرايت *William F.*

Albright مدير المدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية بالقدس والأستاذ بجامعة هوبكنز الأمريكية .

٤) الأثري وليم هـ . بروانلي : *William H. Brownlee* من كلية كليرمونت للدراسات العليا بالولايات المتحدة الأمريكية .

٥) الدكتور بيرنبوم *Birnbaum* الأستاذ بجامعة لندن .

٦) الأب رولان دي فو *R.De. Vaux* رئيس مدرسة الأبحاث التوراتية الفرنسية في بيت المقدس .

٧) الدكتور بلندرليث *H. Plenderleith* مسؤول مختبر الأبحاث الكيميائية في المتحف البريطاني .

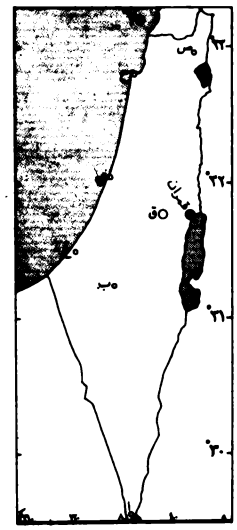

وتم تقدير عمر المخطوطات بدراسة اللغة والخطوط والمادة المكتوبة عليها وبها ، وشكل الحروف والصياغة والرق والكتّان والنحاس وقطع الفخار والنقود التي وجدت معها . وقد نجح البحث الأثري ، باستخدام طريقة الكربون المشعّ ١٤ لفحص الكتّان (التيل) الذي لفت به الوثائق والجرار الفخارية ، نجح في إعطاء معلومات تقديرية تقريبية عن عمر المخطوطات وزمانها ، فكان ما بين السنة ٣٠٠ قبل الميلاد والسنة ٦٨ أو ٧٠ بعد الميلاد .

ويمكن جمع شطر كبير من التوراة من مخلفات هذه الكهوف ، باستثناء سفر أستير الذي استبعد لأسباب طقوسية ، لأن الأسينيين لا يعترفون بالعيد العبري « فوريم » الوارد اسمه في السفر المذكور . وقيمة المخطوطات أنها وردت بلغتها الأصلية ، وأنها أقدم بحوالي ١,٠٠٠ سنة من أقدم مخطوطات للعهد القديم معروفة من قبل . ولكنها تختلف عنها في عدة مواقع ومواضيع .

وإجراء تعديلات أو تغييرات جوهرية في نصوص العهد القديم ، أو تأويلات حول نشوء المسيحية نتيجة لاكتشاف مخطوطات قمران ، مسألة تنتظر إجابات الدراسات النهائية الكاملة المقارنة بالنصوص العبرية (المسوّرة) المعتمدة لدى اليهود المحافظين . إضافة إلى ثلاثة آلاف دراسة كتبت وصنّفت حول مضامين المخطوطات وتفسيرها وشرحها وتأويلها .

وقد جرى تهريب بعض المخطوطات المكتشفة من الأراضي العربية ، والاتّجار بها بصورة غير شرعية . وتملّكت الحكومة الإسرائيلية ، بالشراء والإرهاب ، بعض المخطوطات المعروضة للبيع غير المشروع في الولايات المتحدة الأمريكية . وتملّكت الحكومة الأردنية بالقانون عام ١٩٥٧ المخطوطات الأثرية المكتشفة في منطقة البحر الميت بكافة أنواعها وبكل اللغات المكتوبة بها . وقد سمحت الحكومة الأردنية بعرض بعض المخطوطات في عدة متاحف في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وإنكلترا .

وقد خالفت (إسرائيل) اتفاقية لاهاي (١٩٥٤) لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح عندما نقلت ، أثناء معركة القدس في ١٩٦٧/٦/٦ كميات كبيرة من مخطوطات البحر الميت القيّمة الباقية في المتحف الفلسطيني إلى الأراضي الفلسطينية المحتلة ما قبل عام ١٩٦٧ بدعوى الحفاظ عليها بصفة موقتة . وحتى اليوم لم تتم إعادة مخطوطات البحر الميت إلى مكانها الأصلي في المتحف الفلسطيني .

المراجع :

ـ أحمد فتحي سرور : **ملف القدس ١٩٧٧** . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

ـ أسد رستم : **مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران ، هدايا مجلة المسرة السنوية** ، لبنان ١٩٥٩ .

ـ وليم أولبرايت : آثار فلسطين ، القاهرة ١٩٧١ .

ـ ليونارد كوتريل : **الموسوعة الأثرية العالمية** ، القاهرة ١٩٧٧ .

ـ محمود العابدي : **مخطوطات البحر الميت** ، عمان ١٩٦٧ .

ـ موريس بوكاري : **دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة** ، القاهرة ١٩٧٨ .

— Burchard, C.: **Bibliographie zu den Handschriften vom Toten Meer,** Berlin 1957-1965.

— Carmignac, J. and Guilbert, P.: **Manuscrits de la Mer Morte, les textes de Qumran,** Paris 1962-1964.

— De Vaux, R.: **L'Archéologie et les manuscrits de la Mer Morte,** Londres 1961.

— Milik, J.T.: **Dix ans de découvertes dans le desert de Juda,** Paris 1957.

البحوث والدراسات العربية (معهد ـ) :

أنشىء هذا المعهد في القاهرة سنة ١٩٥٣ بناء على القرار ٤٣٧ لمجلس جامعة الدول العربية في دور انعقاده السادس عشر في ١٩٥٢/٩/٢٣ فكان واحداً من مجالات العمل الثقافي ضمن رسالة جامعة الدول العربية .

حدد النظام الأساسي الذي أقره مجلس الجامعة أغراض المعهد في المادة الأولى بأنها :

١) إعداد شباب عربي مثقف ثقافة عربية عالية .

٢) نشر الثقافة العربية عن طريق التدريس والتأليف والنشر والمحاضرات العامة .

٣) إقامة فكرة القومية العربية على أسس علمية صحيحة .

٤) تكييف أسس الثقافة العربية بحيث تنتفع من تقدم المدنية الحديثة .

وقد عُيّن ساطع الحصري مديرا للمعهد وأستاذا للقومية العربية فيه ، وظل يشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٨ . وكان الحصري رأس الداعين إلى إنشاء المعهد تحقيقاً للفكرة القومية التي عمل من أجلها منذ بدايات القرن ، وسعياً إلى تنشيط الوعي القومي في الوطن العربي ، مع إشاعة الشعور بالوحدة العربية ، وبث الإيمان بمستقبل الأمة العربية ، والتصدّي للنزعات الإقليمية وتيارات التجزئة .

زودت مكتبة المعهد بالمراجع والمصادر والمجلات المتنوعة ، وبدأت طباعة سلسلة وثائق ونصوص حول واقع الأمة العربية . وقد شملت دراسات المعهد وبحوثه الدراسات القانونية والاقتصادية والتاريخية والأدبية . وكانت قضية فلسطين من جملة القضايا الاساسية في الدراسات القومية ، ثم أفرد لها قسم خاص في المعهد منذ العام الدراسي ١٩٦٣/١٩٦٤ ترأسه الدكتور إسحق موسى الحسيني منذئذ ، وكُلف الدكتور أنيس صايغ بإدارته في العام الدراسي ١٩٦٩/١٩٧٠ . وهدف هذا القسم الدعوة للاستفادة من دروس الماضي ، والتفاؤ ل المصحوب بالعمل ، والتركيز على أهمية فلسطين في المسار القومي ، وعلى أن قضيتها قضية مصيرية لجميع أبناء الأمة العربية . وكان قسم فلسطين من أهم أقسام المعهد الخمسة ، وقد نشط في مجال البحث والدراسة والنشر ، وزودت مكتبته بالمراجع المتخصصة في القضية الفلسطينية ، وحاضر فيه عدد من المتخصصين في جوانب القضية المختلفة ، التاريخية ، والسياسية ، والعسكرية ، والقانونية ، والأدبية ، وفي اللغة العبرية ، وتخرج من هذا القسم عدد كبير من طلاب الأقطار العربية المختلفة .

تحوّل أسلوب العمل في المعهد ، فلم يعد معهداً للدرس والبحث فقط بل أصبح ، بالإضافة إلى ذلك ، مؤسسة علمية تمنح الشهادات في الفروع المختلفة (دبلوم) ، ويتقدم بعض خريجيه المتفوقين لتحضير درجات الماجستير . وقد غدا المعهد بتاريخ ١٩٧٠/٩/١٠ أحد أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . واتسعت في هذا الطور الجديد أهداف المعهد ، وقوي التصاقها بالقضايا المعاصرة . ومن الأهداف :

١) إعداد جيل من الباحثين الشبان المعنيين بالتعمق في دراسة وبحث القضايا والمشكلات العربية المعاصرة .

٢) إجراء سلسلة من البحوث العلمية التي تتناول المشكلات والقضايا المطروحة على الساحة العربية .

٣) طباعة ونشر البحوث والدراسات العلمية حول القضايا العربية الحديثة والمعاصرة على المستوى العربي ،٠وفي الأوساط العلمية والأجنبية المعنية بشؤون الوطن العربي .

٤) تقديم خدمات استشارية للحكومات العربية وجامعة الدول العربية ومنظماتها عن طريق إجراء بحوث علمية في الموضوعات التي تحددها هذه الهيئات .

وضع للمعهد ، في شباط ١٩٧٣ ، نظام أساسي جديد أكّد مهام المعهد وأهدافه السابقة . وحدث بموجبه تعديل أقسام المعهد العلمية ، فأصبحت تضم البحوث والدراسات الاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والقومية ، والجغرافية والتاريخية ، والقانونية ، والأدبية . وأصبح موضوع قضية فلسطين جزءاً من الدراسات السياسية والقومية ، وأدرج تحت عنوان « الصراع العربي ـ الإسرائيلي » لأنه لا يمكن الفصل بين موضوع فلسطين وقضايا الوطن العربي السياسية تأكيداً لبعد القضية الفلسطينية القومي .

واصل المعهد السير وفق الخطوط العريضة التي تضمنها نظامه الأساسي ، فتابع بالبحث العلمي الجاد القضايا العربية المعاصرة ، وأبرز أثر المشكلات العالمية في الوطن العربي ، تدل على ذلك انجازاته العلمية ومطبوعاته . وقد واصل المعهد إصدار مطبوعاته عن القضية الفلسطينية ، وهي تشكل اليوم مراجع هامة للدارسين في موضوع هذه القضية .

صدر القرار بنقل معهد البحوث والدراسات العربية من القاهرة ـ كسائر أجهزة جامعة الدول العربية ـ سنة ١٩٧٩ ، على أن يكون مقره بغداد . ولا يزال المعهد القديم في القاهرة يضم بين جنباته جميع تراث المعهد منذ تأسيسه .

المراجع :

ـ مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ـ وثائق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

البخاري : رَ : محمد بن أحمد بن خير الله البخاري

البداوة والاستقرار :

البداوة نمط حياة قائم على التنقل الدوري في طلب الرزق حول مراكز ثابتة وموقتة . ويتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة فيها من ناحية ، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة

في استغلالها من ناحية أخرى ، ثم على مدى الأمن الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها من ناحية ثالثة .

إذا أخذ مضمون البداوة باعتبارها حياة تنقل وسعي وراء مصادر العيش داخل البيئات البدائية كانت هناك بداوة جمع الثمار ، وبداوة الصيد ، وبداوة الرعي . وهذا يعني أن البداوة ليست وقفا على الصحراء ، وإن كانت الصحراء بظروفها الطبيعية تحتم على أهلها البداوة . وبداوة الرعي هي الصورة التقليدية للبداوة في فلسطين (رَ : الرعي) .

أما الاستقرار فإنه نمط حياة قائم على إقامة السكان في أماكن ثابتة ذات موارد اقتصادية مستغلة أو قابلة للاستغلال . وتتمثل هذه الأماكن في المناطق الريفية التي يستقر فيها السكان معتمدين في معيشتهم على الزراعة* أساساً ، وفي المناطق الحضرية التي يستقر فيها السكان معتمدين في معيشتهم على الصناعة * والتجارة * والوظائف الأخرى . والبداوة تسبق الاستقرار في معظم الأحوال ، ذلك لأن الإنسان القديم ، بسبب بدائيته ، اعتمد في الماضي البعيد على التنقل والتجول بحثاً عن الغذاء وهروباً من الأخطار التي كان يتعرض إليها . وهذا العمل يمثل عجز الإنسان عن مواجهة المشكلات من جهة ، ومحاولته التكيف مع البيئة من جهة ثانية للمحافظة على البقاء . ولكن ارتقاء الإنسان فيما بعد وتدرّجه في سلم الحضارة ساهما في استقراره ، لأن قدرته على مواجهة المشكلات والتغلب عليها أصبحت كبيرة . غير أنه يمكن القول إن التغير المناخي الذي شهدته المنطقة بعامة ، وفلسطين بخاصة ، كان عاملا رئيساً من عوامل استقرار الإنسان (رَ : المناخ) .

وتجدر الإشارة إلى أن فترة الجفاف * الحالية التي تمر بها فلسطين ، كغيرها من جهات الوطن العربي ، بدأت منذ خمسين ألف سنة خلت . إن تغير المناخ * من الحالة الرطبة (أثناء العصر المطير) إلى الحالة الجافة اضطر الإنسان القديم إلى النزول من الهضاب والمرتفعات إلى السهول والمنخفضات والأغوار حيث مصادر المياه المتوفرة . وكانت معرفة الإنسان بالزراعة نقطة تحول أساسية في تاريخه ، إذ انتقل من حياة التجول والبداوة إلى حياة الاستقرار فأقام في تجمعات سكنية بجوار مصادر المياه ، وبمحاذاة خطوط المياه ، وعلى طول بعض الطرق الرئيسة .

ولا يعني هذا القول ان الإنسان ترك حياة البداوة نهائيا ، إذ أن بعض السكان ظلوا يمارسون حرفتي الصيد والرعي * في البيئة الصحراوية الجافة ، على حين انتقل بعضهم الآخر إلى حرفة الزراعة في البيئة شبه الرطبة حيث حياة الاستقرار في القرى الزراعية . وكانت فلسطين مسرح تلاقي مؤثرات الحضارتين البدوية والزراعية مثلما كانت مسرح تصارع البدو والمزارعين للحصول على مقومات حياتهم . ولم يخل تاريخ البلاد من فترات تعايش سلمي بين البداوة والاستقرار، وهي الفترات التي كانت تشهد قيام حكومات قوية تسيطر على الموقف وتنشر الأمن في ربوع البلاد . وعندما تكون السلطة الحاكمة قوية فإنها تحدّ من غزوات البدو وهجماتهم على المناطق الريفية من جهة ، وتساهم ، بما تنشره من أمن وهدوء ، في تشجيع الجماعات البدوية على الاستقرار من جهة ثانية . لذا فإن الصحراء الفلسطينية ، وهي الامتداد الشمالي لصحراء شبه الجزيرة العربية ، تعد خزانا بشريا يغذي المناطق المستقرة في فلسطين بالسكان .

أ ـ البيئة الطبيعية : للبيئة الطبيعية في فلسطين أثر كبير في منشأ البداوة والاستقرار . فموقع فلسطين الجغرافي عند الحافة الغربية للصحراء الأردنية من جهة ، وعند الحافة الشمالية لصحراء سيناء وشبه جزيرة العرب من جهة ثانية ، جعلها تتلقى مؤثرات الصحارى العربية عبر العصور التاريخية (رَ: الموقع) . وهنا تظهر أهمية إقليمي الصحراء الفلسطينية (إقليم النقب *) ووادي الأردن (رَ : الغور) ودورهما التاريخي في تعمير فلسطين ، إذ أنهما الباب الكبير الذي دخل منه البدو إلى فلسطين .

وتساعد الأقاليم البيومناخية ، بتدرجها في فلسطين ، على وجود البدو في مرحلة البداوة إلى جانب مرحلة الاستقرار ، وإلى تحولهم

تدريجياً من البداوة إلى الاستقرار . فالإقليم الصحراوي في جنوب فلسطين هو إقليم البداوة بصفة عامة (رَ : النقب) ، ويتميز هذا الإقليم بمناخه المتطرف ، وارتفاع قيم المدى الحراري السنوي والفصلي واليومي ، كما يتميز بارتفاع درجة حرارته نسبيا ، وانخفاض نصيبه من الأمطار ، إذ يصل المتوسط السنوي لدرجة حرارته إلى ٢٥° ، ويبلغ متوسط كمية أمطاره السنوية نحو ٥٠ مم ، وتهطل أمطاره بشكل فجائي ، وبكمية كبيرة خلال فترة قصيرة ، وهي متذبذبة وغير منتظمة (رَ : المناخ) . والمياه الجوفية في هذا الإقليم قليلة (رَ : عيون الماء) وهو يشتمل على تربة * ونباتات طبيعية * فقيرة ومبعثرة ، وتسود فيه تربة اللوس والأعشاب الشوكية التي تناسب الإبل أكثر من غيرها من المواشي (رَ : التربة) و(رَ : النباتات الطبيعية) . وللموقع الجغرافي والمظاهر الطبوغرافية والتربة في صحراء النقب ووادي الأردن الجنوبي أثر في تحديد كميات الأمطار ، وفي امتداد الأعشاب الطبيعية . وتفرض هذه الظروف الطبيعية للبيئة على البدو التنقل والتجول باستمرار للمحافظة على حياتهم وحياة قطعانهم .

ويمتد إلى الشمال من الإقليم الصحراوي إقليم المناخ السوري ، أو إقليم السهوب في شمالي النقب (منطقة بير السبع) والأجزاء الوسطى من وادي الأردن . ويتيمز هذا الإقليم بأنه شبه جاف تسود فيه الحياة شبه البدوية أو شبه المستقرة ، حياة تجمع بين البداوة والاستقرار في آن واحد . والمناخ هنا أقل تطرفا من المناخ الصحراوي ، إذ يقل المدى الحراري نسبيا ، ويصل المتوسط السنوي لدرجة الحرارة إلى ٢٠° . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية نحو ٢٥٠ مم ، وهي كمية تصلح للزراعة الجافة (البعلية) إلى جانب صلاحها لنمو الأعشاب الطبيعية المناسبة لرعي الأغنام والمعز .

ويمتد إقليم المناخ المتوسطي شبه الرطب في النصف الشمالي من فلسطين حيث يميل المناخ إلى الاعتدال بصفة عامة . ويصل المتوسط السنوي لدرجة الحرارة إلى ١٧° داخل هذا الإقليم ، ويتجاوز متوسط كمية الأمطار السنوية ٦٠٠مم . ويختلف المناخ في الأجزاء الساحلية عن الأجزاء الداخلية ، فالأجزاء الساحلية أكثر اعتدالا ورطوبة من الأجزاء الداخلية . لذا ضمت الأجزاء الساحلية سكانا مستقرين في حين جمعت الأجزاء الداخلية (المرتفعات الجبلية) بين حياة الاستقرار وشبه الاستقرار لقربها من الإقليمين المناخيين الجاف وشبه الجاف ، ولتأثرها بهما .

بدأت البداوة والاستقرار جغرافيا حالة تكيّف بين البدو وظروف البيئة الطبيعية الجافة من جهة ، وحالة تكيّف بين الحضر وظروف البيئة الطبيعية شبه الرطبة من جهة ثانية . وانتهت نفسيا إلى تنظيم اجتماعي عند البدو يعتبر عاملا مساعدا على كثرة التنقل والترحال ، وبالمقابل كان التنظيم الاجتماعي عند الحضر عاملا على استقرارهم . ونشأ النظام القبلي الذي حدد لكل قبيلة مجالها الطبيعي ورقعتها المعروفة من الأرض التي لها وحدها حق التجول فيها واستغلالها على نطاق جماعي ، الأمر الذي يعمق ويرسخ مفهوم البداوة والنظام القبلي في الإقليم الصحراوي . من جهة ثانية نشأ النظام البلدي في المناطق المستقرة التي حدد فيها لكل قرية أو مدينة مجالها الطبيعي ورقعتها من الأرض . وكانت الملكية جماعية (مشاعا) وفردية في معظم المناطق الانتقالية التي تسود فيها الحياة شبه البدوية أو شبه المستقرة في حين سادت الملكية الفردية في المناطق الريفية والحضرية المستقرة (رَ : الأرض ، ملكية) .

ب ـ التطور التاريخي للبداوة والاستقرار : سكن الإنسان القديم فلسطين منذ ما قبل التاريخ (رَ : العصور القديمة) . وقد عثر الباحثون على بقايا الهياكل البشرية لإنسان العصر الحجري القديم في مغارة الزطيّة (رَ : الزطية : كهف) قرب بحيرة طبرية * . فقد وجدت فيها عام ١٩٢٥ جمجمة تعرف بجمجمة طبرية أو جمجمة الجليل التي عاش صاحبها قبل نحو مائتي ألف سنة . وعثروا أيضاً على بقايا هياكل أخرى في مغارتي السخول والطابون من كهوف مغارة الواد في جبل الكرمل * ، وفي مغارة القفزة في جنوب الناصرة * ، ويعود عهدها إلى ما قبل مائة ألف سنة على الأقل .

وتدل الآثار والمخلفات التي تركها الإنسان في ذلك العصر على أن بداوة الجمع والالتقاط كانت النمط الأساسي لحياة الإنسان . أما آلاته وأدواته فكانت من العظام وأحجار الصوان . ثم تدرج الإنسان في المعرفة فاكتشف النار التي كان لها أعظم الأثر في حياته . وتطورت لغة سكان ذلك العصر مما ساعد على تجمعهم بشكل وحدات صغيرة .

أما إنسان العصر الحجري الوسيط الذي يرجع تاريخه إلى حوالي اثني عشر ألف عام قبل الميلاد فإنه ، إلى جانب حرفة الجمع والالتقاط ، عرف الصيد ، ولا سيما صيد الأسماك من المسيلات المائية للأودية ، ودجّن البقر والمعز والغنم والخنازير في أواخر ذلك العصر ، واتخذ الكلب رفيقاً له يحرس قطعانه ويساعده على اقتناص فريسته .

وكانت عملية تدجين الحيوانات فاتحة عهد جديد في حياة الإنسان ، إذ أصبح راعياً يتجول بقطعانه من مكان لآخر . وعند نهاية ذلك العصر دخل سكان فلسطين في طور الاعتماد على الزراعة . وتدل الأدوات التي خلفها الإنسان على أن الفلسطينيين القدماء من أوائل من مارس الزراعة في العالم .

أما إنسان العصر الحجري الحديث الذي يرجع تاريخه إلى قرابة ستة آلاف عام قبل الميلاد فإنه كان متقدما في تدجين الحيوانات، آخذاً بتحسين أساليب الزراعة وتطوير أدواتها . كما أنه تجمع في القرى والمدن ، وعرف فن البناء والعمارة وفكرة تملك الأرض . وتبدلت أساليب حياته تبدلاً أساسياً عندما عرف صناعة الغزل والنسيج وصناعة الخزف ، مما ساعد في ترقية حياته المستقرة .

وعرف إنسان العصر المعدني الذي يرجع تاريخه إلى ٤ آلاف عام قبل الميلاد النحاس ، وبدأ يستعمله جنبا إلى جنب مع الأدوات الحجرية حتى عام ٣,٠٠٠ ق.م. حين اقتصر على استعمال الأدوات النحاسية والبرونزية . وقد امتدت يد التحسين في العصر المعدني إلى كثير من الصناعات التي كان الناس قد تعلموها ، وتقدمت صناعة بناء المنازل والزراعة التي تعتمد على الري وتربية المواشي وغيرهما .

والجدير بالذكر أن آثار الإنسان القديم في حفريات شقبة في وادي النطوف * دلّت على أن سكان فلسطين الأوائل هم من العرق الذي يُعرف بعرق البحر المتوسط . ومنذ فجر التاريخ ، أي حوالي عام ٣,٠٠٠ ق.م. ، أخذت الهجرات السامية تتوالى على هذا الجزء من بلاد الشام قادمة من شبه الجزيرة العربية . وبذلك امتزج عرق البحر المتوسط بالعرق السامي ، ثم غلب العرق الأخير على فلسطين .

وكان نصيب فلسطين من الهجرات السامية كبيرا لأنها واقعة على طريق هذه الهجرات المتجهة من الجزيرة العربية نحو بلاد الشام ومصر ، وقد شرع الساميون ، قبل بدء العصر التاريخي (٣,٥٠٠ ق.م.) ، ينزلون مصر ، ويرجح أنهم دخلوها عن طريق فلسطين . وفي حوالي عام ٣,٠٠٠ ق.م. هاجر الأكاديون والأشوريون من الجزيرة العربية إلى العراق ، واستقروا في جنوبها وشمالها على التوالي . وقبل عام ٢,٥٠٠ ق.م. تعاظم أمر موجة سامية أخرى عرفت بالموجة الآمورية ـ الكنعانية ، وهي الموجة التي اتخذت طريقها إلى بلاد الشام . فنزل العموريون * القسم الداخلي من تلك البلاد ، ونزل الكنعانيون فلسطين . ونزح فريق من الآموريين في نحو عام ١,٩٠٠ ق.م. إلى العراق وكونوا فيه سلالة بابل الأولى . ويرجح أن الهكسوس * الذين نزلوا مصر وحكموها في القرن السابع عشر قبل الميلاد هم من الكنعانيين .

وفي حوالي عام ١٥٠٠ ق.م. تعرضت بلاد الشام لموجة سامية أخرى هي الهجرة الآرامية ، وفيها القبائل المآبية والأيدومية والعمونية ، فحل الآراميون * في شمالي سورية وأوسطها ، ونزل المآبيون والأيدوميون * والعمونيون جنوبي سورية في الإقليم الممتد من البحر الميت * حتى خليج العقبة * . ومن الموجات السامية الموجة التي أتت بالأنباط * إلى جنوبي بلاد الشام في نحو عام ٥٠٠ ق.م. ، ثم هجرة اللخميين والغساسنة * إلى العراق والشام . وكانت آخر الموجات الكبرى موجة العرب المسلمين في القرن السابع للميلاد .

وكان الأنباط قد أقاموا محطات تجارية ومخافر حصينة لحراسة القوافل التجارية في وادي عربة * وبرّية الخليل وفي النقب أيضاً . فقد كانت عبدة * مثلاً مشيدة فوق قمة نتوء صخري يشرف على طريق القوافل . أما الخلصة الرومانية فكانت مدينة تجارية كبيرة تحط فيها القوافل لتستريح في طريقها الطويل إلى ثغر غزة . وازدهرت مناطق البداوة في وادي الأردن وفي النقب أثناء الحكم البيزنطي ، وتأسست عدة مدن أخرى مثل الرجيبة والعوجاء واسبنتا وكرنب * . وشهد القرنان السادس والسابع الميلاديان حركة عمران واسعة ، فالدولة البيزنطية احتاجت إلى إنشاء قوة دفاعية على حدودها الصحراوية لتحمي فلسطين من هجمات البدو من شمال شبه الجزيرة العربية ، ومن ثم كان إنشاء خطوط دفاع على طول وادي عربة وغور الأردن . كما ظهرت حركة الرهبنة المسيحية ولجوء الأتقياء من المسيحيين إلى العزلة في أديرة داخل الصحراء (رَ : المسيحية) . ومن المحتمل أن هذه المراكز وتلك الأديرة جذبت عدداً من البدو وأشباههم من الأقاليم المجاورة للاستقرار حولها وتحويلها إلى مدن أحيانا .

وفي العهد الإسلامي لم يعد النقب طريقا للتجارة بسبب انقطاع التجارة العالمية بين أوربا والشرق الأقصى (رَ: الطرق) . ونتج عن ذلك هجرة المستقرين من البدو تاركين هذه المحلات المدنية بلا سكان، وتحوُّلُ كثيرين منهم إلى حياة البداوة . وبمرور الزمن عاد بعضهم للاستقرار في مواقع هذه المدن التاريخية المهجورة ، وأعادوا تعميرها بصورة بسيطة جدا ، وأصبحت محطات للبدو المتجولين مع مواشيهم داخل الإقليم الصحراوي .

ويمر البدو خلال مراحل زمنية بظروف معينة تنقلهم من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار . فاحتكاك البدو بسكان المناطق الريفية والحضرية عن طريق التبادل التجاري ، أو الغزو ، أو الهجرات الموسمية التي يقوم بها البدو بين المناطق الصحراوية والمناطق الزراعية أثناء سنوات الجفاف ، يجعلهم يشعرون بمدى تفوق المستقرين عليهم في مستويات المعيشة فيميلون إلى الاستقرار هربا من شظف العيش في قلب الصحراء ، ويأخذون في تقليص عدد المواشي التي يربونها ، وفي إنشاء مخازن الحبوب العلفية لمواشيهم ، وفي الإقامة في بيوت يشيدونها بالقرب من المخازن لحمايتها . وإذا تمكنوا من زراعة مساحات صغيرة حول هذه المخازن فإن ذلك يشجعهم على الاستقرار في حياة شبه زراعية . وهذا ما حدث بالنسبة إلى بدو

شمال النقب ، وبدو غور بيسان وبرية القدس والخليل ، إذ أقاموا تجمعات مبعثرة تجمع بين بيوت الشعر وبيوت اللبن ، وتأخذ شكل القرى الصغيرة . وقد ساهمت هذه التجمعات العمرانية شبه البدوية في المنطقة الانتقالية بين المناطق الصحراوية والزراعية في إيجاد منطقة حاجزة بين مجتمعي البداوة والاستقرار . وكان سكان هذه التجمعات من أشباه البدو يتلقون الضربات الأولى من البدو الذين كانوا يهاجمون المناطق الريفية في الماضي . ونتج عن ذلك هجرة بعض هؤلاء تجمعاتهم في المنطقة الانتقالية واستقرارهم بعيداً في قلب المناطق الريفية والحضرية اتّقاء لأخطار الغزو البدوي من جهة ، وانتقالاً إلى حياة الاستقرار التي توفر لهم نوعا من الأمن المعنوي والمادي من جهة ثانية . ومن أمثلة المراكز التي استقروا حولها بير السبع * وغزة * وخان يونس * والخليل * وبيت لحم * والقدس * وبيسان * والناصرة وحيفا * وطولكرم * ويافا * واللد * والرملة * .

وفي العهد العثماني كانت سيطرة الحكومة التركية على البدو والحضر اسمية لا فعلية ، وكان نفوذها على القبائل العربية ضئيلا ، واقتصر جل اهتمامها على جمع الضريبة من رعايا الدولة . وكان شيوخ العشائر هم الحكام الحقيقيون ، وكانوا يتجولون ويقيمون ويرتحلون مع عشائرهم أينما طاب لهم وكيفما شاؤوا . وكانوا يغزون بعضهم بعضا كلما اقتضت الظروف ذلك ، مثلما كانوا يغزون المناطق الريفية وبخاصة في سنوات الجفاف. ومن الطبيعي أن تنشب المنازعات والحروب بين القبائل المختلفة ، ولا سيما في صحراء النقب ، لأسباب متعددة أهمها الأرض والماء والكلأ . ولم تستطع الحكومة التركية السيطرة على العشائر البدوية إلا في عام ١٨٩٠ م عندما قام رستم باشا القائد التركي بحملة قوية استخدم فيها الشدة والعنف والضغط والإرهاب والسجن والنفي . واستطاع السيطرة على الموقف بالرغم من مقاومة بعض العشائر للأتراك . وقد أقام الأتراك في عام ١٨٩٤ مخفرا للشرطة في قلعة الجهير ، وقاموا أيضا بعزل القبائل في قضاء بير السبع الذي تمّ فصله إداريا عن قضاء غزة عام ١٩٠٠ م ، واتخذت بلدة بير السبع مركزا له لأنها كانت تتوسط القبائل من جهة ، ولأنها كانت مقرّا لشيوخها من جهة ثانية (رَ : الإدارة) . وأسس الأتراك في بير السبع مجلسين من شيوخ عشائر بير السبع ، أحدهما للإدارة ، والثاني للأمور البلدية .

عيّن أول قائمقام لإدارة قضاء بير السبع ، وهو إسماعيل بك التركي، فسكن الخيام في بادىء الأمر كي يكون قريبا من مضارب العشائر . وزودته الحكومة بمجموعة من الشرطة والدرك للمحافظة على الأمن وإحكام السيطرة على القبائل . واتخذت مدينة بير السبع مركزا لنائب متصرف القدس .

وقد أولت الدولة العثمانية بير السبع أهمية خاصة في مطلع عام ١٩١٤ بالنظر إلى أهميتها الإستراتيجية في الحرب العالمية الأولى، وجعلت مقراً عسكرياً للجنود ، وتمكن العثمانيون من تجنيد ما يقارب ١,٥٠٠ بدوي إلى جانب قواتهم في حرب القناة .

وفي فترة الانتداب البريطاني على فلسطين نجحت سلطة الانتداب في السيطرة على القبائل بمختلف وسائل الترهيب والترغيب ، وحدّت من المنازعات والحروب والغزو . وفي هذه الفترة تحوّلت بعض العشائر من حياة البداوة إلى حياة شبه البداوة في حين تحول بعضها الآخر من حياة شبه البداوة إلى حياة الاستقرار في القرى ، أو حتى في المدن .

ولم تتخذ سلطات الانتداب خطوات جادّة لتحسين أوضاع البدو ، مما سبب تدني أوضاعهم الاقتصادية لقلّة الأمطار ولتكرّر المحول . فلم تزد نسبة الأمطار بين عامي ١٩٢٢ و١٩٣٧ عن ١٨٨ مم ، وهذا لا يكفي للزراعة ولظهور المراعي . وكانت الزراعة الرئيسة في بير السبع هي الشعير والحنطة والذرة والبطيخ والسمسم . وقد توقفت زراعة السمسم بسبب المحل ، وانخفض انتاج الشعير والحنطة وأصبحا لا يكادان يفيان بنصف حاجة البدو ، كذلك انخفضت أعداد الإبل والمواشي ، وقلّت الأعلاف والمراعي فنتج عن ذلك كله اشتداد وطأة الديون على البدو ، وتزايد أعداد العاطلين عن العمل بينهم .

ويضاف إلى هذا الوضع الاقتصادي الضعيف الذي كان البدو عليه أن سلطات الانتداب البريطانية أخذت تسهّل انتقال الأراضي التي ينزل بها هؤلاء إلى حوزة الصهيونيين ، وتحسم قضايا الخلاف القانونية حول الأراضي « المحلولة » لمصلحة الصهيونيين ، وتشرد البدو النازلين بهذه الأراضي .

وقد وقف البدو مثل غيرهم من عرب فلسطين في وجه الاستيطان الصهيوني والإجراءات البريطانية ، وعاشوا الأحداث الوطنية التي مرّت بفلسطين ، واشتركوا في ثورة ١٩٢١ وثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ * . وفي معارك عام ١٩٤٨ تألفت في بير السبع جبهة الشباب ، وتكونت حامية من أبناء المدينة ، ولجنة قومية تشرف على شؤون الدفاع عنها . وقد شن البدو هجمات ناجحة على مستعمرة « بيت إيشل » وسدّدوا ضربات موجعة لقوافل التموين الصهيونية . لكن نقص الأسلحة والمؤن والعناصر أدّى إلى ضعف المقاومة ، واستطاع الصهيونيون التغلب على المدافعين ، واحتلوا بير السبع مركز القضاء في ١٩٤٨/١٠/٢١ .

نجح الصهيونيون بعد ذلك في طرد معظم البدو المستقرين وشبه المستقرين من ديارهم، وأقاموا على أراضيهم المستعمرات الصهيونية المتعددة . أما البدو في صحراء النقب ووادي عربة فإن بعض

عشائرهم هاجرت إلى الأردن ، وهاجر بعضها الآخر إلى قطاع غزة ، وبقي قسم منها في مواطنها بصحراء النقب . لكن الكيان الصهيوني أخذ يحدّ من حريتهم في التجول ، ويفرض عليهم التحرك في مناطق معينة ، وداخل مساحات محدودة . وقد تمّ الاتفاق في مؤتمر كامب ديفيد* بين مصر والكيان الصهيوني على إقامة مطارات عسكرية بدل مطارات سيناء التي ستجلو عنها قوات الكيان الصهيوني . وبسبب ذلك قام الصهيونيون بمصادرة مساحات واسعة من أراضي بدو النقب لإقامة هذه المطارات عليها ، وتمّ ترحيل عشائر البدو من الأراضي المصادرة وعزلها في مناطق فقيرة ونائية من مرتفعات النقب المطلة على وادي عربة .

كان البدو يمثلون ١٠٪ من مجموع سكان فلسطين في بداية فترة الانتداب البريطاني وبلغ عددهم في إحصاء عام ١٩٣١ زهاء ١٥٠,٠٠٠ نسمة ، لكن هذا الرقم ليس دقيقا (رَ : السكان) . أما عدد البدو في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ فقد بلغ في أوائل الخمسينات وفقا للتعداد الذي أجرته سلطات الاحتلال الصهيوني لهم نحو ٢٢ ألف بدوي ، منهم ١٥ ألف بدوي يعيشون في قضاء بير السبع ، وينتمون إلى عشرين عشيرة مثل أبي رقيق والقديرات وأبي ربيعة والظلام والهزيل . ويقدّر عدد البدو عام ١٩٨١ في فلسطين المحتلة بنحو ٧٥ ألف بدوي . وهم صامدون كغيرهم من عرب الأراضي المحتلة ، ومتمسكون بأراضيهم بالرغم من الظلم الذي يتعرضون له .

جـ ـ القبائل العربية وسلالاتها في فلسطين : النسّابون يجعلون العرب في ثلاثة أقسام :

١) العرب البائدة : وهم الذين بادوا .
٢) العرب العاربة : وهم اليمانيون من نسل قحطان .
٣) العرب المستعربة أو العدنانيون : وهم أهل نجد والحجاز من نسل عدنان .

١) العرب البائدة : من أشهر قبائلهم الكنعانيون وطسم وجديس وعاد وثمود * وعمليق وعبد ضخم وأميم وعبيل وجرهم . وقد نزلت هذه القبائل في عهدها الكنعاني الذي امتد نحو ألفي عام ، من ٣,٠٠٠ ق.م. ـ ١٠٠٠ ق.م. فأما جديس وطسم فنزلت جماعة منهم جنوب فلسطين وغور الأردن . وأما ثمود فنزلت جماعة منها في مناطق صفد * ونابلس * وغزة . واستقرت سلائل عمليق في جبال الخليل * وإقليم النقب حيث بنوا قرية بيت جبرين * وحاربوا اليهود .

واختلف النسّابون في نسب أهل مَدْين ، ومن المحتمل أنهم من العرب البائدة الذين سكنوا في ديار بير السبع ونزلت جماعة منهم مرج ابن عامر* . واشتغل هؤلاء بالتجارة والزراعة والرعي ، ثم عادوا إلى البداوة عندما ساءت أحوال النقب .

وتعد من العرب البائدة الذين نزلوا فلسطين عندما كان العرب الكنعانيون مستقرين فيها القبائل الآتية :

(١) العموريون الذين أنشأوا مدنهم في تل الحسي * وتل النجيلة وشعلبيم ، ووسعوا أو جددوا مدينتي لاخيش وجازر * .

(٢) المعينيون الذين غزوا جنوب فلسطين ، وأقاموا لهم دولة في منطقة غزة ، وكانوا تجارا .

(٣) الإيدوميون الذين امتد ملكهم من جنوب الأردن إلى بلدتي الخليل وبيت جبرين .

٢) العرب العاربة : تنتسب القبائل العاربة إلى قحطان بن عامر المنتهي نسبه إلى سام أبي العرب ، وغالبية أهل فلسطين قحطانية . وكانت معظم الجيوش الفاتحة في صدر الإسلام من القبائل القحطانية . ومن أمهات قبائل قحطان :

(١) قبائل حمير : ينسب جل قبائل حمير إلى قضاعة * . وقضاعة هو الجد الأعلى لجميع بطون قضاعة التي نزلت فلسطين . وقد انتشرت بطون قضاعة في قرى البطاني * (غزة) ، وجماعين (نابلس) ، ووادي حنين * (يافا) ، وغيرها .

ويمكن أن يذكر من بطون قضاعة : كلب* وبلي وجهينة وجرم وقدامة وبنو بهراء وبنو عذرة والقين ومسكة . ومن أحفاد بني كلب في فلسطين عشيرة السراجين في قضاء بير السبع ، والهديبات في قضاء الخليل ، والفحيلي في قضاء طبرية . ومن أحفاد بلي في فلسطين قبيلة الحناجرة في قطاع غزة ، وعشيرة الظلام في قضاء بير السبع ،وعرب الفقرا بجوار الخضيرة *على شواطىء نهر المفجر بقضاء حيفا ، وبعض سكان قرية كفرصور ، وبعض السكان المجاورين لقرية أم خالد في قضاء طولكرم .

أما جهينة فقد كانت تنزل من الحجاز إلى حوران والجولان * والغور * الفلسطيني . ومن بطون هذه القبيلة في فلسطين عشيرة الجرادات التي انتشر أفرادها في قرى سعير* (الخليل) ، وجولس * (غزة) ، ودير الغصون * (طولكرم)، وسيلة الحارثية * وزبوبة وفقوعة (جنين)، ومن بطونها أيضاً الضواحك في برية الخليل . أما بنو جرم فقد امتدت مواطنهم ما بين غزة غربا وجبال الشراة في جنوب الأردن شرقا . وتنتمي إليهم قبيلة العزازمة في النقب . وكانت مواطن بني قدامة تمتد في بلاد جماعين بقضاء نابلس . وانتشر بنو بهراء في قرى حمامة * (غزة) ، والطيبة * وجت (طولكرم) ، وصير وعجة (جنين) ، والعباسية* (يافا) ، ومن أحفادهم عرب الصقور في قضاء بيسان . وتركز بنو عذرة في جماعين (نابلس) . أما القين فقد نزلت جماعات منهم الغور الفلسطيني في حين استقرت

جماعات أخرى في جنوب فلسطين ، وفي منطقة الخليل ، وفي السهل الساحلي * الأوسط . ومن بطون القين قبيلة مسكة التي أنشأت قرية مسكة * (طولكرم) ، وبطن سيبان الذين نزلوا الرملة وناحيتها ، والسكاسك في يافا .

(٢) بنو كهلان : تعد طيء * من أقدم قبائل بني كهلان . ومن أشهر الطائيين الذين نزلوا فلسطين بنو ثعل ، وقد نزلت جماعة منهم عبسان * (غزة) ، وبنو الجراح الذين أسسوا لهم إمارة في الرملة (٩٧١ - ١٠٢٨ م) . ومن بني الجراح آل الفضل بن ربيعة الذين أبلوا بلاء حسناً في محاربة الإفرنج . ومن أحفاد آل الفضل بن ربيعة اليوم عائلات طوقان وأبي ريشة والعابد والفاعور وكعوش والريماوي وعرب الخريفات . وينتمي إلى طيء أيضاً آل السنيد الذين أنشأوا قرية دير سنيد * (غزة) .

وتعرف طيء اليوم باسم شمر ، وتنسب إليها الصوايحة من عشيرة الجبارات ، وأبناء عمهم الرماضين من التياهة في قضاء بير السبع . وتنسب إليها أيضاً عائلة الجربان في يعبد * ، وعائلة الجربة في قرية جربا (جنين) . وتنحدر منها أيضا بعض جماعات من عرب ابن عبيد في قضاء بيت لحم ، وحمولة بني شمسة في قرية بيتا (نابلس) والعجاجرة في غور نابلس .

ومن بطون طيء الفلسطينية بنو جرم ، وهم غير جرم قضاعة المتحدرين من قبائل حمير . وقد انتشر بنو جرم في العهد الروماني في بلاد غزة والداروم مما يلي الساحل إلى جبال الخليل . وتنحدر من بني جرم عائلة العويسات التي تقيم في قريتي البرج * وبير معين * (الرملة) ، وعائلة عويس في يافا ، وعائلة بني شاور في قرية الشاورية ، وعرب الجرامنة الذين استقروا في قرية المر (المحمودية) * في قضاء يافا . ويعد بنو جذيمة من أشهر بطون جرم ، إذ انحدرت منهم عائلات آل عوسجة وآل أحمد وآل محمود في بلاد غزة ، وحمولة الربايعة في ميثلون* (جنين) . وهناك بطون أخرى انحدرت من جرم مثل بني سهيل الذين استقروا في قرية بني سهيلة * ، والعبادلة الذين استقروا في خان يونس ، وبني جبيل (الخليل) ، وبني هرماس في قرية إجزم * (حيفا) .

ويعد بنو سنبس أحد بطون طيء الذين نزلوا جنوبي فلسطين وكثروا هناك . وفي سنبس أفخاذ وعشائر منهم الخزاعلة الذين استقروا في خربة الخزاعلة (بير السبع) ، ورميح الذين عاش أحفادهم في قرية المزيرعة * (يافا) ، والمعين الذين نزلوا خربة المعين من أراضي الترابين (بير السبع) . ومن أعقاب سنبس في فلسطين قبيلة الحارثية التي تنسب إليها عشيرة وادي الحوارث (طولكرم) ، وعشيرتا الحمام والغنامة (صفد) ، وسيلة الحارثية (جنين) .

وتعد قبيلة بني زبيد اليمانية إحدى قبائل بني كهلان التي انتشرت في فلسطين والشام . ويعود قسم من قبائل شمالي فلسطين بنسبه إلى بني زبيد ، ومنهم عرب السواعد والطوقية في قضاء عكا ، وزبيد والشمالنة في ديرة صفد ، وسعيدان والهيب في معظم بلاد الجليل . ومن العائلات الفلسطينية التي تعود بنسبها إلى زبيد عائلات أبو شعبان في غزة ، والشرابي في نابلس ، والعزة في الخليل وبيت جبرين وتل الصافي * .

أما قبيلة جذام * فإنها انتشرت بعد الإسلام في ربوع فلسطين ، وبخاصة ما بين مدينتي طبرية * وعكا * . وقد استقرت جماعة منها في بيت جبرين (الخليل) وزمارين (حيفا) ، واستقر الأساورة في موقع تل الأساور (حيفا) ، وبنو بعجة في ديار بير السبع حول زويره ، واستقر بنو زيد في قضاء رام الله ، وبنو فيض في القدس ، وبنو جرى في رفح * ، وبنو الثعل في عبسان شرقي خان يونس . أما عرب العايد فقد نزل بعضهم ديار بير السبع في حين نزل بعضهم الآخر في جوار قريتي مسكة وجلجوليا (طولكرم) . ومن جذام أبو شرخ الذي انحدرت عائلة أبو شرخ منه في مجدل عسقلان ، ومنها أيضاً بنو طريف الذين استقروا في قرية دير طريف * (الرملة) ، والجراوين من الترابين في بير السبع ، وبنو جابر الذين انحدرت منهم عشيرة الجبارات في بير السبع .

وانتشرت قبائل لخم * قبل الإسلام في مواقع متعددة من فلسطين كالجهات الغربية من البحر الميت وفي جنوب فلسطين ووسطها . وسلائل لخم كسلائل جذام في فلسطين منتشرون أيضاً في ديار غزة ، ومنهم بنو نبهان من قبيلة الحناجرة في بير السبع ، وآل النبهاني في إجزم (حيفا) ، والمساعيد في الغور النابلسي ، والرفيدات في رفيديا (نابلس) ، وآل قفة في سيلة الظهر * (جنين) ، وحمولة الديك في كفر الديك (نابلس) . أما رهط تميم الداري فإنهم يقيمون في مدن الخليل ونابلس وجنين * ويافا .

وخلّد الغساسنة اسمهم في فلسطين في قرية دير غسانة (رام الله) . ومن سلائلهم جماعة الحدادين التي نزلت فلسطين وخاصة بيت المقدس . وللأوس والخزرج (الأنصار) سلائل في فلسطين نذكر منهم آل الصامت في القدس ، وآل شداد في قريتي عمورية وجيت (نابلس) ، وبنو قمّير في كفر قدوم (نابلس) ، وعرب النصيرات (غزة) ، وبعض سكان قرية عتيل * (طولكرم) ، وآل غانم في القدس . وقد انحدرت عن الخزرج عائلات في فلسطين مثل آل نسيبة في القدس ، والجوابرة في عراق المنشية * (غزة) .

ومن سلائل الأزد بفلسطين عشيرة المنارة في ظاهر مدينة طبرية الجنوبي ، وعشيرة نجمات الصانع من الترابين في جنوبي فلسطين ، وحمولتا الشقران وآل جرار في بلاد جنين ونابلس . وقد استقرت

عشيرة خزاعة ، وهي من الأزد ، في قرية خزاعة إلى الشرق من خان يونس .

٣) العرب المستعربة : وهم العرب الذين يرجعون بأنسابهم إلى النبي إسماعيل * بن إبراهيم * . دعوا العدنانيين نسبة إلى عدنان من رجال القرن السادس قبل الميلاد .

انحدرت قبيلة عنزة عن بني عدنان ، وفي أوائل القرن الثامن عشر الميلادي شرعت بعض بطون عنزة تخرج من نجد وتزحف شمالاً طلباً للرعي والماء ، وأصبحت سيدة بادية الشام . ومن سلائل عنزة في فلسطين قبيلة الترابين والعطاونة في النقب ، وعرب السوالمة للشمال من يافا ، وعرب العنوز في قضاء حيفا ، وحمولة النعيرات في ميثلون (جنين) ، وبعض سكان النزلة وعلار * (طولكرم) . وقد استقر بنو كنانة في جوار عسقلان بعد نزوحهم من مكة ، واستقر بنو مضر في ديار نابلس .

ومن القبائل العدنانية التي نزلت فلسطين قبيلة حرب الحجازية ، وإليها تنسب عشائر مزينة والصوالحة والمحمديين من العزازمة في النقب . وهناك عشيرة الشنابلة في طلوزة (نابلس) ، والسعيديون في وادي عربة . وقد استقرت جماعات من الحويطات في قريتي برير * وبيت حانون (غزة) ، واستقرت عشيرة القليطات في منطقة عكا ، واستقرت قبيلة بطاني في قريتي البطاني الغربي والشرقي (غزة) .

انحدرت عن الحسينيين عائلات فلسطينية منها عائلة الزعبية المنتشرة في الناصرة وقراها ، وفي يافا وحيفا وطوباس * ، وعائلة الكيلاني ، وحمولة الزيادنة في الجليل ، وعائلة أبو الرب في بلاد جنين ، وآل البرقاوي في ديرة طولكرم ، والوحيدي من ترابين بير السبع ،واليشرطي في عكا . ومن الحسينيين في فلسطين عشائر سعادة في قرى أم الفحم وعرابة وسيلة الحارثية والسوافير * وبيتا وجبارات الوحيدي . وتوجد في القدس ويافا وغزة ونابلس عائلات يرجع نسبها إلى الحسين بن علي .

ومن سلائل العباسيين في فلسطين آل الغصين في غزة والرملة ، والغصينات من عشيرة القلازين من التياهة في النقب ، وآل العباسي في صفد ، وحمولة الحواترة في منطقة نابلس .

وبالإضافة إلى استقرار كثير من العشائر العربية في المناطق الريفية والحضرية في فلسطين استقر شتيت من أعقاب مَن نزلها من الناس (ومنهم الإفرنج والأتراك والأكراد والألبان أو الأرناؤوط والشركس * والبشناق والأروام والأرمن وغيرهم ممن تعربوا وكملت عروبتهم) في فلسطين .

د ـ التوزيع الجغرافي للقبائل البدوية : يتركز البدو في النقب وفي وادي الأردن ، ويتوزعون في هذين الإقليمين على الوجه التالي :

١) بدو النقب : يتألف بدو النقب من أربع قبائل عربية كبيرة يملكون جميع الأراضي المحيطة بمدينة بير السبع منذ القديم ، وهذه القبائل هي :

(١) قبيلة الجبارات : تملك هذه القبيلة جميع الأراضي الواقعة في الشمال الشرقي من مدينة بير السبع . وتمتد أراضيها إلى أراضي الفالوجة * وبرير . بلغ عدد أفرادها نحو ٧,٥٢٨ نسمة في صيف ١٩٤٦ . وكانت حتى نهاية عام ١٩٤٨ تتألف من ١٤ عشيرة،لكن لم يبق في فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ أي من هذه العشائر بل هاجر معظمها إلى الأردن ، وقليل منها إلى قطاع غزة .

(٢) قبيلة العزازمة : تمتد أراضي هذه القبيلة امتدادا واسعا من مدينة بير السبع حتى وادي عربة جنوباً بشرق وخليج العقبة جنوبا . وتقع أراضي قبيلتي التياهة والترابين إلى الشمال الشرقي والشمال الغربي على التوالي من أراضي هذه القبيلة . بلغ عدد أفرادها وفقا لتعداد ١٩٤٦ نحو ١٦,٣٧٠ نسمة ، وتتألف من ١١ عشيرة .

(٣) قبيلة التياهة : تنتشر هذه القبيلة في الشمال الشرقي والشرق من بير السبع . وتمتد أراضيها في الجزء الجنوبي من برّية الخليل بين جبال الخليل والبحر الميت . بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٤٦ نحو ٢٥,١٥٣ نسمة . وتتفرع هذه القبيلة إلى ٢٣ عشيرة . وقد هاجر معظم هذه العشائر إلى الأردن في عام ١٩٤٨ ، وهاجر قليل منها إلى قطاع غزة ، وبقي قسم منها في النقب .

(٤) قبيلة الترابين : تنتشر هذه القبيلة ما بين بير السبع شرقا حتى الحدود المصريةغربا . وتحيط بها قبيلة العزازمة من الشرق وقبيلة التياهة من الشمال ، ويوجد قسم مستقر منها في النقب الغربي المطل على البحر المتوسط في جنوب شرقي غزة وحول دير البلح * . بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٤٦ نحو ٣٢,٣٨١ نسمة. وتتألف هذه القبيلة من ٢٤ عشيرة .

٢) بدو وادي الأردن والمنحدرات الشرقية للمرتفعات الجبلية المطلة عليه :

(١) عشائر وادي عربة : تشتمل على عشائر اللحيوات التي تعود بأصلها إلى قبيلة بني عطية . وتمتد أراضيها في القسم الجنوبي من وادي عربة المتاخم للعقبة . كما أن لهم أراضي في سيناء . وكان عدد أفراد هذه العشائر في عام ١٩٣١ نحو ٤٢٠ نسمة .

وتشتمل أيضاً على عشائر السعيديين التي تعود بأصلها إلى قبيلة الحويطات . وتمتد في الجزء الشمالي من وادي عربة. وقد بلغ عدد أفرادها في عام ١٩٣١ نحو ٦٤٥ نسمة .

(٢) قبائل الجانب الغربي للبحر الميت (برية القدس ـ

الخليل) : بلغ عدد سكان براري القدس والخليل من البدو المتجولين والمستقرين في عام ١٩٤٥ نحو ٩ آلاف نسمة منهم ٧ آلاف نسمة في برية القدس وألف نسمة في برية الخليل . وتشاهد القبائل العربية التالية من الشمال إلى الجنوب حسب توزيعها الجغرافي في هذه المنطقة الوعرة من المنحدرات الشرقية لمرتفعات القدس ـ الخليل :

عرب السواحرة : وهم يقيمون في الأراضي الواقعة بين مقام النبي موسى في الشمال وعرب ابن عبيد في الجنوب ، وبين جبال القدس * في الغرب والبحر الميت في الشرق . بلغ عددهم في عام ١٩٣١ نحو ١,٥٧٢ نسمة ، وفي عام ١٩٦١ نحو ١,٤١٣ نسمة . وكانوا يتجولون بمواشيهم في هجرات موسمية شتوية إلى الساحل الشمالي الغربي للبحر الميت ، وهجرات صيفية إلى المرتفعات الجبلية في الأطراف الشرقية للقدس وبيت لحم وبيت ساحور * . وقد استقر معظمهم خلال فترة الانتداب البريطاني في قريتي السواحرة الشرقية والسواحرة الغربية المبنيتين من الحجر ، وأخذوا يمارسون حرفا أخرى إضافة إلى حرفة الرعي مثل الزراعة والخدمات وأعمال البناء والإنشاءات في المدن المجاورة . واستفادوا من مياه القدس المنحدرة في وادي قدرون (جهنم) في ري بساتين الأشجار المثمرة على جانبي الوادي .

عرب ابن عبيد : يقيمون في الأراضي الممتدة بين جبال القدس غربا والبحر الميت شرقا ، وتنحصر أراضيهم بين أراضي عرب السواحرة في الشمال وعرب التعامرة في الجنوب . وقدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ١,٣٠٥ نسمات ، وفي عام ١٩٦١ بنحو ٨٣٨ نسمة . وأهم مواقعهم على البحر الميت من الشمال إلى الجنوب : عين فشخة ، ورأس فشخة ، وسرابيل ، ونقب الرباعي .

عرب التعامرة : يخيمون بين عرب ابن عبيد في الشمال وعرب الرشايدة في الجنوب . قدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ٤,٣٩٦ نسمة . وكانوا يتجولون في الماضي في رحلات موسمية صيفية إلى مرتفعات بيت لحم، وشتوية إلى الساحل الغربي للبحر الميت . وكانت أهم مواقعهم على ساحل البحر الميت عين الغويرة ، وعين الترابة ، في حين كانت مواقعهم التي ينزلون فيها للرعي فوق تلال برية القدس هي خشم حثرورة إلى الغرب من عين الغوير ، ورأس الدوارة ، والرويكبة ، ومسترق التاج ، وخربة خريثون . وقد استقر معظم عرب التعامرة منذ أواخر فترة الانتداب في منطقة بيت لحم .

عرب الرشايدة : يقيمون بين عرب التعامرة شمالاً وبرية الخليل ـ عرب الكعابنة جنوبا . قدر عددهم في عام ١٩٣٨ بنحو ٢٠٠ نسمة . وكانوا يتجولون حول عين جدي على الساحل الغربي للبحر الميت شتاء، وفوق قمم المرتفعات الجبلية إلى الغرب صيفا . وقد استقر بعضهم في منطقة الخليل ـ بيت لحم .

عرب الكعابنة : يقيمون في برية الخليل بين الخليل والبحر الميت . ويشتملون على عشيرتي الفرجات والزويديين . وقد استقر بعضهم في قرى الخليل وحلحول * .

عرب الجهالين : يتجولون في برية الخليل ما بين الخليل والبحر الميت . ويشتملون على عشائر الضواحك والظلامات والصرايعة والفقرا وبني غياض والرماضين. ويستفيدون من الأودية المنحدرة من جبال الخليل والنقب نحو البحر الميت في الحصول على المياه والأعشاب لرعي مواشيهم . وقد استقر بعضهم في قرى يطة * والسموع * وبني نعيم * ، وبقي بعضهم الآخر يعيشون على الرعي وتربية المواشي .

(٣) قبائل وادي الأردن الأدنى : تمتد أراضي قبائل وادي الأردن الأدنى ما بين بحيرة طبرية شمالا والبحر الميت جنوبا . ولا يقتصر تجوال القبائل على طول وادي الأردن الأدنى بل يتعدى ذلك إلى المنحدرات الشرقية لجبال نابلس * وإلى سهل مرج ابن عامر المطلة على غور الأردن . وتضم هذه القبائل عرب السواحرة (سواحرة الواد) التي تتجول بين مقام النبي موسى جنوباً وأريحا * شمالا ، وعرب الرياحنة وعبيد مريم في منطقة أريحا . وقد استقرت هذه العشائر في قرية النبي موسى وموقع الخان الأحمر وفي أريحا وعين الديوك وعين السلطان ومخيمات اللاجئين حولها ، وكذلك مخيم عقبة جبر .

وهناك عشيرة بني سيلة التي كانت تتجول في المنطقة الواقعة بين غور فصايل شمالا وغور أريحا جنوبا . وقد استقرت هذه العشيرة حول غور فصايل ، وأخذ أفرادها يمارسون حرف الزراعة في وادي الملاحة . أما عشيرة المساعيد فإنها كانت تتجول في غور الأردن الغربي ما بين غور فصايل جنوبا وغور الفارعة شمالا . وقد استقرت في الجزء الأدنى من وادي الفارعة * ، وفي قرية الجفتلك ، وعلى طول أريحا ـ بيسان .

وتضاف قبائل غور بيسان إلى قبائل وادي الأردن الأدنى . وكانت هناك ثلاث قبائل تتقاسم أراضي غور بيسان المتصلة بأراضي غور الأردن ، وهي من الشمال إلى الجنوب : البشاتوة والغزاوية والصقور . وقدر عدد أفراد هذه القبائل معا بنحو ٦,٥٠٠ نسمة ، ولها ٦٠٠ بيت شعر . وكانت تجول في العهد العثماني بين غور بيسان شتاء وسهل مرج ابن عامر والمرتفعات الجبلية المحيطة به صيفا . وفي العهد البريطاني استقرت هذه القبائل ، وأقامت مضاربها وبيوتها اللبنية على طول الطرق الرئيسة ، ولا سيما طريقي سمخ ـ بيسان ـ العفولة وسمخ ـ بيسان ـ أريحا . وإلى جانب تربية المواشي كان

أفراد هذه القبائل يعملون في الزراعة المروية وفي التجارة والخدمات . وقد تعرضت هذه القبائل إلى كثير من الاضطهاد على يد السلطات البريطانية إبان الثورات الفلسطينية . وطردها الصهيونيون من ديارها في عام ١٩٤٨ ، وهاجر معظمها إلى الأردن وسورية .

(٤) قبائل وادي الأردن الأعلى : تنتشر هذه القبائل في قضاءي طبرية وصفد داخل وادي الأردن الأعلى بين الحدود الشمالية الشرقية لفلسطين شمالا وبحيرة طبرية جنوبا . ويوجد بعضها على طول الحافة الشرقية لجبال الجليل المطلة على وادي الأردن . ومن عشائر قضاء طبرية التلاوية والسدور وسرجونه والمدارج والمشارقة والخرانية والكديش والمويلحيات والسميري والفحيلي . وكان معظم هذه العشائر في العهد العثماني يتجول بين سواحل طبرية شتاء ومرتفعات الجليل الأدنى صيفا . وقد استقر معظمها في العهد البريطاني ، وأخذت تمارس حرفة الزراعة إلى جانب تربية المواشي ، وأقامت بعض القرى إلى جانب مضاربها في منطقة الناصرة ، وبخاصة حول جبل طابور وبالقرب من حافات المرتفعات الجبلية للجليل التي تطل على سهول طبرية شرقا وسهل مرج ابن عامر جنوبا . وفي عام ١٩٤٨ هاجر معظم هذه العشائر الى سورية والأردن بعد أن طردتها سلطة الكيان الصهيوني من فلسطين ، وبقي قليل منها حول جبل طابور (الطور *) في قضاء الناصرة .

وكانت مضارب عشائر المكية والزنغرية والقديرية والسيّاد وزبيد والشمالنة والهيب تمتد بين بحيرتي طبرية والحولة داخل وادي الأردن الأعلى . وقد استقر كثير من هذه العشائر في العهد البريطاني ، وأقامت بعض بيوت اللبن مع مضاربها ، وأخذت تمارس حرفة الزراعة وتربية المواشي وصيد الأسماك . لكن الصهيونيين طردوها من ديارها في عام ١٩٤٨ ، وهاجر معظمها إلى سورية (رَ : إخراج الفلسطينيين من ديارهم) .

وكان سهل الحولة * الشمالي أثناء الانتداب البريطاني يشتمل على ١٢ قرية جميع سكانها من عشيرة الغوارنة الذين سكنوا بيوت الشعر ، واستقروا في ذلك السهل ، وأخذوا يمارسون حرفة الزراعة والرعي والصيد . غير أن سلطة الاحتلال الصهيوني قامت بطرد العشيرة من ديارها في عام ١٩٤٨ ، ودمرت مضاربها ، ثم جففت بحيرة الحولة ومستنقعاتها في أواخر الخمسينات ، وتم لها تغيير المعالم الجغرافية لسهل الحولة (رَ: الحولة ، تجفيف بحيرة) .

هـ ـ النظام القبلي : البدو جزء من المجتمع الفلسطيني الذي يجمع بين سكان المدن وسكان الأرياف وسكان بيوت الشعر (رَ : السكان) . وهيكل النظام القبلي في فلسطين على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية يدور حول وحدة الدم وصلة القربى التي تفرض بعض الحقوق والالتزامات ابتداء من الأسرة وانتهاء بالقبيلة . فالأسرة هي أبناء الرجل وبناته الذين يمثلون اللبنة الأولى للمجتمع القبلي في حين تشتمل العشيرة على رهط الرجل وأقاربه الأدنين ، وهي بنت القبيلة ، ويرأسها شيخ مستقل أو شيخ القبيلة العام . أما القبيلة فهي رأس التنظيم الاجتماعي القبلي ، وهي مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي . وتتألف من جماعات متماسكة يتصفون بالتضامن وبالشعور بروح الجماعة ، ويشتركون في قيم قبلية مشتركة ، وتقع عليهم جميعا مسؤوليات كثيرة منها المحافظة على سلامة الأرض ومواردها من ماء وكلأ ، ثم المحافظة على النظام بين أفراد القبيلة ، وعلى التراث الاجتماعي للقبيلة ، وحفظ صفاء نسلها ما أمكن . ويرأسها شيخ القبيلة ، وهو المصدر الأساسي لمختلف السلطات ، والمرجع الأول في الشؤون القضائية والتنفيذية ، وهو الذي يمثل القبيلة في جميع معاملاتها مع الآخرين فيحدد مواضع الرعي ويقود القبيلة ، ويحفظ الأنساب ، ويقوم بواجب الضيافة ، وهو المسؤول عن الصلة بين القبيلة والحكومة .

وفي النظام القبلي بعض مظاهر الثيوقراطية ، فشيخ القبيلة هو صاحب الأمر والنهي بالرغم من أنه ليس مستبدا تماما . وفي بعض جوانب هذا النظام نوع من الطبقية ، فنظام المشيخة وراثي ، والنسب والمصاهرة من الأمور التي تتجلى فيها الارستقراطية . لكن الروح الديموقراطية لا تنعدم ، فالشيخ يستشير ذوي الرأي في قبيلته ، ولا يحتجب عن أحد .

إن فقر الحياة النباتية في صحراء النقب ووادي الأردن فرض أنواعا معينة من الحيوانات التي يربيها البدو ، فهم يهتمون بتربية الإبل التي تأكل الأعشاب الشوكية في الصحراء ، ويستفاد منها في نقل الأمتعة أثناء التجوال ، وتستغل ألبانها ولحومها وأصوافها في الغذاء والكساء . كما أنهم يهتمون بتربية الأغنام والمعز لأنها ترضى بالكميات القليلة من الأعشاب أو من بقايا المحاصيل الزراعية (رَ: الحيوانات الأليفة) . ويحتم هذا الوضع على البدو رحيلا دائما مع مواشيهم طلبا للكلأ والماء .

وتلاحظ عدة أنماط من الترحل عند بدو فلسطين هي :

١) الارتحال العادي : وهو يتم في الظروف العادية التي اعتادت عليها كل عشيرة ، وذلك في نطاق العشيرة المكاني المعروف الذي سبق أن طرقته في توالٍ زمني بحسب الطاقة الرعوية للأراضي (رَ : الرعي) .

٢) الارتحال الطارىء : يتم عندما تتغير الظروف المناخية في سنوات الجفاف فلا تجد العشائر مناصاً من الهجرة إلى مناطق أخرى بحثا عن الكلأ والماء (رَ : الجفاف) . وفي هذه الحالة لا بد

من دخول مراعي العشائر الأخرى سواء بالطرق السلمية أو بالطرق الحربية . وقد تكون هذه المراعي خارج فلسطين فتضطر العشائر للرحيل إليها في سيناء أو في الجولان أو في جنوب الأردن . وكانت معظم المنازعات والحروب القبلية تنجم عن مثل هذه الهجرات الضرورية . وكثيرا ما كان بدو النقب يتحركون بمواشيهم في سنوات الجفاف نحو الشمال ، ويطلقون هذه المواشي لترعى في الحقول الزراعية حول القرى والمدن .

٣) الارتحال الموسمي (النجعة) : وهو الارتحال الدوري الذي يرتبط أساساً بفصلي الشتاء والصيف ، فترحل العشائر البدوية بمواشيها إلى الجنوب والشرق شتاء ، وإلى الشمال والغرب صيفا . وهناك رحلة الجبل والوادي أيضاً ، إذ تنتقل العشائر بالمواشي صيفا إلى المرتفعات الجبلية في أقضية الخليل وبيت لحم والقدس ورام الله ونابلس وجنين وبيسان والناصرة وصفد لترعى الأعشاب الجبلية وبقايا المحاصيل الزراعية ، ثم تنتقل إلى وادي الأردن في مناطق سهل الحولة وغور بيسان وغور الأردن وغور البحر الميت ووادي عربة شتاء حيث الدفء والماء والكلأ .

هذا بالنسبة إلى البدو الرحل ، أما بالنسبة إلى أشباه البدو والعشائر التي استقرت في المناطق الريفية فإنها ظلت تحافظ على عاداتها في تربية المواشي إلى جانب ممارستها لحرفة الزراعة . وكانت بعض العشائر المستقرة أثناء فترة الانتداب البريطاني تسكن في بيوت موقتة من اللبن تقيمها وسط مزارعها ، وتستعملها أثناء زراعة وجني المحاصيل الزراعية فقط . من جهة ثانية كانت بعض العشائر المستقرة تربي أعدادا من الحيوانات التي تستخدمها للزراعة ، وتستفيد من لحومها وألبانها وأصوافها ، إلى جانب تربيتها أعداداً كبيرة من الأغنام معتمدة في تغذيتها على بقايا المحاصيل الزراعية ، وعلى الأعلاف الزراعية أثناء فصلي الصيف والشتاء ، وعلى الأعشاب الطبيعية في فصل الربيع . وكان الرعاة ينتقلون بهذه الأغنام من المناطق الزراعية في السهول إلى المناطق الرعوية على المنحدرات الجبلية ، ويقضون فصل الربيع بكامله في الرعي ، ويستخدمون الكهوف والمغاور لإيواء الأغنام ليلا . وبعد الانتهاء من موسم الرعي يعود الرعاة بأغنامهم إلى قراهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٦٥ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : القبائل العربية وسلالتها في بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ محمد السيد غلاب : الجغرافيا التاريخية لإقليم النقب ، القاهرة ١٩٥٦ .
ـ أحمد أبو خوصة : بير السبع والحياة البدوية ، ج ١ ، عمان ١٩٧٦ وج ٢ ، عمان ١٩٧٩ .
ـ عارف العارف : القضاء بين البدو ، القدس ١٩٤٩ .
ـ عارف العارف : تاريخ بئر السبع وقبائلها ، القدس ١٩٣٤ .
ـ عارف العارف : أحداث رفح ومأساة البدو بين أهلها (مأساةبدو النقب وقطاع بير* السبع) ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عبد الجليل الطاهر : البدو والعشائر في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٥٥ .
— Epstein, E.: Bedouins of the Negeb, **Palestine Exploration Fund Quarterly** 1939.

بدر بن عبد الله الجمالي (٤٠٥ ـ ٤٨٧هـ) (١٠١٤ ـ ١٠٩٤م) :

ولقبه الذي شهر به « أمير الجيوش » . أصله من الأرمن ، وعرف بالجمالي لأنه كان مملوكاً لجمال الدين بن عمار الكتامي المتغلب على طرابلس الشام .

تدرج بدر الجمالي في خدمة الفاطميين ، وكان يظهر الطاعة والموالاة للخليفة الفاطمي المستنصر ، وظل مخلصاً له حتى النهاية .

تولى بدر الجمالي ولاية دمشق مرتين : في سنة ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م لمدة عام ، ثم في سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م لمدة عامين . وكانت أحوال الشام مضطربة لأن أهل البلاد كانوا يكرهون الفاطميين ويقاتلون عساكرهم (ر : الفاطميون) . فكانت الفتن والثورات لا تنقطع ، وليس من سلطة عليا تحول دون أعمال السلب والنهب . وكان المتغلبون في مختلف الأنحاء يغتصبون الحكم ، مثل ابن حمدان في حلب ، وابن عمار في طرابلس الشام ، وابن أبي عقيل في صور ، وابن حيدرة الكتامي في دمشق . وكانت قبائل البدو بقيادة أمراء بني طيّء يعيثون فساداً في فلسطين كلها .

وقد حاول بدر الجمالي إصلاح الفساد وتدبير الأمور ، ولكنه اصطدم « بالعسكرية » الذين خربوا قصر الوالي وأضرموا فيه النيران . كما امتد الحريق مرة إلى المسجد الأموي حتى لم يبق منه إلا حيطانه . فاضطر الوالي إلى الهرب ، وتحصن في عكا* وصور حتى استدعاه المستنصر إلى القاهرة سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م .

ولم تكن الحالة في مصر أفضل منها في الشام . فقد ابتليت الديار المصرية بالقحط والغلاء مدة سبع سنين (٤٥٧ ـ ٤٦٤هـ / ١٠٦٥ ـ ١٠٧٢م) كما كان قد اجتاحها الطاعون العظيم الذي أودى بحياة خلق كثير (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) .

كذلك قاسى الناس الشدائد من استيلاء ناصر الدولة الحسن بن الحسين الحمداني على الحكم في القاهرة وانفراده بالسلطة حتى صار الخليفة المستنصر كالمحجور عليه .

ولما قتل بعض المماليك الأتراك ناصر الدولة في سنة ٤٦٥هـ

أخذ المستنصر يفكر في المخلصين من رجال دولته لمعالجة الأمر ، فوصفوا له بدراً الجمالي المشهور بالقوة والدهاء فاستدعاه من عكا للاستعانة به على تجاوز المحن التي ألّمت بالبلاد .

قال المؤرخون : " إن وصول بدر كان أول سعادة المستنصر وآخر قطوعه " . وفي الواقع فقد سكنت الفتن بعد أن تولّى بدر الجمالي تدبير الأمور ، وقتل عدداً من كبار الأمراء والمتقدمين والأجناد ورؤوس الفتنة ، وكافأه المستنصر على ذلك بأن قلّده "وزارة السيف والقلم ، وجعل له قضاء القضاة والتقدم على الدعاة " .

كان بدر الجمالي يطمح إلى الاستيلاء على بلاد الشام وفلسطين وإعادتها إلى سيادة الفاطميين . لذلك جهز جيشاً إلى دمشق في سنة ٤٨٠هـ/١٠٨٨م . ولكنه لم يظفر بها إذ كان تَمَلَّكها تاج الدولة تتش أخو السلطان السلجوقي ملكشاه . وفي سنة ٤٨٢هـ / ١٠٩٠م أرسل جيشاً آخر بقيادة نصير الدين الجيوشي فاستولى على صور وصيدا وعكا ، ثم تقدم إلى بعلبك وخطب للمستنصر ، ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها طويلاً .

لم يكتب لجهود بدر الجمالي لاستعادة الشام النجاح لأن دولة الفاطميين التي دبّ إليها الضعف اصطدمت بقوة جديدة عظيمة أقبلت من الشرق هي الدولة السلجوقية (ر : السلجوقيون) .

برهن بدر الجمالي على مهارة سياسية ومقدرة كبيرة في إدارة شؤون مصر خلال وزارته التي استمرت أكثر من عشرين عاماً ، وجمع فيها أموالاً طائلة ، وخلف بعض الآثار العمرانية في الإسكندرية وعسقلان .

وقد تزوج المستنصر ابنة بدر الجمالي ورزق منها ولداً سماه أحمد . وهو الذي تولى الخلافة بعد موت المستنصر (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) باسم المستعلي بأمر الله . وقام بتدبير أمره خاله الأفضل شاهنشاه الذي تولى الوزارة بعد موت والده بدر الجمالي .

المراجع :

ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٠٣هـ .
ـ الذهبي : سير النبلاء ، دمشق ١٩٤١ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .
ـ ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨ .

بدر لاما (ـ ١٩٤٨) :

فلسطيني هاجر إلى الأرجنتين ثم عاد مع أخيه إبراهيم إلى بلدهما ، لكنهما بدل العودة إلى فلسطين ذهبا إلى مصر ، واتخذاها موطناً لهما ، واستقرا في الإسكندرية . ويبدو أنهما قد توفرت لهما ثروة طيبة في المهجر فأقاما في دارة رحبة ، وبادرا عام ١٩١٦ إلى تأسيس ناد سينمائي سمّياه « مينا فيلم » قد يكون أول ناد من نوعه في الوطن العربي . وأتبعا النادي بتأسيس شركة إنتاج سينمائي سمياها « كوندور فيلم » ، وعملا معاً عام ١٩٢٣ في إنتاج فيلم « قبلة في الصحراء » الذي صوّراه في صحراء فيكتوريا بضواحي الإسكندرية (ر : السينما) . وقد تولى إبراهيم لاما الإخراج والتصوير ، وأسندت البطولة إلى بدر لاما ، واشترك في الفيلم إبراهيم ذو الفقار وبعض الأجانب المقيمين في الإسكندرية . وفيلم « قبلة في الصحراء » أول فيلم روائي طويل أنتج في مصر وعرض فيها ، رغم أن المؤرخين المصريين يجعلون فيلم « ليلى » من إخراج إستفان روستي وتمثيل عزيزة أمير وأحمد جلال الذي تلا ظهور « قبلة في الصحراء » هو الفيلم المصري الأول بحجّة أن الإنطلاقة الأولى لفيلم « ليلى » في التحضير والتصوير سبقت فيلم الأخوين لاما ، كما أن المنتجة والمخرج والممثلين في فيلم « ليلى » كانوا جميعهم مصريين .

وبسبب نجاح الأخوين لاما أصبحت الإسكندرية منافساً خطيراً للقاهرة إذ هيّأ الأخوان دارتهما على صورة « استديو سينمائي » مجهز بالآلات ، وأقاما فيها مكتب شركتهما ، وأنتجا فيلماً آخر هو « فاجعة فوق الهرم » عام ١٩٢٩ ، وأخرجه إبراهيم لاما أيضاً ، ومثله بدر لاما ووداد عرفي وفاطمة رشدي . ثم أتبعاه بفيلم ثالث « معجزة الحب » عام ١٩٣٠ ، وقد صوراه في الهواء الطلق .

وبعد تركز صناعة السينما في القاهرة ونجاحها انتقل الأخوان لاما إلى القاهرة ، وهناك أوكلت الممثلة المنتجة آسيا داغر إلى إبراهيم لاما مهمة تحقيق فيلمها الثاني « وخز الضمير » . وتابع الشقيقان إنتاج أفلام من النوع البدوي الذي بدآه بفيلمهما الأول « قبلة في الصحراء » ، فظهر لهما فيلم « معروف البدوي » وفيلم « الكنز المفقود » . ويعالج الفيلمان التقاليد البدوية من شرف وبسالة وأخذ بالثأر وحب عذري . وقيل إنهما نقلا إلى السينما المصرية طرائق أفلام الغرب الأمريكي (الوسترن) بنغمة شرقية . لكنهما عادا في موسم ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ إلى إنتاج أفلام « درامية » من مثل « الهارب » و « شبح الماضي » . ثم تابعا مسيرتهما خلال فترة الحرب العالمية الثانية فأنتجا عشرة أفلام طويلة .

المراجع :

ـ عبد المنعم سعد : السينما والشباب (كتاب الإذاعة والتلفزيون ٢١) ، القاهرة .
ـ جلال الشرقاوي : تاريخ السينما في الجمهورية العربية المتحدة (بحث) ،

مؤتمر الطاولة المستديرة للسينما والثقافة العربية ، بيروت ١٩٦٢ .
ـ جورج سادول : تاريخ السينما (بالفرنسية) ، سلسلة قرأت ، ١٩٦٢ .

البـدو : رَ : البداوة والاستقرار

بِـدْيَـة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد ٣٢ كم جنوبي غرب نابلس * . وهي على طريق نابلس ـ يافا المعبدة ، وتربطها طرق معبدة بقرى مسحة * والزاوية ورافات وكفر الديك وقراوي بني حسّان وسنّيرية وحارس وكفل حارس وغيرها من القرى المجاورة .

نشأت بدية فوق رقعة منبسطة نسبياً من الأرض على الرغم من كونها في منطقة جبال نابلس * . ويراوح ارتفاع أرض بدية بين ٣٠٠ و ٣٥٠م عن سطح البحر ، وتنحدر أرضها من الشرق إلى لغرب . ويجري إلى الشمال منها بقليل وادي الشلاّقة أحد روافد وادي أبو عمّار . وفي أراضيها الجنوبية وادي غابين أحد روافد أبو حمودة .

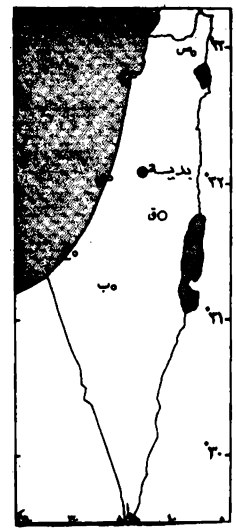

بنيت بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكل متوازي الأضلاع ، إذ يخترقها شارع رئيس معبد تلتقي معه شوارع فرعية معبدة ، وأزقة البلدة القديمة . وقد امتدت مباني البلدة القديمة في محورين شرقي وغربي من المباني الحديثة التي تحاذي الطريق الرئيسة الخارجة من البلدة . وازدادت رقعة بدية من ٤٧ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٢٥٠ في عام ١٩٨٠ . وللبلدة مجلس قروي يشرف على إدارتها وتنظيم شؤونها وتوفير المرافق والخدمات العامة . ففيها شوارع معبدة وعدد من المحلات التجارية . وقد أضيئت شوارعها وبيوتها ومحلاتها بالكهرباء . ويشرب سكانها من مياه الأمطار التي تجمع في آبار خاصة لافتقارها إلى الينابيع ، وتعتمد البلدة على بركة قديمة واسعة تكفي مياهها لشرب مواشي البلدة . وتشتمل بدية على مسجدين أحدهما قديم والثاني حديث . وفيها مدرستان ثانويتان للذكور والإناث ، ومدرستان ابتدائيتان ـ إعداديتان للذكور والإناث أيضاً، وفيها عيادة صحية . وتحتوي بدية على بعض الآثار وتوجد بعض الخرب الأثرية جنوبيها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وفي جنوب البلدة ضريحان للشيخ حميدة الرابي والشيخ علي الدجاني من رجال القرن العاشر الهجري .

تبلغ مساحة أراضي بدية ١٣,٤٦٦ دونماً ، وتستثمر معظم أراضيها في زراعة الحبوب * والقطاني وأشجار الزيتون * والتين في حين تستثمر مساحات قليلة من هذه الأراضي في زراعة الفواكه والخضر * الأخرى . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية لنمو المحاصيل الزراعية . وقد قامت صناعة زيت الزيتون بالاعتماد على أشجار الزيتون التي تنتشر في مساحات واسعة حول البلدة ، كما قامت صناعة التين المجفف على أشجار التين .

بلغ عدد سكان بدية في عام ١٩٢٢ نحو ٧٩٢ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٠٢٦ نسمة . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٣٦٠ نسمة ، ووصل حسب تعداد عام ١٩٦١ إلى ٢,٢١٢ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٦ آلاف نسمة . ويعتمد هؤلاء السكان في معيشتهم على الزراعة والتجارة * وبعض الوظائف ، وعلى العمل في الأقطار العربية النفطية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٢ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة سلفيت .

البـرازيـل : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

البـراق (ثـورة ـ) رَ : ثورة ١٩٢٩

البـراق (لجنـة ـ) رَ : حائط البراق (لجنة ـ)

البـراكيـن :

تعرضت فلسطين عبر تاريخها الجيولوجي الطويل لصدوع وانكسارات في أماكن مختلفة من أراضيها . وتعد الانكسارات الطولية بمحاذاة وادي الأردن من أهم الانكسارات التي أثرت في القشرة الأرضية وساهمت في إيجاد ضعف في هذه القشرة (رَ : الغور) . وهناك انكسارات مستعرضة تمتد في اتجاهات متعددة . وقد أدّى ضعف القشرة الناتج عن وجود هذه الانكسارات إلى عدم

استقرار الأرض وتعرضها للحركات التكتونية (رَ : الزلازل) . وقد صاحب ذلك ثورات بركانية في العصور الجيولوجية المختلفة . لكن النشاط الاندفاعي الذي كان فعّالاً في الماضي البعيد أصبح منذ بداية عصر الهولوسين (العصر الحديث) خامداً . وتدل آثاره على أماكن توزع البراكين وأزمنة حدوثها .

كانت البراكين نشطة في عصور ما قبل الكمبري والجوراسي والكريتاسي والميوسين والبليوسين والبليوستوسين (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . وقد تميزت الفترة السينومانية والفترة التورونية بنشاط بركاني ملحوظ خلال العصر الكريتاسي . ويمكن القول إن الثوران البركاني نشط خلال مرحلتين هما : مرحلة النشاط البركاني القديم التي حدثت في الميوسين وما قبله ، ومرحلة النشاط البركاني الحديث التي حدثت في البليوستوسين . وفي كل مرحلة كانت البراكين تقذف حممها من المصهورات التي تركت بصماتها على سطح الأرض متمثلة في أشكال كثيرة أهمها المسطحات البازلتية السوداء والينابيع الحارة والفوهات وغيرها .

وأهم المناطق التي تعرضت لنشاط بركاني اندفاعي في العصور الماضية وادي الأردن وجبال الجليل * ونابلس * والنقب * . أما وادي الأردن فإنه تعرض لتكدس الحمم البركانية المندفعة من جانبيه في الجولان * والجليل بصفة خاصة ، فغشيت كتل من البازلت قاعه على شكل تلال أو عتبات أثرت في تكوين البحيرات المائية القديمة التي نشأت داخله من جهة ، وفي مجرى نهر الأردن * من جهة ثانية .

أما في منطقة جبال الجليل فإن الآثار البركانية تتضح في صورة الأغشية البازلتية والجبال المخروطية والينابيع المائية الحارة . وفي منطقة نابلس تنتشر بعض الأغشية البازلتية في أماكن قليلة ، ولا سيما في الجزء الشرقي منها . وفي النقب توجد آثار فوهات بركانية قديمة في قمم بعض الجبال المخروطية ، بالإضافة إلى بعض الأغشية البازلتية القليلة .

المراجع :

— Robinson, E.: **Physical Geography of the Holy Land,** Boston 1865.

— Warren, C. and Conder, C.R.: **The Survey of Western Palestine,** London 1884.

بَرْبَرَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ٢١ كم إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي على الجانب الغربي لطريق وخط سكة حديد رفح - حيفا بين مدينتي غزة والمجدل * . وتبعد ٥ كم إلى الجنوب من المجدل . وترتبط بالقرى العربية المجاورة لها بطرق فرعية ، وتحيط بها قرى نعليا * في الشمال الغربي ، والجيّة * في الشمال الشرقي ، وبيت جرجا * في الجنوب الشرقي ، وهربيا * في الجنوب الغربي .

نشأت بربرة فوق الأطراف الشرقية لتلال الكثبان الرملية الشاطئية الممتدة بمحاذاة البحر المتوسط . وترتفع نحو ٥٠م عن سطح البحر . وكانت معظم بيوتها مبنية باللّبن وتفصل بينها شوارع ضيقة مليئة بالرمال . وقد عانت بربرة كثيراً من زحف الرمال إليها ، لكنها استطاعت في السنوات الأخيرة من عمرها أن تثبت الرمال بالتوسع في إقامة المباني السكنية ، وبزراعة الأشجار المثمرة في الكثبان الرملية ومسطحات الرمال الممتدة إلى الغرب منها . واتخذ توسعها العمراني شكل المحاور الممتدة على طول الطرق المؤدية إلى القرى المجاورة . أما المخطط الأصلي للقرية فإنه يتخذ شكل المستطيل . ويقوم وسط بربرة على قاعدة أرضية رملية منبسطة نسبياً ، ويشتمل على الجامع وبعض الحوانيت ومدرسة القرية الابتدائية التي تأسست عام ١٩٢١ . وقد بلغت مساحة الرقعة المبنية في القرية حتى عام ١٩٤٥ نحو ٧٠ دونماً .

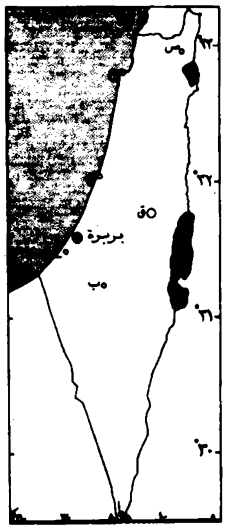

بلغت مساحة أراضيها نحو ١٣,٩٧٨ دونماً منها أربعمائة دونم ودونم للطرق والأودية والسكة الحديدية ، ولا يملك الصهيونيون فيها أي شبر . وتحيط الأرض الزراعية بالقرية من جميع الجهات ، ومعظمها تربته رملية ، باستثناء الأراضي الممتدة إلى الشرق من خط سكة الحديد حيث تسود التربة الرملية الطينية التي تصلح لزراعة الحبوب . تسود زراعة الأشجار المثمرة في الجهة الغربية من بربرة ، وأهمها العنب * الذي يعد من أجود الأنواع في فلسطين ، وكان العنب « البربراوي » يصدر إلى مختلف المدن والقرى الفلسطينية في السهل الساحلي * . وتنتشر في بربرة أيضا زراعة اللوز والتين والمشمش والزيتون * والبرتقال والجوافة والبطيخ والشمام . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ، وعلى بعض مياه الآبار التي تروي بساتين البرتقال (١٣٢ دونماً) والخضر * . ويراوح عمق آبارها بين ٣٥ و٤٠ م .

بلغ عدد سكان بربرة في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٦٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٥٤٦ نسمة كانوا يقيمون في ٣١٨ بيتاً وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٤١٠ نسمات . وقد

اشتهر أهل بربرة بنشاطهم وجدهم في الأعمال الزراعية ، واشتهرت النساء بعمل البسط الطويلة المعروفة محلياً باسم « المزاود » .

قاوم سكان بربرة الصهيونيين في عام ١٩٤٨ وانتصروا عليهم في عدة معارك . ثم أُجبروا على مغادرة القرية ، ولجأ معظمهم إلى قطاع غزة . وقد دمّر الصهيونيون القرية وأقاموا في ظاهرها الجنوبي مستعمرة « مفقعيم » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير .

برترام ـ يونغ (لجنة ـ) :

كثرت ديون البطريركية الأرثوذكسية في القدس في نهاية الحرب العالمية الأولى بسبب توقف وارداتها من الخارج ، ولا سيما من روسيا . يضاف إلى ذلك أن الكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين مزّقها الصراع بين أنصار تبعيتها للكنيسة اليونانية وأنصار منحها الاستقلال عن هذه الكنيسة . وبمرور الزمان صارت جمعية الضريح المقدس يونانية تامة تقريباً . ولما كانت الجمعية المذكورة هي التي تعيّن أعضاء المجمع الكنسي المقدّس صارت البطريركية الأرثوذكسية نفسها يونانية في حين كان المؤمنون ورجال الأبرشيات المرتبطون بها من الفلسطينيين الناطقين بالعربية . ولما طالب العرب بقسطهم في إدارة شؤون البطريركية حدثت اضطرابات في عامي ١٨٧٢ و١٩٠٨ . وقد استغلّت الحكومة اليونانية متاعب البطريركية المالية في أيلول ١٩١٩ فعرضت عليها مساعدة شهرية عن طريق المصرف الوطني في اليونان بشرط أن توافق البطريركية على مجموعة جديدة من النظم الداخلية وضعها في أثينا مطرانان يونانيان وعضوان من وزارة الخارجية اليونانية . مال المجمع المقدّس للبطريركية إلى قبول الاقتراح اليوناني فوراً ، ولكن البطريركية وأنصار استقلالها عارضوا ذلك لأن النظم الجديدة ستجعل البطريركية تابعة للحكومة اليونانية . حاول المجمع الكنسي المقدس خلع البطريرك ، ولكن حكومة الانتداب البريطانية تدخلت في كانون الثاني ١٩٢١ بتعيين لجنة تحقيق أولى هي لجنة برترام ـ ليوك لكي تقترح التدابير التي يجب اتخاذها لإعادة النظام في شؤون البطريركية ولتصفية ديونها . ووفقاً لتوصيات لجنة برترام ـ ليوك عينت لجنة ثانية في آب ١٩٢١ لإدارة شؤون البطريركية المالية . وقد سوّي موضوع الديون دون اللجوء إلى القرض اليوناني ، وأعيد السلام موقتاً إلى البطريركية .

ولكن النزاع عاد ثانية بين أنصار تبعية الكنيسة لليونان وأنصار تعريبها في آب ١٩٢٢ حين اختار المجمع الكنسي المقدس في القدس مطراناً للناصرة ممن يتكلمون العربية وفقاً لقانون البطريركية الأرثوذوكسية الأساسي الذي أصدرته الدولة العثمانية سنة ١٨٧٥ والذي كان من الضروري بموجبه أن يعرف مطارنة عكا والناصرة اللغة العربية . وفي آذار ١٩٢٥ عينت حكومة الانتداب البريطانية لجنة ثانية هي لجنة برترام ـ يونغ (مؤلفة من السير أنطون برترام *Bertram* ومن ج. و. أ. يونغ *Young*) لفحص قضية علاقات البطريركية بالجالية الأرثوذكسية في فلسطين واقتراح الخطوات الواجب اتخاذها لتعديل قانون ١٨٧٥ من أجل الوصول إلى علاقة أكثر انسجاماً بين الجانبين .

اقترحت اللجنة في حزيران ١٩٢٥ أن يكون انتخاب المطارنة خاضعاً لاعتراف حكومة الانتداب مثل انتخاب البطريرك . ووضعت اللجنة في تقريرها مشروع قرار يتناول ثلاثة أمور :

١) السماح لرعية البطريركية العرب بمساهمة أكبر في إدارة أمورها المالية .

٢) توسيع المجلس الكنسي المقدس بحيث يضم جميع المطارنة والأساقفة التابعين للبطريرك .

٣) الاشتراط بأن يكون أعضاء جمعية الضريح المقدس والمجمع الكنسي المقدس من المواطنين الفلسطينيين .

وقد اعترفت اللجنة بأن الشرط الثالث لم يكن القصد منه ضمان دخول العرب إلى الجمعية بقدر ما قصد منه ضمان عدم صيرورة الجمعية والمجمع الكنسي والبطريرك خاضعين لدولة أجنبية (أي اليونان) .

لم تشرع هذه التوصيات فوراً بشكل قانون . وقد عاد النزاع مرة أخرى عام ١٩٣١ حول من يخلف البطريرك دميانوس الذي توفي في ١٤ آب من هذا العام . وفي تموز ١٩٣٥ انتخب تيموثيوس للمنصب ، ولكن العرب عارضوا ذلك . ولم يتوصل إلى حل وسط حتى ١٩٣٨ الذي نفذت فيه أكثر مبادىء تقرير برترام ـ يونغ . وقد اعترفت بريطانيا بالبطريرك تيموثيوس في تشرين الأول ١٩٣٩ . وفي تشرين الثاني ١٩٤١ استعيض عن القانون العثماني لسنة ١٨٧٥ بقانون جديد لتنظيم وإدارة البطريركية .

المراجع :

— H. Eugene Bovis.: **The Jerusalem Question, 1917 - 1968,** Stanford Cal. 1974.

— Sir Anton Bertram and J.W.A. Young.: **The Orthodox Patriarchate of Jerusalem; Commission's Report on certain Controversies.**

البرج (قرية ـ) :

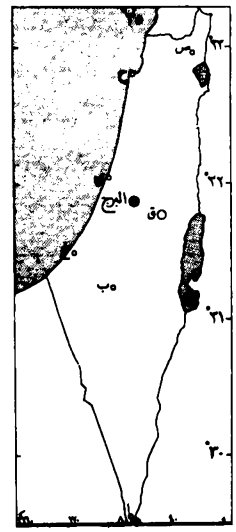

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الشمال الغربي من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٣ كم تقريباً ، ويصلها بهذه الطريق درب ضيق . وتصلها دروب ضيقة أخرى بالقرى المجاورة كبيرمعين * وبيت سيرا وصفا وشلتة * وبرفيلية * .

نشأت البرج فوق تلة ترتفع نحو ٣٢٥ م عن سطح البحر ، وهي جزء من الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله المطلة على السهل الساحلي * الأوسط . ومن المرجح أن تكون القرية قد نشأت على أنقاض موقع استراتيجي به برج للمراقبة لأنها تحتوي على آثار برج متهدم وأرض مرصوفة بالفسيفساء تعرف باسم بجيس وقلعة الطنطورة . كانت القرية تتألف من بيوت مبنية من اللّبن وأخرى من الحجر ، واتخذ مخططها التنظيمي شكلاً دائرياً أو شبه دائري . وقد اتسعت القرية تدريجياً في نموها العمراني جهة الجنوب ، ووصلت مساحتها في أواخر عهد الانتداب إلى ١٢ دونماً . ويوجد إلى الشرق من البرج خزان للمياه ، وتأسست مدرستها في عام ١٩٤٨/٤٧ وضمت آنذاك ٣٥ تلميذاً فقط .

بلغت مساحة أراضي البرج ٤,٧٠٨ دونمات منها ٣ دونمات للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتزرع فيها مختلف أنواع الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وكان الزيتون * أهم محصول زراعي في القرية ، إذ غرست أشجاره في مساحة ٦٠ دونماً . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ، وهي كافية للزراعة . ويعمل سكان قرية البرج في الزراعة وتربية المواشي .

بلغ عدد سكان البرج في عام ١٩٢٢ نحو ٣٤٤ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٣٧٠ نسمة كانوا يقيمون في ٩٢ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٤٨٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية البرج ، وطردوا سكانها ، ودمروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بردیس حنّا ـ کرکور (مستعمرة ـ) :

تجمع ريفي يضم مستعمرتين صهيونيتين تقعان في الجزء الشمالي من السهل الساحلي * على بعد ٧ كم شمالي شرق الخضيرة * .

تأسست موشاف كركور عام ١٩١٣ على يد جماعة من الصهيونيين الانكليز وصل عددهم عام ١٩٢٩ إلى ٣٠٠ نسمة . ومعظم سكانها اليوم من صهيوني أوربا الشرقية . وكان في مكانها الحالي محطة لرصد النّدى الليلي .

أما موشافا برديس حنا فتأسست عام ١٩٢٩ على يد « جمعية الاستعمار اليهودي * » من أجل توطين مجموعة من العمال الزراعيين . وقد انضم إليهم في الثلاثينات صهيونيون مهاجرون من أوربا الشرقية والوسطى . وامتد عمران الموشافا عام ١٩٣٩ فضمّت إليها مستعمرة مجد المجاورة التي تأسست عام ١٩٣٣ . وقد اتحدت موشافا برديس حنا وموشاف كركور منذ عام ١٩٦٦ .

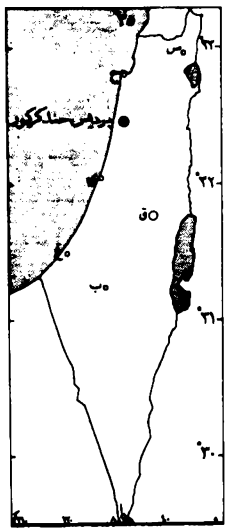

لا تقل أهمية الموقع الجغرافي لهذا التجمع عن أهمية موقع الخضيرة إذ تتفرع منه طرق المواصلات إلى حيفا * في الشمال ، وتل أبيب * في الجنوب ، والعفولة * في الشمال الشرقي . وترتبط هذا التجمع بالمستعمرات المجاورة طرق معبدة ، ويمر بأطرافه خط سكة حديد تل أبيب ـ حيفا .

موضع تجمع برديس حنا ـ كركور أرض سهلية منبسطة . يجري نهر المفجّر (الخضيرة) في المنطقة الممتدة بينه وبين الخضيرة حيث توجد بعض المستنقعات * . ويعتمد اقتصاد التجمع على الزراعة * المرويّة وعلى الصناعة * . وأهم الزراعات الحمضيات * التي تجود في الإقليم لخصوبة التربة وتوافر المياه . ولا غرابة إذا كان اسم برديس حنا يعني بيارة حمضيات حنا .

يشتمل مخطط التجمع على شبكة شوارع مستقيمة متعامدة في الغالب . وقد كان لموقعه الهام أثر في سرعة نموه والتحام برديس حنا بكركور . لكن هذا النمو يظل قليلاً إذا ما قورن بسرعة نمو مدينة الخضيرة ، لأن التجمع يقع في ظل الخضيرة ويتبعها إدارياً .

نما سكان مستعمرة برديس حنا من ٢,٣٥٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٩,٧٠٠ نسمة عام ١٩٦٥ . وتوجد فيها مدرسة زراعية ثانوية . وهي مركز سياحي وصناعي أيضاً . وفيها صناعات مطاطية وبلاستيكية وصناعة الأزرار والخشب المعاكس وتشميع الحمضيات ومواد البناء .

أما كركور فقد زاد عدد سكانها من ٩٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ إلى ٣,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٢ . وأصبح عدد سكان المستعمرتين بعد اندماجهما ١٤,٥٠٠ نسمة في عام ١٩٧٣ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ المكتب الإحصائي المركزي لإسرائيل : نشرة السكان والمواقع رقم ٤١ (بالعبرية) ، القدس ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة الخضيرة .

بَرْطَعَة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع غربي جنين * ، وتبعد نحو ٦ كم إلى الشمال الغربي من يعبد * . وتصلها دروب ممهدة بالقرى المجاورة كيعبد وعرعرة وزبدة ووادي عارة * وقفين * . وقد شطرت بعد عام ١٩٤٨ قسمين : الأول في الضفة الغربية ، والثاني في فلسطين المحتلة . ويعتقد أن تسميتها تعود لوجود ضريح الشيخ برطعة جنوبي شرق البلدة .

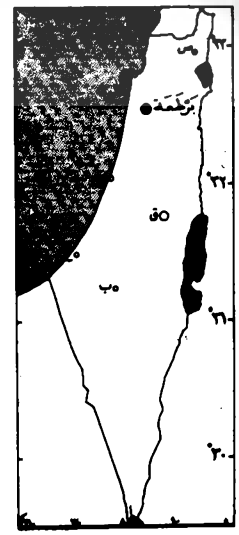

نشأت برطعة فوق رقعة منبسطة من أراضي سهل مرج ابن عامر * الجنوبية الغربية المجاورة لأراضي السهل الساحلي * . وترتفع نحو ٢٠٠م عن سطح البحر . وقد أسسها جماعة من عائلة القَبَهة إحدى عائلات يعبد في منطقة تكسوها الأحراج الطبيعية بغرض الإقامة فيها للعناية برعي المواشي وتربيتها . وتتألف برطعة من بيوت متناثرة مبنية من اللَّبن والحجر . ويمر وادي الماء أحد روافد وادي الغراب بوسطها . وقد توسعت البلدة بعد عام ١٩٤٨ وامتد عمرانها جهة الجنوب . وفيها جامع حديث ، ومدرستان : إبتدائية وإعدادية للبنين والبنات ، علاوة على بعض الحوانيت الصغيرة المتفرقة بين البيوت . وتوجد عين برطعة الغزيرة في وادي الماء شرقي البلدة ، ومن أجلها عرفت برطعة باسم « وادي الميّة » أو « رأس العين » .

تبلغ مساحة أراضي برطعة ٢٠,٤٩٩ دونماً ، وتزرع فيها الحبوب * والقطاني والخضر * . وتشغل الأشجار المثمرة مساحة قليلة من الأرض الزراعية ، وأهم هذه الأشجار الزيتون * والتين واللوز . ويخصص جزء واسع من أراضي برطعة لرعي مواشي السكان . وتعتمد المحاصيل الزراعية والأعشاب على الأمطار ، وعلى مياه بعض الينابيع المحيطة بالبلدة .

كان في برطعة نحو ٤٦٨ نسمة عام ١٩٢٢ ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٦٩٢ نسمة كانوا يقيمون في ٩٤ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٠٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٦١ بلغ مجموع سكان برطعة العرب بقسميها ١,١٦٣ نسمة .

وبلغ عددهم عام ١٩٨٠ نحو ٥,٠٠٠ نسمة نتيجة الهجرة إليها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يعبد .

بَرْفِيلْيَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الشمال الشرقي من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٧ كم تقريباً ، ويربطها بالطريق درب ضيق . وتربطها دروب أخرى بالقرى المجاورة مثل عنابة * والقباب * والكنيسة * وسلبيت * وبيت شنّة * وشلتة * والبرج * وبير معين * .

نشأت برفيلية فوق رقعة متموجة إلى منبسطة في الطرف الشرقي للسهل الساحلي * الأوسط ، بالقرب من الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله .

وترتفع القرية نحو ٢٣٠م عن سطح البحر . وقامت بيوتها المبنيّ معظمها باللَّبن متلاصقة بعضها مع بعض في مخطط مستطيل الشكل ، وتفصل بينها شوارع ضيقة تؤدي إلى الدروب الخارجية . واشتملت برفيلية على بعض الدكاكين وعلى مسجد في

وسط القرية ، بالإضافة إلى مدرستها الابتدائية التي تأسست عام ١٩٤٦ . وتوجد فيها آثار لصهاريج مياه . وإلى الشرق من القرية آثار معاصر منقورة في الصخر مما يدل على شهرة القرية بإنتاج الزيتون وزيته منذ القديم . وقد اتجه نمو برفيلية العمراني في أواخر الانتداب نحو الجنوب الغربي في محور محاذ لدرب عنابة ، ووصلت مساحتها إلى ١٧ دونماً .

مساحة أراضي برفيلية ٧,١٣٤ دونماً منها ٤ دونمات للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتزرع في معظم الأراضي المحيطة بالقرية الأشجار المثمرة كالزيتون * والليمون والعنب * والتين . وقد غرست مساحة ١٩١ دونماً بأشجار الزيتون التي تعطي محصولاً جيداً . وتزرع الحبوب * والخضر * الشتوية والصيفية أيضاً ، ومعظمها يعتمد على مياه الأمطار الشتوية التي تهطل بكميات كافية للزراعة .

نما عدد سكان برفيلية بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٣١ من ٤٢١ نسمة إلى ٥٤٤ نسمة كانوا يقيمون في ١٣٢ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٣٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون برفيلية ، وطردوا سكانها منها ، ودمّروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤.ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة اللد .

برقة :

في فلسطين عدة مواقع اسم كل منها برقة . ومن أشهرها :

أ ـ بَرْقة / غزة (قرية ـ) : قرية عربية تقع على بعد ٤٨ كم شمالي شرق غزة * . ويمر كل من خط سكة حديد رفح ـ حيفا ، وطريق رفح ـ حيفا الرئيسة المعبدة إلى الغرب منها بقليل (٣ كم) . لذا كان موقعها الجغرافي مهماً بالنسبة إلى مرور البضائع والمسافرين بها ما بين جنوب السهل الساحلي * وشماله . وكانت ظهيراً شرقياً لميناء أسدود * قديماً . وهي من القرى العربية الواقعة في الطرف الشمالي لقضاء غزة تحيط بها أراضي قرى أسدود والبطاني * وياصور * .

نشأت برقة فوق بقعة منبسطة من السهل الساحلي الفلسطيني إلى الشرق من نطاق الكثبان الرملية الشاطئية ، ولا تبعد إلا ٤ كم عن شاطىء البحر المتوسط . وترتفع نحو ٤٥م عن سطح البحر ، ويمر بطرفها الجنوبي وادي العسل الذي يرفد نهر صقرير . ومن المرجح أنها قامت على بقعة بلدة بركة اليونانية لاكتشاف بقايا آثار وبئر وصخور منحوتة ، وشقف فخار على وجه أرض القرية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

كانت برقة قرية صغيرة المساحة تتألف من مجموعة بيوت بُني معظمها من اللّبن وهي بلا مخطط واضح ، تلاصقت منازلها فلم تترك بينها سوى أزقة . وقد اتسعت مساحتها في أواخر عهد الانتداب حتى أصبحت ٢٢٦ دونماً ، وامتد عمرانها نحو الشمال والشمال الغربي . واشتملت على جامع وبعض الحوانيت الواقعة في وسط القرية . ولم تكن فيها أية مدرسة ، الأمر الذي اضطر أبناء القرية إلى الالتحاق بمدرسة البطاني المجاورة . وتحيط بالقرية أضرحة النبي برق والشيخ محمد والشيخ زرّوق .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة لبرقة نحو ٢٠٦,٥ دونمات، منها ١٣٩ للطرق والأودية ، ويملك الصهيونيون ٢٢٦ دونماً . وتتألف معظم أراضيها من تربة طفلية حمراء تصلح لزراعة الحمضيات * . غرس أهالي برقة في أواخر فترة الانتداب أنواعاً مختلفة من الأشجار المثمرة حول قريتهم ، وكانت الحمضيات أهم هذه الأشجار ، وقد بلغت المساحة المزروعة بها في عام ١٩٤٥ نحو ٦٦٧ دونماً . وتعتمد الزراعة * على الأمطار التي يبلغ متوسط كمياتها السنوية نحو ٤٠٠ مم ، وحفر بعض الأهالي الآبار لري بساتينهم . وكانت أراضي برقة ذات إنتاج عال لخصبها .

بلغ عدد السكان في عام ١٩٢٢ نحو ٤٤٨ نسمة ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ٥٩٣ نسمة ، وكان هؤلاء يقيمون في ١٢٣ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٨٩٠ نسمة . كانت الزراعة هي الحرفة الرئيسة للسكان ، وزرع الأهالي مختلف أنواع الحبوب * والخضر * والفواكه بما يكفي حاجاتهم المنزلية . وفي عام ١٩٤٨ شرد الصهيونيون سكان برقة ، ودمروا القرية ، وأقاموا مستعمرة « جن يفنه » على أراضيها .

ب ـ بُرْقة / نابلس (بلدة ـ) : بلدة عربية تبعد مسافة ١٨ كم إلى الشمال الغربي من نابلس * ، وهي على الجانب الشرقي لطريق نابلس ـ جنين الرئيسة المعبدة . وتربطها طرق فرعية معبدة بقرى سبسطية * والفندقومية وجبع * وسيلة الظهر * وبزّارية وبيت إمْرين ونصف جبيل والناقورة .

نشأت برقة على التلال التي تمثل الأقدام الجنوبية الغربية لجبلي أبو يزيد (٧٢٤م) والقبيات (٦٦٨م) . وتبدأ من جنوبها مباشرة المجاري العليا لبعض الأودية الرافدية لوادي الشمالي الذي يتجه نحو طولكرم * باسم وادي البرج . ويراوح ارتفاع برقة بين ٤٥٠ و ٥٠٠م فوق سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكلاً قوسياً يسير فيه امتداد البلدة وفقاً لخطوط منحنيات التسوية .

لبرقة مجلس قروي يدير شؤونها ، ويهتم بتوفير المرافق والخدمات العامة كفتح الشوارع وتزويد البيوت بالمياه والكهرباء وغيرها . ويتوسط البلدة شارع رئيس معبد ، يعدّ المركز التجاري ، وتتلاقى معه بعض الشوارع الفرعية المستقيمة التي تربط أطراف البلدة بوسطها . ويوجد في برقة مسجد حديث ، وأربع مدارس للذكور وللإناث في مختلف مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي . وفيها عيادة صحية وكنيسة تضم مدرسة . وتحتوي برقة على بعض الآثار كالمغاور المنقورة في الصخر . ويوجد في طرفها الشمالي مزار القبيات ، وفي طرفها الشرقي مزار أبو يزيد . وتتزود برقة بالمياه من الينابيع المختلفة الموجودة فيها ، وبخاصة من عين البلد . وقد اتسعت رقعة البلدة بفعل نموها العمراني ، فازدادت مساحتها من ١٧٣ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٦٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . ويسير نموها في اتجاهين ، أحدهما غربي نحو طريق نابلس ـ جنين ، وثانيهما جنوبي بمحاذاة الطرق المؤدية إلى قرى سبسطية ونصف جبيل وبيت أمرين .

تبلغ مساحة أراضي برقة ١٨,٤٨٦ دونماً منها ٢٩٤ دونماً للطرق * والسكك الحديدية * والأودية . وتزرع في أراضيها الحبوب والخضر والأشجار المثمرة كالزيتون * واللوز والعنب * والتين والتفاح وغيرها . وتستغل بعض أراضيها في الرعي * . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والينابيع على السواء ، إذ تتوافر الينابيع حول برقة . وفي البلدة بعض المصانع الصغيرة لعصر الزيتون ولمنتجات الألبان .

نما عدد سكان برقة من ١,٦٨٨ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ١,٨٩٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢,٥٩٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٣٥٢ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٨,٠٠٠ نسمة . ويعتمد سكان برقة في معيشتهم حالياً على الزراعة والتجارة * والخدمات ، ويعمل عدد منهم في أقطار الخليج العربي .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ ، وج ٢ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحتا أسدود وطولكرم .

بَرْقُوْسيَة (قرية ـ) :

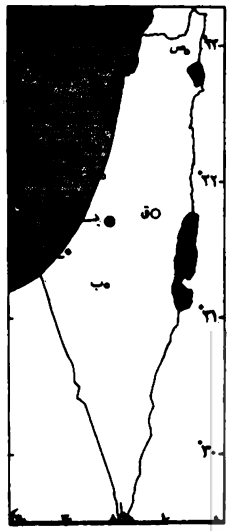

قرية عربية تقع في شمال غرب مدينة الخليل * ، وتربطها طرق ممهدة بكل من قرى بعلين * وتل الصافي * وصميل * ودير الدبان * وتل الترمس * .

نشأت برقوسية فوق رقعة متموجة من الأرض تمثل الأقدام الغربية لجبال الخليل * . وأقيمت على أحد التلال التي ترتفع ٢٠٠ م عن سطح البحر ، وتنحدر من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي حيث تجري أودية وطفة وأم المكامير التي ترفد وادي برقوسية . بنيت بيوتها من الحجر والطين ، واتخذ مخططها شكلا خماسيا . مساحة برقوسية صغيرة لا تتجاوز ٣١ دونما . كان عمرانها ينمو ببطء ، وقد امتدت مباني القرية نحو الشمال بصفة عامة على شكل محور صغير بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية بعلين المجاورة ، وامتدت نحو الجنوب أيضا عندما هاجرت في أواخر عهد الانتداب إحدى « الحمولتين » اللتين كانت القرية تتألف منهما وأقامت مساكنها على مسافة كيلو متر واحد من برقوسية ، وكانت المرافق والخدمات العامة قليلة جداً في برقوسية ، إذ خلت القرية من المدارس ومن الأسواق ، واقتصر الأمر على بعض الدكاكين ، وعلى مسجد صغير . وكان أبناؤها يتعلمون في مدرسة تل الصافي . وهناك بئر محفورة في غرب برقوسية استخدمت مياهها للشرب .

بلغت مساحة أراضي برقوسية ٣,٢١٦ دونما استغل معظمها في زراعة الحبوب * وبعض الأشجار المثمرة . وكانت بعض المساحات تستغل مراعي طبيعية للأغنام والمعز في فصل الربيع . واعتمدت الزراعة * والمراعي على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

ارتفع عدد سكان برقوسية من ١٥٨ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ٣٣٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وقد طرد هؤلاء السكان العرب من قريتهم على يد الصهيونيين في عام ١٩٤٨ . وتم تدمير بيوت القرية فأصبحت أطلالا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

بِرْقين (بلدة ـ) :

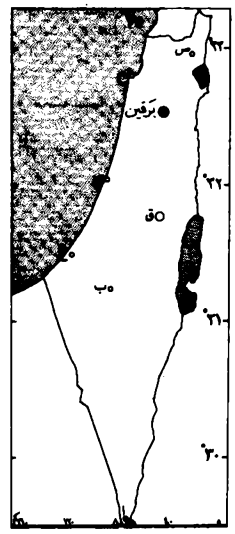

بلدة عربية تبعد مسافة ٥ كم إلى الغرب من جنين * . وترتبط بها بطريق معبدة ، وترتبط بالقرى المجاورة بطرق فرعية أو دروب ممهدة .

نشأت برقين فوق رقعة متموجة من الأرض المنبسطة التي تنحدر من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي ، وترتفع نحو ٢٥٠ م عن سطح البحر . تتألف من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت والطوب ، ويتخذ مخططها شكلا بيضويا يتبع طوله انحدار الأرض . وقدازدادت مساحة برقين من ٣٦ دونما عام ١٩٤٥ إلى ٢٥٠ دونما عام ١٩٨٠ ، ويسير نموها العمراني في الاتجاهين الجنوبي الشرقي والجنوبي بمحاذاة الطريق المعبدة التي تصل البلدة بطرق جنين ـ قباطية ، وتضم برقين بعض المرافق العامة ، ففيها ثلاثة مساجد وكنيسة ، وثلاث مدارس للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، وفيها محلات تجارية . ويشرب الأهالي من ماء عين جارية تقع في الجهة الشرقية من برقين ، بالإضافة إلى اعتمادهم أيضا على جمع مياه الأمطار في آبار خاصة .

تبلغ مساحة أراضي برقين ١٩,٤٤٧ دونما منها ١٥١ دونما للطرق والأودية . وتحيط الأراضي الزراعية بالبلدة من جميع الجهات حيث تزرع الأشجار المثمرة والحبوب * والقطاني والخضر * . وتشغل الأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * ، أكبر مساحة من الأرض الزراعية للبلدة ، ففي موسم ١٩٤٢/١٩٤٣ بلغت المساحة المخصصة لزراعة الزيتون ٣,٩٣٠ دونما ، وبلغت المساحة المخصصة لأشجار الفواكه ٤٠٨ دونمات ، منها ٢١٥ دونما للّوز والباقي للمشمش والتين والعنب * وغيرها . وخصصت لزراعة الحبوب والقطاني مساحة ٨,٣٥٠ دونما ، ولزراعة الخضر مساحة ٢٧٥ دونما . وتعتمد الزراعة * على الأمطار إلى جانب اعتماد بعض المساحات على المياه الجوفية . ويعتني الأهالي بتربية الدواجن والمواشي . وقدرت أعدادها في عام ١٩٤٠/١٩٤١ بنحو ٣,٠٠٠ دجاجة ، و٩٠٠ رأس غنم ، و٢٠٠ رأس بقر (رَ : الحيوانات الأليفة) . وقامت عليها صناعة الزبدة والسمن والجبن وغيرها من منتجات الألبان .

كان في برقين عام ١٩٢٢ نحو ٨٨٣ نسمة ازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٠٨٦ نسمة كانوا يقيمون في ٢٢٧ بيتا . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٥٤٠ نسمة ، وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٢,٠٥٥ نسمة . ويقدر عددهم سنة ١٩٨٠ بنحو ٥,٥٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .

بركان : رَ : البراكين

بِرْكَة :

عمد سكان فلسطين عبر مختلف العصور إلى تجميع مياه الأمطار والينابيع في الآبار * والبرك المنحوتة في الصخر للاستفادة منها في فصل الجفاف * . وقد تهدّم قسم كبير من هذه البرك ، وأعيد ترميم قسم آخر . وكانت مشكلة توفير مياه الشرب لسكان مدينة القدس * حافزا لحفر البرك بالقرب منها ، وهي تعدّ من أهم برك فلسطين . وتقع برك سليمان جنوب بيت لحم * ، وقد رممت في عام ١٨٦٥ م ، وهي ثلاث برك تبعد إحداها عن الأخرى ٤٨ ـ ٤٩ م . ويبلغ طول البركة الأولى ١١٦ م وعرضها في قاعها ٧١,٨ م وفي أعلاها ٦٩,٧ م ويصل عمقها إلى ٧,٦ م، وقد نحت الجزء الأكبر منها في الصخر وتمّ بناء الجزء الآخر . وفي زاويتها الجنوبية الغربية يمتد درج يوصل إلى قاعها . والبركة الثانية ينخفض مستواها ٦ م عن الأولى ، ويبلغ طولها ١٢٩ م وعرضها في الطرف العلوي ٤٨,٨ م ومن الأسفل ٧٦ م وعمقها ١٢ م ، وتصب في زاويتها الشمالية الشرقية قناة ماء تتصل بعين صالح ، وهي محفورة كلها في الصخر . أما البركة الثالثة فطولها ١٧٧ م وعرضها من الأعلى ٤٥ م ومن الأسفل ٦٣ م وعمقها ١٥ م ، وينخفض سطحها عن البركة الثانية ٦ م أيضا ، ويوجد درج في زاويتها الشرقية وآخر

في زاويتها الشمالية الشرقية . وتصل قنوات هذه البرك ببرك أخرى كبركة العروب (الخليل) التي يبلغ طولها ٧٣ م وعرضها ٤٩ م ، وبركة بنت السلطان التي يبلغ طولها ٧٤ م وعرضها ٤٥ م . وتصل إلى برك سليمان مياه عين أرطاس القريبة من جبل الفردوس . وتنقل مياه برك سليمان إلى القدس قناتان ترفدهما عدّة ينابيع .

وفي حارّة الحرم في الخليل * بركتان للماء تسمى العليا بركة القزازين ، وكانت مياهها تستعمل في صناعة الزجاج * منذ العصور الوسطى . ويبلغ طولها ٢٦ م ، وعرضها ١٧ م ، بعمق ٨,٥م . أما البركة السفلى فتسمى بركة السلطان ، وهي مربعة الشكل ، وطول ضلعها ١٠ م .

وتوجد بركة موسى في وادي القلط * غرب أريحا ، وهي مبنية من الحجارة غير المشذبة ، يبلغ طولها ١٧١ م بعرض ١٤٣ م ، وتتصل بعدّة قنوات تتشعب في وادي القلط .

وتوجد بركة قديمة في الرملة * (بركة الجاموس) ، وبركة رومانية في بيت ليد * (قضاء طولكرم) ، ويعتقد أن أعمدة الشوارع الرومانية في سبسطية * قد أخذت منها . وهناك بركتا الشمس والقمر في قرية إبروقين جنوب غرب نابلس * ، وهما بركتان تمثلان الشمس والقمر .

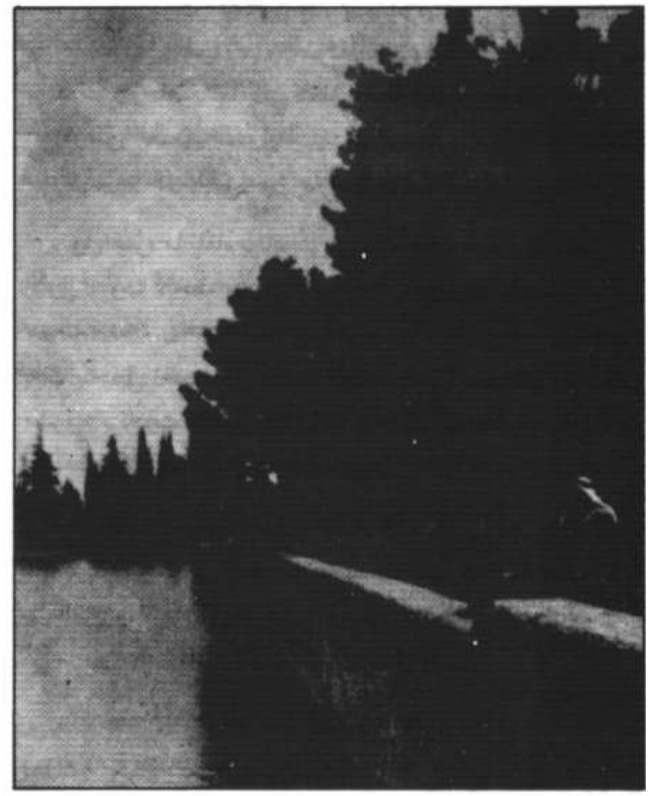

برك سليمان بجبال الخليل

انتشرت حديثا في غور الأردن * مجموعة كبيرة من برك الماء ترى فيها الأسماك * كبرك سهل الحولة * والجسر وبيسان . وفي سهل عكا أيضا برك * لتربية الأسماك .

المراجع :

— Baedeker, K.:**Palaestina und Syrien,** Leipzig 1897.

— Schick, von C.: **Die Wasserversorgung der Stadt,** Jerusalem 1878.

برنادوت (مشروع ـ) :

شعرت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة أن قرار تقسيم فلسطين * الصادر عن الجمعية العامة في ١٩٤٧/١١/٢٩ لم يتضمن حلا مقبولا للنزاع العربي ـ الصهيوني بل زاد من حدة الصدامات بين الجانبين المتنازعين ، ومع اقتراب نهاية الانتداب البريطاني واعتزام الحركة الصهيونية إقامة دولتها في فلسطين ازداد توتر الأوضاع فيها ، وخاصة بعدما تصاعدت الصدامات بين العصابات الصهيونية المسلحة والشعب الفلسطيني الذي هبّ للدفاع عن عروبة بلاده . كل ذلك دعا الجمعية العامة إلى أن تنعقد في ثاني دورة استثنائية لها ، وأن تتخذ عددا من القرارات منها القرار رقم ١٨٦ الصادر بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤ وهو يقضي ، فيما يقضي ، بالآتي :

"تفوّض (الجمعية العامة) وسيطاً تابعاً للأمم المتحدة في فلسطين تختاره لجنة من الجمعية العامة مؤلفة من ممثلي الصين وفرنسا واتحاد الجمهوريات السّوفيتية الاشتراكية والمملكة المتحدة والولايات المتحدة ، ويمارس المهام التالية : استعمال مساعيه الحميدة لدى السلطات المحلية والطائفية في فلسطين في سبيل إيجاد تسوية سلمية للوضع المستقبل في فلسطين . . " .

وطلبت الجمعية العامة من الوسيط المقترح أن يرفع تقارير شهرية عن تقدم مهمته ، أو كلما رأى ذلك ضرورياً ، إلى مجلس الأمن والأمين العام لرفعها إلى أعضاء الأمم المتحدة .

وبناء على توصية إجماعية من اللجنة التي عيّنتها الأمم المتحدة اختير الكونت فولك برنادوت من السويد في ١٩٤٨/٥/٢٠ ليكون الوسيط الدولي المطلوب . وهو ، أي برنادوت (١٨٩٥ ـ ١٩٤٨) ، ضابط سويدي كان يترأس آنذاك لجنة الصليب الأحمر في بلاده . وقد استطاع أن يحقق الهدنة الأولى * في فلسطين في ١٩٤٨/٦/١١ . ثم بدأ ينفذ المهمة التي أوكلتها إليه الأمم المتحدة .

تمكن برنادوت بعد مساع لدى الجانبين العربي والاسرائيلي من الدعوة إلى مفاوضات رودس التي جرت في نهاية عام ١٩٤٨ .

وبعد اتصالات مكثفة بالجانبين توصّل إلى مجموعة من المقترحات حول مستقبل الوضع في فلسطين ، وقد قدمها في ١٩٤٨/٦/٢٧ ، وجاءت فيها النقاط التالية :

١) ينشأ في فلسطين بحدودها التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني الأصلي عام ١٩٢٢ (وفيها شرق الأردن) اتحاد من عضوين أحدهما عربي والآخر يهودي ، وذلك بعد موافقة الطرفين اللذين يعنيهما الأمر .

٢) تجري مفاوضات يساهم فيها الوسيط لتخطيط الحدود بين العضوين على أساس ما يعرضه هذا الوسيط من مقترحات . وحين يتم الاتفاق على النقط الرئيسة تتولى لجنة خاصة تخطيط الحدود نهائياً .

٣) يعمل الاتحاد على تدعيم المصالح الاقتصادية المشتركة وإدارة المنشآت المشتركة وصيانتها بما في ذلك الضرائب والجمارك ، وكذا الإشراف على المشروعات الإنشائية ، وتنسيق السياسة الخارجية والدفاعية .

٤) يكون للاتحاد مجلس مركزي وغير ذلك من الهيئات اللازمة لتصريف شؤونه حسبما يتفق على ذلك عضوا الاتحاد .

٥) لكل عضو في الاتحاد الإشراف على شؤونه الخاصة بما فيها السياسة الخارجية وفقاً لشروط الاتفاقية العامة للاتحاد .

٦) تكون الهجرة إلى أراضي كل عضو محدودة بطاقة ذلك العضو على استيعاب المهاجرين . ولأي عضو بعد عامين من إنشاء الاتحاد الحق في أن يطلب إلى مجلس الاتحاد إعادة النظر في سياسة الهجرة التي يسير عليها العضو الآخر ، ووضع نظام يتمشى والمصالح المشتركة للاتحاد ، وفي إحالة المشكلة ، إذا لزم الأمر ، إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة . ويجب أن يكون قرار هذا المجلس مستندا إلى مبدأ الطاقة الاستيعابية وملزما للعضو الذي تسبب في المشكلة .

٧) كل عضو مسؤول عن حماية الحقوق المدنية وحقوق الأقليات ، على أن تضمن الأمم المتحدة هذه الحقوق .

٨) تقع على عاتق كل عضو مسؤولية حماية الأماكن المقدسة والأبنية والمراكز الدينية ، وضمان الحقوق القائمة في هذا الصدد .

٩) لسكان فلسطين إذا غادروها بسبب الظروف المترتبة على النزاع القائم الحق في العودة إلى بلادهم دون قيد ، واسترجاع ممتلكاتهم .

وقد أتبع برنادوت مقترحاته السابقة بملحق تضمن الآتي :

" بالإشارة إلى الفقرة الثانية من المقترحات يبدو أنه من الأوفق عرض مقترحات تكون أساساً لتخطيط الحدود بين العضوين :

" ١) ضمّ منطقة النقب بأكملها أو جزء منها إلى الأراضي العربية .

" ٢) ضمّ منطقة الجليل الغربي بأكملها أو جزء منها إلى الأراضي اليهودية .

" ٣) إعادة النظر في وضع مدينة يافا .

" ٤) ضم مدينة القدس إلى الأراضي العربية ، ومنح الطائفة اليهودية فيها استقلالا ذاتيا لإدارة شؤونها ، واتخاذ التدابير اللازمة لحماية الأماكن المقدسة .

" ٥) إنشاء ميناء حر في حيفا ، على أن تشمل منطقة الميناء الحر مصانع تكرير البترول ونهاية خط الأنابيب .

"٦) إنشاء ميناء جوي حر في مطار اللد " .

واقترح برنادوت اتحاد شرقي الأردن وفلسطين آخذا بعين الاعتبار الوضع الجغرافي للقطرين .

رفض العرب ممثلين في الأمين العام لجامعة الدول العربية مقترحات برنادوت ، وفنّدوها . وكان الملك عبد الله من أعنف معارضي هذه المقترحات ، خاصة ما تعلق منها بوحدة أراضي شرقي الأردن وفلسطين في الاتحاد المقترح . كذلك رفضت الهيئة العربية العليا * مقترحات برنادوت ، وقدّمت بديلاً لها ما قُدِّم من مقترحات عربية في مؤتمر لندن لعام ١٩٤٦ * .

بالمقابل رفض زعماء الحركة الصهيونية مقترحات الكونت برنادوت ، وخاصة تلك التي تتعلق بمدينة القدس ومنطقة النقب .

وعلى الصعيد الدولي أيّدت بريطانيا والولايات المتحدة مقترحات برنادوت في حين عارضها الاتحاد السوفييتي .

وفي ضوء ما تلقاه برنادوت من ملاحظات وردود على مقترحاته الأولى ، وما لاحظه من مشاهداته عند زيارته لفلسطين ، أعدّ صيغة معدّلة لاقتراحاته عرفت باسم « مشروع برنادوت » بعث به قبل اغتياله إلى الأمين العام للأمم المتحدة . وقد نشر مشروع برنادوت هذا في ١٩٤٨/٩/٢٠ كوثيقة من وثائق الأمم المتحدة . وتتلخص خطوطه العامة فيما يلي :

١) يجب أن يعود السلام العام الشامل إلى ربوع الأراضي المقدسة حتى يمكن إيجاد جو من الهدوء تعود فيه العلاقات الطيبة بين العرب واليهود إلى الوجود . وينبغي على الأمم المتحدة أن تتخذ كل ما من شأنه إيقاف الأعمال العدوانية في فلسطين .

٢) يجب أن يعترف العالم العربي أنه قد أصبح في فلسطين دولة يهودية ذات سيادة تدعى (دولة إسرائيل) وهي تمارس سلطاتها كاملة في جميع الأراضي التي تحتلها .

٣) يجب قيام هذه الدولة الإسرائيلية ضمن الحدود التي نصّ عليها قرار التقسيم مع التعديلات التالية :

(١) تُضم منطقة النقب بما فيها مدينتا المجدل *والفالوجة * إلى الأراضي العربية .

(٢) يمتد خط من الفالوجة إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي من اللد * والرملة * اللتين ينبغي أن تخرجا من أراضي الدولة اليهودية .

(٣) تُضم منطقة الجليل برمتها إلى الدولة اليهودية .

٤) ينبغي أن تعين الحدود على أساس الوحدة الجغرافية والجنسية ، على أن تطبق على الطرفين بالتساوي دون تقيد بالحدود التي عينها قرار التقسيم .

٥) تعين الحدود بين الطرفين (رغم أنه لم تبدر أية بادرة لإنشاء دولة عربية في الأراضي التي خصصها لها قرار التقسيم) باتفاق مشترك بين العرب واليهود ، أو عن طريق الأمم المتحدة .

٦) يترك للدول العربية أن تقرر مصير الأراضي العربية في فلسطين بالتشاور مع سكانها .

٧) بالنظر إلى العلاقات الاقتصادية والتاريخية والجغرافية والسياسية بين المنطقة العربية في فلسطين وشرق الأردن فإن هناك من الأسباب القوية ما يشجع على ضم الأراضي إلى شرق الأردن ، على أن تعدّل الحدود المتاخمة للدول العربية الأخرى .

٨) تعلن حيفا بما في ذلك منشآت البترول مرفأ حرًّا ، على أن يُعطى للدول العربية المعنّية منفذ إلى البحر ، وعلى أن تتعهد الدول العربية بضمان استمرار تدفق البترول العربي إليه .

٩) يُعلَن مطار اللد مطارا حرا ، ويُعطى للدول العربية المعنّية منفذ إليه .

١٠) نظرا لما لمدينة القدس * من أهمية دينية ودولية ينبغي وضعها تحت إشراف الأمم المتحدة ، على أن يعطى العرب واليهود فيها أكبر مدى من الإدارة المحلية ، وعلى أن تُضمن حرية العبادة وزيارة الأماكن المقدسة للراغبين في زيارتها .

١١) يجب أن تؤكد الأمم المتحدة حق الناس الأبرياء الذين شردوا من بيوتهم بسبب الإرهاب الحالي في العودة إلى ديارهم . كما ينبغي أن تدفع تعويضات عن الممتلكات لمن لا يرغب منهم في العودة .

١٢) يجب أن يضمن كل من الطرفين حقوق الأقلية الأخرى التي تسكن منطقته .

١٣) يجب أن تتعهد الأمم المتحدة بضمانات فعالة إزالة مخاوف العرب واليهود كل من الآخر ، وخاصة فيما يتعلق بالحرية والحقوق الإنسانية .

١٤) يجب تعيين مجلس فني من قبل الأمم المتحدة لتعيين الحدود أولا ، ثم لتوثيق العلاقات بين الدولة اليهودية والعرب .

رفضت مقترحات برنادوت المعدّلة الواردة في مشروعه هذا ، كما رفضت مقترحاته الأولى من قبل جميع الأطراف الفلسطينية ، والعربية ، واليهودية . غير أن الرفض الصهيوني كان أعنف بدليل قيام عصابة شتيرن الصهيونية باغتيال برنادوت ومراقب الأمم المتحدة العقيد الفرنسي أندريه سيو جهارا يوم ١٩٤٨/٩/١٧ ، حتى قبل أن قدم برنادوت مشروعه رسميا . وقام مساعده رالف بانش الأمريكي يتابع مهمته كوسيط دولي ، فأشرف على اتفاقيات الهدنة الدائمة * بين كل من (إسرائيل) من جهة ، ومصر والأردن ولبنان وسورية من جهة أخرى .

لم يكن مشروع برنادوت لإعادة السلام إلى فلسطين حلاً للقضية . وقد تجسّد باتفاقيات موقتة لم يكن لها أي طابع سياسي ، وإنما هي اتفاقيات عسكرية أساسها وقف اطلاق النار ، وهي بالتالي لا تمس حقوق الدول العربية والحقوق الثابتة للشعب العربي الفلسطيني .

أما بقية مقترحات برنادوت (أو مشروعه) فقد أخذت طريقها إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة ونوقشت هناك . ويمكن القول إن هذه المقترحات كانت أساسا في إنشاء لجنة التوفيق الدولية * ، كما كانت أساسا في تضمين القرار ١٩٤ (الدورة ٢) الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ فقرة خاصة توجب السماح للفلسطينيين بممارسة حقهم في العودة (رَ : العودة ، حق) .

المراجع :

ـ مهدي عبد الهادي : **المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤** ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **قرارات الأمم المتحدة ١٩٤٨ ـ ١٩٧٤** ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ عادل مالك : **من رودس إلى جنيف** ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، بيروت ١٩٦٠ .

ـ **وثيقة الأمم المتحدة رقم ٦٤٨/أ المتضمنة تقرير الوسيط الدولي** .

برنامج : رَ : بازل رَ : بلتمور

برهان الدين (منبر ـ) :
رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

بروتوكولات حكماء صهيون :

من أشهر وأخطر المطبوعات المعادية لليهودية . وقد نشرها أولا باللغة الروسية سيرجي نيلوس أحد الموظفين الروس في عام ١٩٠٥ (وهناك إحدى النسخ الأصلية منها في المتحف البريطاني) مدعيا أنه استلم المخطوطة في عام ١٩٠١ من صديق له حصل عليها من امرأة سرقتها من أحد أقطاب الماسونية في فرنسا . وتضم دروساً ألقيت على التلامذة اليهود في باريس بعبارات تقطر سما وحقدا ضد الأغيار (والأغيار هم ألغوييم عند اليهود أي الأقوام الأخرى غير اليهود) ، وتضع الخطط للتغلب عليهم والسيطرة على العالم . ومن هنا جاءت فكرة " المؤامرة اليهودية العالمية " التي ارتبط ذكرها بالبروتوكولات . ويكشف الكتاب عن تأثر كاتبه الواضح بالفكر العنصري للقرن التاسع عشر ، ومن ذلك التأكيد على سنن الطبيعة والقوة بدلا من الحق ، وعلى معاداة الثورة الفرنسية ومبادىء الحرية والمساواة والإخاء ، والنيل من مكانة المرأة ومن دور الرأسمال والصناعة الحديثة .

ويؤكد الكاتب أن السياسة لا تخضع للأخلاق ، وأن على اليهود أن يستعملوا الحيلة والدهاء والنفاق ويستغلوا الحريات العامة وإمكانات النقد لتقويض كيان الدول ، ويسعوا لإيقاعها في الحروب على ألا تؤدي هذه الحروب إلى تعديلات في حدود الدول أو الى مكاسب اقليمية ليتمكن رأس المال فقط من الخروج بالغنائم. وينبغي تركيز المنافسة في المجتمع ليجري الجميع نحو بريق الذهب ، ويصبح الدين والسياسة مهزلتين ويسود رأس المال كل شيء .

وقد اكتسح الكتاب ، لعدة سنوات ، الفكر في أوربا حتى قيل : إنه أصبح أكبر كتاب رائج في العالم بعد الكتاب المقدس . كما أنه ترجم إلى العربية وأثر في عقول بعض الناس ردحا من الزمن . ولا شك أن أفكار الكتاب أصابت الأوساط الأوربية المحافظة في الصميم فوجدت فيه تفسيرا لكثير من المظاهر السياسية والاجتماعية والأخلاقية الحديثة التي أرعبتها . ولكن مراسل جريدة التايمس اللندنية في استانبول أعلن في عام ١٩٢١ أن الوثيقة مزورة من أولها إلى آخرها ، فقد عثر على أصلها في كتاب فرنسي جاء به مهاجر روسي اشتراه من ضابط سابق في الأوخرانا (الشرطة السياسية القيصرية) . وكان الكتاب المذكور يحمل مكان النشر في جنيف وتاريخه ١٨٦٤/١٠/١٥ ، ونفد من الأسواق منذ سنين طويلة ، وتضمن هجوماً مستتراً على حكم نابليون الثالث بشكل ٢٥ حواراً بين مونتيسكيو ومكيافيلي ، وعنوان الكتاب : " حوار في الجحيم بين مكيافيلي ومونتيسكيو ، أو سياسة مكيافيلي في القرن التاسع عشر ، بقلم : معاصر " .

وأدى نشر هذا الكتاب إلى سجن المؤلف المحامي موريس جولي . ووجدت نسخة منه في المتحف البريطاني . ولدى مقابلة الكتابين تبين أن بروتوكولات حكماء صهيون لم تتأثر فقط بالمطبوع الفرنسي ، وإنما تضمنت اقتباسات منه بالنص تقريباً . وبمزيد من التحقيق بدت البروتوكولات وكأنها من أشهر التزويرات السياسية في التاريخ . وقد أسند المؤرخ الروسي فلاديمير برستيف نشرها إلى إيعاز من الشرطة السياسية الروسية للنيل من الحركات الثورية والليبرالية وأفكار الثورة الفرنسية ، ولمّ الشعب حول القيصر والأرستقراطية والكنيسة . ولا شك أن تركيز البروتوكولات على هذه العناصر يؤيد الانطباع .

وبالنظر للسمعة الشائنة التي اكتسبتها هذه البروتوكولات فقد استفاد الصهيونيون من ذلك بإرجاع أي نقد ضدهم إلى الوقوع في حبائل البروتوكولات . ويعتبر التعامل بالبروتوكولات أو الاستشهاد بها في الغرب الآن دليلاً على معاداة السامية .

وقد لوحظ أن تصرفات الصهيونية (وإسرائيل) جاءت مصداقاً لما أوردته البروتوكولات من أفكار وتوقعات ، ومن ذلك الارتباط الأخطبوطي للكيان الصهيوني بالكيانات اليهودية عبر العالم ، مما يعطي صدى لفكرة الأفعى الرمزية التي يتردد ذكرها في البروتوكولات بجسمها وذنبها الممتد حول العالم ورأسها المستقر في (إسرائيل) . ومنها أيضاً التأكيد على الصحافة وسيطرة اليهود عليها ، واستخدام المال والإعلام والعلم في التأثير على الدول ، والاعتماد على أي أسلوب مهما كان غير اخلاقي كالرشوة والفساد والمرأة والغش والإرهاب ، ومنها أن على الدولة اليهودية ـ كما تقول البروتوكولات ـ أن تعتمد على العنف والرياء ، وعلى اليهود أن يستغلوا الخلافات بين الدول ويبسطوا نفوذهم عليها ولا يتركوا اتفاقاً يتم دون أن يكون لهم ضلع فيه .

ولئن لاح كل ذلك لبعض الباحثين دليلاً على دقة الملاحظة والإحساس وسعة النظر مما يمتاز به المزوّرون عموماً فان باحثين آخرين وجدوه برهاناً على صحة البروتوكولات وتطبيقاً مخيفاً لوصايا حكماء صهيون في عودة رأس الأفعى إلى القدس (تأسيس إسرائيل) بعد إصابة أوربا بالدمار والخراب . ومما يلفت النظر تزامن الوثيقة مع المؤتمر الصهيوني * الأول .

المراجع :

— The Jewish Peril: **Protocols of the Elders of Zion,** London 1920.

— Cohn, N: **Warrant for Genocide,** London 1961.

— **The Times,** 17 and 18 Aug 1921.

بـروكوبيوس القيسراني :

من أعظم المؤرخين في العهد البيزنطي . ولد في مدينة قيسارية * بفلسطين ، ودرس الحقوق هناك ، ونال قسطا كبيرا من الثقافة اليونانية السائدة إذ ذاك . ثم انتقل الى العاصمة القسطنطينية ، واستطاع أن يلفت الأنظار إليه فعيّن سنة ٥٢٧ م أمينا للسر ومستشارا قانونيا للقائد البيزنطي المشهور بليساريوس الذي استصحبه في حملاته الحربية المتعاقبة بين سنة ٥٣٣ م وسنة ٥٤٠ م . وقد عاد بروكوبيوس بعد ذلك إلى القسطنطينية ، وشهد الطاعون الكبير الذي اجتاح العاصمة البيزنطية في سنة ٥٤٢ م فوصف حوادثه بإسهاب . ثم اختاره الامبراطور جستنيان * عضوا في مجلس الشيوخ ، كما تولى رئاسة بلدية العاصمة حوالي سنة ٥٦٢ م .

انصرف بروكوبيوس إلى تدوين وقائع الحروب التي اشترك فيها إلى جانب القائد بليساريوس . وقد أفاض في وصف مزايا هذا القائد وإبراز أعماله الباهرة وبطولاته في حين أهمل شخص الإمبراطور الذي كان يعرف بشدة بخله . وعني بروكوبيوس بشؤون الكنيسة لكنه كان يبدو في كتاباته أحيانا مسيحيا مؤمنا وأحيانا أخرى متحمساً لآلهة اليونان القدماء .

مؤلفات بروكوبيوس ثلاثة :

١) الحروب : نشره سنة ٥٥٠ م . وأرخ فيه للمعارك التي خاضها البيزنطيون مع الفرس ، وللاستيلاء على مملكة الفاندال في افريقيا ، وللصراع مع القوطيين في صقلية وإيطاليا .

٢) المباني : ألفه بروكوبيوس بتكليف من الإمبراطور جستنيان لوصف الأبنية التي شيدّت في عهده . وقد نشر الكتاب في سنة ٥٦٠ م .

٣) النوادر ، أو التاريخ السري : ويتضمن الفضائح التي لم يذكرها في كتاب الحروب . ولم ينشر بروكوبيوس هذا الكتاب ، بل اكتشف بعد موته ، لأنه خاف نقمة جستنيان .

وقد أبدى بعض الباحثين شكوكهم في أن يكون بروكوبيوس هو الذي كتب المطاعن والانتقادات العنيفة لجستنيان وزوجته تيودورا ، إذ لاحظوا أن مستوى أسلوب « النوادر » هو دون مستوى أسلوب كتاب « الحروب » . ولكن أكثر العلماء يؤكدون النسبة إلى بروكوبيوس قائلين إن الوقت لم يسعفه لإكمال الكتاب وتنقيحه .

يتفق الجميع على أن بروكوبيوس كان يمتاز بالمهارة في ترتيب مواد بحثه ترتيبا منطقيا محكما ، وفي اختيار القصص المثيرة لانتباه القرّاء ، وأنه كان يكتب بلغة يونانية واضحة خالية من الالتواء والتعقيد تكاد لا تقل في فصاحتها عن لغة اليونان الأقدمين .

وقد أثبتت الدراسات الحديثة أن بروكوبيوس كان صادقاً موثوقا في روايته للأحداث التي شاهدها بنفسه ، كما كان دقيقا في معلوماته الجغرافية . ولذلك تعدّ مؤلفاته من المصادر التي لا يستغنى عنها في دراسة عهد جستنيان .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .
ـ ويل ديورانت : قصة الحضارة (مترجم) ، م٤ ، القاهرة ١٩٥٦ .
— **Encyclopedia Britannica Micropaedia** VIII.

بـروكينغز (مشروع ـ) :

نشر معهد بروكينغز *The Brookings Institution* في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية تقريرا في ثلاث وعشرين صفحة عنوانه «نحو السلام في الشرق الأوسط *Toward Peace in the Middle East* » وذلك في ١٩٧٥/١٢/١٧ . وقد أعد التقرير فريق دراسي مؤلف من ستة عشر اختصاصيا أمريكياً . وأنفقت مؤسسة روكفلر على إعداده وطبعه . وترأس الفريق روجر و . هينز ، وضم بين أعضائه مجموعة من أساتذة الجامعات والمؤسسات العلمية المتخصصين في شؤون الشرق الأوسط منهم مورو بيرغر ، وشارل و . يوست ، وزبينيو بريجنسكي الذي أصبح في مطلع ١٩٧٦ مستشار الرئيس الأمريكي جيمي كارتر للأمن القومي . وتميز الفريق ، من حيث تشكيله ، باحتوائه بعض الأعضاء المتحدرين من أصل عربي مثل نجيب حلبي وفريد خوري إلى جانب أعضاء يهود . وهي طريق لجأ إليها المعهد كي يثبت بها موضوعيته وتجرده ، ويحاول ، من خلال ذلك ، أن يؤثر على مختلف الأطراف المهتمة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي في الولايات المتحدة .

ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن لهذا التقرير وأمثاله من التقارير التي تصدرها معاهد ومراكز البحوث والدراسات في الولايات المتحدة سوى قيمة نظرية وشبه أكاديمية .

كتب رئيس المعهد كيرميت غوردون في مقدمة التقرير يقول : " خلال العقود الثلاثة الماضية ازداد اهتمام أمريكا بالصراع العربي ـ الإسرائيلي وبالشرق الأوسط بكامله ازديادا كبيرا . وبالإضافة إلى ذلك فإن دور أمريكا منذ حرب ١٩٧٣ * ازداد أهمية . وبغية تقييم هذا الدور واقتراح كيفية استخدامه على أفضل وجه دعا معهد بروكينغز في الصيف الماضي مجموعة من الأمريكيين البارزين لدراسة الكيفية التي يمكن للولايات المتحدة أن تساعد بها على إنجاز تسوية عملية ومنصفة وثابتة لهذا الصراع العضال " . وختم المقدمة

بقوله : " يستحق هذا التقرير الذي جاء في الوقت المناسب اهتمام الرأي العام الأمريكي وحكومة الولايات المتحدة على أنه بيان عميق وبنّاء لفريق من الأمريكيين يعرفون الشرق الأوسط ويريدون لهذه الأمة أن تساعد تلك المنطقة في طريق السلام " .

يبدأ التقرير بالإشارة إلى أحداث العامين اللذين سبقا تاريخ إعداده ، وهي الحرب العربية ـ الإسرائيلية الرابعة في تشرين الأول ١٩٧٣ وحظر النفط العربي وتأثيره في الغرب (رَ : النفط العربي) ، واتفاقية سيناء الثانية بين مصر وإسرائيل * في أيلول ١٩٧٥ . ويبيّن أن هذه الأحداث أوضحت للحكومة والشعب الأمريكيين الدور الكبير الذي يمكن أن تؤديه الولايات المتحدة في بلوغ السلام في الشرق الأوسط ، ودفعت إلى التساؤ ل عن الطريق التي يمكن بها تحقيق تسوية شاملة ودائمة بين العرب والإسرائيليين .

بغية الإجابة عن هذا التساؤ ل يعالج التقرير موضوع التسوية في خمسة أقسام رئيسة :

أ ـ مصلحة الولايات المتحدة في إقامة سلام دائم في الشرق الأوسط : للولايات المتحدة مصلحة حيوية في إقامة سلام دائم في الشرق الأوسط لأسباب عدة أهمها :

١) أنه اذا لم يتم سلام دائم فان الثورات ستتزايد ، وقد يؤدي ذلك إلى حرب عربية ـ إسرائيلية أخرى قد تنتج عنها مواجهة كبيرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي .

٢) للولايات المتحدة مصلحة كبيرة في الصداقة مع كلا الطرفين ، أي الدول العربية (وإسرائيل) ، وفي أمنها .

٣) للولايات المتحدة مصلحة قوية في التدفق المستمر لنفط الشرق الأوسط نحوها ونحو حلفائها في الغرب واليابان .

٤) للولايات المتحدة مصلحة كبيرة في التجارة والاستثمار والمواصلات عبر المنطقة بكاملها .

ب ـ ما المطلوب لتحقيق التسوية ؟

١) إن القوة الدافعة نحو التسوية ، وقد كانت شديدة في إثر حرب ١٩٦٧ * ثم ضعفت تدريجياً ، قد أحييت ثانية بعد حرب ١٩٧٣ واستمرت ناشطة أثناء اتفاقية سيناء في أيلول ١٩٧٥ . ومن الضروري الحفاظ على هذه القوة الدافعة لأن أي جمود طويل الأمد وأي فشل في التحرك لعدة أشهر سيزيدان من التوتر ، وقد يؤديان إلى تجدد القتال . وليس من الحكمة والأمان ترك الوضع " مجمّدا " مدة أخرى من الزمن . إن العوائق التي تقف في طريق التسوية قد تصبح أقسى مما كانت عليه ، وإن السياسات المعتدلة والزعماء المعتدلين قد يستبدل بهم من هم أكثر تعنّتا ، وإن أمن جميع الأطراف قد يتعرض للخطر بسبب إخفاق الجميع في التصرف في الوقت المناسب .

٢) إن الشروط الأساسية ملائمة الآن للتسوية أكثر من أي وقت مضى ، وربما أكثر من المستقبل القريب أيضاً ." فالدول العربية المجاورة لإسرائيل اعترفت جميعها علنا بها ، وأعربت عن استعدادها ضمن شروط محددة جدا للتفاوض حول تسوية دائمة . وهناك علامات مماثلة منذ حرب ١٩٧٣ على استعداد إسرائيلي للتفاوض ، إما حول المزيد من الخطوات الجزئية أو التسوية الشاملة ، بما في ذلك التسوية التي تأخذ المشكلة الفلسطينية في الحسبان " .

٣) منذ حرب ١٩٧٣ والخطوات الجزئية هي الراجحة في عملية السلام . وإذا ما أريد الحفاظ على حركة التفاوض وتجنب الجمود الطويل الأمد فإن مساعي السلام يجب أن تركز على التفاوض حول تسوية شاملة تتضمن خطوات جزئية ضرورية فقط من أجل إقامة استعدادات أساسية لمثل ذلك التفاوض .

٤) " إن القاعدة الرئيسة للتسوية يجب أن تكون الملاءمة المتبادلة التي يتم التفاوض بشأنها والاتفاق عليها ، وهي الملاءمة بين المطلب الإسرائيلي بشأن السلام والأمن والمطلب العربي بالجلاء عن أراض احتلت في ١٩٦٧ وحق تقرير المصير الفلسطيني .

" إن تلبية المطلب الإسرائيلي تتضمن تعهدات ملزمة من الدول العربية بسلام مستقر . وهي تعهدات بالاعتراف بإسرائيل واحترام سيادتها ، وبالامتناع عن التهديد بالقوة أو استخدامها ضدها ، وبالكف عن الأعمال العدوانية الأخرى ضدها ، وتطوير علاقات طبيعية وإقليمية سياسية واقتصادية معها بصورة تدريجية .

" إن تلبية المطلب العربي تتضمن انسحابا إسرائيليا إلى خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ مع تلك التعديلات التي يتفق عليها الطرفان ، ومع تلك الترتيبات الخاصة بالقدس التي يرضيان بها . كما تتضمن التلبية حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم بشكل من الأشكال يتوافق مع المتطلبات الإسرائيلية الآنفة الذكر . وتتم تلبية المطلب العربي المتعلق بالأمن بجعل التعهدات المذكورة في هذه الفقرة متبادلة " .

٥) يجب أن يتم تطبيق التعهدات خلال سنوات ، وعلى مراحل تحدد في اتفاقيات السلام . ويتم الانسحاب الإسرائيلي والتحرك العربي باتجاه العلاقات الطبيعية ضمن هذه العملية بشكل تَرادُفيّ منسجم . ويجب تشكيل لجان ثنائية أو متعددة الأطراف لبحث الشكاوى حول عدم تنفيذ بنود الاتفاقيات ، ولإزالة الخلافات التي تظهر أثناء تطبيقها المرحلي .

٦) وهناك مطلب الضمانات والإجراءات والمساعدات الدولية . فمن المرغوب فيه أن يصادق مجلس الأمن على اتفاقيات السلام . وإذا ما تضمنت هذه الاتفاقيات إقامة مناطق مجردة من

السلاح فمن المنتظر أن تقدم منظمة الأمم المتحدة قوات لحفظ السلام ، أو مراقبين للإشراف على تلك المناطق .

٧) دلت التجربة على أن من المستبعد أن يكون في قدرة الأطراف في المنطقة أن تتفاوض حول تسوية شاملة دائمة بدون مساعدة ، وهنا يتجلى الدور الأساسي ، وربما الحاسم ، الذي يمكن أن تؤديه القوى الخارجية ، ولا سيما الولايات المتحدة . والتعاون السوفييتي مرغوب فيه كثيراً إلى الحد الذي يراه من أجل قيامه بدور بنّاء .

جـ ـ العناصر الأساسية للتسوية :

١) قبول متبادل وعلاقات سليمة : بعد أن يكرر التقرير ما ورد في الفقرة ب/٤ مع بعض التفصيل يؤكد أن الأعمال المحددة المتبادلة بين الأطراف لتحقيق التقدم نحو العلاقات الطبيعية تعتبر جزءا أساسيا لا غنى عنه في عملية التسوية .

٢) الفلسطينيون : يؤمن الفلسطينيون بأن لهم الحق في تقرير المصير . وكي تكون التسوية السلمية قابلة للحياة والتفاوض والإنجاز " يجب الاعتراف بهذا الحق من حيث المبدأ كجزء من التسوية ، وأن تتم تلبيته على الصعيد العملي . وفي مقابل ذلك على الفلسطينيين أن يعترفوا بالحق ذاته لإسرائيل والأردن ، وأن يعترفوا أيضاً ، بصورة خاصة ، بسيادة إسرائيل ووحدة أراضيها ضمن حدود متفق عليها " ، وأن يقبلوا كل الإجراءات والضمانات التي تتضمنها التسوية السلمية . ومما لا شك فيه أن هذه التسوية لا يمكن أيضا تحقيقها " إلا إذا قبلت إسرائيل مبدأ حق تقرير المصير الفلسطيني . وهناك طرق مقبولة بشكل عام لتطبيق هذا المبدأ عملياً ، إذ يمكن تحقيق ذلك على شكل (١) دولة فلسطينية مستقلة تقبل بتعهدات والتزامات اتفاقيات السلام ، أو (٢) كيان فلسطيني متحد طواعية مع الأردن ولكنه يمارس استقلالاً ذاتيا واسعا " . ويمكن اكمال أي من هذين الشكلين بتعاون اقتصادي وثيق مع (إسرائيل) والأردن قد يتطور إلى سوق مشتركة إقليمية أوسع .

وبالإضافة إلى ذلك يشير التقرير إلى أن التسوية السلمية يجب أن تضم بندا ينص على إعادة توطين أولئك اللاجئين الفلسطينيين الذين يرغبون في العودة إلى أي شكل من أشكال الكيان الفلسطيني الذي يتم إنشاؤه . كما ينص على تعويض معقول عن الأملاك المفقودة سواء للاّجئين العرب من جانب (إسرائيل) أو لليهود الذين كانوا يقيمون في الدول العربية ، وعلى مساعدة اقتصادية للدولة أو الكيان الذي تتمخض عنه ممارسة حق تقرير المصير الفلسطيني تقدمها الدول المجاورة والمجتمع الدولي ابتغاء جعل هذا الكيان قادرا على البقاء والتطور .

تبقى هناك مشكلة من سيفاوض بشكل رسمي باسم الفلسطينيين . ففي حين قبلت الدول العربية في مؤتمر القمة العربي في الرباط عام ١٩٧٤ منظمة التحرير الفلسطينية * ممثلة للفلسطينيين وفعلت مثلها دول أخرى كثيرة فإن "ادعاء المنظمة تمثيل الفلسطينيين ليس بمنأى عن التحدي " .

ويقول التقرير إن منظمة التحرير الفلسطينية لم تعترف علنا بحق (إسرائيل) في الوجود ، كما أن (إسرائيل) لم تعترف بالمنظمة ولا وافقت على إقامة دولة فلسطينية . "ورغم ذلك يمكن القول بثقة إن حل البعد الفلسطيني للصراع سيتطلب اشتراك ممثلين فلسطينيين موثوقين مستعدين لقبول وجود إسرائيل " .

٣) الحدود : إن المبادىء الأساسية التي تتحكم في القسم الخاص بالأراضي من التسوية يجب أن تكون تلك التي نص عليها قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ ، وهي عدم السماح بكسب الأرض عن طريق الحرب ، و "انسحاب إسرائيل من أراض احتلت في النزاع الأخير " ، أي في حرب ١٩٦٧ ، وحق جميع الدول في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها .

" وفي مقابل إقامة إسرائيل المؤكدة لعلاقات سليمة مع جيرانها ، وفي مقابل إجراءات أمن ملائمة، يتوجب عليها ـ أي على إسرائيل ـ أن توافق على الانسحاب إلى خطوط ٥ حزيران ١٩٦٧ مع تلك التعديلات التي يمكن أن تكون مقبولة من الطرفين فقط " .

وفي الشرق الأوسط، كما في أي مكان آخر، تعني الحدود « الآمنة » تلك الحدود التي تعترف بها الأطراف المعنية وتقبلها بكامل حريتها . وما دام طرف أو أكثر يعتقد أن أجزاء من أراضيه ما تزال قيد الضم أو الاستيلاء فإن حدود هذه الأجزاء لن تكون آمنة أبدا .

٤) القدس : إن مشكلة القدس عسيرة الحل . وقد كانت مدار صراع مرير في حربي ١٩٤٨ * و١٩٦٧ . وهي ذات قيمة رمزية رفيعة لدى الطرفين . ولهذا قد يكون من الحكمة أن يترك أمر حل مشكلتها إلى مرحلة متأخرة من مراحل المفاوضات . ومهما كان نوع ذلك الحل فإنه يجب ـ كحد أدنى ـ أن يستجيب للشروط التالية :

(١) أن تكون هناك ممرات حرة إلى جميع الأمكنة المقدسة . وأن يكون كل ممر منها واقعا تحت إشراف أهل الملة صاحبة ذلك المكان المقدس .

(٢) ألاّ تكون هناك حواجز تقسم المدينة وتعيق التحرك الحرّ فيها .

(٣) أن يكون لكل فئة ذات أصل وطني واحد في المدينة حكم محلي واسع في المنطقة التي تسود فيها إذا ما رغبت في ذلك .

ويمكن تحقيق جميع هذه الشروط في المدينة :

(١) تحت حكم إسرائيلي يوفر ممرات حرة إلى الأماكن المقدسة .

(٢) أو تحت سيادتين منفصلتين بحيث تقسم المدينة بين (إسرائيل) والدولة العربية مع تحقيق تحرك حر داخل المدينة .

(٣) أو تحت أي شكل من الشكلين السابقين مع سلطة دولية تسود منطقة يتفق على تحديدها ، مثل المدينة القديمة المسوّرة ، مع ممرات حرة إليها من (إسرائيل) ومن الدول العربية .

وفي جميع الأحوال يجب أن تحقق هذه الحلول ، أو أية حلول أخرى ، الشروط الثلاثة المذكورة .

٥) مراحل التنفيذ : إن التسوية الشاملة يجب ان تتضمن ، كجزء لا يتجزأ منها ، مراحل تنفيذ تلك التسوية . كما يجب أن تحدد تلك المراحل بصورة دقيقة في اتفاقيات السلام . ويعتقد أصحاب التقرير أيضاً أن جميع جوانب التسوية يجب أن تصاغ صياغة واضحة في اتفاقية أو اتفاقيات سلام يوقع عليها على أنها « صفقة شاملة » . ويمكن النص على تنفيذ بعض أحكام تلك الاتفاقيات خلال مدة قصيرة بعد التوقيع في حين يتطلب تنفيذ الأحكام الأخرى مدة أطول ربما بلغت عدة سنوات ، وبخاصة تلك الأحكام المتعلقة بخطوات الانسحاب التي يجب أن تتماشى مع تدابير الأمن وخطوات إقامة علاقات سلمية وطبيعية .

إن هذا التنفيذ المرحلي يسمح لكل طرف بأن يتأكد قبل الانتقال إلى المرحلة التالية من أن الطرف الأخر قد نفذ جميع ما التزم به من أحكام تخص المرحلة السابقة . وبهذه الطريقة لا يشعر أي طرف بأنه ملزم بتطبيق أي جزء من الاتفاقية من طرف واحد فقط في حين يكون الطرف الآخر قد أخلّ بتنفيذ التزاماته الخاصة بالمرحلة السابقة .

٦) الإجراءات الوقائية والضمانات والمساعدات : يجب تعزيز اتفاقيات السلام وإكمالها بنطاق واسع من الإجراءات الوقائية والتأكيدات والضمانات والمساعدات ينص على بعضها في اتفاقيات السلام ذاتها ، وتحدد الأخرى في اتفاقيات أو رسائل منفصلة .

وإذاوجد بعض الأطراف أن الضمانات الدولية والاتفاقيات والإجراءات الوقائية التي تم الاتفاق عليها غير كافية للتأكد من عدم خرق أحكام الاتفاقيات فله أن يسعى وراء ضمانات متممة من قوة خارجية أو أكثر .

وستكون الاتفاقيات بحاجة إلى إتمامها ببنود بشأن المساعدات الاقتصادية الضرورية التي ستقدمها الدول الغنية إلى دول المنطقة وشعوبها لتعينها على التطور السلمي والاستقرار .

د ـ عملية التفاوض : لقد جربت وسائل عدة منذ عام ١٩٦٧ من أجل تحقيق السلام . أما بعد حرب ١٩٧٣ فقد كان التركيز منصبّا على الخطوات الجزئية وحدها . وحينما تم التوقيع على اتفاقية سيناء في أيلول ١٩٧٥ نشأت بعض الصعوبات الهامة في طريق سياسة الخطوات الجزئية ، مما جعل عملية التسوية معقدة . يضاف إلى ذلك أن الاتحاد السوفييتي ، وهو الرئيس المشارك لمؤتمر السلام * في جنيف وصاحب المصالح والنفوذ في المنطقة ، أبدى انزعاجه من هذه السياسة . ولقد أصبح واضحا بعد ذلك أنه لا بديل عن عملية التفاوض التي تضم جميع الأطراف في الصراع .

وفي حين تبدو الرغبة في تحقيق التسوية الشاملة واضحة تبدو وسائل تحقيق هذه التسوية غير واضحة . وهنا يبدو أن مؤتمرا عاما يعقد في جنيف ، أو في أي مكان آخر ، ويضم جميع أطراف الصراع ، له فوائده ومضاره ، لكن فوائده حقيقية وأساسية .

هـ ـ دور الولايات المتحدة في عمليات التسوية : دلت تجارب الأعوام الماضية على أن الحكومات العربية والإسرائيلية غير قادرة على التوصل إلى تسوية بدون تشجيع من القوى الكبرى . ويشكل إسهام الاتحاد السوفييتي في تحقيق التسوية الشاملة " عنصرا مساعدا ، وربما أساسياً " . أما الولايات المتحدة فإنها " تتمتع بمقدار من ثقة الأطراف في الجانبين ، وتمتلك الوسائل لمساعدتها اقتصاديا وعسكريا " . وهي لذلك تبقى " القوة الكبرى الأفضل المهيأة إيجابيا للعمل مع هذه الأطراف لتحقيق التسوية " . ومهما كان الأمر فإن " الولايات المتحدة لا تستطيع فرض التسوية سواء بمفردها أو مع الاتحاد السوفييتي . وليس من الحكمة بالنسبة إليها أيضا أن تحاول وضع مسوّدة مفصلة حول الشكل الذي تعتقد أن التسوية يجب أن تكون عليه ، بل يجب أن تتفاوض الأطراف كلها وتتفق فيما بينها بمبادرتها الخاصة " غير أن هذا لا يعني أن الولايات المتحدة ، وحدها أو مع قوى أخرى ، لا تستطيع في أي وقت من الأوقات تقديم مقترحات تساعد الأطراف المتفاوضة على تذليل الصعوبات التي تواجهها .

البِروَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسيرة ٩ كم شرقي مدينة عكا * . وقد قامت أجزاء القرية الشرقية والشمالية والجنوبية على تلة صخرية ، أما القسم الغربي فسهلي .

يحد البروة من الجنوب وادي الحلزون * الذي تصب مياهه في نهر النعامين * . وقد سماها الصليبيون « بروت » ، ومرّ بها الرحالة ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

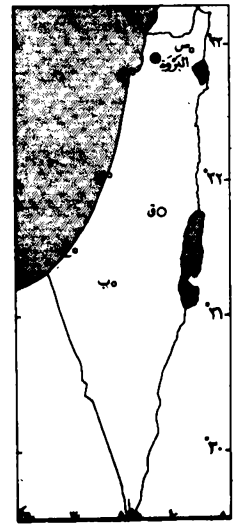

بلغت مساحة القرية ٥٩ دونماً ، أما مساحة الأراضي التابعة لها فكانت ١٣,٤٨٣ دونماً منها ٣,٠٣١ دونماً من الأراضي غير الزراعية والباقي ، وهو ١٠,٤٥٢ دونماً ، أراض زراعية يزرع فيها القمح * والشعير والذرة والسمسم والبطيخ . ومن هذه الأراضي نحو ١,٥٠٠ دونم تكسوها أشجار الزيتون * . وقد كانت في القرية ثلاث معاصر لاستخراج الزيت ، إحداها حديثة . ولم تتعد مساحة ما امتلكه الصهيونيون من أراضي القرية ٥٤٦ دونماً ، أما الباقي فكان ملكاً للعرب .

تربة القرية حمراء عدا المنطقة التي تحيط بالبئر الغربية حيث توجد تلة جلمة فتربتها سوداء (رَ : القرية) . وتستمد القرية مياه الشرب من نبع البئر الغربية التي يستقي منها السكان المجاورون لها . أما سكان المنطقة الشرقية والجنوبية فيستقون من بئر المغير الواقعة في أراضي قرية شعب .

بلغ عدد سكان البروة في أواخر القرن الماضي ٧٥٥ نسمة ، وأصبح في عام ١٩٤٥ نحو ١,٤٦٠ . ومخطط القرية على شكل مجمع بنيت فيه المنازل على طريقين متقاطعين . والمنازل حجرية سُقف القديم منها بالخشب واللبن ، وسقف الحديث بالإسمنت المسلح . وقد تطور عمران القرية في الحقبة الأخيرة ، وازداد عدد الأبنية فيها زيادة واضحة . وضمت القرية مسجداً وكنيسة ومدرسة ابتدائية للبنين حتى الصف السادس أسست في العهد العثماني وظلت حتى نهاية الانتداب البريطاني ، ومدرسة ابتدائية أخرى للبنات أعلى صفوفها الرابع .

عثر في تل البير الغربي على آثار أسس جدران صخرية وبقايا أعمدة . ووجدت في تل قبر البدوية شمالي شرق القرية آثار حجارة منحوتة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

أبلى أهل القرية بلاء حسناً ضد قوات الانتداب البريطاني في ثورة ١٩٣٦ * ، مما دفع البريطانيين إلى الانتقام والاقتصاص منهم . كذلك كان لأهل القرية وقفة بطولية في حرب ١٩٤٨ * بعد سقوط مدينة عكا (رَ : عكا ، معركة ـ) ، فقد رفضوا الاستسلام للصهيونيين وقاوموهم ولجأوا إلى الجبال وتركوا الصهيونيين يدخلون القرية وكرّوا عليهم وهزموهم .

ثم كرر الصهيونيون الهجوم واحتلوا القرية يوم ١٩٤٨/٦/٢٤ فأجلوا سكانها عنها ودمروها .

أقام الصهيونيون على أراضي البروة ، بعد عامين ، مستعمرة « أحيهود » وأسكنوا فيها مهاجرين من اليمن والمغرب .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أحمد سامح الخالدي : أهل العلم والحكم في ريف فلسطين ، عمان ١٩٦٨ .
ـ مجلة الحرية : ١٥ أيار ١٩٧٨ .
— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945,** Beirut 1970.

البُـرَيْـج (قـرية ـ) :

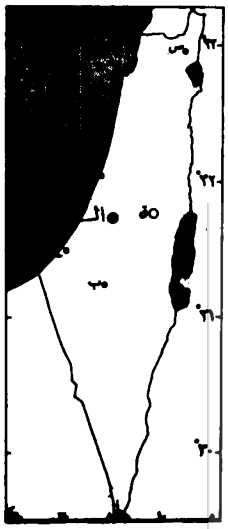

قرية عربية تقع غربي الجنوب الغرب لمدينة القدس * ، وترتبطها دروب ممهدة بقرى زكريا * وعجور * وبيت جمال ودير أبان * ودير رافات وسجد وخربة بيت فار * . وتبعد إلى الغرب من طريق زكريا ـ عرطوف المعبدة قرابة ٤ كم ، وإلى الجنوب من خط سكة حديد القدس ـ يافا نحو ٣ كم تقريباً .

أقيمت البريج فوق رقعة متموجة من الأرض على ربوة ترتفع ٢٥٠ م عن سطح البحر . ولعل موضعها هذا أثر في تسميتها المحرفة عن كلمة « بيرجوس » اليونانية بمعنى المكان العالي المشرف للمراقبة . وتمتد مباني القرية بين وادي عمورية في الشمال ووادي خلة البيارة في الجنوب ، وهذان الواديان هما المجرى الأعلى لوادي البيطار المتجه نحو وادي الصرار * . ويجري الوادي الأخير على مسافة ٣ كم تقريباً إلى الشمال من البريج . وقد بنيت بيوت البريج من الإسمنت والحجر ، واتخذ مخططها شكلاً مبعثراً ، فامتد جزء من القرية فوق ربوة من الأرض فِي حين امتد جزء آخر فوق سفوحها وجزء ثالث عند أقدامها . وقد توسعت القرية في معظم الجهات على شكل محاور بمحاذاة الدروب المتفرعة منها حتى اقترب الشكل العام لمخطط القرية من شكل النجمة . وكانت القرية تفتقر للمرافق والخدمات العامة ، ولكنها غنية بالخرائب الأثرية حولها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي البريج ١٩,٠٨٠ دونماً منها ١١٤ دونماً للطرق ، وهي ملك لسكانها العرب . ويزرع في أراضيها الحبوب * وبعض أنواع الخضر * والأشجار المثمرة ، وبخاصة أشجار الزيتون * وتعتمد الزراعة * فيها على الأمطار ، وتنمو في أراضيها بعض الأشجار الحرجية والشجيرات والأعشاب الطبيعية التي ترعاها المواشي ، وكانت أخشابها تستخدم وقوداً .

ضمت البريج عام ١٩٢٢ نحو ٣٨٢ نسمة . وفي عام ١٩٣١ ارتفع العدد إلى ٦٢١ نسمة كانوا يقيمون في ١٣٢ بيتاً . وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد سكانها بنحو ٧٢٠ نسمة . وقد طرد الصهيونيون سكانها في عام ١٩٤٨ ودمروا بيوتهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

بريجينيف (مشروع ـ) :

ألقى رئيس مجلس السوفييت الأعلى ليونيد بريجينيف يوم ١٩٨٢/٩/١٥ خطاباً بيّن فيه المبادىء التي يرى الإتحاد السوفييتي أن يقوم عليها « السلام العادل والراسخ في الشرق الأوسط » .

وقد جاء خطاب الرئيس السوفييتي وكان العدوان الإسرائيلي على لبنان الذي بدأ يوم ١٩٨٢/٦/٦ ما يزال مستمراً . كما أن مشروعه للسلام هذا جاء بعد خروج قوات الثورة الفلسطينية من مدينة بيروت الغربية ، وبعد نحو أسبوعين من إعلان الرئيس الأمريكي رونالد ريغان مشروعه للسلام في الشرق الأوسط (رَ : ريغان ، مشروع) ، وبعد نحو أسبوع من انعقاد مؤتمر القمة العربي الثاني عشر *

لهذا كان من الطبيعي أن يحيي الرئيس السوفييتي الشعب الفلسطيني ، وأن يؤكد أنه " لم يتسنّ لهم (للإسرائيليين) أن يلغوا القضية الفلسطينية ، أو أن يقضوا عليها ، لا بالسيف ولا بالنار . وعلى عكس ذلك فإن بطولة الفلسطينيين في المعارك ضد قوات العدو المتفوقة عدّة مرّات رفعت من سمعة منظمة التحرير الفلسطينية * ووزنها السياسي " .

وكان من الطبيعي أيضاً أن ينادي المشروع السوفييتي بأن تكون الخطوة الأولى والضرورية في البحث عن السلام في الشرق الأوسط هي انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان .

لم يلجأ الرئيس السوفييتي إلى الردّ على مشروع الرئيس الأمريكي أو التعليق عليه إلا في أمر واحد هو المتعلق بإقامة الدولة الفلسطينية . فقد قال الرئيس بريجينيف : " إن إدارة واشنطن إذ تعارض إقامة الفلسطينيين دولة خاصة بهم تشكك في الأساس القانوني لوجود إسرائيل أيضاً ، ذلك لأن القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ كان ينصّ على تأسيس دولتين ذاتي سيادة عربية ويهودية ، على أراضي فلسطين التي كانت تحت الانتداب . ولم يلغ أحد هذا القرار ، ولا يحق لأحد إلغاؤه . ومن التهوّر الاعتقاد بأنه يمكن تنفيذ ذلك الجزء من هذا القرار الذي يتعلق بإقامة دولة يهودية ، وتجاهل الجزء الآخر الذي ينصّ على إقامة دولة فلسطينية عربية تجاهلاً أبدياً (ر : تقسيم فلسطين) .

وقال الرئيس بريجينيف إن " السلام العادل والراسخ في الشرق الأوسط " يجب أن يقوم على مبادىء ستة تنسجم مع القواعد العامة للقانون الدولي ، ومع قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن قضية فلسطين والشرق الأوسط . وهذه المبادىء هي :

١) تطبيق مبدأ عدم جواز الاستيلاء على أراضي الآخرين عن طريق العدوان . " ويعني هذا ان تعاد إلى العرب جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، أي مرتفعات الجولان والضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي اللبنانية . كما يجب أن تعلن حدود بين إسرائيل وجيرانها العرب ثابتة وغير قابلة للتغيير " .

٢) " وجوب تأمين الحق الثابت للشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولة مستقلة خاصة به عملياً في الأراضي الفلسطينية التي سوف يتمّ تحريرها من الاحتلال الإسرائيلي ، أي الضفة الغربية وقطاع غزة . كما يجب تمكين اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى ديارهم ، أو الحصول على تعويض مناسب لممتلكاتهم المتروكة ، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة " .

٣) إعادة الجزء الشرقي من القدس إلى العرب ، وهو الجزء الذي احتلته (إسرائيل) سنة ١٩٦٧ ، " والذي ينبغي أن يصبح جزءاً لا يتجزأ من الدولة الفلسطينية " . ويجب أن تؤمن حرية ممارسة الشعائر الدينية للأديان الثلاثة في مدينة القدس .

٤) " وجوب تأمين حق جميع دول المنطقة في الوجود والتطور السلميين والآمنين ، وذلك بشرط مراعاة مبدأ التعامل بالمثل ، لأنه لا يمكن ضمان أمن البعض بانتهاك أمن الآخرين " .

٥) وجوب إنهاء حالة الحرب وإحلال السلام بين الدول العربية و (إسرائيل) . ويعني هذا " أن على جميع الأطراف المشاركة في النزاع ، ومنها إسرائيل والدولة الفلسطينية ، أن تلتزم بالاحترام المتبادل لسيادة واستقلال ووحدة أراضي بعضها بعضاً ، وبحلّ النزاعات الناشئة بينها بوسائل سلمية ، وعن طريق المفاوضات " .

٦) وجوب إعداد وإقرار ضمانات دولية للتسوية . ويمكن أن يقوم بمهمة الضامنين للتسوية " الأعضاء الدائمون في مجلس الأمن أو المجلس كلّه بصورة عامّة " .

وقال الرئيس بريجينيف في ختام خطابه : " إن هذه التسوية الشاملة والعادلة فعلاً والثابتة حقاً لا يمكن إعدادها وتحقيقها إلا بواسطة الجهود الجماعية بمشاركة جميع الأطراف ذات الشأن ، ومنها بالطبع منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني " .

رحّبت بعض الحكومات العربية بالمشروع السوفييتي بتصريحات أدلى بها بعض المسؤولين وأشاروا فيها إلى ما في المشروع من مبادىء إيجابية .. وكذلك فعلت بعض أجهزة الإعلام العربية .

أما في (إسرائيل) فقد اكتفت الحكومة وأجهزة الإعلام بنقد المشروع السوفييتي ورفضه .

المرجع :

ـ نشرة وكالة « نوفوستي » : العدد ٤٥٢٠ ، بتاريخ ١٩٨٢/٩/١٦ ، دمشق .

البريد :

عُني خلفاء المسلمين وحكامهم بالبريد ، وأقاموا لنقله الخيول ، ورتبوا له الأميال (منارات يهتدي بها أصحاب البريد) والمحطات ، ومهدوا طرقه وشادوا عليها الخانات ، ونصبوا ألواحاً لتقدير الأميال بين المواقع . وقد عثر المنقّبون في فلسطين على بعض تلك الألواح التي يعود تاريخها إلى عصر بني أمية ، منها لوح حجري مستطيل الشكل وجد بين بيت المقدس وأريحا * نقش بداخله ستة أسطر نصها : " أمر بعمارة هذا الطريق وصنعة الأميال عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين رحمة الله عليه ، من إيلياء إلى هذا الميل ثمانية أميال " . كما عثر على لوح مماثل في طريق يافا يعود لذلك العصر .

استمرت عناية الأمويين ، ثم العباسيين ، بالبريد . ودأب بنو زنكي في الحفاظ على البريد ونقله بالجمال والحمام . كما استعان به الأيوبيون في أثناء حربهم للصليبيين . وفي عهد المماليك * كانت إعادة تنظيم البريد من أهم وسائل السلطان الظاهر بيبرس * في ربط أجزاء دولته بحاضرتها ، فأقام الغلمان والخيول على مراحل معينة من سائر طرق البريد في السلطنة . وبلغت عناية المماليك بالبريد في فلسطين أن جعلوا مراكزه سلطانية ذات اصطبلات وخدم ، وبها خيل السلطان تشترى من ماله وتصرف لها العلوفات .

ولا شك في أن الفتن والحروب التي تعرضت لها البلاد قد أعاقت انتظام سير البريد . فأدّت الحروب الصليبية إلى هجر طرق البريد المعتادة في فلسطين ، كما تسبب غزو تيمورلنك لبلاد الشام في بطلان البريد من سائر الممالك الشامية . إلّا أن البريد سرعان ما كان يعود إلى سابق عهده بزوال أسباب انقطاعه .

وقد تميّز رسل البريد بعلامات خاصة تسهيلاً لمهماتهم ، وكانت شارة البريدي في العصر العباسي * قطعة من فضة بقدر الكف يعلقها العامل على كتفه كتب على إحدى صفحتيها البسملة واسم الخليفة ، وعلى الصفحة الأخرى : " إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً " . وفي عصر المماليك كانت لوحاً من الفضة منقوشاً على أحد وجهيه : " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " ، وعلى الوجه الآخر " عزّ لمولانا السلطان الملك الفلاني . . " ، وفي اللوح ثقب معلق به شرابة من حرير أصفر ذات بندين يجعلها البريدي في عنقه . فيصير اللوح أمامه تحت ثيابه ، والشرابة الصفراء خلفه من فوق ثيابه ، فكل من رآها علم أنه بريدي .

وقد انتشرت طرق البريد ومراكزه في فلسطين ، وتشعبت بين مدن وقرى البلاد ، واجتازتها إلى الأمصار المجاورة نظراً لأهمية موقع فلسطين بين أقاليم العالم الإسلامي . وفي كل مركز بريد عدد من الخيول المعدة للركوب تعرف بخيل البريد . فإذا وصل البريدي إلى مركز منها وقد تعب فرسه ركب غيره ، وكذلك يفعل في الأماكن التالية حتى يصل بسرعة . وفي أكثر المراكز أقيمت خانات لمبيت البريديين كخان بيت داراس وخان الطيرة ، وخان جنين . وبعض الخانات بفلسطين ما تزال آثارها باقية حتى اليوم .

وتوزعت مراكز البريد في فلسطين من غزة * إلى جهات القاهرة وصفد * ودمشق والكرك . أمّا مراكز البريد من غزة إلى القاهرة فكانت : الدّاروم ، والسلقة ، ورفح * ، والزّعقة ، والخرُّوبة ، والعريش ، وبئر القاضي ، والورّادة ، والسوادة ، والمطيلب ، وصبيحة نخلة معن ، وقطيا ، والغرابي ، وحبوة ، والقصير ، وبئر غذى ، والصالحية ، وقبر الوايلي ، والخطّارة ، والسعيدية . وعلى طريق بريد غزة ـ صفد كانت مراكز في : الجيتين ، وتبنين ، وحطين * ، ثم صفد . ومنها إلى دمشق مراكز : لغران ، وأرينبة ، وبزيج الفلوس .

وانتشرت مراكز البريد من غزة إلى دمشق على النحو التالي : الجيتين ، وبيت داراس ، وقطرة * ، ولد ، والعوجاء ، والطيرة * ، وقاقون * ، وفحمة ، وجنين * ، وزرعين ، وعين جالوت * ، وبيسان * ، والمجامع ـ جسر المجامع الحالي ـ ، والقصير ، وزحر ، وإربد ، وطفس ، والجامع ، والصنمين ، وغباغب ، والكسوة .

وتقع بين غزة والكرك مراكز البريد في كل من : ملاقس ، والخليل * وجنبا ، والصافية ، فالكرك . وإذا كانت مواقع مراكز

البريد على عهد القلقشندي على تلك الصفة فمما لا ريب فيه أن بعض تلك المواقع قد غيّرت أثناء الحكم الإسلامي وفقاً لما اقتضته مصلحة البريديين من تقريب مسافة ، أو اختيار مكان أكثر أمناً . كما روعي أن يكون مركز البريد قرب قرية ، أو بجوار نبع ماء . وأدّت عوامل اختيار تلك المواقع إلى اختلاف المسافات بينها ، فالمسافة من العريش إلى غزة أربعة وعشرون ميلاً ، ثم إلى أسدود * عشرون ميلاً ، ثم إلى الرملة * اثنا عشر ميلا .

أما البريد الطائر فقد شاع استخدامه في العصر العباسي ، وخطت الحكومات الإسلامية خطوات واسعة في تنظيم نقل البريد بالحمام الرسائلي المعروف بحمام الزاجل . وبالغ الفاطميون * في الاهتمام به ، وأفردوا للحمام ديواناً وجرائد بأنسابه . وفي عهد الدولتين النورية والأيوبية زاد الاهتمام بالحمام ، واشتدت الحاجة إليه لاستفحال الخطر الصليبي . كما عني سلاطين المماليك عناية كبيرة بتنظيم استخدام الحمام في حمل المكاتبات بين نيابات دولتهم .

وامتاز التراسل بواسطة الحمام باختيار نوع من الورق الخفيف والكتابة بخط دقيق إضافة الى الإيجاز في مضمون الرسالة وصغر حجمها . وتثبت الرسالة تحت جناح الحمامة ، أو تشدّ إلى ذيلها . ولزيادة الاطمئنان ترسل الرسالة مع حمامتين ، تطلق إحداهما بعد ساعتين من إطلاق الأخرى ، حتى إذا ضلّت إحداهما أو قتلت أمكن الاعتماد على الأخرى .

وقد أقيمت للحمام أبراج موزعة على الطرق الرئيسة ، والمسافة بين البرج والآخر أطول من المسافة التي تكون بين مركزي بريد . وحين تحط الحمامة بأحد الأبراج يقوم البرّاج الموكل بخدمة الحمام بإخراج الرسالة وربطها بحمامة أخرى من حمام المركز التالي . وهكذا يفعل البرّاجون حتى تصل الرسالة إلى غايتها . وكان هناك نوع من الحمام أقدر على قطع المسافات الطويلة من سواه . فإذا أطلق من دمشق وصل القاهرة دون توقف .

وقد انتشرت في فلسطين شبكة متداخلة من أبراج الحمام امتدت من غزة في جنوب البلاد إلى صفد في شمالها ، إلى جانب الأبراج التي وصلت غزة بمصر وبدمشق وبالكرك .

وتوزعت محطات الحمام بين غزة ومصر على النحو التالي : الورّادة ، وقَطْيا ، والصالحية ، وبلبيس ، وأبراج قلعة الجبل بالقاهرة .

بينما كانت مطارات الحمام تتوزع من غزة إلى دمشق في : لد ، وقاقون ،وجنين ،وبيسان ،وإربد ،وطفس ،والصنمين ،ودمشق .

أما مراكز الحمام من غزة إلى الكرك فهي : الخليل ، والصافية ، والكرك . كما ارتبطت غزة بأبراج مدينتي بيت المقدس ونابلس .

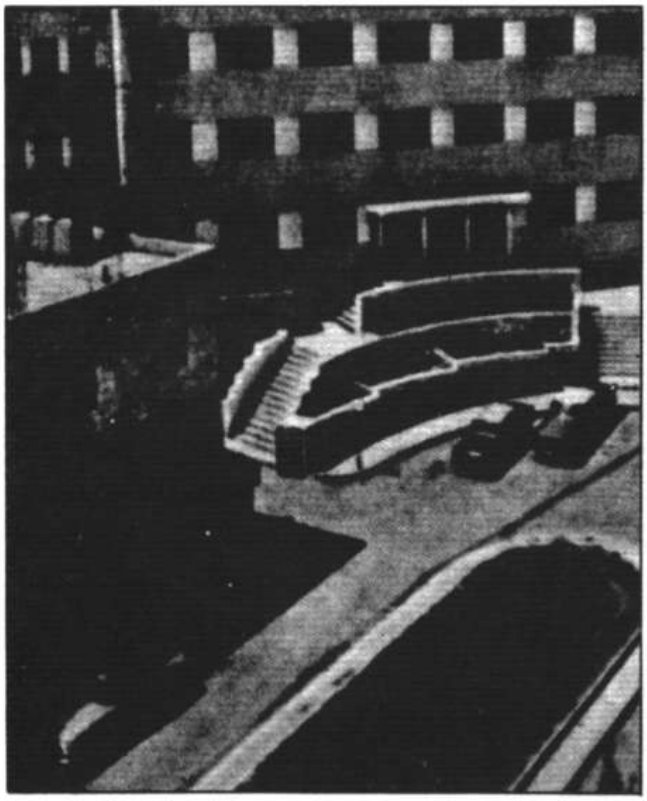

دائرة البريد بالقدس

وقد استعمل العرب وسائل أخرى في نقل الأخبار كنظام المناور ، ونجحوا في تطوير هذا النظام ، واستخدموه بفعالية في نقل الأخبار بسرعة ودقة . فكان البريد يأتي من سرعة الخبر بما لا يأتي به غيره ، والحمام يأتي من الخبر بما هو أسرع من البريد ، والمناور تأتي من الخبر بما هو أسرع من الحمام .

والمناور أو المنائر أبراج تقام في الأماكن المرتفعة ، وتشحن بالحراس والمرابطين الذين يرصدون ما حولهم ، فإن كشفوا عدوّاً أشعلوا النار ليلاً ، أو أثاروا الدخان نهاراً ، ضمّاً للأطراف وإنذاراً باقتراب العدو ، فتنقل الإشارات عبر المناور لتصل إلى الجهة المقصودة .

وقد استخدم الصليبيون في فلسطين نظام المناور بمهارة ، فاختاروا إقامة قلاعهم في الأماكن المرتفعة تسهيلاً للاتصال فيما بينها عن طريق الإشارات الضوئية . وعندما حاصر صلاح الدين الأيوبي * الكرك سنة ٥٧٩هـ / ١١٨٣م اتصل الفرنج بإخوانهم في بيت المقدس عن هذا الطريق طالبين منهم النصرة .

واختلفت رموز وإشارات المنورين عند نقل الخبر من جهة إلى أخرى باختلاف حال النار من شدة توهجها أو ضعفه إلى تعداد

مشاعلها في الموضع الواحد ومدى ارتفاعها في السماء . وكانت نساء الخيالة من النصارى العرب المقيمين في عكا * يبعثن بالإشارات للمسلمين بإيقاد الشموع من نوافذ بيوتهن المقابلة لجبل الكرمل * المطل على عكا ، ويخبرنهم عن حركة الفرنج وعددهم واتجاههم . فإذا عزموا على مهاجمة المسلمين تفتح المرأة الطاقة وتشعل بها شموعاً تدل الشمعة منها على مائة فارس ، فإذا كانوا يزيدون قصد ناحية أشارت إليها . وكان المعظّم عيسى بن أحمد بن أيوب * يضع عيوناً لتلقّي هذه الإشارات وإرسالها إلى دمشق ، فيأخذ المسلمون حذرهم ويخرجون لملاقاة العدو .

وقد تطلّب الإيقاد والمراقبة ذكاءً نادراً ويقظة تامة ، ولا سيما أن المناور استعملت في أكثر من غرض منها أن سفن الروم كانت تقلع إلى سواحل فلسطين بالأسرى ، فإذا تراءت مراكبهم قام المرابطون بإيقاد النار أو إثارة الدخان . " ومن كل رباط إلى القصبة عدة مناثر شاهقة ، فإذا أوقدت أولاها أوقدت التي تليها ثم الأخرى ، فلا يكون ساعة إلا وقد أنفر بالقصبة وضرب الطبل على المنارة ، ونودي إلى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح والقوة ، ثم يكون الفداء " . ورباطات فلسطين اللاتي يقع بهن الفداء : غزة ، وميماس ، وعسقلان ، وماحوز ، وأسدود ، ويُبنة * ، ويافا * ، وأرسوف .

ونظّم المماليك استخدام المناور وعمّموها ما بين الفرات وحاضرتهم في مصر عندما أخذ التتار * يهددون أمن دولتهم وسلامتها . ورتبوا في كل منور الديادب والنظارة لرؤية ما وراءهم وإيراء ما أمامهم ، فكانت تلك المناور ترسل إشاراتها من البيرة والرحبة ، فإذا ما وصلت الإشارة إلى جبال إربد انتقلت عبر مناثر فلسطين في : بيسان ، وجنين ، وفحمه ، وشرفة قاقون ، وأطراف أعمال نابلس ، والجبل المصاقب لمجدل يابا ، وياسور ، وحدب غزة ، وهي آخر المناور ، وترسل منها الأخبار إلى القاهرة على الجناح والبريد . وبلغت فعالية هذا النظام في عهد المماليك أن الخبر إذا أرسل من الفرات صباحاً وصل القاهرة عشاء، وإذا أرسل عشاء وصل صباحاً .

المراجع :

ـ ابن فضل الله العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، القاهرة ١٣١٢هـ .
ـ القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القاهرة ١٣٣١ ـ ١٣٣٨هـ .
ـ محمودالعابدي : الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .
ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
ـ المقريزي : الخطط المقريزية ، القاهرة ١٣٢٦هـ .
ـ نظير حسان سعداوي : نظام البريد في الدولة الإسلامية ، القاهرة ١٩٥٣ .

بُـرَيْـر (قـريـة ـ) :

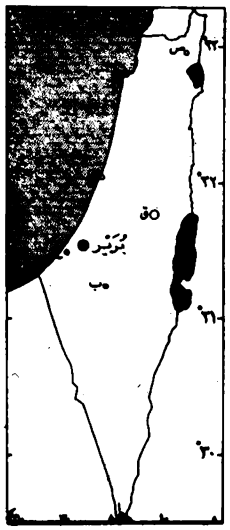

قرية عربية تقع على بعد ٢١ كم شمالي شرق غزة * ، وعلى بعد ١٩ كم جنوبي غرب الفالوجة * . وقد برزت أهمية موقعها الجغرافي منذ الحرب العالمية الثانية عندما قامت سلطة الانتداب البريطاني بشق طريق رئيسة معبدة توازي الطريق الساحلية الرئيسة غزة ـ يافا ، وتقطع طريق الفالوجة ـ المجدل ، وتربط بين غزة ومعسكر الجيش البريطاني في جولس * مارة بقرية برير .

نشأت برير في بقعة شبه منبسطة من السهل الساحلي * على ارتفاع ٧٠م عن سطح البحر . يمر بطرف القرية الشرقي وادي القاعة أحد روافد وادي الشقفات الذي يمر جنوبي برير متجهاً نحو الغرب ليرفد بدوره وادي الحسي * . وقد اتجه نمو العمران في القرية ، بسبب الرغبة في المحافظة على الأراضي الزراعية ، ناحية الغرب حيث منطقة تل الشقف التي يزيد ارتفاعها ٣٠م عن مستوى الارتفاع العام لأرض القرية . بلغت مساحة رقعة القرية زهاء ١٣٠ دونماً ، ومعظم أبنيتها من اللبن . أما شوارعها فقد جعلها التفاوت في المستويات الطبوغرافية تأخذ شكلاً دائرياً أو شبه دائري غير منظم في معظم الجهات ، ولا سيما الجهة الغربية .

مساحة الأراضي التابعة لبرير ٤٦,١٨٤ دونماً منها ٨٥٤ دونماً للطرق والأودية ، و٦١٨ دونماً كان يتملكها الصهيونيون . وتربتها صالحة للزراعة : فيها التربة * الطينية السمراء والتربة الطفلية التي تجود فيها زراعة الحبوب * والفواكه ، ولا سيما الحمضيات * والعنب * والتين وأصناف الخضر* . والزراعة*في برير ناجحة بسبب توافر المياه الجوفية ومياه الأمطار . والقرية تشرب من ثلاث آبار بداخلها . وقد قام السكان في سنوات القرية الأخيرة بحفر الآبار الارتوازية وغرس الكثير من الأشجار المثمرة كأشجار الحمضيات والعنب واللوز والمشمش والتين وغيرها .

عثر على النفط * في أواخر عهد الانتداب قريباً من برير . وقد حفرت شركة بترول العراق البريطانية بعض الآبار على بعد كيلو متر واحد شمالي القرية .

ضم قلب القرية سوقاً تجارية ، ومركزاً للخدمات الصحية وثلاثة جوامع . وكانت تقام في بريركل أربعاء سوق يقصدها سكان القرى المجاورة والبدو . وقد ضمت القرية مطحنة ومدرستين واحدة للبنين وأخرى للبنات .

نما عدد سكان برير من ١,٥٩١ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ٢,٧٤٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وكان معظمهم يعمل في الزراعة وتربية الأغنام (رَ : الحيوانات الأليفة) .

طرد الصهيونيون سكان القرية عام ١٩٤٨ ، ودمروها ، وبنوا في أراضيها مستعمرات « زوهر ، وحلتس ، وتلاميم ، وبرور حايل » ، واستغلوا أرضها لزراعة الحمضيات ، وجلبوا إليها المياه من مستعمرة « كفار عام » ، وتابعوا حفر آبار النفط وبدأوا يستثمرونه .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير .

بريطانيا :

أ ـ قبل ١٩٤٨ : كانت بريطانيا كما أثبتت الأحداث من الدول الأوربية الأولى التي وقفت إلى جانب اليهودية العالمية ، وأيّدت اتجاهاتها وتطلعاتها ، وتبنّت الحركة الصهيونية وأسهمت في تحمل عبء تحقيق أهدافها وأمانيها .

ثمة عامل هام جعل الإنكليز يقفون إلى جانب الصهيونيين ومطامعهم في العصر الحديث هو العامل الروحي أو الديني . وفي هذا يقول حاييم وايزمن زعيم الحركة الصهيونية في مذكّراته « التجربة والخطأ » الصادرة عام ١٩٤٩ : " ولم يخطر على بال بعضهم أن رجالاً من أمثال بلفور وتشرشل ولويد جورج كانوا متدينين في أعماق قلوبهم ومؤمنين بالتوراة * ، وبأن عودة اليهود إلى فلسطين مسألة واقعية حقيقية ، ولذلك فإنهم جعلوا ينظرون إلينا ، نحن الصهيونيين ، ممثلين لفكرة يحترمونها احتراما عظيما " .

ومما هو جدير بالتسجيل للتدليل على استمرار التعاون وتطوره بين الفريقين أن احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢ م جاء في عام نشوء الحركة الصهيونية التي تكرّس إعلان قيامها في مؤتمر بال عام ١٨٩٧ م، وأن قسماً من اليهود بحث عام ١٩٠٣ مع الحكومة البريطانية في إنشاء وطن قومي لليهود في سيناء تمهيداً للوصول إلى فلسطين ، وأن بريطانيا تبنت قرارات المؤتمر الصهيوني * العالمي في بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وأن السفير البريطاني في إستانبول يومئذ عمل بنشاط على دعم هرتزل في زيارته للعاصمة العثمانية وضغطه على السلطان والحكومة العثمانية للقبول بمطالب هرتزل .

ويشيد وايزمن في مذكراته بمواقف بريطانيا من الحركة الصهيونية وتأييدها لأهدافها وأغراضها فيقول : "إن بريطانيا احتضنت الحركة الصهيونية ، وأخذت على عاتقها تحقيق أهدافها " ، ويضيف : " أن لندن هي الطريق الذي يوصل إلى فلسطين " .

ومن الثابت أن بريطانيا لعبت أعظم الأدوار في تحطيم الدولة العثمانية . وكان حافزها الأساسي إلى هذا العمل مزدوجا :

١) الاستيلاء على الولايات المشرقية العربية التابعة للدولة العثمانية لأغراضها الاستعمارية .

٢) السيطرة على فلسطين لتحويلها ، عبر الأيام ، إلى دولة يهودية تكون في الوقت نفسه أداة لإحباط فكرة الوحدة العربية ، وفاصلا سياسياً وعسكرياً بين مشرق الوطن العربي ومغربه ، وتكون حاجزا وقائيا بريطانيا متقدما في الوطن العربي يحمي قواعدها فيه .

ظهرت نيّات بريطانيا وسياستها المبيّتة وتواطؤها مع الصهيونيين بأجلى وضوح خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨). فبعد أن تعهدت بريطانيا للشريف الحسين بن علي بلسان مكماهون ممثلها في مصر بمساعدة العرب على تحرير بلادهم وتحقيق وحدتهم سعت في ما عقب ذلك من إجراء المباحثات وتبادل المراسلات مع الشريف الحسين (رَ : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) إلى إخراج فلسطين من نطاق البلاد العربية الموعودة بالاستقلال ، وإسباغ صفة جغرافية وسياسية خاصة تمهد السبيل للسيطرة البريطانية عليها .

وكان الحلفاء ـ رغم الوعود المقطوعة للحسين ـ قد عقدوا فيما بينهم اتفاقات ومعاهدات سرّية مثل اتفاقية « باليالوغ ـ سازانوف » واتفاقية « سايكس ـ بيكو * » لتقسيم الأراضي العربية بين فرنسا وبريطانيا وجعل فلسطين من نصيب بريطانيا . ولم تلبث الأيام أن كشفت النقاب عن هذه الاتفاقات والمعاهدات السرّية . ولّما اطلع العرب عليها هددوا بالاتصال بالدولة العثمانية لعقد صلح منفرد معها . ولكن الإنكليز بادروا إلى طمأنة العرب وتجديد وعودهم لهم .

ولّما انتهت الحرب وتبيّن عزم الحلفاء على تقسيم الديار السورية (سورية ولبنان وفلسطين وشرق الأردن) احتج العرب على خطة الحلفاء ، وتظاهروا في الأقاليم السورية استنكارا لها ، فأصدرت القيادة العامة للحلفاء بتاريخ ١٩١٨/١١/١٨ بيانا أكدّت فيه " أن السبب الذي من أجله حاربت فرنسا وبريطانيا في الشرق إنما هو

تحرير الشعوب التي رزحت أجيالاً طويلة تحت حكم مظالم الأتراك تحريرا تاما نهائياً " .

وسقطت فلسطين بأيدي القوات البريطانية (١٩١٧ - ١٩١٨) وظهرت سياسة بريطانيا على حقيقتها .

وتقطع أدلّة كثيرة خلال الحرب العالمية الأولى بوجود تفاهم وتعاون بين بريطانيا والصهيونية العالمية لتمهيد السبيل إلى تحقيق الأهداف الاستعمارية والصهيونية المرسومة . ففضلا عن وعد بلفور * شكلّت بريطانيا فرقة نقل يهودية خاصة عرفت بفرقة البغّالة *Mules Corps* وألحقتها بالجيش البريطاني الذي بدأ الزحف على فلسطين من مصر في صيف ١٩١٦ بقيادة الجنرال أللنبي . وسلّحت الكثيرين من الشبان اليهود وضمّتهم إلى هذا الجيش ، ووافقت على انضمام لجنة استشارية صهيونية برئاسة وايزمن إلى القيادة العامة (قيادة أللنبي) . وقد رافقت هذه اللجنة الصهيونية القيادة العامة البريطانية منذ بداية الزحف إلى فلسطين وحتى إتمام احتلالها .

وجرت خلال سني الحرب مباحثات بين الحكومة البريطانية وزعماء الصهيونية للوصول إلى اتفاق بشأن إعطاء الصهيونيين فلسطين بعد نهاية الحرب . وحرص الصهيونيون على إظهار محاسن مثل هذا الاتفاق للاستعمار البريطاني . وقد مهّد وايزمن لذلك برسالة نشرها بتاريخ ١٩١٥/١١/١٢ في جريدة « المانشستر غارديان » جاء فيها ما يلي :

" إذا دخلت فلسطين ضمن منطقة النفوذ البريطاني ووافقت الحكومة البريطانية على تشجيع إسكان اليهود فيها فإنه يمكن أن يصير لنا فيها خلال عشرين أو ثلاثين عاما نحو مليون يهودي ، أو ربما أكثر من ذلك ، فيشكلون حراسة عملية قوية لقناة السويس " .

واستمرت المباحثات والمفاوضات بين الفريقين مدّة عامين ، ووصلت في خريف عام ١٩١٧ إلى ذروتها عندما أخذت وزارة الحرب البريطانية تبحث رسميا في مسألة تحقيق الأهداف الصهيونية في فلسطين ، وإصدار وعد بهذا الشأن . وقد جاء في مذكرات وايزمن أنه بعث رسالة الى وزارة الحرب البريطانية بتاريخ ١٩١٧/١٠/١٤ قال فيها :

" إننا نعلن لكم بصراحة واحترام أننا نترك بين أيديكم مصيرنا الوطني والصهيوني آملين أن تنظروا إلى قضيتنا في ضوء مصالح الإمبراطورية البريطانية " .

وفي غضون هذه المباحثات والمفاوضات صدر وعد بلفور . وكان يظن أنه عمل بريطاني محض ، ولكن الوثائق الرسمية أثبتت فيما بعد أن نص تصريح بلفور هذا كان قد قدّم إلى الرئيس الأمريكي وودرو ولسون وأنه وافق عليه قبل إعلانه . ففي ١٩١٧/١٠/١٦ أرسل الكولونيل هاوس الدبلوماسي الامريكي برقية إلى وزارة الحرب البريطانية يعلمها فيها موافقة الرئيس الأمريكي والحكومة الأمريكية على نصّ التصريح ، وعلى إصداره باسم بريطانيا . وفي ١٩١٨/٢/١٤ أعلنت فرنسا تأييدها للتصريح . وفي ١٩١٨/٥/٩ أعلنت إيطاليا تأييدها له .

وقد جعل الإنكليز تصريح بلفور قاعدتهم الأساسية التي ينطلقون منها إلى تهويد فلسطين . فإنهم لمّا أتموا احتلال فلسطين في ١٩١٨ ، أنشأوا فيها إدارة عسكرية بريطانية لحكم البلاد (رَ : الإدارة) ، وقد بادرت هذه الإدارة إلى فتح أبواب فلسطين للهجرة الصهيونية ، وتسهيل أمر استيلاء الصهيونيين على أراضي البلاد (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) في حين سمحت للجنود اليهود المسرحين الذين كانوا يعملون في جيش أللنبي بالمجيء إلى فلسطين ومعهم أسلحتهم الخفيفة ، وسمحت هذه الإدارة للصهيونيين بإنشاء نواد وجمعيات ومؤسسات ومنظمات سرّية شبه عسكرية منها « المكابي » و« ترمبلدور » و« حماة إسرائيل » و« البيتار » وغيرها . كذلك وافقت الحكومة البريطانية على نقل مقر الجمعية الصهيونية إلى القدس .

أما العرب فكان نصيبهم ، منذ البداية ، اضطهاد الإنكليز لهم ، وحرمانهم من العمل السياسي والتسلّح ، وإيجاد السبل والوسائل التي تجعلهم ضعفاء أمام السياسة الاستعمارية الصهيونية ، وفي وضع لا يستطيعون معه مقاومة الغزوة الصهيونية . وبالرغم من ذلك قاوم العرب في الأقاليم السورية وبخاصة في فلسطين هذه السياسة بجميع الوسائل التي أتيحت لهم ، وبمختلف أشكال المقاومة المسلحة والسياسية والشعبية وغيرها ، ولم يتركوا وسيلة إلاّ لجأوا إلى استخدامها من أجل تثبيت حقوقهم والحفاظ على وطنهم وعروبتهم .

وقبل أن تنتهي الحرب العالمية الأولى اتفقت بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا على إنشاء منظمة عصبة الأمم * ووضعت لها عهدا (ميثاقا) . فوجد دهاقنة الاستعمار في هذه الخطوة سبيلا لبلوغ هدفهم فضمّنوا عهد عصبة الأمم فكرة الانتداب كشكل قانوني مقنع من أشكال الاستعمار (المادة ٢٢ من عهد العصبة) .

وأدرك العرب في الأقاليم السورية كنه هذه الحيلة ، ورغبة الدول الاستعمارية في إيجاد قناع له سمة دولية تخفي وراءه أهدافها وأغراضها الحقيقية ، فاحتّجوا على فكرة الانتداب ، وأعلنوا تمسكهم بالوحدة والاستقلال ورفض وعد بلفور . وقام الفلسطينيون بمظاهرات صاخبة عنيفة ضد الوعود ومشروع الانتداب .

وعلى الرغم من هذا كله ، ومن نص المادة الثانية والعشرين من

عهد عصبة الأمم بأن يكون لرغائب أهل البلاد الاعتبار الأول في اختيار الدولة المنتدبة ، فإن مجلس الحلفاء الأعلى قرر في ١٩٢٠/٤/٢٠ وضع فلسطين تحت انتداب بريطانيا على أن تلتزم بتنفيذ وعد بلفور .

واجتمعت عصبة الأمم في ١٩٢٢/٧/٢٤ وقرّرت " وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني تنفيذا لقرار مجلس الحلفاء الأعلى الصادر في ١٩٢٠/٤/٢٠ " . وأقرّت العصبة في الاجتماع ذاته صكّا للانتداب البريطاني على فلسطين (رَ : الانتداب على فلسطين ، صكّ) وأذاعت مواده ونصوصه كأنها قرارات صادرة عنها . واتخذت الحكومة البريطانية صك الانتداب قاعدة ثابتة أخرى للاستمرار في سياستها الرامية إلى تمهيد فلسطين .

والحقيقة أن الحكومة البريطانية هي التي وضعت هذا الصك بالاتفاق والتعاون المباشر مع زعماء الصهيونية ، وانتهت من إعداده في ١٩١٩/٢/٣ ، أي قبل أن تقرر عصبة الأمم رسميا وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني بمدّة ثلاثة أعوام وخمسة أشهر .

وكانت الإدارة العسكرية البريطانية في فلسطين قد مهّدت السبيل لتنفيذ سياستها وخططها . ولكن التنفيذ اتخذ شكلا عمليا في صيف عام ١٩٢٠ عندما استعاضت الحكومة البريطانية عن الإدارة العسكرية بإدارة مدنية جعلت على رأسها هربرت صموئيل ، وهو يهودي بريطاني كان معروفا بنشاطه في الحركة الصهيونية وأطلق عليه لقب « المندوب السامي البريطاني لفلسطين » .

نظّم هربرت صموئيل إدارة البلاد على أساس استعماري وصهيوني بحت ، فأسند رئاسة الدوائر والوظائف العليا إلى أشخاص من الإنكليز والصهيونيين ، فكان رؤساء دوائر المهاجرة والسفر والأراضي من اليهود (الإنكليز) . وأنشأت الحكومة دائرة خاصة باسم دائرة النيابات العامة ، وجعلت من اختصاصاتها سنّ القوانين ووضع الأنظمة ، وعينت نورمان بنتويتش (وهو يهودي بريطاني) رئيساً لهذه الدائرة ومستشاراً قضائيا للحكومة ، وعينت جميع حكام الألوية من البريطانيين . أما العرب فإن الحكومة عيّنت منهم عددا من « القائمقامين » والضباط في دائرة الأمن العام ، وجعلت من نصيبهم بوجه عام الوظائف الصغيرة والثانوية . إضافة إلى ذلك أمعنت حكومة الانتداب في التحيّز ضد العرب :

١) فقد أهملت مثلا مصالح العرب التجارية والاقتصادية والزراعية ، وعملت باستمرار على الإضرار بها وتقويضها لصالح الصهيونيين في جميع المجالات .

٢) وحرمت العرب من كل حق في المساهمة والمشاركة في الإدارة والحكم والتشريع . ولم تحافظ إطلاقا على حقوق الفلاحين والمزارعين في الأراضي التي انتقلت إلى الصهيونيين . وفي حين رفضت الحكومة السماح للعرب بتولي إدارة المعارف (التعليم) ومدارسهم العربية سلّمت الصهيونيين إدارة معارفهم ومدارسهم .

٣) وجعلت جميع الأنظمة والقوانين التي أسرفت في سنّها ووضعها في خدمة المصلحة الصهيونية والإضرار بمصلحة العرب وكيانهم .

٤) ورفضت إنشاء حكومة وطنية كان من المفروض أن تشكل في فلسطين الموضوعة تحت الانتداب من الدرجة (أ) في حين قامت حكومات وطنية في الأقطار الأخرى الموضوعة تحت انتداب مماثل (سورية ولبنان وشرقي الأردن والعراق) . ثم إن الحكومة البريطانية عملت بصورة خاصة على تشجيع الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وتمكين الصهيونيين من الاستيلاء على أراضيها . وكان من نتائج سياسة الحكومة البريطانية وإجراءاتها وتدابيرها وأنظمتها وقوانينها أن ارتفع عدد الصهيونيين في فلسطين من نحو خمسين ألفا في عام ١٩١٨ إلى أكثر من ستمائة وخمسين ألف نسمة في أواخر عام ١٩٤٧ . وفي حين كان الصهيونيون يملكون ويتصرفون بنحو ٦٥٠ ألف دونم عام ١٩١٨ غدوا يملكون ويتصرفون بنحو ٢,٠٥٧,٠٠٠ دونم من مساحة فلسطين البالغة ١٧,٤٨٥,٠٠٠ دونم معظمها من أجود الأراضي الزراعية .

كانت الحكومة البريطانية تعلم تماما أن مقاومة الشعب العربي الفلسطيني لسياستها ورفضه الاعتراف بالأسس التي بنيت عليها يعيقان تنفيذ هذه السياسة ويحرمانها من كل صفة شرعية وقانونية ، ويفسحان المجال أمام أعداء بريطانيا في المجال الدولي لنقدها وتجريحها وإثبات افتقارها إلى الشرعية . لأجل هذا جعلت الحكومة البريطانية الحصول على اعتراف الشعب الفلسطيني بوجودها وبسياستها قاعدة أساسية من قواعد سياستها ، وبذلت خلال عهد الانتداب أعظم الجهود لتنتزع من هذا الشعب الاعتراف الذي كانت تنشده . ولجأت من أجل ذلك إلى شتّى الوسائل ومختلف الأساليب ، واستعملت ما تحذقه من طرق المكر والمخادعة والعنف والاضطهاد للتحايل على الشعب الفلسطيني وإيقاعه في شرك الاعتراف المطلوب . ففي عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ عرضت الحكومة البريطانية على البلاد مشروعا لإنشاء « مجلس تشريعي » فرفضه العرب لأنه مبنيّ على تصريح بلفور والانتداب . ثم عرضت مشروع إنشاء « مجلس استشاري » فرفضه العرب للسبب نفسه (رَ : المجلس الاستشاري لفلسطين) . وبعد ذلك عرضت عليهم مشروع إنشاء « وكالة عربية » فرفضه العرب أيضا . ولو أن الشعب الفلسطيني قبل هذه المشاريع يومئذ لقامت الدولة اليهودية في عام ١٩٣٤ كما كان متفقا عليه بين بريطانيا والحركة الصهيونية . يقول حاييم وايزمن في مذكراته : " إن مقاومة الفلسطينيين العنيفة

ومواقف المفتي أمين الحسيني والثورات التي أشعلها هي التي أخّرت تنفيذ البرنامج اليهودي في فلسطين إلى عام ١٩٤٨ في حين كان مقررا له أن يحقق في عام ١٩٣٤ على الأكثر " .

ووضعت بريطانيا فيما بعد سلسلة أخرى من المشاريع المبنية على أساس تصريح بلفور والانتداب ، فرفضها العرب أيضاً، ومنها مشروع تقسيم فلسطين إلى مقاطعات (كانتونات) عام ١٩٣٠ ، والكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ (رَ : باسفيلد ، كتاب ـ الأبيض) ، ومشروع المجلس التشريعي لعام ١٩٣٥ ، والكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ (رَ: ماكدونالد ، كتاب ـ الأبيض) ، ومشروع موريسون * عام ١٩٤٦ ، وغيرها .

وفي الحين الذي كان الشعب الفلسطيني يرفض فيه المشاريع المبنية على أساس تصريح بلفور والانتداب كان يطالب ، باستمرار ، بإنشاء حكومة وطنية للبلاد يشترك فيها العرب واليهود بحسب أعدادهم . وكانت الحكومة البريطانية ترفض هذا الطلب بإصرار . وقد جاء الرفض الأول في الكتاب الأبيض الذي أصدره وزير المستعمرات ونستون تشرشل عام ١٩٢٢ وفيه : "إن الحكومة البريطانية لا تستطيع الموافقة على إنشاء حكومة وطنية لأن إنشاء مثل هذه الحكومة يعيق ويعرقل تنفيذ خطة إنشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين "(رَ : تشرشل ، كتاب ـ الأبيض) .

أيقن الإنكليز والصهيونيون على ضوء اشتداد المقاومة الفلسطينية للحكم البريطاني والغزوة الصهيونية أن القوة المسلحة هي الوسيلة الأساسية للقضاء على الفلسطينيين وتحويل فلسطين إلى دولة يهودية ، فانطلقوا بصورة علنية يعملون على تسليح الصهيونيين وتدريبهم .

وأخذ الصهيونيون ينقلون الأسلحة إلى فلسطين تحت بصر الحكومة البريطانية وعلى مسمع منها ، ويوزعونها على منظماتهم العسكرية . واستغل الإنكليز ثورة فلسطين سنة ١٩٢٩ لوضع نواة لجيش صهيوني زاعمين أن المستعمرات الصهيونية معرضة لأخطار هجمات عربية (رَ : ثورة ١٩٢٩) . فأنشأ الإنكليز قوة مسلحة من الشباب الصهيونيين باسم « بوليس المستعمرات » وجعلوها تابعة لإدارة الأمن العام . وفي الوقت نفسه رخّص الأنكليز للصهيونيين بتأليف فرق عسكرية تابعة للوكالة اليهودية * بحجة لزومها للدفاع عن الشعب اليهودي عامة ، وانتدبوا بعض الضباط والخبراء الإنكليز لتدريب أفراد هذه الفرق . وزوّد الإنكليز المستعمرات الصهيونية بكميات كبيرة من الأسلحة والذخائر وضعوها في صناديق (مغلقة ومختومة) مصرحين ـ بغرض تضليل العرب ـ بأنها لا تفتح إلّا بأمر من الحكومة .

وبلغ تسلح الصهيونيين ذروته في عامي ١٩٣٣ و١٩٣٤ . وفي أول تشرين الأول ١٩٣٤ وصلت إلى ميناء يافا شحنة مؤلفة من ٥٣٤ برميلاً ذكرت أوراق شحنها أن ما فيها هو « إسمنت وزفت يابس »، مستوردان باسم شخص صهيوني في تل أبيب . وسقط أحد هذه البراميل مصادفة على الأرض وتحطم فتبيّن أنه يحتوي على أسلحة فتدخلت الشرطة وفتحت سائر البراميل فوجدتها كلها مملوءة بالأسلحة والذخائر . وعلى الرغم من ذلك سمحت السلطات البريطانية بنقل هذه الكمية الضخمة من الأسلحة إلى الصهيونيين .

وقدّم الإنكليز كميات كبيرة من الأسلحة للصهيونيين خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * . ولمّا نشبت الحرب العالمية الثانية ضاعف الإنكليز جهودهم لتنظيم الصهيونيين عسكريا وتسليحهم على نطاق واسع . وشكّلت الحكومة « الفيلق اليهودي » ، فلمّا انتهت الحرب سمح لأفراده بالمجيء إلى فلسطين ومعهم أسلحتهم . وكانت الحكومة قد انتدبت في الثلاثينات عددا من ضباطها لتدريب أفراد منظمة الهاغاناه * منهم « ونغيت » خبير حروب العصابات الذي نيطت به مهمة تدريب المسلحين الصهيونيين وتعليم الهاغاناه حروب العصابات وكيفية مقاومة العرب .

وهرّب الصهيونيون إلى فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية ، بمعرفة الجيش البريطاني والأمريكيين ، كميات ضخمة من الأسحلة كان منها شحنة مؤلفة من مئات البنادق والرشاشات ومائة ألف طلقة (عام ١٩٤١) ، ومنها شحنة أحضرها جنود إنكليز بقيادة المدعو « سيركين » تألفت من ألف بندقية ورشاش ومئات الآلاف من الطلقات (عام ١٩٣٤) .

وكانت الحكومة البريطانية تعتقل ـ من قبيل الشكل ـ المهاجرين الصهيونيين « غير الشرعيين » خلال الحرب وتنقلهم إلى جزيرة قبرص حيث كانت تتولى تدريب الشبان منهم وتسليحهم . وقد نقل هؤلاء إلى فلسطين عام ١٩٤٨ خلال ثورة فلسطين على التقسيم .

وكانت بريطانيا تدّعي ، باستمرار ، أنها تتبع في إدارة فلسطين سياسة « محايدة » ، وتعمل على الحفاظ على مصالح العرب واقتصادهم وكيانهم ، وتعلن أنه من خطتها أن تصبح فلسطين دولة يهودية . ولكن بريطانيا كانت تبطّن وتنفذ غير ما تعلن ، ولم تلبث أن كشفت النقاب عن حقيقة سياستها وأهدافها خلال الحرب العالمية الثانية فقد أهملت سياسة كتابها الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وسمحت باستمرار الهجرة الصهيونية إلى فلسطين ، وانطلق الكثيرون من رجال الدين وزعماء الأحزاب وقادة الرأي العام ورؤساء المعاهد العلمية الإنكليز يؤيدون خطة جعل فلسطين دولة يهودية . وفي كانون الأول عام ١٩٤٤ عقدت اللجنة المركزية لحزب العمال البريطاني اجتماعا استثنائيا في لندن قررت فيه وجوب جعل فلسطين

دولة يهودية وإخراج أهلها العرب منها إلى الأقطار المجاورة . وكان رئيس حزب العمال وبعض أقطابه الذين حضروا الاجتماع واتخذوا هذا القرار أعضاء في الوزارة البريطانية برئاسة ونستون تشرشل .

وأعلنت بريطانيا دائما أنها تنظر إلى قضية فلسطين على أنها مسألة نزاع داخلي هي وحدها مسؤولة عنه وعن حلّه وإنهائه ، وكانت دائما ترفض نقل هذه القضية إلى المحيط الدولي ، وتعارض كل تدخل « خارجي » بأمرها وكثيرا ما احتجت على تقارير وتوصيات كانت تصدرها بين الفينة والفينة « لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الأمم » بشأن فلسطين .

ولكن بريطانيا لم تلبث أن تخلّت عن موقفها هذا ، وقررت نقل القضية إلى المحيط الدولي . فقد أيقنت عام ١٩٤٦ أن الظرف الدولي بات مؤاتيا لتحقيق إنشاء الدولة اليهودية ، فرفعت القضية بالتواطؤ والتفاهم مع الصهيونية العالمية والولايات المتحدة إلى منظمة الأمم المتحدة للنظر في حل لها . وكان أن صدر قرار التقسيم في ١٩٤٧/١١/٢٩ (رَ : تقسيم فلسطين) .

وعندما جرى التصويت في الجمعية العمومية للأمم المتحدة على مشروع تقسيم فلسطين استنكفت بريطانيا عن التصويت علماً بأنها كانت واثقة ومطمئنة إلى حصول المشروع على أكثرية الأصوات . وقد اتخذت هذا الموقف لمخادعة العرب والمسلمين وإيهامهم بأنها ليست فريقا في جريمة تقسيم فلسطين .

ولكن الحكومة البريطانية ، رغم موقفها الآنف ذكره ، كانت الفريق الأول والأساسي في التخطيط والإعداد للتقسيم ، ثم لتحقيقه .

ولمّا نشبت الثورة الفلسطينية ضد التقسيم سارعت بريطانيا وقواتها المسلحة في فلسطين إلى مساندة الصهيونيين واضطهاد العرب والبطش بهم ومحاولة تقويض ثورتهم . فكانت القوات البريطانية ترافق القوافل الصهيونية لحمايتها ، وتنقل المؤن والأسلحة والذخائر للصهيونيين المحاصرين في القدس وغيرها ، وتشترك مع قوات الهاغاناه والمنظمات الصهيونية السرّية الإرهابية في مقاتلة المجاهدين العرب .

وقدّم الإنكليز للصهيونيين كميات هائلة من الأسلحة والمعدات التي كانت موجودة في الثكنات العسكرية البريطانية في الرملة واللد ورأس العين وعاقر ووادي الصرار وبيت داراس والسميرية والبصّة والزيب وغيرها من المراكز العسكرية القريبة من المناطق الصهيونية . كذلك أعطى الإنكليز الصهيونيين بعض المطارات العسكرية لاستعمالها ، وقدموا لهم كميات كبيرة من مخلفات الجيش البريطاني في فلسطين والشرق الأوسط تقدّر قيمتها بنحو خمسة ملايين من الجنيهات منها ٢٤ طائرة تدريب وعشرات السيارات الكبيرة والصغيرة ومصفحات ومعدات حربية وأجهزة مختلفة . وباع الإنكليز الصهيونيين - وكان البيع صوريا لإخفاء الحقيقة - معسكرات وثكنات ومطارات بريطانية كثيرة أخرى في فلسطين .

وفي شهري شباط وآذار ١٩٤٨ انسحب الإنكليز من تل أبيب ومساحات واسعة من الأراضي التي تقع فيها مستعمرات صهيونية وسلّموها إلى الوكالة اليهودية لإدارتها، فجعل الصهيونيون يستوردون عبر ميناء تل أبيب الأسلحة والذخائر والمعدات والمؤن في حين جعلوا يستقبلون في هذه المناطق الطائرات القادمة باستمرار من براغ عاصمة تشيكوسلوفاكيا حاملة الأسلحة والمتطوعين من الشرق والغرب على السواء .

كذلك قدّمت بريطانيا موعد انسحابها المقرر من فلسطين إلى ١٩٤٨/٥/١٤ لتفسح المجال أمام الحركة الصهيونية كي تعلن قيام (دولة إسرائيل) عشية ذلك اليوم .

كان من أهداف سياسة بريطانيا في فلسطين تقويض كل مقاومة عربية لخطتها ، والقضاء على كل معارضة لحكمها ، وتعفية آثار كل نضال ضد الغزوة الصهيونية . وبغية بلوغ هذا الهدف لم تتورع بريطانيا خلال الثلاثين عاما من حكمها لفلسطين ، عن اتخاذ أقسى التدابير وأشد الإجراءات ضد العرب ، وعن أن تعرضهم باستمرار لأبشع الضربات الوحشية والاضطهادات الهمجية وأعمال البطش والجبروت والعسف والتنكيل والتعذيب والتقتيل .

ب - بعد عام ١٩٤٨ : أثبتت الأحداث السالفة منذ الحرب العالمية الأولى أن السياسة البريطانية هي التي وفرت للصهيونيين الوسائل والأسباب للسيطرة على فلسطين وتهجير سكانها الشرعيين . ولم يكن متوقعا أن تتبدل السياسة البريطانية تجاه قضية فلسطين بعد عام ١٩٤٨ . فقد ظلت تساند (إسرائيل) وتعارض المطالب الفلسطينية وتناهض المصلحة العربية . لكنها ، رغبة في إبقاء العرب أو بعضهم إلى جانبها ، حاولت أن تقف منهم موقف المودة والصداقة ، وتدعو إلى إنصاف الفلسطينيين ، وتوهم العرب أنها تنكبت السير على خطتها السابقة . ومكّنها من هذا الإيهام اختفاؤها خلف واجهة السياسة الأمريكية التي برز دورها الواضح في دعم (إسرائيل) والدفاع عنها .

ومن الأمثلة المبكرة لهذه السياسة البريطانية المزدوجة امتناع بريطانيا عن التصويت إلى جانب مشروع التقسيم في جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة يوم ١٩٤٧/١١/٢٩ متظاهرة بالحياد ، رافضة التورط في هذا الأمر المصيري ؛ ومنها عدم اعترافها (بدولة إسرائيل) عندما أعلن الصهيونيون قيامها . لكنها أجرت خلال عامي ١٩٤٨ و١٩٤٩ مفاوضات واسعة مع (إسرائيل) انتهت بإنشاء علاقات

اقتصادية وتجارية بينهما ، وبتصفية تركة عهد الانتداب لصالح الصهيونيين ، وباعتراف بريطانيا بسيادة (إسرائيل) على ما كانت تحتله قواتها من الأراضي التي كان قرار التقسيم قد خص بها الدولة العربية الفلسطينية .

ولّما شعرت بريطانيا أن الوقت مناسب أعلنت اعترافها (بإسرائيل) على أساس الأمر القائم *De Facto* ، ثم خطت في آذار ١٩٤٩ خطوة ثانية فاعترفت بها اعترافا قانونيا *De Jure* . لكنها نادت بوجوب تعديل الحدود بين العرب و(إسرائيل) ، واحترام قرار الأمم المتحدة بشأن القدس . وقد تقرر تبادل التمثيل الديبلوماسي بين بريطانيا و(إسرائيل) على مستوى الوزراء المفوضين (١٩٤٩/٣/١٣) ، ثم رفع مستوى هذا التمثيل إلى درجة السفراء في شهر آب ١٩٥٢ .

اتسمت سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية بخوف بريطانيا من سقوط المنطقة في أيدي السوفييت فبنت استراتيجيتها ، على الرغم مما حلّ بفلسطين ، على كسب العالم العربي إلى جانبها في هذا الصراع العالمي ، وبذلت جهودا كبيرة لإقناع العرب بالاعتراف بالأمر الواقع والتعايش مع (إسرائيل) ، فتوالت تصريحات مسؤوليها بوجوب إنها النزاع العربي ـ الصهيوني والاعتراف بالأمر الواقع ، ودأبت على إرسال وفود مختلفة إلى أقطار المنطقة تحت ستار (تقصي الحقائق) و(دراسة) مشكلات اللاجئين الفلسطينيين . وكان أعضاء هذه الوفود يبدون العطف على العرب الفلسطينيين ، ولكنهم كانوا (ينصحون) بوجوب إنهاء النزاع ، بل إن بريطانيا أوفدت بعض كبار موظفيها السابقين في عهد الانتداب إلى مدن فلسطين الكبرى للاتصال بالأهلين ونصحهم بالاعتراف بالأمر الواقع ، مع الوعد بأن تسعى بريطانيا لتعديل الحدود .

وأعلنت بريطانيا موافقتها على المقترحات التي قدمها وسيط الأمم المتحدة فولك برنادوت إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة في شهر أيلول ١٩٤٨ في شكل مشروع للتسوية تضمن ، في جملة ما تضمن ، إعطاء الدولة الصهيونية منطقة الجليل ، وإعطاء الدولة العربية النقب ، أو جزءاً منه ، وتدويل منطقة القدس ، وإعادة اللاجئين إلى ديارهم ، وتعويض من يختار منهم عدم العودة (رَ : برنادوت ، مشروع) .

عدّ بعض العرب تأييد بريطانيا مقترحات برنادوت ، في حين عارضتها الولايات المتحدة الأمريكية و(إسرائيل) ، دليلا على تبدل سياستها تجاه العرب . لكن هذه المقترحات ماتت بمقتل برنادوت بأيدي الصهيونيين في ١٩٤٨/٩/١٧ ، وتناستها بريطانيا وسكتت عن اغتياله . وظلّت تعمل بشتى الوسائل على تسهيل هجرة الصهيونيين إلى فلسطين من العراق واليمن ومن غيرهما من الأقطار العربية ، وتواصل تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية للصهيونيين ، وكانت من الدول التي وقفت بجانب مشروع انضمام (إسرائيل) إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة (رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية) .

ولّما ألّفت الجمعية العامة للأمم المتحدة لجنة التوفيق الدولية * لحل القضية الفلسطينية وتسوية مشكلة اللاجئين آثرت بريطانيا ألاّ تنضم إلى عضويتها عملاً بسياسة التوازن الظاهري التي كانت تسلكها للحفاظ على مركزها في العالم العربي . وقد دعت في تعقيبها على اقتراحات المندوب الأمريكي في هذه اللجنة (تموز ١٩٤٩) الى قبول مشروع التقسيم ، وإلى دمج القسم العربي من فلسطين والأردن .

وكانت بريطانيا شريكة كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا في إصدار البيان الثلاثي * (١٩٥٠/٣/٢٥) الذي رمى في جوهره إلى الحفاظ على سلامة (إسرائيل) وإلى ردع العرب عن القيام بأعمال عسكرية ضدّها .

لكن بريطانيا سعت لإبقاء نفوذها في المنطقة ولاستبعاد التغلغل السوفييتي فيها ، واقترحت على بعض الدول العربية الدخول معها في معاهدات ثنائية أو أحلاف جماعية تخدم هذين الغرضين ، واستطاعت أن تنشىء في شباط ١٩٥٥ حلف بغداد * مع العراق وتركيا ، وبذلت كل ما في وسعها لإقناع الأردن بالاشتراك فيه ، لكنها أخفقت في هذا المسعى ولم ينضم الأردن إلى هذا الحلف .

ويدخل في هذا الباب من السياسة البريطانية تجاه قضية فلسطين المبنية على حمل العرب على الاعتراف بالأمر الواقع المشروع الذي طرحه رئيس وزراء بريطانيا آنذاك أنتوني إيدن (خريف ١٩٥٥) بعد مشاورات أجراها بشأنه مع الولايات المتحدة الأمريكية (رَ : إيدن ، مشروع) . وكان القصد المعلن للمشروع إنهاء النزاع العربي ـ الصهيوني ، وتبادل الاعتراف بين العرب و(إسرائيل) على أساس إدخال تعديلات على الحدود ، وإيجاد ممر يصل الضفة الغربية بقطاع غزة ، وتسوية مشكلة اللاجئين بحسب القرارات التي اتخذتها هيئة الأمم المتحدة . لكن (إسرائيل) رفضت هذا المشروع فور إعلانه .

لم تفلح جميع المحاولات التي قامت بها بريطانيا لإقناع العرب بالأمر الواقع ، وأخفق أسلوب تقديم المساعدات العسكرية والمدنية لاجتذاب العرب إلى جانبها . وعلى نقيض ذلك تطورت الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط عامي ١٩٥٤ و١٩٥٥ تطوراً كبيرا أثار خوف

بريطانيا على مصالحها ومركزها وخشيتها على مصير (إسرائيل) . فقد اشتد ساعد الحركة القومية العربية ، وكسر العرب طوق الحصار الدولي المضروب على السلاح واشتروه من المعسكر الشرقي ، وأخذت أنظارهم تتجه إلى الكيان الصهيوني الدخيل وتطلعوا إلى تحرير فلسطين من احتلاله ، ونشأت في قطاع غزة حركة فدائية أخذت تقوم بعملياتها في جنوب فلسطين .

وقادت بريطانيا ، تساندها فرنسا ، حركة معادية للعرب ، ولا سيما مصر وعبد الناصر ، في حين انطلق الصهيونيون يستصرخون (العالم الحر) لحماية دولتهم من الخطط العربية الرامية إلى إزالة كيانهم من الوجود . وأخذت بريطانيا ترسم الخطط لمجابهة العرب ، وتفتش عن ذريعة تسوّغ لها التدخل ضد مصر والعرب . وكانت الذريعة تأميم مصر شركة قناة السويس واستعادتها حقها في تسيير الملاحة فيها . وفي الوقت الذي كانت تجري فيه محاولة الاتفاق على نظام جديد للملاحة في القناة كانت بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) تتفاوض سرّا فيما بينها لشن حرب على مصر . وقد بدأ العدوان الثلاثي على مصر في ٢٩/١٠/١٩٥٦ ، وأنزلت بريطانيا وفرنسا قواتهما في منطقة قناة السويس بعد غزو (إسرائيل) قطاع غزة وسيناء ووصول قواتها إلى قناة السويس (رَ : حرب ١٩٥٦) .

أثار العدوان الثلاثي سخطا عربيا وعالميا ، بل أثار معارضة داخل بريطانيا نفسها ، واضطرت القوات المعتدية إلى الانسحاب ، وسقطت بنتيجة ذلك حكومة حزب المحافظين البريطانية برئاسة أنتوني إيدن . وقد تلا العدوان الثلاثي شيء من الفتور في العلاقات البريطانية ـ الإسرائيلية ، واتهمت (إسرائيل) حليفتيها بالتخلي عنها ، وبمسؤوليتها عن إخفاق العملية العسكرية التي اشتركت فيها معهما . لكن هذا الخلاف لم يتجاوز السطح وظلّت بريطانيا تساند (إسرائيل) وتساعدها .

ولمّا تولت الحكم في بريطانيا حكومة حزب العمّال المشهور بصداقته للصهيونيين انتهى أي أثر للخلاف بين الجانبين البريطاني والإسرائيلي . وأجرى أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنذاك ورئيس الوزراء البريطاني هارولد ولسن محادثات (آذار ١٩٦٥) لدراسة الأوضاع العامة في منطقة الشرق الأدنى ، والبحث في (أمن إسرائيل) ، خاصة بعد انطلاقة العمل الفدائي وتشكيل منظمة التحرير الفلسطينية * . وأوضحت بريطانيا في بيان المحادثات الرسمي سياستها تجاه النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، وأعلنت معارضتها تدخل أي دولة في شؤون الدول الأخرى واستعمال القوة في تسوية النزاع ، ومعارضتها سباق التسلح في المنطقة أو الإخلال بتوازن القوى القائم .

ولمّا نشبت أزمة عام ١٩٦٧ وتفاقمت بإغلاق مصر مضائق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية ومطالبتها بخروج قوة الطوارىء الدولية كان لبريطانيا دور واضح في تلك الأحداث ، فدعت إلى توسط دولي لمنع تدهور الأوضاع واندلاع نار الحرب ، واتفقت مع الولايات المتحدة الأمريكية للعمل على فتح المضائق ، ولو بالقوة ، ونادت بإنشاء مؤسسة تضم المستفيدين من الملاحة في خليج العقبة على غرار ما اقترحه إيدن أيام أزمة قناة السويس عام ١٩٥٦ ، وبتأليف قافلة بحرية دولية لاختراق الحصار المصري وسعت ـ بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية ـ لاستصدار قرار من مجلس الأمن يثبت حق (إسرائيل) في الملاحة في خليج العقبة . وعندما قامت حرب ١٩٦٧ * زعمت بريطانيا أنها تحاول وقف القتال ومنع امتداده واستمراره على حين رددت المصادر العربية تأكيدات قاطعة بوجود تنسيق وتعاون بين (إسرائيل) وكلّ من بريطانيا والولايات المتحدة ، وبأن بريطانيا سهّلت وصول المتطوعين والمال منها إلى (إسرائيل) قبيل الحرب وأثناءها .

انصرفت الجهود بعد الحرب لتسوية الأزمة في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتركّزت في مجلس الأمن ، وصاغ مندوب بريطانيا فيه ، وهو اللورد كاردون (حاكم لواء نابلس في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين) ، القرار ٢٤٢ المعروف الذي دعا (إسرائيل) إلى الانسحاب من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ مقابل اعتراف العرب بحقها في العيش بسلام ، وتسوية مشكلة اللاجئين تسوية عادلة (رَ : حرب ١٩٦٧ في منظمة الأمم المتحدة) . ونصّ القرار في صيغته الإنكليزية على انسحاب من (أراض) محتلة لا من (الأراضي) المحتلة .

تأسست في بريطانيا في الفترة التالية لحرب ١٩٦٧ جمعيات ومنظمات لدعم الكفاح العربي ومقاومة الدعاية الصهيونية ومساعدة اللاجئين ، لكن ذلك كله لم يغيّر كثيرا من خط السياسة الرسمية البريطانية ، فلم تتخذ الحكومة أي عمل رسمي تجاه العدوان الإسرائيلي واحتلال الصهيونيين أراضي فلسطين كلها وقسما من الأرض العربية . وبالمقابل شعر العرب أن دور بريطانيا المؤثر قد انتهى زمنه في بلادهم ولم تعد له القوة التي كانت من قبل .

وجاءت حرب ١٩٧٣ * وأزمة النفط الدولية التي حدثت بسببها لتدفع الحكومة البريطانية إلى بدء حوار جديد مع الدول العربية ، وساهم هذا الحوار في تطوير الحوار العربي ـ الأوربي . وكانت بريطانيا أول دولة في المجموعة الأوربية الاقتصادية تسمح لمنظمة التحرير الفلسطينية بافتتاح مكتب لها في العاصمة لندن . لكن بريطانيا وقفت موقفا سلبيا من موضوع الحوار السياسي مع منظمة

التحرير ، وأصرت على عدم الاعتراف بالمنظمة ، بل صوتت ضد دعوة المنظمة للاشتراك في مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤ . (رَ: منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة) و(رَ : فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قضية) .

كذلك أيّدت الحكومة البريطانية النتائج التي أسفر عنها مؤتمر كامب ديفيد * (١٩٧٨) ، ومعاهدة الصلح المصرية ـ الإسرائيلية * (١٩٧٩) . وساهمت الحكومة البريطانية عام ١٩٨٠ في إيجاد ما سمي " المبادرة الأوربية " لحل أزمة الشرق الأوسط ، لكن الأوساط الرسمية ظلّت تؤمن بأن منظمة التحرير الفلسطينية عقبة في طريق تحقيق السلام .

البُرَيْكَة (قرية ـ) :

البُريكة تصغير بركة ، وهي قرية عربية تقع على بعد ٣٩ كم جنوبي حيفا * منها ٣٦,٥ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى ، وكيلومتر واحد من الدرجة الثانية و١,٥ كم غير معبدة .

أنشئت البريكة في القسم الغربي من جبل الكرمل * على ارتفاع ١٠٠ م عن سطح البحر ، وتقع بئر البيضة على بعد حوالي نصف كيلو متر شمال شرق القرية ، وبئر الرصيصة في جنوبها الغربي على بعد نحو كيلومترين .

تمتد القرية بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب ، وهي من النوع المكتظ . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٤٥ مسكناً بنيت من الحجارة والطين أو الحجارة والإسمنت أو الإسمنت المسلح . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ١٥ دونماً ، ومساحة أراضيها ١١,٤٣٤ دونماً ، تملّك الصهيونيون معظمها منذ العهد العثماني ، إذ ملكوا ما مساحته ٩,٣٨٤ دونماً ، أي ٨٢٪ من مساحة أراضي القرية .

كان في البريكة ٢٤٩ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، وانخفض عددهم الى ٢٣٧ نسمة في عام ١٩٣١ ، وارتفع الى ٢٩٠ نسمة في عام ١٩٤٥ .

ضمت القرية مدرسة أنشئت في العهد العثماني ، ولكنها أغلقت في العهد البريطاني . واستخدم السكان مياه الينابيع والآبار * في الشرب والأغراض المنزلية .

اعتمد اقتصاد القرية على الزراعة وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * ، وهي فقيرة جداً بالأشجار المثمرة ، ففي موسم ١٩٤٣/٤٢ لم يكن فيها سوى خمسة دونمات مزروعة زيتوناً .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروا منازلهم في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة قيسارية .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطنطورة .

البَرِّيَّة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ٦ كم جنوبي شرق الرملة * . تمر بشمالها طريق الرملة ـ القدس ، وتربط القرية بهذه الطريق طريق معبدة من الدرجة الثانية طولها نصف كيلو متر .

أنشئت القرية في الطرف الشرقي للسهل الساحلي الفلسطيني * قرب الأقدام الغربية لجبال القدس * على ارتفاع نحو ١٠٠م عن سطح البحر . ويمر وادي البرّية بشرقها مباشرة ، ويلتقي بوادي يردة في شمالها على بعد حوالي ثلث كيلو متر ليكوّنا وادي الحبل أحد روافد الوادي الكبير الذي يرفد بدوره نهر العوجا * . وتخلو القرية والأراضي التابعة لها من الينابيع أو الآبار ، ولم يظهر أي أثر للمياه الجوفية رغم أن الحفر وصل إلى عمق ٢٠٠م .

كان الامتداد العام للقرية من الشرق إلى الغرب ، واتجه توسعها العمراني أيضاً نحو الجنوب والجنوب الشرقي ، إذ حالت بيادر القرية دون توسعها شمالاً ، وعاق وادي البرّية توسعها شرقاً . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٨٦ مسكناً . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة الأراضي التابعة لها ٢,٨٣١ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

كان في البرّية ٢٩٥ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، وارتفع عددهم إلى ٣٨٨ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٥١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ .

ضمت القرية جامعا صغيراً ومدرسة ابتدائية للبنين أسست في عام ١٩٤٣ . واعتمد السكان على آبار الجمع ، وعلى مياه القرى المجاورة في الشرب والأغراض المنزلية .

قام اقتصاد القرية على الزراعة * المطرية (البعلية) ، وأهم المزروعات : الحبوب (الشتوية والصيفية) والبطيخ ، وزُرعت الخضر * في مساحات قليلة . ورغم أن التربة السائدة هي التربة الكلسية الطينية التي تصلح لزراعة الأشجار المثمرة (رَ : التربة) فقد كانت القرية فقيرة جداً بأشجارها المثمرة ، إذ اقتصر وجودها على مساحة صغيرة في شمال غرب القرية . وقد عمل السكان أيضاً بتربية المواشي ، وعمل بعضهم في المدن القريبة .

ومن موارد القرية الاقتصادية الهامة تربية النحل ، إذ قدرت إيرادات بيع العسل وخلايا النحل بنحو ١,٠٠٠ جنيه فلسطيني في عام ١٩٣٦ . وكان أصحاب خلايا النحل يضطرون إلى نقلها إلى بساتين الحمضيات في القرى المجاورة في بعض أوقات السنة بسبب فقر القرية بالأشجار المثمرة .

شرّد الصهيونيون سكان هذه القرية العربية ودمروها في عام ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٤٩ أسس صهيونيون هاجروا من كردستان موشاف « عزرياه »في شمال غرب موقع القرية مباشرة . وقد بلغ عدد سكان الموشاف ٤٦٢ نسمة عام ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

البساط السحري (عملية ـ) :

رَ : يهود البلاد العربية

البسطامي : رَ : أحمد بن أمين البسطامي

البَشَاتِوَة (قرية ـ) :

تقع مضارب وبيوت عرب البشاتوة إلى الشمال الشرقي من مدينة بيسان * . ويمر كل من خط سكة حديد بيسان ـ سمخ ـ درعا ، وطريق بيسان ـ جسر المجامع ـ إربد بالطرف الغربي منها (رَ : السكك الحديدية) . وتمر من وسطها عدة طرق ممهدة تربط هذه المساكن والمضارب ببعض المخاضات على نهر الأردن * مثل مخاضة أم توتة ومخاضة القطاف ومخاضة الشيخ قاسم . ومعظم هذه الطرق ترابية تصل بين مزارع القرية الممتدة في غور بيسان الشمالي . وتصل هذه الطرق مضارب وبيوت القبيلة بقرية المنشية * في غور الأردن الشرقي ، وبقرية كوكب الهوا * القائمة على حافة غور الأردن الغربي ، وتصلها أيضاً بخرب المزار والزاوية والزيوان وأم صابونة .

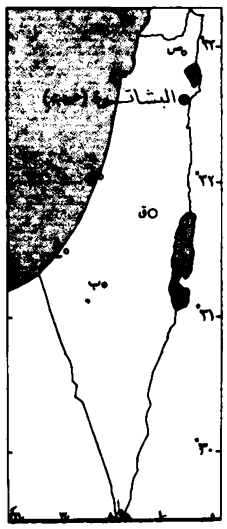

أقيمت مضارب وبيوت عرب البشاتوة في غور بيسان الشمالي حيث تنخفض أرض الغور إلى ما بين ٢٠٠ و٢٢٥ م عن سطح البحر وتشرف هذه المضارب والبيوت على مزارع القرية الممتدة في أراضي الغور * والزور حتى نهر الأردن شرقاً . وترتفع الأرض إلى الغرب من عرب البشاتوة إلى أكثر من ١٠٠م عن سطح البحر فيما يعرف بحافة غور بيسان الشمالي . ويعدّ مجرى وادي البيرة * الذي ينحدر من مرتفعات الجليل الأدنى ، ويجري في غور بيسان الشمالي ليرفد نهر الأردن الحدّ الشمالي لامتداد مساكن ومضارب القبيلة أما مجرى وادي العشة الذي يخترق غور بيسان ويرفد نهر الأردن فإنه الحدّ الجنوبي لها .

ينتشر عرب البشاتوة في تجمعات متناثرة من بيوت الشعر واللبن . وتمتد هذه البيوت عند أقدام حافة الغور الغربية ، أو بمحاذاة الطريق الرئيسة المؤدية إلى بيسان ، أو على طول بعض الطرق المؤدية إلى القرى والمزارع مثل قرية كوكب الهوا ، أو داخل المزارع نفسها . وكانت هذه البيوت تفتقر إلى المرافق والخدمات العامة ، لذا اعتمدت في حاجاتها على مدينة بيسان وقريتي كوكب الهوا والبيرة * حيث تتوافر الأسواق والمرافق والخدمات المطلوبة .

تبلغ مساحة أراضي البشاتوة ٢٠,٧٣٩ دونماً منها ٢,٢٥٢ دونماً امتلكها الصهيونيون ، و ٩٦٢ دونماً للطرق والأودية . وقد استثمرت هذه الأراضي في زراعة الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة ، وأهمها أشجار الموز * . واستثمر جزء من هذه الأراضي في رعي مواشي عرب البشاتوة أثناء فصلي الشتاء والربيع . وكانت الزراعة * والمراعي تعتمد على الأمطار في حين كانت تروى بعض

المزارع بمياه وادي البيرة . وبالقرب من أراضي البشاتوة بعض التلال الأثرية مثل تل شمدين وتل زنبقية وتل مورى (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تضم قبيلة البشاتوة عرب السّويمات وعرب حوافظة العمري وعرب البكار وغيرهم . وكان عدد البشاتوة في عام ١٩٢٢ نحو ٩٥٠ نسمة ، وازداد عددهم إلى ١,١٢٣ نسمة في عام ١٩٣١ ، وكان مجموع بيوتهم في ذلك العام ٢٣٤ بيتاً . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ١,٥٦٠ نسمة . وقد استولى الصهيونيون على أراضي البشاتوة في عام ١٩٤٨ بعد أن طردوا أفراد القبيلة من ديارهم ، ثم أقاموا مستعمرة « نفي أور » على أراضي البشاتوة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، (لوحة إربد) .

البشّاري : رَ : محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي

بَشِّيت (قرية ـ) :

قرية عربية ، ربما كان اسمها مأخوذاً من « بيت » و« شيت » الآرامية التي تعني القبر والكثيب والتين المتأخر والآس .

تقع هذه القرية العربية في جنوب غرب الرملة * ، وفي جنوب بينة * . وتبعد عن الأولى ١٨ كم منها ١٦ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى و٢ كم غير معبدين . وتبعد عن الثانية ٧ كم منها ٥,٥ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى و١,٥ كم طريق غير معبدة .

أنشئت بشّيت في السهل الساحلي الفلسطيني * على ارتفاع ٥٥م عن سطح البحر . وتزداد الأرض ارتفاعاً شمال وشمال غرب القرية حتى تتجاوز ٧٥م . ويمر وادي الصرار أهم روافد نهر روبين * بشمالها الغربي على بعد ٢ كم . ويمر وادى بشّيت رافد وادي الصرار بشرقها على بعد نصف كم . وتخلو بشّيت والأراضي التابعة لها من الينابيع ، ولكنها غنية بآبارها .

تشبه القرية في شكلها العام مستطيلاً طوله ممتد من الشرق الى الغرب . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٣٣٣ مسكناً . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٥٨ دونماً ، ومساحة الأراضي التابعة لها ١٨,٥٥٣ دونماً لا يملك الصهيونيون منها شيئاً .

كان في بشّيت ٩٣٦ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ارتفع عددهم إلى ١,١٢٥ نسمة في عام ١٩٣١ وإلى ١,٦٢٠ نسمة عام ١٩٤٥ .

ضمّت القرية جامعاً يقع في طرفها الشمالي ، ومدرسة ابتدائية للبنين تأسست في عام ١٩٢١ . وكان السكان يعتمدون على مياه الآبار * في الشرب والأغراض المنزلية .

اعتمد السكان في معيشتهم على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم مزروعاتهم الحبوب * ، وفي عام ١٩٤٣ كان في القرية ٦٧ دونماً مزروعة زيتوناً * ، ونحو ٦٦ دونماً زرعت حمضيات * . وأحاطت بساتين الأشجار المثمرة بالقرية من كل الجهات عدا الجهة الشرقية والجنوبية والجنوبية الشرقية .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ . وأقاموا فوق أراضيها مستوطنات « بناياه ، وميشار ، وكفار مردخاي ، وزخردوف ، وكنوت ، وشدما ، وعسيرت » .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحات يبنة وأسدود وعجور واللد .

البشير (صحيفة ـ) :

صحيفة أسبوعية صدرت في بيت لحم * بتصريح من الحاكم العسكري الإسرائيلي في الضفة الغربية . وقد صدر العدد الأول منها بتاريخ ١٩٧٠/١٢/١٩ . وتوقفت عن الصدور عند العدد ٩٨ بتاريخ ١٩٧٢/١٢/١٦ . ثم عادت إلى الصدور بشكل متقطع إلى أن توقفت نهائياً في الثلث الأول من سنة ١٩٧٥ لأنها لم تلق التأييد الجماهيري بالدرجة الأولى .

صاحب الجريدة إبراهيم حنظل ، رئيس الغرفة التجارية السابق

في بيت لحم . وهو من دعاة إقامة « حزب سياسي » في الضفة الغربية يدعو إلى أن " يتسلم الفلسطينيون أمرهم بأنفسهم " .

طبعت الصحيفة في بداية الأمر في بيت لحم ، ثم صارت تطبع في مطابع الجهاد في القدس . تعتبر البشير أول صحيفة عربية بعد الاحتلال . وكانت تصدر كل يوم سبت . ومن المحررين الذين شاركوا فيها جميل حمد الذي تركها ليعمل فيما بعد في جريدة الفجر المقدسية .

المراجع :

ـ علي الخطيب : الصحافة العربية في الأرض المحتلة ، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية ، العدد ٢٢ ، أيار ـ حزيران ١٩٧٧ ، بغداد .

بشير بن حسين الشهابي (ـ ١١١٨هـ) (ـ ١٧٠٦م):

هو الأمير بشير الشهابي الأول . والشهابيون عرب نزحوا إلى جبال لبنان في القرن الثاني عشر الميلادي . اختار مشايخ لبنان بشير الشهابي أميراً للجبل سنة ١٦٩٧ م . وقد أعطاه والي صيدا حكم صفد * عام ١٧٠٠م ليحصل على مساعدته في قمع الثورة في جبل عامل .

عين الأمير بشير ابن عمه الأمير منصوراً حاكماً على صفد ، فعيّن هذا الأمير منصور عمر الزيداني والد ظاهر العمر * ملتزماً (أي جابياً للضرائب الميرية) بلقب شيخ على صفد وأطرافها .

ولما توفي الأمير بشير عام ١٧٠٦م وخلفه الأمير حيدر الشهابي استعيدت صفد ومناطق جبل عامل من عهدة الشهابيين وتبعت والي صيدا مباشرة .

المراجع :

ـ طنوس الشدياق : أخبار الأعيان في جبل لبنان ، بيروت ١٨٥٩ .
ـ حيدر أحمد الشهابي : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، بيروت ١٩٣٣ .
— Rafeq, A.K.: The Province of Damascus, Beirut 1966.

بشير بن قاسم الشهابي (١١٨١ ـ ١٢٦٨هـ) (١٧٦٧ ـ ١٨٥١م) :

هو الأمير بشير الشهابي الثاني الكبير أمير جبل لبنان لمدة اثنتين وخمسين سنة (١٧٨٨ ـ ١٨٤٠م) اضطلع خلالها بدور هام في تاريخ المنطقة نتيجة طموحه ، ومهارته السياسية ، وارتباطاته الخارجية .

اختاره مشايخ جبل لبنان وصاحب عكا أحمد باشا الجزار * أميراً على الجبل عام ١٧٨٨م لحزمه واتزانه وبراعته . وقد اتصل اسم الأمير بشير الثاني بفلسطين خلال حكمه الطويل أكثر من مرة بحكم علاقة إمارته السياسية بولاية عكا ، إذ كان جبل لبنان طوال العهد العثماني تابعاً لها (رَ : الإدارة) .

وكانت قوة الوالي في عكا تهدد الأمير بشير ، كما كانت قوة الأمير تهدد بدورها ذلك الوالي . وقد اتفق أن تولى عكا في عهد الأمير بشير واليان قويان هما أحمد باشا الجزار وعبد الله باشا الجزار * ، وقد مرّ كل منهما بأزمات أثرت في بشير الشهابي ، وأطاحت الأخيرة بحكمه .

من ذلك الموقف الصعب الذي واجهه أثناء الحملة الفرنسية * على فلسطين وحصار نابليون بونابرت لعكا فقد طلب أحمد الجزار النجدة من بشير كما طلبها نابليون . لكن هذا رفض إغراءات نابليون واعتذر للجزار . فلما انهزم نابليون هرب الأمير بشير على ظهر سفينة إنكليزية ، ولم يغفر له الجزار موقفه المتخاذل . وقد أعاده الصدر الأعظم للإمارة سنة ١٨٠١م ، واستراح عند موت الجزار سنة ١٨٠٤م . وشهدت السنوات الخمس عشرة التالية التي استقر فيها الأمر لسليمان باشا في عكا تعاوناً بين والي عكا والأمير بشير ، وبلوغ الأخير أوج القوة والشهرة والقسوة في تصفية الخصوم .

تولى عكا بعد سليمان باشا عبد الله باشا الجزار الذي ألحّ في المطالب المالية على الأمير بشير فأرهق الناس بالضرائب فقامت عليه الثورة سنة ١٨٢٠م ففر إلى حوران ، ثم اختاره أعيان لبنان من جديد سنة ١٨٢١ .

ولّما وقع الصدام بين عبد الله باشا الجزار ووالي دمشق درويش باشا أيّد الأمير بشير صاحب عكا ، وهاجم أطراف ولاية دمشق ، ولبّى طلب والي عكا ، فذهب بجيشه إلى مشارف دمشق وهزم درويش باشا (واقعة المزة ٢٦/٥/١٨٢١) .

التجأ الأمير بشير إلى محمد علي باشا في مصر في صيف ١٨٨٢ بعد أن عزل السلطان العثماني والي عكا وأرسل اليه قوات الولايات الأخرى . وكان هذا أول اتصال بينهما ترك أثره الكبير في مستقبل علاقاتهما ، وفي تاريخ المنطقة كلها .

رجا الأمير بشير محمد علي باشا ليتوسط لدى السلطان في أمر الجزار المحاصر في عكا ، واستجاب السلطان للوساطة وأبقى الجزار في ولايته ، وعاد الأمير بشير إلى إمارته في بيت الدين . وظل على تأييده لوالي عكا الذي استعان به في ضرب بعض زعماء نابلس

وجنين الذين مالوا إلى والي دمشق . وقد قدم الأمير بشير بنفسه أواخر سنة ١٨٢٩م إلى قلعة صانور وقضى على تمرد الشيخ عبد الله الجزار على والي عكا ، ودمر القلعة تدميراً كاملاً ، وردم آبارها .

ولمّا حدث الفتور بين محمد علي باشا والجزار حافظ الأمير بشير على صلاته الحسنة بهما كليهما . لكن الفتور تحول عداء ، ثم حرباً ، ووصلت جيوش محمد علي إلى أسوار عكا (رَ : الحكم المصري) . وتردد الشهابي أياماً ، ثم حزم أمره وانضم إلى المصريين وغدا مستشار ابراهيم باشا في كل ما يتصل بالحرب والإدارة والسياسة في الشام والمعين الأول له في إخماد الثورات المحلية ومنها ثورة صفد أيام ثارت فلسطين كلها سنة ١٨٣٤م .

لكن القوى الأوربية ظلت وراء مشروع محمد علي في الشام حتى هدمته (١٨٤٠م) وظل الأمير بشير وحيداً . وكانت معركة بحر صاف بالمتن التي سحقت فيها قوات ابراهيم باشا (١٠/١٠/١٨٤٠م) هي التي حددت مصير الأمير بشير الشهابي والحكم المصري * كله في بلاد الشام . وترك الأمير بشير في ١١/١٠/١٨٤٠ بيت الدين إلى صيدا فبيروت حيث حملته بارجة بريطانية إلى منفاه في مالطة .

عاد الأمير بشير إلى القسطنطينية بعد عام واحد ، وقضى فيها سنوات عمره الباقية ، وتوفي فيها ودفن سنة ١٨٥١ ، ثم نقل رفاته إلى بيت الدين بعد أن استقل لبنان سنة ١٩٤٦ .

المراجع :

ـ حيدر أحمد الشهابي : لبنان في عهد الأمراء الشهابيين ، بيروت ١٩٣٣ .
ـ أسد رستم : بشير بين السلطان والعزيز ، بيروت ١٩٥٦ .

بشير بن محمد الخليلي المقدسي (- ١٠٦٠هـ) (- ١٦٤٩م) :

شاعر ، أديب ، " لم يكن في زمنه من أقرانه إلا شرف الدين العسيلي " . وفضّل المحبّي بشيراً على العسيلي لغزارة شعره وجودة تخييله . وله شعر أجاب فيه عن قصيدة لخير الدين بن أحمد الرملي * يمدح فيها القدس وأهلها . ومدح خير الدين وقال أشعاراً أخرى . وهو من الشعراء البلغاء كما يقول المحبي .

ولم تفصل المصادر الحديث عن نشأته العلمية ، واكتفت بما تقدم ذكره .

المرجع :

ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .

البَصَّة (قرية ـ) :

قرية عربية ملاصقة للحدود اللبنانية جنوبي رأس الناقورة * قريباً من شاطىء البحر المتوسط . وقد نشأت فوق أرض سهلية منحدرة عند أقدام جبل المشقّع . ففي الغرب والجنوب سهل منبسط حتى البحر ، وفي الشرق تلال ترتفع عن سطح البحر نحو ١٠٠م .

ويبدو أن اسمها تحريف للكلمة الكنعانية « البصمة » بمعنى المستنقع ، وفي العربية بصّ الماء : رشح .

يقول الدباغ : " ذكر عماد الدين الكاتب الأصبهاني في مؤلفه « الفتح القسي في الفتح القدسي » البصّة باسم « عين بصمة » " ، وكانت في القرن الثامن عشر موضع منازعة بين الشيخ ظاهر العمر وشيوخ جبل عامل . تقع بالقرب منها قلعة إيلون وقلعة حانيتا .

والبصة موقع أثري يضم كثيراً من البقايا الأثرية من الأسس والأرضيات الفسيفسائية ، إلى جانب صهاريج المياه والقبور المقطوعة من الصخر .

في عام ١٩٣٢ عثرت دائرة الآثار الفلسطينية على مدفن من العصر البيزنطي فيه مجموعة من النقود والزجاج والسرج تعود إلى أواخر القرن الرابع الميلادي وجرى هذا الاكتشاف صدفة أثناء العمل في أسس لإقامة جامع في القرية . وفي المناطق المجاورة للبصّة عدة خرائب يقارب عددها ١٨ خربة وهذا يدل على أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان . من الخرب : باط الجبل والمشيرفة والمعصوب وعين البيضا وعين حور وجردية وغيرها .

تربة القرية رسوبية حمراء ، ومصادر مياهها عين ماء في داخل القرية وبئر حفرت في أواخر عهد الانتداب في موقع المشيرفة الذي يبعد ١,٥ كم غربي القرية . ويضاف إلى ذلك آبار تجميع مياه الأمطار الموجودة في معظم المنازل .

مساحة البصّة ١٣٢ دونماً ، ومساحة الأراضي التابعة لها ٢٩,٤٠٣ دونمات منها ١٢,٣٨٠ دونماً أراض غير مزروعة يستخدم بعضها للرعي * والآخر أراض جرداء . وجانب كبير من هذه الأراضي صالح للزراعة لولا قلّة الأيدي العاملة . أما الأراضي الزراعية التي تبلغ مساحتها ١٧,٠٢٣ دونماً فتزرع حبوباً وخضراً على اختلاف أنواعها . وتكثر فيها أشجار التين واللوز ، ويشغل الزيتون * ٣,٥٠٠ دونم ، وبساتين الحمضيات * ٥٩٢ دونماً . ولم تتعد مساحة ما زرع موزاً ٢٢ دونماً . كان العرب يملكون معظم الأراضي ، أي ما مساحته ٢٥,٢٥٨ دونماً ، في حين كان ٩٩ دونماً ملكاً مشاعاً لجميع سكان القرية (رَ : الأرض ، ملكية) . أما الصهيونيون فقد تملكوا ٤,١٨٧ دونماً .

مخطط القرية على شكل مجمع شبه دائري ينتظم على طريقين داخل القرية . وكانت البيوت القديمة حجرية مسقوفة بالخشب والطين ، لكن السكان بدأوا في الأربعينات يبنون البيوت الحديثة من الحجر والإسمنت المسلح ، وبعضها سقف بالقرميد . وقد انتشرت الأبنية الحديثة على تلّة مجاورة تدعى جبيل .

بلغ عدد سكان البصّة عام ١٨٨٧ نحو ١,٩٦٠ نسمة ، ووصل هذا العدد إلى ٢,٩٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وزاد على ٤,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ . وكان معظم السكان يملكون الأرض وما عليها ، لذلك كان عملهم الرئيس الزراعة * وتربية المواشي . وقد كان منهم قليل من الحرفيين ونفر أقل تركوا القرية للالتحاق بالوظائف الحكومية في المدن ، وعمل عدد منهم في المعسكرات البريطانية قرب عكا .

ضمّت القرية مجلساً محلياً ومسجداً وكنيستين . وأسست فيها مدرسة ابتدائية كاملة منذ العهد العثماني ، وكان أعلى صف فيها في العام الدراسي ١٩٤٢ / ١٩٤٣ الصف السادس الابتدائي .

وكان فيها أواخر الانتداب البريطاني مدرسة خاصة أعلى صفوفها الثالث الثانوي . وكان عدد المتعلمين في البصّة عالياً .

استولى الصهيونيون على القرية عام ١٩٤٨ ودمّروها وأقاموا بعد عام واحد في موقعها مستعمرة (بتست) وسكنها صهيونيون مهاجرون من رومانيا ويوغسلافيا . كذلك أقاموا بالقرب منها مطاراً عسكرياً يحمل الاسم نفسه .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

— Hadawi, S.: **Village Statistics 1945,** Beirut 1970.

— **QDPA** vol. III No 2, A Tomb At El BASSA, 1933.

البطالسة : رَ : البطالمة

البطالمة :

توزعت إمبراطورية الإسكندر الأكبر بين قادته عقب وفاته ، وذلك في المؤتمر الذي عقده هؤلاء القادة في مدينة بابل . وبمقتضى هذا التوزيع آلت ولاية مصر إلى القائد بطليموس بن لاغوس (ولد سنة ٣٦٤ ق.م. بمقدونيا وتوفي سنة ٢٨٢ ق.م. في مصر) .

سرعان ما اشتعلت الحرب بين خلفاء الإسكندر الذين كان كل واحد منهم يتطلع إلى الاستقلال بولاياته وفي مقدمتهم بطليموس ، وكان النصر من نصيب هذا وحلفائه . وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر جديد في مدينة تريبارادیسوس بسورية لإعادة توزيع ولايات الإمبراطورية وتعيين وصي جديد . وانتهى المؤتمرون إلى تكليف أنتيباتروس مهمة الوصاية ، على أن يكون مركز الإمبراطورية في مقدونيا ، وإلى تثبيت بطليموس في ولايته ، وتعيين سلوقس والياً على بابل وأنتيغونوس قائداً عاماً للجيش الملكي مع احتفاظه بولايته في آسيا .

واستقرت الأوضاع بعض الشيء فتفرغ بطليموس لدعم استقلال ولايته وتوسيع نطاقها ، فأقام التحالفات مع عدد من الجزر الكبرى في شرقي البحر المتوسط واستولى عام ٣١٩ ـ ٣١٨ ق.م. على فينيقية وجوف سورية ، وهو اسم يطلق على فلسطين وجنوب سورية فيما بين جبل الشيخ شمالاً ونهر الأردن * شرقاً والبحر المتوسط غرباً . وهكذا أمّن بطليموس حدود ولايته من ناحية الشرق ، وكان قد أمنها قبل ذلك من ناحية الغرب حين استولى على إقليم برقة .

وحاول أنتيغونوس أن يعيد لإمبراطورية الإسكندر وحدتها تحت سلطانه فعارضه الولاة ووقفوا في وجهه .

وفي صيف عام ٣١٦ ق.م. لجأ سلوقس إلى مصر فراراً من أنتيغونوس ولقي من بطليموس كل ترحيب وإكرام ، بل تحالف معه ومع بعض الولاة الآخرين على أنتيغونوس ، ووقعت الحرب في عام ٣١٥ ق.م. وانتصر بطليموس وحلفاؤه على جيش أنتيغونوس في غزة * واسترد جوف سورية ، فعاد سلوقس إلى ولايته سنة ٣١٢ ق.م. وبدأ بذلك العهد السلوقي (رَ : السلوقيون) ، ثم انتصر بطليموس مع حلفائه انتصاراً حاسماً على أنتيغونوس في معركة أبسوس عام ٣٠١ ق.م. وقتله .

وكانت هذه المعركة بداية ما يسمى بالمشكلة السورية ، أو مشكلة جوف سورية ، لأن حلفاء بطليموس استاؤوا منه أثناء هذه الحروب وأبوا بعد النصر أن يمنحوه جوف سورية الذي وعدوه به من قبل في حين منحوا سورية كلها وشرقي آسيا الصغرى سلوقس .

وكان جواب بطليموس على تصرف حلفائه هذا أن احتل إقليم جوف سورية عنوة ورفض التنازل عنه . وحين جاء سلوقس ليضع يده على الإقليم وجد أن بطليموس قد سبقه إليه ، فلم يشأ أن يثير معه المتاعب ، ولم ينس اليد التي قدمها له بطليموس حين لجأ

إليه فاراً من ولايته ويوم سهّل له سبيل العودة إليها ، فاكتفى بالمطالبة بحقه .

وهكذا أورث سلوقس خلفاءه مشكلة كبيرة مع البطالمة أدّت إلى سلسلة من الحروب بين الدولتين هي التي تعرف في التاريخ باسم « الحروب السورية » .

وكانت الحرب السورية الأولى أيام بطليموس الثاني (فيلادلفوس) سنة ٢٧٦ ق.م. وقد هزم الملك البطلمي أنطيوخوس الأول السلوقي واستولى على الشاطىء الفينيقي . ثم صالحه .

أما الحرب الثانية فقد كان مسرحها بعيداً عن سورية في غربي آسيا الصغرى . وقد حاول بعدها بطليموس الثاني (فيلادلفوس) أن يقيم علاقات ودية مع الملك السلوقي أنطيوخوس الثاني (تولى الملك عام ٢٦٢ ق.م.) فزوّجه ابنته على ألا يطالب الملك السلوقي بإقليم جوف سورية . فثبّت فيلادلفوس أقدامه في فلسطين وشرق الأردن وفينيقيا .

اعتلى بطليموس الثالث العرش عام ٢٤٦ ق. م. وتوجه بقواته إلى سورية لمساعدة أخته في صراعها على الملك بعد وفاة زوجها السلوقي أنطيوخوس الثاني . وانتصر الملك البطلمي على السلوقيين وبلغ سلوقية على الدجلة وقدم له حكام الولايات السلوقية الشرقية ولاءهم . ثم عاد إلى مصر . ولمّا حاول الملك السلوقي سلوقس الثاني غزو جوف سورية عام ٢٤٣ ق.م. تصدّى له بطليموس وردّه إلى أنطاكية ، وبقيت فلسطين والشاطىء السوري في قبضة البطالمة .

واشتعلت الحرب السورية الرابعة في عهد بطليموس بعد أن كرر الـ بوقيون * محاولة غزو جوف سورية ، وانتصر الملك البطلمي على قوات السلوقيين بقيادة أنطيوخوس الثالث جنوب مدينة رفح * ، واسترد البطالمة جوف سورية مرة أخرى .

تولى الملك بعد ذلك بطليموس الخامس عام ٢٠٣ ق.م. وكان حدثاً أساء الوصاة عليه إدارة شؤون الدولة فشاعت فيها الاضطرابات والقلاقل ، واقتطعت منها ممتلكاتها الخارجية ، ثم غزا السلوقيون جوف سورية فيما يعرف بالحرب السورية الخامسة ، واستطاعوا بقيادة ملكهم أنطيوخوس الثالث أن ينزلوا بالبطالمة هزيمة حاسمة في معركة بانيون عام ٢٠٠ ق.م. ، ثم استولوا على صيدا وبيت المقدس وبسطوا نفوذهم على فلسطين كلها . وفي عام ١٩٨ ق.م. فقد البطالمة جوف سورية نهائياً .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .

ـ إبراهيم نصحي : مصر في عهد البطالمة ، القاهرة ١٩٤٦ .

البَطاني الشرقي والغربي (قريتا ـ) :

قريتان عربيتان من قرى السهل الساحلي الفلسطيني * تبعد إحداهما عن الأخرى مسافة ٢ كم تقريبا وتقعان إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة * على مسيرة ٥٢ ـ ٥٤ كم ، والبطاني الغربي هي الأبعد عن غزة . تتصل القريتان بدروب ممهدة بقرى ياصور * وأسدود * وبيت داراس * والسوافير * وبرقة * . وتتصل القريتان إحداهما بالأخرى . ويوجد مطار عسكري في الأراضي المنبسطة الواقعة بين البطاني الشرقي وقرية ياصور في الشمال الشرقي .

ترتفع البطاني الغربي نحو ٤٧ م عن سطح البحر في حين ترتفع البطاني الشرقي ٥٠ م ، ويمر بأراضيهما وادي الماري أحد روافد وادي صقرير * الذي يصبّ في البحر المتوسط . وقد نشأت القريتان ضيعتين زراعيتين في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان * على رقعة سهلية خصيبة منبسطة . وكانت مادة بناء بيوت القريتين هي اللبن والتراب ، وسقوفها من الخشب والقصب المغطّى بالتراب وطبقة من الطين . والمساكن فيهما متلاصقة تفصل بينها حارات وأزقة تظهر مخططاً عمرانياً مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب في البطاني الشرقي ، ومن الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي في البطاني الغربي . ولم يبق المخطط الأول للقريتين على حاله لأن قرية البطاني الشرقي اتسعت وامتد عمرانها غربا بمحاذاة الدرب الذي يربطها بقرية البطاني الغربي ، مما قصّر المسافة بين القريتين . ولم يتسع عمران البطاني الشرقي نحو الشرق لوجود وادي الماري الذي حال دون ذلك بسبب فيضاناته الشتوية . أما توسع البطاني الغربي فكان في البداية على محورين هما الشمالي الغربي والجنوبي الشرقي ، ثم تحوّل هذا التوسع ليتخذ محاور عدة على طول الطرق المؤدية إلى القرى المجاورة . وظلّ توسع عمران القريتين مستمرا حتى وصلت مساحة قرية البطاني الغربي في أواخر عهد الانتداب ٣٤ دونما ، ومساحة قرية البطاني الشرقي ٣٢ دونما . وضمت كل من القريتين جامعا ومدرسة وبعض الحوانيت .

أما عدد سكان القريتين فقد نما وتزايد منذ عام ١٩٢٢ حتى عام ١٩٤٥ على النحو التالي :

السنة	١٩٢٢	١٩٣١	١٩٤٥	
البطاني الغربي	٥٦٦	٦٦٧	٩٨٠	نسمة
البطاني الشرقي	٣٠٤	٤٢٤	٦٥٠	نسمة

وبلغ عدد بيوت البطاني الغربي ١٤٧ بيتا ، وعدد بيوت البطاني الشرقي ٨٥ بيتاً في إحصاءات عام ١٩٣١ .

مساحة أراضي القريتين ١٠,٣٣٨ دونما . وتبلغ مساحة أراضي البطاني الشرقي وحدها ٥,٧٦٤ دونما منها ١١٤ دونما للطرق و٧٠ دونما يملكها صهيوني مستعمرة «بيار تعبيا» الواقعة على مسافة ٢ كم تقريبا إلى الجنوب من البطاني الشرقي . ويملك أهالي قرية البطاني الغربي ٤,٥٧٤ دونما ، منها ٩٩ دونما للطرق والأودية ، ولا يملك الصهيونيون فيها أي شيء . وتتميز أراضي القريتين بالانبساط وخصب التربة وتوافر مياه الأمطار والمياه الجوفية . وتسمح الآبار * المنتشرة بريّ بساتين الخضر * والحمضيات * وتؤمّن حاجة السكان من مياه الشرب والاستعمالات المنزلية وسقاية المواشي . وقد اهتم سكان القريتين بزراعة الحمضيات والأشجار المثمرة إلى جانب زراعة الحبوب * والمحاصيل الزراعية الغذائية الأساسية . وبلغت مساحة الأرض المخصصة لغرس أشجار الحمضيات في البطاني الشرقي قرابة ٣١٩ دونما ، وأقل من ذلك في أراضي البطاني الغربي . ويربّي أهالي القريتين المواشي والدواجن (ر : الحيوانات الأليفة) .

في عام ١٩٤٨ تعرّضت القريتان للعدوان الصهيوني وتشتت أهلها ودمرتا تدميرا كاملا ، وأقيمت على أراضي البطاني الشرقي مستعمرة « أوروت » ، وأقيمت على أراضي البطاني الغربي مستعمرة « عزريقام » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

بطحيش : ر : أحمد بن بكر بن أحمد بن محمد

بطـــرس :

قديس له المقام الأول في الكنيسة . تذكر الأناجيل أن اسمه سمعان ، وقد لقبه المسيح بلقب « كيفا » أي صخر . وبطرس مذكر كلمة صخر في اليونانية ، ويرمز اللقب إلى الصمود والأمانة .

كان بطرس صيّاد سمك من بيت صيدا في الشمال الشرقي من بحيرة طبرية * ، وكان يسكن كفر ناحوم * وهو من أول من اختارهم المسيح رسلاً (ر : المسيحية) . واسمه في طليعة أسماء الرسل ، وفي طليعة الرسل الثلاثة الذين لازموا المسيح في بعض

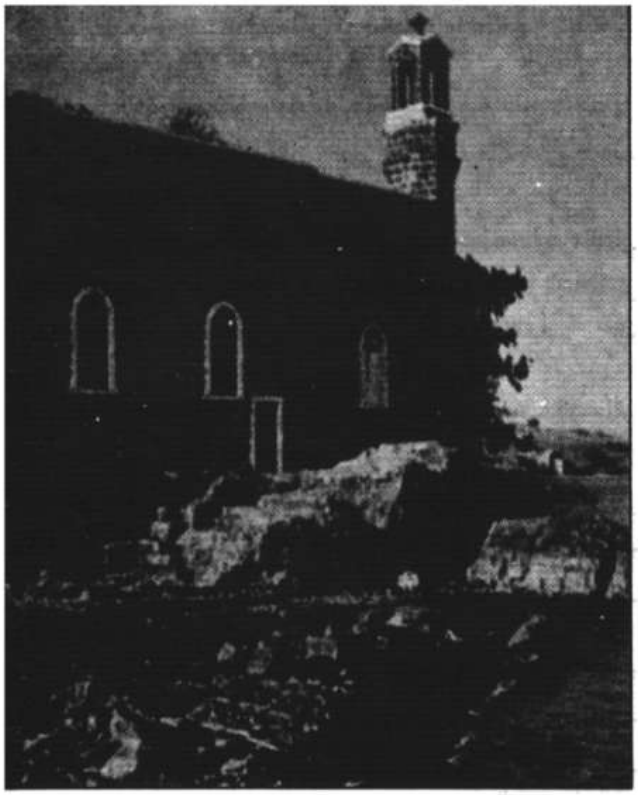

كنيسة القديس بطرس على شاطىء طبرية

الأحداث الإنجيلية . وكان المسيح يسكن بيته عادة حين ينزل كفر ناحوم . وكان بطرس لسان حال الرسل .

وفي الأناجيل الثلاثة نصوص تبين المقام الفريد الذي خص به المسيح بطرس بين الرسل وفي الكنيسة :

١) متّى ١٦ : ١٣ـ ٢٣ : أجاب يسوع بطرس : "أنت صخر ، وعلى هذا الصخر سأبني كنيستي ، فلن تقوى عليها أبواب الجحيم . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات . فما ربطت في الأرض ربط في السماوات ، وما حللت في الأرض حلّ في السماوات " .

٢) لوقا ٢٢ : ٣١ ـ ٣٢ : قال يسوع لبطرس : " سمعان سمعان دعوت لك ألاّ تفقد إيمانك . وأنت ثبّت إخوانك متى اهتديت " .

٣) يوحنا ٢١ : ١٥ ـ ٢٤ : قال يسوع لسمعان بطرس : " يا سمعان ابن يونا ارع غنمي . . . ارع خرافي . . " .

ويُري «سفر أعمال الرسل» بطرس بعد صعود المسيح ، على رأس الجماعة يختار متيا بدل يهوذا ، ويخطب في الجموع باسم الرسل ، ويدعوهم إلى العماد ، ويقبل الوثنيين في الكنيسة (أعمال ١٠ ، ١١ : ١ ـ ١٨) ، ويتفقد حال الكنائس في كل مكان . ولمّا قبض عليه كانت الصلاة ترتفع من أجله . ولمّا اهتدى القديس بولس ذهب ليراه . حتى عتاب بولس لبطرس في أنطاكية فإنه

يقصد شخصا مسؤولا في الكنيسة كلها (غلاطية ٢ : ١١ ـ ١٤) .

وقد يكون بطرس بشّر بعض ولايات آسية (تركيا) . ثم جاء من قورنتس إلى رومة حيث قضى القسم الأخير من حياته وأنشأ كنيسة رومة ومات مصلوباً . ودفن في حدائق الفاتيكان أيام نيرون نحو سنة ٦٧ م . وقيل إن المسيحيين في رومية نصحوا له بأن يهرب ، غير أنه ، كما يقولون ، رأى السيد المسيح داخلا رومية يحمل الصليب فقال له : إلى أين يا سيّد ؟ فأجابه إلى رومية حيث أصلب ثانية . قيل : فتوبخ بطرس واستشهد مصلوبا . وتبيّن أقدم الآثار الكتابية والدلائل الأثرية مقام كنيسة رومة حيث قبر الرسول بطرس ، ومقام أسقف رومة خليفة بطرس ، في الكنيسة جمعاء .

وفي العهد الجديد رسالتان على اسم القديس بطرس . وتحتفل الكنيسة بعيده كل سنة في التاسع والعشرين من حزيران .

المراجع :

ـ جورج بوست : **قاموس الكتاب المقدس** ، بيروت ١٩٧١ .

ـ **العهد الجديد** : الأناجيل الأربعة ، أعمال الرسل ، رسائل القديس بولس ، رسالتا القديس بطرس .

— Daniel Rops: **L'Eglise des Apôtres et des Martyrs,** Paris 1948.

— Goyau, G.: **Saint Pierre** , Paris 1923.

— Lebreton, J. and Zeiller, J.: **L'Eglise Primitive,** Paris 1946.

بطريركيـة : رَ : القدس (بطريركية ـ)

البَطُّوف (سهل ـ) :

منخفض منبسط من الأرض يقع إلى الشمال من مدينة الناصرة * وجبالها ، ويمتد على محور شمالي شرقي ـ جنوبي غربي . للمنخفض شكل قريب من المستطيل طوله نحو ١٧ كم ، ويراوح عرضه بين ٢,٥ و٤ كم ، وتقدر مساحته بنحو ٤٥ كم٢ .

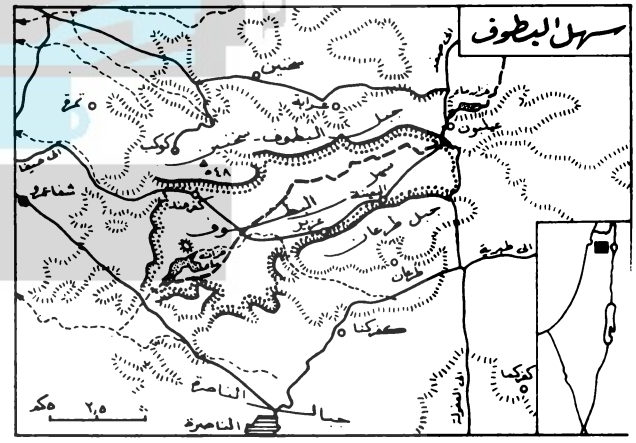

تشرف المرتفعات على السهل من جميع أطرافه ، وتكاد تمنع تصريف المياه منه وتحيله إلى حوض مغلق لولا الفتحة الوحيدة الضيقة في أقصى زاويته الجنوبية الغربية التي تربط بين السهل ووادي صفورية أحد روافد نهر المقطّع * . والسهل محصور بين مرتفعات جبل البطوف ـ سخنين الذي ترقى أعلى قممه إلى ٥٤٨ م عن سطح البحر من جهة الشمال ، وجبل طرعان من جهة الجنوب ، وله الارتفاع نفسه . أما السهل فيراوح ارتفاع سطحه بين ١٥٠ و٢٠٠ م وينخفض باتجاه الوسط والجنوب الغربي ويرتفع باتجاه الأطراف والشمال الشرقي والشرق . وهكذا فإن المرتفعات المحيطة به تعلو فوق أرضه بما بين ٣٠٠ ـ ٣٥٠ م بسفوح شديدة الانحدار نسبيا .

وسهل البطوف واحد من الحفر والأحواض البنائية (التكتونية) المنتشرة في منطقة الجليل الأدنى ، وهي حفر ذات محور شرقي ـ غربي سائد تفصل بينها سلاسل جبلية طولية لها المحور نفسه تقريبا . (رَ : الجليل ، جبال) . ويتفق محور سهل البطوف مع محور خطوط الصدوع (الانكسارات) التي حددت أطراف السهل وأدّت إلى نهوض الجبال حوله وسببت انخفاضه . ومما يزيد التباين بين السهل والجبال امتلاء أرض السهل بالترسبات اللحقية ومجروفات السيول العائدة للفترة الرباعية الحديثة ، وسيادة الصخور الكلسية ـ الدولوميتية العائدة للكريتاسي (السينوماني ـ التوروني) في الجبال (رَ : البنية والبناء الجيولوجي) . ولما كانت كمية الأمطار السنوية للمنطقة تراوح بين ٥٠٠ و٦٠٠ مم فإن إمكانية الزراعة في هذا السهل الخصب كبيرة ، وقد استفاد منها الإنسان منذ القدم .

استغل الصهيونيون هذه المواصفات الطبيعية في سياستهم الاستيطانية للأرض العربية فمدّوا أقنية المياه المأخوذة من بحيرة طبرية * عبر السهل ، وأنشأوا خزانا للمياه في النهاية الجنوبية الغربية للسهل يغذّي شبكة الأقنية المائية في السهل الساحلي ووسط (إسرائيل) وجنوبها . ونظراً لخصب السهل وتوفر المياه ازدهرت فيه زراعة الحبوب * والخضر *، واهتم سكان القرى المحيطة به بغرس الأشجار المثمرة ، وبتربية الحيوانات خارج نطاق المساحات التي كانت تغرقها مياه الفيضان .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحات صفد ، والناصرة ، وحيفا ، ومرج ابن عامر .

ـ **الخريطة الجيولوجية لفلسطين** : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

البُطَيْمات (قرية ـ) :

البطم شجر حرجي ينمو في فلسطين بكثرة ، وقد نسبت إليه قرية البطيمات .

تقع هذه القرية العربية في جنوب شرق حيفا * وتبعد عنها نحو ٣٤ كم عن طريق الكفرين ـ مرج ابن عامر . ومن هذه المسافة ٢١ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى و٦ كم طريق معبدة من الدرجة الثانية و٧ كم غير معبدة .

أنشئت البطيمات في جبل الكرمل * على ارتفاع ١٩٥ م عن سطح البحر فوق سفح يطل نحو الغرب على واد صغير يرفد وادي الجزر الذي يمر بشمالها ، ثم يلتقي بوادي الفحرور ليكوّنا معا واديا يرفد وادي عين حمد الذي يصب في وادي الغدران أحد الروافد العليا لنهر الزرقاء * . ويبدأ وادي حسن العلي من جنوب القرية . أما وادي الجرف فهو الحد الفاصل بين أراضيها وأراضي قرية معاوية الواقعة جنوبيّها ، وكلا الواديين يرفد وادي المراح الذي يرفد بدوره نهر الزرقاء . ومن ينابيع القرية عين الأفندي في طرف القرية الغربي ، وعين الجَزْر في شمالها ، وعين وادي حمد في شمالها أيضاً . وعين البستان ، وعين الجهمة في جنوبها ، وعين العرايس في شمالها الغربي (رَ : عيون الماء) .

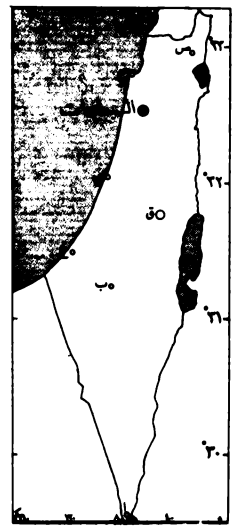

الشكل العام للقرية شريطي يمتد من الشرق نحو الغرب . وفي عام ١٩٣١ كان فيها ٢٩ مسكنا بنيت من الحجارة والإسمنت أو الحجارة والطين ، وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة القرية ٤ دونمات ، وهي بذلك أصغر قرى قضاء حيفا مساحة . أما أراضيها فقد بلغت في العام نفسه ٨,٥٥٧ دونما استملك الصهيونيون ٤,٧٢٤ دونما منها ، أي قرابة ٥٥٪ .

كان في البطيمات ١١٢ نسمة من العرب في عام ١٩٣١ ، وأصبح عددهم ١١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ ، وبذلك كانت أقل قرى قضاء حيفا سكانا .

ضمت القرية جامعا ، ولم يكن فيها خدمات أخرى . واعتمد السكان على مياه الينابيع ، وخاصة عين الأفندي ، في الشرب والأغراض المنزلية .

قام اقتصاد القرية على الزراعة * وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * بأنواعها . وفي موسم ١٩٤٣/٤٢ الزراعي كان في القرية ١١٣ دونما مزروعة بالزيتون * المثمر .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحتا راعي وأم الفحم .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة مجدو .

البعثة الصهيونية إلى فلسطين :

رَ : المكتب العربي ـ البريطاني

بِـعْلِـيـن (قـريـة ـ) :

قرية عربية تقع في أقصى الشمال الشرقي من قضاء غزة . وتبعد مسافة ٥١ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي قريبة من قرية برقوسية * بقضاء الخليل . ويرجح أن بعلين تحريف لكلمة « بعليم » جمع « بعل » أحد آلهة الكنعانيين .

قامت بعلين على بقعة قرية « بعلوت» الكنعانية التي ترتفع ١٥٠ م عن سطح البحر في منطقة ذات أراض متموجة هي في الحقيقة الأقدام الغربية لجبال الخليل * . وقد فرضت عليها طبيعة الأرض الجبلية وقلة الطرق نوعاً من العزلة . يكفي نصيبها من الأمطار لنمو مراع طبيعية غنية ، وقيام زراعة ناجحة ، لأنها في موضع يواجه الرياح المطيرة .

كانت بعلين تتألف من عدد قليل من البيوت المبنية باللبن والحجر معاً . لذا كانت مساحتها صغيرة لا تتجاوز ٦ دونمات . وهي قرية ذات مخطط عشوائي ، ويتجمع فيها نحو ٥٠ بيتاً في شكل اندماجي ، وتتخللها بعض الأزقة الضيقة المتعرجة . وكان في القرية بئران يراوح عمقهما بين ٤٠ و٥٥م ، ويعتمد عليهما الأهالي في الحصول على مياه الشرب . واشتملت بعلين على مدرسة ابتدائية أسست منذ عام ١٩٣٧ ، وفيها أيضاً بعض الدكاكين .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لبعلين نحو ٨,٠٣٦ دونماً منها ١٥٤ دونماً للطرق والأودية ، وقد امتلك الصهيونيون منها ٢٩٤

دونماً . استغلت هذه الأراضي في زراعة الحبوب * والأشجار المثمرة كالتين والعنب * واللوز وغيرها . وتسود الزراعة * البعلية المعتمدة على مياه الأمطار . وقد استغل قسم من أراضي القرية في رعي المواشي ، وبخاصة الأغنام والمعز ، وكان السكان يشتغلون ببعض الصناعات المنزلية الخفيفة كمنتجات الألبان والصوف والشعر .

تطور نمو سكان بعلين من ١٠١ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٢٧ نسمة عام ١٩٣١ . وكان سكانها آنذاك يقيمون في ٣٢ بيتاً ، وقدر عدد سكان بعلين في عام ١٩٤٥ بنحو ١٨٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ تعرضت بعلين للعدوان الصهيوني ، وطرد سكانها منها ، وتم تدميرها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

بغداد (حلف ـ) :

يمكن تحديد بداية حلف بغداد الذي أصبح يعرف فيما بعد بحلف المعاهدة المركزية (السنتو) في ١٩٥٥/٢/٢٤ عندما عقدت تركيا والعراق ميثاقاً دفاعياً بينهما . وبموجب المادة الخامسة من هذه المعاهدة ترك باب العضوية مفتوحاً أمام الدول الأخرى التي ترغب في الانضمام إليها والتي يعنيها الدفاع عن السلم والأمن في منطقة الشرق الأوسط من « الخطر الشيوعي » .

تلا هذه المعاهدة انضمام بريطانيا إليها في نيسان ١٩٥٥ فالباكستان في تموز ١٩٥٥ ثم إيران في تشرين الثاني ١٩٥٥ . وقد فشلت مساعي نوري السعيد رئيس وزراء العراق آنذاك بإقناع عدد من الدول العربية (وبالذات مصر وسورية) بالانضمام إلى الحلف لاقتناع هذه الدول بأن مصدر الخطر الحقيقي على المنطقة يتأتى من (إسرائيل) وحلفائها الذين انتسب بعضهم إلى الحلف أو أيدوه ، وليس من الاتحاد السوفييتي الذي بدأ يصبح المزود الوحيد لمصر وسورية بالسلاح والعتاد والذي أقيم الحلف واقعياً لمواجهته دون سواه .

لم تنضم حكومة الولايات المتحدة إلى الحلف بصورة كاملة رغم أن دورها في التحريض على إنشائه جلي بيّن ، بل قصرت مشاركتها على الانضمام إلى عضوية بعض لجانه ومنها لجنة مكافحة النشاط الهدام واللجنتان الاقتصادية والعسكرية ، واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٩ . وبعد ثورة العراق وانسحابه منه في آذار ١٩٥٩ أصبحت الولايات المتحدة عضواً كامل العضوية في حلف المعاهدة المركزية .

يرى بعض المحللين بحق أن الدوافع التي أملت على الدول الغربية أن تتبنى هذا المشروع ترتبط بالقيمة الاستراتيجية الهائلة لمنطقة الشرق الأوسط من الناحية العسكرية باعتبارها متاخمة للاتحاد السوفييتي ، ومن الناحية الاقتصادية باعتبارها مركز أكبر احتياطيات معروفة من النفط في العالم . بل ويذهب نفر من هؤلاء إلى أن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة أرادت من الحلف أن يؤدي إلى " صرف أنظار العراق بعيداً عن فلسطين ويجعل الإسرائيليين يعيشون في أمن ودعة " .

غير أن العراق كما أسلفنا سرعان ما انسحب بعد ثورة ١٩٥٨ من الحلف . وفي عام ١٩٧٩ انسحبت منه إيران ثم الباكستان ثم تركيا وأصبح الحلف أثراً بعد عين .

المرجع :

ـ محمد عزيز شكري : **الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية** ، الكويت ١٩٧٨ .

البقول : رَ : الحبوب

البُقَيْعَة (سهل ـ) :

من تضاريس منطقة نابلس . ويقع إلى شرقي الشمال الشرقي لمدينة نابلس * على مسافة خطّية لا تتجاوز ١٨ كم ، وإلى الجنوب الشرقي من بلدتي طوباس * وطمون * . وهو سهل صغير نسبياً ، متطاول على محور شمالي غربي ـ جنوبي شرقي مفتوح على غور نهر الأردن من جهة الجنوب الشرقي حيث يخرج منه وادي دورا الذي يعرف ضمن السهل بوادي البقيعة أيضاً في حين يكتسب مجراه الأدنى بعد خروجه من السهل اسم وادي أبو سدرة . ويقدر طول السهل بنحو ٨,٥ كم ومتوسط عرضه ٢,٥ ـ ٣كم ، وتقع أجزاؤه الشمالية الغربية على علو ١٨٠ ـ ١٩٠ م عن سطح البحر ، في حين تنخفض نهاياته حتى ٢٠ ـ ٢٥م عن سطح البحر أيضاً . وتطوق السهل من جهاته الجنوبية والغربية والشمالية مرتفعات جبلية هي ألسنة وامتدادات منبثقة من جبال نابلس * وسفوحها الشرقية المطلة على غور نهر الأردن ، وأهمها جبل طمون المرتفع جنوبي وجنوبي غرب السهل حتى ٥٤٧م ، في حين ترتفع قمة المويرة شمالي السهل حتى ٣٠٨م عن سطح البحر . وتصل قمة رأس جديرة شمالي غرب السهل إلى علو ٧١٢م .

أما تركيب السهل من الناحية الجيولوجية فهو غطاء رقيق من التربة الموضعية والمنقولة على أرضية من الصخور الكلسية والحوارية ـ المارنية ـ والدولوميتية العائدة للحقبة الثانية . والسهل خال من

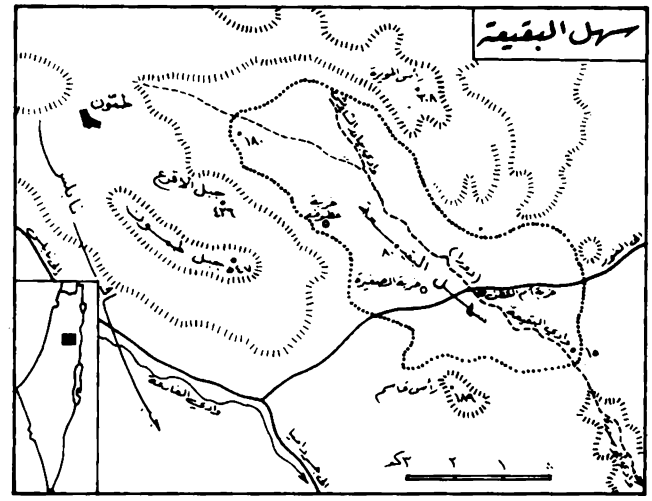

الصدوع والانكسارات ، لكن محوره العام متأثر بوادي الفارعة * الانهدامي الذي يساير السهل من جهة الجنوب . ويحتل السهل الجناح الشرقي لسنام البقيعة الالتوائي . ولما كانت كميات الأمطار السنوية في السهل منخفضة نسبياً وتراوح بين ٢٥٠ و ٤٥٠ مم فإن الجريان السطحي قليل ومقتصر على السيول الشتوية والفيضانات التي تهبط من الجبال والمرتفعات المحيطة بالسهل وتنتهي في وادي دورا الذي يصب آخر الأمر في نهر الأردن * . وإذا استثنيت بعض الآبار المحفورة عند الهوامش الجنوبية الغربية من السهل فليس فيه ينابيع أو عيون تساعد على قيام نشاط اقتصادي زراعي كبير . لذلك تنعدم في السهل التجمعات الريفية والقرى ، وتنتشر على المرتفعات القريبة منه ، وأهمها وأقربها إلى السهل بلدة طمون . وفي السهل وأطرافه عدد من الخرب المهجورة منها خربة عطوف وخربة الصغيرة وخربة أم القطن ، وهي تدل على استغلال سابق للسهل في الزراعة البعلية والرعي * (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . أما اليوم فتستغل بعض أجزاء السهل في زراعة الحبوب * بعلاً ، وفي الاستفادة من الغطاء العشبي في رعي المواشي ، ولا سيما الأغنام .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة جنين .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة نابلس .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

البكر (عملية ـ) : رَ : جيش التحرير الفلسطيني

أبو بكر الأصولي : رَ : محمد بن أبي اللطف الحصكفي

أبو بكر البنّاء المقدسي :

هو من أهل بيت المقدس ، ومن رجال أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . عاصر حكم ابن طولون في مصر والشام (٢٥٤هـ ـ ٢٧٠هـ) وكان من المهندسين المعماريين . ولا يتوافر عنه من المعلومات ما يكفي للترجمة له ترجمة وافية . ويعود الفضل لحفيده الجغرافي محمد بن أحمد المقدسي * البشّاري بذكر نبذة عن عمله الهندسي . فقد كان أحمد بن طولون بعد وصوله إلى حكم مصر سنة ٢٥٤هـ يتطلع باستمرار إلى ضم جنوبي الشام ، إن لم يكن الشام كله ، إلى سلطانه وكان يدرك أن نهايات الطرق التجارية التي كانت تتحول في تلك الفترة من الخليج إلى البحر الأحمر إنما تصب في موانىء مصر والشام ، وأن الروم يحاولون أن يظلوا مسيطرين على البحر وتجارة البحر في حوض المتوسط الشرقي . وهكذا ، وفي الوقت الذي أرسل فيه ولاته وقواته إلى منطقة الثغور والعواصم في شمال الشام ، عمل على تحصين الثغور البحرية في الشام ومصر من غارات الروم . يقول المقدسي : " وقد زار ابن طولون عكا * ، وكان رأى صور ومنعتها واستدارة الحائط على ميناها فأحب أن يتخذ لعكا مثل ذلك المينا . فجمع صناع الكورة وعرض عليهم ذلك فقيل له لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان . ثم ذُكِرَ له جدُّنا أبو بكر البناء ، وقيل إنْ كان عند أحد علم هذا فعنده . فكتب إلى صاحبه على بيت المقدس وأنهضه إليه . . . فلما صار إليه ذكر له ذلك . قال هذا أمر هيّن : عليّ بفلق الجميز الغليظة ، فصفّها على وجه الماء بقدر الحصن البرّي ، وخيّط بعضها ببعض ، وجعل لها باباً من الغرب عظيماً ، ثم بنى عليها بالحجارة . وجعل كلما بنى خمس روامس ربطها بأعمدة غلاظ ليشتد البناء . وجعلت الفلق كلما ثقلت نزلت ، حتى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حولاً كاملاً حتى أخذت قرارها ، ثم عاد فبنى من حيث ترك . كلما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيّطه به . ثم جعل على الباب قنطرة ، فالمراكب في كل ليلة تدخل الميناء وتجر السلسلة مثل صور . . " ، وأمنت عكا من الغارات الرومية البحرية التي كانت تتخطف مراكبها .

دفع ابن طولون لأبي بكر البناء ألف دينار سوى الخلع والمركوب . وكان اسمه على الميناء مكتوباً . ولكن أخباره تغيب بعد ذلك ، ولعله توفي في أواخر القرن الثالث الهجري .

المرجع :

ـ المقدسي البشّاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٨٧٧ .

البكـــري : رَ : محمد بن مصطفى البكري
رَ : مصطفى بن كمال الدين البكري

البلاستيك (صناعة ــ) : رَ : اللدائن (صناعة ــ)

بَـلاَطة (بلدة ــ) :

بلدة عربية تبعد مسافة كيلومتر واحد شرقي مدينة نابلس * ، بل إنها تعد حاليا ضاحية لنابلس وبوابة شرقية لها . وترتبط بطرق ثانوية معبدة بقرى روجيب وكفر قلّيل وسالم ودير الحطب وبيت دجن * وبيت فوريك وعزموط وعصيرة الشمالية * وطلّوزة .

نشأت بلاطة في أقصى الطرف الغربي لسهل عسكر بالقرب من فتحة وادي نابلس المتصلة بالسهل . وأقيمت القرية قرب أقدام جبلي الطور * (جرزيم) وعيبال مشرفة على سهل عسكر إلى الشرق منها . وترتفع نحو ٥٢٠ م عن سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكل المستطيل ، إذ تمتد البلدة في محورين رئيسين أحدهما بمحاذاة طريق نابلس ـ رام الله وثانيهما بمحاذاة الطريق المؤدية إلى وادي الفارعة * ووادي الأردن . وازدادت مساحة رقعتها العمرانية من ٢٥ دونما في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . وتعزى هذه الزيادة إلى تدفق اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في بلاطة ، وإنشاء مخيم بلاطة بعد عام ١٩٤٨ ، وإلى نزوح عدد من العائلات النابلسية للإقامة في البلدة .

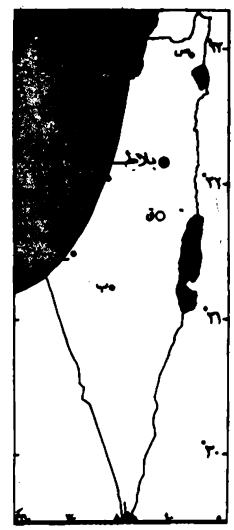

تتوافر في هذه البلدة بعض المرافق والخدمات العامة إلى جانب اعتماد البلدة على مدينة نابلس في كثير من حاجاتها . وتتركز المحلات التجارية في وسط البلدة . وتضم البلدة مسجدا قديما وخمس مدارس للبنين والبنات تابعة للحكومة ولوكالة غوث اللاجئين . وفيها عيادة صحية إضافة إلى تلك التي في مخيم بلاطة . وتشرب البلدة من ينبوغ عذب يعرف بعين الخضر ، وكذلك من بئر ماء في طرف البلدة الشرقي . ويوجد في شمالي بلاطة الشرقي قبر النبي يوسف بن يعقوب ، وتوجد بئر يعقوب ذات المياه العذبة في طرفها الجنوبي الشرقي . ويدل تل بلاطة الأثري على أن رقعة البلدة كانت معمورة منذ القديم ، ويؤكد هذا وجود بعض الخرب الأثرية بجوار بلاطة مثل خربة ذياب في الجنوب الشرقي ، وخربة العقود في شمالها ، وتل الراس في جنوبها الغربي (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي بلاطة ٣,٠٠٠ دونم . وتتميز أراضيها بخصب تربتها وانبساط جزء كبير منها ، وبخاصة تلك الواقعة في سهل عسكر . وتستغل هذه الأراضي في زراعة الحبوب * والقطاني والخضر * والأشجار المثمرة مثل اللوز والتين والزيتون * والعنب * . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار اعتماداً أساسياً ، وعلى مياه الينابيع اعتمادا ثانويا . ويعتني بعض المزارعين بتربية الأغنام التي يستفيدون من ألبانها كمصدر دخل يكمل دخلهم من الزراعة .

كان في بلاطة نحو ٣٠٠ نسمة عام ١٩١٤ ، وازداد عدد سكانها في عام ١٩٢٢ إلى ٤٦١ نسمة ، وفي عام ١٩٣١ إلى ٥٧٤ نسمة . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٧٠ نسمة . ووصل عددهم وفقا لتعداد ١٩٦١ إلى نحو ٢,٢٩٢ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بنحو ٧,٠٠٠ نسمة منهم ٣,٠٠٠ نسمة من أهالي بلاطة الأصليين وزهاء ٤,٠٠٠ نسمة من اللاجئين الفلسطينيين المقيمين في بلاطة .

المراجـع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .
ــ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة نابلس .

بلالين (فرقة ــ) : رَ : التمثيل والمسرح

بِلْتمـور (برنامج ــ) :

تبنى هذا البرنامج مجلس الطوارىء التابع للمنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال اجتماع غير عادي عقد في ١٩٤٢/٥/١١ في فندق بلتمور في مدينة نيويورك .

وقد مثل البرنامج انعطافا هاما في تاريخ الحركة الصهيونية ، وحدثا بارزا على صعيد علاقات هذه الحركة بالدول العظمى . فقد تضمنت بنود البرنامج لأول مرة في تاريخ الحركة الصهيونية مطالبة صريحة لمؤسسة صهيونية تمثيلية بقيام دولة يهودية في فلسطين . وبذلك أكد هذا البرنامج علنا الشكوك التي كانت تساور

بعض معارضي الصهيونية ، ومالها أن هدف الجهود الصهيونية الرئيس في فلسطين هو فرض السيادة الصهيونية على البلاد .

وكان طرح مطلب إقامة الدولة اليهودية في فلسطين في وقت مناسب جداً . فقد كانت الحرب العالمية الثانية لا تزال مشتعلة ، وكان العالم قد أخذ يعرف المجازر التي ارتكبها النازيون ، والنكبات التي حلت ببعض الشعوب الأوربية على أيديهم ، وأصابت بشرورها بعض يهود أوربا . لذلك كان سعي الصهيونية إلى إقامة الدولة اليهودية في فلسطين يرتبط في ذلك الحين بما حل بشعوب أوربا من مظالم نازية . وكان "حل " مشكلة اللاجئين اليهود الهاربين من الإبادة الهتلرية يعني انتقال اليهود الناجين إلى فلسطين .

وكان المغزى الكامن وراء اختيار عقد المؤتمر في الولايات المتحدة يوازي في أهميته توقيت المؤتمر فاختيار نيويورك مكانا يتم فيه الإعلان عن أمر حاسم في تاريخ الصهيونية يمثل صلب البرنامج السياسي الصهيوني في الحقيقة يدل على أهمية الجالية اليهودية الأمريكية المتزايدة في الحركة الصهيونية ويعترف بها . لقد كانت الحركة الصهيونية تركز جهودها من قبل على الجاليات اليهودية الأوربية ، وتصب معظم جهودها السياسية على بريطانيا الدولة المنتدبة في فلسطين . لكن هذه الحركة أخذت تحول اهتمامها وجهودها إلى الجالية اليهودية الأمريكية الكبيرة ، وصوب الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد مثل برنامج بلتمور في المقام الأول اعترافا ضمنيا من جانب زعماء الحركة الصهيونية العالمية بأن محور نشاطهم السياسي ودعايتهم قد أصبح في الولايات المتحدة لا في بريطانيا . ويرجع سبب ذلك إلى سخط معظم الزعماء الصهيونيين على بريطانيا لإعلانها الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩ (رَ : ماكدونالد ، كتاب - الأبيض) ، وهو أمر عدته الحركة الصهيونية بداية تراجع بريطاني أمام الرأي العربي كما ظهر خلال مؤتمر سان جيمس عام ١٩٣٩ وما تلاه من مراحل سبقت الحرب مباشرة (رَ : لندن ، مؤتمر - ١٩٣٩) . كذلك يرجع السبب في هذا الاعتراف الضمني بأهمية الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن القيادة الصهيونية رأت أن الولايات المتحدة قد بدأت تتبوأ مقعد الزعامة في المعسكر الغربي بما تملك من قدرات هائلة في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية ، وهذا يجعلها جديرة بدور الحليف الأساسي للحركة الصهيونية أكثر من بريطانيا . ومن هنا كان برنامج بلتمور رمز تغيير في تحالفات الحركة الصهيونية يوازي في أهميته ما قام من تحالف قوي مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى على يد وايزمن نفسه . وقد ضمنت الحركة الصهيونية بارتباطها بالولايات المتحدة ، أن يكون النجاح حليف برنامجها الجديد ، وأن يكون هدفها الذي طرحته قريب المنال سهل الظهور إلى حيز التنفيذ .

وقد تلخصت معظم المطالب الصهيونية الهامة في برنامج بلتمور في النقاط الختامية الثلاث التالية :

" ١) يدعو المؤتمر إلى تحقيق الهدف الأصلي لوعد بلفور * والانتداب الذي يعترف بالعلاقة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين ويهدف إلى منح هذا الشعب ، كما قال الرئيس ولسن ، الفرصة لتأسيس دولة كومونولث (Commonwealth) يهودية هناك . ويؤكد المؤتمر رفضه التام للكتاب الأبيض الصادر في شهر أيار عام ١٩٣٩ ، كما ينفي صحته المعنوية والقانونية . والكتاب الأبيض يرمي إلى تضييق الحقوق اليهودية في الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها إلى حد يعني واقعيا إلغاء هذه الحقوق . وهذا الكتاب ، كما قال المستر ونستون تشرشل في مجلس العموم في أيار عام ١٩٣٩ ، يمثل خرقا لوعد بلفور وتنكرا له . وسياسة هذا الكتاب سياسة فظة لا يمكن الدفاع عنها لأنها ترفض أن تمنح الملاذ لليهود الفارين من الاضطهاد النازي . وفي الوقت الذي أصبحت فيه فلسطين محوراً من محاور جبهات الحرب في مجموعة الأمم الحليفة وأصبح من واجب اليهود في فلسطين أن يقدموا كل طاقاتهم الإنسانية للمزرعة والمصنع والمعسكر ، في هذا الوقت غدت هذه السياسة تتناقض مباشرة مع مصالح الجهد الحربي لدى الحلفاء .

" ٢) وفي الصراع ضد قوى العدوان والظلم التي كان اليهود أول ضحاياها ، والتي تهدد الآن الوطن القومي اليهودي ، يجدر الاعتراف بحق اليهود في فلسطين في أن يلعبوا دورهم كاملا في المجهود الحربي ، وفي الدفاع عن بلدهم على يد قوة عسكرية يهودية تحارب تحت رايتها الخاصة ، وبقيادة الأمم الحليفة العليا " .

٣) يعلن المؤتمر أن " نظام العالم الجديد بعد النصر لا يمكن أن يرسى على مبادىء السلام والعدل والمساواة ما لم يتم حل مشكلة تهجير اليهود حلا نهائياً " . ويوصي المؤتمر " أن تفتح أبواب فلسطين على مصراعيها أمام اليهود . وأن تمنح الوكالة اليهودية * حق السيطرة على الهجرة إلى فلسطين ، مع ما يتبع ذلك من سلطة لأجل تعمير البلد بما في ذلك تطوير الأراضي غير الآهلة وغير المزروعة ، وأن يصار إلى تأسيس فلسطين كدولة كومونولث يهودية تندمج في إطار العالم الديمقراطي الجديد ، وعندئذٍ فقط يتم تقويم ذلك الظلم الذي لحق منذ الأزل بالشعب اليهودي " .

البلد (وادي ـ) : رَ : شوباش (وادي ـ)

بلد الشيخ (قرية ــ) :

سميت بذلك نسبة إلى الشيخ السهلي الصوفي الذي أقطعه إياها السلطان العثماني سليم الأول . وفي القرية قبر المجاهد العربي الكبير الشهيد عز الدين القسام * .

تقع هذه القرية العربية في قضاء حيفا على بعد ٥ كم في جنوب شرق مدينة حيفا * ، وتتصل بها بطريق معبدة ، إذ تمر طريق حيفا ـ جنين بشرقها مباشرة ، ويمر خط سكة حديد حيفا ـ سمخ على بعد نصف كيلومتر شرقيها ، ويوجد مهبط للطائرات في الطرف الشمالي من أراضيها .

أنشئت بلد الشيخ في أدنى السفح الشمالي لجبل الكرمل * قرب حافة مرج ابن عامر * على ارتفاع ١٠٠ م عن سطح البحر . ويمر نهر المقطّع بشرق وشمال شرق القرية على بعد يقل عن الكيلومترين ، وهو الحد الشمالي الشرقي لأراضيها . وتبدأ أو تمر بأراضيها عدة أودية صغيرة تنتهي في مرج ابن عامر . وتكثر الآبار في أراضيها على طول حافة جبل الكرمل الدنيا ، ويوجد خزان للماء على بعد ١,٢٥ كم من شمالها الغربي .

الامتداد العام للقرية من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ، أي مع الامتداد العام للسفح الذي تقع عليه ، وهي من النوع المكتظ ، وكان فيها ١٤٤ مسكنا في عام ١٩٣١ بني معظمها من الحجارة والإسمنت . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٢٤١ دونما . أي أنها كانت الثانية بين قرى قضاء حيفا من حيث المساحة . وبلغت مساحة أراضيها في العام نفسه ٩,٨٤٩ دونما استملك الصهيونيون منها ٤٨٥ دونما فقط ، أي ٢,٩٪ . ويقع نصف أراضيها تقريبا في مرج ابن عامر والباقي في جبل الكرمل .

كان في بلد الشيخ ٤٠٧ نسمات من العرب في عام ١٩٢٢ ، وارتفع عددهم الى ٧٤٧ نسمة في عام ١٩٣١ ويشمل هذا العدد عرب القُلّيطات ، وعرب الصويطات ، وعرب الطوفية ، وعرب السمنية . وفي عام ١٩٤٥ ارتفع العدد إلى ٤,١٢٠ نسمة فأصبحت بلدة الشيخ الثانية بين قرى قضاء حيفا من حيث عدد السكان .

كان في القرية مدرسة ابتدائية افتتحت منذ العهد العثماني ، ومعصرة زيتون غير آلية . واعتمد اقتصادها على الزراعة* وتربية المواشي . وأهم المزروعات الحبوب * والأشجار المثمرة ، ففي موسم ١٩٤٣/٤٢ كان فيها ٤١٨ دونما مزروعة زيتونا * مثمراً تركزت زراعته في جنوب شرق القرية . وإلى جانب ذلك عمل السكان في حيفا وضواحيها .

وفي أيام الانتداب استأجر بعض المستثمرين الصهيونيين بعض أراضي قرية بلد الشيخ ، وأسسوا مصنعا للإسمنت ، وأقاموا معظم مستعمرة « نيشر » على هذه الأراضي .

وفي عام ١٩٤٨ شردت القوات الصهيونية سكان القرية العرب ودمرت معظم بيوتهم (ر : بلد الشيخ ، مذبحة ـ ١٩٤٨) . وقد استوطن في بلد الشيخ مهاجرون صهيونيون ، وأطلق الصهيونيون على القرية منذ عام ١٩٤٩ اسم « تل حنان » .

المراجع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧ ق٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ــ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥,٠٠٠ ، لوحة حيفا .
ــ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة شرق الكرمل .

بلد الشيخ (مذبحة ــ) :

في أواخر شهر كانون الأول سنة ١٩٤٧ ثار العمال العرب في شركة مصفاة بترول حيفا على الصهيونيين العاملين في الشركة نفسها بعد أن انفجرت قنبلة خارج بناء المصفاة وقتلت وجرحت عددا من العمال العرب القادمين إلى المصفاة . وقد هاجم العرب الصهيونيين داخل المصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد وقتلوا وجرحوا منهم نحو ستين .

كان قسم كبير من العمال العرب في المصفاة يقطنون قريتي بلد الشيخ * وحوّاسة الواقعتين إلى الجنوب الشرقي من حيفا * بمسافة خمسة كيلومترات على طريق حيفا ـ الناصرة والمجاورتين لمستعمرة " نيشر " الصهيونية شرقيها . لذلك خطّط الصهيونيون للانتقام لقتلاهم في المصفاة بمهاجمة بلد الشيخ وحوّاسة .

نفذّ الصهيونيون بعد حوالي أسبوع من حادثة المصفاة خطة للانتقام لقتلاهم في المصفاة ولإشاعة الذعر وبث الخوف بين العرب من أجل تهجيرهم من قراهم وإخلاء فلسطين . وقد بدأ هجومهم بعيد منتصف الليل وفي بدايات اليوم الأول من كانون الثاني سنة ١٩٤٨ . وكان عدد المهاجمين بين ١٥٠ و٢٠٠ صهيوني قدموا من التلال الواقعة جنوبي بلد الشيخ ، وقد ركزوا هجومهم على أطراف بلد الشيخ وحوّاسة . ولم يكن لدى العرب آنذاك السلاح الكافي . ولم يتعد الأمر وجود حراسات محلية بسيطة في الشوارع .

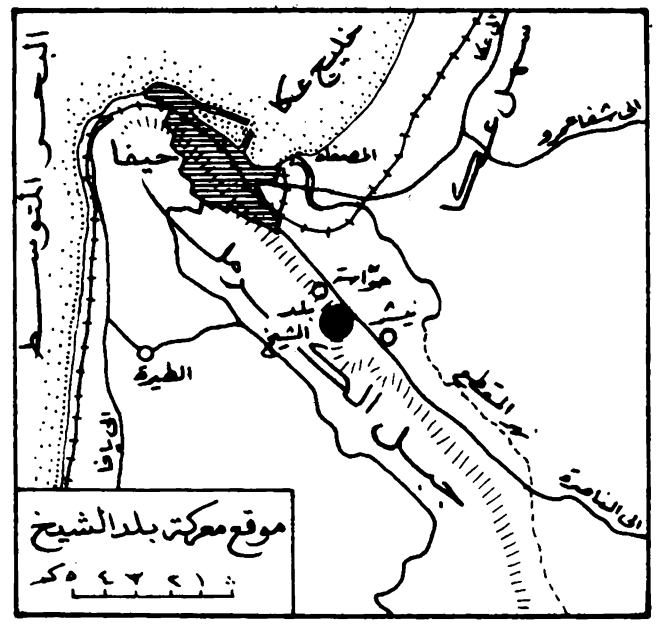

فاجأ الصهيونيون البيوت النائية في الأطراف وقذفوها بالقنابل اليدوية ودخلوا على السكان النائمين وهم يطلقون نيران رشاشاتهم . وقد استمر الهجوم ساعة انسحب إثرها الصهيونيون في الساعة الثانية صباحا بعد أن هاجموا حوالي عشرة بيوت ، وراح ضحية ذلك الهجوم نحو ٣٠ فردا بين قتيل وجريح معظمهم من النساء والأطفال .

ترك الصهيونيون المهاجمون خلفهم عددا من الرشاشات والقنابل والذخائر ، وشوهدت بقع دماء دلّت على تصدي الحرس المحلي لهم بما كان يحمل من سلاح متواضع .

البلديات (حزب ــ) : رَ : الدفاع الوطني (حزب ــ)

بلعام :

موضع بفلسطين ورد ذكره في التوراة * على أنه يقع بجوار مجدو * . سمي أيضاً « يبلعام » و« جت رمون » . ذكر بعض الباحثين أنه يقع في مرج ابن عامر * ، ويعتقد أنه كان يقوم مكان خربة بلعمة إلى الجنوب من جنين * بمسافة كيلومترين غربي الخط الحديدي الواصل بينها وبين نابلس * ، وكانت تحمل اسم « أبلعام » في العهد الكنعاني .

بلعام أيضا اسم نبي موحّد كانت له مكانة روحانية في أرض كنعان * ورد ذكره في سفر العدد (٩/٢٢) . وجاء في الوقائع الفلسطينية (العدد ١٣٧٥ عام ١٩٤٤) أن خربة بلعمة تضم تلا أثريا وحصنا متهدما .

المراجع :

ــ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
ــ أحمد سوسة : العرب واليهود في التاريخ ، دمشق ١٩٧٣ .
ــ قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .
ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ١ ، بيروت ١٩٧٣ .

بَلْعَـة (بلــدة ــ) :

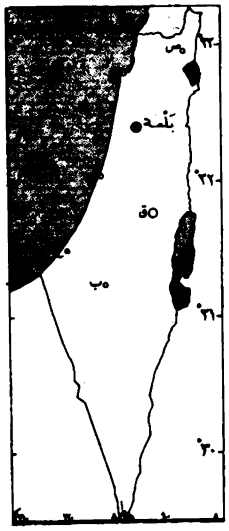

بلدة عربية تقع على مسافة ٩ كم تقريبا إلى شرق الشمال الشرقي من طولكرم * . وتربطها بطولكرم طريق معبدة ، وبالقرى المجاورة طرق فرعية ممهدة .

نشأت بلعة فوق رقعة متموجة من الأرض عند الأقدام الغربية لمرتفعات نابلس * ، وتنحدر الأرض تدريجيا من الشمال إلى الجنوب . ترتفع البلدة ٤١٧ م عن سطح البحر ، وتتألف من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت واللبن ، ويتخذ مخططها شكلاً طولياً من الشمال إلى الجنوب . وتتكون البلدة من عدة مجموعات من البيوت المتراصة التي تفصل بينها شوارع تسير من الشرق إلى الغرب . وتمثل كل مجموعة من البيوت حيّا من أحياء البلدة . تشتمل بلعة على بعض المحلات التجارية المتناثرة في جهاتها المختلفة ، وفيها جامع ومزار يعرف باسم مقام الخضر يقع في الجنوب الشرقي من البلدة . ويشرف المجلس القروي لبلعة على شؤون البلدة التنظيمية كفتح الشوارع وتوفير المياه والكهرباء والمدارس . وتعتمد البلدة في الشرب على الأمطار التي تجمع مياهها في آبار خاصة . وفيها ثلاث مدارس للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، ولها عيادة صحية . وقد ازدادت مساحة بلعة من ٤٢ دونما عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٥٠ دونما .

تبلغ مساحة أراضي بلعة ٢١,١٥١ دونماً منها ٤٢ دونماً للطرق والأودية . وتزرع في أراضيها الحبوب * والأشجار المثمرة من زيتون * ومشمش ولوز وتين ورمان وغيرها . وتحيط المزارع بالبلدة من معظم جهاتها ، وبخاصة من الجهتين الشرقية والغربية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية .

يعمل معظم سكان بلعة في الزراعة . وهم يعودون بأصولهم إلى قرى دير الغصون * وجيت وبربرة * . وقد ازداد عدد السكان من ١,٢٥٩ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١,٥٣٩ نسمة عام ١٩٣١ ، وكان هؤلاء يقيمون آنذاك في ٣٤٤ بيتا . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٢٢٠ نسمة ، ووصل عددهم حسب تعداد ١٩٦١ إلى ٢,٨٨٨ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بلعة (معركة) : ر : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

بلغاريا : ر : أوربا الشرقية (دول ـ)

بلفور (وعد ـ) :

بتزعم تيودور هرتزل الحركة الصهيونية وعقده المؤتمر الصهيوني * الأول في بازل عام ١٨٩٧ انتقلت فكرة الصهيونية من النطاق النظري إلى النطاق العملي . وتمثل ذلك بسعي الصهيونيين الحثيث للحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لليهود . وباءت بالفشل المحاولات الأولى للحصول على مثل هذا الوعد من تركيا أولا ، وألمانيا ثانيا ، وإنكلترا ثالثا . واضطر الصهيونيون إلى الانتظار حتى اجتمعت ظروف دولية ملائمة لهم، وذلك باندلاع الحرب العالمية الأولى وتحولها إلى سجال مرير مرهق جعل كل الدول المحاربة تتشبث بأي شيء للخروج منتصرة من الصراع . وكانت بريطانيا من أوائل الدول الأوربية التي التفتت في النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى فكرة تهجير اليهود إلى فلسطين ، وإمكانية ذلك ، وفائدته بالنسبة إلى مصالح بريطانيا . وفي عام ١٩٠٢ عزمت حكومة آرثر بلفور على منح اليهود وطناً لهم في إفريقيا الشرقية ثم في منطقة العريش . وعالج لويد جورج عندما كان محاميا النواحي القانونية للمشروع . ورغم إخفاق المحاولة فإنها أعطت هذين السياسيين الفرصة لتفهم الصهيونية والتجاوب معها . وكانت المناسبة لذلك تَدَفُّقَ المهاجرين اليهود من أوربا الشرقية ، وإصدار إنكلترا قانونا لتحديد الهجرة إليها . وتوجه هرتزل إلى الحكومة البريطانية مصرّا على أن الحل الوحيد يكمن في

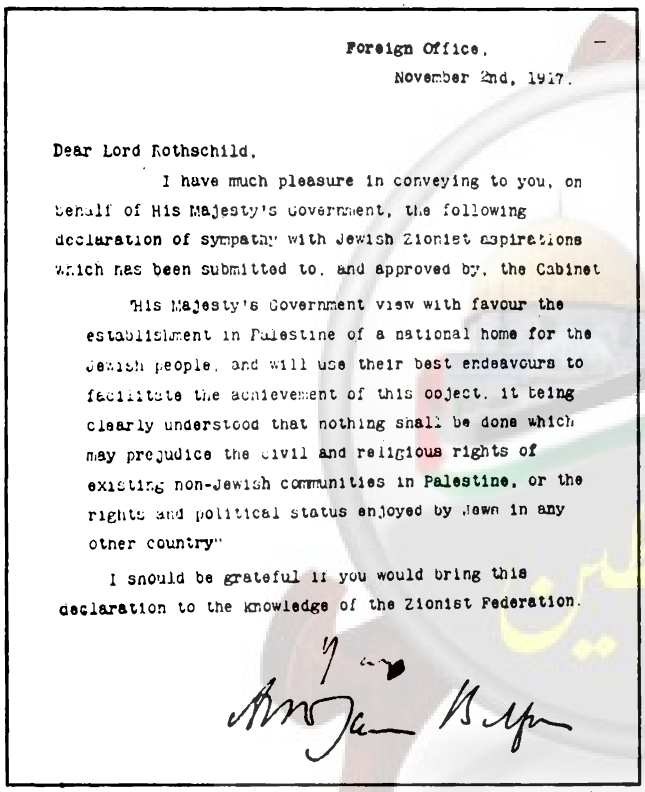

Foreign Office.
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

إيجاد وطن لليهود يستوعب أمثال هؤلاء المهاجرين . وتركت هذه الفكرة صداها في الغرب ، ولا سيما في نفس بلفور الذي كان إسكوتلنديا مثقفاً ومولعاً بالكتاب المقدس من ناحية ، ومن ناحية أخرى سياسياً محافظاً متشبثاً بالإمبراطورية إلى الحد الذي أكسبه لقب بلفور الدامي عندما كان حاكما لإيرلندا .

ونشط الصهيونيون إبان الحرب للحصول على وعد من ألمانيا وإنكلترا فراحوا يهيبون بالساسة لإصدار مثل هذا الوعد دعما لمصالح بلادهم . وكانت حجتهم الاستفادة من النفوذ اليهودي بوجه عام وفي الولايات المتحدة بوجه خاص فأشاروا إلى أن مثل هذا الوعد سيغري اليهود بالضغط على الحكومة الأمريكية لمناصرة الحلفاء علماً بأن عدداً كبيراً منهم كانوا من المهاجرين الروس الذين ما زالوا يحقدون على روسيا حليفة إنكلترا . وكان المنتظر أن يحمل الوعد البريطاني هؤلاء على التعاطف مع الحلفاء رغم ذلك الحقد . والمعروف أن بلفور التقى أثناء الحرب بالزعيم الصهيوني الأمريكي برانديز اليد اليمنى للرئيس ولسن ، وكانت استراتيجية بلفور تقوم على جر أكثر ما يمكن من الدول إلى الحرب بجانب الحلفاء .

وذكر أيضاً أن الوعد المذكور سيحمل يهود روسيا الذين انخرط أكثرهم في الحركة اليسارية الداعية إلى إخراج روسيا من الحرب على تغيير موقفهم والدعوة إلى إبقاء بلادهم في القتال إلى جانب انكلترا

وذهبت آراء آخرين ، ومنهم اللورد كتشنر ، إلى أن التطورات التقنية العسكرية اقتضت احتلال فلسطين وإبقاءها تحت التاج البريطاني لأغراض الدفاع عن قناة السويس . وادعى الصهيونيون أنهم خير من يحقق هذا الهدف لإنكلترا بإقامتهم هناك تابعين مخلصين للاستعمار البريطاني يسهرون على أمنه وسلامة مواصلاته . وذكر لويد جورج أنه أيد إعطاء الوعد (ويعرف بالإنكليزية بوعد بلفور *Balfour Declaration*) مكافأة منه لوايزمن على مساهمته العلمية المهمة في صناعة العتاد الحربي أثناء الحرب . وفي الأشهر الحرجة من النزاع توجست الحكومة البريطانية خوفا من نجاح الصهيونيين الألمان في الحصول على وعد مشابه من القيصر ، مما يؤدي إلى تحول اليهود إلى جانب دول المحور وضياع الفرصة على إنكلترا . وذهب آخرون كمارك سايكس إلى أن تخصيص فلسطين لليهود تحت رعاية إنكلترا سيضع حدا لمطامح فرنسا التي تعتبر فلسطين جزءاً من سورية . وإضافة إلى كل هذا كانت هناك الميول المعادية للسامية التي رأت في الوعد أسلوبا مهذبا للتخلص من اليهود ومصداقا للإيمان بفكرة " أجنبية اليهودي " .

غير أنه كان هناك معارضون للوعد، وخاصة بين اليهود الليبراليين المندمجين في المجتمعات التي يعيشون فيها ، وقد رأوا في الوعد سندا يستغله معادو السامية ، ومؤشرا على " غربة " اليهودي وعدم اندماجه أو انتمائه إلى موطن إقامته . وكانت هناك أيضا إشارات ثانوية تتعلق بحقوق المواطنين الأصليين في فلسطين ومصيرهم . وانعكست هذه المعارضة في مواقف مجلس ممثلي اليهود البريطانيين * والاتحاد الأنكلو - يهودي بقيادة لوسيان ولف وكلود مونتفيوري . وقاد المعارضة داخل مجلس الوزراء البريطاني الوزير اليهودي إدوين مونتاغو . وجرى بهذا الشأن نقاش حاد حول قومية اليهودي وجنسيته وانتمائه وارتباطه بفلسطين أو موطن إقامته .

ومثل الجانب الصهيوني في هذا النقاش حاييم وايزمن وناحوم سوكولوف . وبلغ النزاع حدا وجهت معه التهمة إلى مؤيدي الوعد بأنهم من اليهود غير الإنكليز علماً بأن الأسر الرئيسة اليهودية في إنكلترا كروتشيلد ، ومونتفيوري ، ومونتاغو ، كانت أصلا ضد الصهيونية . بيد أن النقاش انتهى أخيرا داخل مجلس ممثلي اليهود البريطانيين بالتصويت في ١٩١٧/٦/١٧ إلى جانب الجناح الصهيوني بنسبة ضئيلة ، وربما عكس ذلك مدى الانقسام في الطائفة اليهودية البريطانية .

وبالإضافة إلى ذلك كان هناك بين الساسة الإنكليز من رأى أن وعد بلفور سيرتب حملا ماليا وإداريا وعسكريا على بريطانيا هي في غنى عنه ، وليس في فلسطين من الثروة أو الواردات ما يبرر هذا العبء الجديد .

بيد أن الاعتبارات السياسية والعسكرية المختلفة رجحت الكفة الصهيونية في كافة الميادين . وأظهر وايزمن براعة سياسية ودبلوماسية ونشاطاً لا يكل في إقناع ساسة الحلفاء بوجهة النظر الصهيونية والتعبير لبريطانيا عن تعاطفهم مع فكرة الوعد .

وبعد تبلور الفكرة في ذهن الحكومة البريطانية بدأ إعداد مسودة الوثيقة في حزيران ١٩١٧ . وتولى مسؤولية المشروع بصورة أولية ناحوم سوكولوف الذي أعطاه المسؤولون الإنكليز الخطوط الرئيسة للتصريح ، وقد أكدت على استبعاد فكرة إقامة دولة يهودية . ولعب من الجانب البريطاني مارك سايكس دورا رئيساً في توجيه صياغة الوعد من الناحية الصهيونية وجهة وزارة الخارجية . وعكست هذه الوجهة بادىء ذي بدء عقلية وزير الخارجية آرثر بلفور وتجربته القديمة بشأن المهاجرين اليهود ، فتركزت على مفهوم إيجاد ملجأ للمضطهدين منهم . غير أن الجانب الصهيوني عارض هذا المنطلق ، واستقر تفكير الطرفين على فكرة " الوطن القومي " التي وردت أولا في برنامج مؤتمر بازل الصهيوني (ر : بازل ، برنامج) .

وبالنظر للتعهدات الأخرى التي التزمت بها بريطانيا ، ولا سيما تجاه الشريف حسين ، وضغوط المعارضة التي واجهتها من الجانب المعادي للصهيونية ، فقد حرصت وزارة الخارجية في هذه المرحلة على الاقتضاب وتحاشي التفاصيل والاعتماد على العبارات المطاطة . وأدى ذلك إلى تنقيح الوثيقة واختصارها عدة مرات ، واستغرق كل ذلك ما يقرب من أربعة أشهر قبل الوصول إلى الصيغة النهائية التي صدرت أخيراً في ١٩١٧/١١/٢ بشكل رسالة من وزير الخارجية بلفور إلى اللورد روتشيلد ونشرت في الصحافة البريطانية في ٩ تشرين الثاني بالنص التالي :

" عزيزي اللورد روتشيلد ،

" يسعدني كثيرا أن أنهي إليكم نيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي تعاطفا مع أماني اليهود الصهيونيين التي قدموها ووافق عليها مجلس الوزراء :

(إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وسوف تبذل ما في وسعها لتيسير تحقيق هذا الهدف . وليكن مفهوماً بجلاء أنه لن يتم شيء من شأنه الإخلال بالحقوق المدنية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين أو بالحقوق والأوضاع القانونية التي يتمتع بها اليهود في أية دولة أخرى) .

" إني أكون مدينا لكم بالعرفان لو قمتم بإبلاغ هذا التصريح إلى الاتحاد الصهيوني .

المخلص
آرثر بلفور"

ومما يذكر أن المسودة الصهيونية (تموز ١٩١٧) كانت تنص على "إعادة تكوين فلسطين لتصبح الوطن القومي للشعب اليهودي " ،

وعلى أن تبحث الحكومة البريطانية مع المنظمة الصهيونية سبل تحقيق ذلك . ولكن اللورد ملنر أحد الوزراء المتحمسين للوعد عدّل النص في آب ١٩١٧ وأعطاه صيغة " إقامة وطن للشعب اليهودي في فلسطين " . وفي تشرين الأول كتب ملنر بالتعاون مع ليوبولد إيمري مسودة ثالثة أخذت بنظر الاعتبار احتجاجات المعارضين اليهود ، فأدخلت الإشارة إلى حقوق الفئات غير اليهودية وحقوق اليهود ومكانتهم السياسية في الدول الأخرى " ممن يشعرون كليا بالرضى بجنسيتهم ومواطنتهم الحالية " . وللسبب نفسه أزيل من التصريح ذكر المنظمة الصهيونية والتزام الحكومة البريطانية بالتباحث معها . وصيغت الصورة الأخيرة للتصريح في ١٩١٧/١٠/٣١ .

لم يثر نشر الوعد انتباها كبيرا في حينه ، وتصور الكثيرون أنه سرعان ما سيصبح في ذمة النسيان بعد قليل لأن الصهيونية كانت تبدو آنذاك حلماً من الأحلام . بيد أن التاريخ قدّر غير ذلك . وغدت هذه الوثيقة من أهم الوثائق التي صدرت ، وربما كتب عنها ما لم يكتب عن أية وثيقة أخرى .

ويرجع جل النقاش الذي احتدم حولها إلى الغموض الذي اكتنف عباراتها . ولا عجب في ذلك بعد أن خرجت من أقلام طرفين احترفا الغموض والتمويه وتميزا بهما تاريخيا : الجانب الإنكليزي والجانب الصهيوني . هذا إلى أن وقائع أخرى أملت على كاتب التصريح تحاشي الصراحة والتفصيل والدقة والتحديد . ومن هذه الوقائع تعارض التصريح مع التعهدات البريطانية السابقة للشريف حسين (رَ : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) ، والترتيبات التي تفاهمت حولها إنكلترا وفرنسا ، وعدم وضوح رؤية إنكلترا بالنسبة إلى مستقبل المنطقة . كان الغرض الأول في ذهن بلفور إعطاء تصريح دعائي يخدم المجهود الحربي في نزاع مميت بأقل ما يمكن من الثمن . وكانت المسألة بالنسبة إلى وايزمن مسألة الحصول على وعد يعطي اليهود اعترافا دوليا بمكانتهم الخاصة في فلسطين . وكان كلا الطرفين يؤمن بأسلوب المرحلية في السياسة .

وفيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية صدرت تصريحات وتفسيرات مختلفة ومتناقضة لما يقصد بعبارة " وطن قومي " ، وما قصده بلفور بالذات منها ، وما إذا كانت تشمل إقامة دولة يهودية . ومن ذلك أن اريك فوربس آدم خبير وزارة الخارجية البريطانية في الشؤون الفلسطينية قدم مذكرة رسمية في كانون الأول ١٩١٩ بيّن فيها أن الحكومة قبلت بفكرة تحويل فلسطين في النهاية إلى دولة يهودية . ولكن خبير الوزارة الآخر هارولد نيكلسن قال إن بلفور لم يفكر بدولة يهودية مستقلة ، وإنما بملجأ ليهود أوربا الشرقية . وفي عام ١٩٢٢ صدر كتاب أبيض حدد مفهوم الوطن القومي بأنه لا يتضمن فرض الجنسية اليهودية على بقية الشعب ، وإنما يرمي إلى إيجاد مركز يهودي في فلسطين . وامتنع الصهيونيون عن إعطاء تفسيرات للعبارة تكشف عن عزمهم على إقامة دولة ، بل ذهب بعضهم ، ومنهم سوكولوف ، إلى رفض هذا الزعم . ولكن الظاهر أنهم اعتبروا الوعد إيذانا بتكوين أكثرية يهودية تصبغ القطر بصبغتها . وفي حديث ونستون تشرشل لوجهاء فلسطين عام ١٩٢١ أشار إلى وجود فرق لغوي كبير بين أقامة " وطن قومي " كما ذكر الوعد وإقامة " الوطن القومي " ، مما يستبعد فكرة إقامة " حكومة يهودية تسيطر على العرب " .

أما بالنسبة إلى الجانب العربي فالملاحظ أن المشاورات الطويلة في لندن والاتصالات في الخارج لم تتضمن استطلاع رأي السكان العرب بل ولا حتى الممثلين الرسميين لبريطانيا في المنطقة . ولكن المسؤولين الإنكليز والصهيونيين ناقشوا معضلة السكان الأصليين بصورة عابرة في الأشهر السابقة للوعد ، واتجه الرأي عموما إلى إمكانية تعايش القوميتين ، وإلى ضرورة تحاشي إثارة العرب . وقبل إصدار التصريح بأسبوع تقدم اللورد كرسن بمذكرة عارض فيها فكرة الوعد ، وأشار إلى نصف المليون العربي الذين " لن يرضوا بانتزاع ممتلكاتهم من أجل المهاجرين اليهود ، أو بأن يعملوا مجرد حطابين وسقاة ماء لهؤلاء المهاجرين " . وأشار إلى فقر البلاد وعدم صلاحها لعرق آخر ، أو لتصبح وطنا قوميا للشعب اليهودي .

ما إن ذاع خبر التصريح حتى أسرعت السلطات العثمانية إلى لفت أنظار العرب إلى خطورته . وكان أن طلب الشريف حسين تفسيرا للموضوع من الإنكليز . وفي عدد من الاتصالات منها مقابلة هوغارت للحسين ، ومقابلة وايزمن لفيصل بن الحسين ، بدا أن القيادة الهاشمية اقتنعت بتأكيد بريطانيا أن وعد بلفور لن يتعارض مع أماني العرب أو حقوقهم . بيد أن سكان فلسطين أنفسهم بدأوا يشعرون بنقيض ذلك ، ولا سيما أمام الضغط المتصاعد من الصهيونيين . وراح هذا الشعور يأخذ شكل الرفض لوعد بلفور والسعي لتفنيده وتعطيله وإلغائه . وبدأ النقاش الطويل الذي استمر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية .

وقدم الفلسطينيون وجهة نظرهم بوفد رسمي إلى لندن لأول مرة في عام ١٩٢١ مطالبين بنقض التصريح بناء على المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم * ، لتعارضه مع مبادىء العهد (رَ : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) . وأشاروا أيضا إلى مخالفته لمبادىء الرئيس ولسن التي أعلنها الحلفاء أثناء الحرب فيما يتعلق بحق تقرير المصير . واحتجوا أيضاً بمناقضة الوعد لتعهدات إنكلترا للشريف حسين . وردّت إنكلترا على القول الأخير بالاستشهاد بفقرة من رسالة مكماهون المؤرخة في ١٩١٥/١٠/٢٤ وفيها استثنى مكماهون من مفعول تعهده " أجزاء من سورية تقع إلى الغرب من

ولايات دمشق وحمص وحماة وحلب " . واعتبر تشرشل فلسطين ضمن ذلك . وأوضح العرب أن النص الأصلي لم يتضمن كلمة " ولايات " ولا توجد أساسا ولاية باسم ولاية دمشق ، وأن فلسطين لا تقع غربي دمشق .

ولكن الحجة الأساسية ضد وعد بلفور كانت ، وستبقى ، مناقضته لحق تقرير المصير ، وأن إنكلترا قد منحت بموجبه ما لا تملك لمن لا يستحق . وفي مفاوضات الصلح قاومت فرنسا في الواقع الأخذ بوعد بلفور على اعتباره تصرفا انفراديا .

وقد أثير أيضا كثير من النقاش بشأن العبارة المتعلقة بحماية الحقوق المدنية والدينية للفئات غير اليهودية . ونصح تشرشل العرب بالتمسك بها لحماية كيانهم . وحولها نشأ ما عرف باسم تساوي الالتزامات ، أي الالتزام بتشجيع الوطن القومي اليهودي والالتزام بحماية العرب . وقضى عدد من الساسة والإداريين الإنكليز السنوات اللاحقة يفتشون عبثا عن طريق لتحقيق هذا التوازن والتوفيق بين الالتزامين . ورأى الجانب المناصر للعرب أن استحالة تحقيق الالتزام نحو الصهيونيين بدون الإخلال بالالتزام نحو العرب واستحالة توفير الهجرة اليهودية بدون المساس بحقوق العرب المدنية والدينية تقتضيان إلغاء وعد بلفور . وأعطى الجانب الصهيوني تفسيرا مخالفا يقول : إن الأصل في وعد بلفور هو إقامة الوطن القومي وإن حماية الحقوق المدنية والدينية لغير اليهود شرط فرعي ، وفي حالة التناقض يحذف الفرع حفاظاً على الأصل .

وفي نيسان ١٩٢٠ التأم مجلس الحلفاء الأعلى في سان ريمو في إيطاليا للنظر في مصير الأقاليم المحتلة ، وطلب لويد جورج من المؤتمرين إدخال وعد بلفور ضمن معاهدة السلام مع تركيا . وتم ذلك في ٢٥ نيسان رغم معارضة الوفد الفرنسي ، فأدخل نص الوعد ضمن المادة الخاصة بالانتداب ، وأصبح التزاما على عاتق الدول المتحالفة أنيط ببريطانيا تنفيذه في إطار نظام الانتداب وتحت إشراف لجنة الانتداب التابعة لعصبة الأمم (رَ : سان ريمو ، مؤتمر) .

هل حقق وعد بلفور لبريطانيا ما كانت ترجوه منه ؟ من الصعوبة بمكان تحديد مدى المكاسب في مثل هذا الميدان . ولكن إصدار التصريح جرى في نفس اليوم الذي استولى فيه البلاشفة على الحكم في روسيا إيذانا بإخراجها من الحرب . وعلى هذا فقد بطل غرض التصريح من حيث إبقاء روسيا إلى جانب الحلفاء والتأثير على اليهود الروسيي الأصل في أميركا في هذا الإطار . كما أزالت الثورة البلشفية خطر تدفق المهاجرين اليهود إلى الغرب . وبالنسبة لتركيا فسرعان ما استسلمت أمام الجيش البريطاني الذي ساند العرب ، ولم يكن لليهود دور مهم في هذه الساحة . ورغم صداقة القاضي الصهيوني براندیز للرئيس ولسن فمن المشكوك فيه أن يكون ليهود أمريكا دور خاص في جر بلادهم إلى الحرب بتأثير وعد بلفور . وعليه يمكن القول إجمالا إن بريطانيا لم تجن الثمار التي توقعها بلفور في إصدار تصريحه بالنسبة لنتيجة الحرب ، ولو أن تأسيس الوطن القومي اليهودي أعطى بريطانيا المبرر لاستبعاد الفرنسيين من فلسطين واحتلالها حتى عام ١٩٤٨ . ولكن النازيين ، من الناحية الأخرى ، اتهموا يهود ألمانيا بتخريب الروح المعنوية العسكرية والإرادة القتالية بدعواتهم السلمية والأممية التي تعاظمت في الأشهر الأخيرة من الحرب .

ويظهر أن الفائز الحقيقي الوحيد في العملية كان المنظمة الصهيونية . ولا عجب إن دأب الصهيونيون على الاحتفال سنويا بذكرى وعد بلفور في حين سماها العرب باليوم المشؤوم الذي استقبلوه بإضرابات ومظاهرات واحتجاجات . ورفضت طوائف من المتدينين اليهود وعد بلفور على اعتباره تدخلا دنيويا في إرادة الله التي ستقرر " ساعة عودة اليهود إلى أرض إسرائيل " . أما الليبراليون والاندماجيون من اليهود فاتخذوا موقفا فاترا أو مترددا أو معارضا . ودان اليساريون والماركسيون بوجه عام الوثيقة لأنها " مؤامرة استعمارية رجعية لا غير " .

المراجع :

ـ حسن صبري الخولي : **سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين** ، القاهرة ١٩٧٠ .

— Dugdale, B.: **Arthur James Balfour,** London 1936.

— John, R. and Hadawi, S: **Palestine Diary,** Beirut 1970.

— Stein, L.: **Balfour Declaration,** London 1964.

البلقيني : رَ : عمر بن رسلان البلقيني

بلودان (مؤتمر ـ ١٩٣٧) :

صدر تقرير لجنة بيل * الملكية في شهر تموز ١٩٣٧ ، وقد أوصى « بحل نهائي » لقضية فلسطين تبنى أسسه على تقسيم البلاد إلى ثلاث مناطق : دولة يهودية ، ومنطقة انتداب بريطانية ، ومنطقة عربية تُضم إلى إمارة شرقي الأردن . وأعلنت الحكومة البريطانية قبولها لتقرير اللجنة ، وتبنّيها لقرار التقسيم ، وأكدت عزمها على تنفيذه .

رفضت اللجنة العربية العليا لفلسطين * توصية اللجنة

الملكية ، وأكدت تصميمها على مقاومة التقسيم ، واستماتة الشعب الفلسطيني في الحفاظ على وحدة وطنه .

وتُمي إلى اللجنة العربية العليا أن بعض الجهات العربية الرسمية تميل إلى قبول التقسيم فاتصلت فوراً بملوك العرب وحكوماتهم وزعمائهم تدعوهم إلى رفض التقسيم ، وبعثت الوفود لى الأقطار العربية والإسلامية والغربية للدعوة لقضية فلسطين إعلان رفض أهلها للتقسيم .

قابلت الحكومة البريطانية جهود اللجنة العربية العليا ومساعيها الغضب والنقمة . وتابعت في الوقت نفسه مساعيها وجهودها مع عدد من الزعماء والقادة العرب في البلاد العربية لإقناعهم بالموافقة على التقسيم .

طلبت اللجنة العربية العليا لفلسطين من الحكومة البريطانية لسماح بعقد مؤتمر عربي عام في القدس يحضره مندوبون عن البلاد

عربية ، ولكن الحكومة رفضت هذا الطلب وأكدت تصميمها لى منع عقد أي اجتماع عربي عام في البلاد . ولما كانت اللجنة عربية حريصة على أن يُعلن زعماء العالم العربي رأيهم الإجماعي رفض التقسيم ، وراغبة في إحباط مساعي الإنكليز في الحصول على وافقة بعض الزعماء العرب ، فإنها أجرت اتصالات مع لجان الدفاع ن فلسطين في العراق وسورية (رَ : الدفاع عن فلسطين ، لجنة) ، لعقد مؤتمر عربي عام في بلدة بلودان بسورية يحضره ندوبون عن فلسطين والأقطار العربية .

وفي ١٩٣٧/٩/٨ عقد هذا المؤتمر في بلودان برئاسة ناجي سويدي (العراق) حضره ممثلون عن الأقطار العربية المختلفة . مثل فلسطين في المؤتمر وفد انتدبته اللجنة العربية العليا كان أعضاؤه محمد إسحق درويش * وعزة دروزة ورشيد الحاج إبراهيم * وأكرم عيتر وصبحي الخضراء * ومحمد علي التميمي وأحمد الإمام ، انتخب الأمير شكيب أرسلان والمطران حريكة مطران حماه للروم الأرثوذكس نائبين لرئيس المؤتمر . وكان المؤتمر في الحقيقة من أعظم المؤتمرات القومية العربية .

أعرب المؤتمرون عن مقاومتهم للتقسيم ونقمة العرب على كل من يقبل به . وعين المؤتمر عدة لجان لتقديم الدراسات والمقترحات المطلوبة ، وتقديم التوصيات بشأن أحسن السبل التي يجب اتباعها لضمان وحدة الصف العربي ورفض التقسيم .

وأصدر المؤتمر في جلسته الختامية القرارات التالية :

١) إن فلسطين جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .

٢) رفض تقسيم فلسطين ومقاومة إنشاء دولة يهودية فيها .

٣) الإصرار على طلب إلغاء الانتداب وتصريح بلفور (رَ : بلفور ، وعد) وعقد معاهدة مع بريطانيا تضمن للشعب العربي الفلسطيني استقلاله وسيادته .

٤) يعلن دستور الدولة المستقلة (الفلسطينية) أن للأقليات ما للأكثرية من حقوق وعليها مثل ما على الأكثرية من واجبات . ويؤكد ضمان حرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة وأمثال هذه الأمور وفقاً للمبادىء الدستورية والقانونية العامة .

٥) تأييد طلب وقف الهجرة اليهودية حالاً وإصدار تشريع يمنع انتقال الأراضي إلى اليهود .

بلودان (مؤتمر ـ ١٩٤٦) :

كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية شكلتا لجنة تحقيق مشتركة تتحرى المشكلة اليهودية الأوربية (رَ : الأنكلو ـ أمريكية ، لجنة التحقيق) وتعيد النظر في القضية الفلسطينية . وقد أتمت اللجنة تقريرها وقدمته في ١٩٤٦/٤/٢٢ إلى كل من رئيس الحكومة البريطانية ورئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

أثار تقرير اللجنة غضب العرب لما فيه من شذوذ وبُعد عن النزاهة والمنطق والعدل ، وجعلهم يندمون لأنهم تعاونوا مع اللجنة المذكورة ولم يقاطعوها .

ودعي مجلس جامعة الدول العربية إلى عقد دورة استثنائية في بلودان بسورية في ١٩٤٦/٥/٨ لبحث الوضع الناشىء عن صدور تقرير اللجنة ، وإعلان موقف العرب منه ، ولكن هذه الدورة تأجلت بسبب انعقاد مؤتمر قمة أنشاص بمصر يومي ٢٧ و٢٨ أيار (رَ : أنشاص ، مؤتمر) .

ثم دعي مجلس الجامعة إلى عقد هذه الدورة الاستثنائية في مطلع حزيران ١٩٤٦ في بلودان . ونظراً لخطورة الأوضاع وهياج الشعب العربي بسبب تقرير لجنة التحقيق المشتركة وقيام موجة من الدعايات ضد الجامعة العربية نفسها رأت الدول العربية، إحياء

لآمال العرب بالجامعة ، إسباغ مظهر القوة والعزم على مجلس الجامعة ، فقررت أن تبعث إلى مؤتمر بلودان برؤساء الوزارات ووزراء الخارجية والدفاع ، وبعدد من كبار الزعماء والقادة . وكان من أبرز الشخصيات التي اشتركت في المؤتمر حمدي الباجه جي (العراق) وسعد الله الجابري وفارس الخوري ولطفي الحفار وجميل مردم بك (سورية) وصائب سلام وحبيب أبو شهلا (لبنان) واشترك جمال الحسيني * في الدورة بوصفه ممثلاً لفلسطين .

وبعد اجتماعات تمهيدية وجانبية افتتحت الدورة رسمياً في ١٩٤٦/٦/٨ في جو سادته الحماسة ، وقرر المجلس تركيز بحوثه وجهوده على قضية فلسطين وشؤون شعبها السياسية والداخلية .

ناقش المجلس تقرير لجنة التحقيق المشتركة فانتقده المجتمعون انتقاداً شديداً واستنكروا اتجاهات السياسة الأمريكية خاصة ، والغربية عامة ، وتنافس أعضاء الوفود في الدعوة إلى التأهب والاستعداد ومواجهة الأخطار بجد وعزم . واقترح رئيس الوزارة العراقية (حمدي الباجه جي) أن تبادر الدول العربية إلى تخصيص مبالغ كبيرة من المال لتسليح الفلسطينيين وتنظيمهم ، وأعلن استعداد حكومة العراق للمساهمة بالمال والسلاح والرجال لإنقاذ فلسطين . وألهب هذا الموقف شعور المجتمعين فاقترح عدد منهم مقاطعة العرب لبريطانيا والولايات المتحدة وقطع النفط عنهما . وبعد ذلك شكل المجلس لجنة من أعضائه سميت اللجنة السياسية برئاسة الأمين العام للجامعة لدرس المقترحات المقدمة للمجلس وتنسيقها ، ولوضع رد الجامعة العربية على تقرير لجنة التحقيق .

ثم بحث مجلس الجامعة شؤون فلسطين السياسية والداخلية ، ومواضيع أخرى تتناول إعداد الفلسطينيين وتنظيمهم وتوحيد صفهم ، وقرر تشكيل لجنة من أعضائه سميت اللجنة الداخلية للنظر في هذه الأمور ، وتقديم المقترحات والتوصيات إلى المجلس بهذا الشأن .

وبعد أن عقدت اللجنة الداخلية سلسلة من الاجتماعات ، حضرها بعض رؤساء الوفود والأمين العام للجامعة رفعت إلى مجلس الجامعة التوصيات التالية :

١) تشكيل هيئة فلسطينية عليا تعرف باسم الهيئة العربية العليا لفلسطين * تعترف بها الجامعة وتعتمدها ممثلة للشعب العربي الفلسطيني وناطقة باسمه . " وتكون هذه الهيئة « حكومة » للشعب الفلسطيني من ناحية ، ومن ناحية ثانية تكون بالنسبة إلى الفلسطينيين مثل الوكالة اليهودية * بالنسبة إلى اليهود " .

٢) تولّي هذه الهيئة أعمال الدعاية ومقاطعة الأعداء اقتصادياً وتجارياً وتنشيط الشعب الفلسطيني (أي تنظيمه وإعداده وتسليحه) .

٣) تخصيص الدول العربية مبلغ مليون جنيه فلسطيني سنوياً للهيئة لتستطيع القيام بواجباتها .

٤) تشكيل لجنة فلسطينية مركزية تابعة للهيئة للعمل على إنقاذ أراضي فلسطين والحيلولة دون تسربها إلى اليهود .

٥) تخصيص مبلغ مليون جنيه فلسطيني أخرى سنوياً للجنة إنقاذ الأراضي .

ووافق مجلس الجامعة على توصيات اللجنة الداخلية وفوض إليها العمل على تنفيذها .

واتخذ مجلس الجامعة عدة مقررات سياسية بعضها سري وبعضها علني . ومن المقررات العلنية الرد على تقرير لجنة التحقيق المشتركة ، ومفاوضة الحكومة البريطانية للوصول إلى حل لقضية فلسطين ، ورفع قضية فلسطين إلى الأمم المتحدة في حال فشل المفاوضات . أما المقررات السرية فقد عرف منها قطع الدول العربية للنفط عن بريطانيا والولايات المتحدة ، وتزويد الفلسطينيين بالخبراء والعسكريين العرب لأغراض التدريب وتحصين القرى والمناطق العربية ، وإدخال الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين في الوقت المناسب ، وتنفذ هذه القرارات (السرية) في حال استمرار بريطانيا والولايات المتحدة على سياستيهما وموقفيهما .

وخلال اجتماعات الدورة الاستثنائية لمجلس الجامعة هبط بلودان العميد كلايتون رئيس استخبارات الجيش البريطاني في الشرق الأوسط ، والمستر برانس مساعد مدير الاستخبارات البريطانية في فلسطين ، وعدد آخر من البريطانيين والامريكيين انتحلوا لأنفسهم صفة الصحافيين. وجعل هؤلاء، ولا سيما كلايتون ، يجرون اتصالات مكثفة بالوفود العربية لإبطال مفعول بعض قرارات مجلس الجامعة . في حين كانت الحكومتان البريطانية والأمريكية تمارسان ضغوطاً شديدة على العواصم العربية لتعديل مقررات بلودان وتخفيفها إلى الحد الذي يجعلها مقبولة للندن وواشنطن .

والواقع أن هذه المساعي البريطانية والأمريكية ، واتصالات كلايتون بالوفود العربية ، أثرت في نفوس بعض القادة العرب فخبت الحماسة العظيمة التي كانت تسيطر على مجلس الجامعة ، وجاءت مقررات الدورة النهائية غير ما توقعه العرب .

ففيما يتعلق بالقرارات التي وافق عليها مجلس الجامعة جرت تعديلات وتغييرات أساسية أفقدتها الكثير من مزاياها وفوائدها . إذ ألغى المجلس في قراراته الختامية توصية اللجنة الداخلية بتخصيص الدول العربية مبلغ مليون جنيه فلسطيني سنوياً ، واستعاض عنها

بتوصية أخرى تنص على " أن تقدم الدول العربية المساعدات المالية للهيئة العربية العليا لفلسطين حسب ما تقرره في ميزانياتها " . كذلك ألغى المجلس في قراراته النهائية توصية اللجنة الداخلية بتخصيص مليون جنيه فلسطيني سنوياً لإنقاذ الأراضي .

وخلال هذه الدورة ، وبعد اجراء مشاورات مع زعماء مختلف الأحزاب الفلسطينية الذين جاؤوا إلى بلودان ، تم إنشاء الهيئة العربية العليا لفلسطين من : جمال الحسيني، وأحمد حلمي عبد الباقي * ، وحسين فخري الخالدي * ، وإميل الغوري . وترك منصب رئاسة الهيئة شاغراً ليشغله الحاج محمد أمين الحسيني * عندما يستعيد حريته .

وقدمت الأمانة العامة للجامعة مبلغ عشرة آلاف جنيه فلسطيني للهيئة لتباشر أعمالها فور عودتها إلى القدس .

البنـــاء (أحجـار ــ) : رَ : **المعـادن**

رَ : **مواد البناء (صناعة ــ)**

البنّـاء المقدسـي : رَ : **أبو بكر البنّاء المقدسي**

بنـات يعقوب (جسـر ــ) :

يقع على نهر الأردن * على بعد قرابة كيلومترين جنوب بحيرة الحولة * (التي جففت) ، ويبعد عن مدينة صفد * حوالي عشرين كيلومتراً . لم يعثر على رأي قاطع حول سبب تسميته بهذا الاسم وإن كان بعض الباحثين يذكر أن يعقوب * النبي عبر الأردن من هذه

النقطة وهو في طريقه إلى حرّان لزيارة خاله « لابان » أو في طريق عودته منها . وظن آخرون أن هذه التسمية تعود إلى مقتل بعض اليعقوبيين إبّان الحروب مع الإفرنج في العصور الوسطى .

تذكر بعض الروايات التاريخية أن السلطان صلاح الدين الأيوبي * هو الذي أنشأ هذا الجسر لربط طرق القوافل القادمة من فلسطين إلى دمشق ، وجدده الملك الظاهر بيبرس * في وقت لاحق . ويرجح البعض أن بناء الجسر والخان المجاور له من الجهة الشرقية قد تم قبيل منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم جدد بناؤه في أواخر القرن السادس عشر .

في العصور الوسطى إبان الحروب مع الصليبيين سيطر هؤلاء على الجسر لأهميته الحيوية ، وأقاموا عنده في عام ٥٨٣هـ/١١٧٨م قلعة صغيرة استولى عليها صلاح الدين الأيوبي في العام التالي لانتهاء بنائها . ولا تزال بقايا هذه القلعة قائمة ، وقد صنفت ضمن المواقع التاريخية الفلسطينية . وقد نزل الشهابيون منطقة الجسر ، ولكنهم بعد مدة من الاستقرار رحلوا إلى وادي التيم وحاصبيا حيث أقاموا إمارتهم .

ذكر أبو الفداء المؤرخ (نهاية القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي) البقعة باسم « بنت يعقوب » . وذكر رحّالو القرن الرابع عشر الذين كانوا يرافقون القوافل في طريقها من فلسطين إلى دمشق أنهم كانوا يعبرون نهر الأردن ثم يستريحون في خان بالقرب من الجسر . والراجح أنه الخان الذي يقع بالقرب من جسر بنات يعقوب ، والذي مرّ ذكره . والجدير بالذكر أن هناك مجموعة من الخانات أقيمت على طول طرق القوافل التي تمر عبر جسر بنات يعقوب منها : خان اللجون ، وخان التجار ، وخان المنيا ، وخان جب يوسف ، وخان الجسر ، وكلها بعد خروج الطريق من سهل بيسان . بني جسر بنات يعقوب من الحجارة البركانية السوداء التي تكثر في المنطقة ، ورفع على أربع قناطر ، وحافظ على أهميته الاستراتيجية عبر العصور التاريخية .

بينت التنقيبات الأثرية التي جرت في المنطقة عام ١٩٣٦ أن المنطقة مأهولة منذ العصر الحجري القديم . وهو اليوم نقطة حراسة ، وبه معسكر صغير للجيش الإسرائيلي .

المراجـع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٧٢ .

ــ أنيس صايغ : **بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧)** ، بيروت ١٩٦٨ .

ــ فيليب حتي : **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .

— Robinson, E. and Smith, E.: Palestine, Mount Sinai and Arabia Petraea III- **QDAP** vol. VI 1936.

البنـادقـــة :

كـانت مدينـة البندقيـة الإيطاليـة تتبع رسمياً الإمبـراطـوريـة البيزنطيـة ويحكمها نائب بيزنطي . وقد استطاعت البندقية ، هي وعدد من المدن الإيطالية الأخـرى ، أن تحصل عـلى استقلالهـا من الإمبراطوريـة نتيجة للضعف الـذي أصابهـا أواخر القـرن العاشـر الميلادي ، وأن تؤلف « جمهورية مستقلة » .

وقد سعت هذه الجمهورية ومثيلاتها الإيطاليات لبسط سيـادتها على الملاحة في البحر المتوسط ، ولإقامة قواعد وأسواق تجارية لها . وكانت البندقية أعظمها دوراً وأثراً ، فصار لها جاليات تجارية مقيمة في عدة موانىء على البحر المتـوسط ، وحصلت على امتيـازات كثيرة من بيـزنطة ، وضـربت نقوداً خـاصة بها، وحسّنت سفنها تحسينـاً كبيراً .

وكانت أوربـا آنـذاك بشطريها الغربي والشرقي تعيش أجواء دعوة صليبية متوقدة ، كانت مظاهرها الأولى الحج وزيارة الأمـاكن المقدسة . وقد شجعت القوى الإيطالية ، ومنها البنادقـة ، الحجاج الأوربيين على القدوم إلى فلسطين ، ونقلتهم أسـاطيلها البحـرية ، وقدمت لهم الخدمات المتنوعة .

ولمّا بدأت الحروب الصليبية لبّى البنادقة دعوتهـا وكان لهم دور بحـري كبير فيهـا . وقد حصلوا بنتيجـة ما قـدموه من المسـاعدات والخـدمـات عـلى امتيـازات تجـاريـة وقضـائيـة . ففي سنـة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م نـالـوا من صـاحب أنـطاكيـة امتيـازاً بتخفيض الـرسـوم الجمـركيـة عـلى بضـائعهم ، مـع وعـد بحمـايـة سفنهم ومتاجرهم ، وحق في المحاكمة وفقاً لقوانينهم الخاصة .

وعقـد غـودفـري مـلك مملكـة القـدس الـلاتينيـة * سنـة ٤٩٤هـ / ١١٠٠م معاهدة معهم تضمنت إعفاءات جمركية وضريبية داخل المملكة ، ومنحـهم ثلث المدينة التي يساعدون في احتلالها ، وحماية ممتلكـاتهم وسفنهم ، وقد أسهم أسـطول البنادقـة في احتلال مدينة حيفا * بعد قـرابة شهـرين من تاريـخ عقد هـذه المعاهـدة . ومنحهم الملك بغـدوين الأول سنـة ٥٠٥هـ / ١١١١م امتيـازات تجارية في القدس وحيّـاً خاصاً بهم في عكا مقابل مساعداتهم له في احتـلال مدينتي صيـدا وبيروت سنـة ٥٠٤هـ / ١١١٠م . ووقّعت مملكة القدس مع البنادقة عام ٥١٨هـ / ١١٢٤ م معـاهدة نالوا بها كثيراً من الامتيازات والإعفاءات الجمركية ، فأعطوا الحق في امتلاك أحياء لهم في المدن ، و الحق في استخـدام مقاييسهم ومكـاييلهم في معاملاتهم التجـارية ، وفي وجـود محاكم خـاصة بهم ، وأُعفـوا من الضرائب والرسوم الجمركية ، ونالوا ثلثي مدينة صور لمساعدتهم في احتلالها .

وكان للبنادقة شأن كبير في تاريخ الحروب الصليبية ، إذ حرفوا الحملة الصليبية الرابعة عن اتجاهها المرسوم لها وهو مصـر ووجهوها إلى القسطنطينية ، فاحتلها الصليبيون وأقـاموا فيهـا الحكم اللاتيني أمداً طويلاً . وبذا نال البنادقة أرباحاً وامتيازات كبيرة ، وقاموا بطرد الجنـويـين * منـافسيهم من بيزنطية ، فـوجّـه هؤلاء جهـودهم إلى بلاد الشام ، وحملوا العداء للبنادقة . وكان نتيجة ذلك نشوب النزاع وحدوث الكثير من الاصطدامات بين البنادقة والجنويين في أكثر من مكان ، وكان أشهرها وأطولها في مدينة عكـا فيما عـرف « بحرب ديـر القديس سـابا » سنـة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م . ودامت سنوات ، وكان كل طرف يهاجم حي الـطرف الثاني ويسلب ممتلكـاته ويـدمّر سفنه ، ولا ريب في أن هذا الصراع بين القوى البحريـة الإيطاليـة الذي جاء في المرحلة الأخيرة من وجود الفرنجة * في فلسطين وبلاد الشام قـد عجّل في إنهاء وجودهم في هذه المنطقة سياسياً واقتصادياً .

المـراجـع :

— Ashtor, E.: **A Social and Economic History of the Near East in the Middle ages,** London 1976.

— Atiya, A.S.: **Crusade, Commerce and Culture,** Bloomington 1962.

— Brown, H.F.: **Venice, A Historical Sketch of the Republic,** London 1893.

— Hodgson, F.C.: **Venice in the Thirteenth and Fourteenth Centuries,** London 1910.

— Pirenne, H., : **Medieval Cities** (Eng. Trans.), Princeton 1939.

— Runciman, S.: **A History of the Crusades,** 3 vols., Cambridge 1957.

بـن بـرق (قـريـة ــ) : رَ : الخيـريـة (قـريـة ــ)

بـن طـــوف (مشـروع ــ) :

مردخاي بن طوف يهودي بولوني الأصل هاجـر إلى فلسطين عام ١٩٢٠ ، وهو من زعماء حزب المابام * ومؤسس جريدة الحزب اليـوميـة « عـل همشمـار » ، بـالإضـافـة إلى كـونـه من قيـاديي الهستدروت * .

اشترك بن طوف منذ نشوء (الدولة) في عدة وزارات إئتلافية مع حزب المابای * الحاكم وله عدة كتب .

أما مشروعه لحل القضية فقد نشر خطوطه العريضـة في مقالـة عنوانها « استراتيجية السلام » في مجلة نيـو آوتلوك *New Outlook* عام ١٩٧٥ مشيراً فيه إلى أن أفضل مشـروع سلام إسـرائيلي لحـل القضية قدم حتى الآن هو مشروع حزب المابام حسب تعبيره . وكان

حزب المابام قد قدم في مناسبات مختلفة أفكاراً لتحقيق السلام مع العرب أضاف إليها بن طوف نقاطاً جديدة آخذاً بعين الاعتبار التطورات الأخيرة التي حصلت في الموقف السياسي بعد حرب ١٩٧٣ * .

يقول بن طوف في مشروعه إنه يترتب على دولة (إسرائيل) أن تبادر إلى تقديم مقترحاتها بشأن أسس التفاوض مع جاراتها العربيات لإيجاد حل شامل على النحو التالي :

١) تعترف (إسرائيل) ، وتستمر في الاعتراف ، بسيادة مصر وسورية على أراضي الدولتين التي احتلتها (إسرائيل) عام ١٩٦٧ . لكن (إسرائيل) تحتفظ في الوقت نفسه بحقها في طلب تعديل الحدود أثناء مفاوضاتها مع الطرفين المشار اليهما .

٢) تتعهد (إسرائيل) مقدماً بالانسحاب من ٧٥٪ - ٨٠٪ على الأقل من الأراضي المشار اليها أعلاه وتبدي استعدادها للدخول مستقبلاً في مفاوضات بشأن تقرير مصير الأراضي المحتلة الباقية .

ويعني الإعلان مقدماً عن الانسحاب من ٧٥ - ٨٠٪ من الأراضي المحتلة التأكيد للعرب وللرأي العام العالمي أن حقوق (إسرائيل) ليست قائمة على أساس التوسع الإقليمي ، كما يتم تحديد الحدود النهائية على أساس المفاوضات ويرضي الطرفين .

ويقول بن طوف إن (إسرائيل) تكفل نتيجة لهذا الاقتراح حقها في تعديل حدود عام ١٩٦٧ دون الإساءة إلى الموقف العربي الذي يرى أن على (إسرائيل) أن تعود إلى حدود ما قبل حرب ١٩٦٧ * .

٣) تتقدم (إسرائيل) بطلب إدراج ترتيبات معينة في اتفاقيات السلام ، بعضها ذو صفات مرحلية ، وترتيبات أخرى دائمة تتناول وضع (إسرائيل) الأمني الخاص ، وكذلك أمن أجيرانها كتحديد المناطق منزوعة السلاح ونقاط المراقبة والإدارة المؤقتة للأراضي المحتلة والضمانات الكافية لمنع الهجمات المباغتة لأي من الأطراف وكل ما يساعد على تقوية فرص السلام والثقة المتبادلة .

٤) تبدي (إسرائيل) استعدادها للتباحث بشأن القضية الفلسطينية مع ممثلي الفلسطينيين المعترف بهم من قبل دولتين على الأقل من جارات (إسرائيل) ، وعلى أساس الاعتراف المتبادل بين الطرفين ، بأن تقر (إسرائيل) بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير ، كما يعترف الممثلون الفلسطينيون بدورهم بحق (إسرائيل) في العيش ضمن حدود معترف بها .

٥) تقوم (إسرائيل) ببحث مشروع اتفاق سلام مع الممثلين الفلسطينيين ليتم إبرامه بينها وبين الدولة التي يزمع الفلسطينيون إقامتها في إطار حق تقرير المصير . وتأخذ (إسرائيل) بعين الاعتبار في إطار هذا الاتفاق مع الدولة الجديدة ما ورد من التعهد بالانسحاب من ٨٠٪ على الأقل من الضفة الغربية وقطاع غزة ، على أن يجري تقرير مصير الأراضي الباقية في اتفاقية لاحقة .

٦) تقترح (إسرائيل) تنفيذ بنود اتفاقيات السلام المقترحة على مراحل تبدأ بمرحلة أولى لإعلان إنهاء حالة الحرب وتنتهي في المرحلة الأخيرة بإقامة علاقات طبيعية بين الأطراف المعنية . ويجري مسبقاً تعيين تاريخ ابتداء كل مرحلة في اتفاقية السلام المعقودة ، على أن يعين العرب بدورهم موعد ابتداء المرحلة الأخيرة بإعلانهم عن استعدادهم لإقامة علاقات طبيعية مع (إسرائيل) .

٧) تبدي (إسرائيل) استعدادها للدخول في مباحثات اتفاق شامل على أساس ما تقدم من مبادىء مع أي من جيرانها (وفيهم الفلسطينيون) منفردين أو مجتمعين . وفي حال إجراء مباحثات منفردة مع أحد الأطراف يراعى مبدأ تأجيل التنفيذ النهائي للاتفاق المعقود معه إلى حين الاتفاق مع الأطراف الأخرى .

وواضح أن بن طوف يريد من ذلك أن يظهر أن إجراء المباحثات مع طرف من الأطراف العربية ليس صلحاً منفرداً .

ثم يقول إن هناك كثيرين يرفضون تقديم أية تنازلات للعرب متعلّلين بأسباب مختلفة ، ولكنهم في أعماق أنفسهم يحجمون عن تقديمها خوفاً من أن يقبلها العرب . كما أن المسألة تتعلق حسب رأي بن طوف بمدى استعداد الحكومة الإسرائيلية في أن تعلن خطة من هذا النوع في ظل الأوضاع البرلمانية وما كانت عليه يومها . لذلك لم يلق مشروعه الصدى الرسمي الإسرائيلي الملائم .

المراجع :

— Ben Tov, M. A Strategy for Peace, **New Outlook**, July - August 1975.

— Ben Tov, M.: Who's afraid of Peace, **New Outlook**, December 1976.

بن يهودا (نسف شارع -) :

بدأت سلطات الانتداب البريطاني تقلص من شدة قبضتها على أنحاء عديدة من فلسطين بداعي قرب موعد الجلاء . وفي الواقع كان ذلك تآمراً مع الحركة الصهيونية وتسهيلاً لها لبسط نفوذها على المناطق التي تخليها سلطات الانتداب . وتبعاً لذلك توقفت المحاكم عن النظر في القضايا وكلف بها القائد العسكري العام . كما توقفت خدمات البريد والهاتف ومرافق المياه والكهرباء ، مما أدى إلى نوع من الفوضى استغلها الصهيونيون لفرض سلطاتهم الإدارية وفق الخطة « يرشع » لوراثة الانتداب البريطاني .

دفع هذا الوضع العرب إلى زيادة عملياتهم التعرضية وتكبيد الصهيونيين أكبر خسائر ممكنة لثنيهم عن عزمهم على السيطرة . وكانت منطقة القدس أكثر المناطق حساسية للطرفين ، لذلك ركز قائد جيش الجهاد المقدس * عبد القادر الحسيني * ضرباته عليها ، ووقع اختياره على شارع بن يهودا لكونه في قلب المنطقة اليهودية من مدينة القدس ولاحتوائه على مبان عدة هامة يمارس الإرهابيون الصهيونيون نشاطاتهم منها ، وأهمها بناية الهستدروت * التي كانت تشغلها آنذاك قيادة الهاغاناه * .

وضع عبد القادر الحسيني خطة لنسف أكبر قسم من الشارع ، وكلف فوزي القطب قائد فرقة التدمير العربية * تجهيز المتفجرات اللازمة لذلك فوزعها هذا الأخير على ثلاث عربات نقل موهت لتبدو بريطانية . كما تم الاستيلاء على عربة مصفحة من مهاب شرطة يافا لتتقدّم السيارات فتبدو كأنها قافلة نظامية للجيش البريطاني .

استفاد عبد القادر من بعض عناصر الشرطة البريطانية الناقمين على الصهيونيين بسبب أعمالهم الإرهابية فكلفهم قيادة العربات بلباسهم العسكري حتى النقاط المحددة لها وفق الخطة .

وفي الساعة السادسة من صباح ١٩٤٨/٢/٢٢ تحركت هذه القافلة نحو شارع بن يهودا عن طريق رام الله ـ بيت عور ـ باب الواد ، وتخطت جميع مخافر التفتيش البريطانية والصهيونية بسهولة حتى وصلت إلى المواقع المحددة لها في الشارع والقريبة من مبنى فندق « اتلانتيك » حيث انتهت مهمة سائقيها الإنكليز فغادروها . وعندئذٍ أشعل المناضلون العرب المكلفون تنفيذ المهمة فتائل التفجير ثم غادروا المكان .

دوّى الانفجار الهائل في تمام الساعة ٦,٢٥ ودمر القسم الأعظم من شارع بن يهودا وعدداً من أبنية الشوارع المجاورة . ووقع عدد كبير من القتلى والجرحى بلغ حسب البلاغ الحكومي ٤٩ قتيلاً و ١٣٢ جريحاً . ودب الذعر بين سكان الحي فخرجوا من منازلهم هلعين .

أدّى هذا الحادث إلى ثورة غضب في نفوس قادة الصهيونيين فشكلوا لجنة بالتعاون مع سلطات الانتداب لتحديد الفاعل فتبين أن السيارات عائدة للجيش البريطاني . عند ذلك اعتبرت الوكالة اليهودية * كل بريطاني خصماً لها . وبدأت سلسلة من الاعتداءات على العسكريين الإنكليز أهمها نسف سيارة الجنرال ماكميلان القائد البريطاني ، ولم يكن هو نفسه موجوداً فيها .

اتخذت سلطات الانتداب إثر ذلك تدابير مشددة لمنع تكرار مثل هذا الحادث ، ولكنها رغم ذلك لم تستطع ان تمنع المناضلين العرب من تنفيذ عمليات أخرى مماثلة .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ حسن البدري : الحرب في أرض السلام ، القاهرة ١٩٧٦ .

البنـدكتيـن (دير ـ) :

ينتسب البندكتيون إلى القديس بندكتس *Bènèdictus* أو مبارك *Benoît* (٤٨٠ ـ ٥٤٧ م) ، الذي يعدّ « أبا رهبان الغرب » وأحد منظمي الحياة التقشفية في القرون الوسطى .

امتدّت الأديار البندكتية إلى الشرق . وقد يكون البابا غريغوريوس (٥٩٠ ـ ٦٠٤ م) أول من أقام ديراً بندكتيا في القدس مع مضافة للحجاج بالقرب من كنيسة القيامة * . ثم أقام شرلمان ثلاثة أديار هناك . وفي القرن الحادي عشر الميلادي كان للبندكتيين ثلاثة أديار في جوار كنيسة القيامة ، ومستشفى للمرضى والفقراء ، ومضافة للحجاج . ولعلّ أهم دير كان لهم في القدس هو دير « سيّدة يوشلفاط » في جوار كنيسة قبر العذراء ، وكان رهبانه يعنون بالهندسة وبالضيافة والزراعة . وكان لهم مستشفى . وكان للراهبات البندكتيات دير في الصلاحية وآخر في العيزرية القريبة من القدس .

واليوم ، في القدس دير للبندكتيين يقوم على جبل صهيون الحالي في بستان « النياحة » حيث بنيت كنيسة مريم العذراء ذكراً للأيام الأخيرة من حياتها . وقد قدّم المكان السلطان عبد الحميد * لغليوم الثاني إمبراطور ألمانية سنة ١٨٩٨ م فجعله هذا

ملكا للكاثوليك . فبنى الألمان الكاثوليك هناك (١٩٠٠ م) ديرا وكنيسة على اسم « رقاد العذراء » مستديرة على وفق فنون مختلفة من الهندسة . وفي سنة ١٩٠٦ سُلّم الدير والكنيسة إلى البندكتيين الألمان فزينوا الكنيسة بالفسيفساء ، وجعلوا منها مزارا جذابا ، واشتهروا بالنشاط الأدبي والعلمي والهندسة والصناعة ، وأقاموا متحفا فلسطينيا .

وفي حرب ١٩٤٨ * احتل الجيش الإسرائيلي الدير والكنيسة وحلّ الدمار والنهب بهما وبالمتحف . فأكره الرهبان على مغادرة الدير . وفي الدير اليوم مركز للدراسات الكتابية ، ومركز مسكوني للبحث اللاهوتي ، ومنتدى للقاءات الطلاب . وهو مسؤول عن ملجأ العجزة .

المراجع :

— Gariador, B.: **Les anciens Monastères Bénédictins en Orient,** Lille-Paris 1912.

— Hoade, E.: **Guide to the Holy Land,** Jerusalem 1979.

— **Revue de Jérusalem:** Jérusalem Août 1955, Mars - Avril 1974.

بندلي صليبا الجوزي (١٨٧١ - ١٩٤٢) :

ولد في القدس * وهاجر سنة ١٨٩١ إلى روسيا ليدرس اللاهوت ويتخرج كاهناً . ولكنه عدل عن ذلك بعد أن درس اللاهوت في موسكو ثلاث سنوات ، وانصرف إلى الدراسات العربية والإسلامية واللغات السامية في موسكو ثم في قازان . وقد عيّن نائب أستاذ للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة قازان سنة ١٨٩٦ . ونال شهادة الماجستير من هذه الجامعة سنة ١٨٩٩ . وكان موضوع رسالته « المعتزلة ، البحث الكلامي التاريخي في الإسلام » .

سافر بندلي الجوزي سنة ١٩٠٠ إلى وطنه فلسطين ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى قازان بسبب اضطهاد السلطات العثمانية له .

عمل أستاذا مساعداً لمادة الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق بجامعة قازان بين سنتي ١٩١١ و١٩١٧ . وانتقل بعد ذلك إلى كلية الآداب والتاريخ ، وحاضر في تاريخ شعوب الشرق الأدنى حتى سنة ١٩٢٠ . وفي تلك السنة دعي إلى تولّي كرسي اللغة العربية وآدابها في جامعة باكو الدولية ، كما أسند إليه كرسي تاريخ الشرق الإسلامي . وقد أصبح بين سنتي ١٩٣٠ و١٩٣٣ رئيساً للقسم العربي من فرع أكاديمية العلوم في أذربيجان . وزار فلسطين وسورية والعراق ومصر وإيران ثلاث مرات لأغراض علمية .

كان بندلي الجوزي يتقن الكثير من اللغات القديمة والحديثة . وقد ألف باللغتين العربية والروسية ، وترجم عنهما وإليهما ، كما نقل عن الألمانية بالاشتراك مع الدكتور قسطنطين زريق كتاب « أمراء غسان » تأليف المستشرق الألماني نولدكه (طبع سنة ١٩٣١) . وبالإضافة إلى الكثير من المقالات العلمية في المجلات العربية طبع في القدس سنة ١٩٢٨ الجزء الأول من كتابه « من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام » . وقد بحث فيه الحركات الاجتماعية حسب النظريات العلمية ـ الماركسية فنال بذلك شهرة واسعة .

توفي بندلي في مدينة باكو تاركاً مؤلفات مطبوعة بلغ مجموعها ١٥ كتابا باللغتين العربية والروسية ، وهي :

١) اللغة الروسية للعرب قازان ١٨٩٨ ـ ١٨٩٩ .
٢) المعتزلة ، البحث الكلامي التاريخي في الإسلام قازان ١٨٩٩ .
٣) تحفة العروس في لغة الروس قازان ١٩٠٣ .
٤) محمد المكي ومحمد المدني قازان ١٩٠٣ .
٥) الأمومة عند العرب (ترجمة عن ديكلف الهولندي) قازان ١٩٠٣
٦) تاريخ كنيسة أورشليم قازان ١٩١٠ .
٧) جبل لبنان ، تاريخه وحالته الحاضرة قازان ١٩١٤ .
٨) البحث في القرآن قازان ١٩١٤ .
٩) المسلمون في روسيا ومستقبلهم قازان ١٩١٧ .
١٠) كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ترجمة) باكو ١٩٢٧ .
١١) تاريخ اليعقوبي (ترجمة) باكو ١٩٢٧ .
١٢) من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام القدس ١٩٢٨ .
١٣) الشؤون الإنكليزية المصرية باكو ١٩٣٠ .
١٤) أمراء غسان (ترجمة عن نولدكه) بيروت ١٩٣٣ .
١٥) تاريخ حياة الفارابي وتلخيص نظامه الفلسفي باكو

وقد جمع ناجي علوش وجلال السيد مقالات بندلي الجوزي

المنشورة في الصحف والمجلات وأصدراها ببيروت في كتاب عنوانه « دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب » .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف إليان سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ، القاهرة ١٩٢٨ .
ـ نصري الجوزي : بندلي صليبا الجوزي ، مجلة الكاتب الفلسطيني، عدد ٤ ، آب ١٩٧٨ .

بنفستي (مشروع ـ) : ر : القدس (تهويد ـ)

البنك العربي :

يعتبر البنك العربي واحدا من أهم المؤسسات والدعائم الاقتصادية العربية القومية العملاقة ، إن لم يكن أكبرها جميعا . ويرتبط اسمه وسمعته باسم عبد الحميد شومان * الذي كان قد أسسه بالاشتراك مع أحمد حلمي عبد الباقي * في القدس * الشريف من سبعة مساهمين وعشرة موظفين وبرأسمال قدره ١٥ ألف جنيه . والواقع أن فكرة تأسيس البنك العربي كانت قد ولدت في مخيلة صاحبها عبد الحميد شومان قبل ذلك بسنين أيام كان شومان في المهجر . ثم جاءت ظروف وأزمات جعلت تأسيس مصرف عربي ضرورة لا محيص عنها ، ولا سيما تلك الأحداث التي تعاقبت على الوطن العربي وفلسطين عقب الحرب العالمية الأولى ، وتفشي خطر الصهيونية * في فلسطين تعززه مصارف اليهود وأنصارهم في الوقت الذي عانى فيه المواطن الفلسطيني الكثير من إهمال حكومة الانتداب فساءت أحواله ولم يكن أمامه إلاّ " أن يبيع أرضه للعدو الغازي ، أو أن يقع في أيدي مرابين جشعين " .

ومن جهة أخرى أدرك عبد الحميد شومان أثناء وجوده في المهجر أهمية ما تقوم به البنوك الأمريكية من خدمات لتجارة وصناعة واقتصاد أمريكا عموما . وتفاعلت هذه العوامل في نفسه ، وتمخضت عن فكرة إنشاء بنك عربي يخدم اقتصاد بلاده . ويبدو أن شومان أراد في البداية التعاون مع طلعت حرب (المصري) على إنشاء مصرف في فلسطين باسم " البنك المصري الفلسطيني " ، غير أن هذا الأخير تراجع عن الفكرة ، مما حمل شومان على السير وحده لتحقيق المشروع بأمواله الخاصة . وقد أطلق عليه اسم البنك العربي ، وجرى تسجيله رسميا في ١٩٣٠/٥/٢١ ، وباشر عمله في ١٩٣٠/٧/١٤ .

وجدير بالذكر أن قصة إنشاء البنك العربي تشابه إلى حد كبير قصة كل فلسطيني عاش أحداث القرن العشرين . فلقد عانى البنك من عنت واضطهاد عهد الانتداب ، ومن الأحداث التي تعاقبت على فلسطين . ولقد كانت أول عقبة واجهت البنك هي معارضة مسجل الشركات الذي كان يهودياً تسجيل البنك لأسباب واهية مدة طويلة . كما عانى البنك أيضاً نتيجة الاضطرابات التي عمت فلسطين في سنتي ١٩٣٩ و١٩٤٨ ، والأحداث العالمية الأخرى مثل حرب الحبشة والحرب العالمية الثانية . إلاّ أن البنك العربي استطاع مواجهة تلك الأحداث بصلابة وقوة ، ولم يتردد في الوفاء بالتزاماته . وخرج من هذه الصعوبات كلها وهو أقوى ساعدا وأشد عودا وأقدر على أداء رسالته . ويقف البنك العربي اليوم شامخا ثابتا وقد انتشرت فروعه ومؤسساته في أنحاء الوطن العربي وفي أوربا وآسيا وإفريقيا وأمريكا وأصبح مصرفا عالمياً . وهو يحتل المرتبة ٢٣٩ ضمن مجموعة أكبر ٥٠٠ مصرف في العالم لسنة ١٩٧٧ . وقد وصل عدد فروعه إلى ٤٩ فرعا (عدا فروع الضفة الغربية) . وبلغ

رأسماله ١١ مليون دينار أردني ، كما زادت موجوداته على ألف وخمسمائة مليون دينار أردني . ويمكن أن تُعزى أسباب هذا النجاح إلى السياسة الحكيمة التي اتبعت في إدارته ، واحتفاظه بسيولة نقدية عالية (٦٠ ـ ٧٠٪) ، والصبغة القومية التي حرص دوما على الظهور بها ، مما زاد في دعم المواطنين له فلقد عمدت الإدارة بين الحين والآخر إلى إصدار أسهم جديدة وطرحها على المشترين في أنحاء الوطن العربي وفي المهجر . ومن جهة أخرى قام البنك العربي ويقوم بتقديم كافة التسهيلات المالية والمصرفية في مختلف الأقطار العربية وتمويل عمليات الاستيراد والتصدير والمساهمة في كثير من المشاريع الاقتصادية الحيوية فيها .

المراجع :

ـ البنك العربي : خمسة وعشرون عاماً في خدمة الاقتصاد العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٥٥ ، بيروت .
ـ التقرير السنوي للبنك لعام ١٩٧٧ .

بنكلر (مشروع ـ) : ر : القدس (تهويد ـ)

بني بِـرَاق (مدينـة ــ) :

مدينة صهيونية أسسها عام ١٩٢٤ مجموعة من الصهيونيين البولونيين تضم ١٣ عائلة . وقد أقيمت في السهل الساحلي * على بعد ٥ كم شمالي شرق تل أبيب * ، وعلى بعد ٨ كم من يافا * ، حول قلعة أنشأها الصليبيون لحماية مداخل مدينة يافا . وقد رمى الصهيونيون من تأسيسها هناك إلى السيطرة على مداخل مدينة يافا العربية من جهة ، وأن تكون نقطة دفاع حصينة عن مدينة تل أبيب من جهة أخرى . وقد قامت هذه المدينة على أراضي قرية بن برق (الخيرية *) العربية ، وقد احتلت بامتدادها العمراني جزءاً من أراضي مدينة يافا العربية .

يمر نهر العوجا المعروف في مجراه الأدنى بنهر الجريشة بالأراضي الواقعة شمالي المدينة في طريقه إلى مصبه في البحر المتوسط . وتمر الطريق الساحلية الرئيسة شرقي بني براق . وتقع مدينة رامات غان * قريبا منها في الجنوب الغربي . وقد أكسبها موقعها الجغرافي عند ملتقى طرق رئيسة وموضعها على أرض سهلية منبسطة أهمية خاصة ، وجعلها تجذب السكان إليها . وهي واحدة من عشر مدن في (إسرائيل) تقع ضمن تجمع مدن إقليم تل أبيب .

بدأت بني براق نشأتها الأولى قرية زراعية . وفي نهاية العشرينات من هذا القرن كانت تسكنها ١٠٠ عائلة يعمل معظم أفرادها في الزراعة . أدار شؤونها بين عامي ١٩٣٦ و١٩٤٩ مجلس محلي ، ثم غدت منذ عام ١٩٥٠ مدينة تشرف على إدارتها بلدية يافا ـ تل أبيب . وقد نمت نموا عظيما في عمرانها وسكانها ، إذ امتدت فوق رقعة واسعة من الأرض تبلغ ٧,٢٠٠ دونم ، وزاد عدد سكانها من ٤,٥٠٠ نسمة عام ١٩٤١ إلى ٨,٨٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ ، وإلى ٢٥,٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٥ . وقد وصل العدد إلى ٦٤,٧٠٠ نسمة عام ١٩٦٨ ، وأصبحت بني براق ثامن مدينة بين المدن الصهيونية في عدد السكان الذين بلغوا ٧٩,٣٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ . ويرجع الفضل في نموها السريع إلى قربها من تل أبيب وارتباطها معها بمواصلات سريعة ، ولذلك يقيم فيها كثير من العاملين في تل أبيب وتعد ضاحية من ضواحيها .

أصبحت منطقة بني براق ، منذ بداية الستينات ، واحدة من المناطق الصناعية الهامة . وهي تضم اليوم ٢٥٠ مصنعا لإنتاج النسيج ومواد البناء والمواد الغذائية والكيميائيات والأدوات الكهربائية والإلكترونية وغيرها (رَ : الصناعة) .

وبالإضافة إلى الوظيفة الصناعية تمارس المدينة الوظائف التجارية والثقافية والصحية والسياحية وغيرها . ففيها الأسواق التجارية والفنادق السياحية ومشفى للأمراض العقلية . وتضم أيضا واحدا من أكبر خزانات المياه .

المراجـع :

ــ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) بيروت ١٩٦٨ .
ــ المكتب المركزي الإسرائيلي للإحصاءات : نشرة رقم ٤١ ، القدس ١٩٧٤ .
ــ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة يافا ـ تل أبيب .

بنـي بِريث :

منظمة صهيونية أسست عام ١٨٤٣ في نيويورك ، وكان أول رئيس لها اسحق ديتنهوفر ، لكن الصهيوني هنري جونس يعتبر منشئها الفعلي . ويعني اسمها « أبناء العهد » ، أما أهدافها فهي توحيد اليهود قلبا وقالبا ونشر التراث والتقاليد اليهودية وبسط الدين اليهودي على « أرض إسرائيل » ، ونشر روح المحبة والتعاون بين اليهود ، وتقديم العون والمساعدة لهم في شتى أنحاء العالم ، والدفاع عن حقوقهم وإعلاء كلمتهم ومحاربة اللاسامية * . وتعتبر هذه المنظمة أقدم وأكبر منظمة خدمات صهيونية ولها فروع في أكثر من ٤٥ بلدا .

بعد صدور وعد بلفور * قدّمت بني بريث خدمات كبيرة للحركة الصهيونية فأسهمت في المؤتمر الفلسطيني في واشنطن عام ١٩٣٥ وفي التأثير على السياسة الأمريكية لصالح الصهيونية ، وخاصة في عهد الرئيس ترومان ، وقدّمت الدعم المالي لـ كيرين كايميت * لتمكينه من شراء الأراضي وإقامة المستعمرات في فلسطين .

وبعد قيام (إسرائيل) وضعت بني بريث نفسها في خدمة السياسة الإسرائيلية ، ونفذت حملات لجمع التبرعات المالية ودعم المؤسسات الصناعية الإسرائيلية ومنح القروض للمشاريع الإنمائية وإقامة مؤسسات الخدمة الاجتماعية والنوادي والمكتبات وبيوت العجزة .

وتسهم المنظمة حاليا في بيع « سندات إسرائيل » في الخارج وتوفير الدعم الإعلامي والسياسي والمالي (لإسرائيل) وخنق أي اتجاهات مناوئة للصهيونية .

تتخذ بني بريث واشنطن مقرا لها . وأعلى سلطة فيها المكتب الأعلى الذي تتفرع عنه ثلاث مؤسسات هي : رابطة الدفاع اليهودية لمكافحة العنصرية واللاسامية ، ومؤسسة هيلل لمساعدة الطلبة

ومنظمات الشبيبة والمراكز الثقافية والدينية اليهودية ، ومؤسسة العمل والتوجيه المهني لتوفير العمل لليهود .

تعقد المنظمة مؤتمرها السنوي كل ثلاثة أعوام ، وتتخذ الشعلة شعارا لها .

المرجع :

ـ عبد الوهاب المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .

بني سُهَيْلة (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع في الطرف الجنوبي لقطاع غزة . وتبعد كيلومترين إلى الشرق من خان يونس * ، وكيلومترا واحداً إلى الشرق من طريق رفح ـ غزة وخط سكة حديد رفح ـ حيفا . وتصلها طريق معبدة بالطرق الرئيسة العامة ، وبمدينة خان يونس غربا ، وبعبسان * وخزاعة شرقا .

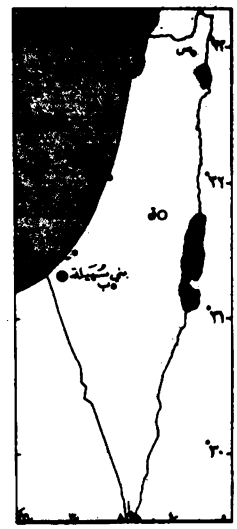

أنشأت البلدة قبيلة بني سهيل العربية التي نزلت هذه الديار . وقد أقيمت على مرتفع من الأرض يعلو ٧٥ م عن سطح البحر ضمن أراضي السهل الساحلي * الجنوبي . وتتألف مساكنها من بيوت مبنية باللبن والإسمنت ومخططها يتخذ شكل المستطيل الذي تحف به معظم المباني بطريق خان يونس ـ عبسان المارة من وسط بني سهيلة . وتوجد بعض المحلات التجارية في وسطها وكذلك مسجد البلدة ومدارسها الابتدائية والاعدادية للبنين والبنات ، وقد أنشئت بعض المدارس مؤخرا في الطرف الغربي للبلدة على جانب طريق بني سهيلة ـ خان يونس . وتشرب البلدة من بئر للمياه عمقها ٦٨ م . وقد امتدت بني سهيلة عبر نموها العمراني نحو الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية بمحاذاة طريقي عبسان ، وامتدت أيضاً قليلاً نحو الغرب في اتجاه خان يونس ، لذا ازدادت مساحتها من ٩٧ دونما في أواخر فترة الانتداب إلى نحو ٥٠٠ دونم في عام ١٩٧٩ .

تبلغ مساحة أراضي بني سهيلة ١١,١٢٨ دونما منها ٢٩٩ دونما للطرق والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وأراضيها الزراعية متوسطة الجودة ، وتسودها تربة اللوس الصحراوية . وأهم المحاصيل الزراعية التي تنتجها البلدة الحبوب * والخضر * والبطيخ . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار المتوسطة الكمية ، إذ لا توجد آبار تستخدم مياهها للري . وقد اعتاد عدد من شباب بني سهيلة وعبسان أثناء فترة الانتداب الهجرة ألى مدن وسط وشمال فلسطين للعمل فيها بصورة مؤقتة . ويعمل بعض الأهالي في التجارة والخدمات بمدينة خان يونس المجاورة التي تعد مركزا إداريا وتسويقيا لبني سهيلة . وتصنع نساء البلدة البسط والسجاد والخرجة والغفرات والأكياس من الصوف .

كان عدد سكان بني سهيلة في عام ١٩٢٢ نحو ١,٠٤٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢,٠٦٣ نسمة كانوا يقيمون في ٤٠٦ بيوت ، وفي عام ١٩٤٥ كان عددهم نحو ٣,٢٢٠ نسمة ، وقدر عددهم في عام ١٩٦٣ بنحو ٥,٤١٨ نسمة . وفي عام ١٩٧٩ بأكثر من ١٠,٠٠٠ نسمة . ويعود سكان بني سهيلة في أصولهم إلى عرب بني جرم وبني حميدة المقيمين في شرقي الأردن وفي مصر .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ج ١ ، ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ لوحة رفح .

بني نُعَيم (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد عن الخليل * إلى الشرق مسافة ٨ كم تقريبا وتربطها بها طريق معبدة من الدرجة الثانية . أقيمت بلدة بني نعيم على بقعة قرية « كفار بروشا » الحصينة في العهد الروماني . وبعد الفتح العربي الإسلامي عرفت باسم كفر بريك . ولما نزلت قبيلة النعيميين جنوبي فلسطين واستقرت طائفة منها في ناحية كفر بريك نسبت القرية إليهم ، وأصبحت تعرف منذئذ باسم بني نعيم .

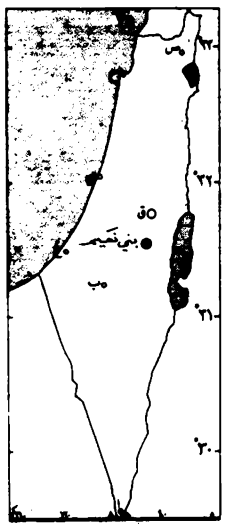

نشأت بلدة بني نعيم فوق بقعة مرتفعة من جبال الخليل * تمثل الحافة الشرقية لهضبة الخليل وتعلو ٩٦٨ م عن سطح البحر . تتألف من بيوت مبنية من الحجر أو من الإسمنت أو من الطين ، ويتخذ مخططها شكل المستطيل الذي يمتد امتدادا شماليا شرقيا ـ جنوبيا غربيا في محور عمراني يحاذي الطرق المؤدية إلى الخليل . وتضم القرية محلات تجارية متناثرة بين البيوت السكنية ، وفيها جامع ينسب إلى النبي لوط يؤمه الزوار سنويا . وفي بني نعيم ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات . ومن الآثار

التي ما زالت قائمة في البلدة حتى الوقت الحاضر بقايا سور عال مربع الشكل على زواياه أبراج ، ولعله من بقايا الحصن الروماني. وتعود آثار أخرى أحدث بناء إلى عهد الملك الظاهر برقوق * ، وقد أقيمت لمنع عارات البدو على البلدة وأطرافها . ونتيجة لتوسع البلدة وامتداد رقعتها العمرانية ازدادات مساحتها من ١٥٢ دونما في عام ١٩٤٥ إلى ٤٠٠ دونم عام ١٩٨٠ . ويشرب السكان من مياه الأمطار التي تجمع في آبار يتركز معظمها في شمال وغرب البلدة . وفي البلدة ينبوعان للمياه ، لكن مياههما قليلة لا تكفي حاجة السكان .

تبلغ مساحة أراضي بني نعيم ٧١,٦٦٧ دونما ، منها ٨ دونمات للطرق والأودية . وأراضيها متوسطة الخصب تزرع فيها الحبوب * والخضر * في الجهات المنخفضة وبطون الأودية ، والأشجار المثمرة في سفوح المنحدرات الجبلية . وأهم الأشجار المزروعة الزيتون * والعنب * والمشمش واللوز والتفاح والتين . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات كافية للزراعة ولنمو الأعشاب الطبيعية .

بلغ عدد سكان بلدة بني نعيم في عام ١٩٢٢ نحو ١,١٧٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٦٤٦ نسمة كانوا يقيمون في ٣٢٠ بيتا . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,١٦٠ نسمة ، وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٣٩٢ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة . وهم يعودون بأصولهم إلى جهات وادي موسى في شرقي الأردن ، وإلى جماعة من دورا * نزلت البلدة من عهد قريب .

يعتمد سكان بني نعيم في معيشتهم على الزراعة والتجارة * وتربية المواشي . وقد اعتاد الرعاة النجعة بمواشيهم في أواخر فصل الشتاء إلى الأراضي الشرقية لبني نعيم التي تعرف باسم المَسافرة ، وهي جزء من برّية الخليل المطلة على البحر الميت * . ويبقون في هذه المنطقة حتى أواخر الربيع . وخلال إقامتهم المؤقتة في بيوت الشعر غربي البحر الميت يقومون بصناعة منتجات الألبان ويبيعونها في أسواق بلدتهم وفي الخليل . وقد انكمشت حرفة الرعي * بعد عام ١٩٤٨ وأخذت تحل محلها حرفة التجارة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد حرفة الزراعة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة البحر الميت .

بني نعيم (معركة ـ) : رَ : جيش الجهاد المقدس

البنية والبناء الجيولوجي :

لفلسطين موقع متميز عن غيره من ناحية البنية والبناء الجيولوجي يندر أن يوجد له مثيل في العالم . وتشترك في ذلك مع بلاد الشام وشبه جزيرة سيناء . ففي هذا الجزء من العالم تلاقت تكوينات وبنيات جيولوجية كثيرة ، كما كان مسرحاً لحركات بنائية متباينة سبّبت ظهور تضاريس وكتل أرضية مختلفة على مساحات صغيرة من الأرض أهمها وأبرزها على الإطلاق الانهدام السوري ـ الإفريقي المعروف باسم الأخدود الانهدامي أيضاً .

إن فلسطين، وإن كانت تنتمي جغرافياً إلى قارة آسيا، هي من الناحية البنيوية والبنائية جزء من الركيزة العربية التابعة لإفريقيا والمعروفة أيضاً بالركيزة العربية ـ النوبية . ولا تظهر صخور هذه

الركيزة القديمة والمكونة من صخور بلّورية ونارية باطنية ومتحولة مختلفة إلّا في أجزاء صغيرة المساحة في فلسطين لأنها مغطاة بطبقات صخرية معظمها من أصل رسوبي ، وبعضها من صخور اندفاعية ـ بركانية أحدث عمراً من صخور الركيزة (رَ : الصخور) . وترجع صخور الركيزة إلى ما قبل الكامبري في حين تعود الصخور الأحدث إلى الأحقاب الجيولوجية الأولى والثانية والثالثة والرابعة . وعلى هذا الأساس فإن أرض فلسطين مكونة من ركيزة وغطاء . وتسهيلاً لفهم الأوضاع البنوية ـ البنائية المعقدة ستتم دراسة كل منهما على حدة .

أ ـ الركيزة العربية : تظهر في فلسطين صخور الركيزة العربية المكونة من صخور بلورية ومتحولة في أقصى جنوب البلاد ، في منطقة العقبة ـ إيلات . لكنها تتكشف على السطح في مرتفعات الأردن المطلة على وادي عربة * وجنوب شرقي البحر الميت * بشريط مساير للانهدام السوري ـ الإفريقي . وفيما عدا ذلك تختفي تحت

غطاء الصخور الأحدث عمراً باتجاه الشمال . ويزداد انكشافها باتجاه الجنوب لخارج فلسطين على جانبي خليج العقبة * وجنوب سيناء ، وعلى جانبي البحر الأحمر في الحجاز ونجد وعسير في شبه الجزيرة العربية ، وفي جبال مصر الشرقية والسودان والحبشة وأرتيريا حيث تسود مساحات واسعة من الأرض . ويرجع السبب في ذلك إلى تكوين الركيزة العربية وطبيعتها المعقدة جداً . وقد اثبتت الدراسات أنها مالت نحو الشمال والشمال الغربي وانحدر سطحها في الاتجاه نفسه نحو الأعماق في حين بقيت أقسامها الجنوبية في شبه الجزيرة العربية أعلى وأقرب إلى السطح . ورافق ذلك ميل وانحدار آخران للركيزة نحو الشرق والشمال الشرقي أيضاً . ونتيجة لهذه الأوضاع كانت أطراف ونهايات الركيزة في الاتجاهين المذكورين معرّضة لطغيان البحار القديمة عليها ، وترسيب الصخور العائدة لأحقاب جيولوجية تالية . فاختفت الركيزة تحتها ، ولم تعد تظهر على السطح في بلاد الشام وبلاد الرافدين وفيها فلسطين أيضاً . ومع تعرض الركيزة للحركات البنائية المولدة للتضاريس والمكوّنة للقارات أصابتها التواءات واسعة وصدوع (انكسارات) شوّهت انسجامها ورتابتها الأصلية ، فنشأت علوات (أماكن نهوض) ومنخفضات (وهاد) كثيرة كوّنت قاع البحار التي غمرتها مياهها فيما بعد . وقد اختلفت مقادير سماكة الصخور الرسوبية الأحدث بين المنخفضات والعلوات فكانت سميكة في الأولى رقيقة قليلاً في الثانية .

ب ـ الغطاء الرسوبي : تعرض سطح الركيزة العربية القديمة لطغيان وانحسار مياه البحار مرات كثيرة عبر الأحقاب الجيولوجية وعلى مدى ملايين السنين . ولم يكن الطغيان والانحسار في جميع الحالات واحداً ، فقد تطغى مياه بحر على كامل منطقة ما ، لكنها لا تنحسر عنها كلها . وقد تطغى على بقاع هامشية دون الداخل مثلاً . كذلك كانت أعماق البحار مختلفة بين بحر وآخر ، وبين داخل وأطراف ، وبين عصر وآخر . فكانت النتيجة اختلاف امتداد ترسبات صخور حقبة أو عصر ما عن امتدادها وانتشارها في فترة أخرى ، كما أن سماكاتها تباينت بين مكان وآخر حسب الأعماق والمواد التي رسبتها البحار والمياه القادمة من اليابسة . وعلى العموم كانت أهم البحار التي خلفت وراءها رسوبات سميكة واسعة الانتشار في بلاد الشام (وفلسطين منها) هي البحار العائدة للحقبتين الثانية والثالثة ، مع وجود ظاهرة انقطاع الترسيب لصخور بعض الفترات والعصور نتيجة بقاء أقسام من اليابسة بمنجى من طغيان بحر في فترة أو عصر ما ، ثم انغمارها ببحر عصر متأخر بعده ، مما كان يؤدي إلى وجود ثغرات في تسلسل الطبقات الجيولوجية والسلّم الطبقي الطبيعي لها . يضاف إلى ذلك أن

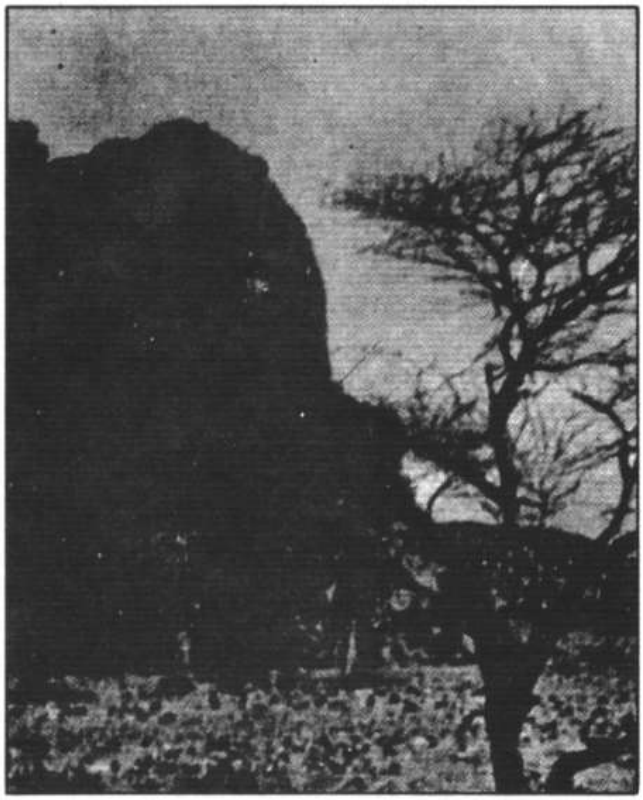

الصخور الرسوبية ليست جميعها من أصل بحري ، فقسم منها من أصل قاري أو بحيري داخلي ، مما زاد في تعقيد الأوضاع البنيوية في فلسطين والمناطق المحيطة بها . ومن عوامل التعقيد أيضاً عدم بقاء الأوضاع ثابتة مستقرة في هذا الجزء من الكرة الأرضية ، إذ تعرضت المنطقة لحركات بنائية أدت إلى نشوء التواءات ومحدبات وخفوس ومقعرات التوائية إلى جانب تعرض الغطاء الرسوبي لحركات صدعية (انكسارية) شوّهت الوضعية الأفقية أو القريبة منها فخلّعت الطبقات الصخرية وخلقت النجود والأغوار وغيرها من المظاهر المرافقة لحركات الطيّ والالتواء والتصدع . وفي كل هذا يجب ألا يغفل دور العوامل الخارجية كأعمال الحت والتعرية والنقل التي كانت تساهم في تطوير سطح الأرض المكشوف في أحد العصور أو إحدى الفترات الجيولوجية . وقد كان حظ فلسطين من هذه التطورات والحركات البنائية الداخلية المصدر أو الخارجية الأصل كبيراً .

جـ ـ الحركات البنائية والوحدات البنيوية في فلسطين :

١) الحركات : تعرض كل من الغطاء الرسوبي والركيزة في فلسطين لحركات بنائية (تكتونية) منذ مئات الملايين من السنين . وكانت كل حركة تؤثر في صخور وطبقات المنطقة تأثيراً يختلف عن تأثير الأخرى حسب مرونة وصلابة الصخور المتأثرة . فالمرنة أنتجت الطيات والالتواءات ، والصلبة قدمت الانهدامات والنجود

والأغوار . واختلف التأثير أيضاً حسب شدة واستمرار الحركة واتجاهها الأفقي أو الرأسي ، وحسب موقع المنطقة المعرضة للحركة ، إلى غير ذلك من شروط تؤثر في تكوين القارات والتضاريس بالحركات البنائية . ولما كانت فلسطين جزءاً من كلٍّ جيولوجي أكبر فإن الحركات البنائية المكوّنة لوحداتها البنيوية والتضريسية يجب أن تدرس مع هذا الكل الذي لا يمكن فصلها عنه .

لم يعد لنتائج الحركات البنائية القديمة جداً أيّ أثر ظاهر في تضاريس فلسطين الحالية لأنها اندثرت وزالت آثارها أو اختفت تحت تكوينات أحدث ، ولا يشاهد اليوم إلاّ آثار باهتة لها في سطح أرض فلسطين . علماً بأن أرض فلسطين لم تكن مستقرة بل في طور بناء متصل عبر الأحقاب الجيولوجية الماضية وحتى اليوم . وأكبر دليل على عدم الاستقرار استمرار الزلازل * والهزات الأرضية ، وكذلك حركة شبه الجزيرة العربية نحو الشمال بمعدل ٢ سم سنوياً ، والهبوط المستمر لقاع البحر الميت . وبالرغم من استمرار الحركات البنائية في عمر الأرض الفلسطينية فإنها تنشط في فترة وتهدأ لأمد في فترة أخرى . وكانت أواخر الحقبة الجيولوجية الثانية ومعظم الحقبة الجيولوجية الثالثة أهم فترة كونت تضاريس فلسطين ، ورسمت الخطوط الأساسية لأرض فلسطين وبنيتها الحاضرة التي جاءت أعمال وحركات الحقبة الرابعة فأكملتها ووضعت عليها اللمسات الأخيرة ،لتظهر فلسطين بمعالمها وسواحلها وتضاريسها الحالية .

وقد وضعت فرضيات متعددة لتفسير نشأة معظم الأراضي الفلسطينية ، وبشكل خاص أهم وحدة بنائية ـ بنيوية رسمت معالم تضاريس فلسطين ، وهي وادي الانهدام ، أو غور الأردن ، أو الغور * اختصاراً . منها فرضية القوى الضاغطة العنيفة ، ومنها فرضية الانزياح وتحرك شبه الجزيرة العربية شمالاً بانحراف عكس عقارب الساعة مع بقاء فلسطين وسيناء مستقرتين ، مما سبب تشقق الأرض وتعرّض الصخور الرسوبية الغطائية إلى حركات متباينة .وقد أخذ معظم الباحثين يميلون الى الأخذ بفرضية الانزياح . ومهما يكن من أمر هذه الفرضيات فإن منطقة شرقي البحر المتوسط كانت قبل فترة نشاط الحركات البنائية أواخر الحقبة الثانية وأثناء الحقبة الثالثة مؤلفة من شريط أو سلاسل من الجبال أو الهضاب الالتوائية العريضة التي تشتمل على محاور محدبات ومقعرات أصغر ضمنها . وكانت هذه التكوينات التي يسودها الطابع الالتوائي تمتد من جنوب تركيا حتى فلسطين ، ودعاها بعض العلماء بالأقواس السورية ، وأراد نسبتها إلى الحركات والالتواءات الألبية ـ الطوروسية شمالي بلاد الشام . وفي أواخر الحقبة الثانية أخذت الحركات البنائية تنشط في المنطقة بأكملها ، واشتدت في منتصف الحقبة الثالثة في فترة الميوسين حين بدأت حركة الانزياح الأفقي المذكورة ، فتعرضت تضاريس شرقي البحر المتوسط للتشقق على طول محورها ، مما أضعف المراكز الوسطى من الالتواءات المذكورة فأدى ذلك الى هبوطها وخفسها على امتداد ما يعرف اليوم بغور الانهدام السوري ـ الإفريقي الذي يبدأ من منطقة مرعش في تركيا وينتهي عند نهر الزامبيزي في إفريقيا الشرقية .

تمت عملية تكوين الغور وجانبيه الفلسطيني والأردني على مراحل أهمها المرحلة الأولى في فترة الميوسين الأدنى التي دفعت الكتل الأرضية الواقعة شرقي الغور مسافة تقرب من ٦٢ كم نحو الشمال ـ الشمال الغربي ، أعقبتها ، وبعد هدوء نسبيّ ، المرحلة الثانية في فترة البلايستوسين المتأخر من الحقبة الجيولوجية الرابعة ، وقدرت مسافة الانزياح الأفقي بنحو ٤٥ كم . وأصبح مجموع الانزياح الأفقي لكتلة شرق الأردن وسورية بالنسبة إلى فلسطين ولبنان ما يقارب ١٠٧ كم على طول الصدع (الانكسار) الرئيس للغور . وهناك فرضيات ترى أن مقدار الانزياح هو ١٠٥ أو ٧٠ أو ٤٠ كم أيضاً . وحسب استجابة الكتل الأرضية للحركات البنائية ظهرت وحدات التوائية وطيات أو وحدات صدعية ـ انهدامية بعضها صدعي ـ انهدامي بحت ، وبعضها التوائي صرف ، وقسم كبير منها التوائي ـ صدعي مشترك . مع الأخذ بعين الاعتبار أن محاور الطيات الالتوائية وخطوط الصدوع متأثرة في اتجاهها وامتدادها وشدتها بالقرب من مناطق التأثر الرئيسة للحركات البنائية أو بالبعد عنها ، وهي هنا في فلسطين غور الانهدام السوري ـ الإفريقي .

٢) الوحدات البنيوية : يمكن تقسيم فلسطين إلى مجموعتين كبيرتين من الوحدات البنيوية هما :

(١) مجموعة النقب * والخليل ـ القدس ، وتغلب عليها المحدبات والمقعرات أي الحركات الالتوائية (رَ : الخليل ، جبال) و (رَ : القدس ، جبال) .

(٢) مجموعة الجليل والكرمل ونابلس ، وتطغى عليها الصدوع والحركات الانهدامية (رَ : الجليل ، جبال) و (رَ : الكرمل ، جبل) و (رَ : نابلس ، جبال) . إضافة إلى وحدة الغور الصدعية ـ الانهدامية (رَ : الغور) .

ففي جنوب فلسطين (النقب ـ الخليل ـ القدس) تسود المحدبات والمقعرات والقباب الالتوائية التي رسمت معالمها النهائية في منتصف الحقبة الثالثة الجيولوجية . وتتميز التواءات النقب الجنوبي بكونها طيّات صغيرة تأثرت بالكثير من الصدوع القصيرة . وتتفق محاورها مع محور وادي عربة الصدعي ـ الانهدامي ، أي المحور الشمالي ـ الشمالي الشرقي ، الجنوبي ـ الجنوبي الغربي ، ويصبح

شرقياً غربياً في حوض وادي جرافي * . بعد ذلك ، وشمالي صدوع جرافي ، يبدأ النقب الأوسط حيث يظهر التواء الرمان وطيته الكبيرة ذات المحور الشمالي الشرقي ـ الجنوبي الغربي التي تتناثر على جناحيها طيات أصغر ، وتسايرها خطوط صدوع لها المحور نفسه (رَ : الرمان ، منخفض) . أما في شمال النقب فتكثر الطيات (المحدبات والمقعرات) الصغيرة والقصيرة في الشرق ، وتقل في الغرب حيث تظهر وحدات الحثيرة والحظيرة المحدبة التي تتخللها مقعرات تساير المحور العام الشمالي الشرقي ـ الجنوبي الغربي المسيطر . وكذلك قبة الحليقات الالتوائية في الغرب . وتقل الصدوع في هذه المجموعة من الوحدات الالتوائية الصغيرة .

وبعد انقطاع يحتله مقعر (منخفض) عراد تظهر الوحدة الالتوائية الضخمة الواقعة شمال النقب ، وهي محدب جبال الخليل * ـ القدس * حتى جنوب جبال نابلس * ، ويعد هذا المحدب أكبر الوحدات البنائية في فلسطين ، ويضم محدبات أصغر كمحدب الظاهرية وبيّط والخليل ورام الله . وإذا أهملت الصدوع القصيرة المتجهة شرقاً ـ بغرب في منطقة مدينة القدس ، وصدوع وادي الفارعة * في الشمال ، وهي صغيرة وقصيرة أيضاً ، يمكن القول إن هذه الوحدة البنيوية التوائية صرف . وتنتهي أجنحة وسفوح هذا المحدب الكبير في الغرب عند التلال * القديمة والسهل الساحلي الفلسطيني * بتموجات التوائية ضعيفة ذات محور شمالي شرقي ـ جنوبي غربي مساير لمحور المحدب الأساسي . وليست هذه التموجات مؤكدة تماماً لانطمارها برسبات ولحقيات ورمال السهل الساحلي الفلسطيني التي يزداد سمكها مع الاقتراب من الساحل .

أما المجموعة الثانية التي تقع شمال محدب الخليل ـ القدس وتوابعه فتحتل شمال البلاد ، وتضم الأقسام الشمالية من جبال نابلس وجبل الكرمل * والمنخفض الصدعي ـ الانهدامي الكبير لوادي جالود * ـ سهل مرج ابن عامر * ـ سهل عكا * ، وجبال الجليل * . وتكثر هنا الصدوع والانكسارات بشكل يزداد كثافة في جبال الجليل . وتأخذ خطوط الصدوع شتى الاتجاهات ، لكن السائد فيها هو الاتجاه الشرقي ـ الغربي . وقد أدى تلاقي هذه الصدوع وتقاطعها ، على الرغم من قصرها العام ، إلى تخلع وتشويش وضع الطبقات الصخرية رفعاً وخفضاً ، وبالتالي إلى انتشار النجود والكتل الناهضة وكثرة الخفوس والأغوار الصغيرة ذات فروق الارتفاعات المميزة لتضاريس الجليل بصورة خاصة ، فظهرت كتل جبلية مطوقة من جميع أطرافها بجروف صدعية كجبل الجرمق أعلى قمة في فلسطين . وكانت حركات الصدوع عمودية وأفقية انزياحية برميات كبيرة رسمت التضاريس الحالية لجبال الجليل . ويكوّن جبل الكرمل وحدة بنيوية ـ بنائية قائمة بذاتها ، فهو نجد انهدامي ناهض على امتداد محور شمالي غربي ـ جنوبي شرقي متفق مع المحور العام للوحدة البنيوية الهامة الأخيرة في هذه المجموعة ، وهي الوادي الانهدامي الكبير لخليج وسهل عكا وسهل مرج ابن عامر ووادي جالود الواصل عملياً بين البحر المتوسط وغور الأردن عند بيسان * . ويفصل هذا الوادي الانهدامي الخافس كتلة جبال الجليل في الشمال عن بقية فلسطين في الجنوب .

وأخيراً تأتي أهم وحدة بنائية ـ بنيوية في فلسطين ، وهي وحدة غور الأردن ـ الميت ـ عربة التي تؤلف أصل بناء وبنية فلسطين الحالية وأساسها . وهي وحدة صدعية ـ انهدامية نصفها الغربي يدخل ضمن حدود فلسطين ، وتؤلف حافات جميع تضاريس فلسطين وأطرافها من جهة الشرق . وتسقط هذه الحافات نحو أرض الغور الخافسة بجوانب شديدة الانحدار وبجروف قاسية في بعض الأقسام ، مستمرة في مناطق ومتدرجة على امتداد صدوع متوازية في مناطق أخرى جميعها ذات محور شمالي ـ جنوبي ، مع انحراف نحو الجنوب الغربي جنوبي البحر الميت .

المراجع :

— Freund, R., Garfunkel. Z., Zak, I., Goldberg, M. Weissbrot, T. and Derin, B.: **The Shear along the Dead Sea Rift,** London 1970.

— Picard, L.: On Afro-Arabian Graben Tectonics, **Geologische Rundschau,** V, 59, 1970.

— Schulman, N. and Bartov, Y.: **Tectonics and Sedimentation along the Rift Valley,** Excursions of the 10 th International Congress on Sedimentology 1978.

البهائية :

حركة دينية تنسب إلى البهاء حسين بن علي المازندراني (١٨١٧ ـ ١٨٩٢ م) . وكان البهاء حسين وأخوه الأكبر يحيى (ولقبه صبح أزل) من أتباع الباب علي محمد رضا الشيرازي (رَ : البابية) . وقد ثار الخلاف بينهما بعد إعدام الباب سنة ١٨٥٠ م ، فنفت الحكومة العثمانية « صبح أزل » إلى قبرص ، ونفت البهاء وجماعته إلى مكان يدعى البهجة قرب عكا * في فلسطين . دفن البهاء في عكا * وخلفه ابنه عباس أفندي الملقب عبد البهاء (١٨٤٤ ـ ١٩٢١م) .

انطلق البهاء في دعوته من مبادىء توخى منها إنشاء دين جديد ، فنسخ كتاب البابية « البيان » ، وكتب كتاب « الأقدس » ، ثم « الايقان » و« الإشراقات » . وجعل كتابه «الأقدس» في عداد الكتب السماوية المقدسة ، وادعى أنه المسيح المنتظر . ثم ذكر أن الله يتجلّى عليه . وادعى أخيرا الألوهية ذاكرا أن الله يظهر بمظهر البهاء .

لم يقصر البهاء دعوته على المسلمين ، فكاتب الملوك والأمراء والرؤساء في أوربا وآسيا وأمريكا داعيا إياهم إلى اعتناق مذهبه ، معلنا توحيد الأديان واختيار البهائية لتكون الدين الأوحد الذي تدين به البشرية جمعاء . ونادى بتوحيد اللغات وطالب بإنشاء برلمان عالمي واحد .

ويلاحظ البعض علاقة بين البهائية واليهود . وقد تجلّت هذه الظاهرة فيما يلي :

١) دفعهم البهاء إلى أن يعلن نفسه ربّا للجنود ، أو مسيحا جاء لهداية العالم ، مستدلين على ذلك بما ورد في التوراة * من آيات تشيد بمجد يهوذا ، وما يحتويه سفر دانيال وأسفار العهد القديم من الرؤى التي تبشر ، في رأيهم ، بظهور بهاء الله وابنه عباس .

٢) دعوة الباب العلنية إلى التجمع اليهودي الصهيوني في أرض فلسطين : " هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم ، وشرب زلال الوصال من هذا القدح الذي به سجّرت البحور ، قل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور ، والروح ينادي مَنْ في الملكوت : هلموا وتعالوا يا أبناء الغرور ، هذا يوم فيه أسرع كرم الله شوقاً للقائه ، وصاح الصهيون قد أتى الوعد ، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب " (كتاب الأقدس ص ١١٨) .

وجاء عباس أفندي ابن البهاء مكملاً دعوة أبيه للتجمع اليهودي الصهيوني فقال : " وفي زمان ذلك الغصن الممتاز ، وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة ، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة " وقال : " فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ، ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها ، ويزدادون تدريجيا إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطنا لهم " (مفاوضات عبد البهاء ص ٥٩) .

٣) تزلّف عبّاس أفندي (ابن البهاء) لليهود ومجاهرته بصداقتهم .

هذا ، وفي المؤتمر السابع والثلاثين لضباط المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية تقرر مقاطعة البهائيين وعدم التعامل معهم ، واعتبار البهائية مرتبطة بالصهيونية . لكن البهائيين العرب يدفعون هذه التهم عن أنفسهم ويؤكدون ابتعادهم الكامل عن السياسة والعمل السياسي والتزامهم بقوانين البلاد العربية وأنظمتها .

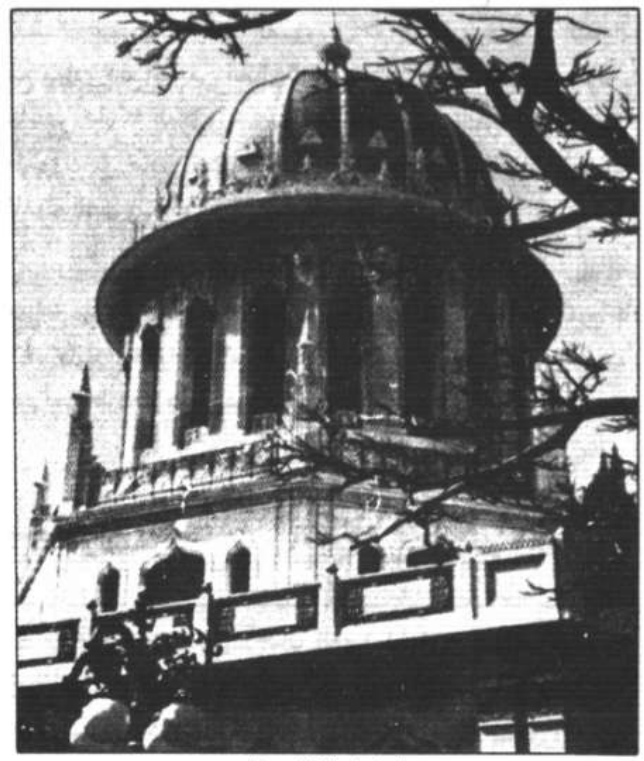

القبة البهائية في حيفا

المراجع :

ـ محمود البشبيشي : **الفرق الإسلامية** ، القاهرة ١٩٣٢ .

ـ محسن عبد الحميد : **حقيقة البابية والبهائية** ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ عمر عنايت : **العقائد** ، القاهرة ١٩٢٨

ـ **دائرة المعارف الإسلامية** (الترجمة العربية) ، القاهرة ١٩٣٧

ـ محمد الخضر حسين : **القاديانية والبهائية** ، دمشق ١٩٧٥

ـ عائشة عبد الرحمن : **الإسرائيليات في الغزو الفكري** ، القاهرة ١٩٧٥

— Goldziher, I.: **Le Dogme et la loi de L'Islam** , (Traduction F. Arin) Paris 1920.

البواطـــي (قرية ـــ) : ر : عرب البواطي (قرية ـــ)

بُوريـــن (بلدة ـــ) :

بلدة عربية تبعد مسافة ١٠ كم إلى الجنوب من نابلس * وتربطها بها طريق معبدة فرعية ، كما تربطها طرق فرعية أخرى بقرى عراق بورين ومادما وعصيرة القبلية وتل وحوّارة .

نشأت بلدة بورين في الطرف الجنوبي الشرقي من جورة عمورة الممتدة بين جبل الشيخ صورير (٨٣٨ م) شمالاً وجبال سلمان (٨١٠ م) جنوبا حيث تبدأ من هذين الجبلين المجاري العليا لوادي التين المتجه نحو مدينة طولكرم * . وتعد بقعة بورين جزءاً من جبال نابلس * ، إذ يراوح ارتفاع بلدة بورين ما بين ٦٠٠

و٦٥٠ م عن سطح البحر . بنيت معظم بيوتها من الحجر والإسمنت ، واتخذ مخططها شكل النجمة ، ويسير النمو العمراني لبورين في محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة عنها . وقد امتدت مباني البلدة نحو الشمال والشمال الغربي ، فازدادت مساحتها من ١٠٦ دونمات في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٥٠ دونما في عام ١٩٨٠ . ولبورين مجلس قروي يدير شؤونها التنظيمية ، ويساهم في فتح الشوارع وتزويد البيوت بالمياه والكهرباء . وتكثر الينابيع في بورين وضواحيها وهي مصادر مائية هامة لتزويد البلدة بمياه الشرب وري بعض البساتين . وتوجد في بورين محلات تجارية على جانبي شارعها الرئيس ، وفيها أربع مدارس ابتدائية وإعدادية وثانوية للذكور وللإناث . وفيها عيادة صحية ومسجد إلى جانب بعض المزارات القريبة منها مثل مزار الشيخ سلمان الفارسي ومزار أبو اسماعيل . وتحتوي بورين على بعض الآثار التاريخية مثل المغاور ، والمعاصر المنقورة في الصخر ، والأحواض والجدران المبنية بمواد قديمة . وتوجد بالقرب منها خربة مخنة وخربة عمرة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي بلدة بورين ، بما فيها عراق بورين ، ١٩,٠٩٦ دونما منها ١٥٩ دونما للطرق والأودية . وتستغل أراضيها في زراعة الحبوب * وقليل من الخضر * ، وفي زراعة الأشجار المثمرة ، وبخاصة أشجار الزيتون * والعنب * والتين واللوز وغيرها . وكان أهلها يهتمون في السابق بتربية الأغنام ، ولكنهم عزفوا عن ذلك ، ويفضلون اليوم العمل في الزراعة * والتجارة * والوظائف الحكومية . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار ، وتتركز زراعة الزيتون في الجهة الشمالية الغربية من بورين .

نما عدد سكان بورين من قرابة ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٢٢ إلى ٨٥٩ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ١,٢٠٠ نسمة في عام ١٩٤٥ ، وإلى ٢,٠٦٨ نسمة في عام ١٩٦١ . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٦,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٢ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بُورين (سهل ـ) : رَ : مخنة (سهل ـ)

البوريني : رَ : الحسن بن محمد البوريني

بوغروم :

كلمة روسية معناها « هجوم » أو « مذبحة منظمة لتدمير جماعة أو طبقة ما خاصة إذا كان أعضاؤها من اليهود » .

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع زيادة التصنيع في روسيا وبولندا زيادة في عدد الهجمات على أحياء اليهود . فالطبقة الرأسمالية المحلية ، ومعظم أعضائها من المسيحيين ، بدأت تصطدم بالبرجوازية " الربوية " القديمة المرتبطة بالمجتمع الإقطاعي ، وكان أغلب أعضائها من اليهود . وكثيرا ما كانت البرجوازية الجديدة تشجع العناصر المتعصّبة في المجتمع على أن تعبر عن سخطها عن طريق الفتك باليهود .

وقد كان البوغروم يأخذ عادة شكل غارة تشنها جماعة مسلحة على مراكز التجمع السكانية اليهودية المعروفة بالغيتو * فتقتل من تقتل وتنهب ما تنهب . ومن أشهر البوغرومات حادثة « كيشينيف » ، وهي مدينة روسية كانت تضم أقلية يهودية بلغ عدد أفرادها عشرة آلاف . فقد قامت في المدينة سنة ١٩٠٣ مظاهرة ضد اليهود سرعان ما تحولت إلى بوغروم قتل فيه ٤٧ يهودياً وجرح ٩٢ آخرون ، ويقال إن الشرطة القيصرية لم تتدخل لحماية اليهود .

وقد استغلت الصهيونية مثل هذه الحوادث ، وجردتها من سياقها التاريخي ، وحولتها إلى ظاهرة تدل على الكره الأزلي لليهود ، لتكتسب فكرة الدولة اليهودية شرعية ، ولتصبح الحل الوحيد للمسألة اليهودية . ولكن الصهيونيين مع هذا لم يترددوا في التعاون مع معادي السامية من أبطال البوغرومات . فقد تعاون هرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ مع فون بليفيه وزير الداخلية الروسي المسؤول عن حادثة كيشينيف محاولا اكتساب تأييد الدولة القيصرية للدولة الصهيونية .

ويستخدم بعض الكتاب الآن كلمة « بوغروم » للإشارة إلى أية مذابح منظمة تتم ضد أية أقلية، ومنها المذابح المنظمة التي تقوم بها الجماعات أو القوات الإسرائيلية المسلحة ضد الفلسطينيين العرب من أجل طردهم من وطنهم فلسطين .

بولس (٥ـ٦٧ م) :

قديس من أشهر رجال العهد الجديد ، وله اسمان : شاؤل ، وهو عبري ، وبولس ، وهو روماني . ولد في مدينة طرسوس(في تركيا) التي كان أهلها رومانيين. وبولس يهودي الأصل، يوناني الثقافة ، روماني الجنسية ، صناعته صناعة الخيام .

لم ير بولس السيّد المسيح معاصره . وقد قاوم الكنيسة ، وحثّه رفضه لها على أن يقصد إلى دمشق ليضطهد المسيحيين . فتراءى له السيد المسيح قبل دخوله المدينة ، وكان ذلك اليوم يوم اهتدائه (نحو سنة ٣٦ م) .

ويعدّ هذا اللقاء أساس حياة بولس الجديدة ، وهذا الاهتداء أعظم حدث في المسيحية . ففي أثره صار بولس رسول المسيحية إلى الوثنيين وقام برحلاته التبشيرية في سورية وقبرص وآسيا (تركيا) واليونان وإيطاليا ، وقد يكون وصل إلى اسبانيا ، حاملا الإنجيل إلى كل مكان .

وفي سنة ٥٨ م ثار عليه يهود القدس إذ كان هناك فسجنه الحاكم سنتين في قيصرية الساحل . ثم نقل من هناك إلى سجن رومة حيث مكث حتى سنة ٦٣ م . وبعد ذلك أطلق سراحه ، وعاد إلى التبشير ثم أسر ثانية ،وضرب عنقه نحو سنة ٦٧ م أيام نيرون ، ودفن في المكان الذي تقوم عليه اليوم " كنيسة القديس بولس خارج الأسوار " في رومة .

لبولس دور كبير في تاريخ المسيحية * ، فقد نقل في سنوات قليلة الإنجيل من جوّ الضيعة الفلسطينية إلى أعظم مدن العالم القديم حضارة . وبات هو القائد الساهر يتفقد الكنائس التي أنشأها بحضوره وبرسائله . وقد بقي منها أربع عشرة هي بحسب تواريخها :

رسالتان إلى أهل تسالونيكي (اليونان) سنة ٥٢ و٥٣ م ، ورسالتان إلى أهل قورنتس (اليونان) سنة ٥٧ و٥٨ م ، ورسالة إلى غلاطية (تركيا) ، ورسالة إلى رومة . ومن سجنه في رومة (٦١ - ٦٣ م) بعث رسالة إلى أهل فيلبي وفليمون (اليونان)،ورسالة إلى قولسي ، ورسالة إلى أفسوس (تركيا) ، ورسالة إلى شخص يدعى فيلمون . وأرسل سنة ٦٤ م الرسالة إلى العبرانيين من إيطاليا ، وهي من وحيه . وأخيراً بعث وهو في رومة ثلاث رسائل إلى تلميذيه طيطس (كريت) وطيموتاس (أفسوس) بين سنتي ٦٤ و٦٦ م .

كانت رسائل بولس وليدة حاجات المؤمنين . وقد غدت لها شهرة عظيمة ، وشهد بعبقرية كاتبها المفكرون ، وتؤلف هذه الرسائل أكبر قسم من العهد الجديد . وهي بعد الإنجيل أهم ركن لعلم اللاهوت ، وأدسم غذاء للحياة المسيحية ، وأعظم مرجع للمجامع والوثائق الكنسية . وبعد مرور ألفي سنة عليها لا تجد الكنيسة في طقوسها ما تخاطب به مؤمني اليوم أرفع شأنا مما كتبه بولس إلى العالم اليوناني الروماني .

فالقديس بولس هو أعظم متصوفي المسيحية وملتزميها ، وهو في طليعة من غيّروا مجرى التاريخ . وتحتفل الكنيسة بعيده كل سنة في التاسع والعشرين من حزيران .

المراجع :

— Brunot, A.: **Les écrits de St. Paul,** Paris 1972.
— Colson,J.: **Paul apôtre martyr,** Paris 1971.
— Grant, M.: **Saint Paul,** London 1976.
— Mckenzie, J.L.: **Dictionary of the Bible,** New York 1978.
— Pax, E.: **In the Footsteps of St. Paul,** Jerusalem 1977.
— Vesco, J.L.: **En Mediterranée avec l'apôtre Paul,** Paris 1972.

بولس شحادة (١٨٨٢ - ١٩٤٢) :

ولد في رام الله * ، وتلقى تعليمه الثانوي في مدرسة صهيون* في القدس * ، ثم واصل تعليمه العالي في كلية الشباب الإنكليزية . وأتقن اللغتين العربية والإنكليزية وأجاد الكتابة بهما . عمل أيام العثمانيين في التعليم في غزة* وحيفا * . وفي عام ١٩٠٧ حكم عليه بالإعدام لمناوأته السلطات العثمانية فلجأ للقاهرة هربا من عقاب السلطات التي طاردت الأدباء والمربّين الوطنيين . وعاد إلى فلسطين ، كغيره من المثقفين العرب ، بعد إصدار الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، ونشط في حقل الصحافة * والتعليم وكتب للصحف الوطنية التي صدرت في تلك السنة، بالإضافة إلى المجلات السياسية والأدبية في القاهرة .

وفي عام ١٩١٩ كان من أوائل الصحافيين الذين أسسوا صحفا في زمن الانتداب البريطاني ، فأصدر مرآة الشرق * في القدس ، وكانت جريدة أسبوعية سياسية صدرت في أول عهدها باللغتين العربية والإنكليزية . حرر القسم الإنكليزي فيها شقيقه الدكتور سليم . وشارك في التحرير أحمد الشقيري * وأكرم زعيتر . واستمرت المرآة في الصدور حتى سنة ١٩٣٩ حين عطلتها حكومة الانتداب بعد أن اشتركت مع الصحافة الفلسطينية في تسجيل أحداث ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ * .

وفي العشرينات نشط في الحركة السياسية فساهم في تأسيس الأحزاب السياسية المعتدلة بين ١٩٢٣ و١٩٢٥ ، وكان من مؤيّدي كتلة « المعارضين » . وحارب فكرة إقامة الوطن القومي لليهود في فلسطين .

وفي عام ١٩٣٤ اشترك في تأسيس حزب الدفاع الوطني *

وأصبحت سياسته أكثر جرأة في مهاجمة البريطانيين والصهيونيين معا .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف خوري : الصحافة العربية في فلسطين ١٨٧٦ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٦ .

بولونيا : رَ : أوربا الشرقية (دول ـ)

بونجر (مشروع ـ) :

رَ : الأردن (استثمار مياه نهر ـ وروافده)

البويرة (قرية ـ) : رَ : خربة البويرة (قرية ـ)

البُوَيْزِيّة (قرية ـ) :

قرية عربية تبعد ٣٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة صفد * ، وتقع بين قريتي الخالصة * وجاحولا * على بعد ٥ كم من الأولى و ٤ كم من الثانية . وأقرب القرى إليها قرية الزويّة * التي تبعد كيلومترين شرقيها . وتمر إلى الشرق منها طريق طبرية ـ المطلة الرئيسة . وتقع القرية على بعد ٥ كم شرقي الحدود الفلسطينية ـ اللبنانية ، وتمتد بمحاذاة خط الحدود غربي القرية طريق معبدة رئيسة تصل بين قريتي قَدَس * وهونين * .

ترتفع القرية ١٠٠م عن سطح البحر ، وقد أقيمت عند أقدام سفوح التلال الغربية التي تطل على أراضي سهل الحولة * . وهي تستند إلى تلك التلال حيث تشتد الانحدارات إلى الغرب من القرية مباشرة فتشكل الحافة الغربية لمنخفض الحولة . ويمر بالقرية مجرى واد صغير ينحدر من التلال في الغرب وينتهي في أراضي الحولة . وامتدت القرية بشكل طولي على الجانب الغربي للطريق الرئيسة التي تصل بين طبرية * والمطلة ، وكان النمو أكثر باتجاه الشمال قرب ملتقى الطريق الممهدة والطريق الرئيسة . وتكثر عيون الماء في المنطقة ، فهناك عين البارة إلى الشمال من القرية ، وعين العامودية في ظاهرها الجنوبي ، وكانت الأخيرة تزوّد الأهالي بمياه الشرب . وأنشئت في القرية مدرسة ابتدائية للبنين عام ١٩٣٧ .

بلغت مساحة القرية ١٧ دونماً عام ١٩٤٥ ، وبلغت مساحة الأراضي التابعة لها ١٤,٦٢٠ دونماً منها ١٣٠ دونماً للطرق والأودية . تكثر الأراضي الزراعية شرقي الطريق الرئيسة وإلى الشمال والجنوب من القرية . وقد انتشرت فيها زراعة الحمضيات * وبساتين الفاكهة وبعض الحبوب * والخضر * . وتحيط بها أراضي هونين وجاحولا وقَدَس والخالصة والأراضي اللبنانية وامتياز الحولة .

بلغ عدد سكان البويزية ٢٧٦ نسمة من البدو في عام ١٩٢٢ ، ويعرفون باسم عرب البويزية ، وهم فرع من عرب الغوارنة . وارتفع عددهم إلى ٣١٨ نسمة في عام ١٩٣١ ، وكانوا يقطنون ٧٥ مسكناً ، وقدر عددهم بنحو ٥١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ .

دمّر الصهيونيون القرية وأخرجوا سكانها منها عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .

بِيَار عَدَس (قرية ـ) :

قرية عربية سميت بهذا الاسم بسبب وجود مخازن فيها للعدس محفورة في الحجر تحت الأرض . تقع بيار عدس شمالي شرق يافا * بين قرية جلجولية شرقاً ومستعمرة « مجدئيل » غرباً . وتبعد إلى الغرب من الطريق الساحلية وخط سكة الحديد مسافة كيلومترين ، وترتبط بالقرى المجاورة ، ولا سيما جلجولية ، بطرق فرعية .

نشأت القرية فوق رقعة منبسطة من السهل الساحلي الفلسطيني * لا يتجاوز ارتفاعها ٥٠م عن سطح البحر . ويمر بطرفها الشرقي أحد الأودية الرافدة لنهر العوجا * حيث تميل الأرض إلى الانحدار تدريجياً نحو الجنوب الغربي . كانت القرية تتألف من مبان سكنية مندمجة ، وكان نموها يميل إلى الاتجاه نحو الشمال الشرقي . وامتدت القرية فوق رقعة مساحتها ١٤ دونماً . ولم يكن عدد بيوتها عام ١٩٣١ يتجاوز ٢٨ بيتاً ، لكن عددها زاد في أواخر عهد الانتداب إلى قرابة ٥٠ بيتاً . وتهطل على القرية كمية كافية من الأمطار الشتوية ، وتتوافر حولها مياه الآبار * .

بلغت مساحة الأراضي التابعة لها ٥,٤٩٢ دونماً منها ١٠٩ دونمات للصهيونيين و ٤٠ دونماً للطرق والأودية و ٥,٣٠٨ دونمات أراض زراعية . وأراضيها ذات تربة خصبة تصلح لزراعة الحمضيات * . وتحيط بالقرية بساتين الحمضيات والأشجار المثمرة ومزارع الحبوب * والخضر * ، وتتركز في الجهة الجنوبية الشرقية من بيار عدس . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار التي عملت على رفع إنتاج الدونم من المحاصيل الزراعية .

نما عدد سكانها من ٨٧ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٦١ نسمة عام ١٩٣١ . وقدر عددهم عام ١٩٤٥ بنحو ٣٠٠ عربي . وكانت الزراعة الحرفة الرئيسة لهؤلاء السكان .

احتل الصهيونيون بيار عدس عام ١٩٤٨ ، وأفنوا معظم سكانها العرب ، ثم دمّروا القرية ، وأقاموا على أراضيها مستعمرة « جنيعام » واستغلوا الأراضي الزراعية الخصيبة في الزراعة المروية الكثيفة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة يافا ـ تل أبيب .

البيازنة :

تعدّ بيزا الايطالية ـ بعد البندقية وجنوة ـ المدينة الثالثة التي حصل أهلها على اعتراف الإمبراطورية البيزنطية بسيادتهم على مدينتهم فجعلوا منها سنة ١٠٨٥ م « جمهورية مستقلة » .

وقد سعى البيازنة ، او البيزيون ، مثلهم مثل الجنويّين * والبنادقة * ، للحصول على امتيازات تجارية من الإمبراطورية البيزنطية ، وركزوا اهتمامهم على بلاد الشام ، وكانوا الجماعة الإيطالية الثانية ، التي لبّت الدعوة للحروب الصليبية بعد الجنويّين .

وقد حصل البيازنة سنة ١١٠٨م على امتيازات تجارية في إمارة أنطاكية ، ومُنحوا حيّاً خاصاً بهم في كل من أنطاكية واللاذقية ، مع كنيسة ومستودعات في اللاذقية ، فضلاً عن تخفيض ما يدفعون من الرسوم الجمركية والضرائب في المدينتين أو إعفائهم منها .

وقد نال البيازنة هذه المنح لمساعدتهم تانكريد صاحب أنطاكية على احتلال اللاذقية في عام ٥٠٢هـ / ١١٠٨م . وجدّدت هذه الامتيازات فيما بعد ، وتمّ توسيع بعض جوانبها .

وحصل البيازنة على عدد من الامتيازات في مملكة القدس اللاتينية * ، فقد تمّ منحهم أحياء خاصة في مدينة القدس * ، كما منحوا ربع مدينة يافا * . وحصل هذا أيام الحملة الصليبية الأولى ، أي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م ذلك أن البيازنة قدموا للفرنجة * مساعدات كبيرة في تحصين كل من القدس وبلدة يافا بعد احتلالها .

وحصل البيازنة عام ٥٥١ هـ/١١٥٦م على امتيازات في صور، وتملكوا خمسة بيوت فيها ، ثم ملكوا حق إنشاء محكمة خاصة بهم في هذه المدينة . وفي سنة ٥٥٢هـ / ١١٥٧م منحهم أموري الأول كونت يافا وعسقلان منطقة في يافا لإقامة سوق خاص بتجارتهم ، وكنيسة مع بيوت سكنية ، وأعفاهم من دفع نصف الرسوم الجمركية المفروضة في ميناء يافا .

لكن مكانة البيازنة في القدس لم تكن مساوية لمكانة الجنويّين والبنادقة . وفي سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م سنة معركة حطين * عقدت بين كونراد مونتفرات صاحب صور وملك القدس والبيازنة معاهدة منحوا فيها كثيراً من الامتيازات والإعفاءات الضريبية والجمركية في المدن والموانىء التي كانت داخلة في مملكة القدس اللاتينية في مقابل تقديم مساعدتهم العسكرية لمواجهة صلاح الدين الأيوبي * وقد ظلت هذه المعاهدة قائمة تجدد باستمرار .

وحصل البيازنة أيضاً على امتيازات كثيرة في إمارة طرابلس حتى أصبح لهم محكمة خاصة بهم ، وكان لهم في المدينة حصانة .

وقد تورط البيازنة في الخلافات الداخلية الصليبية ، وكانوا دائماً على خصام مع منافسيهم الجنويّين ، فلمّا تفجّر الصراع في عكا بين كونراد مونتفرات وغي لوزنيان بين عامي ٥٨٦ ـ ٥٨٧هـ / ١١٩٠ ـ ١١٩٢م حول عرش مملكة القدس الذي قوّضه صلاح الدين وقف البيازنة إلى جانب غي لوزنيان في حين انضم الجنويون إلى خصمه . وقد انتهى الصراع بخسارة حليف البيازنة فطردوا من صور . وتبع ذلك صدام دموي في داخل مدينة عكا بين البيازنة والجنويين . وسعى ريتشارد قلب الأسد للتوفيق بين الفريقين المتخاصمين .

لكن عمر هذا الاتفاق لم يكن طويلاً ، إذ سرعان ما انضم البيازنة إلى حليفهم القديم غي لوزنيان الذي غدا ملكاً على قبرص في مواجهة هنري شمباني سيد صور والجنويّين . وانتهى الأمر بطرد البيازنة من صور وعكا وغيرهما ، ولم يقدروا على العودة إلى أحيائهم إلا عام ٥٩٢هـ / ١١٩٥م حين تصالحت قبرص وصور .

وتجدد الصراع بين البيازنة والجنويين في القرن الثالث عشر الميلادي لمّا وصل الإمبراطور فردريك الثاني إلى فلسطين ، فوقف البيازنة إلى جانبه ، واشتبكوا سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م مع الجنويين في عكا ، وتجددت الاشتباكات بين الطرفين سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م .

وكان هذا الصراع في الشرق مظهراً من مظاهر الصراع في أوربا وجانباً من جوانبه .

كان لوفاة فردريك الثاني سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م أثر كبير في البيازنة ، إذ أخذ شأنهم بين الفرنجة يضعف حتى أزيحوا عن مسرح الصراع والتنافس الذي خلا للبنادقة والجنويين .

المراجع :

— Atiya, A.S.: **Crusade in the Later Middle Ages,** London 1938.
— Bautier, R.: **The Economic Development of Medieval Europe,** London 1971.
— **The deeds of the Franks** (Eng. Trans.), A. Krey, London 1962.
— Latouche, R.: **The Birth of Western Economy,** London 1961.
— Pirenne, H.: **Medieval Cities** (Eng. Trans.) , Princeton 1939.
— Runciman, S.: **A History of the Crusades,** 3 vols.Cambridge 1954.

البيان الأنكلو ـ فرنسي (١٩١٨) :

حاول فيصل بن الحسين أن يشمل لبنان بسلطته العربية فأرسل شكري الأيوبي ممثلاً عنه إلى بيروت فاستلم الحكم فيها من عمر الداعوق . وعمد الوطنيون العرب إلى رفع العلم العربي هناك يوم ٣/ ١٠/ ١٩١٨ تأكيدا لعروبة لبنان ، وانضوائه تحت لواء الدولة العربية المستقلة . وكان رفع العلم قبل دخول القوات البريطانية والفرنسية إلى بيروت ببضعة أيام ، فأثار ذلك غضب فرنسا التي ضغطت على الجنرال اللنبي ودفعته إلى الأمر بإنزال العلم . وقد ولّد ذلك هياجاً في صفوف الجيش العربي والشعب . وزاد في غليان النفوس ما ذاع من أن بيروت ومدن الساحل السوري ستوضع تحت الاحتلال الفرنسي ، وما شاع عن تزايد نشاط الصهيونيين في فلسطين . فاحتج فيصل لدى أللنبي وأعلن أنه لن يستطيع كبح جماح القوات العربية وتهدئة النفوس إلّا إذا أصدرت الدولتان المتحالفتان على الفور تحديداً رسمياً يتضمن صدق نياتهما .

أصبح لحادثة العلم صدى واسع بين الأوساط العربية التي اعتبرتها تأكيداً للنيات الشريرة التي بيّتها الحلفاء للمشرق العربي وأفصحت عنها اتفاقية سايكس ـ بيكو * ووعد بلفور * .

وأمام تطور الوضع الذي أصبح ينذر بالخطر أجرت فرنسا وإنكلترا مشاورات سريعة ، واتفقتا على إصدار بيان بشكل مذكرة تطمئن العرب في العراق وسورية وفلسطين . وعرفت المذكرة فيما بعد باسم البيان الأنكلو ـ فرنسي الصادر في ٧/ ١١/ ١٩١٨ . وقد روّج الحلفاء لهذا البيان بشكل جماهيري واسع ، فطبعت كميات كبيرة منه علقت في كافة الأماكن العامة ، ونشر في الجرائد المحلية ، بل تلي شفهياً على جماهير الأميين من قبل الموظفين العرب في الإدارة العسكرية . لذا يعدّ هذا البيان أكثر إلزاماً وفاعلية من العهود التي أعطيت بصورة سرية وفردية إلى شخص الشريف حسين (رَ : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) .

والبيان الذي يظهر أنه كتب أصلاً باللغة الفرنسية ثم ترجم إلى الانكليزية والعربية وصدر عن المقر العام في القاهرة يؤكد عزم الحلفاء على تحرير الشعوب من ربقة الأتراك ، وتأليف حكومات وإدارات وطنية " تستمد سلطتها من الممارسة الحرة لمبادرات السكان المحليين وخيارهم " . ويضيف أن فرنسا وإنكلترا قد اتفقتا على السعي لهذا الغرض بإقامة حكومات وإدارات من السكان المحليين في سورية وبلاد الرافدين .

واستعرضت الفقرة الأخيرة منه رغبة الدولتين في مساعدة هذه الإدارات ، وتحقيق العدالة للجميع ، ونشر التعليم ، وتسهيل مهمة الحكومات التي ينتخبها الشعب بحرية .

والواضح أن إنكلترا وفرنسا قد اعترفتا هنا بحق تقرير المصير في إطار الانتخاب الديمقراطي للسلطة . ومن هذه الزاوية جاء البيان الأنكلو ـ فرنسي أيضاً أبلغ دلالة وأبعد مدى من تعهدات إنكلترا السابقة .

وبعبارة أخرى يتضمن التصريح فيما يشير به إلى سورية وفلسطين والعراق تأكيدين بالغي الأهمية : أولهما أن بريطانيا كانت وستظل تعمل لتنال تلك البلاد حريتها واستقلالها فضلاً عن تحريرها من الحكم التركي . وثانيهما أنها تعهدت بأنها لن تقيم في تلك البلاد أي نظام من أنظمة الحكم لا يقبله السكان فيها . وترجع خطورة التأكيدين إلى أنهما صدرا بعد اتفاقية سايكس ـ بيكو ووعد بلفور . ولذا صدّق العرب أن بريطانيا مصممة على أن يكون مبدأ حق تقرير المصير الذي نادى به الرئيس الأمريكي ويلسون قبل بضعة شهور هو السياسة التي ستلتزم بها مستقبلاً لتسوية شؤون بلدان آسيا العربية بعد الحرب .

ولهذا ركز الأمير فيصل على هذا البيان في طرحه للقضية العربية أمام مؤتمر الصلح بباريس والمفاوضات التالية له . ويعتبر إدخال فلسطين في إطار البيان وتوزيعه فيها حجة قوية في جانب الصف العربي بأن البيان كان إجراء دعائياً أملته ظروف الحرب دون أي عزم على تطبيقه ، كما اعترف بلفور شخصياً بذلك في مذكرته المؤرخة في آب ١٩١٩ .

المراجع :

ـ جورج أنطونيوس : يقظة العرب ، (مترجم) ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ أحمد طربين : الوحدة العربية ، دمشق ١٩٦١ .
ـ محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، بيروت ١٩٦٠ .
— Sykes, C.: **Cross Roads to Israel,** London 1965.

البيـــان الثـــلاثي :

صـدر هذا البيـان في ١٩٥٠/٥/٢٥ عن كـل من الـولايـات المتحـدة الأمريكيـة وبريـطانيا وفـرنسـا إثـر اجتماع عقـده وزراء خـارجيتها من أجـل وضع أسس جـديدة لسيـاسة مـوحـدة للدول الثلاث إزاء الصراع العربي ـ الإسرائيلي والمنطقة العربية بأسـرها . وقـد تضمن البيان ثـلاثة بنـود نـص الأول منهـا عـلى أن الـدول المذكورة " تعترف بحاجـة الدول العـربية و (إسـرائيل) إلى رفـع مستوى تسليحها بنسبة معينة لتعزيز أمنها الداخلي ، وتأمين دفاعهـا الشرعي عن الذات ، والدفاع عن المنـطقة بـأسرهـا " . أما البنـد الثاني فقد أكد على وجود تعهد مسبق من الـدول المعنية في المنـطقة بعدم استعمال السلاح المصدر إليها لأية " أغراض عدوانية " . بينما نص البند الثالث على ضرورة ترسيخ " فكرة عدم اللجوء إلى القوة بين بلدان المنطقة " وعلى عزم الدول الثلاث " بوصفهـا أعضاء في الأمم المتحدة " على التصدي لأية محاولة اعتـداء على " الحـدود أو خطوط الهدنة " .

كان الهدف المباشر لإصدار هذا البيان هو وضـع حد للصـراع العربي ـ الإسرائيلي بالحيلولة دون قيام أي نزاع مسلح بين الطرفين ، وإيقاف عملية سباق التسلح بينهما ، وفرض وجود الكيان الصهيوني كأمر واقـع في المنطقـة العربيـة . وقد شكـل اتفاق الـدول الثلاث المـذكورة عـلى هذه السيـاسة أول خـطوة عملية لإزالـة خـلافـاتهـا وتناقضاتها السياسية السابقة إزاء الصراع العربي ـ الإسرائيلـي من خلال تنسيق عمليات شحن الأسلحة إلى دول المنطقـة باعتبـارها الـدول الوحيـدة المصدّرة للسـلاح حتى ذلك الحـين ، ومن خـلال إخضاع هذه الشحنات لمتطلبات مصالحها الإستراتيجية المشتركة التي تبلورت نتيجة التطورات السياسية العالمية واشتداد الحرب الباردة .

وفي أعقـاب التوقيـع على اتفـاقيات الهـدنة بـين بعض الـدول العـربية والكيـان الصهيوني سنـة ١٩٤٩ أخـذت كـل من فرنسـا وبريطانيا ترسل بعض الشحنات الرمزية إلى سوريـة والأردن ومصر والعـراق بموجب الاتفاقيات المعقودة بينها في السـابق ، بينما أخـذ الكيان الصهيوني في الحصـول على كميـات كبيرة من الأسلحـة من مختلف المصادر بطرق سـرية نظرا لعدم وجود أية اتفاقية مماثلة بينه وبين الدول المذكورة . كما كانت الولايات المتحـدة قد أعلنت عـلى لسـان الرئيس تـرومان في ١٩٤٨/٥/١٥ ، وبعـد يـوم واحـد من إعلان قيام الكيان الصهيوني ، عن رغبتها في إعادة النظر في الحظر الأمريكي المفروض على شحن الأسلحة إلى المنطقة ، وتغاضت عن شحنـات الأسلحة التي أخـذت الشركـات والمؤسسات الأمـريكيـة المختلفة تصدرها إلى الكيان الصهيوني بشكل سري .

أما المتطلبـات الجديـدة للمصالـح الإستراتيجيـة لدول البيـان الثلاثي فقد تمثلت في ضرورة شحن نسبة معينة من السلاح إلى دول المنـطقة شـــرط عدم استعمـال هذا السـلاح في النـزاع العـربي ـ الإسـرائيـلي بل في أغراض ثلاثة هي : الأمن الداخلي ، والـدفاع عن الذات ، والدفاع عن المنطقة بأسرها .

وقد انطلقت الدول الثلاث تعمل عـلى تعزيـز الأمن الداخـلي للدول المذكورة من الخوف الذي بـدأ يساورهـا إزاء بوادر التحـول السياسي التي أخذت تظهر في الساحة العـربية نتيجـة قيام الكيـان الصهيـوني ، واشتداد المـطالبة بـالسلاح لاسـترداد الحق العربي في فلسطين ، والدعوة إلى التوجه السياسي نحو الاتحاد السوفييتي . كما ارتبط شرط الدفاع عن الذات باتفاق الدول الثلاث على ضمان بقاء الـوضع الـراهن ، وعدم السمـاح بحدوث أي تغيـر في الحدود أو خطوط الهدنة القائمة في المنطقة ، والتصدي لأية محاولة بهذا الشأن من أي طرف من الأطراف . وتمثل الشق الثالث من هذه المتطلبات في إزالة التناقض القائم بين الدول العربية والكيان الصهيوني بهدف تعـاون دول المنطقـة كافـة في الدفـاع المشترك عن مصـالح الـدول الثـلاث إزاء تنامي وانتشار ما ادعت أنه الخطر المنطلق من الاتحاد السوفييتي . وهذا يقتضي في نظرها احتواء المنطقة العربيـة في إطار منظمة دفاعية غربية .

ضمن البيان الثلاثي للكيان الصهيوني مكـاسب كبيـرة أولهـا تأمين إمداده بالسلاح بشكل رسمي وعلني من قبل الدول الثلاث ، وثانيها تثبيت خطوط الهدنة حدوداً جديدة له بحماية الدول الثلاث (غـير الحدود التي رسمهـا قرار التقسيم) ، وثـالثها التـزام الدول الثلاث بالسعي إلى تحـويل هـذا الكيان إلى أمـر واقع ومقبـول من الدول العربيـة وتطوير هذا الواقع إلى تعاون للدفاع عن المصـالح الغربية .

أما بالنسبة إلى الجانب العـربي فقد نص البيـان على ضمـان عدم حدوث أي تغيير في الحدود القائمة بالقوة أو بالتهديد بها . كما يقال إنه ضمن ضم القـطاع الشرقي من فلسـطين إلى الأردن فـي ضوء المرسوم الأردني الذي صدر بهذا الشأن والذي كانت الخلافات ما زالت قائمة بشأنه داخل جامعة الدول العربية . يضاف إلى ذلك تطويق أية محاولة عربية للتوجه إلى الاتحاد السوفييتي طلبا للسلاح عن

طريق الوعد بتقديم السلاح للدول العربية ، واضعاف معاهدة الدفاع العربي المشترك التي تم عقدها قبيل صدور البيان في نيسان سنة ١٩٥٠ . كما جاء التأكيد على ضرورة عدم اللجوء إلى القوة بين بلدان المنطقة تلويحا للدول العربية يفهم منه إصرار الدول الثلاث على وضع حد للصراع العربي ـ الإسرائيلي في سبيل تشكيل جبهة عربية ـ إسرائيلية واحدة للدفاع عن المنطقة بأسرها .

أما بالنسبة إلى الدول الثلاث ذاتها فقد كان دخول الولايات المتحدة الأمريكية ، لأول مرة ، طرفا رئيسا وعلنيا في تقرير مصير المنطقة العربية محاولة لإنقاذ الوضع المتردي لبريطانيا في هذه المنطقة . كما كان من شأن الدور الأمريكي أن يعزز عملية تقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ للدول الثلاث . وقد اتضحت هذه العملية بالطريقة التي تم فيها إبلاغ البيان لدول المنطقة من قبل سفراء الدول الثلاث المذكورة . وقد أشار إلى ذلك بيان الجامعة العربية الصادر حول البيان في ١٩٥٠/٦/٢١ معبراً عن أمل الجامعة العربية في ألاّ تعني طريقة تقديم البيان " تقسيم الشرق الأوسط إلى مناطق نفوذ " . كذلك ارتأت الدول الثلاث وفق إستراتيجيتها العالمية الجديدة ضرورة الحيلولة دون نشوب أي نزاع في المنطقة لضمان استمرار تدفق النفط إلى أوربا الغربية وإلى دول حلف الأطلسي (ناتو) خاصة ، هذا الحلف الذي كان قد تم إنشاؤه سنة ١٩٤٩ ؛ إضافة إلى تأمين سلامة خطوط المواصلات لصالح هذه الدول ، وتوفير الإمكانيات لتطوير مبدأ ترومان الصادر سنة ١٩٤٧ ليشمل منطقة الشرق الأوسط بهدف تحويلها إلى جزء من حزام مطوق للاتحاد السوفييتي .

وقد تجاوزت الدول الثلاث في إصدار هذا البيان صلاحياتها كأعضاء في هيئة الأمم المتحدة جاء إقرارها لخطوط الهدنة بين الدول العربية والكيان الصهيوني كحدود أمر واقع إلغاءً للاعتراف بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧ وتثبيتا لوضع جديد خارج نطاق المنظمة الدولية في حين تذرعت بعضوية المنظمة الدولية لتشير إلى عزمها على التدخل في حال حدوث أية محاولة لتغيير الحدود أو خطوط الهدنة .

أدّى صدور البيان إلى بروز ردود فعل مختلفة ، فقد التزم الكيان الصهيوني الصمت رسميا في حين رحب به ضمنيا ترحيبا كبيرا . أما بيان جامعة الدول العربية حوله فقد أشار إلى وجود بعض التحفظات العربية عليه دون رفضه كليا . ثم إنه لم يكن للبيان أية صفة إلزامية .

غير أن التطورات التي حدثت على الصعيدين العربي والعالمي ما لبثت أن نسفت الكثير من أسس البيان . ثم أضحى هذا البيان أثرا بعد عين عندما تآمرت دو. ن من الدول الثلاث هما فرنسا وبريطانيا مع (إسرائيل) في عدوانها المدبر على مصر سنة ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) .

المراجع :

ـ خالد العظم : المذكرات ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ٤ ، بيروت ١٩٥٦ .

— Elkashef, A.: **United States Policy towards Arab Israeli Arms Race,** Beirut 1969.

— Safran, N.: **The United States Policy and Israel,** Cambridge (Mass) 1963.

بيبرس (٦٢٥ ـ ٦٧٦ هـ) (١٢٢٨ ـ ١٢٧٧ م) :

ركن الدين الملك الظاهر بيبرس العلائي البندقداري الصالحي . كان مملوك الأمير علاء الدين أيدكين البندقدار . ولمّا قبض الملك الصالح الأيوبي على الأمير أخذ مملوكه بيبرس فجعله في خاصة خدمه ثم أعتقه . وقد ارتقى بيبرس حتى أصبح « أتابك » العساكر بمصر في أيام الملك قطز * وقاتل معه التتار * في فلسطين . ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز فقتلوه ، وتولى بيبرس سلطنة مصر والشام سنة ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٩ م .

اتصف بيبرس بنشاط عظيم في قتال الفرنجة * . وانتصر عليهم في عدة وقائع ، واستطاع أن يستولي على الكثير من مواقعهم ، ولا سيما في ساحل فلسطين ، وأن يلحق بهم الخسائر الكبيرة ، ويحقق الانتصارات الحاسمة عليهم ، وفي مقدمتها القضاء على مملكة أنطاكية الصليبية سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨ م ، وهو أكبر نصر للمسلمين على الفرنجة منذ تحرير صلاح الدين بيت المقدس سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م . وكان بيبرس شجاعا يباشر القتال بنفسه في معظم الأحيان . ويروى أنه لم يمكث في عاصمة ملكه القاهرة نصف أيام سلطنته ، فقد خرج للقتال أكثر من ست وعشرين مرة ، واجتاز على ظهور الخيل آلاف الكيلومترات ، واتسمت زحوفه المفاجئة السريعة بالتخطيط الحربي . وفي عهده لم يعد الصليبيون يحتلون سوى رقعة ساحلية ضيقة في حين احتل المسلمون جميع المرتفعات المشرفة عليها وامتدت حدود مصر إلى عكا * فكان ذلك إشارة إلى قرب نهاية مملكة عكا الصليبية (رَ : عكا ، المملكة الصليبية الساحلية) .

انصرف الظاهر بيبرس إلى قتال الفرنجة منذ السنوات الأولى

من سلطنته . وسبقت ذلك مفاوضات كانت غاية الفرنجة منها استرداد أسراهم وعقد هدنة مع المسلمين . ولمّا لم يوافق الفرنجة على شروط بيبرس نقل الأسرى من نابلس إلى دمشق ، وأخذ يرسل بعض عساكره لتغير على ساحل فلسطين ، وتستطلع قوة الفرنجة وحال المنطقة ، وتتعرف على أماكن القوة والضعف هناك .

وقد أغارت عساكره على الناصرة * ووصلت إلى أبواب عكا سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣ م فغنمت وانتصرت دون أن يعترضها الفرنجة . ثم خرج السلطان نفسه إلى فلسطين فطلب منه الفرنجة تجديد الهدنة فرفض ، وأغار جنده على بعض مواقع الفرنجة وهاجم هو نفسه عكا ليتعرف على قوة تحصيناتها .

وخرج بيبرس إلى فلسطين سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م ، وحاصر قيسارية * وفتحها وهدم أسوارها وقلعتها ، وأرسل قواته فهدمت قلعة أخرى للفرنجة قرب الملوحة وهاجمت عتليت ، ثم هاجم قسم من جيشه حيفا * وخرب قلعتها بعد أن هرب الفرنجة إلى عرض البحر . وتمّ للظاهر فتح أرسوف * وهدم أبراجها في السنة نفسها بعد أن قتل وأسر كثيرا من الفرنجة .

عاد بيبرس في السنة التالية إلى فلسطين ، وأغارت عساكره على عدد من المواقع والمدن ، ثم توجّه الجيش إلى صفد * التي كان يحميها فرسان الداويّة * فحاصرها وأجبر الداويّة على الاستسلام ، وهدم أسوار المدينة ، لكنه عاد في السنة التالية فرممها وحصّن القلعة وشحنها بالرجال لتصبح مركزا متقدما للهجوم على الفرنجة في الساحل الفلسطيني . ونجم عن استرجاع صفد تكوين أول نيابة في فلسطين . وهي « نيابة صفد » التي تولى نيابة السلطنة فيها الأمير عز الدين العلائي (رَ : الإدارة) .

وتمكن الظاهر بيبرس من فتح هونين * ، وتبنين ، والرملة * . وقرر سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م فتح يافا * . ولمّا وصل إلى العوجا * عرض عليه فرنجة يافا تسليم المدينة والقلعة لقاء إطلاق سراحهم بأموالهم وأولادهم . فوافق الملك الظاهر ، ثم شرع يهدم القلعة ويبني الجوامع فيها ، وقد عيّن الخفراء على السواحل ، وأقطع الأمراء بعض القرى ، وأمر بإقامة التركمان في البلاد الساحلية ليضمن حماية المنطقة والمحافظة عليها .

في هذا الوقت جهز الظاهر بيبرس جيشا سار به إلى الشقيف ، وكان " من أحصن المعاقل وأحسنها " . واستطاع بحيلة ذكية اعتمدت على تغيير في رسائل وقعت في يده أن يوقع الخلاف بين فرنجة الشقيف وفرنجة عكا ، مما يسّر عملية الفتح .

اتبع بيبرس في قتال الفرنجة سياسية ذكية اعتمدت على مهادنة بعضهم دون الآخر ، والإيقاع بينهم حتى لا تتجمع القوى الصليبية كلها في جبهة واحدة ، واعتمدت أيضا على التخطيط والحيلة والمباغتة ، فكان يرسل أقساما من جنده إلى هذا الموقع أو ذاك في حين يكون القسم الأكبر من جيشه يحاصر موقعا ثالثا . وقد هاجم جنوده أكثر من مرة صور وعكا ، حتى إنه أرسل حملة صغيرة إلى جزيرة قبرص منتهزاً فرصة خروج الفرنجة منها إلى عكا .

وقد أحسن استخدام الحيلة مع الاعداء كما فعل حين فتح الشقيف ، وحين أرسل جنوده بلباس فرسان الداويّة ليهاجموا الفرنجة عند عكا . وقد مكنته هذه السياسية من الانفراد بأنطاكية وتحريرها سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م .

سعى الفرنجة في عكا بعد هذا الانتصار العظيم إلى الظاهر بيبرس يحملون إليه الهدايا ويطلبون الصلح . فوافق على عقد هدنة مدتها عشر سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات تبدأ من ٢٢ رمضان من عام ٦٧٠هـ/١٢٧٢م ، على أن تكون أعمال عكا مناصفة بين الطرفين ، ويستولي على المرتفعات المحيطة بصيدا . وقد أرسل أحد قضاته ليستحلف ملك عكا على هذا الصلح . وبذا تقلص النفوذ الفرنجي من الساحل الفلسطيني .

توفي الظاهر بيبرس في دمشق ، وقبره فيها معروف أقيمت حوله المكتبة الظاهرية . وقد كتب المؤرخون عنه الكثير وتحدثوا عن أخباره وآثاره وعمائره ، واتخذوا سيرته مثالاً للحزم والعزم والبطولة .

المراجع :

ـ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، حيدر آباد الدكن ١٩٥٤ ـ ١٩٦١ .
ـ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .
ـ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، بيروت ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢ .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : الظاهر بيبرس ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية (مترجم) ، بيروت ١٩٦٧ ـ ١٩٦٩ .

بيت أمّ الميس (قرية ـ) :

قرية عربية تقع إلى الغرب من مدينة القدس * ، وتربطها طريق معبدة ثانوية بطريق القدس ـ يافا وبقريتي صوبا *

والقسطل * ، وتربطها طرق ممهدة بقرى كسلة * وعقّور * وبيت محسير * ودير عمرو * وخربة العمور * .

نشأت بيت أم الميس على مرتفع جبلي من جبال القدس * ، وتحيط بها الأودية من جهات ثلاث ، فوادي الحمار أحد روافد وادي الغدير في الشمال ، ووادي المربع في الشرق ، ووادي أم الميس في الغرب . وقد اكتسب موضع القرية أهمية عسكرية دفاعية لارتفاعها بمقدار ٦٥٠ م عن سطح البحر من جهة ، ولإحاطة ثلاثة أودية بها من جهة ثانية . وتنحدر أراضي القرية من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر ، وهي قليلة العدد ، وتنتظم متلاصقة بعضها مع بعض على شكل شبه منحرف . وكان نمو القرية بطيئا من الناحية العمرانية ، إذ لم تتجاوز مساحتها الدونمين في عام ١٩٤٥ . وقد زحفت البيوت في نموها نحو الجنوب الشرقي متسلقة منحدرات الجبل الذي أقيمت القرية عليه . وكانت بيت أم الميس خالية من المرافق والخدمات العامة . وتوجد في جنوبها الغربي عين الشرقية وعين الجرن اللتان تزودان القرية بمياه الشرب . وتكثر الخرب الأثرية حول القرية مثل خرب الجبعة والصغير والسلطان إبراهيم والأكراد (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تبلغ مساحة أراضي أم الميس ١,٠١٣ دونما ، وكانت جميع أراضيها ملكا لسكانها العرب . وقد استغلت أراضيها في زراعة الحبوب * والفواكه إلى جانب استعمال أجزاء منها في رعي الأغنام والمعز . واعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار والعيون ، وتركزت معظم الأراضي المزروعة في الجهة الجنوبية من القرية حيث امتدت بساتين الفواكه وكروم العنب * على المنحدرات الجبلية .

كان في بيت أم الميس نحو ٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد احتل الصهيونيون هذه القرية في عام ١٩٤٨ ، وطردوا سكانها العرب منها ، ودمروا بيوتها ، ثم أقاموا مستعمرة « رامات رازئيل » على أراضيها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين : ج ٨ ،ق ٢، بيروت ١٩٧٤ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١: ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت أُومَّر (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد عن مدينة الخليل * قرابة ١١ كم إلى الشمال . وترتبط بطريق الخليل ـ القدس التي تمر غربيها بطريق فرعية من الدرجة الثانية طولها نحو كيلومتر واحد . وترتبط بطرق فرعية ببعض القرى المجاورة كصوريف * وبيت فجّار . ويرجح أنها أقيمت فوق أنقاض بلدة « معارة » العربية الكنعانية .

نشأت البلدة فوق رقعة جبلية من الأرض ترتفع ٩٨٧ م عن سطح البحر . وأراضيها الغربية أكثر ارتفاعاً من أراضيها الشرقية ، إذ توجد إلى الغرب منها سلسلة جبلية تنحدر صوب الشمال الغربي حيث تبدأ المجاري العليا لبعض الأودية مثل وادي المقطم ووادي البويرة .

تتألف بيت أومر من بيوت مبنية من الحجر أو من الإسمنت أو من الطين . وتخترقها الطرق المعبدة التي تؤدي إلى صوريف في الشمال الغربي لتفصلها إلى قسمين : شمالي وجنوبي . مخططها التنظيمي يتخذ شكلاً طولياً من الشرق إلى الغرب بمحاذاة طريق صوريف ، وتشتمل البلدة على بعض المحلات التجارية المتناثرة ، وبخاصة على طول الشارع الرئيس للبلدة . وتوجد فيها ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للذكور والإناث ، وفيها جامع متّى الذي يعتقد أنه يضم رفات متّى والد النبي يونس . وللجامع مئذنة وبئر عميقة . ويشرب السكان من مياه الأمطار ومن الينابيع والعيون المجاورة مثل عين كوفين وعين المقطّم وعين مرّينا وغيرها . ازدادت مساحة البلدة من ٥٥ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى ١٥٠ دونماً في عام ١٩٨٠ ، وذلك بفضل النمو العمراني الذي يتجه نحو الغرب والجنوب الغربي .

تبلغ مساحة أراضي بيت أومر ٣٠,١٢٩ دونماً منها ١٣٤ دونماً للطرق والأودية وتحيط بالبلدة بساتين الأشجار المثمرة من جميع جهاتها ، وتنتشر هذه الأشجار على سفوح المنحدرات الجبلية وفوق قممها . وتزرع الحبوب * في المنخفضات وبطون الأودية ، وتزرع الخضر * فوق الأرض المنبسطة . وتشتهر بيت أومر بزراعة الزيتون * والعنب * والخوخ والبرقوق والتفاح والتين والكمثرى وغيرها من الأشجار المثمرة . وتشتهر بزراعة أصناف متنوعة من الخضر ، وبخاصة البندورة . وتعتمد الزراعة على مياه الأمطار ، وتروى

بعض مزارع الخضر من مياه الآبار والينابيع المنتشرة في أراضي البلدة . وتأتي عيون العرّوب على رأس عيون الماء المتدفقة في أراضي بيت أومر . ويستفاد من مياهها في الري أساساً ، ولأغراض الشرب أحياناً .وقد جرّت إلى مدينة القدس * في عهد السلطان قايتباي * (القرن التاسع الهجري) .

بلغ عدد سكان بيت أومر في عام ١٩٢٢ نحو ٨٢٩ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,١٣٥ نسمة ، وفيهم سكان الخرب (المزارع) المحيطة مثل جدور ، وذكر صفا ، وعين حبطان ، وصافا ، وفريديس ، ودير شعّار ، وابريقوت . وفي عام ١٩٤٥ ارتفع عددهم إلى ١,٦٠٠ نسمة ، وفي تعداد عام ١٩٦١ بلغ عددهم ٢,١٠٣ نسمات . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل.

بيت ثُـول (قـرية ـ) :

قرية عربية تقع على حدود قضاء القدس من جهة غرب الشمال الغربي مجاورة لقضاء الرملة . وتبعد نحو ٤ كم شمالي طريق القدس ـ يافا وتصلها بها طريق ممهدة . كما تصلها طرق ممهدة أخرى بقرى قطنّة وأبو غوش وساريس * ودير أيوب * وبالو * ونطاف * .

أقيمت بيت ثول فوق رقعة جبلية على مرتفع يعلو ٦٥٠م عن سطح البحر ، ويمتد فيها بين وادي العبد شمالاً ووادي الخمسة جنوباً ، ويتجه الواديان في انحدارهما إلى الشمال الغربي ، ويلتقيان باسم وادي الميش ، وهو أحد المجاري العليا لنهر العوجا . ترتفع الأراضي باتجاه الشرق من بيت ثول إلى قرابة ٧٧٢م عن سطح البحر في نقطة باطن العرش على بعد ٢ كم .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر ، واتخذ مخططها شكلاً مستطيلاً يتألف من قسمين رئيسين : شرقي وغربي ، وبينهما وسط القرية حيث توجد بعض الدكاكين ومسجد ومزار . وبسبب النمو العمراني البطيء للقرية خلال فترة الانتداب لم تتجاوز مساحة بيت ثول ١٣ دونماً عام ١٩٤٥ . وتحتوي القرية على بعض الآثار لأعمدة وأسس بناء ، ويوجد حولها عدد من الخرب الأثرية مثل مسمار وزبّود والجرابة والقصر (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . ويوجد بير المراح على مسافة كيلومتر واحد إلى الغرب من القرية .

تبلغ مساحة أراضي بيت ثول ٤,٦٢٩ دونماً منها ٤٢١ دونماً يملكها الصهيونيون . تزرع في أراضيها الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة التي يعد الزيتون * من أهمها . وتمتد الأراضي الزراعية في الأطراف الشمالية الشرقية والجنوبية من القرية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . وهناك بعض البساتين التي تُروى من مياه عين شومال في الجنوب .

كان في هذه القرية عام ١٩٢٢ نحو ١٣٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١٨٢ نسمة كانوا يقيمون في ٤٣ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢٦٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت ثول ، وطردوا سكانها العرب ، ودمروا بيوتها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت جـالا (مدينـة ـ) :

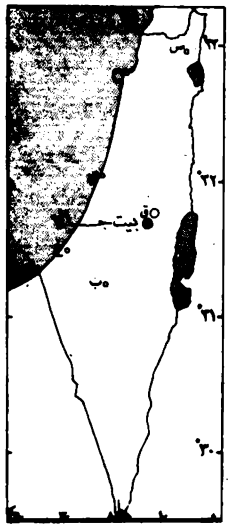

مدينة عربية ترجع تسميتها إلى جبل جيلو ، أو ما يعرف حالياً باسم جبل الرأس . تقع بيت جالا على بعد كيلومترين إلى غرب الشمال الغربي من مدينة بيت لحم * ، وقد وضع امتداد بيت لحم نحو الجنوب بيت جالا في الواجهة الغربية لبيت لحم . وتعد الطريق التي تصل بين مدينتي القدس * والخليل * الحدّ الفاصل بين بلديتي بيت جالا وبيت لحم . وتحدها من الجنوب أراضي قرية الخضر حيث قبر المجاهد الكبير سعيد العاص * . كما تحدها من الشمال أراضي قرية شرفات ، ومن الغرب أراضي قرية بتّير .

ترتفع بيت جالا ٨٢٥ م عن سطح البحر ، ولذا فهي ذات مناخ معتدل ، إذ يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة فيها ١٧° ، ومتوسط أشد شهور السنة حرارة (آب) يبلغ ٢٢° في حين يهبط متوسط أشدها برودة (كانون الثاني) إلى ٨,٦° . وتعد بيت جالا

من المواقع السياحية الهامة بسبب اعتدال مناخها وتنوع المناظر الطبيعية الجميلة حولها حيث الأرض الجبلية التي تكسوها الغابات الخضراء . ويؤمها عدد من المصطافين ، وتكثر فيها الفنادق والمتنزهات والمرافق السياحية المتعددة .

يبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي تهطل على بيت جالا نحو ٦٠٠مم ، وهي كمية تكفي لنمو معظم المحاصيل الزراعية . وتزيد هذه الكمية على مثيلتها في كل من بيت لحم وبيت ساحور * لأنها أكثر منهما ارتفاعاً وقرباً من البحر المتوسط ، ومواجهة للرياح المطيرة .

بلغ عدد سكان بيت جالا عام ١٩١٢ نحو ٤,٥٠٠ نسمة . وفي عام ١٩٢٢ تناقص عددهم إلى ٣,١٠٢ نسمة ، وواصل تناقصه في عام ١٩٣١ إلى ٢,٧٣١ نسمة بسبب هجرة سكان المدينة للعمل خارج البلاد ، وبخاصة في الأمريكتين . وفي عام ١٩٥٢ كان عدد سكان بيت جالا ٨,٧٤٦ نسمة تضمّهم ١,٥٥٥ أسرة . وقد نتجت هذه الزيادة الملحوظة في عدد سكان المدينة عن تدفق اللاجئين الفلسطينيين للإقامة في بيت جالا . وفي عام ١٩٦١ بلغ عدد السكان ٧,٩٦٦ نسمة كوّنوا ١,٤٢٢ أسرة . ويعزى هذا التناقص بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦١ إلى الهجرة المستمرة إلى الخارج . لكن عدد السكان عاد فارتفع في عام ١٩٧٥ إلى ٨,٨٦٠ نسمة ألّفوا ١,٦٠٠ أسرة . وقدر عدد المهاجرين من بيت جالا بما يقارب ١٨,٠٠٠ نسمة خلال الثلث الأخير من هذا القرن . وتتركز نسبة هامة منهم في تشيلي .

ويعد افتقار المدينة إلى الموارد الاقتصادية مع تزايد أعداد سكانها وكذلك الأوضاع المستجدة بعد عام ١٩٤٨ ثم عام ١٩٦٧ والحروب والاضطرابات المرافقة من أهم أسباب هجرة السكان . ولهذه الهجرة جانب إيجابي وآخر سلبي . فأما الإيجابي فيتمثل في تدفق الأموال من المهاجرين إلى أهاليهم في المدينة فيعم الرخاء مختلف مجالات الحياة فيها . وأما الجانب السلبي فيتمثل في تسرب الكفايات وخروج الشباب ذوي العقلية المتفتحة من مدينتهم التي تخسر خدماتهم وتحرم نتاج أيديهم العاملة .

وبالإضافة إلى النهضة العمرانية المتنامية التي تشهدها بيت جالا تمارس المدينة وظائف مختلفة تكسبها أهمية خاصة . ففي مجال الزراعة تبلغ مساحة الأرض الزراعية للمدينة ١٣,٣٠٧ دونمات . وتتبوأ الأشجار المثمرة المكانة الأولى بين المحاصيل الزراعية ، إذ تجود هنا زراعة أشجار الزيتون * التي تشكل غابة متصلة تحيط بالمدينة . كما نجحت زراعة أشجار المشمش والعنب * والتوت بسبب طبيعة الأرض الجبلية . وتشغل الخضر * والحبوب * مساحات قليلة بسبب وعورة الأرض وقلة مصادر الريّ الدائم .

أما الصناعة * فهي ناشئة ، لكنها تتقدم بسرعة تدعمها أموال المهاجرين من أبناء المدينة . ومن أهم صناعات المدينة الحفر على خشب الزيتون ، وهي صناعة سياحية تتوفر مادتها الأولية . وفي بيت جالا ٤٢ معملاً للحفر على الخشب ويعتمد على هذه الصناعة الهامة نحو نصف السكان . ومن صناعاتها أيضاً صناعة النسيج * والمطرزات السياحية ، إذ توجد ٦ مصانع غزل ونسيج ، وصناعة الأدوية والمستحضرات الطبية ، وصناعة التبغ التي تشرف عليها شركة السجاير العالمية المحدودة (تأسست عام ١٩٧٠) وتقف في وجه الصناعات الأجنبية . وفي المدينة معصرة حديثة للزيتون . والمدينة متقدمة صناعياً تستوعب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة من أبناء المدينة نفسها ، أو من أبناء القرى المجاورة .

وتساهم التجارة * بنصيب قليل في الدخل المحلي لأهالي المدينة . وتعتمد في التبادل التجاري على مدينة بيت لحم . والأموال التي يعود بها المهاجرون الأثرياء ويستثمرونها في مشروعات متنوعة داخل المدينة مصدر اقتصادي هام من مصادر المدينة .

وفيما يتعلق بالوضع العمراني تقوم المدينة على رقعة تمتد فوق جبل يقع إلى الغرب من الطريق الرئيسة التي تصل بين مدينتي القدس والخليل . ولموضع المدينة مزايا كثيرة حققت فوائد في الماضي ، ولذلك أقيمت المدينة القديمة على بقعة مرتفعة من الأراضي غير الصالحة للزراعة لتوفير أسباب الأمن والطمأنينة من جهة ، ولإبعاد البناء عن الأراضي الصالحة للزراعة من جهة ثانية . وتتجمع المباني في البلدة القديمة متلاصقة لا يفصل بينها سوى أزقة ضيقة . ومعظمها من الحجر الكلسي الأبيض والأحمر ، وقلما ترتفع المباني عن طبقتين .

شهدت بيت جالا تطوراً في نموها العمراني منذ العشرينات ، فقد امتدت المدينة الحديثة باتجاه المحور الرئيس الذي يربطها ببيت لحم . وساهمت الهجرة في وجود المساكن الفاخرة التي تتخذ طابع الأبنية المستقلة المحاطة عادة بحدائق مليئة بالأشجار المثمرة (فيلّات) . لكن المدينة تواجه مشكلة التصاق المباني المخصصة للمصانع بالمباني السكنية داخل المدينة ، مما يضر بالصحة .

وتعاني المدينة من مصادرة أراضيها على يد سلطة الاحتلال الإسرائيلي ، لإقامة ثكنات عسكرية عليها أو معسكرات للجيش الإسرائيلي وتقوم حالياً شمالي وغربي بيت جالا مستعمرتان صهيونيتان تمتدان في نموهما العمراني نحو مدينة بيت جالا ، مما يعرض المدينة لخطر التهويد في المستقبل (رَ : الاستيطان الصهيوني بعد ١٩٦٧) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ ..

ـ إحصاءات دار بلدية بيت جالا لعام ١٩٧٥ .

بيت جَالا (مدرسة ـ) :

كان تعليم أبناء الطائفة الأرثوذكسية وغيرها من الطوائف المسيحية في فلسطين أمراً تحمل أعباءه الملة التي تدير شؤون الطائفة . ولمّا كانت الملّة الأرثوذكسية في فلسطين (والأردن) تخضع لأخوية القبر المقدس اليونانية التي كانت تهمل شؤون الطائفة جمعاء فإن ما عند الأرثوذكس من مدارس لم يكن كافياً ، ولم تكن هذه المدارس على المستوى المطلوب .

وقد لفت هذا الأمر نظر بعض الذين كانوا يهتمون بشؤون الأرثوذكس في فلسطين من الروس الذين نزلوا البلاد حجاجاً وسياحاً وسياسيين . لذلك عنوا وعني الكرسي الأنطاكي فيما بعد بفتح مدارس روسية أرثوذكسية في فلسطين . ولمّا أنشئت الجمعية الملكية الأرثوذكسية الفلسطينية (١٨٨٢م) صار إنشاء المدارس أكثر تنظيماً .

ومدرسة بيت جالا للبنات واحدة من هذه المدارس . وقد أنشئت أصلاً في القدس سنة ١٨٥٨م بأموال خاصة وقفتها فاعلة خير روسية ، ثم احتضنتها القيصرة ماريا . وكان البطريرك الأرثوذكسي اليوناني يقاوم وجود هذه المدرسة ، لذلك اضطر القائمون عليها إلى نقلها إلى بيت جالا * حيث ظلت في بناء مؤجر إلى سنة ١٨٦٩م إذ أقيم لها بناء خاص لها .

ولمّا وصل إداريو الجمعية الملكية الأرثوذكسية إلى فلسطين ١٨٨٢ رأوا أهمية هذه المدرسة فقبلوا أن تنقل إلى عهدتهم (١٨٨٦) ، ووسعوا بناءها وجعلوها مدرسة داخلية (١٨٩٠) . وقد كان في مجمعها أماكن لإقامة المدرّسات والتلميذات ، وكنيسة ، ومستوصف مع أسرّة للمريضات من التلميذات والمعلمات . وقد بدأت رئيسة المدرسة الأولى العمل وعندها خمس تلميذات (١٨٩٠) . إلاّ أن العدد بلغ إحدى وثلاثين طالبة سنة ١٨٩٥ ، وكان في المدرسة النموذجية مئتا تلميذة . واتجهت المدرسة منذ البداية إلى إعداد معلمات لمدارس البنات التي تفتحها الجمعية في فلسطين (وغيرها فيما بعد) .

وفي سنة ١٨٩٨ كانت ١٧ معلمة ، من أصل ٨٢ معلمة يعملن في مدارس الجمعية ، من خريجات مدرسة بيت جالا .

كانت مدة الدراسة في مدرسة بيت جالا ثماني سنوات ، وكانت الطالبات يؤخذن اليها وهن بين العاشرة والثانية عشرة . وكن يتعلمن اللغة العربية واللغة الروسية والحساب واللغة اليونانية (القديمة) والهندسة والتاريخ والجغرافية . ولم تنجح محاولة جعل اللغة الروسية لغة التعليم .

ومهما كان من أمر التعليم في مدرسة بيت جالا ومثيلتها في الناصرة ومستواه فقد أحدثتا ثورة فكرية في نفوس الذين درسوا فيهما ، وكان لهما ـ على ضعفهما ـ أثر في النشاط الثقافي في فلسطين (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس) .

بيت جِبْرين (قرية ـ) :

قرية عربية تقع عند نهاية السفوح الغربية لجبال الخليل * على بعد ٢٦ كم شمال غربي الخليل * . وتتميز بيت جبرين بموقعها في منبسط طولي يمتد من الشرق إلى الغرب ويرتفع زهاء ٣٠٠ م عن سطح البحر . وقد تكّون هذا المنبسط من التقاء عدة أودية كوادي الجديدة ووادي الشويكا ووادي الغوريل ووادي الزمّار التي لا تلبث أن تخرج مجتمعة من القرية باتجاه الشمال الغربي باسم وادي الشيخ .

وقد سهلت هذه الأودية إنشاء الطرق فصارت بيت جبرين ملتقى عدة طرق أهمها : طريق الخليل ـ بيت جبرين ـ الفالوجة ، وطريق بيت جبرين ـ زكريا ـ القدس أو الرملة ، بالإضافة إلى الطرق الفرعية الموصلة إلى القرى المجاورة

وقد عرف لموقع بيت جبرين هذه الأهمية منذ القديم فبنى فيه جبابرة العمالقة الكنعانيين مدينة من أقدم مدن فلسطين (ولفظ بيت جبرين يعني بيت الأقوياء الجبابرة) . وكانت من قلاع الأيدوميين * في نحو سنة ٥٠٠ ق.م. ، ويظهر اسمها في الكتابات التلمودية والرومانية . وصارت في العهد الروماني قاعدة أكبر مقاطعة في فلسطين (رَ : الإدارة) . وقد هدمت وأعيد بناؤها أكثر من مرة . ثم خضعت للحكم العربي بعد معركة أجنادين وبقيت قاعدة جنوب فلسطين . ثم غزاها الصليبيون من بعد وحصنوها وصارت محطة للمسافرين . وقد ازدهرت في عهد المماليك * وأعيد تحصينها زمن العثمانيين وأتبعت للخليل . وبنى الإنكليز فيها أيام الانتداب قلعة عسكرية شبيهة بقلعة الخليل . وكانت القرية العربية تقوم على نحو ثلث مساحة المدينة القديمة (٢٨٧ دونما) وتحمل آثار العهود السابقة .

بلغت مساحة أراضي بيت جبرين في عهد الانتداب ٥٦,١٨٥ دونما يزرع معظمها بالحبوب * الشتوية والصيفية بالإضافة إلى

البساتين القريبة من القرية وأشجار الزيتون * والأشجار الحرجية في الجبال .

كان عدد سكان بيت جبرين (سنة ١٩٢٢) ١,٤٢٠ نسمة ، ووصل سنة ١٩٤٥ إلى ٢,٤٣٠ نسمة . وقد حافظت القرية على مركزها المتميز بالنسبة إلى القرى المحيطة بها حتى نهاية عهد الانتداب ، فكان فيها مدرستان ومركز شرطة وعيادة صحية ومحطة نقليات ، وكان يعقد فيها سوق أسبوعي كل يوم ثلاثاء عدا سوقها الثابت .

وفي عام ١٩٤٨ اغتصبت (إسرائيل) بيت جبرين فشردت أهلها ودمرتها وأقامت عام ١٩٤٩ على بعد كيلومتر واحد إلى الغرب من القرية مستعمرة " بيت جفرين " ، ومعظم سكانها من يهود شمال إفريقيا ورومانيا . وتستغلّ (إسرائيل) الآن الآثار الرومانية والبيزنطية الموجودة في موقع بيت جبرين استغلالاً سياحياً كبيرا .

المراجع :

ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ١ ، مصر ١٩٠٦ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ دائرة المعارف الإسلامية : المجلد ٤ (الترجمة العربية) .

بيت جبرين (وادي ـ) : رَ : الإفرنج (وادي ـ)

بيت جِرْجَـا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسافة ١٥ كم إلى الشمال الشرقي من غزة * وتبعد نحو كيلومتر واحد إلى الشرق من خط سكة حديد رفح ـ حيفا ، ومن الطريق الساحلية غزة ـ المجدل ، وتبعد إلى الجنوب من المجدل * ٩ كم . تربطها بالقرى المجاورة مثل بربرة * والجيّة * وهربيا * ودمرة * دروب ممهدة . وهي قرية قديمة دعاها ياقوت باسم « جرجة » . وقد اندثرت القرية القديمة وأقيمت مكانها قرية بيت جرجا عام ١٨٢٥ م. ولا تزال آثار القرية القديمة في وسط بيت جرجا متمثلة في أسس أبنية قديمة وبئر مياه .

نشأت بيت جرجا فوق بقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي * ترتفع نحو ٥٠ م عن سطح البحر . ويمر بطرفها الغربي وادي العبد أحد روافد وادي الحسي * الذي ينتهي في البحر المتوسط . ويطل مقام النبي جرجا في الطرف الغربي من القرية على ضفة وادي العبد . كانت بيت جرجا تتألف من مجموعة بيوت شيد معظمها من اللبن تفصل بينها شوارع ضيقة ، ويتخذ مخططها العام شكل شبه المنحرف الذي يتضح منه أن الامتداد العمراني للقرية يأخذ اتجاها شماليا غربيا ، وبخاصة على طول امتداد الطريق التي تؤدي إلى قرية بربرة . بلغت مساحتها أواخر عهد الانتداب ٢٥ دونما . ويعتمد سكان القرية في الشرب والريّ على مياه بعض الآبار التي يراوح عمقها بين ٣٠ و٨٠ م . وقد اشتملت بيت جرجا على بعض الحوانيت في وسطها ، وعلى مدرسة تأسست عام ١٩٣٢ .

مساحة الأراضي التابعة لبيت جرجا نحو ٨,٤٨١ دونما منها ٢٩٧ دونما للطرق * والأودية والسكك الحديدية * ، و١١٦ دونما تملكها الصهيونيون . وتتميز أراضي القرية بخصب تربتها الطمية والطفلية ، وبتوافر مصادر المياه الجوفية فيها .

وكان يزرع فيها الحبوب * والخضر * والفواكه ، ولا سيما الحمضيات * التي غرست في مساحة ٥٣٢ دونما . وتتركّز معظم الأرض الزراعية والبساتين في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية والجنوبية من بيت جرجا . وتعتمد الزراعة * على الأمطار ومياه الآبار * ، وهي ذات إنتاج مرتفع نسبياً .

بلغ مجموع سكان بيت جرجا عام ١٩٢٢ نحو ٣٩٧ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٦١٩ نسمة كانوا يقيمون في ١١٥ بيتا ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٩٤٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ دمر الصهيونيون القرية وشردوا سكانها ، وهم يعيشون حاليا في قطاع غزة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ، ق٢، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير .

بيت جِيـز (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٥ كم جنوبي الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * ، وهي جنوب غربي اللطرون ، ويربطها درب ممهد بطريق غزة ـ القدس الرئيسة المعبدة التي تسير في الجهة الشمالية من أراضي القرية . وتربطها دروب ضيقة أخرى بقرى دير محيسن * وبيت سوسين * .

نشأت القرية فوق رقعة متموجة من الأقدام الغربية لمرتفعات القدس ترتفع نحو ٢٠٠ م عن سطح البحر . بنيت بيوتها من اللبن والحجر وألفت مخططا مستطيلا يضم مباني القرية وشوارعها الضيقة . واتجه نموها العمراني في اتجاه شمالي جنوبي . وضم وسط القرية المباني السكنية وبعض الدكاكين بالإضافة إلى مسجد ومدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٤٧، وهي مشتركة بين قريتي بيت جيز وبيت سوسين . وتشرب القرية من بئر النصراني إلى الشمال منها . ووصلت مساحتها في أواخر فترة الانتداب إلى نحو ٢٩ دونما . وتحيط بها بعض الخرائب الأثرية من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية ، وهي تضم آثار أسسس أبنية وصهاريج مياه وأحواض صغيرة منقورة في الصخر ومدافن ومعاصر للزيتون (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة أراضي بيت جيز ٨,٣٥٧ دونما منها ١٤٠ دونما للطرق * والأودية ، وجميعها ملك لأهلها العرب . وتعتمد أراضيها الزراعية على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية تسمح بإنتاج الحبوب * والأشجار المثمرة . وتنمو الأشجار الطبيعية جنوبي القرية ، والأعشاب الطبيعية شرقها ، وهي تصلح لرعي الأغنام والمعز . وتنتشر الأشجار المثمرة على المنحدرات الجبلية وفوق التلال حيث تزرع أشجار الزيتون * واللوز والعنب * والتين وغيرها . وتزرع الحبوب والخضر * في السهول وبطون الأودية والمنخفضات .

نما عدد سكان بيت جيز من ٢٠٣ نسمات عام ١٩٢٢ إلى ٣٧١ نسمة عام ١٩٣١ كانوا يقيمون في ٦٧ بيتا ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٥٥٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت جيز ودمروها بعد أن طردوا سكانها ، ثم أقاموا على أراضي القرية مستعمرة « هرائيل » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

بيت حجلة (مدينة ـ) :

بيت حجلة ، أو عين حجلة ، أو قصر حجلة ، مدينة فلسطينية قديمة كانت عامرة قبل الغزو الإسرائيلي القديم . وهي من عيون الماء * عند نهر الأردن * الجنوبي ، وتبعد غربي مجرى النهر قرابة ثلاثة كيلومترات . وتقع جنوبي شرق أريحا * بين المجرى الأدنى لوادي القلط * في الشمال ووادي المرّار في الجنوب .

ورد ذكرها في العهد القديم مع قائمة طويلة من المدن الفلسطينية الواقعة غرب نهر الأردن وتحمل الملامح العربية الساميّة . ويدل ثبت الأسماء الطويل لتلك المدن أن فلسطين كانت بلدا عامرا مزدهرا من الناحيتين الاقتصادية والعمرانية قبل غزو القبائل الإسرائيلية لها . وبيت حجلة إحدى المدن التي اغتصبت يومذاك وكانت من نصيب سبط بني بنيامين بعد القرعة التي جرت في شيلوه (خربة سَيْلون) . فقد نصب الإسرائيليون في شيلوه خيمة الاجتماع لقسمة الأراضي التي اغتصبوها ، فكانت سبعة أقسام وزعت في الأسباط السبعة .

لم يبق اليوم أثر لمدينة بيت حجلة ، ولكن هناك موقعاً بين أريحا ونهر الأردن يدعى عين حجلة .

المراجع :

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
ـ محمد عزة دروزة : العدوان الإسرائيلي القديم والعدوان الصهيوني الحديث على فلسطين وما جاورها ، ج١ ، ١٩٧٩ .
ـ قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .

بيت داراس (قرية ـ) :

قرية عربية يعني اسمها مكان دراسة الحنطة . وتقع في الشمال الشرقي من مدينة غزة * على مسافة ٤٦ كم منها . نشأت في موضع سهلي منبسط يعلو ٤٥ م عن سطح البحر ، ويرتفع في الجهة الغربية والجنوبية الغربية ليكون تلة تعلو ٦٠ م عن سطح البحر . وقد أقام الصليبيون فوق هذه التلة قلعة تتحكم في المسالك والدروب التي كانت تلتقي في بيت داراس . ويمر وادي قريقع بالأراضي الشرقية للقرية ، وينتهي في وادي الجرف أحد روافد وادي صقرير . وتقع بجوارها خرب كثيرة مثل خربة بردغة ، وخربة غيّاضة ، وخربة عودة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

ترتبط القرية بالقرى المجاورة مثل أسدود * والسوافير * الشمالية والشرقيه والغربية وجولس * والبطاني * بشبكة من الدروب الترابية التي أعطت بيت داراس أهمية خاصة كتجمع سكاني ريفي مركزي . ولا عجب في أن القرية كانت في عهد المماليك * مركزاً من مراكز البريد بين غزة ودمشق . وقد ساهم الموقع الجغرافي في نمو القرية وامتدادها العمراني نحو الجنوب الغربي على طول طريق بيت داراس ـ جولس . وتطور حجمها إلى ٨٨ دونماً وزاد عدد سكانها فبعد أن كان عدد السكان ١,٦٧٠ نسمة عام ١٩٢٢ أصبح عددهم ٢,٧٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وكان جميع سكانها عربا يمارسون أعمال الزراعة وتربية المواشي والدواجن ويعمل بعضهم في حرفة التجارة في حوانيتهم الواقعة في قلب القرية .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ١٦,٣٥٧ دونما . ومعظم هذه الأراضي قابلة للزراعة . وأما المستغل منها فإنه يزرع حبوباً * وخضراً * وأشجاراً مثمرة ، وأكثرها الحمضيات * . والزراعة ناجحة لانبساط الأرض وخصب التربة وتوافر مياه الآبار * . لكن مساحات رئيسة من الأرض الزراعية تعتمد على الأمطار التي تهطل شتاء بكمية تصل في معدلها السنوي إلى ٤٢٠ مم تقريبا .

وفي عام ١٩٤٨ تعرضت بيت داراس كغيرها من القرى الفلسطينية لهجمات مستمرة من العصابات الصهيونية انتهت أخيرا إلى احتلال القرية وطرد سكانها العرب منها . ثم قام الصهيونيون بتدمير القرية ومحوها من الوجود (رَ : بيت داراس ، مذبحة ـ) ، وأقاموا فوق أراضيها مستعمرتي « زموروت » و« جبعاتي » .

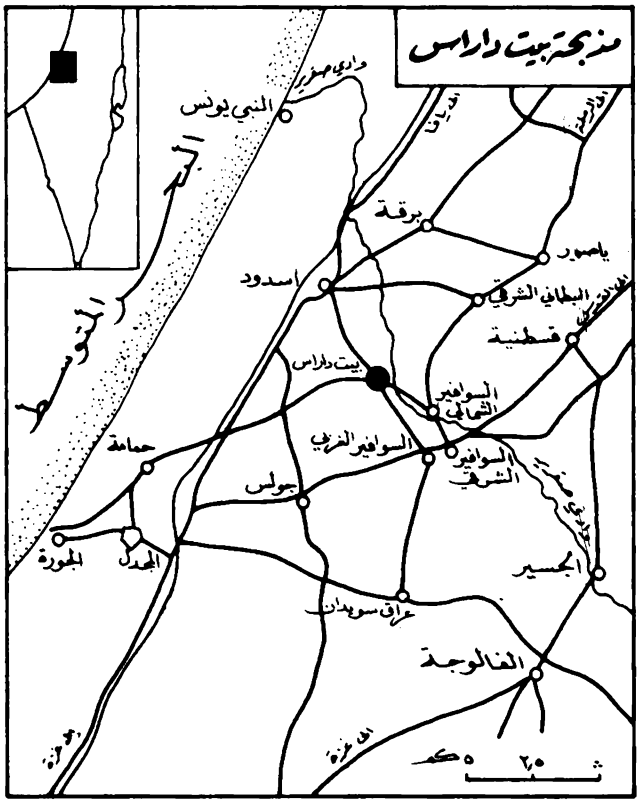

بين المهاجمين الذين فضلوا الانسحاب بعد أن نسفوا منزلين من القرية .

وفي ١٩٤٨/٤/١٣ عاود الصهيونيون هجومهم على القرية بقوة أكبر معززة بأربع مصفحات ، ولكنهم اكتفوا بقصف المنازل بالمدفعية من بعد ، ثم تراجعوا إلى مستعمراتهم .

ويبدو أن هدف هذا الهجوم كان تقدير مدى تصميم السكان على المقاومة ،وكشف القدرة النارية المتوفرة بين أيدي العرب ، ولذا هاجم الصهيونيون القرية مرة ثانية في ١٩٤٨/٥/١ . فقد وصلت قوة كبيرة من المستعمرات المجاورة للقرية فجر ذلك اليوم إلى موقع يدعى نصار حيث توقفت وبدأت تقصف القرية بمدافع الهاون تمهيداً لمهاجمتها ، ثم تحركت قوة من المشاة وهاجمت القرية من الجانب الغربي حيث المدرسة ، فاحتلتها وتابعت تقدمها نحو قلب القرية في الوقت الذي كانت قذائف الهاون تمطر الجانب الشرقي من القرية .

خاض المناضلون مع سكان القرية معركة عنيفة ضد المعتدين ، وتمكنو من إيقاف الهجوم ، ثم شنوا هجوما معاكساً واستردوا المدرسة ، فانسحبت الموجة الأولى من الهجوم بعد أن تكبدت بعض الخسائر . ولم يبق في القرية عند الظهر أي صهيوني . وبعد هذا

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أسدود .

بيت داراس (مذبحة ـ) :

تعرضت قرية بيت داراس * لاعتداءات كثيرة قام بها صهيونيو المستعمرات المجاورة لها لوقوعها على طريق المواصلات التي تربط بين هذه المستعمرات ، وبالتالي لقدرتها على عرقلة التحركات فيما بينها .

هاجمها الصهيونيون لأول مرة يوم ١٩٤٨/٣/١٦ بقوة كبيرة . ولكن هذا الهجوم مني بفشل ذريع إذ تصدى له مناضلو القرية ، رغم قلة عددهم وأسلحتهم ، بعنف وتصميم وأوقعوا خسائر عديدة

النجاح بدأ المناضلون يجمعون صفوفهم ووصلتهم النجدات من القرى المجاورة مثل أسدود * وحمامة * والسوافير * والمجدل * والفالوجة *، وحاولوا مطاردة فلول المعتدين الهاربين إلاّ أن القائد الصهيوني استنجد بالجيش البريطاني الذي أرسل ثلاث مصفحات منعت العرب من المطاردة .

زاد هذا الفشل من حقد الصهيونيين على سكان القرية فحشدوا بعد ثلاثة أسابيع أعداداً كبيرة من القوات عزّزوها بالمصفحات ، وهاجموا القرية يوم ١٩٤٨/٥/٢١ من جهاتها الأربع بآن واحد .

وصلت هذه القوة عند الفجر وطوقت القرية لمنع وصول النجدات إليها ، ثم بدأت تقصفها بنيران المدفعية والهاونات بغزارة كبيرة . شعر المناضلون بحرج الموقف ، وقرروا الصمود والدفاع عن منازلهم مهما كلف الأمر ، لذلك طلبوا من النساء والأطفال والشيوخ مغادرة القرية بهدف تخفيف الخسائر بين العزل . وتحرك هؤلاء عبر الجانب الجنوبي من القرية ، ولم يكونوا على علم بأن القرية مطوقة من مختلف الجهات . وما أن بلغوا مشارف القرية الخارجية حتى تصدى لهم الصهيونيون بالنيران رغم كونهم نساء وأطفالا وشيوخا عزلا فقتلوا عددا كبيرا منهم في مذبحة لا تقل فظاعة عن مذبحة دير ياسين * وسواها ، ثم أحرقوا بيادر القرية وبعض منازلها ، ونسفوا بعضها الأخر مستغلين انشغال المناضلين بالمذبحة التي حلت بعائلاتهم .

أدى هذا العمل الوحشي إلى زيادة قوة تصميم المناضلين على القتال فاندفعوا نحو العدو يملأ قلوبهم الغضب وكبدوا الصهيونيين خسائر كبيرة جدا وأجبروهم على التراجع . وسلمت القرية من الاحتلال .

ولكن الخسائر البشرية والمادية ووقعها الأليم على المناضلين اثرت في المعنويات بالإضافة إلى أن الذخائر قد نفدت تقريبا وانقطع الأمل في الحصول على الأسلحة والذخيرة . فبدأ السكان ينزحون عن منازلهم ولم يبق في القرية إلاّ النزر اليسير منهم . وعلى الرغم من ذلك لم يتجرأ الصهيونيون على دخولها إلاّ في يوم ١٩٤٨/٦/٥ بعد أن تأكدوا من عدم وجود أية مقاومة .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ علي محمد علي وإبراهيم الحمصاني : إسرائيل قاعدة عدوانية ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ على مصر ، القاهرة ١٩٥٧ .

بيت دَجَن (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٠ كم جنوبي شرق مدينة يافا * في منتصف الطريق بينها وبين مدينة الرملة * . يمرّ جنوبيها طريق القدس ـ يافا ، ويمر شماليها خط سكة حديد يافا ـ القدس .

وبيت دجن من المدن الكنعانية القديمة ، وكانت تحمل اسم « بيت داجون » ولعلها سميت بهذا الاسم نسبة إلى « الربّ داجون » الذي كان له معبد في هذه المدينة .

عرفت بيت دجن في عهد سنحاريب الأشوري ٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م. باسم بيت دجانا *Bet Dagana* ، وعرفت في العهد الروماني باسم كافار داجو *Cafar Dago* . وردت عند الجغرافي العربي المقدسي في القرن الرابع الهجري باسم « داجون » وذكر أنها شبه مدينة عامرة بها جامع بناه الخليفة هشام بن عبد الملك على أعمدة من رخام أبيض . وذكرها ياقوت الحموي في معجمه باسم « داجون » ، وقال إنها قرية من قرى الرملة بالشام ، وذكر أسماء الكثيرين من القرّاء والمحدّثين الداجونيين .

أقيمت أثناء الحروب مع الصليبيين على بقعة بيت دجن قلعة إفرنجية عرفت باسم حصين ماين *Casal Maen* أو الحصين الأوسط *Casal Moyen* وقد هدمها صلاح الدين الأيوبي * ، لكن ريكاردوس الملك الصليبي أعاد بناءها في عام ٥٨٧ هـ/ ١١٩١ م .

تقع « خربة داجون » جنوبي القرية على بعد كيلو مترين من طريق يافا ـ القدس ، وهي الموضع القديم للقرية الحديثة ، وتضم بقايا معمارية من القلعة وآباراً ومدافن مسجلة في قائمة الآثار الفلسطينية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

نشأت قرية بيت دجن الحديثة على أرض سهلية رملية تستمد مياهها من الآبار . وقد بلغت مساحة القرية في عهد الانتداب البريطاني ٦٠ دونماً . وأما الأراضي التابعة لها فمساحتها ١٧,٢٦٧ دونماً منها ٣,٤٨٧ دونماً أراضي غير زراعية ، والباقي ، ومساحته ١٣,٧٨٠ دونماً ، أراض زراعية بينها ٩,٠٦٨ دونماً زرعت برتقالاً ، و ٣٥ دونماً فقط زرعت زيتوناً . وكانت معظم هذه المساحات ملكاً للعرب ، ولم يملك الصهيونيون منها أكثر من ١,٩٧٥ دونماً . وكان بين ما يملكه العرب ١٢,٢٦١ دونماً ملكاً

خاصا ، والباقي، وهو ٣,٠٩١ دونما ، ملكا مشاعاً لسكان القرية (رَ : الأرض ، ملكية) .

وصل عدد سكان القرية في أواخر عهد الانتداب البريطاني إلى ٣,٨٤٠ عربياً عملوا في الزراعة * ، ولا سيما زراعة الحمضيات * وما يتصل بها من قطاف وتهيئة وتعبئة وتجارة . وكانت بيوتها متجهة على غير نظام ، قديمها من الطوب وجديدها من الحجر والإسمنت . وقد تمّ في بيت دجن تطور عمراني زراعي سريع نتيجة ما أصاب أهلها من ثراء بسبب زراعة الحمضيات وتصديرها . وغدت هذه القرية أسبق قرى قضاء يافا في مجال التطور والتقدم .

أنشئت في القرية زمن الانتداب مدرسة ابتدائية للبنين ضمّت ٣٥٣ طالباً وتسعة معلمين . وقد ألحقت بها أرض مساحتها ١٥ دونماً لتدريب الطلاب على أساليب الزراعة العملية . وكانت هذه الأرض تروى من بئر أقيمت عليها مضخّة كهربائية . كذلك كان في القرية مدرسة للبنات ضمّت مائة طالبة وطالبتين تعلّمهن معلمتان .

احتل الصهيونيون هذه القرية في ٢٧ - ٢٨/٤/ ١٩٤٨ وأقاموا مكانها بعد ستة أشهر مستعمرة « بيت داجان » على بعد خمسة كيلومترات جنوبي شرق مدينة تل أبيب * .

المراجع :

- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ .
- المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٩ .
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
- أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .
- جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٩٧١ .
- الكتاب المقدس : يش ١٥ : ١٤ .

بيت راح : رَ : بيت يريح

بيت زور :

اسم كنعاني معناه بيت الرب شور (رب الجبال) ، أو بيت صور ، وكانت تقوم بمكان خربة الطبيقة اليوم . وعرفت بيت زور في العهد الروماني باسم بيت سورا *Bath - Sura* .

اكتشف هذه البلدة الأب آبل *Abel* عام ١٩٢٤ . وفي العام نفسه قامت المدرسة الأثرية الأمريكية والمدرسة الأثرية الألمانية بدراسة للمنطقة فوصلتا إلى النتائج نفسها . وفي عام ١٩٢٨ بدأت المدرسة الأمريكية أعمال التنقيبات الأثرية في بيت زور برئاسة سيلرز *O. R. Sellers* .

يتبع التل الأثري الذي جرت التنقيبات الأثرية فيه بلدة حلحول * ، ولا يزيد ارتفاع هذا التل عن المناطق المجاورة على ٤م تقريباً ، وقد لوحظ أن المعماريّين في العهدين البيزنطي والعربي استعملوا حجارة العمائر الأقدم عهداً ، مما أدّى إلى تخريب السويّات السكنية القديمة كسويات العهد الهلينستي وما قبله .

بلدة بيت زور ذات موقع استراتيجي عسكري - اقتصادي هام ، إذ تتوضع فوق قمة جبل يبلغ ارتفاعه حوالي ١,٠٠٠ م عن سطح البحر . وهي بذلك أعلى مدينة قديمة في فلسطين .

تم العثور في القسم الجنوبي الغربي من البلدة على جزء من سور كبير ممتد يعود إلى أوائل العصر البرونزي الوسيط ويبلغ عرضه في بعض المناطق ٢,٥ م . وعثر كذلك على برج من العصر نفسه قريب من الكمال يزيد عرضه على ٥ م وطوله على ١٠م . أعيد بناء السور والبرج في أواخر العصر البرونزي الوسيط . وتعاصر هذه المنشآت المعمارية السوية *D* من تل بيت مرسيم ، وسوية تحوتمس الثالث في بيسان . ويبدو أن المدينة دمرت حوالي عام ١٥٠٠ ق.م. وبقيت مخربة خلال العصر البرونزي الحديث . وفي هذه الفترة ، أي في العصر الحديدي المبكر كانت بيت زور زعيمة المدن الخمس عشرة ، ومن هنا جاء اهتمام التوراتيين بالمدينة . ومما أكد أهمية المدينة العسكرية أن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن وجود ثلاث قلاع متعاقبة في وسطها : الأولى ذات سور مصمت من الخارج تبلغ سماكته ١,٥ م . وقد دمرت هذه القلعة الكنعانية كلياً قبل قيام القلعة الثانية التي هي أكبر حجماً من الأولى . أما القلعة الثالثة فهي أصغر القلعتين . وتشير المكتشفات الأثرية في هذا الموقع إلى أن المدينة اضطلعت بدور هام خلال العهد الهلنستي إبان الثورة المكابية .

المراجع :

- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٢ .
- جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .
- Albright W.F.: **The Archaeology of Palestine,** London, 1960.
- Olmstead. A.T.: **History of Palestine and Syria,** New York 1939.
- Sellers O.R. and Albright W.F.: **BASOR,** 43,Octob. 1931.
- Sellers O.R.: **The citadel of Beth-Zur,** 1933.

بيت سَاحور (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة كيلومتر واحد من مدينة بيت

لحم * ، ويكاد العمران يتصل بينهما ، ولولا وجود نواة قديمة للبلدة لعدّت ضاحية من ضواحي بيت لحم . تحدها شمالاً خربة أم العصافير وخربة لوقا ، ومن الشرق قريتا زعترة وابن عبيد .وأما من الجنوب فتحدها خربة بصّة الرومانية . وتسمى بيت ساحور أيضاً « بلدة الرعاة »لأن الرعاة الذين بشروا بميلاد المسيح جاؤوا من هذه البلدة .

مناخها معتدل بوجه عام ، ويميل إلى البرودة شتاء . وتراوح متوسطات درجات الحرارة ما بين ١٠° شتاء و ٢٥° صيفاً . وتقع بيت ساحور في ظل المطر إذ تحجب مرتفعات بيت لحم الأمطار عنها . ويبلغ متوسط كمية الأمطار السنوية التي تهطل على البلدة نحو ٣٧٥,٦ مم في حين يصل المتوسط في بيت لحم إلى ٤٢٤,٤ مم ، وفي بيت جالا * إلى ٥١٥,١ مم . وتتغير كمية الأمطار من سنة الى أخرى مما يترك آثاراً سيئة على المحاصيل الزراعية في بعض السنوات .

تبلغ مساحة بيت ساحور ٣٠٠ دونم منها ١٢٨ دونماً للبلدة القديمة . وتقوم نواة البلدة على ربوة تتدرج في الارتفاع من حقل الرعاة تجاه مرتفعات بيت لحم فيما يعرف باسم أقدام الجبال حيث تتلاصق مساكن البلدة القديمةفلا يفصل بينها سوى أزقةضيقةتقطعها الى حارات صغيرة . وقلما ترتفع المباني في الجزء القديم من البلدة عن طبقتين. وكان هذا التجمع المتلاصق من المساكن في الماضي يخدم غرضين : الأول دفاعي في زمن الفوضى واضطراب الأمن ، والثاني اقتصادي لاستغلال أكبر مساحة ممكنة من الأرض الصالحة للزراعة .

أما البلدة الحديثة فقد اتجهت نحوالشرق على محورين رئيسين : الأول محور جنوبي شرقي باسم شارع سطيح ، والثاني محور شمالي شرقي باسم شارع الرعاة . وعلى طرفي كل منهما قامت البنايات الحديثة من الحجر الكلسي النقي . وتشير هذه المباني الجميلة إلى مدى تأثير البيئة في نمط مساكن المدينة ، وإلى غنى أصحابها .

نما عدد سكان بيت ساحور بمعدلات مرتفعة نسبياً خلال هذا القرن . ففي عام ١٩٢٢ كان مجموع سكانها ١,٥١٠ نسمات،وزاد عددهم إلى ١,٩٤٢ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ٢,٧٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وإلى ٥,٢١٢ عام ١٩٥٢ . وقد تضاعف عدد السكان بعد عام ١٩٤٨ مباشرة بسبب تدفق اللاجئين على المدينة . وفي تعداد عام ١٩٦١ وصل عدد السكان إلى ٥,٣١٦ نسمة يكوّنون ٨٨٦ أسرة . وقدر عددهم وفقاً للمسح الذي أجرته البلدية لمساكن المدينة سنة ١٩٧٥ بنحو ٨,٠٢٨ نسمة .

وكشف المسح أيضاً عن وجود٨٠جهاز هاتف في المدينةبالإضافةإلى ٧٦٨ ثلاجة و ٥٣٠ غسالة و ٥٦٠ جهاز تلفزيون و ١٥٩ سيارة خاصة . وفي المدينة مدرستان ثانويتان إحداهما للبنين والثانية للإناث وعدد من المدارس الإعدادية والابتدائية ورياض الأطفال . وفيها أيضاً ثلاث مدارس أهلية .

تعتمد القاعدة الاقتصادية للمدينة على الزراعة * بشكل رئيس ، فالمساحة المزروعة تبلغ ٦,٩٤٥ دونماً منها ٥٦٠ دونماً لشجرة الزيتون * . وتتقاسم المساحة الباقية كل من أشجار العنب * (١,٣٩٩ شجرة) واللوز (٦,٩٦٥ شجرة) مع الحبوب* والخضر * . وتؤلف الصناعات اليدوية والصناعات السياحية مصدر دخل أساسياً للمشتغلين بها (رَ : السياحة) . وأهم هذه الصناعات صناعة الصدف والحفر على خشب الزيتون تليها في الأهمية أعمال التطريز وأشغال الإبرة .

أما في مجال الصناعة الآلية فتحتل شركة البلاستيك المركز الأول ، وتعد من أقوى الشركات في الوطن العربي . ويوجد في المدينة بعض أنوال النسيج الآلية الحديثة .

وقد بيّن مسح عام ١٩٧٥ للقوى البشرية ذات النشاط الاقتصادي أن هناك ٢٣٠ عاملاً يشتغلون في الأعمال الزراعية ، و ١٣٩ شخصاً يشتغلون في الأعمال التجارية و١,١٨٠ عاملاً فنياً وعادياً يشتغلون في الصناعة * والمحارف المختلفة ، و٤٧٨ شخصاً يعملون موظفين في الخدمات العامة والمؤسسات .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ إحصاءات دار البلدية في بيت ساحور لعام ١٩٧٥ .

بيت سُوريك (معركة ـ) :

بيت سوريك قرية عربية تقع إلى الشمال الغربي من مدينة القدس * وتشرف على طريق المواصلات الرئيس بين السهل الساحلي * ومدينة القدس ، وتبعد عن هذا الطريق حوالي كيلومترين ونصف الكيلومتر .

خطط مجاهدو منطقة القدس لقطع طريق المواصلات بين الساحل والقدس ، خاصةوأن في القدس حوالي مائة ألف من السكان اليهود . وقد بث قائد قوات جيش الجهاد المقدس * عبد القادر الحسيني * العيون لجمع المعلومات عن أنشطة الصهيونيين العسكرية وحركة قوافلهم فتلقى نبأ يفيد أن الصهيونيين سيرسلون إلى مدينة القدس في ١٩٤٨/١/١٩ قافلة كبيرة من السيارات بينها

عدد كبير من سيارات النقل حاملة مواد التموين ، وستكون محروسة بقوات صهيونية وبريطانية .

فور ورود هذا النبأ عقد عبد القادر الحسيني اجتماعا حضره نائبه كامل عريقات وإبراهيم أبو ديّه * وقادة قطاعات قرى ساريس * والقسطل * وقالونيا * وصوبا *، وتم وضع خطة لتدمير القافلة والقوات التي تتولى حراستها ، وجرى توزيع الواجبات على المجتمعين فقرر الحسيني أن يتولى بنفسه قيادة الهجوم ، وكلف نائبه كامل عريقات باتخاذ التدابير لحشد القوات والإجراءات اللازمة يساعده في ذلك إبراهيم أبو ديّه . واجتمع إلى جانب قوات جيش الجهاد المقدس عدد من أهالي بيت سوريك والقرى المجاورة ، ونجدة قدمت من مدينة جنين * بقيادة المجاهد فوزي جرار .

كانت الخطة تقضي بتوزيع القوات على جانبي الطريق ، وأن تقوم مجموعة التدمير بقيادة فوزي القطب بزرع الألغام ليلاً في

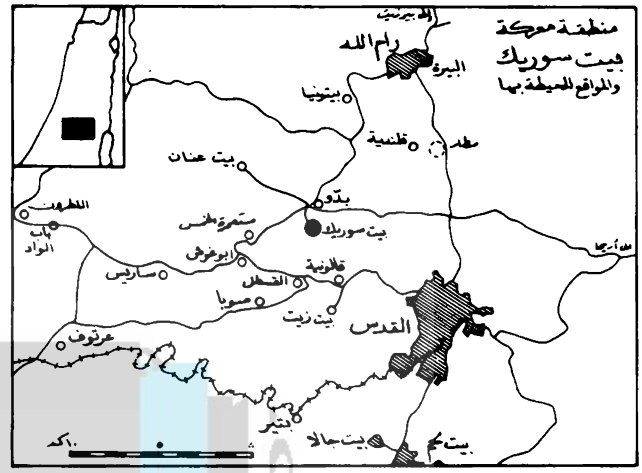

أماكن معينة من الطريق (ر : التدمير العربية ، فرقة) . ومع فجر يوم ١٩٤٨/١/١٩ أقام الحسيني ونائبه مقر القيادة في قرية بيت عنان القريبة من بيت سوريك . وبعد أن تم نصب الكمين حسب الخطة المرسومة علم الحسيني وصحبه أن القافلة الصهيونية تجتاز ممر باب الواد باتجاه القدس فانتقل الجميع إلى قرية بيت سوريك ، وطلب القائد من نائبه كامل عريقات أن يتوجه إلى مركز الكمين المنصوب للقافلة ، وكان فيه إبراهيم أبو ديّة وعدد من المسلحين وفوزي القطب وأفراد مجموعة التدمير .

شعر الصهيونيون في مستعمرة الدليب قرب أبو غوش ، ومستعمرة الخمس ، والقوة البريطانية في معسكر الرادار بوجود المجاهدين في المنطقة فأخذوا يطلقون النار عليهم .

عندما وصل كامل عريقات إلى المرتفعات القريبة من الطريق وجد عبد القادر الحسيني قد سبقه إلى هناك والتف حوله المجاهدون . وعند الظهر وصلت القافلة إلى مكان الكمين فأصدر الحسيني الأمر بالهجوم ، وانقض ومعه كامل عريقات ومجموعة من المجاهدين على القافلة من الجهة الشمالية للطريق بينما انقض إبراهيم أبو ديه ورجاله من الناحية الجنوبية ، وانطلقت مجموعة التدمير تفجر الألغام ، ووقعت معركة ضارية لمدة ساعة ، وأخذ الصهيونيون يتركون السيارات ويفرون باتجاه مستعمرة الخمس . وانتهت المعركة بتدمير القافلة وقتل عدد غير قليل من الصهيونيين والجنود الإنكليز الذين كانوا يتولون حراستها وفرار من بقي منهم على قيد الحياة .

تعقب المجاهدون فلول العدو باتجاه مستعمرة الخمس ، فتصدت لهم قوة كبيرة من الإنكليز جاءت لنجدة القافلة ، وعندئذ رأى الحسيني تجنب الصدام مع القوة البريطانية مكتفيا بالنصر الذي حققه حسب الخطة المرسومة وهو تدمير القافلة . فأصدر الأمر لقوات المجاهدين بالعودة إلى قرية بيت سوريك . ثم رجع ومن معه من القادة في مساء اليوم نفسه إلى مقر القيادة العامة في بيرزيت * .

خسر الجانب العربي في هذه المعركة سبعة شهداء ، وغنم المجاهدون كميات كبيرة من الذخيرة و١٢ بندقية وأربعة رشاشات جديدة بالإضافة إلى حمولة القافلة .

كانت معركة بيت سوريك نموذجا لشجاعة المجاهدين وبطولاتهم ، ولنجدة أبناء القرى واندفاعهم ، وللتنظيم في القتال وتنفيذ الأوامر . وقد برزت مواهب القائد عبد القادر الحسيني وأركانه في التخطيط والقيادة بشكل واضح ، مما أدى إلى تحقيق النصر في المعركة وتحقيق الهدف الذي سعى المجاهدون إلى بلوغه .

المرجع :

ـ أمين أبو الشعرة : مجاهد من أبوديس ، عمان ١٩٧٥ .

بيت سُوسِين (قرية ـ) :

قد تكون كلمة سوسين تحريفا لكلمة « ذوذا » السريانية التي تعني الدينار أو الدرهم ، أو تصحيفا لكلمة « ساسا » التي تعني العث والأرضة .

تقع هذه القرية العربية في جنوب شرق الرملة * ، وغرب القدس * . وتبعد عن الأولى ١٨ كم منها ١٦ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى والباقي غير معبد . وتبعد عن الثانية ٢٦ كم منها ٢٤ كم طريق معبدة من الدرجة الأولى والباقي غير معبد . وعلى بعد ٢,٥ كم شمالي القرية تتفرع الطريق المعبدة القادمة من القدس إلى فرعين يتجه الأول إلى الرملة ، ويتجه الثاني إلى غزة * . وحدود أراضي القرية الشرقية والجنوبية جزء من الحدود بين لواءي القدس واللد .

أنشئت بيت سوسين في القسم الغربي من جبال القدس * فوق جبل صغير يرتفع ٣١٠ م عن سطح البحر . ويمر وادي طاحون بشمال القرية على بعد ٢ كم ، وهو أحد الروافد العليا للوادي الكبير . وتبدأ من غربها وجنوبها أودية ترفد وادي الصرّار ـ روبين . ويوجد ينبوعان وبئر للماء في « بيارات الأفندي » الواقعة في شمال غرب القرية ، وتقع بئر الحوّارة في جنوبها الغربي .

انقسمت القرية قسمين : الأول ، وهو الأكبر ، يمتد بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب ، والثاني يقع في جنوب غرب الأول على بعد ٢٥٠ م ، ويقربه جامع الشيخ عبيد . وفي عام ١٩٣١ كان في القرية ١٤ مسكنا حجريا . وفي عام ١٩٤٥ بلغت مساحة القرية ٨ دونمات ، ومساحة الأراضي التابعة لها ٦,٤٨١ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا .

كان في القرية ٤٧ نسمة من العرب في عام ١٩٢٢ ، وارتفع عددهم إلى ٧٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ .

لم يكن في القرية أي نوع من الخدمات . وقد استخدم السكان مياه ينبوع البلدة الوحيد في الشرب والأغراض المنزلية . واعتمدوا على الزراعة * وتربية المواشي في معيشتهم . وأهم مزروعاتهم الحبوب * . ورغم أن التربة * السائدة هي التربة الحمراء « التيرا روزا» الصالحة لزراعة الأشجار المثمرة فقد كانت القرية فقيرة بهذه الأشجار . ففي عام ١٩٤٣ كان هناك دونمان فقط مزروعان زيتوناً * .

شرّد الصهيونيون سكان القرية العرب ودمروها في عام ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٥٠ أسس صهيونيون هاجر معظمهم من اليمن موشاف « تاعوز » على بعد كيلومتر جنوبي غرب موقع القرية . وقد بلغ عدد سكان هذا الموشاف ٣٠٤ نسمات في عام ١٩٥٠ ، وارتفع عددهم إلى ٤١٠ نسمات في عام ١٩٦١ ، لكنه انخفض إلى ٣٨٥ نسمة في عام ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجّور .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

بيت شَنَّة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجنوب الشرقي من مدينة الرملة * . وهي على مسافة نحو ٥ كم من قرية القباب * الواقعة على طريق القدس ـ يافا ، وتتصل بهذه الطريق بدرب ضيق ، وتتصل بدروب غير ممهدة مع القرى العربية المجاورة مثل سلبيت * وبرفيلية * والكُنيسة * وعنابة * وعمواس * .

نشأت قرية بيت شنّة فوق ربوة ترتفع نحو ٢٣٠ م عن سطح البحر ، وذلك في منطقة الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . وتحتوي القرية على بعض الآثار التي تدل على أن رقعتها كانت معمورة . وتألفت بيت شنّة من عدد قليل من البيوت المبنية من اللبن والحجر والمتلاصقة فوق رقعة أرضية صغيرة المساحة . وقد اتخذ مخططها شكل الهلال أو القوس . ويوجد في طرفها الشمالي خزان لمياه الشرب ، ومقام الشيخ الشنّاوي ، بالإضافة إلى موقع خربة أم الصور . وكانت القرية تخلو من المرافق العامة والخدمات وتعتمد على القرى المجاورة في الحصول على حاجاتها ، وفي تسويق منتجاتها الزراعية .

بلغت مساحة أراضيها نحو ٣,٦١٧ دونما جميعها ملك لأهل القرية . وتتفاوت أراضيها الزراعية بين منبسطة ومتموجة ، وهي أراض بعلية تعتمد على الأمطار . وتتركز المزارع وبساتين الأشجار المثمرة في الجهات الشمالية الشرقية والغربية والجنوبية الغربية من القرية . وتزرع الحبوب * والخضر * في البقاع السهلية نسبيا في حين تنتشر الأشجار فوق البطاح المتموجة وعلى سفوح منحدرات التلال . وأهم ما تنتجه الزيتون * والعنب * والتين واللوز والتفاح . وتستغل بعض أراضيها الوعرة في رعي المواشي .

كان عدد سكان بيت شنّة قليلاً في أوائل عهد الانتداب ، وقد وصل العدد عام ١٩٤٥ إلى نحو ٢١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ قام الصهيونيون بالاعتداء على القرية وطردوا سكانها منها ودمّروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢
ـ خريطة فلسطين) مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد .

بيت شِمِش (مستعمرة ـ) :

مستعمرة زراعية صهيونية أقيمت على أراضي قرية دير أبان * العربية بالقرب من خربة جنعر في قضاء القدس . تقع في غرب الجنوب الغربي للقدس * ، ويمر بطرفها الشمالي خط سكة حديد القدس ـ يافا على حين تمر من طرفها الغربي طريق فرعية تصل بيت جبرين * جنوبا بطريق القدس ـ يافا شمالا .

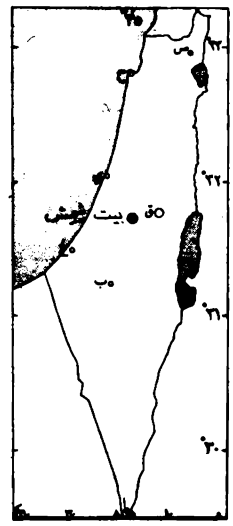

نشأت المستعمرة فوق تل الرميلة ، وهو أحد التلال التي تمثل أقدام المنحدرات الغربية لمرتفعات القدس . وتطل على وادي الصرار الذي يمر بطرفها الشمالي مكوّنا خانقا عميقا . لذا فإن موقعها وموضعها يحققان أغراضا إستراتيجية تتمثل في الحماية وسهولة الدفاع عن المستعمرة من جهة ، وفي حماية ممر القدس ـ يافا الطبيعي الإستراتيجي من جهة ثانية .

تحيط بالمستعمرة أراض متموجة أحياناً ووعرة أحيانا أخرى . وتهطل عليها أمطار كافية لنمو الأعشاب الطبيعية والأشجار المثمرة . وتتناثر قطع من الحجارة في تربتها الزراعية التي نجحت فيها زراعة الزيتون * . وتوجد حول المستعمرة بعض الآبار * القليلة التي تستعمل مياهها لأغراض الشرب والصناعة *

تتبع المستعمرة حاليا مقاطعة القدس . وهي مركز تجاري للمستعمرات المجاورة ، ومركز إداري يساهم في تقديم الخدمات للمستعمرات الأخرى ففيها دائرة للبريد ومستشفى ، وتم ربطها بشبكة الهاتف العامة . وفيها المؤسسات الاجتماعية والمالية والتعليمية ، بالإضافة إلى المكتبات وبعض دور السينما .

وهي مركز صناعي وعسكري ، ففيها مصانع لإنتاج المحركات والآلات والأدوات الكهربائية ، ومصانع الغزل والنسيج والأدوات المنزلية والبرادات والإسمنت والدراجات والأفران وصقل الماس والطباعة والزجاج ، وفيها معسكر للجيش الإسرائيلي .

نما عدد سكان بيت شِمِش من ٢١٠ نسمات عام ١٩٥٠ إلى ٧,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦١ ، وإلى ١٠,١٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ ، ووصل عددهم إلى ١١,٤٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ .

المراجع :

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

ـ مكتب الإحصاء الإسرائيلي : نشرة إحصائية عن سكان المستعمرات الصهيونية ، ١٩٧٤ .

بيت طِيما (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على مسافة ٣٢ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة غزة * . ترتبط بكل من طريقي غزة ـ المجدل وكوكبا ـ برير الرئيستين بطرق ثانوية . وهي تبعد كيلومترين إلى الجنوب الغربي من كوكبا * ونحو ثلاث كيلومترات إلى الشمال الغربي من حليقات * وقرابة أربعة كيلومترات إلى الشرق من الجيّة *

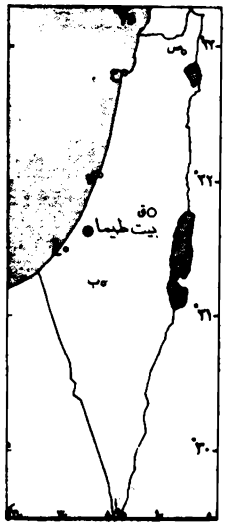

نشأت بيت طيما فوق رقعة منبسطة من السهل الساحلي * الجنوبي على ارتفاع ٧٥ م عن سطح البحر . وتقوم على ضفة ثنية واد جاف يتجه نحو الشمال الغربي من بيت طيما وينتهي قبل أن يصل إلى البحر المتوسط في منطقة منخفضة نسبيا إلى الشمال الشرقي من الجيّة . وكانت بيت طيما تتألف من مجموعات بيوت يفصل بين كل مجموعة وأخرى منها بعض الشوارع أو المساحات الفضاء . ويدل هذا الوضع على أن الكتلة الكبيرة في القرية تمثل النواة الرئيسة لها . وهي تضم إلى جانب المباني السكنية عددا من الدكاكين والمرافق العامة . أما الكتل الثانوية الأخرى فإنها تمثل تطور نمو القرية العمراني ، إذ كانت كل فترة نمو عمراني تشهد إنشاء جزء أو بعض أجزاء من القرية . ويتجه الامتداد العمراني للقرية نحو الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وقد بلغت مساحتها ٦٠ دونما , وكانت القرية تشتمل على جامع في الجزء الشمالي منها إلى جانب المدرسة الابتدائية التي أنشئت عام ١٩٤٦ في مركز متوسط بين قرى بيت طيما وكوكبا وحليقات .

تقوم بيت طيما فوق بقعة أثرية ، وهي تضم رفات مجاهدين استشهدوا في الحروب الصليبية . وتقوم بجوارها خرائب أثرية كخربة بيت سمعان وخربة ساما ، الأمر الذي يدل على أن منطقة بيت طيما كانت مأهولة بالسكن والعمران قديما (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

بلغت مساحة أراضي بيت طيما ١١,٠٣٢ دونما منها ٢٣٩ دونما للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئا . وأهم ما

كان يشتغل به السكان الزراعة * ، إذ كانوا يزرعون الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وتعتمد الزراعة على الأمطار لأن المياه الجوفية ضعيفة والآبار قليلة لا تكفي لري الأراضي الزراعية . ويبلغ عمق البئر في القرية ٦٣ م . وكانت زراعة الأشجار المثمرة كالعنب * واللوز والتين والمشمش وغيرها تتركز في الجزء الشمالي من أراضي القرية مع وجود هذه الأشجار أيضا في مساحات صغيرة في الجزءين الشرقي والجنوبي .

بلغ عدد سكان بيت طيما في عام ١٩٢٢ نحو ٦٠٦ نسمات ، وازداد إلى ٧٦٢ نسمة في عام ١٩٣١ . وكان هؤلاء يقيمون في ١٥٧ بيتا . وقدر عدد سكانها في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٠٦٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٨ تشرد هؤلاء السكان من ديارهم على يد المحتلّين الصهيونيين الذين دمّروا القرية واستغلوا أراضيها في الزراعة واستخراج النفط * من حقل حليقات .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة برير .

بيت عِطَاب (قرية ـ) :

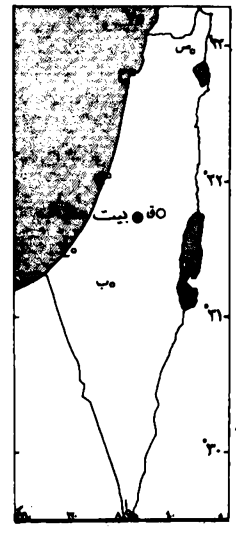

قرية عربية تبعد مسافة ٢٣ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة القدس * . وتربطها طريق معظمها معبد بمدينة القدس . وتمر طريق بيت جبرين ـ القدس الرئيسة المعبدة على بعد ٣ كم إلى الجنوب منها ، وتربطها طريق ممهدة فرعية بتلك الطريق الرئيسة ، وتربطها طرق فرعية ممهدة أيضاً بقرى سفلى * وعلاّر * وكفر سوم ورأس أبو عمار * ودير أبان * ودير (دار) الشيخ * ودير الهوا * .

نشأت قرية بيت عطاب فوق أحد جبال القدس * ، وكانت معروفة باسمها الحالي في العصور الوسطى . وترتفع ٦٥٠ م عن سطح البحر . وترتفع الأرض إلى الشرق منها مباشرة وتتجاوز ٧٠٠ م عن سطح البحر . وتنحدر أرضها تدريجيا نحو الغرب حيث يجري وادي المغارة متجها نحو الغرب ليرفد وادي صليح . وتحيط بالقرية ينابيع مياه قريبة يستفيد السكان منها لأغراض الشرب وري مزارعهم ، لكن تجمع مياه العيون في مستنقعات صغيرة كان من أسباب تكاثر الحشرات وتفشي بعض الأمراض .

بنيت معظم بيوت القرية من الحجر واللبن ، واتخذ مخططها في الجزء القديم منها شكلا دائريا . لكن نموها العمراني جهة الجنوب الغربي بمحاذاة الطريق المؤدية إلى قرية سفلى المجاورة جعل مخططها يتخذ شكلا قوسيا . وبلغت مساحتها ١٤ دونما في عام ١٩٤٥ . وكانت بيت عطاب تفتقر إلى المرافق والخدمات العامة . وهي موقع أثري يحتوي على بقايا حصن قديم . وتشرب القرية من مياه ثلاثة ينابيع هي عين الماجور وعين الخنازير وعين البركة .

تبلغ مساحة أراضي بيت عطاب ٨,٧٥٧ دونما لا يملك الصهيونيون منها شيئا . وكان سكان بيت عطاب يمتلكون إلى جانب أراضي قريتهم أراضي واسعة في المنطقة السهلية الساحلية ، تستغل في زراعة الحبوب . في حين استثمروا أراضي قريتهم في زراعة الحبوب * وأشجار الزيتون * والعنب * والفواكه الأخرى ، واعتنوا بتربية المواشي . وكانت في أراضيهم غابة حرجية واسعة للحكومة . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والينابيع .

كان عدد سكان بيت عطاب عام ١٩٢٢ نحو ٥٠٤ نسمات ، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ٦٠٦ نسمات كانوا يقيمون في ١٨٧ دونما . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٥٤٠ نسمة . وخلال حرب ١٩٤٨ * استولى الصهيونيون على بيت عطاب وطردوا سكانها العرب منها ، ودمروا بيوتها ، ثم أقاموا مستعمرة « برجيورا » شرقيها ، ومستعمرة « نس هاريم » شماليها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت عَفَّا (قرية ـ) :

تقع شمال شرقي غزة * بنحو ٣٦ كم ، وشمال غربي الفالوجة * بنحو ٥ كم ، وهي إلى الشمال من طريق الفالوجة ـ المجدل بنحو ٢ كم ، لذا فإن موقعها أقل أهمية من موقع قرى الخط الرئيس كالفالوجة وعراق سويدان * .

بنيت القرية فوق جزء من علوة صغيرة مستوية مؤلفة من رمال ذات ملاط كلسي عائدة لتكوينات الكركار الرباعية تضم أيضاً فوقها قرية عراق سويدان ، وترتفع نحو ٩٠ م عن سطح البحر . وتحيط بها الآثار القديمة .

امتدت القرية على مساحة ٢٦ دونماً ، وبلغت مساحة أراضيها ٥,٨٠٨ دونمات . وليس لها إلا مياه الأمطار التي يبلغ معدلها السنوي ٤٠٠مم لزراعة الحبوب والعنب * . نما عدد سكانها من ٤٢٢ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٧٠٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وكانت الزراعة * هي الحرفة الرئيسة للسكان تليها حرفة الرعي * . وقد عاش قسم من السكان من تربية المواشي في مراعي منطقة عجّس بين قريتي بيت عفا وكوكبا * .

كانت الفالوجة المركز الرئيس الذي تعتمد عليه بيت عفا كغيرها من القرى المجاورة بعد غزة والمجدل . وقد هجّر الصهيونيون أهلها عنها في حرب ١٩٤٨ * ودمروها وأقاموا على أراضيها مستعمرة « يدناتان » التي غرسوا فيها أشجار الفواكه ، ولا سيما الحمضيات * التي تعتمد على مياه مشروع نهر الأردن المجرورة بالأنابيب .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ لوحة برير .

بيت فار (قرية ـ) : رَ : خربة بيت فار (قرية ـ)

بيت فالط :

مدينة فلسطينية قديمة يعود تاريخها إلى العصر الكنعاني ورد ذكرها في العهد القديم (يشوع ١٥ : ٢٧) ولم يعرف مكانها حتى اليوم . قام فلندرز بتري بمطابقتها خطأ مع تل الفارعة في منطقة بير السبع * الواقع إلى الشرق من غزة * على بعد ٢٤ كم ، وعلى مسافة ٣٠ كم من مدينة بير السبع ، فأجرى تنقيبات أثرية باسم المدرسة الأثرية البريطانية بمصر في الفترة ما بين ١٩٢٧ و ١٩٢٩ ونشر نتائج تنقيباته في كتاب عنوانه « بيت فالط ١ ـ *Beth Pelet I* » . وتبعه بعد ذلك ماكدونالد وزملاؤه . إلا أن أولبرايت لم يقبل تلك المطابقة وطابق تل الفارعة مع مدينة شاروهين القديمة ، وقد قبل معظم العلماء الباحثين في الآثار الفلسطينية اليوم مطابقة أولبرايت هذه . ويذكر فيليب حتي أن بيت فالط تقع إلى الجنوب الشرقي من بير السبع في خربة المشاش اليوم حيث عثر على غطاء تابوت من الخزف عليه صورة لأحد أسياد الفلسطيين * بلحية وشعر مجدول . ويذكر صاحب قاموس الكتاب المقدّس أن بيت فالط هي الكسيفة الحالية قرب الحورة . وأخيراً يرى بعض الباحثين أن بيت فالط ربما تكون تل السقاطي ، وعليه يظل موقع بيت فالط مجهولاً حتى يأتي التنقيب الأثري بالخبر اليقين .

المراجع :

ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (مترجم) ، بيروت ١٩٥٨ .

ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ قسطنطين خمار : موسوعة فلسطين الجغرافية ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ .

— Abel, F.M.: **Geographie de la Palestine** 1-2 Paris 1933-1938.

— Louis Pirrot: **Supplément de la Bible**, Paris 1939.

— Macdonald, E., Starkey J.L. and Harding, L.: **Beth Pelet II**, London 1932.

— Petrie Flinders: **Beth Pelet I**, London 1930.

بيت لاَهْيا (بلدة ـ) :

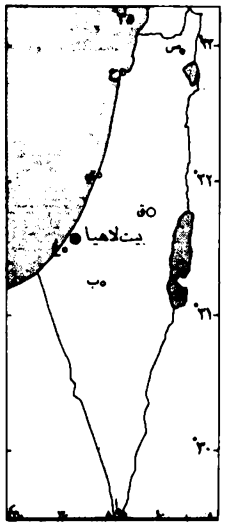

بلدة عربية تقع على بعد ٧ كم تقريباً إلى الشمال الشرقي من غزة * . وهي في أقصى الطرف الشمالي لقطاع غزة ، ويمر كل من خط سكة حديد رفح ـ حيفا والطريق الساحلية الرئيسة المعبدة على مسافة ٤ كم شرقها . وتربطها طريق فرعية بالطريق الساحلية المؤدية إلى غزة جنوباً ، وإلى حيفا * شمالاً . وتربطها ايضاً طرق فرعية أخرى بقرى بيت حانون وجباليا والنزلة ، وبمدينة غزة نفسها .

قامت بيت لاهيا فوق رقعة رملية من أرض السهل الساحلي * الجنوبي تعلو سطح البحر بنحو ٥٥م . وتحيط بها الكثبان الرملية من جميع جهاتها لذا تعرضت لزحف الرمال إلى المنازل والمزارع والشوارع فاضطر كثير من الأهالي لإعادة بناء بيوتهم من جديد . وتتألف بيوت لاهيا من اللبن والإسمنت ، ويتخذ مخططها شكل المستطيل الذي تنمو البلدة وفقاً له من الشرق إلى الغرب . كانت مساحتها ١٨ دونماً في أواخر فترة الانتداب . لكنها ازدادت كثيراً بعد عام ١٩٤٨ بفعل الزيادة

السكانية الناتجة عن هجرة بعض اللاجئين إليها واستقرارهم فيها . وقد واكب الزيادة السكانية نمو عمراني أدّى إلى امتداد المباني فوق مساحة تزيد على ١٥٠ دونماً عام ١٩٨٠ . وقد استقر بعض المزارعين من أهالي بيت لاهيا في ضاحية جديدة إلى الشمال الغربي من البلدة تعرف باسم السِّيفة . وتتألف هذه الضاحية من بيوت بناها أصحابها في مزارع الأشجار المثمرة فوق التلال الرملية غرباً .

تشتمل بيت لاهيا بالإضافة إلى مبانيها السكنية على بعض المحلات التجارية ، وعلى مدارس ابتدائية وإعدادية لأبناء الأهالي الأصليين واللاجئين . وتشتمل أيضاً على مسجدين يضم الكبير منهما مقام الشيخ سليم أبو مسلم . وحول البلدة بعض البقاع التي تضم رفات المجاهدين الأوائل . وفي البلدة قطع أعمدة وتيجان أعمدة ، مما يدل على أنها كانت عامرة في القديم ، كما أن فيها آبار مياه للشرب يراوح عمقها بين ١٠ و٢٠ م . وتوجد في أراضيها خربة تل الذهب وخربة السّحلية الأثريتان .

تبلغ مساحة أراضي بيت لاهيا ٣٨,٣٧٦ دونماً منها ٢٨٧ دونماً للطرق * والأودية . ومعظم أراضيها الزراعية ذات تربة رملية ، وتزرع فيها الأشجار المثمرة كالتفاح والجميز والعنب * والتين والمشمش والخوخ . وفي التربة الطفلية تزرع الخمضيات * والحبوب * بأنواعها وكذلك الخضر * . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار التي حفرت في السنوات الأخيرة لري المساحات المستصلحة من الأراضي الرملية . وفي عهد الإدارة المصرية لقطاع غزة * ساهم « مشروع عامر » لاستصلاح الأراضي الرملية واستغلالها في الزراعة بقسط وافر في الاستفادة من أراضي الدولة الرملية بين بيت لاهيا وشاطىء البحر المتوسط . وتوسعت مساحة الأرض الزراعية المخصصة للتفاح والخمضيات ، ويعدّ التفاح من أجود المحاصيل التي تنتجها بيت لاهيا ، وقد أكتسب شهرة في أسواق قطاع غزة . ويستفيد بعض الأهالي من شجرة السمنوط التي تنمو حول بيت لاهيا في صناعة السلال ، كذلك يصنعون الأقفاص وأنواعاً كثيرة من الأوعية من نبات الحلفاء الذي ينمو في المنطقة .

نما عدد سكان بيت لاهيا من ٨٧١ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١,١٣٣ نسمة عام ١٩٣١ ، وكان لهؤلاء آنذاك ٢٢٣ بيتاً ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٧٠٠ نسمة وازداد في عام ١٩٦٣ إلى ٢,٩٦٦ نسمة . ويقدر عددهم حالياً بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة غزة .

بيت لحم (مدينة ـ) :

من أعرق المدن الفلسطينية يرتبط تاريخها بتاريخ الشعب الفلسطيني وأصالته .

تقع المدينة على جبل يرتفع قرابة ٧٨٠ م عن سطح البحر في الجزء الجنوبي من سلسلة جبال القدس * ، وعلى مسافة تزيد قليلاً على ١٠ كم جنوبي مدينة القدس * .

تشكل مدينة بيت لحم مع مدينتي بيت جالا * وبيت ساحور * تجمعاً عمرانياً ثلاثياً ، فالواحدة لا تبعد عن الأخرى سوى ٢ ـ ٣ كم ، فبيت جالا تقع شمالي غرب بيت لحم ، وبيت ساحور شرقيها .

مناخ المدينة معتدل البرودة شتاء ، فمتوسط درجة الحرارة في شهر كانون الثاني يراوح بين ٨° و ١٠° . أما الصيف فلطيف جاف ،

ويبلغ معدل درجات الحرارة في شهر تموز ما بين ٢٣° و ٢٥° . تسقط الأمطار في فصل الشتاء ، ويصل عدد الأيام الممطرة الى ما بين ٤٠ و ٥٥ يوماً ، ومتوسط كمية الأمطار السنوية نحو ٦٠٠ مم (ر : المناخ) .

قدر عدد سكان المدينة عام ١٩٧٨ بنحو ٣٤ ألفاً فيهم قرابة ٩ آلاف نسمة من اللاجئين الفلسطينيين . وكان للأحداث السياسية والآلام التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨ دور في تطور عدد سكان المدينة ، وبعد أن كان عدد سكان المدينة عام ١٩٤٧ قرابة ٨,٠٠٠ نسمة قفز عام ١٩٤٩ إلى ١٤ ألفاً ، إذ لجأ الآلاف من أبناء فلسطين وسكنوا مخيمات ثلاثة بالقرب من المدينة ، أكبرها مخيم الدهيشة ولا يزال هؤلاء اللاجئون يعيشون في هذه المخيمات في ظروف سكنية قاسية ، إذ التمركز السكاني الشديد على مساحات ضيقة من الأرض ، والخدمات الضرورية متواضعة جداً .

وهناك عامل سكاني آخر تتميز به مدينة بيت لحم هو الهجرة إلى الخارج - ولا سيما إلى الأمريكتين - التي تأخذ عادة طابع الهجرة الدائمة . وقد بدأت هذه الهجرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وأخذت تتسع في بداية القرن العشرين. وتعود هذه الهجرة إلى أسباب عدة أهمها السعي إلى العيش في ظروف أفضل نتيجة التصور القديم عن ثروات الأمريكتين . وكان لعوامل الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي أيضاً دورها في هذا المجال . ويقدّر عدد من يعود إلى أصل تلحمي في الأمريكتين حالياً بما يزيد على ٥٥ ألفاً .

أ - لمحة تاريخية : بيت لحم مدينة قديمة في التاريخ سُكنت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. وتذكر ألواح تل العمارنة التي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد مدينة جنوبي القدس تسمى بيت إيلو لاهاما *Bit Ilu Lahama* أي بيت الإله لاحاما أو لاخاما . وهذا الإله هو إله القوت والطعام عند الكنعانيين . والأرجح أن اسم المدينة الحالي مشتق من اسم هذا الإله . وربما كان سبب جعل المدينة بيتاً للإله لاحاما أنها كانت تقع في منطقة خصبة ترعى فيها الأغنام والمواشي وتنتشر فيها حقول القمح * والشعير والكروم والزيتون . ومن المعروف أيضاً أن كلمة بيت لحم تعني بالآرامية بيت الخبز . وفي هذا أيضاً إشارة إلى خصب الأرض المحيطة بالمدينة . ولبيت لحم اسم قديم آخر هو افراته أو افرات ، وهي كلمة آرامية كذلك معناها الخصب والإثمار ، وبذلك يلتقي اسما المدينة عند معنى الخصب .

غزت القبائل اليهودية هذه المدينة الكنعانية واستقرت فيها بعد الكنعانيين . ويروى أن يعقوب * عليه السلام جاء إلى المدينة من بيت ايل وهو في طريقه إلى الخليل ، وقد اضطر للتوقف فيها لأن زوجته راحيل جاءها المخاض عندها فماتت ودفنها في مكان قريب من بيت لحم يعرف اليوم بقبة راحيل .

وفي أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد تغلّب الفلسطينيون على الملك اليهودي شاؤول وقتلوه وأقاموا في بيت لحم فترة من الزمن إلى أن تغلب عليهم الملك داود .

وفي بيت لحم ولد الملك داود . ويروي سفر راعوث أحد أسفار العهد القديم قصة راعوث المآبية التي انتقلت بعد وفاة زوجها مع حماتها ناعومي إلى بيت لحم حيث تزوجت الثري اليهودي محلون وولدت له عبيد *Obed* ، وهو كما قيل جد داود . وبذلك جعلت راعوث غير اليهودية جدة الملك داود . والواقع أن هذه القصة هي إضافة متأخرة إلى أسفار العهد القديم ترجع إلى القرن الرابع أو الخامس قبل الميلاد ، وكان القصد منها تصحيح الصورة الانعزالية لليهود خاصة بعد عودتهم من السبي البابلي في القرن السادس ، وهي من الأساطير .

استمدت بيت لحم أهميتها الكبرى وشهرتها في العالم من مولد السيد المسيح فيها . ويروي إنجيل لوقا (٢ : ١ - ٢٠) أن مريم ويوسف النجار ذهبا إلى بيت لحم ليسجلا اسميهما في الاكتتاب (الإحصاء) العام بناء على أمر أغسطس قيصر . وقد ولدت مريم السيد المسيح وهي هناك . وذكر الداعية المسيحي يوستين مارتير *Justin Martyre* الذي كتب بعد سنة ١٥٥ م أن مريم ولدت السيد المسيح ووضعته في مذود في مغارة قريبة جداً من القرية .

أخمد جيش الإمبراطور الروماني هادريان ثورة اليهود بقيادة باركوخبا *Bar Kokhba* ، وهدم المدينة وأقام فيها حامية رومانية . ثم أمر الإمبراطور ببناء معبد للإله أدونيس فوق المغارة التي ذكر أن السيد المسيح ولد فيها .

وفي حوالي سنة ٣٣٠م بنى الإمبراطور قسطنطين الروماني كنيسة فوق المغارة دعيت بكنيسة القديسة مريم. والمشهور أن الذي بنى هذه الكنيسة هو القديسة هيلانة أم قسطنطين ، وذلك بين سنتي ٣٢٦ و٣٣٣م . وفي سنة ٣٨٦م حلّ في بيت لحم القديس جيروم * وترجم فيها العهد القديم إلى اللغة اللاتينية . وبقيت الكنيسة حتى عام ٥٢٩م حين هدمها السامريون عندما ثاروا على الدولة الرومانية ، فأعاد بناءها الإمبراطور جوستنيان بشكلها الحالي تقريباً وأصبحت تدعى كنيسة المهد .

ويروى أن الفرس عندما احتلوا فلسطين سنة ٦١٤م لم يمسّوا الكنيسة بأذى لأنهم رأوا على واجهتها الصورة المصنوعة من الفسيفساء التي تمثل سجود المجوس بملابسهم الفارسية أمام السيد المسيح .

وعندما فتح المسلمون القدس سنة ١٥هـ / ٦٣٦م أظهروا الاحترام لمهد عيسى عليه السلام . ويذكر المؤرخون أن عمر بن الخطاب * زار بيت لحم سنة الفتح وأعطى أماناً لأهلها وحضرته الصلاة وهو في كنيسة المهد فصلى داخل الكنيسة عند الحنيّة القبلية ، وكتب عمر للبطرك سجلاً ألاّ يصلي في هذا الموضع من المسلمين إلاّ رجل واحد بعد رجل (رَ : ايلياء ، عهد) . ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون إلى تلك الحنية ويصلون فيها . ومن دلائل تعظيم المسلمين لكنيسة المهد أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يبعث بزيت يسرج في بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام . وقد ظل معظم سكان بيت لحم من النصارى على دينهم بعد الفتح . ومما يذكر أن الحاكم بأمر الله الفاطمي لمّا أمر بهدم الكنائس المسيحية سنة ١٠٠٩ م لم يهدم كنيسة المهد . وقد وصف القس اركولفوس *Arculfus* بيت لحم في القرن السابع

الميلادي (حوالي ٦٧٠) فقال إنه كان للمدينة آنذاك سور منخفض لا أبراج فيه .

وفي سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م دخل الصليبيون مدينة بيت لحم بقيادة تنكريد *Tancréd* . وفي السنة التالية (١١٠٠م) توج بلدوين الأول *Baldwin I* فيها ملكاً على القدس . وأصبحت بيت لحم أبرشية سنة ١١١٠م . وأعاد الصليبيون تعمير المدينة ، وأضافوا إلى كنيسة المهد ديراً على النمط القوطي ، وبنوا حصناً فيها ، وأقاموا عمائر مختلفة حول الكنيسة . وفي أثناء حكم الصليبيين لم يكن اليهود يجرؤون على العيش في بيت لحم .

ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م عادت بيت لحم إلى حكم أهل البلاد ، لكنها ما لبثت أن سلمت إلى الصليبيين ثانية سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م بموجب اتفاقية عقدت بين الملك الكامل الأيوبي والإمبراطور فريدريك . وفي سنة ٦٤٢هـ / ١٢٤٤ م تمكن الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الكامل من استعادة بيت لحم بمساعدة الخوارزميين .

وفي عصر المماليك * زار بيت لحم أو وصفها عدد من الكتاب والرحالة المسلمين منهم الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ / ١٢١٤م وياقوت المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م الذي ذكر أنها كانت عامرة حافلة فيها سوق ومزارات ، والقزويني المتوفى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م ، وابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م والظاهري المتوفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٩م . ومعظم هؤلاء ذكروا أن بها جذع النخلة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم (سورة مريم آية ٢٥) .

وحدثت في آخر العهد المملوكي سنة ٨٩٥هـ / ١٤٨٩م فتنة في البلاد أسفرت عن هدم حصن المدينة المنيع وتخريب أسوارها . وفي سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م استولى العثمانيون على بيت لحم وبقي المسيحيون فيها يتمتعون بحريتهم الدينية . وقدر الرحالة الفرنسي فولني *Volney* عدد سكانها في القرن الثامن عشر (الثاني عشر الهجري) بستمائة شخص ، وقال : " إن المسيحيين في بيت لحم يعيشون في سلام ووئام مع مواطنيهم المسلمين . وجميعهم من الحزب اليمني ، والفلسطينيون حزبان يمنيون وقيسيون " .

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر (الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) حدثت نزاعات بين طائفتي الروم الأرثوذكس واللاتين حول ملكية الأماكن المقدسة في بيت لحم ومنها ما حدث سنة ١١٧٠هـ / ١٧٥٧م . وعندها أصدرت الحكومة العثمانية أمراً حددت فيه ما خص كلا من الطائفتين ، وفاز الأرثوذكس بمعظم الأماكن .

استمرت الخصومات في القرن التاسع عشر (الثالث عشر للهجرة) . وفي عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م اختفت النجمة الفضية المثبتة في مغارة المهد وقد كتب عليها باللاتينية " هنا ولد المسيح من العذراء مريم " . وكانت سرقة النجمة عاملاً هاماً في الأزمة الدولية التي أدت إلى حرب القرم (١٨٥٤م - ١٨٥٦م) بين روسيا من جهة والدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى . وانتهت الحرب بانتصار العثمانيين وحلفائهم ، وسمح للّاتين بعد ذلك بأن يضعوا يدهم على قسم من كنيسة المهد . وقسمت الكنيسة بين الروم الأرثوذكس واللّاتين والأرمن . وما زال هذا الوضع قائماً حتى الآن .

وفي عام ١٢٥٠ هـ/ ١٨٣٤ م أثناء حكم مصر القصير لفلسطين دمّر إبراهيم باشا الحي الإسلامي في بيت لحم إثر الثورة التي اشتعلت ضد المصريين في المدينة (ر : الحكم المصري) .

وفي عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م دخلت بيت لحم وفلسطين كلها تحت الحكم البريطاني الذي استمر حتى سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م . وفي هذه الفترة كانت بيت لحم من مراكز الثورة الفلسطينية ضد الانتداب البريطاني . وكان مركز الشرطة الإنكليزي فيها هدفاً لهجمات الثوار الفلسطينيين في أعوام الثورات المتكررة ضد الاستعمار البريطاني وحليفته الصهيونية .

وبعد نكبة عام ١٩٤٨ دخل المصريون قطاع الخليل وبيت لحم ، ثم انسحبوا منه في أيار عام ١٩٤٩ . واستقر الحكم بعد ذلك في بيت لحم وفي الضفة الغربية كلها للأردن حتى حرب ١٩٦٧ * عندما وقعت بيت لحم والضفة الغربية كلها تحت الاحتلال الإسرائيلي .

ب - التطور السكاني والعمراني : كانت بيت لحم في العصور القديمة قرية متواضعة تكتنفها الأودية العميقة من جهاتها الثلاث . وقد اشتهرت كمركز تجاري في العهد الروماني لقيامها على الطريق التجارية التي تربط بين البحر الأحمر وبلاد الشام . ووصلت شهرتها إلى الذروة نتيجة لميلاد المسيح فيها . وفي القرن الخامس عشر الميلادي كانت بيت لحم محاطة بالأسوار ، واشتملت في القرن التاسع عشر على المدارس والكنائس والأديرة والمساجد والمشاغل الصناعية ، وقدر عدد سكانها في أواخر ذلك القرن بنحو ١٠,٠٠٠ نسمة . وفي أوائل القرن العشرين قدر عددهم بنحو ١٢,٠٠٠ نسمة .

أخذ عدد سكان بيت لحم يتناقص خلال الحرب العالمية الأولى بسبب الحرب والأمراض والمجاعات والهجرة . ففي عام ١٩٢٢ أصبح عددهم ٦,٦٥٨ نسمة . ولكنه أخذ يتزايد ببطء شديد فيما بعد فوصل عام ١٩٣١ إلى قرابة ٦,٨١٤ نسمة ، عدا سكان الضواحي الذين قدر عددهم آنذاك بنحو ٥٠٦ نسمات . وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد سكان بيت لحم بنحو ٨,٨٢٠ نسمة . وبالرغم من

بطء النمو السكاني أثناء فترة الانتداب البريطاني شهدت المدينة نمواً عمرانياً آنئذٍ بسبب تدفق رؤوس الأموال من المغتربين من أبناء بيت لحم . وقد استثمر معظمها في إنشاء المباني السكنية العصرية ، والمصانع المختلفة ، والمحلات التجارية . ومما يدل على ذلك زيادة عدد بيوت المدينة من ١,٥٠٦ بيوت عام ١٩٣١ إلى ٢,٠٠٠ بيت عام ١٩٤٥ . كذلك توسعت رقعة المدينة بفعل امتدادها العمراني ، وأصبحت مساحتها ١,٦٩٤ دونماً في عام ١٩٤٥ .

وفي الفترة التالية لعام ١٩٤٨ تطورت أحوال بيت لحم ، وزاد عدد سكانها نتيجة تدفق اللاجئين الفلسطينيين إليها . وانعكس الأمر على زيادة بيوتها . ففي عام ١٩٦١ بلغ مجموع سكانها ٢٢,٤٥٣ نسمة يقيمون في ٣,٠٥٥ بيتاً . وأخذت المدينة بعدئذٍ تنمو حتى قدر عدد السكان في عام ١٩٦٦ بنحو ٢٤,٠٠٠ نسمة يقيمون في نحو ٣,٥٠٠ بيتاً . وقد أدى الاحتلال (الإسرائيلي) للمدينة عام ١٩٦٧ إلى انكماش عدد سكانها في نهاية العام إلى ١٦,٣١٣ نسمة . وبعد أن استقرت الأوضاع نسبياً في المدينة أخذ عدد السكان يرتفع تدريجياً حتى عاد إلى ما كان عليه قبل الاحتلال ، ووصل عام ١٩٨٠ إلى ٢٥,٠٠٠ نسمة . وأخذت المدينة تتوسع عمرانياً ، لا سيما بمحاذاة طريق القدس ـ الخليل .

جـ ـ الحياة الاقتصادية :

١) السياحة : ساهم كون بيت لحم مسقطاً لرأس السيد المسيح في أن يكون لعامل السياحة * وما يرتبط بها الدور الأساسي في اقتصاد المدينة التي تحولت إلى محج للسياح على مدار السنة . وعلى الرغم من أن المدينة تفتقر إلى الفنادق السياحية الكبرى فإن الجوانب الأخرى السياحية فيها متطورة ، وأهمها تطور صناعة الأراضي المقدسة من خشب الزيتون والصدف والنحاس * والتطريز * . وقد دخلت هذه الصناعة في القرن الثاني عشر الميلادي. فأتقنها أهل المدينة وأصبحت مصدر الرزق الرئيس لمعظم بيوتها ، ثم أخذت تتطور بدخول الآلة إليها .

وصناعة التحف الخشبية من أقدم الصناعات في المدينة . ففي المدينة قرابة ٨٠ منجرة تقوم بتصنيع التحف الخشبية . لكن هذه الصناعة واجهت بعد الاحتلال الصهيوني الكثير من الصعوبات ، ولا سيما صعوبة تأمين خشب الزيتون الذي كان يستورد قبل الاحتلال من سورية لأن الخشب المحلي لا يكفي . وقد أدى ذلك إلى التوجه إلى صناعة الصدف . ومعظم المناجر صغيرة الحجم ، عدا أربع منها كبيرة نسبياً ، وتنتج وحدها قرابة ٢٠٪ من الإنتاج العام .

أما صناعة الصدف فيبلغ عدد المعامل فيها ٥٠ معملاً معظمها حرفي صغير الحجم ، عدا معملين كبيرين يقدمان قرابة

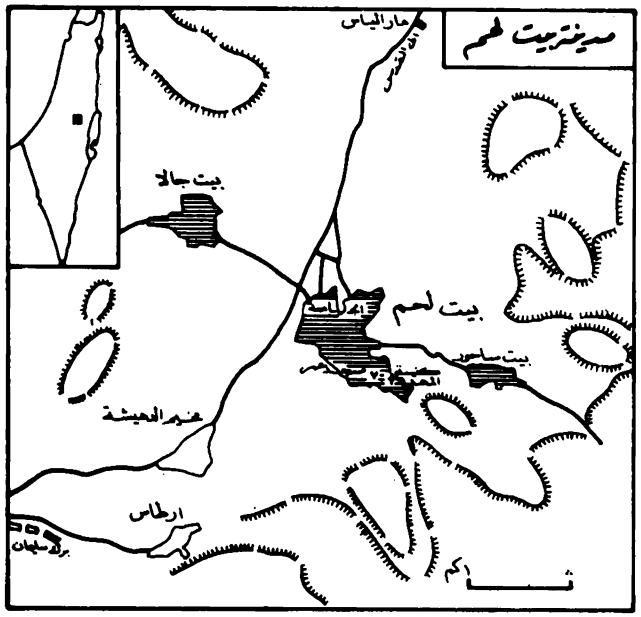

٣٠٪ من إنتاج الصدف العام . ويستخدم في هذه الصناعة الصدف الخام المستورد من الخارج . ويعمل في صناعة الصدف قرابة ٨٠٠ شخص معظمهم من أصحاب المعامل الصغيرة .

ويشكل هذان الفرعان الدخل الرئيس للمدينة ، فالصدف وحده يقدم أكثر من نصف دخل المدينة الصناعي . ويذهب ٧٠٪ من إنتاج الخشب والصدف للتصدير إلى الخارج في حين يباع الباقي للسياح في السوق المحلية . وفي بيت لحم أكثر من ٤٥ محلاً تجارياً لبيع تحف الأراضي المقدسة .

والتطريز يدوي تقوم به نساء المنطقة على قطع صغيرة ، أو على الثياب النسائية . وتشتهر منطقة بيت لحم بجمال أشكال التطريز . وقد تطورت في المدة الأخيرة في مدينة بيت لحم صناعة التحف المعدنية النحاسية ، وأقيم فيها معملان آليان لإنتاج هذه التحف .

٢) الصناعة : مدينة بيت لحم ثاني مدينة في الضفة الغربية بحجم إنتاجها الصناعي بعد نابلس * . وقد تطورت فيها فروع صناعية متعددة أهمها وأقدمها صناعة النسيج * . وهي تساهم بسد حاجة السكان . ويبلغ عدد معامل النسيج بمختلف أنواعه ٢٧ معملاً ذات أحجام مختلفة . وهي تقوم بإنتاج أنواع كثيرة من الأقمشة ، خصوصاً أقمشة الفرش والأقمشة الخشنة والمناشف . يضاف إلى ذلك عشرة معامل « للتريكو » تنتج مختلف الألبسة الصوفية وهناك ثلاثة مصانع للجوارب ، وتسعة معامل لإنتاج الألبسة الداخلية . ومعظم هذه المعامل صغيرة الحجم يعمل في كل منها أقل من خمسة عمال ، لكن هذا لم يمنع وجود معامل متوسطة

الحجم يعمل في كل منها ما بين ٤٠ و ٥٠ عاملاً . وتستورد هذه المعامل المواد اللازمة لصناعتها من الخارج .

وتتطور في المدينة صناعة المعكرونة (رَ : المواد الغذائية ، صناعة) ، ويقوم المصنعان اللذان يعمل في كل منهما قرابة ٢٠ ـ ٢٥ عاملاً بتزويد الضفة الغربية بهذه المنتجات .

كذلك تنمو في بيت لحم صناعات أخرى أهمها صناعة الأثاث المعدني التي تتم في معملين آليين . وظهر في هذا المجال مصنعان لأثاث الألمنيوم . ويتم في المدينة إنتاج السخانات الشمسية في مصنع كبير يزوّد الضفة بأكملها بالسخانات الشمسية . وفي المدينة مصنع مسامير وبراغي ، ومعمل لإنتاج هوائيات التلفزيونات ، ومعمل آخر للأسلاك المعدنية ، ومصنع للمحوّلات والأدوات الكهربائية .

وفي مجال الصناعة الكيميائية * هناك معملان لإنتاج الدهانات ومعمل لإنتاج حُصُر اللدائن (البلاستيك) * ومعامل أخرى لأدوات التجميل ، وللصابون * ولمواد التنظيف ولمبيدات الحشرات .

وفي المدينة قرابة ١٩ مقلع حجارة ومكسرة ، ونحو ١١ معملاً للبلاط تزود المنطقة بما تحتاج إليه من هذه المواد .

٣) الزراعة : ليس للزراعة في حياة بيت لحم ما للصناعة * من أثر ، وذلك لأسباب كثيرة أهمها طبيعة الأراضي الجبلية للمدينة التي تحدّ من تنوّع الإنتاج الزراعي ، وشيوع الملكية الزراعية الصغيرة التي تحدّ من الاستثمار الشامل والآلي للزراعة ، يضاف إلى ذلك العراقيل التي وضعها الاحتلال الصهيوني في وجه الزراعة والتي أدّت إلى تحوّل الأيدي العاملة إلى العمل الصناعي .

والزراعة في أراضي المدينة بعلية . وأهم المنتجات الزراعية هي الشجرية من زيتون وعنب * ولوزيات ، يضاف إلى ذلك بعض الخضر الصيفية . ويزرع في المنطقة من الحبوب القمح والشعير وبعض البقول .

أما الثروة الحرجية في المنطقة فبسيطة . وقد عانت من الاستعمال الجائر في سنوات الحرب العالمية الأولى . ولا توجد الأحراج الآن إلاّ في بقع متفرقة حول الأديرة وبعض مناطق التحريج .

د ـ البناء والمباني الأثرية : في المدينة طرازان معماريان مختلفان ، الأول قديم في البلدة القديمة حيث القباب والجدران السميكة المصنوعة من الحجر الكلسي ، والأبواب والشبابيك على شكل الأقواس . وتلتصق هذه البنايات بعضها ببعض مقسمة البلدة القديمة إلى حارات متراصّة ذات شوارع ضيقة . وكان هذا هو الشكل الأمثل لتأمين الدفاع عن المدينة والأحياء قديماً . أما الطراز الثاني فهو الطراز الحديث في مناطق السكن الجديدة . ويتكون البناء فيه من الحجر المنحوت من الخارج والإسمنت من الداخل . والشبابيك والأبواب مستطيلة الشكل ، والسقف مسطح . وشكل البناء السائد هو البيوت المستقلة ذات الطبقة الواحدة . وقد بدأ حديثاً بناء عمارات من طبقات متعددة .

وبيت لحم وضواحيها غنية بالآثار وأهم هذه الآثار المعمارية كنيسة المهد أقدم كنيسة في العالم .

هـ ـ المستوى الثقافي : نالت بيت لحم قسطاً وافراً من التعليم منذ زمن بعيد ، إذ أقيمت أولى المدارس فيها منذ أكثر من ١٠٠ عام . ويعود ذلك إلى الطابع الديني الغالب على المدينة الذي أدّى إلى وجود الإرساليات والأديرة التي أقامت المدارس الخاصة من زمن بعيد . وقد وصل عدد طلبة المدارس فيها عام ١٩٧٨ إلى ٨,٣٠٠ طالب ، أو ما يزيد على ٣٤٪ من سكان المدينة . ويدرس هؤلاء في ٢١ مدرسة . أما القفزة الرئيسة في التطور التعليمي في المدينة فكانت افتتاح جامعة بيت لحم * عام ١٩٧٣ ، وقد بلغ عدد طلابها عام ١٩٧٨ نحو ٧٥٠ طالباً يدرسون في كلية العلوم (أقسام الكيمياء والرياضيات والأحياء) ، وفي كلية الآداب (أقسام اللغة العربية واللغة الانكليزية وعلم الاجتماع وعلم النفس والخدمة الاجتماعية) ، وكلية التمريض ، وكلية المعلمين ، ومعهد الفنادق . وعدد المدرّسين في الجامعة ٦٤ مدرساً ، ويطبق فيها نظام الساعات المعتمدة . وتساهم جامعة بيت لحم مع غيرها من المؤسسات التعليمية العالية في الضفة والقطاع بإعداد المتعلمين اللازمين للبلاد ، وهي بذلك تحدّ من عملية إفراغ الأراضي الفلسطينية منهم .

و ـ الخدمات الصحية : وهي متطورة في المدينة بشكل عام . وبيت لحم من أقدم المدن الفلسطينية التي وجدت فيها المشافي . ففي المدينة ٣ مستشفيات يصل عدد الأسرّة فيها إلى ٢٣١ سريراً ، ويعمل فيها ٢٨ طبيباً يضاف إليهم ١٩ طبيباً لهم عياداتهم الخاصة و٨ صيدليات .

المراجع :

ـ مجير الدين الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، النجف ١٩٦٨

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ مرمرجي الدومينيكاني : **بلدانية فلسطين العربية** ، بيروت ١٩٤٨ .

ـ وليد مصطفى : **مدينة بيت لحم ـ دراسة إقليمية** ، دمشق ١٩٦٥

ـ المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن ١٨٧٧ .

ـ ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، بيروت ١٩٥٧ .

— **Encyclopedia Britannica.**

— Hamilton R.W.: **The Church of the Nativity - Bethlehem,** Jerusalem 1947.

— Perowne, S.: **Jerusalem and Bethlehem,** London 1965.

بيت لحم (جامعة ـ) :

أنشئت جامعة بيت لحم عام ١٩٧٣ . وكان تأسيسها استجابة من الفاتيكان * لحاجات أبناء الضفة الغربية ، وتعبيراً عن الوقوف إلى جانبهم ورغبة في مساعدتهم في محنتهم . فقد أراد الفاتيكان أن يساهم في إيقاف هجرة الشباب الذين لا تتاح لهم فرص التعليم العالي على أرضهم المحتلة .

جاء في أول كتاب نشرته جامعة بيت لحم عن أهدافها ما يلي :

" إن هدف جامعة بيت لحم في أوسع المعاني هو خدمة السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بحيث تكون مركزا للتعليم والرقي ، والمحافظة على المعرفة ونشرها واستعمالها . إن أعظم مطمح للجامعة هو إشباع العقل البشري بالمعرفة على أساس من التفاهم والرؤية الأخلاقية والمبادىء العظيمة التي يجلّها العالم قاطبة أعظم إجلال .

" وتهدف الجامعة ، على وجه محدد ، إلى تزويد الضفة الغربية وقطاع غزة بمركز للدراسات العليا يسهل الوصول إليه بالنسبة للطلبة الناشئين ، معقد الآمال ، مما يتيح لهم الحصول على التعليم العالي بمستويات جيدة بدون الحاجة إلى السفر للخارج . كما أن من أهداف الجامعة وصل الأجيال الناشئة بتراثنا وحضارتنا الزاهية التي ينبغي الحرص عليها والارتباط بالماضي المشرق الوّضاء . فنحن أمة بماضيها العريق ، وليس الحاضر إلاّ امتدادا للماضي وطريقا للمستقبل " .

تقع جامعة بيت لحم على القمة الشمالية من المدينة حيث كانت مدرسة ثانوية للفرير سابقا ، وهي على بعد ثمانية كيلومترات جنوب القدس * . وقد استعمل البناء القديم من مدرسة الفرير للإدارات ولكلية الآداب ، وأنشىء مبنى جديد لكلية العلوم ، ومبنى آخر للمكتبة التي تحوي حتى الآن مئة ألف كتاب . لكنها ما زالت تعاني نقصاً في الكتب العربية لصعوبة وصول هذه الكتب إلى الجامعة . وقد أصلح القبو ليكون مدرسة فندقية تعدّ الطلاب مدة ثلاث سنوات للقيام بمختلف الخدمات الفندقية .

تضم جامعة بيت لحم الآن كلية الآداب ، وكلية إدارة الأعمال ، وكلية العلوم ، ومعهد إدارة الفنادق . وفي كلية الآداب قسم اللغة العربية وقسم اللغة الإنكليزية وقسم العلوم الاجتماعية . وفي كلية العلوم قسم الرياضيات وقسم الفيزياء وقسم الأحياء وقسم الكيمياء وقسم التمريض . ومن المواضيع العامة الأخرى التي توفر الجامعة دراستها أيضا : الدراسات الثقافية والتربية واللغة الفرنسية واللغة الإيطالية واللغة الألمانية واللغة الإسبانية واللغة العبرية والتاريخ والعلوم السياسية والفلسفة واللاهوت وعلم المكتبات والموسيقى والفن . وفي جميع الأقسام المذكورة تمنح الجامعة درجة « البكالوريوس » بعد أربع سنوات دراسة . وتقسم السنة إلى فصلين ، ويتّبع في كل فصل نظام الساعات المعتمدة . ونظام القبول في الجامعة يشبه نظام القبول في الجامعات الأردنية ؛ فيقبل الطالب إذا كان حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية العامة الأردنية أو ما يعادلها بناء على معادلة تصدر من وزارة التربية والتعليم الأردنية . وقد أخذت وزارة التربية والتعليم الأردنية تصادق على شهادات الجامعة بعد انضمامها إلى اتحاد الجامعات العربية .

عدد طلابها محصور لضيق الأمكنة ، ولسياسة الجامعة التي تودّ أن تتقدم ببطء ريثما تصوغ تقاليدها . وقد بلغ عدد الطلاب في العام الدراسي ١٩٨١/١٩٨٢ ألفا ومئتي طالب وطالبة موزعين على مختلف الكليات والأقسام . وفي تخطيط الجامعة أن تبقى جامعة صغيرة الحجم للتنسيق والتعاون مع سائر الجامعات في الضفة الغربية ذات الإمكانات ، والمدعوة لخدمة قطاع أكبر من أبناء الضفة . وبلغ عدد المعلمين فيها هذا العام ١٢٠ معلما ومعلمة متفرغا وغير متفرغ .

يترأس الجامعة الآن (١٩٨٠) الأب الدكتور ميشيل صباح من كهنة البطريركية اللاتينية العاملين في فلسطين وشرق الأردن ، وهو من الناصرة * فلسطيني الأصل والنشأة . ويشترك في إدارة الجامعة معه مجموعة من رهبان الفرير الذين أوفدهم الفاتيكان لتأسيس الجامعة وإدارتها بالتعاون مع أبناء الضفة الغربية أنفسهم ، ومجلس أمناء يتكون من رؤساء بلديات بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وعدد من رجال العلم في منطقة بيت لحم .

بلغ عدد خريجي الجامعة حتى الآن خمسة أفواج و١٤٦ طالبا وطالبة . وقد عمل ٧٠٪ منهم في الضفة الغربية ، ومعظمهم في مجال التعليم . و٣٠٪ منهم تركوا البلاد لمتابعة التعليم العالي أو للعمل . و٢٠٪ من هؤلاء يعملون في البلاد العربية ، وهما ما زالوا مرتبطين بالوطن يعودن إليه دائما .

وفي الجامعة ناد للخريجين يحاول أن يوثق اتصالاته بجميع الخريجين ليوجّههم إلى خدمة الوطن والأمانة له . وفي الجامعة أيضا مجلس للطلبة يتم انتخاب أعضائه كل سنة، وبه يتم تنسيق العمل والتعاون مع إدارة الجامعة .

بيت لحم (سجن ـ) : رَ : السجون الإسرائيلية

بيت لحم (مذبحة ـ) :

في ١٩٥٢/١/٦ ، ليلة ذكرى ميلاد السيد المسيح عند الطوائف المسيحية الشرقية ، نسفت دورية إسرائيلية مؤلفة من

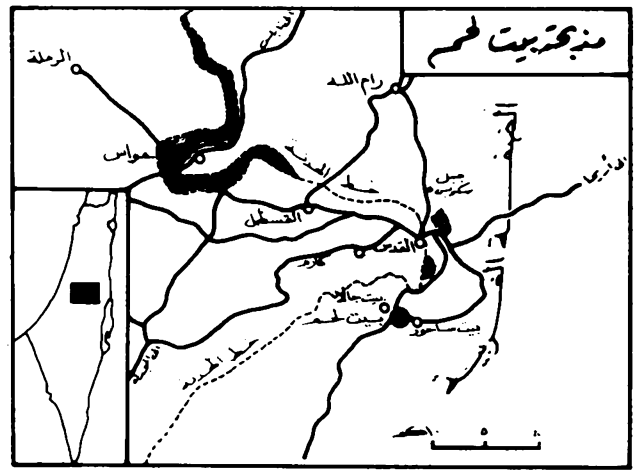

ثلاثين جنديا منزلا قريبا من قرية بيت جالا * على بعد ٢ كم من بيت لحم *. وأدّى ذلك إلى استشهاد صاحب المنزل وزوجته .

في الوقت نفسه اقتربت دورية أخرى من منزل آخر على بعد كيلومتر واحد شماليّ بيت لحم قريبا من دير الروم الأرثوذوكس في مار إلياس وأطلقت هذه الدورية النار على المنزل وقذفته بالقنابل اليدوية ، فاستشهد صاحبه وزوجته وطفلان من أطفاله ، وجرح طفلان آخران .

ودخلت دورية إسرائيلية ثالثة في الليلة ذاتها الأرض المجردة من السلاح في قطاع اللطرون ، واجتازت ثلاثة كيلومترات إلى أن أصبحت على بعد خمسمائة متر من قرية عمواس * ، فأمطرتها بنيران غزيرة . وجرح بنتيجة ذلك قائد الحرس الوطني .

المراجع :

ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ على مصر ، القاهرة ١٩٥٧

ـ علي محمد علي وإبراهيم الحمصاني : إسرائيل قاعدة عدوانية، القاهرة ١٩٦٤ .

بيت لِقْيا (العدوان الإسرائيلي على ـ) :

تقع قرية بيت لقيا جنوب غربي مدينة رام الله * ، وقد تعرضت لعدوان شنته القوات العسكرية الإسرائيلية النظامية في ١٩٥٤/٩/١ .

ففي الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم تحركت قوة عسكرية إسرائيلية تقدر بكتيبة مشاة معززة بوحدات مهندسين عسكريين واجتازت خط الهدنة مع الأردن ، ثم توزعت على أقسام ثلاثة : كلف القسم الأول مهمة قطع الطريق الممتدة بين قريتي دير قديس وبيت سيرا لمنع وصول النجدات عبره في حين تولى القسم الثاني مهمّة مماثلة على طريق بيت سيرا وبيت نوبا * ، أما القسم الثالث وهو الأكبر حجما وقوة فقد اتجه نحو قرية بيت لقيا نفسها .

بدأ الهجوم بقصف القرية بعنف فهب المسلحون من السكان بالتعاون مع حرس القرية للدفاع وتصدوا للمهاجمين وخاضوا معركة عنيفة رغم قلة عددهم . وقد عززتهم دورية من الجيش الأردني كانت على مقربة من المنطقة ، مما زاد في شدة المقاومة .. واتسع نطاق المعركة حتى شمل الأراضي الواقعة بين وادي الملوك وبيت نوبا وبيت لقيا .

ومع احتدام القتال ووصول أنبائه إلى القرى المجاورة تحركت قوة من الجيش الأردني نحو ساحة المعركة عبر طريق بيت عور التحتا ـ بيت لقيا ولكن قائد الهجوم الإسرائيلي الذي كان قد توقع مثل هذا الموقف عمل مسبقا على قطع هذه الطريق بالألغام ، ووضع الكمائن في نقاط مختلفة منها ، لذلك ما إن وصلت سيارات القوة العسكرية الأردنية إلى موقع الكمين الأول حتى انفجر لغم أدى إلى انقلابها ، فقفز منها الجنود فتلقتهم نيران عناصر الكمين ، مما أدى إلى استشهاد وجرح عدد منهم . ولم تتمكن باقي القوة من متابعة مسيرها بسبب اشتباكها مع الكمائن المنتشرة في المنطقة التي استفادت من الظلام للاختفاء .

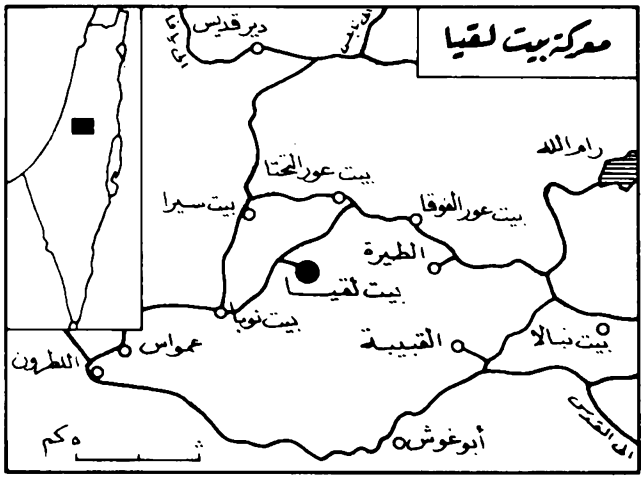

تابعت القوة الإسرائيلية مهاجمة بيت لقيا ، ولم يكن في القرية ما يكفي من الرجال والسلاح والذخائر لصدّ مثل هذا الهجوم الكبير المنظم . وعلى الرغم من ذلك استمرت عمليات المقاومة العنيفة ولم يتمكن المعتدون من الاستيلاء على القرية . ولما طال أمد القتال أصدرت القيادة الإسرائيلية أمرا لقوتها بالتراجع إلى قواعدها .

أدّى حرس القرية وسكانها بدفاعهم المستميت دورا هاما في الحد من مدى الأضرار التي كان يمكن أن تنزل بالقرية .

وفي اليوم التالي قام مراقبو الأمم المتحدة بالتحقيق في الحادث ، وحاولوا متابعة عملهم واستكمال تحرياتهم داخل الأراضي المحتلة ، ولكن السلطات الإسرائيلية منعتهم ذلك مدعية أن من قام بالعملية هم حرس المستعمرات الحدودية لا الجيش النظامي ، رغم أن الأدلة كانت تثبت أن المعتدين كانوا قوة عسكرية نظامية .

ودعا رئيس لجنة الهدنة الأردنية ـ الإسرائيلية المشتركة إلى اجتماع لبحث العدوان إلّا أن (إسرائيل) لم ترسل ممثلاً لها لحضوره ليقينها بأن التحقيق سيدينها .

المراجع :

ـ علي محمد علي وإبراهيم الحمصاني : **إسرائيل قاعدة عدوانية** ، القاهرة ١٩٦٤ .
ـ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية : **اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ على مصر** ، القاهرة ١٩٥٧

بيت ليد (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ١٨ كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة طولكرم * . وتربطها بها طريق معبدة عبر قرى سفارين وشونة * ، وتربطها طرق معبدة فرعية أخرى بقرى رامين ودير شرف وكفر قدوم وكور وكفر اللبد .

تقوم بيت ليد فوق قمة تلّ عند الأقدام الغربية لجبال نابلس * يرتفع نحو ٤٣٥ م عن سطح البحر . وينحدر تل بيت ليد انحدارا شديدا نحو الجنوب حيث تنتشر التربة السمراء والتربة البنية الحمراء في الجهة الجنوبية من التل ، في حين ينحدر انحداراً تدريجيا في الجهتين الشمالية الغربية والشمالية حيث تنتشر التربة البيضاء (رَ : التربة) . ويمتد جبل القعدة في الجهة الشمالية الغربية ، وجبل رأس الشامي في الجهة الشمالية من البلدة ، في حين يمتد جبل رأس الصعيدي (٤٣٨ م) في الجهة الشرقية . وسطح الأرض في بيت ليد نفسها مغطى بتربة سمراء .

تتألف البلدة من بيوت مبنية بالحجر والإسمنت ، وهي مكتظة في شكلها العام ، وبخاصة المباني القديمة التي لا يفصل بينها في وسط البلدة سوى أزقة ذات شكل دائري أو شبه دائري . لذا فإن مخطط البلدة دائري شعاعي تتقاطع فيه الشوارع الضيقة المتفرعة من وسط البلدة نحو أطرافها مع الأزقة التي تسير دائرية في الوسط . وقد غطت المباني سطح التل ومنحدراته ، وزحفت في امتدادها العمراني لتتسلق سفوح بعض الجبال المحيطة بتل بيت ليد كالسفوح الجنوبية الشرقية لجبل القعدة ، والسفوح الغربية لجبل رأس الصعيدي . ويسير النمو العمراني للبلدة حاليا على شكل محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة من بيت ليد ، وبخاصة في الجهة الغربية على جانبي طريق سفارين حيث تكاد مباني كل من بيت ليد وسفارين تلتحم بعضها مع بعض . وقد ازدادت مساحة البلدة نتيجة هذا النمو العمراني من ٢٢ دونما في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١٥٠ دونما عام ١٩٨٠ .

لبيت ليد مجلس قروي يشرف على إدارة البلدة وتنظيم شؤونها ، وقد زوّد البلدة بالكهرباء ووفر لها المرافق والخدمات العامة . وتتركز المحلات التجارية في كل من الحي الشرقي والحي الغربي . تشتمل البلدة على مسجد واحد وثلاث مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . ويعتمد السكان في شربهم على مياه الأمطار التي تجمع في آبار خاصة . وفي البلدة ثلاث معاصر حديثة للزيتون ومحلّان للحدادة . وتحتوي بيت ليد على بعض الآثار في الجهتين الجنوبية الغربية والشرقية .

تبلغ مساحة أراضي بيت ليد ١٦,٧٥٣ دونما ، وتزرع فيها مختلف أنواع المحاصيل الزراعية من حبوب * وأشجار مثمرة . وتشتهر سفوح جبل القعدة وجبل رأس الشامي الشرقية والغربية بأشجار الزيتون * واللوز والتين . وتتركز أشجار الزيتون في الأراضي الممتدة بين بيت ليد وسفارين ، وتنمو أشجار الزيتون والتفاح والبرقوق والعنب * فوق قمة جبل رأس الصعيدي . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية . وتصدر كميات من التين واللوز والزيت والزيتون إلى مدينتي نابلس * وطولكرم . وهناك عدد قليل جدا من الأهالي يعملون في تربية الماشية .

كان يقيم في بيت ليد عام ١٩٢٢ نحو ٦٥٣ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٧٣٨ نسمة سكنوا في ١٧١ بيتا . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ٩٦٠ نسمة ، في حين وصل عددهم وفقا لتعداد عام ١٩٦١ إلى ١,٨٠٧ نسمات ، وفيهم عدد من الذين هاجروا من خربة بيت ليد * في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ . ويقدر عدد السكان عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة طولكرم .

بيـت المـال العربي : رَ : المال العربي (بيت ـ)

بيـت مَحْسِيـر (قريـة ـ) :

قرية عربية تبعد ٢٦ كم إلى الغرب من مدينة القدس * . وتصلها طريق ممهدة بكل من طريقي القدس ـ باب الواد ، وبيت جبرين ـ باب الواد ، وتبعد عن الأولى ٥ كم تقريبا ، وعن الثانية ٣ كم تقريبا . وهناك طرق ممهدة أخرى تربطها بقرى ساريس * وكسلة * واشـوع * وعسلين * وديـر أيـوب * والـلطرون وبيت سوسين * .

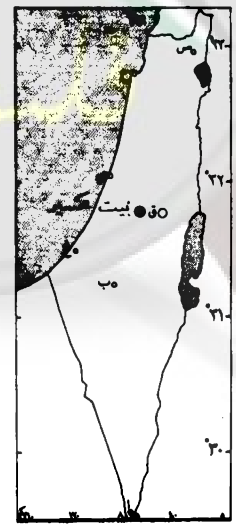

نشأت بيت محسير فوق رقعة عالية نسبيا من جبال القدس * ترتفـع نحو ٥٧٥ ـ ٦٠٠ م عن سـطح البحـر ، وتبـدأ منهـا المجـاري العليـا لبعض الأودية مثل أودية المشامل والشقفان وسهيلة المتجهـة في انحدارهـا نحـو الشمال الغربي لترفد وادي علي الذي تسير فيه طريق القدس ـ يافا . وهنـالك وادي الغراب الذي يبدأ من جنوب بيت محسير متجها نحـو الجنوب ليـرفد وادي اشـوع أحد روافد وادي الصرار .

بنيت بيـوتهـا من الحجـر واللبن ، واتخذ مخططها شكل شبه المنحرف وتتلاصق البيوت في تجمعات تمثل الأحياء الأربعة في القرية . ويخترق وسط القريـة شارع رئيس مـن الشرق إلى الغـرب على جانبيه المحلات التجـارية وبعض المـرافق العامة الأخرى كمسجد القرية ومدرستها الابتدائية . ويوجد مقـام الشيخ أحمد العجمي إلى الشرق من بيت محسير . وقد امتدت المباني في نموها العمراني على شكل محاور بمحاذاة الطرق المتفرعة من القرية والمؤديـة إلى القرى المجـاورة ، وبخاصـة الطريق المؤديـة إلى قريـة ساريس على طريق القدس ـ يافا . وقد أدى النمو العمراني إلى اتساع مساحة القرية حتى بلغت قرابة ٧٧ دونما .

مسـاحة أراضي بيت محسير ١٦,٢٦٨ دونمـا منهـا ٤٠ دونما للطرق * . وجميـع هذه الأراضي ملك للعـرب . وقـد استثمـرت أراضي القـرية في زراعـة الحبوب * والأشجـار المثمـرة ، ولا سيـما الزيتون * والعنب * والفواكه الأخـرى . وتنمو الأحـراج الطبيعيـة بجـوار القريـة ، مما زاد في جمـال المنـطقـة المحيـطة بهـا . وتعتمـد الزراعة * على مياه الأمطار .

كان في بيت محسير عـام ١٩٢٢ نحو ١,٣٦٧ نسمـة ، وازداد العدد في عام ١٩٣١ إلى ١,٩٢٠ نسمـة كانـوا يقيمون في ٤٤٥ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٢,٤٠٠ نسمة .

اعتدى الصهيونيون على بيت محسير في عـام ١٩٤٨ وطـردوا سكانها الآمنين منهـا ودمروا بيـوتهم . ثم أقامـوا مستعمرة « بيت مئير » على أراضيها في عام ١٩٥٠ .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ . بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت نَبَـالا (قرية ـ) :

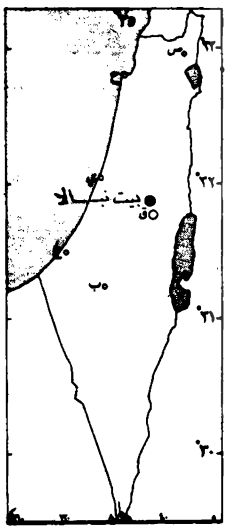

قرية عربية تقع على مسافة ١٥ كم شمالي شرق الرملة * ، وعلى بعد نحو ١١ كم شمالي شرق اللد * أيضـا . يتميز موقعها بأهميتـه لسهولـة اتصالها بالمدن المجاورة كاللد والرملة بطريق معبدة رئيسة . وهي تقع أيضا على مفترق الطريقين المعبدتين الرئيستين المؤديتين إلى الشمال نحـو يـافـا * وحيفا * . وقد أقامت سلطة الانتداب البريطاني بالقرب من نقطة تقاطع هاتين الطريقين معسكراً للجيش البريطاني . ويـرتبط خط سكة حديد رفـح ـ حيفا بوصلة فرعية مع بيت نبالا ، مما يزيد في أهمية موقع القرية . وهناك دروب ممهدة تصل بيت نبالا بقرى دير طريف * وبدرس والحديثة * وجنداس .

نشأت قرية بيت نبالا فـوق رقعة منبسـطة في الطرف الشـرقي للسهـل الساحـلي * الأوسـط ترتفـع ١٠٠ م عن سطح البحـر . وتنحصر بين وادي شاهين جنـوبا وأحـد روافده شمـالا ، لذا فـإن النمو العمراني لبيت نبالا كان يتجه نحو الغرب والشـرق بعـد أن وصل امتداد القرية شمالا وجنوبا إلى ضفتي الواديين . واتخذ مخطط القرية التنظيمي شكل المستطيـل تعامد فيـه الشارعـان الرئيسـان وسط القرية ، وتوازت بقية الشوارع الأخرى مـع هذين الشـارعين الممتـدين إلى أطراف القـرية . اشتمـل وسط بيت نبالا عـلى سوق صغيرة تضم بعض المحلات التجارية ، إلى جانب مسجد القـرية ومـدرستها الابتـدائية التي تـأسست عام ١٩٢١ . وفي أواخـر فترة الانتداب وصلت مساحة بيت نبالا إلى ١٢٣ دونمـا معظمها بيوت القرية التي شيدت باللبن والحجر .

كانت مساحة أراضي بيت نبالا ١٥,٠٥١ دونما ، وجميعها ملك لأهلها العرب ، منها ٤٦٨ دونما للطرق * والأودية . وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها التي تنتمي إلى تربة البحر المتوسط الطَفَلية الحمراء (رَ : التربة) ، وبتوافر المياه الجوفية فيها . وتزرع فيها معظم المحاصيل الزراعية من حبوب * وخضر * وأشجار مثمرة . وشغلت أشجار الزيتون * أكبر مساحة في الأرض الزراعية (٢,٦٨٠ دونماً) ، تلاها في ذلك القمح * والحمضيات * (٢٢٦ دونماً) ثم العنب* والتين وغيرها . واعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار التي تهطل بكميات سنوية كافية ، بالإضافة إلى مياه الآبار * التي تروي البساتين . وأحاطت المزارع بالقرية من معظم جهاتها باستثناء الجهة الغربية والجنوبية الغربية .

بلغ عدد سكان بيت نبالا في عام ١٩٢٢ نحو ١,٣٢٤ نسمة، وازداد في عام ١٩٣١ إلى ١,٧٥٨ نسمة كانوا يقيمون في ٤٧١ بيتا ، وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ٢,٣١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ قام الصهيونيون باحتلال بيت نبالا وأجلوا سكانها منها ودمروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٤ ، ق٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة اللد .

بيت نَتّيف (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمالي غرب مدينة الخليل * بين صوريف * وزكريا * . وتبعد كيلومتراً إلى الشمال من طريق بيت جبرين ـ بيت لحم المعبدة . وترتبطها طرق ممهدة بعجّور * وزكريا وجرش * وعلّار * وصوريف وبيت نوبا* وبيت عطاب * ودير أبان * .

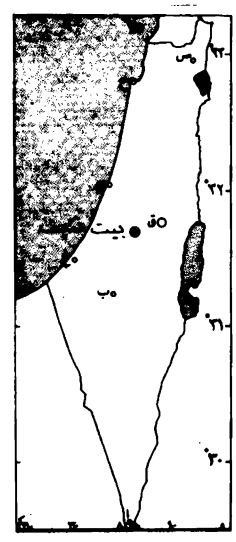

نشأت بيت نتّيف في رقعة جبلية من جبال الخليل * ترتفع ٤٢٥ م عن سطح البحر . وتبدأ المجاري العليا لوادي بولس والسمط من طرفيها الشمالي والجنوبي على التوالي ، ثم يتجه وادي بولس شمالا ليرفد وادي الصرار ، ويتجه وادي السمط غربا ليرفد وادي زكريا . تألفت مباني القرية من الحجر ، واتخذ مخططها شكل النجمة فامتدت القرية في جهات متعددة عبر نموها العمراني ، ولا سيما نحو الجنوب والشمال والغرب . وتتكون القرية من أحياء شبه منفصلة ، ومن شبكة شوارع واسعة نسبيا . وفيها جامع ومدرسة ابتدائية ومقامات أهمها مقام الشيخ إبراهيم . وتشتمل أيضاً على بعض الدكاكين في كل حي من أحيائها . ويشرب الأهالي من مياه ثلاث آبار في أطراف القرية . وتحتوي بيت نتّيف على آثار متنوعة ، وهي محاطة بالخرب الأثرية مثل أم الروس والنبي بولس والبرج والعبد والشيخ غازي والتبانة غرابة وأم الذياب وزانوح (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

مساحة أراضي بيت نتّيف ٤٤,٥٨٧ دونما كانت تزرع فيها الحبوب والخضر والأشجار المثمرة كالعنب * والزيتون * . واعتمدت الزراعة * على مياه الأمطار . وتنمو بعض الأشجار الحرجية والشجيرات والأعشاب الطبيعية في الأراضي المرتفعة والوعرة ، وكانت تستغل لرعي المواشي .

ارتفع عدد سكان بيت نتّيف من ١,١١٢ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٢,١٥٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون بيت نتّيف وطردوا سكانها العرب منها ودمروها ، ثم أقاموا على أنقاضها في عام ١٩٤٩ مستعمرة « نتيف هالامْده » . وفي عام ١٩٥٠ أقاموا مستعمرة « زانوح » على موقع خربة زانوح . وفي عام ١٩٥٨ أقاموا مستعمرة « افيعيزر » على أراضي بيت نتّيف أيضا .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥، ق ٢، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجّور .

بيت نَقُّوبا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع على بعد ١٣ كم إلى غرب الشمال الغربي من مدينة القدس * على الجانب الشمالي من طريق القدس ـ يافا الرئيسة المعبدة . وترتبطها طرق ممهدة بقرى بيت سوريك والقسطل * وأبو غوش وصوبا * وخربة العمور * .

نشأت بيت نقّوبا فوق الأقدام الجنوبية لجبل باطن السيّدة (٨٨٠ م) أحد جبال القدس * . وترتفع نحو ٦٧٥ م عن سطح البحر . ويمر وادي الخراب ، وهو المجرى الأعلى لوادي كسلا ، بشرقها في حين يجري وادي بيت نقّوبا غربيها متجها نحو الجنوب ليرفد وادي الغدير .

بنيت معظم بيوتها من الحجر ، واتخذ مخططها شكلا مستطيلا . واتجه نموها العمراني من الشمال إلى الجنوب . وبالرغم من امتدادها النسبي لم تتجاوز مساحتها ٩ دونمات في عام ١٩٤٥ . وضمت القرية بعض البيوت والدكاكين ، وكان أهلها يشربون من مياه عين الماصي في طرفها الشرقي . وتناثرت حول القرية بعض الخرب مثل خربة المران وخربة الراس .

تبلغ مساحة أراضي بيت نقوبا ٢,٩٧٩ دونما منها ٧٠ دونما للطرق * و٩٥١ دونما امتلكها الصهيونيون . وتوجد في أراضيها بساتين العنب * والزيتون * التي يتركز معظمها في الجهة الغربية وفي قيعان الأودية حيث تُروى من مياه العيون . وتنمو النباتات الطبيعية * على سفوح المنحدرات الجبلية .

كان في بيت نقوبا عام ١٩٢٢ نحو ١٢٠ نسمة زادوا في عام ١٩٣١ إلى ١٧٧ نسمة كانوا يقيمون في ٤١ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٢٤٠ نسمة .

اعتدى الصهيونيون على القرية في عام ١٩٤٨ واحتلوها وطردوا سكانها منها ودمروا بيوتهم ، وأقاموا في عام ١٩٤٩ مستعمرة « بيت نقوفا » على أنقاض القرية العربية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج٨، ق ٢، بيروت ١٩٧٤ .

ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة القدس .

بيت نُوبا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجهة الجنوبية الشرقية من مدينة الرملة * . ضُمت إداريا إلى قضاء رام الله بالضفة الغربية بعد أن نجت مع ١٤ قرية عربية أخرى من الاحتلال الإسرائيلي في مرحلة الاغتصاب الأولى عام ١٩٤٨ .

كانت بيت نوبا في العهد الروماني قرية من أعمال اللد اسمها بيت عنابة ، ودعتها المصادر الإفرنجية « بيت نوبي » . يتميز موقعها الجغرافي بأهميته الإستراتيجية منذ العصور التاريخية القديمة ، وذلك لإشراف القرية على طريق القدس ـ يافا . فهي ترتفع نحو ٢٥٠ م عن سطح البحر ، وقد شيد الصليبيون فيها حصنا لتأمين طريق الحجاج بين يافا والقدس ، وأقام ريشار قلب الأسد معسكرا لجيشه فيها . وكان صلاح الدين الأيوبي * يحرص على النزول في بيت نوبا أثناء تنقلاته إلى القدس للوقوف على الأعمال الدفاعية التي يقوم بها رجاله ضد الصليبيين . وتعدّ منطقة بيت نوبا البوابة الشمالية الغربية للقدس تحميها من أخطار المعتدين . وكان للجيش الأردني بعض النقاط الدفاعية في المنطقة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ . وبعد أن احتلت (إسرائيل) الضفة الغربية عام ١٩٦٧ طردت سكان بيت نوبا من قريتهم ودمرتها تدميرا كاملاً لإقامة معسكرات للجيش الإسرائيلي فيها .

نشأت بيت نوبا فوق الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . وكانت بيوتها المندمجة مبنية من الطوب والحجر . وقد تطور نموها العمراني بعد الحرب العالمية الأولى فتوسعت القرية بمبانيها فوق رقعة بلغت مساحتها في أواخر عهد الانتداب نحو ٧٤ دونما ،

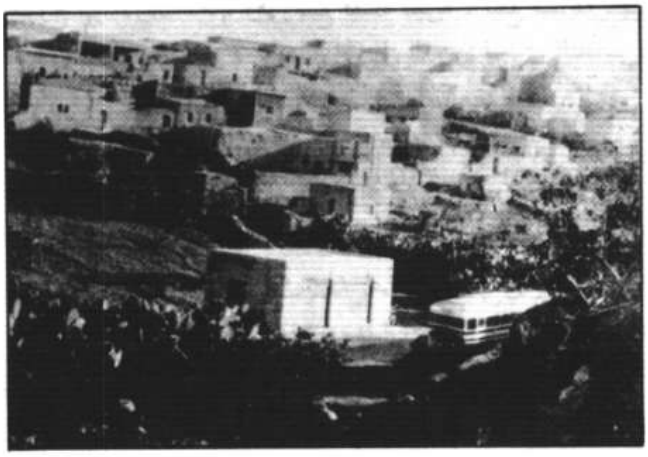

واستوعبت أكثر من ٣٠٠ منزل . ثم امتدت بيت نوبا فوق أكثر من ١٠٠ دونم قبيل تدمير (إسرائيل) إياها . وزاد عدد سكانها من ٨٣٩ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ٩٤٤ نسمة عام ١٩٣١ ، وإلى ١,٢٤٠ نسمة عام ١٩٤٥ ، وإلى ١,٣٥٠ نسمة عام ١٩٦١ . ويعود سكانها في أصولهم إلى الأكراد الذين نزلوا فلسطين خلال الحروب الصليبية . وقد ضمت بيت نوبا مسجدا ومدرسة ابتدائية للبنين بلغ عدد طلابها في العام الدراسي ١٩٦٧/٦٦ نحو ١٧٢ طالبا ، ثم مدرسة ابتدائية أخرى للإناث ضمت في العام المذكور ١١١ طالبة .

بلغت مساحة أراضي بيت نوبا وعجنجول * التابعة لها ١١,٤٠٠ دونم منها ١٨ دونما للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئا . وكانت هذه الأراضي تزرع حبوبا * وبقولا وأشجاراً مثمرة ، وبخاصة أشجار الزيتون * التي شغلت مساحة

٤٦٤ دونما . وكان أهالي بيت نوبا يشربون من بئر قديمة عمقها نحو ٧٠ م بالإضافة إلى بعض الآبار التي تجمع فيها مياه الأمطار . وتحيط بالقرية خرب أثرية ذات أهمية تاريخية إلى جانب الآثار الموجودة في بيت نوبا نفسها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ **الوقائع الفلسطينية** : ١٤٩٩ ، ١٦١٢
ـ **مجلة العربي** : العدد ١٨٣ ، الكويت .
ـ سعيد عبد الفتاح عاشور : **الناصر صلاح الدين** ، القاهرة ١٩٦٥

بيت يريح :

أو بيت راح ، بلدة قديمة في فلسطين كانت تقوم في بقعة خربة الكرك اليوم ، تقع على الشاطىء الجنوبي لبحيرة طبرية * عند خروج نهر الأردن * منها وهي تتبع قضاء طبرية ، تبلغ مساحة تلّها الأثري حوالي هكتارين . تعود تاريخيا إلى الدور الحجري النحاسي المتأخر (حوالي ٣٢٠٠ ق.م.) عرفت في العهد الكلاسيكي (اليوناني الروماني) باسم فيلوتيريا *Philoteria* ، وهي معروفة بفخارها المتميز بأنه مدهون باللون الأحمر أو الأسود ، وفي بعض الأحيان مزخرف . ويذهب بعضهم إلى القول إن أسلوب هذه الزخارف ربما أدخله شعب جديد قدم إلى المنطقة حوالي ٢٥٠٠ ق.م. .

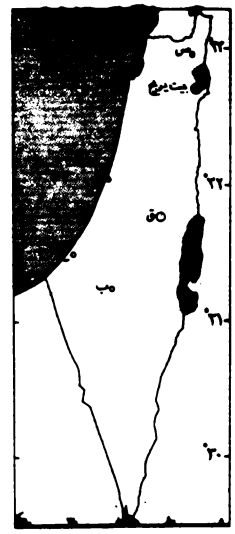

جرت تنقيبات أثرية في هذا المكان في الفترة ما بين ١٩٤٤ و ١٩٤٦ فأثبتت وجود بيوت سكنية دائرية ، ومجموعة من الكسر الفخارية ذات اللون الرمادي والأسود المصقول والأصداف من الدور الحجري النحاسي المتأخر (رَ : العصور القديمة) . كذلك أمكن التعرف على سويات من العصر البرونزي المبكر *I* (السوية الثانية) والعصر البرونزي المبكر *II* (من السوية الثالثة) والعصر البرونزي المبكر *III* (من السوية الرابعة) . وتعتبر هذه الفترة أطول الفترات في بيت يريح ، ويعود إليها فخار خربة الكرك المشهور . هُجر المكان بعدئذ ولم يتم استيطانه مجددا إلا في العصر الهلنستي * . ومن مخلفات هذا العصر بقايا شارع مع عدد من الأبنية . وقد لاحظ المنقبون وجود طبقات من الحصى التي تخلفها الفيضانات عادة تراوح سماكتها بين ٥ و١٠ سم . ويبدو أن السكان كانوا يهجرون المدينة عند كل فيضان ثم لا يلبثون أن يعودوا إلى المكان من جديد . واتخذ الرومان بعد العصر الهلنستي المكان معسكرا ، وأقيمت في العهد البيزنطي المبكر بعض الحمامات ، كذلك استوطن العرب الموقع في فتراتهم المبكرة .

أقام الصهيونيون اليوم في المكان مدرسة زراعية ومركزا ثقافيا ومؤسسة بحوث .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج١ ق١ ، وج ٦، ق ٢، بيروت ١٩٧٣ و١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : **بلدانية فلسطين المحتلة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧** ، بيروت ١٩٦٨ .
— Baramki.: O.C.: **The Art and Architecture of Ancient Palestine,** Beirut 1969.
— **Illustrated Dictionary of Archaeology,** London 1977.

بيتار : رَ : المنظمة الصهيونية الجديدة

بِيتُونْيَا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على بعد نحو ٣ كم إلى الجنوب الغربي من رام الله * . وتمر طريق رام الله ـ غزة بطرفها الشرقي ، وترتبط بالقرى المجاورة بطرق فرعية .

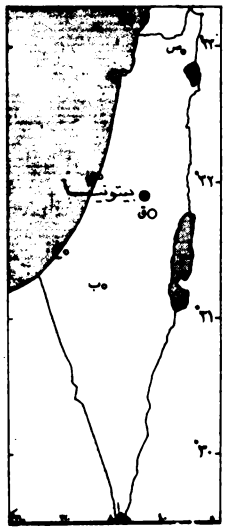

نشأت بيتونيا فوق رقعة جبلية من مرتفعات رام الله تعلو ٨٠٠ م عن سطح البحر . وتبدأ إلى الغرب منها المجاري العليا لوادي الملاقي الذي يتجه نحو الغرب . وتتألف البلدة من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت والطوب . ويتخذ مخططها الشكل الدائري أو شبه الدائري الشعاعي الذي تتفرع فيه الشوارع من قلب البلدة ملتقية مع الشوارع الدائرة حول وسطها . وتشتمل البلدة على محلات تجارية وبعض المرافق العامة ، ففيها جامع قديم أدخل عليه كثير من التحسين والترميم ، وفيها من المزارات مقام السيدة نفيسة داخل أحد مساجد البلدة ، وفيها مقام

أبي زيتون داخل مسجد أقيم على جبل عال في الجهة الغربية من البلدة . وتضم بيتونيا مدرستين للبنين والبنات للمرحلتين الابتدائية والإعدادية ، والبلدة موقع أثري يحتوي على بناء متهدم من القرون الوسطى ، وعلى أرض مرصوفة بالفسيفساء ، وعلى مغاور ، وبرك ، وصهاريج منقورة في الصخر ، ومعصرة زيتون ، وقطع أعمدة وغيرها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

امتدت البلدة في توسع عمراني واضح خلال السنوات الثلاثين الأخيرة فازدادت مساحتها من ٧٧ دونما في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ٣٠٠ دونم في عام ١٩٨٠ . ويأخذ نمو البلدة اتجاها شماليا غربيا ـ جنوبيا شرقيا ، لكن بعض الأهالي أقاموا لهم بيوتا متناثرة وسط بساتينهم في الجهتين الشمالية والجنوبية من البلدة .

تبلغ مساحة أراضي بيتونيا ٢٣,٣٦٦ دونما منها ١٢٥ دونما للطرق * و٩٥ دونما تملكها الصهيونيون . وتحيط الأراضي الزراعية بالبلدة ، وتزرع فيها الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة التي تحتل مساحة كبيرة من هذه الأراضي ، وفي مقدمتها أشجار الزيتون * التي تشغل أكثر من ٢,٥٠٠ دونم ، تتلوها أشجار التين والعنب * والتفاح وغيرها من الفواكه . ويعتمد السكان في الشرب والزراعة على الأمطار . كذلك يستفاد من مياه الينابيع والآبار . وتوجد نحو سبعة ينابيع في أطراف البلدة ، أشهرها عين جريوت ذات المياه المتدفقة الغزيرة .

بلغ عدد سكان بيتونيا في عام ١٩٢٢ نحو ٩٤٨ نسمة ،وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٢١٣ نسمة كانوا يقيمون في ٢٧٧ بيتا . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٤٩٠ نسمة . وفي تعداد ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٢,٢١٦ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٥,٠٠٠ نسمة . ويهاجر بعض شباب البلدة إلى أمريكا للعمل فيها ، ويقيم معظمهم في مدينة شيكاغو .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بيدس : رَ : **خليل إبراهيم بيدس**
رَ : **يوسف بيدس**

بئر : رَ : **الآبار**

بير حيل : رَ : **غزة (وادي ـ)**

بير زيت (بلدة ـ) :

بلدة عربية تقع على مسافة ١١ كم إلى الشمال من رام الله * ، وهي عقدة مواصلات هامة ، إذ ترتبط بمدينتي نابلس* ورام الله بطرق معبدة من الدرجة الأولى ، وترتبط بالقرى العربية المجاورة بطرق ثانوية معبدة .

أقيمت بير زيت فوق رقعة متموجة من الأرض الجبلية لمرتفعات رام الله تعلو نحو ٧٧٥ م عن سطح البحر . وقد أنشأتها جماعات من العرب قدموا من مناطق الكرك والقدس وغزة. وقد أقام هؤلاء في بداية الأمر في موقع خربة بير زيت على رأس جبل يرتفع ٨١٨م عن سطح البحر ، ثم انتقلوا إلى موضع بير زيت الحالي ، وأقاموا بيوتهم وسط بساتين أشجار الزيتون * حيث قامت صناعة زيت الزيتون التي أعطت البلدة اسمها الحالي . وقد بنى الصليبيون قلعة حصينة لهم في خربة بير زيت لا تزال آثارها باقية إلى اليوم ، بالإضافة إلى المخلفات الأثرية في الخربة كالجدران والعقود المتهدمة والصهاريج والمدافن المنقورة في الصخر (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

تتألف بير زيت من بيوت حجرية تجمع في طرازها بين القديم التقليدي والحديث العصري . ويتخذ مخطط البلدة شكل المستطيل ، ويشتمل على شبكة شوارع مستقيمة ومعبدة . ويتجه النموّ العمراني لبير زيت نحو الغرب بصفة عامة . وقد توسعت البلدة خلال السنوات الأخيرة ، وامتدت مبانيها فوق رقعة واسعة تتجاوز مساحتها ٨٠٠ دونم . وساهم في عمرانها أبناؤها المغتربون الذين يرسلون الأموال إلى ذويهم ، كما ساهم وجود جامعة بيرزيت * في ازدهار الحركة العمرانية والثقافية والتعليمية في البلدة . وقد تأسست كلية بيرزيت الوطنية في عام ١٩٢٤ ، وكانت النواة لجامعة بيرزيت الحالية ، وهي عضو في اتحاد الجامعات العربية .

لبير زيت بلدية تدير شؤونها ، وتوفر المرافق والخدمات العامة لها كالكهرباء والمياه والعيادات الصحية . وفيها مساجد وكنائس وجمعيات خيرية . وتشرب البلدة من ثلاثة ينابيع للمياه في جنوبها وشمالها وعلى بعد يراوح بين ١٥٠ و ٣٠٠م منها . فيها مدارس لكلا الجنسين لجميع المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية . وقد تأسست أول مدرسة للذكور في بير زيت في أواخر القرن الماضي .

ويتميز سكان البلدة بارتفاع مستواهم التعليمي ، إذ بلغت نسبة المتعلمين فيها ٩٠٪ بين الذكور ، و ٥٠٪ بين الإناث .

تملك بير زيت أرضاً مساحتها ١٤,٠٨٨ دونماً ، ويزرع في أراضيها بعض أصناف الحبوب * والخضر * والأشجار المثمرة . وتشغل أشجار الزيتون أكبر مساحة بين الأراضي الزراعية ، تليها في ذلك كروم العنب * وبساتين الفواكه ، كالتين والخوخ والمشمش . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وعلى مياه الينابيع . ففي أراضي البلدة ينابيع كثيرة بعيدة عنها تستعمل مياهها في ري بساتين الخضر والأشجار المثمرة .

كان عدد سكان بير زيت في عام ١٩٢٢ نحو ٨٩٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,٢٣٣ نسمة كانوا يقيمون في ٢٥١ بيتاً . وقدر عددهم في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٥٦٠ نسمة . وفي تعداد عام ١٩٦١ وصل عددهم إلى ٣,٢٥٣ نسمة . ويقدر عددهم في عام ١٩٨٠ بنحو ٧,٠٠٠ نسمة . ويعمل هؤلاء السكان في حرف متعددة كالزراعة والتجارة * والخدمات والبناء والصناعة * . وفيها بعض الصناعات الخفيفة كالغزل والنسيج * والتطريز * والصابون * والزيوت والمشروبات الروحية والمطاحن والمربيات والفواكه المجففة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بير زيت (جامعة ـ) :

أسستها سنة ١٩٢٤ نبيهة ناصر . وكانت أول أمرها مدرسة ابتدائية صغيرة هدفها توفير وسائل التّعليم لأبناء بير زيت * والقرى المجاورة في وقت انعدمت فيه المدارس في تلك المنطقة . واستخدمت المؤسسة بيت والدها مقرّاً للمدرسة . وفي عام ١٩٣٠ تحولت المدرسة إلى ثانوية ، وكانت تعرف باسم مدرسة « بئر زيت العليا » .

في عام ١٩٤٢ أطلق على المدرسة اسم « كلية بير زيت » . وفي عام ١٩٥١ بدأت هذه الكلية تدرس فوق المستوى الثانوي حتى عام ١٩٥٣ حين أضيف إليها أول صف جامعي بفرعيه العلمي والأدبي . وبقي موسى ناصر الذي يعود إليه الفضل في تطوير الكلية رئيساً لها حتى وفاته عام ١٩٧١ . ثم تولى رئاستها الدكتور حنا ناصر .

وبإضافة الصف الجامعي الثاني أصبح بإمكان خرّيجي القسم الجامعي من الكلية الانتقال مباشرة إلى الصفوف العليا في عدد من الجامعات العربية والأجنبية .

ومنذ عام ١٩٦١ عمدت الكلية إلى الغاء الصفوف الابتدائية والإعدادية والثانوية بصورة تدريجية إلى أن تم إلغاء آخر صف ثانوي في نهاية العام الدراسي ١٩٦٦ / ١٩٦٧ ، واقتصر التعليم حينذاك على الصفين الجامعيين الأول والثاني ، أي على المرحلة الجامعية المتوسطة .

وبعد نكسة حزيران ١٩٦٧ قامت الكلية بإجراء دراسات مطوّلة أقرّت على أثرها في حزيران ١٩٧٢ برنامج التوسع لأربع سنوات جامعية ، بحيث يضاف الصف الجامعي الثالث في عام ١٩٧٤ / ١٩٧٥ ، والصف الجامعي الرابع في عام ١٩٧٥ / ١٩٧٦ . وبافتتاح الصف الجامعي الرابع تحول اسم الكلية رسمياً إلى « جامعة بير زيت » .

تضم الجامعة كليتين للعلوم والآداب . وتؤدي الدراسة فيها إلى الشهادة الجامعية المتوسطة ، وإلى شهادة البكالوريوس في العلوم مع تخصص في الرياضيات ، أو الفيزياء والكيمياء ، وإلى شهادة بكالوريوس في الآداب مع تخصص في اللغة الإنكليزية ، أو إدارة الأعمال والاقتصاد ، أو علم الاجتماع .

وبإمكان الطالب بالإضافة إلى ذلك الحصول على شهادة التربية مع تخصص التدريس في الصفوف الثانوية .

يشرف على الجامعة مجلس أمناء مستقل يقرر سياستها ويتحمل مسؤولياتها .

وتعتمد الجامعة شروطاً معينة للقبول ونظام الدراسة والامتحان . وتتبع نظام التعليم الحر الذي يتيح للطالب فرصة اختيار المواد التي يدرسها بغض النظر عن الفترة التي أخذت فيها .

يشتمل العام الدراسي على ٣٢ أسبوعاً دراسياً ، ويقسم إلى فصلين مستقلين كل منهما ١٦ أسبوعاً بما في ذلك أسبوع الامتحانات النهائية .

ويُصنّف الطلبة المسجلون رسمياً في الجامعة في أربعة مستويات ، ويعتبر الطالب في مستوى السنة الأولى لدى التحاقه بالجامعة بعد تخرجه من مدرسة ثانوية ، وفي مستوى السنة الثانية إذا أتمّ ٢٥ ساعة معتمدة ، وفي مستوى السنة الثالثة إذا أتمّ ٦٠ ساعة معتمدة ، وفيها جميع المواد المقررة من مستوى السنة الأولى ،

وفي مستوى السنة الرابعة إذا أتم ٩٠ ساعة معتمدة ، وفيها جميع المواد المقررة من مستوى السنة الثانية .

تنفق الجامعة سنوياً لتعليم الطالب الواحد قرابة ٣٠٠ دينار في الوقت الحاضر . لكن رسوم التعليم المقررة لا تتجاوز ٤٠٪ من هذه النفقة . وتقوم الجامعة ، وبمساهمة عدد من الجمعيات والمؤسسات والأفراد في الوطن العربي وخارجه ، بتقديم المساعدة لأكبر عدد ممكن من الطلبة عن طريق الإعفاءات من الرسوم ، أو منح العمل ، أو القروض ، منح الدراسة التشجيعية .

تحتوي مكتبة الجامعة على ٢٥,٠٠٠ مجلد تقريباً منها ١٧,٠٠٠ مجلد باللغة الإنكليزية و ٨,٠٠٠ مجلد باللغة العربية . وتشمل هذه الأرقام ما يزيد على ١,٦٠٠ مرجع . وتشترك الجامعة في نحو ١٢٠ دورية باللغة الإنكليزية و ٥٠ دورية باللغة العربية ، وتزداد مجموعة الكتب بمعدل ألفي مجلد سنوياً في الوقت الحاضر .

أقدمت سلطات الاحتلال الصهيوني في ١٩٧٩/٥/٢ على إغلاق الجامعة وإبعاد رئيسها عن الأرض المحتلة ، واعتقال عدد من أساتذتها وطلابها للموقف الوطني من الاحتلال ومشاريعه ، وعلى رأسها مشروع ما يسمى « بالإدارة الذاتية » . وقد قوبل هذا الإجراء باستنكار رسمي وشعبي داخل الأرض المحتلة وخارجها ، مما اضطر سلطات الاحتلال إلى الإعلان عن إعادة افتتاح الجامعة في أوائل تموز ١٩٧٩ .

المرجع :

ـ اتحاد الجامعات العربية : دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

بير سالم (قرية ـ) :

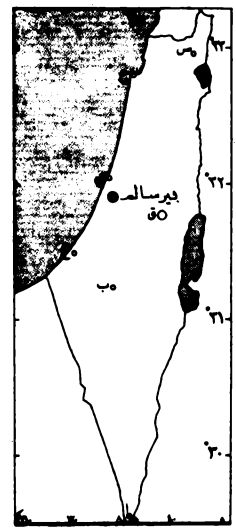

قرية عربية تقع على بعد قرابة ٤ كم إلى الغرب من الرملة * . وتبعد المسافة نفسها عن مستعمرة نس تسيونا * (وادي حنين *) . تصلها طريق ثانوية بكل من الرملة ووادي حنين ، وتصلها طريق ثانوية أخرى بطريق الرملة ـ يافا الرئيسة المعبدة . ويمر خط سكة حديد القنطرة ـ حيفا على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال منها .

أقيمت بير سالم فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * الأوسط على ارتفاع ٧٥م عن سطح البحر . وتألفت من بيوت مبنية بالإسمنت واللبن متجمعة في مخطط مستطيل الشكل يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ويشتمل على شبكة شوارع وأزقة ضيقة بالإضافة إلى طريق الرملة ـ وادي حنين الذي كان الشارع الرئيس في القرية . وكانت القرية شبه خالية من المرافق والخدمات العامة ، وتشرب من بئر للمياه إلى جانب بعض الآبار * الأخرى المحيطة بها التي كانت مياهها تستعمل للشرب والري .

تبلغ مساحة أراضي بير سالم من الدونمات ٣,٤٠١ منها ١١٣ دونماً للطرق * والسكك الحديدية * والأودية . وتتميز هذه الأراضي بخصب تربتها وبتوافر المياه الجوفية فيها . لذا نجحت زراعة الحمضيات * والزيتون * فيها إلى جانب زراعة الحبوب * والخضر * . وكانت الزراعة * تعتمد على مياه الأمطار والآبار . وقد أحاطت بساتين الأشجار المثمرة بالقرية من جميع جهاتها باستثناء الجهة الشمالية . واعتنى السكان بتربية المواشي إلى جانب اهتمامهم بالزراعة .

بلغ عدد سكان بير سالم نحو ٤١٠ نسمات في عام ١٩٤٥ ، وكان هؤلاء يقيمون في أكثر من ١٠٠ بيت . وفي عام ١٩٤٨ تعرضت القرية لاعتداء الصهيونيين الذين طردوا سكانها ودمروا بيوتهم . وكان الصهيونيون قد أقاموا مستعمرتي « بير يعقوب ونس تسيونا » على أراضي بير سالم في عهد الانتداب البريطاني . وقد امتدت مستعمرة نس تسيونا * (وادي حنين) خلال نموها العمراني بعد عام ١٩٤٨ فوق أنقاض بير سالم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة الرملة .

بيـــر السبـــع (مدينـــة ـ) :

مدينة عربية من مدن اللواء الجنوبي لفلسطين ، وهي قاعدة قضاء بير السبع وعاصمة النقب * .

مرت بالمدينة منذ نشأتها أحداث كثيرة ، وناضل سكانها ضد الانتداب البريطاني والاستيطان الصهيوني ، واشتركوا في جميع الثورات ، وسقط منهم الشهداء . وقد وقفوا عام ١٩٤٨ في وجه القوات الإسرائيلية محاولين منعها من احتلال المدينة والتقدم جنوبا في النقب . لكن القوات الصهيونية تغلبت على المقاومة العربية ، واحتلت بير السبع في ١٩٤٨/١٠/٢١ ، وطردت سكانها العرب ،

وأحلت مكانهم مهاجرين يهودا (ر : بير السبع ، معركة ـ) .

أ ـ الإطار الطبيعي لمدينة بير السبع :

١) الموقع الجغرافي : تقع مدينة بير السبع في النقب الشمالي ، وتكاد تكون في منتصف المسافة بين البحر الميت * شرقا والبحر المتوسط غربا . وهي تتوسط قاعدة المثلث الصحراوي للنقب ، إذ تبعد نحو ٧٥ كم غربي البحر الميت ، ونحو ٨٥ كم شرقي البحر المتوسط . اكتسب موقعها أهمية خاصة لأنه يربط بيئات ثلاثاً هي : البيئة الصحراوية جنوبا ، والبيئة الجبلية شمالا بشرق ، والبيئة السهلية الساحلية شمالا بغرب . ومن الطبيعي أن تلتقي في هذا الموقع منتجات هذه البيئات ، وأن يصبح سوقا رائجة يؤمها البدو والحضر على حد سواء .

وتعد بير السبع مدينة الحافة الصحراوية التي يحتم عليها موقعها الهامشي أن تستقطب أعداداً كبيرة من البدو للاستيطان فيها . كما أن موقعها جذب أعداداً من تجار الخليل * وغزة * للإقامة فيها . وفي هذه الحالات كلها ساعدت الطرق * البرية التي تربط بير السبع بالمواقع الأخرى على استمرار الاستيطان البشري في المدينة وزيادة الحركة التجارية فيها .

وقد زادت أهمية موقع بير السبع في العصور الحديثة من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، فالمدينة تعد بحق البوابة الجنوبية لفلسطين من جهة النقب ، والبوابة الشمالية للنقب ، والبوابة الشرقية لسيناء .

ففي الحروب العربية ـ الإسرائيلية التي نشبت منذ عام ١٩٤٨ كانت بير السبع بموقعها الاستراتيجي الهام محط أنظار الجيوش المتحاربة . وقد حرص الجيش المصري عام ١٩٤٨ على السيطرة على بير السبع للتحكم في صحراء النقب (رَ : حرب ١٩٤٨) ، ثم تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال بير السبع وانطلقت منها لاحتلال النقب بأكمله . وفي حروب ١٩٥٦ * و١٩٦٧ * و١٩٧٣ * كانت مدينة بير السبع قاعدة انطلاق الهجوم الإسرائيلي على قطاع غزة وسيناء وقناة السويس ، لذا اهتمت (إسرائيل) بربط المدينة بجميع جهات فلسطين بمختلف طرق المواصلات .

وهكذا أصبحت بير السبع عقدة مواصلات هامة منذ عام ١٩٤٨ ، تربطها بجميع أجزاء فلسطين شبكة مواصلات كثيفة ، فالطرق المعبدة من الدرجة الأولى تربطها بمدن السهل الساحلي في الشمال والغرب مثل حيفا * (٢٠٠ كم) ويافا * ـ تل أبيب * (١٠٧ كم) وأسدود * والمجدل * (عسقلان) وغزة (٦٥ كم) . كما تربطها أيضا بالمدن الجبلية في الشمال والشرق مثل الخليل والقدس * (٨٥ كم) ونابلس * (١٥٠ كم) ، وبالمدن الصحراوية في الشرق والجنوب والغرب مثل عراد وأسدوم وديمونا * وإيلات * والعوجاء وغيرها ، وتنتهي في بير السبع السكة الحديدية التي تصلها بمحطة النعاني الواقعة على خط يافا ـ القدس الحديدي . وتمّ سنة ١٩٦٥ تمديد هذا الخط الحديدي من بير السبع إلى ديمونا ، وإلى حقول الفوسفات * في النقب . وقد أقيم في بير السبع مطار حربي ، وفي بير السبع أكبر وأهم محطات الضخ على خط النفط * بين إيلات وحيفا . وبعد عام ١٩٦٧ أصبحت بير السبع أحد الممرات الرئيسة التي يعبرها المسافرون العرب بين الضفة الغربية وقطاع غزة .

٢) معالم سطح الأرض في إقليم بير السبع : يقع إقليم بير السبع في الجزء الأعلى من حوض تصريف وادي غزة الذي يتألف من أودية الشريعة والشلالة وبير السبع . وتقوم مدينة بير السبع على الضفة اليمنى (الشمالية) لوادي بير السبع فوق رقعة منبسطة من الأرض ترتفع في المتوسط نحو ٢٣٦ م عن سطح البحر . وإلى الشرق قليلا من بير السبع يلتقي رافدا وادي بير السبع ، وهما وادي الخليل ووادي المشاش القادمان من مرتفعات الخليل وعراد . وتوجد في بعض هذه الأودية الجافة ينابيع ماء أو آبار تعرف باسماء مختلفة كالعدّ والعين والمشاش وغيرها (رَ : عيون الماء) .

وإقليم بير السبع منخفض يتخذ شكل المثلث الذي توازي قاعدته شاطىء البحر المتوسط في الغرب ، ويتوغل رأسه كإسفين بين مرتفعات النقب والخليل في الشرق . وتنحدر الأرض بصفة عامة من الشرق إلى الغرب ، وتتجه مجاري الأودية وفقا لهذا الانحدار في طريقها نحو البحر المتوسط . لذا تتفاوت ارتفاعات الأرض في الإقليم فتصل إلى ٥٠٠ م عن سطح البحر في الجزء الشرقي ، في حين تحوم حول ٢٥٠ م بجوار مدينة بير السبع ، وتهبط إلى ارتفاعات تراوح بين ٥٠ و١٠٠ م في الجزء الغربي .

وتتوافر مقومات الخصب في تربة إقليم بير السبع التي تتألف من ترسبات من طبقات اللوس يصل ثخنها إلى ٣٠ م ، لكنها تفتقر إلى المواد العضوية وإلى الرطوبة ، وهذا يقلل إنتاجها الزراعي . وتؤثر الخواص الميكانيكية لهذه التربة في عملية الانجراف السطحي ، وفي تكوين الأراضي الرديئة ذات السطوح الوعرة . وفي الإقليم شبكة من الأخاديد يلتقي بعضها ببعض فتكوّن أودية ذات مجار أكثر عمقا واتساعا .

وعندما تجف تربة اللوس خلال الصيف تنكمش وتتشقق وتتفكّك ذراتها بسبب ارتفاع الحرارة . ولما كانت هذه الذرات ناعمة خفيفة فإن الرياح ترفعها وتطيّرها في زوابع ترابية معروفة في هذا الفصل . وتمتد الكثبان الرملية فوق مساحات واسعة تقدر بنحو ٥٠٠ كم٢ في القسمين الغربي والجنوبي من إقليم بير السبع ، أي زهاء ثلث سطح أرض الإقليم .

٣) المناخ والمياه : مناخ * مدينة بير السبع شبه صحراوي بصفة

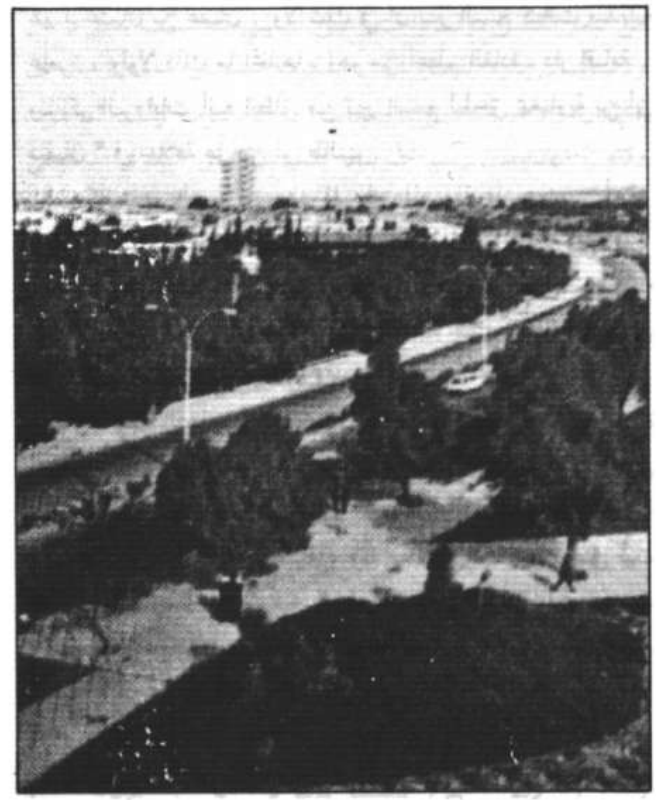

عامة ، وهو جزء من المناخ السائد في النقب الشمالي . أما القسم الجنوبي من إقليم بير السبع فإن مناخه صحراوي قاريّ متطرف ، أي أنه حار صيفا بارد شتاء . ويصل المدى الحراري في بير السبع إلى ١٥° خلال شهري أيار وحزيران ، الأمر الذي يؤكد صفة تطرّف المناخ . ويراوح متوسط درجات الحرارة ما بين ١٢° في شهر كانون الثاني و٣٣,٧° في نهاية شهر آب . وأدنى درجة حرارة سجلت في بير السبع كانت ١° في نهاية كانون الثاني ١٩٢٥ .

تهب على بير السبع صيفا رياح جنوبية غربية وغربية أثناء الصباح ، وتتحول الرياح إلى شمالية غربية بعد الظهر ، ثم تتحول إلى جنوبية شرقية أثناء الليل . أما في الشتاء فإن اتجاهات الرياح تكون غير منتظمة ، وتحمل الرياح الشرقية أو الجنوبية الشرقية كميات عظيمة من الغبار . ويبلغ المعدل السنوي للرطوبة النسبية في بير السبع ٥٨٪ ، وتتفاوت المعدلات الشهرية ما بين ٤١٪ في نيسان و٧٣٪ في أيار .

بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية بين عامي ١٩٢٠ و١٩٦٥ نحو ١٩٥ مم . وتراوحت هذه الكمية ما بين نهاية صغرى مقدارها ٤٢ مم ، ونهاية عظمى مقدارها ٣٣٩ مم خلال الفترة نفسها ، أي أن مدى التغير في كمية الأمطار بلغ ١٥٢٪ ، وهي نسبة مرتفعة في فلسطين . أما معامل التغير فإنه وصل إلى ٣٥ . ويبلغ عدد الأيام المطيرة في بير السبع نحو ٣٣ يوماً في السنة . وتهطل نصف كمية الأمطار السنوية في شهري كانون الأول وكانون الثاني ، وثلث كمية الأمطار السنوية في شهري تشرين الثاني وشباط ، أي أن ٨٠٪ من مجموع كمية الأمطار السنوية تهطل خلال هذه الشهور الأربعة . وقد هطلت كمية أمطار مقدارها ٦٤ مم (ثلث مجموع الأمطار) خلال ٢٤ ساعة بتاريخ ١٩٣٤/١٢/٥ .

ونظرا لقلة كمية الأمطار التي تهطل على إقليم بير السبع وعدم كفايتها للزراعة * فإن الحاجة ماسة للمياه الجوفية إلى جانب المياه السطحية المتمثلة في فيضانات الأودية الجافة . وقد كان في بير السبع أربع آبار عامة يشرف عليها المجلس البلدي وتصل مياهها إلى البيوت . كما اشتملت المدينة على آبار أخرى يمتلك ٢٥ منها بعض المواطنين . غير أن مياه الآبار لم تكن كافية لسد حاجات السكان المتزايدة أثناء فترة الانتداب ، لذا عدل الخبراء آنذاك عن فكرة حفر الآبار ، وأخذوا يميلون إلى إنشاء السدود كالسد الذي تمّ تشييده في وادي أبي سمارة .

ب ـ نشأة بير السبع وتطور نموها السكاني والعمراني :

١) الكنعانيون : كان الكنعانيون أول من عُرف من سكان المنطقة ، والراجح أنهم أطلقوا على مدينتهم هذا الاسم لوجود سبع آبار قديمة بها . وتشير أسفار العهد القديم إلى أنها كانت مأهولة حينما كان إبراهيم الخليل * يجوب بقطعانه هذه البلاد ، وأن خلافا نشب بينه وبين أبي مالك زعيم سكان بير السبع حول بئر ماء ، مما اضطر إبراهيم إلى أن يقدم سبع نعاج تعويضا لأبي مالك ، فدعي ذلك الموضع بير السبع .

انتاب بير السبع في تاريخها الموغل في القدم ما انتاب غيرها من بلاد فلسطين ، وخضعت للأمم التي استولت على هذه البلاد من أشوريين وبابليين وفرس ويونان ومصريين وسواهم .

وقد أضعفت هجمات الغزاة على أرض كنعان أهلها الكنعانيين مما أدى إلى خضوعهم لقبائل عربية أخرى كالعموريين * الذين امتد نفوذهم إلى تل عراد وتل الملح في قضاء بير السبع ، وكانوا من ألد أعداء بني إسرائيل .

٢) في عهد الفلسطيين * : استوطن الفلسطيون جنوب فلسطين قبل قدوم بني إسرائيل إليها ، وكانت بير السبع قد شهدت صراع الفلسطيين من الغرب والساميين من الجنوب والشرق ، والإسرائيليين من الشمال . وكانت الحرب بين هذه الأقوام سجالا تمكن الإسرائيليون خلالها من بسط نفوذهم على بير السبع التي كانت أقصى حدود (الدولة اليهودية) في جنوب فلسطين ، وكان يقال عن حدود هذه الدولة من دان إلى بير السبع .

٣) في عهد الأنباط والرومان : وقد ازدهرت مدينة بير السبع ومنطقتها في عهدي الأنباط * والرومان حين كانت ممرا حيويا لتجارة

العالم تعبره القوافل العربية حاملة خيرات الهند وإفريقية إلى مصر وغيرها من مدن الساحل الفلسطيني ، مما أدى إلى إنشاء سلسلة من المدن والمحطات التجارية مثل عبدة والعوجاء والخلصة ورحيبة وغيرها .

امتد سلطان دولة الأنباط العربية من خليج العقبة * حتى حدود مصر وشواطىء البحر المتوسط . وحوالي القرن الرابع قبل الميلاد بلغ نفوذ الأنباط سيناء وجنوبي سورية والعراق ، وظلت دولتهم قائمة حتى دخلت في حوزة الرومان في عهد الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٦ م) .

وكانت بير السبع في العهد الروماني قرية كبيرة تقيم بها حامية عسكرية . وحينما انتشرت المسيحية * في فلسطين جعلت بير السبع أسقفية . وأنشأ الرومان كنائس بير السبع وسبسطية ، وأقاموا الكثير من الأبنية والإصلاحات العمرانية منها حصون الحفير وكرنب ، وعبّدوا الطرق ، وحفروا الصهاريج وأقاموا السدود ، وغرسوا الأشجار ، واسترضوا القبائل العربية في المنطقة ، وحالفوهم ، ومنحوهم الألقاب والرتب لمساعدتهم في حفظ الأمن .

وقد أثرى سكان بير السبع وما حولها لوقوع بلادهم في ملتقى طرق تجارية كان من أبرزها :

١) طريق العقبة - بير السبع وتمر بالكنتلا وبير بيرين والعوجاء والخلصة وبير السبع ، ومنها تتجه غرباً * وشمالاً إلى الخليل * .

٢) طريق العقبة - عين غضيّان - البتراء - ميّة عوض - عبدة - الخلصة - بير السبع .

٣) طريق بير السبع - عين حصب * مارة بكرنب ، وتستمر الطريق من عين حصب في سيرها الجنوبي عبر وادي عربة حتى تصل إلى ميّة عوض .

ولا ريب في أن مرور القوافل التجارية في منطقة بير السبع ، وما تحقق لأهلها من أرباح ، وإقامة السدود والصهاريج في البلاد ، كل ذلك حفز بعض السكان على الاستقرار وإقامة المدن العامرة بالأسواق ، وزراعة مختلف المزروعات والأشجار .

وكان العرب قبل الإسلام يرتادون هذه المنطقة ، وقد توطنتها قبائل منهم كلخم * وجذام * ، وكانت غزة على عهد الروم مدينة فاخرة وبقعة عامرة زاهرة تقصدها قريش في رحلة الصيف التجارية وتألف ضواحيها وخصبها ، وإلى عهد قريب كانت قبائل بير السبع تعرف بعربان غزة .

٤) في الحكم العربي : في القرن السابع الميلادي فتح المسلمون فلسطين ، وعرفت لديهم بير السبع بأنها بلدة عمرو بن العاص * لاتخاذه قصر عجلان في قضائها مقرا له حينما اعتزل عمل مصر في عهد عثمان بن عفان . ولا شك في أن بير السبع كانت مدينة عامرة ، ولولا ذلك ما اتخذها - وهو من أعظم القادة - دار إقامة . وتذكر الروايات أنه انطلق من بير السبع ليلحق بمعاوية بن أبي سفيان * في خلافة علي بن أبي طالب .

وكانت بير السبع من مدن فلسطين المعروفة على عهد بني أمية ، وقيل إن سليمان بن عبد الملك كان يقيم بها حينما جاءته الخلافة . وذكر أن والي فلسطين سعيد بن عبد الملك الذي عرف بحسن سيرته كان نازلا بمدينة بير السبع عندما بلغته أخبار مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م .

٥) أيام الصليبيين : تضافرت في العصور التالية عدة أسباب أضعفت شأن مدينة بير السبع . ومن أبرزها تحول طرق التجارة عنها ، والقحط الذي عمّ قضاءها ، لذلك لم تكن المدينة ذات شأن في الحروب الصليبية ، ولمّا استولى الصليبيون على بيت جبرين * ظنّوها بير السبع ، ولم يتقدم هؤلاء كثيرا في جنوب

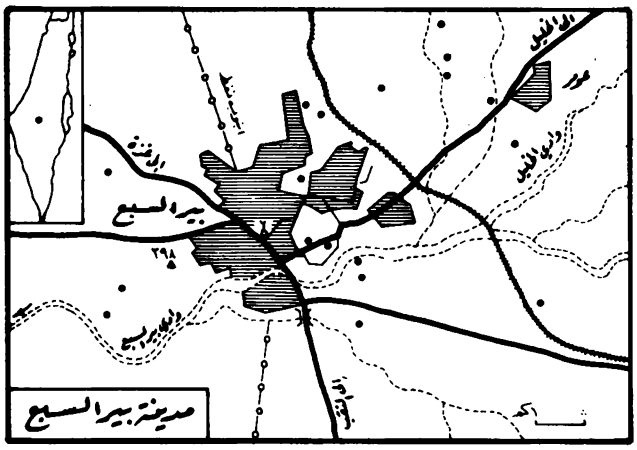

فلسطين ، وما إن حلّ القرن الخامس عشر الميلادي حتى كان سكان مدينة بير السبع قد هجروها فأصبحت خرابا ليس لها ذكر .

٦) في العهد العثماني : أعاد العثمانيون في العهد الحديث بناء مدينة بير السبع (١٣١٩هـ/١٩٠٠م) على بعد ثلاثة أميال للغرب الجنوبي من موقعها القديم . وهدفوا من وراء ذلك أن يثبتوا وجودهم بالقرب من الحدود المصرية التي كانت المفاوضات دائرة بشأنها آنذاك ، هذا إلى جانب رغبتهم في حفظ الأمن بين القبائل المتنازعة . كذلك أراد الأتراك أن تكون مدينة بير السبع عاملا هاما في توطين البدو وجمع الضرائب التي كانت تذهب هدرا قبل ذلك ، فأنشأوا المدينة وجعلوها مركز قضاء بير السبع وأتبعوا قائمقامها لمتصرفية القدس (رَ : الإدارة) .

وقد عمدت الحكومة في سبيل تحقيق سياستها إلى شراء ما يقرب من ألف دونم ووهبتها المجلس البلدي على أن يبيع منها من شاء التوطن من سكان المدن المجاورة ، كما وهبت كل من أراد التوطن

من بدو القضاء دونماً واحداً على أن يبني له سكنا يقيم فيه . ولاستكمال إدارة القضاء ألفت الحكومة مجلسين جعلت أحدهما للإدارة والآخر للبلدية ، وأنشأت داراً للحكومة وثكنة للجنود، وكلفت مهندسين رسم خريطة للمدينة وفق الطراز الهندسي الحديث ، فقسمت بموجب ذلك إلى بقع متساوية يفصل بين البقعة والأخرى شارع فسيح .

ساعدت إجراءات الحكومة في نمو المدينة ، وازداد عدد سكانها من أفراد القبائل وعرب المدن الأخرى ، فبلغ عدد سكانها عام ١٩٠٢ نحو ٣٠٠ نسمة ، وأصبح في عام ١٩١٢ نحو ٨٠٠ نسمة وفي عام ١٩١٥ نحو ألف نسمة . وقررت الحكومة إعلاءً لدرجتها جعلها مركزاً لمعاون المتصرف ، ثم لم تلبث أن أعادتها قائمقامية كما كانت إثر إعلان الدستور عام ١٩٠٨ .

ومن أبرز حكام قضاء بير السبع العثمانيين القائمقام آصف بك الدمشقي الذي شهدت مدينة بير السبع في عهده حركة عمرانية واسعة منها تشييد دار للبلدية اتخذت بعدئذ منزلا للحكام ، وسحب المياه من بئر النشل وتوزيعها على المدينة وأطرافها . وتمّ إنشاء جامع في غاية الإتقان الهندسي ـ حوّله الصهيونيون فيما بعد متحفاً ـ وجلبت حجارة مئذنته من خربة الخلصة . وأقيمت مدرسة ذات طبقتين لأبناء البدو ، ومطحنة ، وسلك للمخابرات البرقية ، ودار للبريد ، وغرست أعداد كبيرة من الأشجار .

وحينما اندلعت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨ م) زاد اهتمام الأتراك بمدينة بير السبع لأهمية موقعها في جنوب البلاد فاتخذت قاعدة للجيوش العثمانية المتجهة إلى قناة السويس . وأضيف إلى المدينة كثير من الأبنية ، وأنشئت مخازن محطة سكة الحديد التي ربطت بير السبع بمحطة وادي الصرار على خط حديد يافا ـ القدس ، وامتدت السكة الحديدية من بير السبع إلى قلب سيناء ، وعبدت الطرق بينها وبين الخليل والعوجا ، وأضيئت في تلك الفترة بالكهرباء .

٧) في عهد الانتداب البريطاني : فشلت خطط الأتراك أمام هجوم الجيش البريطاني الذي احتل بير السبع في ١٩١٧/١٠/٣١ ، وأقام الجيش البريطاني في هجومه على فلسطين خطّاً حديدياً يربط بير السبع برفح * ، لكنه لم يلبث أن نزع سنة ١٩٢٧ . وكان الخط الحديدي بين بير السبع ومحطة وادي الصرار قد نزع قبل ذلك .

وقد اتسعت المدينة في عهد الانتداب ، وبلغ عدد سكانها وفقا لتعداد عام ١٩٢٢ نحو ٢,٣٥٦ نسمة ، ووصل عددهم في تعداد ١٩٣١ إلى ٢,٩٥٩ نسمة . وقدر عدد سكان المدينة في عام ١٩٤٥ بنحو ٥,٥٧٠ نسمة ، ونقص عددهم في عام ١٩٤٨ إلى ٢٠٠ نسمة نتيجة لتهجير معظم سكان المدينة منها إثر الحرب العربية ـ الإسرائيلية .

بلغت مساحة المدينة في أواخر عهد الانتداب البريطاني نحو ٣,٨٩٠ دونما ، أي ما يقرب من ٤ كم٢ . وقد اشتملت معظم هذه المساحة على مبان سكنية ، وعلى وسط المدينة التجاري (قلب المدينة) وما فيه من أسواق ومحاكم للعشائر ومحكمة للصلح ودار للبلدية وناد للموظفين ومستشفى ومستوصف ومدرستين ابتدائيتين للذكور والإناث ، وضمت أيضاً مسجدين وكنيستين .

٨) في ظل الاحتلال الإسرائيلي : كان يوم ١٩٤٨/١٠/٢١ يوما أسود في تاريخ بير السبع ، إذ تمكن الصهيونيون من احتلال المدينة وطرد سكانها العرب منها وإحلال مهاجرين صهيونيين محلهم . وقد سكن المهاجرون الأوائل في البيوت العربية المهجورة . وبلغ عدد سكان المدينة في نهاية عام ١٩٤٩ نحو ١,٨٠٠ نسمة ، وما لبث العدد أن ازداد بسرعة في نهاية عام ١٩٥٠ إلى ٨,٣٠٠ نسمة ، ووصل في عام ١٩٥٦ إلى ٢٥,٥٠٠ نسمة ، وإلى ٤٣,٥١٦ نسمة عام ١٩٦١ ، وإلى ٧٤,٥٠٠ نسمة عام ١٩٦٩ وإلى ٩٠,٤٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ .

ومن الطبيعي أن تتوسع بير السبع وتمتد في نموها العمراني أفقيا وعمودياً لنمو عدد سكانها السريع . فتضاعفت مساحة أراضي المدينة بعد أن أنشئت ضواح كبيرة تمتد من الشمال والشمال الغربي ، وبلغت هذه المساحة نحو ٤٨,٠٠٠ دونم في عام ١٩٦٧ . وأصبحت المدينة القديمة كجزيرة في وسط هذه المدينة الجديدة . وأنشئت منطقة صناعية امتدت نحو الشرق ، وشيدت العمارات السكنية ذات الطبقات الكثيرة لمواجهة الطلب المتزايد للمساكن. ويمكن القول إن المخطط الهيكلي لمدينة بير السبع يتخذ شكل المستطيل ، وتتعامد معظم شوارع المدينة في خطوط مستقيمة تحف بها أشجار الزينة من الجانبين . وتوجد الأحياء الغنية ذات البيوت العصرية في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية من المدينة ، أي على طول محاور الطرق الرئيسة المؤدية إلى الفالوجة شمالا ، وإلى غزة شمالا بغرب .

جـ ـ التركيب الوظيفي لبير السبع :

١) الوظيفة التجارية : كانت بير السبع محطة للقوافل التجارية في العصور القديمة ، وبخاصة في عهدي الأنباط والرومان . وازدهرت الحركة التجارية فيها خلال العصر الأموي . وفي مطلع القرن الحالي استقرّ فيها عدد من التجار العرب من المدن والقرى المجاورة في إقليمي السهول الساحلية والمرتفعات الجبلية ، وبلغ عدد الحوانيت فيها آنذاك نحو ١٥ دكانا . وفي فترة الانتداب اهتمت بلدية بير السبع بإنشاء الوسط التجاري في قلب المدينة فشيدت المحلات التجارية على طول جانبي الشارع الرئيس فيها . وقد اعتاد أبناء العشائر المحيطة بالمدينة أن يؤموا أسواق بير السبع يوميا ليبيعوا

مواشيهم ومنتجاتها المختلفة من شعر وأصواف وجلود ولحوم وألبان ، ويشتروا ما يلزمهم من حبوب وسكر وأرز وشاي وأقمشة وملبوسات وعباءات وأدوات زراعية .

وبالإضافة إلى وسط المدينة التجاري كانت تقام كل إثنين سوق عظيمة في الطرف الشرقي من بير السبع يقصدها البدو من جميع أنحاء القضاء . وقد أطلق على هذه السوق اسم سوق الحلال نسبة إلى المواشي المعروضة فيها . وتعد بير السبع أهم مراكز تجميع الشعير في فلسطين وإعداده للتصدير إلى بريطانيا عن طريق ميناء غزة .

٢) الوظيفة الزراعية والرعوية : كان البدو الذين استقروا في المدينة في مطلع هذا القرن يمارسون الزراعة إلى جانب تربية المواشي . وتكاد الزراعة تنحصر في المحاصيل الحقلية كالشعير ، وهو أهم المحاصيل ، والقمح *.والذرة والعدس والفول والكرسنّة . وفي السنوات الأخيرة من فترة الانتداب البريطاني زرعت أشجار الفاكهة في مئات الدونمات حول بير السبع كالعنب * والتفاح والمشمش واللوز والتين والرمان والبرتقال والبطيخ ، كذلك زرعت بعض أصناف الخضر كالبندورة والبامية والقثائيات .

واعتمد جزء من السكان في معيشتهم على الرعي وتربية المواشي . وأهم المواشي الإبل التي استخدمت في حراثة الأرض ونقل المحاصيل الزراعية والمتاع ، وبلغ عددها في قضاء بير السبع عام ١٩٤٣ نحو ١٣,٧٨٤ رأسا ، وبلغ عدد المعز والغنم في السنة نفسها نحو ٧٠ ألف رأس وعدد البقر نحو ١٠ آلاف رأس . هذا عدا الطيور الداجنة التي تربى في البيوت كالدجاج (٥١,٢٠٠) والبط والأوز والديوك الرومية (٥٥٠) . وكانت المواشي تعتمد في غذائها على المراعي الطبيعية المتوافرة في الإقليم علاوة على المزروعات العلفية .

٣) الوظيفة الصناعية : اقتصرت صناعات مدينة بير السبع على الصناعات التقليدية الخفيفة كالصناعات الغذائية والنسيجية (رَ : النسيج ، صناعة ، والمواد الغذائية ، صناعة) . وأهم هذه الصناعات طحن الحبوب (الدقيق)، والخبز ، والحلويات ، والسمن ، والجبن ، والغزل ، ونسج بيوت الشعر والعباءات من شعر الماعز ، والأصواف ، ودباغة الجلود ، والمنتجات الجلدية ، والحدادة ، والنجارة ، والأدوات الزراعية والمنزلية البسيطة .

وأهم صناعات بير السبع بعد عام ١٩٤٨ السيراميك ، والأدوات الصحية ، والطوب ، والمبيدات الحشرية ، والكيميائيات *، والبروميد ، والمنسوجات ، وطحن الحبوب ، ومواد البناء ، والألماس * ، والصناعات المعدنية . ولا تزال بير السبع مركزا تسويقيا هاما للبدو والمقيمين حولها وفي إقليمها ، وكذلك لسكان بعض المستعمرات اليهودية في النقب الشمالي .

٤) الوظيفة التعليمية والثقافية : كان في بير السبع مدرستان للحكومة أثناء فترة الانتداب ، الأولى للبنين والثانية للإناث . وهناك روضة أطفال تدير شؤونها لجنة خاصة من الأهالي . وتستقبل هذه المدارس إلى جانب أبناء المدينة أبناء العشائر بعد أن ينهوا المرحلة الابتدائية في مدرسة عشيرتهم . وقد بلغ مجموع التلاميذ الملتحقين بمدرسة ذكور بير السبع الثانوية عام ١٩٤٧/٤٨ ٥٨٠ طالباً يعلمهم ١٧ معلما . وقد اشتملت المدرسة على حديقة مساحتها ٧ دونمات لتدريب التلاميذ على الأعمال الزراعية ، كذلك شيدت في المدرسة غرفة خاصة للأعمال اليدوية والنجارة ، وكان يتبعها منزل خصص لإقامة التلاميذ البدو كان فيه ١٠٠ تلميذ في العام الدراسي ١٩٤٧/٤٦ . وضمت المدرسة مكتبة بلغ عدد ما فيها من الكتب عام ١٩٤٧ نحو ١,٤٥٥ كتابا في مختلف العلوم والفنون .

ومدرسة الاناث ابتدائية كاملة تأسست في بداية عهد الانتداب وضمت ٣٠٠ تلميذة في العام الدراسي ١٩٤٨/٤٧ تعلمهن ٩ معلمات ، وضمت مكتبة فيها ٦٥١ كتابا . أما روضة الأطفال فإنها ضمت في العام الدراسي نفسه ٩٠ طفلاً وطفلة تعلمهم معلمتان .

وتجدر الإشارة إلى أن رغبة قبائل بير السبع في تعليم أبنائها كانت كبيرة جدا ، وكانت المدارس تعجز عن استيعاب كثير من المتقدمين إليها ، وبلغ ما أنفقته بلدية بير السبع وسكانها على مدرستي مدينتهم في العام الدراسي ١٩٤٧/٤٦ نحو ٤,٣٠٦ ج . ف منها ٣,٦٦٩ ج . ف . تكاليف إقامة الأبنية الجديدة .

وتضم المدينة اليوم عددا من المدارس والمعاهد العلمية كمعهد النقب للبحوث والدراسات المتعلقة بالمنطقة الجافة الذي يجري تجارب على طرق تحلية المياه المالحة ، وعلى طرق الاستفادة من استغلال الطاقة الشمسية والمطر الاصطناعي وتكييف النباتات مع ظروف الجفاف . وهناك معهد بيولوجي لدراسة حياة النباتات في الصحراء علاوة على جامعة النقب التي افتتحت عام ١٩٧٠ . وفي بير السبع متحف تابع للبلدية .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ عارف العارف : تاريخ بير السبع وقبائلها ، القدس ١٩٣٤ .
ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، بيروت ١٩٥٧ .
ـ محمد النحال : جغرافية فلسطين ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١، ق ٢، بيروت ١٩٦٦ .
ـ أحمد أبو خوصة : بير السبع والحياة البدوية ، عمان ١٩٧٩ .

ـ عبد المنعم ماجد : **الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي** ، القاهرة .
ـ **الكتاب المقدس** : أسفار العهد القديم والعهد الجديد ، الاصحاح الحادي والعشرون من سفر التكوين .

بير السبع (جبـال ـ) : ر : النقب

بير السبع (سجـن) : رَ : السجون الإسرائيلية

بير السبع (معركة ـ ١٩٣٦) : رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩

بير السبع (معركة ـ ١٩٤٨) :

عندما أعلن الإنكليز عزمهم على الانسحاب من فلسطين في منتصف أيار ١٩٤٨ تشكلت في بير السبع * حامية للدفاع عنها مؤلفة من أفراد الشرطة المحلية والهجّانة (نحو ٦٠ رجلاً) وعدد من المناضلين والشباب المتطوعين من أبناء المدينة من البدو . وتولى قيادة هؤلاء جميعاً عبد الله أبو ستة . وكان في حوزة هذه الحامية ٢٠٠ بندقية ، و ٤ أجهزة لاسلكية ، و ١٤ هاتفاً ميدانياً ، وبعض الأسلحة الأوتوماتيكية الخفيفة ، وعدد من الألغام ، وبضع مئات من القنابل اليدوية . وقد استطاع مناضلو المدينة في حدود إمكاناتهم أن يقوموا بنشاط قتالي جيد ، فكانوا يعترضون قوافل السيارات الصهيونية المحروسة ، ويتصدون لجماعات الصهيونيين المسلحين ، بل إنهم بعد مهاجمة قافلة صهيونية متجهة إلى مستعمرة « بيت ايشل » قاموا بمحاصرة المستعمرة نفسها .

لجأ الصهيونيون فور انسحاب القوات البريطانية من منطقة بير السبع في ١٩٤٨/٥/١٤ إلى بسط سيطرتهم على المناطق والطرق الهامة من الناحية العسكرية . وقام العرب بالمقابل بدعم حامية المدينة بعدد من المتطوعين المصريين والليبيين (٥٠ ـ ٨٠ متطوعاً بينهم ١٢ ضابطاً) . وفي ١٩٤٨/٥/١٨ دخلت قطاع بير السبع كتيبة مشاة مصرية بقيادة المقدم أحمد عبد العزيز . لكن لم يجر تعاون أو تنسيق بين هذه القوة وحامية المدينة . ولم تلبث القيادة العامة المصرية أن سحبت معظم القوة المصرية وبعض الأسلحة معتذرة بأن الوضع العسكري العام يتطلب ذلك . وقد أصبح الدفاع عن المدينة بهذا هزيلاً جداً ، إذ لم يبق فيها سوى مدفعين من عيار ٦ أرطال ، ومدفع واحد من عيار ٣ بوصات ، وبعض المدافع من عيار بوصتين . إلى جانب ذلك أخطأ المدافعون حين حفروا الخنادق قريباً من الأبنية وتركوا المناطق الخالية المترامية الأطراف التي تحيط بالمدينة .

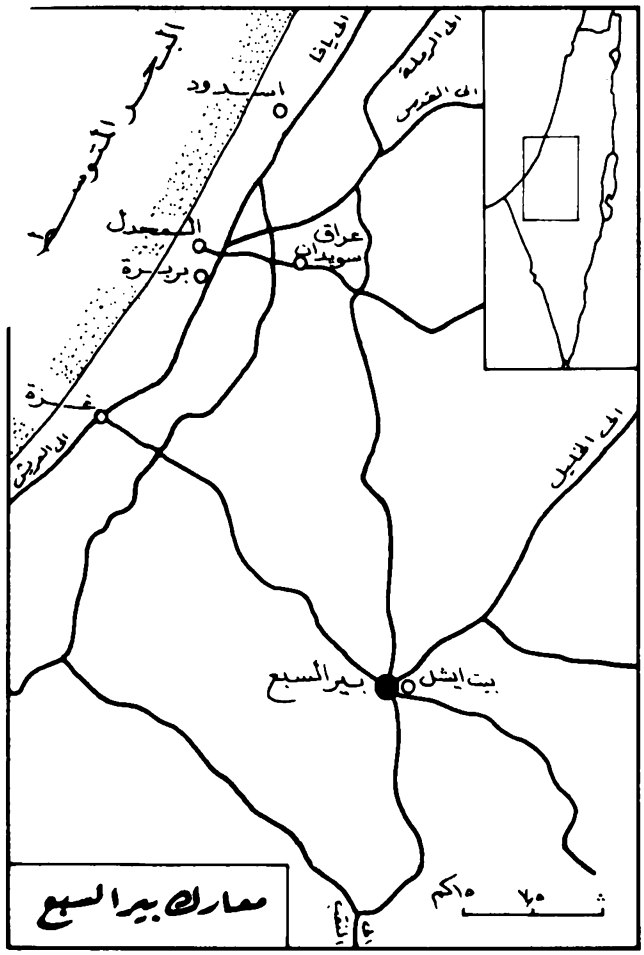

بدأت معارك النقب في ١٩٤٨/١٠/١٤ ، واحتل الجيش الإسرائيلي أسدود * والمجدل * وعراق سويدان * وبربرة * وتوقف على أبواب غزة * . وفي ١٩٤٨/١٠/١٨ شنّ هجومه على بير السبع ، فطلب قائد حاميتها النجدة السريعة من القيادة المصرية فلم تنجده ، بل طلبت منه أن يرسل إليها بعض الأسلحة التي ما زالت تحت تصرفه لحاجتها إليها ، وفي الوقت الذي لم يزد عدد أفراد حامية بير السبع عن ٢١٦ مقاتلاً من مناضلي المدينة او المتطوعين وممّن تبقّى من القوة المصرية بأسلحتهم القليلة وذخيرتهم المحدودة كان الجيش الإسرائيلي يملك الطائرات ويهاجم بخمسة آلاف مقاتل مزوّدين بالعربات المصفحة والمدافع الثقيلة والأسلحة المتنوعة .

بدأت معركة المدينة بقصف جوي دام من ١٠/١٨ إلى ليلة ١٩٤٨/١٠/٢١ دون أن يكون لدى المدافعين عن المدينة مدافع مضادة للطائرات . وقد نجم عن ذلك تدمير عشرة منازل وقتل سبعة أشخاص وإحداث ذعر في المدينة .

في الساعة الثامنة من مساء يوم ١٩٤٨/١٠/٢٠ مهّدت المدفعية للهجوم البري ، ثم انطلقت طلائع القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وتبعتها القوات المحمولة لتطبق على المدينة من الشمال

والشمال الغربي ، وتندفع إلى داخلها في الساعة الواحدة والنصف من اليوم التالي (١٩٤٨/١٠/٢١) . وأخذت هذه القوات المهاجمة تحتل أحياء المدينة وتنتقل من شارع إلى آخر إلى أن اصطدمت صباح ١٠/٢١ بمن تبقّى من أفراد الحامية العربية في مركز الشرطة . وقد استبسل هؤلاء المدافعون الذين لم يتجاوز عددهم ٥٣ مقاتلاً مصرياً وسودانياً وفلسطينياً ، ورفضوا الاستسلام على الرغم من موقفهم العسكري الضعيف . وقد دار قتال ضار بينهم وبين القوات الإسرائيلية المهاجمة ، وأصيب خزان الماء في المركز بقذيفة مباشرة فانهار وتدفقت مياهه على المدافعين ، فانتقلوا إلى أسفل البناء يقاتلون إلى أن انتهت مقاومتهم فاحتل الإسرائيليون المركز في الساعة التاسعة إلّا ربعاً من صباح ١٩٤٨/١٠/٢١ ، وبذلك تم احتلال مدينة بير السبع كلها .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ٣ ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ حسين أبو النمل : **قطاع غزة ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ : تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية** ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ عبد الله التل : **كارثة فلسطين** ، القاهرة ١٩٥٩ .
ـ محمد فيصل عبد المنعم : **فلسطين والغزو الصهيوني** ، القاهرة ١٩٧٠ .

بيـر مُعيـن (قريـة ـ) :

قرية عربية تقع في شرق الجنوب الشرقي لمدينة الرملة * . وتبعد إلى الغرب من طريق رام الله ـ الرملة مسافة ٣ كم تقريباً . وترتبط بقرية بيت سيرا الواقعة على هذه الطريق بدرب ضيق . وترتبطها دروب أخرى بالقرى المجاورة كالبرج * وصفا * وبرفيلية * وبيت شنّة * وسلبيت * .

نشأت قرية بير معين فوق رقعة متموجة ترتفع نحو ٢٧٥م عن سطح البحر في أقصى الطرف الشرقي للسهل الساحلي * الأوسط ضمن المنطقة الانتقالية التي تمثل الأقدام الغربية لمرتفعات رام الله . بيوتها مبنية باللّبن والحجر ، واتخذ مخططها شكل المستطيل في القسم الشمالي ، وشكل الدائرة في القسم الجنوبي . وكان يخترق القرية درب ممهد يفصل بين القسمين . وفي أواخر عهد الانتداب توسعت القرية عبر نموها العمراني الذي اتجه نحو الشمال الغربي وأصبحت مساحتها ٩ دونمات . وقد اشتملت القرية على بئر ماء للشرب قديمة أخذت القرية منها اسمها ، وعلى مدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٣٤ وكانت ملاصقة للمسجد . وفيها أيضاً مقامات بعض الصالحين .

بلغت مساحة أراضي بير معين ٩,٣١٩ دونماً جميعها ملك لأهلها العرب . وأراضيها ذات أنواع جيدة من التربة * ، وتتوافر فيها المياه الجوفية ، الأمر الذي يرفع من إنتاجيتها الزراعية . وتحيط الأرض الزراعية بالقرية ، وتزرع فيها أنواع الحبوب * والخضر * الشتوية والصيفية ، وتوجد بساتين الأشجار المثمرة ، وبخاصة الزيتون * (١٤٦ دونماً) والعنب * والتين واللوز والخوخ ، في الجهة الجنوبية الشرقية من بير معين بالإضافة إلى مساحات صغيرة في الجهتين الشمالية والشمالية الغربية .

بلغ عدد سكان بير معين في عام ١٩٢٢ نحو ٢٨٩ نسمة وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٣٥٥ نسمة كانوا يقيمون في ٨٥ بيتاً ، وفي عام ١٩٤٥ قدر عدد السكان بنحو ٥١٠ نسمات . وفي عام ١٩٤٨ تعرضت القرية لعدوان الصهيونيين الذين طردوا سكانها ودمّروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

بيرسـون (مشـروع ـ) :

كان المجتمع الدولي يحاول من خلال المداولات الحادة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في شباط سنة ١٩٥٧ الضغط على (إسرائيل) للانسحاب من الأراضي الفلسطينية والمصرية التي احتلتها أثناء العدوان الثلاثي على مصر (رَ : حرب ١٩٥٦) . وفي الوقت الذي كان فيه الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور وحكومته يمارسان الضغط على (إسرائيل) للانسحاب تقدمت الوفود الآسيويةُ ـ الإفريقية العربية وغير العربية في الجمعية العامة عن طريق الدكتور شارل مالك وزير الخارجية اللبنانية آنذاك بمشروع يقضي بفرض عقوبات تحظر بموجبها جميع أنواع المساعدات الاقتصادية والعسكرية والمالية على (إسرائيل) لإجبارها على الانسحاب من الأراضي العربية . غير أن الحكومة الكندية التي كانت تقود مجموعة من الدول غير المؤيدة للمشروع المذكور تقدمت بواسطة وزير خارجيتها ليستر بيرسون بمشروع قصدت منه تحقيق

تسوية بين موقف الحلف الإسرائيلي ـ البريطاني ـ الفرنسي من جهة ، وموقف الدول الأخرى المؤيّدة لمبدأ انسحاب (إسرائيل) وفرض العقوبات عليها من أجل إنجاز ذلك الانسحاب من جهة أخرى .

وقد وجّه ليستر بيرسون نداء إلى الأمم المتحدة بتاريخ ١٩٥٧/٢/٢٦ أثناء مداولات الجمعية العامة يدعوها فيه إلى وضع « تسوية دائمة للنزاع العربي ـ الإسرائيلي » . وبعد أن أكد وزير الخارجية الكندي أن الأمم المتحدة قد « وصلت إلى نقطة اللاعودة » ، وأنه بات من غير الممكن إعادة الأوضاع إلى سابق عهدها قبل الهجوم الثلاثي على مصر ، تقدم بخطة من أربع نقاط هي :

أ ـ تتعهد كل من مصر (وإسرائيل) بمراعاة بنود اتفاقية الهدنة الدائمة * الموقّعة بينهما عام ١٩٤٩ مراعاة دقيقة حازمة .

ب ـ يقوم الأمين العام للأمم المتحدة مع قائد قوات الطوارىء التابعة للمنظمة الدولية باتخاذ الترتيبات اللازمة مع الحكومات المعنية لتوزيع تلك القوات على خط الهدنة لتمكينها من :

١) القيام بأداء بعض واجبات هيئة الرقابة الدولية التابعة للأمم المتحدة .

٢) المساعدة في منع الغارات وما يعقبها من ردود فعل انتقامية قد تصدر عن هذا الفريق أو ذاك عبر خطوط الهدنة .

٣) المحافظة على الأوضاع السلمية على طرفي خطوط الهدنة .

جـ ـ توافق الجهات المعنية على حق المرور البري عبر مضائق تيران ، وتؤكد التزامها بعدم إنكار هذا الحق ، وتتخلى عن ادعاء أي من حقوق المتحاربين *Belligerents' Rights* . ويجب أن يتبع انسحاب القوات الإسرائيلية من منطقة شرم الشيخ دخول قوات الطوارىء التابعة للأمم المتحدة إليها « للحفاظ على الأوضاع السلمية ومنع النزاع » وفقاً للأهداف التي حددتها الجمعية العامة لقوات الطوارىء .

د ـ تقيم منظمة الأمم المتحدة إدارة مدنية في قطاع غزة بالتعاون مع مصر و (إسرائيل) .

وبيّن ليستر بيرسون أن مسألة توفير الأمن على طرفي خطوط الهدنة هي من أعقد القضايا وأكثرها حساسية . ولذلك فإن من واجب الجمعية العامة العمل على توفير وجود فعّال للأمم المتحدة في قطاع غزة بعد إنجاز الانسحاب الإسرائيلي منه حتى لا تستخدم المنطقة قاعدة للغارات ضد (إسرائيل) . وعلى حكومة مصر ألاّ تتوقع عودة قواتها إلى القطاع ، ولا بد بالتالي من دخول قوات الطوارىء إليه فور انسحاب (إسرائيل) منه .

وعلى الرغم من أن وزير الخارجية الكندي كان مقتنعاً بأن اتفاقية الهدنة تعطي مصر حقوقاً قانونية في الإدارة المدنية للقطاع فقد كان يرى أن أسباباً عملية واقعية تفرض ، على حد زعمه ، الاستعاضة عن الإدارة المصرية بإدارة تابعة للأمم المتحدة لأن أي انسحاب إسرائيلي سريع في ظل الأوضاع المتفجرة التي يعيشها القطاع مثل احتمال تعطل عمل وكالة هيئة الأمم المتحدة لغوث اللاجئين وتشغيلهم * (الأونروا) واحتمال اندلاع أعمال عنف ضد (إسرائيل) يجعل عودة الإدارة المصرية إلى القطاع فوراً أمراً غير ممكن . وعليه لا مناص من تفاوض ممثلي مصر و (إسرائيل) بإسهام ممثلي الأمم المتحدة الفعّال من أجل تأسيس إدارة قوية تابعة للمنظمة الدولية تقوم بتعزيز التطور الاقتصادي والرفاه الاجتماعي ، وتحافظ على القانون والنظام في القطاع . كذلك أكد بيرسون أن الأونروا بالإضافة إلى هيئات المساعدة الفنية التابعة للأمم المتحدة والأمانة العامة للهيئة الدولية قادرة على توفير تلك الإدارة الذاتية البديلة . ولضمان ذلك اقترح قيام الأمين العام للأمم المتحدة بتعيين مفوض للمنظمة الدولية في غزة يقوم ، بالتعاون مع قائد قوات الطوارىء والمفوض العام للأونروا ، وبالتشاور مع ممثلي مصر و (إسرائيل) واللاجئين وغيرهم من قادة العرب المحليين ، بوضع خطة للاستعاضة عن الإدارة المدنية الإسرائيلية بإدارة فعّالة تابعة لمنظمة الأمم المتحدة . وإذا ما تم ذلك يمكن ، كما أكد وزير الخارجية الكندي ، إنجاز انسحاب إسرائيلي سريع ومنظم يضمن المحافظة على مصالح سكان القطاع ومصالح كل من مصر و (إسرائيل) .

وجدير بالذكر أن مشروع وزير الخارجية الكندي الذي كان يرمي في الحقيقة إلى تأخير الانسحاب الإسرائيلي وإفساد اتفاق الدول الأعضاء في الأمم المتحدة على اتخاذ عقوبات ضد (إسرائيل) لم يحظ بأي اهتمام داخل الأمم المتحدة ، ولم يشر إليه أي من الوفود خلال المناقشات اللاحقة .

المراجع :

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥

ـ ليلى سليم القاضي : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٥ ـ ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٢٢ ، حزيران ، بيروت ١٩٧٣ .

— Keesings Contemporary Archives 1957 : 58.

بيرم (رباط ـ) :

ر : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

البـيـرَة (مـدينة ـ) :

مدينة عربية قديمة في قضاء رام الله بالضفة الغربية تقع على بعد ١٦ كم شمال القدس * . يبلغ ارتفاعها ٨٨٤م عن سطح البحر . وتحتضنها جبال القدس * ، إذ يحيط بها من الشرق مرتفع الشيخ نجم (٩٠٧م) ، ومن الشمال الشرقي مرتفع الشيخ شيبان (٨٩٣م) ومن الشمال الغربي مرتفع الشيخ يوسف (٨٠٠م) ومرتفع الشيخ عبد الله (٩٠٨م) .

تعود المدينة بتاريخها إلى العرب الكنعانيين * ، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن بلدة لبوان أو بيت لباوات ، بمعنى بيت اللبوة ، كانت تقوم على بقعتها . ثم أقيمت على الموقع مدينة بيت برئي بمعنى بيت خليقتي . إلا أن القول المعوّل عليه هو أن مدينة البيرة بنيت مكان مدينة بيثروت الكنعانية ، ومعناها : آبار . ولم تكن التربة * الطيبة ومصادر الماء ، على أهميتها ، الدوافع الوحيدة المقررة لنشأة مدينة البيرة ، بل إن عوامل الدفاع والحماية كانت عوامل هامة في نشأتها أيضاً .

حملت هذه المدينة أيام الحكم الروماني اسم بيريا ، وكانت من أعمال القدس آنذاك ، ثم حرّف هذا الاسم إلى البيرة . وقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية « البيرة اسم لعدّة أماكن تقوم في النواحي التي يتكلم فيها بالآرامية * ، ذلك أن البيرة هي ترجمة للفظ الآرامي (بيرتا) ، أي القلعة أو الحصن » .

يحيط بهذه المدينة تلال * تعلوها خرائب منها خربة التل ، وخربة دير شباب ، وخربة قصر الطريز ، وخربة كفر مر ، وخربة سويكة ، وخربة عطار ، وأهمها خربة حيّان على مسافة ثلاثة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من قرية بيتين الواقعة إلى الشمال الشرقي من البيرة . وهناك عدد من المغاور كمغارة المقصورة ، ومغارة الواد ، ومغارة وقف الجامع . وتدل هذه الخرائب على أن إعمار ظهير المدينة قديم .

وينتشر بين هذه الخرائب والتلال عدد كبير من الينابيع (رَ : عيون الماء) يعود وجودها إلى طبيعة الصخور * الكلسية المنفذة وإلى الأمطار التي تتلقاها المنطقة بسبب عامل التضاريس . ولعل هذه الينابيع هي التي جذبت البشر إليها فأقاموا مراكز سكن . أهم هذه الينابيع نبع الشيخ عمر الذي يقع إلى الجنوب الغربي من مدينة البيرة . وللآبار * التي تتجمع فيها مياه الأمطار دور في إرواء المدينة .

تتألف البيرة من بيوت مبنية من الحجر والإسمنت ، ويتخذ مخططها التنظيمي شكل المستطيل ، إذ تتكون المدينة من شبكة شوارع مستقيمة شبه متعامدة . ويبدو من دراسة المخطط أن المدينة تتجه في نموها العمراني نحو الشمال ونحو الجنوب على شكل محورين من المباني المحاذية لكل من طريقي رام الله * ـ نابلس * ورام الله ـ القدس . وقد امتدت المدينة بفعل توسعها العمراني وازدادت مساحتها من ٩٦٧ دونماً في عام ١٩٤٥ إلى أكثر من ١,٥٠٠ دونم في الوقت الحاضر . وتبلغ مساحة الأراضي التابعة للبيرة ٢٢,٠٤٥ دونماً منها ١٥٢ دونماً للطرق . وتتوافر في البيرة المرافق والخدمات العامة كالأسواق التجارية والمدارس والعيادات الصحية والماء والكهرباء والمواصلات . وتشرف بلدية البيرة على إدارة شؤون المدينة وتوفير مختلف الخدمات المطلوبة لها .

سكان المدينة عرب بلغ عددهم عام ١٩١٢ نحو ١,٠٠٠ نسمة ، وارتفع في عام ١٩٢٢ إلى ١,٤٧٩ نسمة ، وفي عام ١٩٣١ إلى ٢,٢٩٢ نسمة . أما في عام ١٩٤٥ فقد قدر عددهم بنحو ٢,٦٤٠ نسمة ، ووصل عددهم في عام ١٩٦١ إلى ١٤,٥١٠ نسمات يؤلفون ٢,٧٠٠ أسرة ويقيمون في ١,٨٢٩ بناء . ويقدر عدد سكان البيرة عام ١٩٨٠ بأكثر من ٢٥ ألف نسمة .

يتميز سكان المدينة بإقبالهم على التعلم ، ففي عام ١٩٦٧ كان في المدينة خمس مدارس للذكور (ابتدائية وإعدادية وثانوية) ، كما أن المرأة في هذه المدينة تتجه نحو التعلم بشكل ملموس ، ففي المدينة خمس مدارس للإناث (ابتدائية وإعدادية وثانوية) ومدرستان مختلطتان ، وفيها مدرسة للمكفوفين ، كما تكثر رياض الأطفال في البيرة وتعود بالدرجة الأولى إلى نشاط الاتحاد النسائي .

الموارد الاقتصادية للمدينة متعددة منها الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ، إلا أن أصلها واحد ، وهو الزراعة * التي تلعب دوراً هاماً في حياة سكان المدينة ، خاصة أن الوعي الزراعي منتشر بين السكان . ويلاحظ تقدم مستويات الفن الزراعي بانتشار البساتين ذات الحيازة الصغيرة التي تحتّمها طبيعة المنحدرات ومقتضيات العمل اليدوي الكثيف ، وتزكّيها عراقة التقاليد الزراعية والدراية المتوارثة . وتؤمن هذه البساتين غذاء

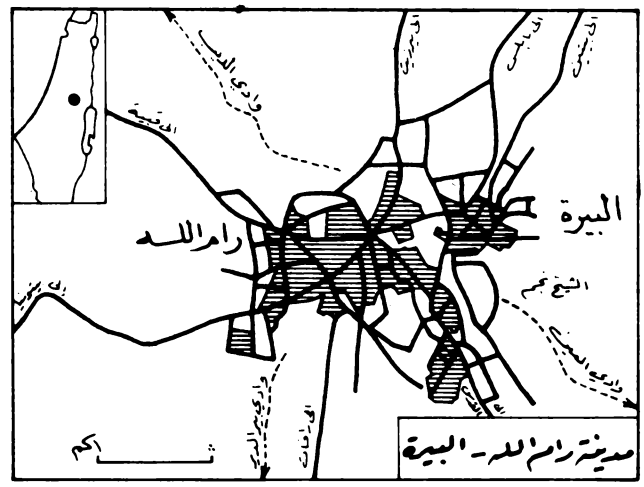

للسكان ومتنفساً لهم ، كما تقوم عليها صناعة التجفيف ، فتصدّر المدينة كميات من الفواكه المجففة إلى المناطق المحيطة بها ، وتساعد الظروف الملائمة من مناخ وتربة على ازدهار الزراعة ، وهذا شأن مدن وقرى الضفة الغربية عامة ، إذ كانت تسهم خلال الستينات في اقتصاد الأردن بنحو ٨٠٪ من إنتاج الزيتون * ، و ٦٥٪ من إنتاج الخضر والفاكهة. وتقوم الزراعة في البيرة بالدرجة الأولى على جهود الفلاحين ، إلا أن الآلة الحديثة بدأت تنتشر . وتلعب مياه الآبار دوراً هاماً في ذلك ، إذ يقيم القادرون المزارع أينما اكتشف خزان جوفي .

أهم المحاصيل الزراعية الحبوب * وذلك لتأمين الاكتفاء الذاتي لسكان المدينة . ويصدر منها القليل . وهناك زراعة الخضر * التي يتصف انتاجها باستقرار نسبي بفضل اعتماده على الري .

وتكثر في البيرة الأشجار المثمرة وفي طليعتها أشجار الزيتون التي تعتبر الشجرة الأولى في محيط المدينة . وهناك أشجار التين والعنب * . ولشجرة الزيتون أهمية كبرى في اقتصاد سكان المدينة ، إذ تقوم على الزيتون صناعة عصر الزيتون التي نشأ لها مجمع صناعي بسيط قائم على الإنتاج المحدود . وتنتشر في المدينة إضافة إلى صناعة الزيتون ، بنوعيها التقليدي المتوارث والحديث ، صناعات خفيفة وحرف تقليدية كالصناعة النسيجية (النول) (رَ : النسيج ، صناعة) . وقد بدأت هذه الصناعة تتراجع . وهناك الصناعات التقليدية الأخرى المعروفة في شتى المدن العربية القديمة ، وقد بقي هذا النمط من الصناعات التقليدية مسيطراً على النشاط الحرفي حتى عهد قريب . أما الصناعة * الحديثة فقد بدأت تنتشر ، وهي في تطور مستمر ، ولكن نصيبها بسيط في الدخل ، فالبيرة لا ترتكز على قاعدة صناعية هامة ، ونصيبها بسيط في إجمالي الدخل القومي ، وتقتصر معظم صناعاتها على الحرف اليدوية ومنتجاتها .

وقد تأثرت الزراعة بضيق المساحات الأرضية المستوية الصالحة للزراعة الناجم عن شدة تخدد المرتفعات ، وفقر التربة المتآكلة ، والموارد الأرضية الهزيلة .

من ناحية أخرى اكتسبت البيرة شهرة واسعة كمصيف ، فقد منحتها الطبيعة صناعة هامة هي صناعة السياحة (رَ : السياحة) ، وذلك لارتفاعها ولطف هوائها . وهنالك أيضاً صناعة التحف الخشبية وتطعيمها بالصدف . ويعمل السكان على تطوير هذه الصناعة بشكل مستمر . وللدخل السياحي أهمية كبرى في اقتصاد سكان المدينة ، فكان يؤمها قبل صيف عام ١٩٦٧ سيّاح من دول الخليج فضلاً عن الحجاج . غير أن انقطاع سيل السياح بعد عام ١٩٦٧ أصاب اقتصاد هذا المركز بضربة قاصمة . ويحاول السكان الآن إستئناف النشاط السياحي الذي مارسوه سنين طويلة .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٨ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤

ـ **خريطة فلسطين** ، مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة رام الله .

البِـيرَة (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمال مدينة بيسان * ، وفي الشمال الغربي من قرية كوكب الهوا * ، وتصلها بها طريق معبدة فرعية . وتصلها طرق ممهدة فرعية بقرى دنة * وكفرة * وجبّول * وخربة أم صابونة . ويمر بجنوبها مباشرة خط أنابيب النفط الذي كان قبل عام ١٩٤٨ ينقل النفط العراقي لتكريره في مصفاة النفط في حيفا .

أقيمت قرية البيرة فوق أقدام مرتفعات الجليل الأدنى المطلة على غور بيسان . وترتفع نحو ١٦٠م عن سطح البحر . وتشرف على وادي البيرة * الذي يجري إلى الشمال منها منحدراً من مرتفعات الجليل وهابطاً إلى غور بيسان ليرفد في النهاية نهر الأردن * . وتكثر المياه في وادي البيرة وتستغل في أغراض الري والشرب .

بنيت معظم بيوت البيرة من الحجارة ، واتخذ مخططها شكلاً مستطيلاً ، إذ امتدت القرية القديمة أول الأمر نحو الشمال والجنوب ، ثم أخذ نموها يسير في محورين بمحاذاة الطريقين المؤديتين

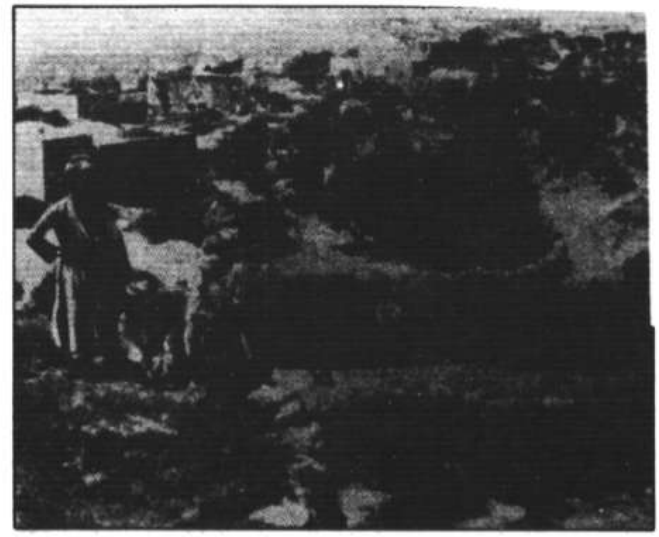

إلى قرية وادي البيرة في الشرق . وقد بلغت مساحة البيرة في عام ١٩٤٥ نحو ٥٢ دونماً . وكانت تمتد عبر نموها العمراني فوق بقعة أثرية تحتوي على أنقاض قرية قديمة . وباستثناء بعض الدكاكين الصغيرة فإن البيرة كانت شبه خالية من المرافق والخدمات العامة ، ولذا اعتمد سكانها على مدينة بيسان المجاورة كمركز تسويقي وإداري .

لقرية البيرة أراض مساحتها ٦,٨٦٦ دونماً منها ٩٦ دونماً للطرق * والأودية ، ولا يملك الصهيونيون منها شيئاً . وكانت تستغل في زراعة الحبوب * وبعض أنواع الخضر * والأشجار المثمرة . وقد شغلت أشجار الزيتون * أكبر مساحة بين المحاصيل الزراعية . وإلى جانب الزراعة قامت مهنة الرعي * معتمدة على الأعشاب الطبيعية فوق أقدام الجبال . وكانت الزراعة * تعتمد على مياه الأمطار والينابيع ذات المياه الغزيرة والعذبة .

كان في البيرة نحو ٢٠٠ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وازداد عدد سكانها إلى ٢٢٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وإلى ٢٦٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وكان هؤلاء السكان يقيمون في نحو ٦٥ بيتاً عام ١٩٤٥ . وقد طردهم الصهيونيون من ديارهم وهدموا بيوتهم خلال حرب ١٩٤٨ * .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ . بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة أم قيس .

البِيـرَة (وادي ـ) :

وادي فلسطيني يرفد نهر الأردن *حاملاً إليه مياه الامطار وسيول المرتفعات الواقعة شرق الناصرة * وهضبة كفركمّا . وهو واد سيلي تجري فيه المياه في فصل الأمطار عدا جزء قصير منه يقع شرق وجنوب شرق جبل طابوَر (الطور) * تغذّيه مجموعة من الينابيع تجعله مستمر الجريان مسافة لا تتجاوز ٥ ـ ٦ كم يعود بعدها مسيلاً فصلياً لا يصل منه إلى مصبّه سوى خيط مائي صغير .

تظهر بدايات وادي البيرة على شكل شعاب صغيرة شرق مدينة الناصرة ومرتفعاتها من علو يراوح بين ٣٢٠ و٤٥٠م عن سطح البحر . ويتجه جنوباً ثم جنوباً شرقياً فشرقاً ليطوّق جبل الطور من أطرافه الجنوبية ماراً بأطراف سهل مرج ابن عامر * في منطقة اكسال . ويعرف الوادي هنا باسم وادي الطور ، أو طابور أحياناً . ويتلقى وادي البيرة جنوب شرق الجبل المذكور رافداً هاماً يحمل إليه مياه منطقة عرب الصبيح ومياه عدة ينابيع منبثقة عند الحضيض الشرقي لجبل الطور . ويتابع الوادي سيره نحو الجنوب

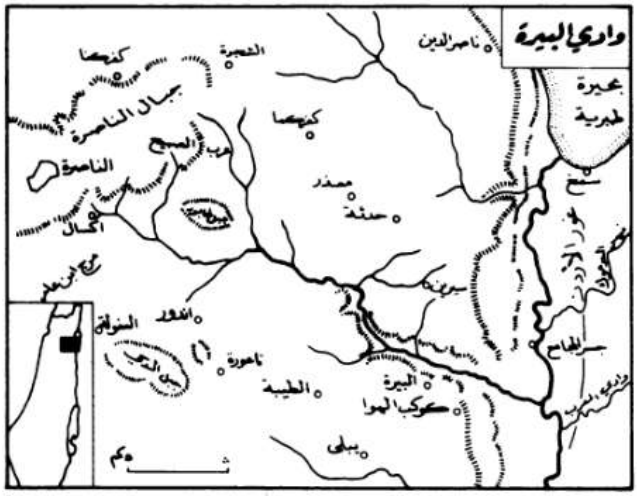

الشرقي متعمقاً في الصخور على امتداد خط صدع واضح المعالم يفصل بين صخور النيوجين الرسوبية وصخور الرباعي البركانية ـ الاندفاعية . وبعد قطع الوادي نحو ١٨ كم من بداياته يصبح مجراه تحت مستوى سطح البحر ، ويتعمق في وادي ضيق متعرج ذي محور جنوبي شرقي ، ثم يعود ويتخذ له محوراً شرقياً ـ جنوبياً شرقياً مسايراً خط صدع آخر له المحور نفسه . ويمر الوادي شمال قرية البيرة * وكوكب الهوا * ، ويخرج من التلال * والمرتفعات المطلة على غور الأردن عند نقطة تعرف باسم الطاقة ليسير بعدها مسافة ٣ كم في منبسطات أرض الغور * ، ثم يصبّ في نهر الأردن على ارتفاع ٢٢٥م دون مستوى سطح البحر جنوب جسر المجامع * مقابل مصب وادي العرب القادم من مرتفعات شرقي الأردن بعد أن يكون قد قطع نحو ٤٠ كم .

تختلف أمطار حوض وادي البيرة في مجراه الأعلى عنها في المجرى

الأدنى ، ففي حين تحوم كمياتها السنوية في المرتفعات الغربية وأعالي الوادي حول ٤٠٠ ـ ٥٥٠ مم تنخفض في المجرى الأدنى والمنخفضات الغورية إلى ٣٠٠ ـ ٣٥٠ مم . وفي الحالتين تسمح هذه الكميات من الأمطار بممارسة أعمال الزراعة * البعلية فتزرع الحبوب بأنواعها المختلفة في أراضي القرى المنتشرة في حوض الوادي ، وتسمح كذلك بتربية الحيوانات في المراعي والأحراج المنتشرة في المجرى الأعلى والأوسط . أما زراعة الخضر والأشجار المثمرة فترتبط بالأجزاء التي تتوافر فيها مياه للري من الينابيع أو من مجرى الوادي المستمر الجريان حول جبل الطور وجنوبه الشرقي . وقد أقيمت عدة طواحين تعمل بقوة المياه في أجزاء متفرقة من الوادي .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحتا الناصرة والحمة .
ـ الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

البيرو : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

بيروت (مطار ـ) :

رَ : الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت

بيروت (جمعية ـ الإصلاحية) :

رَ : اللامركزية الإدارية (حزب ـ العثماني)

بيروت (مؤتمر ـ ١٩٣٩) :

إمعاناً من الحكومة البريطانية في التسويف بوعودها لعرب فلسطين دعت في تشرين الثاني ١٩٣٨ إلى عقد مؤتمر في لندن للبحث في مستقبل فلسطين (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) . وحتى يتمكن الشعب الفلسطيني من اختيار ممثليه في هذا المؤتمر طالب بإطلاق سراح الزعماء المنفيين، كما أعرب عن ثقته بالحاج محمد أمين الحسيني * مفتي فلسطين ورئيس اللجنة العربية العليا * ورفاقه .

أظهر الإنكليز موافقتهم على تلك المطالب فأعلنوا إطلاق سراح المنفيين ، لكنهم حظروا عليهم دخول فلسطين . وإزاء هذا الموقف اجتمع في مقر المفتي ببيروت من ١٢ إلى ١٩٣٩/١/١٥ الزعماء الفلسطينيون وأعضاء اللجنة العربية العليا وقرروا الموافقة مبدئياً على حضور المؤتمر . وبالرغم من أن المجتمعين كانوا لا يثقون ببريطانيا ووعودها فقد أرادوا أن يعبروا بموافقتهم على حضور المؤتمر عن أملهم في أن تكون الحكومة البريطانية جادة في إيجاد حل نهائي يكفل السلام ، ويعيد الطمأنينة إلى فلسطين ، ويضمن مطالب العرب المقررة في ميثاقهم القومي وهي : وحدة البلاد العربية واستقلالها ، ومقاومة الاستعمار بكل صيغه وأشكاله ، وإقامة دولة عربية فلسطينية مستقلة .

تقرر أن تكوّن اللجنة العربية العليا بجميع أعضائها وفداً برئاسة المفتي . كما تقرر أيضاً أن تأخذ اللجنة على عاتقها مهمة أية مفاوضات حول فلسطين في الحاضر والمستقبل . وخُوِّل الوفد أيضاً التنسيق مع ممثلي الحكومات العربية الذين قررت بريطانيا دعوتهم إلى المؤتمر . وتمّ أيضاً تسمية الأعضاء الذين سينوبون عن الوفد أثناء المحادثات مع الجانب البريطاني وهم : جمال الحسيني * ، وعوني عبد الهادي * ، ود. حسين فخري الخالدي * ، وألفرد روك * ، وموسى العلمي ، وأمين التميمي * ، وجورج أنطونيوس * ، ويكون الأخير سكرتيراً للوفد وفؤاد سابا مساعداً له .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، صيدا وبيروت ١٩٥٩ و ١٩٦٠ .
ـ خيرية قاسمية (إعداد) : عوني عبد الهادي ، أوراق خاصة ، بيروت ١٩٧٤
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

بِيْريَا (قرية ـ) :

قرية عربية في ظاهر مدينة صفد * الشمالي . قامت على بقعة « بيري » الرومانية . وتفصل القرية عن مدينة صفد أراض زراعية مشجرة تخترقها طريق رئيسة تصل بين صفد والمدن والقرى الواقعة إلى الغرب منها . وتقع غربي بيريا قرية عين الزيتون * .

أقيمت هذه القرية الصغيرة على ارتفاع ٩٥٥م عن سطح البحر فوق السفوح الجنوبية لأحد التلال المرتفعة شمالي مدينة صفد بين جبل كنعان في الشرق وجبل صفد في الغرب . وتنفرج سفوح تلك التلال بالاتجاه الجنوبي الشرقي حيث امتدت القرية

في حين حال الارتفاع الشديد والمنحدرات الوعرة دون امتداد القرية في الاتجاه الشمالي . ولم تتعد مساحة القرية ٢٥ دونماً .

تبلغ مساحة الأراضي التابعة للقرية ٥,٤٧٩ دونماً . وتقع معظم الأراضي الزراعية في بيريا في المنطقة الجنوبية الشرقية من القرية ، وقد غرس الزيتون * في جزء منها مساحته ٣٠ دونماً ، وغرست أشجار الفاكهة في أجزاء أخرى . وتوجد بعض ينابيع الماء بجوار القرية كان يشرب منها السكان ويروون منها أحياناً بعض المزروعات . وقد عمل معظم سكان القرية في الزراعة * ، وكانوا يسوّقون إنتاجهم في مدينة صفد .

بلغ عدد سكان بيريا ١٢٨ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وارتفع إلى ١٦٠ نسمة في عام ١٩٣١ كانوا يقطنون في ٣٨ مسكناً . وقدر عددهم بنحو ٢٤٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وكان هؤلاء السكان يعتمدون على مدينة صفد في الحصول على الخدمات اللازمة لهم .

أقام الصهيونيون في أراضي بيريا عام ١٩٤٥ قلعة سموها « بيريا » ، ودمّروا القرية العربية في عام ١٩٤٨ وشتتوا سكانها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة صفد .

بِيرَيْن (قرية ـ) :

قرية عربية تقع إلى جنوب الجنوب الغربي لبير السبع * . كانت في عهد الأنباط * والرومان محطة على طرق القوافل التجارية التي تمر بفلسطين الجنوبية بين العقبة وبير السبع ، وكانت جماعات البدو المتجولين تسلك هذه الطريق مارة بالكنتلا وبيرين والعوجاء والخلصة وتتجه من بير السبع غرباً نحو غزة * ، وشمالاً نحو الخليل * .

نشأت بيرين منذ القديم قرب وادي بيرين أحد روافد وادي العوجاء الذي ينحدر نحو الشمال الغربي ليدخل سيناء ويتصل بوادي العريش . وكانت بيرين مدينة مزدهرة في العهد الروماني . ويذكر بعض الدارسين أن تسميتها جاءت من وجود بئرين للمياه في هذا الموقع في حين يعتقد آخرون أن القرية نسبت إلى قبيلة بيرين العربية التي نزلت هذه الديار قبل الإسلام .

وتحتوي بيرين على آثار متعددة لأبنية ولدوائر من الحجارة ، ولرجم من الصوان ، وعلى شقف فخار وبركة ماء من عهد الرومان . ولا شك في أن وجود المياه الجوفية في منطقة بيرين هو الذي ساعد على إعمار المنطقة واتخاذها محطة للقوافل وللجيوش .

ظلت بيرين طوال العهد الإسلامي محطة للقوافل التجارية ، وممراً لقبائل البدو المتجولة ما بين النقب * وسيناء . ومنذ أوائل القرن الحالي استقر بعض أفراد البدو من قبيلة العزازمة في هذا الموقع الأثري وأنشأوا فيه بيوتاً من اللّبن إلى جانب بيوت الشعر . وقد جمعوا بين حرفتي الرعي * والزراعة * ، أو بين حياة البداوة والاستقرار . وأهم ما أنتجه هؤلاء الحبوب والبطيخ والشمام والقثاء ومنتجات الألبان . وفي عام ١٩٤٨ طمع الصهيونيون في هذا الموقع الحيوي الإستراتيجي فاعتدوا على القرية وطردوا سكانها ودمروا بيوتهم وأقاموا مستعمرة « عزوز » على أراضي بيرين عام ١٩٥٦ .

ونظراً لقرب بيرين من العوجاء ومن الحدود المصرية ـ الفلسطينية استخدمت نقطة انطلاق لتحرك القوات الصهيونية لاحتلال أم رشرش على خليج العقبة في عام ١٩٤٨ (رَ : حرب ١٩٤٨) ، وللاعتداء على القوات المصرية المرابطة في موقع الصبحة بسيناء عام ١٩٥٥ ، وللتحرك لمهاجمة مصر خلال العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ (رَ : حرب ١٩٥٦) وخلال حرب ١٩٦٧ * وحرب ١٩٧٣ * .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٣٠٠,٠٠٠ .

بيسان (مدينة ـ) :

مدينة عربية من أقدم مدن فلسطين وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي في ١٩٤٨/٥/١٢ (رَ : بيسان ، معركة ـ ١٩٤٨) .

أ ـ الموقع : ساهم الموقع الجغرافي لبيسان مساهمة كبيرة في نشأتها الأولى لأنها نشأت فوق أقدام الحافة الغربية للغور * ، وفي سهل بيسان الذي يعدّ حلقة وصل بين وادي الأردن شرقا وسهل مرج ابن عامر * غربا . وتشرف المدينة على ممرّ ووادي جالود * إحدى البوابات الطبيعية الشرقية لسهل مرج ابن عامر ، وتشرف أيضاً على الأجزاء الشمالية من وادي الأردن . ولا غرابة إذا ارتبطت بيسان بشبكة هامة من طرق المواصلات . وقد جذب موقعها الأنظار فكانت محطة تتجمع فيها القوافل التي تسير بين الشام

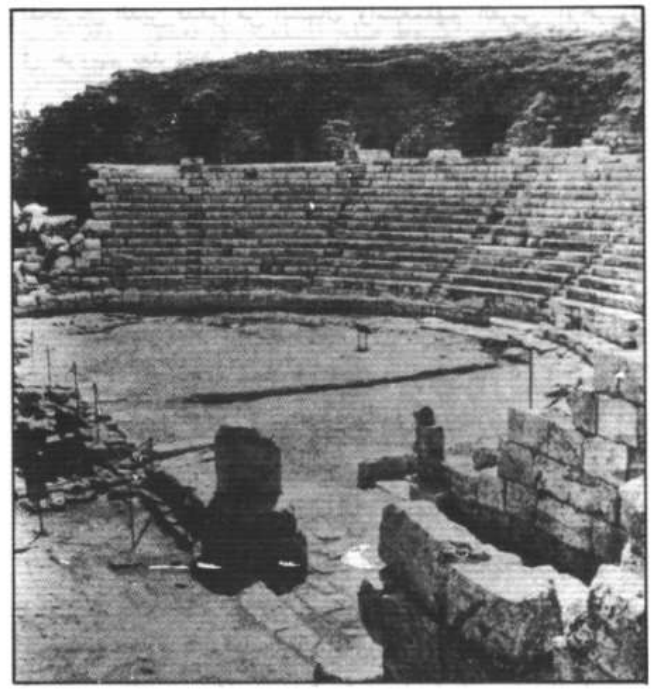

ومصر . وكانت معبرا للغزوات الحربية بينهما أيضا . وكثيرا ما تعرضت لهجمات البدو المستمرة من الشرق . وكانت تتصدّى لهذه الهجمات من خلال موقعها كحارس على خط الدفاع الأول عن المناطق الزراعية الخصيبة في سهل مرج ابن عامر والسهل الساحلي لفلسطين . واستطاعت بيسان بمرور الزمن أن تغري كثيرا من التجار والغزاة بالاستقرار فيها .

وإذا كانت الطرق * قد ساهمت في نشأة بيسان الأولى فإن المدينة أصبحت فيما بعد عاملاً رئيساً في جذب الطرق إليها . وغدت متصلة بالأقاليم المجاورة بشبكة حيوية من الطرق الهامة ; فالطريق المعبدة التي تسير بمحاذاة الغور الغربية تربط بيسان بطبرية * على بعد ٣٨ كم في الشمال . وتصلها بالقدس * في الجنوب طريق أخرى تمر بأريحا * طولها ١٢٧ كم . وتخرج من بيسان طريق معبدة ثالثة تسير في سهل مرج ابن عامر إلى العفولة * على بعد ٢٧ كم وتمتد حتى حيفا * على بعد ٧١ كم . وتتفرع منها طريقان إحداهما تسير نحو الشمال إلى الناصرة * (٤١ كم) ، والثانية تتجه نحو الجنوب إلى جنين * (٣٣ كم) ، وإلى نابلس * (٧٦ كم) . وتتصل بيسان بالأردن وسورية بطرق معبدة تتجه شرقا لتقطع نهر الأردن * عند جسر الشيخ حسين (٧,٥ كم) وجسر دامية في الجنوب (٥١ كم) وجسر المجامع شمالا (١٧ كم) . وتقع بيسان عند الكيلومتر ٥٩ من خط سكة حديد حيفا ـ درعا ، وبهذا الخط الحديدي تتصل بيسان بسمخ * على الشاطىء الجنوبي الشرقي لبحيرة طبرية * (٢٧ كم) ومن ثم تتصل بدرعا ودمشق .

طرأ تحوّل على التوجه الجغرافي لحركة المواصلات بين بيسان والمناطق المجاورة إثر حرب ١٩٤٨ * ، إذ لم يعد موقع بيسان الجغرافي موقعا مركزيا متوسطا كما كان في السابق ، بل أصبح موقعا هامشياً تقريباً بعد استيلاء الصهيونيين عليها وتعيين خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ (رَ : الهدنة الدائمة بين الأردن وإسرائيل ، اتفاقية) .

ب ـ الموضع : يجمع الموضع الحالي لبيسان بين مواضع قديمة وأخرى حديثة . أما المواضع القديمة فتتمثل في الخرائب القديمة التي تشتمل عليها بعض التلال المحيطة ببيسان . ففي الجهة الشمالية من بيسان يوجد تل الحصن (ـ ١٧٥ م) ، وتل المصطبة (ـ ١٥٠ م) . وفي الجهة الشمالية الغربية يحيط بالمدينة تل الجسر (ـ ١٢٠ م) ، وتل بصول (ـ ١١٠ م) ، وتل توميس (ـ ١١٠ م) . وتل الزهرة (ـ ٩٥ م) . وتشتمل هذه الخرائب على بقايا الأبنية السكنية والمقابر وأماكن العبادة والمسارح والميادين والأسوار .

أما الموضع الحديث للمدينة فإنه يقوم أيضاً على هضبة صغيرة (ـ ١٥٠ م) تمتد في الغور جنوبي نهر جالود . وتجدر الإشارة إلى أن الموضعين القديم والحديث لبيسان يقومان على تلال من الأرض ترتفع عمّا حولها من الأراضي المنبسطة داخل غور بيسان . ويعود السبب في ذلك إلى الرغبة في تحاشي أخطار فيضان نهر جالود والابتعاد عن المستنقعات * من جهة ، وإلى استغلال الأراضي المنبسطة في الزراعة من جهة أخرى . ولعل انتقال الموضع من الشمال إلى الجنوب استهدف في الأصل درء أخطار الفيضانات والأوبئة عن المدينة ، والاستفادة من الأراضي الغورية المجاورة لنهر جالود وقنواته في الزراعة .

نشأت بيسان فوق موضعها الحديث نسبيا في أوائل القرن التاسع عشر . واقتصرت أماكن مبانيها في بداية الأمر على سطح هضبة بيسان التي تمثل أحد المدرجات البحيرية للبحيرة الأردنية القديمة . ثم امتد موضع بيسان نتيجة تطور نموّها العمراني بعدئذ فضم أجزاء من أقدام الحافة الغربية للغور وأجزاء من أراضي الغور المنبسطة . وتنحدر أرض بيسان بصفة عامة من الغرب إلى الشرق ، ويجري نهر جالود أحد روافد نهر الأردن شمالي بيسان ، ويمرّ بين تلّي الحصن والمصطبة ، كما أنه يغذي بعض برك الأسماك * بالمياه بفرع له يمر من جنوب بيسان . وتكثر العيون المائية (رَ : عيون الماء) حول المدينة ، وهي تساهم مع مياه نهر جالود وفروعه في ري الأراضي الزراعية المجاورة .

جـ ـ المناخ * : يتأثر مناخ بيسان بموقع المدينة في الغور حيث تنخفض أكثر من ١٥٠ م عن سطح البحر . ويتأثر أيضاً بمواجهة بيسان لفتحة سهل مرج ابن عامر الطبيعية فتصلها مؤثرات البحر

المتوسط . يبلغ المتوسط السنوي لدرجة الحرارة في بيسان نحو ٢١ ، ويبلغ معدل الرطوبة النسبية نحو ٥٨٪ . وتخفف نسبة الرطوبة القليلة من حدّة ارتفاع درجة الحرارة ، ولا سيما في فصل الصيف عندما يرتفع متوسط درجة الحرارة العظمى إلى ٢٩° ، ويتدنى معدل الرطوبة النسبية إلى ما يقرب من ٥٠٪ . أما في الشتاء فإن متوسط درجة الحرارة الصغرى يبلغ نحو ١٤° ، وقد تهبط أدنى درجة حرارة في شهر كانون الثاني إلى الصفر ، ممّا يضرّ بالمحاصيل الزراعية .

بلغ متوسط كمية الأمطار السنوية الهاطلة على بيسان بين عامي ١٩٠١ و١٩٤٠ نحو ٣٠٥ مم . وتكفي هذه الكمية من الأمطار لقيام الزراعة * في إقليم بيسان لولا أنها غير منتظمة . ففي موسم ١٩٢٨/١٩٢٧ كانت كمية الأمطار ١٤٩,٥ مم ، وارتفعت إلى ٥١٤,٤ مم في موسم ١٩٤٣/١٩٤٢ . ويسبب هذا التغير قلقا مستمراً عند مزارعي المنطقة . لكن اعتماد مساحات واسعة من الأراضي الزراعية على الري يخفف من وطأة المشكلة .

وتتأثر مدينة بيسان باندفاع الرياح القادمة من الغرب نحوها ، ويسبب هذا الاندفاع من المرتفعات نحو المدينة انضغاط الهواء ، وارتفاع درجة حرارة الجو ، وإثارةالزوابع والأتربة ، خاصة بعد الظهر حين تكون الأنسام القادمة من البحر المتوسط قد وصلت إلى منطقة غور بيسان . وتتأثر المدينة أيضاً ببعض الموجات الحارّة في فصل الربيع عندما تهب عليها رياح جنوبية شرقية محملة بالأتربة . أما الموجات الباردة فإنها تحدث أحيانا نتيجة هبوب رياح شمالية باردة .

د ـ النشأة والنمو : يرجع شأن بيسان إلى عصور ما قبل التاريخ ، أي إلى أكثر من ستة آلاف سنة قبل الميلاد (رَ :العصور القديمة) . حملت في العهود الكنعانية اسم بيت شان ، وقد يعني هذا الاسم بيت الإله شان أو بيت السكون ، وقد أخذ اليهود من الكنعانيين التسمية . وبيسان ذات أهمية تجارية وعسكرية وزراعية لوقوعها على الطريق العام الذي يصلها بشرق الأردن وحوران ودمشق ، ولوجودها في غور خصب تتوفر فيه المياه ، ويزرع فيه النخيل والقطن والحبوب وغيرها .

استولى المصريون على بيت شان حوالي عام ١٤٧٩ق.م. بقيادة تحتمس الثالث * ، وبقيت في قبضتهم ردحا طويلا من الزمن حتى أيام رعمسيس الثالث عام ١١٩٨ ق.م. ولم يستطع اليهود ضمّها رغم محاولاتهم المتكررة . وعلى أسوارها سمّر الفلسطيّون * جسد شاول وأولاده بعد قتلهم عام ١٠٠٤ ق . م . في معركة جلبوع التي حدثت بين الفلسطيين واليهود . أطلق اليونانيون على بيسان اسم مدينة السكيتيين *Schythopolis* لأن (السكيت) احتلوها حوالي عام ٦٠٠ ق . م . واستوطنوها ، وهم قبائل من الفرسان المحاربين الذين قدموا من الشمال واستعملهم الفرس الأخمينيون في حروبهم بعد إخضاعهم . وفي العصر الهلنستي * كانت بيسان (سكيتوبولس) من أهم المدن الفلسطينية التي انتشرت فيها المدنية اليونانية . وفي العهد الروماني استمرت أهمية بيسان فكانت زعيمة للمدن العشر* (ديكابولس)، وأصبحت مركزا تجاريا هاما تمرّ القوافل التجارية منها في طريقها إلى الأردن . ولا تزال شواهد هذا الازدهار ماثلة في بيسان حيث توجد بقايا مدرج روماني قائمة في تل الحصن ، ولا تزال قناطر الجسر الروماني فوق سيل الجالود (نهر جالود *) .وأصبحت بيسان في العهد البيزنطي عام ٣٢٥ م ، مركزاً لأبرشية كان لممثلها في مجمع نيقية الديني دور بارز . ومن آثار هذا العهد التي لا تزال قائمة دير يتألف من ثلاث غرف .

وبيسان من أوائل المدن الهامة التي فتحها العرب .

ففي أواخر عام ١٣هـ/٦٣٤م حاصر المدينة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة* وفتحاها صلحا . وفي رواية أن شرحبيل هو الذي فتحها وحده بعد أن حاصرها أياماً، ولمّا خرج بعض من فيها لقتال المسلمين قاتلهم وهزمهم ففتحت أبوابها لفرسان المسلمين . وكان لصلح بيسان طابع خاص ، فبالإضافة إلى فرض الجزية على رؤوس أهلها والعين (المحصول) على الأرض كان المسلمون يشاطرون أهلها المنازل فيجتمع أهلها في نصف المدينة ويترك النصف الآخر للمسلمين ، كذلك حدد موضع المسجد للمسلمين .

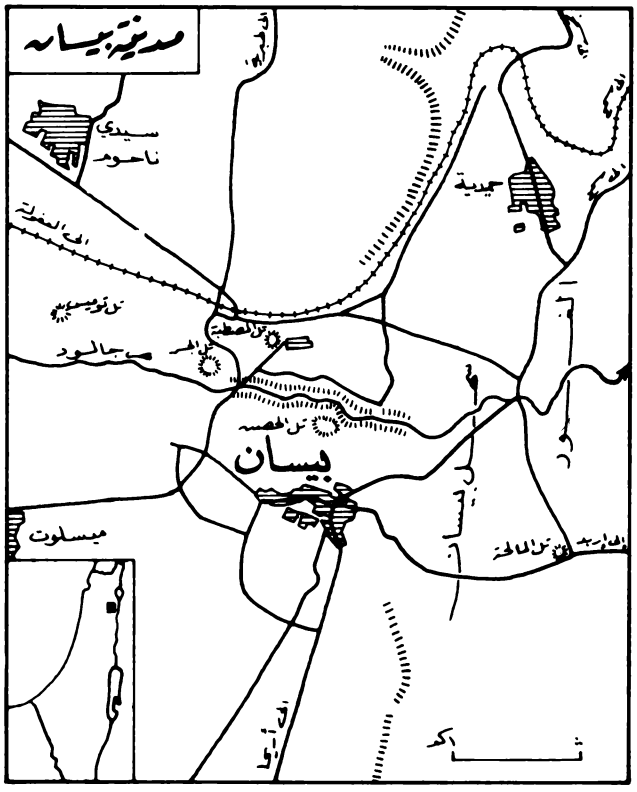

ومثل ذلك كان من شروط صلح المسلمين في دمشق . وقد بقيت لبيسان شهرة خاصة في تاريخ المسلمين بسبب وجود قبر الصحابي الكبير أبي عبيدة بن الجرّاح قائد فتوح الشام فيها ، وربما يكون فيها أيضا قبر شرحبيل بن حسنة ، وكلاهما توفي في طاعون عمواس المشهور في ١٨هـ/٦٣٩م . تردّد ذكر بيسان على لسان كثير من الجغرافيين العرب نظراً لأهميتها فذكرها ابن خرداذبة في كتابه « المسالك والممالك » بقوله : « كورة من كور الأردن ، وهي على الطريق المؤدية من دمشق إلى الرملة ، تقع بين طبرية واللجون » . وذكرها المقدسي في كتابه « أحسن التقاسيم » فقال : « بيسان على النهر كثيرة النخل ، وأرزاز فلسطين والأردن منها ، غزيرة المياه رحبة ، إلاّ أن ماءها ثقيل » . ووصفها الوزير الفقيه أبو عبيد بن عبد العزيز البكري الأندلسي (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤ م) بقوله « بيسان موضعان أحدهما بالشام تنسب إليها الخمر الطيبة ، والثانية بالحجاز » . ويذكرها ياقوت في معجمه « بيسان مدينة بالأردن بالغور الشامي ، ويقال هي لسان الأرض ، وهي بين حوران وفلسطين ، وبها عين الفلوس يقال إنها من الجنة ، وهي عين فيها ملوحة يسيرة » .

وتحدث عنها الإدريسي (المتوفى عام ٥٦٠هـ/١١٦٥ م) بقوله : « أما بيسان فمدينة صغيرة جداً بها نخل كثير ، وبنيت فيها السافان التي تعمل منه الحصر السافانية ، ولا يوجد نباته إلاّ بها وليس في سائر الشام شيء منه » .

أما الهروي (المتوفى سنة ٦١٦هـ/١٢٢٠ م) فيقول : « مدينة بيسان قيل بها جامع ينسب إلى عمر بن الخطاب * ، وبها عين الفلوس قيل هي من جملة العيون الأربع » .

عندما تعرضت بلاد المشرق العربي إلى الهجمة الصليبية خضعت بيسان للإفرنج (رَ : الفرنجة) بعد احتلالهم مدينة القدس . ولكن استطاع العرب استردادها بعد معركة حطين * عام ٥٨٣هـ/١١٨٧ م . وفي عام ٦١٢هـ/١٢١٧ م.أعاد الإفرنج احتلال بيسان مرة ثانية (رَ : الفرنجة) .

ومن الحوادث الهامة التي ارتبطت بيسان بها في العهد المملوكي أنه بعد موقعة عين جالوت * تتبع الجنود المنتصرة أثر التتار * حتى تلاقوا بهم مرة أخرى في بيسان فكانت موقعة دموية قتل فيها الكثير من التتار وغنم المنتصرون غنائم وافرة . ومنها أن معركة كبيرة حدثت بين المماليك * بقيادة جان بردي الغزالي والجيش العثماني بقيادة سنان باشا انتهت بانكسار المماليك وسقوط بيسان ومنطقتها بأيدي العثمانيين . وفي عام ١٨١٢ م مرّ الرحالة بيركهارت بمدينة بيسان ووصفها بما يلي : « إن بيسان تقع على أرض مرتفعة من الجانب الغربي من الغور حيث تنحدر سلسلة الجبال المتاخمة للوادي إلى حدّ كبير وتكوّن أرضا مرتفعة مكشوفة تماما . كانت المدينة القديمة تروى من نهر يدعى الآن ماء بيسان ، وهو يجري في فروع مختلفة باتجاه السهل . تمتد خرائب بيسان إلى مدى واسع والبلدة على طول ضفاف الجدول وفي الأودية التي تشكلها فروعه المتعددة . تضم قرية بيسان الحالية سبعين بيتا أو ثمانين وسكانها في حالة بؤس شديد وذلك بسبب تعرضهم لأعمال السلب التي يقوم بها عرب الغور رغم أن السكان يدفعون لهم إتاوة فاحشة » .

يبدو أن بيسان عادت إلى الانتعاش والاتساع مرّة أخرى في الربع الأول من القرن العشرين ، ويقول صاحب كتاب « ولاية بيروت » عن بيسان في الفترة ما بين ١٩١٤ و١٩١٨ : " يقدّر عدد بيوت بيسان بحوالي ٦٠٠ بيت منها عشرون أو خمسة وعشرون للمسيحيين ، و١٥ لليهود فقط ، والباقي للمسلمين " .

هـ ـ التنقيبات الأثرية : هناك بعض المواقع الأثرية بالقرب من بيسان منها تل الجسر ، وخان الأحمر ، وتل المصطبة ، وتل الحصن وهو موقع بيسان القديمة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . وقد كانت التنقيبات الأثرية في تل الحصن من أوائل التنقيبات الأثرية بفلسطين . تولت هذه التنقيبات جامعة بنسلفانيا . وقد بدأت في عام ١٩٢٢ واستمرت حتى عام ١٩٣٣ ، وكانت على فترتين ، الفترة الأولى من ١٩٢٢ ـ ١٩٢٦ بإشراف فيشر ومشاركة ألن رو والفترة الثانية من ١٩٢٧ ـ ١٩٣٣ وكانت بإشراف ألن رو أولا ، ومنذ عام ١٩٣٠ بإشراف فيتزجيرالد ، وقد تركز جزء كبير من التنقيبات الأثرية في البداية على قمة التل ، إذ تبيّن أنها تضم معابد منذ العصر البرونزي الوسيط (رَ : العصور القديمة) حتى العصر البيزنطي . وعثر في السويات السبع الأولى التي تمّ الكشف عنها في الفترة الأولى من التنقيبات على أربعة معابد كنعانية معاصرة لحكم أمينوفيس الثالث وسيتي الأول ورعمسيس الثاني والثالث ، وعلى كنيسة بيزنطية . أمكن من خلال مجمل التنقيبات الأثرية تمييز ثماني عشرة سوية عثر فيها على الكثير من اللقى الأثرية إلى جانب المنشآت المعمارية .

من هذه اللقى ختم بابلي أسطواني عليه كتابة مسمارية ، ونصب من الحجر الأبيض يمثل الرب رشف ، ونصب بازلتي يمثل صراعا بين الأسد واللبوة ، ونموذج لبيت طيني وتوابيت فخارية ومدافن من كل العصور ، وعثر بين أنقاض الكنيسة على حليّ ذهبية مختلفة منها سلسلة وصفائح وأساور ، ومنها مبخرة من البرونز و١٠ قطع نقود . وعليه يمكن القول انه من خلال التنقيبات الأثرية أمكن التعرف على أن بيسان سكنت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد حتى العهد العربي (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

و ـ بيسان الحديته : تطورت بيسان بعد أن مدّ عام ١٩٠٥ خط سكة حديد حيفا ـ درعا الذي يمر من شمال المدينة (رَ : السكك الحديدية) . وسار نموّ السكان جنبا إلى جنب مع نموّ العمران ، فقد زاد عدد السكان نتيجة لاستقرار بعض البدو والتجار في المدينة ، إلى جانب الزيادة الطبيعية للسكان الأصليين ، ووصل في عام ١٩١٤ إلى أكثر من ١,٠٠٠ نسمة . أما العمران فنما بسبب اهتمام المسؤولين الأتراك قبيل الحرب العالمية الأولى بتنظيم سوق المدينة ومبانيها ، وقدّر مجموع بيوت بيسان خلال الحرب المذكورة بنحو ٦٠٠ بيت . وجنح امتداد المباني للابتعاد قليلا عن نهر جالود وفروعه والإقتراب من أراضي الغور .

بدأت المدينة تزدهر في عهد الانتداب البريطاني لأهمية موقعها وموضعها ولاختيارها مركزا إدارياً لقضاء بيسان . وتجلّى ذلك في ازدياد سكان المدينة من ١,٩١٤ نسمة (منهم ٤١ يهوديا فقط) عام ١٩٢٢ إلى ٣,١٠١ نسمة (منهم ٨٨ يهوديا) عام ١٩٣١ ، وإلى ٥,١٨٠ نسمة (منهم ٢٠ يهوديا فقط) عام ١٩٤٥ . وتطورت المدينة عمرانيا نتيجة إنشاء بلدية فيها ، وقام المجلس البلدي بتعبيد شوارع بيسان ، وغرس فيها أشجار الكينا ، وجفف الكثير من مستنقعاتها ليدرأ أخطار مرض الملاريا . ومما يؤكد اهتمام المجلس البلدي بتطوير بيسان زيادة نفقات البلدية من ١,٦٥٣ جنيهاً فلسطينيا عام ١٩٢٧ إلى ٨,٠٧٦ ج.ف. عام ١٩٤٤ ، وزيادة عدد رخص البناء الممنوحة للسكان من ٤٣ رخصة بناء عام ١٩٣٢ إلى ٦٢ رخصة عام ١٩٤٠ .

وأقيم في بيسان مستوصف بلغ عدد الذين ترددوا عليه للعلاج عام ١٩٤٤ نحو ٦,٧٧١ شخصا منهم ١,٢١٨ مصابا بالملاريا ، و١,٨٧٣ مصابا بأمراض العيون . وتجدر الإشارة إلى أن المستنقعات الواسعة والمناخ الحار السائد في بيسان ، وهبوب العواصف الترابية على المدينة بعد الظهر في كثير من أيام السنة ، كانت الأسباب الرئيسة لانتشار مرض الملاريا وأمراض العيون .

تطور التعليم في بيسان فبلغ عدد طلاب مدارس الحكومة في العام الدراسي ١٩٤٢/١٩٤٣ نحو ٣٦٦ طالبا ، وعدد الطالبات ٢٤٣ طالبة .

كان يوم ١٩٤٨/٥/١٢ يوما أسود في حياة بيسان عندما استولى الصهيونيون على المدينة وطردوا سكانها العرب الآمنين من ديارهم . وظلّت بيسان مدينة مهجورة طول عام كامل قامت سلطات الاحتلال خلاله بتدميرها وهدم بيوتها ، ثم أعادت بناء المدينة بعد أن غيّرت معالمها الأثرية والتاريخية ، ووطنت مئات العائلات الصهيونية فيها . وقد زاد عدد السكان الصهيونيين فيها من ١,٢٠٠ صهيوني عام ١٩٥٠ إلى ١٠,٠٥٠ عام ١٩٦١ ، وإلى ١٢,٨٠٠ في عام ١٩٦٦ ، وإلى ١٣,٥٠٠ عام ١٩٦٨ . أخذ كثير من السكان منذ بداية السبعينات يهاجرون من المدينة لسوء الأحوال الاقتصادية فيها . ونصف سكان بيسان حاليا هم صهيونيون مهاجرون من شمال إفريقيا معظمهم من مصر والمغرب ونحو ٣٠٪ من السكان صهيونيون قدموا من أقطار عربية وإسلامية كإيران والعراق وتركيا . أما باقي الصهيونيين فقد قدموا من أوربا أو ولدوا في فلسطين .

أنشئت في مدينة بيسان عام ١٩٦٣ مشاريع لجذب السائحين إليها ، فأقيم متحف للآثار ، وأعيد بناء المدرج الروماني القديم ، وأنشئت برك لتربية الأسماك في الجهتين الغربية والشرقية من المدينة تستمد مياهها من أحد فروع نهر جالود المارة بجنوب المدينة . وفي بيسان مولّد كهربائي ، ومضخة مياه رئيسة ، ومصانع للنسيج والمعادن واللدائن (البلاستيك) وصقل الألماس والآلات الكهربائية . بالإضافة إلى مطار صغير على بعد ٣ كم شمالي بيسان .

ز ـ وظائف بيسان : كانت الوظيفة الحربية داعي وجود بيسان القديمة التي قامت في موضع تل الحصن ، ثم أضيفت إليها الوظيفتان التجارية والزراعية في العهدين الروماني والإسلامي . وفي عهد الانتداب البريطاني كانت بيسان تجمع بين الوظائف الإدارية والتعليمية والزراعية والتجارية والصناعية ، وبقيت على هذه الحال في عهد الاحتلال الإسرائيلي للمدينة .

١) الوظيفة الإدارية : كانت بيسان مركزا لناحية من نواحي قضاء جنين في زمن الأتراك ، ثم جُعلت مركزاً لقضاء من أقضية لواء نابلس في أوائل العهد البريطاني ، وبعد قليل ألحقت بلواء الجليل (رَ : الإدارة) . وقد ضمّ قضاء بيسان في أواخر الانتداب البريطاني مدينة بيسان وثلاثين قرية ، وفيها مضارب القبائل . وكان سكان القضاء الذين قدّر عددهم بنحو ٢٣,٥٩٠ نسمة في عام ١٩٤٥ يعتمدون على مدينة بيسان كمركز إداري يشتمل على مختلف الدوائر الحكومية المختصة .

٢) الوظيفة التعليمية : ضمّت بيسان مدرستين للبنين والبنات، وفي عام ١٩٤٥/١٩٤٦ أحدث في مدرسة البنين صف ثانوي زراعي أول . وكان الطلبة يفدون على هاتين المدرستين من القرى المجاورة .

٣) الوظيفة الزراعية : كانت بيسان مدينة زراعية في الدرجة الأولى لوقوعها في قلب سهل بيسان حيث تتوافر المياه وتنبسط الأرض وتخصب التربة . وكانت أهم المحاصيل الزراعية في قضاء بيسان عام ١٩٤٤ الحنطة (٢,٢١٤ طنا) ، والشعير (٢,٣٩٤ طنا) ، والعدس (١٨٥ طنا) ، والفول (٦٥ طناً) ، والحمّص

(٦٨ طنا) ، والذرة (٣١٤ طنا) ، والسمسم (٢٧٨ طنا) ، والزيتون * (١٢٠ طناً) ، والبطيخ (٢٢٣ طنا) ، والعنب * (٩٢٨ طنا) ، والخضر * (٧,٥٣٢ طنا) . وفي عام ١٩٤٥ كانت مساحة الأراضي الزراعية المغروسة حمضيات * حول بيسان ١,٦١٧ دونما ، وأراضي الموز * ٤٨ دونما .

٤) الوظيفة التجارية : شجع الموقع الجغرافي لبيسان عند نقطة انقطاع بيئة غورية في الشرق وجبلية في الغرب على ممارسة التجارة . وزاد في أهمية الوظيفة التجارية إنشاء محطة السكة الحديدية في الطرف الشمالي من بيسان ، ومرور الطرق المعبدة الرئيسة من قلب المدينة . وتجدر الإشارة إلى أن الطريق الطولية لوادي الأردن تتقاطع مع الطريق العرضية التي تربط وادي الأردن بالسهل الساحلي بشكل متعامد في قلب بيسان حيث تمتد السوق الرئيسة للمدينة .

وكانت سوق بيسان تعجّ بالحركة التجارية ، ويجد فيها سكان القرى المجاورة جميع ما يطلبون ، ويبيعون فيها ما يجلبونه معهم من منتجات زراعية وحيوانية . إن سهولة المواصلات ، وارتباط بيسان بهذه القرى من جهة ، وبالمناطق المجاورة في الجليل وسهل مرج ابن عامر وجنين من جهة ثانية ، جعلا التجارة مزدهرة ، وأعطيا بعدا اقتصاديا هاما لبيسان .

٥) الوظيفة الصناعية : اقتصرت الصناعة * في بيسان على الصناعات التقليدية الخفيفة كمنتجات الألبان ، وطحن الحبوب ، وعصر الزيتون ، والتمر ، والحصير ، والشعير ، والوبر ، والصوف ، وتجفيف الفواكه . ثم تطورت الصناعة حاليا إلى صناعات النسيج * واللدائن * (البلاستيك) والمعادن * والآلات الكهربائية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ محمود العابدي : **الحفريات الأثرية في فلسطين خلال المدة الواقعة بين ١٩٠٠ و١٩٥٩** ، عمان ١٩٦٢ .
ـ أحمد سوسة : **العرب واليهود في التاريخ** ، دمشق ١٩٧٣ .
ـ أنيس صايغ : **بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧)** ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ جورج بوست : **قاموس الكتاب المقدس** ، بيروت ١٨٩٤ .
ـ ابن شداد : **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ـ لبنان وسورية وفلسطين** ، دمشق ١٩٦٣ .
ـ ياقوت الحموي : **معجم البلدان** ، مصر ١٩٠٦ .
ـ صفي الدين بن عبد المؤمن البغدادي : **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** ، مصر ١٩٥٤ .
ـ أحمد عطية : **القاموس الإسلامي** ، مصر ١٩٦٣ .
ـ الهروي : **الإشارات إلى معرفة الزيارات** ، دمشق ١٩٥٣ .
ـ المقدسي : **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ليدن ١٨٧٧ .
ـ بيركهارت ، ويهان لودفيج : **رحلات بيركهارت** ، ج٢ (مترجم) ، عمان ١٩٦١ .
ـ قسطنطين خمار : **موسوعة فلسطين الجغرافية** ، بيروت ١٩٦٩
ـ التميمي والكاتب : **ولاية بيروت ـ القسم الجنوبي** ، بيروت ١٣٣٥هـ .
ـ **الوقائع الفلسطينية** : العدد الممتاز ١٣٧٥ ، الملحق رقم ٢ ، القدس ١٩٤٤/١١/٢٤
ـ **خريطة فلسطين** : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحتا بيسان واربد .
ـ البلاذري : **فتوح البلدان** ، ١٩٥٦ .

— Albright W.F.: **The Archaeology of Palestine,** London 1960.
— Barrois. A.G.: **Manuel D'Archeologic Biblique,** T.I. Paris 1939.
— **Encyclopedia Britannica** (Beth-Shan) 1970.
— **Ency. de L'Islam** (art Baysa'n) I ed.
— **Illustrated Dictionary of Archaeology** 1977.
— Le Strange: **Palestine under the Moslems,** London 1980.
— Olmstead. A.T.: **History of Palestine and Syria** , New York 1939.
— Rowe.A.: **Beth -Shan Topography and History** .Philadelphia 1930.

بيسان (عملية ـ ١٩٧٤) :

واحدة من العمليات الانتحارية التي نفّذتها الثورة الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة . ففي ١٩٧٤/١١/١٩ قامت مجموعة الشهيد صقر عبد العزيز من قوات الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * بتنفيذ عملية الشهيدة منتهى الحوراني التي استشهدت

تحت جنازير الدبابات الإسرائيلية في مدينة جنين * بالضفة الغربية المحتلة .

اقتحمت المجموعة مبنى يقطنه ضباط من الاستخبارات الإسرائيلية مع عائلاتهم في مدينة بيسان * جنوبي بحيرة طبرية * ، واحتجزت من فيه رهائن ، وطالبت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بإطلاق سراح ١٤ مناضلاً من السجون الإسرائيلية * مقابل حياة الرهائن .

وعلى أثر اقتحام المبنى أطلقت صفارات الإنذار وهرع الإسرائيليون إلى الملاجىء ، وأغلقت المدارس ، وتوقف العمل في المدينة .

وجرياًعلى عادة السلطات الإسرائيلية برفض مطالب الفدائيين قامت القوات الإسرائيلية بتعزيز قواتها في المدينة ، وشنّت هجوماً على المبنى ، ودارت معركة عنيفة مع الفدائيين الذين نفذوا إنذارهم وفجّروا أنفسهم مع الرهائن بعد أن نفدت ذخائرهم .

أسفرت عملية بيسان عن مقتل وجرح الرهائن الإسرائيليين ، واعترفت السلطات الإسرائيلية بمقتل ثلاثة رهائن وجرح ١٩ آخرين . واستشهد الفدائيون الثلاثة .

وإثر انتهاء العملية أقدمت السلطات الاسرائيلية على رمي جثث الفدائيين إلى الشارع العام أمام المبنى حيث تظاهر الإسرائيليون وعمدوا إلى احراق جثث الفدائيين وتقطيعها بالسكاكين وركلها بالأقدام .

وقد عرض التلفزيون البريطاني فيلماً عن عملية إحراق جثث الفدائيين أثار استياء شديداً لدى ملايين المشاهدين . كذلك تم عرض الفيلم في التلفزيون السويسري الذي أوقف عرض الفيلم بعد ست دقائق من بدايته بناء على طلب المشاهدين لأنه يذكّر بجرائم النازية .

المراجع :

ـ اليوميات الفلسطينية : المجلد ٢٠ ، بيروت .
ـ «الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤ ، بيروت .

بيسان (معركة ـ ١٩٤٨) :

تنفيذاً للخطة دال * التي وضعتها قيادة الهاغاناه * وتبنتها الوكالة اليهودية * بدأت القوات الصهيونية منذ أوائل شهر نيسان ١٩٤٨ تنفيذ عمليات هجومية بهدف احتلال أكبر عدد ممكن من القرى والمدن العربية قبل جلاء القوات البريطانية عن فلسطين ، وذلك لتحسين مواقعها ، ولبسط سيطرتها على أكبر مساحة ممكنةمن فلسطين بالإضافة إلى متابعة الضغط على العرب لإجبارهم على النزوح عن فلسطين . وضمن إطار هذه الخطة شنت قوات الهاغاناه هجوماً قوياً على بيسان * فجر يوم ١٩٤٨/٥/١ .

بدأت العملية بأن تسللت قوة من ٣٠٠ مقاتل من رجال الهاغاناه تحت جنح الظلام وانقضت فجأة على تل الحصن القريب من بيسان واحتلته في الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل . ومن هناك أخذت تقصف بيسان بالقنابل تمهيداً للهجوم الذي بدأ مع فجر ١٩٤٨/٥/١٢ .

وكانت حامية بيسان العربية مؤلفة من خمسة وسبعين أردنياً وحوالي مائة فلسطيني بقيادة توفيق التهتموني . ولم يكن بين أيديهم من السلاح سوى البنادق العادية وعدد غير كثير من الذخيرة . وما إن بدأ القصف على البلدة حتى هب المناضلون للدفاع عنها وتمكنوا من التصدي للموجة الأولى من الهجوم بنجاح . ولكن الصهيونيين كرروا الهجوم من اتجاهات مختلفة وبكثافة كبيرة بالإضافة إلى كونهم مسلحين بالبنادق الآلية والرشاشات تدعمهم نيران مدافع الهاون . واستمرت المعركة ثلاث ساعات كاملة نفدت بعدها ذخيرة المناضلين فدخل الصهيونيون البلدة ، وسقطت بيسان بأيديهم فقاموا فوراً يجمعون أسلحة المناضلين ويحكمون سيطرتهم على البلدة .

وقد أبلغ قائد الهجوم سكان بيسان أن بإمكانهم البقاء في منازلهم وبلدتهم على ألاّ يبدوا أي مقاومة . فبقي سكانها جميعاً متمسكين بأرضهم . وبعد شهر واحد طُلب من الجميع مغادرة البلدة خلال فترة قصيرة من الزمن ، فنزح بعض السكان عنها فوراً في حين أصرّ عدد كبير من السكان على البقاء فوضعتهم السلطات الصهيونية في عربات نقل حملتهم بقوة السلاح إلى الحدود السورية .

المرجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

بيسان (واقعة ـ) : رَ : فِحل (واقعة ـ)

البيساني : رَ : عبد الرحيم بن علي

بَيْسَمُون (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في سهل الحولة * في الشمال الشرقي من مدينة صفد * على حافة مستنقعات * الحولة الغربية ، وفي ظاهر قرية الملاحة * الشمالي، وعلى بعد ٣ كم إلى الجنوب من قرية جاحولا * . تمر إلى الغرب منها طريق طبرية ـ المطلة التي تتفرع منها طريق ثانوية غير معبدة إلى الشمال من قرية عرب زبيد ، وتمر بقرية الملاحة ثم ببيسمون لتعود وتلتقي مرة أخرى بالطريق الرئيسة المذكورة .

أقيمت القرية على السفح الجنوبي لتل يرتفع ٧٥ م عن سطح البحر . وتوجد بعض الينابيع والعيون إلى الغرب من القرية ، ويمر بظاهرها الشرقي وادي عروس الذي كان ينتهي في بحيرة الحولة * . امتدت مباني القرية على طول الطريق التي تربطها بالطريق الرئيسة باتجاه شمالي غربي ـ جنوبي شرقي ، ومبانيها مبعثرة غير منتظمة ، وتجمع بعضها حول نبع للماء جنوبي القرية .

مساحة الأراضي التابعة للقرية ٢,١٠٢ دونماً منها ٤٥ دونماً للطرق * والأودية . وقد غرست أشجار الحمضيات * في بعض الأراضي في ظاهر القرية الشمالي . وتحيط أراضي امتياز الحولة والملاحة وعرب زبيد والنبي يوشع * وأراضي خربة الهراوي * بأراضي بيسمون .

يرجع سكان القرية في أصولهم إلى عرب الحمدون ، وقد بلغ عددهم ٤١ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وارتفع هذا العدد إلى ٥٠ نسمة في عام ١٩٣١ ، وكانوا يقطنون آنذاك في ١١ مسكناً . ثم انخفض هذا العدد إلى ٢٠ نسمة في عام ١٩٤٥ . وتشتت سكان القرية بعد تدمير الصهيونيين قريتهم في عام ١٩٤٨ .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحة صفد .

البيض : رَ : الطيور الأليفة

بيغن (مشروع ـ) : رَ : كامب ديفيد

بيڤن (مشروع ـ) :

بينما كانت المفاوضات جارية مع اللجنة العربية العليا لفلسطين * والوكالة اليهودية * في إنكلترا في إطار مؤتمر لندن * تقدم الوفد البريطاني في ١٩٤٧/٢/٧ بوثيقة فيها مقترحات جديدة ضمن ما عرف بمشروع بيڤن وزير الخارجية العمالي .

تحدث المشروع عن فشل بريطانيا في محاولتها خلق التعاون بين اليهود والعرب ، واعترف بأن الوقت قد حان للبدء بإقامة حكم ذاتي . وقد مثل المشروع آخر محاولة لإطالة أمد الحكم البريطاني على فلسطين . وهو يقوم على وضع فلسطين تحت الوصاية البريطانية لمدة خمسة أعوام لإعدادها للاستقلال في دولة موحدة ذات حكومة مركزية . ويزاول السكان خلال المدة المذكورة نوعاً من الحكم الذاتي في مناطق تحدد حسب أكثرية العرب أو اليهود فيها . أما بالنسبة إلى الأقليات في هذه المناطق المحددة فيضمن المندوب السامي البريطاني لها حرية العبادة واتباع محاكم منفصلة للأحوال الشخصية ، وإقامة معاهد تعليمية خاصة واستعمال اللغة القومية والتمثيل في المجالس المحلية التشريعية والحصول على حصة مناسبة في الوظائف العامة . ويترك إقرار نقل الملكية الزراعية إلى السلطات المحلية .

وحدد المشروع حجم الهجرة اليهودية بمائة ألف شخص في سنتين ، ثم تتوقف بعد ذلك على « قدرة الاستيعاب الاقتصادية » التي يقررها المندوب السامي بالتشاور مع المجلس الاستشاري . وفي حال تعذر الاتفاق تقرر النسبة هيئة تحكيم تعيّنها الأمم المتحدة . أما هذا المجلس الاستشاري فيؤلف من ممثلين عرب ويهود، على أن تبقى السلطة التشريعية والتنفيذية العليا بيد المندوب السامي . وينتخب بعد أربع سنوات مجلس تأسيسي . وإذا توصلت الأكثرية العربية والأكثرية اليهودية في المجلس إلى اتفاق تتخذ الخطوات لإقامة دولة مستقلة ، وإلّا يحال الأمر إلى مجلس الوصاية في الأمم المتحدة .

رفض الجانب العربي المشروع لتضمنه تقسيم فلسطين إلى مناطق عربية ويهودية ، ولسماحه لمائة ألف يهودي مهاجر بالدخول دون وضع حد للهجرة في المستقبل . أما الوكالة اليهودية فقد رفضت المشروع أيضاً لأنه لم يتضمن صراحة إقامة دولة يهودية ، ولأنه يقضي بحل الوكالة اليهودية . وتقدم موشي شرتوك عن الوكالة بمقترحات مقابلة تتضمن إعلان إقامة دولة يهودية في « منطقة كافية » من فلسطين ، لأن المناطق المخصصة لليهود حسب مخطط الحكم الذاتي الإقليمي غير كافية للتوسع المستقبلي .

كان بيڤن متأثراً إلى درجة كبيرة بالحالة الاقتصادية لبريطانيا ، وقلقاً مما يسمى « الخطر السوفييتي » ، وكان يشعر أن نجاح بلاده في التغلب على كلتا المعضلتين يعتمد على الهيمنة على الشرق الأوسط ونفطه ، ولن يمكن ذلك بدون حل القضية الفلسطينية بشكل يقبله العرب . وهكذا بذل ما بوسعه لإقناع الوفد العربي بقبول المشروع ، أو المساومة حوله ، ولكن بدون طائل . وأمر الوفد العربي على إعلان فلسطين دولة عربية . واضطر بيڤن إلى الإعلان في ١٤ شباط عن فشله في تحقيق المشروع وعزمه على إحالة القضية إلى الأمم المتحدة بدون أية توصية من جانب الحكومة البريطانية .

المراجع :

— **British Proposals Submitted to the London Conference**, 7 February 1947, cmd 7044.

— John .R. and Hadawi, S.: **Palestine Diary**, Beirut 1970.

بيكا : رَ : الجمعية اليهودية للاستعمار في فلسطين

بيكر وهيرزا (مشروع ـ) :

رَ : الأردن (استثمار مياه نهر ـ وروافده)

بيل (لجنة ـ) :

عينت الحكومة البريطانية لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل *Peel* في آب ١٩٣٦ مهمتها التحقيق في :

١) أسباب الاضطرابات الأساسية التي نشبت في فلسطين في أواسط شهر نيسان ١٩٣٦ .

٢) كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين * بالنسبة إلى التزامات بريطانيا نحو كل من العرب واليهود .

٣) تقديم توصيات لإزالة الظلامات المشروعة يقدمها اليهود أو العرب عن طريقة تنفيذ الانتداب .

يتضح من ترجمة حياة أعضاء اللجنة، وعددهم ستة ، أنها كانت رفيعة المنزلة بالمقارنة مع لجان التحقيق السابقة . فرئيس اللجنة اللورد بيل في السبعين من عمره ينتمي إلى أسرة سياسية بارزة ،وهو حفيد أحد رؤساء وزراء بريطانيا في ثلاثينات وأربعينات القرن التاسع عشر . وكان اللورد بيل قد شغل منصب وزير الهند . أما نائب الرئيس وهو السير هوراس رمبولد فكان سفيراً سابقاً ومندوباً سامياً في إستانبول بعد الحرب العالمية الأولى ورئيساً للوفد البريطاني في مؤتمر لوزان الثاني . وأهم الأعضاء الآخرين الأستاذ رغنالد كوبلاند أستاذ التاريخ الاستعماري في جامعة أكسفورد آنئذٍ .

وصلت لجنة بيل الملكية إلى فلسطين في ١٩٣٦/١١/١٢ ، واستمرت في تحقيقاتها لمدة ستة أشهر وقدمت تقريرها في ١٩٣٧/٧/٧ ، وقد نشرته الحكومة البريطانية في ٤٠٤ صفحات .

عقدت اللجنة ستة وأربعين اجتماعاً منها واحد وثلاثون اجتماعاً علنياً ، واستمعت إلى أربعين شاهداً يهودياً بينهم حاييم وايزمن . وقد قاطع العرب اللجنة في بداية الأمر ، ثم حضر للشهادة أمامها في ١٩٣٧/١/٢٢ الحاج محمد أمين الحسيني * مفتي فلسطين مع سكرتير اللجنة العربية العليا لفلسطين * وتسعة من أعضائها وأربعة عشر عربياً آخرين . وكان شهادة جورج أنطونيوس * من أبرز وأقوى الشهادات العربية . وقد طالب الجانب العربي بالتخلي عن فكرة إقامة الوطن اليهودي في فلسطين .

قالت اللجنة في تقريرها النهائي إنه تشكل لديها الاقتناع الكامل بأن أسباب الاضطرابات الأساسية هي :

١) رغبة العرب في الاستقلال القومي .

٢) كراهيتهم وخوفهم من تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين .

٣) عدم تكافؤ الفرص بين العرب واليهود في عرض قضيتهم أمام الحكومة والبرلمان والرأي العام في بريطانيا .

٤) الهجرة اليهودية واستمرار شراء اليهود للأراضي العربية .

٥) شك العرب في قدرة ورغبة الحكومة البريطانية في تنفيذ وعودها .

وقد انتهت اللجنة الى تعذر منح المطلب الرئيس لكل طرف بصورة مشروعة . واعترفت بقدرة عرب فلسطين على حكم أنفسهم مثل عرب العراق أو سورية ، وبقدرة اليهود على حكم أنفسهم مثل أية طائفة منظمة أو مثقفة في أوربا أو في أي مكان آخر . ولكن

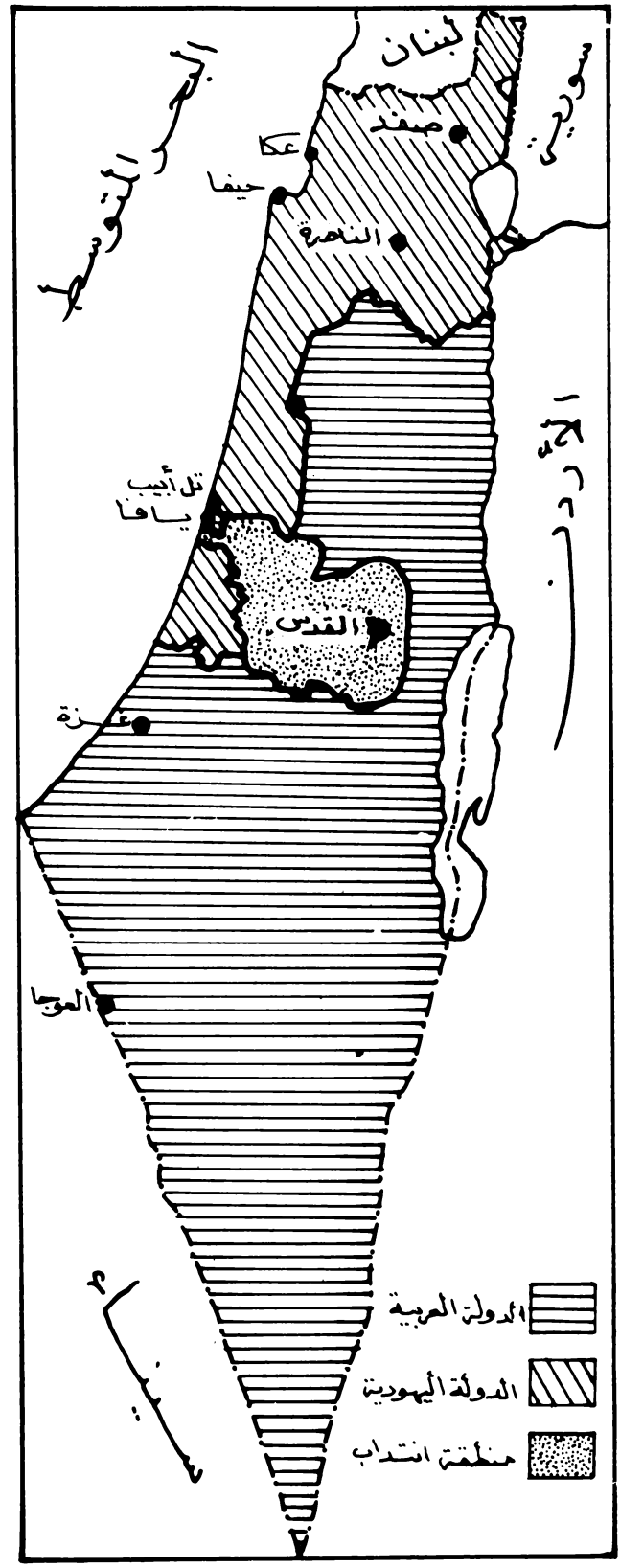

اللجنة رأت أن اجتماع العرب واليهود تحت الانتداب جعل الاستقلال غير عملي لكليهما ، فالانتداب هو الذي خلق العداء بين العرب واليهود ،ولا يمكن إنهاءالانتداب من دون مخالفة التزاماته العامة والخاصة لأن ما تضمنه الانتداب من التزام عام بتمكين الشعوب الموضوعة تحت إدارة الدولة المنتدبة من " الوقوف على أقدامهم " من دون مساعدة لم ينفذ ، كذلك لم يكن ممكناً تنفيذ المادة الثانية من صك الانتداب على فلسطين " بوضع البلاد تحت ظروف سياسية وإدارية واقتصادية تضمن تأسيس الوطن القومي اليهودي " لأن الالتزامات التي فرضها الانتداب على الدولة المنتدبة متناقضة ولا يمكن التوفيق بينها .

توصلت اللجنة إلى وجوب أخذ الاعتبارات السياسية والاجتماعية والنفسية وقابلية الاستيعاب الاقتصادي بعين الاعتبار عندما تقرر نسبة الهجرة . واقترحت إذا استمر الانتداب تحديد الهجرة باثني عشر ألف مهاجر سنوياً خلال الخمس سنوات التالية كحد أقصى .

وذهبت اللجنة إلى أن الاحتفاظ بالانتداب يعني استمرار التذمر والاضطراب إلى أجل غير مسمى . ولذلك أوصت بأن تتخذ الحكومة البريطانية الخطوات اللازمة لإنهاء الانتداب وتقسيم البلاد بشكل يقيم دولة يهوديةفي الشمال والغرب ، ويضم الأراضي الباقية إلى شرقي الأردن لأنه من غير المعقول في نظرها أن تختار بريطانيا تسليم ٤٠٠,٠٠٠ يهودي ممن سهلت دخولهم إلى فلسطين ، ووافقت على ذلك عصبة الأمم * ، إلى العرب وتسليم مليون عربي تقريباً إلى اليهود .

اعتقدت اللجنة أن تقسيم البلاد يتطلب من العرب واليهود التضحية ببعض آمالهم ، ولكنه يمنح الطرفين فوائد جوهرية . وقد عددت الفوائد التي سيجنيها العرب من مشروع التقسيم كما يلي :

١) نيل العرب استقلالهم القومي .

٢) زوال خوفهم من اكتساح اليهود لهم ، وتحررهم من احتمال خضوعهم النهائي للحكم اليهودي .

٣) تعيين حدود الوطن القومي اليهودي ووضع انتداب جديد لحماية الأماكن المقدسة بضمانة عصبة الأمم .

٤) تلقي الدولة العربية إعانة مالية من الدولة اليهودية ومنحة من الخزينة البريطانية .

أما فوائد التقسيم لليهود في تقدير اللجنة فهي :

١) ضمان إنشاء الوطن القومي اليهودي وتحرير اليهود من احتمال خضوعهم للحكم العربي .

٢) امتلاك الدولة اليهودية حرية تقرير نسبة هجرة اليهود إليها حسب إمكانية استيعابها .

قدمت اللجنة خريطة اقترحت فيها إعطاء الدولة اليهودية جميع منطقة الجليل وسهل مرج ابن عامر * وسهل سانور * حتى نقطة تقع

على بعد عشرة أميال من رحبوت *، وتوحيد القسم الأكبر من فلسطين جنوبي وشرقي هذا الخط مع شرق الأردن ، وتبقى القدس * وبيت لحم * والناصرة * تحت الانتداب البريطاني مع ممر يصل القدس بالبحر عند يافا * .

في ١٩٣٧/٧/٧ أصدرت الحكومة البريطانية بياناً قالت فيه إن خطة التقسيم على الأسس التي اقترحتها اللجنة الملكية تمثل أفضل حل للعقدة وأكثرها أملاً بالقبول . ووعدت الحكومة باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع انتقال الأراضي التي من شأنها ان تضر بذلك المشروع، وأعلنت أنها تنوي أن تسمح بدخول عدد لا يتجاوز ثمانية آلاف مهاجر يهودي خلال الأشهر الثمانية التي تبتدىء بآب ١٩٣٧ وتنتهي بآذار ١٩٣٨ . وبينت أن الدولة العربية ستتلقى مساعدة مالية وافرة من الحكومة البريطانية والدولة اليهودية .

انعقد المؤتمر الصهيوني * العشرون في زوريخ (٣ - ١٩٣٧/٨/١٧) فأجمع على رفض ما قالته لجنة بيل من أن الانتداب غير عملي ،وعلى رفض الحدود التي اقترحتها اللجنة ، ولكنه انقسم في موضوع التقسيم نفسه . وقد خوّل المؤتمر لجنته التنفيذية الدخول في مفاوضات للتحقق من خطة التقسيم التي ستعرضها الدولة المنتدبة ، على أن تحيل اللجنة التنفيذية الخطة المقترحة إلى مؤتمر منتخب جديد لدراستها وإصدار قرار بشأنها .

وقد اجتمع مجلس الوكالة اليهودية * بعد المؤتمر الصهيوني مباشرة ، وأوصى لجنته التنفيذية بتوصيات مشابهة ، وأضاف قراراً يطالب الحكومة البريطانية بدعوة مؤتمر يضم يهود وعرب فلسطين للبحث عن تسوية سلمية لفلسطين غير مقسمة على أساس تصريح بلفور (رَ : بلفور ، وعد) والانتداب .

استقبل عرب فلسطين اقتراح التقسيم بعداء شديد . وفي ١٩٣٧/٩/٨ عقد مؤتمر في بلودان حضره ٤٠٠ مندوب وقرر المؤتمر أن فلسطين جزء من الوطن العربي ولا يمكن التنازل عن أي جزء منها . وقال المؤتمر إن على بريطانيا أن تختار بين صداقة العرب وصداقة اليهود (رَ : بلودان ، مؤتمر ١٩٣٧) .

درست لجنة الانتدابات الدائمة التابعة لعصبة الأمم تقرير بيل في آب ١٩٣٧ فرأت أن نظام الانتداب الحاضر أصبح غير عملي تقريباً بعدما وصفته لجنة بيل الملكية بقولها إنه قام على تصور خاطىء ، ولا يمكن التوفيق بين التزامات بريطانيا نحو اليهود والتزاماتها نحو العرب . واقترحت لجنة الانتدابات تخويل الحكومة البريطانية البحث في إمكانية إيجاد حل إقليمي جديد ، واعتبرت تأسيس دولتين مستقلتين عملاً غير حكيم قبل مضي فترة أخرى من إدارة الانتداب . وفي حال الموافقة على سياسة التقسيم أوصت اللجنة أن تبقى الدولتان العربية واليهودية تحت نظام انتدابي انتقالي ، إما بشكل دولتين منفصلتين ، أو بشكل إتحاد مؤقت ، إلى أن تبرهنا على قدرتهما على حكم نفسيهما بنفسيهما . وانتهت اللجنة إلى أنه يشترط في أي حال كيما يكون مقبولاً ألاّ يؤدي إلى حرمان العرب إلاّ من أقل عدد ممكن من الأمكنة التي يعلقون عليها أهمية خاصة .

وأثناء دراسة لجنة الانتدابات المذكورة تقرير لجنة بيل تقدم إليها وفد فلسطيني مؤلف من عوني عبد الهادي * وعادل أرسلان وجمال الحسيني * عارضاً موقف الشعب الفلسطيني الذي يرفض أية صيغة تهدف إلى تقسيم فلسطين ويدعو إلى قيام دولة فلسطينية مستقلة وحكومة وطنية تكون مسؤولة أمام مجلس تمثيلي .

وفي ١٩٣٧/٩/١٦ اتخذ مجلس عصبة الأمم قراراً بتخويل بريطانيا تهيئة خطة مفصلة لتقسيم فلسطين ، وأجّل بحث جوهر الاقتراح الجديد إلى حين تقديم هذه الخطة .

المراجع :

- فاضل حسين (مترجم) : **تاريخ فلسطين السياسي تحت الانتداب البريطاني** ، بغداد ١٩٥٦ .
- خيرية قاسمية (إعداد) : **عوني عبد الهادي ، أوراق خاصة** ، بيروت ١٩٧٤ .
- **Report of Palestine Royal Commission (Peel Report)** British Blue Book, Cmd 5479of 1937.
- Royal Institute of International Affairs: **Great Britain and Palestine 1915 - 1945,** London 1976.

البيلو :

الأحرف الأولى من الكلمات العبرية التي ترجمتها " هلموا يابيت يعقوب لنسلك في نور الرب " وقد وردت في العهد القديم في (سفر أشعيا ٢/٥) . ويطلق على رجال هذه الحركة اسم البيلوييم نسبة إلى « بيلو » ، وهي حركة هجرة كان معظم أعضائها من طلاب الجامعات اليهود في روسيا الذين تركوا مقاعد الدراسة وانضموا إلى الدعوة للهجرة إلى فلسطين بدوافع شتى جعلوا في طليعتها " حب صهيون " . وخلاصة آرائهم هي " أن استيطان أرض إسرائيل (فلسطين) هو الخطوة الأولى لبعث أمتنا ، وكل (العناصر) الجيدة من أبناء شعبنا ملزمة من الآن فصاعدا بالتضحية بكل ما لديها في سبيل ذلك . . إن هذا الأمر صعب جدا ، ولكنه عظيم جدا . فلا تعلقوا آمالكم على تقدم أوربا ومدنيتها " .

تأسست حركة البيلو في روسيا عام ١٨٨٢ بعد الاضطرابات

التي وقعت ضد اليهود سنة ١٨٨١ ، ودعت إلى العودة " إلى فلسطين والاستيطان فيها " . ومن الأهداف المعلنة لحركة البيلو " بعث سياسي ـ اقتصادي وقومي ـ روحي للشعب العبري في سورية وأرض إسرائيل "وإحياء اللغة العبرية والتحقيق الذاتي . وقد انضم إلى الحركة ٥٠٠ عضو معظمهم من المثقفين اليهود من أنصار الحركة الاشتراكية في روسيا . وأقام «البيلوييم» فروعا لتنظيمهم في أماكن مختلفة من روسيا وأنشأوا لهم مركزاً في خاركوف نقلوه إلى موسكو ، ثم إلى مدينة أوديسا ، وذلك لتسهيل هجرتهم إلى فلسطين عن طريق تركيا . وقد وصل ١٥ ممثلا للحركة إلى القسطنطينية يطلبون العون من لورانس أوليفانت ، وهو صحفي بريطاني يعدّ من أوائل من نادوا بالصهيونية فقد نشر في سنة ١٨٨٠ كتابا بعنوان " أرض جلعاد " دعا فيه إلى إقامة دولة يهودية شرقي نهر الأردن . وافتتح البيلوييم مكتبا خاصا بهم في فلسطين ليحصلوا على موافقة السلطات التركية على تأسيس مستعمرة لهم في فلسطين . ووصلت أول مجموعة من أعضاء البيلو (تضم ١٤ شخصا بينهم فتاة) إلى شواطىء فلسطين في ١٨٨٢/٧/٦ لإقامة مستعمرة زراعية على أسس تعاونية . ثم لحق بهم سنة ١٨٨٤ قرابة ٣٤ عضوا (بينهم ٤ سيدات) . ويطلق على هجرة هؤلاء البيلوييم الثمانية والأربعين في تاريخ الحركة الصهيونية اسم " الهجرة الأولى " . وقد عمل أوائل البيلوييم الذين وصلوا إلى فلسطين في البداية عمّالا في المدرسة الزراعية " مكفيه يسرائيل " ، ثم في مستعمرة ريشون لتسيون * ، ونجحوا سنة ١٨٨٤ في وضع حجر الأساس لمستعمرة جديرا لكنهم واجهوا مشكلات كثيرة لجهلهم بالعمل الزراعي ، ولعدم اعتيادهم الجو ، وكادوا يتخلون عن مشاريعهم لولا مساعدات عائلة روتشيلد . وقد بقي في فلسطين نحو عشرين فقط من أعضاء الحركة ، وذلك بسبب الضائقة الاقتصادية ،وانعدام العمل ، والأجور المتدنية ، والأمراض والوضع الاجتماعي في اليشوف * اليهودي القديم في فلسطين ، وعجز " أحباء صهيون " * عن تقديم يد العون للبيلوييم ، والخلافات بين أعضاء الحركة أنفسهم .

وعلى الرغم من قلة من بقي من البيلوييم ومن انضم إليهم في فلسطين فقد تحولوا هناك إلى عنصر ثائر ومهيج لباقي المستوطنين نظرا لتشديدهم على فكرة "البعث القومي والهجرة " وحياة العمل المنتج في فلسطين ، مما دفعهم إلى صدام دائم مع المسؤولين عن تنظيم عمليات الاستيطان الصهيوني في فلسطين . كما أن اليهود الأرثوذكس في القدس لم يرحبوا بأعضاء البيلو ، بل رأوا فيهم عامل إقلاق فناصبوهم العداء كما وقفت السلطات التركية ضد هؤلاء المستوطنين وحرمت هجرة اليهود الروس وشراء الأراضي في فلسطين لكن البيلوييم تحايلوا على ذلك برشوة الموظفين الأتراك وتسجيل الأراضي بأسماء يهود من أوربا الشرقية .

وقد حدثت صدامات بين البيلوييم وأفراد الهجرة اليهودية الثانية الذين سموا بالرواد لأن البيلوييم كانوا يشكلون اليشوف القديم ، ولم يكن من الممكن أن يستوعبوا هؤلاء القادمين الجدد بسبب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السيئة في المستعمرات التي أقامتها الهجرة الأولى . وقد رفضوا تشغيلهم في هذه المستعمرات لقلة خبرتهم ، ولرخص أجور العمال الزراعيين العرب ، وبذلك كان "الرواد " ضيوفا غير مرغوب فيهم بالنسبة إلى المستوطنين القدامى . وقد تمخضت عن هذا الدعوة إلى العمل العبري التي نادى بها الرواد ، بحيث أصبحت هذه الدعوة تعبر عن مصلحة معيشية لهؤلاء المهاجرين الجدد. ثم أعقبتها الدعوة إلى شعاري : احتلال العمل واحتلال الأرض .

على أية حال كانت حركة "بيلو " أول تنظيم شكّل حركة إقليمية في روسيا نادت بفكرة هجرة جماعية منظمة ، وسعت إلى تشكيل حركة قومية واسعة ، وفرضت على أعضائها واجب الهجرة إلى فلسطين ، كما كانت أول حركة عملت على هجرة مجموعة منظمة بغرض الاستيطان الزراعي .

المراجع :

ـ صبري جريس : **تاريخ الصهيونية** ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٧ .
ـ أسعد رزوق : **إسرائيل الكبرى** ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ عبد الوهاب المسيري : **موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية** ، القاهرة ١٩٧٥ .

البيمارستانات :

« البيمارستان » هو المستشفى في لغة العصور العربية الوسطى . وقد كان في فلسطين حتى نهاية العهد المملوكي ثماني بيمارستانات : الفاطمي والصلاحي في القدس *، وستة بيمارستانات أخرى في صفد * والخليل * وعكا * والرملة * وغزة * ونابلس * .

١) البيمارستان الفاطمي في القدس : هو على الأرجح أول بيمارستان بني في فلسطين . وقد ورد ذكره في كتاب سفر نامة للرّحالة الفارسي ناصر خسرو على الوجه التالي : " وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة ويصرف لمرضاه الكثيرين العلاج والدواء ، وبه أطباء يأخذون مرتباتهم من الوقف . وهذا المستشفى ومسجد الجمعة يقعان على حافة وادي جهنم " .

أما تاريخ هذا النص فهو الخامس من رمضان سنة ٤٣٨ هـ/ ١٦آذار ١٠٤٧م . ولم يعرف حتى الآن اسم بانيه أو سنة بنائه ، لكن يرجّح أنه بني في الزمن نفسه الذي بنيت فيه دار العلم الفاطمية في القدس ، أي حوالي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩ م، في أيام الحاكم بأمر الله ، وظل عامرا ما يقرب من قرن إلى أن احتلّ الإفرنج مدينة القدس عام ٤٩٢ هـ/١٠٩٩ م .

٢) البيمارستان الصلاحي في القدس : هو من مآثر السلطان صلاح الدين الأيوبي *، وقد جاء عنه في كتاب «الأنس الجليل» لمجير الدين العليمي الحنبلي ما يلي : " وجعل الكنيسة المجاورة لدار الإسبتار بقرب قمامة (كنيسة القيامة *) بيمارستاناً للمرضى ووقف عليه مواضع ، ووضع فيه ما يحتاج من الأدوية والعقاقير ، وفوّض النظر والقضاء في هذا الوقف إلى القاضي بهاء الدين يوسف بن رافع ابن تميم المشهور بابن شدّاد .لعلمه بكفاءته " . وجاء في كتاب « سيرة صلاح الدين » لابن شداد ما يلي : " وأمرني السلطان بالمقام في القدس الشريف لعمارة بيمارستان أنشأه فيه ، وإدارة المدرسة التي أنشأها فيه إلى حين عوده . وسار من القدس الشريف ضحوة نهار الخميس في سادس شوال ٥٨٨ هـ (١٥ تشرين الأول ١١٩٢م .)" . وكان السلطان قد أنشأ هذا البيمارستان سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م عندما فتح القدس ، وكان واحداً من عدة مؤسسات علمية وخيرية أنشأها صلاح الدين في المدينة وفي الديار المقدسة . وكان من أوائل القائمين عليه يقعوب بن صقلاب * النصراني المقدسي المشرقي الملكي(توفي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م) ، ورشيد الدين الصوري (توفي سنة ٦٣٩هـ/١٢٤٢م) . ويقول بعضهم إن هذا البيمارستان لم يعمّر طويلاً ، وإنه اندثر نهائيا في العام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م . لكن عارف العارف * ، استنادا إلى سجلات المحكمة الشرعية بالقدس ، يجزم أنه استمر حتى القرن الثامن عشر .

٣) البيمارستان الصلاحي في عكا : أنشأه السلطان صلاح الدين . جاء في « الأنس الجليل » ما يأتي : " ورتب أحوال عكا وأمورها ، ووقف نصف دار الإسبتار رباطاً للصوفية ونصفها مدرسة للفقهاء ، وجعل دار الأسقف بيمارستاناً للضعفاء " .

٤) البيمارستان المنصوري في الخليل : من أوقاف السلطان المنصور قلاوون بن عبد الله *، وقد عمّره في سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١ م. على حد قول العليمي .

٥) بيمارستان غزة : من أوقاف الأمير سنجر بن عبد الله الجاولي ، وقد استنابه السلطان الناصر محمد بن قلاوون بغزة سنة ٧١١هـ/١٣١١ م . وكان هذا البيمارستان جزءا من نشاطه العمراني في تلك المدينة .

٦) بيمارستان الرملة : من أوقاف ناظر الجيش فخر الدين محمد ابن فضل الله القبطي. وقد بنى هذا الناظر المملوكي الشهير عدة مساجد ، واتصل بخدمة الناصر محمد بن قلاوون ، وتوفي في رجب سنة ٧٣٢ هـ/ نيسان ١٣٣٢م .

٧) بيمارستان نابلس : بناه فخر الدين القبطي أيضا .

٨) بيمارستان تنكز في صفد : أنشأ هذا البيمارستان الأمير المملوكي الكبير سيف الدين تنكز نائب السلطنة بالشام أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكانت وفاة الأمير تنكز في سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م .

هذه بيمارستانات فلسطين المذكورة في المصادر المتوفرة ، وقد كان عددها كبيرا إذا ما قورن بعدد البيمارستانات في باقي بلاد الشام . ويبدو أن هذه المؤسسات كانت جزءاً أساسياً من تنظيمات الدولة . وكانت تهدف إلى غرض عام هو مداواة الجنود والجرحى والعناية بهم ،خصوصا في العصر الأيوبي*،إذ أن قسما كبيرا منها أسس إما من مال الفدية وإما من بيت المال .

ولا يعرف إلّا القليل عمّا آلت إليه هذه البيمارستانات فيما بعد. كما لا يعرف إلّا اليسير عن دقائق أمورها وأوقافها وأحوال القائمين عليها . وقد أصبح البيمارستان في العهد العثماني على ما يبدو مختصا بالأمراض العقلية دون سواها ، بالرغم من أن علم الطب ظلّ مزدهرا في فلسطين حتى القرن الثامن عشر على الأقل .

المراجع :

ـ مجير الدين العليمي الحنبلي : **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ،النجف ١٩٦٨ .

ـ ابن شدّاد : **سيرة صلاح الدين** ، القاهرة ١٩٢٧ .

ـ القفطي : **تاريخ أخبار الحكماء** ، القاهرة ١٩٠٨ .

ـ أحمد عيسى : **تاريخ البيمارستانات في الإسلام** ، دمشق ١٩٣٩ .

ـ مصطفى مراد الدباغ : **بلادنا فلسطين** ، بيروت ١٩٦٥ ـ ١٩٧٦ .

ـ عارف العارف : **المفصّل في تاريخ القدس** ، القدس ١٩٦١ .

ـ أحمد سامح الخالدي : **المعاهد المصرية في بيت المقدس** ، القدس ١٩٤٦ .

— Dunlop D.M.: «Bimaristan», **Encyclopedia of Islam,** New Edition.

ت

التـــات : ر : الشركس

التـافلاّتي : ر : محمد بن التافلاتي

التأليف (حركة ـ المعاصرة) :

شهدت فلسطين في العصر الحديث حركة تأليف أغنت المكتبة العربية والإنسانية في مختلف فروع المعرفة .

ولا بدّ لمن يرصد حركة التأليف في فلسطين من استعراض نتاج القطر في مجالات التأليف المختلفة مراعيا الناحية الزمنية ما أمكن حتى ترتسم صورة منسقة لهذه الحركة . لذا سيكون الحديث متصلاً بمجالات التأليف الرئيسة كاللغة ، والأدب ، والفنون ، والعلوم الإنسانية من فلسفة واجتماع وعلم نفس وتاريخ وجغرافية وعلوم سياسية ، وكذلك الاقتصاد والتربية والعلوم التطبيقية .

أ ـ الدراسات اللغوية : نشط اللغويون في وضع مؤلفات في تعليم اللغة ، وفي رصد ظواهرها ، فوضع خليل بيدس * « الكافي في الصرف » (١٩٢٥) ، و« نحن واللغة » ، و« مجموعة أحاديث لغوية » . ومن كتب خليل السكاكيني * اللغوية « وعليه قِسْ » (١٩٤٣) في النحو ، واهتم الأب أوغسطين مرمرجي بالساميات ، ومن كتبه « المعجمية العربية على ضوء الثنائية السامية » (١٩٣٧) و« هل العربية منطقية ؟ مباحث في الثنائية » (١٩٤٧) . ووضع محمد إسعاف النشاشيبي * « كلمة في اللغة العربية » (١٩٢٥) ، وكتب وديع البستاني * دراسة لغوية صرفية عنوانها « رسالة في الألف والهمزة والياء » . ووضع محمد العدناني * « الإعراب » في خمسة أجزاء (١٩٥٦) ، و« النحو البسيط » (١٩٤٦) ، و« معجم الأخطاء الشائعة » (١٩٧٢) ، وجمع حسن الكرمي ما أذاعه من « قول على قول » في خمسة أجزاء صدرت بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٥ . وللأب بولس سويد دراسات منها « التعريب ـ نظرات ونماذج » ، و« اسم الفاعل » في العامية والفصحى . ولفؤاد حنا ترزي « الاشتقاق ، دراسة لغوية » ، ولربحي كمال « التضادّ في ضوء اللغات السامية ، دراسة مقارنة » (١٩٧٢) .

وللدكتور محمود الغول « المصادر العربية الإسلامية ونقوش الجزيرة قبل الإسلام : دراسة مقارنة بالمصادر الإسلامية على ضوء النقوش » . وللدكتور نايف خرما « أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة » (١٩٧٨) . ولنفر من الباحثين اهتمام باللهجات المحلية من مثل الدكاترة : ألبرت بطرس ، وماجد فرحان سعيد ، وعبد الله الدنان . وثمة باحثون أسهموا بوضع معجمات بلغات مختلفة منهم الدكتور بندلي صليبا الجوزي * الذي وضع « القاموس الروسي

العربي » في جزءين . وللأب أوغسطين مرمرجي « المعجم الثنائي ـ الألسني ـ السامي » ، و« معجميات ـ عربية ـ سامية » (١٩٥٠) . ووضع الأب اسطفان يوسف سالم « معجم الثقافة اليونانية الرومانية » بالاشتراك مع محمود الغول . ووضع ربحي كمال للطلاب والمترجمين « المعجم الحديث ، عبري ـ عربي » (١٩٧٥) . ولحسن الكرمي « المنار » ، معجم إنكليزي ـ عربي (١٩٧٠) ، واهتم قسطنطين ثيودوري بالمعاجم العربية ـ الإنكليزية فوضع « الفريد في المصطلحات الحديثة » (١٩٦٠) ، و« المعجم التجاري الاقتصادي » ، و« الفريد في المصطلحات الصحفية والسياسية والدبلوماسية » (١٩٦٩). وفي السنوات العشر الماضية قام بدراسة واسعة تتصل بالمعاجم العربية منذ نشأتها إلى اليوم ، وكذلك فعل أحمد شفيق الخطيب .

ب ـ الدراسات الأدبية : احتلت الدراسات الأدبية والنقدية مكانها في النتاج الأدبي ، فقد بدأ التأليف فيها على استحياء ، ثم أخذت تترسخ بالتدريج .

كتب درويش الدباغ « كشكول الدرويش » حول الأدب ، وصنّف إبراهيم الدباغ « الشعراء قديما وحديثا في الميزان » . ومن إسهام حبيب الخوري كتابان حول المعلقات ، ومن كتب وديع البستاني « عمر الخيام » وهو دراسة للرباعيات ومراجعها . ولمحمد إسعاف النشاشيبي مؤلفات عدة منها « مجموعة النشاشيبي » (١٩٢٨) ، ومن تصانيف فؤاد حنا ترزي « مسلم ابن الوليد ـ صريع الغواني » ، ولمحمود سيف الدين الإيراني * « في الأدب والحياة » في ثلاثة أجزاء . واختار نجاتي صدقي مختارات من القصص الروسي والإسباني والصيني عدا دراسات لأعلام القصة مثل بوشكين وتشيخوف وغوركي (من ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧) . وكتب عبد الكريم الكرمي * (أبو سلمى) سيرتي أحمد شاكر الكرمي * (١٩٦٤) والشيخ سعيد الكرمي * (١٩٧٣) . وثمة أعلام رسخوا أقدامهم في التعليم الأكاديمي والبحث العلمي أسهموا في وضع كتب الأدب والنقد من أمثال الدكتور إسحق موسى الحسيني ، وله « ابن قتيبة » بالإنكليزية (١٩٥٠) ، و« الأدب العربي المعاصر » (١٩٦٣) ، و« النقد الأدبي المعاصر » (١٩٦٣) . وقد أغنى إحسان عباس المكتبة العربية تأليفا وتحقيقا . ومن كتبه « تاريخ النقد الأدبي عند العرب » (١٩٧١) ، و« تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين » (١٩٦٢) ، و« تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة » (١٩٦٠) ، و« بدر شاكر السياب ـ دراسة في حياته وشعره » (١٩٦٩) ، « والأدب العربي في المهجر » (١٩٥٧) ، و« ملامح يونانية في الأدب العربي » (١٩٧٨) . ومن أبحاث محمد يوسف نجم « القصة في الأدب العربي الحديث » ، و« الأدب العربي في المهجر » (١٩٥٧) . ولمحمود السمرة « مقالات في النقد الأدبي» (١٩٥٩) ، و« أدباء معاصرون من الغرب» (١٩٦٢)، و« القاضي الجرجاني » (١٩٦٦) ، و« في النقد الأدبي » (١٩٧٤) . وكتب هاشم ياغي « النقد الأدبي الحديث في لبنان » في جزءين (١٩٦٨) ، و« القصة القصيرة في فلسطين والأردن ١٨٥٠ ـ ١٩٦٥ » . وكتب موسى الخوري « مقدمة في النقد الأدبي » ، و« النقد الأدبي الحديث في فلسطين » (١٩٦٠) ، و« النقد الأدبي في إنكلترا » (١٩٦٦) . ومن كتب عبد الرحمن ياغي « حياة القيروان » (١٩٦١) و« حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة » ، (١٩٦٨) و« الجهود الروائية من البستاني إلى نجيب محفوظ » (١٩٧٤) و« الجهود المسرحية » (١٩٨٠) . وألف محمود إبراهيم « صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني » (١٩٧١) ، و« أبو حيان التوحيدي في قضايا الإنسان واللغة والعلوم » (١٩٧٤) . كما ألف حسام الخطيب « الرواية السورية في مرحلة النهوض» (١٩٧٥) ، و« سبل المؤثرات الأجنبية وأشكالها في القصة السورية » (١٩٧٣). وكتب كامل السوافيري « الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين » (١٩٦٤) ، و« الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر » (١٩٧٣) . وكتب عبد الرحمن الكيالي « الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين » (١٩٧٥) ، وحسين عطوان « الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي » (١٩٧٤) ، و« الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول » (١٩٧٢) . ولعبد المجيد المحتسب « نقائض جرير والأخطل» (١٩٧٢) ، ولعبد الجليل عبد المهدي « الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى » (١٩٨٠) ، وليوسف بكار « اتجاهات الغزل في القرن الثاني الهجري » (١٩٧١) ، و« بناء القصيدة العربية » (١٩٧٩) . وأصدر نصرة عبد الرحمن « الصورة الفنية في الشعر الجاهلي». وألف عفيف عبد الرحمن « الجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري » (١٩٨١) . وألف واصف أبو الشباب « صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة » ، وأحمد أبو مطر « الرواية في الأدب الفلسطيني » (١٩٨٠) . ولصالح أبو أصبع « فلسطين في الرواية العربية » (١٩٧٥) ، ولإبراهيم السعافين « مدرسة الإحياء والتراث » (١٩٨١)و « تطور الرواية العربية الحديثة في بلاد الشام » (١٩٨٠) .

جـ ـ التأليف في التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية : لقيت هذه الدراسات الإنسانية اهتماما من الباحثين الفلسطينيين ، وخاصة ما يتصل بالقضية الفلسطينية ، إذ انصبّ جلّ اهتمامهم ـ بعد تكشف الخطط الصهيونية الاستعمارية ـ على تاريخ فلسطين

وجغرافيتها ، وعلى طبيعة القضية بعامة . والذي يلاحظ ما كتبه الدارسون يجد أن القضية الفلسطينية درست في إطار قضايا الأمة العربية ومشكلاتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتاريخية والقانونية .

ويعدُّ روحي الخالدي * رائد البحث التاريخي في فلسطين ، فمن مؤلفاته : « تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتور هوغو » (١٩٠٤) و« رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي » و« في أقسام العالم الإسلامي » (١٨٩٦) و« المقدمة في المسألة الشرقية منذ نشأتها الأولى إلى الربع الثاني من القرن الثامن عشر » (١٨٩٧) و« الانقلاب العثماني وتركيا الفتاة » (١٩٠٩) .

وكتب نجيب نصار * « الصهيونية » ، و« القضية الفلسطينية » . وأسهم بندلي صليبا الجوزي في البحث التاريخي ، ومن مؤلفاته : « أصل سكان سورية وفلسطين المسيحيين » ، و« جبل لبنان ، تاريخه وحالته الحاضرة » ، و« العلاقات الأنكلو مصرية » (١٩٣٠) . وكتب خليل بيدس « تاريخ روسيا القديم » (١٨٩٨) ، و« الدولة الإسلامية » (١٩١٢) ، و« أمم البلقان » (١٩١٤) ، و« تاريخ القدس » (١٩٢٢) . وكتب أنطون شكري لورنس « تاريخ فلسطين من أقدم الأزمنة إلى يومنا هذا » (١٩٣٤) ، و« عظماء الماضي » (١٩٣٦) . ومن أشهر المؤرخين الفلسطينيين وأغزرهم إنتاجا محمد عزة دروزة ، إذ اقتربت مؤلفاته من الخمسين أرّخت للأمة العربية والإسلامية منذ القديم حتى العصر الحديث ، وقدم عددا من الدراسات العربية والإسلامية ، وخصّ اليهود بدراسات عميقة ، ونالت القضية الفلسطينية منه اهتماما خاصا . فمن كتبه « مشاكل العالم العربي » (١٩٥٢) و« تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم» (١٩٦٩) ، و« تاريخ الجنس العربي في مختلف الأدوار والأطوار » وهو في سبعة أجزاء (١٩٥٩ - ١٩٦٤) ، و« مأساة فلسطين » (١٩٦٠) ، و« قصة الغزو الفلسطينية » (١٩٦٩) ، و« في سبيل قضية فلسطين والوحدة العربية ومن وحي نكبتها وسبل معالجتها » (١٩٧٣) ، و« حول الحركة العربية الحديثة » في ستة أجزاء (١٩٥٠ - ١٩٥٢) . وعرف عبد الله مخلص * بتأريخه لعدد من المدن الفلسطينية مثل الخليل * وصفد * وبيت لحم * . وأرّخ أحمد سامح الخالدي * لعدد من النواحي الهامة ، ومن كتبه « أهل العلم بين مصر وفلسطين » (١٩٤٦) ، و« رجال الحكم والإدارة في فلسطين - من عهد الخلفاء الراشدين إلى القرن الرابع عشر الهجري » ، و« العرب والحضارة الحديثة » (١٩٤٦) ، و« رحلات أهل العلم والحكم في ريف فلسطين » (١٩٦٨) ، ومن مخطوطاته « تاريخ بيت المقدس » . وأسهم رفيق التميمي * بجهد طيب في التأريخ ، وله « تاريخ ولاية بيروت » ، في جزءين ، و« التاريخ العمومي » في ثمانية اجزاء ، و« الحروب الصليبية » (١٩٤٥) . ويعدُّ عارف العارف * من مؤرخي فلسطين المرموقين ، فمن مؤلفاته : « القضاء بين البدو » (١٩٣٣) ، و« تاريخ بير السبع وقبائلها » (١٩٣٤) ، و« تاريخ غزة » (١٩٤٣) ، و« الموجز في تاريخ عسقلان » (١٩٤٣) ، و« تاريخ الحرم القدسي» (١٩٤٧) ، و« الموجز في تاريخ القدس» (١٩٥١) ، و« النكبة » في سبعة أجزاء (١٩٥٦ - ١٩٦١) ، و« المفصل في تاريخ القدس » (١٩٦١) . وشارك محمد علي الطاهر * صاحب جريدة « الشورى » بكتابات حول العالم الإسلامي وقضية فلسطين منها « نظرات الشورى » (١٩٣٢) ، و« أوراق مجموعة» (١٩٤٨) .

وألف وديع البستاني « الانتداب الفلسطيني باطل ومحال » (١٩٣٦) . ولفرانك تشارلز السكران كتب قيّمة في القانون والسياسة والقضية الفلسطينية منها « أحجية فلسطين » (١٩٤٨) الذي يؤرخ لفلسطين منذ القديم حتى ١٩٤٨ ، و« أميركا والصهيونية والعرب »(١٩٦٦)و« القدس لمن ؟» (١٩٦٨) . وكتب سليم شحادة * « الحرب العالمية الأولى » (١٩١٧) ، و« فلسطين وتجديد حياتها » محرّر مع حنا صلاح . وكتب موسى العلمي « عبرة فلسطين » (١٩٤٧) ، وشارك عيسى السفري بكتاب « فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية » (١٩٣٧) ، وهو سجل حافل بدقائق القضية الفلسطينية في عشرين عاما . ولعزة طنوس مخطوط ضخم عنوانه : « انطباعاتي عن القضية الفلسطينية » يتضمن تجربته الطويلة في الحقل الفلسطيني السياسي صدر الجزء الأول بعنوان « الفلسطينيون » (١٩٨٣) . وعُرف سعيد الصباغ * باهتماماته التاريخية والجغرافية ، فمن تصنيفاته : « جغرافية سورية العمومية » ، و« تاريخ سورية المصور » ، و« المدنيات القديمة وتاريخ سورية وفلسطين » ، و« الأطلس العربي العام » ، ومعظمها كتب مدرسية .

وبذل مصطفى مراد الدباغ جهداً كبيرا في تاريخ فلسطين وجغرافيتها بخاصة ، فمن كتبه « بلادنا فلسطين » في ثمانية مجلدات (١٩٤٧ - ١٩٦٦) بعضها في أكثر من جزء ، وهو من أهم المراجع العامة في جغرافية فلسطين وتاريخها . وله « الموجز في تاريخ فلسطين » (١٩٥٦) ، و« التاريخ القديم للوطن العربي » (١٩٥١) ، و« الجزيرة العربية » وهو جزءان (١٩٦٢) ، و« قطر ماضيها وحاضرها » (١٩٦١) . وكتب نقولا الدر * « هكذا ضاعت وهكذا تعود » (١٩٦٣) . ولعمر الصالح البرغوثي * وخليل طوطح* مؤلف عنوانه « تاريخ فلسطين » (١٩٢٢) . ومن دراسات توفيق كنعان * « قضية عرب فلسطين » بالإنكليزية

(١٩٣٦) ، و« الصراع في أرض السلام » (١٩٣٨) ، و« العاديات في جنوب الجزيرة العربية » (١٩٣٨) . ويعد هنري كتن من أعلام دارسي القضية الفلسطينية ، ومن كتبه : « نهب الأرض المقدسة » (١٩٥٥) و« أبعاد القضية الفلسطينية » (١٩٦٧)، « وفلسطين وطريق السلام » (١٩٧٠) . وأكرم زعيتر من مؤرخي القضية المرموقين عرف بمؤلفه « القضية الفلسطينية » (١٩٥٦) ، واشترك مع درويش المقدادي * بكتاب « تاريخنا » (١٩٣٥) . ويعد أميل الغوري من المراجع الأساسية في القضية الفلسطينية ، فمن مؤلفاته « المؤامرة الكبرى واغتيال فلسطين » (١٩٥٥) و« حركة القومية العربية ومعركة القناة » (١٩٥٧) ، و« ملحمة الفداء الفلسطيني ـ جهاد الفلسطينيين ضد الاستعمار والحركة اليهودية من ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ » (١٩٦٨) ، و« دور التبشير في خدمة الاستعمار والصهيونية » (١٩٧٠) ، و« فلسطين عبر ستين عاما » (جزءان ١٩٧٢ و١٩٧٤) . ولإحسان النمر اهتمام بالتأريخ الإسلامي ، وله في التاريخ الحديث « تاريخ جبل نابلس والبلقاء » و« نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني» (١٩٧٥) . وعالج شكري المهتدي موضوع « سقوط مملكة القدس اللاتينية » بالإنكليزية (١٩٢٦) . ويعد سامي هداوي من المتخصصين في القضية ، ومن مؤلفاته التي وضع معظمها بالإنكليزية : « فلسطين : الميراث الضائع » (١٩٦٣) ، و « الحصاد المرّ» حول القضية الفلسطينية من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨ ، و«المفكرة الفلسطينية» (جزءان ١٩٧٠) ، و« المشكلة الفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة» (١٩٦٥) ، و«ملكية وتصنيف الأراضي في فلسطين » (١٩٥٧) ، و« الأقلية العربية في إسرائيل » (١٩٥٩) ، و« ملفّ القضية الفلسطينية في الإعلام العربي» (١٩٧٠) .

ويعدّ أحمد الشقيري * من أقوى الأصوات التي تحدثت عن القضايا العربية والفلسطينية ، ومن كتبه « فلسطين على منبر الأمم المتحدة » (١٩٦٢) ،و« مشروع الدولة العربية المتحدة » (١٩٦٧) ، و« أربعون عاما في الحياة العربية والدولية » (١٩٦٩) ، و« المياه الإقليمية في القانون الدولي » (بالإنكليزية والعربية ١٩٦٧) ، و« حوار وأسرار مع الملوك والرؤساء » (١٩٧٠) . ولمحمد أديب العامري * « القدس العربية » (١٩٧١) ، و« عروبة فلسطين في التاريخ » (١٩٧٢) يفنّدان المزاعم الصهيونية . ويعد محمود العابدي * من أغزر المؤرخين إنتاجا ، فمن مؤلفاته التاريخية والأثرية : « القصور الأموية » (١٩٥٨) و« مأساة بيت المقدس» (١٩٦٩) ، و« عمّان ماضيها وحاضرها » (١٩٧١) ، و« الاثار الإسلامية في فلسطين والأردن » (١٩٧٣) . واهتم ديمتري برامكي بالتاريخ والآثار ومن مؤلفاته : « الطريق إلى البتراء » ، و« الفن والآثار في فلسطين الحديثة » (١٩٧٠) . وللشيخ عبد الحميد السائح اهتمام بالقدس خاصة ، ومن مؤلفاته « ماذا بعد إحراق المسجد الأقصى » (١٩٧٠) . وكتب إسحق موسى الحسيني « الإخوان المسلمون » (١٩٥٢) ، « عروبة بيت المقدس » (١٩٦٧) .

ولنقولا زياده مؤلفات تاريخية قيّمة منها : « رواد الشرق العربي في العصور الوسطى » (١٩٤٣) ، و« أبعاد التاريخ اللبناني الحديث » (١٩٧٢) .

وقد وضع أنيس صايغ دراسات تاريخية وسياسية عميقة منها « لبنان الطائفي » (١٩٥٧) ، و« الأسطول الأموي في البحر الأبيض المتوسط » (١٩٥٦) ، و« الهاشميون وقضية فلسطين » (١٩٦٦) ، و« فلسطين والقومية العربية » (١٩٦٦) ، و« ميزان القوى العسكرية بين الدول العربية وإسرائيل » (١٩٦٧) ، و« المستعمرات الإسرائيلية الجديدة منذ عدوان ١٩٦٧ » (١٩٦٩) . ويشارك عبد اللطيف الطيباوي في مجالات مختلفة ، ومن مؤلفاته : « المصالح البريطانية في فلسطين ١٨٠٠ ـ ١٩٠١» (١٩٦١) ، و« المصالح الأمريكية في سورية ١٨٠٠ ـ ١٩٠١ » (١٩٦٦) ، و« محاضرات في تاريخ العرب والإسلام » (جزءان ١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) ، و« القدس : مكانتها في الإسلام والتاريخ العربي » . وأسهم خيري حماد * ، عدا ترجماته ، بعدد من المؤلفات حول التاريخ العربي الحديث والقضية الفلسطينية ، منها : « قضايانا في الأمم المتحدة » (١٩٦٢) و« أبعاد المعركة مع إسرائيل والاستعمار » (١٩٦٧) ، و« الصهيونية : جذورها وأهدافها » (١٩٦٨) . ولقسطنطين خمّار « الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية » (١٩٦٤) ، و« موسوعة فلسطين الجغرافية » (١٩٦٩) . ولفايز صايغ * « رسالة المفكر العربي » (١٩٥٥) ، و« الاستعمار الصهيوني في فلسطين » (١٩٦٥) ، و« الدبلوماسية الصهيونية » (١٩٦٧) ، وكان من أول واكبر الباحثين في القضية الفلسطينية والمدافعين عن الحق العربي في فلسطين . وتناول يوسف هيكل القضايا القانونية والفلسطينية ، فمن مؤلفاته : « نحو الوحدة العربية» (١٩٤٢) ، و« القضية الفلسطينية » (١٩٣٦ ، ١٩٣٧) .

واهتمّ أميل توما بالسياسة والفكر ، ومن كتبه « العرب والتطور التاريخي في الشرق الأوسط » (١٩٦٢) ، و« ستون عاما على الحركة القومية في فلسطين » (١٩٧٨) . واهتم عبد الله الريماوي * بالكتابات القومية ، فمن مؤلفاته :« المنطق الثوري للحركة العربية الحديثة » (١٩٦٠) ، و« الحركة العربية الواحدة » (١٩٦٣) ، و« الإقليمية الجديدة » (١٩٧٠) . وفي هذا المجال كتب الحكم

دروزة « مع القومية » (١٩٥٧) ، و« الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية » (١٩٦٠) ، ولناجي علوش « الثوري العربي المعاصر » ، و« في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة » (١٩٦٣) .

ومن المؤرخين محمود زايد ، وقد كتب « التغير السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة » (١٩٦٨) ، و« أبعاد القضية الفلسطينية» (١٩٧٠) . ومنهم أحمد مصطفى أبو حاكمه ، وله : « تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة » (١٩٦٧) . ولخالد بعباع دراسات إعلامية فلسطينية وعربية منها : « البحث عن الإنصاف» (١٩٥٦) ويدور موضوعه حول اللاجئين الفلسطينيين ، و« عدم الانحياز كمبدأ دبلوماسي وعقائدي» (١٩٦٩) ، و« المحترفون السياسيون وقضية فلسطين » (١٩٦٢) . ولعميد الإمام « الصلح مع إسرائيل » (١٩٥٤) .

ومن آثار أنيس القاسم « معنى الحرية في العالم العربي » (١٩٥٤) ، و« نحن والفاتيكان وإسرائيل » (١٩٦٦) . ومن المشتغلين بالسياسة وبقضية فلسطين هشام شرابي ومن مؤلفاته : « السياسة والحكم في الشرق الأوسط في القرن العشرين » (١٩٦٢) ، و« القومية والثورة في العالم العربي » (١٩٦٧) ، و« المقاومة الفلسطينية في وجه إسرائيل وأمريكا » (١٩٦٩) ، و« الفدائيون الفلسطينيون » (١٩٧٠) . ومن مؤلفات أسعد عبد الرحمن « المساعدات الأمريكية والألمانية الغربية لإسرائيل » (١٩٦٦) ، و« التسلل الإسرائيلي في آسيا » (١٩٦٧) ، و« المنظمة الصهيونية ، تنظيمها وأهدافها » .

ومن الباحثين في هذا المجال عبد الوهاب الكيالي * ، ومن مؤلفاته : « تاريخ فلسطين الحديث » (١٩٧٠) ، و« الكيبوتز » (١٩٦٦) وأسهم أحمد صدقي الدجاني في الدراسات التاريخية العربية والفلسطينية ، ومن كتبه : « أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر » و« الحركة السنوسية ، نشأتها ونموها في القرن التاسع عشر » (١٩٦٤) ، و« من المقاومة إلى الثورة الشعبية في فلسطين » (١٩٦٩) . ويعد صبري جريس من الباحثين في قضايا الأرض المحتلة وله : « الحريات الديمقراطية في إسرائيل » ، و« العرب في إسرائيل » (١٩٦٧) ، و« المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون» (١٩٦٨) .

وثمة مؤرخون ومشتغلون بالكتابات السياسية لهم أثرهم في الحياة الثقافية منهم برهان غزال وسليمان بشير وشكري التاجي الفاروقي وصبحي ياسين وعبد القادر ياسين ووليد قمحاوي وعرفان عارف قعوار [عرفان شهيد] وعادل سمارة وعيسى نخلة ونبيه القاسم وغيرهم .

وثمة دراسات جغرافية من روادها وصفي العنبتاوي ومحمود العابدي وسعيد الصباغ انتهت إلى أيدي باحثين أكاديميين ومتخصصين منهم حسن عبد القادر صالح ، وله دراسات حول نهر الأردن ، ومن مؤلفاته : « مدينة عمان « (١٩٨٠) ، و« أسماء المواقع الجغرافية في الأردن وفلسطين » (١٩٧٣) ، و« إنتاج الغذاء في الأردن » (١٩٧٥) ، و« مشكلات الغذاء في العالم والوطن العربي » (١٩٧٣) . وكتب محمد علي الفرا « مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية » (١٩٧٣) ، و« مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي » (١٩٧٩) . وثمة دراسات إقليمية وضعها وليد مصطفى وكمال عبد الفتاح وغيرهما تدرس المدن وتبين أسماء المواقع في الأراضي المحتلة .

د ـ الدراسات الاقتصادية والإدارية والقانونية : نالت هذه الدراسات أهمية كبرى ، وارتبطت في كثير من الأحيان بالقضايا السياسية الملحّة . ويعد نقولا الخوري من أوائل الاقتصاديين السياسيين في فلسطين ، إذ أصبح مراقبا للمالية العامة في روسيا في أوائل هذا القرن ، وقد أسهم علي طاهر الدجاني بمؤلفاته ومنها : « الاقتصاد العربي » (١٩٥٨) . كذلك أسهم موسى يونس الحسيني بجهد كبير في البحث الاقتصادي ومن مؤلفاته : « النظرية الحديثة في السياسة المالية » ؛ وتخصص صلاح الدين الدباغ في الاقتصاد والقانون ، ومن مؤلفاته : « السيادة العربية على خليج العقبة ومضائق تيران » . ويعد فؤاد صالح سابا من أبرز العاملين في الاقتصاد والمحاسبة ، ومن مؤلفاته : « النهضة الاقتصادية في الشرق الأدنى » (١٩٢٤) ، و« ضريبة الدخل وقضاياها في فلسطين » (١٩٤٧) . وأسهم علي رشيد شعث بكتاب « المدير العربي والخطر الإسرائيلي » (١٩٦٦) . ويعد نبيل شعث من المختصين في مجال الإدارة ومن مؤلفاته : « الإستراتيجية والإدارة العليا « (١٩٦٧) . ومن الاقتصاديين عصام عاشور الذي ألف : « النقد والائتمان في البلاد العربية » (١٩٦١) ، ومحمد صقر ، وله : « دور الاقتصاد الإسلامي في إحداث نهضة معاصرة » ، و« التجارة الخارجية لإسرائيل : حجمها ـ تركيبها ـ اتجاهاتها ـ وسياستها » (١٩٧١) . وكذلك برهان الدجاني ويوسف صايغ ويوسف شبل وادمون عصفور وشارل عيساوي . وثمة دارسات لفيصل مرار وباسم فارس وغيرهما في مجال الإدارة والاقتصاد . وقد أسهم سعدي بسيسو في القانون ومجالاته ، ومن مؤلفاته : « موجز علم المالية والتشريع المالي » (١٩٥٠) ، و« تاريخ المذاهب الاقتصادية » (١٩٦٤) ، و« المصطلحات الحقوقية » (١٩٦٢) ، و« إسرائيل جناية وخيانة » (١٩٦٥) .

هـ ـ دراسات في التربية والاجتماع وعلم النفس : نشطت

جهود التربويين منذ فترة مبكرة من تاريخ فلسطين تنظيرا وتطبيقا في سبيل خدمة العلوم المختلفة ، ومن أجل فهم أوسع للعملية التربوية حتى حققت جهود التربويين أصالة وخبرة . فقد عُرف المعلم وهبة الله صروف بمؤلفاته التربوية اللاهوتية واللغوية . ومن رواد التربية الكبار خليل السكاكيني الذي أسهم في تدريس اللغة العربية تنظيرا وتطبيقا ، ومن مؤلفاته : « الجديد في اللغة العربية » في أربعة أجزاء (١٩٢٤ - ١٩٣٣) . ولجورج حنا سكسك محاولات في هذا المجال . ومن المربّين الرواد أحمد سامح الخالدي الذي أسهم بجهوده في حقل التربية والتعليم في فلسطين ، ومن كتبه « إدارة الصفوف » (١٩٢٨) ، و« أركان التدريس » (١٩٣٤) ، و« طرق التدريس المثلى » (١٩٣٧) . وخليل بيدس رائد كبير ألف في الحساب والقراءة والصرف ، ومن كتبه « العقد الثمين في تربية البنين » (١٨٩٨) ، و« مرآة المعلمين » (١٨٩٨) . وكتب مصطفى مراد الدباغ « مدرسة القرية » . ومن التربويين البازرين جورج شهلا ، ومن مؤلفاته : « الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية » (١٩٦٥) ، و« الموجز في تاريخ التربية » (١٩٦٥) . وخليل طوطح من اوائل الكتّاب التربويين وخاصة كتابه « التربية عند العرب» . ولأحمد خليفة « التربية وأساليبها العملية» . ولعبد اللطيف الطيباوي : « التعليم العربي في فلسطين في عهد الانتداب » و« التربية الإسلامية ؛ أصولها وتحديثها في أنظمة التعليم العربية » (١٩٧٢) ، ولمحمود العابدي « كُنّاشة معلم » (١٩٧٢) .

ولإسحق الحسيني « رأي في تدريس اللغة العربية» (١٩٣٧) و« أساليب تدريس اللغة العربية» (١٩٤٧) ، ولفؤاد حنا ترزي « الوسائل السمعية والبصرية المساعدة في تعليم اللغة العربية » ، ولجبرائيل كاتول « الإدارة التربوية » (١٩٦٦) ، ولسيف الدين الكيلاني « دراسة مقارنة لنظم التفتيش في الأردن وأستراليا ونيوزيلندة » ، ولفوزي الكيالي « المرشد الحديث في أصول تدريس الرياضيات » (١٩٥٤) . ولعبد الحميد ياسين * جهد كبير في مجال التربية ، وله « رسالة التربية الحديثة » (١٩٧٥) .

ولعبد القادر يوسف « مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية » (١٩٦٢) ، و« التربية والمجتمع » (١٩٦٤) ، ولحسني الأشهب « عرض عام لوضع التعليم في المملكة الأردنية الهاشمية » (١٩٦٢) ، ولإسحق أحمد فرحان اهتمام كبير بقضايا التربية ومشكلاتها، ومن كتبه « العلم والإيمان » (١٩٧٢) ، و« التربية الإسلامية : أهدافها وسماتها وتجديدات العصر لها » . ولعبد الرحمن عدس « مبادىء الإحصاء في التربية وعلم النفس » (١٩٧٣) ، ولهاني عبد الرحمن « مقدمة إلى الانتروبولوجية التربوية» ، و« علم الإنسان التربوي » (١٩٧٤) ، ولعبد الرحمن صالح عبد الله « دور التربية العملية في إعداد المعلمين » (١٩٧٥)، ولإنطوان زحلان « العلوم والتعليم العالي في إسرائيل » (١٩٧٠) ، ولصالح عبد الله سرية * (تعليم العرب في إسرائيل) (١٩٧٣) . فضلا عمّا كتبه كل من سعود الجلاد وقسطندي نقولا وعمر الشيخ وسبع أبو لبدة ونايف خرما وعبد الملك الناشف وغيرهم .

وأسهمت طائفة من المربّين في وضع كتب مدرسية لمختلف مراحل التعليم العام ، ففي مجال اللغة والأدب هناك أسماء مربين أعلام منهم : المعلم وهبة الله صروف ، وخليل بيدس ، وجريس خوري ، وخليل السكاكيني ، وبندلي صليبا الجوزي ، وجورج حنا سكسك ، وإسحق موسى الحسيني ، والمطران جبرائيل أبو سعدى ، وعبد الرحمن بشناق ، ومحمود سيف الدين الإيراني ، وسيف الدين الكيلاني ، وفايز علي الغول ، وجميل سعيد ، وراضي عبد الهادي ، وعبد الرحمن الكيالي ، ومحمد محمود نجم ، وشريف النشاشيبي ، وعبد الرؤوف المصري ، وإلياس دانيال وغيرهم . ومن الذين أسهموا في مجال العلوم الاجتماعية والدينية : رفيق التميمي ، وخليل طوطح ، وجورج شهلا ، ومصطفى مراد الدباغ ، وأحمد خليفة ، وأكرم زعيتر ، ودرويش المقدادي ، ووصفي العنبتاوي ، وسعيد الصباغ ، وموسى الغول ، وعباس الكرد ، ومحمد حسين ، وعبد الرحيم مرعب ، ومحمود العابدي ، وراضي عبد الهادي، وعبد الحميد السائح، وغيرهم . وفي مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية أسهم عدد من المربين منهم : خليل بيدس ، وعلي رشيد شعث، ومحمد أديب العامري ، وفوزي الكيالي ، وزهير الكرمي ، وأحمد سعيدان ، وأحمد طوقان ، وإسحاق فرحان ، وسواهم

وقد نشطت حركة التأليف في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع ؛ فلسليم شحادة اهتمام بارز بعلم النفس ، ومن كتبه : « دراسات في السلوك البشري » . ومن المشتغلين بهذه الدراسات باسم فارس ، وله « مصادر العلوم الاجتماعية في الشرق الأوسط » (١٩٣٤) . واهتم سعدي بسيسو بالدراسات النفسية والاجتماعية ، ومن مؤلفاته « مبادىء علم النفس الجنائي » (١٩٤٩) ، و« الوجيز في المجتمع العربي » (١٩٦٢) . ومن مؤلفات ليفون ملكيان : « التباعد الاجتماعي والتغير الحضاري في الشرق الأوسط» . ولهشام شرابي « مقدمة في دراسة المجتمع العربي » ، ولمحمد ربيع « هجرة الكفايات العلمية » (١٩٧٢) ، ولإسحق القطب « دراسة ميدانية في بعض الاتجاهات نحو تنظيم قرية مصرية » (١٩٧٢) ، وليوسف النجار دراسات في المنطق

والفلسفة وعلم الاجتماع ، ومنها « مبادىء في علم الاجتماع ». ويعدّ فهمي جدعان من أبرز المشتغلين بالفلسفة في العالم العربي ، ومن كتبه « أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث» (١٩٧٨) .

و ـ الدراسات الإسلامية : ثمة علماء ذاعت شهرتهم أسهموا في الدراسات الإسلامية ، منهم : الشيخ عيسى منون الذي شغل منصب عميد كلية الشريعة في الجامع الأزهر ، وله « محاضرات في التوحيد وأصول الفقه » ، والشيخ يوسف النبهاني * ، وله « خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام » ، والشيخ سليم اليعقوبي * ، وله « حكمة الإسلام » (١٩٠٧) ، ومحمد إسعاف النشاشيبي ، وله « الإسلام الصحيح » (١٩٣٥) ، والشيخ منيب هاشم ، وله « حميد الآثار في تنوير الأبصار » ، والشيخ محيي الدين الملاح ، وله « عمدة الحاكم ومن يتردد للمحاكم » في القضاء . ولروحي الخالدي « رسالة في سرعة انتشار الدين المحمدي وفي أقسام العالم الإسلامي » (١٨٩٦) ، ولمحمد عزة دروزة عدد من الدراسات الإسلامية ، منها « التفسير الحديث » (في اثني عشر جزءاً ١٩٦١ ـ ١٩٦٤) ، و« الدستور القرآني في شؤون الحياة » (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠) ، و« القرآن واليهود » (١٩٤٩) ، و« القرآن والضمان الاجتماعي » (١٩٥١) . ومن العلماء البارزين الشيخ عبد الحميد السائح ، وله « التضامن الاجتماعي في الإسلام » (١٩٤١) ، والشيخ عبد الله غوشة ، وله « الاجتهاد والتقليد » ، و« فلسفة الحريات في الإسلام » (١٩٥٣) ، والشيخ عبد الله القلقيلي ، ومن كتبه « الفتاوى الأردنية » (١٩٦٩) . والشيخ حسن خير الدين فتيان ، والشيخ حسن الدجاني ، والشيخ تقي الدين النبهاني* ، والشيخ عبد العزيز الخياط ومن كتبه « الشركات في الشريعة الاسلامية والمؤيدات التشريعية : نظرية العقوبات » (١٩٧٤) ، والشيخ عادل الشريف والشيخ أسعد بيوض التميمي ، والشيخ عز الدين التميمي .

وثمة حركة نشطة في التأليف يسهم فيها عدد من الباحثين الجامعيين من أمثال عبد الله عزام ، وعبد المجيد المحتسب ، ومحمد عبد القادر أبو فارس ، وكامل سلامة الدقس ، ومحمد سليم الأشقر ، ومحمد نعيم ياسين ، وغيرهم . وتميل دراستهم إلى العمق ، وإلى الإفادة من العلوم الإنسانية والمعارف المختلفة في فهم جوانب الدراسة وإنارتها .

ز ـ العلوم الطبيعية والتطبيقية : أسهم أبناء فلسطين في رفد الحركة العلمية في ميدان التربية والتعليم والبحث والتأليف ، ففي ميدان الزراعة نشط عدد من الباحثين منهم علي نصوح الطاهر ومن كتبه « شجر الزيتون» (١٩٤٧) . ولسعيد التاجي الفاروقي « الوضع الزراعي العام في البلاد العربية » (١٩٥٤) . ولعدنان عبد السلام عرفات وماري سوداح وخليل قعبور دراسات زراعية متخصصة إلى جانب الباحثين الجامعيين الذين يشغلون مناصب في مراكز البحث العلمي والجامعات والمعاهد .

وفي ميدان الفيزياء أسهم انطوان زحلان بعدد من الأبحاث الفيزيائية بالإنكليزية . وبعد قدري حافظ طوقان * من أبرز الرياضيين في العالم العربي ومن مؤلفاته « ابن حمزة والتمهيد إلى اللوغارتمات » (١٩٥٨) . وقد اهتم أحمد سعيدان بدراسات الرياضيات عند العرب وتحقيق مؤلفاتهم ، ومن كتبه : «تطور الرياضيات الهندية العربية » (١٩٦٦) . ويعد علي نايفة من علماء الرياضيات والهندسة المعروفين في العالم .

وفي مجال الهندسة المعمارية برز عدد من المهندسين ، ومنهم رائف نجم ، وله « المواصفات العامة للأبنية » . وفي مجال الكيمياء برز عادل جرار ، ومن كتبه « المطاط » (١٩٨٠) . ولإبراهيم أبو يمن اهتمام واسع بالعلوم الحياتية ، وخاصة علم الحشرات وتطبيقاته العملية .

وثمة جيل ينتشر في المعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي في مجال الرياضيات والفيزياء والكيمياء والعلوم الحياتية والهندسة والصيدلة والعلوم الطبية يدفعون ببحوثهم وتأليفاتهم ، ويحاولون أن يضعوها موضع التطبيق ، فضلا عن التأليف في العلوم العسكرية ومما كتبه في هذا الميدان محمد إبراهيم الشاعر « الهندسة العسكرية المصورة » (١٩٥٤) ، و« الألغام والمصائد والمتفجرات » (١٩٥١) .

وثمة اهتمام بالدراسات الفولكلورية ، والفنون ، والصحافة ، وعلم المكتبات والتوثيق ، حتى لم يبق مجال من مجالات المعرفة لم يحظ باهتمام المؤلفين والباحثين الفلسطينيين .

المراجع :

ـ أدهم الجندي : أعلام الأدب والفن ، دمشق ١٩٥٤ .
ـ عرفان أبو حمد : أعلام من أرض السلام ، حيفا ١٩٧٩ .
ـ محمود الأخرس : البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩٠٠ ـ ١٩٧٠ ، عمان ١٩٧٢ .
ـ محمود الأخرس: البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ١٩٧١ ـ ١٩٧٥ ، عمان ١٩٧٦ .
ـ يوسف أسعد داغر : مصادر الدراسات الأدبية ، بيروت ١٩٥٦ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني من أول النهضة حتى النكبة ، بيروت ١٩٦٨ .

تامي (حزب ـ) : رَ : العنصرية والصهيونية

التـــأمين (شركة ـ العربية المحدودة) :

تأسست في القدس * في ١٩٤٤/٩/١ للقيام بجميع أصناف الضمان والتأمين على الحياة والحريق والحوادث البحرية والحوادث الجسدية وتعويض العمال والأمراض والعلل وولاية المتوفين والسرقات والنهب والاختلاسات وغيرها . وكان رأس مالها المصرح به في بادىء أمرها مائة ألف جنيه فلسطيني .

أنشئت هذه الشركة النوعية المتخصصة لتسد حاجة عربية ملحة في حقل خدمات التأمين في وقت لم يكن فيه في المنطقة العربية سوى شركة التأمين المصرية في القاهرة ، ولتكون واسطة من وسائط تمويل المشروعات الاقتصادية المختلفة ، مما يدل على حيوية الجهد الاقتصادي العربي في فلسطين .

وقد أقبل أصحاب الأعمال العرب في فلسطين على الإسهام في تأسيسها ، وبلغ عددهم ثلاثين مؤسسا . وأسهم معهم في ذلك بعض رجال الأعمال من سورية ولبنان .

لم تدم أعمال الشركة طويلا في القدس ، إذ اضطرت إثر حرب ١٩٤٨ * إلى نقل مقرها إلى بيروت . ولا تزال الشركة تعمل في مقرها في بيروت .

التبخُّـر : رَ : المنـاخ

تبرئة اليهود من دم المسيح (وثيقة ـ) :

رَ : الفاتيكـــان

تُبْصُر (قريـــة) :

تعرف أيضا باسم خربة عزّون . وتقع هذه القرية العربية إلى الجنوب الغربي من طولكرم * في أقصى الجنوب الغربي لقضاء طولكرم بالقرب من الحدود الإدارية لقضاء يافا بين قلقيلية * وقرية الحرم * (سيدنا علي) ، وتبعد عن الأولى نحو ٩ كم وعن الثانية نحو ٧ كم . وتبعد غربي طريق يافا ـ حيفا الرئيسة المعبدة أقل من كيلومتر . وتصلها طرق فرعية بالقرى العربية والمستعمرات الصهيونية المجاورة .

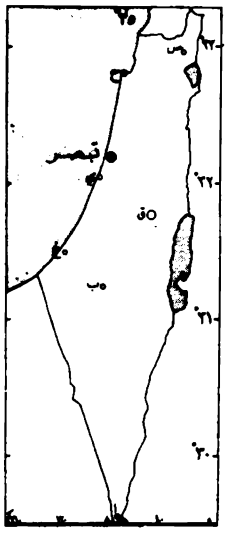

نشأت تبصر فوق رقعة منبسطة من أراضي السهل الساحلي * الشمالي . وترتفع ٥٠ م عن سطح البحر . يبدأ المجرى الأعلى لوادي الحبل من طرفها الغربي . كانت بيوتها مبنية من اللبن والإسمنت ، واتخذ مخططها شكل المستطيل الذي يمتد طوله من الشمال إلى الجنوب . وقد بنى السكان فيها مدرسة ابتدائية للبنين ، وأقيم فيها أيضا مسجد إلى جانب بعض الدكاكين التجارية . ويشرب سكانها من مياه الآبار . وتحتوي تبصر على آثار أسس بناء وبئر وقطع أرض مرصوفة بالفسيفساء ومدافن (رَ : الخرب والأماكن الأثرية). وقد وصلت مساحتها في عام ١٩٤٥ إلى ٢٩ دونما .

مساحة أراضي تبصر ٥,٢٣٨ دونما منها ١٦٨ دونما للطرق * والأودية ، و٢,٨٠٧ دونمات تسُّربت إلى الصهيونيين . ويزرع في هذه الأراضي الحبوب * والبقول والبطيخ والقثاء ، وغرس البرتقال في مساحة ٢,٤١٣ دونما منها ١,٦٩١ غرسها الصهيونيون ، وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار والآبار * الكثيرة التي حفرت لري بساتين الحمضيات * .

في عام ١٩٤٨ تعرضت تبصر لهجوم صهيوني فدافع أهلها عنها ، لكن الصهيونيين تمكنوا في النهاية من دخول القرية وطرد سكانها العرب منها ، ثم أزالوا معالمها لتتوسع مستعمرة « رعنانة » * الواقعة جنوبي تبصر على حساب أراضيها .

المراجـع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٣ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧١ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الطيرة .

التبـــغ (صناعة ـ) : رَ : الصناعة
رَ : المواد الغذائية (صناعة ـ)

التتـــار :

تعرضت فلسطين أيام المماليك * لخطر التتار مرتين . كانت الأولى في بداية دولة المماليك البحرية (٦٤٨ ـ ٧٨٤ هـ/ ١٢٥٠ ـ

١٣٨٢ م) إذ اجتاح هولاكو بعساكره بلاد الشام واستولى على دمشق سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م . ولم تنج فلسطين التي تحتل القسم الجنوبي الغربي من بلاد الشام من هذا الغزو ، وعانت مدن الخليل * وبيت جبرين * وغزة * أعمال السلب والنهب والقتل والتدمير من الغارات التتارية .

وعلى أرض فلسطين ، في عين جالوت* ، كانت المعركة الفاصلة بين جيوش الدولة المملوكية الناشئة بقيادة السلطان سيف الدين قطز *المعزّي (٦٥٧ - ٦٥٨ هـ/ ١٢٥٨ - ١٢٥٩ م) وجيوش التتار بقيادة « كيتغاوين » ، انتهت بانتصار المماليك على التتار في يوم الجمعة ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م . وطاردت جيوش المسلمين التتار حتى بيسان * ، وبذلك تلاشت أحلام هولاكو في الاستيلاء على مصر وبلاد الشام .

وظلت المناوشات بين الطرفين قائمة بعد معركة عين جالوت * ، وبلغت أشدها في أيام سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية ٦٩٨ - ٧٠٧ هـ/١٢٩٨ - ١٣٠٨ م) إذ استولت قوات غازان التتاري على دمشق ، واجتاحت منطقة الأغوار ونهبت القدس * وغزة .

وكانت المرة الثانية التي هدد الخطر التتاري فيها الدولة المملوكية ، وأصابت آثاره فلسطين ، أيام سلطنة الملك الظاهر برقوق بن آنص الثانية (٧٩٢ - ٨٠١ هـ/١٣٨٩ - ١٣٩٨ م) ، وهو من سلاطين دولة المماليك البرجية (٧٨٤ - ٩٢٢هـ/١٣٨٢ - ١٥١٧ م). فقد هدّد تيمورلنك بلاد الشام عام ٧٩٦هـ/١٣٩٤ م ، وأرسل السلطان برقوق العسكر إلى حلب للتصدي لخطر التتار ، وكان بين أمراء العسكر نائب غزة ونائب صفد . لكن تيمورلنك لم يقدم على لقاء الجيش المملوكي هذه المرة . ثم عاد إلى تهديد بلاد الشام عام ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م بعد وفاة برقوق في أيام ابنه السلطان فرج (٨٠١ - ٨٠٨ هـ/١٣٩٨ - ١٤٠٥ م) . وقد وجه السطان فرج نواب النيابات الشامية ، وفيهم نائبا غزة وصفد ، لمواجهة تيمورلنك عند حلب . وكان شملهم متفرقا ، ورأيهم مختلفا ، فأتاح ذلك الفرصة للتتار أن يجتاحوا حلب ويأسروا النوّاب بعد أن طلبوا الأمان .

ولمّا خرج السلطان فرج بنفسه للقاء التتار هزم جيشه عند دمشق ، فتراجع تاركا هذه المدينة لقمة سائغة للتتار. وهرب الناس من دمشق وطرابلس وحماة وصفد * والقدس والرملة * وغزة من وجه تيمورلنك إلى مصر وتشردوا في البلاد .

المراجع :

ـ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، القاهرة ١٣٢٧ هـ .
ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٥٨ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٢ .
ـ ابن عربشاه : عجائب المقدور في أخبار تيمور ، القاهرة ١٨٨٧ .

التجـــارة :

أ ـ نبذة تاريخية : التجارة قطاع اقتصادي مرتبط بقطاعي الانتاج الرئيسين الزراعة * والصناعة * . وقد تمّ التبادل التجاري منذ العصور القديمة * بين فلسطين ومراكز الحضارات القديمة كالعراق شرقا ، ومصر جنوبا بغرب ، وسورية شمالا ، والحجاز واليمن جنوبا . وكانت فلسطين بالإضافة إلى تجارتها مع الأقطار العربية المجاورة تعد جسر عبور صالحا لمرور التجارة ، إذ كان الفراعنة * يستوردون الأخشاب من الفينيقيين * في شمالي فلسطين ، ويصدرون إليها العاج وريش النعام والأدوات المختلفة . وظل السبئيون والمعينيون يتاجرون مع بلاد الشام مدة طويلة ، ويعتقد أنهم بنوا مدينة غزة * القديمة وبعض المدن الأخرى في فلسطين .

في العصور الوسطى ازدهرت الحركة التجارية في فلسطين لأنها كانت واقعة على طريق التجارة العالمية بين الشرق الأقصى وجنوب آسيا من جهة ، وأوربا من جهة ثانية (رَ : الطرق) . وازدهرت الموانىء الفلسطينية على البحر المتوسط وعلى خليج العقبة * لازدياد حركة التجارة عبرها. وقد اشتغل العرب في شبه الجزيرة العربية بالتجارة ، وكانت قوافلهم تسير ما بين الشام واليمن في رحلتي الشتاء والصيف . ومما يؤكد ذلك أن هاشم بن عبد مناف جد الرسول محمد (ص) مات في الطريق وهو عائد بتجارته من الشام إلى الحجاز ودفن في مدينة غزة . كما أن الرسول (ص) كان يعمل في التجارة بين الشام والحجاز . وقد عرف عن الخليفة عثمان بن عفان أنه كان من كبار التجار في الحجاز ، وأن قوافله التجارية كانت تسير بين الشام والحجاز عن طريق فلسطين .

وفي العصور الحديثة ازدهرت التجارة في فلسطين طوال العهد العثماني وامتدت إلى أوربا من جهة ، وإلى الولايات العثمانية المجاورة من جهة ثانية . وكانت هذه الفترة امتدادا لفترة حكم الصليبيين لفلسطين واحتكارهم التجارة بين المشرق العربي وأوربا . وقد كان لفلسطين في عهد الفرنجة * دور هام ، وكانت حلقة وصل تجارية بين المنطقة العربية وأوربا . ثم جاء الاستعمار الأوربي للمنطقة العربية لتصبح فلسطين تحت الانتداب البريطاني ، ومن بعده تحت السيطرة الصهيونية . فارتبطت التجارة ببريطانيا طوال فترة الانتداب مثلما ارتبطت فيما بعد بالكيان الصهيوني .

ب ـ مجال التجارة : تبرز أهمية فلسطين كطريق للتجارة بالنسبة

إلى الطرق التجارية الأخرى حين يُدرس المجال الذي يمكن أن تمتد في نطاقه خدمات فلسطين التجارية ، فهو مجال متوسط . ولموقع فلسطين الجغرافي الفضل الأكبر في جعل الطرق كلها تؤدي إلى فلسطين . إذ إن فلسطين تقع عند ملتقى ثلاث قارات هي : آسيا وأوربا وإفريقيا . وتربط بمجالها بين أقاليم مختلفة في الظروف الطبيعية ، فهي تصل بين آسيا الموسمية الحارة وإفريقيا المدارية الحارة من جهة ، وبين مناطق البحر المتوسط المعتدلة الدفيئة ومناطق غرب أوربا المعتدلة الباردة من جهة ثانية . وبعبارة أخرى تصل فلسطين بين الجنوب النامي ذي الثقافة والتقدم العلمي القليلين ، وذي الإنتاج الكبير من المواد الخام ، والشمال المتقدم في ثقافته وعلمه ، وصاحب الإنتاج الصناعي الكبير . ومن الطبيعي إذن أن يتم تبادل هذه الأفكار والمنتجات المختلفة التي تفيض عن حاجة أصحابها من سكان هذه الأقاليم فتنشط التجارة وتزداد حركتها في إطار من التعاون الدولي .

ولا تقتصر هذه القواعد على رواج التجارة الخارجية لفلسطين فحسب ، بل تنطبق هذه القواعد على التجارة الداخلية أيضاً . لأن فلسطين تشتمل على أقاليم طبيعية متفاوتة في خصائصها بالرغم من صغر مساحة البلاد . فهناك إقليم السهول الساحلية والداخلية ، وإقليم المرتفعات الجبلية ، وإقليم وادي الأردن ، وإقليم النقب الصحراوي . ولكل إقليم خصائصه المتميزة وإنتاجه المختلف . وتتحرك فوائض الإنتاج في كل إقليم نحو الأقاليم الأخرى على شكل تجارة داخلية . وسيجري الحديث أولاً عن التجارة الداخلية لفلسطين ، وهي تعبير حقيقي عن اقتصاديات البلاد ، ثم عن التجارة الخارجية التي هي وجه من أوجه العلاقات الاقتصادية بين فلسطين والعالم الخارجي .

جـ ـ التجارة الداخلية : هي المبادلات التي تتم بين فوائض البيئات الداخلية المتفاوتة في فلسطين . وتنقل هذه الفوائض بوسائل النقل المختلفة من مناطق الإنتاج إلى مناطق التسويق . وفي فلسطين البيئات التالية :

١) البيئة الساحلية : هي وجه فلسطين الذي يطل على العالم الخارجي عبر موانىء متعددة على البحر المتوسط وخليج العقبة . وهي الظهير الخلفي القريب والمباشر لهذه الموانىء .

وللبيئة الساحلية بالإضافة إلى هذه المهمة الأساسية مهمة أخرى هي تزويد هذه الموانىء بما يفيض عن حاجة سكانها من منتجات محلية لتصديرها إلى خارج البلاد من جهة ، ولتزويد أسواق البيئات الداخلية الأخرى بهذه المنتجات المحلية الفائضة من جهة ثانية . وتأتي الحمضيات * على رأس المنتجات التي تفيض عن حاجة سكان هذه البيئة الساحلية . ويتم تصدير القسم الأكبر منها إلى الخارج في حين يباع الباقي في الأسواق المحلية داخل فلسطين . وهناك سلع زراعية أخرى تباع في الأسواق المحلية كأصناف الخضر * والفواكه والأسماك * من شواطىء البحر المتوسط ، والمنتجات الصناعية المحلية التي تصنع في بعض المدن مثل الإسمنت ومنتجات النفط المكرر والغزل والنسيج * والأقمشة والملبوسات والفخار * والمواد الغذائية * والصابون * وغيرها .

٢) البيئة الجبلية : هذه البيئة فقيرة الإنتاج نسبيا . فهي تكفي حاجة سكانها من مشتقات الألبان مثلا ، وتباع بعض المواد التي تفيض عن حاجة سكانها في الأسواق المحلية داخل فلسطين ، ويصدر قسم منها إلى الخارج مثل الزيتون * والخضر وبعض أصناف الفواكه وبعض المنتجات الصناعية كزيت الزيتون (رَ : الزيوت النباتية ، صناعة) ، والصابون، وأحجار البناء ، والسمن النباتي ، والحلويات ، والصناعات السياحية والخشبية . لكن أسواق هذه البيئة تستورد كثيرا من فائض البيئات الأخرى ، ومن خارج البلاد .

٣) البيئة الغورية : إذا كانت البيئتان الساحلية والجبلية تنتجان غلات منطقة البحر المتوسط ذات المناخ * المعتدل الدافىء فإن البيئة الغورية ، لانخفاضها دون مستوى سطح البحر ، تنتج غلات المنطقة المدارية الحارة كالموز * والحمضيات وجميع أصناف الخضر والحبوب * وغيرها ، وتنتج أيضاً بعض المنتجات الحيوانية كمشتقات الألبان مثلا . ونظرا لقلة عدد السكان المقيمين في وادي الأردن فإن كثيرا من منتجاته تفيض عن حاجة السكان وتباع في الأسواق المحلية ، أو تصدر إلى الخارج ، مثل الحمضيات ، والموز ، وأصناف الخضر ، ومنتجات الألبان .

وتجدر الإشارة إلى أن موعد نضج المحاصيل الزراعية في الأغوار يأتي مبكرا عن موعد نضج المحاصيل الزراعية في البيئات المجاورة الأخرى ، الأمر الذي يجعل هذه المحاصيل تطرح في الأسواق قبل أن تطرح المحاصيل القادمة من البيئات الأخرى فتكسب أسعارا مناسبة في غياب منافسة المحاصيل الأخرى لها في الأسواق المحلية . وتعد هذه الظاهرة ميزة فريدة بالنسبة إلى الأسواق المحلية في فلسطين من حيث ضمان توافر السلع الزراعية فيها على مدار السنة .

٤) البيئة الصحراوية : تشغل هذه البيئة قرابة نصف مساحة فلسطين ، ويقع معظمها في صحراء النقب * . وتتميز عن بقية البيئات الأخرى بأنها بيئة رعوية في الدرجة الأولى (رَ : الرعي) ، لذا فالمنتجات الحيوانية من حليب ولبن وزبدة وسمن وجبن وجلود وصوف وشعر ووبر ولحوم وغيرها هي أهم ما تعطيه . والشعير محصول رئيس ، ويزرع في مساحات صغيرة من النقب ، لكن

إنتاجه يفيض عن حاجة سكان الإقليم ويصدر إلى الأسواق المحلية والخارجية (رَ : الحبوب) . ويزاول بعض البدو صناعات خفيفة لبيعها في الأسواق المحلية مثل صناعة البسط (المزاود) والغزل ونسج بيوت الشعر (الخيام) . وقد خصصت أماكن في كثير من أسواق المدن والقرى الكبيرة المجاورة للنقب لبيع وشراء الحيوانات ، وكثيرا ما يستبدل أفراد البدو بما ينتجونه في بيئتهم الصحراوية بعض المنتجات الزراعية في أسواق القرى الزراعية ، وذلك بطريقة المقايضة . ويبيعون منتجاتهم الحيوانية في الأسواق المجاورة ، ويقومون بشراء حاجاتهم المنزلية من هذه الأسواق نقدا كالمواد الغذائية (السكر والدقيق والأرز) والمواد الصناعية الأخرى (الأقمشة والملبوسات والأحذية والأدوات المنزلية) .

بالإضافة إلى الحركة التجارية التي تمارس يوميا في أسواق المدن والقرى تخصص كل مدينة أو قرية تقريباً يوماً واحداً في الأسبوع تقيم فيه سوقاً يتجمع فيها التجار والمواطنون من المدينة نفسها بالإضافة إلى القادمين من المدن والقرى الأخرى المجاورة ليتبادل هؤلاء جميعا مختلف السلع المعروضة .

د ـ التجارة الخارجية : يحسن قبل الحديث عن حجم التجارة الخارجية وتركيبها وتوزيعها الجغرافي دراسة أبرز العوامل المؤثرة في هذا القطاع الهام من اقتصاد فلسطين ، وذلك من ناحيتي التكوين والتوجه الجغرافي ، أو العلاقات المكانية .

١) التكوين : يبرز في هذه الناحية عاملان أساسيان هما العامل الطبيعي المتمثل في الموارد الطبيعية ، والعامل البشري المتمثل في الموارد البشرية والاقتصادية . ثم يأتي النظام السياسي ليحدد مقدار تأثيركل عامل ومدى فاعليته في إيجاد المقومات الرئيسة للتجارة الخارجية . ولا بد أيضا من إضافة أثر التطورات السياسية التي مرت بها فلسطين منذ مطلع القرن الحالي حتى اليوم .

إن مساحة فلسطين وما تشتمل عليه من مصادر طبيعية قليلة يؤثران حتما في قلة ما يمكن أن تنتجه من مواد خام (رَ : المعادن) . لذلك إذا استثنيت بعض الخامات الزراعية الصناعية التي تدخل في تجارة الصادرات كالحمضيات والفوسفات * والبوتاس فإن معظم المواد الخام تدخل في تجارة الواردات . وتجدر الإشارة إلى أن الإنتاج الزراعي والغابي والحيواني والسمكي والمعدني لا يكفي حاجة السكان ، وبالتالي يصبح الاعتماد على الاستيراد من الخارج أمرا ضروريا . وإذا أخذ الإنتاج الزراعي مثالا لمعرفة دوره في دفع عجلة التجارة الخارجية تبيّن أن مجموعة من عوامل البيئة الطبيعية تتحكم فيه ، وتحدد أقصى اتساع للرقعة الزراعية ، وتحدد إنتاج الغلات المزروعة (رَ : الزراعة) . ولهذا تضطر فلسطين إلى استيراد نوعين من المنتجات الزراعية : النوع الأول ينمو في ظروف خاصة لا تتوافر في فلسطين كالبن والشاي والتوابل والأرز والقطن وغيرها . والنوع الثاني ينمو في فلسطين ، ولكن الإنتاج المحلي منه لا يكفي حاجة السكان مثل الحبوب عامة ، والقمح * خاصة .

أما الإنتاج الصناعي فإنه يدخل في تجارة كل من الواردات والصادرات ، ذلك لأن الصناعة بصفة عامة تعتمد على استيراد الخامات والآلات والتجهيزات الإنتاجية اللازمة لها من جهة ، ولأنّ صغر حجم السوق المحلية يفرض من جهة أخرى الاعتماد على تصدير المنتجات الصناعية المحلية إلى الخارج (رَ : الصناعة) .

أدى تطور نمو السكان بمعدلات مرتفعة خلال القرن الحالي إلى حدوث ضغط سكاني على موارد فلسطين ، ودعا إلى بذل الجهود لمضاعفة معدلات النمو الاقتصادي في المجالات الزراعية والصناعية (رَ : السكان) . وبالرغم من هذه الجهود التي بذلت وتبذل داخل فلسطين فقد عجزت معدلات النمو الاقتصادي عن مواكبة معدلات النمو السكاني ، وبالتالي عجزت معدلات نمو تجارة الصادرات عن مواكبة معدلات نمو تجارة الواردات ، الأمر الذي أوجد عجزا مستمراً في الموازين التجارية لكل من العرب والصهيونيين . وأثر ذلك أيضا في ازدياد العجز في موازين المدفوعات لكل من الضفة الغربية وقطاع غزة والمنطقة المحتلة عام ١٩٤٨ . وأصبح من الضروري الاعتماد على المساعدات الخارجية ، وعلى أموال المغتربين العرب الذين يعملون خارج فلسطين ، وعلى تأدية الخدمات خارج فلسطين . وجميعها صادرات غير منظورة تعمل على تغطية بعض العجز في موازين التجارة والمدفوعات .

ولا بد من الإشارة إلى أثر النظام السياسي لسلطة الانتداب البريطاني ، ومن بعدها أثر السياسة الاستعمارية الصهيونية التي تطبقها سلطة الاحتلال الصهيوني على المناطق الغربية المحتلة في التجارة الخارجية لفلسطين . فهناك تطابق كبير بين السياستين الاستعماريتين ، إذ قامتا على أساس تسخير المواد الخام التي تنتجها فلسطين لخدمة الاستعمار بحيث يتم ربطها بأسواق كل من بريطانيا (سابقا) والكيان الصهيوني (فيما بعد) . ففي الماضي شجعت سلطة الانتداب على التوسع في استعمال الأرض الفلسطينية للأغراض الزراعية ، وركزت على الحبوب والحمضيات لتعتمد غالبية عرب فلسطين على الزراعة في معيشتها ، ولتتحول فلسطين إلى سوق مفتوحة أمام المنتجات الصناعية البريطانية . وقامت بعض الشركات التجارية البريطانية الكبرى ، مثل شركة ستيل ، باحتكار شراء الحبوب من المزارعين العرب بأثمان بخسة خلال الحرب العالمية الثانية ، وتخزينها بغرض تموين القوات البريطانية في فلسطين . واحتكرت بريطانيا أيضاً تسويق الحمضيات لنفسها ، وحدّت من تصديرها إلى غيرها من الدول

الأخرى ، وذلك للتحكم في المزارعين العرب باستخدام الحمضيات سلاحا ضدهم في الوقت المناسب .

أما الكيان الصهيوني فإنه يعمل على مصادرة الأراضي العربية الزراعية للتضييق على السكان العرب وإجبارهم على الهجرة إلى خارج فلسطين . ونتج عن تطبيق هذه السياسة انخفاض ملموس في نسبة الإنتاج الزراعي من مجموع الإنتاج المحلي العربي . ففي الضفة الغربية انخفض هذا الانتاج من ٤٦٪ عام ١٩٦٦ إلى ٢٣٪ عام ١٩٨٠ ، وفي قطاع غزة انخفض هذا الإنتاج من ٥٢٪ عام ١٩٦٦ إلى ٣٥٪ عام ١٩٨٠ . واستطاع الكيان الصهيوني أن يربط هذا الإنتاج على الرغم من انخفاضه باقتصاده، وذلك بتنفيذه سياسة الدمج الاقتصادي التي ترمي إلى الاستفادة من الإنتاج العربي مواد خاماً للصناعات الصهيونية، ومن السوق العربية قوة شرائية للمنتجات الصناعية الصهيونية .

وقد تضرر الكثير من أصحاب العمل والتجار العرب نتيجة للوضع الاقتصادي السيء في الكيان الصهيوني ، ونتيجة لسياسة الضرائب الإضافية التي أدت في أحيان كثيرة إلى إغلاق هذه المحلات والمؤسسات الإنتاجية . وأصبح السكان العرب في الضفة والقطاع مستهلكين للبضائع الصهيونية التي تشكل حالياً ٢٠٪ من مجموع صادرات الكيان الصهيوني إلى العالم الخارجي . ونجم عن إغراق الأسواق المحلية في الضفة والقطاع بالبضائع والسلع الصهيونية تضرر القطاع الزراعي العربي ، وهجرة نحو ٣٥٪ من العاملين الزراعيين العرب أراضيهم ، والاتجاه إلى العمل في القطاعات الاقتصادية الصهيونية . ولا شك أن انخفاض الانتاج الزراعي والصناعي العربي بسبب سياسة سلطة الاحتلال الصهيوني أدّى ألى كساد عام في التجارة العربية بسبب التقييدات المفروضة على الاقتصاد العربي المرتبط باقتصاد الكيان الصهيوني .

٢) التوجه الجغرافي أو العلاقات المكانية : تتأثر تجارة فلسطين الخارجية بمجموعتين من العوامل الطبيعية والبشرية . ويأتي الموقع الجغرافي على رأس العوامل الطبيعية التي وجهت تجارة فلسطين في الماضي وتوجهها في الحاضر . ففي الماضي كانت التجارة الخارجية أيام المماليك * تجارة عبور ، فكانت فلسطين تستورد من الشرق الأقصى التوابل واللبان والطيب عن طريق المحيط الهندي ثم تنتقل هذه المستوردات عبر الموانىء الفلسطينية إلى أوربا . وفي عهد الانتداب البريطاني أيضا كان لموانىء فلسطين دور هام في خدمة تجارة فلسطين الخارجية مع الدول الأوربية عامة وبريطانيا بخاصة إضافة إلى خدمتها تجارة كل من الأردن والعراق مع دول أوربا . وشجع الموقع المركزي لفلسطين في وسط الوطن العربي على تنشيط حركة التجارة بين فلسطين وجاراتها من الدول العربية .

وقد طرأت تغييرات على الأهمية النسبية لموقع فلسطين بعد عام ١٩٤٨ ، إذ جدّت أمور أثرت في تطور التوجه الجغرافي للتجارة الخارجية . فقيام الكيان الصهيوني على جزء كبير من الأرض الفلسطينية بين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ ، واحتلال هذا الكيان الغاصب جميع الأرض الفلسطينية عام ١٩٦٧ ، أديا إلى إغلاق الموانىء الفلسطينية في وجه التجارة العربية الخارجية بعد أن طبقت سياسة المقاطعة العربية للكيان الصهيوني . وخلال الفترة الأولى (١٩٤٨ - ١٩٦٧) ارتبطت تجارة الضفة الغربية بتجارة المملكة الأردنية الهاشمية في حين ارتبطت تجارة قطاع غزة بصورة غير مباشرة بتجارة مصر الخارجية . ومنذ عام ١٩٦٧ أخذ الكيان الصهيوني يطبق سياسة الدمج الاقتصادي بين اقتصاد المناطق العربية المحتلة واقتصاده ، مما يؤدي إلى ربط التجارة الخارجية العربية بتجارته بصورة غير مباشرة .

ومنذ أوائل الخمسينات افتتح الأردن ميناء العقبة وأصبحت تجارة الضفة الغربية تستفيد من هذا الميناء الجديد إضافة إلى استفادتها من ميناء بيروت اللبناني عن طريق سورية . وكان ميناء غزة يخدم تجارة قطاع غزة مع العالم الخارجي مع استفادة القطاع من ميناء بيروت أيضا . أما الكيان الصهيوني فإنه بدأ يستغل ميناء إيلات * في تجارته الخارجية على خليج العقبة منذ عام ١٩٥٦ بالإضافة إلى استفادته من الموانىء الفلسطينية على البحر المتوسط . وهذا يعني أن إنشاء كل من ميناء العقبة وميناء إيلات على رأس خليج العقبة أعطى بعدا جديدا لتجارة فلسطين فأصبحت على صلة بشرقي إفريقية وجنوبي آسيا والشرق الأقصى ، إلى جانب صلتها الأولى بأقطار البحر المتوسط وأوربا .

أثر الاحتلال الصهيوني لفلسطين عام ١٩٤٨ في ارتفاع تكاليف التجارة الخارجية للأردن عامة ، وللضفة الغربية خاصة ، مما أدى إلى ارتفاع أسعار السلع المستوردة ، وبالتالي إلى ارتفاع تكاليف المعيشة . فالمسافة بين القدس * ويافا * لا تزيد على ٤٠ كم في حين أن المسافة بين القدس وبيروت (بعد أن احتلت هذه مكانة حيفا)* أصبحت عشرة أمثال مسافة القدس - يافا . واستبدلت بالمسافة بين عمان وحيفا ، والبالغة ٢٥٠ كم ، طريق طويلة تزيد على ٣٥٠ كم ، وهي المسافة بين عمان وكل من ميناءي بيروت والعقبة . ورغم أن النفقات كانت كبيرة على تجارة الأردن عامةفقد كانت أكبر على تجارة الضفة الغربية . ففي بعض المناطق قرب خط الهدنة ازدادت المسافة التي تفصل بينها وبين أقرب الموانىء المفتوحة لها من ٤٠ كم إلى ٥٠٠ كم .

وإذا كان التغير النسبي لأهمية الموقع من فترة لأخرى يؤثر في التوجه الجغرافي للتجارة الخارجية فإن التطورات الاقتصادية التي شهدتها فلسطين أثرت في هذا التوجه المتغير للتجارة . وتبرز هنا آثار الاحتلال البريطاني لفلسطين ، ومن بعده الاحتلال الصهيوني ، في السيطرة على الاقتصاد الفلسطيني الذي تعدّ التجارة الخارجية جوهره الحقيقي . وقد ظلت فلسطين سنين طويلة مرتبطة بمجموعة دول

الكتلة الغربية في تجارتها الخارجية . ومنذ عام ١٩٥٦ أخذت إلى جانب ذلك تتعامل مع دول الكتلة الشرقية ودول عدم الانحياز ، واتجهت تجارة قطاع غزة أيضا بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٧ إلى دول الكتلة الشرقية بتشجيع من الإدارة المصرية للقطاع آنذاك من جهة ، وبسبب التسهيلات المقدمة من الدول الشرقية من جهة ثانية . ووجدت تجارة فلسطين لها أسواقا جديدة في دول عدم الانحياز ، وبخاصة بعض دول آسيا . وكانت العلاقات التجارية بين قطاع غزة ومصر قوية جدا ، بل إن مصر قدمت كثيرا من التسهيلات والمساعدات التي تكفل ضمان بقاء الحركة التجارية مزدهرة في القطاع .

وواجه المزارعون وأصحاب المصانع في الضفة الغربية وقطاع غزة منذ عام ١٩٦٧ مشكلة تسويق منتجاتهم . فالكيان الصهيوني يستورد من الضفة والقطاع بعض الإنتاج الذي يحتاج إليه لصناعاته فحسب ، ويتخلى عن العرب ولا يساعدهم في تسويق منتجاتهم التي لا يحتاج إليها خشية منافستها منتجاته في الأسواق العالمية . لكن الدول العربية والإسلامية لم تتخل عن مسؤولياتها إزاء سكان المناطق المحتلة منذ عام ١٩٦٧ ، فقد أخذت تستورد الكثير من إنتاج الضفة والقطاع ، وسهّل الأردن عملية مرور البضائع القادمة من الضفة والقطاع في أراضيه متجهة نحو البلدان العربية المجاورة (رَ : الجسور المفتوحة) . وبالرغم من ذلك فإن منتجي الحمضيات والمصدرين والعاملين في حقل الحمضيات يشكون كساد الأسواق في بعض السنوات . وتشير الأرقام إلى أن مجموع إنتاج قطاع غزة من الحمضيات بلغ في موسم ٨٢/٨١ نحو ٢٠٠ ألف طن . ويذكر أن الدول الشرقية ـ وبخاصة يوغوسلافيا ـ التي تستورد ٢٩٪ من إنتاج القطاع ، لم تتعاقد لاستيراد الحمضيات في هذا الموسم ، وأن الدول العربية التي اعتادت شراء حمضيات القطاع لم تبد أي رغبة في الشراء في ذلك العام .

٣) حجم التجارة الخارجية وتركيبها :

(١) النصف الأول من القرن الحالي : قدرت تجارة فلسطين الخارجية في عام ١٩١٣ بنحو ٢,٧٥ مليون جنيه فلسطيني ، وكانت هذه التجارة مقسمة بالتساوي بين الصادرات والواردات . وفي عام ١٩٣٧ بلغت هذه التجارة ٢١,٢٥ مليون ج . ف ، أي زادت ثمانية أمثال ما كانت عليه . ولكن التوازن بين الصادرات والورادات اختل اختلالاً كبيراً فكانت قيمة الواردات أكثر من ١٥ مليون ج . ف في حين بلغت قيمة الصادرات ٥,٨ مليون ج . ف . وتُعزى أسباب نمو التجارة في فترة الانتداب البريطاني عما كانت عليه في أواخر العهد العثماني إلى الزيادة الكبيرة في عدد السكان ، وإلى ارتفاع مستوى معيشتهم وما تبع ذلك من زيادة كبيرة في الاستهلاك والانتاج . وقد تحسنت طرق المواصلات على أثر مد الخط الحديدي إلى مصر (رَ : السكك الحديدية) ، وفتح الطريق الصحراوي إلى العراق عبر الأردن ، وإنشاء ميناءي حيفا ويافا ، ومد الطرق البعيدة ، وإيصال خط أنابيب النفط العراقي إلى حيفا . وكان لطرق المواصلات أثر هام في تنشيط الحركة التجارية بين موانىء فلسطين وظهيرها من جهة ، وبينها وبين العالم الخارجي من جهة ثانية (رَ : الطرق) . وجاءت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وما رافقها من استيراد رؤوس أموال كثيرة ، جاءت كلها تقريبا على شكل سلع تجارية روّجت الحركة التجارية خلال فترة الانتداب ، وتمكنت الصهيونية من تأسيس الشركات والجمعيات والمؤسسات الإنتاجية ، ومنها الشركات التجارية .

بتحليل أرقام التجارة الخارجية لفلسطين عام ١٩٣٧ يتضح التركيب السلعي لهذه التجارة . ويمكن تقسيم الواردات إلى ثلاث مجموعات كبرى هي :

ـ السلع اللازمة لاستثمار الثروة الطبيعية ، وتشمل أدوات البناء والآلات الصناعية والزراعية ووسائط النقل .

ـ المواد الأولية اللازمة للصناعة كالمحاصيل الصناعية والأخشاب والمعادن وغيرها .

ـ مواد الاستهلاك المحلي ، وهذه إما غذائية ، وإما مواد مصنوعة . ويكوّن هذا القسم أهم ركن من أركان الواردات كلها . فقد بلغت قيمة المواد الغذائية المستوردة في تلك السنة أربعة ملايين جنيه فلسطيني ، والمواد المصنوعة صنعا كاملا أو نصف مصنوعة عشرة ملايين ج . ف .

أما الصادرات فأهمها كلها الحمضيات ، وتبلغ قرابة ٨٤٪ من المجموع الكلي . ثم تأتي بعد ذلك مقادير قليلة من المواد الأولية كالجلود وأمعاء الماشية والصوف الخام ، وقيمتها ٦,٥٪ من المجموع . وأخيرا المواد المصنوعة كالمستحضرات الكيميائية ومنها البروم والبوتاس والصابون ، وبعض العقاقير الطبية ، والعطور ، وقليل من الملابس الجاهزة ، وغزل القطن والخيوط ، وقيمتها كلها ٩,٥٪ .

ويلاحظ من تحليل أرقام التجارة أن الميزان التجاري سلبي ، وقد بلغ معدل العجز السنوي فيه قبل الحرب العالمية الثانية نحو عشرة ملايين ج . ف ، أو ضعف الصادرات كلها . وكان هذا العجز الكبير يُغطى بالصادرات غير المنظورة كرؤوس الأموال الواردة مع المهاجرين الصهيونيين ، أو التي ترسلها إلى فلسطين المؤسسات والجمعيات الصهيونية ، وما كان ينفقه السياح والحجاج داخل فلسطين ، ودخل الأوقاف الإسلامية والمسيحية ، ومستوردات شركة

النفط العراقية ، ونفقات جيش الاحتلال البريطاني ، إلى غير ذلك مما لا يظهر له مقابل في جداول الصادرات .

ويلاحظ أيضا أن قيمة البضائع المستوردة بقصد استغلال موارد الثروة الطبيعية كانت كبيرة بلغت ثلث قيمة الواردات كلها . من جهة ثانية اعتمدت تجارة الصادرات إلى حد كبيرة على سلعة واحدة وسوق واحدة . فأكثر من ٨٠٪ من هذه التجارة كان قائما على الحمضيات ، وكانت ثلاثة أرباع كمية الحمضيات تصدر إلى السوق الإنكليزية .

ويتبيّن من استعراض التوزيع الجغرافي لتجارة فلسطين الخارجية أثناء فترة الانتداب أن بريطانيا احتلت المركز الأول في تجارة فلسطين . لكن ألمانيا أخذت تحتل مركزا ممتازا في السوق الفلسطينية بعد عام ١٩٣٦ عندما زادت صادراتها إلى فلسطين على الصادرات الإنكليزية . وتُفسر هذه الظاهرة بهجرة الصهيونيين من ألمانيا إلى فلسطين ، ومنعهم من نقل أموالهم التي استبدلت بها آلات ومهمات صناعية تمّ تصديرها إلى فلسطين (رَ : النازية والصهيونية) . وأتت سورية في المرتبة الثالثة بعد ألمانيا وإنكلترا في تجارة الواردات الفلسطينية ، إذ كانت فلسطين تستورد من سورية المواد الغذائية كالخضر والبيض والدجاج والماشية . واستوردت فلسطين الأخشاب من رومانيا ، والآلات الزراعية من الولايات المتحدة ، والجلود وبذرة القطن من مصر ، والأسماك والبيض والمواشي الحية من العراق .

أما صادرات فلسطين فكان أكثرها يتجه إلى بريطانيا . وقد نشطت التجارة الفلسطينية مع البلدان العربية المجاورة خلال فترة الحرب العالمية الثانية في حين كانت هذه التجارة في الفترة التي سبقت الحرب والفترة التي تلتها ضعيفة جدا ، وذلك لتشابه المنتجات الفلسطينية ومنتجات جاراتها . وقد ساعد إنشاء ميناء حيفا وتجهيزه بأحدث المنشآت ، وفتح الطريق الصحراوية إلى العراق على تنشيط تجارة العبور (الترانزيت) إلى سورية والعراق .

(٢) النصف الثاني من القرن الحالي : ــ الضفة الغربية للاردن : فقدت الضفة الغربية بعد نكبة عام ١٩٤٨ قسما هاما من مواردها وقدراتها الاقتصادية داخل فلسطين المحتلة. فقد كانت الضفة الغربية تستكمل جزءاً كبيراً من احتياجاتها الإنتاجية والاستهلاكية من باقي أجزاء فلسطين ، وعن طريق موانئها ومرافقها العامة ، وكان اقتصادها يرتبط بعلاقات متعددة بالاقتصاد الفلسطيني العام سواء في سد احتياجات سكانها أو في كونه مصدر دخل جزء كبير منهم . ومنذ عام ١٩٥٠ ارتبط اقتصاد الضفة الغربية باقتصاد الأردن ، وأصبحت تجارتها جزءا من التجارة الخارجية للأردن حتى عام ١٩٦٧ .

بلغ عدد سكان الضفة الغربية في عام ١٩٥٢ نحو ٩٤٧ ألف نسمة منهم ٢٠٤ آلاف من اللاجئين ، أو ما نسبته ٢٧,٥٪ من مجموع السكان . وقد ضغط هذا العدد الكبير من السكان على موارد الضفة ، الأمر الذي نتج عنه نزوح أعداد منهم إلى الضفة الشرقية وبلدان الخليج العربي لتخفيف هذا الضغط . وقد استمر هذا النزوح طوعيا حتى عام ١٩٦٧ عندما نزح عدد كبير منهم قسريا على أثر حرب ١٩٦٧ * .

بلغ مجموع ذوي النشاط الاقتصادي من سكان الضفة الغربية وفقا لتعداد ١٩٦١ نحو ١٧٢,١٣٧ نسمة منهم ١٣,٩٠٤ نسمات يعملون في قطاع التجارة ، أو ما نسبته ٨٪ من مجموع القوى البشرية العاملة . ووفقا لهذا التعداد بلغت نسبة العاملين في قطاع التجارة ٤٪ من مجموع القوى العاملة في لواء الخليل ، ونحو ٧,٧٪ في لواء القدس ، و٧,٥٪ في لواء نابلس . وعلى مستوى المدن في الضفة الغربية بلغت نسبة العاملين في التجارة في مدينة الخليل * نحو ١٦٪ من مجموع العاملين فيها . وبلغت نسبتهم في مدينة القدس ١٥٪ ، وفي مدينة نابلس نحو ٢٠٪، وفي مدن بيت لحم * وبيت جالا * وبيت ساحور * نحو ٩,٥٪ ، وفي مدينتي رام الله * والبيرة * نحو ١٢,٧٪ ، وفي مدينة طولكرم * نحو ٧,٦٪ .

وتعاني تجارة الضفة الغربية عجزاً واضحاً ومستمراً في ميزانها بسبب تفوق قيمة المستوردات على قيمة الصادرات . ولا تختلف الضفة الغربية عن الأردن في السمات العامة لتجارتها ، فهي تستورد المواد الغذائية ، والمنتجات الصناعية والنفطية ، والأقمشة والملبوسات والأخشاب والجلود والآلات والأدوات الكهربائية والورق وغيرها . وأهم صادراتها الزيتون ، وزيت الزيتون ، وبعض الفواكه كالعنب * والبطيخ والحمضيات ، والزبيب والزيوت النباتية ، وأصناف الخضر كالبندورة ، وبعض المواد الكيميائية كالصابون والزجاج ، وأنواع من أحجار البناء .

ويُسدّ العجز في الميزان التجاري بالأموال التي يرسلها المغتربون من أبناء الضفة إلى ذويهم ، وأموال الصمود التي تقدمها بعض البلدان العربية النفطية ، وعائدات السياحة وزيارة الأماكن المقدسة ، وبمساعدات وكالة غوث اللاجئين (رَ : وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى) .

وتتجه صادرات الضفة الغربية نحو الأردن ، وفلسطين المحتلة (إسرائيل) ، والعراق ، وإيران ، وسورية ، وبعض أقطار أوربا الغربية ، وأوربا الشرقية . وتستورد الضفة من فلسطين المحتلة (إسرائيل) وبعض الأقطار الأوربية معظم السلع التي تحتاج إليها .

ــ قطاع غزة : منذ نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وقطاع غزة يعاني من عجز في الميزان التجاري ، وذلك لقلة ما يصدّر وكثرة ما يستورد

من سلع استهلاكية . ولولا ما يرسله المغتربون إلى ذويهم في القطاع ، وما يرد إلى القطاع من مساعدات وكالة غوث اللاجئين ، لأصبح العجز في ميزان المدفوعات غير محتمل . وقد تضاعف حجم التجارة الخارجية للقطاع عدة مرات بين عامي ١٩٥١ و١٩٦٦ . ففي حين كان حجم التجارة نحو ١,٢ مليون جنيه مصري عام ١٩٥١ وصل إلى نحو ٤ ملايين ج .م . في عام ١٩٦٦ . ويعود السبب في ذلك إلى ازدياد عدد سكان القطاع ، وإلى تحسن مستوياتهم المعيشية ، وإلى التوسع في زراعة الخضر والأشجار المثمرة ، ولا سيما الحمضيات التي تشغل معظم مساحة الأرض المزروعة .

وخلال فترة الإدارة المصرية للقطاع كانت مصر تحدّ من استيراد الكماليات من الخارج إليها ، وتسمح بهذا الاستيراد لقطاع غزة فيتسرّب إلى مصر عن طريق السياح المصريين والمسافرين من القطاع إلى مصر كثير من هذه الكماليات . وقد ساعدت هذه السياسة على انتعاش الحركة التجارية في قطاع غزة وازدهرت تجارة القطاع مع مصر بالدرجة الأولى ، ومع الأقطار الاشتراكية بالدرجة الثانية ، ومع الأقطار العربية والأقطار الرأسمالية بالدرجة الثالثة .

وقد ازدادت قيمة الواردات بشكل مستمر منذ عام ١٩٦٠ بعد أن سمحت الإدارة المصرية في القطاع للتجّار باستيراد السلع من الخارج بدون تحويل عملة ، وذلك حرصا على جذب رؤوس الأموال التي يملكها بعض التجار في الخارج إلى قطاع غزة . وبالإضافة إلى ذلك كانت قيمة الصادرات تغطي أكثر من خمس قيمة الواردات . وبلغ متوسط نفقات وكالة غوث اللاجئين في القطاع ثلاثة أرباع مليون ج.م. سنويا ، وبلغت الإعانة السنوية للقطاع من وزارة الحربية المصرية نحو ٤٠٠ ألف ج.م. هذا عدا المساعدات الخارجية للقطاع . وقد أثر وجود قوات الطوارىء الدولية واستئجارها المنازل وتشغيل العمال والموظفين من أبناء القطاع في ترويج الحركة التجارية ، الأمر الذي ساعد على سد العجز التجاري للقطاع .

ويتضح من النظر إلى تطور واردات القطاع من السلع أن الواردات بعامة ازدادت ولا سيما واردات القطن الخام والغزل والصوف الخام وشعر المعز والملابس والأقمشة والآلات الميكانيكية ومواد البناء والحديد المبروم والألواح المعدنية والأخشاب والزجاج والورق والإسمنت والأدوات الصحية والأسمدة والأدوات الزراعية والكهربائية والمنزلية والأدوية والمواد التموينية كالدقيق والسكر والأرز والبن والشاي والزيوت ومنتجات الألبان والخضر واللحوم والمواشي الحية وغيرها . ولم يتناقص سوى استيراد السجاير بسبب التوسع في زراعة الدخان والاعتماد على الانتاج المحلي .

أما عن تطور صادرات القطاع من السلع التجارية فيمكن القول إن صادرات الحمضيات ازدادت كميتها وقيمتها النقدية ، كما ازدادت صادرات القطاع من بذور الخروع بعد التوسع في زراعة أشجاره . وتقتصر صادرات القطاع على أنواع قليلة من السلع كالحمضيات والبطيخ والعنب والتفاح واللوز والبلح والجوافة والحديد والنحاس الخردة والأكياس والأقمشة القطنية المحلية والبسط والسجاد والفخار والبراميل المعدنية .

وارتبطت تجارة القطاع الخارجية بعد عام ١٩٦٧ بتجارة الكيان الصهيوني مثلما ارتبطت به تجارة الضفة الغربية أيضا ، حتى إن خمس صادرات الكيان الصهيوني تتجه إلى الضفة والقطاع . ويصدر القطاع ما يفيض عن حاجة سكانه من المنتجات إلى الكيان الصهيوني وإلى مصر والأردن وبعض الأقطار العربية الأخرى . ويصدر القطاع جزءاً من الحمضيات عن طريق الأردن إلى أقطار الخليج العربي والعراق وإيران ، وجزءاً آخر عن طريق ميناءي غزة وأسدود * إلى يوغوسلافيا وبعض الأقطار الأوربية الأخرى . والجدير بالذكر أن الضفة الغربية وقطاع غزة يستقبلان سنويا ما معدله أكثر من نصف مليون سائح يساهمون في ترويج الحركة التجارية في المناطق المحتلة ١٩٦٧ .

ـ الكيان الصهيوني : تميزت التجارة الخارجية للكيان الصهيوني خلال الأعوام الثلاثين الماضية ببعض المظاهر الهامة . فقد تزايدت أهمية قطاع التجارة بالنسبة إلى الاقتصاد الصهيوني ، وارتفعت نسبة الواردات والصادرات من السلع والخدمات . وبالرغم من سرعة النمو الذي حدث في كل من الصادرات والواردات كان معدل نمو الصادرات أكبر بكثير من معدل نمو الواردات . وازدادت أهمية تجارة (إسرائيل) من الخدمات ـ التجارة غير المنظورة ـ سواء بالنسبة إلى الصادرات أو إلى الواردات .

وحدث تغيّر هيكلي ملموس بالنسبة إلى مركز صادرات الكيان الصهيوني ، إذ تناقصت نسبة الصادرات الزراعية عامة ، ونسبة صادرات الحمضيات بخاصة ، وتزايدت نسبة الصادرات الصناعية . واعتمدت الصادرات على التنويع بدلا من التركيز على محصول زراعي واحد أو مادة صناعية واحدة .

وحدث أيضاً تغيّر هيكلي كبير في تركيب الواردات السلعية ، إذ هبطت نسبة الواردات الاستهلاكية هبوطاً شديداً وزادت نسبة الواردات الأولية زيادة كبيرة ، مع ثبات نسبي في واردات الوقود والسلع الاستثمارية .

لكن الفجوة بين الصادرات والواردت ظلت على حالها . ويظهر ذلك في كبر العجز في كل من ميزان الحساب الجاري (السلع والخدمات) وفي الميزان التجاري . كذلك تواجه التجارة الخارجية

منافسة قوية في الأسواق الخارجية ، مما يعرقل نمو حجم الصادرات وحرمان الكيان الصهيوني من أسواق طبيعية في الدول العربية بسبب المقاطعة الاقتصادية العربية إياه .

ويوضح استعراض التوزع الجغرافي لتجارة الكيان الصهيوني الخارجية خلال الأعوام الثلاثين الماضية أن هذا الكيان يتاجر مع مجموعة كبيرة من دول العالم الرأسمالية والاشتراكية المتقدمة منها والنامية ، وأن معظم تجارته يتركز في الدول الصناعية كبلدان السوق الأوربية المشتركة ومنطقة التجارة الأوربية الحرة والولايات المتحدة وكندا . وتؤلف تجارته مع الدول الإفريقية والآسيوية نسبة ضئيلة من مجموع تجارته العالمية . وقد ازداد حجم التجارة الخارجية للكيان مع الضفة الغربية وقطاع غزة بعد عام ١٩٦٧ .

وتأتي معظم واردات الكيان الصهيوني من الدول الصناعية ، ولا سيما الدول الأوربية ودول أمريكا الشمالية . وقد ازدادت واردات الكيان من الضفة الغربية وقطاع غزة ومصر في السنوات القليلة الماضية . وما زالت وارداته من دول أمريكا اللاتينية والدول الآسيوية والإفريقية ضئيلة . وتأتي معظم واردات الكيان الصهيوني من المواد الأولية والسلع الاستثمارية والمعدات الأخرى من الدول الصناعية في أمريكا الشمالية وأوربا . ويستورد من المجموعة الأوربية القسم الأعظم من السلع الاستهلاكية التي يحتاج اليها . أما وارداته من الولايات المتحدة فهي بالدرجة الأولى مواد أولية وأسلحة ، ثم سلع استثمارية ، في حين يتضاءل نصيب السلع الاستهلاكية المستوردة من السوق الأمريكية . ويستورد الكيان من اليابان السلع الاستثمارية ، ومن البلدان النامية المواد الأولية .

المراجع :

ـ سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في فلسطين ، بيروت ١٩٣٨ .

ـ عبد المطلب أبو حجلة : دوافع وآثار العمالة العربية في إسرائيل ، عمان ١٩٨٠ .

ـ فؤاد حمدي بسيسو : تأثير المقاطعة الاقتصادية العربية على الاقتصاد الإسرائيلي ، عمان ١٩٧١ .

ـ منظمة التحرير الفلسطينية : أوضاع الضفة الغربية السكانية بعد حرب ١٩٦٧ ، النشرة السكانية للأمم المتحدة ، عمان ١٩٧٦ .

ـ محمد أحمد صقر : التجارة الخارجية لإسرائيل ، عمان ١٩٧١ .

ـ يوسف مجلي : المظهر الجغرافي لمشكلة فلسطين ، الاسكندرية ١٩٤٨ .

التجارة العربية (غرفة ـ) :

على أثر الاحتلال البريطاني لفلسطين ، وموافقة عصبة الأمم * على صك الانتداب * عام ١٩٢٢ ، أنشئت في القدس غرفة تجارية باسم غرفة تجارة القدس ترأسها بريطاني ، وضمت أقلية عددية من التجار وأصحاب الأعمال العرب . ولم يكن منتظراً من هذه الغرفة المشتركة ، بسبب طبيعة تشكيلها ، تقديم أية خدمات تذكر للوسط التجاري العربي ، أو التحسس بنهضة العرب الاقتصادية ، أو التجاوب مع قضاياهم الوطنية . وكان لا بد لهذا الوضع من نهاية ، فإن أعلن الإضراب العام سنة ١٩٣٦ حتى نهض أصحاب الأعمال العرب في المدينة المقدسة بإنشاء غرفة التجارة العربية بالقدس متخذين مقرها في شارع مأمن الله .

قامت الغرفة بنشاطات واسعة ، بجمعها شتات أصحاب العمل العرب ، وإصدارها دليلاً باللغتين العربية والإنكليزية عن التجارة والزراعة والصناعة العربية في فلسطين . كما عملت الغرفة على تمثيل الاقتصاد العربي الفلسطيني لدى الحكومة المنتدبة وفي الأوساط العربية ، وشجعت على إنشاء غرف تجارية عربية في حيفا * وغزة * والخليل * وطولكرم * وعكا * وجنين * وسائر المدن الفلسطينية . وشارك أعضاء مجالس إدارة هذه الغرفة في الحركة الوطنية الفلسطينية ، وزج بعضهم في المعتقلات ، ومنهم رئيسها الشيخ عبد الباري بركات .

وعملت الغرفة على عقد المؤتمرات التجارية العربية في فلسطين ، والاتصال بغرف التجارة في البلاد العربية ، ولعبت دوراً كبيراً في تنمية الجهد الاقتصادي العربي وإبراز شخصيته ومكانته ، وتعاونت في عقد أول مؤتمر للغرف العربية في مدينة يافا .

توقفت الغرفة عن العمل توقفاً كاملاً ، واحتل الغزاة الصهيونيون مكاتبها في حرب ١٩٤٨ * . ثم أعيد إنشاؤها في شهر تشرين الأول عام ١٩٤٨ في البلدة القديمة في القدس بقرار من الحاكم العسكري آنذاك أحمد حلمي عبد الباقي * بعد اجتماعه بالتجار في مقره بدار المجلس الإسلامي الأعلى * . ولا تزال الغرفة قائمة بأعمالها حتى الآن .

وكان للغرفة في البلدة القديمة بالقدس دور في إعادة تجميع الفعاليات الاقتصادية ، وخاصة مشاكل التموين والنقل والإنارة الكهربائية التي حدثت بعد وقوع محطة التوليد العامة في الجهة الغربية من القدس تحت سيطرة الكيان الصهيوني . وقد ساعد قيام الغرفة على إنعاش الحياة الاقتصادية واجتذاب المستثمرين إلى المدينة ، ومباشرة أعمال البناء والعمران .

وكانت غرفة التجارة العربية في القدس في طليعة الغرف التجارية العربية التي شاركت في إنشاء اتحاد غرف التجارة والصناعة والزراعة العربية * لدى إعلان تأسيسه في الإسكندرية في شهر أيار ١٩٥١ .

ولا يزال للغرفة نشاطها وكيانها في القطاع الشرقي من مدينة القدس رغم مضايقات السلطات الإسرائيلية لها وعزلها عن

الغرف العربية في الضفة الغربية وغزة وعن سائر الغرف التجارية العربية .

التجارة الوطنية الاقتصادية (شركة ــ) :

رَ : الإخاء والعفاف (جمعية ــ)

التحالف الإسرائيلي العالمي : رَ : الأليانس

تحتمس الثالث (٢٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق.م. تقريباً) :

ملك من ملوك مصر الفرعونيين ، وقائد حربي ، وإداري ، وسياسي ممتاز . وقد واجه في بداية حكمه مؤامرة من بعض الممالك الفلسطينية والسورية ، وهناك تسجيلات مفصلة عن حملته عام ١٤٧٩ ق.م. وأهمها ما دار في موقعة تل المتسلم (مجدّو *) .

وهو أول من أخذ أبناء الأمراء الفلسطينيين إلى مصر في الحملة السادسة . وقد بلغ عددهم ستة وثلاثين رجلاً تقريباً ، فتربّوا على مائدة فرعون ، فلمّا عادوا وحكموا بلادهم لم ينسوا فضل مصر فكانوا يستنجدون بها إذا ما تعرّضت بعض المدن الفلسطينية لأخطار التمزق ، كما وضح ذلك من رسائل العمارنة التي وجّهوها إلى أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع (آخناتون *) .

وقد أحضر تحتمس الثالث في حملته الثالثة بعض فسائل الأشجار والأزهار الآسيوية وغرسها في مصر ، ولعله أحضر أيضاً بعض الطيور والحيوانات التي كانت في فلسطين وسورية . ومن ذلك على سبيل المثال الدجاج والرمّان . وقد نقشت على أحد جدران معبد الكرنك رسوم ما يقرب من ١٧٥ نباتاً .

يقول واحد من الكتاب المرافقين له : " كانت بساتينهم زاهرة بالفواكه ، ووجدنا نبيذهم في أوان كثيرة كالماء ، وحبوبهم في الأجران بعد أن تمّ درسها ، وكانت أكثر من رمال الشاطىء " . ويدل هذا على وفرة المحاصيل في فلسطين وسورية .

المراجع :

ـ عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، القاهرة ١٩٦٦ .

— Gardiner, A.H.: **Egypt of The Pharaohs,** London 1961.

التحرر الوطني (عصبة ــ) :

تنظيم شيوعي فلسطيني ضم عناصر اليسار من المثقفين والعمال العرب ومنتدياتهم السياسية التي تأسست في خريف ١٩٤٣ ، كالعصبة العربية ضد الفاشية ، ونادي شعاع الأمل ، ونادي الشعب . وكان المبرر الرئيس لالتقاء هذه النوادي العربية هو ارتداد الشيوعيين اليهود ، وقبولهم المشروع الصهيوني حول الوطن القومي اليهودي ، وما نجم عن ذلك من انقسام في الحزب الشيوعي الفلسطيني * عام ١٩٤٣ .

أسفر الالتقاء المذكور عن تشكيل عصبة التحرر الوطني التي أصدرت بيانها الأول في شباط ١٩٤٤ ، وتضمن ميثاقها وأسماء أعضاء لجنتها المركزية . كما أصدرت صحيفة « الاتحاد » لتكون ناطقة باسمها . وتألف الميثاق من برامج سياسية واقتصادية واجتماعية وبنية العصبة وهيكلها التنظيمي .

قالت العصبة في برنامجها السياسي إن القضية الفلسطينية هي قضية شعب يناضل من أجل استقلاله الوطني وتحرره من نير السيطرة الاستعمارية . وفي المذكرة التي رفعتها بتاريخ ١٩٤٥/١٠/١٠ إلى رئيس الوزراء البريطاني أشارت إلى أن القضية الفلسطينية قد نجمت عن " السياسة العدوانية التي انتهجتها الحكومة البريطانية مدة حكمها في فلسطين من الأيام الأولى حتى الآن . فهذه السياسة تركت للصهيونية المجال أمامها رحباً لتنمية قواها الاعتدائية وتوطيد مراكزها الهجومية في فلسطين . ذلك كله يهدد وطننا اليوم بالدم والدموع " .

وقد تصدت العصبة للمحاولات التي قامت بها القوى الامبريالية والصهيونية لإقناع الرأي العام العالمي بأن قضية فلسطين " هي قضية هجرة يهودية ، أو إيقاف هذه الهجرة " ، وأشارت إلى أن قضية فلسطين هي مثل قضية كل بلد مُستعمَر قضية الاستقلال والتحرر من نفوذ أجنبي استعماري ، وأكدت أن السكان العرب في فلسطين لن يأمنوا شر الهجرة الصهيونية " ما دامت مقدرات هذه الهجرة في غير أيديهم " ، على اعتبار أن الهجرة الصهيونية * " بل الصهيونية * كلها هي من « مآثر » الاستعمار في بلدنا " .

وقد أكّدت العصبة بأن الحل الوحيد لقضية فلسطين يكمن في إشاعة الديمقراطية وإعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره بنفسه . وفي هذا السياق كشفت العصبة القناع عن الوجه الحقيقي للحركة الصهيونية ، وفنّدت مزاعم الصهيونيين بأنها " حركة تحرر وطني " وأثبتت أنها " من النوع الرجعي الاحتلالي ، فهي لا تطالب باستقلال فلسطين أبدا " .

حاولت عصبة التحرر الوطني ، وعلى الرغم من اتساع النفوذ الصهيوني بين اليهود في فلسطين ، أن ترسم حدوداً فاصلة بين الصهيونية والسكان اليهود في فلسطين . فقد أصرّت على ضرورة التمييز بين الصهيونية والسكان اليهود ، وأكّدت أن الصهيونية تتعارض مع مصالح اليهود أنفسهم ، وأن الحركة الصهيونية هي في الأساس حركة البورجوازية اليهودية الكبيرة المتواطئة مع

الامبريالية ، والساعية إلى تسخير جماهير اليهود داخل فلسطين وخارجها في خدمة مصالحها الطبقية .

استمرت العصبة تعمل لبرنامجها السياسي المذكور حتى صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ (رَ : تقسيم فلسطين) الذي أحدث انشقاقاً فيها . فلقد وضع الموقف من قرار التقسيم ، ثم ما أعقبه من تطورات على الساحة الفلسطينية ، قيادة العصبة ومواقفها أمام امتحان تاريخي ، فكان من نتيجة ذلك اعتزال بعض قادتها العمل السياسي ، وانضمام قيادة العصبة في الوطن المحتل وتنظيماتها إلى الحزب الشيوعي الإسرائيلي (١٩٤٨) ، في حين وضعت قيادة العصبة في الضفة الغربية برنامجاً سياسياً جديداً ، وغيّرت اسمها إلى الحزب الشيوعي الأردني (١٩٥٢) ضامّة اليها الحلقات الماركسية في شرقي الأردن .

المراجع :

ـ سميح سمارة : **العمل الشيوعي في فلسطين ، الطبقة والشعب في مواجهة الكولونيالية** ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ موسى خليل : الحزب الشيوعي الفلسطيني ١٩١٩ ـ ١٩٤٨ ، **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد ٣٩ ، تشرين الثاني ١٩٧٤ ، بيروت .

ـ عصبة التحرر الوطني : الميثاق الوطني ، **جريدة الاتحاد** (١٩٤٤ ـ ١٩٤٧) .

ـ ماهر الشريف : عصبة التحرر الوطني والمسألة القومية العربية في فلسطين (١٩٤٣ ـ ١٩٤٨) ، **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد ١٠٨ ، تشرين الثاني ١٩٨٠ ، بيروت .

ـ محمد حافظ يعقوب : من تاريخ الحركة الثورية في فلسطين : عصبة التحرر الوطني ومنتصف الأربعينات ، **مجلة دراسات عربية** العدد ١ ، تشرين الثاني ١٩٧٢ ، بيروت .

التحرير : رَ : جيش التحرير الفلسطيني
رَ : طلائع حرب التحرير الشعبية
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية
رَ : منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة

التحرير الشعبية (قوات ـ) :

رَ : جيش التحرير الفلسطيني

التحرير العربية (جبهة ـ) :

أ ـ الظروف التاريخية للنشأة : أنشئت جبهة التحرير العربية بمبادرة من حزب البعث . وكانت ولادتها نقلة نوعية في مستوى النضال سواء أكان ذلك على صعيد المقاومة الفلسطينية أم على صعيد نضال حزب البعث العربي الاشتراكي من أجل القضية الفلسطينية . ولا يمكن الحديث عن نشأة الجبهة وتطوّرها ما لم توضّح العلاقة الخاصة التي ربطت حزب البعث المتبنّي للإيديولوجية القومية بالنضال الفلسطيني .

يعدّ البعث القضية الفلسطينية قضية العرب المركزية الأولى ، وأخطر المشكلات التي تواجههم في حياتهم القومية . وقد ربط بين أهدافه القومية ، الوحدة والحرية والاشتراكية ، والقضية الفلسطينية مؤكداً أن " فلسطين هي خلاصة القضية العربية " .

واعتماداً على هذه النظرة أكد ميشيل عفلق مؤسس حزب البعث منذ عام ١٩٤٦ ضرورة تبنّي استراتيجية الكفاح الشعبي المسلح فقال: " فلسطين لن تحرّرها الحكومات العربية وإنما العمل الشعبي المسلح " . ومن هذا المنطلق قرر مجلس الحزب في تشرين الثاني ١٩٤٧ فتح باب التطوع للقتال في فلسطين ، وشكّل الحزب « مكتب فلسطين الدائم » ، وأعلن في عام ١٩٤٨ تشكيل « كتيبة البعث » التي اشترك فيها قياديو الحزب وأعضاؤه وأنصاره وقد خاضت الكثير من المعارك إلى جانب قوات جيش الانقاذ * ، واستشهد عدد من أفرادها من بينهم مأمون البيطار ومحمد جديد وفتحي الأتاسي ومحمد صفا .

وعلى الرغم من تنبّه حزب البعث إلى أهمية الكفاح المسلح لتحرير فلسطين لم ينس العلاقة الوثيقة بين تحرير فلسطين والأوضاع الداخلية للأمة العربية ، وأن هذا التحرير يتطلب إسقاط الأنظمة الفاسدة التي سببت ضياع فلسطين . لذلك خاض الحزب المعارك مع هذه الأنظمة ، وربط جميع ألوان نضاله السياسي والاقتصادي والاجتماعي بالنضال من أجل تحرير فلسطين قضية الأمة العربية الأساسية . فقد وقف يعارض البيان الثلاثي * الصادر عام ١٩٥٠ ، وحارب مشروع جونستون لتقسيم مياه الأردن بين العرب والصهيونيين (رَ : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) ومشروع دالاس * عام ١٩٥٠ ، وقاوم مختلف المحاولات الاستعمارية المشبوهة الهادفة إلى طمس القضية الفلسطينية وتثبيت الاحتلال الصهيوني .

عاد الحزب في أواخر الخمسينات إلى الحديث عن الحاجة إلى تبنّي استراتيجية الكفاح المسلّح ، فدعا عام ١٩٥٩ ، عبر فرعه في لبنان ، إلى تشكيل جيش تحرير شعبي لأبناء فلسطين ، ورفع في مطلع الستينات أول مذكرة إلى مؤتمر وزراء الخارجية العرب بشأن إقامة « جبهة تحرير فلسطين » . وأوصى في مقررات مؤتمره القومي الرابع عام ١٩٦٠ بالعمل على تكوين جبهة شعبية تضم مختلف القوى الفلسطينية لرفع مستوى النضال مع العدو الصهيوني .

وأوصى في مؤتمره الخامس بإنشاء منظمة فدائية يقودها البعثيون ، وتم إنشاء هذه المنظمة عام ١٩٦١ ، وأشرف عليها خالد اليشرطي * عضو القيادة القومية للحزب . وقد أعدّت هذه المنظمة مجموعات مقاتلة ، ونفّذت عدداً من عمليات الاستطلاع وبعض عمليات القتال داخل الأرض المحتلة . لكن الظروف التي رافقت مسيرة الحزب إثر استلامه السلطة في كل من العراق وسورية حالت دون المضيّ في هذا المشروع .

وعندما أعلنت حركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) انطلاقة الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥ أسرع البعثيون بقرار من قيادة الحزب إلى المشاركة فيها والالتحاق بصفوف الحركة الجديدة ، وكان من أبرزهم جلال كعوش * الذي قتل في السجون اللبنانية في مطلع ١٩٦٦ . لكن سرعان ما اكتشف الحزب الخطر الكبير المحدق بالثورة الفلسطينية بسبب الطرح القطري وعدم إدراك العلاقة بين الوحدة وتحرير فلسطين ، وأن فلسطين طريق الوحدة ، والوحدة طريق فلسطين ، وأن الفصل بينهما يسيء اليهما . ولم يكن هذا يعني إهمال حاجة العمل الفلسطيني في بداية انطلاقته المسلّحة إلى ابراز الشخصية الفلسطينية لانتزاع القضية من زوايا النسيان ، ومن وصاية الأنظمة ، على ألاّ يؤدي ذلك إلى التقوقع القطري وإلى الانغلاق والابتعاد عن القضية العربية ، وإلى الوقوع في خطأ مساواة الأنظمة المتآمرة على فلسطين بالجماهير التوّاقة الى تحريرها .

وجد الحزب أن لا بدّ من وجود تنظيم فدائي على الساحة الفلسطينية يترجم مواقف الحزب المبدئية واستراتيجيته بالنسبة إلى القضية الفلسطينية والنضال الفلسطيني فأعلن في مؤتمره القومي التاسع (شباط ١٩٦٨) ضرورة إنشاء منظمة فدائية باسم « جبهة التحرير العربية » .

وقد جاء استلام حزب البعث السلطة في العراق في ١٧ ـ ٣٠ تموز من العام نفسه فرصة لإقامة قواعد الإمداد والتدريب الأولي للجبهة .

وقد أعلنت ولادة جبهة التحرير العربية في ١٩٦٨/١٢/٣٠ جبهة فدائية فلسطينية تتبنّى الكفاح المسلح أسلوباً في النضال ، والإيديولوجية القومية الاشتراكية فكراً ومنهجاً . وبدأ مقاتلو الجبهة نشاطهم المسلّح من الساحة الأردنية ، وقاموا بكثير من عمليات الاستطلاع ، وكانت العملية القتالية الأولى ليلة السابع من نيسان ١٩٦٩ ، وقد جعل هذا التاريخ ذكرى إطلاق الرصاصة الأولى للجبهة .

ب ـ الخط الفكري والأهداف النضالية : على الرغم من أن جبهة التحرير العربية وُلدت بمبادرة من حزب البعث فإنها ليست منظمة فدائية تابعة للحزب ، أو امتداداً مسلحاً للبعث داخل الثور الفلسطينية ، وليست التنظيم الفلسطيني للحزب . فالجبهة كما يصفها الأستاذ ميشيل عفلق هي " الحزب بإرادته في الانبعاث من جديد في إرادة التصحيح الشامل العميق في أوضاعه " . وهذا يعني أن تبنّي الجبهة للإيديولوجية القومية الثورية والتزامها نظرية الثورة العربية فكراً ومنهجاً واستراتيجية ليسا تبنياً والتزاماً جامدين سلبيين ففكر الحزب وتنظيمه ينبغي أن يولدا من جديد في الجبهة ، وستكتشف توجهات الحزب بالممارسة في هذا العمل الشعبي المسلح .

وجبهة التحرير العربية منظمة فدائية ذات طابع جبهوي ، وتركيب قومي ، وفكر ثوري . أما الطابع الجبهوي فقد فرضته حاجة الأمة إلى تجميع قواها ، وإلى وضع حد للانقسام بين القوى الوطنية ، للاستفادة من طاقات الأمة وإفساح المجال لمشاركة جميع القوى في الكفاح المسلّح . فالجبهة مفتوحة بفكرها وتنظيمها لكل من يختار طريق الكفاح المسلّح طريقاً وحيداً لتحرير فلسطين ومجابهة التحديات الإمبريالية وردّ الغزاة عن الوطن العربي .

والتركيب لقومي هو وحده الذي يضمن اشتراك الجماهير العربية في المعركة ، ويؤكد وحدة النضال العربي على أرض فلسطين . المعركة معركة عربية ، لذا يجب أن تكون أداتها عربية . وتحرير فلسطين يرتبط ارتباطاً دقيقاً بالوحدة العربية ، لذا يجب أن تكون أداة التحرير قادرة على أن تصنع الوحدة ، وهي تحرير فلسطين . ومن هنا كانت الجبهة تنظيماً قومياً يضم مقاتلين عرباً من جميع أنحاء الوطن العربي .

والفكر الثوري لجبهة التحرير العربية هو فكر الحركة العربية الثورية الذي تحرك في بداية الأربعينات مدركاً الترابط العضوي بين النضال القومي والنضال الاشتراكي والنضال التحرري . فالصفات القومية والاشتراكية والديمقراطية هي الصفات الأساسية للكفاح الشعبي المسلّح القادر على تمثيل وجود الأمة العربية في فلسطين . فمن شأن قومية الكفاح الشعبي المسلّح أن تؤمّن امتداد الوعي بالخطر الصهيوني والاستعماري الذي يهدد وجود الأمة العربية إلى جميع أجزاء هذه الأمة ، ويؤكّد بيان الجبهة السياسي أن توجّه العرب نحو فلسطين يصنع الوحدة ، وهو تحرّر فلسطين ، وأنه بقدر ما تعيد الوحدة إلى فلسطين حريتها تعيد فلسطين إلى العرب وحدتهم .

أما اشتراكية هذا الكفاح المسلح فهي وحدها القادرة على تعبئة جماهير الشعب العربي الكادحة تعبئة ثورية ، ورفع مستوى وعيها وتنظيمها وكفاءاتها ، عازلة بذلك جميع الطبقات والمؤسسات والأنظمة المرتبطة تاريخياً بمصالح الاستعمار ووجوده السياسي

والاقتصادي والمتضررة من الجو الثوري الذي يولّده الكفاح المسلّح في فلسطين . فالاشتراكية كما يؤكّد بيان الجبهة السياسي هي ضمان بقاء القيادة في يد الجماهير الكادحة صاحبة النفس الأطول والمصلحة الأبقى في إيصال الكفاح إلى مستوى الحرب الشعبية .

ويشير بيان جبهة التحرير العربية السياسي إلى أن ديمقراطية الكفاح المسلح تجعله وثيق الصلة بعقل الشعب وبروحه ، وتحميه من أمراض الوصاية والتحلّل من المبادىء والقيم الثورية وتمدّه بروح السلامة والصراحة في علاقة القيادات بالقواعد ، وتخلق لكل فرد مكاناً في المعركة .

وترى الجبهة، استناداً الى النظرة القومية ، وانطلاقاً من الالتزام بفكر الثورة العربية، أنه لا يمكن النظر إلى الواقع الفلسطيني على أنه واقع متميز من حيث النوع من الواقع العربي. فالقضية الفلسطينية هي جزء من الأزمة العامة التي تعاني منها الأمة العربية . وعلى الرغم من اتسام هذه القضية بسمة خاصة ترجع إلى طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الخاصة ، واختلافه عن الاستعمار العسكري والاقتصادي في باقي أجزاء الوطن العربي ، على الرغم من ذلك تظل الأرضية الحضارية التي ترسبت فوقها هذه السمة الخاصة جزءاً من الواقع العام للأمة ، أي أن القانون العام للثورة العربية ينطبق عليها .

إن العامل الخاص في القضية الفلسطينية هو اتخاذ مشكلة الوجود القومي شكلاً حاداً ومعقدا بسبب محاولة إلغاء هذا الوجود وإحلال كيان غريب محلّه . لكن هذا العامل الخاص مرهون بقيام ثورة عربية قادرة على تحريك عوامل الصراع الطبقي وزيادة قوة الدفع الوحدوي ضمن استراتيجية نضالية تستند إلى الكفاح الشعبي المسلح أسلوباً وحيداً لها .

وكلما نجح العدو في اقتطاع أراض جديدة في الوطن العربي، كما حدث بعد حرب ١٩٦٧ * ، فقد هذا العامل الخاص في القضية الفلسطينية صفته . لذلك ربطت الجبهة ، منذ البداية ، مستقبل فلسطين بمستقبل الأمة العربية مؤمنة أن معركة التحرير هي معركة الأمة العربية كلها ، لا معركة مجموعة أقطار ، أو معركة قطر وحده .. وأكّدت أيضاً أن تصاعد حدّة المواجهة بين جماهير الأمة العربية وأعدائها على أرض فلسطين يزيد طابعَيْ المعركة القومي والطبقي ترسّخاً وعمقاً . يقول ميشيل عفلق : " قضية فلسطين ليس لها حل خاص ، إنها خلاصة القضية العربية في محنتها الحاضرة مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ، فعلاجها هو نفس علاج المجتمع العربي، هو بتحرير الأكثرية الساحقة من أبناء شعبنا في وطننا العربي الكبير من الاستغلال والاستثمار وتوحيد نضاله ، أي ان القضية الفلسطينية هي خلاصة القضية العربية المتمثلة بتحقيق المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحّد ضمن دولة واحدة تكون فلسطين جزءا أصيلاً منها ، على أن تتعايش فيها مختلف الأقليات والطوائف الدينية في وضع ديمقراطي " .

لهذا رفضت الجبهة ، وترفض ، أي حل سياسي للصراع العربي ـ الصهيوني يؤدي إلى تثبيت الكيان الصهيوني الغاصب وإلى وَأْد النضال العربي لأن وجود الكيان الصهيوني استعماراً استيطانياً فوق أرض فلسطين يستهدف الأمة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ويشكل نقلة كبيرة في المشاريع الاستعمارية حيال الوطن العربي . فهذا الوجود يهدف إلى ضرب الوحدة ، والتغيّر ، وجميع حالات التقدم في الأمة العربية ، أي يهدف إلى الإبقاء على أوضاع التخلف والتجزئة والاستغلال فيها . تدل على ذلك نظرية « الأمن الصهيوني » التي تمتد إلى أي قطر عربي يحاول اللحاق بركب الحضارة، ويهدد وجود الاستعمار ، وتبرهن عليه تلك الصلة الوثيقة بين الكيان الصهيوني والإمبريالية الأمريكية ، فالأول قاعدة متقدمة لهذه الإمبريالية ، بل للعالم الرأسمالي كله .

لذلك كله رفضت الجبهة جميع المشاريع السياسية التي رأت فيها « تصفية » للقضية الفلسطينية مثل قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ومشروع روجرز * ، ومؤتمر جنيف ، واتفاقيات كامب ديفيد * ، ومبادرة بريجنيف * .

ان جبهة التحرير العربية تؤمن أنها تعبير عن حاجة الثورة العربية إلى اعتماد الكفاح الشعبي المسلّح ، وتعبير عن حاجة الثورة الفلسطينية إلى الأمن القومي الذي تحمله الثورة العربية الأم . وترى أن ولادة الجبهة جاءت سداً « للنقص القومي » في العمل الفدائي الذي كانت تشكو منه جميع فصائل الثورة الفلسطينية ، سواء أكانت يمينيةأم يسارية ، فلسطينية المنشأ أم قومية ، وأنه لا بد من زيادة تلاحم قوى المقاومة والقوى الشعبية العربية التي لا تتناقض مصالحها مع تعاظم الثورة ضد العدو الصهيوني الإمبريالي . لقد رأت الجبهة أن معظم الأشكال التنظيمية لفصائل الثورة الفلسطينية تتخذ أشكالاً قطرية لم تتعدّ في أحسن الحالات إطار الساحة الفلسطينية الأردنية فدخلت ساحة العمل سعياً إلى تعميق النهج القومي لحركة الثورة الفلسطينية ، وإلى تدارك النقص وسدّ الثغرات التي نفذت منها القوى المعادية لخلق الثغرات الإقليمية والقطرية بين العرب الفلسطينيين والجماهير العربية .

جـ ـ المواقف النضالية : منذ تاريخ ميلاد الجبهة وإطلاق الرصاصة الأولى ليلة السابع من نيسان ١٩٦٩ أخذت عملياتها العسكرية تتتابع ، لكن قيادة الجبهة اتخذت قراراً بعدم الإعلان عن أي من عمليات الجبهة . وظلت العمليات تجري بصمت حتى تاريخ ١٩٦٩/٨/٣١ حين نشرت الجبهة بيانها السياسي ، وأرفقت به

بلاغاً عن أربعين عملية عسكرية نفذتها منذ السابع من نيسان على الجبهات الأردنية والسورية واللبنانية .

عملت الجبهة خلال وجودها في الأردن على تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة ، وقامت بدورها في مناضلة العدو الصهيوني ، ونفّذت في السنة الأولى لتأسيسها أكثر من ٦٠٠ عملية داخل الأرض المحتلة ، واشتركت في مقاومة المؤامرات على الثورة الفلسطينية ، وقدّمت في سبيل ذلك كله الكثير من الشهداء العرب من مختلف الأقطار. ثم أخذت الجبهة ترسّخ وجودها في الساحة اللبنانية فأقامت بعض القواعد في الجنوب اللبناني ،وأتبعتها بقواعد ومراكز في بقية المناطق ولا سيما المخيمات الفلسطينية .

رفضت الجبهة في البداية، بسبب فهمها الخاص للنضال من أجل فلسطين ، أن تشارك في المجلس الوطني الفلسطيني * لمنظمة التحرير الفلسطينية * بوفد عامل لأنها رأت هذا المجلس " إطاراً لمنظمة قطرية ، بينما تركيب الجبهة قومي " ، وشاركت بوفد مراقب " للاطلاع على تطور العمل الفلسطيني في إطار المنظمة ، ولرغبتها في الوقوف موقفاً إيجابياً من محاولات بعض حركات المقاومة الرامية إلى تطوير المنظمة باتجاه تحقيق الوحدة الوطنية " . وعندما أعلنت صيغة الكفاح المسلح تمهلت الجبهة أربعة شهور قبل أن تشارك في هذه الصيغة " باعتبارها تشكل أرضية مشتركة يقف عليها المقاتلون " . ووافقت الجبهة عام ١٩٧٠ على صيغة « القيادة الموحّدة » التي أصبحت فيما بعد « اللجنة المركزية » ، واشترطت إنشاء مجلس وطني للثورة يكون المرجع الأخير للقيادة الموحّدة . وعلى الرغم من تقدم هذه الصيغة الأخيرة على صيغة الكفاح المسلح ، ظلت ، في نظر الجبهة ، تعاني وجود ثغرات كثيرة ، دفعت قيادة الجبهة في ١٩٧٠/١٢/٦ إلى تقديم مذكرة إلى منظمات المقاومة ضمّنتها مآخذها على صيغة القيادة الموحّدة ، ومقترحاتها لتعزيز الوحدة الوطنية .

في ذلك الوقت كانت الجبهة تخوض معركة المقاومة الفلسطينية في الساحة الأردنية ، وتشارك في لبنان بمقاتليها ، وبمناضلين من الحزب في معركة صمود الثورة الفلسطينية . فكان لها دور بارز في أحداث نيسان ١٩٦٩ التي انتهت إلى توقيع اتفاقية القاهرة بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، وفي معارك التصدّي للعدو الصهيوني في جنوب لبنان ، وسقط للجبهة عدد من الشهداء .

في أعقاب أحداث أيلول ١٩٧٠ وخروج الثورة الفلسطينية من الأردن قبلت جبهة التحرير العربية دخول المجلس الوطني الفلسطيني واللجنة التنفيذية التي انبثقت من المجلس المنعقد في القاهرة في تموز ١٩٧١ . وجاءت مشاركتها بعد الأحداث التي أبرزت الحاجة إلى مشاركة القوى القومية في حماية الثورة . وقد كانت مسألة الوحدة الوطنية في هذه المرحلة في مقدّمة نضال الجبهة، فدأبت وسائل إعلامها على الدعوة إلى ترسيخ هذه الوحدة ، ورفعت الجبهة المذكرات إلى مختلف الهيئات الفلسطينية حول هذه المسألة ، منها مذكراتها إلى المجلس الوطني في شباط ١٩٧١ ، وتموز ١٩٧١ ، وكانون الثاني ١٩٧٣ . وكان إصرار الجبهة على الوحدة الوطنية يعود إلى إيمانها بأن تحقيقها، وتشكيل «جبهة تحرير فلسطينية» تؤدي فيها كل فئة عربية مخلصة في انتمائها القومي دورها في النضال من أجل فلسطين ، سيكون الضمانة الوحيدة لوضع جميع الطاقات في خدمة هدف التحرير .

وفي الوقت نفسه كانت الجبهة تعمل من أجل تطوير تركيبها الداخلي وفاعليتها النضالية، فعقدت في آب ١٩٧٢ المؤتمر التأسيسي الأول الذي تمثلت فيه جميع القطاعات النضالية . وناقش المؤتمر التقارير المقدمة من قيادة الجبهة ، وانتخب لجنة مركزية جديدة ضمت عدداً من المقاتلين في القواعد ، وعدداً من المؤسّسين الأوائل . وقد أعطى المؤتمر دفعاً جديداً للجبهة ، فزادت قوتها داخل الساحة الفلسطينية وبرزت الجبهة في المؤسسات الموحّدة للثورة الفلسطينية .

لعبت جبهة التحرير العربية والحزب في لبنان ، بالتلاحم مع الفصائل الأخرى ، دوراً بارزاً في أحداث لبنان عام ١٩٧٣ التي أعقبت اغتيال قادة المقاومة الثلاثة (الشهداء كمال ناصر * وكمال عدوان * ومحمد يوسف النجار *) ، والمعارك بين السلطة اللبنانية وقوات المقاومة التي انتهت بتوقيع « بروتوكول ملكارت » . واستطاعت من خلال امتدادها الجماهيري بين الفلسطينيين واللبنانيين أن تكون همزة وصل بين الطرفين في النضال الوطني والقومي المشترك ضد المؤامرة على الثورة .

وشاركت الجبهة بمقاتليها وأعضاء تنظيماتها الشعبية بصورة فعالة إبان حرب ١٩٧٣ * مع العدوّ الصهيوني . ولما رأت الجبهة أن هذه الحرب قد وظفتها بعض الأطراف العربية لتحقيق مزيد من التخاذل ، ولقبول الحلول الاستسلامية ، تحركت للعمل وساهمت في تشكيل « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية»التي ضمت ثلاثة تنظيمات فلسطينية إضافة إليها . وقد انطلقت في ذلك من شعورها بالخطر المحدق بالقضية الفلسطينية ، ومن فهمها الثوري للنضال ، ومن التزامها بالموقف المبدئي للحزب من الحلول الاستسلامية .

وكان لجبهة التحرير العربية دور بارز في أحداث لبنان الدامية التي فجرها في ١٩٧٥/٤/١٣ كمين عين الرمانة لسيارة الركوب العائدة إلى مخيم تل الزعتر ، وراح ضحيته عدد من أفراد جبهة التحرير العربية بالإضافة إلى عدد آخر من المدنيين وأفراد التنظيمات

الأخرى . وقد شاركت الجبهة في المعارك القتالية وقدمت مئات الشهداء ، وفي المعارك السياسية فكان لها دائماً موقفها الواضح المنسجم مع التزامها بالمبادىء القومية للثورة وبأهداف النضال من أجل تحرير فلسطين .

وفي الوقت الذي كانت الجبهة تتصدّى فيه مع غيرها من الفصائل الفلسطينية والأطراف الوطنية اللبنانية لأعداء الثورة داخل لبنان كانت تشارك إلى جانبهم أيضاً في المعارك مع العدو الصهيوني وعملائه في الجنوب اللبناني ، خلال معارك آذار ١٩٧٨ ، وخلال الهجمات الأخرى المتواصلة التي تلتها في الطّيبة وكفركلا والقاسمية والعيشية وغيرها .

ولم يمنع ذلك كله جبهة التحرير العربية من متابعة كفاحها المسلّح داخل الأراضي المحتلة ، فقامت بعمليات كثيرة ، وارتقت فيها من حيث النوع وقوة التأثير ، ونفّذ مقاتلوها عدداً من العمليات الانتحارية مثل عملية مستعمرة كفار يوفال * التي جرت صباح ١٩٧٥/٦/١٥ ، وعملية اقتحام كيبوتز كفار جلعادي * في الجليل الأعلى بتاريخ ١٩٧٥/١١/١٠ ، وعملية طبرية بالقرب من مستعمرة أسدود يعقوب جنوبي بحيرة طبرية بتاريخ ١٩٧٧/٨/٤ ، وعملية اقتحام مستعمرة مسكاف عام ليلة ١٩٨٠/٤/٧ ، ومحاولة اغتيال أريئيل شارون وزير الزراعة الصهيوني (آنذاك) والمسؤول عن عمليات الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة في منتصف تموز ١٩٨٠ ، والكمين الذي نصبته قوات الداخل في جبهة التحرير العربية ليلة ١٩٧٩/٨/٥ وانتهى إلى تدمير سيارة عسكرية وأخرى مجنزرة وقتل جنود الدورية عدا واحداً أسرته قوات الجبهة .

وقد دلّت مشاركة مقاتلين من أقطار عربية مختلفة في العمليات القتالية للجبهة على أن معركة فلسطين هي معركة الأمة العربية كلها من المحيط إلى الخليج ، وعلى أن المواجهة مع العدو الصهيوني مواجهة قومية شاملة ، العرب جميعهم مسؤولون عنها . كما ان استشهاد مقاتل تركي في عملية كفار يوفال ، ومقاتل باكستاني في عملية مسكاف عام ، دليل يؤكد أن الصراع مع الكيان الصهيوني يحظى بدعم قوى التحرر العالمية ، ولا سيما شعوب العالم الثالث التي تخوض نضالاً متواصلاً مع الهيمنة الإمبريالية ، ومع محاولات السيطرة الأجنبية على مقدّراتها .

وعلى الرغم من حرص جبهة التحرير العربية على صيغة « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » وافقت أوائل ١٩٨١ على وقف العمل بهذه الصيغة بسبب التطورات السياسية على الساحتين العربية والفلسطينية بعد زيارة السادات للقدس ، واتفاقيات كامب ديفيد ، وبسبب التباين في بعض وجهات النظر إلى طبيعة المرحلة ، وما استدعى ذلك من حاجة الى توحيد الصف الفلسطيني والعربي ، والوقوف على أرض موقف فلسطيني مشترك في مواجهة التحديات المطروحة بروح جديدة وانفتاح جديد .

وأخيراً حاولت الجبهة جهدها أن تتجنب المزالق والانحرافات مستندة إلى نظرتها القومية وإلى فهمها الثوري التاريخي لأهمية الوحدة العربية في نضال الأمة العربية وفي النضال الفلسطيني بخاصة . وسعت إلى أن تكون أمينة لمبادىء حركة الثورة العربية ، ومخلصة لأهداف النضال العربي والجبهة على الرغم من جميع الصعوبات ، ومتمسكة بإصرار بأهدافها وأطروحاتها واستراتيجيتها النضالية المسلّحة حتى تتهيأ الظروف الملائمة لتطبيقها بنقل النضال الفلسطيني والنضال العربي إلى مستويات متقدمة تمكّن من تطبيق شعار « ثورة حتى التحرير » ، تحرير فلسطين بكاملها ، وتحرير الوطن العربي كله من جميع أشكال السيطرة الأجنبية حتى تصبح الطريق سالكة لبناء المجتمع العربي الاشتراكي الديمقراطي الموحّد .

التحرير الفلسطينية (جبهة ــ) :

رَ : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

رَ : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ القيادة العامة

التحصينات (خطوط ــ الإسرائيلية) :

مرت عملية تحصين الخطوط بالنسبة (لإسرائيل) بمراحل عدة . فمنذ أن بدأت الصهيونية * العالمية بإرسال الدفعات الأولى من الصهيونيين الغزاة إلى فلسطين شعرت بالحاجة إلى حمايتهم من أصحاب الأرض فجعلتهم في مستعمرات خاصة بهم ، ودربتهم على القتال ، وحصنت المستعمرات لتكون قادرة على الصمود تجاه الهجمات العربية المحتملة . وعندما أصبح للصهيونية العالمية ، فيما بعد ، قوات مسلحة سرية في فلسطين تم توزيع هذه القوات على المستعمرات للدفاع عنها ، وللانطلاق منها ، عندما يحين الوقت ، للاعتداء على القرى العربية المجاورة . لذلك نجد أن انتقاء مواقع المستعمرات كان مدروسا تكتيكيا واستراتيجيا ليخدم الأمن المباشر للصهيونيين المقيمين في فلسطين ، ثم ليؤمن السيطرة على كافة الأراضي الفلسطينية عندما يحين الوقت المناسب . وقد بلغ عدد المستعمرات قبل حرب ١٩٤٨ * حوالي ٢٩٧ بين كيبوتز * وموشاف * . واعتبرت الصهيونية فلسطين كلها وحدة دفاعية واحدة ، ولذلك روعي في توزيع المستعمرات أن تشكل فيما بينها خطوطا دفاعية متتالية بهدف فصل المناطق العربية بعضها عن

بعض وصد الهجمات العربية وامتصاصها والاحتفاظ بالطرق صالحة للحركة . ولتكون قاعدة انطلاق للهجمات الصهيونية المقبلة .

بعد أن توقف إطلاق النار في حرب ١٩٤٨ وتم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الدائمة بين الأردن وسورية ولبنان ومصر وبين (إسرائيل) * عام ١٩٤٩ وأصبح للكيان الصهيوني خطوط محددة تفصل المنطقة المحتلة عن المنطقة غير المحتلة من فلسطين وعن الدول العربية الأخرى بدأت مرحلة جديدة من عمليات التحصين . فقد وجدت القيادة الإسرائيلية أن أعداء الكيان الصهيوني يحيطون به من جميع الحدود البرية ، وأن جميع الاتجاهات مهددة بالخطر على طول خطوط الهدنة التي يستحيل تحصينها بكاملها إذ يبلغ طولها نحو ١,٠٠٠ كم ، في حين يضيق خصر الكيان حتى يبلغ ١٤ كم ، وذلك بالإضافة إلى حد بحري يبلغ طوله ٢٥٠ كم .

هذا من جهة . ومن جهة أخرى لا تعتبر القيادة الإسرائيلية خطوط الهدنة حدودا (للدولة) بل خطوطا مؤقتة ومرحلية على

التحصينات الإسرائيلية في سيناء

طريق بلوغ الحدود النهائية لإسرائيل الكبرى (رَ: التوسعية الصهيونية) . لهذا فقد كان طبيعيا أن تقيم القيادة العسكرية شبكات جديدة من المستعمرات على طول خطوط الهدنة وفي العمق لتكون مستندا للانطلاق إلى هجوم عدواني جديد .

وبدأت المستعمرات تتكاثر على الحدود مع الدول العربية موزعة على محاور الطرق المؤدية إلى فلسطين المحتلة ، أو مقامة على نقاط مسيطرة على الأراضي المحيطة بها ، وهي تتعاون فيما بينها بالنيران وبمناورة القوات .

وقد هدفت (إسرائيل) من هذه المستعمرات إلى التصدي لأي هجوم عربي ، وامتصاص قوته ، وإجبار القوات العربية على خوض معارك حصار طويلة الأمد تبطىء الهجوم وتكسر حدته ، مما يتيح للاحتياطات الإسرائيلية التحرك والتدخل في الاتجاهات الملائمة لها . ويفيد هذا الأسلوب في توفير القوات إذ يستفيد من السكان المحليين في كل مستعمرة في الدفاع عنها بعد تدريبهم . كما روعي أن تكون هذه المستعمرات قادرة على الصمود تجاه القصف المدفعي والجوي وفي وجه حصار طويل الأمد ، ولذلك حُصّنت جيدا ، وحفرت فيها الخنادق وأقيمت الملاجىء اللازمة ، وبنيت فيها أبراج المراقبة ، ومواضع رمي محصنة ومشرفة على طرق الاقتراب منها ، وزودت بالأسلحة المناسبة ، وجهزت بالمستودعات اللازمة للمواد التموينية ، وبالذخائر وبالمرافق الطبية .

ويؤمن هذا الأسلوب في التحصين إمكانية حشد القوات الإسرائيلية في هذه المستعمرات القريبة من الحدود للانطلاق منها إلى الهجوم مباشرة ، أي أن تكون المستعمرات الحدودية قاعدة انطلاق للهجمات الإسرائيلية المفاجئة تحقيقا للمبدأ القائل بضرورة نقل المعركة إلى أرض الخصم فور بدئها .

على أثر عدوان حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) حصل تبدل كبير في المعطيات السابقة ، فخطوط وقف إطلاق النار أصبحت أقصر مما كانت عليه ، وغدت تستند إلى موانع طبيعية أفضل (قناة السويس ، مرتفعات الجولان * ، نهر الأردن *) . ولم يتم التوقيع على اتفاقيات هدنة جديدة وإنما جرى الاتفاق على وقف إطلاق النار . وأدركت (إسرائيل) أن العرب يستعدون لاستعادة أراضيهم المحتلة وحقوقهم المغتصبة ، وأن المناطق المحتلة توسعت كثيرا وزاد معها تعداد السكان العرب فيها ، مما يتطلب اتخاذ تدابير خاصة للسيطرة عليهم ، ويستدعي وجود قوات عسكرية دائمة داخل الأرض المحتلة . وحتى لا تحتفظ القيادة العسكرية بعدد كبير من المجندين في الخدمة لمواجهة متطلبات الوضع الجديد الناتج من اتساع رقعة الاحتلال لجأت إلى أسلوب آخر للتحصين هو مزيج من الدفاع الثابت والمتحرك ، فأنشأت خطوطا دفاعية على خطوط وقف إطلاق النار مع سورية ومصر ، في حين اعتمدت أسلوب إقامة المستعمرات الدفاعية في الضفة الغربية ، مع إقامة مستعمرات دفاعية في هضبة الجولان وسيناء على المحاور الرئيسة والمواقع المشرفة على المناطق الصالحة لتحرك القوات .

تميزت الخطوط الدفاعية الجديدة بأنها مؤلفة من نقاط استناد قوية قادرة على تحمل القصف الجوي والمدفعي ، وموزعة على النقاط المشرفة على محاور التحرك ، تحيط بكل منها خنادق معيقة وحقول من الألغام المضادة للأشخاص وللدبابات وعدة صفوف من الأسلاك الشائكة ، ومزودة بأسلحة مضادة للدبابات ، وفي كل نقطة أماكن للراحة ومخازن للذخيرة والمؤن تساعدها على الصمود في وضع الحصار . وقد روعي في توزيع هذه النقاط المحصنة أن تكون متعاونة بالنيران بشكل فعّال ، بالإضافة إلى مساطب رمي أقيمت في الفُرَج الفاصلة بين كل نقطتين ، وتحتل الدبابات هذه المساطب عندما يلوح الخطر .

اعتقدت القيادة الإسرائيلية أن خطاً دفاعياً واحداً كاف للتصدي لأي هجوم عربي وامتصاصه ، وللصمود فترة كافية تسمح للقوات الجوية بالتدخل ، وللقوات المدرعة بشن الهجمات المضادة .

وقد استفادت القيادة الإسرائيلية على الجبهة المصرية من وجود قناة السويس كفاصل بين خط الدفاع والقوات المصرية وركزت اهتمامها على السيطرة التامة على هذا الممر المائي ، في حين أنشأت أمام الخط الدفاعي في مرتفعات الجولان خندقا مضادا للدبابات وعدة حقول ألغام متتالية بالعمق وعدة صفوف من الأسلاك الشائكة تشكل منطقة أمان للخط الدفاعي نفسه .

ويعتبر « خط بارليف » نموذجاً لهذا النظام الدفاعي الذي أقامته القيادة الإسرائيلية . وهو ترتيب دفاعي أقامته القيادة المذكورة على امتداد قناة السويس لمنع أية محاولة مصرية لعبور القناة إلى الضفة الشرقية أو اعاقتها .

وقد بدأت عملية إنشائه في المراحل الأولى من حرب الاستنزاف المصرية ـ الإسرائيلية * عام ١٩٦٩ ليخفف قدر الإمكان من الخسائر البشرية . ثم تطورت أعمال التحصين فيه حتى أصبح خطا دفاعيا متكاملا يشكل مع قناة السويس عائقا هاما تجاه أي هجوم مصري .

أخذ هذا الخط اسمه من اسم رئيس الأركان الإسرائيلي آنذاك الجنرال حاييم بارليف . ويمتد من جنوب بور سعيد بعشرة كيلومترات حتى لسان بور توفيق جنوبي السويس . ويرتكز حده الأمامي على القناة مباشرة . ومن المعروف أن على الضفة الشرقية للقناة ساترا ترابيا شكلته عمليات حفر القناة وتطهيرها ، ويتراوح ارتفاعه بين ٦ و١٠ أمتار ، وقد استغله العدو الإسرائيلي وزاده ارتفاعا حتى بلغ ٢٥ مترا في بعض القطاعات . كما حفر في باطنه مواقع لوحداته تطل على القناة عبر فتحات خاصة للمراقبة والرمي في كافة الاتجاهات ، وبمختلف أنواع الأسلحة .

ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعا حصينا ، ويضم ٣١ نقطة كل منها منشأة هندسية مؤلفة من عدة طبقات، تغوص في باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر . وتضم كل طبقة عدة غرف من الإسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية . وتفصل بين كل طبقة وأخرى طبقة سمكها متران من القضبان الحديدية والإسمنت المسلح والحجارة . وقد أقيمت هذه المواقع في جوف الساتر الترابي الذي أزاحه العدو غربا حتى لامس حافة القناة بزاوية ميل تزيد عن ٤٥ درجة .

وفي كل موقع أماكن لمبيت الجنود وراحتهم توفر لهم الوقاية ضد كافة أنواع النيران الثقيلة عدا الذرية ، كما تؤمن لهم أسباب الترفيه والإعاشة والتخزين التي تكفي المدافعين لمدة طويلة من الحصار . والملاجىء مجهزة للوقاية من الأسلحة الكيماوية والغازات ، وتتوفر فيها وسائل التهوية والإضاءة والتدفئة والاتصال الهاتفي . وفي كل موقع طبيب مزود بوسائل الإسعاف الأولي ، وأماكن للاستحمام بالمياه الساخنة والباردة ، ومطابخ وصالة عرض أفلام سينمائية إلى آخر ما هنالك من وسائل العيش والراحة .

وتخرج من كل موقع أنابيب تخترق بطن الساتر الترابي لتلامس صفحة الماء في قناة السويس ، وهي متصلة بخزانات وقود خاصة مقامة خلف الساتر تقذف وقودها في حال اقتحام المصريين للقناة وتلهب سطح القناة فترتفع درجة حرارة مياهها إلى ٧٥° .

وتتصل المواقع بعضها ببعض بخنادق مواصلات عميقة مدعمة بالصفائح المعدنية وبالأوتاد . وتتعاون المواقع ، فيما بينها ، في تغطية الفرجات والمساحات الفاصلة بينها ، وذلك بالنيران المتقاطعة التي تتم إدارتها والتنسيق بينها بواسطة شبكة اتصال هاتفية ولاسلكية .

وقد أحيطت المواقع بعدة نطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للأفراد وللدبابات بلغ عرضها ٢٠٠ م . وهذا بالإضافة إلى الشراك الخداعية التي تغطي سفوح الساتر الترابي وقمته .

أنفقت القيادة الإسرائيلية على إنشاء هذا الخط ٢٣٨ مليون دولار ، وأملت منه أن يتمكن من وقف الهجوم المصري مدة كافية تسمح للقوات الجوية بالتدخل ، ولاحتياطي المدرعات القريبة المحتشدة في العمق بالتحرك وشن الهجمات المعاكسة .

وقد أحاط الإسرائيليون خط بارليف طوال السنوات التي سبقت حرب تشرين الأول ١٩٧٣ (رَ : حرب ١٩٧٣) بهالة ضخمة من الدعاية ، وبالغوا في الحديث عن مناعته وقوة تحصينه وقدرته الدفاعية . وقد انهارت أسطورة خط بارليف ، بل فشل النظام الدفاعي الإسرائيلي كله في حرب تشرين عام ١٩٧٣ ، إذ سرعان ما اخترقته القوات العربية على الجبهتين المصرية والسورية ولم تستطع القوات الإسرائيلية المدرعة الموجودة في العمق القريب من التصدي بفعالية للهجوم العربي . واصطدمت الطائرات الإسرائيلية بجدار من الصواريخ المضادة للطائرات ، لذلك أخذت القيادة الإسرائيلية مستفيدة من دروس هذه الحرب الأخيرة تعيد النظر في عمليات التحصين فزادت عدد الخطوط الدفاعية بدل الخط الواحد ، وكثّفت عدد المواقع المحصنة في كل منها ، إذ وجدت أن الفَرجات التي كانت تفصل بين الموقع والآخر يمكن المرور عبرها بعد تجميد الموقعين المجاورين . كما زادت الحواجز المضادة للدبابات ، سواء بزيادة عدد حقول الألغام أو بزيادة الخنادق

المضادة ، وكذلك زادت القدرة النارية في كل موقع خاصة نيران الأسلحة المضادة للدبابات .

ويبدو أن القيادة العسكرية الإسرائيلية تبنت إثر حرب تشرين ١٩٧٣ حالة مركّبة من الدفاع الثابت والدفاع المتحرك في الجبهة السورية . فقد أقامت خطوطا دفاعية قوية وعميقة مكونة من نقاط محصنة وخنادق وطرق معبدة ومنشآت تموين وإمداد ومراكز اتصالات وحقول ألغام وحواجز مضادرة للدبابات ، وهذه كلها من سمات الدفاع الثابت . إلاّ أن هذه الخطوط لا تستوعب إلاّ جزءاً من القوات في الوقت الذي تتجمع خلفها مجموعات قوات متتالية متحركة ومعززة وقادرة على المناورة والتحرك إلى الاتجاه الذي يمارس المهاجم عليه الضغط الأعظم (أي في اتجاه الضربة الرئيسة العربية) ، مع السماح للقوات المدافعة بعدم التقيد بالمحافظة على كل شبر من الأرض أذا وجدت أن الانسحاب التكتيكي أكثر فائدة ، وهذه من صفات الدفاع المتحرك .

المراجع :

ـ حسن البدري وطه المجذوب وضياء الدين زهدي : حرب رمضان ، القاهرة ١٩٧٤ .

ـ الموسوعة العسكرية : بيروت ١٩٧٧ .

تحليـــة الميـــاه :

تم في عام ١٩٦٤ توقيع اتفاق بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني لدراسة وسائل تحلية مياه البحر واستعمالها للري وتوليد الطاقة الكهربائية . وقد وقع الاتفاق في شهر حزيران أثناء زيارة ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) آنذاك لواشنطن واجتماعه مع الرئيس الأمريكي لندون جونسون .

وقد صدر بعد انتهاء المحادثات بيان مشترك عبّر عن أمل الحكومتين في التعاون الوثيق بينهما عن طريق القيام بدراسات فنية مشتركة لتحلية مياه البحر واستغلالها في ري الأراضي الزراعية ، وفي المجالات الصناعية في فلسطين المحتلة .

وبعد مضي زمن على هذا البيان المشترك صدر عن الفنّيّين العاملين في المشروع تصريح يوفّر بعض المعلومات عن محطة التحلية التي ستعمل بالطاقة النووية ، وعن قدرتها المقترحة . وقد اتضح أن طاقتها تحلية ٨٠ ـ ١٦٥ مليون غالون من مياه البحر يوميا ، وتوليد طاقة كهربائية مقدارها ١٥٠ ـ ٢٠٠ ميغاواط . وتحدّد عام ١٩٧١ موعدا لبدء تنفيذ المشروع المشار إليه . وقد أبرزت الأوساط العلمية الإسرائيلية أهمية هذا المشروع ، وأظهرت أن قيمته الحيوية والاقتصادية بالنسبة إلى الاقتصاد الإسرائيلي لا تقل عن قيمة السد العالي في أسوان بالنسبة إلى الاقتصاد المصري .

وتم في عام ١٩٦٩ توقيع اتفاقية أخرى بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني تمنح فيها الولايات المتحدة هذا الكيان مبلغ ٥٨ مليون دولار منها ٤٠ مليوناً هبة و١٨ مليوناً قرضا طويل الأجل . وقد حدث ذلك بعد أن جرى تعديل الصيغة الأصلية للمشروع بسبب ارتفاع تكاليف أنشاء محطة كبيرة قادرة على تحلية تلك الكمية الضخمة من المياه التي حددها اتفاق عام ١٩٦٤ .

لكن الولايات المتحدة عدلت عن تقديم الهبة التي اتفق عليها في عام ١٩٦٩ لاقتناعها بعدم جدوى المشروع الجديد من الناحية الاقتصادية . لهذا انصرفت حكومة الكيان الصهيوني إلى إنشاء بعض محطات التحلية الصغيرة الحجم غربي النقب تستطيع توفير المياه للمستعمرات والمصانع المجاورة . ولا تتعدّى طاقة هذه المحطات مليوني متر مكعب سنويا .

ويمكن القول أخيرا إن مشروع تحلية مياه البحر الذي سعت حكومة الكيان الصهيوني إلى تحقيقه قد أخفق إذا ما قورن ما حُقق بحجم الطموح الإسرائيلي ، وبحجم المشروع الأصلي الذي كان هذا الكيان الصهيوني يرغب في تنفيذه .

التخطـــيط (مركز ـ) :

اسمه الرسمي هو مركز التخطيط لمنظمة التحرير الفلسطينية . ويعرف أيضا باسم مركز التخطيط الفلسطيني . وهو إحدى المؤسسات العاملة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية * ، يتبع مباشرة رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الذي يعين المدير العام ويكلفه المهام المطلوبة .

قرر المجلس الوطني الفلسطيني * في دورته الرابعة في القاهرة (تموز ١٩٦٧) " إيجاد إدارة تخطيط مركزي للإعلام تنبثق عنها الأساليب والمحتويات التي تستعملها وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية والرسمية والشعبية " . وعاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته السادسة في القاهرة (شباط ١٩٦٩) إلى " التأكيد على ما ورد في قرارات الدورة الرابعة للمجلس الوطني بما يتعلق بمركز التخطيط وزيادة الاهتمام به ودعمه والاستفادة من أعماله " .

وبذلك تكون الضرورات التي ترتبت على توسع نشاط منظمة التحرير في مجال الإعلام أساسا هي التي دفعت إلى تشكيل مركز التخطيط (الدورة الرابعة) ، ويكون اتساع نشاط مركز التخطيط المذكور خارج نطاق الإعلام ، والحاجة إلى أعماله ، والتفاف المفكرين الفلسطينيين من حوله كقناة للمساهمة في النضال

الفلسطيني هي التي بلورت الشكل والمهام الموكولة إلى هذا المركز ، والتأكيد على الاهتمام به (الدورة السادسة) . ومنذ ذلك الوقت تطور عمل وبنية مركز التخطيط إلى شكله الحالي .

يتكون مركز التخطيط من أقسام عدة بعضها دائم ، وهي : القسم السياسي ، قسم الأرض المحتلة ، القسم التقني ، المكتبة والمعلومات ، القسم التربوي والاجتماعي ، قسم المؤتمرات الدولية ، قسم الإدارة والسكرتارية ، ووحدة النسخ والطباعة . ويتبع المركزَ المعهدُ الفلسطيني للتنمية الإدارية الذي بدأ كقسم للتدريب الإداري وتطور إلى معهد يدرب ويشرف على تدريب موظفي منظمة التحرير الفلسطينية على أعمال الإدارة الحديثة . ومنذ عامين استحدث المركز قسما للدراسات الاستراتيجية لمتابعة تطور الأفكار الاستراتيجية عالميا . والقسم يصدر نشرة شهرية محدودة التداول بعنوان شؤون استراتيجية وهي تتضمن عرضاً للمفاهيم الاستراتيجية الدولية الجديدة ومناقشة لها .

ويعتمد مركز التخطيط أسلوب تكوين فرق عمل تكون أشبه بأقسام مؤقتة لمهام معينة تحددها اللجنة التنفيذية أو تتطلبها الظروف . وتتشكل فرق العمل هذه من عدد من العاملين المتفرغين في المركز وعدد مناسب من غير المتفرغين أو المتطوعين من خارجه حسب الحاجة .

العاملون في مركز التخطيط متفرغون كليا أو جزئيا . وهم إما متعاقدون أو معينون على الملاك المالي للمنظمة . ولكن المركز يستعين بأعمال الكثيرين من خارجه بالمكافأة أو بالتطوع . ويضم المركز باحثين وعاملين من أنحاء الوطن العربي كافة ، ويستعين أحيانا بخبرة أصدقاء فلسطين من غير العرب .

يقوم مركز التخطيط بمعاونة القيادة الفلسطينية فيما يطلب منه من أوراق عمل وخطط قصيرة ومتوسطة وطويلة الأمد في المجالات التي تطلبها القيادة والدوائر والمؤسسات والأجهزة العاملة في إطار منظمة التحرير الفلسطينية . وليس للمركز دور تنفيذي إلّا فيما يتعلق بمراحل التدريب الأولى عند بدء تنفيذ خطة ما ، أو عندما تكلفه القيادة بالاشتراك للمتابعة وتقويم الخطة ، أو عند مشاركة بعض أعضاء المركز في التنفيذ بتكليف من رئاسة اللجنة التنفيذية .

وفي سبيل تحقيق ذلك يقوم المركز بالمهام والواجبات والمسؤوليات التالية أساسا : إعداد الدراسات لتقدير الموقف السياسي عربيا ودوليا ، وما تحتاجه هذه الدراسات من متابعة أخبارية وبحثية للمنشورات والدوريات والكتب من المصادر المعنية . كذلك يتابع المركز تطور استراتيجيات الدول المختلفة فيما يتعلق بالشرق الأوسط وقضية فلسطين بوجه خاص.

كما يقوم بمتابعة شؤون العدو وتطوره السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي والفكري ، وإعداد التوصيات والخطط اللازمة لمواجهة هذه التغيرات ، وذلك بالتنسيق مع دائرة شؤون الوطن المحتل والأجهزة الفلسطينية العاملة في هذا المجال .

ويقوم القسم التقني العسكري بمتابعة شؤون العدو العسكرية ، ومتابعة الدراسات والأخبار العسكرية العالمية ، ويصدر تقريرا يتضمن المعلومات العسكرية اللازمة للمقاتلين حول الأسلحة التي يستعملونها أو التي يستعملها العدو . كل ذلك في إطار تطويع المستحدثات العسكرية لأسلوب حرب الشعب ، وتطوير تكتيكات هذا الأسلوب .

وقد ساهم مركز التخطيط منذ السنوات الأولى لتشكيله في وضع خطط وتوجهات سياسة الإعلام الفلسطينية ، وبوجه خاص على الساحة الدولية .

ويشارك في عمليات التخطيط التربوي ، وما يتعلق بالمؤسسات التعليمية الفلسطينية ، وفلسفة مناهج التعليم فيها . وقد أصدر المركز في ١٩٧٢ ميثاقا في هذا الشأن بعد دراسات وبحوث مطولة قام بها الكثير من الباحثين والتربويين الفلسطينيين والعرب .

ويساهم المركز في إعداد وتقديم الدراسات والبحوث اللازمة للمشاركة في المؤتمرات العربية والدولية الشعبية والرسمية المختلفة ، ويجمع البيانات والمعلومات عن هذه المؤتمرات وينسّقها بالتعاون مع الدوائر المختصة في منظمة التحرير . ويعد أوراق العمل الخاصة بكل مؤتمر . ويشارك أعضاؤه أحيانا في الوفود الممثلة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ويتمثل المركز في مختلف المجالس العليا الاستشارية في منظمة التحرير .

التخطيط التربوي لأبناء فلسطين (مجلس ــ) :

رَ : الشؤون التربوية لأبناء فلسطين (مجلس ــ)

التخنيون (معهد ــ) :

معهد الهندسة التطبيقية ، أو المعهد التكنولوجي الإسرائيلي . وهو أقدم مؤسسات التعليم العالي في الكيان الصهيوني ، وقد بدأ عام ١٩٢٤ على شكل مدرسة عليا ، ثم أخذ يتوسع تدريجياً . وبدأ منذ عام ١٩٥٢ يمنح درجات الماجستير والدكتوراه بالإضافة إلى درجة البكالوريوس . وفي عام ١٩٥٣ نقل التخنيون من موقعه القديم في وسط مدينة حيفا * إلى مبانيه الجديدة التي تبلغ رقعة الأراضي التي أقيمت عليها فوق جبل الكرمل * ٣٠٠ فدان وتعرف باسم مدينة التخنيون .

يضم التخنيون حالياً كليات : هندسة الطيران ، والهندسة الزراعية ، والعمارة وتخطيط المدن ، والهندسة الكيميائية والكيمياء ، والهندسة المدنية ، والهندسة الكهربائية ، والهندسة الصناعية والإدارة ، وهندسة المعادن ، والرياضيات ، والهندسة الميكانيكية ، والميكانيك ، والهندسة النووية والفيزياء ، وتدريب المعلمين . وقد ألحقت به وحدات تضم مؤسسات التخنيون للبحث والتطوير . وهناك أقسام للبحوث في جميع كليات التخنيون . وتشمل الأبحاث عدة مجالات مثل إزالة ملوحة المياه ، والألكترونيات الطبية ، والإنشاءات ، والميكانيك الزراعي ، وأبحاث الطيران والهيدروليك .

في عام ١٩٧٣ كان السلك الأكاديمي في التخنيون يضم نحو ١,٥٠٠ أستاذ ومحاضر ، وبلغ عدد الطلاب نحو عشرة آلاف طالب . وكان التخنيون حتى عام ١٩٧٢ قد خرج نحو ١٢ ألف مهندس بدرجة بكالوريوس ، وحوالي ١,٩٠٠ مهندس بدرجة ماجستير ، و ٤٩٠ بدرجة دكتوراه ، ونحو ٢,٥٠٠ حامل دبلوم في الهندسة .

والتخنيون هيئة مستقلة يديرها مجلس أمناء . أما هيئته التنفيذية فمكونة من رئيس يعينه مجلس الأمناء ، ومجلس يجتمع مرة كل شهر . ويشرف عليه من الناحية العلمية الرئيس ونوابه وهيئة الأساتذة الحاصلين على درجة الأستاذية وممثلون عن هيئة التدريس .

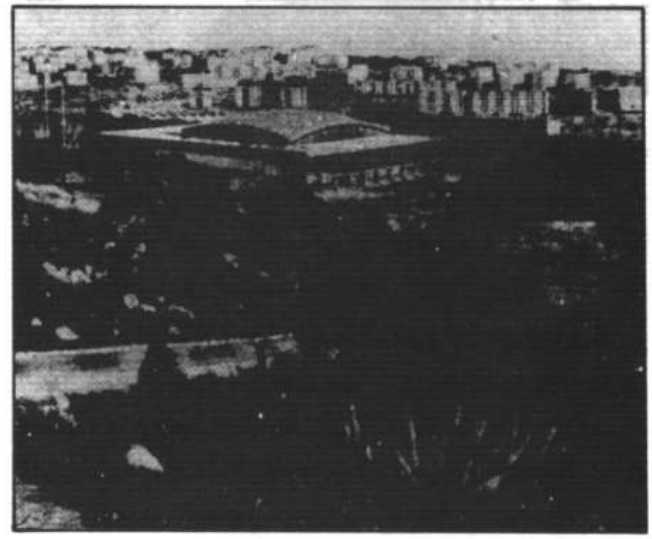

في عام ١٩٧٣ كانت ميزانية التخنيون ١٠٠ مليون ليرة إسرائيلية تساهم الوكالة اليهودية * والحكومة الإسرائيلية بحوالي ٦٥٪ منها والباقي من المنح والرسوم والأبحاث .

ويقدم التخنيون خدمات واستشارات علمية تقنية للمؤسسات الصناعية من خلال معاهد الأبحاث الصناعية ومؤسسة الأبحاث والتطوير التابعة له .

التدمير (فرقة ـ العربية) :

في يوم ١٩٤٨/٣/١٨ حاول ستة من الفدائيين العرب من سكان القدس نسف فندق عدن اليهودي الكائن في أقصى حي بن يهودا من جهة الغرب فتصدى لهم رجال الجيش البريطاني وأحبطوا مسعاهم فعادوا مع الألغام .

وتكريماً لروح الفداء التي تمثلت في هؤلاء الرجال ، قام عبد

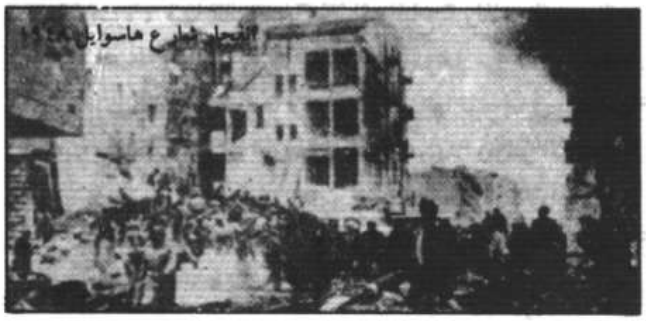

القادر الحسيني * ، قائد قوات الجهاد المقدس * ، بتأليف « فرقة التدمير العربية » ، وكان نواتها هؤلاء الرجال الستة . ثم انضم إليهم رجال آخرون يتسمون بالجرأة والتضحية . وتولى قيادة فرقة التدمير فوزي القطب وهو من مواليد القدس الذين شاركوا في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * . وقد بلغ عدد أعضاء فرقة التدمير ٢٥ مناضلاً جاؤوا من مختلف مدن وقرى فلسطين ، وبخاصة من القدس * ، والخليل * ، ونابلس * ، وعكا * ، وغيرها . وكان بينهم رجال من الشام والمغرب .

كان لفرقة التدمير هذه الدور الأكبر في أعمال النسف والتدمير التي وقعت في القدس بعد صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧ (ر : تقسيم فلسطين) ، وأهمها نسف شارع هاسوليل والبالستين بوست * ، ومستعمرة ميكور حاييم (١٩٤٨/٣/١٣) ، وحي مونتفيوري * ، وقافلة كفار عصيون في معركة الدهيشة * ، وطريق القسطل (١٩٤٨/٤/٥) ، وقافلة هاداساه * ، ومستعمرة النبي يعقوب (١٩٤٨/٥/١٧) .

كما قامت الفرقة ببث الألغام حول سور القدس القديمة لصد الهجوم الصهيوني على باب الخليل وباب النبي داود يومي ١٦ و ١٩٤٨/٥/١٧ . وقامت أيضاً بنسف السكة الحديدية بين القدس ويافا عدة مرات . وكان لها دور بارز في سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة يوم ١٩٤٨/٥/٢٨ بالتعاون مع الجيش الأردني وقوات الجهاد المقدس .

المرجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٦ .

التراث الفلسطيني :

رَ : المعرض الدائم للتراث الفلسطيني

التربة :

التربة هي السطح العلوي المؤلف من المواد الناعمة المغطية للقشرة الأرضية في أجزائها اليابسة . ولمّا كانت عوامل تكوين التربة متنوعة وكثيرة ، فيها الصخور * والمياه والمناخ * والمواد العضوية ، فإن تربة فلسطين متنوعة تنوعاً كبيراً على الرغم من صغر مساحة البلاد نظراً لتنوع صخورها واختلاف أجزائها المتفرقة في أوضاعها المناخية ـ المائية (رَ : الأرض ، أصناف) . وتؤثر الأوضاع التضريسية في أنواع التربة من حيث كونها موضعية أو منقولة ، ومن حيث كونها سميكة أو رقيقة ، وكذلك من حيث كونها معرضة للتعرية والتخريب أو محميّة مستقرة .

يتم تكوين التربة باجتماع العوامل الفيزيائية والكيميائية في عملية تفتيت مواد الطبقة العليا من صخور القشرة الأرضية إلى أجزاء صغيرة وناعمة مؤلفة من مواد معدنية وعضوية معقدةالمزيج . والتربة قسمان : تربة سطحية تنمو فيها المحاصيل الزراعية وتتوغل فيها جذور النباتات لامتصاص غذائها منها ، وتعرف بالتربة الزراعية أيضاً . وتربة سفلية تحت الأولى وأقل منها غنى بالمواد والكائنات العضوية . ويختلف سمك التربة بين عدة سنتمترات وعدة أمتار .

والصخور هي العامل الأساسي في نشأة التربة وتكوينها وتنوّعها . لذلك فإن النظر إلى خريطة فلسطين الجيولوجية ـ الصخرية يبيّن تعدّد أصناف التربة بحسب تنوّع الصخور في مناطق القطر المختلفة . ففي الأشرطة والمنخفضات الساحلية ، وفي السهول والأحواض الداخلية كسهل مرج ابن عامر * مثلاً ، وكذلك في أرض غور الأردن ووديه (رَ : الغور) ، تشكلت ترب ذات أصول رسوبية محمولة ومنقولة إليها من المرتفعات المجاورة لها بالسيول ومياه الأمطار والأنهار ، أي بالمياه الجارية دائمة كانت أو مؤقتة . وتقوم تلك المياه بغسل المرتفعات ومنحدراتها من المواد المتفتتة الناعمة ، وتحملها ثم ترسبها في الأراضي الواطئة والضعيفة الانحدار . وتغني مياه البحر المتوسط وحركات أمواجه وتياراته الساحلية تربة السهل الساحلي * بمواد متجددة مما تجلبه إلى سواحل فلسطين من كميات المواد الناعمة التي يقذف بها نهر النيل إلى البحر المتوسط . وفي فلسطين أيضاً أصول صخرية من منشأ بحيري داخلي كما هي الحال في توضعات بحيرة اللسان القديمة التي يتألف معظمها من صخور مارنية تغطي مساحات واسعة من غور الأردن ووديه بين بحرية طبرية * وجنوب البحر الميت * . وتعدّ أصناف التربة في هذه السهول والمنخفضات ، وفيها بطون الأودية وقيعان الأنهار، من أجود بقاع فلسطين الصالحة لزراعة شتّى أنواع الخضر * والفواكه ، خاصة أن الشروط الضرورية الأخرى لازدهار هذا النوع من الزراعة ، كالماء الكافي والحرارات المناسبة ، متوافرة في معظم المناطق المذكورة (رَ : الزراعة) .

أما في المرتفعات الهضبية والجبلية في مناطق الجليل * والكرمل * وكتلة جبال فلسطين الوسطى التي تضم جبال نابلس* والقدس * والخليل * ، وفي مرتفعات جنوب فلسطين أو النقب * ، فإن أصناف التربة كثيرة نتيجة تنوع الصخور الأم المكوّنة لها . وبالرغم من ذلك يمكن الحكم بتشابه وتقارب شروط تكوين التربة في جبال فلسطين الوسطى ومعظم جبال الكرمل والجليل ، بل وفي أجزاء هامة من النقب حيث تتألف معظم الصخور الأم المنتجة للتربة من

الراسب الطفالي في بير السبع

الكلس أو الحوّار ، وهما من الصخور الفحماتية التي تقدم تربة غنية بالمواد الكلسية عادة (رَ : الصخور) ، وتقدم تربة ناتجة عن عملية التحلل الكارستي في الصخور الكلسية .

وقد أثرّ عاملان طبيعيان آخران في تنوع تربة فلسطين ، أولهما الريح التي حملت مواد ناعمة من خارج فلسطين ، ولا سيما من سيناء ، ووضعتها في النقب على شكل غطاء واسع من تربة اللوس . وثانيهما النشاط الاندفاعي البركاني الذي حمل إلى سطح الأرض نوعاً من الصخور الاندفاعية القادمة من باطن الأرض ، ويغلب عليها البازلت الذي يعطي بعد تحلله وتفتته تربة خصبة وجيدة في مناطق انتشاره ، خاصة في شمال فلسطين والجليل . وهضاب فلسطين وجبالها ، فيما عدا جنوب فلسطين الجاف ، هي موطن زراعة الأشجار المثمرة ، كالزيتون * والتين والعنب * واللوزيات والتفاحيات ، إلى جانب زراعة الحبوب التي تعتمد على ريّ الأمطار .

ودور المناخ في توزيع أصناف التربة واضح ، إذ يلاحظ الارتباط الوثيق بين توزيع الأمطار ، وإلى حدّ ما الحرارات، وانتشار أنواع الترب . فالجنوب الفلسطيني الجاف مكان انتشار المساحات الواسعة من التربة الرملية الصحراوية واللوس ، ويتفق ذلك مع معدل الأمطار السنوية المنخفض (٥٠ ـ ١٥٠ مم) والفروق الحرارية العالية والتبخر المرتفع . في حين تنتشر مجموعة التربة الحمراء (أو الوردية) والصفراء في المناطق الرطبة من سفوح جبال القدس ونابلس والجليل حيث تتجاوز الأمطار السنوية ٦٠٠ مم . وتظهر حقيقة دور الصخور وعناصر المناخ في تكوين وتوزيع التربة في دراسة أصناف التربة وخواصها في فلسطين .

أ ـ أصناف التربة : بالرغم من تعدد تصنيفات الترب والأسس المعتمدة فيها فإن أجودها هو التصنيف القائم على الأسس المناخية دون إهمال الصخور الأم والعناصر العضوية المكونة لمواد التربة . ويمكن تصنيف ترب فلسطين ، على الرغم من كثرة أنواعها ، إلى زمرتين أساسيتين مع زمرتين ثانويتين . وهذه الزمر الأربع هي : ترب المناطق الجافة ، وتتبعها ترب المناطق شبه الجافة ، وترب المناطق الرطبة ، وتتبعها ترب المناطق شبه الرطبة . أما تصنيفها في بعض المراجع إلى زمرة ترب البحر المتوسط وزمرة ترب المناطق الجافة فلا يخرج عملياً على مبادىء التصنيف الأول إلّا من حيث المنهج والمعالجة . والتصنيف الأول المعتمد في هذا البحث أبسط وأبعد عن التعقيد الاختصاصي .

١) ترب المناطق الجافة وشبه الجافة : تعرف هذه الترب أيضاً بالترب الصحراوية والسهبية في مختلف أنحاء الجنوب الفلسطيني من برّية الخليل ومنطقة بير السبع ومنطقة غزة حتى خليج العقبة * . فالترب الصحراوية تغطي النقب كله حيث تنقلب شيئاً فشيئاً إلى ترب سهبية (شبه جافة) باتجاه مناطق الخليل وبير السبع وغزة في الشمال .

وبالرغم من تنوع هذه المجموعة حسب تنوع الصخور الأم المشتقة منها والمتكونة عليها فإنها تشترك في كثير من الخصائص والميزات ، إذ تغلب عليها الألوان الفاتحة الصفراء والرمادية والبنية الفاتحة ، وسماكتها قليلة نسبياً بصورة عامة ، باستثناء الترب المنقولة بالرياح من نموذج تربة اللوس أو الكثبان الرملية .

وهي ترب فقيرة ضعيفة الإنتاج ، أو غير صالحة للزراعة نتيجة رقتها وافتقارها إلى العناصر الضرورية للزراعة ، ولا سيما العناصر العضوية ، إلى جانب دخول نسب متفاوتة من الأملاح في تركيبها . يضاف إلى ذلك كله ظروف مناخية قاسية متطرفة من حيث الحرارة العالية ، والتبخر المرتفع ، وندرة الأمطار ، وانعدام المياه اللازمة للأعمال الزراعية . لذا فإن العمل الزراعي في هذه المناطق يتطلب جهوداً كبيرة لاستصلاح التربة وجرّ المياه إليها . فهذه المناطق هي بقاع الرعي * المتجول المعتمد على غطاء عشبي هزيل . وأقسام هذه الزمرة :

(١) تربة الحماد : تنتشر هذه التربة في جنوب النقب وهضابه الوسطى والأجزاء المرتفعة منه ، وفي السهول الجنوبية والشرقية من النقب ، وفي أجزاء فلسطين المسايرة لوادي عربة * . وقد تكونت تربة الحماد على قاعدة من الصخور الصلدة الكلسية والدولوميتية والحوّارية والصوانية ، خاصة في الأجزاء العالية من النقب وهضابه ومرتفعاته . أما في السهول الجنوبية والشرقية فقد تكونت تربة الحماد على أنقاض ومجروفات حجرية وحصوية هبطت من المرتفعات والسفوح المشرفة على السهول . وفي كلتا المنطقتين لا تتجاوز السماكات ٨٠ سم في حين تراوح السماكة المتوسطة لتربة الحماد بين ١٥ و ٤٠ سم بصورة عامة . أما لونها فالغالب أن يكون الأصفر والبني الفاتح الباهت . وتتكون تربة الحماد من تربة ناعمة غنيّة بقطع حجرية ، لكنها تتميز بغطاء حجري كثيف نسبياً ، مما دعا العلماء إلى تسمية الحماد « الصحراء الحجرية » . وليس لهذه التربة قيمة زراعية إلّا في الأجزاء السهلية إذا تمّ التخلص من نسبة الأملاح العالية فيها .

(٢) تربة اللوس : وهي تربة منقولة بالرياح في الدرجة الأولى ، وبالمياه الجارية (أمطار ـ سيول) بدرجة قليلة جداً . ويتمّ النقل من مصادر وأماكن بعيدة (نقل ريحي) ، أو قريبة (نقل مائي) . وهي تربة غبارية ناعمة دقيقة القوام ذات سماكات كبيرة تتجاوز بضعة أمتار في كثير من المناطق . ولونها أصفر أو أصفر ـ بني باهت . وقد يختلط الغبار الناعم في اللوس الصرف بالرمل ، أو قد تصبح بنيته خشنة قليلاً في بقاع متفرقة من أراضي اللوس الفلسطيني . وأهم مناطق انتشار اللوس هي شمال وشمال غرب النقب باتجاه مناطق بير السبع وغزة . وتراوح نسبة الأحماض في اللوس الصرف بين ٢٠ و ٣٠٪ ، ونسبة المواد العضوية بين ٠,٣ و ١,٢٪ ، في حين تصبح نسبة الأحماض ١ ـ ٦٪ ، والمواد العضوية ٠,١ ـ ٠,٣٪ في اللوس المختلط بالرمال . وتصلح هذه التربة لبعض الزراعات المَرْويّة ، ولاسيما الشعير ، ويعتقد أن اللوس في فلسطين حديث التكوين لا يتعدّى عمره ٣ ـ ٤ آلاف سنة مضت .

(٣) التربة الرملية وكثبان الرمال : تجاور تربة اللوس التربة الرملية في كثير من بقاع النقب الشمالي مع سيطرة الكثبان الرملية في البقاع الشمالية الغربية من النقب وباتجاه الحدود الفلسطينية مع سيناء جنوب وجنوب غرب منطقة بير السبع ، حيث تغطي مساحات كبيرة . وتتكون هذه التربة من ذرّات الرمال التي حملتها

الرياح من البقاع المجاورة مكوّنة أغشية وكثباناً رملية طغت على أراضي اللوس وغيرها من الترب الصحراوية في هذه المناطق .

وهي تربة قليلة الأحماض (٢ ـ ٥٪) تنعدم فيها المواد العضوية تقريباً ، وهي عميقة وسميكة بصورة عامة ، لونها أصفر ضارب للحمرة نتيجة تكون أكاسيد الحديد على حبيبات الرمل السيليكية . وهذه التربة منفذة للمياه تندر أو تنعدم فيها الأملاح ، لذا فإن تسرب الماء فيها كبير ، وهي مهيأة في الظروف المناخية التي تسود فيها لانتشار ظاهرة الخاصة الشعرية (أي صعود المياه نحو السطح في أنابيب شعرية) . وتفتقر هذه التربة إلى المواد الضرورية للزراعة ، لكنها تصلح لغرس الأشجار التي تضرب بجذورها عميقاً للوصول إلى الرطوبة والماء .

(٤) التربة الصحراوية اللحقية واللحقية الخشنة : وهي تربة نقلتها المياه الجارية (الأمطار أو السيول) وحملتها من المناطق المرتفعة إلى أقدامها في وسط وجنوب النقب وفي برّية الخليل . واللحقيات الخشنة مكونة على الغالب من أنقاض وأحجار مع تربة ناعمة ذات ملوحة مرتفعة تجعلها غير صالحة للزراعة . أما التربة الصحراوية اللحقية فموادها ناعمة تكونت في معظمها على ترسبات مارنية تعرف بترسبات اللسان البحيرية (نسبة إلى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت ، وبحيرة اللسان القديمة) . وتنتشر هذه التربة في وادي الأردن الأدنى ووادي عربة الشمالي جنوب البحر الميت . وإمكانيات الزراعة في هذه التربة جيدة ، خاصة إذا توافرت المياه للري . وواحة أريحا خير مثال على ذلك .

(٥) التربة البنية ـ الحطامية : تنتشر هذه التربة في بقاع متفرقة من شمال النقب ووسطه ، وتؤلف أيضاً شريطاً متقطعاً على السفوح الشرقية لجبال الخليل والقدس . وهي تربة بنية فاتحة تكونت على صخور كلسية وحوارية ، ومارنية حوارية شبه قاسية ، يختلط بها غبار صحراوي محمول بالرياح . سماكتها قليلة تراوح بين ٢٠ و ٥٠ سم ، قوامها رملي ـ طيني غني بالحصى والأحجار الصغيرة ، ونسبة المواد العضوية فيها بين ٢ , ٠ و ١٪ ، وملوحتها متوسطة أو عالية ، وتصلح للزراعة المحدودة بعد استصلاحها .

أما ما تبقى من البقاع الجافة وشبه الجافة من فلسطين فتسود في السطوح الصخرية العارية من غطاء التربة ، أو المغطاة بحطام الصخور والشظايا والأحجار ، مما يجعلها غير صالحة للزراعة ، أو لنمو غطاء نباتي طبيعي ذي أهمية اقتصادية تذكر .

٢) ترب المناطق الرطبة وشبه الرطبة : تنتشر مجموعة هذه الترب في الأجزاء الشمالية والوسطى الواقعة شمال النقب ومنطقة بير السبع وغزة وبرّية الخليل . وإذا استثنيت المساحات الصخرية العارية من الغطاء الترابي في الجبال والمرتفعات فإن معظم ترب هذه المجموعة صالحة للزراعة ، بشكل أو بآخر ، وبدرجات متفاوتة في الإنتاج والخصب . ونظراً لتأثر هذه الترب الشديد بالمناخ المتوسطي وعناصره فإنها تدعى ترب البحر المتوسط أيضاً ، وتشبه في خصائصها ترب البلدان المشرفة على البحر المتوسط بصورة عامة ، مع ملاحظة أثر موقع فلسطين * شرقي حوض البحر المذكور في تكوين بعض الصفات الخاصة . وأنواع هذه الترب هي :

(١) تربة الكركار ، أو التربة الرملية ـ البنية المحمّرة : يطغى على تكوينها الكلس والرمل . وهي تربة عميقة بنية حمراء يرجع أصلها إلى الكثبان الرملية القديمة المثبتة على شكل أشرطة طولية على امتداد السهل الساحلي المشرف على البحر المتوسط من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب ، ولا سيما جنوب سارونة . وتعيق تربة الكركار أعمال الزراعة إذا اقتربت من السطح ، وتصبح جيدة للزراعة ، ولا سيما لغرس أشجار الحمضيات * إذا أصبحت عميقة . ويتبع هذه التربة نوع آخر مساير لها هو التربة الرملية البنية ـ الحمراء المتحللة والمشتقة أصلاً من تربة الكركار أو من الكثبان الرملية الحديثة المنتشرة على الساحل الفلسطيني . وتعدّ هذه التربة من أجود أنواع التربة لزراعة الحمضيات في فلسطين رغم ما يدخلها من ملوحة في بعض الحالات .

وتحتوي التربة الرملية البنية ـ الحمراء المتحللة في كثير من مناطق انتشارها على طبقة من التربة الطينية المتماسكة التي تتكون على عمق قليل ، وتؤثر في زراعة الحمضيات ، وتعرف في فلسطين باسم « التربة النزازة » ، وتصبح كتيمة مع الزمن .

ويرافق هذه المجموعة من الترب الساحلية ، وباتجاه الساحل والبحر ، أشرطة من الكثبان الرملية الحديثة الثابتة (أو المثبتة بالنباتات) والمتنقلة . وهي تربة من أصل رملي قارّي (داخلي) أو بحري المصدر تصل سماكتها إلى بضعة أمتار ، وتصلح لزراعة المحاصيل المرويّة ، وتنتشر على شكل أشرطة طولية مسايرة للبحر على طول الساحل الفلسطيني على البحر المتوسط .

(٢) التربة اللحقية : تنتشر في السهول والأحواض المنخفضة الداخلية كسهل مرج ابن عامر وسهل البطوف * ، وفي الأشرطة المحيطة بهوامش جبال الجليل ونابلس والقدس والخليل (أي الجبال الوسطى) . وينتشر نوع خاص من هذه التربة هو التربة اللحقية البنية (فيرتيسول) في السهول المذكورة وسهل الحولة * . وهي ، أي تربة الفيرتيسول ، تربة بنية عميقة ناعمة القوام قامت على أرضية لحقية ـ غضارية ، لذا فإنها تتشقق عندما تجفّ بعد رطوبة سابقة . وهي تربة ذات إنتاج جيد بصورة عامة .

أما التربة اللحقية المنتشرة في المواقع المذكورة ، عدا سهل الحولة ، فمكونة من لحقيات وطمي أحدث عمراً ، بسماكات كبيرة

نسبياً ، ولون يميل إلى البني . وتتصف بالعمق وبالقوام الناعم الغضاري الطفلي . وهي ذات خصب وإنتاج عاليين .

والترب اللحقية من بقاع فلسطين الهامة للزراعة تتجدد قوتها وطاقاتها الإنتاجية بتجدد عناصرها وموادها المكونة لها ، وذلك نتيجة نقل السيول والأمطار والمياه الجارية للمواد اللحقية الناعمة من المرتفعات المحيطة او المطلة على السهول والمنخفضات في كل سنة . وتتعرض الأجزاء المنخفضة لتشكل المستنقعات * والبرك المائية المؤقتة إذا لم يحسن صرف مياهها بسبب قلة نفوذية هذه الترب التي يدخل الغضار في تكوينها .

وتلحق بقائمة التربة اللحقية التربة السهبية البنية المغطية لمساحات من السهول الجنوبية شرقي غزة * . وهذه التربة عميقة نسبياً يغلب عليها الغضار والطين ، وهي جيدة الإنتاج والخصب بصورة عامة . وقد تكونت على قاعدة من مواد لحقية متماسكة وشبه متصلة لقدم ترسبها . وهذا ما يميزها من نوعَيْ الترب اللحقية المذكورين أعلاه .

(٣) التربة النفضية ـ اللحقية : تربة بنّية ، وبنيّة فاتحة عميقة وجيدة الإنتاج ، تنتشر في التلال * والسفوح القليلة الانحدار على امتداد أقدام الجبال الوسطى في فلسطين (نابلس ـ القدس وإلى حد ما جبال الخليل) ، وأقدام جبال الجليل ، كما تنتشر في الأحواض والمنخفضات الضيقة الشريطية المحصورة بين الجبال . وتتنوع الزراعات في هذه التربة . ويرجع خصبها إلى غناها بمواد مختلفة المصادر لأنها تكونت من لحقيات ومجروفات وأنقاض قادمة من الجبال ، وكانت تؤلف تربةً جبلية كتربة التيرا روزا ، والتربة الغابية البنّية المتوسطة ، والتربة البازلتية ، وتربة الرندزينا . لذا فإن هذه التربة مزيج من التربة الناعمة الدقيقة القوام والحصى والأحجار الصغيرة المزوّاة (ذات الحافات الحادة) .

(٤) تربة التيرا روزا : وترجمتها العربية (التربة الوردية أو القرمزية) . وهي تربة ذات لون أحمر ـ بني قليلة السماكة أو رقيقة جداً (أقل من ٥٠ سم) في معظم المناطق ، تنتشر على السطوح والمنحدرات المناسبة من جبال فلسطين الوسطى ، وجبال الجليل والكرمل ، وترافق الصخور المكونة من الحجر الكلسي والدولوميت المنتشرة في الكتل الجبلية المذكورة . وتتكون التيرا روزا في الدرجة الأولى نتيجة تحلل الصخور الكلسية بالعمليات الكارستية ، ثم نتيجة تحلل بقايا الصخور الكلسية والدولوميتية في التربة نفسها فيما بعد . وتعدّ هذه التربة من ترب البحر المتوسط المعروفة للعلاقة الوثيقة القائمة بين نوع الصخر المكوّن لها والمناخ المتوسطي الجبلي ـ الراطب المساعد على تكوينها . وهي تربة خصبة جيدة الإنتاج . وتنمو في الأقسام الرقيقة منها الأحراج المتوسطية والأعشاب (رَ : النباتات الطبيعية) .

(٥) التربة الغابية البنية المتوسطية : تنتشر في مرتفعات فلسطين الوسطى والشمالية حيث تتوافر الرطوبة والأمطار الكافية لتكوين هذه التربة . وهي ذات لون بني داكن ، قوامها دقيق ـ ناعم بعمق يراوح بين ٤٠ و ٦٠ سم ، وهي خصبة جيدة الإنتاج ، والأقسام الرقيقة منها غنيّة بالغطاء العشبي والمراعي .

تكونت هذه التربة على قاعدة من الصخور الكلسية والكونغلوميرا ، وبشكل خاص على نوع من الصخر الكلسي المعروف في فلسطين باسم « ناري » ، وهو قشرة كلسية تغطي بقاعاً متفرقة من المناطق الجبلية وسفوحها . وترتفع نسبة المواد العضوية في هذه التربة حتى تصل إلى ١٢٪ ، ولا تقل عن ٣٪ .

(٦) تربة الرندزينا : تسمية بولونية تطلق على نوع من الترب يتشكل من الصخور المارنية بالدرجة الأولى، ومن الصخور الحوارية أو الكلسية ـ الحوارية بالدرجة الثانية . وتربة الرندزينا في فلسطين معروفة في نطاقين : الأول في المرتفعات ، ولا سيما في جبال الجليل وسلسلة جبال فلسطين الوسطى ، والثاني في غور وادي الأردن . ففي المرتفعات تكوّنت هذه التربة على الصخور الحوارية والمارنية ـ الحوارية بسماكات تراوح بين ٤٠ و ٧٥ سم ، ولونها بين الرمادي الفاتح والبني الفاتح ، وهي غنيّة بالمواد الكلسية ، لكنها ذات مواد عضوية قليلة ، إلاّ إذا كانت داكنة اللون وسميكة نسبياً . وهي تربة جيدة صالحة لزراعة الحبوب والمحاصيل المشابهة .

أما في غور الأردن فأرضية تربة الرندزينا هي مارن توضّعات اللسان البحيرية لبحيرة الغور القديمة . وهي رمادية فاتحة أيضاً وعميقة جيدة الانتاج . لكنها قد تكون ذات أملاح مرتفعة تؤثر في قدرة إنتاجها أو تعرقل الأعمال الزراعية . أما المواد العضوية فيها فتراوح بين ١ و٣٪ .

(٧) تربة البازالت البنّية : تنتشر في شمال فلسطين ، ولا سيما في الأجزاء الشرقية من مرتفعات الجليل الأعلى والأدنى ، وحيث الصخور البازالتية ـ البركانية على شكل أغشية وموائد متخلفة عن مساحات أوسع . ولونها بني داكن ، وهي رقيقة لا يتجاوز عمقها ٥٠ سم إلاّ فيما ندر. خصبها قليل بصورة عامة ، وتراوح المواد العضوية في هذه التربة بين ١ و٢٪ .

(٨) تربة اللبد : تربة قليلة المساحة والانتشار ينحصر وجودها في منطقة سهل الحولة ، وفي منطقة المستنقعات والبحيرة السابقة . تكونت من بقايا نباتية مستنقعية متفسخة ومتحللة . وهذه التربة ذات لون أسود وبني ـ أسود لا تصلح للزراعة ، لكنها تصلح مادة مخصبة لأنواع الترب الأخرى . وهي تربة سميكة يراوح عمقها بين ١ و ٨م .

يلاحظ مما مضى أن الأراضي ذات التربة الجيدة والمصنفة في المرتبة الأولى هي مناطق السهول الساحلية والداخلية ، وبصورة

... الساحلي الفاصله بين جبال الجليل وسلسلة جبال فلسطين الوسطى والأغوار الشمالية ، وهي مناطق الاستيطان الصهيوني في فلسطين .

المراجع :

- الخريطة الجيولوجية لفلسطين : مقياس : ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
- خريطة ترب فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
— Reifenberg, A.: **The Soils of Palestine,** London 1947.

التربة الأرغونية ، الأوحدية ، تركان خاتون ، الجالقية ، السعدية ، الطشتمرية ، الكيلانية ، الملك حسام الدين ، بركة خان .

رَ : القدس (المباني الأثرية والتاريخية في ـ)

تَرْبِيخا (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة عكا * ، على طريق رأس الناقورة ـ البصة ـ جسر بنات يعقوب (نهر الأردن *) . وعلى مقربة منها مزرعتان تابعتان لها هما صروح والنبي روبين * المجاورتان للحدود اللبنانية ، والمتاخمتان لقرية شيحين اللبنانية . وقد كانت تربيخا من أعمال قضاء صور في العهد العثماني ، وظلت تابعة للبنان إلى أن ألحقت بفلسطين بعد تعديل الحدود عام ١٩٢٣ . وتربط تربيخا ببعض القرى القريبة مثل ترشيحا * ودير القاسي * طرق ترابية .

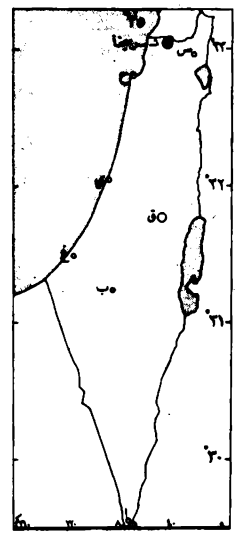

أرض القرية جبلية ترتفع عن سطح البحر ٤٠٠م وتتخللها عدة أودية ، وبعض البقاع السهلية . أكثر تربتها ، ولا سيما في الأودية ، تربة حتّية يغلب عليها اللون الأحمر . ومصادر مياه القرية عيون ماء قريبة أهمها عين شنّا وعين الظهور وعين أم قبيس وعين إقرت ، وعدة برك أشهرها بركة السفرجل وبركة الرمد وبركة المرج وبركة ريشا . كذلك من مصادر المياه مجموعة آبار قديمة العهد توجد بالقرب منها منطقة تعرف باسم المغارة ، وهي مجمع آبار المياه في القرية .

بلغت مساحة القرية ١١٢ دونماً . وكانت منازلها مجمعة حول بركة ماء ، ثم بدأت تمتد من الغرب إلى الشرق على طول طريق الناقورة ـ جسر بنات يعقوب . بيوت القرية حجرية تقليدية مسقوفة بالخشب والتراب . وقد أخذت البيوت الحديثة من طبقة أو طبقتين تظهر في القرية في أواخر عهدها .

كانت مساحة الأراضي التابعة لتربيخا ١٨,٤٥١ دونماً منها ١٤,٦٢٨ دونماً أراض غير زراعية ومراع ، و٣,٨٢٣ دونماً أراض زراعية خصص معظمها للحبوب * ، وقليل منها للزيتون * . وقد أخذت القرية في أواخر عهد الانتداب تعتمد كثيراً على زراعة التبغ ، وأصبح تبغها يضاهي التبغ التركي بجودته . كذلك كثرت في أراضي تربيخا أشجار التين وكروم العنب * . وكانت الأراضي أملاكاً خاصة ، عدا ٦,٠١٥ دونماً كانت مشاعاً بين أهل القرية (رَ : الأرض ، ملكية) . ولم يتمكن الصهيونيون من امتلاك شيء من أراضي تربيخا .

لم يتجاوز عدد سكان القرية أواخر عهد الانتداب البريطاني ألف نسمة عمل معظمهم في الزراعة * وتربية الماشية وكانوا في الغالب أصحاب الأرض والمواشي . وكان في القرية مسجدان ومدرسة ابتدائية حتى الصف السادس ضمّت ١٢٠ تلميذاً ومعلمَيْن . كما كان في القرية مركز جمرك ومركز شرطة لمراقبة الحدود الملاصقة . وقد أسست في القرية عام ١٩٤٥ جمعية الإصلاح الثقافية لرفع مستوى القرية الاجتماعي والثقافي ، وتحسين أوضاعها الصحية . وكان يحيط بالقرية ما لا يقل عن عشر خرب . وقد وجدت فيها آثار معصرة للزيت وصهريج ومدافن منقورة في الصخر مع أغطيتها (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

دمر الصهيونيون تربيخا عام ١٩٤٨ بعد أن أجبروا سكانها على الجلاء عنها إلى القرى المجاورة ، ثم إلى لبنان . وقد أقاموا مكانها مستعمرة « شومراه » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٧) ، بيروت ١٩٦٨ .

التربية والتعليم :

يرجع تنظيم التعليم في فلسطين إلى قانون التعليم العثماني الصادر سنة ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩ م . وقد ترسخ نظام التعليم في قانون سنة ١٩١٣ الذي وضع لتقوية إشراف الدولة على المدارس . وعلى الرغم من ذلك ظلت غالبية المؤسسات التعليمية في متصرفية القدس بيد الإرساليات الأجنبية بعيداً عن رقابة الدولة .

قسم قانون التعليم العثماني المدارس إلى قسمين : عمومية وخصوصية . وقد وضع نظام المدارس الحكومية العامة حسب النموذج الفرنسي ، وكان التعليم مجانياً وإلزامياً (نظرياً) ، وكان التعليم الديني أساساً فيه ، واللغة التركية لغة التعليم . وأهمل النظام العثماني تعليم البنات على الأغلب .

وقد أدخلت بعد الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ تعديلات على القانون شملت المناهج والطرق الإدارية المتبعة . وأدرجت في المناهج بالإضافة إلى تعليم القرآن واللغة التركية والتاريخ مواد مبادىء الصحة والموسيقى والطبيعيات والرياضيات ، كما أن لغة التعليم في هذه المدارس تحولت من اللغة التركية إلى اللغة العربية . وكان لهذا التغيير أثر في جعل المدارس مراكز لبث الوعي الوطني .

أما الدراسة في المدارس العمومية (الحكومية) فكانت تتكون من أربع مراحل :

١) ابتدائية دنيا (صبيانية) التعليم فيها إجباري مجاني ، ويستغرق أربع سنوات (من ٧ ـ ١١ للأولاد ومن ٦ ـ ١٠ للبنات) . وكانت كل قرية كبيرة أو مجموعة قرى صغيرة متجاورة تحتوي على مدرسة من هذا النوع .

٢) ابتدائية عليا (رشدية) . مدة التعليم فيها أربع سنوات ، والتعليم فيها أيضا مجاني . وقد وجدت هذه المدارس في المدن الصغيرة نسبياً .

٣) مدارس ثانوية دنيا (إعدادية) . مجانية ، ومدة التعليم فيها ثلاث سنوات . وكان في فلسطين ثلاث من هذه المدارس في القدس * ونابلس * وعكا * .

٤) مدارس ثانوية عليا (سلطانية) . مدة التعليم فيها ثلاث سنوات ، وكان في فلسطين مدرسة واحدة من هذا النوع في القدس . والدراسة في هذه المرحلة ليست مجانية ، إلاّ أن السلطات كانت تقوم بدفع الأقساط عن الطلاب الفقراء . وتضم هذه المرحلة قسماً داخلياً اختيارياً يعيش الطلبة فيه .

وقد وجدت إلى جانب هذه المدارس الحكومية العامة مدارس الإرساليات الأجنبية التي كانت تتفوق على سابقاتها في الجوانب العلمية وفي اهتمامها باللغة العربية بعض الاهتمام . يضاف إلى ذلك بعض المدارس اليهودية التي كانت تديرها هيئات أجنبية كالأليانس * وتعلم أطفال اليهود بلغة بلد المنشأ ، ومدارس ابتدائية في المستعمرات الصهيونية تابعة لجمعية الاستعمار اليهودي * ، وتعلم بالعبرية . وقد كوّنت هذه المدارس الأخيرة نواة شبكة المدارس العبرية العامة التي ستظهر فيما بعد .

تطرق القانون إلى التعليم في المدارس الخصوصية ، سواء أكانت وطنية تشرف عليها هيئة أو جماعة محلية أم أجنبية تشرف عليها مصالح أجنبية . وقد ألزم قانون التعليم المدارس الخصوصية التقيد ببرامج التعليم المتبعة في المدارس الحكومية العمومية فيما يتعلق بالمناهج التربوية ومقتضيات تأهيل المعلمين .

وعهد القانون إلى مجلس عال مسؤولية مراقبة التعليم في أنحاء الدولة بشكل عام . أما المسؤولية المحلية فقد أحيلت إلى مجلس إقليمي مدني يتكون من أعيان المنطقة ، ويقوم بمراقبة المناهج ، ومؤهلات المعلمين ، وميزانية المدارس ، وعقد الامتحانات العامة ، ومنح الشهادات .

أ ـ نظام التعليم أيام الإدارة العسكرية البريطانية (١٩١٧ ـ ١٩٢٠) : أهمل وضع المدارس الحكومية نتيجة هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى ، وأغلق معظم المدارس الخاصة المحلية والأجنبية أبوابه ، ولا سيما المدارس التي يملكها رعايا دول معادية لبريطانيا كألمانيا والنمسا .

وقد اشتدّت الحاجة إلى إعادة الخدمات التعليمية بعد احتلال القدس خاصة في نهاية عام ١٩١٧ ، فوافقت السلطات العسكرية البريطانية على إعادة فتح المدارس الخاصة المحلية والأجنبية عدا تلك التي يملكها رعايا الدول المعادية .

تولت سلطات الاحتلال البريطاني مسؤولية التعليم وخلفت في ذلك الحكم التركي وورثت عنه ما كان موجودا من مدارس وأجهزة ونظام . وقد تركت معظم ما كان موجوداً على حاله التي كان عليها قبل الحرب . وكان أبرز ما أحدثته من تغييرات إحلال اللغة العربية محل اللغة التركية في المدارس الحكومية ، وإدخال الإنكليزية في مرحلة معينة من مدارس المدن ، وفتح كليتين للتدريب : واحدة للمعلمين وأخرى للمعلمات ، لإيجاد ملاكات (كوادر) من المعلمين والمعلمات قادرة على التعليم باللغة العربية .

وقد بدأت آلية التعليم أيام الإدارة العسكرية بجهاز إداري صغير مسؤول عن إعادة بناء التعليم ، وتنظيم ما ورثته عن الأتراك وتحسينه ، وتكييفه والظروف الجديدة . وكانت نواة ذلك مدارس الحكومة في المدن ، مع عدد من مدارس القرى ، ومعظم المدارس الخاصة . وقد بلغت موازنة التعليم في العام الدراسي ١٩١٩/١٩٢٠ مبلغ ٥٣,٠٠٠ جنيه .

وأبرز ما تميز به جهاز الإدارة في هذه المرحلة أنه كان كثير التغيير ، فقد تناقل مسؤولية التعليم خلال هذا الزمن القصير ثلاثة مسؤولين كان أولهم الماجور وليامز الخبير في شؤون الخدمة المدنية في الهند ، ثم الماجور تادمان المنتدب من وزارة التعليم المصرية ، وأخيرا مساعده ليغ .

ب ـ نظام التعليم أيام الإدارة المدنية للانتداب البريطاني (١٩٢٠ ـ ١٩٤٧) : نصت المادة الخامسة عشرة من صك

الانتداب على : " ألّا تحرم أي طائفة كانت من حق صيانة مدارسها الخاصة لتعليم أبنائها بلغتها الخاصة ، وألّا ينتقص من هذا الحق ما دام ذلك مطابقا لشروط التعليم العمومية التي قد تفرضها الإدارة " .

وكان لهذه المادة أثرها الكبير في صياغة السياسة التعليمية في فلسطين سنة ١٩٢٠ إلى جانب الواقع المفروض الموروث من قبل . وقد تأكدت غاية المادة ١٥ من صك الانتداب في المادة ٢٢ التي قضت بأن تكون اللغة العربية والعبرية ، كالإنكليزية، لغتين رسميتين .

وعندما حلّت الإدارة البريطانية المدنية محل الإدارة العسكرية وجدت أمامها نوعين من المدارس :

١) المدارس الحكومية العامة : وقد كانت مفتوحة ـ نظريا ـ لجميع الأطفال . لكن كون اللغة العربية هي لغة التعليم فيها جعل هذه المدارس مقصورة على الأطفال العرب . في حين أخذت تنتشر بالمقابل شبكة من المدارس اليهودية العامة التي تتلقى من سلطات الحكم معونات سنوية، لكن الذي يديرها هو المجلس العام للجماعة اليهودية في فلسطين (فعاد ليومي *Vaad Leumi*) .

وهكذا انقسم نظام المدارس العامة إلى قسمين : مدارس عربية عمومية ، ومدارس عبرية عمومية .

٢) المدارس الخاصة : ومنها مدارس عربية محلية تنشئها الهيئات أو يقوم بتأسيسها الأفراد . وهي على الغالب ابتدائية محدودة ضعيفة . ومنها مدارس أجنبية ، أو ما كان يسمى « مدارس مختلطة » لأنها كانت تجمع مزيجا من العرب واليهود ، وإن كانت نسبة اليهود ضئيلة . وكانت هذه المدارس ذات مستوى تعليمي عال ، وتضم في الغالب صفوفا ثانوية .

وتعد المدارس اليهودية كلها مدارس خاصة ، سواء أكانت مدارس عمومية أم مدارس مزراحية لليهود الشرقيين ، أو مدارس اتحاد العمال اليهود المهنية ، لأن إشراف دائرة المعارف عليها كان إشرافا بسيطا يكاد يكون معدوما .

جـ ـ دائرة المعارف الفلسطينية : ولدت دائرة المعارف الفلسطينية فعلا في خريف ١٩٢٠ في القدس . وقد تولى رئاستها مدير جديد مع بداية الحكم المدني .

كانت مهمة الدائرة : " الإشراف ـ بالدرجة الأولى ـ على التعليم بوجه عام ، وتقديم المشورة إلى السلطات الحكومية المركزية والمناطق الإدارية ، وتفتيش التعليم الحكومي وغير الحكومي ، وتوزيع المساعدات والمنح ، وجمع المعلومات الإحصائية ومقارنتها ، والإشراف على الامتحانات وتوجيهها وإدارتها . وهي أيضا تدير وتموّل ، عن طريق سندات الحكومة العامة ، مدارس النظام العربي العام المعروفة بمدارس الحكومة ، وتوظف المعلمين . وهي أخيرا تشرف ، بالتفتيش وغيره ، على نظام المدارس اليهودي العام ، وتخصص له مساعدات ومنحا من الإيرادات العامة " .

وقد تم تنظيم شؤون التعليم ، وتحديد سلطات دائرة المعارف وتفسير مختلف الاصطلاحات ، وتصنيف المدارس وتسجيلها وشروطها الصحية ، وتعيين المديرين ، وتفتيش المدارس ، وتسجيل المعلمين والترخيص لهم ، والمخالفات والعقوبات وإغلاق المدارس ، وإنشاء هيئات المعارف المحلية في مناطق البلديات ، وغير ذلك من الأحكام المتفرقة ، تمّ في قانون المعارف الذي صدر في ١٩٣٣/١/٢ .

١) الجهاز التنفيذي المركزي : يقف على رأس دائرة المعارف في القدس مدير ونائب مدير بريطانيان يتبعهما موظفون مساعدون .

(١) المدير : مسؤول بريطاني يجمع السلطات بمركزية شديدة . فهو المشرّع ، ووزير التعليم ، وسلطة التعليم المحلية ، أي أنه كل شيء . فهو الذي يسيّر سياسة التعليم ، ويعيّن ويفصل المدرسين ، ويوجّه المناهج الدراسية ، ويقول الكلمة الأخيرة في جميع الأمور الفنية الاختصاصية .

(٢) نائب المدير : بريطاني كان الواسطة التي تنتقل عبرها أوامر المدير وتعليماته .

(٣) المدير المساعد : كان تعيين جورج أنطونيوس * في أوائل سنة ١٩٢١ مديرا مساعدا بداية إشراك العنصر العربي في إدارة التعليم . لكن هذه المشاركة العربية في السياسة التعليمية والإدارة على المستوى العالي انتهت باستقالة أنطونيوس في أوائل الثلاثينات . فحلّ محله مدير مساعد بريطاني ، فأصبحت السلطة التنفيذية العليا في دائرة المعارف بريطانية صرفاً: المدير ، فنائب المدير ، والمدير المساعد .

وقد استمر هذا الوضع حتى أواخر الثلاثينات تقريبا عندما أعاد البريطانيون التمثيل العربي إلى دائرة المعارف وسط ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * استرضاء للعرب ، فعيّنوا مديرين مساعدين عربيّين تابعين لنائب المدير البريطاني ، أحدهما للشؤون الإدارية ، والآخر للشؤون العلمية الفنية .

تبع تعيين المساعدين العربيين تعيين مساعد يهودي ، ومدير مساعد بريطاني للتعليم الفني ، ومديرة مساعدة بريطانية لتعليم البنات في الأربعينات ، فأصبح عدد المديرين المساعدين خمسة كانوا مسؤولين أمام نائب المدير البريطاني ، ومن خلاله أمام المدير . وقد ضمت الدائرة المركزية في السنة الأخيرة في عهد الانتداب سبعة

موظفين كباراً بدرجة مدير مساعد ، أربعة بريطانيين ، وعربيين ، وواحداً يهودياً .

٢) جهاز التفتيش : كان جهاز التفتيش سنة ١٩٢٠ ناشئاً لا يتعدّى مفتشين مركزيين ، وأربعة من مفتشي المناطق . ثم زاد عدد مفتشي المركز وتشعّبت مهامهم .

وقد أشرف على جهاز التفتيش خلال السنوات القليلة الأولى من عمره جورج أنطونيوس المدير المساعد العربي . ثم تولى الإشراف عليه مدير مساعد بريطاني . وعاد أواخر الثلاثينات إلى الإشراف العربي .

ويضم جهاز التفتيش نوعين من المفتشين : مفتشين مركزيين ومفتشي مناطق :

(١) المفتشون المركزيون : هم أصحاب الاختصاص والمهام المحددة الموجودون في الدائرة المركزية في القدس . وقد كان لتعيين مديرين عربيّين مساعدين (إداري وفني) أواخر الثلاثينات أثره في انقسام التفتيش المركزي إلى تفتيش إداري محض يتولاه مفتشون مختصون في الأمور الإدارية ، وتفتيش فني اختصاصي يتولاه مفتشون مختصون في أنواع العلوم المختلفة ، يقومون بزيارة المدارس ، ويفتشون المعلمين التابعين لاختصاصهم ، ويكتبون التقارير للمدير العام ، ويقدمون ـ أحيانا ـ المشورة في قضايا المناهج والكتب المدرسية والامتحانات . وقد يجمع بعض المفتشين المركزيين التفتيش الإداري والتفتيش الفني ، ويوزعون أوقاتهم بين الدائرة المركزية وزيارات المدارس في مختلف المناطق . وقد بلغ عدد المفتشين المركزيين في آخر سنة دراسية في عهد الانتداب ٣٠ مفتشا بينهم ٢١ عربيا و٦ يهود و٣ بريطانيين .

ينقسم التفتيش المركزي الفني إلى عدة أقسام :

ـ قسم تعليم البنات : وقد أوجدته الإدارة العسكرية البريطانية سنة ١٩١٨ ، وتولت الإشراف عليه في البداية مفتشة بريطانية جمعت مسؤولية التفتيش والاستشارة إلى مسؤولية إدارة كلية تدريب البنات (المعلمات) . ثم فصلت الإدارة عن التفتيش في أواخر الثلاثينات ، وتولت المهمتين بريطانيتان . وقد عينت خلال الأربعينات مديرة إنكليزية مساعدة مسؤولة عن تعليم البنات إلى جانب المفتشة الفنية .

ـ قسم تعليم العربية والدين : كانت الحاجة ماسة إلى هذا القسم بسبب إحلال اللغة العربية في التعليم محل التركية . وكان البريطانيون يسعون ، من أجل غاياتهم السياسية ، ليؤكدوا للسكان أن الإدارة البريطانية لم تهمل الأساس الديني والأخلاقي للتعليم .

ـ التعليم الزراعي : كان إدخال التعليم الزراعي شيئا جديدا في عهد الانتداب ، وقد توسع القسم وغدا مؤلفا من ثلاثة مفتشين مشرفين على التعليم الزراعي ، وجميعهم عرب . وكان رئيسهم مسؤولا أحيانا عن تدريب المعلمين الريفيين .

ـ التعليم الفني (المهني) : جاء متأخراً سنة ١٩٣٠ ، وأشرف عليه بريطاني . ولم يكن التعليم الفني مستقلا في مدارس خاصة به ، بل كان تدريبا يدويا يعلّم في المدارس العامة للبنين . وقد ارتقى منصب المشرف على التعليم الفني إلى مرتبة مدير مساعد خلال الأربعينات . وكانت هناك مدرسة تجارية واحدة فقط في أواخر الانتداب .

ـ قسم اللغة الإنكليزية : وهي اللغة الأجنبية الوحيدة في مدارس الحكومة ، ولها أهميتها الثقافية والاجتماعية الخاصة . وقد تولى تفتيش اللغة الإنكليزية وتدريب معلميها العرب بريطانيون من كبار موظفي دائرة المعارف . وظل هذا التفتيش وقفا على البريطانيين . لكن عيّن في السنوات الأخيرة القليلة من عهد الانتداب مفتش عربي مساعد للمرحلة الابتدائية .

ـ قسم الاجتماعيات : التاريخ مادة هامة سياسيا واجتماعيا ، وكان أمر تدريسها موضوعا من مواضيع النزاع بين الدائرة والمجتمع العربي . وقد تولى تفتيش هذه المادة بريطانيون ، ثم رفع عربي إلى منصب مفتش مركزي أو مسؤول عن الاجتماعيات .

ـ التعليم اليهودي : عين في سنة ١٩٢٩ أول مفتش يهودي في دائرة المعارف المركزية لكتابة التقارير عن المدارس اليهودية المستقلة . ثم أخذ عدد المفتشين اليهود يتكاثر في الدائرة حتى وصل إلى ستة مفتشين في آخر سنوات الانتداب . وكان قد عين في سنة ١٩٤٤ مدير مساعد يهودي .

(٢) مفتشو المناطق : كانت فلسطين أيام الانتداب البريطاني تقسم إلى أربع مناطق تعليمية هي :

ـ منطقة القدس : وتضم القدس والخليل * ورام الله * وبيت لحم * وأريحا * ، ومركزها القدس .

ـ المنطقة الجنوبية : وتضم غزة * ويافا * والرملة * وبير السبع * ومركزها يافا .

ـ منطقة السامرة : تتألف من أقضية نابلس وجنين * وطولكرم * ، ومركزها نابلس .

ـ منطقة الجليل : وتشمل حيفا * وعكا والناصرة * وطبرية * وبيسان * وصفد * ، ومركزها حيفا .

وكان لكل منطقة تعليمية مفتش منطقة هو ، نظريا وعمليا ، مدير محلي للمعارف في الغالب . فهو يجمع مهمتي الإدارة والتفتيش ، ويتبع لإشراف مدير دائرة المعارف . وكان مسؤولا مسؤولية مباشرة عن جميع مدارس الحكومة في منطقته ، ومسؤولا عن جهاز الموظفين ، وتزويد الكتب ، والنظام ، وشؤون الطلاب .

وكان على اتصال بالسلطات الحكومية الأخرى في المنطقة . وهو في منطقته المحور المركزي لكل نشاط تعليمي محلي تعتمد المنطقة على قيادته في كل ما يتعلق بمشاريع تطوير المدارس .

ويقوم مفتش المنطقة ، إلى جانب تلك المهمة الإدارية ، بالتفتيش الفني على المعلمين ، ويقدم التقارير إلى المدير العام . كذلك يفتش المدارس الخاصة التي تتلقى منحا من الدولة ، أو تطلبها ، ويقدم عنها تقاريره .

وقد دفعت المهام الإدارية الكثيرة مفتشي المناطق إلى تخصيص معظم جهودهم للجوانب الإدارية على حساب الجوانب الفنية . وقد كان إلى جانبهم مفتشون مساعدون مسؤولون عن تفتيش مدارس القرى .

٣) الجهاز الإداري : تضم دائرة المعارف المركزية في القدس مجموعة من المكاتب والأقسام تتولى الأعمال الإدارية المكتبية . وكان رئيس هذا الجهاز موظفا عربيا خلال السنوات العشر الأولى من تأسيس الدائرة ، ثم آلت رئاسة الجهاز الإداري إلى موظف بريطاني بقية سنوات الانتداب .

وقد ضمت الدائرة المركزية سبعة أقسام إدارية هي : قسم التسجيل ، وقسم الحسابات ، وقسم المستودعات والمخازن (كتب ، وأثاث مدرسي . .) ، والمكتبة ، وقسم الترجمة ، وقسم الإحصاء ، وقسم الآلة الكاتبة (باللغات الرسمية الثلاث آنئذ) .

يتبين مما مضى الهيكل العام لإدارة التعليم في فلسطين أيام الانتداب . وقد كان هذا الهيكل ، رغم تماسكه الظاهري ، ضعيفا كثير العيوب . وأول هذه العيوب وأبرزها يرجع إلى وجود الانتداب وغايته . فقد كانت نصوص عهد الانتداب التي وضعت لخدمة الصهيونية وأهدافها مسؤولة عن الفوضى الإدارية التعليمية ، وعن ازدواجية التعليم في فلسطين أيام الانتداب . وكانت إدارة المعارف " البريطانية " محابية ففي حين كانت تدير التعليم العربي إدارة مباشرة صارمة كان نظام التعليم العبري مستقلا بنفسه إلى درجة كبيرة ، ولم تكن سلطة إدارة المعارف عليه تتعدى " شروط التعليم العمومية " .

كانت ميزانية التعليم من جهة أخرى قليلة جدا لا تسد حاجة العرب إلى تعليم أولادهم ولا تتيح فرص التعليم للكثير من أطفالهم . ولم تتعدَّ موازنة التعليم في أولى السنوات الدراسية أيام الإدارة المدنية (١٩٢٠/١٩٢١) مبلغ ٧٨,٠٠٠ جنيه . وكانت نسبة ما ينفق على التعليم قليلة جدا بالقياس إلى مجموع النفقات الأخرى ، ولا سيما نفقات الأمن العام . بل إن معدلها السنوي أخذ بالهبوط منذ العام الدراسي ١٩٣٤/١٩٣٥ كما يدل الجدول المرفق :

	١٩٣١	١٩٣٣/٣٢	١٩٣٤/٣٣	١٩٣٥/٣٤	١٩٣٦/٣٥	١٩٣٧/٣٦
	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه	جنيه
مجموع المصروفات	٢,٣٧٤,٤٦٧	٢,٥١٦,٣٩٤	٢,٧٠٤,٨٥٦	٣,٢٣٠,٠١٠	٤,٢٣٦,٢٠٢	٦,٠٩٩,٩٩٧
البوليس والسجون	٤٦٩,٥١٦	٤٧٥,٠٤٢	٤٨٦,٦٠٥	٥٠٦,٧١٢	٥٢٧,٤٦٧	٧٤٤,٤٥٥
الأشغال العامة	٣٣٤,٣٥٣	٣١٧,٤٥١	٣٧٣,٢٢٤	٥٤٠.٦٩٧	٩٩١,٨٢٤	١,١٠٥,٧٩٣
دائرة الصحة	١٠٥,٩١٨	١١١,٠٥٢	١٣٥,٨٣٨	١٦٦,٣١١	١٩٤,٦٣٢	٢٠٤,٣٥٦
	١٤٦,٩٨٨	١٥٩,٥٢٠	١٧٩,٦٣٥	٢٠١,٤٩٨	٢٢١,٠٨٧	٢٤٣,٢٦٥
النسبة المئوية لما ينفق على المعارف	٦,١٩٪	٦,٣٤٪	٦,٦٤٪	٦,٢٤٪	٥,٢٢٪	٣,٩٩٪

وإلى جانب هذه العيوب العامة كان هناك خلل في بنية دائرة المعارف ذاتها . فقد كان مدير الدائرة البريطاني يمثل قمة الرئاسة الأوتوقراطية المركزية . وقد حاولت سلطات الانتداب التخفيف من ذلك فعهدت في سنة ١٩٤٧ إلى مفتش عربي مركزي أول بكثير من المسؤوليات . لكن لم تظهر نتائج التجربة ، فسرعان ما أعلن انتهاء الانتداب .

أما المجموعة التي كان يترأسها هذا المدير الحريص على تنفيذ التعليمات والأوامر فهي مجموعة أفراد غير متناسقين أو متعاونين . وقد كان الصدام دائما بين الشخصيات العربية والبريطانية في دائرة المعارف المركزية ، ولا سيما في جهاز التفتيش . يضاف إلى ذلك أن أجهزة الدائرة كانت تفتقر إلى المختصين . فهي إلى نقصان بعض الخدمات الثانوية الهامة لم تضم إليها خبيرا في علم النفس مؤهلاً لتقديم النصح والمشورة في المناهج وقواعد الامتحانات وغير ذلك . كذلك افتقرت الدائرة إلى خبراء في الإحصاء . وكان الذين يقومون بكتابة الجداول الإحصائية أفرادا غير متخصصين يكتفون بسرد الأرقام دون تحليل واستخلاص نتائج . وكانت الدائرة فقيرة في حقل النشاط العلمي لم تطبع شيئا من الدراسات سوى ما كان يشارك فيه بعض موظفيها من تحرير مواد في مجلة كلية المعلمين .

د ـ مراحل الدراسة : كانت الدراسة زمن الانتداب البريطاني تبدأ في صف بستان الأطفال ومدته سنة واحدة ، ثم تتدرج إلى المرحلة الابتدائية ومدتها سبع سنوات ، ثم الثانوية ومدتها أربع سنوات . وكان عدد الطلبة الذين يتممون المراحل الدراسية جميعها صغيراً جدا . وبعد إنهاء المرحلة الثانوية يلتحق بعض الطلاب بأحد المعاهد العالية ، وهي اثنان للبنين واثنان للبنات . أما معهدا البنين فهما : الكلية العربية * والمدرسة الرشيدية * . ومعهدا البنات هما : كلية المعلمات في القدس ، ومركز تدريب المعلمات الريفي في رام الله .

أشرفت دائرة المعارف أيضاً على معاهد مهنية مختلفة كمدرسة خضوري الزراعية التي يلتحق بها الطلبة عند إنهاء الصف الثاني الثانوي ، ومدرسة حيفا الصناعية التي يلتحق بها الطلاب بعد إنهاء المرحلة الابتدائية . وكانت دائرة المعارف ، بالإضافة إلى ذلك ، تشرف في أواخر عهد الانتداب على معهد الحقوق في القدس ، ومدة الدراسة فيه خمس سنوات ، ويلتحق الطلاب به بعد إنهاء المرحلة الثانوية .

كان القسم الأكبر من الطلبة العرب في مدارس الحكومة من تلاميذ المرحلة الابتدائية . ففي السنة الدراسية ١٩٤٥/١٩٤٦ بلغ عدد الطلاب العرب في المدارس الحكومية ٨٢,٧٧٥ طالبا منهم ٨٠,٩٠١ في المدارس الابتدائية ، أي أن نسبتهم ٩٧,٨٪ من المجموع . وسبب ذلك أنه لم يكن في فلسطين زمن الانتداب البريطاني إلاّ ثلاث مدارس ثانوية كاملة للطلاب ، وهي الكلية العربية ، والمدرسة الرشيدية في القدس ، والمدرسة العامرية في يافا . وقد أصبحت هذه الأخيرة ثانوية كاملة سنة ١٩٤٦ . وإلى جانب ذلك ثلاث عشرة مدرسة حكومية ثانوية غير كاملة تصل فقط إلى الصف الثاني الثانوي ، منها عشر للذكور .

وكانت إمكانية إتمام المرحلة الثانوية بين البنات معدومة تقريبا ، فلم يكن في فلسطين إلاّ ثلاث مدارس لتعليم البنات حتى مستوى الصف الثاني الثانوي في القدس ويافا ونابلس .

١) المدارس الابتدائية الحكومية : كانت مدة الدراسة في المدارس الابتدائية سبع سنوات تقسم إلى مرحلتين : خمس أولى ، ثم سنتين أخيرتين . وكانت دائرة المعارف تدّعي كاذبةً أنها تسعى إلى إزالة الأمية بين الفلسطينيين العرب عن طريق فتح أكبر عدد ممكن من المدارس الابتدائية الدنيا . لكن الميزانية التي أعدت لذلك جعلت الأمر مستحيلا . إذ لم يكن هناك صفوف كافية لاستيعاب جميع الأطفال الذين يبلغون مرحلة الدارسة الابتدائية . وفي سنة ١٩٤٦ بلغت نسبة التلاميذ الذين تمكّنوا من الالتحاق بالسنة الابتدائية الأولى ٦٠٪ .

أما إمكانية الدراسة في السنتين الأخيرتين الابتدائيتين فكانت قليلة . وقد بلغ عدد المدارس الابتدائية القروية في فلسطين سنة ١٩٤٦ نحو ٣٧٤ مدرسة منها ١١٤ مدرسة فقط ضمت هذين الصفين الأخيرين من التعليم الابتدائي .

وكانت مناهج التعليم في المدارس الابتدائية تقصد إلى إزالة الأمية عن طريق الإلمام بأصول اللغة العربية والحساب والصحة والتاريخ والجغرافية والتدريب العملي والتربية البدنية واللغة الإنكليزية .

أما منهاج اللغة العربية فكان يتدرج من المحادثة والقراءة إلى الكتابة ، ثم دراسة القواعد والإنشاء والشعر . وقررت بالإضافة إلى الكتب المقررة كتب إضافية ، ولا سيما في القراءة ، لتنمية المقدرة على الفهم والاستيعاب السريع . أما اللغة الإنكليزية فتبدأ في السنة الرابعة . وكان منهاج دراستها يتضمن المحادثة ، فالقراءة ، ثم القواعد . وكان التشديد أكثر على الكتابة والقراءة ، ولهذا كان المتخرج من المدارس الحكومية يقرأ اللغة الإنكليزية ويكتبها بمهارة تزيد كثيرا عن تمكنه من تكلمها .

وكانت دراسة الحساب تتدرج من الدراسة الشفوية إلى الكتابة ، ومن البسيط إلى المعقد ، ومن المبادىء الأساسية الأربعة (الجمع والطرح والضرب والقسمة) إلى دراسة الكسور والنسبة المئوية . وقد تضمن المنهاج في السنتين الأخيرتين الابتدائيتين أصول الجبر والهندسة والمثلثات .

أما دراسة العلوم فتبدأ في السنة الثانية . والقصد منها لفت نظر الطلاب إلى البيئة ومحتوياتها الطبيعية وإنماء قوة الملاحظة والتفكير عندهم . وكان المنهاج يقتضي الإلمام بالبيئة المحلية وما فيها من حيوانات ونباتات ومعادن وصناعات : وقد خصصت السنتان الأخيرتان لدراسة مبادىء الصحة والجسم الإنساني .

وكانت مادتا التاريخ والجغرافية موحدتين ، ويتعلق منهاجاهما بجغرافية وتاريخ فلسطين بخاصة ، والبلاد العربية بعامة . وكانت مادة الديانة الإسلامية إجبارية ، ويتضمن منهجها دراسة حياة الرسول عليه السلام ، ثم مبادىء الديانة . وقد سمح للطلاب المسيحيين بدراسة أصول الديانة المسيحية .

أما عدد الحصص الأسبوعية المخصصة لكل مادة فكان كالجدول رقم (١)

٢) المدارس الثانوية الحكومية : مدة التعليم الثانوي في المدارس الحكومية أربع سنوات بعد إتمام المرحلة الابتدائية . وكان هناك خمسة معاهد ثانوية : ثلاثة للطلاب واثنان للطالبات . وكان التعليم الثانوي في فلسطين محدوداً ، فالمدارس قليلة ، وانتقاء العدد الذي يحق له متابعة الدراسة بعد المرحلة الابتدائية عسير ، لذلك كان هناك انتقاء آخر بعد إتمام الصف الثاني الثانوي ، فلم يكن يتاح المجال للالتحاق بالسنة الثانوية الثالثة في الكلية العربية أو الرشيدية أو دار المعلمات إلا لطالبين أو ثلاثة من كل صف . وقد ضمت هذه المعاهد أقساما داخلية تمكنها من قبول الطلاب من مختلف أنحاء فلسطين .

أما المناهج في المدارس الثانوية فكانت تعد الطلبة لاجتياز فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية (المتريكوليشن *Matriculation*) وكانت مدة الحصة الدراسية ٤٥ دقيقة ، والحد الأعلى للحصص الأسبوعية ٣٩ حصة . وكان المنهاج مقسما إلى قسمين : أدبي وعلمي . وقد وزعت الحصص على نحو الجدول رقم (٢)

وقد كان منهاج المدارس الثانوية يعدّ الطلاب والطالبات لاجتياز الفحص الثانوي الفلسطيني (متريكوليشن) ، ولذا أنشئت تلك المناهج تبعا لمتطلبات الشهادة الثانوية . وقسمت العملية حسب مقتضيات الشهادة المذكورة إلى الأقسام التالية :

(١) اللغات الرئيسة : لغة إنكليزية ـ أ ـ ، أو لغة عربية ـ أ ـ ، أو لغة عبرية ـ أ ـ (يدل الحرف ـ أ ـ على أن اللغة التي يتقدم الطالب للالتحاق فيها هي لغته القومية) .

(٢) الرياضيات العامة .

(٣) التاريخ العام .

(٤) اللغات الإضافية : لغة عربية ـ ب ـ ، أو لغة إنكليزية ـ ب ـ ، أو لغة عبرية ـ ب ـ (يدل الحرف ب على أن اللغة ليست لغة الطالب القومية) أو لغة أرمنية ، أو فرنسية ، أو ألمانية ، أو إيطالية ، أو لاتينية ، أو يونانية .

(٥) طبيعيات عامة وطبيعيات خاصة : وكان يدخل ضمن هذه المجموعة الكيمياء ، والنبات ، والحيوان ، والجغرافية ، والإدارة المنزلية والتدريب (للبنات) ، والتاريخ الإضافي .

(٦) الديانة : الإسلامية ، والمسيحية ، واليهودية .

وكان على الطالب المتقدم للحصول على الشهادة الثانوية أن ينجح في موضوع واحد من الأقسام الخمسة ، وفي موضوع سادس مختار من القسمين الرابع والخامس .

٣) التعليم المهني والزراعي : كان التعليم المهني في فلسطين محصورا في مدرسة واحدة هي مدرسة حيفا الصناعية . وقد تم تزويد المدرسة بجميع المعدات والأبنية اللازمة سنة ١٩٣٦ . ولكن الثورة في تلك السنة أدت إلى احتلال الجيش البريطاني بناية المدرسة حتى ١٩٤٥ حين نقلت المدرسة إلى أبنيتها الخاصة .

كان طلاب المدرسة الصناعية يدفعون رسما رمزياً قدره ١٢ جنيها فلسطينيا كل سنة مقابل الدراسة والمسكن والمأكل . وتضمن برنامج الدراسة اللغة العربية والإنكليزية بالإضافة إلى نظريات الصناعة والتجارة والرسم الميكانيكي وأصول التجارة والحدادة وتصليح الآلات والاعتناء بالسيارات . وكانت الدراسة تستغرق ثلاث سنوات ، وعلى الطلبة قبل الالتحاق بالمدرسة الصناعية إتمام المرحلة الابتدائية الدراسية .

أما عدد الحصص الأسبوعية فكان ٤٥ حصة خصص منها للمواضيع الصناعية العملية ١٨ حصة في السنة الأولى و٢٧ حصة في السنة الثانية و٣٣ حصة في السنة الثالثة . وكانت بقية الحصص مخصصة للمواضيع العلمية .

وجاء في تقدير دائرة المعارف الفلسطينية أن ثلث الطلبة الذين تخرجوا من المدرسة اشتغلوا في مصفاة البترول في حيفا ، والثلث الآخر في دائرة الأشغال العامة في مدن مختلفة ، والتحق الثلث الأخير بوظائف في دائرة المعارف أو في الهيئات الخاصة .

أما التعليم الزراعي فكان مقصوراً على مدرسة خضوري الزراعية في طولكرم التي تشرف عليها دائرة الزراعة الفلسطينية ، لكن الإشراف عليها نقل إلى دائرة المعارف سنة ١٩٤٤ . وقد حل بالمدرسة الزراعية ما حل بمدرسة الصناعة في حيفا ، إذ احتل الجيش البريطاني أبنيتها طوال سني الثورة والحرب العالمية الثانية .

أتيحت الدراسة في مدرسة خضوري الزراعية للطلبة العرب الذين أتموا السنة الثانية الثانوية . ومدة الدراسة فيها سنتان . غير أن

جدول رقم (١)

الموضوع	الصف الأول	الصف الثاني	الصف الثالث	الصف الرابع	الصف الخامس	الصف السادس	الصف السابع
اللغة العربية	١٤	١١	١٢	٨	٨	٨	٨
اللغة الإنكليزية	—	—	—	٨	٨	٨	٨
الحساب	٥	٥	٥	٥	٥	٦	٦
الصحة	—	٣	٣	٢	٢	٢	٢
الديانة	٥	٥	٥	٤	٤	٣	٣
التاريخ والجغرافية	٢	٢	٣	٤	٤	٤	٤
العلوم	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٢
الرسم	٢	٢	٢	١	١	١	١
التربية البدنية	—	—	٣	١	١	١	١
المجموع	٣٠	٣٠	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥	٣٥

جدول رقم (٢)

الموضوع	الصف الأول الثانوي	الثاني الثانوي	الثالث الثانوي		الرابع الثانوي	
			الأدبي	العلمي	الأدبي	العلمي
الديانة	١	١	٢	٢	٢	٢
اللغة العربية	٧	٧	٥	٥	٥	٥
اللغة الإنكليزية	٨	٨	٨	٨	٨	٨
الرياضيات العامة	—	—	٥	٥	٤	٤
الحساب	٢	٢	—	—	—	—
الهندسة	٢	٢	—	—	—	—
الجبر	٣	٣	—	—	—	—
الرياضيات الإضافية	—	—	—	٥	—	٥
الطبيعيات	٣	٣	٥	٥	٥	٥
الكيمياء	١	١	—	٣	—	٣
النبات	١	—	—	—	—	—
الحيوان	—	١	—	—	—	—
اللغة اللاتينية واليونانية	—	—	٤	—	٤	—
التاريخ	٣	٣	٣	٣	٤	٤
الجغرافية	٢	٢	٣	—	٣	—
الرسم	١	١	—	—	—	—
التدريب البدني	١	١	—	—	—	—
التدريب اليدوي	—	—	٢	٢	٢	٢
الاستعداد	—	—	٢	١	٢	١
المجموع	٣٥	٣٥	٣٩	٣٩	٣٩	٣٩

تعديلات أجريت على المنهاج سنة ١٩٤٥ فزادت سنوات الدراسة سنة ثالثة . وقد خصصت تلك السنة للتدريب على أصول تعليم المنهاج الزراعي في مدارس الحكومة القروية .

وضم منهاج الصف الأول الزراعي دراسة النبات والحيوان والكيمياء وتربية الحيوانات والطيور ومبادىء الزراعة . أما الصف الثاني فكان لدراسة الصناعات الزراعية والتربة وتخصيبها وطرق الري المختلفة . وأعدت السنة الثالثة لتدريب المعلمين الزراعيين وتلقينهم أصول التربية وعلم النفس ووسائل تعليم الزراعة ومناهجها ، خصوصا في المدارس الابتدائية .

٤) المدارس الخاصة : انقسمت المدارس الخاصة (غير الحكومية) في فلسطين إلى قسمين : مدارس أجنبية ، ومدارس وطنية . أما الأجنبية فقد أنشأتها مؤسسات دينية مسيحية . وأشرفت على المدارس الوطنية هيئات عربية فلسطينية . وكان كلا النوعين ، الوطني والأجنبي ، يتبع بشكل عام منهاج دائرة المعارف الفلسطينية ، وتقسيماتها . وكانت معظم المدارس الوطنية الأهلية تؤهل الطلاب لتقديم فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية . أما الأجنبية فكانت تؤهل الطلاب لفحص الثانوية الفلسطينية وفحص جامعة لندن (لندن متريكو ليشن) .

وأهم المدارس الأجنبية مدرسة الفرندز للذكور وللإناث ، وكلتاهما في مدينة رام الله ، وكانت على الرغم من استقلالهما تتبعان إشراف هيئة واحدة . ومنهاج التدريس في كلتا المدرستين هو منهاج التعليم الفلسطيني ، إلاّ أن لغة التدريس في المرحلة الثانوية كانت اللغة الإنكليزية . أما الخريجون والخريجات فكانوا كثيرا ما يتممون دراستهم العالية في الجامعات الأمريكية ، ولا سيما الجامعة الأمريكية في بيروت .

ومن المدارس الأجنبية مدرسة تراسنطا للذكور في القدس . وكانت هيئة الإخوان الفرنسيسكان الأمريكية تشرف عليها . وقد ضمت المدرسة صف بستان أطفال وسبعة صفوف ابتدائية وأربعة ثانوية . وكان التعليم فيها باللغة العربية في المرحلة الابتدائية ، وباللغة الإنكليزية في المرحلة الثانوية . ومنهاج التعليم فيها هو المنهاج الحكومي ، وإن كانت المدرسة ، بالإضافة إلى ذلك ، تتيح للطلاب فرصة دراسة اللغتين الفرنسية والعبرية . وكان الطلاب عند تخرجهم يتقدمون إما لفحص الدراسة الثانوية الفلسطينية وإما لفحص جامعة لندن .

وقد برز من المدارس الوطنية الأهلية مدرسة النجاح * الوطنية في نابلس ، ومدرسة روضة المعارف الوطنية * في القدس . وكانت كلتا المدرستين تتبع منهاج دائرة المعارف ، ويتقدم الخريجون بعد إنهاء المرحلتين الابتدائية والثانوية إلى فحص الدراسة الثانوية الفلسطينية . وكان المعهدان يهتمان اهتماما خاصا بتدريس اللغة والتاريخ العربيين والديانة الإسلامية . كما اشتهرت بين مدارس القدس كلٌ من مدرستي النهضة والأمة وتميزتا بمستواهما العلمي والوطني .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ جبرائيل كاتول : التعليم في فلسطين ، الأبحاث ، ١٩٥٠ .
ـ عبد القادر يوسف : مستقبل التربية في العالم العربي في ضوء التجربة الفلسطينية ، القاهرة ١٩٦٢ .
ـ حولية الثقافة العربية : المجلد ٢ ، ١٩٤٩ .
— Abcarius, M.E: **Palestine Through the Fog of Propaganda,** London 1946.
— Antonius, G.: **The Arab Awakening,** New York 1965.
— Beck, C.: (Editor): **Perspectives on World Education** , Milwaki 1970.
— Farrel W.J.: **Education in Palestine : General Survey 1936-1945,** Jerusalem 1945.
— Government of Palestine : **A survery of Palestine,** Jerusalem 1946.
— Mathews, R. and Akrawi, M.: **Education in the Arab Countries of the Near East,** Washington 1949.
— Palestine, Department of Education, **Annual Reports.**
— **The Political History of Palestine Under the British Administration,** Jerusalem 1947.
— Tibawi , A.L. : **Arab Education in Mandatory Palestine,** London 1951.

الترجمة والمترجمون :

أسهم الفلسطينيون بنصيب طيب في الترجمة منذ وقت مبكر من النهضة العربية المعاصرة . وقد بدأوا نشاطهم في هذا الميدان منذ سنة ١٨٦٠ ، ومن بين الترجمات ما قام به يوسف دباس اليافي حول كتاب « مرشد الأولاد » لفرنسيسكو سوافيواس .

وأخذ هذا النشاط يتقدم بتقدم المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين رغم المعوّقات الاستعمارية وغيرها . فعرّب بندلي صليبا الجوزي * كتاب « الأمومة عند العرب » عن اللغة الألمانية وطبعه في قازان سنة ١٩٠٢ .

ونشأ مناخ ملائم للترجمة في فلسطين حين أخذت الصحف العربية فيها بالظهور . ولعل من بين هذه الصحف التي أسهمت في تنشيط الترجمة مجلة « النفائس العصرية » لخليل بيدس * الذي بذل جهدا كبيرا في الترجمة عن اللغة الروسية . فقد ترجم عنها ما لا

يقل عن أربعة كتب في سنتي ١٨٩٨ و١٨٩٩ ، وما لا يقل عن ستة كتب ما بين سنة ١٩٠٨ و١٩١٩ هـذا إلى جانب كثير من الروايات القصيرة التي كان ينشرها في أعداد مجلته . وقد انضم إلى خليل بيدس آخرون ترجموا عن الروسية ونشروا ما ترجموه أحيانا في مجلته " النفائس العصرية " ، مثل أنطوان بلّان أحد أساتذة المدرسة الروسية في الناصرة الذي نقل رواية « في سبيل الحب» سنة ١٩١٢ ، وحكايات قصيرة منها « سياحة في عالم الخيال » ، وخواطر من كتاب « طريق الخيال » لتولستوي وغيرها . ومثل سليمان بولس ، وإبراهيم جابر ، وعبد الكريم سمعان ، ولطف الله الخوري صرّاف ، والسيدة كلثوم عودة ، وفارس نقولا مدور .

وكما كانت مجلة « النفائس العصرية » بيئة منشطة للترجمة عن الروسية بسبب ثقافة صاحبها وبعض رفاقه كانت مدرسة « سيمنار» الروسية للطلاب في الناصرة ، ومدرسة السيمنار الروسية للطالبات في بيت جالا بيئتين منشطتين في هذا الميدان (رَ : الإرساليات الروسية ، مدارس). إذ قام بعض طلاب المدرستين المذكورتين بترجمة حكايات عن الروسية ونشروها في مجلة النفائس العصرية . ومن الذين ترجموا بكثرة عن الروسية كذلك سليم قبعين ونجاتي صدقي . فقد كان سليم قبعين من أوائل خريجي مدرسة السيمنار الروسية في الناصرة مسقط رأسه ، وكان له نشاط خصب في الصحافة المصرية ، وشارك في إنشاء عدد من الصحف هناك ، وكتب في عدد من صحف مصر ، وعرّف القراء العرب بكبار الكتّاب الروس أمثال ترغنيف ، وبوشكين ، ومكسيم غوركي ، وتولستوي وغيرهم . وقد ترجم عن الروسية « حكم النبي محمد » ، وكتاب « محكمة جهنم » لتولستوي ، و« أنشودة الحكم » لترغنيف ، وكتبا متعددة أخرى .

أما نجاتي صدقي فقد سافر إلى موسكو ودرس بجامعتها وحصل على بكالوريوس في الاقتصاد السياسي منها ، فأتاحت له ثقافته هذه الأسباب الملائمة للترجمة عن الروسية والتعريف بكتاب روس مشهورين ، وبجوانب بارزة من الأدب الروسي ، فنقل عن الروسية ومصادرها الأصلية نقلا دقيقا بلغة عربية صافية . وقد أثنى ميخائيل نعيمة على صنيعه في كتابه عن « بوشكين » الشاعر الروسي الذي نشره في سلسلة اقرأ (١٩٤٥) . وكان عمله عن تشيكوف الذي أصدره أيضاً في سلسلة اقرأ (١٩٤٧) من الأعمال التي حافظ فيها على روح المؤلف ومزاجه وتعابيره بعربية صافية دقيقة .

ولم يقتصر أثر مجلة النفائس العصرية ، وما أتاحته من مناخ ملائم للترجمة ، على النقل من اللغة الروسية بل تعدّاه إلى النقل من اللغة الألمانية كذلك . فقد ترجم جبران مطر عن الألمانية القصص والحكايات . وشارك في النقل من الألمانية بندلي الجوزي ، وإلياس نصر الله حدّاد الذي ترجم رواية « ناثان الحكيم » للكاتب الألماني لسنغ وطبعها في مطبعة الأيتام في القدس .

وقد أتاحت الظروف للطائفة الأرثوذكسية في القدس الاتصال باللغة اليونانية ، وكان لجرجي حنا السكسك جهد في هذا الميدان . واتصل توفيق اليازجي في يافا باليونانية الحديثة وترجم للشاعر اليوناني يوانس بوليتي قصيدته « الخمرة الممزوجة » .

وكان من الطبيعي أن تكون لفلسطين صلة باللغة التركية . وقد ترجم عبد الله مخلص * كتاب نامق كمال « سيرة الفاتح السلطان محمد الثاني » بعربية صافية ، وعرّب حسن صدقي الدجاني * رواية « حذار » الاجتماعية عن التركية ، ونقل عارف العزوني إلى العربية « ترانتا بايو ، من رسائل شاب حبشي إلى زوجته » وهي للشاعر التركي الكبير ناظم حكمت .

وقد عرف أبناء هذا القطر اللغة الفرنسية . وممن نقلوا من الفرنسية عادل جبر * الذي ترجم بحثا لماكس نوردو بعنوان « روح القومية » . ونقل إسحق موسى الحسيني والأب أسطفان سالم الفرنسيسي كتاب « فن إنشاد الشعر العربي » وطبعاه بمطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس سنة ١٩٤٥ .

ولعل في طليعة المترجمين الأصلاء في النهضة العربية عامة والثقافة الفلسطينية خاصة عادل زعيتر * الذي نقل عن الفرنسية ما يزيد على سبعة وثلاثين كتابا من أمهات الكتب في الثقافة الفرنسية ، وذلك بلغة عربية صافية ناصعة دقيقة .

أما الترجمة عن الإنكليزية فكان لها نصيب أوفر بسبب الاستعمار الإنكليزي المباشر لهذا القطر . وقد أتيح لهذه النافذة المهمة أعداد كبيرة من المترجمين نيّفوا على المئة .

ومن المبكرين في الترجمة عن الإنكليزية إبراهيم حنا وروز حسّون وبولس صدقي من القدس .

ومن أبرز الذين عرفوا في هذا الميدان : توفيق زيبق ، وأحمد شاكر الكرمي * ، ووديع البستاني * وأحمد سامح الخالدي * ، وعجاج نويهض * ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وسليم سلامة، وأميل بيدس ، وسميرة عزام * ، وعمر الديراوي أبو حجلة ، وإحسان عبّاس ، ونقولا زياده، وبرهان الدجاني ، وسلمى الخضراء الجيوسي ، وعبد الرحمن ياغي ، وإبراهيم ميخائيل عودة ، وإبراهيم مطر ، وأنيس صايغ ، وعبد الملك الناشف ، ومحمود السمرة ، وناجي علوش ، وعمر يمق ، وبكر عبّاس ، ومحمود زايد ، وخيري حمّاد * الذي كان أكثر المترجمين عدد كتب ، إذ بلغ عدد ما ترجمه ٥٠ كتابا عن الإنكليزية والفرنسية في السياسة والأدب والفلسفة والاستشراق والاقتصاد . ومن الكتب التي ترجمها مما له علاقة بالعرب وقضيتهم : ثورة الجزائر لجين غيلسبي (١٩٦١) ، معركة البترول لاستانتون هوب (١٩٦٢) ، اليهودي العالمي لهنري

فورد (١٩٦٨) ، الفتوحات العربية الكبرى لغلوب باشا (١٩٦٣) ، الإمبراطورية العربية الكبرى لغلوب باشا (١٩٦٧) ، الاستعمار الجديد لكوامي نكروما (١٩٦٧) ، العرب ، تاريخهم ، ومستقبلهم لجاك بنرك ، وثورة التصنيع في مصر .

والذي يتتبع نشاط هؤلاء الأعلام البارزين السابقين يجد أن ترجماتهم شملت ميادين متعددة في عالم الثقافة ، فتوفيق زيبق مثلا ترجم مقالات وقصصاً لمجلة النفائس العصرية ، وترجم كتاب « الحرية والمعيشة » لصحفي أمريكي ، وكتاب «ميزان النفس» الذي نشر فصولا منه في « معرض أقلام الزهرة » ، وكتاب « حديث المائدة » للكاتب الاجتماعي الشهير دوزن . وكان يغار على لغة الترجمة ويتشدد في مستواها . وترجم أحمد شاكر الكرمي سنة ١٩٢١ في « الكرميات » بعض شعر الشاعر الإنكليزي شلي ، وترجم أيضاً كتاباً للكاتب الفرنسي برناردين دوسان بيير عن الإنكليزية بعنوان « الفلسفة الشرقية أو نادي سوارت» ، ثم ترجم قصة « ما أغلاه » لجي دي موباسان عن الإنكليزية ، كما نقل عن الإنكليزية « أسطورة العمل والموت والمرض » للكاتب الروسي تولستوي . ونقل عن مارك توين « أسطورة الزهرة ـ فينوس » ، وعرّب رواية « مي ، أو الخريف والربيع » للشاعر الإنكليزي بوب ، ونشرها تباعا في مجلة الرابطة الأدبية بدمشق عام ١٩٢١ ، وعرّب قصة « خالد » للروائي الأمريكي المشهور ماريون كروفود .

أما وديع البستاني فكان له إسهام كبير في الترجمة عن الإنكليزية والهندية . وله مجموعة كبيرة من الكتب في القضايا السياسية والأبحاث الاجتماعية والشعر والأدب ، وفي مقدمة ديوانه « الفلسطينيات » قائمة بها .

ويعدّ أحمد سامح الخالدي من أشهر الذين عنوا بالنقل عن الإنكليزية في ميدان التربية والتعليم وعلم النفس وإدارة الصفوف . وقد اشتهرت كتبه في هذا المجال في فلسطين والأقطار العربية أيضا .

وترجم عجاج نويهض عن الإنكليزية « حاضر العالم الإسلامي » ، وكتاب « النظام السياسي ـ نظرياته وأشكاله » الذي صدر في القدس سنة ١٩٣٩ .

أما جبرا إبراهيم جبرا فله ترجمات معروفة في عالم الأدب الصرف . وقد اشتهرت ترجماته بين المثقفين الفلسطينيين والعرب . وترجم أمين أبو شعر عن الإيطالية « جحيم دانتي » سنة ١٩٣٨ . ويطول الحديث عن المترجمين الآخرين الذين ورد ذكرهم قبل قليل ، وخاصة إذا عرفنا مثلا أن سليم سلامة نقل عن الإنكليزية ما لا يقل عن سبعة وعشرين كتابا ، وأن أميل بيدس نقل ما لا يقل عن أربعة وعشرين كتابا ، وأن سميرة عزام نقلت ما لا يقل عن اثني عشر كتابا ، وأن عمر الديراوي نقل ما لا يقل عن سبعة عشر كتابا .

ويتبيّن لمن يتتبع حركة الترجمة في فلسطين أن المبادرات الفردية ليست قليلة في هذا المجال ، لكن العين لا تخطىء أيضا ارتباط بعض المؤسسات بالترجمة وأثرها في كثرة عدد الكتب المترجمة . فالمجلات أو المؤسسات الصحفية ، وبعض دور النشر مثل مؤسسة فرانكلين ، اضطلعت بدور في ترجمة الكتب ، مما يدل على أن الذي يريد أن يخطط لتنشيط الترجمة ينبغي له أن يفكر في ربط هذا النشاط بمؤسسات تطلب ألوانا من المترجمات في فترات زمنية معينة .

ولا بد أخيرا من الإشارة إلى أعداد الباحثين والكتّاب والعلماء والدارسين الذين قصدوا الجامعات ودور العلم في البلدان الأوربية والأمريكية ، ونهلوا من ينابيعها ، ثم عادوا إلى الجامعات والمؤسسات المتعددة في العالم العربي وأخذوا ينقلون ما تعلموه باللغة الإنكليزية وغيرها من اللغات إلى اللغة العربية ، وعدد هؤلاء الفلسطينيين ليس قليلا ونشاطهم كبير .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ عرفان سعيد أبو حمد الهواري : أعلام من أرض السلام ، شفاعمرو ١٩٧٩ .
ـ محمود الأخرس : البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية ، عمان ١٩٧٢ .
ـ عيسى الناعوري : ثقافتنا في خمسين عاما ، عمان ١٩٧٢ .
ـ ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن ، القاهرة ١٩٥٧ .
ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

تَرْشيحا (بلدة ـ) :

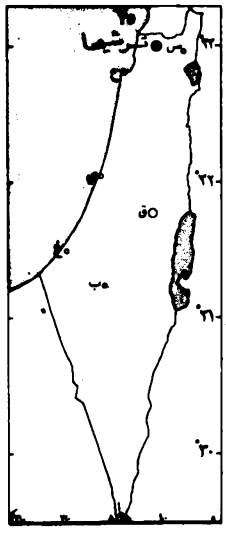

بلدة عربية تقع على مسافة ٢٧ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة عكا * . تربطها طرق معبدة بكل من عكا ونهاريا * ومعليا والرامة وحرفيش وسعسع * والجش وسحماتا * والكابري * .

أقيمت ترشيحا في الجزء الشرقي من جبل الشيخ علي أبو سعد أحد جبال الجليل * الغربي . وترتفع أكثر من ٥٠٠ م عن سطح البحر . ويتخذ مخططها شكلاً مستطيلا امتدت البلدة وفقا له في الجهتين الشرقية والغربية بحيث بلغت مساحتها في عام ١٩٤٥ نحو ٢٧٩ دونما . وقد بنيت معظم مبانيها بالحجر . وكانت تشتمل على عدد من المرافق

والخدمات العامة كالمحلات التجارية والمساجد والمدارس والعيادات الصحية . وهي من أهم قرى قضاء عكا في عهد الانتداب البريطاني ، إذ ضمت آنذاك مسجدين ومدرستين ابتدائيتين للبنين والبنات ، وكانت تقام فيها سوق أسبوعية يؤمها سكان القرى المجاورة . وكان فيها مجلس محلي يشرف على إدارتها وتنظيم شؤونها ، وقد بلغت وارداته في عام ١٩٤٤ نحو ١,٣٧٦ جنيهاً فلسطينياً ، ونفقاته نحو ٢,٠٧٦ ج . ف. وخلال حرب ١٩٤٨ * دمر الصهيونيون معظم ترشيحا بقنابل طائراتهم ومدافعهم فهاجر عدد كبير من سكانها العرب وبقي القليلون صامدين بالرغم من الاحتلال الصهيوني لها . وقد أنشأ الصهيونيون مستعمرة « معوناه» ملاصقة لبلدة ترشيحا العربية وفي طرفها الشمالي . ويطلق حاليا على الاثنتين اسم « معوناه ترشيحا » .

تبلغ مساحة أراضي ترشيحا والكابري معا ٤٧,٤٢٨ دونما منها ٩٠ دونما تسربت للصهيونيين . وتزرع الحبوب * في المنخفضات وبطون الأودية ، والأشجار المثمرة على المرتفعات . وتشغل أشجار الزيتون * أكبر مساحة بين الأشجار المثمرة ، إذ غرس منها أثناء فترة الانتداب ما مساحته ٤,٠٤٧ دونما . بذلك تكون ترشيحا ثالثة قرى قضاء عكا غرسا للزيتون . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار . ويستغل الصهيونيون المقيمون في معوناه الملاصقة لترشيحا جزءاً من أراضي ترشيحا في الزراعة المختلطة. وتنمو الشجيرات والأعشاب الطبيعية فوق قمم الجبال ومنحدراتها التي لا تصلح للزراعة .

كان في ترشيحا عام ١٩٢٢ نحو ١,٨٨٠ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٢,٥٢٢ نسمة كانوا يقيمون في ٥٨٤ بيتا . وفي عام ١٩٤٥ قدر عددهم بنحو ٣,٨٣٠ نسمة . ولكن عددهم انكمش إلى ٦٣٩ نسمة في عام ١٩٤٩ نتيجة لهجرة غالبية السكان إثر حرب ١٩٤٨ . وفي عام ١٩٦١ بلغ عدد السكان العرب ١,١٥٠ نسمة في ترشيحا ، ووصل عددهم مع السكان الصهيونيين في معوناه ترشيحا في نهاية عام ١٩٧٣ إلى نحو ٥,٤٥٠ نسمة .

تقوم قرية ترشيحا على موقع أثري يضم مدافن مقطوعة في الصخر وصهاريج للمياه ، وبالقرب منها عدة خرائب منها : خربة رويسات وخربة جدين وخربة جعتون وخربة عليا وخربة شغبا ، وفي سنة ١٩٣١ أجرت دائرة الآثار الفلسطينية تنقيبات أثرية في القبور المقطوعة في الصخر ، وتعود إلى القرن الرابع الميلادي . وقد عثر فيها على خواتم وأقراط وأختام مسطحة وتمائم (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة بنت جبيل .
ـ خوري وطوطح : جغرافية فلسطين ، القدس ١٩٢٣ .
ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٠ .

تَرْشيحـا (عملية ـ) :

في الذكرى السادسة والعشرين لاغتصاب فلسطين وقيام الكيان الصهيوني نفذت المقاومة الفلسطينية واحدة من عملياتها الانتحارية داخل فلسطين المحتلة رغم كل إجراءات الأمن التي اتخذتها السلطات الإسرائيلية لمواجهة أية عمليات فدائية .

في فجر ١٩٧٤/٥/١٥ قامت وحدة الشهيد كمال ناصر من الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * باقتحام مدرسة معالوت في ترشيحا * شمال فلسطين ، وكانت تضم نحو مائة من الطلاب الثانويين الإسرائيليين الذين كانوا يشاركون في برنامج لوزارة الدفاع الإسرائيلية للالتحاق بوحدات الجيش الإسرائيلي ، واحتجزت الطلاب رهائن .

تقدم الفدائيون بطلب إطلاق سراح ٢٦ مناضلا في السجون الإسرائيلية * مقابل حياة الرهائن . ووجّهوا بيانا إلى سكان معالوت حددوا فيه أهداف العملية . وأمهلوا السلطات الإسرائيلية فترة

زمنية قصيرة لتنفيذ مطالبهم وإلّا فإنهم سيعمدون إلى تفجير المبنى . وطلبوا من سفراء رومانيا وفرنسا وبلجيكا ومندوب الصليب الأحمر الدولي التوسّط لإطلاق سراح المناضلين المعتقلين. وبيّنوا لهم أنهم سيفرجون عن نصف الرهائن بعد وصول المناضلين الذين سيفرج عنهم إلى مطار دمشق ، ثم ينتقل الفدائيون والسفراء ومندوب الصليب الأحمر وبقية الرهائن إلى أحد المطارات حيث يتم الإفراج عن النصف الآخر من الرهائن بعد صعود الجميع إلى الطائرة ، ويبقى مع الفدائيين السفراء ومندوب الصليب الأحمر حتى وصول الطائرة إلى دمشق .

تظاهرت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بقبول مطالب الفدائيين ، وفي الوقت ذاته أعدّت خطة لاقتحام المدرسة . وبدأ الهجوم الإسرائيلي في الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر قبل

انتهاء الموعد المحدد بنصف ساعة فقط ودارت معركة عنيفة بين الفدائيين والقوات الإسرائيلية أقدم الفدائيون في إثر نفاد ذخائرهم على تفجير المبنى .

أسفرت عملية معالوت عن استشهاد الفدائيين الثلاثة أفراد الوحدة الانتحارية ومقتل ٢٧ من الرهائن وجرح الباقين . وقد اعترفت غولدا مائير رئيسة الحكومة الإسرائيلية آنذاك في بيان لها عن العملية أمام الكنيست * بمقتل ٢٤ وجرح الكثيرين .

المراجع :

ـ الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤ : بيروت ١٩٧٩ .
ـ شؤون فلسطينية : العددان ٣٤/٣٥ ، ١٩٧٤ .

تَرْقُومْيَا (بلدة ـ) :

بلدة عربية تبعد نحو ١٢ كم إلى الشمال الغربي من الخليل * . وتمر بها طريق الخليل ـ إذْنا المعبدة ، كما تمر على بعد كيلومتر واحد إلى الشمال منها طريق الخليل ـ بيت جبرين المعبدة ، وتصلها طريق معبدة بقرية بيت أولا الواقعة إلى الشمال الشرقي منها .

نشأت ترقوميا على أنقاض موقع قرية « يفتاح » العربية الكنعانية . وفي العهد الروماني عرفت باسم « تريكومياس » من أعمال بيت جبرين * . وترتفع قرابة ٥٠٠ م عن سطح البحر ، وتقوم على بقعة مرتفعة ومنبسطة بعض الشيء ، وتنحدر أرضها نحو الشمال الغربي لتشرف على وادي زيتا العميق المتسع الممتدّ مسافة كيلومتر إلى الشمال من البلدة ، وتسير بمحاذاة طرفه الطريق المؤدية إلى بيت جبرين . ويجري إلى الشرق من البلدة وادي القف ووادي القصب رافدا وادي زيتا .

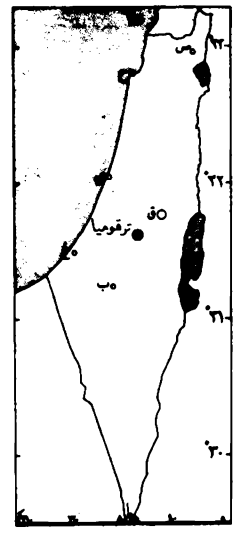

بيوت ترقوميا مبنية من الطين أو الإسمنت أو الحجر . ويتخذ مخططها التنظيمي شكل المستطيل ، ويتجه النمو العمراني في امتداد جنوبي غربي ـ شمالي شرقي . وتتناثر بعض المحلات التجارية بين أحياء البلدة التي تضم أيضا ثلاث مدارس ابتدائية وإعدادية للبنين والبنات . وفي ترقوميا مسجد قديم تم توسيعه في عام ١٩٣٩ . وفيها مزار يحمل اسم الشيخ قيس ، ويعتقد أنه ضريح أحد الصحابة الذين استشهدوا في صدر الإسلام ، وقد أقيم على هذا المزار مسجد صغير . وتشرب البلدة من مياه الأمطار ، ومن مياه الآبار * والينابيع المجاورة . ونتج عن التوسع العمراني للبلدة ازدياد مساحتها من ١٥٢ دونما عام ١٩٤٥ إلى نحو ٣٠٠ دونم سنة ١٩٨٠ .

تبلغ مساحة أراضي ترقوميا ٢١,١٨٨ دونما منها ١٠ دونمات للطرق * والأودية . وتنتج أراضيها الزراعية مختلف أنواع المحاصيل الزراعية من حبوب * وخضر * وأشجار مثمرة . وأهم محاصيلها الزيتون * الذي تحيط أشجاره بالبلدة من جميع جهاتها ، والعنب * والتين واللوز والتفاح والمشمش والبرقوق . وتنمو أشجار الحراج الطبيعية من بلوط وبطم وسنديان فوق التلال الممتدة إلى الغرب من ترقوميا (رَ : النباتات الطبيعية) . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وتوجد بعض الينابيع والآبار في الأراضي الممتدة جنوبي البلدة .

بلغ عدد سكان ترقوميا في عام ١٩٢٢ نحو ٩٧٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ١,١٧٣ نسمة يقيمون في ٢٢٥ بيتا . وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٥٥٠ نسمة . ووصل عددهم حسب تعداد ١٩٦١ إلى ٢,٦٥١ نسمة . ويقدر عددهم عام ١٩٨٠ بأكثر من ٥,٠٠٠ نسمة . ويعود أكثر هؤلاء السكان في أصولهم إلى مصر والأردن والخليل .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الخليل .

تركيا الفتاة (جمعية ـ) :

رَ : الاتحاد والترقي (جمعية ـ)

التسليح (مؤتمر) : رَ : نابلس (مؤتمر ـ ١٩٣١)

تشرشل (كتاب ـ الأبيض) :

أدرك الفلسطينيون مدى خطورة وعد بلفور * على مستقبلهم . وتعزز هذا الشعور بتدفق المهاجرين الصهيونيين وابتياعهم الأراضي في كل مكان وطرد الفلاحين العرب من مزارعهم . وانفجر هذا الشعور بشكل عنيف في عامي ١٩١٩ و١٩٢٠ (رَ : ثورة ١٩٢٠) . وتوجّه ونستون تشرشل ، وزير المستعمرات آنئذ عام ١٩٢١ في زيارة الى مصر وفلسطين اطلع خلالها على المشكلة ميدانيا ، واستمع إلى آراء الوفد العربي برئاسة موسى كاظم

الحسيني * الذي طالب بإلغاء وعد بلفور كليا . وبعد عودة تشرشل إلى لندن بشهر اندلعت موجة جديدة من العنف أدت إلى مزيد من الضحايا . وفي آب ١٩٢١ حضر وفد عربي إلى لندن وقابل الوزير البريطاني ملحا على إلغاء وعد بلفور .

ورغم تعاطف تشرشل مع الصهيونية فإنه لم يكن قد لعب أي دور يذكر في إصدار وعد بلفور ، ولم يبد اهتماما كبيرا بقضايا الوطن العربي . وعندما جرى نقل انتداب فلسطين إلى وزارته كان جاهلاً تفاصيل المشكلة . ولكن ذلك لم يحل دون إدراكه كنه النزاع وصعوباته . ورغم ما أبداه من تبسيط للموضوع واستخفاف بمخاوف العرب التي لم يجد مسوغا لها فإن الكتاب الأبيض الذي أصدره في هذا الشأن ظل من أهم الوثائق وأخطرها بالنسبة للتطورات اللاحقة .

وافق البرلمان البريطاني على الكتاب بتاريخ ١٩٢٢/٦/٦ ، وفيه شرحت وزارة المستعمرات سياسة بريطانيا في فلسطين وتفسيرها لوعد بلفور . واعتمادا على حرفية النص بيّنت الوزارة أن الغرض ليس تحويل جميع فلسطين إلى وطن يهودي بل إقامة هذا الوطن في جزء منها ، على ألاّ يؤدي ذلك إلى إخضاع السكان العرب أو اختفاء اللغة أو الثقافة العربية . ونفى الكتاب تصريح وايزمن بالعزم على " أن تكون فلسطين يهودية كما تكون أمريكا أمريكية وإنكلترا إنكليزية " . ونفى الكتاب الأبيض حجة العرب بتعهدات إنكلترا إلى الشريف حسين ، وأصر على أن فلسطين قد استثنيت من التعهدات بناء على الفقرة الواردة في رسالة مكماهون إلى الحسين بتاريخ ١٩١٥/١٠/٢٤ التي أشارت إلى الجهة الواقعة غربي دمشق (رَ : الحسين ـ مكماهون ، مراسلات) .

ووعد تشرشل في الكتاب الأبيض بإقامة حكم ذاتي يتم تحقيقه بعد مرحلة تدار فيها البلاد عن طريق مجلس تشريعي يتألف من تسعة أعضاء عرب مسلمين وثلاثة عرب مسيحيين وثلاثة يهود ينتخبون جميعا ، ثم من أحد عشر عضوا رسميا تعينهم السلطة التنفيذية . وأكد الكتاب تمسك إنكلترا بوعد بلفور ، وبأن وجود الشعب اليهودي في فلسطين يقوم على حق ، وليس من باب المنّة . وحرصا على عدم الإساءة إلى حقوق السكان غير اليهود قيدت الهجرة " بقدرة البلاد الاقتصادية في الفترة المعينة على استيعاب المهاجرين الجدد " ، وهي القاعدة التي أصبحت الأساس الذي تذرعت به حكومة الانتداب في استقبال المهاجرين ، والنقطة التي دارت حولها الخصومات العنيفة بين السكان العرب والصهيونيين حتى آخر يوم من الحكم البريطاني .

قبلت المنظمة الصهيونية * الكتاب الأبيض بالنظر لتأكيده وعد بلفور وحق اليهود في الهجرة إلى فلسطين وإقامة وطنهم القومي فيه . أما الجانب العربي الذي كان مصرًّا على ضرورة إلغاء وعد بلفور وعدم الاعتراف بالسياسة القائمة عليه وإيقاف الهجرة اليهودية فقد وجد من واجبه رفض الكتاب الأبيض رفضاً كليا ، واعتبر فكرة المجلس التشريعي ذريعة ماكرة للحصول على اعتراف العرب بالانتداب وبوعد بلفور وبجميع القرارات والسياسات التي تسنّها الإدارة البريطانية عن طريق هذا المجلس الذي تكون فيه أصوات الممثلين الرسميين واليهود أكثر من أصوات الممثلين العرب . ولوحظ كذلك أن ربط الهجرة بالقدرة الاقتصادية للبلاد ، وعدم حرمان السكان الأصليين من أعمالهم الحالية فقط يعنيان في الواقع تقليصا لاشتراطات وعد بلفور وصك الانتداب التي أكدت على مراعاة الحقوق المدنية بصورتها المطلقة ، لا الاقتصادية فقط .

المراجع :

ـ حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، القاهرة ١٩٧٠ .

— **Command Paper** No. 1700, 1922.

— Jeffries, J.: **Palestine the Reality,** London 1939.

— Royal Institue of International Affairs: Great Britain and Palestine ,**Information Papers** No 20.

— Sykes, C.: **Cross Roads to Israel,** London 1965.

التشهير : رَ : مناهضة التشهير (رابطة ـ) :

تشيكوسلوفاكيا : رَ : أوربا الشرقية (دول ـ)

تشيلي : رَ : أمريكا اللاتينية (دول ـ)

التضاريس : رَ : البنية والبناء الجيولوجي

التضامن الآسيوي ـ الإفريقي (منظمة ـ) :

انطلقت فكرة التضامن الإفريقي ـ الآسيوي من مؤتمر باندونغ (١٩٥٥) عندما أدركت الدول الآسيوية والإفريقية أهمية توحيد جهودها للتصدي للمشكلات التي تواجهها . وابتداء من هذا المؤتمر أخذت قضية فلسطين تحظى بدعم الشعوب الإفريقية والآسيوية ، إذ أقر المؤتمر " تأييد مبادىء حقوق الإنسان ومبدأ تقرير المصير للشعوب والأمم " . وبالتالي أقر تأييد حقوق شعب فلسطين

العربي ، فجاء في القرار " نظراً لحالة التوتر القائمة في الشرق الأوسط بسبب الحالة في فلسطين ، ونظراً إلى ما ينطوي عليه ذلك من خطر على السلام العالمي يعلن المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي تأييده الكامل لحقوق شعب فلسطين العربي ، ويدعو إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي تحقق تسوية سلمية لمسألة فلسطين " .

وقد تبلور التعاون الإفريقي ـ الآسيوي بصورة منظمة عبر منظمة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي التي ظهرت للوجود بعد فترة وجيزة من مؤتمر باندونغ . فحين تعرّضت مصر للعدوان الثلاثي (ر : حرب ١٩٥٦) انعقد المؤتمر الاشتراكي الآسيوي في بومبي بالهند في تشرين الثاني ١٩٥٦ ، وأعلن مندوبو ٢٣ دولة آسيوية حضرت هذا المؤتمر استنكارهم للعدوان . ثم اجتمعت اللجنة العامة للتضامن الآسيوي في ١٩٥٦/١٢/٢٩ وتقرر فيها أن تتحول حركة التضامن الآسيوي إلى حركة تضامن آسيوي ـ إفريقي .

انعقد أول مؤتمر لحركة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي بجامعة القاهرة في الفترة من ١٩٥٧/١٢/٢٦ إلى ١٩٥٨/١/١ . وحضر هذا المؤتمر ١٥٠ مندوبا يمثلون ٤٨ شعبا من شعوب القارتين . واهتم المؤتمر بالتقرير الذي قدمه الوفد الفلسطيني وعرض فيه نواحي القضية الفلسطينية ، وأبرز فيه بوضوح حقيقة (إسرائيل) وطبيعتها الاستعمارية العدوانية العنصرية التوسعية ودورها الذي تلعبه في مقاومة التحرر والتقدم وفي تهديد الأمن والسلام في هذه المنطقة . وأعلن المؤتمر تبنّيه لهذا التقرير المقدم من الوفد الفلسطيني ، وأكد حقوق العرب في فلسطين ، وأعلن عطفه على اللاجئين ، وأيّد جميع حقوقهم ، وطالب بعودتهم إلى وطنهم . وعُقد في القاهرة " مؤتمر الشباب الإفريقي ـ الآسيوي " بين ٢ و١٩٥٨/٢/٨ . وناشد المؤتمر شباب إفريقيا وآسيا أن يحمل الحكومات الإفريقية والآسيوية وغيرها على مساعدة حركات الكفاح الوطني في أقطار القارتين بمختلف الوسائل والطرق ، وعلى رأس هذه الأقطار فلسطين .

انعقد المؤتمر الثاني لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في كوناكري عاصمة غينيا بين ١١ و١٩٦٠/٤/١٥ ، وحضر هذا المؤتمر ٧٠ وفدا يمثلون شعوب القارتين . وقد شكّل المؤتمر لجنة خاصة لدراسة القضية الفلسطينية لأنها ـ كما ذكر المؤتمر في قراراته ـ قضية فريدة في نوعها ، ومأساة من أكبر المآسي الإنسانية . وأشار المؤتمر في قراره بشأن فلسطين إلى أن (إسرائيل) خلقت في هذا المكان لتكون نقطة ارتكاز لمهاجمة حركات التحرر لاخضاعها من جديد . ولذلك اتخذ المؤتمر قرارات قوية بتأييد جميع الحقوق الثابتة لشعب فلسطين وفي مقدمتها حقه الكامل في العودة إلى وطنه كما أمرت بذلك منظمة الأمم المتحدة . وأوصى المؤتمر شعوب العالم كلها بالاعتراف بكيان شعب فلسطين على أنه الممثل الوحيد لفلسطين . وأكد القرارات التي اتخذها المؤتمر الأول للتضامن الإفريقي ـ الآسيوي بخصوص فلسطين . وطالب المؤتمر منظمة الأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها بشأن فلسطين ، وإرغام (إسرائيل) على الانصياع لهذه القرارات .

وعقد المؤتمر الثالث لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في تانزانيا (١٩٦٣) . وحضره ٦٠ وفدا من الأعضاء في منظمة التضامن الآسيوي ـ الإفريقي ، ونحو ٤٠ وفدا بصفة مراقب . واتخذ المؤتمر قرارا خاصا بقضية فلسطين ورد فيه : " وفلسطين التي أوجد فيها الاستعمار رأس حربة استعمارية أسماها إسرائيل " .

وإذا كان عام ١٩٦٤ قد تميز منذ بدايته بتحرك القضية الفلسطينية على المستوى الجماعي العربي لأول مرة منذ نكبة ١٩٤٨ ، وذلك من خلال مقررات مؤتمر القمة العربي الأول الصادرة في ١٩٦٤/١/١٧ ، فإن هذه المقررات قد أكدت لأول مرة اتفاق الرأي لدى رؤساء الدول العربية وملوكها على أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه دول القارتين آسيا وإفريقيا ، سلبا أو إيجابا ، بالنسبة إلى الصراع العربي ـ الإسرائيلي . وإذا كانت هذه المقررات قد ذهبت إلى أن العرب في موقفهم الدفاعي العادل سينظّمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بمختلف الدول " على أساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية في العالم العربي " فإن المقررات المذكورة قد توجهت إلى الدول الإفريقية والآسيوية ، وهي التي " آمنت بمبادىء باندونغ وارتبطت الإفريقية منها بميثاق أديس أبابا ، وضحّت بالكثير في محاربة الاستعمار وكافحت التمييز العنصري ، وتعرضت ولا تزال تتعرض للأخطار والمطامع الاستعمارية والصهيونية وخاصة في إفريقيا " ، توجهت إليها بالأمل في أن " تقدم صادق التأييد والعون للعرب في نضالهم العادل " (رَ : القمة العربية ، مؤتمرات) .

ولقد تضمنت تلك المقررات ترحيب الرؤساء والملوك العرب بميثاق الوحدة الإفريقية الذي وجدوا فيه " أملاً جديدا للسلام والحرية والمساواة في إفريقيا والعالم . كما أكدوا تصميمهم على دعم التعاون الآسيوي ـ الإفريقي الذي بدأ خاصة منذ مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ " . وقد كان مجلس منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية أول من استجاب لهذا النداء فوجّه من مكان انعقاده في الجزائر في ١٩٦٤/٣/٢٧ نداء إلى شعوب القارتين وإلى عمال العالم أجمع " لتأييد شعب فلسطين في قضيته الكبرى ونضاله الباسل من أجل حقوقه المشروعة " . وأعلن المجلس أنه أصبح من المؤكد لدى جميع شعوب آسيا وإفريقيا ، وعلى كافة المستويات ، " أن إسرائيل هي

قاعدة للاستعمار بشتى أنواعه ، وأنه من الواجب اتخاذ إجراءات حاسمة للحدّ من نشاطها " .

إذا كانت المواقف الجماعية للعالم الإفريقي ـ الآسيوي بالنسبة إلى قضية فلسطين قد برزت عام ١٩٦٤ خلال المؤتمر الثاني لدول عدم الانحياز الذي عقد في القاهرة من ٥ ـ ١٠/١١/١٩٦٤ فإن هذه المواقف قد برزت عام ١٩٦٥ من خلال المؤتمرات غير الرسمية التي عقدت في أماكن مختلفة من القارتين ، وفي أكثر من مجال :

١) فقد جاء في البيان الختامي للمؤتمر الإسلامي العالمي السادس الذي عقد في مقاديشو (عاصمة الصومال) في ٢/١/١٩٦٥ شجب للصهيونية العالمية و(إسرائيل) وما قامت به بمساعدة الدول الاستعمارية الكبرى " من سلخ أعز بقعة مقدسة من العالم الإسلامي " . كما تضمن مطالبة العالم الإسلامي بالوقوف صفا واحدا لاستعادة فلسطين .

٢) وتضمن البيان الذي صدر بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر الاقتصادي الإفريقي ـ الآسيوي في مدينة الجزائر في ٢٧/٢/١٩٦٥ تأييد المؤتمر " الذي لا يتزعزع للشعب الفلسطيني في كفاحه العادل ضد إسرائيل أداة الاستعمار ، ومن أجل عودة اللاجئين العرب إلى وطنهم " .

٣) وقرر المؤتمر الآسيوي ـ الإفريقي الإسلامي الذي عقد في جاكرتا بأندونيسيا من ٤ إلى ١٠/٣/١٩٦٥ بحضور ممثلين عن المنظمات الإسلامية في ٣٥ دولة أن على جميع الأقطار الإسلامية والمسلمين في كل مكان تقديم العون المعنوي لمنظمة التحرير الفلسطينية * ، واعتبار يوم ١٥ أيار من كل عام يوم احتجاج ضد إنشاء (إسرائيل) بواسطة الاستعمار .

٤) وفي ٢٦/٣/١٩٦٥ أصدرت الأمانة العامة لمؤتمر الصحافيين الإفريقيين والآسيويين في جاكرتا بيانا بمناسبة الكشف عن صفقة السلاح الألمانية الغربية (لإسرائيل) أعلنت فيه أن هذه الأسلحة ليست في حقيقتها غير عدوان أمريكي وألماني سافر على البلاد العربية لأنها تدعم الاحتلال الإسرائيلي وتقوّيه ضد العرب أصحاب الحق المشروع في فلسطين . ودعت الأمانة في بيانها كافة الصحافيين الشرفاء في العالم " لمؤازرة الشعب العربي ضد المؤامرات الأمريكية والألمانية والإسرائيلية ، ومشاركته في فضح خطة الاستعمار الرامية إلى إثارة الشغب وروح الحرب في الشرق الأوسط وفي الوطن العربي بشكل خاص " .

٥) ووجه المؤتمر الدولي للمعلمين المنعقد في مدينة الجزائر في بيانه الصادر في ختام اجتماعاته في ١٦/٤/١٩٦٥ نداء إلى منظمات التعليم في سائر أنحاء العالم لتنظيم حملة تضامن لدعم الكفاح ضد الصهيونية المناصرة للامبريالية والمعادية لتقدم الإنسانية . وطالب بالإجماع بإعادة اللاجئين العرب الفلسطينيين إلى وطنهم وتعويضهم عن الخسائر التي تكبدوها .

٦) وجاء في بيان أصدرته أمانة منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية في ٢٤/٤/١٩٦٥ بمناسبة تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه : إن قضية فلسطين ليست قضية لاجئين ، بل هي قضية اغتصاب وطن بجريمة صهيونية استعمارية ، وإن من حق الشعب العربي الفلسطيني أن يكافح من أجل استعادة وطنه كاملا .

٧) واتخذ مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الثاني المنعقد في القاهرة خلال شهر أيار ١٩٦٥ بحضور ممثلي ٣٥ دولة من دول آسيا وإفريقيا وأوربا قرارا في ١٦/٥/١٩٦٥ أعلن فيه " باسم المسلمين جميعا ، استنكاره الشديد لموقف حكومة جمهورية ألمانيا الاتحادية من قضية فلسطين واعترافها بحكومة إسرائيل " . ودعا الدول الإسلامية إلى أن تقف من قضية فلسطين " الموقف الذي يحتمه الدين عليها ، وأن تؤيد الدول العربية في قرارها بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية " .

وتضمنت قرارات المؤتمر الرابع لتضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية المنعقد في ونيبا في غانا (١٦/٥/١٩٦٥) تأكيد المؤتمر لجميع القرارات السابقة التي أصدرتها مؤتمرات تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية بتأييد حقوق الشعب الفلسطيني في تحرير وطنه ، واعتبار (إسرائيل) قاعدة عدوانية للاستعمار القديم والجديد تهدد تقدم وأمن وسلامة الشرق الأوسط والسلام العالمي . كما دان المؤتمر الذي حضرته وفود من ٧٠ دولة قيام (إسرائيل) في الجزء المحتل من فلسطين العربية ، وأعلن تأييده لمنظمة التحرير الفلسطينية في كفاحها العادل لتحرير فلسطين . وبعد أن أعلن المؤتمر استنكاره ومقاومته للهجرة اليهودية الجماعية إلى (إسرائيل) ناشد الهيئات الوطنية في القارتين مكافحة التسلل الصهيوني إليها ، والضغط على حكوماتها لإلغاء الاتفاقات المعقودة بينها وبين (إسرائيل) ، ومقاطعة (إسرائيل) سياسيا واقتصاديا ، والعمل على طردها من الأمم المتحدة . كما أعلن أن قضية فلسطين لا تحل إلّا ضمن المخطط العام لتصفية الاستعمار .

وانعقد مؤتمر الكتّاب الإفريقيين والآسيويين في بكين يوم ٩/٧/١٩٦٦ ، وأصدر قرارا خاصا بفلسطين جاء فيه :

" نحن كتاب إفريقيا وآسيا إيمانا منا بحق الشعوب في الحرية والاستقلال ، وحق تقرير المصير ، ووفاء منا للمبادىء الثورية في هذا المؤتمر ، وهي وحدة الهدف ووحدة المصير بالنسبة للشعوب في كفاحها المشترك ضد الاستعمار والامبريالية ، فإن المؤتمر :

" ١) يعتبر الصهيونية حركة استعمارية بطبيعتها ونشأتها ،

عدوانية في أهدافها عنصرية في بنيانها فاشية في أساليبها ووسائلها .

"٢) يعتبر ما يسمى إسرائيل قاعدة استعمارية وأداة طيّعة في يد الاستعمار يستخدمها لأغراض العدوان ومن أجل أغراض التسلل الاستعماري الاقتصادي والسياسي والثقافي إلى أقطار القارات الثلاث آسيا وإفريقيا وأميركا اللاتينية . ويعتبر إسرائيل والحالة هذه أداة لتهديد السلم والأمن العالمي وعاملا عائقا للتقدم والتطور في المنطقة

"٣) يشجب الحركة الصهيونية والوجود الإسرائيلي في الجزء المحتل من فلسطين .

" ٤) يعتبر حق الشعب العربي الفلسطيني في تحرير وطنه امتدادا لحقه الطبيعي في الدفاع عن النفس وتقرير المصير .

" ٥) يطلب قطع جميع العلاقات السياسية مع إسرائيل ، ويطلب مقاطعتها اقتصاديا وثقافيا وطردها من المنظمات الدولية. ويطلب بصورة خاصة من جميع الكتّاب الثوريين والأحزاب والهيئات التقدمية أن يضاعفوا جهدهم لمقاومة التسلل الصهيوني إلى أقطارهم ومن أجل إلغاء الاتفاقات المعقودة بين بلادهم وإسرائيل .

" ٦) يشجب مؤامرة أمريكا وبريطانيا وألمانيا الغربية التي تستهدف دعم إسرائيل وحمايتها وتزويدها بالأسلحة الفتاكة للاعتداء على العرب ولمنعهم من حريتهم ووحدة بلادهم .

" ٧) يشجب بشدة الهجرة المتدفقة إلى فلسطين المحتلة ، تلك الهجرة التي نظمها الاستعمار والصهيونية من أجل دعم الاحتلال الصهيوني لفلسطين وأهدافه العدوانية .

" ٨) يحذر مما يدعى المساعدات الفنية والاقتصادية التي تقدمها إسرائيل ، ويعتبرها صورة مبطنة للامبريالية الأمريكية والاستعمار الجديد .

" ٩) يناشد جميع الهيئات والمنظمات الوطنية والدول المتحررة أن تقدم العون المادي والمالي لشعب فلسطين في نضاله ضد الصهيونية والاستعمار .

" ١٠) يطالب بوجوب تصفية إسرائيل ككيان استعماري يعتمد إعتمادا كليا على الامبريالية العالمية .

" ١١) يشجب بعنف وشدة المساعدة الإستراتيجية التي تقدمها إسرائيل إلى بعض الحكومات العميلة في إفريقيا من أجل قمع الحركات التحررية في أقطارها ، وفي مقدمتها الكونغو ليوبولدفيل (وهي زائير في الوقت الحاضر) .

" ١٢) يؤيد منظمة التحرير الفلسطينية في نضالها من أجل تحرير فلسطين " .

كانت منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية ، ومقرها القاهرة ، تدين (إسرائيل) في مختلف المؤتمرات التي نظمتها واشترك فيها السياسيون والمحامون والكتّاب وغيرهم . وتمشيا مع هذا الخط السياسي تبنّت هذه المنظمة التي تضم ٥٠ دولة في ١٩٦٧/٧/٣ مشروع قرار من ١٥ نقطة يشجب العدوان الإسرائيلي على الأراضي العربية ويطالب بدفع تعويضات للعرب عن خسائرهم في الحرب .

ولمناسبة ذكرى مرور عامين على العدوان الإسرائيلي في حرب ١٩٦٧ * أصدرت اللجنة التنفيذية لمنظمة تضامن شعوب إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية يوم ١٩٦٩/٥/٢٩ في هافانا نداء إلى القوى الثورية والدول الاشتراكية وحكومات الدول الآسيوية والإفريقية لتأييد الشعوب العربية ، بما في ذلك الشعب الفلسطيني ، ضد العدوان الإسرائيلي وزيادة دعمهم وتأكيد تضامنهم مع شعب فلسطين في نضاله البطولي من أجل تحرير وطنه ، ودعم المنظمات الفلسطينية ومدّها بكل ما تحتاج إليه من دعم مادي وأدبي .

وفي ١٩٧١/٦/٢٤ صدر بيان عن اجتماع الدورة العاشرة للجنة التنفيذية لمنظمة تضامن الشّعوب الإفريقية ـ الآسيوية في دمشق . وقد شجب البيان العدوان الإسرائيلي على البلاد العربية في حزيران ١٩٦٧ ، وطالب بانسحاب القوات الإسرائيلية الكامل من جميع الأراضي العربية التي احتلتها في ذلك العدوان ، ودان مبدأ ضم الأراضي بالقوة . كما شجب البيان كلا من (إسرائيل) وجنوبي أفريقيا وفقا لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٦٤٩ الذي صدر في ١٩٧٠/١١/٣٠ وشجب تلك الدولتين اللتين تنكرتا لحق تقرير المصير بالنسبة إلى الشعوب ، وخصوصا الشعب العربي الفلسطيني وشعب جنوبي إفريقيا . واعترف البيان بشرعية المقاومة الفلسطينية ضد (إسرائيل)، وشجب كلا من حكومتي الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية لمساندتها ودعمها (لإسرائيل) بالمال والسلاح ، مما مكنها من التوسع على حساب الشعب العربي . وطالب البيان كلا من مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة بتنفيذ قراراتها بشأن إيفاد ممثل للأمين العام للأمم المتحدة ولجنة دولية للتحقيق في معاملة (إسرائيل) لسكان الأراضي العربية المحتلة ، واستقصاء أحوال السجناء العرب في سجون (إسرائيل) . وقد حذر البيان شعوب آسيا وإفريقيا والحركات التحررية فيها ، وخصوصا حركات العمال ومنظماتهم ، من التغلغل الأمريكي والاستعمار الجديد بواسطة (إسرائيل) تحت ستار الإغراء بالمساعدات .

وعقد في القاهرة بين ١٠ و١٩٧٢/١/١٣ المؤتمر الخامس لمنظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية ، ومثلت الوفود العاملة والمراقبة التي حضرت المؤتمر القوى المناهضة للامبريالية ، وفيها وفد

اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد تضمنت قرارات اللجان المختصة ، وخاصة لجنة الشرق الأوسط ولجنة الاستعمار الجديد واللجنة الاقتصادية ، وكذلك في البيان الختامي ، قسطا كبيرا من شجب العدوان الإسرائيلي وإدانة التعاون الامبريالي ـ الصهيوني ومن تأييد قضية التحرر والكفاح المسلح وحق تقرير المصير .

ولكن الوفد الفلسطيني لم يستطع أن يستبعد من القرار ٢ للجنة الشرق الأوسط حول العدوان الإسرائيلي على الشعوب العربية الفقرة التي أشارت إلى قرار مجلس الأمن ٢٤٢ على الشكل التالي : " وإن منظمة تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية تؤيد جهود الدول العربية الرامية إلى إيجاد تسوية لأزمة الشرق الأوسط على أساس تنفيذ قرار مجلس الأمن الصادر في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ بكافة بنوده . كما ترحب المنظمة بالمقترحات البناءة التي تقدمت بها جمهورية مصر العربية وعدد من الدول العربية الأخرى بهدف البحث عن وسائل سياسية لحل الصراع ، وهي المقترحات التي أيدتها غالبية دول العالم والمجتمع الدولي " .

وشارك وفد الثورة الفلسطينية في مؤتمر تضامن الشعوب الإفريقية ـ الآسيوية الذي انعقد في عدن بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٤ ، وأكد خلاله تلاحم الثورة مع قوى التحرر العربية والعالمية ، ونادى بسقوط المحاولات الاستسلامية لفرض التسويات في المنطقة ، وطالب بمواصلة حرب التحرير الشعبية لتحقيق أهداف الثورة الفلسطينية .

وفي ١٩٧٥/٩/١٩ انعقد في موسكو المجلس الثاني عشر لمنظمة التضامن الإفريقي ـ الآسيوي ، وأصدر قرارا خاصا بفلسطين أكد فيه : "ضرورة مواصلة النضال بلا هوادة من أجل تحرير كامل الأراضي العربية المحتلة ، وتحقيق الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني كما أقرتها مبادىء ومواثيق الأمم المتحدة ، بما فيها حقه في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره بحرية على أرضه وإقامة دولته الوطنية المستقلة ، باعتبار ذلك شرطا أساسيا لتحقيق السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط " .

ودعا المجلس إلى " زيادة دعم كفاح الشعب العربي الفلسطيني المسلح والسياسي بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بكل وسائل الدعم السياسية والمادية والعملية في كل المجالات " . وأعلن أنه " يدين كل محاولة للتراجع في هذا المجال ، ويشجب الاجتماع محاولات ضرب الثورة الفلسطينية ، وخاصة التآمر الإجرامي الذي تتعرض له من قبل القوى الرجعية في لبنان " . وأعلن أنه يشجب " الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة على الشعب اللبناني والشعب العربي الفلسطيني داخل الأراضي اللبنانية وفي الأراضي المحتلة ، كما يدين سياسة الاضطهاد والعنصرية وتهويد الأراضي العربية التي تمارسها سلطات العدوان الإسرائيلي في الأراضي العربية المحتلة ، ويدعو كافة القوى الديمقراطية في العالم إلى التضامن مع آلاف المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الإسرائيلي ، والعمل من أجل الإفراج الفوري عنهم " .

وأعلن المجلس " تضامنه مع النضال المتفاني لشعب فلسطين العربي وطليعته النضالية منظمة التحرير الفلسطينية المعترف بها دوليا على نطاق واسع ، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد لشعب فلسطين ، الأمر الذي تم تسجيله في قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط ، وقرار الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٣٢٣٧ لعام ١٩٧٤ ، وقرارات رؤساء دول منظمة الوحدة الإفريقية ، واجتماع ليما لوزراء خارجية البلدان غير المنحازة ، وقرار المؤتمر الثاني والستين للاتحاد البرلماني الدولي *" .

المراجع :

ـ شوقي الجمال : التضامن الآسيوي ـ الإفريقي وأثره في القضايا العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ، بيروت .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية ، بيروت .

التضامن العربي (ميثاق ـ) :

لم يمنع ظهور جامعة الدول العربية قيام خلافات بين الدول الأعضاء فيها . وكان ذلك أحد الأسباب التي كانت وراء عقد لقاءات عربية على مستوى القمة (رَ : القمة العربية ، مؤتمرات) لتصفية الخلافات ، ووضع أسس عمل المستقبل ـ سواء أكانت هذه الأسس اقتصادية أم ثقافية أم عسكرية ـ على شكل اتفاقيات جماعية أو شبه جماعية . ولعل أبرز مثل على ذلك اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي لعام ١٩٥٠ وفيها نص صريح على تضامن الدول الأعضاء في الدفاع عن أي بلد عربي يتعرض لأي عدوان خارجي .

كان مؤتمر قمة الدار البيضاء في عام ١٩٦٥ من أبرز مؤتمرات القمة العربية * ، إذ انعقد في جو سادت فيه خلافات حادة كان لا بد من التصدّي لها . وقد تمخض هذا المؤتمر عن " ميثاق التضامن العربي " . وهو لفظ استخدم رسميا لأول مرة في هذا المؤتمر .

وحدد مستقبل العلاقات بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية ورسم طريقها .

أقر مؤتمر القمة ميثاق التضامن العربي يوم ١٩٦٥/٩/١٨ ، وفيه التزم ملوك ورؤساء الدول العربية بأمور أهمها :

١) العمل على تحقيق التضامن في معالجة القضايا العربية وخاصة قضية فلسطين .

٢) احترام سيادة كل من الدول العربية ، ومراعاة النظم السائدة فيها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، والحفاظ على ترابها الوطني ضد كل محاولة استعمارية .

٣) مراعاة قواعد اللجوء السياسي وآدابه وفقا لمبادىء القانون والعرف الدوليين .

٤) استخدام الصحف والإذاعات وسواها من أجهزة الإعلام لخدمة القضية العربية ، ووقف حملات التشكيك والمهاترة عن طريق الصحافة والإذاعة وغيرها من وسائل النشر .

٥) سن التشريعات اللازمة لتحريم أي قول أو عمل يخرج عن حدود النقاش الموضوعي والنقد البناء ويكون من شأنه الإساءة إلى العلاقات بين الدول العربية والتعرض بطريق مباشر أو غير مباشر بالتجريح لرؤساء الدول العربية .

لم يفلح هذا الميثاق في تحقيق الغاية المنشودة منه وكان أن تعطلت مؤتمرات القمة حتى وقوع حرب ١٩٦٧ * .

التطـريـز (صنـاعة ـ) :

التطريز صناعة حرفية فلسطينية عريقة تعتمد اعتمادا كبيراً على الأيدي النسائية الخبيرة في الريف وفي بعض مدن فلسطين حيث يتوارث إتقان هذه الصناعة الدقيقة في الأسرة من جيل إلى آخر .

وتلاقي صناعة التطريز في السنوات الأخيرة بعض التأخر لانصراف قسم كبير من النساء ولا سيما نساء الجيل الجديد عن لبس الملابس الشعبية .

يتميز التطريز الفلسطيني بدقته المتناهية واعتماده المطلق على العمل اليدوي . وتستخدم المرأة في تطريزها خيوط الحرير الملونة ، فترسم بها أشكالا متعددة متناسقة ، ولا سيما على صدر الثوب وكمّيه وأطرافه .

تختلف أشكال التطريز وأساليبه وأماكن كثافته على الثوب من منطقة إلى أخرى . وبذلك تتميز ثياب منطقة من أخرى بأسلوب التطريز وشكله . وأبرز المناطق التي ذاعت شهرتها في أعمال التطريز مناطق بيت لحم * ورام الله * والبيرة * وبيت دجن * .

تتعرض هذه الصناعة التقليدية المتوارثة ، في ظل الاحتلال الصهيوني ، إلى استغلال بشع ، إذ تقوم دور الأزياء الإسرائيلية باستخدام الأيدي الماهرة الرخيصة للمرأة الفلسطينية في تطريز ملابس خاصة بها ، ثم تصدرها إلى الخارج على أنها أزياء إسرائيلية شعبية فتجني بذلك الأرباح المعنوية والمادية الطائلة .

تطـويرَ الاستيطان في فلسطين (صندوق ـ) :

رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين

التعـامرة (وادي ـ) :

رَ : المشاش (وادي ـ) :

تعاون القرى (جمعية ـ) :

جمعية أنشئت في قرية إجزم * (قضاء حيفا) بهدف اجتماعي اقتصادي سياسي . لكن إنشاءها كان انشقاقا جديدا عن الخط الرئيس للحركة الوطنية الفلسطينية الذي كانت تمثله اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني * السادس (١٩٢٣) ، وكان أحد مظاهر تنافس الزعامات السياسية .

عقد اجتماع الجمعية التأسيسية لجمعية تعاون القرى في إجزم يوم ١٩٢٤/٧/١ وضم الكثيرين من آل الماضي ، والشيخ أسعد الشقيري * ، ونجيب نصار * ، وإبراهيم سليم النجار وغيرهم . وتمت فيه الموافقة على قانون الجمعية . وقد جاء في بعض مواده :

١) " إن الجمعية تبذل جهدها لإزالة الضغائن والأحقاد بين أهل القرى ، ولمنع وقوع الجرائم بإصلاح ذات البين ، وإزالة الخلاف بواسطة المحكمين ، وترقية الزراعة * ، وتنشيط غرس الأشجار ،

وحفظ الحقوق الاقتصادية العامة للأهالي ، مع حفز الزرّاع على المحافظة على شعائر دينهم ومعابدهم وأوقافهم ومصالحهم الملّية الخاصة والعامة وأحكامهم المدنية " .

٢) "كل ما كان عقبة في سبيل أهل القرى مانعا لرقيّ زراعتهم ومكاسبهم وأصول تعلّمهم وعقائدهم ، ومخلاً بمنافعهم ومضرا بحقوقهم الوطنية والسياسية ، وكل معاملة غير متناسبة مع أمزجتهم ومسلكهم وتقاليدهم وعاداتهم المألوفة ، تسعى الجمعية بالوسائط المشروعة لإزالته ودفع المضار عن الأهلين " .

٣) " مبدأ الجمعية السياسي وآمالها تتلخص بالسعي لتأمين الاستقلال والوحدة العربية . ولهذا فهي لا تقبل بوعد بلفور* والتجزئة وحرمان البلاد من الحكم الذاتي " .

٤) " إن الجمعية مستقلة في مقاصدها وسائر معاملاتها ، وليست تحت تأثير حزب أو جمعية ما " .

صادقت الحكومة على قانون الجمعية الأساسي بعد أيام . لكن إنشاء الجمعية لم يضعف التأثير الذي كانت تحظى به اللجنة التنفيذية . ولم يكن لنشاط جمعية تعاون القرى دور ملموس على الصعيدين الاقتصادي والسياسي .

المراجع :

ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ مجلة الزهرة ، العدد ٣ ، سنة ٤ ، تموز ١٩٢٤ ، حيفا .

ـ جريدة الجزيرة ، ١٩٢٤/٧/٢٤ ، يافا .

تعزيز التفاهم العربي ـ البريطاني (مجلس ـ) :

كان من نتائج حرب ١٩٦٧ * أن تجسّد مدى تخبط العرب في مجال الإعلام ، وإهمالهم له ، ووقوعهم فيه بأخطاء جوهرية ساهمت في النكسة وضاعفت من وقعها . وقورن ذلك بصورة متباينة جدا مع الجهود التي بذلتها الأوساط الصهيونية في تسخير الإعلام لمسخ القضية العربية وطمسها . وانتبه بعض الإنكليز المؤيدين للعرب إلى هذا الموقف في بريطانيا فقرروا إنشاء مؤسسة تتولى تقديم وجهات النظر العربية إلى الجمهور البريطاني مع كل ما يتصل بالوطن العربي من حضارة وقضايا معاصرة . وتم ذلك في حزيران ١٩٦٧ بتأسيس " مجلس تعزيز التفاهم العربي ـ البريطاني " بمساعي إليزابيث كولارد ، وإيان غلمور ، وكولن جاكسن ، ومايكل آدمز ، وهيو موريس ، ودورين انغرامز ، ودنيس ولتر ، وأنطوني ناتنغ ، وكريستوفر ميهيو . وفي البيان الافتتاحي للمجلس أوضح مؤسسوه موقفهم بقولهم : " إننا نتعاطف مع أماني وإنجازات وحقوق الشعوب العربية ، ولا سيما عرب فلسطين الذين تولت بريطانيا مسؤولية حكمهم حتى ١٩٤٨ والذين يجب ألاّ تضيع قضيتهم بانعدام الدفاع عنها " .

وما إن شرع المجلس بنشاطه لتنوير الجمهور البريطاني بالقضايا العربية حتى هوجم من قبل الأوساط الصهيونية وأصدقائها ، واتهم بعض أعضائه بمعاداة السامية . واستعرض مايكل آدمز وكريستوفر ميهيو المصاعب التي جابهها أعضاء المجلس في كتاب عنوانه " لا تنشرها " .

ويمكن اعتبار مهام المجلس مزيجا من الإعلام والعلاقات العامة ، فهو يمارس نشاطه بواسطة الاتصالات الشخصية ، وتنظيم الوسائل والتسهيلات والقيام بالنشر والكتابة ، وإلقاء المحاضرات ، وتنظيم الندوات . ومن النشاطات الاعتيادية المحاضرات التي يقدمها المجلس في قاعات البرلمان البريطاني وفيها عرّف الجمهور البريطاني بعدد من أنصار قضية فلسطين ، ومن الزعماء العرب . ويصدر المجلس نشرة إخبارية دورية للأعضاء ، ويحتفظ بأسماء فريق من المحاضرين لإلقاء المحاضرات والمشاركة في الندوات حيثما طلب منه ذلك . وله مكتبة متخصصة بشؤون الشرق الأوسط مع مكتب للمعلومات والاستفسارات .

في تموز ١٩٦٩ وضع دستور مكتوب للمجلس نص على انتخاب لجنة عامة من ٧٥ عضوا ينتخبون لمدة سنتين . وتعين اللجنة مديري المجلس وأعضاء اللجنة التنفيذية . وبرز من بين هؤلاء لعدة سنوات جون ردوي كمدير للإدارة يرجع إليه كثير من نشاطات وتوجهات المجلس . وقدر عدد الأعضاء بنحو ألف شخص .

لا يمثل هذا المجلس وجهة نظر حزبية معينة ، ولهذا يشارك في رئاسته (عام ١٩٨٠) دنيس ولتر من حزب المحافظين ، وديفيد وتكنز من حزب العمال . وكذلك يصر المجلس على أنه لا يمثل جانبا عربيا معينا ، ولا يناصر دولة عربية ضد أخرى . ولعل هذا أحد أسباب التركيز على القضية الفلسطينية التي يتفق عليها العرب . ولكن الملحوظ أن المجلس يعارض بجلاء العمليات " الإرهابية " من الجانبين ، ويميل إلى التركيز على النضال السلمي والدبلوماسي دون أن يعارض النشاط الفدائي الميداني .

لعب المجلس دورا منذ ١٩٧٢ في الدعوة للتقارب بين الدول العربية وأوربا الغربية ، والتأكيد على سلاح النفط . وسعى إلى إقامة منظمة « يورابيا *Eurabia* » الإعلامية لتغطي أوربا الغربية ، وجمعية

التعاون الأوربي ـ العربي التي تضم نحو ٣٠٠ نائب في برلمانات دول السوق المشتركة .

يقوم المجلس أيضا بدور استشاري في مساعدة السفارات العربية والمسؤولين العرب في مجال الإعلام ، وتبني بعض المشاريع الإعلامية والخيرية والتنموية لإدامة الوجود العربي في المناطق المحتلة وتعزيزه . وربما يدخل في هذا النطاق بصورة غير رسمية بعض النصح الدبلوماسي والسياسي بشأن القضية الفلسطينية .

ولا شك في أن المجلس سدّ فراغا كبيراً في الإعلام العربي . ولكن بعض العناصر اليسارية تتخذ موقفا متحفظا من المجلس . ويقوم النقد هنا على أن المجلس يمثل المدرسة القديمة ويتزعمه أشخاص فيهم من يتصل ماضيه بماضي الامبراطورية ، ويعتمد في نشاطه على العمل في المحافل العليا من المجتمع ويفتقر إلى الروح الجماهيرية . والحقيقة هي أن المجلس لم يستطع التغلغل بين الأوساط الجامعية أو النقابية رغم محاولته ذلك .

المراجع :

— **CAA BU's Tenth Anniversay,** Arab British Centre.

— Mayhew, C. and Adams, M.: **Publish it Not,** London 1975.

التعويضات الألمانية لإسرائيل : رَ : ألمانيا الاتحادية

تعويضات اللاجئين الفلسطينيين (مشاريع ـ) :

تعود جذور مشروعات التعويضات الخاصة باللاجئين الفلسطينيين إلى قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وقد صدر أول قرار للجمعية بهذا الشأن في ١٩٤٨/١٢/١١ ، وهو القرار رقم ١٩٤ الذي نص على إقامة لجنة التوفيق الدولية * . وذكرت الفقرة ١١ من القرار المذكور أن الجمعية العامة " تقرر وجوب السماح لمن يرغب من اللاجئين في العودة إلى بيوتهم في أقرب وقت ممكن والعيش بسلام مع جيرانهم ، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يختارون عدم العودة إلى بيوتهم وعن كل خسارة أو ضرر بالممتلكات عندما يكون من الواجب وفقا لمبادىء القانون الدولي والإنصاف أن يعوض عن تلك الخسارة أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة .

" وتصدر (الجمعية العامة) تعليماتها إلى لجنة التوفيق بتسهيل إعادة اللاجئين إلى وطنهم وإعادة توطينهم وإعادة تأهيلهم الاقتصادي الاجتماعي ، وكذلك دفع التعويضات ، وبالمحافظة على الاتصال الوثيق مع مدير وكالة الأمم المتحدة لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين * ومن خلاله مع الهيئات والوكالات المناسبة في منظمة الأمم المتحدة " .

وفي ١٩٥١/٨/١٠ دعت لجنة التوفيق حكومات كل من (إسرائيل) ومصر والأردن ولبنان وسورية إلى إرسال ممثلين إلى مؤتمر باريس الذي عقد في ١٩٥١/٩/١٣ وتقدّم فيه رئيس اللجنة بمذكرة إلى الوفود العربية والوفد الإسرائيلي ، كل على حدة ، شرح فيها أهداف اللجنة من مباحثات المؤتمر ، ومن بينها : " تسوية حقوق الأشخاص وأوضاعهم ، خاصة فيما يتعلق بإعادة توطين اللاجئين ودفع التعويضات عن الخسائر الناجمة عن القتال " .

وبعد أن تشاورت الوفود العربية مع حكوماتها وافقت في ١٧ أيلول على مذكرة رئيس لجنة التوفيق ، ولكنها أصرّت على إعادة اللاجئين كشرط أساسي لأية تسوية . وعلى أثر ذلك تقدمت لجنة التوفيق بمشروع للتسوية اقترحت فيه من جملة ما اقترحت : " قبول الحكومة الإسرائيلية دفع تعويضات عن الممتلكات التي يتركها اللاجئون الذين لا يعودون . ويكون التعويض مبلغا يقدر على أساس القيمة التي توصل إليها مكتب اللجنة للاجئين ، وأن توضع خطة للدفع تأخذ بعين الاعتبار قدرات الحكومة الإسرائيلية على ذلك . توضع هذه الخطة من قبل لجنة خاصة من الخبراء الاقتصاديين والماليين يتم تعيينها من قبل الأمم المتحدة " .

وفي ١٩٥٥/٨/٢٦ أدلى جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في ذلك الحين بتصريح حول السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط اعتُبر مشروعا أمريكيا حول اللاجئين وتضمن أحد بنوده : وضع حد لبؤس مليون لاجىء من الفلسطينيين المقتلعين من أرضهم مما يستدعي تأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة إلى وطنهم الأول ضمن حدود الممكن وتوطينهم في المناطق العربية التي يوجدون فيها . ومن أجل تحقيق التوطين اقترح دالاس استصلاح المزيد من الأراضي بحيث يتمكن اللاجئون من الاستقرار والعمل عليها . واقترح ، لتحقيق هذه الأفكار ، على (إسرائيل) دفع تعويضات للاجئين يتم تمويلها بقرض دولي تشارك فيه الولايات المتحدة بصورة أساسية ، وتساهم في إقامة مشاريع الري ، وتحقيق التنمية المائية في المنطقة مما سيساعد مباشرة على إعادة توطين اللاجئين (رَ : دالاس ، مشروع) .

وفي ١٩٥٥/١١/٩ أعلن أنطوني إيدن رئيس وزراء بريطانيا عن مشروع حلّ النزاع العربي ـ الإسرائيلي . ووعد إيدن، في حال تحقيق مثل هذه التسوية ، بتقديم مساعدات مالية وغير مالية تساهم فيها دول أخرى لحل مشكلة اللاجئين (رَ : إيدن ، مشروع) .

وفي ١٩٥٥/١١/٢١ قام وزير الخارجية الإسرائيلي موشيه شاريت بزيارة للولايات المتحدة ، وأعلن مقترحات إسرائيلية لتحقيق تسوية سلمية للنزاع . ومما تضمنته مقترحاته ، كما نشرت في واشنطن في ١٩٥٥/١٢/١٩ ، استعداد (إسرائيل) لجمع الأموال اللازمة من أجل التعويض على اللاجئين ، وقبولها القرض الذي عرضته الولايات المتحدة للمساهمة في إعادة إسكانهم وتوطينهم . إلاّ أن (إسرائيل) مصرة على ضرورة توطين اللاجئين في الدول العربية .

وفي ١٩٦٢/١٠/٢ اقترح جوزيف جونسون مشروعا مؤلفا من عدة بنود يقول بعضها :

١) يعطى كل رب أسرة من اللاجئين فرصة للاختيار الحر ـ بمعزل عن أي ضغط من أي مصدر كان ـ بين العودة إلى فلسطين والتعويض .

٢) ينبغي أن يكون لكل لاجىء علم تام (أولاً) بطبيعة الفرص المتاحة له للاندماج في حياة المجتمع الإسرائيلي إنْ هو اختار العودة ، و(ثانيا) بكمية التعويضات التي سيتلقاها إن هو اختار البقاء حيث هو .

٣) يتم حساب التعويضات على أساس قيمة الممتلكات كما كانت في فلسطين عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ مضافا إليها الفوائد المستحقة .

٤) تقوم الولايات المتحدة وغيرها من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ـ وفيها (إسرائيل) ـ بالإسهام في توفير الأموال اللازمة لدفع التعويضات .

٥) يستفيد اللاجئون الذين لم تكن لهم أية ممتلكات في فلسطين من تعويض مالي مقطوع لمساعدتهم على الاندماج في المجتمع الذي يختارون التوطن فيه . ويتم دفع هذه التعويضات من خلال الأمم المتحدة التي ستقوم بدور الوسيط والعازل بين الأطراف المعنية إلى أن تنتهي عملية التوطين (رَ : جونسون ، مشروع جوزيف) .

وقد رفضت (إسرائيل) بلسان وزيرة خارجيتها غولدا مائير في تشرين الثاني ١٩٦٢ اقتراحات جونسون ، وأكّدت من جديد القرار الذي اتخذته الكنيست * في تشرين الثاني ١٩٦١ والقائل باستحالة عودة اللاجئين إلى (إسرائيل) لأن الحل الوحيد لمشكلتهم هو توطينهم في الدول العربية .

بعد مضي أشهر على فشل مشروع جونسون تحركت الدبلوماسية الأمريكية من جديد ، ولكن هذه المرة من خلال لجنة التوفيق الدولية . ففي ١٩٦٣/١١/٢٠ تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار أمام اللجنة السياسية الخاصة التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة يدعو لجنة التوفيق للاستمرار في مساعيها من أجل تنفيذ نص الفقرة ١١ من قرار الجمعية العامة رقم ١٩٤ (د ـ ٣) ، هي الفقرة التي تخيّر اللاجئين بين العودة والتعويض .

قامت لجنة التوفيق الخاصة بفلسطين خلال سنة ١٩٦٤ بإبلاغ الجمعية العامة للأمم المتحدة أنها أنجزت برنامجها الخاص بحصر وتثمين الأملاك العربية في (إسرائيل) استجابة لتكليف الجمعية العامة في قرار لها بتاريخ ١٩٥٠/١٢/١٤ تطلب فيه من اللجنة أن تتخذ الخطوات التي تراها ضرورية « لتقدير التعويضات التي يجب دفعها إلى السكان العرب الذين نزحوا عن ممتلكاتهم في فلسطين بعد انتهاء حكم الانتداب البريطاني » . وأوضحت اللجنة في دراستها الأسلوب الذي اتبع في حصر الأملاك العربية ، وأشارت إلى أن الأراضي التي هي في حوزة (إسرائيل) بموجب اتفاقية الهدنة تشكل حوالي ٣٠ مليون دونم ، وأن حوالي نصف الأراضي التي تقع خارج منطقة النقب قد جرت تسويتها بموجب قانون تسوية الأراضي . وقد شمل حصر الأراضي المنطقة الحرام في منطقة القدس ـ الرملة والمناطق المجردة من السلاح في المنطقة الشمالية وبير السبع . وقد تلت عملية حصر الأراضي عملية تثمين هذه الأراضي على أساس الأسعار التي كانت سائدة في السوق الحرة في ١٩٤٧/١١/٢٩ . وحرصت اللجنة على أن تكون عملية تثمين الأراضي متناسقة بحيث لا تتفاوت أسعار الأراضي المتشابهة والموجودة في نفس المنطقة تفاوتا كبيرا .

وقد بعثت الهيئة العربية العليا لفلسطين * إلى الدول العربية في ١٩٦٤/١١/٢١ مذكرة تتعلق بلجنة التوفيق وتماديها في التحيز ضد العرب . وأشارت هذه المذكرة إلى البيان الذي أصدرته لجنة التوفيق في ١٩٦٤/١١/١٢ حول أملاك العرب في (إسرائيل) ، والذي دلّ على تصميم هذه اللجنة على المضيّ في محاولاتها لتنفيذ خطة تصفية قضية فلسطين كما رسمتها الدول الاستعمارية والصهيونية العالمية ، ودلّ أيضا على تخطّي الدول العربية وتجاهل وجود الشعب العربي الفلسطيني كمجموع ، والاتصال بالفلسطينيين كأفراد ، بشأن ممتلكاتهم في فلسطين المحتلة وطبيعة هذه الممتلكات .

وفي ١٩٦٥/٥/١٧ عرض ليفي أشكول رئيس وزراء (إسرائيل) مشروعاً في الكنيست لتحقيق السلام بين العرب (وإسرائيل) تحدث عن " توجيه جزء من الموارد الضخمة للمنطقة باتجاه إعادة توطين اللاجئين ودمجهم في بيئتهم الوطنية الطبيعية أي الدول العربية ، وعن أن إسرائيل على استعداد للمساهمة المالية مع الدول الكبرى في عملية توطينهم باعتبارها الحل الوحيد الذي يناسب مصالحهم الأساسية والحقيقية ويناسب المصالح الإسرائيلية أيضاً " .

ونظرت اللجنة السياسية الخاصة في الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٦٧ في ثلاثة مشاريع قرارات :

١) مشروع القرار الذي قدمته الولايات المتحدة ووافقت عليه اللجنة السياسية الخاصة بأكثرية ٩٩ صوتا ضد لا شيء واستنكاف دولتين هما الكونغو برازافيل (وإسرائيل) . ويقول أحد بنود هذا القرار : " إن الجمعية العامة تلاحظ بأسف شديد أنه لم ينفذ شيء من مقررات الأمم المتحدة ، لا حول إعادة اللاجئين ولا حول دفع التعويضات الخاصة بهم ، هي من حقهم وفقا لمقررات الأمم المتحدة الفقرة ١١ من القرار رقم ١٩٤ (الدورة - ٣) بالإضافة إلى أنه لم يتم تسجيل أي تقدم لا في حق ترحيلهم وإعادتهم إلى بلادهم ، ولا فيما يتعلق بدفع التعويضات لهم ، هذا الأمر الذي جددت الأمم المتحدة إصرارها عليه في القرار رقم ٥١٣ (الدورة - ٦) حول وضع اللاجئين الذي يثير قلقا بالغا لمنظمة الأمم المتحدة " .

٢) مشروع قرار تقدمت به ١٩ دولة ووافقت عليه اللجنة السياسية بأكثرية ١٠٢ ضد لا شيء وامتناع دولة واحدة عن التصويت . ويطلب هذا المشروع تقديم المساعدة إلى الأشخاص الذين تشردوا بسبب القتال الأخير في المنطقة ، ويحث الحكومات والمنظمات والأشخاص على التبرع لهذا الهدف .

٣) مشروع قرار تقدمت به إلى اللجنة السياسية خمس دول ، وطلب من الأمين العام " أن تُتخذ جميع الخطوات لتعيين قيّم لحراسة وإدارة ممتلكات العرب في إسرائيل ، واستلام موارد تلك الممتلكات بالنيابة عن أصحابها الحقيقيين " .

وعندما عرضت مشاريع القرارات الثلاثة المذكورة على الجمعية العامة وافقت هذه الأخيرة على مشروعي القرارين الأول والثاني ، وأجّلت النظر في مشروع القرار الثالث بناء على اقتراح تقدمت به نيجيريا .

وفي ١٩٦٩/١٢/٩ عرض وليم روجرز وزير الخارجية الأمريكية على الاتحاد السوفييتي مقترحات أمريكية تضمنت دعوة لإعطاء اللاجئين حق الاختيار بين العودة على أساس نسبة مئوية سنوية متفق عليها وبين التوطين خارج (إسرائيل) مع التعويض.

غير أن الحكومة الإسرائيلية أعلنت في ١٩٦٩/١٢/٢٢ رفضها لمقترحات روجرز . وقالت غولدا مائير في خطاب أمام الكنيست في ١٩٦٩/١٢/٢٩ إن المقترحات الأمريكية تشكل خطرا كبيرا على وجود (إسرائيل) لأن ما جاء فيها بخصوص الحدود وعودة اللاجئين يهدد أمن البلاد .

وفي ١٩٧٠/١/١٢ أعلن الاتحاد السوفيتي رفضه للمقترحات الأمريكية لأنها متحيزة (لإسرائيل) ، وطلب عوضا عن ذلك أن تتقيد (إسرائيل) بكل قرارات هيئة الأمم المتحدة بالنسبة إلى قضية اللاجئين الفلسطينيين .

وفي ١٩٧١/٢/٨ تقدم غونار يارينغ وسيط الأمم المتحدة بمقترحات عبر مذكرات متشابهة وجهها إلى مصر (وإسرائيل) تضمنت شروط اتفاقية سلام مع (إسرائيل) . وقد ردت (إسرائيل) على مذكرة يارينغ ، وذكرت أن اتفاقية سلام بين البلدين يجب أن تتضمن ، بين ما تتضمن ، استعداد (إسرائيل) للتفاوض مع الحكومات المعنية مباشرة حول : (١) دفع تعويضات مقابل الأراضي والممتلكات المهجورة (٢) المشاركة في وضع خطة لتأهيل اللاجئين في المنطقة . وعندما يتم الاتفاق على واجبات الطرفين نحو قضية اللاجئين لن يكون أي طرف من الطرفين مرتبطا بأية التزامات تجاه الطرف الآخر تتعارض مع سيادته .

وبعد أن كانت (إسرائيل) تربط دفع التعويضات للنازحين العرب بمشروعات توطينهم في البلاد العربية أخذت تربط بين دفع التعويضات للنازحين العرب ودفع التعويض لمن اسمتهم « اللاجئين اليهود » ، أي اليهود الذين كانوا يعيشون في الدول العربية ، ودفعتهم الحركة الصهيونية للهجرة إلى (إسرائيل) .

ففي شهر تموز ١٩٧١ طرح ييغال آلون وزير خارجية (إسرائيل) مشروعا سمي " مشروع آلون " * تطرق فيه إلى اقتراح لحل مشكلة اللاجئين ، وعدّ الدول العربية هي المسؤولة عن نشوء مشكلة اللاجئين وقال " إن إسرائيل وحدها لا تستطيع حل المشكلة بأسرها ، أو الجزء الأكبر منها ، من النواحي الاقتصادية والديموغرافية . فنحن استوعبنا لاجئين يهودا من البلاد العربية وما تبقى من يهود أوربا (٠٠٠) وهذا ينطوي على ظاهرة تبادل سكان بالعدد نفسه تقريبا ، وعلى أساس إثني وقومي ، كما جرى في مناطق عديدة من العالم في أعقاب حرب أو اتفاق . وبما أن معظم اللاجئين كانوا خاضعين للسيادة العربية ، لم نستطع المساهمة في حل المشكلة بأكثر من انتهاج سياسة جمع شمل العائلات نظريا وعمليا من جهة ، والإعلان عن استعدادنا للمساهمة في التمويل والمساعدات التقنية لحل المشكلة في البلاد العربية من جهة أخرى" .

وفي المؤتمر الثاني عشر لحزب حيروت * في كانون الثاني ١٩٧٥ قدم مناحيم بيغن مشروعا خاصا بالتسوية نص أحد بنوده على ما يلي : " تبذل الجهود لإيجاد حل متفق عليه لقضية اللاجئين العرب وممتلكاتهم ، ولمسألة ممتلكات اللاجئين اليهود الذين تركوا الدول العربية وهاجروا إلى إسرائيل " .

وقد طرح موشيه زانبار حاكم (مصرف إسرائيل) السابق تصورا إسرائيليا لحل مشكلة النازحين العرب قال فيه :

" وفي صدد التعويضات لنا نحن أيضا مطاليب عادلة

وحقوق مشروعة كثيرة . لماذا لا تذكر في معاهدة السلام الثنائية مسؤولية مصر عن الأملاك اليهودية التي تركت في مصر ، أو على الأقل الأملاك العائدة لمواطني إسرائيل ؟" .

وجاء في اقتراح زانبار أيضا أنه " يجب أن تكون التسوية المتعلقة بالمنشآت المتروكة والتعويض عنها جزءاً لا يتجزأ من أية معاهدة سلمية . ويجب أن تحدد التسوية بصراحة مبلغ التعويض الشامل الصافي الذي ستدفعه إسرائيل ، وطريقة الدفع من جهة ، ووسائل معالجة طلبات التعويضات الشخصية من جهة أخرى . وينبغي أن تضمن المعاهدة السلمية إعفاء إسرائيل من أية مطالب شخصية بالتعويضات ، بما في ذلك تلك المستندة إلى قرارات الأمم المتحدة . على ألا يكون هذا البند نافذ المفعول إلا بعد أن توقع مصر والأردن على الأقل معاهدة السلام معنا ، وأن توافق الولايات المتحدة على ضمان البند الذي يعفينا من المزيد من طلبات التعويضات ، باستثناء تلك التي سنتعهد بدفعها ضمن إطار معاهدة السلام " .

المراجع :

- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية** ، بيروت .
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٧٢** ، بيروت .
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية : **مشاريع التسوية الإسرائيلية ١٩٦٧ - ١٩٧٨** ، بيروت ١٩٧٨ .
- ليلى سليم القاضي : **تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي - الإسرائيلي ١٩٤٨ -١٩٧٢** ، مجلة شؤون فلسطينية ، حزيران ١٩٧٣ ، العدد ٢٢ ، بيروت

التفاهم (مؤتمر -) :

تعدّدت الانشقاقات الحزبية عن اللجنة التنفيذية (الحزب الوطني * وحزب الزراع *) وتعثّر اجتماع المؤتمر العربي الفلسطيني * السابع فجرت محاولات لرأب الصدع مهّد لها بيان نشره جمال الحسيني * سكرتير اللجنة التنفيذية ، باسمه الشخصي ، في ١٩٢٤/١٠/١٥ ، واستهله بالآية الكريمة : " قل تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله " ، وطلب فيه من المخلصين من دعاة الأحزاب ، أو من الذين ضلّلوا بالانخراط في الأحزاب ، الرجوع إلى " الوحدة المقدسة" ، لأن فلسطين وهي في حرب " حياة أمة أو موتها " في حاجة إلى رصّ الصفوف ، والمؤتمر (المؤتمر العربي الفلسطيني السابع) يجب أن " تدخل إليه الأمة كحزب واحد " هو حزب اللجنة التنفيذية ، لأن خصوم الحركة الوطنية اتخذوا من تعدد الأحزاب سلاحاً لضرب الحركة .

واقترح جمال الحسيني على اللجنة التنفيذية أن تدعو أعضاء من الحزب الوطني وحزب الزراع لتقرر معهم تعيين مكان وموعد المؤتمر الفلسطيني السابع ، ثم تنحل الأحزاب وتبقى اللجنة التنفيذية إلى موعد انعقاد المؤتمر ، وفيه تنتخب لجنة جديدة .

وقد استجاب الحزب الوطني للاقتراح ، وقبلت اللجنة التنفيذية استجابته، وعقد اجتماع مشترك بدون شروط مسبقة في فندق « ماجستيك » في القدس (٣٠ / ١١ - ١٩٢٤/١٢/٤) . وتوصل المجتمعون الى وضع « قرار تفاهم » يتم بموجبه تشكيل « هيئة مركزية » من ثمانية أعضاء ، أربعة من اللجنة التنفيذية وأربعة من الحزب الوطني وكتلة حزب الزراع وجمعية تعاون القرى * وجمعية الشبيبة الإسلامية . ومهمة هذه الهيئة الدعوة إلى عقد المؤتمر الفلسطيني السابع ، وتحديد طريقة انتخاب المندوبين وشروطه ودوائره ، وعدد المندوبين .

لم تبد اللجنة التنفيذية رأيها في « قرار التفاهم » وتركت الأمر لاجتماع عقد في نابلس يومي ١٨ و ١٩/١٢/١٩٢٤ . وقد أطلق عليه اسم مؤتمر التفاهم واشترك فيه ٣١ مندوباً من عشر مدن فلسطينية .

أصدر المؤتمر قراراً بيّن فيه أن المشتركين وجدوا بالإجماع أن كثيراً من مواد « قرار التفاهم » الذي توصل إليه المجتمعون في القدس في ١٩٢٤/١٢/٤ غامض او غير قابل للتطبيق ، ولا سيما المتعلق بإجراء الانتخابات وتشكيل اللجنة المركزية واللجان الفرعية وما ينشأ عن ذلك من مشكلات . ورأت الوفود - تجنّباً لرفض « قرار التفاهم » أو لتعديل بعض ما فيه مما يؤدي إلى اتساع شقة الخلاف - أن تشير على اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني السادس أن تستخدم صلاحياتها المعطاة لها من المؤتمر السادس ، وتدعو الأحزاب والهيئات المعارضة كي تنتدب خمسة من أعضائها لينضموا إلى اللجنة التنفيذية ، ويشتركوا في الأعمال الوطنية التي تقوم بها ، إلى أن ينعقد المؤتمر العربي الفلسطيني السابع ، على أن تلغى الأحزاب فوراً . وتهيّء اللجنة التنفيذية ، بعد اشتراك المعارضة فيها ، الخطط الإيجابية وكل ما يلزم لعقد المؤتمر السابع . وقرر مؤتمر التفاهم أنه " إذا لم توافق الهيئات المعارضة على هذا الاقتراح فإن وفود البلاد تلقي تبعة بقاء الانقسام والشغب على تلك الهيئات ، وتشير على اللجنة التنفيذية بالسير في أعمالها " .

كان قرار مؤتمر التفاهم في نابلس أشبه بقرار ثقة باللجنة التنفيذية ، وكان يمكن - لو استجابت له المعارضة - أن يؤدي الى وقف الانشقاقات الحزبية ودعم الوحدة في الحركة الوطنية . لكن

المعارضة بزعامة الحزب الوطني رفضت مؤتمر التفاهم ، ودارت معركة صحفية مضادّة عن طريق أسئلة مفتوحة وجهها الحزب الوطني إلى رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم الحسيني * ، وأجاب عليها الأخير بما يشعر برغبة اللجنة في الاتفاق .

استغل هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني موقف الحزب الوطني للادعاء بتشتت الآراء في فلسطين واختلافها ، وللزعم بأن الأحزاب ، وإن كانت تعارض الصهيونية ، توافق على التعاون مع سلطات الانتداب مخالفة بذلك اللجنة التنفيذية التي تعارض وحدها السياسة المتبعة في فلسطين .

وقد أسفر موقف المعارضة عن زيادة التأييد للجنة التنفيذية ، وإرسال العرائض الوطنية التي تتبرّأ من الحزب الوطني ، وقيام حملة صحفية ضد راغب النشاشيبي * رئيس بلدية القدس آنذاك الذي عدّ العقل المدبّر في كتلة المعارضة .

المراجع :

ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ جرائد : فلسطين (يافا) ، الشورى (القاهرة) ، المقطم (القاهرة) ، اليرموك (حيفا) ، ألف باء (دمشق) .

التقاليد الشعبية : رَ : العادات والتقاليد الشعبية

التقدم (حزب ـ) : رَ : المؤتمر السوري العام

تقرير : رَ : ستركلند
رَ : سمبسون
رَ : فرنش
رَ : كونيغ
رَ : مجلس الأطلسي الأمريكي

تقرير المصير (حق ـ) :

أهدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم ١٨١ (الدورة ٢) بتقسيم فلسطين * حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، إذ لم تحترم رغبة هذا الشعب الواضحة والصريحة في أن يتم إنهاء الانتداب البريطاني على وطنه بإقامة دولته المستقلة ، وجنحت خطأ إلى التوصية بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية ، وإنشاء نظام خاص لمدينة القدس .

ومضت الأمم المتحدة تغض الطرف عن حقوق الشعب الفلسطيني ، ومنها حقه في تقرير المصير ، حين تعامت عن ابتلاع (الدولة اليهودية) التي أوصت بإنشائها لمزيد من الأراضي المخصصة للدولة العربية ، وإخراج سكانها منها بالقوة لينضموا إلى من سبقهم من « المخرجين » في خيام اللجوء في الأقطار المجاورة ، أو المشردين في كل حدب وصوب . كل ما فعلته الأمم المتحدة ممثلة في جمعيتها العامة كان اكتفاءها بالتوصية في قرارها رقم ١٩٤ الصادر في ١٩٤٨/١٢/١١ " بوجوب السماح بالعودة ، في أقرب وقت ممكن ، للّاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم ، ووجوب دفع تعويضات عن ممتلكات الذين يقررون عدم العودة إلى ديارهم وعن كل مفقود أو مصاب بضرر يكون من الواجب ، وفقا لمبادىء القانون الدولي والإنصاف ، أن يعوض عن ذلك الفقدان أو الضرر من قبل الحكومات أو السلطات المسؤولة " . ودأبت الجمعية العامة منذئذ على توكيد هذا الحق في العودة أو التعويض سنويا (رَ : العودة ، حق) .

وفي حين كرست الأمم المتحدة وجود (الدولة اليهودية) المؤسسة تحت اسم (دولة إسرائيل) بقبولها في عضويتها عام ١٩٤٩ (رَ : إسرائيل في الأمم المتحدة ، عضوية ـ) عاملت الشعب الفلسطيني المشرد على أنه مجموعة لاجئين لا حق لهم سوى في العودة أو التعويض ووفق شروط مبهمة ، ودون أن يكون هذا الحق مدعوماً بأي تصرف يوحي بتصميم الأمم المتحدة على إنفاذه . كل ما فعلته الجمعية العامة لهؤلاء اللاجئين العرب الفلسطينيين هو إنشاء صندوق خاص بإغاثتهم (القرار ٢١٢ تاريخ ١٩٤٨/١١/١٩) ثم بدلت به وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * (القرار ٣٠٢ تاريخ ١٩٤٩/١٢/٨) .

وهكذا انحسرت قضية شعب بأسره فغدت مشكلة لاجئين فحسب ، وطويت قضية فلسطين من جداول أعمال المنظمة الدولية ليحلّ محلها موضوع مناقشة التقرير السنوي للمفوض العام للوكالة المذكورة . ومع أن هذه المناقشة السنوية كانت تتطور في الجمعية العامة لتصب على ظلامة الشعب الفلسطيني وحقوقه الأساسية ومنها حقه في تقرير مصيره فإن حصيلة المناقشات كانت لا تتعدى التصديق على تقرير المفوض العام ، وتوكيد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض (رَ : فلسطين في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قضية ـ) .

من جهة أخرى شهدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ولجنتاها

الثالثة والرابعة ، منذ مطلع الخمسينات وحتى منتصف الستينات ، مناقشات مستمرة حادة حول المركز القانوني " لتقرير المصير " ومضمونه ، وتحديد الجماعات البشرية التي يحق لها ممارسته وأساليب هذه الممارسة . ذلك أن النص على تقرير المصير ورد عامّاً وغير متّفَق على طبيعته وحدوده في مادتين من مواد ميثاق الأمم المتحدة : المادة ١ (٢) والمادة ٥٥ ، وذلك بناء على اقتراح سوفيتي قدم لأول مرة في مشاورات الأربعة الكبار السابقة لمؤتمر سان فرنسيسكو سنة ١٩٤٥ . وتدل محاضر المؤتمر على أن مندوبي الدول الخمسين المشتركة فيه الذين أجمعوا على إدخال « تقرير المصير » في هذه الوثيقة القانونية التي تعدّ بحق دستور العلاقات الدولية في عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية ، لم يكونوا متفقين على قيمته القانونية (هل هو حق أو مبدأ) ، ولا على معناه ، ولا على ما يتبع ذلك من آثار . ولا أدل على ذلك من التفاوت البيّن بين النصين الإنكليزي والفرنسي للمادتين اللتين نصّتا عليه . ففي حين اكتفى النص الإنكليزي بالإشارة إليه على أنه مبدأ *Principle* ذهب النص الفرنسي ـ وهو مكافىء للنص الإنكليزي في القيمة القانونية ـ إلى الإشارة بأنه حق *Droit* .

مع مطلع الخمسينات ، وفي سياق المعركة التي شنتها الدول الصغرى ودول المجموعة الاشتراكية على الدول الاستعمارية التي تمكنت من التمييز في الميثاق بين نوعين من المستعمرات : الأقاليم الموضوعة تحت الوصاية (وكانت تؤلف أقلية المستعمرات) ، والأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي (وكانت تؤلف أغلبية المستعمرات) ، حتى إن الميثاق جعل الاستقلال أو الحكم الذاتي الهدف الذي تسعى الأمم المتحدة إلى تحقيقه للفئة الأولى ، في حين اكتفى بالحكم الذاتي هدفا نهائيا للفئة الثانية ، في سياق هذه المعركة ، وفي عام ١٩٥٠ على وجه التحديد ، لجأ المناضلون ضد الاستعمار إلى « تقرير المصير » من أجل التعويض عما أخفق الميثاق في النص عليه في الفصل الحادي عشر الخاص بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي . وكانت حجة هؤلاء أنه ما دام تقرير المصير حقا للشعوب جميعا بدون استثناء فإن شعوب الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي تستطيع ، من خلال ممارستها لهذا الحق ، اختيار الاستقلال كواحد من المراكز القانونية التي تصل إليها عندما تتحرر من الاستعمار . وكان أول من استخدم هذه الحجة وطرحها في ميدان المعركة مع الاستعمار في الأمم المتحدة مندوبا السعودية وأفغانستان . غير إن إثارة موضوع تقرير المصير على هذا النحو أثار من جديد الجدل الحاد الذي شهدته جلسات سان فرنسيسكو حوله حتى أصبح تقرير المصير مادة قائمة بذاتها استنفرت الوفود في الجمعية العامة ولجنتيها الثالثة والرابعة نيفا وعشر سنوات ، إلى أن تمكنت أغلبية الدول ـ وخاصة بعد انضمام المزيد من الدول الحديثة الاستقلال إلى عضوية المنظمة الدولية ـ تمكنت من استصدار مجموعة متلاحقة من القرارات الصادرة عن الجمعية العامة كان من أهمها القرار التاريخي رقم ١٥١٤ (الدورة ـ ١٥) الصادر في ١٩٦٠/١٢/١٤ والخاص بمنح الاستقلال للشعوب والأقاليم المستعمرة . والقرار رقم ٢٦٢٥ (الدورة ـ ٢٥) الصادر في ١٩٧٠/١١/٢٤ المتضمن مبادىء القانون الدولي الخاصة بالعلاقات الودّية والتعاون بين الدول وفق أحكام ميثاق الأمم المتحدة والذي أقر بتفصيل وإسهاب مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها من بين هذه المبادىء . كذلك فإن الاتفاقيتين الخاصتين بحقوق الإنسان اللتين أوصت الجمعية العامة بإبرامهما عام ١٩٦٦ تتصدرهما مادة واحدة في المعنى (المادة الأولى) عن حق تقرير المصير . ويمكن إجمال ما تمخضت عنه الأمم المتحدة حول تقرير المصير بالآتي :

١) تقرير المصير ليس مجرد مبدأ سياسي يجوز إهماله ، وإنما هو حق قانوني ، بل واحد من أهم حقوق الإنسان ، وواحد من قواعد القانون الدولي اللازمة للتعاون بين الدول وقيام علاقات ودية بينها . وفوق هذا فثمة اتجاه فقهي متصاعد لاعتبار مبدأ حق تقرير المصير من النظام العام الدولي *Jus Cogens* .

٢) تقرير المصير حق لجميع الشعوب على الإطلاق ، وفيها شعوب الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي والمشمولة بالوصاية .

٣) كلمة الشعب هنا تعني مجموعة الأفراد الذين يقطنون إقليما محددا ، أي سكان الدول ، أو سكان الأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي ، أو سكان الأقاليم المشمولة بالوصاية ، أو سكان المستعمرات الأخرى التي ترفض الدول المستعمرة إدخالها في الفئتين السابقتين (كشعوب المستعمرات البرتغالية وزيمبابوي سابقا ، وشعب ناميبيا) . وحق تقرير المصير هو حق أغلبية السكان ، لا حق الأقلية . فهو لا يعني حق الأقليات في الانفصال عن البلد الأصلي .

٤) يعني حق تقرير المصير ـ بالنسبة إلى الشعوب المستعمرة ـ إما الاستقلال الناجز ، وإما الانضمام إلى الدولة الوصية ، وإما الانضمام إلى دولة مجاورة . أما بالنسبة إلى الشعوب عموما فيعني حق كل شعب في أن يقرر بحرية وبدون أي تدخل خارجي وضعه السياسي ، وأن يتابع تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي . وعلى كل دولة واجب احترام هذا الحق تمشّيا مع نصوص الميثاق .

٥) يمارس حق تقرير المصير بالاستفتاء الشعبي المباشر ، وعلى أساس أن لكل إنسان صوتا واحداً . ويفضل أن يتم الاستفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة . غير أن شيئاً ما لا يمكن أن يحول بين الشعب

المعنيّ وممارسته حقه في تقرير المصير بالكفاح المسلح . وعلى الأمم المتحدة والدول الأعضاء تمشيا مع أهداف ومبادىء الأمم المتحدة أن تقدم للشعب المعني ما يحتاج إليه من مساعدة للوصول إلى حقه في تقرير مصيره .

ويلاحظ أن ممارسات الأمم المتحدة حول طبيعة تقرير المصير ومضمونه ليست ذات صفة إنشائية ، بل ذات صفة إظهارية وحسب . فالحق مقنّن بميثاق الأمم المتحدة . وما ممارسات الأمم المتحدة إلاّ تفريع وتفصيل لمبدأ موجود ، لكنها تظهر بجلاء ووضوح مدى إهدار الأمم المتحدة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، حين استصدرت جمعيتها العامة قرار التقسيم ، ثم حين راحت في غيبوبة سياسية عن الشعب ذاته إغفالا وتجاهلا .

وقد كان على الأمم المتحدة أن تصحو من غيبوبتها السياسية هذه في أكثر من مناسبة لعل أبرزها حرب ١٩٦٧ * التي أدّت إلى ابتلاع (إسرائيل) ما كان قد تبقى من فلسطين بحدودها الدولية (الضفة الغربية وقطاع غزة) ، واقتلاع مئات الألوف من سكانها والإمعان في معاملة من لم يهجّر منهم معاملة دانها المجتمع الدولي أكثر من مرة . غير أن شيئا من هذا لم يحصل . وعلى العكس فقد اجتزأ مجلس الأمن رقم ٢٤٢ الصادر في ١٩٦٧/١١/٢٢ اكتفى بتوكيد الحاجة إلى " تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين " . ويلاحظ أن كلمة لاجئين وردت مطلقة دون تخصيص ، مما حفز (إسرائيل) وأنصارها على الزعم أن المقصود هنا هو اللاجئون العرب الفلسطينيون ، وكذلك اللاجئون من اليهود الذين تركوا الأقطار العربية في أعقاب إقامة (إسرائيل) ، مع أن المقارنة غير ممكنة بين من هاجر ومن هُجِّر . فمعظم يهود البلاد العربية تركوا أقطارهم طوعا ، وتحت تأثير الدعاوة الصهيونية ، أما الفلسطينيون فقد هُجِّروا من بلدهم بالإكراه والعنف (رَ : إخراج الفلسطينيين من ديارهم ، ١٩٤٨) .

واستمر شعب فلسطين وحقوقه الوطنية الثابتة غائبين عن قرارات الأمم المتحدة حتى أواخر الستينات . لكن بداية التحول ظهرت في عام ١٩٦٩ . ويعود الفضل الأول في هذا التحول إلى اشتداد وتصاعد صمود الشعب الفلسطيني وكفاحه المسلح للاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، سواء داخل الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ ، أو تلك المحتلة في عام ١٩٦٧ ، وضربه الأهداف الصهيونية في فلسطين وخارجها . فهذه المقاومة الفلسطينية المسلحة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية * بدأت تشد اهتمام الرأي العام العالمي في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ، بل في عدد من الدول الأوربية ، وتظهر أن الشعب الفلسطيني الذي زعمت غولدا مائير يوما أنها لم تسمع به أصلا ، موجود في كل مكان ، ومستعد للفداء من أجل استرجاع حقوقه الوطنية الثابتة .

في العاشر من كانون الأول ١٩٦٩ ، وبعد مناقشة أوضاع الفلسطينيين من خلال تقرير المفوض العام لوكالة الإغاثة (الأونروا) ، أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٢٥٣٥/أ ، ب ، جـ (الدورة ـ ٢٤) بعنوان " الأسف لعدم تنفيذ قرار عودة اللاجئين أو التعويض عليهم ، وتأكيد الحقوق الثابتة لسكان فلسطين ، ولفت نظر مجلس الأمن إلى السياسة الإسرائيلية في الأراضي المحتلة ، وتمديد ولاية الأونروا " . وقد لاحظت الجمعية العامة في هذا القرار ، مع الأسف الشديد ، أنه لم تتم إعادة اللاجئين إلى ديارهم أو تعويضهم حسب ما نصت عليه قراراتها السابقة ، وأن حالة اللاجئين لذلك لا تزال مدعاة للقلق الشديد . وأكدت الجمعية العامة في القسم (ب) من هذا القرار أن " مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الثابتة المقررة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان " . وانتهت الجمعية العامة في هذا القسم من القرار إلى أن تؤكد من جديد حقوق شعب فلسطين الثابتة ، وتلفت نظر مجلس الأمن إلى الحالة الخطيرة الناشئة عن سياسة (إسرائيل) وممارساتها في الأقاليم المحتلة ، وعن رفض (إسرائيل) تنفيذ القرارات الصادرة عن الجمعية العامة عبر السنوات الطوال المنصرمة .

صحيح أن هذا القرار صدر في سياق مناقشة تقرير المفوض العام للأونروا ، وأنه استخدم في غير موضع كلمة « اللاجئين » ، إلاّ أنه تميّز بأمرين : أولهما أنه تحدث عن أن مشكلة هؤلاء اللاجئين ناشئة أساسا عن إنكار حقوقهم المقررة في الميثاق والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، ومن بينها حق تقرير المصير . وثانيهما أنه استخدم لأول مرة عبارة « حقوق شعب فلسطين الثابتة » أي أنه أقر للفلسطينيين بصفة الشعب بعدما ظلوا خلال نحو عقدين من الزمن يوصفون باللاجئين .

ومع نهاية عام ١٩٧٠ تحركت الجمعية العامة للأمم المتحدة خطوة أخرى في الطريق الصحيح من خلال مناقشاتها حقوق شعب فلسطين ، واستصدارها القرارات ٢٦٢٨ ، ٢٦٤٩ ، ٢٦٧٢ (الدورة ـ ٢٥) . في هذه المرة لم تكتف الجمعية العامة باعترافها بالفلسطينيين شعباً ، بل اعترفت أيضاً بحق هذا الشعب في تقرير مصيره . ولعل القسم (جـ) من القرار ٢٦٧٢ هو الأكثر أهمية وتكاملا في هذا السبيل . وينص هذا القسم على ما يلي :

" ان الجمعية العامة ،

" إذ تدرك أن مشكلة اللاجئين العرب الفلسطينيين ناشئة عن إنكار حقوقهم الثابتة المقررة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان ،

" وإذ تذكر قرارها ٢٥٣٥ ب (الدورة ـ ٢٤) . . . الذي أكدت فيه من جديد حقوق شعب فلسطين الثابتة .

" وإذ تضع نصب عينيها مبدأ تساوي الشعوب في الحقوق وحقها في تقرير المصير المكرس في المادتين ١ و٥٥ من ميثاق الأمم المتحدة ، والمعاد تأكيده لآخر مرة في الإعلان الخاص بمبادىء القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية والتعاون بين الدول وفقا لميثاق الأمم المتحدة:

" ١) تعترف لشعب فلسطين بالتساوي في الحقوق وبحق تقرير المصير وفقا لميثاق الأمم المتحدة ،

" ٢) وتعلن أن الاحترام التام لحقوق شعب فلسطين الثابتة هو عنصر لا غنى عنه في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط " .

وهكذا حاولت الجمعية العامة ، لأول مرة في تاريخها ، أن تترجم مفهومها لحقوق الفلسطينيين بطريقة لا تدع مجالا للّبس . فالفلسطينيون شعب بالمعنى القانوني للكلمة أنكرت حقوقه الثابتة حتى غدا لاجئا . وبالتالي يقضي إنصافه بالعودة إلى الاعتراف به كما هو أصلا شعباً له من الحقوق ما لغيره من الشعوب ، ومن هذه الحقوق حق تقرير المصير بكل أبعاده ومضامينه . وبدون احترام هذه الحقوق للشعب الفلسطيني لا يمكن إقامة سلم عادل ودائم في المنطقة . أي أن مشكلة الشعب الفلسطيني هي جوهر النزاع في الشرق الأوسط .

صحيح أن هذا القسم من القرار ٢٦٧٢ اتخذ بأكثرية ضئيلة ، إذ صوّتت معه سبع وأربعون دولة في حين عارضته اثنتان وعشرون دولة ، وامتنعت خمسون دولة عن التصويت ، إلّا أنه يعدّ نقطة تحول جوهرية في نظرة الأمم المتحدة ، ممثلة في جمعيتها العامة ، تجاه الشعب الفلسطيني .

أما القرار ٢٧٨٧ (الدورة ـ ٢٦) الصادر في ١٩٧١/١٢/٦ ، فقد سارت فيه الجمعية العامة باتجاه توكيد شرعية النضال من أجل تقرير المصير للشعوب الواقعة تحت حكم استعماري وأجنبي ، ومنها الشعب الفلسطيني . كما أعرب القرار رقم ٢٧٩٢/د (الدورة ـ ٢٦) الصادر في ١٩٧١/١٢/٦ عن قلق الجمعية العامة البالغ لعدم السماح لشعب فلسطين بالتمتع بحقوقه الثابتة وبحقه في تقرير مصيره . وتكرر موقف الجمعية العامة نفسه ، وبلهجة أشد قليلاً في قرارها رقم ٢٩٦٣/هـ (الدورة ـ ٢٧) الصادر في ١٩٧٢/١٢/١٣ وبالقرار رقم ٣٠٨٩/ج ود (الدورة ـ ٢٨) الصادر في ١٩٧٣/١٢/٧ . ويلاحظ أن نسبة الدول المؤيدة لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره كانت تتزايد عبر السنين ، فقد صوّت إلى جانب القرار الأخير ٨٧ دولة ولم تعارضه سوى ست دول ، في حين امتنعت ٣٣ دولة عن التصويت .

على أن أكثر التطورات أهمية في موقف الأمم المتحدة تجاه الشعب الفلسطيني جاءت في أعمال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة حين بدأت آثار حرب ١٩٧٣ * تأخذ أبعادها السياسية والمالية والنفطية . فقد رأت الجمعية العامة في القرار رقم ٣٢١٠ (د ـ ٢٩) الصادر في ١٩٧٤/١٠/١٤ أن "الشعب الفلسطيني هو الطرف الأساسي المعني بقضية فلسطين . لذلك قررت دعوة منظمة التحرير الفلسطينية الممثلة للشعب الفلسطيني إلى الاشتراك في مداولات الجمعية العامة بشأن قضية فلسطين " . وقد صوتت ١٠٥ دول إلى جانب هذا القرار ، ولم تعارضه إلّا أربع دول فقط هي إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية وبوليفيا والدومنكان ، في حين امتنعت عشرون دولة عن التصويت .

ولما كان قد تم في هذه الدورة إدراج قضية فلسطين بنداً مستقلاً على جدول أعمال الجمعية العامة لأول مرة منذ أواخر الأربعينات فقد فتحت ملفات القضية كاملة وبصورة مباشرة وجديّة بمشاركة وفد يمثل الشعب الفلسطيني ، وباعتراف الأمم المتحدة ذاتها . وتمخضت هذه الدورة عن مجموعة من القرارات أهمها من غير شك القرار رقم ٣٢٣٦ الصادر في ١٩٧٤/١١/٢٢ بأغلبية ٨٩ صوتا مقابل ٨ أصوات وامتناع ٣٧ . ويحمل هذا القرار التاريخي عنوان « قرار حقوق الشعب الفلسطيني » . وهو القاعدة التي تنطلق منها معالجة الجمعية العامة لقضية الشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره . وتقول بعض فقراته التنفيذية :

" إن الجمعية العامة . . .

" ١ ـ تؤكد من جديد حقوق الشعب الفلسطيني الثابتة في فلسطين وخصوصا :

أ ـ الحق في تقرير مصيره دون تدخل خارجي .

ب ـ الحق في الاستقلال والسيادة الوطنيين .

" ٢ ـ وتؤكد من جديد أيضا حق الفلسطينيين الثابت في العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم التي شردوا عنها واقتلعوا منها ، وتطالب بإعادتهم .

" ٣ ـ وتشدّد على أن الاحترام الكلي لحقوق الشعب الفلسطيني الثابتة هذه ، وإحقاق هذه الحقوق ، أمران لا غنى عنهما لحل قضية فلسطين .

" ٤ ـ وتعترف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في إقامة سلم عادل ودائم في الشرق الأوسط .

" ٥ ـ وتعترف كذلك بحق الشعب الفلسطيني في استعادة حقوقه بكل الوسائل وفقا لمقاصد ميثاق الأمم المتحدة ومبادئه .

" ٦ ـ وتناشد جميع الدول والمنظمات الدولية أن تمد يد دعمها الشعب الفلسطيني في كفاحه لاسترداد حقوقه وفقا للميثاق .

"٧ ـ وتطلب إلى الأمين العام أن يقيم اتصالات مع منظمة التحرير الفلسطينية في كل الشؤون المتعلقة بقضية فلسطين"

وبموجب القرار ٣٢٣٧ (الدورة ـ ٢٩) الصادر بتاريخ ١٩٧٤/١١/٢٢ منحت منظمة التحرير الفلسطينية مركز المراقب الدائم في دورات الجمعية العامة وجميع المؤتمرات التي تعقد تحت إشراف الأمم المتحدة أو أي من وكالاتها المتخصصة . وهي صفة لم

يسبق أن منحت لأي من حركات التحرر الوطنية في تاريخ الأمم المتحدة .

وفي الدورة الثلاثين خطت الجمعية العامة خطوة أبعد باتخاذها سلسلة من القرارات أهمها القرار ٣٣٧٦ (الدورة - ٣٠) تاريخ ١٠/١١/١٩٧٥ . وفيه دعت الجمعية العامة ، من خلال إعادة تأكيد قرارها رقم ٣٢٣٦ السابق ، دعت منظمة التحرير الفلسطينية كممثل لشعب فلسطين إلى الاشتراك في جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط التي تعقد تحت إشراف الأمم المتحدة، على قدم المساواة مع الأطراف الأخرى . وفي الدورة ذاتها أعربت الجمعية العامة عن قلقها البالغ بسبب عدم تحقيق أي تقدم باتجاه الأهداف المذكورة في القرار ٣٢٣٦ ، وقررت تأليف لجنة من عشرين من الدول الأعضاء للبحث في ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة وفق أحكام القرار ٣٢٣٦ (٢٩). وقد بدأت اللجنة المذكورة أعمالها ، وهي تقدم تقارير سنوية إلى الجمعية العامة التي تكرر سنويا التأكيد على مضمون القرار ٣٢٣٦ . وفي الدورة الرابعة والثلاثين المنعقدة عام ١٩٧٩ رفضت الجمعية العامة اعتماد ما جاء في اتفاقيات كامب ديفيد * ومعاهدة الصلح المصرية - الإسرائيلية * حول حقوق الشعب الفلسطيني ، وأعادت توكيد قرارها ٣٢٣٦ (٢٩) .

وفي ١٥/١٢/١٩٨٠ أصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ٣٥/١٦٩ وقد استذكرت فيه جميع قراراتها السابقة حول حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، ولاحظت بقلق شديد عدم امتثال (إسرائيل) لهذه القرارات وبالتالي عدم تحقيق حل عادل لمشكلة فلسطين لأن هذه المشكلة ما زالت تؤدي إلى تفاقم النزاع في الشرق الأوسط الذي تمثل لبه ، وإلى تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر ، ولأن قرار مجلس الأمن ٢٤٢ (١٩٦٧) لا يؤمن مستقبل الشعب الفلسطيني وحقوقه غير القابلة للتصرف التي يمثل تحقيقها شرطا لا بد منه لإيجاد حل عادل لقضية فلسطين .

وأكدت الجمعية العامة في هذا القرار توصيات اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف التي اعتمدتها الجمعية في دورتها الحادية والثلاثين ، وقد ورد في هذه التوصيات ما يلي بالنسبة لحقه في تقرير المصير :

" أ - أن يضع مجلس الأمن جدولاً زمنيا لانسحاب قوات الاحتلال الإسرائيلي انسحابا كاملا من المناطق التي احتلت عام ١٩٦٧ .

" ب - قد يحتاج مجلس الأمن إلى توفير قوات مؤقتة لصيانة السلم بقصد تيسير عملية الانسحاب .

" ج - أن يطلب مجلس الأمن إلى إسرائيل أن تمتنع عن إنشاء مستعمرات جديدة ، وأن تنسحب خلال هذه الفترة من المستعمرات المنشأة منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك مع وجوب الإبقاء على الممتلكات العربية وكل المرافق الأساسية في المناطق سليمة من غير مساس .

"د - أن يطلب إلى إسرائيل أن تمتثل امتثالا كاملا لأحكام اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية الأشخاص المدنيين في وقت الحرب لعام ١٩٤٩ ، وأن تعلن ، ريثما يتم انسحابها العاجل من هذه الأراضي ، اعترافها بانطباق هذه الاتفاقية .

" هـ - أن تتسلم الأمم المتحدة الأراضي التي يتمّ الجلاء عنها وجميع الممتلكات والمرافق فيها سليمة بغير مساس ، فتقوم بعد ذلك ، بالتعاون مع جامعة الدول العربية ، بتسليم هذه المناطق التي تم الجلاء عنها إلى منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني .

" و - أن تساعد الأمم المتحدة ، إذا اقتضى الأمر ، في إقامة خطوط مواصلات بين غزة والضفة الغربية .

"ز - أن تقوم الأمم المتحدة ، بمجرد إنشاء الكيان الفلسطيني المستقل ، وبالتعاون مع الدول المعنية مباشرة ومع الكيان الفلسطيني ، ومع مراعاة قرار الجمعية العامة ٢٣٧٥د/ ٣٠ ، باتخاذ ترتيبات أخرى من أجل إعمال حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف إعمالا كاملا ، وحل المشكلات المعلقة ، وإقامة سلم عادل ودائم في المنطقة وفقا لجميع قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بذلك .

" ح - أن تقدم الأمم المتحدة المساعدة الاقتصادية والتقنية اللازمة لدعم الكيان الفلسطيني " .

ولا تزال قضية فلسطين ، كبند مستقل ، تدرج سنويا على جدول أعمال الأمم المتحدة .

أما مجلس الأمن فقد درس قضية فلسطين من خلال تقارير لجنة ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الثابتة .

جلي مما تقدم ولا سيما مما ورد في القرار ٣٢٣٦ (٢٩) أن الأكثرية الساحقة للمجتمع الدولي ممثلا في الجمعية العامة للأمم المتحدة تعترف بما يلي :

١) الفلسطينيون شعب كامل متكامل كما هو مقصود بالتعريف الوارد في الفقرة الثانية من المادة الأولى من ميثاق الأمم المتحدة ، وليسوا مجرد أعداد من اللاجئين يتمتّعون بحق محدّد في العودة أو التعويض .

٢) الفلسطينيون شعب له قضية مشروعة يدافع عنها ويناضل من أجلها ، وله حقوق ثابتة مثله في ذلك مثل الشعوب الأخرى .

٣) من بين الحقوق الثابتة التي يقر المجتمع الدولي بها للفلسطينيين حقا العودة وتقرير المصير .

٤) الفلسطينيون كشعب له حقوقه الثابتة بما فيها حقا العودة وتقرير المصير يملكون جميع الوسائل المشروعة لإحقاق حقوقهم ، بما في ذلك الكفاح الوطني السياسي والعسكري وسواهما إذا أخفقت الوسائل الأخرى . وأي إجراء يتخذ لمنع الفلسطينيين من ممارستهم تلك مُنَدَّد به دوليا من قبل الأمم المتحدة التي تلتزم، منظمة ودولاً أعضاء ، بإعطاء الفلسطينيين جميع العون اللازم للوصول إلى حقوقهم الثابتة (الفقرة ٥ و٦ من القرار ٣٢٣٦) .

٥) الفلسطينيون ممثّلين بمنظمة التحرير الفلسطينية هم الطرف الأساسي في النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، وبدون اشتراكهم التام والحر لن يكون هناك سلام دائم وعادل في الشرق الأوسط . إذن فالمسألة الفلسطينية هي جوهر النزاع في هذه المنطقة .

ويلاحظ أن الجمعية العامة تخلت في قرارها ٣٢٣٦ (٢٩) عن التعويض بديلاً للعودة ، وأصرت على العودة حقاً غير قابل للتصرف . وهذا الإصرار ينسجم مع طبيعة الأشياء ، فما دام الشعب الفلسطيني صاحب الحق في تقرير مصيره ، وما دامت أغلبية هذا الشعب تعيش خارج حدود إقليمه (فلسطين) ، فلا بد له من العودة إلى دياره حتى يتمكن من ممارسة حقه في تقرير المصير الذي حددت ممارسات الأمم المتحدة مضمونه ، وهو بإيجاز حق الشعب المعني في " أن يقرر بحرية ودون أي تدخل أجنبي وضعه السياسي ، وأن يتابع تطوره الاقتصادي والاجتماعي والثقافي " . وبالنسبة إلى الشعب الفلسطيني حدد القرار ٣٢٣٦ جانبا متميزا من مضمون حق تقرير المصير وهو الاستقلال والسيادة . غير أن الجمعية العامة ما زالت إلى هذا اليوم تقع في تناقض أساسي ، إذ إنها تعود أثناء اعتماد تقرير المفوض العام للأونروا إلى توكيد نص المادة ١١ من قرارها ١٩٤ (الدورة الثالثة) الذي يعالج مشكلة الفلسطينيين كلاجئين لهم الحق في العودة والتعويض .

المراجع :

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي ، بيروت .

— Muhammad Aziz Shukri: **The Concept of Self Determination in the United Nations** 1965.

— Muhammad Aziz Shukri: **Self Determination , And the Palestinians,** Paper Presented to the « **Colloque Palestinien** » Brussels 1976.

التقسيم (لجنة ـ الفنية) : رَ : وود هيد (لجنة ـ)

تقسيم فلسطين :

أ ـ لمحة تاريخية : نشأت فكرة تقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ ، وكانت لجنة بيل * أول من اقترحها . وقد جاء في تقريرها المؤرخ في ١٩٣٧/٧/٧ : " ما دام العرب يعتبرون اليهود غزاة دخلاء ، وما دام اليهود يرمون إلى التوسع على حساب العرب ، فالحل الوحيد هو الفصل بين الشعبين ، فتؤلف دولة يهودية في الأراضي التي يكوّن اليهود أكثرية سكانها ودولة عربية في المناطق الأخرى " . وتكررت فكرة التقسيم مرة أخرى ـ ولكن في صورة مختلفة ـ أثناء مؤتمر لندن الذي عقد من ٩/١٠ إلى ١٩٤٦/١٠/٢ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٤٦) ، إذ عرضت بريطانيا على العرب ما أسمته مشروع النظام الاتحادي ، أو مشروع موريسون * ، وهو تقسيم فلسطين إلى أربع مناطق إدارية هي :

١) المنطقة اليهودية ، وتشمل معظم الأراضي التي حلّ فيها اليهود إلى وقت عرض المشروع ، وكذا مناطق كبيرة بين المستعمرات اليهودية وحولها .

٢) القدس ، وتشمل القدس * وبيت لحم * والأراضي القريبة منهما .

٣) النقب * .

٤) المنطقة العربية ، وتشمل ما تبقى من أراضي فلسطين وتمنح كل من المنطقة العربية واليهودية استقلالا ذاتيا .

لكن العرب رفضوا كلا المشروعين ووقفوا بقوة ضد مبدأ تقسيم فلسطين مهما كانت صوره . وحين أدركت بريطانيا * فشل مساعيها الرامية إلى التقسيم بموافقة العرب ، اتجهت منذ انتهاء مؤتمر لندن سنة ١٩٤٦ إلى أن يتم تقسيم فلسطين وإنشاء الدولة اليهودية فيها عن طريق منظمة الأمم المتحدة التي كان للولايات المتحدة الأمريكية * نفوذ كبير داخلها في ذلك الوقت . وكانت الحركة الصهيونية بدورها قد بدأت تركز نشاطاتها وضغوطها على الحكومة الأمريكية لإدراكها أنها القادرة على تمرير التقسيم في المنظمة الدولية الجديدة .

ب ـ عرض قضية فلسطين على الجمعية العامة للأمم المتحدة : في ١٩٤٧/٤/٢ طلبت بريطانيا دعوة الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد أول دورة استثنائية لها لمناقشة مشكلة فلسطين. وفي ١٩٤٧/٤/١٣ وافقت أكثرية الأعضاء على هذا الطلب رغم معارضة الدول العربية التي شعرت أن الاجتماع لا مفر منه فحاولت أن تضمّن جدول أعمال الدورة الاستثنائية موضوعا إضافيا قصد منه توسيع مجال البحث حتى يشمل موضوع انتهاء الانتداب وإعلان استقلال فلسطين. غير أن هذا الطلب رفض بحجة أنه يحكم مسبقا على موضوع البحث . وبعد مناقشات مسهبة شارك فيها أمام

اللجنة الأولى ممثلو الهيئة العربية العليا لفلسطين * وممثلو الوكالة اليهودية * قررت الجمعية العامة في ١٩٤٧/٥/١٥ (القرار ١٠٦ - الدورة الاستثنائية الأولى) تأليف ما عرف باللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين * (انسكوب) . وقد تألفت هذه اللجنة من أستراليا وكندا * وتشيكوسلوفاكيا وغواتيمالا والهند وإيران وهولندا * والبيرو والسويد وأرغواي ويوغسلافيا * . وقد حدد القرار مهمة اللجنة على النحو التالي : " سيكون للجنة الخاصة أوسع السلطات في التأكد من الحقائق وتسجيلها ، وفي تحري جميع المسائل والقضايا المتعلقة بقضية فلسطين . . .

" على اللجنة الخاصة القيام بالتحقيقات في فلسطين ، وحيث ترى أن ذلك قد يكون مفيدا ، وتتلقى الشهادات الخطية والشفهية من السلطة المنتدبة ، وممثلي سكان فلسطين ، ومن الحكومات والمنظمات والأفراد ، وتدرسها ، كما ترى ذلك ضروريا ، وكما تعتبره ملائماً في كل حالة " .

وطلب القرار من اللجنة أن تعد تقريرا للجمعية العامة ، وأن تقدم الاقتراحات التي تراها ملائمة لحلّ قضية فلسطين في موعد لا يتعدى ١٩٤٧/٩/١ . ولم يتضمن القرار أي إشارة إلى استقلال فلسطين ، مما أدى إلى احتجاج الوفود العربية ، ومنها وفد الهيئة العربية العليا لفلسطين .

جـ - تقرير اللجنة الخاصة : عقدت اللجنة بين ١٩٤٧/٥/٢٦ و١٩٤٧/٨/٣١ ١٦ اجتماعا عاما و٣٦ اجتماعا خاصا في « ليك سَكْسِسْ» والقدس وبيروت وجنيف استمعت خلالها لبيانات سلطات الانتداب ، وشهادات ممثلي العرب واليهود ، واطلعت على الوثائق التي قدّمها كل منهم . وقد بدا واضحا من المعلومات التي حصلت عليها اللجنة أن الفلسطينيين العرب يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان (رغم تدفق اليهود على فلسطين خلال فترة الانتداب) . فقد قررت اللجنة رسميا أن عدد السكان العرب يصل إلى ١,٢٣٧,٣٧٤ في مقابل ٦٠٨,٢٢٥ من اليهود (والواقع أن عدد السكان العرب كان أكثر وعدد اليهود أقل من ذلك) . كذلك بدا واضحا من تقرير اللجنة أن العرب يملكون ما يزيد على ٨٦٪ من أراضي فلسطين (والنسبة الحقيقية أكبر) وأنهم - بموجب حقهم الطبيعي القانوني في البلاد - تواقون إلى الحصول على الاستقلال الناجز في دولة فلسطينية تستوعب من فيها من يهود بحقوق والتزامات مساوية للسكان الآخرين . أما الصهيونيون فكانوا مصرّين على ترجمة وعد بلفور * إلى واقع يقضي بإقامة دولة يهودية في فلسطين دون أي اعتبار لحقوق أهلها الشرعيين متعللين لذلك بأقاويل بنوا قسما منها على أساطير تاريخية ، وقسما آخر على ما جاء في وعد بلفور وصك الانتداب على فلسطين * .

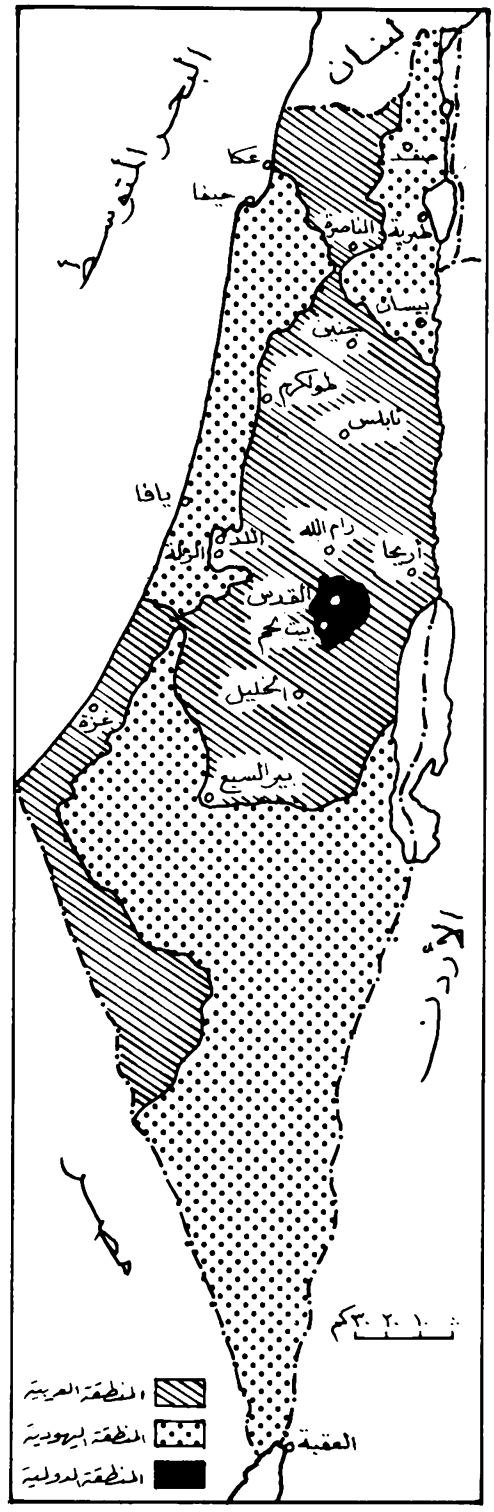

أمام هذا الواقع المادي البيّن في صالح القضية العربية ، والذي لم تملك اللجنة إلا أن تسجله في تقريرها (الوثيقة ٣٦٤/أ.ج ، ٤) كان عليها أن تصل إلى النتيجة المنطقية المنسجمة معه والتي عبرت عنها أقلية أعضائها . إلا أن أغلبية أعضاء اللجنة الذين لم يتم

اختيارهم عشوائيا اتجهت في مقترحاتها بطريقة تخالف تماما مسببات هذه المقترحات .

تضمن تقرير اللجنة الخاصة بفلسطين توصيات وافق عليها الأعضاء الأحد عشر بالإجماع ، وتقضي بضرورة إنهاء الانتداب على فلسطين ومنحها الاستقلال ، على أن تسبق ذلك مرحلة انتقالية قصيرة تكون السلطة أثناءها مسؤولة أمام منظمة الأمم المتحدة ، مع بقاء الصبغة الدينية للأماكن المقدسة .

أما بعد ذلك فقد انقسمت اللجنة إلى أكثرية وأقلية قدمت كل منهما مشروعا . وقد اقترح مشروع الأكثرية أن تقسم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ترتبطان فيما بينهما باتحاد اقتصادي . أما الدولة العربية فتتألف من الجليل الغربي ومنطقة نابلس الجبلية والسهل الساحلي * الممتد من أسدود * في الجنوب إلى الحدود المصرية ، وتدخل في هذا منطقة الخليل وجبال القدس * وغور الأردن . وعلى هذا خصص للدولة العربية حوالي ٤٢,٨٨٪ من المساحة الكلية لفلسطين . أما سكانها فكانوا حوالي ٧٢٥,٠٠٠ عربي و١٠,٠٠٠ يهودي . في حين تضم الدولة اليهودية الجليل الشرقي ومرج ابن عامر * والقسم الأكبر من السهل الساحلي ومنطقة بير السبع بما فيها النقب ، أي أنه خصص لها ما يقرب من ٥٦,٧٤٪ من المساحة الكلية لفلسطين ، أما سكانها فكانوا حوالي ٤٩٨,٠٠٠ من اليهود و٤٩٧,٠٠٠ عربي . وبموجب هذا المشروع يُجعل للقدس كيان مستقل خاضع لنظام دولي خاص ، وتتولى الأمم المتحدة إدارتها ، ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة . وتشمل مدينة القدس في وضعها المقترح " بلدية القدس الحالية مضافا إليها القرى والبلدان المجاورة حتى أبو ديس شرقا وبيت لحم جنوبا وعين كارم * غربا ، وتشمل معها المنطقة المبنية من قرية قالونيا * " . وكان في مدينة القدس ١٠٠ ألف يهودي و١٠٥ آلاف عربي .

واقترحت أقلية اللجنة التي ضمت مندوبي إيران والهند ويوغسلافيا أن تقوم في فلسطين حكومتان مستقلتان استقلالا داخليا وتتألف منهما دولة اتحادية واحدة عاصمتها القدس . وقد امتنعت أستراليا عن دعم أي من هذين المشروعين لأنها شعرت " أن كليهما يضعف إمكان اتخاذ قرار عادل من قبل الجمعية العامة " .

د ـ الجمعية العامة كلجنة خاصة : في ١٩٤٧/٩/٣ جعلت الجمعية العامة نفسها لجنة خاصة لبحث كلا المشروعين . وقد مثلت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في هذه اللجنة التي عقدت ٣٤ اجتماعا بين ٢٥ أيلول و٢٥ تشرين الثاني . استمعت هذه اللجنة الخاصة مرة أخرى إلى أقوال الهيئة العربية العليا والوكالة اليهودية . وكان محاميا الدفاع عن تقرير الأكثرية ممثلي غواتيمالا وأرغواي " وقد غُمرا كلاهما بالهدايا الصهيونية وفيما بعد الإسرائيلية " . ورغم أن الولايات المتحدة الأمريكية حافظت على صمتها السياسي لبضعة أسابيع بعد تأليف اللجنة الخاصة إلا أنها كشفت القناع عن وجهها أخيرا ، كما سجل وزير دفاعها آنئذ فورستال في مذكراته . وكان تصريح وزير الخارجية الأمريكية مارشال الذي أدلى به في ١٧ أيلول وقال فيه " إن الولايات المتحدة تولي أهمية كبرى لخطة التقسيم " ذا مغزى بالنسبة لما تبع ذلك . ففي ١١ تشرين الأول قام الممثل الأمريكي في اللجنة الخاصة بالإعلان رسميا عن دعم الولايات المتحدة لخطّة الأكثرية بالتقسيم ، وللهجرة اليهودية . وقد اتخذ الاتحاد السوفياتي * موقفا مماثلا بعد يومين فقط . وكان أحد شروط هذا القرار الأساسية أن يكون هناك اتحاد اقتصادي ضمن خطة التقسيم نظرا لأن ٦٠٪ من أحسن المناطق في فلسطين وهي المناطق التي أدرجتها الأكثرية في الدولة اليهودية المقترحة كانت ستصبح تحت حكم أقل من ثلث السكان (اليهود) .

بعد أن ناقشت الجمعية العامة ، بصفتها لجنة خاصة ، تقرير اللجنة التي أوصت أكثريتها بالتقسيم شكلت لجنتين فرعيتين ، أوكلت إلى إحداهما تقديم مشروع الأكثرية (أي التقسيم) ، وإلى الثانية تقديم تقرير عن مشروع الأقلية (أي الدولة الموحدة المستقلة) .

وقد قدمت اللجنة الفرعية الثانية تقريرا معللا برفض مشروع التقسيم ضمنته ثلاثة مشاريع قرارات، رفضتها الجمعية العامة ومضمون مشروع القرار الأول عدم تمتع الجمعية العامة بالسلطة القانونية التي تخولها تقسيم فلسطين . وأوصى المشروع الثاني بالتعاون الدولي لمعالجة مشكلة اللاجئين . ودعا المشروع الثالث إلى إنشاء دولة فلسطينية موحدة مستقلة .

وقد جاء في هذا التقرير ما يأتي :

" ينبغي النظر في مسألة تقسيم فلسطين في ضوء كل من أحكام الانتداب على فلسطين التي تفسرها المبادىء العامة الواردة في عهد عصبة الأمم * ، وأحكام ميثاق الأمم المتحدة . . . وبناء على ذلك فإن اقتراح الأكثرية في اللجنة الخاصة بضرورة تقسيم فلسطين ، بصرف النظر عن الاعتراضات السياسية والأدبية الأخرى التي لها وزنها ، يتعارض مع أحكام صك الانتداب المحددة ، ويعد انتهاكا مباشرا لمبادىء وأهداف عهد عصبة الأمم . ويتعارض الاقتراح أيضا مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، ولا تملك الأمم المتحدة أية وسيلة لتنفيذه . إن الأمم المتحدة ملزمة بموجب المادة الأولى من الميثاق بأن تعمل وفقا لمبادىء العدل والقانون الدولي ، وأن تحترم المبدأ الذي يقضي بالمساواة في الحقوق بين الشعوب ، وبأن يكون لكل منها حق تقرير مصيره . . . ولا يمكن بأي حال اعتبار فرض التقسيم على

فلسطين ضد الرغبات الصريحة لأغلبية سكانها احتراما لأي مبدأ من مبادىء الميثاق المذكورة ، أو عملا بها " .

وقد قامت هذه اللجنة الفرعية التي درست توصية الأقلية بإقامة دولة اتحادية مستقلة بتلخيص مبرراتها في تقرير ورد فيه :

١) أن أي حل لفلسطين لا يمكن أن يعتبر حلا للمشكلة اليهودية بشكل عام .

٢) وأن التقسيم اقتراح غير عملي وغير ممكن التنفيذ ، ومن المستحيل أن يؤدي إلى قيام دولتين لهما القدرة على الاستمرار بشكل معقول .

٣) وأن المجتمع الدولي يخطىء خطأ جسيما إن لم يوجه كل جهوده نحو الحفاظ على وحدة فلسطين ، وأن تأييد الأمم المتحدة لتلك الوحدة سيكون ، في حد ذاته ، عاملا هاما لتشجيع التعاون بين الشعبين .

٤) " وأنه لا يمكن تصور أن تعتبر فلسطين بأي شكل من الأشكال وسيلة لحل مشكلة يهود العالم . فالمساحة ، والموارد المحدودة ، والمعارضة القوية والمستمرة من الشعب العربي الذي يشكل غالبية سكان البلاد ، عوامل تتعارض تعارضا مباشرا وقويا مع أي اقتراح كهذا " .

بعد أن استمعت اللجنة الخاصة للجمعية العامة إلى تقرير اللجنتين الفرعيتين ابتدأ التصويت على المقترحات التي كانت تمثل وجهة نظر العرب . ودعا الاقتراح الأول إلى دعوة محكمة العدل الدولية لكي تقرر صلاحية الأمم المتحدة لمعالجة موضوع فلسطين ، لكن الاقتراح رفض بأكثرية ٢٥ صوتا مقابل ١٨ وامتناع ١١ دولة عن التصويت . وبالعكس صوتت ٢١ دولة مقابل ٢٠ دولة على أن للأمم المتحدة صلاحية التوصية بتطبيق التقسيم دون حاجة إلى موافقة أكثرية شعب فلسطين . ومن الجدير بالملاحظة أن الأرجنتين واليونان وهايتي وليبيريا كانت من بين الدول التي دعمت وجهة نظر العرب حول كلا الاقتراحين ، ثم غيّرت معظمها مواقفها فيما بعد . ودعا اقتراح ثالث إلى امتصاص اليهود الذين لا مأوى لهم من قبل الدول أعضاء الأمم المتحدة . وقد صوتت ١٦ دولة إلى جانب هذا القرار و ١٦ مثلها ضده وامتنع عن التصويت ٢٦ . وترافع المندوبون العرب وأصدقاؤهم القلائل ضد التقسيم بكل ما أوتوا من حجج قانونية وسياسية وإنسانية ، لكن دفوعهم كلها وقعت على آذان صمّاء . فقد كانت الولايات المتحدة بدفع من الحركة الصهيونية قد أبعدت أية فسحة لقوة الحجة . وهكذا ،وفي ١٩٤٧/١١/٢٥ ، وافقت اللجنة الخاصة على خطة التقسيم مع وحدة اقتصادية بين الدولتين : العربية واليهودية بأكثرية ٢٥ صوتا مقابل ١٣ صوتا وامتناع ١٧ . وقد اختلف مضمون هذا القرار عن خطة الأكثرية في اللجنة الخاصة بفلسطين بأنه انقص المنطقة المخصصة للدولة اليهودية بجعله يافا * وحوالي ٥٠٠ ألف فدان من منطقة النقب من حصة الدولة العربية . ورفع الأمر إلى الجمعية العامة التي تحتاج في اتخاذ مثل هذه القرارات لأغلبية ثلثي أعضائها الحاضرين والمشتركين في التصويت . ولما كانت الأغلبية التي أقر بها مشروع التقسيم في اللجنة الخاصة غير كافية لإقراره في الجمعية العامة فقد صعدت الولايات المتحدة الأمريكية ومعها حليفتها الصهيونية العالمية حملاتها لكسب مزيد من الأصوات في الجمعية العامة مستخدمة في ذلك ما تهيأ لها من وسائل الترغيب والترهيب مع الدول الأعضاء أو ممثليها .

هـ ـ الجمعية العامة وتقسيم فلسطين : شعرت الوفود العربية أن عامل الزمن لا يسير لصالح القضية الفلسطينية فركزت جهودها على سرعة التصويت على مشروع قرار التقسيم أملا في إحباطه . وفي مساء ٢٦ تشرين الثاني كاد يحدث التصويت في الجمعية العامة فعلا ، ولو جرى يومها لسقط مشروع التقسيم حتما . لكن رئيس الجمعية العامة مندوب البرازيل أجل الجلسة بحجة ضيق الوقت وكثرة طالبي الكلام . وأبدى المندوبون العرب استعدادهم لسحب طلباتهم بالكلام من أجل التسريع في عملية التصويت ، لكن رئيس الجمعية العامة أصر على رفع الجلسة ولما تتجاوز الساعة السادسة والنصف مساء في حين كان أمرا عاديا أن تستمر جلسات الجمعية إلى ساعات متأخرة من الليل . وكان رئيس الجمعية ، كما سجل ممثل الفيلبين ، ينفذ دوره في لعبة تأجيل التصويت لكسب الأغلبية اللازمة لإقرار التقسيم تماما كما خطط له البيت الأبيض والحركة الصهيونية العالمية .

في وصف مساعي الحركة الصهيونية للضغط على الدول المعارضة للتقسيم لتغيير مواقفها كتب الصهيوني دافيد هوروفيتس يقول " بقيت فينا روح الكفاح ثابتة . اجتمعنا في مكاتب الوكالة وتشاورنا في الطرق والوسائل الكفيلة لتغيير مجرى الأحداث . وبدأ الصراع من جديد . دقت أجراس الهواتف بشكل محموم . أرسلت البرقيات إلى كل أنحاء العالم. أيقظنا أناسا من نومهم في منتصف الليالي وأرسلناهم في مهام غريبة . والأغرب من كل ذلك أنه ما من يهودي ذي نفوذ سواء أكان صهيونيا أم غير صهيوني رفض أن يعطينا العون في أي وقت كان، فقد وضع الجميع إمكاناتهم ، صغيرة كانت أم كبيرة ، في خدمة المحاولات اليائسة لترجيح كفتنا " .

وقد تكشفت فيما بعد أسباب تغيير بعض الدول مواقفها وازدياد الأصوات الموالية للتقسيم خلال ثلاثة أيام فقط ، فقد أشار هوروفيتس إلى أهمية المعسكر الأمريكي اللاتيني ووصف المحاولات التي جرت لدى هذه الدول بأنها كانت " ناجحة بشكل

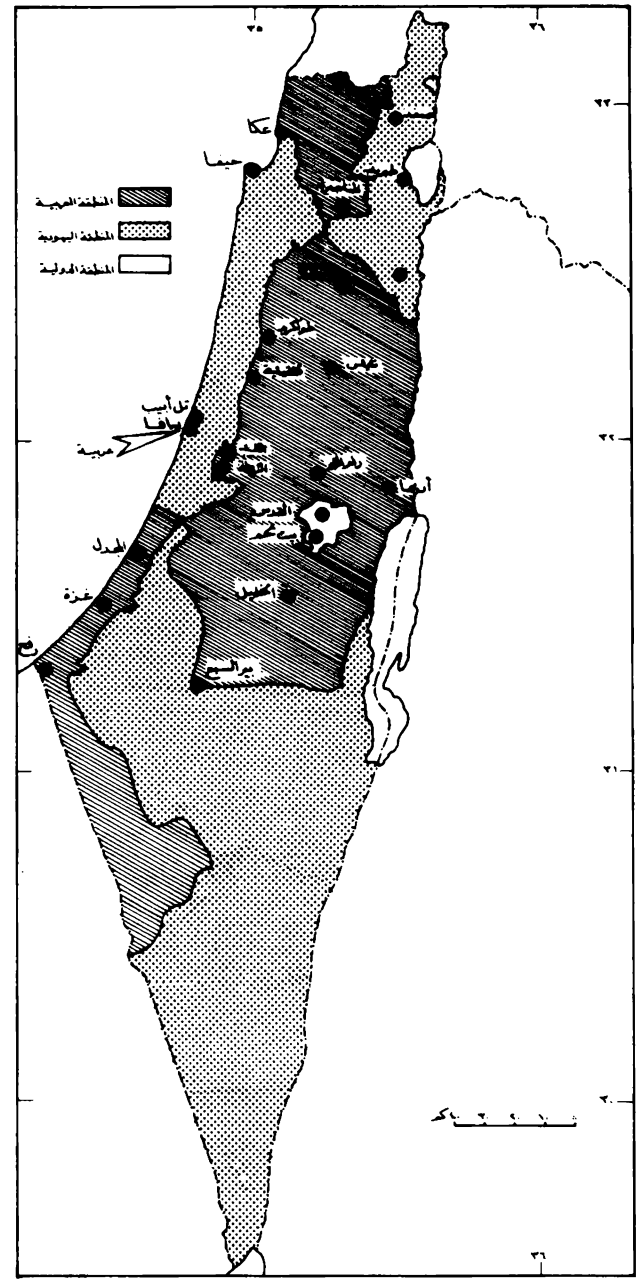

مدهش " . فقد استعمل الصهيوني الأرجنتيني موشي توكس الذي كان مسؤولاً عن الأعمال السياسية الصهيونية في دول أمريكا اللاتينية* "كل الوسائل التي وضعت تحت تصرفه في سبيل الإقناع " ، " وكان ناجحا وضليعا في استعمال وسائل عديدة ، كشرح المواقف ، والتقرب ، والضغط ، واستعمال السلطة . لقد التصق بالهاتف ليلا ونهارا يتكلم مع عواصم الجمهوريات في أمريكا اللاتينية ، بينما أرسل وسطاءه إلى قسم من هذه القارة ". وكان من بين أنشط الدعاة للقضية الصهيونية الكاردينال سبيلمان رئيس أساقفة نيويورك للكاثوليك . كما تأكد أن جوسي فيجوويرس ، وهو رئيس جمهورية سابق لكوستاريكا ومن أصل يهودي ، أعطي دفتر شيكات" على بياض " لشراء الضمائر . وفي الوقت نفسه استلمت زوجات ممثلي دول أمريكا اللاتينية هدايا كثيرة معظمها من ألماس ومعاطف الفرو الثمينة . وقد أعاد الممثل الكوبي المعارض لفكرة التقسيم معطف فرو قدم هدية إلى زوجه . وفي الوقت نفسه رفض هذا الممثل الرسمي طلبات كثيرة بالتحدث لمصلحة الصهيونية . وقد أشار الممثل الكوبي نفسه فيما بعد إلى وجود هذه الضغوط ، وإلى أن صوت دولة هاييتي جرى ضمانه عن طريق أدولف بيرلّ الذي وعد باعطاء مساعدات اقتصادية أمريكية لهذه الدولة كي تصوت إلى صالح التقسيم . وفعلا أعلن الممثل الهاييتي الذي كان قد صوّت ضد التقسيم في اللجنة الخاصة أن حكومته أمرته بتغيير صوته لأسباب اقتصادية .

وهكذا تآزرت الولايات المتحدة الأمريكية كحكومة وكرسميين مع الحركة الصهيونية في شراء الضمائر والأصوات اللازمة لتمرير التقسيم . حدث ذلك مثلاً مع غواتيمالا عن طريق روبرت ناثان رجل الأعمال الامريكي الذي استخدم ، بعلم الحكومة الأمريكية ، نفوذه الاقتصادي لشراء صوت هذه الدولة . وحدث ذلك أيضا مع ليبيريا التي هُددت بالضغط عليها من شركة فايرستون إن هي لم تتحول من موقف الامتناع عن التصويت في هذه اللجنة الخاصة إلى موقف التأييد للتقسيم في الجمعية العامة . وحدث ذلك مع الفيليبين التي تعرض رئيس وفدها لضغوط حملته على ترك مقر الأمم المتحدة بعدما أعطى أوامره المشددة بالتصويت ضد التقسيم ، لكن رئيس جمهوريته ذاته تدخل وأمر وفده بالتصويت إلى جانب التقسيم . وثمة حادثة أخرى كان لها أهمية خاصة نظراً للظروف التي أحاطت بها ، وهي السحب المفاجيء لأوراق اعتماد ممثل سيام ، فقد كان وضع هذا المندوب قلقا بسبب انقلاب وقع ضد حكومته ، غير أن الأمر ما كان يستدعي سحب أوراق اعتماده لولا أنه كان قد أعلن أنه سيصوّت ضد التقسيم . ولقد اعترف رئيس الولايات المتحدة الأمريكية هاري ترومان بدور بلاده في شراء أصوات مؤيدي التقسيم في مذكراته . وقد أكد وكيل وزارة الخارجية الأمريكية آنئذ روبرت لوفيت دور البيت الأبيض في الضغط على الدول لحملها على مجاراة التقسيم حين كتب " أنه لم يتعرض في حياته قط لمثل هذا الضغط الذي تعرض له خلال الأيام الثلاثة بدءاً من صباح الخميس وحتى مساء السبت " . وكان هربرت بايرد سوب وروبرت ناتان من بين أولئك الذين تدخلوا لديه . وأكد «سمنر ويلز» أن البيت الأبيض كان يلعب دورا مباشراً في الموضوع ، فقد استخدم ممثلين ووسطاء للتأكد من ضمان الأكثرية اللازمة . ويؤكد دافيد هوروفيتس ذلك بصراحة مطلقة

حين يقول : " إن الولايات المتحدة استعملت تأثيرها في اللحظة الأخيرة . ويجب أن يعزى التصويت النهائي إلى هذه الحقيقة " .

كان يوم الخميس في ١٩٤٧/١١/٢٧ يوم عيد الشكر ، فلم تجتمع الجمعية العامة . وحين اجتمعت يوم الجمعة لم يتكلم أحد ، فاقترح السفير الفرنسي تأجيل الاجتماع ٢٤ ساعة لكي يعطي الوقت لمحاولات التوفيق . وجاء هذا التأجيل لمصلحة الصهيونية ، فما إن أطل يوم ١٩٤٧/١١/٢٩ حتى كانت الجهود المشبوهة قد أثمرت لصالح التقسيم . وشعر المندوبون العرب أن كفة الميزان رجحت ضدهم فحاولوا كسب الوقت لعل الأمور تتغير، واقترحوا مشروعا وسطا يدعو لإنشاء دولة موحدة في فلسطين تقوم على نظام لا مركزي ، وتضمن حقوق الأقلية اليهودية . وقد طرح هذا المشروع صباح السبت ١٩٤٧/١١/٢٩ ، لكن مندوبي الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي معاً عارضا حتى مناقشة المشروع ، وأصرا على التصويت على مشروع التقسيم الذي فاز بأغلبية ٣٣ صوتا مقابل ١٣ صوتا وامتناع ١٠ أعضاء . وهكذا صدر القرار رقم ١٨١ (الدورة ـ ٢) الذي سجل بداية مأساة الشعب العربي الفلسطيني مع الأمم المتحدة .

و ـ التصويت* : صوّت إلى جانب قرار التقسيم كل من : أستراليا ، بلجيكا ، بولونيا ، البرازيل ، روسيا البيضاء ، كندا ، كوستاريكا ، تشيكوسلوفاكيا ، الدانمارك ، الدومينكان ، إيكوادور ، فرنسا ، غواتيمالا ، هاييتي ، إيسلندا ، ليبيريا ، لوكسمبورغ ، هولندا ، نيوزيلاندا ، نيكاراغوا ، النروج ، بنما ، بارغواي ، بيرو ، الفيليبين ، بولندا ، السويد ، أوكرانيا ، جنوبي إفريقيا ، الاتحاد السوفيتي ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أورغواي ، فنزويلا .

وعارض قرار التقسيم كل من : أفغانستان ، كوبا* ، مصر ، اليونان ، الهند ، إيران ، العراق ، لبنان ، الباكستان* ، المملكة العربية السعودية ، سورية ، تركيا ، اليمن .

وامتنعت عن التصويت كل من : الأرجنتين ، تشيلي ، الصين ، كولومبيا ، السلفادور ، الحبشة ، هندوراس ، المكسيك ، إنكلترا ، يوغسلافيا .

ز ـ مضمون قرار التقسيم : عنوان القرار رقم ١٨١ (الدورة ٢) : " التوصية بخطة لتقسيم فلسطين " ، وهو يقع في مقدمة واربعة أجزاء على النحو التالي :

الجزء الأول ويضم دستور فلسطين وحكومتها المستقلة . وفيه نصوص حول إنهاء الانتداب ، والتقسيم ، والاستقلال ، والخطوات التمهيدية لهذا الاستقلال . وفي هذا الجزء فصل خاص بالأماكن المقدسة والأبنية والمواقع الدينية ، وفصل ثان خاص

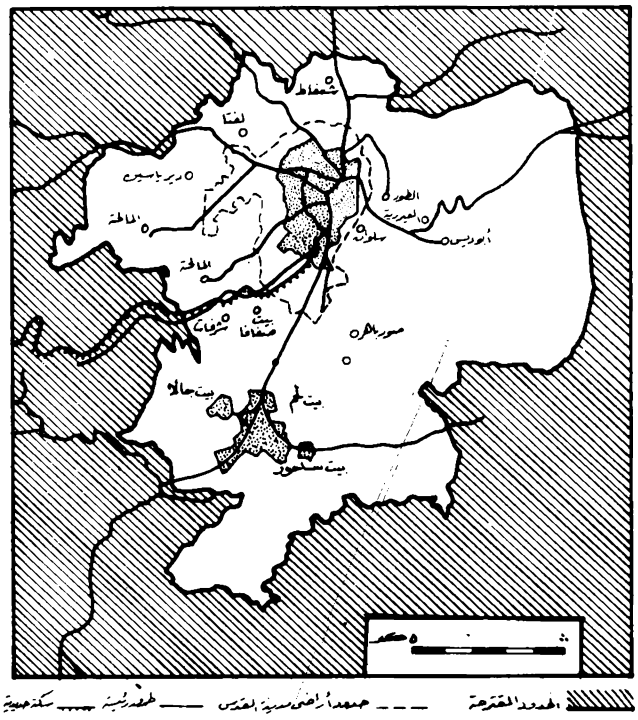

الحدود المقترحة لمنطقة القدس من قبل لجنة التقسيم ١٩٤٧ .

بالحقوق الدينية وحقوق الأقليات ، وفصل ثالث خاص بالمواطنة والاتفاقيات الدولية والالتزامات المالية ، وفصل رابع يتضمن أحكام الاتحاد الاقتصادي الفلسطيني بين الدولتين العربية واليهودية . ومجموع أحكام هذه الفصول يشكل هيكل التصريح الذي يفترض أن ترفعه الحكومة المؤقتة لكل من الدولتين إلى الأمم المتحدة قبل الاستقلال .

أما الجزء الثاني فيصف حدود الدولة العربية والدولة اليهودية . وقد رسمت هذه الحدود على خارطة اعتبرت الملحق أ للقرار .

أما الجزء الثالث من القرار ١٨١ فهو مخصص للوضع الاستثنائي لمدينة القدس من حيث نظامها الخاص ، وإدارتها ، وموظفوها واستقلالها المحلي ،والتنظيم التشريعي والقضائي فيها ، وربطها بالاتحاد الاقتصادي الفلسطيني ، وحرية العبور والزيارة ، وعلاقتها بالدولتين ، واللغات الرسمية فيها ، والمواطنة وامتيازاتها، ووضع الأماكن المقدسة فيها .

وجاء الجزء الرابع من القرار خاصا بإنهاء الامتيازات التي يمكن أن تكون الدول الأجنبية قد تمتعت بها في فلسطين أثناء الحكم العثماني .

ح ـ قرار التقسيم والقانون الدولي : إن قرار الجمعية العامة ١٨١ بتقسيم فلسطين يتعارض مع أحكام القانون الدولي التي جاء بها ميثاق الأمم المتحدة للأسباب التالية :

١) فهو قد صدر بالمخالفة لواحد من أهم أهداف المنظمة الدولية ، أي حق الشعوب في تقرير مصيرها (المادة ١ ف ٢) لأن إعمال هذا الهدف كان يتطلب احترام رغبة أغلبية سكان فلسطين في تقرير مستقبل بلدهم .

٢) والقرار يفتقر من جهة أخرى إلى أي سند قانوني . فالجمعية العامة لا تملك سلطة التصرف بدون ضابط في شؤون الأقاليم الموضوعة تحت الانتداب ، وفلسطين منها . لأن ميثاق الأمم المتحدة أنشأ نظام الوصاية لكي يحل محل نظام الانتداب بموجب اتفاقات للوصاية تبرمها الأمم المتحدة مع الدول صاحبة الشأن . وقرر الميثاق أنه إلى حين وضع اتفاقات الوصاية يجب استمرار العمل بالاتفاقات الدولية القائمة . ومعنى هذا أن الجمعية العامة عند نظرها للمشكلة الفلسطينية كان عليها أن تدخل في مفاوضات لوضع فلسطين تحت الوصاية ، وأن تقرر إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين إذا كان قد حقق أغراضه في تهيئة الإقليم للاستقلال .

٣) ليس في ميثاق الأمم المتحدة ما يخول الجمعية العامة أو أية هيئة رئيسة أخرى في المنظمة الدولية تقسيم إقليم محدد دوليا خلافا لرغبة سكانه .

٤) إن قرار التقسيم ، استطرادا وجدلا ، يجافي العدالة من حيث توزيع الأراضي بين الدولتين وإمكانية حياة كل منهما . فقد منح الدولة اليهودية أجود الأراضي الفلسطينية ، وأعطاها السلطة السياسية على مساحة أكبر من المساحة التي خصصت للدولة العربية (١٢,٢٠٠ كم٢ في مقابل ١٤,٤٠٠كم٢ للدولة اليهودية) فضلا عن أن نصف سكان الدولة اليهودية تقريبا كانوا من العرب الذين يمتلكون ما يزيد على ثلثي ما في تلك الدولة من عقارات وأراض .

وإضافة إلى هذا كله يُعدّ قرار التقسيم في الفقه الدولي ـ وخاصة السائد حين صدوره ـ توصية غير ملزمة صدرت وفقا للمادة العاشرة من الميثاق . وهذه التوصية لا يمكنها ، بأي حال من الأحوال ، أن تمس الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني * ، ومن عجب أن (إسرائيل) وحلفاءها اذ يتمسكون بهذا القرار ـ التوصية ، ويضفون عليه صفة الإلزام القانوني المطلق ، لا يقيمون وزنا لأي من قرارات الجمعية العامة اللاحقة الخاصة بفلسطين وشعبها وحقوقه الثابتة مدعين أنها مجرد توصيات لا إلزام قانونياً لها .

المراجع :

ـ ريتشارد ب . ستيفنز : الصهيونية الأمريكية وسياسة أمريكا الخارجية ١٩٤٢ ـ ١٩٤٧ ، بيروت .

ـ محمد طلعة الغنيمي ومحمد سامي عبد الحميد : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ، الإسكندرية ١٩٦٧ .

ـ محمد حافظ غانم : العلاقات الدولية العربية ، القاهرة ١٩٦٥ .

ـ مصطفى عبد العزيز : التصويت والقوى السياسية في الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بيروت ، ١٩٦٨ .

ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية : قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ محاضر الدورة الاستثنائية الأولى للجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومحاضر اللجنة الخاصة للأمم المتحدة بشأن فلسطين .

ـ محاضر الدورة الثانية للجمعية العامة للأمم المتحدة .

التقسيمات الإدارية : رَ : الإدارة

تقي الدين الجمّاعيلي :

رَ : عبد الغني بن عبد الواحد الجمّاعيلي

تقي الدين بن عبد القادر الغزّي (ـ ١٠١٠هـ) (ـ ١٦٠١م) :

التميمي ، الداري ، الغزّي ، المصري ، الحنفي . لم تفصّل المصادر في نشأته العلمية ، واكتفت بأنه أخذ عن كثير من علماء عصره ، ورحل في سبيل العلم إلى مختلف البلاد ، كرحيله الى بلاد الروم (تركيا) .

كان ذا دراية بالعلوم الشرعية ، والعلوم اللغوية ، والتاريخ ، وقد تولّى منصب القضاء * ، وله مصنفات تدل على سعة علمه .

ومن أحسن مصنفاته وأهمها : كتاب « الطبقات السنية في تراجم الحنفية » ، وهو من خير الكتب في مجاله . وقد جمع فيه تراجم رجال المذهب الحنفي * حتى نهاية القرن العاشر الهجري ، ورتّبه على حروف المعجم . ومن كتبه حاشيةٌ على شرح بدر الدين ألفية والده ابن مالك . و « مختصر يتيمة الدهر للثعالبي » و « مختصر ذيل يتيمة الدهر » ، وتذكرته المعروفة بتذكرة تقي الدين التميمي ، و « السيف البراق في عنق الولد العاق » صنّفه في ذم ابنه العاق .

تولّى تقي الدين القضاء بالجيزة ، وفوّه ، وقونية . وقد ضاق بمنصب القضاء ، وله شعر في هذا المعنى .

يعدّ تقي الدين من متأدبي عصره . وله شعر ونثر . وقد ذكر شيئاً من شعره في كتابه الطبقات السنية . وذكر الخفاجي والمحبي شيئاً منه . وكانت بينه وبين الخفاجي مراسلات . وكان الخفاجي قد سمع عليه مصنفاته .

توفي في مصر .

المراجع :

ـ الخفاجي : ريحانة الألباء ، القاهرة ١٢٧٣هـ .

ـ المحبّي : خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، القاهرة ١٢٨٤هـ .
ـ تقي الدين الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية .
ـ حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١ .
ـ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، دمشق ١٩٦١ .
ـ إسماعيل البغدادي : هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إستانبول ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

تقي الدين النبهاني (١٩٠٩ ـ ١٩٧٩) :

مؤسس حزب التحرير الاسلامي ورئيسه ، ولد في قرية إجزم * قضاء حيفا ، وتلقى دراسته الابتدائية في مدرسة القرية ، وحفظ القرآن الكريم ومبادىء علوم الفقه واللغة العربية على يد والده الشيخ إبراهيم النبهاني ، ثم أوفده جده لأمه إلى مصر فالتحق بالجامع الأزهر وأتمّ فيه دراسته وحصل على شهادة العالمية . ثم انتسب إلى دار العلوم في القاهرة حيث استزاد من تحصيله العلمي ،وخاصة في اللغة العربية . بعد أن حصل على شهادتها العلمية عاد إلى فلسطين وبدأ حياته العلمية مدرّساً في حيفا * ، فالخليل * ، ثم التحق بسلك القضاء * الشرعي وتدرج في وظائفه الكتابية في المحاكم الشرعية في حيفا ، ويافا * ، والقدس * ، وعين قاضيا شرعياً في المحكمة الشرعية في بيسان * فالخليل، فالرملة * واللد * ، وذلك حتى سنة ١٩٤٨ حين غادر الرملة واللد بعد نكبة ١٩٤٨ إلى بيروت واستقرت أسرته فيها . وعلى إثر إلحاق الضفة الغربية بالمملكة الأردنية الهاشمية عيّن عضواً في محكمة الاستئناف الشرعية في بيت المقدس ، ثم استقال من عمله في سلك القضاء الشرعي ، وعمل مدرّساً في الكلية الإسلامية في عمان .

عرف النبهاني باهتمامه بالشؤون العامة ، وقام سنة ١٩٥٢ بإنشاء حزب التحرير الذي يدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية وقيام الدولة الإسلامية . وتفرغ لقيادة هذا الحزب ، فاستقال من التعليم في الكلية الإسلامية ، وأخذ يتنقل بين الأردن وسورية ولبنان ، يحمل دعوة الحزب المذكور التي شملت هذه الأقطار وامتدت إلى عدة أقطار عربية وإسلامية أخرى .

وضع الشيخ تقي الدين النبهاني عدة كتب شرح فيها الأفكار الإسلامية التي تقوم عليها دعوة الحزب . وقد تبنّى الحزب هذه الأفكار ، وأصبحت هذه الكتب تؤلف في مجموعها الثقافة العامة لحزب التحرير ، ومنها الكتب التالية : نظام الإسلام ، والنظام الاقتصادي في الإسلام ، والنظام الاجتماعي في الإسلام ، ونظام الحكم في الإسلام ، والدستور الإسلامي ، ونقطة الانطلاق ، والتكتل الحزبي ، ومفاهيم حزب التحرير ، بالإضافة الى كراسات ونشرات وأبحاث أخرى .

ظل الشيخ تقي الدين النبهاني يواصل دعوته التي تعرضت إلى كثير من المصاعب حتى توفي في مدينة بيروت ، ودفن فيها.

التكايا :

التكية هي الكلمة التركية المسايرة للخانقاه وللزاوية . لذلك فإن البحث عن التكايا في فلسطين يتناول الخوانق أو الزوايا التي أسسها العثمانيون فيها وأطلق عليها اسم تكايا ، وكذلك الزوايا التي غلب عليها اسم تكايا في العصر العثماني مع أنها أنشئت قبل ذلك العصر (رَ : الخوانق والربط والزوايا) .

وكلمة « تكية » نفسها كلمة غامضة الأصل ، وفيها اجتهادات ؛ فبعضهم يرجعها إلى الفعل العربي « وكأ واتكأ » بمعنى : استند أو اعتمد ، خاصة أن من معاني كلمة « تكية » بالتركية الاتكاء والتوكؤ والاستناد إلى شيء للراحة والاسترخاء . ومن هنا تكون التكية بمعنى مكان الراحة والاعتكاف . من جهة أخرى يعتقد المستشرق الفرنسي كلمان هوار ان الكلمة أتت من « تكية » الفارسية بمعنى « جِلْد » ، ويعيد إلى الأذهان أن شيوخ الزوايا الصوفية كانوا يجعلون جلد الخروف أو غيره من الحيوانات شعاراً لهم .

وعلى أية حال فإن الكلمة كانت تطلق عند العثمانيين على ثلاثة أشياء :

١) مقام أو مزار أحد الأولياء .
٢) زاوية أو خانقاه يقيم فيها الدراويش والصوفية .
٣) خان أو نزل لراحة الحجاج والمسافرين (مثل تكية السلطان سليم في دمشق) .

وكانت هذه المعاني جميعاً مستعملة في فلسطين ، ولكن المعنى الغالب هوالمعنى الثاني ؛ وهو ان التكية مكان يقيم فيه الدراويش ، ويأكلون مجاناً ، ويقضون أوقاتهم في العبادة وفي الذكر الذي كثيراً ما كان يصحب بالرقص والموسيقى . وفي كثير من الأحيان تحدّد معنى التكية ، بحيث أصبحت التكية ، في المعنى الأكثر شيوعاً ، منشأة لتقديم الوجبات الشعبية المجّانية للفقراء والمجاورين ، وخاصة خَدَمة الأماكن المقدسة ، دون أن يكون لذلك علاقة مباشرة بالدراويش والصوفية .

كان عدد التكايا في فلسطين في العهد العثماني كبيراً ، حتى إن الرحالة التركي أوليا چلبي الذي زار فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي قال إنه كان في القدس * تكايا

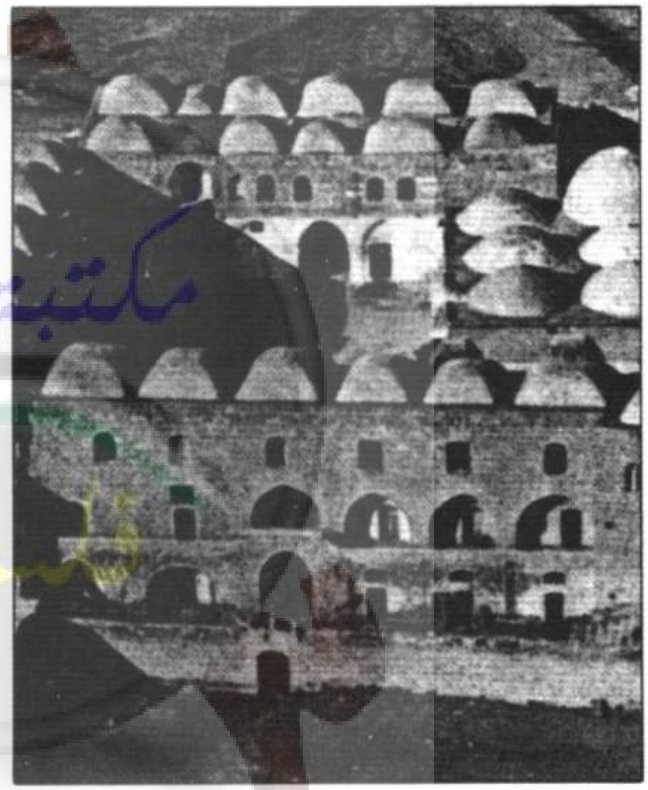

مقام النبي موسى قرب أريحا

لسبعين طريقة منها الكيلانية ، (الجيلانية) ، والبدوية ، والسعدية ، والرفاعية والمولوية . وكانت هذه الطرق نفسها منتشرة في الوقت نفسه في نابلس • والخليل • وغيرهما من المدن الفلسطينية . وفي الوقت الذي أخذت فيه المدارس تضمحل زمن العثمانيين بقيت الزوايا والتكايا وانتعشت ، وازداد عدد الصوفية والدراويش ، خاصة في نابلس والخليل والقدس . وابتداء من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كانت المناطق المجاورة للحرمين في القدس والخليل ملاذ برجال الطرق الصوفية .

وبالرغم من أن أكثر ما كان يطلق عليه اسم « تكايا » زمن العثمانيين كان زوايا أو خوانق أسست قبل العصر العثماني فإن الفترة العثمانية في فلسطين شهدت نشوء تكايا كثيرة جديدة في القدس وجنين • ونابلس وغيرها . ومن أهم التكايا الجديدة التكايا التالية :

١) التكية المولوية : تقع هذه التكية بحارة السعدية في القدس . أنشأتها الدولة العثمانية لأتباع الطريقة المولوية التي كان بنو عثمان يؤيّدونها فانتشرت بسرعة . بناها قومندان القدس خداوند كاربك سنة ٩٩٥هـ / ١٥٨٦م . وكان تعيين شيخ التكية يأتي من الشيخ الأعلى للطريقة في قونية (الأناضول) . والتكية (الخانقاه ، الزاوية) مؤلفة من طبقتين كانت الأولى طابقين ، الطابق الأول كان كنيسة للصليبيين تدعى كنيسة القديسة أغنس *St. Agnès* حوّلها الأتراك إلى مسجد ، ثم بنوا فوقها طبقة ثانية . وبناؤها بناء جميل متواضع له مدخل ضيق وجدران بيضاء .

كان للتكية أملاك وأوقاف للإنفاق عليها اندثرت كلها ، وتوفي قبل سنوات آخر شيخ من شيوخها ، وهو الشيخ عادل المولوي الطرابلسي الأصل .

والطريقة المولوية التي تبنّتها الدولة العثمانية أسسها جلال الدين الرومي (٦٠٤ - ٦٧٢هـ / ١٢٠٧ - ١٢٧٣م) الشاعر الفارسي المشهور في قونية ببلاد الأناضول . وهي طريقة دراويش تمتاز برقص دائري مشهور وموسيقي . وكانت الطريقة موجودة في القدس قبل الاحتلال العثماني .

وقد ثبّت السلطان سليم ، عندما زار القدس ، رئيس الدراويش المولوية « أخفش زاده » في وظيفته ومنحه ٥٠٠ أقجة صدقات . وفي القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي كان في القدس عدد كبير من أتباع الطريقة المولوية ، وكان الواحد منهم يتقاضى ٥٠٠ أقجة . وقد زار التكية ووصفها سنة ١١٠١هـ / ١٦٨٩م الشيخ عبد الغني النابلسي • المتصوف المشهور .

٢) تكية خاصكي سلطان : تقع في مدينة القدس في عقبة التكية المعروفة باسم عقبة المفتي شرقي دار الأيتام الإسلامية . أنشأتها خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩هـ / ١٥٥١م ووقفت عليها أوقافاً كثيرة كانت منتشرة في سناجق القدس وغزة وصفد وصيدا . أشرف على بناء التكية الأمير بايرام جاويش بن مصطفى الذي أشرف على عمارة سور القدس . وكانت التكية من أهم المنشآت التي أقامها العثمانيون في فلسطين لمساعدة الفقراء وطلبة العلم في القدس ، وظلت حتى الستينات من القرن العشرين تقدم الطعام للفقراء .

٣) تكية فاطمة خاتون : فاطمة خاتون ابنة محمد بك ، وحفيدة السلطان قانصوه الغوري آخر سلاطين المماليك ، وزوجة لالا مصطفى باشا من رجالات العثمانيين . وقد بنت في جنين جامع جنين الكبير سنة ٩٧٤هـ وحبست عليه أوقافاً كثيرة . كما أقامت تكية بجانب الجامع تقدم الطعام والمأوى للأغراب والمسافرين . وألحقت بالجامع والتكية حمّاماً وعشرين دكاناً يصرف من ريعها على التكية والجامع ووجوه البر والإحسان . كما وقفت حصتها من أملاكها في صفد ودمشق وحمص وحماه وحلب .

وهاتان التكيتان ، أي تكية خاصكي سلطان وفاطمة خاتون ، لم تكونا للصوفية والدراويش بشكل خاص ، وإنما كانتا في الأساس لتقديم الطعام للمحتاجين والمسافرين .

أما المؤسسات (الزوايا او الخوانق او الربط او المقامات) السابقة للعصر العثماني التي اكتسبت اسم تكايا في هذا العصر ، أو كان وصف تكية يطلق عليها بين أوصاف أخرى ، فأشهرها التكايا التالية :

١) تكية سيدنا الخليل : كانت تسمى « سماط سيدنا الخليل » في عهد المماليك * وقبله . وقد أنشىء السماط (وهو ما يقدم عليه الطعام ونحوه) منذ عهد قديم جداً ، وقد ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو (٤٣٨هـ / ١٠٣٦م) ونسب بدايته الى إبراهيم الخليل * عليه السلام . وقد وقف عليه حكام المماليك أوقافاً سخية ، وأُلحق في هذا العصر بالرباط المنصوري الذي عمّره السلطان المملوكي قلاوون بن عبد الله*(ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) .

وفي العصر العثماني أطلق على السماط اسم تكية سيدنا الخليل . وهي تعرف بهذا الاسم إلى الآن . ولا تزال التكية عامرة ، تقدم الخبز و « الدشيشة » للواردين والفقراء (رَ : الخليل ، الزوايا والتكايا والربط في ــ) .

٢) تكية النبي موسى : في أواسط القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بنى الظاهر بيبرس * مقام النبي موسى بين القدس وأريحا * . وقد أوجد مع المقام تكية على ظهرها غرف تشبه الخانات للنوم والإقامة خدمة لزوار النبي موسى . وكان هؤلاء الزوار يفدون في شهر نيسان من كل عام على وجه الخصوص . ووقف بيبرس الأوقاف التي تدرّ على التكية مبالغ كافية لإطعام حشد كبير من الزوّار طوال وجودهم هناك .

٣) تكية المغربي : هو اسم آخر للخانقاه الصلاحية * التي أنشأها صلاح الدين الأيوبي * في حطّين . ورد ذكرها في رحلة أوليا جلبي السائح التركي في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي ، وقال إنها دعيت بهذا الإسم نسبة إلى شيخ مغربي عيّنه صلاح الدين شيخاً لها .

٤) تكية عيون التجار : وهي خان صار يطلق عليه اسم تكية . ويضم الخان حصناً أيضاً . وهو يقع في خربة عيون التجار بقضاء طبرية . أقيم الخان سنة ٨٤٣هـ / ١٤٤٠م زمن المماليك الشراكسة ، ورمّمه وجدّده الوزير العثماني سنان باشا (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ / ١٥٩٥م) . وكان هذا الخان (التكية) يقع على الطريق بين دمشق وبيت المقدس من جهة ومصر من جهة أخرى . تحدث عنه عبد الغني النابلسي في الحضرة الأنسية فقال : " ثم سرنا (بعد زيارة المُنية على بحيرة طبرية) حتى أقبلنا على تكية عيون التجار فدخلنا التكية وبالجملة ، فعيون التجار منزل حسن يليق أن ينزل به عيون التجار . . . وفيه يفترق المسافر الذاهب إلى مصر جهة الغرب والذاهب إلى بيت المقدس " .

٥) التكية الدرويشية : تقع إلى الجنوب الشرقي من جامع التّينة بنابلس ، وفيها أضرحة أهمها ضريح الدرويش مراد الرومي . وقد زارها الشيخ عبد الغني النابلسي (١١٠١هـ / ١٦٨٩م) ، وقال :

" فيها ضريح شيخ الكمال ومعدن السلوك والحقيقة الدرويش مراد الرومي رحمه الله تعالى. فلما وصلنا إلى بيت فيه ذلك الضريح ، وعليه هيبة التقديس والتسبيح ، قرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى هناك بالكتابة والتصريح ، ثم خرجنا إلى إيوان لطيف قبالة روض وريف وأشجار باسقة وورد يانع الغصون وعرايش عنب تطلّ من تحتها لتكوّن في المكان بركة لطيفة بها الماء يجري فيّاضا من تلك الحضرة الشريفة " .

توقفت التكية الآن وأصبحت مساكن لسدنتها من آل البسطامي بعد أن درست أوقافها .

٦) تكية السري السقطي : في جبل جرزيم غربي نابلس مقام للسري السقطي المتصوف المشهور المتوفى سنة ٢٥١ أو ٢٥٣هـ / ٨٦٥ أو ٨٦٧م ، وهو خال أبي القاسم الجنيد الصوفي المشهور وأستاذه . والسري السقطي مات ودفن في بغداد ، ولكنه نزل نابلس وبُني له مقام فيها . وكان في هذا المقام في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي تكية وصفها الرحالة أوليا جلبي بأنها تكية كبيرة يحيى فيها شيخ الدراويش الذكر مساء كل خميس ، ويرافق ذلك دق الطبول والدفوف حتى الصباح .

المراجع :

ــ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، بيروت ١٩٧٤ .
ــ محمود العابدي : الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن ، عمان ١٩٧٣ .
ــ عارف العارف : المفصّل في تاريخ القدس ، القدس ١٩٦١ .
ــ عبد الغني النابلسي : الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، مصر ١٩٠٢ .
ــ إحسان النمر : المختار من كتاب : الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية ، نابلس ١٩٧٢ .
ــ كامل العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس ، عمان ١٩٨١ .
ــ ناصر خسرو : سفر نامة ، (مترجم) ، القاهرة ١٩٤٥ .
ــ إحسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء، نابلس ١٩٦١ ـ ١٩٧٥ .

تـــل : رَ : الجزر
رَ : دامية
رَ : الدوير
رَ : عاصود
رَ : عراد
رَ : العمارنة
رَ : القاضي
رَ : قدح
رَ : المتسلم
رَ : وقاص

التـــل (قـــريـــة ـــ) : رَ : النهر ـ التل (قريتا ـــ)

تـــل أبيـــب (مدينـــة ـــ) :

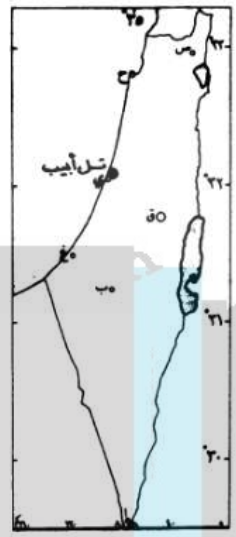

يعني اسمها تل الربيع (أبيب كلمة عبـريـة معنـاهـا في الأصـل السنبلة الخضراء ، ثم أصبح الربيع) ، نشأت على رقعة محـدودة من التلال * الـرملية المحصورة بين السهل الساحلي * والبحر المتوسط . وهي أكبر مدينة يهودية صرف في فلسـطين ، وتلتصق بمـدينـة يـافـا * العربية .

تقـع تل أبيب في منتصف السهـل السـاحـلي لفلسـطين ، وهي عقـده مـواصـلات هـامـة للطرق البـريـة * والسكـك الحـديـديـة * تتفـرع منهـا مجموعة طرق معبدة وخطوط سكك حديدية نحو الشمـال والجنوب والشرق . ولها مطار صغير يدعى « سده دوف » يستقبل الطائـرات التي تعمل على الخطوط الجوية الداخلية . ميناؤهـا صغير لضحـالة مياه البحر أمـامه ، ويعـد خامس ميناء في فلسطين بعـد حيفـا * وأشـدود * وإيلات * وعسقلان . ولما كانت منطقة تل أبيب ، بعـد الغزوة الصهيونية ، تضم أكبر تجمع حضري في فلسـطين يشتمـل على نحو ثلث سكان البلاد ، وأعلى كثافة سكانيـة ، وأكبر وأطـول شبكة مواصلات ، فإنها أصبحت تعـد القلب الرئيس لفلسـطين ، مَنْ يسيطر عليها يتحكم في الطرق المؤدية إلى جميع أرجاء فلسطين .

أنشئت تل أبيب في ١٩٠٩/٥/٣٠ من قبل جمعيتي « أحوزات بايت » و « نحلات بنيامين » كضاحيـة حدائق يهوديـة على منـطقة كثبان رملية شمالي يافا . ثم تطورت على مـراحـل فـي صورة أحياء متباعدة . وكان عدد منازلها ٢٠٤ منازل في عام ١٩١٤ . وقد ظلت ضاحية تابعة لمدينة يافا حتى عـام ١٩٢١ عنـدمـا فصلت عن بلدية يـافـا وأصبح لها بلدية مستقلة . وفي ذلك العام كان مجموع بيوتها ٨٠٠ بيت ، وزاد عدد الأحياء السكنية فيها .

شهدت تل أبيب في عهد الانتداب البـريطاني تـطوراً كبيراً في نمـوها العمـراني بسبب استمرار تـزايد عـدد سكـانها نتيجـة تـدفق المهاجرين الصهيونيين عليها . فقد توسعت مساحة المدينة ، وانتشر عمرانها ، وزاد سكانها . ونما عددهم من ١,٩٤٠ نسمة عام ١٩١٨ إلى ٣٤,٢٠٠ نسمـة عـام ١٩٢٥ ، وإلى ٨٠,٠٠٠ نسمـة عـام ١٩٣٣ ، وإلى ٢٦٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٨ . وبعـد عام ١٩٤٨ ضمت إليها مدينة يافا التي أخليت من معظم سكانها العرب خلال حرب ١٩٤٨ * . وقد أعيد تخطيط مدينتي تل أبيب ويافا على أساس أنهما مدينة واحدة . وتابعت تل أبيب نموها السريع بعـدئذٍ فوصل عـدد سـكـانها في عـام ١٩٥٦ إلى ٣٦٥,٠٠٠ نسـمـة ، وإلى ٤٣٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٦٧ وإلى ٤٦٨,٠٠٠ نسمة عام ١٩٧٣ ، وقد خطط لها كي تستوعب نحو نصف مليون نسمة في عام ١٩٨٢ .

من أشهـر أحيـائهـا رامـات أفيف ، وكيـرزون ، وتسهـالا ، وهاتيكفة ، وتل باروخ . ومن أشهر شوارعهـا شارع هـايركـون ، وشارع أحادهاعام ، وشارع بوليفار روتشيلد ، وشارع هـاكيريـا . وفي تل أبيب وزارة الدفاع ، وإدارة المخابرات ، وإدارة الشرطـة ، ووزارة الإسكـان ، ووزارة الداخليـة . وفيها قـاعـدة تمـوين وقـود بحـرية ، وقـاعدة زوارق ، ورحبـة تصليح ، ومـطار ، ومـلاجىء

ضخمة مزودة بمكيفات الهواء والتدفئة المركزية . ومحطة لمراقبة الإشعاعات النووية .

وتساهم تل أبيب ، منذ الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم ، في تأدية وظائفها المتعددة كمركز إداري وتجاري وصناعي وثقافي . فهي مركز للخدمات والتجارة والأعمال المالية . أقيمت فيها أيام الانتداب دور الطباعة والنشر وبعض الصناعات الخفيفة كصناعة المنسوجات والمواد الاستهلاكية والمأكولات ، وكانت تضم ١٥٢ وحدة صناعية عام ١٩٢٦ ، و ١,٥٠٠ وحدة عام ١٩٣٣ ، ثم تضاعف العدد فوصل إلى ٣,٢٠٠ وحدة عام ١٩٤٣ ، وهو ما كان يعادل نصف الصناعات الصهيونية في فلسطين آنذاك . وتعد تل أبيب حالياً محور الاقتصاد في الكيان الصهيوني تتجمع فيها المصانع والمصارف والمتاجر . وتوجد فيها مصانع المنسوجات الحريرية ومعامل الجوارب والحلويات والمرطبات ومصانع اللفائف (السجاير) والألبسة الجاهزة والأحذية وقطع الألماس وصقله ، وهي عقدة مواصلات هامة تضم مركز شبكة الخطوط الحديدية ، إلى جانب كونها مركزاً علمياً وثقافياً فيه مكتب المطبوعات، ومركز المعلومات العلمية والتقنية ، ودائرة الارتباط العلمي ، ومعهد المعادن ، ومعهد الإشعاع والنظائر ، ومعهد العلوم الفضائية ، وجامعة تل أبيب ، وجامعة بارإيلان ، وعدد من المدارس الدينية العليا و ٤٤٠ مدرسة أخرى . وفي تل أبيب ١٤ مستشفى ، و ١٥٠ متحفاً ، و ٤٠ داراً للسينما ، ومسرحان ، ومحطة إذاعة ، وعدد كبير من الفنادق والمراكز السياحية .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ق ٢ ، بيروت ، ١٩٧٢ .
ـ أنيس صايغ : بلدانية فلسطين المحتلة ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمد إبراهيم الشاعر : جغرافية فلسطين العسكرية ، بيروت ١٩٧٠ .

تل التُرْمُس (قرية ـ) :

قرية عربية تقع شمالي شرق غزة * قريبة من طريق غزة ـ القدس الرئيسة المارة بالمجدل * . وقد نشأت القرية منذ قرن من الزمان تقريبا فوق تل يرتفع زهاء ٧٠ م عن سطح البحر . ويمرّ بطرفها الجنوبي وادي بروسيو الذي ينتهي في وادي صقرير . ويعود اسمها إلى كثرة الترمس الذي كان ينبت في أراضيها . وقد امتد عمران القرية شرقاً وغرباً على مساحة ٣٥ دونماً ، ومعظم مبانيها من اللّبن .

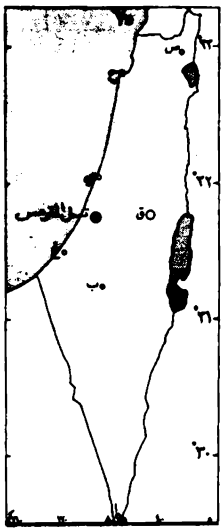

بلغت مساحة أراضي القرية ١١,٥٠٨ دونمات منها ١٦٠ دونماً للطرق * والأودية . وتوجد في أراضيها بعض الآثار القديمة . وقد تزايد عدد سكانها من ٣٨٤ نسمة سنة ١٩٢٢ إلى ٧٦٠ نسمة سنة ١٩٤٥ . وكان معظمهم يعتمد في معيشته على زراعة الحبوب * والحمضيات * والخضر * .

طرد الصهيونيون سكان تل الترمس عام ١٩٤٨ ، ودمروها ، وأقاموا على أراضيها مستعمرة « تموريم » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ق ٢ ، بيروت ١٩٦٦ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

تل حاي (صندوق ـ) : رَ : المنظمة الصهيونية الجديدة

تل السفر (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

تل الشمّام (قرية ـ) : رَ : القرى العربية المندثرة

تل الشّوك (قرية ـ) :

قرية عربية تقع غرب مدينة بيسان * على حدود قضاء جنين . وتربطها طريق فرعية معبدة بمدينة بيسان ، كما تربطها طرق فرعية ممهدة بقرى الأشرفية * وفرونة * والسامرية * .

أقيمت قرية تل الشوك في أقصى الطرف الغربي من سهل بيسان قرب الحافة الغربية للسهل عند أقدام جبال فقّوعة. وتنخفض ١٠٠ م عن سطح البحر . وتوجد عيون المدوّع على بعد نصف كيلومتر جنوبي غرب القرية ، وتغذي بمياهها وادي المدّوع أحد روافد وادي شوباش * الذي يرفد بدوره نهر الأردن * . وتل الشوك صغيرة المساحة اشتملت في عام ١٩٤٥ على ثلاثين بيتاً ينتظمها مخطط مستطيل . وكانت القرية شبه خالية

من المرافق والخدمات العامة . وقد ضمت تل أنقاض وعليه آثار أسس . وتوجد أمثال هذه الآثار في الجهتين الشمالية الشرقية والشرقية من القرية حيث يقع على التوالي تل الشمدين وتل الذهب . وتوجد بعض الآثار أيضاً في موقع عيون المدوّع في الجهة الجنوبية الغربية ، وموقع عين العاصي في الجهة الشمالية (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

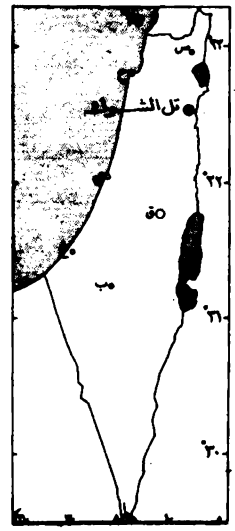

لتل الشوك أراض مساحتها ٣,٦٨٥ دونماً منها ٢٩٠ دونماً للطرق * والأودية ، و ٣,١١٦ دونماً تسربت للصهيونيين . وتتميز أراضي تل الشوك بخصب تربتها وتوافر مياهها الجوفية ، لذا ازدهرت الزراعة * فيها ، وبخاصة الزراعة المرويّة التي تنتج الحبوب * والخضر * وأشجار الموز * والحمضيات * .

كان في تل الشوك ٥٨ نسمة في عام ١٩٢٢ ، وانخفض عدد سكانها في عام ١٩٣١ إلى ٤١ نسمة ، ثم ازداد عددهم في عام ١٩٤٥ إلى ١٢٠ نسمة . وقد طرد الصهيونيون خلال حرب ١٩٤٨ * السكان العرب ، ودمروا بيوتهم ، واستولوا على ممتلكاتهم .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، لوحتا جنين ويافا ـ تل أبيب .

تل الصافي (قرية ـ) :

قرية عربية تقع في الشمال الغربي من مدينة الخليل * . وهي قريبة من حدود قضاءي غزة والرملة . وتبعد قرابة ١٠ كم إلى الجنوب الشرقي من القسطينة * التي تمر بها طريق غزة ـ جولس ـ القدس الرئيسة المعبدة . ويربطها درب ممهد بتلك الطريق الرئيسة ، كما تربطها دروب ممهدة أخرى بقرى مغلس * وعجّور * وبرقوسية * وبعلين * وتل الترمس * . وكان لموقعها شأن عظيم أثناء الحروب الصليبية .

نشأت قرية تل الصافي فوق أحد التلال التي تمثل الأقدام الغربية لمرتفعات الخليل . وتحيط بموضعها الذي يراوح ارتفاعه ما بين ١٥٠ و ١٧٥م عن سطح البحر أودية هي المجاري العليا لوادي برسيا المتجه غرباً والمار بقريتي تل الترمس والقسطينة . ويحف وادي عجور بالطرف الشمالي لتل الصافي ، في حين يجري وادي النار * في طرفها الغربي . تألفت تل الصافي من بيوت اللبن والحجر التي اتخذت في مخططها شكل النجمة ، فامتدت المباني في محاور بمحاذاة الدروب الخارجة من القرية . اشتملت القرية على خدمات ومرافق عامة كالسوق والمسجد وبئر الشرب ، ويوجد في طرفها الشرقي مقام الشيخ محمد ، كما توجد فيها آثار قلعة صليبية وجدران ومدافن ومغارة (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) . اتجه نموها العمراني في الجهات الأربع ، حتى إن مساحتها وصلت إلى ٦٨ دونماً . وتحيط بها الخرائب الأثرية من جميع الجهات ، مثل خرائب دمدم وذكر وعطربة واسطاس والصافية والبطم .

بلغت مساحة أراضيها ٢٨,٩٢٥ دونماً منها ١١ دونماً للطرق * والأودية و ١,١٢٠ دونماً تسربت إلى الصهيونيين . وأراضيها الزراعية ذات سطح منبسط إلى متموج ، وتنتج مختلف أنواع الحبوب * وبعض أنواع الخضر * والأشجار المثمرة . وقد غرس الأهالي ٥٢١ دونماً بأشجار الزيتون * إلى جانب الأشجار المزروعة الأخرى كالعنب * والتين واللوز والتفاح وغيرها . وتتركز زراعة الفواكه في الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية من القرية . وتعتمد الزراعة * على مياه الأمطار ، وهي كافية لنمو المحاصيل الزراعية ، ولنمو الأعشاب الطبيعية التي ترعاها الأغنام والمعز .

بلغ عدد سكان تل الصافي في عام ١٩٢٢ نحو ٦٤٤ نسمة . وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٩٢٥ نسمة يقيمون في ٢٠٨ بيوت ، وقدر عدد السكان في عام ١٩٤٥ بنحو ١,٢٩٠ نسمة .

احتل الصهيونيون قرية تل الصافي عام ١٩٤٨ ، ودمروها بعد أن طردوا سكانها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٥ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

التـــلال :

التلال في فلسطين تلال طبيعية وتلال اصطناعية تتوزع في أنحاء شتى من البلاد ، ولا سيما في تلك البقاع القليلة الارتفاع التي لا يزيد علوها على ٤٠٠ ـ ٥٠٠ م عن سطح البحر . لكن هناك تلالا في أجزاء تقع دون مستوى سطح البحر أيضا ، كما هي الحال في منطقة غور الأردن والأغوار الثانوية المتفرعة منه (رَ : الغور) .

والتل من الناحية الجغرافية يعني مرتفعات وعلوات قبابية أو مخروطية أو غير ذلك من الأشكال التي لا يتجاوز ارتفاعها عن سطح البحر أو السطح العام المحيط بها مقدار ٣٠٠ م على الأغلب ، وإن كان هناك من يرفع الرقم لأكثر من ذلك ، أما الارتفاع الأدنى فقد لا يزيد على بضعة أمتار . وقد يكون لهذا المفهوم معنى نسبي ، فبعض الجبال تسمى تلالا ، كما هي الحال بالنسبة إلى تل عاصور * الواقع شمال ـ شمال شرق مدينة القدس * ، إذ تصل أعلى قمة فيه إلى ١,٠١٦ م عن سطح البحر . كما يطلق على بعض الكثبان الرملية أو الربى التي لا يزيد ارتفاعها على٢ ـ ٥ م اسم التلال أيضا في بعض أجزاء فلسطين .

من جهة ثانية لا بد من معرفة أن ما يميز التلال الاصطناعية من التلال الطبيعية هو أنها ، أي التلال الاصطناعية ، في أصولها ذات قاعدة طبيعية تلّية قليلة العلو زادت أعمال الإنسان ومخلفاته الحضارية من ارتفاعها بتراكم وتكدس الخرائب والأنقاض فوق التل (رَ : الخرب والأماكن الأثرية) .

قدر عدد القرى التي كانت قائمة في فلسطين في أواخر القرن التاسع عشر بنحو ٧٠٠ قرية منها قرابة ٦٠٠ قرية قامت ونمت أصلا فوق علوات أو مرتفعات معظمها تلال طبيعية أو تلال طبيعية ـ اصطناعية . وكان السبب في نشأة القرى فوق التلال والمرتفعات الأخرى الابتعاد عن السهول والمنخفضات لتوفير الأرض الزراعية والمرعى من جهة ، ولتجنب أخطار الفيضانات والمستنقعات * من جهة ثانية ، ولتأمين الحماية وسهولة الدفاع تجاه أي اعتداء على السكان من جهة ثالثة . لكن القرى والتجمعات السكانية الأخرى الأحدث لم تعد تتقيد بما تقدم من أسباب ، فانتشرت في السهول والمنخفضات ومن المدن الفلسطينية القديمة التي قامت على تلال : مجدو وأريحا * وجازر (تل الجزر) وبيسان * ولاخيش * (تل الدوير) ، وغزة * القديمة (تل العجول) ، وتل الحسي . ومن المدن التي قامت على مرتفعات جبلية : صفد * والناصرة * والقدس وبيت لحم * والخليل * وغيرها .

وقد دخلت كلمة « تل » العربية اللغات الأجنبية كمصطلح علمي يقصد به التل الأثري الاصطناعي . وجرت حفريات أثرية في الكثير من التلال الفلسطينية كشفت عن حضارات قديمة في البلاد .

أما التلال الطبيعية فهي أكثر انتشارا ، وتكثر في الشريط الساحلي ، أي في السهل الساحلي الفلسطيني * وسهل عكا * حتى حدود فلسطين مع لبنان ، وتنتشر أيضاً في نطاق أقدام جبال فلسطين الوسطى وسفوحها الغربية ، وفي وادي الأردن والغور * ، ولا سيما في منطقة (الكتار) . وتوجد أيضا في النقب * جنوبي فلسطين . وتختلف أشكال وبنية التلال في كل منطقة من المناطق الأربع المذكورة .

أ ـ تلال السهل الساحلي الفلسطيني : تمتاز تلال السهل الساحلي الفلسطيني بكونها رملية البنية والتركيب مؤلفة من كثبان ورواب رملية ثابتة قديمة ذات حبات وذرات رملية يربطها ملاط كلسي يمنع انتقالها مع الرياح . ويغلب اللون الأحمر على هذه الرمال ، وتعرف في فلسطين باسم الكركر أو الكركار (رَ : التربة) . والسائد في أشكال تلال الكركر الشكل الطولي المؤلف من سلاسل متوازية تتفق مع محور سير الساحل . وعدد هذه السلاسل ثلاث متتالية من الغرب باتجاه الداخل . ويرى بعض الباحثين أن هذه السلاسل التليّة شواهد على تغيرات في مستوى البحار والمحيطات في الفترات الرباعية الجليدية والفترات الدافئة البينية (أي بين الفترات الجليدية الباردة) . وقد يصل ارتفاع بعض تلال الكركر إلى أكثر من ١٠٠ م ، ويراوح عرضها بين ٣٠٠ و٥٠٠ م ، أما أطوالها فقد تصل إلى أكثر من كيلومتر . ولولا قيام أنهار الساحل والأودية السيلية المنتهية في البحر المتوسط التي تمر خلال فتحات شَقَّتْها ضمن سلاسل الكركر لشكلت هذه التلال أشرطة مستمرة على طول الساحل دون انقطاع تقريبا . وتتقارب سلاسل الكركر بعضها من بعض مسافة بضع مئات الأمتار في الشمال ، ومسافة ١ ـ ٣ كم في سهل سارونة * ، و٢ ـ ٥ كم في الجنوب .

إلى جانب تلال الكركر الثابتة توجد في السهل الساحلي الفلسطيني ، قريبا من الساحل ، تلال رملية أخرى هي الكثبان الرملية الحديثة التكوين. وهي كثبان متنقلة تتحرك باتجاه الداخل ، لذا فإنها كثيرا ما تطغى على تلال الكركر وتغطيها ، وتزحف على السهول المنبسطة وتضرّ بالحقول والبساتين والمنشآت الاقتصادية والطرق * . وقد عمل الإنسان على تثبيت هذه الرمال بالنباتات ، وقام بتجفيف المستنقعات التي تتكوّن خلف تلال الكركر نتيجة تجمع مياه السيول والأنهار وعدم تمكّنها من الوصول إلى البحر المتوسط .

ب ـ تلال أقدام الجبال : تنتشر هذه التلال عند نهايات السفوح الغربية لجبال فلسطين الوسطى (جبال الخليل * ، وجبال القدس * ـ رام الله ، وجبال نابلس *) ، ونطاق التقائها بالهوامش الشرقية للسهل الساحلي الفلسطيني . وهي تلال متفرقة ذات أشكال متعددة وارتفاعات متفاوتة .

وهي من الناحية العددية أقل من تلال السهل الساحلي الفلسطيني ، لكنها أعلى منها بصورة عامة . ونشوء هذه التلال مرتبط بالأعمال الجيومورفولوجية ، أي أعمال الحتّ والحفر والتعرية في الصخور * ذات القساوات المتباينة . لذا تنتشر في الأماكن التي ترتفع فيها كثافة أودية شبكة مائية (نهرية دائمة أو سيلية مؤقتة) حيث تتعمق الأودية مكوّنة التلال في المساحات الواقعة بين الأودية وروافدها . إن الارتفاع العام القليل (٣٠٠ ـ ٤٠٠ م) ، وطراوة الصخور على الغالب ، وانخفاض شدة انحدار السفوح والمجاري المائية الذي يقلل أعمال الحفر والتعمق ، كلها عوامل ساعدت على نشوء التلال في هذا النطاق الأرضي .

يتصل معظم هذه التلال بجسم أقدام الجبال ، وتتقدم نحو الغرب على شكل مهاميز تلّيّة ، استغل الإنسان موقعها وارتفاعها عما حولها فأقام قراه وتجمعاته السكانية الأخرى على قممها المطلّة على أراضي السهل الساحلي في الغرب .

جـ ـ تلال غور الأردن : تسقط السفوح الشرقية لجبال فلسطين على أرض الغور بانحدارات شديدة قاسية ومن ارتفاعات كبيرة نسبية لا تسمح بتكوين التلال إلّا ما ندر . لكن أرض الغور نفسها مكوّنة من ترسبات بحيرية طرية من المارن والمواد الرخوة الأخرى ، تعرف بتكوينات اللسان (نسبة إلى شبه جزيرة اللسان في البحر الميت *) وتقع على مستويات متدرجة فوق أرض زور نهر الأردن (أو سهله الفيضي) . وقد أثّرت السيول والروافد الهابطة من الجبال ، الصابّة في نهر الأردن * في هذه الأراضي الطرية الصخور ، فتخددت تكوينات اللسان بشدة وتجزأت إلى تلال مخروطية لا حصر لها ، تعرف في غور الأردن باسم الكتار (جمع كتر) ، وتعني : سنام الجمل . وهي ما يعرف في الجغرافيا الطبيعية باسم الأراضي الرديئة . وتلال الكتار هذه صغيرة ، بيضاء اللون ، قليلة الارتفاع (١٥ ـ ٣٠ م) ، طرية المواد ، ذات مظهر جاف لانعدام الغطاء النباتي ، ولقلة الأمطار الهاطلة عليها (أقل من ٢٠٠ مم) .

د ـ تلال جنوب فلسطين : تتنوع تلال جنوب القطر فتشتمل على الأنواع السابقة إلى جانب التلال ذات المظهر الصحراوي الجاف ، والمعروفة بالقارات أو القور (جمع قارَة) في المناطق العربية المشابهة . والقارة تل مرتفع عما حوله من أرض يغلب عليها الانبساط ، وجوانب القارة شديدة الانحدار ، وقمتها مستوية على شكل مائدة منفردة . وقد تكون القارة ذات شكل غريب يعرف بالتل الفطري لكونه شبيها بنبات الفطر العريض في الأعلى الضيق المخصور في القاعدة . والغالب على التلال الفطرية والقارات كون أعاليها وسطوحها مؤلفة من طبقات صخرية قاسية دونها طبقات أقل قساوة أو طرية . كما هي الحال في التلال المنتشرة شمال غرب خليج العقبة * عند أقدام جبال النقب الجنوبي ، والمنتشرة في وسط النقب بين حوض وادي الذانا * ووادي جرافي * وتمتاز القارات بمواقعها القريبة من حافات جروف صخرية وأطراف هضاب كانت تتصل بها ثم انفصلت عنها نتيجة أعمال الحتّ والتعرية .

أما التلال الرملية ، وكذلك التلال الشبيهة بتلال الغور من نوع الكتار (الأراضي الرديئة) فتنتشر في شمال وشمال شرق النقب ، وغرب وجنوب غرب بير السبع * ، وبشكل خاص جنوب غرب بير السبع حيث تمتد مساحات واسعة من الأغشية الرملية أهمها رمال الخلصة . وتختلف التلال الرملية هنا عن تلال الكركر بأنها أقل تماسكا ، ومحاورها تكاد تكون شرقية غربية ، وبأنها قليلة الثبات نسبيا . أما تلال الكتار فمشابهة لمثيلاتها في الغور مع اختلاف المادة المكوّنة لها هنا والمؤلفة من تربة اللوس المتصلبة المتماسكة التي حفرت فيها السيول والرياح مساراتها وخلفت وراءها تلال الكتار الطرية المواد .

وأخيرا فإن تلال أقدام الجبال في جنوب فلسطين متعددة ، وتؤلف مظهرا انتقاليا بين تلال أقدام السفوح الغربية لجبال فلسطين الوسطى الآنفة الذكر ، والتلال من نموذج القارات . وكثيرا ما يتداخل النموذجان على امتداد حضيض الكثير من الجبال والمرتفعات في النقب ، وعلى جوانب وادي عربة * الغربية .

وتكوّن التلال في فلسطين ، بأنواعها السابقة الذكر ، نطاقا انتقاليا بين تضاريس الجبال والهضاب من جهة ، والسهول والمنخفضات من جهة ثانية ، باستثناء التلال الرملية ذات الأصل الكثيبي بصورة خاصة . لذلك فإنها كانت بالغة الأهمية كمواقع لإقامة التجمعات السكانية والقرى والمدن عليها منذ القدم وحتى مطلع القرن العشرين للأسباب التي وردت في بداية الحديث عن التلال .

المراجع :

ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠ ، جميع اللوحات .
ـ خريطة فلسطين الجيولوجية : مقياس ١ : ٢٥٠,٠٠٠ .

التلمود :

التلمود كلمة عبرانية تعني التعليم مشتقة من « التلمذة » . ويعتبر التلمود « السنّة » في الشريعة اليهودية ، أو التوراة الشفهية التي نطق أو عمل بها كبار الأحبار . ويتضمن التلمود مجموعة من

القوانين والأحكام والوصايا السياسية والحقوقية والمدنية والدينية عند اليهود ، مع شروحها التي كان يتم تداولها بين رجال الدين وأتباعهم في بادىء الأمر مشافهة . وبعد أن تضخمت واتسع نطاقها بتزايد شروحها والإضافات عليها وأصبح من المتعذر الاعتماد على المشافهة قامت مجموعة من الأحبار اليهود بتدوينها فظهر التلمود .

ويعتقد معظم المؤرخين أن انهيار الكيان السياسي للطائفة اليهودية على يدي القائد الروماني تيتوس عام ٧٠ م ، قد أقنع اليهود بصواب فكرة الابتعاد عن ممارسة السياسة التي لا تجلب إلاّ الويلات ، ومحاولة التركيز على إنشاء رابطة فكرية أو دينية قوامها خواطر رجال الدين حول أمور الحياة المختلفة . وقد قام عدد من أحبار اليهود بكتابة هذه الخواطر لتصبح دستورا ينظّم لليهود حياتهم بعيدا عن أي تأثير خارجي . وقد أنكرت فئة من اليهود ، وهم القرّاؤون ، التلمود بعد كتابته ، في حين آمن معظم اليهود بما جاء فيه وادّعوا أن ما كتب في التلمود كان يوحَى به ، وهؤلاء هم الرّبّانيّون .

والتلمود اثنان : التلمود المقدسي ، أو الأورشليمي ، نسبة إلى بيت المقدس ، والتلمود البابلي نسبة إلى بابل . وقد وضع التلمود المقدسي حاخامون من بيت المقدس عرفوا باسم « أمورايم » ، أو المفسّرين ، في حين وضع التلمود البابلي كبير أحبار مدينة سوره قرب بغداد المدعو راشي أو رب أشي ، وأتمّه أحبار آخرون في أواخر القرن الخامس الميلادي . ويتضمن ستة وثلاثين مبحثا كتبت بالآرامية مع بعض الشروح بالعبرية وشغلت قرابة ٢,٩٤٧ صفحة . ويتميز بالرغم من قلة عدد مباحثه بالمقارنة مع التلمود المقدسي (٣٩ مبحثا) بأنه أوسع من التلمود المقدسي ، إذ يبلغ أربعة أضعافه ، وبأنه التلمود الأكثر انتشارا بين اليهود .

ويتكون التلمود من ستة أقسام تحتوي على ثلاثة وستين مبحثا ، وتقع في خمسمائة وأربعة وعشرين فصلا . وأسلوب الكتابة ـ رغم عبريته وصبغته الكنعانية ـ متأثر إلى حد كبير بأسلوب اللغة الآرامية * في الكتابة ، ويحتوي على الكثير من المفردات الآرامية واللاتينية والفارسية والإغريقية . وقد قسم التلمود إلى قسمين :

١) المشنا : وهي مجموعة قوانين اليهود السياسية والدينية والحقوقية . وتقسم المشنا بدورها إلى ستة أقسام هي : البذور ويتضمن قوانين الزراعة مسبوقة بقواعد عبادة الله . والفصول ويبحث في الأعياد اليهودية . والنساء وقد ذكرت فيه قوانين الزواج والطلاق والنذور والوصايا . والعقوبات وتشتمل على عموميات التشريعات المدنية والجزائية والإدارية الحكومية . والأمور المقدسة

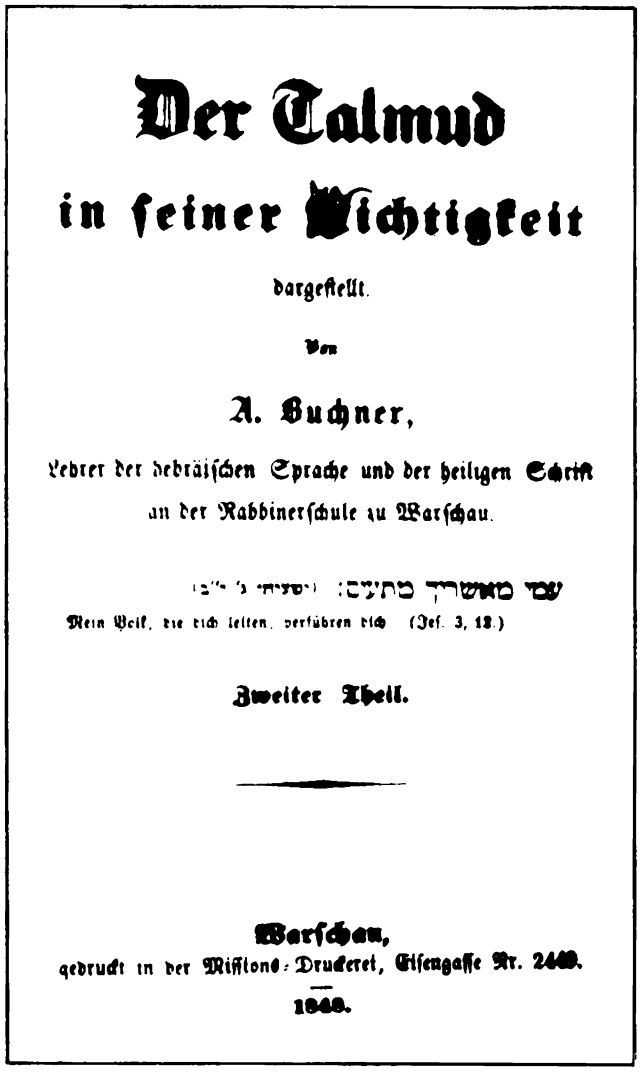

Der Talmud

in seiner Wichtigkeit

dargestellt.

Von

A. Buchner,

Lehrer der hebräischen Sprache und der heiligen Schrift an der Rabbinerschule zu Warschau.

עמי משתיך מתעים: (ישעיה ג' י"ב)

Mein Volk, die dich leiten, verführen dich (Jes. 3, 12.)

Zweiter Theil.

Warschau,
gedruckt in der Missions-Druckerei, Eisengasse Nr. 2469.
1869.

وهو بحث في القرابين والتضحيات وهيكل بيت المقدس . والطهارة وهو بحث في الطهارة والنجاسة . وتتصف البحوث جميعها باستعراضها المبادىء العامة لكل قسم دون مناقشتها .

٢) الجمارا : وهو مجموعة شروح وحواش تبسط قواعد المشنا وترسم تطبيقها على حالات واقعية أو افتراضية لم يعالجها رجال الدين من قبل ، وتعرضها مصحوبة بأمثلة أو حكايات .

ومن الجلي أنه كان للتلمود الأثر الأكبر في بروز ظاهرة التعصب القومي لدى معظم اليهود الذين يفضّلون قراءته والإيمان به على التوراة * . فهو يقسم الناس إلى يهود وغير يهود . وفي حين يحرم التلمود إيذاء اليهودي ، يعتبر سرقة أموال غير اليهود واغتصاب أملاكهم وأعراضهم وحيواناتهم حقا لليهودي وتقرّبا من الله .

ويشمل التلمود القديم طعنا في المسيحية * والمسيح . ومما يذكره عن السيد المسيح أنه كان يهوديا مرتدا كافرا ، وتعاليمه كفر صريح ، والمسيحيون كفرة مثله ، وأن أمه حملت به سفاحا من

جندي يدعى بندارا . وقد تنبّه أحبار اليهود الذين اجتمعوا عام ١٦٣١ م في بولونيا لخطورة هذا الموقف وقاموا بحذف الكلمات والعبارات التي تنال من السيد المسيح والمسيحية وتركوا مكانها فراغا واتفقوا على تلقينها مشافهة تلاميذ المدارس الدينية فقط . وقد بلغ من شدة تعلق غلاة اليهود بالتلمود أن جعلوا دراسة التوراة فضيلة لا يستحق اليهود عليها أية مكافأة ، أما من درس المشنا فإنه يستحق أن يكافأ ، في حين يحقق أعظم الفضائل من درس الجمارا .

تثبت النظرة العامة إلى التلمود تضمنه عددا هائلا من المغالطات ، ودعوته إلى الترفّع القومي ، والتركيز على كون اليهود « شعب الله المختار » المساوي لرب العالمين الذي منح اليهود الدنيا وما عليها . ويزعم التلمود أن الله لا عمل له في الليل إلاّ قراءة التلمود مع الملائكة ، والإعلان عن ندمه ولومه لذاته عندما تغاضى عن هدم هيكل بيت المقدس . وفي الحديث عن الأرواح يزعم التلمود أن روح اليهودي جزء من روح الله ، وأن روح اليهودي الميت تشغل جسما آخر ، وأن اليهودي الذي يقتل يهوديا خطأ أو عن عمد تدخل روحه في حيوان أو نبات ثم تذهب إلى الجحيم وتعود لتدخل جسم حيوان آخر ، وبعدها أحد الوثنيين ، وبعد أن تتطهر بمرورها بكل تلك المراحل تعود إلى جسد أحد اليهود . والجنة في نظر التلمود مقصور دخولها على اليهود ، والنار مأوى لكل من عداهم من المسلمين الذين لا يغسلون إلاّ أيديهم وأرجلهم ، ومن المسيحيين الذين لا يختنون . والخلاصة أن التلمود يمثّل تراثا يهوديا قوميا ودينيا .

وثمة عوامل جعلت اليهود يتمسكون بالتلمود، منها الهجوم الذي تعرّض له ، على مَر العصور ، من قبل الطوائف غير اليهودية ، ومنها الأوامر التي أصدرها الباباوات سنوات ١٣٢٠ م و١٤١٥ م و١٥٥٣ م بإحراق التلمود حتى قال أحد زعماء اليهود : " منذ أن ظهر التلمود إلى حيّز الوجود ـ وحتى قبل أن يوجد في شكل ملموس ـ جرت معاملته وكأنه أشبه ما يكون بالكائن البشري . فقد حرّم ، وسجن ، وأحرق مئات المرات . وتنافس الملوك والأباطرة والباباوات وأضدادهم في إلقاء الحرم عليه ، واستصدار الإرادات والبيانات لمصادرة هذا الكتاب العاثر الحظ بالجملة وإطعامه ألسنة النيران " وقد بذل اليهود جهودا جبارة في صيانة التلمود لأنه ، بجدليته الدقيقة ، يرضي حاجاتهم ونزعاتهم الفكرية والعاطفية والخيالية ، ولأنه يمثل عنصر وحدة ممتازاً بين اليهود المنتشرين في أنحاء العالم . وقد أضحت التعاليم التلمودية المعيار السائد والمقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود المادية والفكرية . جاء في الموسوعة اليهودية عن مكانة التلمود : " إبان انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود ، وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر، نظرت أكثريتهم الساحقة إلى التلمود على أنه السلطة العليا . حتى إن التوراة أنزلت إلى مرتبة ثانوية . والمعاهد اليهودية نذرت نفسها لدراسة التلمود دون منازع ، لدرجة أصبح « الدرس » معها مرادفا لدراسة التلمود "

المراجع :

ـ أسعد رزوق : **التلمود والصهيونية** ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ عبد الله التل : **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية** ، القاهرة ١٩٦٩ .

ـ أوغست روهلنج : **الكنز المرصود في قواعد التلمود** ، (مترجم) ، القاهرة ١٨٩٩ .

ـ محمد عزة نصر الله : **اليهودي على حسب التلمود** ، بيروت ١٩٧٠ .

ـ عبد المنعم شميس : **التلمود كتاب إسرائيل المقدس** ، القاهرة ١٩٦٨ .

— Adler, M.: **The World of the Talmud,** New York 1963.

— Baeck, L.: **The Essence of Judaism,** London 1936.

— Daiches, S.: **The Study of the Talmud in Spain,** London 1921.

— Goldin, J.: **The Living Talmud,** New York 1957.

— Gollanez, H.: **Pedagogics of the Talmud**, London 1924.

— Rohling, A.: **Le Juif Talmudiste,** Bruxelles 1936.

التلمـوند (سجـن ـ) : رَ : السجـون الإسرائيلية

تُلَيْل (قريـة ـ) :

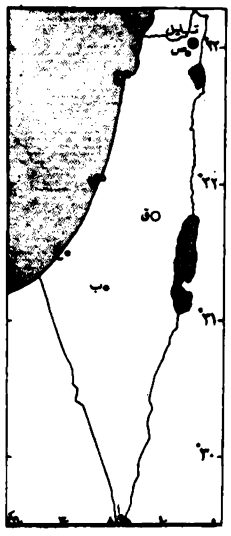

قرية عربية تقع على مسافة ١٤ كم شمال شرق صفد* على ساحل بحيرة الحولة * الجنوبي الغربي حيث ينتهي وادي الحنداج ووادي وقاص في البحيرة بعد مرورهما بأطراف القرية . وقد فرض هذا الموقع أن ينشىء السكان قريتهم فوق تل أثري يعلو ٧٠ م عن سطح البحر ، ويرتفع قليلا عن مستوى الأرض السهلية المحيطة بالقرية من أجل الدفاع عن القرية وحمايتها من أخطار السيول والفيضانات .

كانت تليل تتألف من أبنية متراصة من الطين والقصب . وتوجد بعض التلال الأثرية بالقرب من القرية ، وهي تدل على أهمية المنطقة منذ القديم . وقد امتدت القرية

نحو الغرب في أواخر عهد الانتداب ، واقتربت من قرية الحسينية * التي كانت تمتد نحو الشرق حتى أصبحتا تقريبا قرية واحدة بلغت مساحتها ٤٨ دونما ، واشتركتا في مدرسة ابتدائية مختلطة أقامتها جمعية تحسين القرى .

بلغت مساحة أراضي قريتي تليل والحسينية ٥,٣٢٤ دونما ، منها ١٥ دونما للطرق * والأودية ، و١,٧٥٣ دونما ملكها الصهيونيون . وقد اشتهرت أراضي القريتين بخصب تربتها ، وتوافر مياهها ، وارتفاع إنتاج الأرض ، حتى أن كيل البذار كان يعطي عشرين ضعفا . وأهم المنتجات الزراعية الحبوب* والخضر* . وقد مارس السكان أيضا حرفة صيد السمك من بحيرة الحولة ، وتربية الجواميس .

انخفض عدد سكان تليل من ١٩٦ نسمة عام ١٩٢٢ إلى ١٧٠ نسمة عام ١٩٤٥ . وقد استولى الصهيونيون على القرية عام ١٩٤٨ ، وطردوا سكانها ، ودمروها ، وأقاموا في ظاهرها الشمالي الغربي مستعمرة « يسود همعلاه » .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة الحولة .

تُلَيْلات الغسول : رَ : الغسول (تليلات ـ)

التمثيل والمسرح :

وجدت في فلسطين حركات مسرحية مدرسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، اشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى .

نشطت في المدارس العربية الحركة المسرحية ، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية العام الدراسي ، أو في مناسبات الأعياد الدينية والوطنية .

وفي الوقت الذي كانت مدارس الإرساليات تهتم بنقل أدب أمتها والتعريف بمؤلفيها وتمثيل المسرحيات التي تتعلّق بتاريخها وتراثها ، أمثال مسرحيات موليير وكورني وراسين وشكسبير، كانت المدارس الوطنية تتجه نحو إحياء التراث العربي والتاريخ العربي ، وتذكير الفلسطينيين بتاريخ أمتهم . فقد ظهرت إلى الوجود مسرحيات : جابر عثرات الكرام ، وجريح بيروت ، وعنترة العبسي ، وصلاح الدين ، ومملكة أورشليم ، وطارق بن زياد ، وفتح الأندلس ، وغيرها (رَ : المسرحية) .

وفي هذه الحقبة ، أي في العشرينات ، اضطلع اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نموّ الحركة المسرحية الفلسطينية ذات الطابع الوطني والقومي ، وهما خليل بيدس * الذي أخرج بين عامي ١٩٢٤و١٩٢٨ في الناصرة * مسرحية « السموأل » أو وفاء العرب لأنطون الجميل ، أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية * . وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات ، أهمها مسرحية « عبد الكريم الخطابي » التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب وذلك بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٨ .

زارت الفرق المصرية المدن الفلسطينية ، ولا سيما القدس * بين السنوات ١٩٢٥ و ١٩٣٢ لعرض مسرحياتها ، مما ألهب الحماسة في قلوب الشبان الفلسطينيين الذين نشطوا وأقبلوا على التمثيل . وكانت الفرق المصرية ثلاثاً : فرقة جورج أبيض ، وفرقة رمسيس ، وفرقة نجيب الريحاني . ولعل من أبرز الفرق التي تأسست في الثلاثينات فرقة نصري الجوزي ، وكان يديرها ، ويكتب لها ، ويمثل فيها .

وقدقامت في حيفا * عدة جمعيات أدبية تمثيلية منها : جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب جدع ، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة الممثل إسكندر أيوب ، وقد مثلت رواية هملت لشكسبير ، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية ، ووصلت إلى مستوى جيد في الإخراج والتمثيل . وكان إلى جانب هاتين الجمعيتين فرقة جمعية الشبان المسلمين .

ووجدت في يافا * فرقة الشبيبة الأرثوذكسية ، ونشط في بيت لحم * نادي الشبيبة الأرثوذكسية . وتأسس بين السنوات ١٩٢٩ و ١٩٤٨ اتحاد عكا ، وكان من أهدافه تمثيل مسرحية سنوية أو كل ستة أشهر يخصص ريعها للمشاريع الخيرية .

أما في القدس فقد قام نادي المنتدى الأدبي سنة ١٩١٥ بتمثيل رواية « صلاح الدين الأيوبي » لمؤلفها فرح أنطون ، وقد تمّ تمثيل هذه المسرحية في قهوة المعارف في باب الخليل (القدس) . وبعد ذلك قامت الفرقة بتمثيل مسرحية « لصوص الغاب » للكاتب الألماني نيتشه ، ثم أعيد تمثيل مسرحية « صلاح الدين » عام ١٩٢٠ ، وقد مثلتها فرقة النادي العربي * بالتعاون مع بعض الضباط العرب الأحرار .

أخذ الإنكليز بعد احتلالهم فلسطين يحضرون فرقهم التمثيلية إلى فلسطين . وقد عرضت هذه الفرق بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٢ مسرحيتي « هملت » و « ماكبث » .

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات

الأدبية * والفنية العربية منها : نادي الشبيبة الأرثوذكسية ، ونادي الشبان المسلمين ، وجمعية الفنون والتمثيل ، وفرقة النادي العربي .

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في ١٩٣٦/٤/١ ، وأدار القسم العربي فيها الشاعر إبراهيم طوقان * راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة ، وتشجيع التأليف والاعتماد على التراث العربي جابهته مقاومة الصهيونيين والسلطات الحاكمة وبعض العرب ، ولكنه ثبت أمام كل الصعوبات ، وشجع فرقة « الجوزي » ، أول فرقة إذاعية ، على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية ، وتتناول تاريخ البطولات العربية التي خاضها أبطالنا الميامين . ومن أشهر الفرق التي ساهمت في تقديم المسرحية الإذاعية على فترات متعاقبة الفرقة التمثيلية العربية ورئيسها موسى سالم سلامة ، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة شكري سعيد وحسين العفيفي ، وفريق هواة إذاعة القدس ، وجلهم من مذيعي الإذاعة الفلسطينية .

وبعد أربع سنوات من الكفاح أقيل إبراهيم من منصبه فتولى عجاج نويهض * إدارة القسم فاهتم بتنشيط التمثيل الإذاعي ، وساعده في عمله عصبة من كبار الأدباء والشعراء الفلسطينيين . وتولى القسم العربي بعده عزمي النشاشيبي فحذا حذو المديرين السابقين ، ونهج نهجهما في رفع مستوى الأدب والفن والموسيقى والتمثيل .

ولآل الجوزي نصيب في الإذاعة الفلسطينية ، فقد أسسوا فرقة الجوزي التي رافقت الإذاعة الفلسطينية منذ تأسيسها سنة ١٩٣٦ وحتى النكبة سنة ١٩٤٨ . وكانت الفرقة مؤلفة من ثلاثة هم : نصري الجوزي الذي كتب إذاعيات عالجت الأوضاع الاجتماعية والتاريخية والسياسية . وجميل الجوزي الذي ترجم ولخص إذاعيات كثيرة . وفريد الجوزي الذي كتب وترجم فصولاً هزلية كثيرة لاقت نجاحاً في الإذاعة وعلى المسرح .

ومن الذين ساهموا في المسرحية الإذاعية موسى سالم سلامة الذي ترجم عن الفرنسية بعض الفصول لموليير وراسين وفكتور هيجو . وهناك شكري سعيد الذي شارك في التمثيل أولاً ، ثم ساهم في تقديم الإذاعيات بعدئذٍ . وله مجموعة مطبوعة بعنوان « القدس الشريف » .

والمسرحيات الفلسطينية مسرحيات مؤلفة كانت تعالج المشكلات الاجتماعية والسياسية ، ومسرحيات مترجمة أو مقتبسة بتصرف عن تلك اللغات ، ومسرحيات شعرية مؤلفة عالجت موضوعات تاريخية وطنية .

ومن أوائل الذين ساهموا بتأليف المسرحية محمد عزة دروزة صاحب رواية « وفود النعمان على كسرى أنو شروان » التي طبعت في بيروت سنة ١٩١١ ، ثم حوّلت إلى مسرحية مثّلها طلاب من مدرسة النجاح الوطنية في نابلس عندما تولّى إدارتها في مطلع العشرينات .

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار * صاحب جريدة الكرمل * التي كانت تصدر في مدينة حيفا . وقد كتب مسرحية «شمم العرب» سنة ١٩١٤ ، وهي مسرحية في أربعة فصول . وله مسرحية ثانية هي « وفاء العرب » كتبها سنة ١٩٢٩ . وكان يهدف من وراء كتابة المسرحيتين إلى تعريف بني قومه بمآثر الآباء والأجداد ، وتصوير عادات العرب وتقاليدهم .

وفي أوائل العشرينات قام جميل البحري * بتأليف المسرحيات التالية : قاتل أخيه (١٩١٩) ، سجين القصر (١٩٢٠) ، بنكرتون واللص الظريف (١٩٢٢) ، الوطن المحبوب (١٩٢٣) ، حصار طبرية (١٩٢٤) ، الخائن (١٩٢٤) ، في سبيل الشرف (١٩٢٦) ، وفاء العرب ، الاختفاء الغريب ، الزهرة الحمراء ، ظلم الوالد . وبعض هذه المسرحيات مؤلف وبعضها مترجم أو مقتبس بتصرف عن الإفرنسية . وجميع هذه المسرحيات المطبوعة تخلو من العنصر النسائي ، ويبرر المؤلف ذلك بقوله : " إن روايات الغرام ، مهما كانت نبيلة شريفة ، لا تصلح لأن تمثل على مسارح المدارس ، فضلاً عن أنه يصعب إيجاد من يقوم بتمثيل الأدوار النسائية بين الشبان " .

وألّف بندلي صليبا الجوزي * عدداً من المسرحيات بين السنوات ١٩١٥ و ١٩٢٥ ، ثم راح يكتب للمسرح فصولاً تمثيلية تعالج مشكلات المجتمع الفلسطيني ، وتدعو إلى الإقبال على العلم . ومن بين المسرحيات التي ألّفها مسرحية « لا بد للحب أن ينتصر » ، وهي أوبرت في ثلاثة فصول تمثل الصراع بين الحب والمال . ومسرحية « أمي » التي مثلتها وغنّت أدوارها سيدات وآنسات نادي الشابات الأرثوذكسيات .

وألّف نصري الجوزي مسرحيات منها : الحق يعلو (١٩٢٧) ، فؤاد وليلى (١٩٣٠) ، الشموع المحترقة (١٩٣٠) ، أشباح الأحرار (١٩٣٥) ، عشاق التماثيل (١٩٤٦) . وله خمس مسرحيات ذات فصل واحد مطبوعة سنة ١٩٧٤ وهي : « أمة تطلب الحياة » ، و « حفلة عشاء » ، و « باسم الحداد وهارون الرشيد » ، و « معجون الحب » ، و « على الباغي تدور الدوائر » . وكان أول من كتب للمسرح المدرسي سنة ١٩٣٥ . وله مجموعتان تضمّان « ذكاء القاضي » و « العدل أساس الملك ، أو لن أبيع أرضي » ، و « عيد الجلاء » ، و « فلسطين لن ننساك » ، و « وفاء الأصحاب » و « حطموا الأصنام » ، وعشرات غيرها .

أما جميل الجوزي فقد اختص بالترجمة عن اللغة الإنكليزية ، كما ساهم في التمثيل والإخراج . وقد ترجم ما يربو على الخمسين مسرحية إذاعية ، وله مجموعتان مطبوعتان هما « السبحة وتمثيليات أخرى » ، و « الزوجة الخرساء » ، وقد أذيعت هذه التمثيليات المترجمة بين ١٩٣٦ و ١٩٤٨ .

وفي عام ١٩٣٤ قام المدرّسان شفيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية « في سبيلك يا وطن » طبعت في المطبعة العصرية في القدس الشريف ، وقد لاقت نجاحاً مرموقاً .

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم ، وهو من مواليد الناصرة وكان يعلّم اللغة العربية في بيت لحم والقدس . وله عدة مسرحيات مدرسية هي : « السجناء الأحرار » و « غرام ميت » ، و « قبلة المحبة » ، و « صراع بين العلم والإيمان » ، و « صديق حتى الموت » و « يوم الجيش » ، و « دقت الساعة يا فلسطين » ، و « الموسيقى خير علاج » .

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا . ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية : « حسن » ، وترجمت إلى اللغة العربية ، ومثلت في القدس في الأربعينات ، و « والي عكا » التي مثلت بنجاح على أحد المسارح في ألمانيا .

وساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية ، فقد قدّم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين * سنة ١٩١١ المسرحيات الشعرية التالية : « وطن الشهيد » (١٩٤٧) ، « شبح الأندلس » (١٩٤٩) ، « حرب القادسية » (١٩٥١) ، « الفداء » (١٩٦٨) .

وأصدر محيي الدين الحاج عيسى المولود في صفد* سنة ١٨٩٧ مسرحية « مصرع كليب » سنة ١٩٤٧ ، و « أسرة شهيد » عن أحداث نكبة فلسطين سنة ١٩٦٦ .

وقد عالجت هذه المسرحيات الشعرية جميعها موضوعات تاريخية وطنية هادفة تحثّ الأجيال على المحافظة على التراث العربي ، وتحلل الأوضاع التي ألمّت بفلسطين . والشعر في هذه المسرحيات متين جزل . لكن حظ هؤلاء الشعراء من الثقافة المسرحية لم يكن في المستوى الذي يساعد على انتشارها وتمثيلها على خشبات المسارح .

وأسهمت المرأة في تزويد المسرح الفلسطيني بمسرحيات وفصول تمثيلية في محطات الإذاعات والمسارح الفلسطينية . فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام ١٩٣٨ مثّلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة ، وهي : « نساء وأسرار » ، و « صبر وفرج » ، و « أصل شجرة الميلاد » ، و « مصرع قيصر روسيا » .

وألّفت نجوى قعوار فرح مسرحيتين هما : مسرحية « ملك المجد » الدينية المستمدة من الإنجيل المقدس ، ومسرحية « شهرزاد » التي صوّرت حب شهرزاد للملك شهريار قبل أن تقص عليه قصصها . وقد زوّدت هذه الكاتبة الإذاعة الفلسطينية ومحطة الشرق الأدنى ومحطة لندن وبعض المدارس والمعاهد بفصول تمثيلية عالجت فيها المشكلات والقضايا الاجتماعية والتعليمية .

ومن الذين كتبوا للمسرح الشعري في السبعينات معين بسيسو من مواليد غزة * سنة ١٩٢٦ ، وله المسرحيات الآتية : « مأساة غيفارا » (١٩٦٩) ، و « ثورة الزنج » (١٩٧٠) ، و « شمشون ودليلة » (١٩٧١) .

وكتب غسان كنفاني * من المسرحيات : الباب ، والقبعة والنبي ، وجسر إلى الأبد . وصدرت جميعها سنة ١٩٧٨ بعد استشهاده .

كانت البداية الأولى للمسرح في الضفة الغربية في أواخر سنة ١٩٧٠ في الأرض المحتلة فرقة صغيرة من الهواة اسمها « عائلة المسرح » بدأت تتدرب على مسرحية الشاعر سميح القاسم « قراقاش » . ونظراً للانتقادات التي تتضمنها المسرحية وفساد الأحكام التي كان يصدرها قراقاش ، والمشابهة لأحكام الصهيونيين ، فقد منعت السلطات الحاكمة تمثيل هذه المسرحية الوطنية .

وجاءت بعد « عائلة المسرح » فرقة « بلالين » فأخرجت خمس مسرحيات هي : قطعة حياة ، والعتمة ، وثوب الإمبراطور (١٩٧٣) ، ونشرة أحوال الجو (١٩٧٣) ، وترباتك يا عمي (١٩٧٥) . وتولى إخراج معظم هذه المسرحيات فرنسوا أبو سالم الذي درس الإخراج المسرحي في فرنسا .

وقامت فرقة دبابيس التي تأسست سنة ١٩٧٢ بعرض مسرحية « الحق الحق » للكاتب إبراهيم جبيل في رام الله * سنة ١٩٧٣ . وفي شباط ١٩٧٥ قدّمت الفرقة مسرحية « الانتظار » . أما مسرحيتها الثالثة فكانت بعنوان « عمارة من ورق » وقدمتها سنة ١٩٧٦ .

وظهرت فرقة « الكشكول » عام ١٩٧٤ ، وكذلك فرقة « صندوق العجب » عام ١٩٧٦ وكانت أول مسرحية عرضتها « لما انجلينا » .

والجدير بالملاحظة أن التمثيل في الضفة الغربية اعتمد بالدرجة الأولى على العامية الدارجة لكونه فناً ملتزماً بقضايا الجماهير الفقيرة وشبه الأميّة التي تحمّلت عبء الاحتلال الصهيوني لفلسطين ، وتدل التلخيصات التي يقرأها المرء في الصحف أن الحركة المسرحية هناك جزء من حركة المقاومة الفلسطينية العامة والمسرح وطني اجتماعي ملتزم .

وخلاصة القول إن الجهود التي بذلها ويبذلها الفلسطينيون في مضمار التمثيل المسرحي لا بأس بها ، ولو انها لا ترقى إلى المستوى المنشود .

وتأسست منذ عام ١٩٦٥ فرقة « فتح المسرحية الفلسطينية » ، ومن المسرحيات التي قدمتها :

١) شعب لا يموت ، من تأليف فتى الثورة وإخراج صبري سندس .

٢) الطريق ، تأليف وإخراج نصر الدين شما .

٣) محاكمة الرجل الذي لم يحارب ، إخراج الدكتور حسن عويتي .

٤) الكرسي ، إخراج خليل طافش .

واقتصر نشاط الفرقة بعدئذٍ على تقديم مسرحية في مهرجان دمشق المسرحي السنوي .

المراجع :

ـ عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني ، ١٩٦٨ .

ـ خليل السواحري : النهوض المسرحي في الأرض المحتلة ، مجلة المعرفة ، العدد ١٩٦٣ ، دمشق ١٩٧٥ .

ـ يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .

التمرتاشي : رَ : محمد بن عبد الله الغزي

التمساح (نهر ـ) : رَ : الزرقاء (نهر ـ)

تميم اللخمي :

في سنة ٢٢٦هـ / ٨٤١م ، وقبل وفاة الخليفة العباسي المعتصم بالله بسنة واحدة ، ظهر في فلسطين ومنطقة الغور * هذا الثائر ، وكنيته أبو حرب ولقبه المبرقع . وليس يعرف عنه شيء كثير قبل ثورته أو بعدها . وتفيد المصادر أنه يماني من أهل الغور ، وأنه كان على جانب من الثقافة والعلم والتقوى . ولعله درس في طبرية * التي كانت ذات مركز علمي حسن في ذلك الوقت . وتذكر المصادر أنه خلع الطاعة لسبب شخصي ، إذ ضرب بعض الجند زوجته في غيابه ، فغضب وقتل الجندي ، ثم هرب ثائراً ، لكن تصرفه الثوري بعد ذلك يوحي بأنه كان يصدر عن عقيدة نذر لها نفسه ، وأراد أن يكون جنديها المجهول ، فجعل على وجهه برقعاً لئلا يعرف (ولذلك عرف بالمبرقع) ، ولجأ الى جبل من جبال الأردن ، وطلبته السلطات ، فلم يعرف له خبر . وكان يظهر في النهار فيقعد على الجبل الذي أوى إليه مبرقعاً ، فيراه الناس ، فيجتمعون إليه ، فيذكّرهم ، ويحرّضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويذكر السلطان وما يأتي من الأفعال فيعيبه . وقد توجه بدعوته الى الفلاحين والفقراء . وكانت المنطقة التي ثار فيها سهولاً وهضاباً زراعية وقرى يعيش فيها حراثون أغلبهم يمانيون في النسب تتخللهم جماعات قيسية في الجولان * وفي البلقاء خاصة ، وفيهم ، ولا سيما في بيسان * والرملة * وسهول طبرية ، أخلاط من السكان الأصليين (وكانوا يسمّون النبط) . وكانت المنطقة ذات مورد زراعي حسن ، فخراج جند الأردن (وهو الشمال من فلسطين والأردن اليوم) ينوف على مائة ألف دينار ، وخراج جند فلسطين (وهو القسم الجنوبي من البلدين) ثلاثمائة ألف دينار (وهو يساوي خراج دمشق يومذاك) .

ويظهر أن إهمال العباسيين للمنطقة وظلم الضرائب * سمحا لدعوة أبي حرب بالتوسع ، فاستجاب لها « قوم من الفلاحين وأهل القرى » من عرب لخم * وجذام * وعاملة * وبلقين . وكان يزعم أنه أموي ، فقالوا : هذا هو السفياني المنتظر . ولما كثر جمعه من هذه الطبقة من الناس دعا أهل البيوتات ، فاستجاب له جماعة من رؤساء اليمانية ، وكانت دمشق في تلك الفترة نفسها ثائرة فاستجاب له بعض زعمائها . ثم التقت الثورتان وتحالفتا .

وكان الخليفة المعتصم عليلاً بعلته التي مات فيها سنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢م ، وأقلقته الثورة جداً لما تحمل من تهديد أموي وانقطاع خراج فبعث بقائده رجاء بن أيوب الحضاري على رأس زهاء ألف من الجند . ولكن هذا القائد الذي استطاع هزيمة الثائرين في دمشق بالحيلة والمباغتة لم يجرؤ على منازلة المبرقع . فقد استخبر فوجده في عالم من الناس . . . كان في زهاء مائة ألف « فطاوله طويلاً . ولما كانت ثورته فلاحية ، ورجاله من أهل القرى فقد انتظر أشهر الصيف حتى جاء موسم عمارة الناس الأرضين وحراثتهم » في مطالع سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣م ، وانصرف الفلاحون الثائرون إلى أعمالهم ، وبقي أبو حرب في زهاء ألف أو ألفين ، فهاجمه القائد العباسي عند الرملة على ما يظهر في معركتين . وبالرغم من الفروسية التي أبداها المبرقع في الحرب فقد سقط أسيراً وقتل الكثير من أصحابه . وسيق مع قائد ثورة دمشق ابن بيهس إلى العاصمة سامراء حيث سجنا في المطبق وأغلقت عليهما أبوابه إلى الأبد .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة ١٩٣٩ .

ـ ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، دمشق ١٩٥١ ـ ١٩٥٤ .
ـ اليعقوبي : التاريخ ، بيروت ١٩٦٠ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٢ .

التميمـــي : رَ : رفيق بن راغب التميمي
رَ : عبد الفتاح بن درويش التميمي
رَ : محمد بن أحمد بن سعيد التميمي
رَ : مصطفى بن عبد الفتاح التميمي

التميمي الـــداري : رَ : تقي الدين بن عبد القادر الغزي

التمييـــز العنصـري ضـدّ العرب :

تقوم السياسة الإسرائيلية على أسس واضحة مستمدّة من الفكر التوسعي الصهيوني العنصري ، فهي ترمي إلى تفريغ فلسـطين من أبنائها العرب لتقوم بزرع المستعمرات وحشد ما أمكن لها حشده من يهـود العـالم الـذين ينقـادون وراءهـا في الأراضي العـربيـة . أمـا الجانب العنصري فهو منطلق وممهّد للسياسة الإسرائيلية التوسعية ، فالصهيونيون يعتبرون أنفسهم شعبا مختارا مميّـزا عن بقية الأقـوام ، والأمم التي تليهم في كـل شيء ينبغي أن تسخّر وتستغـل لخدمتهم (رَ : التوسعية الصهيونية) .

وانطلاقا مما تقدم يمكن تفسير السياسة اللاإنسـانية التي اتبعتها (إسـرائيل) بحق العـرب ، والتي تجعلهم محـرومـين من الحقـوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتمتع بها اليهـود في الأرض المقدسة .

قدّر عدد العـرب الذين مكثـوا في فلسطين المحتلة في أعقـاب الحـرب العربيـة ـ الإسرائيليـة عـام ١٩٤٨ * بحـوالي ١٧٠,٠٠٠ شخص موزعين حسب سكنهم على النحو التالي :

في المـدن	٣٢,٠٠٠ شخص
في الـريف	١٢٠,٠٠٠ شخص
في البـاديـة	١٨,٠٠٠ شخص

وقد ارتفع عـدد العرب إلى ٣١٢,٠٠٠ عـربي عام ١٩٦٦ ، وهم يتركزون في المناطق الرئيسة الآتية :

١) منـطقة الجليـل * التي جعلها قـرار التقسيم * الصـادر عن الأمم المتحدة ضمن المنطقة المخصصة للعرب .
٢) منطقة المثلث في وسط فلسطين .
٣) منطقة النقب * التي تسكنها قبائل البدو العربية .

وإذا أضيف إلى العـرب الذين بقـوا في فلسـطين المحتلة عـام ١٩٤٨ نحو ١,٠٥٠,٠٠٠ مواطن عربي فلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين عام ١٩٦٧ أصبـح الاحتلال الصهيوني يحكم بعد عام ١٩٦٧ نحـو ١,٤٠٠,٠٠٠ فلسطيني ، وقـد ارتفع هـذا العدد إلى ٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة عام ١٩٨١ .

وتعجز الكلمات عن توضيح الخطوط العامة للسياسة الصهيونية بحق العـرب ، فقد قـالت المناضلة عـائشـة عـودة ، وهي إحـدى المعتقلات الفلسطينيات في إفادتها أثناء المحاكمة : " لقـد تعرّضت لتعذيب وحشي لا أستطيع وصفه مهما حاولت " . ويمكن تلخيص موقف الرأي الرسمي الصهيوني بما قاله صموئيل ديفون مستشار بن غوريون : " يذكّرنا بن غوريون دائما بأننا لا نستطيع أن نسير على أساس أعمال تخريبية لم تقم بها الأقلية العربية ، بـل يجب أن نسير على أساس ما كان يحتمل لهذه الأقلية أن تقوم بـه فيما لـو أتيح لهـا المجال " .

أ ـ القوانين والأنظمة التي يُحكم بها العرب في (إسرائيـل) :

١) أنظمة الـطوارىء العسكريـة لعام ١٩٤٥ : وهي متعـددة متنوعة تتـدخّل في جميـع مجالات الحيـاة من الرقـابة عـلى الرسـائل والطرود إلى الاعتقال وتقييد حرية التنقل والنفي وطرد السكان .

والجدير بالذكـر أن هذه الأنـظمة مـوروثة من عهـد الانتداب البريطاني .

لقد كانت هذه الأنظمة ، ولا تزال ، الأساس القانوني لمصادرة الأراضي ، وإعلان المناطق المحظورة ، وطرد السكان العرب ، إلى غير ذلك من الإجراءات (رَ : الدفاع ، أنظمة) .

٢) قوانين وأنظمة الطوارىء المدنية : طبقت هذه الأنظمة على العرب الذين بقوا في فلسطين التي احتلت عام ١٩٤٨ ، إذ كان كل عـربي في فلسـطين غـادر مدينتـه أو قريتـه بعـد ١٩٤٧/١١/٢٩ (تاريخ قرار التقسيم *) يعتبر متغيبـا وفقا لهـذه الأنظمـة . وجميع العرب الذين كانت لهم ممتلكات في مكان ما ، بغضّ النظر عمّا إذا كانوا لم يقطعوا أكثر من مسافة قصيرة تفصلهم عن ذلـك المكان ، اعتبروا متغيبين . كما أن الثلاثين ألف عربي الذين فـرّوا من مكان إلى آخر داخل (إسرائيل) ١٩٤٨ ، ولكنهم لم يغادروا البلاد قط ، أعلنت ممتلكاتهم أيضا ممتلكـات متغيبين (رَ : أمـلاك الغائبـين ، قانون) .

٣) قـانون استمـلاك الأراضي : غايتـه إضفاء الشـرعية عـلى مصادرة الأراضي العـربيـة بتثبيت الإجراءات السـابقة وتعـويض أصحابها . وكان في وسع الحاكم العسكري إعلان أي منطقة عربية قطاعا محظورا ، فيحرم دخولها عـلى كل عـربي يرغب في أن يتعهـد أرضه . ثم طبق قانون عام ١٩٥٣ فـأصبحـت الأراضي الزراعية

عرضة للمصادرة لأن أصحابها لم يتمكنوا من تعهدها بأنفسهم وهذا يعني أن أملاك العرب أصبحت ملكاً للدولة التي وضعت جميع العراقيل وخلقت الأسباب أمام العرب لكي لا يتمكنوا من تعهد أراضيهم وممتلكاتهم (رَ : الاستيلاء على أرض في ساعة الطوارىء ، قانون) و(رَ : استملاك الأراضي ، قانون ـ ١٩٥٣) .

٤) قانون التحديد ١٩٥٨ : وهو يطالب المالك العربي غير الحائز سندات أراض بإبراز أدلة تثبت ملكيته للأرض المذكورة لمدة لا تقل عن ١٥ عاما . وإذا لم يستطع ، وهو لن يستطيع ، تؤول ملكية الأراضي إلى الدولة .

٥) قانون العودة وقانون الجنسية * : يُمنح اليهودي بموجبهما ـ مهما كانت جنسيته ـ حق الإقامة والجنسية الإسرائيلية دون قيد أو شرط . أما العربي المولود في المناطق المحتلة فلا تشكل ولادته هذه سندا قانونيا لمنحه حق المواطنة .

ب ـ استغلال وتجويع السكان المدنيين : اتجهت السياسة الاقتصادية لسلطات الاحتلال الإسرائيلي إلى دمج اقتصاديات المناطق العربية المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ بالاقتصاد الإسرائيلي فكرّست الطاقات الاقتصادية العربية لخدمة اقتصادها . وقد استهدفت الخطة التي طبقت عام ١٩٦٧ امتصاص أكبر كمية من النقد الأردني ، واستغلال الطاقات البشرية لسدّ النقص الذي يعاني منه الكيان الصهيوني ، إضافة الى امتصاص المنتوجات العربية من الأسواق ليقل العرض ويزداد الطلب ، مما يخلق أسواقا واسعة أمام المنتوجات الإسرائيلية . من ناحية أخرى عمل الإسرائيليون على هدم الاقتصاد العربي وجعله في حالة قلق مستمر . ولتحقيق ذلك لجأ الكيان الصهيوني إلى هدم البيوت وسلب الممتلكات، وإجراء الاعتقالات وزيادة ضرائب الاستيراد ، وعرقلة التمويل ، ورفع تكاليف المعيشة والاستيلاء على أموال وممتلكات المبعدين والغائبين ، واستغلال العمال العرب . لقد استخدم الإسرائيليون شتى الوسائل لخنق الاقتصاد العربي وتجريد العرب من مصادر رزقهم في محاولة لتفريغ فلسطين منهم .

بعد حرب ١٩٦٧ * عملت السلطات الإسرائيلية على امتصاص البطالة التي كانت تعاني منها القوى العاملة العربية ، لأن حالة البطالة تخلق المناخ المناسب لنموّ الثورة ، فقامت بإنشاء بعض مشاريع العمل التي تستطيع أن تستوعب أكبر عدد من العمال (خدمات الاحتلال) ، وتُشعر العامل أنه أصبح في وضع اقتصادي أفضل . لكن السلطات الحاكمة لم تكن لتسمح بإطالة أمد هذه المشاريع ، إذ أخذت بعض المصانع تفصل عمّالها ، في حين أخذ التضخم النقدي يسلب العامل العربي كل ما كسبه . وأخطر من هذا أن الأسرة العربية تعوّدت على مصروفات معينة . ونتيجة لسياسة ارتفاع الأسعار أصبح العامل العربي يسير في دوامة مفرغة ، أو يضطر لترك بلده والانتقال إلى الدول المجاورة ، وبهذا يحقق المحتلون أهم أهدافهم ، وهو تفريغ الأرض .

أما الأحوال في قطاع غزة فكانت أكثر سوءاً ، ففي هذ القطاع ٣٦٢ ألف نسمة منهم ٢٠٠ ألف لاجيء يسكنون الأكواخ والخيام المهترئة ويتعيشون من المخصصات الغذائية التي تقدمها لهم الأمم المتحدة بما يعادل ٤ ليرات إسرائيلية للفرد الواحد . وأشار موشي دايان عام ١٩٦٩ إلى الأوضاع السيئة في غزة بقوله : " لقد رأيت جوعا في غزة . وهذا لن يعزز صورتنا في الخارج " .

جـ ـ معاملة العرب في مجال العمل : أدّت الإجراءات التعسفية التي مارستها (إسرائيل) ضد الاقتصاد الفلسطيني إلى دخول العمال العرب مجبرين إلى منشآت العمل الصهيونية ، خاصة تلك التي تتطلب جهدا جسميا . ففي عام ١٩٧٤ كان ٢٠٪ من العمال العرب يعملون في مجال البناء والإنشاءات مقابل ١,٥٪ من اليهود يعملون في القطاع المذكور ، وهذا القطاع يتطلب مشقة وعناء ، وأجوره منخفضة وأعماله موسمية . فالعامل العربي لم يختر العمل فيه بل اضطر لذلك تلبية لحاجاته وحاجات أسرته ، ولأنه فقد مصادر رزقه المتمثلة في الأرض نتيجة المصادرة أو منافسة المنتوجات الإسرائيلية المماثلة .

تميزت سياسة (إسرائيل) تجاه العمال العرب بالعنصرية والاستغلال المكثّف لإشباع أطماع الاستعمار الصهيوني الذي لجأ إلى تشغيل العمال العرب لفترة تصل إلى ١٢ ساعة يوميا ، فهم يخرجون من بيوتهم منذ أذان الفجر ، ولا يعودون إليها إلاّ بعد المغيب . ولا تخفى خطورة هذا الوضع إذ إن الآباء لا يرون أبناءهم إلاّ يوم العطلة (السبت) . وجدير بالملاحظة أن هؤلاء العمال يتجمعون في بعض الأماكن ليتم نقلهم بالشاحنات التي تسير محشوة كعلب السردين أو كالماشية يغلق عليهم الباب ، ولا يعرفون إلى أين يسيرون إلاّ عندما يصلون .

وإذا أضيف إلى ما ذكر شروط العمل الصعبة التي تجعل العمال العرب عرضة للإصابات فيصبحون عالة على أسرهم بدلا من إعالتها ، وإذا أضيف إلى ذلك قصر أوقات الاستراحة ، والتمييز في الأجور ، تنكشف السياسة الصهيونية العنصرية التي تتعارض مع أبسط حقوق الإنسان الخاصة بالعمل كما أوردها الإعلان العالمي الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩٤٨/١٢/١٠ .

لقد جرّد الصهيونيون العمال العرب من أبسط الحقوق المتمثلة في التأمين الصحي ، والضمان الاجتماعي ، والانضمام إلى نقابات العمال ، التي تعتبر شرطا أساسيا لتحقيق مطالبهم ، وتحسين

الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية . وهناك فئة من العمال العرب أسوأ حالا مما ذُكر ، وهي تلك الفئة التي تعمل عن غير طريق مكاتب العمل الإسرائيلية . فالرأسمالي الصهيوني يعمد إلى هذه الطريقة من التشغيل (العمل الأسود) لأنها تحرّره من أية تبعات تجاه العامل ، ينقله من مكان إلى آخر ، أو من عمل إلى آخر ، أو حتى يفصله من عمله دون سابق إنذار ، ودون أي تعويض ، فلا النقابات تدافع عنه ولا تشريع حماية العمال يشمله .

د ـ معاملة السجناء والمعتقلين العرب : لم تكتف الصهيونية بجعل فلسطين المحتلة سجنا كبيراً للعرب ، بل عمدت إلى فتح السجون لتستوعب أعدادا ضخمة من الرجال والنساء والصبية الذين لا ذنب لهم إلاّ أنهم لم يخلقوا يهودا . وكثيرا ما لجأت السلطات المختصة إلى تدشين معتقلات جديدة ، أو توسيع المعتقلات الموجودة ، لمواجهة زيادة عدد المعتقلين .

اتخذ التعذيب الأشكال الآتية .

١) تعليق المعتقل من يديه ، وشدّه من أعضائه الأخرى لعدة ساعات حتى يفقد وعيه .

٢) الحرق بأعقاب السجاير ، أو إدخالها في فتحات الجسم الطبيعية كالأنف أو العين أو الشرج .

٣) الضرب بالعصا على الأعضاء التناسلية ، أو وخزها بالدبابيس .

٤) الربط وعصب الأعين لمدة قد تزيد على الأسبوع .

٥) نهش الكلاب الشرسة والموبوءة .

٦) صدمات كهربائية على الوجه والصدر والخصيتين .

٧) اقتلاع الأظافر والرموش ، ووضع بيضة مسلوقة تحت الإبط لتكوي هذه المنطقة الحساسة من الجسم بحرارتها الحارقة .

٨) لف سلك على الساق أو الذراع ووصله بالتيار الكهربائي .

٩) الاعتداء على أعراض المناضلات المعتقلات .

١٠) الحرب النفسية الرامية إلى تحطيم المعتقل وانهياره .

لقد نجم عن هذه المعاملة اللاإنسانية نتائج كثيرة منها : استشهاد كثير من المعتقلين ، والإصابة بشلل في الأيدي والأرجل ، وحدوث نوبات قلبية من أثر الصدمات الكهربائية ، وضعف البصر أو فقده تماما ،والإصابة بالأمراض العقلية والنفسية ،ووقوع الكثير من حالات التشويه .

ويجدر القول إن عدد السجناء السياسيين في نهاية عام ١٩٦٩ بلغ ٤,٨٦٦ سجينا مقابل ٣,٣٠٠ سجين عام ١٩٦٨ ، أي بزيادة قدرها ١,٥٦٦ في سنة واحدة ، ويقدر العدد عام ١٩٨١ بنحو ١٢,٠٠٠ سجين .

هـ ـ سياسة الصهيونيين في مجال التربية والثقافة والعلوم :

أدرك الصهيونيون خطورة انتشار التعليم والثقافة بين صفوف العرب الذين يخضعون لحكمهم ، لذا عمدوا إلى اتباع سياسة تقوم على تجهيل العرب فعملوا على طمس الثقافة الوطنية . وشملت سياستهم جميع مراحل التعليم ، ففي مرحلة الطفولة تمييز واضح بين الأطفال العرب والأطفال اليهود ، والأمر نفسه ينطبق على المراحل التعليمية الأخرى حيث المخصصات السنوية التي ترصد للإنفاق على التعليم في المناطق العربية محدودة جدا ، وقد تبدّى عجز المخصصات المرصودة في نقص خطير في غرف الدرس ، والمعلمين ، والخدمات التي يحتاج إليها الطلبة ، مثل الكتب والخرائط والمختبرات . وتتعرض المناهج التي تدرّس في المدارس العربية إلى كثير من التشويه وتحريف الحقائق . وهذه الإجراءات تهدف إلى فصل الشعب الفلسطيني عن ثقافته ودينه وقضاياه الوطنية .

أما في مجال الصحافة والنشر فقد اتخذت (إسرائيل) سياسة مكملة للسياسة التعليمية حين استمرت في تطبيق قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ * ، وهو القانون الذي سنّه الانتداب البريطاني ليكبت بأحكامه التعسفية حرية الرأي والصحافة والنشر فقد نصّت المادة ٨٧ من نظام الطوارىء لعام ١٩٤٥ على أنه " لا يجوز طبع أو نشر أية جريدة في فلسطين إلاّ إذا كان صاحب تلك الجريدة قد حصل سابقا على رخصة موقّعة بإمضاء حاكم اللواء الذي يراد طبع الجريدة فيه ، أو الذي تطبع فيه في ذلك الحين " . كما أن النظام المذكور "يجيز لحاكم اللواء ، بمحض إرادته ، أن يمنح تلك الرخصة أو أن يرفض منحها دون بيان أي سبب لذلك . ويجوز له أن يقرن الرخصة بأية شروط ، وأن يلغي الرخصة التي منحها ، أو يغيّر أي شرط من الشروط التي اشترطها فيها على الصورة المذكورة ، في أي وقت من الأوقات " . كما "يجوز للرقيب أن يصدر أمرا يمنع فيه ، بصورة عامة أو خاصة ، نشر أية مادة يرى أنها تضرّ ، أو من شأنها أن تضرّ ، أو يحتمل أن تصبح مضرة بالدفاع عن فلسطين ، أو السلامة العامة، أو النظام العام " .

و ـ سياسة العقوبات الجماعية : أنزل الصهيونيون بالعرب الفلسطينيين ما عجز الاستعمار القديم والحديث عن ممارسته . ففي محاولتهم لإرهاب السكان وحملهم على الهجرة إلى البلدان العربية المجاورة، أو أملاً منهم في إضعاف حدّة المقاومة الفلسطينية لجأوا إلى العقوبات الجماعية الآتية :

١) الاعتقال الإداري والسجن .

٢) نسف المنازل والممتلكات المشتبه بأن لأصحابها علاقة بالثورة . وقد نسف ما يزيد على ٢,٥٠٠ منزل .

٣) قطع الأشجار وتدمير المزارع التي تشكل مصدر دخل للسكان العرب .

٤) إبعاد المواطنين العرب بحجة الأسباب الأمنية المزعومة .

٥) مصادرة الأملاك . وقد بلغت الأراضي المصادرة حوالي ٧,٠٥٠,١٧٧ دونما موزعة كما يلي :

(١) في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ : ٦,٤٧٩,٥٠٠ دونم .
(٢) في الضفة الغربية : ٥٠٩,٤٧٧ دونماً .
(٣) في قطاع غزة : ٦١,٢٠٠ دونم .

٦) تحديد حركة السكان العرب ، وضرورة الحصول على تصاريح للدخول إلى بعض المناطق ، وهي غالبا الأراضي الزراعية . ويلاحظ أن هذا الإجراء يوقّت في موسم فلاحة الأرض أو الحصاد .

٧) جمع السكان في الساحات العامة تحت أشعة الشمس اللافحة ، أو في الشتاء القارص ، وإطلاق الرصاص فوق رؤوسهم .

٨) نقل السكان من منطقة إلى أخرى . فقد قامت سلطات الاحتلال بطرد أعداد كبيرة من اللاجئين في معسكرات قطاع غزة بعد هدم مساكنهم وتدمير ممتلكاتهم . ووصل عددهم كما ذكر مدير وكالة الإغاثة * في عمان بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٢ إلى نحو ٨٠,٠٠٠ وزعوا في مناطق متفرقة من الضفة الغربية .

المراجع :

ـ جامعة الدول العربية ، الأمانة العامة/ إدارة شؤون فلسطين : **انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان في المناطق المحتلة** ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ إسرائيل شاحاك : **عنصرية دولة إسرائيل** ، منشورات مجلة فلسطين .
ـ صبري جريس : **الحريات الديمقراطية في إسرائيل** ، بيروت ١٩٧١ .
ـ صبري جريس : **العرب في إسرائيل** ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عمر غزواي : **الصهيونية والأقلية القومية العربية في إسرائيل** ، عكا ١٩٧٩ .
ـ فيليسيا لانغر : **أولئك إخواني** ، القدس ١٩٧٦ .

التنظيم الشعبي المسلح (قوات ـ) :

رَ : حركة التحرير الوطني الفلسطيني

تنكز بن عبد الله (ـ ٧٤١ هـ)
(ـ ١٣٤٠ م) :

هو الأمير سيف الدين الحسامي ، الناصري حاكم دمشق ، ونائب سلطان المماليك الأتراك في مصر والشام الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون . أصله من مماليك المنصور حسام الدين لاجين ، ثم صار في حرس الناصر الخاص فارتقى صُعُداً حتى وصل إلى مرتبة النيابة فعدّ منذئذ من أكبر شخصيات الدولة المملوكية ، حتى إن بعض المؤرخين قارنه بجعفر البرمكي في الدولة العباسية . وفي الحق أن تنكز لقي لدى الناصر حظوة لم ينلها أمير قبله ؛ فقد صاهره الناصر فتزوج ابنته وزوّج ابنتيه لولدي تنكز . وظل تنكز في نيابة دمشق ثمانيا وعشرين سنة ، وهي مدة طويلة في عصر مضطرب كالعصر المملوكي كثرت فيه المصادرات والاغتيالات والدسائس والمؤامرات . ويبدو أن تنكز كان " على شيء من الفهم والعدل " بالنسبة إلى زمنه ، فاستطاع ضبط الأمور ورعاية مصلحة الرعية حتى لقب بالعادل .

ولعل أبرز شيء في سيرة تنكز تلك الأعمال العمرانية والمنشآت الحضارية والأوابد الأثرية التي خلدت ذكراه ، والتي لا تزال ماثلة إلى الآن ، سواء في دمشق ، كجامع تنكز ودار القرآن والحديث التنكزية ، وتربة ستيتة زوجة تنكز ، أو في فلسطين ، كالمنارة الثابتة على باب السلسلة في القدس (٧٣٢ هـ) ، والمدرسة والخانقاه اللتين وقفهما في القدس ، ودكة المؤذنين الرخامية في الحرم الإبراهيمي في الخليل ، وبناء قناة السبيل التي أوصلت المياه إلى وسط المسجد الأقصى * (٧٢٨ هـ) ، وبناء الحمام المعروف بالجديد (٧٤١ هـ) ، والقيسارية في القدس ، والبركة المعروفة اليوم باسم « الكأس » بين الصخرة والأقصى ، وبناء المدرسة التنكزية الواقعة عند باب الحرم المعروف بباب السلسلة (٧٢٩ هـ) .

وقد تجاوزت منشآت تنكز القدس * إلى صفد * فبنى فيها خانا ومستشفى (بيمارستان) يعرف باسمه (٧٢٥ هـ) . كما أنشأ عدة مبانٍ منها جامع بنابلس وآخر بعجلون . كذلك أنشأ خان المنيا ، أو خربة الخان بالقرب من طبرية * . وفي قرية جلجوليا " أنقاض جامع وخان من الفسيفساء ، وهي من بقايا المنشآت التي أقامها تنكز " .

تلك هي الصفحة المضيئة من سيرة الأمير تنكز . أما الصفحة المظلمة فقد أشار إليها الذهبي في كتابه سير النبلاء فقال : " كان تنكز ذا سطوة رهيبة ، وإقدام على سفك الدماء ونفس سبعيّة ، وفيه عتوّ وحرص مع ديانة في الجملة . وكان فيه حدّة وقلّة رأفة " . وتعدّ كلمة « حرص » التي أشار إليها الذهبي ، وما تنطوي عليه من معاني الجشع وحب التملك ، من أبرز العيوب التي عرفت عن تنكز ، وهي التي قادته في نهاية الأمر إلى حتفه . فقد دأب على جمع الأموال ، واقتناء النفائس ، وامتلاك العقارات المختلفة في المدن والقرى في دمشق وحمص وبيروت والبقاع وفلسطين ومصر . وقد قدرت مخلفاته فبلغت أثمانها الملايين ، ممّا أوغر عليه قلوب الحسّاد ، فأوقعوا بينه وبين الملك الناصر ، فأمهل تنكز ثماني سنين قبل أن

يقتله سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠ م في مدينة الإسكندرية التي حمل إليها مقيّداً . وقد نقلت بعدئذ جثته إلى دمشق ودفن في تربته لصيق الجامع الذي أنشأه .

المراجع :

ـ المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، القاهرة ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ .
ـ ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، القاهرة ١٩٥١ .
ـ مجير الدين الحنبلي : الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، النجف ١٩٦٨ م .
ـ ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
ـ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٣٤٨-١٣٧٥ هـ .
ـ محمد بن طولون الصالحي : إعلام الورى بمن ولّي نائبا من الأتراك بدمشق الكبرى ، دمشق ١٩٦٤ .
ـ محمد أحمد دهمان : ولاة دمشق في عهد المماليك ، دمشق ١٩٦٤ .

تنـــوخ (قبيلة) :

حي من اليمن اختلف النسابون والأخباريون فيه ؛ فمن قائل إن التنوخيين من بني أسد ، ومن قائل إنهم من قضاعة * ، ومن قائل إنهم قبائل تحالفت «فتنّخت » في مواضعها، أي أقامت. ولم يعرف الزمن الذي كان فيه التنوخيون ، ويقال إنهم كانوا في أواخر القرن الثالث الميلادي ، ويقال أيضا إنهم نزلوا الشام قبل الإسلام بقرون . وهم أول من ملك مشارف الشام من قضاعة حتى إن ابن خلدون يشير إلى عدد من ملوكهم ، ومنهم النعمان بن عمرو بن مالك وابنه عمرو .

لا تذكر المصادر التاريخية معلومات مهمة عن تنوخ سوى تنصيبهم من قبل الروم ، ثم اضمحلالهم وتنصرهم ، إذ غلبت عليهم سليح من بطون قضاعة ، ثم الضجاعم منهم (رَ : الضجاعمة) .

وفي رواية أن التنوخيين قاتلوا الفرس فأعجب بهم ملك الروم وأقطعهم سورية وما جاورها من الجزيرة ، ولا سيما نواحي حلب .

ومن أخبار تنوخ في أوائل الإسلام * حربهم خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ في واقعة دومة الجندل .

ويبدو أن تنوخ توغّلت كذلك في شمالي بلاد الشام ، فحين صالح المسلمون القبائل العربية في حاضرة حلب وأطرافها كان منها تنوخ . ويذكر ابن العبري أن خمسة آلاف من هؤلاء التنوخيين قد استجابوا لدعوة الخليفة العباسي المهدي فاعتنقوا الإسلام .

وتجدر الإشارة إلى أن نسب الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري يرجع إلى قبيلة تنوخ اليمنية .

المراجع :

ـ هشام بن الكلبي : الجمهرة في الأنساب (مخطوطة) .
ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ .
ـ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمد أحمد باشميل : العرب في الشام قبل الإسلام ، دمشق ١٩٧٣ .
ـ فيليب حتي : تاريخ العرب (مطوّل) ، بيروت ١٩٤٩ .

التنـــوير والاندمـــاج اليهودي (حركة ـ) :

تسمى هذه الحركة بالعبرية « هسكلاه » ، أي التنوير أو الاستنارة . وهي حركة ظهرت بين يهود أوربا في منتصف القرن الثامن عشر واستمرت حتى عام ١٨٨٠ .

دعت الحركة إلى اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها في سبيل الحصول على حقوقهم المدنية الكاملة ، وطالبت بأن يكون ولاء اليهود الأول والأخير للبلاد والمجتمعات التي يعيشون فيها ، وليس لما يسمى « قوميتهم اليهودية » التي ليس لها أساس عقلي أو موضوعي . وكان السبيل إلى تحقيق ذلك ، حسب رأي دعاة الحركة ، هو اكتساب مقومات الحضارة الغربية العلمانية ، وفصل الدين اليهودي عمّا يسمى « القومية اليهودية » .

كانت بداية حركة التنوير اليهودي في ألمانيا أثناء حكم فريدريك الثاني (١٧٤٠ ـ ١٧٧٦ م) عندما نشأت طبقة رأسمالية تجارية بين اليهود ، ومنها انتشرت إلى غاليشيا (منطقة في وسط أوربا كانت تتبع بولندا ثم ضمت إلى النمسا) وإلى النمسا وروسيا وبولندا . وعلى الرغم من هذا الانتشار بقيت حركة التنوير حركة ثقافية ألمانية . ويعود سبب انتشار الحركة إلى تأثير الثقافات الغربية الألمانية والفرنسية والإنكليزية ، وما حملته من إيمان بالحرية والتقدم .

يعتبر موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٦ م) الممثل الرئيس لحركة التنوير اليهودي ، على الرغم من أن نشأة الحركة في الأصل كانت مستقلة عن اتجاهات مندلسون . وقد درس قادة ودعاة الحركة أعمال ومؤلفات المفكرين الأوربيين أمثال جان جاك روسو ولوك وشلنغ .

تركّز اهتمام الحركة على تعليم اليهود تعليما علمانيا . وكانت هذه القضية أساسية بالنسبة إلى دعاة الحركة ، بسبب الطبيعة الرجعية والمتخلفة للجماعات اليهودية . وطالبت الحركة اليهود بأن

يرسلوا أبناءهم إلى مدارس « الأغيار » حتى يتقنوا جميع الفنون العلمانية كالهندسة والزراعة . ودافعت الحركة عن تعليم المرأة وشجّعت ممارسة الأعمال اليدوية . وكان من نتائج ذلك ظهور المدارس اليهودية العلمانية للمرة الأولى في تاريخ الأقليات اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر كالمدرسة الحرة في برلين التي تأسست عام ١٧٧٨ م ، والمدرسة الخيرية في فرانكفورت التي تأسّست عام ١٨٠٤ م ، وافتتحت أول مدرسة يهودية لتعليم المرأة في روسيا عام ١٨٣٦ م ، وتأسّس أول معابد الإصلاح في هامبورغ عام ١٨١٨ م .

نادى دعاة الحركة بالاندماج اللغوي والقضاء على اللغة اليديشية ، ودعوا إلى تعلم اللغة الوطنية ، سواء كانت الروسية أو الألمانية أو الفرنسية . أما إحياء اللغة العبرية فيتمّ باعتبارها لغة التراث اليهودي الأصلي .

كان دعاة الحركة يؤمنون بالعقل وتقبّل الواقع التاريخي . ومن هذا المنطلق هاجموا التراث الديني اليهودي المغرق في الغيبية والتخلف واللاتاريخية كفكرة الماشيح (الملك من نسل داود الذي سيأتي لجمع شتات المنفيين ، ويعود بهم إلى صهيون ، ويحطم أعداء إسرائيل) ، وأسطورة العودة . كذلك حوّلوا فكرة جبل صهيون إلى مفهوم روحي على غرار « المدينة الفاضلة» التي لا وجود لها .

وهاجمت حركة التنوير الكتب والحركات الصوفية التي أنتجها التراث اليهودي كالحسيدية ، وأحيت كتب المفكر اليهودي موسى ابن ميمون الذي طالب منذ العصور الوسطى بإدخال التعليم العلماني في الدراسات الدينية اليهودية .

وقام مندلسون بتأسيس مجلة بالعبرية هي « هاميا سيف » (١٧٧٤ - ١٨١١ م) دعت للإخاء البشري ومحاربة التعصب الديني . ولمّا تبين أن استخدام اللغة الألمانية يفتح آفاقاً أوسع بكثير من العبرية تحولت المجلة إلى الألمانية باسم « سلاميث » (١٨٠٦ - ١٨٤٨ م) ، وقد استبدّلت هذه المجلة بما يسمى « الأمة اليهودية » لفظة « الإسرائيليين » .

تعرّضت حركة التنوير إلى هجوم عنيف من قبل السلطة الدينية اليهودية والقوى المحافظة والرجعية المتخلفة التي كانت تتحكم في اليهود . وقد مثّل هذا التيار الرجعي سمولينسكين الذي رأى في حركة التنوير انحلالا لليهودية ، فكان ذلك ، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بتراث اليهود الفكري وبوضعهم الاجتماعي والتاريخي ، سببا في فشل حركة التنوير في النهاية .

المراجع :

- عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، القاهرة ١٩٧٥ .
- شؤون فلسطينية : العدد ٨٤ ، تشرين الثاني ١٩٧٨ ، بيروت .

تهجير : رَ : إخراج الفلسطينيين من ديارهم
رَ : عربة (إخراج سكان -)

تهجير عرب فلسطين (سياسة -) :

تم التخطيط لصهينة فلسطين وتهويد الأرض منذ المؤتمر الصهيوني* الأول الذي انعقد في بال عام ١٨٩٧ ، وجعل من الأهداف الصهيونية " العمل على استعمار فلسطين بواسطة العمال الزراعيين والصناعيين اليهود وفق أسس مناسبة " . وفي عام ١٩٠١ نشطت الحركة الصهيونية في مجال شراء الأراضي في فلسطين ، وتهجير اليهود إليها .

عكف القادة في الحركة الصهيونية على وضع الخطط والسياسات اللازمة للتخلص من السكان الشرعيين لفلسطين أيام الانتداب البريطاني ، فقد كتب يوسف فايتس - الذي عمل مدة طويلة مديراً للصندوق القومي اليهودي كما عمل مستشاراً لرئيس الحكومة الإسرائيلية للشؤون العربية - كتب في مذكراته الخاصة عام ١٩٤٠ : " بيننا وبين أنفسنا ، يجب أن يكون واضحاً أنه لا يوجد مكان في البلاد للشعبين معاً . . . فمع وجود العرب لن نتمكن من تحقيق هدفنا المتمثل بأن نكون شعباً مستقلاً في هذه البلاد . إن الحل الوحيد هو أن تصبح أرض إسرائيل ، وعلى الأقل أرض إسرائيل الغربية ، بدون عرب . . ولا توجد طريقة أخرى لتحقيق ذلك غير نقل العرب من هنا إلى الدول المجاورة ، نقلهم جميعاً بحيث لا تبقى هنا قرية واحدة . ويجب أن يتم النقل إلى العراق وسورية ، بل إلى شرقي الأردن . ولهذا الغرض سوف تتوفر الأموال ، الكثير من الأموال . ومع هذا النقل فقط يمكن للبلاد ان تستوعب الملايين من إخوتنا . لا يوجد هناك بديل لذلك . . . وعلينا أن نقوم منذ الآن بدراسة البلدان المجاورة لكي نحدد قدرتها على استيعاب عرب أرض إسرائيل " . وعلى الرغم من اعتراف فايتس فإن عملية نقل السكان (أي طردهم بقوة السلاح) كانت خطة معدة سلفاً . لم ينجح تطبيق هذه الخطة تماماً ، فقد بقي بعد حرب ١٩٤٨ * ١٥٦ ألف عربي لم تتمكن القوات الإسرائيلية من « نقلهم » ، وتمكنت هذه الأقلية العربية بفضل معدل تزايدها الطبيعي المرتفع من أن تصبح أكثر من ٥٤٠ ألف نسمة حالياً .

خططت الحركة الصهيونية ، تحت حماية حراب الاستعمار البريطاني ، لدعم وتنظيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين ،

ولتهجير شعب فلسطين العربي . فأقيمت الوكالة اليهودية * التي لعبت دور الحكومة ، وأنشىء الهستدروت * لينظم عمال المدن .

وأوجدت الكيبوتزات * لتعبىء العمال المزارعين ، وتسيّج كل ذلك الهاغاناه * .

كان هناك ٤٣,٠٠٠ من الييشوف * ، رجالاً ونساء ، يحملون السلاح كمتطوعين في جيوش الحلفاء عام ١٩٤٢ . وهذه القوة العسكرية التي استفادت من تأهيل عسكري جيد وأشرفت عليها الهاغاناه سياسياً ساهمت بتهجير العرب من فلسطين ، وحسمت المعركة معهم عام ١٩٤٨ .

ومن سياسات التهجير التي نفذتها الحركة الصهيونية منذ صدور وعد بلفور * عام ١٩١٧ سياسة تملك الأراضي بأية وسيلة ، وهي السياسة التي جرى تنفيذها بمؤازرة الحكومة البريطانية التي دخلت إلى فلسطين عام ١٩١٨ لتنفيذ المشروع الصهيوني ، وتحقيق شعار « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » .

لقد كان اليهود يملكون ٢,٥٪ من أراضي فلسطين عام ١٩١٨ ارتفعت إلى ٥,٦٪ في منتصف عام ١٩٤٨ . ولقد كانت الصهيونية * تريد الأرض الفلسطينية نفسها كمرحلة أساسية تتبعها مرحلة تهجير السكان العرب الأصليين . وقد كتب خبير الأراضي الصهيوني أغرنوفسكي : " إن مسألة الأراضي هي في الواقع مسألة حياة أو موت للصهيونية والوطن القومي ، فإذا بقيت الأراضي بعيدة المنال لا يمكن تحقيق هدف الصهيونية " . لقد حصلت الحركة الصهيونية منذ عام ١٨٧٥ على مساحات متفرقة من الأراضي هبة من الحكومة العثمانية بحجة إنشاء مدارس ومختبرات زراعية . واشترت من الملاك العرب مساحات أخرى بأثمان مغرية . كما حصلت بموجب صك الانتداب * على تسهيلات واسعة للاستيلاء على الأراضي ، فمنحتها حكومة الانتداب ٣٠٠ ألف دونم من أراضي الدولة ، كما أجّرتها ١٠٠ ألف دونم بإيجار رمزي . وكان اليهود يملكون عند بداية الانتداب البريطاني ٦٥٠ ألف دونم ارتفعت إلى ١,٧٤٨,٥٠٠ دونم في نهاية الانتداب .

ولقد اتجهت الأطماع الصهيونية إلى الريف الفلسطيني لامتلاك الأراضي الزراعية فيه بشكل مخطط وهادف ، وبذلك حرم الفلاحون والعمال الزراعيون من أخصب أراضيهم ، وأغلقت أمامهم مجالات العمل والاستخدام ، وهم الذين كانوا يشكلون ٧١٪ من مجموع السكان العرب في عام ١٩٢٩ . يقول سمبسون في تقريره الرسمي للحكومة البريطانية عن أسباب اضطرابات عام ١٩٢٩ إن " النتيجة التي أسفر عنها شراء الصندوق القومي اليهودي للأراضي في فلسطين هي إخراج تلك الأراضي عن إقليم البلاد ، . . . والعربي لا يستطيع أن يجني منها أية منفعة حالياً أو في المستقبل ، وهو محروم إلى الأبد ، بموجب أحكام إيجار الصندوق القومي الصارمة ، من الاستخدام في تلك الأرض" (رَ : سمبسون ، تقرير) .

اعتمدت المؤسسات الصهيونية سياسة تهجير اقتصادية واجتماعية تتماشى مع واقع الاقتصاد الفلسطيني (الزراعي) ومجتمعه الريفي من خلال مجموعة قوانين عنصرية حوّلت الفلاحين وصغار المستأجرين إلى طبقة مسحوقة ، وحرمتهم من أراضيهم ، ومن حق العمل فيها ، ودفعت بهم إلى الهجرة إلى المدن سعياً وراء العمل في أسوأ الشروط . لقد قدر عدد سكان الأحياء الفقيرة ومدن الصفيح من مهاجري الريف العرب في يافا والقدس وحيفا بـ ١٢١ ألف نسمة .

ومن بين سياسات التهجير التي جرى تطبيقها أيضاً سياسة العمل العبري (أي عدم استخدام الأيدي العاملة غير اليهودية) وغزو العمل ، وسياسة الضرائب ، وسياسة تأجيل الديون

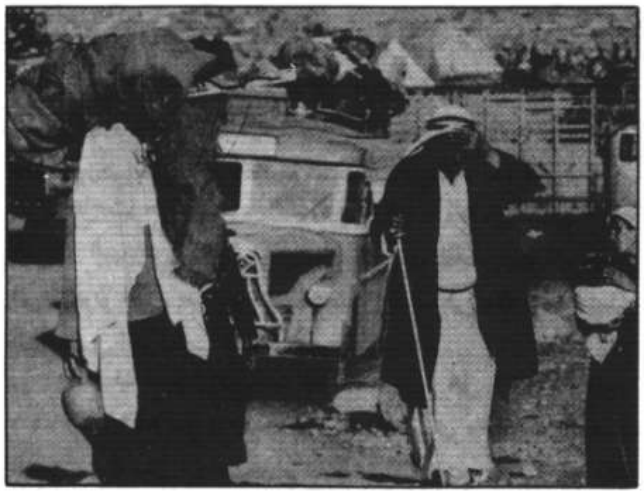

وتراكمها ، وسياسة الأجور المتناقصة . لقد هدفت الحركة الصهيونية إلى إضعاف الشعب العربي الفلسطيني لصالح الأقلية اليهودية في فلسطين . فقد بعث أرلوزوروف مدير الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية بتاريخ ١٩٣٢/٦/٣٠ رسالة سرية إلى وايزمن أجمل فيها آراءه بالنسبة إلى الإستراتيجية الصهيونية ، فأشار إلى أن السياسة الصهيونية يجب ان يحكم عليها فقط من خلال " علاقة القوى للشعبين المتنافسين في البلاد " والسير في مراحل متتابعة " يكون العرب فيها غير قادرين على تشكيل عامل إزعاج لعملية نمو السكان اليهود . . . وتحقيق فترة انتقالية تمارس الأقلية اليهودية من خلالها حكماً ثورياً منظماً ، ويتم وضع الجهاز الحكومي ـ الإدارة ـ والمؤسسة العسكرية في أيدي الأقلية " .

ومهما يكن من أمر القوة الصهيونية فإنها ينبغي أن تقاس بالمقارنة بينها وبين القوة العربية المحلية . فقد خطط الصهيونيون

لإقامة معامل أسلحة ولإعداد منظمات إرهابية مقاتلة متكاملة ، وإنشاء قوات بشرية كقوات كتائب شباب الجدناع وقوات شرطة المستعمرات ، ووضعوا تحت تصرف هذه المنظمات والقوات أسلحة متنوعة . أما قوة العرب فكانت تكمن في حقيقة إقامتهم في أراضيهم والعيش عليها في ثبات واستقرار دائمين ، وأما هزيمتهم فتكمن في إخراجهم من مواقعهم وطردهم من أراضيهم . وقد استطاع الصهيونيون تحقيق ذلك عندما قاموا باحتلال المناطق التي انسحبت منها القوات البريطانية بصورة متلاحقة قبل حلول موعد انتهاء الانتداب في ١٩٤٨/٥/١٥ . وتمكنوا من طرد الشعب الفلسطيني وإقامة حالة واقعية في فلسطين باستخدام العنف والإرهاب وتنفيذ المخططات اللاإنسانية للوصول إلى الأهداف الصهيونية .

والإرهاب الصهيوني * ليس وليد اليوم أو الأمس ، فهو يضرب بجذوره في أعماق الفكر والممارسة الصهيونيين . يقول جابوتنسكي : " إن التوراة والسيف أنزلا علينا من السماء " . ويقول مناحيم بيغن : " كن أخي وإلا قتلتك" . وقد أقيمت في الولايات المتحدة الأمريكية رابطة عنصرية إرهابية بزعامة حاخام صهيوني متعصب يدعى « كهانا » تقوم بأعمال العنف والإرهاب ضد أي إنسان ، أو جماعة ، أو حتى أية دولة تقف في وجه الصهيونية . وقد أطلق عليها اسم « عصبة الدفاع اليهودي * » . وشكّل كهانا فرعاً لرابطته في (إسرائيل) جمع فيه العناصر المتطرفة ضد العرب . كما أن عصابتي شتيرن (رَ: ليحي، منظمة) وإرغون تسفاي لئومي * هما العصابتان الإرهابيتان اللتان عاثتا في أرض فلسطين دماراً وبطشاً قبل قيام (دولة إسرائيل) وبعدها . ويروي غلوب (باشا) رئيس أركان الجيش الأردني سابقاً أن أحد الضباط البريطانيين سأل موظفاً يهودياً في حكومة فلسطين عن كيفية مواجهة (الدولة اليهودية) المرتقبة للصعوبات المحلية التي ستنشأ عن تمثيل العرب لنصف سكانها فأجابه : " إن ذلك سيجري تدبيره . بضعة مجازر مدبرة سوف تكفي للخلاص منهم تقريباً " . وقد أعلنت منظمة الإرغون رفضها لتوصيات الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وعزمها على القتال لتحقيق « الحقوق الصهيونية » كاملة . كما وضعت الهاغاناه خطة غزو المناطق غير المخصصة لليهود في مشروع التقسيم . وقد كانت العمليات الإرهابية تتم بتنسيق تام بين المنظمات الإرهابية العسكرية وبين القادة السياسيين . ومن أهم الأعمال الإرهابية الصهيونية التي تمت في ظل الانتداب البريطاني مذبحة دير ياسين * التي كانت ذات هدف واضح محدد هو إقناع السكان العرب بمغادرة البلاد . ولم يكن واقع المدن العربية الفلسطينية الأخرى التي هوجمت من قبل القوات الصهيونية أرحم حالاً من واقع دير ياسين ، فقد كانت أعمال العنف والإرهاب خلال شهري نيسان وأيار من عام ١٩٤٨ أحد الأسباب الرئيسة لهجرة عرب فلسطين ، غير الإخلاء بالقوة وسياسة الحرب النفسية التي نفذها الصهيونيون باتقان حين أعلنوا عن " مسالك محددة يمكن للسكان ان يسلكوها للهروب من المجازر " . كما أعطت الأساليب التي كان الصهيونيون يتصرفون وفقها بعد احتلالهم للقرى والمدن العربية نتائج مماثلة إلى حد كبير بسبب انتشار الرهبة والفزع من مصير مماثل (رَ : الإرهاب الصهيوني) .

تقول لجنة خدمات الأصدقاء الأمريكيين " إن معظم هؤلاء الذين هربوا فعلوا ذلك بدافع من النزعة الإنسانية الى الذعر حين نشوب الحرب والهرب من مناطق القتال " . وتضيف اللجنة قائلة " كما يمكن أن تعطي الطريقة التي هربت فيها المجموعات بل أعضاء العائلة الواحدة أفراداً في اتجاهات مختلفة فكرة عن درجة الذعر والرعب اللذين انتشرا بينهم " . ولقد قامت المنظمات العسكرية الصهيونية بتنفيذ عملياتها الإرهابية ومجازها ضمن خطط عسكرية ، فوضعت الخطة « س ـ ٢ » للمرحلة الأولى التي حددت أهدافها الرئيسة بممارسة الضغط المستمر في كل مكان ضد الفلسطينيين ، وشن الغارات عليهم وتفجير الألغام . وقد أبدى العرب مقاومة غير عادية وتمكنوا من الاحتفاظ بمواقعهم . أما المرحلة الثانية فقد وضعت لها الخطة « دال * » . وتهدف هذه الخطة بصورة رئيسة " إلى السيطرة على المنطقة التي منحتها الأمم المتحدة لليهود بالإضافة إلى المناطق التي احتلتها القوات الصهيونية والتي تقع خارج منطقتهم ، ثم تشكيل قوة تجابه احتمال قيام الجيوش العربية النظامية بعملية غزو بعد الخامس عشر من أيار " . وقد أطلق القادة الصهيونيون اسم خطة « دال » على الخطة العامة للعمليات العسكرية التي ستنفذ خلال شهر نيسان وأوائل شهر أيار ١٩٤٨ في مختلف أنحاء فلسطين بهدف انتزاع فلسطين ، وبعثرة الفلسطينيين وتدمير تمسكهم بأرضهم ، ووضع فلسطين تحت الاحتلال العسكري الصهيوني . والعمليات العسكرية التي نفذت هي : عملية ناخشون ، وهارئيل ، ومسباراييم ، وشاميتز ، وجوفوسي ، ويفتاح ، وماتاتيه ، ومكابي ، وجدعون ، وباراك ، وبن عامي ، والشوكة ، وشيفيفون .

وقد وصف ييغال آلون القائد العسكري لمنظمة البالماخ * الوسائل التي تبناها الصهيونيون لتحقيق أهدافهم من خلال هذه العمليات بقوله : " لم يبق أمامنا سوى خمسة أيام فقط قبل ذلك اليوم الذي ينذر بالتهديد ، وهو يوم الخامس عشر من أيار . لقد رأينا أن هناك حاجة لتطهير الجليل الداخلي من السكان العرب لنقيم منطقة إقليمية يهودية في كل أنحاء الجليل الأعلى . لقد أضعفت المعارك الطويلة قواتنا ، وأمامنا تكمن واجبات كبيرة هي

قفل الطريق أمام الغزو العربي ، لهذا فقد بحثنا عن وسائل نتمكن بواسطتها من عدم استخدام قواتنا في المؤخرة ، وبالتالي إجبار عشرات الآلاف من العرب العنيدين الذين بقوا في الجليل على الهرب ، لأن هؤلاء السكان العرب سيضربون مؤخرة جيشنا في حال وقوع غزو عربي. لقد حاولنا استخدام تكتيك اعتمد على الأثر الذي خلفه سقوط صفد وهزيمة العرب في المنطقة التي تم تطهيرها بواسطة العملية (ماتاتيه) . وقد أدى هذا التكتيك عمله بشكل معجز . لقد قمت بجمع المخاتير اليهود الذين لهم اتصالات مع العرب وطلبت منهم أن يهمسوا في آذان بعض العرب بأن تعزيزات يهودية ضخمة قد وصلت إلى الجليل ، وأن اليهود سيقومون بإضرام النار في جميع قرى الحولة ، ويجب أن يقترح هؤلاء على العرب بصفتهم أصدقاء لهم ، أن يهربوا قبل أن يفوت الوقت . لقد انتشرت الإشاعة في جميع مناطق الحولة . . . وحققت هذه الخطة هدفها بالكامل ، فلقد سقطت بناية مركز الشرطة في الخالصة دون إطلاق رصاصة واحدة من جانبنا ، وجرى تطهير مناطق واسعة ، وزال الخطر عن طرق النقل والمواصلات ، وأصبح بإمكاننا أن ننظم أنفسنا ضد الغزاة على طول الحدود دون أن نخشى شيئاً بالنسبة لمؤخرتنا " .

اعتمدت الدعاية الصهيونية على الأكذوبة المتمثلة في اتهام العرب الفلسطينيين بأنهم غادروا أراضيهم عام ١٩٤٨ نزولاً عند أوامر زعمائهم . إن هذه التهمة تعد جزءاً من حملة عامة تهدف أول ما تهدف إلى تقويض التعاطف العالمي مع الشعب العربي الفلسطيني المهجّر . إن مقولة هرب العرب من فلسطين تدحضها الخطط العسكرية الصهيونية ، وسياسات الإرهاب والعنف ، وسياسات تملّك الأراضي وتنظيم البيشوف وتهجير سكان البلاد الشرعيين عبر خطط صهينة فلسطين وتهويد الأرض . يقول الكاتب تسفي شيلوح :

" إن كل ولد يعرف اليوم أنه لولا هرب العرب الجماعي سنة ١٩٤٨ لما كان لدولة إسرائيل ، ولو حتى داخل حدود التقسيم التي حددتها الأمم المتحدة في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، أن تقوم ، فكيف إذن داخل حدود الهدنة الموسعة التي تحددت في نهاية حرب التحرير ! " .

بعد نكبة عام ١٩٤٨ والإعلان عن قيام (إسرائيل) تمكنت القوات الصهيونية من الاستيلاء على ٧٧,٤٪ من فلسطين بعد أن طردت وأجلت عنها سكانها العرب إلى ما وراء خطوط الهدنة ، ما عدا أقلية لم تتجاوز آنئذٍ ١٥٦ ألف نسمة . وظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين على الساحة الدولية ، وذكر تقرير لبعثة المسح الاقتصادي التابعة للأمم المتحدة في شهر كانون الأول ١٩٤٩ أن نحو « ٧٢٦,٠٠٠ فلسطيني ، وهم الذين طردوا عنوة من ديارهم في أثناء حرب ١٩٤٨ ، قد أصبحوا لاجئين لأن إسرائيل سدت عليهم سبل العودة إلى ديارهم » . ورغم أن قرارات الأمم المتحدة تؤكد سنة بعد أخرى ضرورة إعادة اللاجئين إلى ديارهم أو التعويض عليهم ، إلا أن أيّا من الأمرين لم يتم حتى الآن بسبب رفض (اسرائيل) هذه القرارات . لقد كان مجموع عدد اللاجئين في تقرير وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين * (الأونروا) في أيلول عام ١٩٧٠ نحو ١,٤٣٦,٨٤٠ لاجئاً . وهذا العدد هو أقل بكثير من العدد الحقيقي للاجئين لأن تعريف الأونروا للاجئين كان منذ البدء تعريفاً ضيقاً استثنى المقيمين في قطاع غزة وقرى الحدود على الأردن وبعض القبائل الرحل ، وبذلك يشكل اللاجئون أكثر من نصف الشعب الفلسطيني ، وهم محرومون من الدخول في علاقات إنتاجية زراعية على أرض الوطن ، لا سيما أن ٧٠٪ من اللاجئين كانوا من سكان الريف . وهذا ما يوضح الأسباب البعيدة وراء قيام (إسرائيل) بإغلاق حدودها في وجه اللاجئين ومنع عودتهم إلى بلادهم . يقول بن غوريون : " علينا أن نفعل كل شيء لمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة " . كما أن قيام القوات الصهيونية بتدمير القرى العربية كان أحد العوامل الرئيسة لنشوء مشكلة اللاجئين ، فقد عمدت (إسرائيل) إلى اتباع سياسة تدمير القرى العربية لتؤكد للفلسطينيين أن علاقاتهم بأوطانهم قد انتهت ، وأن فلسطين لم تعد وطناً لهم ، ولتكوين حقيقة ثابتة لدى الصهيونيين المقيمين في فلسطين بأن الفلسطينيين لن يعودوا إلى قراهم أبداً .

لقد تحرّى وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت حال قريتين معينتين ، وكتب في تقريره أنهما تعرضتا لهجوم الصهيونيين بدون أي تبرير ، واضطر السكان لإخلائهما ، ثم جرى تدميرهما . ويذكر الدكتور يسرائيل شاحاك في مقدمة تقرير أعده : " إن الحقيقة حول القرى العربية التي كانت موجودة قبل عام ١٩٤٨ ، ضمن نطاق الأراضي المقامة عليها دولة إسرائيل تعدّ من أشد الأسرار صوناً في الحياة الإسرائيلية ، فلا توجد نشرة أو كتاب أو كرّاس يتحدث عن عددها أو عن مواقعها . وهذا أمر مقصود ، وذلك من أجل أن تكون الأسطورة الرسمية المقبولة المتحدثة عن بلاد فارغة قابلة للتعليم في المدارس الإسرائيلية ، ولرواياتها للزوار والسيّاح " . ويعرض الدكتور شاحاك في تقريره قائمة بأسماء ٣٨٥ قرية عربية قامت السلطات الإسرائيلية بهدمها وإزالة جميع معالمها من أصل ٤٧٥ قرية كانت موجودة قبل عام ١٩٤٨ .

وقد تعرضت الأقلية العربية المحاصرة في (إسرائيل) إلى الاضطهاد القومي والتمييز العنصري ، فمنذ إعلان قيام الدولة

الصهيونية فرض على العرب الحكم العسكري الذي تنص قوانينه على حرمان الخاضعين له من كل حقوق المواطنة الأساسية . يقول البروفسور فوتيه : " إن إسرائيل ليست عنصرية فقط بل هي العنصرية ذاتها . ولما طلبت من يسرائيل شاحاك (الذي يعمل في الجامعة العبرية) تعريف إسرائيل بكلمات ثلاث فقط ، قال عنها هي « عنصرية ، إرهاب ، نازية » ، وقال أخيراً " إنني انحزت إلى جانب معسكر الفقراء . . المعسكر الأكثر فقراً . . المحرومين من كل شيء . . معسكر الفلسطينيين " ،و"إن معسكر الفقراء لا يقاوم ولا يهزم " .

كما لجأت (إسرائيل) إلى اتخاذ شتى الإجراءات الممكنة الرامية إلى مصادرة الأراضي التي يمتلكها العرب ، سواء المقيم منهم أو الموجود خارج (إسرائيل) . وكان هدفها الرئيسي من وراء قيامها بمصادرة الأراضي والأملاك هو إنهاء الروابط التي تربط الفلسطينيين بوطنهم الأم فلسطين ، وحرمانهم من أهم مصادر عيشهم سعياً إلى تهجيرهم من أراضيهم تحت وطأة الحاجة والفقر ، وتحويلهم من مزارعين متمسكين بالأرض العربية إلى عمال مأجورين بعيدين عن أراضيهم وذويهم يتعرضون للبطش والإرهاب المستمرين وللقوانين القمعية . لقد قامت القوات الأمنية ، والقوات العسكرية الإسرائيلية ، والوحدة التي عرفت باسم الوحدة رقم ١٠١ بغارات وحشية انتقامية ضد القرى العربية أثارت استنكار الرأي العام العالمي ضد (إسرائيل) كالغارة التي تعرضت لها قرية قبية في شهر تشرين الأول ١٩٥٣ وقرية كفر قاسم عام ١٩٥٦ (رَ : قبية ، مذبحة) و (رَ : كفر قاسم ، مذبحة) .

لقد كانت (إسرائيل) تفضل أن ترى فلسطين « نظيفة » كلياً من العرب ، كما قال بن غوريون مرة ، ولكن بقاء عدد قليل منهم جعل (إسرائيل) تخطط لتحويل العرب إلى مجموعة بشرية مبعثرة وضائعة في أسفل المجتمع الصهيوني من جهة وذائبة ومستوعبة في الاقتصاد الصهيوني من جهة أخرى . إنها تريد أن يختفي العرب من أراضيها ، ولكن ليس عن طريق طردهم إلى خارج (الدولة) هذه المرة ، بل طردهم إلى داخلها ، أي تحويل الفلسطينيين إلى جيش الفقر في المدن الإسرائيلية وتسخيرهم لخدمة الاقتصاد الإسرائيلي ودفعهم « للتخصص » في الأعمال الشاقة وأعمال الخدمات . لقد قامت (إسرائيل) بعملية اقتلاع اجتماعي ، ونفي من الجذور ، وسحق شعب بأسره ، لصالح غزاة أجانب .

لقد مضى نيف وثلاثون عاماً على قيام (دولة إسرائيل) وما زال قادة هذه الدولة يفكرون بالتخلص من الأقلية العربية فيها ، وفي ذلك يورد تسفي شيلوح ما قاله رئيس الوزراء السابق إسحق رابين " إن المشكلة الفلسطينية هي بالفعل إحدى المشاكل المعقدة في النزاع العربي ـ الإسرائيلي ، غير أن مشاكل مثلها قد حلت في العالم المتمدن . لنأخذ على سبيل المثال الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد أمكن آنذاك حل مثل هذه المشكلة عن طريق تبادل السكان . وبالطبع لا داعي لاستخدام القوة مثلما فعلت روسيا ذلك في الماضي ، إنني أعتقد أن بالإمكان نقل السكان بدون استخدام القوة " .

المراجع :

ـ يوسف فايتس : مقالة منشورة في صحيفة دافار الإسرائيلية بتاريخ ١٩٦٧/٩/٩ .

ـ محمد حافظ يعقوب : نظرة جديدة إلى تاريخ القضية الفلسطينية ١٩١٨ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ تسفي شيلوح : مقال « أقوال واضحة لعرب إسرائيل » ، صحيفة يديعوت أحرنوت بتاريخ ١٩٧٦/٣/٢١ .

ـ جون ديفز : كيف ولماذا هرب الفلسطينيون من فلسطين ؟، مجلة الشرق الأوسط العالمية ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، أيار ١٩٧١ .

ـ وليد خالدي : خطة دالت (دال D) ، مجلة الشرق الأوسط العالمية ، المجلد ٣٧ ، العدد ٩ ، تشرين الثاني ١٩٦١ .

ـ أسعد رزوق : الصهيونية وحقوق الإنسان العربي ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ حبيب قهوجي : عرب فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ ، إنتماء وصمود ، دمشق ١٩٧٦ .

تمهيد : رَ : الحرم القدسي الشريف
رَ : الخليل
رَ : القدس

تمهيد الجليل (مشروع ـ) :

رَ : الجليل (انتفاضة ـ)

توازن القوى بين الدول العربية وإسرائيل :

حينما أقامت الصهيونية والإمبريالية العالمية (إسرائيل) في قلب الوطن العربي عام ١٩٤٨ دعمتاها بجميع أنواع المساعدة والتأييد ، ولا سيما السلاح ، لتثبّتا كيانها الإستعماري بالقوة حتى تصبح قوة موازنة للقوى العربية . وهكذا نشأ منذئذ مفهوم « توازن القوى بين الدول العربية وإسرائيل » . وكان هذا المفهوم ، وما يزال ، الحجة التي تتذرّع بها الدول المناصرة (لإسرائيل) لتزويدها بالسلاح وتأمين تفوقها العسكري على الدول العربية .

يتضمن مفهوم توازن القوى مقومات وعناصر عدة . وتختلف هذه المضامين بين الطرفين أو الأطراف التي يجري تقويم ودراسة التوازن بينها . ففي حين ترجح كفة بعضها في طرف ترجح كفة بعضها الآخر في الطرف الثاني . وإذا كان توازن القوى يشكّل موضوعا لدراسة قوى الأطراف المتقابلة ومقارنتها بعضها ببعض بغية التوصل إلى استنتاجات وتوقعات فإنه يشكّل ، في الوقت ذاته ، عاملا من العوامل الرئيسة المؤثرة في سياسة الأطراف المعنية والحلفاء المؤيدين لهذه الأطراف وإستراتيجيتهم .

وإذا ما نظر إلى مفهوم توازن القوى ضمن إطار الصراع العربي ـ الإسرائيلي فلا بد من أخذ الحقائق التالية بعين الاعتبار :

١) ليس صحيحا تفسير القوى المتقابلة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي على أنها في الطرف الإسرائيلي تمثل الكيان الصهيوني وحده بطاقات مجموعة بشرية صغيرة احتلت بقعة جغرافية محدودة في فلسطين ، وعلى أنها في الطرف العربي المقابل تمثل مجموعات طاقات الدول العربية على امتداد الوطن العربي ، وهي طاقات بشرية واقتصادية وسياسية وعسكرية كبيرة .

إن وقائع تاريخ الصراع العربي ـ الإسرائيلي تثبت أن هذا التفسير ليس صحيحا بل هو تفسير منبعث من نية عدوانية من جانب الكيان الصهيوني وحلفائه .

٢) لجأ الكيان الصهيوني دائما تدعمه في ذلك أجهزة إعلام الصهيونية والإمبريالية والاستعمار إلى تصوير القوى العربية المناهضة له على أنها قوة موحّدة تشمل طاقات أمة واحدة ممتدة على رقعة كبيرة من الأرض غنية بمواردها الاقتصادية وقدراتها البشرية ، وثرواتها ، مصممة على القضاء على هذا الكيان . إن جميع هذه القوى ـ حسب الصورة التي يرسمها الكيان الصهيوني وأنصاره ـ تتجمع في كفة من الميزان ، ويقابلها في الكفة الأخرى الكيان الصهيوني بحجمه الجغرافي وطاقاته المحدودة وسعيه إلى السلام . وقد عاشت هذه الصورة الزائفة زمنا ، ولا سيما في أمريكا وأوربا الغربية ، وكانت فخّا تستخدمه الصهيونية من أجل الحصول على الدعم المادي والسلاحي والمعنوي للكيان الصهيوني ، ومن أجل مناهضة العرب .

٣) جعلت الصهيونية والإمبريالية والاستعمار الكيان الصهيوني قلعة مسلّحة ، إذ ليس في العالم كله دولة في حجمه الجغرافي والبشري والاقتصادي تملك قوة عسكرية مسلّحة مماثلة لما يملكه .

٤) قد يكون تقدير قوة الكيان الصهيوني العسكرية في وقت من الأوقات أمرا ممكنا ، غير أن حجم هذه القوة يتغير نوعا وكماً بشكل فجائي وسريع ، ويصعد خطه البياني صعودا حادا ، كما حدث في حرب ١٩٧٣ * حين أسرعت الولايات المتحدة إلى إعادة التوازن إلى ميزان القوى وترجيح كفة (إسرائيل) بالأسلحة الحديثة الغزيرة المتنوعة بعد هزيمة قواتها في الأيام الأولى من الحرب .

٥) يتكون ميزان القوى من مقومات وعناصر عدة ، وليست القوة العسكرية سوى أحد هذه المقومات والعناصر . وأهم هذه العناصر هي المستوى الحضاري والقيم والمثل الروحية والمادية والأخلاقية ، والكتلة البشرية وحالتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، والنظام السياسي والاجتماعي ، والوعي الوطني ، والموقع الجغرافي والإستراتيجي ، والوضع الاقتصادي ، والمستوى العلمي والتقني ، والإعلام ، والجهاز الدبلوماسي والعلاقات الخارجية ، والتخطيط السياسي والإستراتيجي ، والقوة العسكرية .

وإذا ما أُخذت هذه النقاط والحقائق بعين الاعتبار في دراسة توازن القوى بين الدول العربية و(إسرائيل) يمكن بسهولة تفسير وقائع وأحداث توازن القوى هذا .

ومنذ قيام الكيان الصهيوني كانت الدول الرأسمالية ، وبخاصة الولايات المتحدة وفرنسا وإنكلترا ، هي المصدر الرئيس لتسليحه . وكان دور كل من هذه الدول الثلاث يختلف اندفاعا أو تقلّصا ما بين فترة وأخرى حسب الظروف السياسية والدولية الخاصة بكل فترة زمنية . ففي حين كان دور فرنسا وإنكلترا في الخمسينات والستينات أكثر بروزاً من الدور الأمريكي انعكست هذه الصورة بعدئذ فبرز الدور الأمريكي متزايدا وواضحا إلى حد أنه أصبح عاملا حاسما في حرب ١٩٧٣ وفي غزو (إسرائيل) لبنان في حزيران ١٩٨٢ .

كان مفهوم الدول الغربية ، وبخاصة الولايات المتحدة ، حول توازن القوى بين الدول العربية والكيان الصهيوني يقوم على أساس معادلة غير متوازنة توفّر لهذا الكيان الأداة اللازمة لكي يتمكن من تحقيق أغراض الإمبريالية والصهيونية في الوطن العربي . فكانت الدول الغربية ـ وما تزال الولايات المتحدة تفعل ذلك ـ تضع القوات الإسرائيلية في كفة وقوات الدول العربية كلها في كفة أخرى . وحينذاك يبدو ضروريا تحويل الكيان الصهيوني كله إلى ثكنة عسكرية كبيرة زاخرة بالمقاتلين والأسلحة الحديثة من مختلف الأنواع ، وبكميات كبيرة .

وإذا ما حدث اختلال في ميزان القوى ، ومالت كفته إلى صالح العرب ، فإن الولايات المتحدة تهرع إلى اتخاذ مجموعة من التدابير السياسية والدبلوماسية والعسكرية والاقتصادية السريعة لإنقاذ الكيان الصهيوني من نتائج ذلك الاختلال ، ولإعادة وضع الميزان إلى ما كان عليه بحيث ينقلب ثانية لصالحه . من ذلك ما جرى في حرب ١٩٧٣ ، وما اتخذته الولايات المتحدة من تدابير ومواقف ومبادرات ، سواء في منظمة الأمم المتحدة ، أو في إطار العلاقات

الثنائية مع الدول الأخرى ، وبخاصة مع الاتحاد السوفييتي، أو على صعيد حمايتها المباشرة للكيان الصهيوني حين نصبت جسرا جويا وآخر بحريا نقلت بهما كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات الحديثة والذخائر إلى هذا الكيان فاستعملتها قواته في ميدان المعركة بشكل فوري ، مما أدّى إلى تطوّر القتال واتخاذه منحى جديدا ، وحين دفعت أسطولها السادس مستنفرا إلى شرقي البحر المتوسط ، وعبّأت قواتها المتمركزة في أوربا ، وبخاصة النووية ، فدفعت العالم كله إلى حافة حرب نووية مدمّرة .

وإذا كانت المعادلة الخاصة بتوازن القوى بين الكيان الصهيوني والدول العربية قد فرضتها الإمبريالية والصهيونية لفترة من الزمن فإن الأساس الذي بنيت عليه تلك المعادلة قد اهتز اهتزازا عنيفا في حرب ١٩٧٣ لأن حساب ميزان القوى بين (إسرائيل) والدول العربية أعقد بكثير من هذه العملية الحسابية المبسّطة المضلّلة ، فهو يتضمّن مجموعة من العناصر والعوامل ليس السلاح سوى أحدها ، وإن كان من أهمها ومن أكثرها تأثيرا وحسما .

ومن أجل التعرف على تطور التسلح في الدول العربية و(إسرائيل) يمكن العودة إلى الكتب والمنشورات الدورية التي تصدرها بعض مؤسسات الدراسات والبحوث مثل المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن *The International Institute for Strategic Studies* ومعهد ستوكهولم لبحث السلم الدولي *Stockholm International Peace Research Institute* ، وغيرهما .

المراجع :

ـ حسين عويضة : ميزان القوى العربي ـ الإسرائيلي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ الهيثم الأيوبي وهشام عبد الله : ميزان القوى العربي ـ الإسرائيلي ١٩٧٤ ، بيروت .

التوراة :

التوراة *Torah* كلمة عبرانية قديمة تعني الهداية أو الإرشاد . والتوراة كتاب اليهود المقدس الذي يتضمن تاريخهم وشرائعهم وعقائدهم . وقد آمن المسيحيون بما جاء في التوراة فأضافوها إلى أسفار العهد الجديد (الأناجيل الأربعة ، والرسائل ، وأعمال الرسل) . ولكن لم يعترف بعضهم بكامل التوراة ، وخالفوا اليهود في ثلاثة أمور أولها : في اعترافهم بأسفارها ، وبخاصة البروتستانت الذين لم يعترفوا عند نسخهم العهد الجديد بسبعة أسفار كان يهود

الإسكندرية في الفترة الرومانية وما بعدها قد اعتمدوها ، وهي : طوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ ونبوءة باروك والمكابيين الأول والمكابيين الثاني . وهي الأسفار نفسها التي لم يعترف بها يهود فلسطين في ذلك الوقت . وثانيها : في تسميات بعضها الآخر ، فأصبحت أسماء الأسفار : اللاويين وصموئيل الأول وصموئيل الثاني والملوك الأول والملوك الثاني عند البروتستانت ، وعند الكاثوليك : الأخبار والملوك الأول والملوك الثاني والملوك الثالث والملوك الرابع ، بالترتيب . وثالثها : إضافة كلمة « نبوءة » إلى أسفار الأنبياء في النسخة الكاثوليكية (رَ : المسيحية) .

وتذكر المصادر أن أقدم قراءة للتوراة العبرية جرت حوالي عام ٤٤٤ق.م. عندما دعا النبي عزرا اليهود إلى سماع بعض منها . وبعد الانتهاء من القراءة أقسم المجتمعون على إطاعة ما جاء فيها ، وعلى جعلها دستورا لدينهم ودنياهم . وفي عهد ملك مصر بطليموس فيلادلفوس (٢٨٥ ـ ٢٤٧ ق.م.) شكا يهود الإسكندرية من عدم قدرتهم على فهم أسفار التوراة بالعبرية ، فقام بطليموس بتكليف اثنين وسبعين فقيها من فقهاء اليهود من بيت

المقدس بجمع أسفار التوراة وترجمتها من العبرية أو الآرامية إلى الإغريقية . وسميت هذه الترجمة بالترجمة السبتاغونية *Septuagint* أي السبعينية . وفي مستهل القرن الثاني الميلادي ترجمت التوراة إلى السريانية ، وفي القرن الثالث إلى القبطية ، وبعد ذلك إلى الحبشية ، ثم إلى اللاتينية والعربية (٧١٨ م) وإلى غيرها من اللغات .

لم تجمع أسفار التوراة بشكليها البروتستانتي والكاثوليكي دفعة واحدة ، بل على عدة مراحل . وفي حين تعتبر أسفار الأنبياء (أشعياء ـ أرميا ـ حزقيال ـ دانيال ـ عاموس ـ هوشع ـ عوبديا ـ يونان ـ ميخا ـ ناحوم ـ حبقوق ـ صفنيا ـ حجّي ـ زكريا ـ ملاخي) أقدم الأسفار جميعا يؤكد المؤرخون أن الأسفار الخمسة الأولى (التكوين ـ الخروج ـ اللاويّين ـ العدد ـ التثنية) أو ما يسمى (بنتاتوك *Pentateaque*) لم تأخذ شكلها المعروف إلاّ في فترة السبي البابلي * (٥٨٦ ـ ٥٣٨ ق.م.) ، وأنها نقحت خلال القرنين التاليين . كما يرجحون أن سفر دانيال وعددا من المزامير كتبت أثناء فترة الحكم السلوقي لفلسطين ، وبالتحديد بين ١٦٨ و١٦٥ ق.م. (رَ : السلوقيون) .

وبالرغم من أن جانبا كبيرا من العهد القديم قد اتخذ شكله المعروف فيما بين عهد عزرا والغزو الروماني للمنطقة (حوالي ٦٤ ق.م.)فإنه لم يكتمل حتى مجمع يامينا عام ٩٠ م الذي اعترف ، بعد مناقشات مستفيضة ، بمعظم الأسفار المعروفة اليوم ، التي تتردد خلالها إشارات عابرة إلى بعض الأسفار الضائعة ، ومنها سفر أخبار شمعيا وسفر ياشر وسفر أمور سليمان وسفر شريعة الله وسفر توراة موسى وسفر كلام ناثان النبي وسفر أخبار الأيام للملك داود وسفر أخبار الأيام لملوك يهودا وسفر ملوك إسرائيل ، وغيرها . وتشير الأسفار الأخيرة إلى أمرين : أولهما أنه كان لكل ملك من ملوك يهودا وإسرائيل سفر خاص به . وثانيهما أن الأسفار كانت تكتب في فترة قريبة من الحدث الذي تتناوله ، مع صياغتها بالقالب الذي أراده لها كاتبها . ولما كان عدد من روايات الأسفار قد انتقل مشافهة فإن معظم المؤرخين يرجحون تعرضها ، خلال جيل أو أكثر ، لما تتعرض له عادة الأقوال المنقولة كلها مشافهة . ومن هنا نشأ كثير من التناقض غير المسوغ في بعض الأحيان ، كما أثار الضغط على بعض النقاط الشك فيها أكثر مما أكد الحقيقة التي تحاول إبرازها . ولهذا يعتقد كثير من المؤرخين أن التوراة المعاصرة ليست التوراة الأصلية ، أو أنها ، على أفضل تقدير ، التوراة مع كثير أو قليل من الإضافات . وهذا ما يثبته استعراض تاريخ التوراة .

تذكر المصادر المقدسة أن موسى * بعد تلقّيه أوامر ربه في سيناء كتب هذه الأوامر وسلمها إلى « اللاويين » لحفظها في تابوت العهد في « شيلوه » ، وأمرهم بقراءتها أمام كل بني إسرائيل بعد سبع سنوات ، وفي عيد « المظال » . وقام خليفته يشوع بتنفيذ ذلك الأمر ، ومن ثم حفظ نسخة التوراة الوحيدة . وأثناء الحرب مع الفلسطينيين اصطحب اليهود توراتهم المحفوظة في تابوت العهد للتبرك بها والحفاظ عليها . وبنتيجة الحرب استولى الفلسطينيون على التابوت والتوراة ، واحتفظوا بهما سبعة أشهر ضاع فيها أي ذكر للتوراة . ثم وردت أخبار عن استعادة اليهود التابوت الذي فقد مرة أخرى أثناء حصار القائد البابلي نبوخذ نصر بيت المقدس (٥٨٨ ـ ٥٨٦ ق.م.) . وبعد خراب بيت المقدس بسبعين عاما خرج المدعو عزرا يزعم عثوره على الأسفار التي تمسّك بها اليهود .

ويعتقد بعض المؤرخين أن عزرا (وكان يهوديا متحمسا) جمع من أحبار اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي عددا من الكتب والروايات المقدسة التي سمعها أو اطّلع عليها ، وأنه قام بإعداد أول نسخ التوراة المكتوبة رتب فيها الأسفار وقسمها ثلاثة أقسام : القانون ، والأنبياء ، والمتابات المقدسة . ويتكون القسم الأول من أسفار التكوين والخروج واللاويّين والعدد والتثنية . والثاني من أسفار يشوع والقضاة مع راعوث والملوك وصموئيل وأشعيا وأرميا مع المراثي وحزقيال ودانيال والاثني عشر نبياً الآخرين وأيوب وعزرا ونحميا وأستير . ويتضمن القسم الثالث أسفار المزامير والأمثال ونشيد الأنشاد والجامعة .

وقد عثر الأثريون على عدد من نسخ التوراة ، أو أسفارها التي كتبت في عصور مختلفة ، وأحدث ما عثر عليه في عام ١٩٥١ مجموعة الأسفار في منطقة بيت لحم ، وقبلها بقليل (عام ١٩٤٧) عثر في كهف في خربة قمران في الشمال الغربي من البحر الميت * على مجموعة أخرى من المخطوطات العبرانية يعتقد أنها دونت في الفترة الهلنستية ، وتضم المجموعة نصا لسفر أشعيا وأجزاء متفرقة من أسفار أخرى (رَ : البحر الميت ، مخطوطات) .

المراجع :

ـ جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ١٨٩٤ ـ ١٩٠١ .
ـ سامي سعيد الأحمد : الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ، بغداد ١٩٦٩ .
ـ أحمد شلبي : مقارنة الأديان اليهودية ، القاهرة ١٩٧٣ .
ـ حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، أطواره ومذاهبه ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ علي إمام عطية : الصهيونية العالمية وأرض الميعاد ، القاهرة ١٩٦٣ .
ـ غوستاف لوبون : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ، القاهرة ١٩٥٠ .
ـ محمود مصطفى : التوراة موضع خلاف ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ علي عبد الواحد وافي : اليهودية واليهود ، القاهرة ١٩٧٠ .
ـ إسرائيل ولفنسون : تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ١٩٢٧ .

ـ نجيب ميخائيل إبراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، سورية ١٩٦٤ .
ـ ويل ديورانت : قصة الحضارة ، المجلد الأول ، الجزء الثاني .
— Adams, Y.M.K: **Ancient Records and the Bible,** 1946.
— Auchincloss, W.S.: **Chronology of the Holy Bible,** New York 1911.
— **Encyclopaedia Britannica,** Vol 2, S.v. Biblical literature.
— Fleming: **Dictionary of the Bible,** London.
— Horn, S.H.: **Bible Dictionary,** Washington 1960.
— Marston, C.: **The Bible is True,** London 1937.

التوسعية الصهيونية :

التوسعية الصهيونية هي المصطلح الذي يطلق على مخطط الصهيونية العالمية الرامي إلى احتلال فلسطين بأسرها ثم التوسع إلى أراضي بعض الدول العربية المجاورة . ويسمّى هذا المخطط التوسعي في المفهوم الديني اليهودي « إسرائيل الكبرى » ، أي إقامة الدولة اليهودية الكبرى التي يتجمع فيها يهود العالم . وتتجلى الأهداف الصهيونية التوسعية باحتلال الأراضي الفلسطينية متجاوزة مفهوم « الوطن القومي » الذي أشار إليه وعد بلفور * (١٩١٧) ، وقرار التقسيم * (١٩٤٧) وخطوط الهدنة الموقتة (١٩٤٨) (رَ : الهدنة ، اتفاقية) .

ولعل مصطلح « إسرائيل الكبرى » هو التجسيد الواقعي للتوسعية الصهيونية ، لأن الصهيونية لم يكن لها دولة شرعية ذات حدود معترف بها دولياً وعربياً حتى تسعى إلى التوسع خارج حدود هذه الدولة . بل إن الصهيونية أرست مخططها منذ البداية على إقامة « إسرائيل الكبرى » تدريجياً دون الإعلان صراحة عن حدود الكيان الذي تسعى إلى تحقيقه . وتختلف الآراء حول تعيين هذه الحدود ، على الرغم من أن بعضها يستند في ذلك إلى ما ورد في التوراة ، لأنها مبهمة وغامضة في النصوص التوراتية ذاتها .

أما المراحل التي مرّ بها مخطط إنشاء « إسرائيل الكبرى » قبل ظهور الصهيونية * كحركة سياسية وبعده فيمكن تقسيمها على النحو التالي :

١) مرحلة الانتقال من الحنين الديني إلى « حب صهيون » . وهي المرحلة التي امتدت عبر العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي : ١٨٧٠ ـ ١٩٠٠ .

٢) مرحلة تنظيم الوجود الصهيوني العالمي ، وإرساء دعائمه ، وتأسيس الأجهزة العاملة لتركيز النشاط الصهيوني في فلسطين من ١٩٠٠ ـ ١٩٢٠ .

٣) مرحلة تأسيس « الوطن القومي اليهودي » وترسيخ مقومات الوجود الصهيوني على أرض فلسطين في ظل الانتداب البريطاني : ١٩٢٠ ـ ١٩٤٨ .

٤) الوجود الصهيوني في العالم منذ قيام (إسرائيل) عام ١٩٤٨ حتى الآن وما تخلله من حروب استطاعت (إسرائيل) خلالها اكتساب المزيد من الأراضي العربية والتوسع خارج خطوط الهدنة .

وقد سعت الصهيونية وتسعى إلى تحويل حنين اليهود الديني إلى الأماكن المقدسة عن مقصده ، وربطه بعجلة أطماعها السياسية والإقليمية تحت ستار الأحلام التي تسير إلى التحقيق ، والأساطير التي تترجم إلى الواقع . وتستند الصهيونية إلى الحجج الدينية والتاريخية لتبرير اغتصابها فلسطين وتغليف أهدافها التوسعية في الوطن العربي .

تقوم الذريعة الدينية على إبراز العلاقة التي تربط الديانة اليهودية القديمة بأرض فلسطين، وبالتالي على العلاقات الروحية التي تشد معتنقي هذه الديانة إلى « أرض فلسطين». وزعم أصحاب هذه الذريعة أن الله وعد اليهود بفلسطين وأعطاهم إيّاها ردحاً من الزمن . وحين طردوا منها وعدهم ، على لسان الأنبياء ، بالرجوع إليها في الوقت المناسب ، حتى إن بعضهم يضع مسألة إرجاع اليهود إلى فلسطين في منزلة ممتازة من التدبير الإلهي للعالم والكون . ويدّعي أصحاب الذريعة الدينية أن طقوس العبادة والصلوات اليهودية تتركز كلها على فلسطين ، وعبادة الله الحقة لا تتم إلاّ في الهيكل المقدّس ، ولا تكتسب الصلوات والطقوس والشعائر الدينية اليهودية معناها الكامل إلا وسط بيئتها الطبيعية في فلسطين . ثم يذهب هؤلاء إلى القول إن « إرجاع » اليهود إلى فلسطين يؤلف الشرط الضروري لنمو الديانة اليهودية وازدهارها ، ويؤهّل هذه الديانة للمساهمة بقسطها كاملاً في الحياة الروحية للجنس البشري .

وهم يرون الديانة اليهودية « قومية » قبل ان تكون عالمية جامعة يعتنقها أناس من مختلف القوميات والجنسيات ، سواء اكتسبوا الدين اليهودي بالوراثة أو اعتنقوه اعتناقاً . فاليهودية في نظر أصحاب هذه الذريعة تؤلف بطبيعتها ديناً ودنيا على السواء ، وتعبّر عن ذاتها في حياة مجتمع له كيان مستقل .

تضم الصهيونية إذن عنصراً دينياً استغلته في محاولاتها الهادفة إلى تسخير الديانة اليهودية لخدمة أغراضها ، ولحمل اليهود من جهة ، والعالم المسيحي من جهة أخرى ، على مسايرة أهدافها السياسية . وأهم جوانب هذا العمل الديني التركيز على ما يسمى « العلاقة التاريخية » بين اليهود و « أرض ـ إسرائيل » ، وعرضها بشكل يخدم المطامع الصهيونية .

يطلق اسم « أرض ـ إسرائيل » (إيرتس ـ يسرائيل) وفقاً لما تزعمه التعاليم اليهودية على ذلك الجزء من العالم الواقع في جنوب غربي آسيا . وتضم هذه الأرض ـ حسب المصطلحات الجغرافية الحالية ـ فلسطين بحدودها أيام الانتداب البريطاني ، وأجزاء من

الدول الأخرى القريبة منها هي لبنان وسورية والأردن والعراق ومصر . ويعتبر اليهود واليهودية هذه المنطقة مهد تكوّنهم وتبلورهم . وتعود جذور عبارة « أرض ـ إسرائيل » إلى التوراة ، رغم أن استعمالها ، بمدلولها الحالي ، بدأ على ما يبدو في نهاية عهد « مملكة إسرائيل » الثانية خلال القرن الأول للميلاد . وتوسّع مفهوم هذه العبارة على مرّ السنين ، مع ازدياد تشتت اليهود ، ونتيجة لاجتهادات حكماء اليهودية ، فأصبح يعني أيضاً علاقة وثيقة ودائمة بين اليهود و « أرض ـ إسرائيل » ، واعتقاداً بوجوب عودة اليهود إليها مع ظهور المسيح المخلّص . من جهة ثانية كان هذا في الأصل تعبيراً عن أماني سياسية كامنة أخذت تبرز وتختفي بحسب الأوضاع السياسية التي وجد اليهود أنفسهم يعيشونها في أي مكان أو زمان .

إن العلاقة بين اليهود و « أرض ـ إسرائيل » ، وفي تلك الحدود نفسها ، ليست واضحة ، وتختلف باختلاف ما جاء عنها في التوراة ، أو في الكتب اليهودية المقدسة الأخرى . وهو اختلاف يعود إلى عامل الزمن ، والتأثر بطابع العصر الذي كتبت فيه التوراة ، أو أية أجزاء منها ، أو العصور التالية التي كتبت خلالها الكتب اليهودية المقدسة الأخرى . فهناك أولاً العلاقة المنصوص عليها في الميثاق الذي قطعه الإله لإبراهيم عندما اقتاده من أور إلى كنعان كما جاء في التوراة .

يرد ذكر الوعد الذي ينص صراحة على إعطاء نسل إبراهيم « أرض كنعان » ابتداء من سفر التكوين (١٣ / ١٧) وحتى نهاية الإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين من الكتاب المقدس .

يقول سفر التكوين (١٨/١٥) : " في ذلك اليوم قطع الربّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات " . وقد ورد في سفر التكوين أيضاً (١٧ / ٨) أن الربّ عاد وقطع الوعد لكل من إسحق * ويعقوب * ، كما أبرم الميثاق مع إبراهيم بطريق الختان مخاطباً إياه على النحو التالي : " وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً . . "

إلاّ أن هناك « أرض ميعاد » أخرى ، وهي التي وعد الإله موسى * بها بعد خروج اليهود من مصر : " وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا ، فأراه الربّ جميع الأرض من جلعاد إلى دان وجميع نفتالي وأرض أفرايم ومنسّى وجميع أرض يهودا إلى البحر الغربي والجنوب والدائرة بقعة أريحا مدينة النخل إلى صوغر . وقال له الرب : هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها " (سفر التثنية ٣٤ / ١ ـ ٥) .

ولكن هذه الحدود أيضاً غير واضحة رغم إسهاب التوراة في وصفها . فقد رسمت حدود أرض الميعاد ، مرة أخرى ، واستناداً إلى تفسيرات واجتهادات عديدة ، بشكل يضم المنطقة الواقعة بين البحر غرباً والصحراء شرقاً ، بما في ذلك القسم المأهول من شرقي الأردن كله . أما حدودها الجنوبية فتمتد على خط يصل بين العريش والعقبة في حين أن الحدود الشمالية غير واضحة وتشير إلى جبل الشيخ (حرمون) فقط .

وقد جاء في سفر يشوع (الإصحاح الأول / الآية ٣) : " كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيه كما كلمت موسى . من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير (البحر المتوسط) نحو مغرب الشمس يكون تخمكم " .

وجاء أيضاً في سفر يشوع (الإصحاح الثالث عشر / من الآية ١ حتى الآية ٦) : " وقد بقيت أراض كثيرة جداً للامتلاك . هذه هي الأراضي الباقية : كل دائرة الفلسطينيين ، وكل أرض الجشوريين من الشيحور (الفرع الشرقي من النيل) الذي هو أمام مصر إلى تخم عقرون (مدينة على بعد ١٥ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا) شمالاً تحسب للكنعانيين . . . من التيمن كل أرض الكنعانيين ومغارة التي للصيدونيين (غار جزين ـ لبنان) إلى أفيق (أفقا ـ لبنان) إلى تخم الأموريين، وأرض الجبليين (نسبة إلى جبيل) وكل لبنان نحو شروق الشمس من بعل جاد تحت جبل حرمون (مدينة حاصبيا على سفح جبل الشيخ) إلى مدخل حماة . جميع سكان الجبل من لبنان إلى مسرفوت مايم (المشيرفة بين عكا ورأس الناقورة) جميع الصيدونيين أنا أطردهم من أمام بني إسرائيل ، إنما أقْسِمْها بالقرعة لإسرائيل كما أمرتك " .

وتقوم الصهيونية بتفسير نصوص التوراة على هواها وتبعاً لمصالحها وأطماعها المعروفة . على أن فحوى الذريعة الدينية التي تتوسل بها الصهيونية تتعلق مباشرة بالزعم القائل إن إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين قد تنبأت بها وأعلنتها نصوص الكتاب المقدس . أي أن ذريعة الصهيونية في الاستيلاء على فلسطين وإنشاء « الوطن القومي اليهودي » على أرضها هي وليدة الزعم القائل إن الربّ وعد شعبه المختار بإعطائه هذه الأرض ، وبذلك منحه « الحق الإلهي » في فلسطين .

إن النظر السريع إلى جميع هذه النصوص يثير مجموعة من الملاحظات :

١) إن هناك مصدرين فقط أوضحت فيهما بالتفصيل

الخطوط التي تسير فيها حدود « أرض الميعاد » الأربعة ، وهما سفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) ، وسفر حزقيال (٤٧ / ١٥ ـ ٢٠) .

٢) إن بقية المصادر تحدد أرض الميعاد تحديداً عاماً ، كأن تعتبرها تمتد من النيل إلى الفرات ، أو من سيناء إلى نهر الفرات ، أو من البحر الأحمر إلى بحر فلسطين ، أو من الفرات إلى البحر الغربي (المتوسط) .

٣) إن حدود أرض الميعاد كما هي مرسومة في سفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) أصغر منها في أي نص آخر .

٤) إن رسم الحدود في النصوص المفضّلة يعتمد على تسميات لمراكز قديمة بعضها غير معروف في الجغرافية الحديثة . وبالنسبة إلى الحدود الشمالية فإن أبرز حدّ هو خط يمتد من المتوسط إلى جبل هور ، فمدخل حماة ، فصدد (مكان قرية حثيالا بين النهر الكبير ونهر عكار) ، كما هو في سفر العدد (٣٤ / ٧) أو من حثلون إلى صدد ، كما هو في سفر حزقيال (٤٧ / ١٥) . وتستخدم بعض النصوص أحياناً للدلالة على الحد الشمالي بالإشارة إلى مدخل حماة وجبيل ، كما هو في سفر يشوع (١٣ / ١ ـ ٦) . ولقد أدّى ذلك إلى اجتهادات صهيونية مختلفة في رسم الحد الشمالي لأرض الميعاد . بيد أن جميع هذه الاجتهادات اعتبرت أن لبنان هو جزء من التصور التوراتي لأرض الميعاد ، سواء أكان الاعتماد على النص الذي يتصور حدوداً مثالية للدولة اليهودية ، كما هي الحال في سفر التكوين (١٥ / ١٨ ـ ٢٠ من النيل إلى الفرات) أو النص الذي يتمثل فيه الحد الأدنى لحدود الدولة اليهودية كسفر العدد (٣٤ / ١ ـ ١٢) .

وتضم « أرض إسرائيل » ، بحسب هذه الحدود نحو ٤٣ ألف كم^2 . إلا أن هناك حدوداً أخرى تدعى « الحدود الطبيعية لأرض إسرائيل » ، وهي أكبر قليلاً من الحدود « الأصلية » وتصل مساحتها إلى نحو ٥٩ ألف كم^2 نصفها تقريباً غربي نهر الأردن « أرض ـ إسرائيل الغربية » والنصف الآخر شرقي النهر « أرض ـ إسرائيل الشرقية » . ويلاحظ أن التعريف الثاني « لأرض إسرائيل » بالحدود التي وُعد موسى بها شائع أكثر من الأول .

وتجدر الإشارة إلى أن حدود المنطقة التي طلبت المنظمة الصهيونية العالمية * من مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩ الاعتراف بها على أنها « وطن قومي » لليهود متناسقة مع التعريف الأخير لحدود « أرض ـ إسرائيل » .

وإذا كانت الذريعة الدينية تقوم على مطالبة الصهيونيين بفلسطين انطلاقاً من الزعم « بحقهم الإلهي » في « الأرض الموعودة * » واستناداً إلى الميثاق المبرم بين الرب وإبراهيم * ، والعهد المقطوع لنسل إبراهيم وذرّيته ، فإن الذريعة التاريخية تستمد مقوماتها من مفهوم ينطوي على ادّعاء الحق التاريخي لليهود في فلسطين ؛ فقد وصف هرتسل فلسطين بقوله : " موطننا التاريخي الماثل في الذاكرة على مرور الزمن " .

وتضمنت توطئة إعلان قيام (دولة إسرائيل) عبارة « أرض إسرائيل مهد الشعب اليهودي » .

إذن فالصهيونية تقرن رغبتها في الاستيلاء على فلسطين بزعم وجود حقوق تاريخية لليهود فيها لأن أجدادهم الغابرين سكنوها قبل ستة وعشرين قرناً من الزمن ، وسرعان ما تتحول الروابط التاريخية إلى تأكيد الحق التاريخي لليهود في فلسطين . وتصبح بلاد الآخرين في نظرهم " الإقليم الطبيعي لإقامة شعب الله المختار في أرض الله المقدسة " . ويزعم أصحاب هذا الإدّعاء أن الحياة اليهودية في فلسطين لم تنقطع " من أيام الرومان إلى العصور الحديثة بل استمرت طوال القرون الماضية وحافظت على صلاتها الفريدة باليهود المنتشرين في مختلف أنحاء العالم " .

انطلقت الصهيونية من هذه الذرائع الدينية والتاريخية مستمدة منها وجودها ، ومستغلة الظروف التي كانت تحيط باليهود وأوضاعهم الذاتية خلال القرن التاسع عشر في روسيا وأوربا الشرقية وأوربا الغربية . وساعدتها عوامل أخرى مثل تبلور الفكرة القومية وقيام الكثير من الدول القومية ، ثم اتّساع نفوذ الاستعمار الأوربي من جهة ، وظهور العداء للسامية من جهة أخرى (رَ : اللاسامية) .

وليست الفكرة الصهيونية ، بمفهومها الداعي إلى جلب اليهود إلى فلسطين ، وإقامة دولة لهم فيها يعترف بها دولياً من خلال نشاط سياسي واستيطاني يقومون به ، ليست وليدة القرن التاسع عشر ، بل يرجع تاريخها إلى نحو قرنين قبله . فخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وجد أشخاص كثيرون ، من بين اليهود وغيرهم ، يعتنقون تلك الفكرة ويدعون إلى تحقيقها بدوافع متباينة . لكن الفشل كان من نصيبهم بسبب انعدام الظروف الملائمة ، يهودياً وعالمياً ، لتحقيق مثل هذه الفكرة . وقد ظهرت بين اليهود خلال العصور الوسطى من حين إلى آخر ، وفي هذا البلد أو ذاك ، حركات دينية تدعوهم للهجرة إلى فلسطين « أرض ـ إسرائيل » أو زعماء دينيون هاجروا إلى هناك .

ومن الشخصيات اليهودية الأولى التي نادت بإقامة دولة يهودية في فلسطين الحاخام يهودا الكلعي (١٧٩٨ ـ ١٨٧٨) السفاردي الأصل من يوغوسلافيا ، إذ دعا إلى توطين اليهود في فلسطين . ويعتبر الكلعي ، بسبب كتاباته ، واحداً من روّاد الفكر الصهيوني ، وبتأثيره أصدر الحاخام الألماني تسفي هيرش كاليشر سنة ١٨٦٢ كتاباً بالعبرية عنوانه « البحث عن صهيون » ، طوّر فيه الآراء التي دعا إليها الكلعي . وفي السنة نفسها أصدر موشي هيس كتاباً آخر بالألمانية بعنوان « روما والقدس » ودعا فيه لآراء مماثلة . وفي مطلع

الثلاثينات من القرن التاسع عشر توجّه كاليشر إلى أحد أبناء عائلة روتشيلد اليهودية الثرية في باريس مقترحاً عليه شراء فلسطين من حاكمها محمد علي لإقامة مستعمرات فيها للمهاجرين اليهود من أوربا الشرقية . وعرض الفكرة نفسها أيضاً على اليهودي البريطاني مونتفيوري .

وحين فرضت السلطات الروسية القيصرية مزيداً من القيود على يهود روسيا ، وحصرت إقامتهم في أماكن معينة ، وجد بعض دعاة « التحرر والتنوير » (رَ : التنوير والاندماج اليهودي ، حركة) من المثقفين اليهود ذريعتهم المنشودة لمحاربة الاندماج والتفتيش عن حل عملي للمسألة اليهودية . فظهر بيرتس سمولينسكين (١٨٤٢ - ١٨٨٥م) وأخذ ينشر آراءه الخاصة بأوضاع اليهود ومشكلاتهم في روسيا داعياً إلى هجرتهم من موطنهم إلى المكان الوحيد الذي يستطيعون العيش فيه وهو « أرض - إسرائيل » . وانضمّ إليه موشيه ليف ليلينبلوم (١٨٤٣ - ١٩١٠م) فأصدر كرّاساً عنوانه « بعث الشعب اليهودي في أرض أجداده المقدسة » دعا فيه إلى إنشاء جمعية للاستعمار . وسارع الحاخام صموئيل موهيليفر (١٨٢٤ - ١٨٩٨ م) إلى تأسيس أول جمعية لأحبّاء صهيون * وأصدقائها في سنة ١٨٨٢م . وكان من بين المفكرين الصهيونيين الأوائل أيضاً أليعزر بن يهودا (١٨٥٧ - ١٩٢٢ م) الذي دعا إلى « استيطان أرض - إسرائيل » وإحياء اللغة العبرية لغة قومية ، وكان له التأثير الأكبر في تحديث اللغة العبرية .

ترعرعت فكرة التوسعية الصهيونية في عهد الصهيونية الهرتسلية (١٨٩٥ - ١٩٠٥م) . ويعتبر الصحافي النمساوي تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة والأب الروحي لها بلا منازع ، فهو الذي وضع الأسس العقائدية للصهيونية السياسية ، وكرّس العقد الأخير من حياته لنقل أفكاره إلى صعيد العمل والتنظيم . وإليه يعود الفضل في توحيد الصفوف الصهيونية تحت راية المنظمة الصهيونية العالمية عن طريق الدعوة التي وجّهها لعقد أول مؤتمر صهيوني على مستوى يهود العالم . ففي سنة ١٨٩٦ أصدر هرتزل كتاب « دولة اليهود » واصفاً إياه بأنه « محاولة لإيجاد حل عصري للمسألة اليهودية » . واعتبر أن المسألة اليهودية هي « مسألة قومية » وأن « الدولة اليهودية ضرورة لا بد منها للعالم ، لذلك سوف يتم خلقها»، وأن « الوحدة التاريخية للشعب اليهودي حقيقة لا سبيل إلى نكرانها » .

ولا تقتصر أهمية التفكير والنقاش اللذين دارا داخل الحركة الصهيونية حول تحديد الأرض الملائمة للدولة اليهودية على الناحية التاريخية ، بل إن هذا النقاش يساعد على تفهم الدوافع الحقيقية الكامنة في الحركة الصهيونية ، ويوفّر الجواب على كثير من الادعاءات الصهيونية .

حين نشأت فكرة الدولة اليهودية عند هرتزل لم تكن مرتبطة بفلسطين ارتباطاً وثيقاً . وهو يعلن في كتابه « دولة اليهود » أنه لا يفضل بلداً على آخر . ويتساءل : أنختار فلسطين أم الأرجنتين ؟ ويقول : " سنأخذ ما يعطى لنا وما يختاره الرأي العام اليهودي . . . فالأرجنتين من أخصب بلاد العالم ، وهي ممتدة على رقعة شاسعة قليلة السكان معتدلة المناخ . وستحصل جمهورية الأرجنتين على أرباح كبيرة من جرّاء التنازل عن قسم من أراضيها لنا . . . وفلسطين وطننا التاريخي الذي لا ينسى ، وإن مجرد اسم فلسطين يجتذب شعبنا بقوة ذات فاعلية عجيبة " . ثم يقول : " إذا منحنا جلالة السلطان فلسطين فسنتعهد بحل مشاكل تركيا المالية بأكملها " .

ولم يقتصر تفكير هرتزل على الأرجنتين ، بل فكّر في جزيرة موزمبيق التي كان يحتلها البرتغاليون ، وفي أفريقيا الشرقية (أوغندا). كذلك تقدم هرتزل بطلب إلى وزير المستعمرات البريطاني في ١٩٠٢/١٠/٢٢ لاستيطان اليهود وإقامة دولتهم في قبرص وسيناء والعريش .

لكن استقر رأي الحركة الصهيونية في نهاية الأمر على أن يكون هدفها إقامة الدولة اليهودية في فلسطين . وعلى الرغم من أن هذه الحركة استعملت اسم فلسطين في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، ونجحت في نهاية الأمر بالحصول على وعد بلفور من الحكومة البريطانية بإنشاء « وطن قومي » لليهود في فلسطين ، على الرغم من ذلك لم يكن اسم فلسطين في ذلك الوقت إسماً دولياً محدداً ، وإنما كان إسماً جغرافياً وتاريخياً ، ولم يعط هذا الاسم صفة دولية سياسية محددة إلا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكجزء من التسوية التي جرت بين الحلفاء في تلك الحرب . ومن هنا فإن اسم فلسطين الدولي لم يكن مطابقاً لاسم فلسطين حسب المفهوم الصهيوني . وقد أحدث هذا الاختلاط في التسمية تشويشاً خلق الانطباع بأن أطماع الصهيونية العالمية تقتصر على أرض فلسطين ضمن الحدود الدولية التي استقرت عليها بعد الحرب العالمية الأولى . وكان هذا التشويش سبباً في عدم التبين الصحيح لأهداف (إسرائيل) التوسعية الحقيقية .

حدد برنامج بازل * الذي أقرّه المؤتمر الصهيوني * الأول أن " غاية الصهيونية هي خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون العام " .

وأقرّ المؤتمر الصهيوني الثاني (١٨٩٨م) تأسيس « المصرف اليهودي الاستعماري » ومزاولة النشاط « الاستيطاني » بصورة

منظمة . وفي المؤتمر الثالث (١٨٩٩) تمّ تأسيس هذا المصرف تحت اسم « صندوق الإئتمان اليهودي للاستعمار » بغية تأمين النشاطات الاستيطانية في « فلسطين والبلاد المحيطة بها » . وأقر المؤتمر الرابع (١٩٠٠م) إعداد مسودة المشروع المتعلق بإنشاء الصندوق القومي اليهودي وتبنّي شعار « العمل اليهودي على الأرض اليهودية » . وشهد المؤتمر الصهيوني الخامس (١٩٠١م) تأسيس الصندوق القومي اليهودي ، وقرر المؤتمر استخدام الأموال المتوفرة في الصندوق لغاية واحدة هي شراء الأراضي في فلسطين . أما المؤتمر الصهيوني السابع (١٩٠٥م) فقد قرر تعديل قانون «صندوق الإئتمان اليهودي للاستعمار» بحيث تأتي الفقرة المتعلقة بإعطاء الأفضلية لفلسطين وسورية لتكونا مسرحاً لتنفيذ المشاريع الاستعمارية اليهودية كما يلي : « في فلسطين وسورية وأي قسم آخر من تركيا الآسيوية وفي شبه جزيرة سيناء وجزيرة قبرص » .

إن التحديد الصهيوني لفلسطين ، أي للأراضي التي تطمع الصهيونية العالمية في امتلاكها وإقامة الدولة اليهودية عليها، معروف منذ سنة ١٩١٩م ، إذ إن الجمعية الصهيونية العالمية كانت قد تقدمت بمذكرة إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح في باريس ، في ١٩١٩/٢/٣ ، أوضحت فيها معالم الحدود التي تريدها لفلسطين ، أي للأراضي التي سيجري تحويلها إلى دولة يهودية . وقد طالبت هذه المذكرة الدول المجتمعة في مؤتمر السلام في باريس بأن تعترف بما أسمته " الحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين ، وحق اليهود في أن يعيدوا إنشاء وطن قومي لهم فيها " . أما فلسطين هذه فقد حددتها المذكرة على الصورة التالية :

" إن حدود فلسطين يجب أن تتبع الخطوط العامة المبينة فيما يلي :

" في الشمال تبتدىء الحدود بنقطة تقع على ساحل البحر المتوسط بجوار صيدا وتتبع مجاري مياه الجبال اللبنانية حتى جسر القرعون ، ومنها إلى البيرة متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم ، ثم تسير في اتجاه جنوبي متبعة الخط الفاصل بين السفوح الشرقية والسفوح الغربية لجبل الشيخ حتى تصل إلى جوار بيت جن ، ثم تتجه شرقاً متبعة الضفة الشمالية لنهر مغنية حتى تحاذي الخط الحديدي الحجازي ، غرباً منه .

" وفي الشرق خط محاذ للخط الحديدي الحجازي وغرباً منه ينتهي في خليج العقبة * .

" إلى الجنوب خط يتم الاتفاق عليه مع الحكومة المصرية .

" إلى الغرب البحر المتوسط .

" ويجب أن تسوّى أية تفاصيل للحدود أو أية تعديلات تفصيلية عليها بواسطة لجنة خاصة يكون لليهود ممثيل فيها " .

وجاء في المذكرة أيضاً : " وجبل الشيخ هو بالنسبة إلى فلسطين أبو المياه الحقيقي . ولا يمكن فصله عنها بدون إنزال ضربة جذرية بحياتها . . . فيجب إذن أن يبقى تحت سيطرة أولئك الذين هم أرغب وأقدر على إعادته إلى نفعه الأقصى . ويجب وضع ترتيبات دولية لحماية حقوق المياه للسكان الذين يعيشون إلى الجنوب من نهر الليطاني . وإذا ما لقيت هذه المنابع عناية كافية فمن الممكن استخدامها لتنمية لبنان وكذلك لتنمية فلسطين .

" والسهول الخصبة الواقعة إلى الشرق من الأردن كانت منذ أقدم عصور التوراة مرتبطة اقتصادياً وسياسياً بالأراضي الواقعة غربي الأردن . وهذه البلاد التي يقطنها الآن سكان قليلون كانت أيام الرومان تعيل سكاناً كثيرين ، وهي تصلح الآن بصورة مدهشة للاستيطان على نطاق واسع . والمراعاة العادلة للحاجات الاقتصادية لفلسطين وشبه جزيرة العرب تتطلب حرية الوصول إلى الخط الحديدي الحجازي على طول امتداده للحكومتين .

" وإن التنمية الكثيفة للزراعة وغيرها من الفرص في شرق الأردن لتستوجب أن يكون لفلسطين حرية الوصول إلى البحر الأحمر ، وفرصة تطوير الموانىء الجيدة على خليج العقبة " .

لقد برزت معالم التوسعية الصهيونية ، واتخذت لها شكلاً محدداً في القرار الخاص الذي أصدره المؤتمر الصهيوني الثاني عشر (١٩٢١) بشأن مسألة الحدود . فقد أعلن المؤتمر باسم « الشعب اليهودي » ما يلي :

" يأخذ المؤتمر علماً ، وسط شعوره بالارتياح ، بأن منطقة شرقي الأردن التي ينظر إليها الشعب اليهودي كجزء متمم من أرض إسرائيل سوف تدمج في منطقة الانتداب الفلسطيني . ويجد المؤتمر نفسه ملزماً بالاعراب عن أسفه على أن مسألة الحدود الشمالية لأرض ـ إسرائيل لم تجد سبيلها إلى حل مرضٍ حتى الآن . . . كما يطالب المؤتمر اللجنة التنفيذية بألاّ تترك في المستقبل أية خطوة . . . للحؤول دون التخلي عن الوحدة الإدارية والاقتصادية الفلسطينية ـ أي في ضفتي الأردن ـ لمصلحة سياسة مناطق النفوذ ، لئلاّ يؤدي ذلك إلى تقلص إمكانات الاستيطان والاستعمار في وجه الجماهير اليهودية الباحثة عن عمل . ويأمل المؤتمر أن تستجيب حكومة الجمهورية الفرنسية لمصالح الشعب اليهودي وتفي بها " .

وفي مطلع عام ١٩١٩م أصدر الكاتب نورمان بنتويش الذي جاء مع القوات البريطانية من مصر إلى فلسطين كتاباً بعنوان « فلسطين اليهود : الماضي والحاضر والمستقبل » صدّره بخريطة لفلسطين تمتد من « بيروت إلى الخليج » وجاء في هذا الكتاب : " لا حاجة بفلسطين المستقبل أن تبقى محصورة ضمن حدودها التاريخية ، فالاستعمار الاستيطاني يمكنه أن يمتد حتى يشمل تلك الرقعة بأكملها

التي تضمنها الوعد (من الفرات إلى النيل) من البحر المتوسط إلى نهر الفرات ، ومن جبال لبنان إلى نهر مصر ، هذه هي الأرض التي أعطيت للشعب المختار " .

أما آرثور روبين (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣م) الذي كلفه المؤتمر الصهيوني الثامن (١٩٠٧م) دراسة أوضاع اليهود الاجتماعية والمستعمرات الصهيونية في فلسطين فقد أصدر في سنة ١٩١٩ دراسة مفصلة عن « بناء أرض ـ إسرائيل» دعا فيها إلى " توحيد فلسطين ضمن حدودها التاريخية والاقتصادية الطبيعية ، وجعلها تؤلف منطقة إدارية واحدة " ، ورسم هذه الحدود على النحو التالي :

" وفيما يتعلق بالحدود الشمالية التاريخية فقد شملت هذه دون جدال أحد المنبعين الرئيسين لنهر الأردن * ، أي المنبع الواقع عند بانياس (بالقرب من بلدة دان القديمة) . غير أن الأسباب الاقتصادية تتطلب بالضرورة أن تمتد فلسطين صوب الشرق لتشمل المنبع الآخر لنهر الأردن عند حاصبيا (الحاصباني) . فالأردن هو النهر الرئيس لفلسطين ، ومياهه بالغة الأهمية في حقلي الريّ وتوليد الطاقة . والاستغلال المناسب والمؤمّن لمياهه في فلسطين لا يمكنه أن يتم إلاّ متى أصبحت ينابيعه ملكاً لفلسطين . إن منبع الأردن عند حاصبيا (الحاصباني) يقع عند خط العرض ٣٣ ـ ٢٧ . لذلك تتجه حدود فلسطين الشمالية من منبع الأردن هذا على امتداد خط العرض المذكور حتى تصل البحر المتوسط . وإلى الشرق من حاصبيا تسير الحدود الشمالية على الخط نفسه (٣٣ ـ ٢٧) حتى تصل إلى قمة حرمون (الواقعة عند ٣٥ ـ ٥٥ شرقي غرينيش) ومنها الى درعا .

" وفي الشرق تفرض علينا وجهة النظر التاريخية ضم كل من موآب وآمون القديمتين اللتين كانتا فيما مضى جزءاً من الدولة اليهودية داخل الحدود الشرقية وتوسيع الحدود بالتالي حتى الصحراء " .

وهنا ينتبه روبين إلى المعارضة المتوقعة في أوساط عرب سورية والحجاز لضم ذلك القسم الكبير من الخط الحديدي الحجازي إلى أراضي فلسطين فيتخوف من اشتداد تلك المعارضة لكون الخط المذكور يؤلف الاتصال الوحيد بين سورية والحجاز . وينصح بعدم الدخول في نزاع حول هذا الموضوع لأن الحكمة السياسية تقضي بذلك ، ويفضل البحث عن حل يرضي جميع المنتفعين الشرعيين . ويعثر على ذلك الحل في جعل الخط محايداً ، أو إخضاع المنطقة التي يمر بها لإدارة مشتركة . وحين يتعذر اعتماد هذا المخرج ، ويتحتم على الصهيونيين إرجاع الحدود الشرقية إلى غربي الخط الحديدي ، فلا بد من وصل فلسطين بالخط المذكور عند نقاط معينة مثل معان وعمان ودرعا . كما يستلزم ذلك الحصول على حق الأفضلية في استخدام الخط .

ثم ينتقل روبين إلى الحدود الجنوبية فيقول : " تتعين الحدود في الجنوب بخط يسير من رفح * على الحدود المصرية إلى العقبة ، ذلك المرفأ الذي كان يعرف أيام سليمان * باسم عصيون جابر ، ومن هنا مروراً بمحطة معان على الخط الحديدي الحجازي حتى الصحراء . ومن المسائل البالغة الأهمية لو أمكن التوصل عن طريق الاتفاق مع الحكومة البريطانية ـ المصرية إلى توسيع الحدود الجنوبية حتى العريش لأن هذه الرقعة القاحلة حتى الآن تصلح على ما يبدو للتشجير ، وبذلك تصبح ملائمة جداً للاستعمار التوطيني اليهودي . والحكومة البريطانية لم تظهر ميلاً حتى الآن لتوطين هذه الرقعة لأنها رأت في هذا الحزام الصحراوي سدّاً طبيعياً يقيها الهجوم المفاجيء من الجهة التركية . ومع زوال هذا الخطر بقيام فلسطين مستقلة قد تعطي الحكومة البريطانية موافقتها على توطين يهود في هذه الرقعة وضمها إلى فلسطين بعد أن كانت جزءاً منها في قديم الزمان " .

وهكذا خرج روبين بصورة لفلسطين كبرى يبلغ طول رقعتها نحو ٢٦٠ كم وعرضها ١١٥ كم . وأصبحت حدود فلسطين المنشودة تضم ، بالإضافة الى فلسطين الانتداب ، الأقضية التالية : قضاء صور التابع لمتصرفية بيروت ، وقضاءي الكرك والسلط (متصرفية الكرك) ، وقضاء عجلون (متصرفية حوران) ، وقضاء القنيطرة (متصرفية دمشق) . ويبلغ عدد سكان هذه الرقعة التي رسم روبين حدودها استناداً إلى المعلومات الرسمية التي حصل عليها من السلطات العثمانية عام ١٩١٥ حوالي ٨٨٠ ألف نسمة . وقد وزع السكان حسب مذاهبهم على الشكل الآتي : ٧١٠ آلاف من المسلمين ، و ٩٠ ألفاً من اليهود ، و ٨٠ ألفاً من المسيحيين .

تمثّلت المجاهرة بالتوسعية الصهيونية في الحركة التصحيحية بزعامة فلاديمير جابوتنسكي . فقد برزت خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني عشر (١٩٢١) معارضة للسياسة التي اعتمدها حاييم وايزمن رئيس المنظمة الصهيونية . وتزعّم هذه المعارضة جابوتنسكي . وقد تمثلت فكرته التوسعية خلال المدة التي قضاها في عضوية اللجنة التنفيذية في الاهتمام الذي أعاره للمشكلات المتعلقة بما أسماه « قضية أمن اليهود في فلسطين » . وقد تطور نشاط جابوتنسكي الذي امتد عشرين عاماً (١٩٢٠ ـ ١٩٤٠) إلى ظهور « المنظمة الصهيونية الجديدة * » القائمة على دعوة الصهيونية الكبرى التي نادى بها جابوتنسكي . وتستند هذه الدعوة إلى تنظيم جيش

صهيوني ، وإقامة الدولة اليهودية على ضفتي نهر الأردن ضمن الحدود التاريخية القديمة لمملكتي إسرائيل ويهودا .

لقد أصبح التيار الذي تزعمه جابوتنسكي يعرف باسم «الحركة التصحيحية » . والتصحيحية التي نادى بها جابوتنسكي وأتباعه قامت على الدعوة إلى تصحيح برنامج المنظمة الصهيونية ، وتسيير السياسة الصهيونية على خط يكفل قيام الكومنولث اليهودي في فلسطين ، ويقف في وجه التفسير الذي أورده ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطاني آنذاك للانتداب في الكتاب الأبيض * الصادر سنة ١٩٢٢ والمتضمن فيما تضمنه إخراج شرقي الأردن من نطاق سياسة « الوطن القومي اليهودي » .

أما المبادىء الأساسية في برنامج الحركة التصحيحية فقد عددها جابوتنسكي على النحو التالي :

هدف الصهيونية	:	الدولة اليهودية
ساحة الدولة	:	على ضفتي الأردن
الأسلوب		الاستعمار الجماعي
النظام المالي		القرض القومي

وأشار إلى أن « عسكرة » الشباب اليهودي في فلسطين والشتات (الدياسبورا) من المهام الضرورية والمباشرة للصهيونية .

وهكذا برزت الحركة الصهيونية التصحيحية إلى حيّز الوجود فجاء تصحيحها لبرنامج بازل على الشكل التالي : " إن غاية الصهيونية هي تحويل فلسطين تدريجياً (مع شرقي الأردن) إلى كومنولث يهودي ، أي كومنولث يحكم نفسه بنفسه في ظل أكثرية يهودية قائمة . وكل تفسير آخر للصهيونية ، خصوصاً ما صدر في الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢ ، لا بد من اعتباره غير صحيح " . وتضمّنت هذه المبادىء أيضاً الدعوة للمضي في تشكيل جيش يهودي مستقل ، والمناداة بتنفيذ الإصلاح الزراعي في فلسطين ، على أن يؤول هذا الإصلاح إلى نزع ملكية الأراضي العربية بحجة كونها تخص « طبقة الأفندية » ولأنها متروكة دون حراثة أو زراعة في حين تعمل الصهيونية ويسعى المنتمون إلى الحركة العمالية للاستيلاء على تلك الأراضي عن طريق الشراء بالأموال المجبيّة من يهود العالم .

وعلى الرغم من التباعد والاختلاف الظاهر بين الصهيونيتين الرسمية والتصحيحية فإن نقاط التلاقي بينهما أكثر من أن تحصى ، وعلى مستويات كثيرة . وربما كان مردّ الخلاف بينهما إلى العوامل الشخصية والوسائل المتبعة أكثر منه إلى خلاف حول جوهر الصهيونية وهدفها النهائي . فالتوسع ليس وقفاً على الصهيونية المتطرفة التي يعتبرها الصهيونيون الآخرون مجرد نزعة تحريفية تتجاذبها الأهواء الشخصية وتسيطر عليها النزعة « المحاربة » لجابوتنسكي ، بل هو مرتكز أساسي في الفكر الصهيوني . فالصهيونية في نزعتها التوسعية ، وبجناحيها التصحيحي والرسمي العلني ، لم تنحرف عن صراط جابوتنسكي بل سارت في إثر خطواته واقتدت به .

ولا عجب في أن يتبنّى برنامج بلتمور * (١٩٤٢) آراء التصحيحيين التي طالما دعوا إليها ونادوا بها . فقد أكد الاجتماع الصهيوني في فندق بلتمور في نيويورك " الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين " ، ورفض الكتاب الأبيض * الصادر في سنة ١٩٣٩ ، وأيّد تأسيس كومنولث يهودي . وما إن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كانت جميع المنظمات الإرهابية والعسكرية والصهيونية تعمل " يداً واحدة في جو من التنسيق والتعاون بغية تصعيد الإرهاب واللجوء إلى العنف والقوة في سبيل تحقيق المخطط الصهيوني " كما جاء في البيان الذي أصدرته الحكومة البريطانية في تموز ١٩٤٦ .

وأما الأساليب التي انتهجتها المنظمات السرية الإرهابية الصهيونية لحمل العرب على مغادرة فلسطين فهي : الإرهاب الذي بدأ بعد التقسيم بتنفيذ المذابح الجماعية كما حدث في دير ياسين (رَ : دير ياسين ، مذبحة ـ ١٩٤٨) وناصر الدين (رَ : ناصر الدين ، مذبحة) ، ونشر الإشاعات والرعب والضغط النفسي بين أهالي القرى العربية العزّل لحملهم على مغادرة قراهم إلى البلاد المجاورة ، وضرب الحصار الطويل وعزل السكان العرب عن سائر أجزاء البلد ، وقطع جميع الإمدادات عنهم كما حدث في طبرية * ، والاعتداءات المباشرة على المدنيين لطردهم من قراهم كما حدث في عين الزيتون * وصفورية * والصفصاف * .

وبعد إقامة (إسرائيل) في سنة ١٩٤٨ حُلّت جميع المنظمات الإرهابية وأدمجت في الجيش الإسرائيلي . إلاّ أن منظمة الإتسل أو الإرغون * « المنظمة العسكرية » التي قادها مناحيم بيغن منذ سنة ١٩٤٣م تحولت سنة ١٩٤٨م إلى حزب سياسي هو حزب حيروت * بزعامة بيغن ، وهو امتداد للحركة التصحيحية . وقد عارض حزب حيروت قرار الأمم المتحدة تقسيم فلسطين * انطلاقاً من ادّعائه المستمر أن لليهود الحق في استعادة « أرض ـ إسرائيل » « بحدودها التاريخية » .

لقد أسست الصهيونية العالمية (الدولة) التي أرادتها ، وعملت من أجل إنشائها بعد نصف قرن من الجهود المتواصلة بموجب قرار التقسيم الذي اتخذته منظمة الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ ورفضه العرب منذ البداية . وقد كان واضحاً لدى زعماء الصهيونية العالمية أن الدولة اليهودية التي نشأت بقرار التقسيم سنة ١٩٤٧ ، أو الدولة الأوسع التي نشأت عقب التوسع الإسرائيلي سنة ١٩٤٨ ، لن تكون سوى رأس جسر يمثل في مساحته جزءاً صغيراً من أطماعهم الأرضية ، لكنه يهيىء لهم الفرصة للاندفاع نحو تحقيق هذه الأطماع .

ولقد بدأت (إسرائيل) منذ قيامها تعدّ نفسها للتوسع . فأخذت تتحين الفرصة للتوسع نحو الشرق منذ سنة ١٩٥٥ . فمهدت في سنة ١٩٥٦ جدّياً لاحتلال الضفة الغربية للأردن في سلسلة من الهجمات التي قامت بها القوات الإسرائيلية النظامية على المواقع والقرى الأمامية في الضفة. ففي ١٣ أيلول من تلك السنة هاجمت القوات الإسرائيلية قرية الرهوة وقتلت ١٥ عربياً ، وفي ١٤ أيلول قامت بهجوم ثان على قرية الغرندل وقتلت ١٥ عربياً ، وفي ١٦ أيلول قامت بهجوم ثالث على قريتي حوسان ووادي فوقين وقتلت ٣١ عربياً ، وفي ١١ ـ ١٢ تشرين الأول هاجمت مدينة قلقيلية * (ر : قلقيلية ـ مذبحة) وقتلت ٥٠ عربياً . وقد رافقت هذه الهجمات دعاية واسعة قامت بها الصهيونية لتهيئة الرأي العام العالمي لهجوم إسرائيلي على الأردن ، لكن يبدو أن العرض الذي تقدمت به فرنسا وبريطانيا (لإسرائيل) للقيام بهجوم مشترك على سيناء هو الذي غيّر وجه الاعتداء الإسرائيلي على الأردن ، كما كان مخططاً ، إلى مصر . وكان هدف (إسرائيل) في سنة ١٩٥٦ احتلال شبه جزيرة سيناء وضمها إليها ، إلا ان الظروف لم تكن مواتية في سنة ١٩٥٦ ، فتكررت المحاولة سنة ١٩٦٧ .

أما بالنسبة إلى الحدود الشمالية فقد بدأت (إسرائيل) تطالب منذ شهر آذار ١٩٥١ بالسيادة على المنطقة المنزوعة السلاح بينها وبين سورية ، ثم استولت على هذه المنطقة . ولم تستجب (إسرائيل) لقرار مجلس الأمن الصادر في ١٩٥١/٥/١٨ للانسحاب منها . وفي مرحلة ثانية أخذت (إسرائيل) تهاجم المخافر السورية المتقدمة في عمليات متعددة (رَ : المناطق المنزوعة السلاح) .

لقد كان عدوان حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) مرحلة من مراحل التوسع الصهيوني . فقد أسفرت هذه الحرب عن احتلال أراض عربية جديدة وواسعة لا تتضمن فلسطين بحدودها الدولية المرسومة في فترة الانتداب البريطاني فحسب بل أقساماً من فلسطين الأوسع التي رسمت الصهيونية العالمية حدودها لتكون الدولة اليهودية المنشودة . وبدأت (إسرائيل) تتقدم نحو الهدف ـ هدف الاغتصاب الصريح بالضم ـ عندما أعلنت ضم الجزء العربي من مدينة القدس * . وكانت تلك أولى مراحل الضم تلاها في مرحلة ثانية ضم مرتفعات الجولان * السورية . ثم جاء الغزو الإسرائيلي للبنان في حزيران ١٩٨٢ مرحلة جديدة من مراحل تطبيق خطط التوسعية الصهيونية .

وقد سعت (إسرائيل) إلى تغليف نيّتها ضم الأراضي العربية المحتلة بالمطالبة بحدود « آمنة ومعترف بها » . وهذه الحدود الآمنة في نظرها ليست حدود الهدنة التي كانت قائمة قبل عدوان ١٩٦٧ . ولكنها في الوقت ذاته رفضت ولا تزال ترفض توضيح مفهومها لهذه الحدود الآمنة ، وتكتفي بالإدعاء أنها تعني حدوداً جديدة أوسع من الخطوط السابقة . وما زال الموقف الإسرائيلي في هذا الصدد يقوم على نقطتين : الأولى تقرير سلبي بأن الحدود الآمنة ليست هي خطوط ١٩٦٧/٦/٤ . والثانية تقرير إجرائي بأن الحدود الآمنة والقابلة للدفاع عنها يتم تحديدها عن طريق التفاوض المباشر بين الأطراف المعنية . وفي الوقت نفسه صدرت عن المسؤولين الإسرائيليين عشرات التصريحات المتضاربة حول حدود (إسرائيل) ومصير الأراضي المحتلة . ولعل أهم هذه التصريحات ما ورد في برنامج حزب العمل * الحاكم قبل انتخابات تشرين الأول ١٩٦٩ من أنه، إلى جانب القدس العربية ،يجب ان تضم سيناء وقطاع غزة ومرتفعات الجولان بصفة دائمة إلى (إسرائيل) ، على أن يكون نهر الأردن « حدود أمن » بحيث لا يجوز عبوره غرباً بقوات أجنبية . ثم عاد المؤتمر العام الأول للحزب نفسه وأكد في ١٩٧١/٤/٦ ضرورة إجراء « تغييرات هامة » في حدود (إسرائيل) ما قبل ١٩٦٧/٦/٤ فتحتفظ بالمرتفعات السورية ، والقدس ، وقطاع غزة ، وشرم الشيخ مع شريط ساحلي في سيناء يربطها (بإسرائيل) وتتحدد مساحته وفق مقتضيات الأمن ، إلى جانب حظر عبور نهر الأردن غرباً على أية قوات عربية . كذلك اجتهد بعض المسؤولين الإسرائيليين في تفسير عبارة « الحدود الآمنة » باستخدام ألفاظ جديدة غير واردة في قرار مجلس الأمن ٢٤٢ * فاستعمل وزير الخارجية الإسرائيلي آبا إيبان عبارة « الحدود التي يمكن الدفاع عنها » . ثم أضافت غولدا مائير رئيسة الوزراء (١٩٧١) عبارة « الحدود الرادعة » . وواضح من التصريحات الأكثر تحديداً حول الأراضي المرغوب في ضمها ، وما تم فعلاً من ضم القدس والجولان وبناء المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان ، أن هذين الوصفين الجديدين يمثلان محاولة للقول إن الحدود التي تريدها (إسرائيل) لنفسها هي تلك الحدود التي لا تضمن لها التوسع فيما وراء حدود الكيان الصهيوني في قرار التقسيم (١٩٤٧) فحسب وإنما أيضاً فيما وراء خطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ ، مع المكاسب الإقليمية التي حصلت عليها بالقوة في عدوان حزيران ١٩٦٧ .

وهكذا بقيت (إسرائيل) تتمسك بالأراضي العربية التي احتلتها في حرب ١٩٦٧ وفي الوقت ذاته تقيم حقائق الأمر الواقع بإنشاء المستعمرات الإسرائيلية في جميع المناطق المحتلة . وقد زاد إنشاء المستعمرات بمجيء الليكود * إلى الحكم بزعامة مناحيم بيغن في سنة ١٩٧٧ . وفي ذلك العام زار الرئيس المصري أنور السادات القدس وتلا زيارته توقيع اتفاقيات كامب ديفيد (رَ : كامب ديفيد) مع الكيان الصهيوني (١٩٧٨) . وقد تضمنت الاتفاقيات

ما سمي « الحكم الذاتي » في الضفة الغربية . والمفهوم الإسرائيلي لهذا الحكم هو إضفاء الشرعية على احتلال (إسرائيل) للضفة الغربية تحت ستار منح العرب الفلسطينيين في الضفة الغربية بعض الصلاحيات المدنية في ظل سيادة (إسرائيل) ووجودها العسكري والاستيطاني .

وتبع ذلك توقيع مصر و (إسرائيل) « المعاهدة المصرية ـ الإسرائيلية * » في ١٩٧٩/٣/٢٦ ، وبموجبها تعترف مصر (بإسرائيل) ، وتقيم معها علاقات طبيعية متخلية بذلك عن أهداف الأمة العربية والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مقابل انسحاب (إسرائيل) من سيناء .

تعزّز الاتجاه التوسعي وترعرع في ظل حكومة الليكود بظهور حركات « استيطانية » توسعية جديدة . ومن أبرز الحركات الصهيونية التي تجاهر بالتوسع الصهيوني على حساب الأرض العربية والتي ظهرت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ « حركة أرض ـ إسرائيل الكاملة * » . وقد تشكلت هذه الحركة من العناصر المتطرفة في مختلف الأحزاب الصهيونية ، ولا سيما حيروت . وجاء ظهورها بعد الحرب في أوج الموجة الشوفينية حين ساد الاعتقاد بأن الفرصة مواتية أمام (إسرائيل) كي تتوسع وتكبر فتحقق أهداف الاستراتيجية الصهيونية التوسعية . وقد رفعت هذه الحركة شعار عدم الانسحاب من « شبر واحد » من الأراضي العربية المحتلة ، ونادت بالاستمرار في إنشاء المستعمرات في جميع هذه الأراضي ، ورفعت شعار « عودة صهيون وجميع المنفيين ، واستيطان شعب إسرائيل في أرض إسرائيل » . وأكدت الحركة أن هدفها أكبر من تحقيق السلام مع العرب ، وهو : « إعادة شعب إسرائيل إلى أرض إسرائيل ، وإعادة أرض إسرائيل إلى شعب إسرائيل » .

وقد ظهرت حركات توسعية أخرى مثل حركة « غوش إيمونيم » أو « رابطة الإيمان » ، وهي حركة جماهيرية دينية متطرفة ظهرت سنة ١٩٧٤ . ومعظم أعضاء هذه الحركة من شبيبة المدارس الدينية التابعة لحزب المفدال * ومن طلاب جامعة بار ـ إيلان . وترفع هذه الحركة شعار « الاستيطان في كافة أرجاء أرض إسرائيل » . وقامت هذه الحركة منذ أواخر حكم المعراخ * وخلال حكم الليكود بإنشاء الكثير من المستعمرات في الضفة الغربية . وتعارض هذه الحركة معاهدة الصلح التي أبرمت بين (إسرائيل) ومصر ، وترفض الانسحاب من أي جزء من المناطق العربية المحتلة .

وتتعاون مع غوش إيمونيم حركة أخرى تدعى « كاخ » ، وهي أيضاً مجموعة دينية فاشية صغيرة تشكل امتداداً لعصبة الدفاع اليهودية * الإرهابية . وهي تتعاون مع غوش إيمونيم في نشاطاتها الاستيطانية وتدعو إلى طرد العرب من فلسطين بالقوة .

المراجع :

ـ أسعد رزوق : إسرائيل الكبرى ، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ صبري جريس : تاريخ الصهيونية ١٨٦٢ ـ ١٩١٧ ، بيروت ١٩٧٧ .
ـ وزارة الدفاع الوطني ـ الجيش اللبناني ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ إبراهيم شحاتة : الحدود الآمنة والمعترف بها ، بيروت ١٩٧٤ .
ـ الكتاب المقدس : العهد القديم ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٠ .

تـوفة : رَ : ابن هنوم (وادي ـ)

التوفيق (لجنة ـ الدولية) :

أنشئت لجنة التوفيق التابعة للأمم المتحدة والمختصة بالقضية الفلسطينية بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٩٤ (الدورة الثالثة) الصادر بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١١ ، وضمت في عضويتها كلا من فرنسا وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية . وقد نص القرار على أن تضطلع اللجنة بالمهام التي كانت أوكلت لوسيط الأمم المتحدة سابقا الكونت برنادوت " بقدر ما ترى أن الظروف القائمة تستلزم ذلك " وأن تتخذ من الخطوات ما يساعد الحكومات والسلطات المعنية على التوصل إلى تسوية سلمية ، إما تحت رعاية اللجنة أو عن طريق المفاوضات المباشرة وفق توجيهات الجمعية العامة أو مجلس الأمن . كما كلّف القرار اللجنة بتقديم مقترحات إلى الدورة الرابعة للجمعية العامة تهدف إلى إقامة نظام دولي دائم للقدس ، وبتسهيل عودة اللاجئين وإعادة توطينهم وتأهيلهم اقتصاديا واجتماعيا .

ما لبثت لجنة التوفيق أن لمست مدى التباعد بين مواقف العرب ومواقف الإسرائيليين فقررت أن تركز جهودها على معالجة مشكلة اللاجئين أولا عسى أن يكون في ذلك تمهيد لإيجاد تسوية شاملة . وكان العرب يصرّون على إيجاد الحل العادل لمأساة الفلسطينيين المهجّرين قبل تناول أي بحث آخر بينما كان الإسرائيليون يصرّون على تعليق البحث في مسألة اللاجئين الفلسطينيين إلى أن يتحقق السلام أولا . على أن الموقف الإسرائيلي تدرّج فيما بعد إلى رفض عودة اللاجئين رفضا قاطعا ، وإلى تشجيع الهجرة الصهيونية إلى

فلسطين * بأعداد كبيرة حتى تستقيم الذريعة القائلة إنه لا مكان للاجئين العرب .

وهكذا اصطدمت جهود اللجنة بعقبات أساسية وان أفلحت في إحراز بعض التقدم في مسائل ثانوية كقبول الأردن وسورية استقبال عدد من اللاجئين الذين قد يقررون عدم العودة والاكتفاء بالتعويض ، وكتأليف لجان مشتركة من الطرفين للإفراج عن أرصدة اللاجئين العرب المجمدة في المصارف الإسرائيلية ، وكقبول (إسرائيل) عودة عدد محدود من اللاجئين الذين ظلت عائلاتهم في الأراضي التي وقعت تحت الاحتلال الإسرائيلي . غير أن حل قضية اللاجئين ككل كان أبعد منالا . فرأت اللجنة في آب ١٩٤٩ معالجة الموضوع أولاً من الناحية الاقتصادية ، فأنشأت بعثة للمسح والاستكشاف برئاسة الخبير الأمريكي غوردون كلاب رئيس هيئة تنمية وادي التنسي (في الولايات المتحدة)، وكلفتها دراسة الوضع الاقتصادي الذي خلفته الحرب في الشرق الأدنى ، ووضع التوصيات فيما تراه من وسائل لإعادة دمج اللاجئين في حياة المنطقة الاقتصادية ، وتهيئة الشروط الاقتصادية الصالحة لإحلال سلم دائم .

انصرفت آمال بعثة " كلاب " إلى إنشاء مشاريع كبرى تقدم العمل لأعداد كبيرة من اللاجئين فضلا عمّا تحققه من تنمية واستثمار . ولكنها اصطدمت في تصوراتها بالعوامل السياسية الكأداء التي كانت تفصل بين العرب و(إسرائيل)، فما من مشروع شامل كاستغلال مياه الأردن بمكن الإنجاز دون تعاون وثيق بين الدول العربية و(إسرائيل) . وكان هذا التعاون مستحيلا . فخلصت البعثة إلى أن التخطيط الهندسي لأي مشروع لا ينفصل عن التخطيط السياسي وأن المنطقة ليست على استعداد لتقبل مشاريع التعاون الكبرى .

عدلت البعثة عندئذ عن المشاريع الكبرى ، وأوصت بتحقيق عدد من مشاريع صغرى رائدة نموذجية كأعمال الريّ وشق الطرق وإنشاء السدود أملا في أن تقدم عملا لبعض اللاجئين ، وتكون سابقة تجريبية مفيدة ، وتصلح منطلقا لمشاريع أضخم . وانسجاما مع رأيها هذا أوصت الجمعية العامة بأن تنشىء وكالة خاصة وتزودها بالأموال الكافية لتتولى إغاثة اللاجئين الفورية وإيجاد أعمال استثمارية ، وطلبت أن تكون مدة ولايتها ١٨ شهراً كما طلبت إلى الدول العربية أن تسهم بتمويلها عن طريق تقديم المواد والأدوات والأجهزة .

أنشأت الجمعية العامة هذه الوكالة بموجب قرارها ٣٠٢ (الدورة الرابعة) الصادر في ١٩٤٩/١٢/٨ تحت اسم وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * وفوضتها بانفاق مبلغ ٥٤,٩٠٠,٠٠٠ دولار على برامج الإغاثة والتشغيل . وحدّدت ولايتها بثمانية عشر شهرا . وفيما كانت (إسرائيل) تصر على عدم السماح للاجئين بالعودة أصدر مجلس جامعة الدول العربية في دورته المنعقدة في حزيران ١٩٥٠ بيانا يسمح فيه للدول أعضاء الجامعة بقبول إقامة المشاريع إذا كانت لا تخل بحق اللاجئين بالعودة أو بالتعويض . وابتدأت على أثر ذلك مصر والأردن ولبنان وسورية بالتشاور مع الوكالة على مشاريع التشغيل .

وقد شجع ذلك الجمعية العامة على تجديد ولاية الوكالة وتمويلها ، غير أنها في قرارها ٣٩٤ (الدورة الخامسة) المتخذ في ١٩٥٠/١٢/١٤ طلبت إلى كل من العرب والإسرائيليين الدخول بدون تأخير بمحادثات مباشرة أو غير مباشرة تحت رعاية لجنة التوفيق للعمل على حل المسائل المختلف عليها . كما خوّلت لجنة التوفيق إقامة مكتب خاص للاجئين ينصرف للعمل على تطبيق البند الحادي عشر من القرار ١٩٤ المتعلق بحق اللاجئين بالعودة أو التعويض ، ويتابع التشاور مع العرب والإسرائيليين لحماية أملاك اللاجئين ومصالحهم . ولكن لجنة التوفيق أقرت سنة ١٩٥١ بأن الأمل ضعيف بحل أية مشكلة عربية ـ إسرائيلية في المستقبل القريب ، وركزت جهودها على مسائل فرعية ذات إطار محدود قد تتوافر فيها فرص التقدم كالإفراج عن الأرصدة المجمّدة في المصارف الإسرائيلية . كذلك تناولت بالدرس المراحل الفنية والقانونية لمشكلة التعويض وتخمين قيمة ممتلكات اللاجئين . ولكنها عجزت عن إدراك غرضها في الحل الشامل فأقنعتها الولايات المتحدة الأمريكية ـ وهي عضو فيها ـ بمحاولة أخرى ، فدعت اللجنة إلى مؤتمر في باريس يعقد في أيلول ١٩٥١ ، وأقنعت (إسرائيل) والدول العربية بالاشتراك فيه .

كان رأي لجنة التوفيق في مؤتمر باريس أن الظروف قد تغيرت عما كانت عليه سنة ١٩٤٨ ولم يعد من المعقول أن يعود كل اللاجئين إلى وطنهم . واقترحت على (إسرائيل) أن تقبل عددا محدودا يمكن دمجه في الاقتصاد الإسرائيلي على أن توطن الدول العربية بقية اللاجئين ، وتعوّض (إسرائيل) على هؤلاء بمبلغ اجمالي يُجري تخمينه مكتب اللاجئين ويأخذ بعين الاعتبار قدرات (إسرائيل) المالية .

أثارت هذه المقترحات معارضة العرب الذين رأوا فيها خروجا على مقررات الأمم المتحدة ، واعتراضات (إسرائيل) التي أصبحت تدّعي أنه حصل " تبادل سكاني " بعد أن هاجر مئات الآلاف من اليهود من موطنهم الأصلي في الدول العربية ، وبعد أن سنّ العراق سنة ١٩٥١ قانونا يجعل الإشراف على الممتلكات اليهودية وتمتلكات اليهود الذين هاجروا منها من سلطة الحكومة العراقية وطالبت

(إسرائيل) بأن يتحمل العرب بعد الآن مسؤولياتهم في التعويض عن هذه الممتلكات اليهودية في أية محادثات تعقد في المستقبل .

وهكذا لم يحقق مؤتمر باريس أي تقدم ، ولم يبق للجنة التوفيق إلاّ الاستمرار في مساعيها للإفراج عن الأرصدة المجمدة ، كما ظلت ولاية وكالة الإغاثة تتجدد سنة بعد سنة .

وفي الدورة الرابعة عشرة عام ١٩٥٩ طلبت الجمعية العامة مجددا إلى لجنة التوفيق بذل جهود إضافية لتأمين تطبيق البند الحادي عشر من القرار ١٩٤ ومؤداه حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة أو التعويض . وعادت لجنة التوفيق تجد المصاعب في مهمتها ، ثم فكرت بأنه قد يمكن إحراز تقدم ما في النواحي الاقتصادية فعيّنت في آب ١٩٦١ الدكتور جوزيف جونسون رئيس مؤسسة كارنغي الأمريكية للسلام الدولي ممثلا خاصا لاستكشاف الوسائل العملية لمعالجة قضية اللاجئين ، والاتصال لهذا الغرض بالإسرائيليين والعرب .

وضع الدكتور جونسون عددا من المقترحات ، وبدأ يسبر موقف الطرفين منها . وكانت مقترحاته أن يطلب من كل لاجىء الإعراب بحرية عمّا إذا كان يفضل العودة أو التوطن خارج وطنه الأصلي ، وأن تضمن " مصالح إسرائيل الأمنية المشروعة " فتتمكن من ردّ طلبات العرب والتوطين على شكل متدرج متزامن ، خطوة بعد خطوة ، وأخيراً أن ينشأ صندوق خاص تسهم فيه (إسرائيل) بمبلغ كبير للتعويض عن الأملاك العربية ، والمساعدة على توطين اللاجئين حتى يصبحوا قادرين على إعالة أنفسهم . وجعل للأمم المتحدة الدور الرئيسي في الإشراف على مراحل هذا المنهاج (ر : جونسون ، مشروع جوزيف) .

أخذ العرب على منهاج جونسون تشديده على توطين الفلسطينيين خارج ديارهم بدل العودة إليها . وأخذ عليه الإسرائيليون تضمنه مبدأ العودة الذي يرفضونه . فأعلن جونسون فشله في مهمته في ١٩٦٣/١/٣ .

وحين دعت الجمعية العامة في دورتها الثامنة عشرة عام ١٩٦٣ لجنة التوفيق للاستمرار في جهودها بدأت (إسرائيل) معارضتها لإحياء نشاط اللجنة بينما طالب العرب بتوسيع عضويتها مقترحين تعيين حارس قضائي على أملاك اللاجئين ، وقد رفضت (إسرائيل) ذلك رفضا قاطعا .

وعشية حرب ١٩٦٧ * لم يكن قد بقي للجنة التوفيق من عمل سوى الاستمرار في عملية الإفراج عن الأرصدة ومحاولة إعداد جداول بأسماء المالكين .

وكانت مشكلة اللاجئين تتفاقم من جرّاء زيادة أعدادهم بسبب ارتفاع نسبة التوالد وزيادة حاجاتهم المعاشية في حين ظلت قرارات الجمعية العامة حبرا على ورق . وجاءت حرب حزيران ١٩٦٧ لتزيد من تعقيد المشكلة برمتها وتجعل التسوية الشاملة أبعد ما تكون عن التحقيق .

ومنذ عام ١٩٦٩ بدأت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وبتصاعد ملحوظ ، تتعامل مع قضية الشعب الفلسطيني بطريقة أخرى تنم عن اعترافها لهذا الشعب ليس بحق العودة * المشروط كما كانت سيرتها بموجب القرار ١٩٤ (الفقرة ١١) بل بحق العودة المطلق وحق تقرير المصير * مما جعل مهمة لجنة التوفيق هذه تضمحل عمليا .

المراجع :

ـ فريد خوري : المعضلة العربية الإسرائيلية ، (بالإنكليزية) نيويورك ، ١٩٧٧ .

ـ محاضر جلسات الجمعية العامة .

ـ قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الإسرائيلي .

توفيق إبراهيم (ـ ١٩٦٦) :

واحد من القساميّين ، ومن قادة الثورة العربية الفلسطينية الكبرى (رَ : ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) . وقد كني بأبي إبراهيم الصغير تمييزا له من خليل محمد عيسى * القائد القسّامي الذي عرف بكنية أبي إبراهيم الكبير .

ولد في قرية أندور * قضاء الناصرة ، وأخذ يشارك في الكفاح الوطني المقاوم للصهيونيين وللاستعمار البريطاني منذ نعومة أظفاره . التحق بحركة الشيخ المجاهد عز الدين القسام * وخاض معه معركة أحراش يعبد في تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ التي استشهد فيها القسام مع نفر من أصحابه (ر : ثورة ١٩٣٥) .

وفي الثورة الفلسطينية الكبرى أسندت إليه قيادة بعض المناطق في لواء الجليل فقام بأعمال باهرة ، ومنها مهاجمة الدوريات البريطانية والمستعمرات الصهيونية ، كما هاجم مقر حاكم طبرية الإنكليزي فاستولى على ما فيه من أوراق وملفات . وحين انتهت هذه الثورة لجأ إلى سورية ، ثم عاد إلى فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٨ أسندت إلى توفيق إبراهيم قيادة قوة تابعة للهيئة العربية العليا * قوامها ٢٠٠ مناضل مسلح اتخذت مدينة الناصرة * مركزا لها ، وشاركت في الدفاع عن المدينة (رَ : الناصرة ، معارك) ، وفي رد القوات الصهيونية عن القرى القريبة

منها . ومن أبرز المعارك التي خاضها معركة عين ماهل (رَ: كفر كنا وعين ماهل ، معركة) فقاد عددا من رجال الجهاد المقدس (رَ : جيش الجهاد المقدس) ، واستطاعوا أن يلحقوا بالقوات الصهيونية خسائر كبيرة ، ويستردوا منها أراضي عشائر الصبيح . كما أبلى بلاء حسنا في معارك الشجرة * التي استمرت طويلا قبل أن تسقط القرية بأيدي القوات الصهيونية في ١٩٤٨/٧/١ .

لجأ بعد النكبة إلى دمشق ، وفيها استقر ، وتوفي ، ودفن .

كان توفيق ابراهيم مناضلا قوي الشكيمة طاهر النفس صلب العود لا تأخذه في الدفاع عن وطنه وفي موقف الحق لومة لائم . وقد قال أحد قادة العدو في وصفه إنه " القروي العربي الجليلي صلب العود المحارب العنيد الجريء . ولقد أحسسنا في منطقة شرقي الناصرة بحركة قتال منتظم ، ولمسنا فيه اليد المحركة الخبيرة في قيادة العصابات " .

المراجع :

ـ عارف العارف : النكبة ، ج ١ ، ٢ ، ٣ ، بيروت .
ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، بيروت ١٩٧٩ .
ـ أكرم زعيتر : اليوميات ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج٧، ق٢، بيروت ١٩٧٤ .

توفيق أبو الهدى (١٨٩٥ ـ ١٩٥٦) :

سياسي ولد في مدينة عكا * وأتم فيها دراسته الابتدائية، ثم أكمل دراسته الثانوية في مدرسة سلطاني بيروت ، والتحق بعدها بكلية الحقوق في الأستانة .

خدم في الجيش العثماني ، ثم انضم إلى الأمير فيصل وعمل في الإدارة العربية في دمشق بين سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ ، وبعد تأسيس إمارة شرقي الأردن انتقل إليها وتولى عددا من المناصب في وزارة المالية ، ثم عين مديرا عاما لدائرة تسجيل الأراضي فمديرا للمصرف الزراعي سنة ١٩٣٣ .

عهد إليه بتشكيل الوزارة الأردنية في سنة ١٩٣٨ ، وقد ترأس الوزارة الأردنية خمس مرات بين سنتي ١٩٣٨ و١٩٤٤ .

عين سنة ١٩٤٥ وزيرا للخارجية في حكومة إبراهيم هاشم . ثم أسندت إليه بعد استقالته إدارة المشروع الإنشائي العربي * بالقدس .

وفي سنة ١٩٤٧ عهد إليه للمرة السادسة بتشكيل الوزارة الأردنية . وبقي في رئاسة الوزارة حتى سنة ١٩٥٠ حين قدم استقالته . ولكنه ما لبث أن عاد إلى رئاسة الوزارة بعد اغتيال الملك عبد الله سنة ١٩٥١ ، وظل في منصبه حتى سنة ١٩٥٣ .

وقد تولى مجددا رئاسة الوزارة الأردنية من سنة ١٩٥٤ حتى سنة ١٩٥٥ .

توفي أبو الهدى منتحرا في تموز سنة ١٩٥٦ بعمان ودفن فيها .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : أعلام الفكر والأدب في فلسطين ، عمان ١٩٧٦ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة ، ج ١ ، بيروت ١٩٧٩ .

توفيق حماد (١٨٦٠ ـ ١٩٣٤) :

أحد رجالات الرعيل الأول في فلسطين . ولد في مدينة نابلس * وتلقى دراسته الأولية فيها ، ثم واصل دراسته حتى أتقن مع لغته العربية اللغة التركية . وكان منذ مطلع شبابه ذا شخصية قوية فرضت زعامتها على أبناء جيله .

كان أول عمل رسمي تولاه هو رئاسة قلم كتاب المتصرفية ، ثم خاض غمار الحياة السياسية فشارك في تأسيس كتلة تزعمها الشيخ عباس الخماش وضمت عدداً من رجال مدينة نابلس ولوائها ، وعرفت باسم « الجمعية » لمناواة الإقطاع والحد من التسلط العائلي . ثم تولى توفيق حماد زعامتها بعد انتقال الشيخ الخماش إلى حمص ، وانضم إليها أعضاء من نابلس وجنين * وطولكرم * فقوي نفوذها وعظم تأثيرها .

انتخب توفيق حماد رئيسا لبلدية نابلس (١٩٠٢ ـ ١٩٠٨) فأنشأ مستشفى وطنيا إسلاميا في نابلس بعد قيام المستشفى الإنكليزي التبشيري ، وكان الوحيد في مدينته ، وأسس لهذه الغاية جمعية وجمع التبرعات حتى تم إنشاء المستشفى وتجهيزه .

ثم انتخب عقب إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ عضوا في مجلس المبعوثان * نائبا عن مدينة نابلس ، وقد أعيد انتخابه لدورتين تاليتين إلى أن تم تعطيل المجلس بعيد إعلان الحرب العالمية الأولى .

وبعد أن احتل الإنكليز فلسطين تولى توفيق حماد رئاسة الجمعية الإسلامية المسيحية في نابلس (رَ : الجمعيات الإسلامية ـ المسيحية) ، وقاد الحركة الوطنية في مدينته ، ومثّلها في المؤتمرات الفلسطينية ، وتولى نيابة رئاسة لجانها التنفيذية (رَ : المؤتمر العربي

الفلسطيني) . وقد انتخبه المؤتمر الفلسطيني الرابع في جلسته المنعقدة في القدس يوم ١٩٢١/٦/٤ عضوا في الوفد الفلسطيني إلى لندن (رَ : الوفود العربية الفلسطينية إلى لندن) ، وكان نائبا لرئيسه موسى كاظم الحسيني * ، وقد عرف بصلابته أثناء مفاوضات الوفد مع تشرتشل وزير المستعمرات البريطاني وأعضاء مجلس اللوردات . وفي أثناء ذلك انتدبه الوفد لحضور المؤتمر السوري ـ الفلسطيني * الذي عقد في جنيف في أيلول ١٩٢١ ، وانتخب نائبا لرئيسه . وقد قرر ذلك المؤتمر المطالبة باستقلال سورية ولبنان وفلسطين ، ورفض الانتدابين الإنكليزي والفرنسي ، وأعلن حق كل قطر في الاتحاد مع القطر الآخر، ومع أي قطر عربي ، ورفع مذكرات بهذه المطالب إلى عصبة الأمم * ، وإلى المحافل السياسية الدولية ، وانبثقت عنه لجنة تنفيذية تقرر أن تكون القاهرة مقرا لها .

وعلى أثر ثورة البراق سنة ١٩٢٩ (رَ : ثورة ١٩٢٩) دعي توفيق حماد للإدلاء بشهادته أمام لجنة التحقيق التي قدمت إلى فلسطين فكان لشهادته تأثيرها ، ونوهت اللجنة بها في تقريرها .

حضر توفيق حماد المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في القدس سنة ١٩٣١ وانتخب عضوا في لجنته التنفيذية (رَ : المؤتمر الإسلامي العام) . توفي في مدينته نابلس ودفن فيها ، وقد عرف بتدينه ونزعته المحافظة وأنفته وصلابته وقوة شخصيته ومهابته وأناقة ملبسه وحسن خطه وشغفه بالرسم .

المراجع :

ـ أكرم زعيتر : وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩)، بيروت ١٩٧٩ .

ـ أمين سعيد : الثورة العربية ، القاهرة .

ـ محمد عزة دروزة : حول الحركه العربية الحديثة ، بيروت ١٩٥١ .

توفيق الدجاني (١٨٧٠ ـ ١٩٥٨) :

عالم ديني عمل في الميدان الوطني الفلسطيني . ولد في يافا * وتوفي أبوه الشيخ عبد الله الدجاني وهو صغير فكفله أخوه الشيخ سعيد الدجاني الذي كان عالما وشاعرا فتلقى العلم منه ، ثم درس في الأزهر . ولما عاد من مصر اشتغل في المحاماة . وكانت له مكتبة غنية بالكتب .

عين رئيسا لدائرة المعارف بيافا . ولما توفي مفتي يافا الشيخ علي أبو المواهب انتخب مفتيا خلفا له . وخلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ أبعدته الحكومة التركية هو وعائلته إلى الأناضول ، كما أبعدت زميليه مفتيي الخليل وغزة . وقد اصطحب إلى منفاه في قره جه بك (بلدة صغيرة في ولاية بورسة) مكتبته الكبيرة فانكب وأسرته على المطالعة . ثم نقلوا إلى قونية حتى نهاية الحرب ، ثم عاد إلى يافا سنة ١٩١٨ . وعرف بعد ذلك بما كان يجمعه من معونات لتزويد الحركات الثورية العربية كالثورة السورية وثورة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي . وكان بيته مضافة لكبار القادمين إلى يافا مثل عبد الله النديم . وقد اضطر عام ١٩٤٨ إلى النزوح عن يافا إلى الزرقاء في شرقي الأردن حيث توفي . وقد عرف بنظم الشعر .

توفيق صايغ (١٩٢٣ ـ ١٩٧١) :

ولد توفيق صايغ في قرية خربا من أعمال حوران في سورية . وفي ١٩٢٥ انتقل والده القس عبد الله صايغ مع عائلته إلى البصة * شمالي فلسطين ثم إلى طبرية * في ١٩٣٠ . وبقي والده قسيسا للمدينة حتى ١٩٤٨ حين هاجرت العائلة إلى بيروت .

تلقى توفيق دروسه الابتدائية في طبرية (١٩٣١ ـ ١٩٣٧) ، والثانوية في الكلية العربية * في القدس * (١٩٣٧ ـ ١٩٤١) ، والجامعية في الجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) . عمل استاذا في مدرسة الروضة في القدس، ثم عمل فترة قصيرة في دائرة الترجمة في حكومة فلسطين ، ثم استاذا للأدب العربي في الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم أمينا لمكتبة المركز الثقافي الأمريكي في بيروت (١٩٤٨ ـ ١٩٥٠) ، وكان في تلك الفترة محررا لمجلة « صوت المرأة » .

عمل توفيق من ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩ محاضرا في الدائرة العربية في جامعة كامبردج ، وكان محاضرا في جامعة لندن من ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢ . ثم عاد إلى بيروت وأصدر مجلة « حوار » حتى ١٩٦٧ حين أوقفها ، ثم عين أستاذا زائرا في دائرتي الأدب المقارن ولغات الشرق الأدنى في جامعة بكاليفورنيا (بيركلي) (١٩٦٩ ـ ١٩٧١) إلى أن وافته المنية يوم ١٩٧١/١/٣ ودفن هناك .

تعمق توفيق صايغ في الآداب الغربية ، وتأثر بالكتاب المقدس . كتب شعرا ذا صبغة دينية صوفية وجد فيه النقاد أصداء من الشاعرين الإنكليزيين جورج هوبرت ورتشارد كراشو ، وملامح من بليك أحد المهّدين لرومانسية القرن التاسع عشر ، وقرنوا بين فكرة النفي في شعره وإحساسه بأنه فلسطيني منفيّ يحمل معاناته .

يدور شعر توفيق صايغ حول قضية الاغتراب : تجاه الوطن وتجاه الحبيبة ، والاغتراب تجاه الله . تشهد دواوين صايغ الثلاثة

التي صدرت خلال عشرة أعوام (١٩٥٤ ، و١٩٦٠ ،و١٩٦٣) خطّاً تصاعديا واضحا ينطلق ببساطة وبراءة وينتهي بالتعقيد والتجربة المرّة . يمتاز أسلوب صايغ بالجدة ، إذ أنه يرتكز على تلقيح ثقافة الشاعر الشرقية بأطروحات الغرب الشعرية إضافة إلى شاعرية تضرب جذورها في التراث والدين .

مؤلفاته : ثلاث مجموعات شعرية : « ثلاثون قصيدة » ، بيروت ١٩٥٤ .

و« القصيدة ك » بيروت ١٩٦٠ .

و« معلقة توفيق صايغ » بيروت ١٩٦٣ .

ومن كتاباته :

« أضواء جديدة على جبران » بيروت ١٩٦٦ .

كتب مقدمة « عبر الأرض البوار » لكتاب جبرا ابراهيم جبرا « عرق وقصص أخرى » ، بيروت ١٩٥٦ .

« خمسون قصيدة من الشعر الأمركي » ، دمشق ١٩٦٣ .

ترجم « رباعيات أربع » للشاعر الإنكليزي إليوت ، بيروت ١٩٧٠ .

المراجع :

ـ ندى الشريف : **توفيق صايغ : سيرته ـ أدبه** ، بيروت ١٩٧٢ .

ـ عيسى بلاطة : الكركدن المحاصر ، دراسة حول توفيق صايغ ، **مجلة شؤون فلسطينية** ، شباط ١٩٧٤ .

ـ رياض نجيب الريس : **البحث عن توفيق صايغ** ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ غالي شكري : اتجاه السهم لحركة الشعر الحديث ، **مجلة حوار** ، آذار ـ نيسان ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ جبرا إبراهيم جبرا : ضغوط النار والجوهر الصلب : توفيق صايغ كما عرفته، **مجلة شؤون فلسطينية** ، أيار ، بيروت ١٩٧١ .

ـ محمود شريح : **توفيق صايغ : بحاثة عن الأحرف ك ا ي وعن الكركدن** ، **صحيفة « النهار »** ، ١٩٧٨/١٠/٢٩

— Salma Khadra Jayyusi: **Trends and Movements in Modern Arabic Poetry,** Leiden, Brill, 1977.

توفيق كنعان (١٨٨٢ ـ ١٩٦٤) :

طبيب ولد في بيت جالا * . وبعد أن أنهى دراسته في مسقط رأسه وفي القدس * التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج فيها طبيباً سنة ١٩٠٥ . وقد مارس الطب في مجالات مختلفة عسكرية ومدنية . واشتهر بوصفه أقدم طبيب عربي في مدينة القدس . وقد أعانته إجادته ست لغات أجنبية على كتابة بحوث طبية وثقافية وسياسية وفولكلورية كتب معظمها باللغة الإنكليزية والألمانية وترجمت إلى العربية ، منها :

١) الموت أم الحياة (١٩٠٨) .

٢) الطب الشعبي في أرض الكتاب المقدس .

٣) أولياء المسلمين ومقدساتهم (١٩٢٧) .

٤) قضية عرب فلسطين (١٩٣٦) .

٥) الصراع في أرض السلام (١٩٣٨) .

في عام ١٩٢٧ أصبح رئيسا لجمعية الاستشراق الفلسطيني ، ورئيسا لتحرير مجلتها *Journal of Palestine Oriental Society (JPOS)* ، تلك المجلة التي عرفت بتخصصها في الدراسات الأثرية والتاريخية والجغرافية والفولكلورية والتي تدور حول الثقافة الفلسطينية . وقد وصفته الدكتورة هيلما جرانكفيست بأنه " باحث محنك تمرّس في دراسة المأثورات الشعبية الفلسطينية " . وظل الرجل على نشاطه المعهود يقرأ ويكتب ويجمع المادة الفولكلورية ويلقي المحاضرات في هذا المجال .

يعدّ الدكتور كنعان رائد حركة إحياء الفولكلور الفلسطيني . وتتميز أعماله بالدقة العلمية ، وبأنها ثمرة عمل ميداني لا يرقى إليه الشك . ومن أبرز هذه الأعمال دراساته عن المزارات والأولياء في فلسطين ، والبيت الشعبي، والمعتقدات الشعبية ، وحول الماء والآبار والينابيع والأواني السحرية ، والجن والأرواح ، والنور والظلام ، وفولكلور النبات في فلسطين . . الخ .

ولما تترجم هذه الأعمال إلى العربية وتنشر كوثيقة عن مأثورات شعب فلسطين .

توفي توفيق كنعان في القدس .

المراجع :

ـ يعقوب العودات : **من أعلام الفكر والأدب في فلسطين** ، عمان ١٩٧٦ .

ـ نمر سرحان : دراسات توفيق كنعان في الفولكلور الفلسطيني ، **مجلة شؤون فلسطينية** ، العدد ١٦ كانون الأول ١٩٧٢ .

تيتو (مشروعا ـ) :

كان جوزيف بروز تيتو رئيس الجمهورية الاتحادية اليوغوسلافية من أشد المعارضين للعدوان الإسرائيلي على الدول العربية في حزيران ١٩٦٧ (رَ : حرب ١٩٦٧) . وقد شجب سلوك (إسرائيل) العدواني في أكثر من مناسبة ، وبذل جهودا ملحوظة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط (رَ : يوغسلافيا) . ففي شهر آب ١٩٦٧ قام بجولة شملت كلا من مصر وسورية والعراق . وبعد انتهاء زيارته هذه بعث برسائل إلى عدد كبير من رؤساء الدول (السيدة أنديرا غاندي والجنرال شارل ديغول والرئيس

ليندون جونسون والرئيس هارولد ويلسون والإمبراطور هيلاسيلاسي والرئيس بودغورني . . الخ) وإلى الأمين العام للأمم المتحدة أوثانت . وقد أوضح وزير خارجية يوغسلافيا في ١٩٦٧/٩/١٨ الأفكار الرئيسة التي تضمنتها رسائل تيتو . كذلك تناقلت الصحف ووكالات الأنباء العالمية أن الرئيس تيتو كان قد حمل معه أثناء زيارته للأقطار العربية مشروع سلام يتضمن ما يلي :

١) انسحاب القوات الإسرائيلية تحت إشراف مراقبي الأمم المتحدة من الأراضي العربية التي تحتلها منذ نشوب القتال في الخامس من حزيران ١٩٦٧ .

٢) يتولى مجلس الأمن أو الدول الأربع الكبرى ضمان جميع دول المنطقة وحدودها كما كانت قبل الخامس من حزيران ١٩٦٧ ريثما يتم وضع حل نهائي للقضايا المتنازع عليها . ولتحقيق هذه الغاية يمكن وضع قوات دولية على جانبي الحدود .

٣) حرية المرور لجميع السفن في مضائق تيران إلى حين صدور قرار من محكمة العدل الدولية .

٤) تكون الملاحة في قناة السويس كما كانت عليه قبل الخامس من حزيران (أي يستمر منع السفن الإسرائيلية من المرور فيها) .

٥) يتخذ مجلس الأمن الدولي بعد تنفيذ هذه الإجراءات خطوات لحل القضايا الأخرى المتنازع عليها وفي مقدمتها مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، وقضية مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس. ويجري اتخاذ هذه الخطوات بمساهمة مباشرة من الفرقاء المعنيين .

رفضت (إسرائيل) مقترحات تيتو وأفكاره ، وشدد آبا إيبان وزير خارجيتها ، في معرض رفضه ، على أن (إسرائيل) لن تعود بشكل من الأشكال إلى حدودها القديمة لأن فيها تهديدا لأمن (إسرائيل) ووجودها . وطالب بعقد معاهدة سلام واضحة وملزمة مع الدول العربية باعتبارها الحل الوحيد الممكن للأزمة .

وترددت أنباء في القاهرة أن الرئيس عبد الناصر نفسه لم يقبل مشروع السلام اليوغسلافي . كما ذكرت بعض الصحف الأجنبية (نيوزويك الأمريكية والجويش كرونيكل اللندنية) أن تيتو فشل في إقناع الدول العربية التي زارها بمشروعه ، مما اضطر المسؤولين اليوغسلافيين إلى أن ينفوا وجود مشروع يوغسلافي للسلام . لكن تيتو كان قد أدلى قبل انتهاء جولته السابقة بتصريح قال فيه : " إن هناك تفاهما بيننا (بين يوغسلافيا والدول العربية والدول الصديقة) على ما سوف يتخذ من إجراءات لحل هذه الأزمة (أزمة الشرق الأوسط) حلا سياسيا " .

أما على الصعيد العالمي فقد لقيت أفكار الرئيس تيتو ردود فعل متفاوتة . فقد ذكر أن عددا من الدول مثل فرنسا والاتحاد السوفييتي والهند رحبت بمشروع تيتو للسلام في حين استقبلته المراجع الأمريكية والبريطانية بفتور كبير لأنه - في زعمها - لا يدعو العرب إلى إنهاء حال الحرب مع (إسرائيل) ، ولا يتضمن أية خطوة فورية لتأمين مرور السفن الإسرائيلية في قناة السويس ، ولأن الإسرائيليين لا يقبلون مرابطة مراقبي الأمم المتحدة في أراضيهم ، وأخيرا لأن انسحاب (إسرائيل) من القدس العربية ليس أمرا عمليا كما ترى هذه المراجع .

كل هذا يعني أن الرئيس تيتو كان قد طرح فعلا مشروع سلام ، أو على الأقل أفكارا معينة لتحقيق تسوية للأزمة العربية - الإسرائيلية . غير أن عدم موافقة الأصدقاء العرب عليها حمل أوساط بلغراد الرسمية على إنكارها حرصا على استمرار العلاقات العربية - اليوغسلافية الودية .

وفي أوائل عام ١٩٦٨ حاول الرئيس تيتو مرة أخرى حل مشكلة الشرق الأوسط وتقديم مقترحات جديدة بعدما قابل ناحوم غولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية * ورئيس المؤتمر الصهيوني * ، وبعدما زار مجموعة من بلدان إفريقيا وآسيا ، ومنها مصر حيث اجتمع بالرئيس جمال عبد الناصر * وتباحث معه بشأن مشكلة الشرق الأوسط . ونقلت في ١٩٦٨/٢/٨ أنباء عن بلغراد تفيد أن الرئيس تيتو حصل على موافقة الرئيس المصري وغيره من زعماء العالم الثالث على مشروع لتسوية الأزمة في المنطقة . أما مضمون هذا المشروع فقد شرح الرئيس اليوغسلافي بعض أفكاره حول ذلك في مؤتمر عقده في القاهرة يوم ١٩٦٨/٢/٧ . وتتركز هذه الأفكار في النقاط التالية :

١) حل مشكلة الشرق الأوسط هو في يد الولايات المتحدة الأمريكية . ولا يمكن أن تحل الأزمة إلّا بانسحاب القوات الإسرائيلية من المناطق المحتلة . ومن الصعب الاعتقاد بأن (إسرائيل) لن تطيع الولايات المتحدة إذا قررت واشنطن أن تضغط عليها من أجل الوصول إلى تسوية سلمية لمصلحة الطرفين ، وليس على حساب البلدان العربية فقط .

٢) على القوات الإسرائيلية الانسحاب من المناطق المحتلة بشرط أن يتبع ذلك إعلان بإنهاء حالة الحرب بين الطرفين ، والبدء بالمفاوضات ، والاتفاق على المرور الحر للسفن الإسرائيلية في خليج العقبة * . وبعد ذلك يتم التوصل تدريجيا إلى تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومسألة الملاحة في قناة السويس .

٣) إقامة مناطق منزوعة السلاح على الحدود العربية - الإسرائيلية .

وقبل أن يغادر الرئيس تيتو القاهرة هذه المرة دان (إسرائيل) لأنها وضعت العراقيل أمام الحل السياسي ، وامتدح

الدول العربية التي تظهر دلائل على استعدادها للإقرار بوجود (إسرائيل) ، ولقبول حل سياسي للنزاع معها ما دام يضمن انسحاب القوات الإسرائيلية من كافة أراضيها واعترافها بحقوق اللاجئين الفلسطينيين .

رفضت (إسرائيل) المقترحات اليوغسلافية الجديدة ، وأصر إيبان على إجراء مفاوضات مباشرة بين (إسرائيل) والدول العربية .

والظاهر أن الرئيس عبد الناصر نفسه أدرك عدم جدوى الحماسة لمشروع تيتو في ضوء الموقف المتعنت (لإسرائيل) وحلفائها منه فأعلنت سفارة الجمهورية العربية المتحدة (مصر) في بلغراد في شهر تموز ١٩٦٨ ، أثناء زيارة الرئيس المصري لها ، أنه لا صحة لما نشرته صحيفة " بوربا " اليوغسلافية عن وجود مشروع من خمس نقاط لتسوية أزمة الشرق الأوسط .

وعلى أية حال مات هذا المشروع اليوغسلافي كما ماتت مشروعات التسوية السياسية السابقة كلها أمام مواقف (إسرائيل) المتعنتة التي تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية والقوى الأخرى المؤيدة لها .

المراجع :

ـ ليلى سليم القاضي : تقرير حول مشاريع التسويات السلمية للنزاع العربي الإسرائيلي ١٩٤٨ ـ ١٩٧٢ ، مجلة شؤون فلسطينية ، عدد ٢٢ ، حزيران ١٩٧٣ ، بيروت .

ـ مهدي عبد الهادي : المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٤ . بيروت ١٩٧٠ .

تيكة (إلاهة) :

تيكة *Tyché* أو تيسة هي إلاهة الحظ الملائم والصدفة المناسبة في التجارة والحروب . حملت هذا الاسم عند الإغريق ، أما الرومان فقد أطلقوا عليها اسم « فورتونا » وعرفت بأسماء أخرى عند كثير من الشعوب . ونظراً لأهمية إلاهة الحظ والثروة والسعادة هذه ، وانتشار عبادتها ؛ أقدم الفنانون على تمثيلها بأشكال مختلفة من الحجر والبرونز . ومن أجمل تماثيلها وأقدمها تمثال تيكة أنطاكية الذي قام بعمله الفنّان أوتيكيديس في عام ٣٠٠ ق.م.

للإلاهة تيكة عدة وظائف ومهمات منها تأسيس المدن وحمايتها . وكان لكل مدينة ربة تحميها ، فكانت تيكة إلاهة مدينة قيسارية * بفلسطين وحاميتها مجسدة خصبها وازدهارها .

للإلاهة تيكة كذلك عدة رموز منها : ١) تاج على شكل أسوار مدينة مع أبراجها ، وذلك للدلالة على وظيفتها في حماية المدن . ٢) قرن الخصب ، ويدل على وظيفتها في تحقيق الخصب للمدينة . ويعتبر قرن الخصب من علاماتها المميزة . ٣) دفة السفينة أو مقودها للدلالة على أنها هي التي تقود البشر إلى مصائرهم . ٤) الكرة ، وترمز إلى العمومية والشمول . ٥) الدولاب . ٦) غصن النخيل كشارة فوز وعلامة نصر . ٧) حزمة من سنابل القمح حملتها تماثيل الإلاهة من فلسطين ولبنان وسورية . ٨) الأجنحة . ٩) الكأس . ١٠) الصولجان . ١١) الإكليل .

المراجع :

ـ بشير زهدي : الحوليات السورية الأثرية ، مجلد ١٦ ، ١٩٦٦ .

— **L'Antiquité Classique,** 1955.

— Grimal : **Dictionnaire de la Mythologie Grecque et Romaine,** 1958.

— Hilo J.A: Fortuna Saglio, **Dictionnaire des Antiquités**.

— **Oswalt Sabine G.: Concise Encyclopedia of Greek and Roman Mythology,** 1969.

— Syrig, M.H.: La Tyché de Césarée de Palestine. **Syria, t. XLIX, 1 and 2, (1972).**

التّينـــة (قريـــة ـ) :

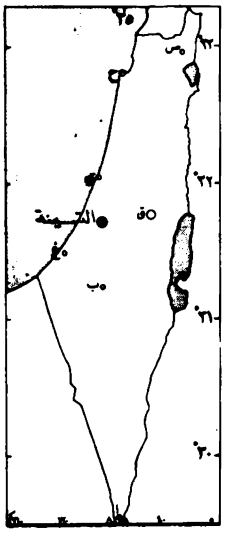

قرية عربية تقع إلى جنوب الجنوب الغربي للرملة * . وترتبط مع طريق غزة ـ جولس ـ القدس الرئيسة المعبدة بدرب ممهد طوله ٤ كم عن طريق قريتي المسمية الصغيرة * والمسمية الكبيرة * . وتربطها دروب ممهدة بقرى الخيمة * وجليا * وإذنبة * وتل الترمس * وتل الصافي * . كان يمر بطرفها الشرقي خط سكة حديد بير السبع ـ الرملة في العهد العثماني ، ولكنه توقف أثناء عهد الانتداب البريطاني .

نشأت التّينة فوق رقعة منبسطة من أرض السهل الساحلي * الجنوبي ترتفع نحو ٧٥ م عن سطح البحر . وتنحدر الأرض حولها انحدارا عاما نحو الشمال الغربي . يجري في طرفها الجنوبي وادي العرسان الذي يرفد وادي منصور المتجه نحو المسمية في الشمال الغربي . بنيت معظم بيوت التينة من اللبن ، وتفصل بينها شوارع ضيقة . تكونت القرية وفقا لمخططها التنظيمي من ثلاثة تجمعات : التجمع الرئيس ، وتجمعين فرعيين جنوبي وغربي . وقد امتدت

القرية في أواخر عهد الانتداب ، فسار نموها العمراني على شكل محاور صغيرة بمحاذاة الدروب المتجهة نحو تل الصافي وتل الترمس والمسمية . ووصلت مساحة التينة إلى ٢٤ دونما . وتتوافر بعض الخدمات والمرافق العامة في القرية . ففيها مسجد في طرفها الشمالي الشرقي ، ومدرسة ابتدائية تأسست في عام ١٩٤٦/١٩٤٧ ، وبعض المحلات التجارية ، بالإضافة إلى آبار* المياه التي تشرب القرية منها .

بلغت مساحة أراضي التينة قرابة ٧,٠٠٠ دونم منها ١٥٧ دونما للطرق* والأودية و٩٤٩ دونما تسربت للصهيونيين . وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها . وارتفاع محصولها ، وهي تنتج معظم أنواع المحاصيل من حبوب* وخضر* وفواكه . وقد غرس الأهالي نحو ١٤١ دونما من أراضيهم الزراعية برتقالاً ، كما غرسوا أشجار الزيتون* والعنب* والتين والتفاح واللوز والإجاص . وتعتمد الزراعة* على مياه الأمطار ، بالإضافة إلى مياه بعض الآبار .

بلغ عدد سكان التينة في عام ١٩٢٢ نحو ٣٩٦ نسمة ، وازداد عددهم في عام ١٩٣١ إلى ٥٣٠ نسمة كانوا يقيمون في ١٣١ بيتا . وقدر عدد الكسان في عام ١٩٤٥ بنحو ٧٥٠ نسمة . وفي عام ١٩٤٨ احتل الصهيونيون قرية التينة ، وطردوا سكانها ، ودمروها .

المراجع :

ـ مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٤ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٢ .
ـ خريطة فلسطين : مقياس ١ : ٥٠,٠٠٠ ، لوحة عجور .

ث

الـثــأر (شــباب ــ) :

ر : الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة

الـثــأر (نشــرة ــ) :

نشرة أسبوعية سياسية فكرية من منشورات « هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل » . صدرت في بيروت في ١٩٥٢/١١/٢٠ ، وظلت تصدر حتى أواسط عام ١٩٥٨ . واختصت بتناول موضوعات القضية الفلسطينية وتطوراتها السياسية ، وكانت المنبر الرئيس لحركة القوميين العرب .

أكّدت النشرة في عرضها لأسباب نكبة ١٩٤٨ أن " السبب الرئيس لنكبة العرب في فلسطين هو واقع الشعب العربي " الذي وصل إلى حالة متردّية من الضعف والجبن . وقالت : " أول أخطائنا في المعركة السابقة الجهل عند القائد وعند الجندي وعند المواطن البسيط على حد سواء . . . ومن الأخطاء التي كانت سبباً هاماً في هزيمتنا إهمالنا التام للمحافظة على متانة جبهتنا الداخلية " . كما رأت النشرة أن " المفهوم الإقليمي في معالجة قضية العرب في فلسطين سبب من أسباب النكبة " .

ظلت نشرة الثأر تجعل العدو هو اليهود حتى عام ١٩٥٦ عندما أضافت إليهم المستعمرين وبعض الحكام العرب المرتبطين بهم ، وتعدّد التيارات الفكرية والعقائدية وتنازعها ، والأحزاب الشعوبية ، والإقطاع والرأسمالية . ودعت إلى معركة ضد اليهود والاستعمار مؤكّدة أنه " لا فرق عندنا بين الاستعمار واليهودية " . أما عن الفئة العربية الحاكمة ، وهي " التي أضاعت فلسطين ، فهي لا تشعر بشعور الشعب ولا تضمر الحقد والعداء لليهود . . . وإنه من الخسارة للعرب أن يؤمل بعضهم خيراً في الفئة الحاكمة ، أو ينتظر خيراً على يدها " .

أكّدت « الثأر » خطر (إسرائيل) على الأمة العربية بقولها : " إن المتتبع لتاريخ الحركة اليهودية العالمية منذ نشأتها حتى اليوم يدرك أن أهدافها لا تقتصر على إسرائيل الحالية . . إن إسرائيل ستلجأ حتماً إلى التوسع من تلقاء ذاتها حتى ولو أننا تناسينا فلسطين " .

قاومت الثأر على صفحاتها الحلول التصفوية للقضية الفلسطينية ، وعملت على تعبئة الجماهير ضدها ، وفي مقدمتها دعوات الصلح مع الكيان الصهيوني . واعتبرت " الخيانة بعينها أن ينادي عربي بالصلح مع إسرائيل " ، أو أن يقبل بما كان يطرح من حلول لأن القبول به " هو تنازل طوعي عن حق الأمة العربية في هذا الجزء المغتصب من وطنها " . ونادت بالثأر حلاً وحيداً لاسترداد

فلسطين " خالصة للعرب ، وطرد الغزو اليهودي من على الثرى العربي " .

عالجت النشرة الموضوع القومي في جميع أعدادها تقريباً ، واعتبرت القومية المنطلق الأساسي في النضال من أجل تحرير فلسطين . من هذا المنطلق رأت أن الوحدة العربية هدف بحد ذاته ، وهي الطريق إلى تحرير فلسطين ، فما لم " توجد الدولة الموحّدة التي تضم العراق والأردن وسورية (كخطوة أولى) فإن وقوفنا في وجه اليهود والمعسكر الغربي سيكون أمراً شبه مستحيل " ، وأن " الوحدة والتحرر من الاستعمار معركة واحدة " . واعتبرت النشرة " أن نقطة الانطلاق في رسم طريق النضال العملي لتحقيق الوحدة هي أن سلاحنا الرئيس في المعركة يكمن في قوة الشعب ، وينبعث من إرادة الجماهير " ، وأن " الضمانة الوحيدة للنصر في هذا الصراع التاريخي العنيف هي أن تستقر دفّة الحكم في يد الفئة المخلصة المؤمنة بحق هذه الأمة في التحرر والحياة " .

استعملت النشرة في مقالاتها « النازحون » أو « عرب فلسطين » ، وأكدّت أن نضال النازحين " ليس منفصلاً عن نضال المجموعة العربية " لكنهم " الطليعة التي ستقود الأمة العربية نحو ميدان المعركة " .

ودعت الثأر إلى انخراط النازحين في " تنظيم جماعي منسّق يرسم لهم طريق العمل الجدي المثمر " ، ورأت أن من واجبهم " أن يوجدوا الهيئة التي تمثلهم وتقودهم في طريق الحياة التي يريدون " .

وشدّدت النشرة على أنه " لن ينقذ فلسطين إلّا القوة ، ولن يعيد النازحين إلى ديارهم إلّا القتال " . والعودة هي " عودة السيادة العربية على أرض فلسطين سلطة مطلقة مسيطرة . العودة هي أن تعود فلسطين إلى العرب ، لا أن يعود العرب إلى حكم اليهود الأعداء " .

المرجع :

ـ **شؤون فلسطينية** : العدد ٢١ ، أيار ١٩٧٣ ، بيروت .

الثروة الحيوانية : رَ : الحيوانات الأليفة

الثروة المعدنية : رَ : المعادن

الثلوج : رَ : المناخ

ثمود (قبيلة ـ) :

قبيلة من العرب البائدة ترجع في النسب إلى ثمود بن جائر بن إرم بن سام بن نوح . ويبدو أن موطنها كان منطقة جبلية أو هضبية صخرية ، إذ تقول الآية القرآنية " وثمود الذين جابوا الصخر بالواد " ، فقد قطعوا الحجر والصخر واتخذوا فيه بيوتاً . ويرى المفسّرون أن الوادي هو في الأغلب وادي القرى بين المدينة والشام .

وفي الروايات أن ديار ثمود هي الحجر ، وفيها بئر تُسمَّى بئر ثمود ، ونزل بها الرسول ﷺ مع أصحابه في غزوة تبوك. وفي رواية للمسعودي الجغرافي المؤرخ أن منازلهم في وادي القرى بين الشام والحجاز ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رممهم كانت في أيامه باقية ، وذلك على طريق الحاج بالقرب من وادي القرى .

ويعود تاريخ ثمود إلى ما قبل الميلاد ، وكانت من جملة الشعوب التي حاربها الأشوريون ، فقد استطاع صارغون الثاني الأشوري إجلاءهم عن مواطنهم إلى السامرة في فلسطين ، وهذا يعدّ أقدم ما يعرف عن ثمود . وبعد الميلاد كان الثموديّون يسكنون شمالي الحجاز في الحجر ودومة الجندل وغرب تيماء . ويرى دوتي *Doughty* أن الحجر الذي سكن بها قوم ثمود هي موضع الخريبة لا مدائن صالح التي هي حجر الأنباط * .

وقد ورد اسم ثمود في مواضع كثيرة من القرآن الكريم . وغالباً يأتي ذكر ثمود مع عاد ، وأحياناً مع قوم نوح وأصحاب الأيكة وأصحاب الرس ، وسمّت الآية أولئك بالأحزاب . وقد ذكر القرآن الكريم ثمود في باب تذكير الأقوام وترهيبها من العاقبة التي آلت إليها . ويبدو أن عرب ما قبل الإسلام كانوا على علم بثمود ومساكنها ، كما تشير آية سورة العنكبوت : " وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم " .

انقطعت أخبار ثمود في المصادر العربية قبيل الإسلام أو بعده إلّا ما ذكرته رواية لابن الأثير من إرجاع نسب ثقيف إلى ثمود ، ولكن ذلك لم يرض الثقفيين . ويبدو أنّ أعداء ثقيف ، أو معارضي سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق وضعوا هذه الرواية .

أما فيما يتعلق بديانة ثمود فقد اكتشف الأثريون مجموعة من النصوص الثمودية يعود بعضها إلى ما قبل الميلاد وقسم منها إلى التاريخ الميلادي . ومن بينها نص يدل على معرفة هؤلاء بالمسيحية * ، ويعدّ أقدم إشارة إلى انتشار المسيحية في شمالي جزيرة العرب . وفي بعض النصوص أدعية لآلهة ثمود وجدت في حائل بنجد ، وفي تبوك وتيماء ومدائن صالح ، وفي سواحل الحجاز الشمالية ، وفي طور سيناء والصفا (شرقي دمشق) ، وفي الحرة

والرحبة شمالي غربي تدمر . وتشير هذه النصوص إلى صلات ثقافية ودينية بين تيماء وثمود . وتجدر الإشارة هنا إلى أن آلهة ثمود هي آلهة عربية قديمة .

كان قوم ثمود أقرب إلى الحضر من البدو ، فقد زرعوا الأرض واعتنوا بالماشية واشتغلوا بالتجارة ، وكانت لهم مستوطنات مستقرة شيّدوا فيها معابدهم وبيوتهم في الجبال . جاء في القرآن الكريم : " وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين " .

وقد وصلت كذلك أسماء ثمودية كثيرة تدل على أنها أسماء عربية شاعت في الفترة العربية البعيدة عن الإسلام ، ولا سيما العربية الجنوبية ، إذ ترد بكثرة في كتابات المسند .

ويبدو أن قوم ثمود أصيبوا بكارثة عظيمة مثل هزة أرضية أو بركانية بدليل ورود كلمة رجفة وكلمة صيحة في القرآن الكريم . وتؤكد الإشارات التاريخية أن مناطق سكناهم كانت جنوبي البحر الميت * حيث لاقت مدن أخرى مثل سدوم وعمورة * المصير الذي لقيه قوم ثمود ذاته (رَ : العرب قبل الإسلام في فلسطين) .

وقد حذّر القرآن قريشاً من مصير يشبه مصير ثمود ، إذ كفروا بما جاء به نبيهم صالح ، وعقروا الناقة التي أرسلت لهم آية ، واستمروا في ضلالهم ، فأرسل الله عليهم الصيحة فهلكوا ، ورجفت الأرض بهم فلم يبْق منهم إلا رجل واحد هو أبو رغال الذي كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله . وقد ورد في شعر حسان بن ثابت « أشقى ثمود » ، ويقال إنه قدار بن سالف (أحيمر ثمود) ، وهو عاقر ناقة صالح .

وفي رواية للطبري أن رسول الله ﷺ لما غزا تبوك نزل الحجر ونهى الناس عن دخول القرية وعن شرب مائها، والقرية هي الحجر قرية ثمود .

المراجع :

ـ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ليدن ١٨٨١ ـ ١٨٨٣ .

ـ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ليدن ١٨٥١ ـ ١٨٧٦ .

ـ الزمخشري : الكشاف عن حقائق التنزيل ، القاهرة ١٣١٩هـ .

ـ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت ١٩٦٨ .

— Enno Littmann: Thamud und Safa in G. Rychmans, **Corpus Inscriptionum Semiticarum,** 1950.

ثميلة (وادي ـ) : ر : غزة (وادي ـ)

ثورة : رَ : البراق
رَ : يافا

ثورة ١٨٣٤ : رَ : الحكم المصري

ثورة ١٩٢٠ :

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أسهم العرب فيها بالقتال إلى جانب الحلفاء كان العرب ينتظرون أن يفي الحلفاء بوعودهم باستقلال الأقاليم العربية التي كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية وتوحيدها . غير أن الحلفاء نكثوا بوعودهم فاقتسموا هذه الأقاليم فيما بينهم (فرنسا وإنكلترا) وأخضعوها لاستعمارهم باسم « نظام الانتداب » . وباشرت بريطانيا التي انتدبت على فلسطين بإعمال وعد بلفور * ، وبفتح الباب لهجرة الصهيونيين إلى فلسطين ، فأخذ هؤلاء يتدفقون إليها . وهنا أدرك العرب في فلسطين خطورة ما بيّت لهم الاستعمار البريطاني والصهيونية ، فكانت ثورة ١٩٢٠ أول تحرك شعبي جماهيري واسع للتعبير عن شعورهم بخيبة آمالهم وإحباط مطالبهم .

سادت الأساليب السلبية الكفاح الفلسطيني طيلة فترة ١٩١٨ ـ ١٩٢٩ : مذكرات ، وعرائض ، ووفود إلى الحكومة البريطانية ، ومؤتمرات تعقد بترخيص من حكومة الانتداب وتتمخض عن قرارات معتدلة بسبب تركيز القيادات السياسية الفلسطينية على توجيه عداء الجماهير العربية الفلسطينية إلى الصهيونية دون التشديد على الارتباط الوثيق بين الصهيونية والاستعمار البريطاني . ولقد تخلّلت تلك المرحلة صدامات كثيرة بين المستعمرين الصهيونيين والسكان العرب . وكان جوهر الصراع قوميا وطبقيا في آن معا ، ذلك لأن الصهيونية جاءت غزوا استعماريا استهدف اقتلاع الوجود القومي العربي لشعب فلسطين ، كما أن الصهيونيين احتلوا مواقع طبقية ممتازة على حساب عرب فلسطين كموظفين كبار ، وملاّك ، وأصحاب أعمال .

وكان هناك أكثر من مصدر للسخط الشعبي المتزايد في أوساط الشعب العربي الفلسطيني . فاللجنة الصهيونية(وهي لجنة وافق الحلفاء على تشكيلها برئاسة حاييم وايزمن عام ١٩١٨ م لتتعاون مع حكومة الانتداب البريطاني في تطبيق وعد بلفور) أخذت تدلي بالكثير من التصريحات الاستفزازية التي كشفت أطماع الحركة الصهيونية في فلسطين ، ومحاباة سلطات الاحتلال البريطاني للمستعمرين الصهيونيين على حساب السكان العرب في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها . فقد قررت السلطات البريطانية ـ على سبيل المثال ـ جعل العبرية لغة رسمية في فلسطين ، وأغدقت الامتيازات على اللجنة الصهيونية وأعضائها .

ومن أبرز الأسباب الاجتماعية لثورة ١٩٢٠ وضع الفلاح

العربي الفلسطيني الذي ناء تحت وطأة الضرائب المتراكمة عليه منذ أواخر العهد العثماني ونهاية الحرب العالمية الأولى بعد أن أصرّت سلطات الاحتلال البريطاني على جمعها بكاملها . ويتضح مدى الجور في هذا الوضع إذا علم أن متوسط الدخل السنوي للفلاح العربي الفلسطيني كان يبلغ عندئذ نحو ٢٦ جنيها، وكان عليه دفع نحو ستة جنيهات منها ضرائب للحكومة . ورفضت الحكومة في الوقت نفسه إنشاء مصرف زراعي لإقراض الفلاحين العرب ، مما أوقع الفلاح العربي فريسة للمرابين الذين كانوا يتقاضون على ديونهم للفلاحين فائدة تراوح بين ٣٠ و٥٠٪ . أما مثقفو عرب فلسطين فقد تزايد سخطهم بسبب تقلّد البريطانيين والمستعمرين الصهيونيين للوظائف العليا في البلاد ، وحصر العرب في الوظائف الصغرى ، بالإضافة إلى معارضتهم سياسة الاحتلال التعليمية الرامية إلى تقليص عدد المتعلمين العرب إلى ما يكفي لمدّ سلطات الاحتلال بالموظفين لإدارة البلاد وتيسير استغلال وامتصاص مواردها لصالح الاستعمار والصهيونية . في حين أغدقت هذه السلطات الاعتمادات المالية الكبيرة لتدعم أوساط المستعمرين الصهيونيين .

وهناك عوامل أخرى محلية وخارجية كانت أيضا من أسباب إلهاب الحماسة الوطنية للجماهير الفلسطينية كمنع السلطات البريطانية المؤتمر الفلسطيني * من عقد دورته الثانية في شباط ١٩٢٠ ، واعتلاء فيصل بن الحسين العرش في سورية ، وقرار مجلس النواب التركي في كانون الثاني ١٩٢٠ القاضي بضرورة منح الولايات العربية حق تقرير المصير ، ونمو الحركة الثورية في مصر والسودان وسورية ولبنان والعراق والمغرب .

سبق ثورة ١٩٢٠ (٤ ـ ١٠ نيسان) انتشار المظاهرات الجماهيرية في معظم أنحاء فلسطين ، مما دفع الإدارة البريطانية ، بضغط من الصهيونيين ، إلى إصدار أمر يوم ١٩٢٠/٣/١١ بمنع المظاهرات بمختلف أشكالها . وإلى ذلك أخذت بعض مظاهر العنف ضد الاستيطان الاستعماري الصهيوني تبرز في الجانب العربي ، ومن أمثلة ذلك هجوم جماعات وطنية في شهر آذار ١٩٢٠ على مستعمرتي تل حي والمطلة في منطقة الحولة أسفر عن مقتل النقيب الصهيوني (الكابتن) جوزيف ترومبلدور وستة صهيونيين آخرين . ومن أمثلة ذلك أيضا الهجومان اللذان قامت بهما ، في شهر نيسان ١٩٢٠ ، قبائل عربية عبر الأردن ، وحاصرت فيهما مستعمرات صهيونية محاطة بأسلاك شائكة . كما هوجمت في الوقت ذاته الحاميات البريطانية في سمخ * وبيسان * ، وعطّلت المواصلات البرقية والهاتفية ، مما دفع القيادة العسكرية البريطانية إلى إرسال نجدات بالقطارات ، وإلى قصف المهاجمين بالطائرات .

لقد توفرت العوامل الكافية لدى الشعب الفلسطيني للثورة ، وكان موعد احتفال المسلمين بموسم النبي موسى مناسبة لذلك . وصادف موعد أسبوع عيد الفصح والاحتفال به لدى المسيحيين واليهود موعد موسم النبي موسى نفسه . وقد أحدث هذا قلقا بالغا لدى الصهيونيين والإدارة البريطانية .

وموسم النبي موسى هو من المناسبات التي ابتكرتها عقلية القائد صلاح الدين الأيوبي * بهدف تجميع الناس واستغلال هذا التجمع للتحريض على مقاومة الصليبيين . ويبعد موقع الاحتفال نحو ٣٠ كم إلى الشرق من القدس * على طريق القدس ـ أريحا . وتبدأ الاحتفالات بتجمع سكان مدن وقرى فلسطين في مدينة القدس حيث يفدون إليها شاهرين سيوفهم ورماحهم ، رافعين راياتهم ، منشدين الأناشيد الدينية والوطنية . ويلتقي الجميع في المسجد الأقصى ، ثم يتجهون منه بعد ذلك إلى مكان الاحتفال .

وقع صدام يوم ١٩٢٠/٤/٤ حين منعت الشرطة أهل الخليل من دخول القدس للاشتراك في الاحتفال ، وكان أهل القدس

ومعهم أبناء نابلس قد خرجوا لاستقبالهم . وشارك في الاستقبال أبناء الطوائف المسيحية حسب العادة المتبعة ، وارتفعت من الجموع المحتشدة هتافات وطنية تطالب بالوحدة العربية والاستقلال ، وتنادي بالأمير فيصل ملكا على سورية وفلسطين ، وتعلن رفضها للوطن القومي اليهودي والهجرة الصهيونية .

اقتحم أبناء الخليل باب الخليل في القدس عنوة ، واتجهت الجموع حاملة العلم إلى الساحة أمام باب الخليل . وعلى شرفة النادي العربي وقف الخطباء ، فتكلم موسى كاظم الحسيني * رئيس بلدية القدس ورئيس الجمعية الإسلامية ـ المسيحية * ، وخليل بيدس * ، وعارف العارف ، والحاج أمين الحسيني * ، وغيرهم . وكانت الكلمات كلها حماسية أثارت الشعور القومي .

في تلك الأثناء اندسّ صهيوني اسمه « كريمر بن مندل » بين صفوف الجماهير وتقدم إلى العلم محاولا خطفه وتمزيقه فانقضّ عليه بعض الرجال وقتلوه . ثم جاء صهيوني آخر مع عدد من الجنود

الإنكليز وحاول اختطاف العلم مرة أخرى أخرى فأهوى عليه أحد الرجال بسيفه وقتله .

اجتمع إثر ذلك الشباب اليهود والجنود الإنكليز وهاجموا العرب المحتفلين بموسم النبي موسى فنشبت بين الفريقين معركة حامية سقط فيها تسعة قتلى و١٢٢ جريحا من الطرفين . وفجرت هذه المعركة الصراع ضد الاستعمار والصهيونية . فاستمر القتال الذي لم يتعدّ مدينة القدس مدة خمسة أيام ، وانتهى في ١٩٢٠/٤/٨ بقيام القوات البريطانية بمحاصرة المدينة المقدسة . وذكر بلاغ بريطاني رسمي أن حصيلة المعارك كانت مقتل أربعة من العرب ، وتسعة من اليهود ، و٢٥٠ جريحا من الطرفين .

كان هياج الجماهير العربية ، وتحدّي اليهود لها ، واستفزازهم للعرب بالتسلّل إلى المواكب والهتاف ضد فيصل ، كذلك كانت المظاهرة التي تزعّمها جابوتنسكي ، والرصاص الذي أطلقه الجنود البريطانيون والمسلحون من الصهيونيين ، كان ذلك كله كافيا لوقوع الاصطدامات الدموية يوم ٤ نيسان ، ولإعلان الأحكام العرفية في اليوم التالي .

وبالرغم من إعلان الأحكام العرفية ، وحظر التجول ، وتعطيل جميع الصحف ، استمرت أعمال المقاومة والعنف من ٤ حتى ١٠ نيسان .

أصدرت سلطات الانتداب أحكاما مختلفة بالحبس ضد ٢٣ شخصا لاشتراكهم في ثورة القدس ، من بينهم عارف العارف وأمين الحسيني اللذان تمكّنا من الفرار إلى شرقي الأردن . كما أقالت سلطات الانتداب موسى كاظم الحسيني من رئاسة بلدية القدس وعينت راغب النشاشيبي مكانه .

كلفت الحكومة البريطانية « لجنة بالين » مهمة التحقيق في أسباب ثورة ١٩٢٠ . وقد ذكرت اللجنة في تقريرها " أن الهجوم كله كان ضد اليهود " ، ولكنها اعترفت بأن البريطانيين في فلسطين " يواجهون مواطنين محلّيّين يهيمن عليهم السخط الشديد بدافع من شعورهم بالغبن وخيبة الأمل ، ويلفهم الذعر بشأن مستقبلهم . ونتيجة ذلك أن ٩٠٪ منهم يكنّون عداء مريرا للإدارة البريطانية العامة " .

وثمة ظاهرة تبلورت إبّان ثورة ١٩٢٠ وكشفت عن وحدة السياستين الإنكليزية والصهيونية في فلسطين ، وهي نشوء وحدات عسكرية شكّلها جابوتنسكي الذي كان يحارب في صفوف الجيش البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى . وقد جاء في تقرير لجنة بالين أن هذه الوحدات شكلت دون موافقة الإدارة العامة (البريطانية) أو معرفتها ، ولكنها " كانت تتدرب بصورة علنية وراء مدرسة « ليمل » وفوق قمة جبل الزيتون " . وهو أمر عرفه العرب خلال شهر آذار ١٩٢٠ . وأهم من ذلك وأعظم دلالة أن الإدارة العامة اتخذت ، حسب تقرير اللجنة ، قرارا باستخدام " هذه الوحدات غير الشرعية " .

ولفتت ثورة القدس أنظار مؤتمر السلام في سان ريمو* إلى النزاع العربي ـ الصهيوني في فلسطين . ولكن المؤتمر ، بدلا من أن يعيد النظر في سياسة بريطانيا بشأن الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، منح بريطانيا حق الانتداب على فلسطين ، وحدّد واجباتها من خلال تضمين صك الانتداب* نص وعد بلفور على الرغم من التناقض الواضح بين فرض وعد بلفور على الشعب الفلسطيني وبين حق هذا الشعب في تقرير مصيره وسيره نحو الاستقلال بموجب عهد عصبة الأمم ووعود الحلفاء المقطوعة في هذا الصدد (رَ : عصبة الأمم) .

فشلت المقاومة العربية العنيفة في إحداث أي تغييرات جوهرية في الصورة العامة للسياسة البريطانية في فلسطين . وعلى النقيض من ذلك بادرت الحكومة البريطانية إلى تعيين هربرت صموئيل السياسي اليهودي الصهيوني المعروف الذي كان يشغل عام ١٩١٦ منصب وزير الداخلية، أول مندوب سام بريطاني في فلسطين. وقال صموئيل في مذكراته إنه عين في المنصب المذكور مع معرفة حكومة صاحبة الجلالة التامة بعواطفه الصهيونية ، بل بسبب هذه العواطف إلى حد كبير .

اتصفت ثورة ١٩٢٠ بالخصائص التالية :

١) كانت التجربة الشعبية الجماهيرية الأولى للمقاومة الفلسطينية ضد الاستعمار والصهيونية اللذين كانا يمهدان لتنفيذ خططهما في سلب الشعب العربي الفلسطيني وطنه وطرده منه . وبالرغم من أن أهداف هذه الخطط لم تكن واضحة يومذاك كل الوضوح ، كان وعد بلفور ، وإقدام بريطانيا على تنفيذه ، وتدفّق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين* ، وبدء أعمال الاستيطان الاستعماري الصهيوني في فلسطين ، والشروع في تشكيل وحدات عسكرية صهيونية ، كان ذلك كله من الأسباب التي نبّهت الشعب الفلسطيني إلى مخاطر هذه السياسات والخطط .

٢) مثلت ثورة ١٩٢٠ الشعور العربي الفلسطيني بالخيبة والاخفاق إثر نكث الحلفاء ، وبخاصة بريطانيا، بوعودهم التي قطعوها للعرب باستقلال بلادهم ووحدتها .

٣) نقلت ثورة ١٩٢٠ الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية من مرحلة البدء بالوعي وإدراك المخاطر إلى مرحلة المقاومة الشعبية .

٤) لم تكن قوى المقاومة التي ظهرت في الثورة منظمة ومعبأة وموجهة بشكل يؤهّلها للقيام بعمل ثوري ، أو ثورة ذات نفس طويل في المقاومة والمناورة والتكتيك . فقد كانت ثورة العشرين محلية

(القدس) وقصيرة المدى الزمني (٧ أيام) وفاقدة أي تخطيط إستراتيجي أو عملياتي ، ولم تتعدّ كونها انفجاراً شعبياً نضالياً واسعا ، عارفا بأهدافه ، واعيا لغاياته ، غير منظم أو معبأ ، مفتقرا إلى التخطيط والقيادة الثورية النضالية .

ومن هنا اختلفت آراء المؤرخين والباحثين في وصف أحداث نيسان ١٩٢٠ ، فمنهم من رأى أنها " انتفاضة " في حين وصفها آخرون بأنها " أحداث دامية " أو " اصطدامات دامية " ، وقليلون سمّوها " ثورة " ، وهذا هو الأرجح للأسباب التالية :

١) كانت أحداث نيسان ١٩٢٠ ، في أسبابها وأهدافها ، اللبنة الأولى للثورات التي نشبت فيما بعد في فلسطين وللانتفاضات التي وقعت فيها . فقد سارت تلك الثورات والانتفاضات في خطوطها العامة ومراحلها وأحداثها مسيرة ثورة العشرين من حيث الهدف الرئيس ، وهو جعل فلسطين مستقلة عربية خالصة لشعبها ، بالرغم مما بين ثورة العشرين والثورات والانتفاضات التي تلتها من اختلاف وتباين في الطرائق والوسائل والقيادات والبنية الاجتماعية وغيرها .

٢) لم تكن الظروف في فلسطين عام ١٩٢٠ مهيأة لقيام ثورة منظمة معبأة بقوى ثورية وفق الشروط والمفاهيم والمقاييس التي لا بد من توافرها في أي « ثورة » أو « حدث ثوري » ، ذلك أن الخطط الاستعمارية والصهيونية كانت في بداية تنفيذها . وكان الاستعمار والصهيونية يتبعان أخبث السبل ، ويستخدمان أحطّ الوسائل من أجل تنفيذ خططهما بالتضليل والكذب والخداع حينا ، وبالإرهاب والاضطهاد وقوة السلاح حينا آخر .

٣) وبناء على ذلك لم يكن ممكنا يومذاك نشوء بؤرة ثورية أو قوى ثورية في صفوف الشعب الفلسطيني . وحينما أدرك هذا الشعب ، وبخاصة في المدن ، مخاطر ما ينوي الاستعمار والصهيونية فعله بدأت إرادة المقاومة تنمو وتظهر وتفعل . وجاءت أحداث نيسان ١٩٢٠ لتكون أول تعبير عن ثورة الشعب الفلسطيني على أعدائه .

المراجع :

ـ عبد الوهاب كيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ صالح مسعود بو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .

ـ بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٨١ .

ـ كامل محمود خلّة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٦٨ .

ثورة ١٩٢٩ :

اتصف العمل الوطني في فلسطين بين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٩ بالركود بشكل عام إذا استثنيت المظاهرات التي قامت بها الجماهير الفلسطينية ضد زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ ، ومظاهرات التأييد للثورة السورية ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ .

وكان وراء هذا الركود جملة أسباب أهمها : ضعف قيادة الحركة الوطنية وتردّدها ، وشراسة الاستعمار البريطاني وبطشه بالجماهير لتوفير الظروف الملائمة لوضع وعد بلفور * موضع التنفيذ ، وتزايد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * ، وتشكيل الوحدات الصهيونية العسكرية الإرهابية . وقد أدّى ذلك كله إلى عدم تكافؤ القوى بين الاستعمار البريطاني والعدو الصهيوني من جهة الحركة الوطنية من جهة أخرى .

أ ـ أسباب الثورة : مع بداية عام ١٩٢٩ كانت أحوال الشعب العربي الفلسطيني قد ازدادت سوءاً ، خاصة بعد أن تعرضت البلاد لكوارث الجراد والزلزال والوباء التي اجتاحتها عام ١٩٢٧ ، وفضلا عن بداية الأزمة الاقتصادية العالمية (١٩٢٩ ـ ١٩٣٢) . وجاءت تشريعات حكومة الانتداب لتسهل تدفق المزيد من المهاجرين اليهود إلى فلسطين حتى فاق عدد من دخل منهم إلى فلسطين منذ الاحتلال البريطاني وحتى بداية ١٩٢٩ مائة ألف مهاجر ، عدا الآلاف الكثيرة الأخرى من المتسللين غير الشرعيين . واقترنت هذه الهجرة باتساع رقعة الأراضي التي انتزعت من الفلاحين العرب وتم طردهم منها وحرمانهم من العمل فيها أجراء . وكانت مساحة ما منحته حكومة الانتداب للشركات الصهيونية ٨٢ ألف دونم من الأراضي الأميرية ، علاوة على ما قدمته الحكومة للشركات الاحتكارية الصهيونية ، ومنها ٧٥ ألف دونم لشركة البوتاس ، و١٨ ألف دونم أخرى لشركة كهرباء روتنبرغ (رَ : القدس ، شركة كهرباء) ، كما نقلت سلطات الانتداب امتياز تجفيف سهول الحولة إلى الشركات الصهيونية ، وتبلغ مساحة هذه السهول نحو ثلث الأراضي الخصبة في فلسطين .

واذا ما أضيفت إلى هذه الأسباب أسباب أخرى تتعلق بالصناعة * ، إذ احتكرت المؤسسات الصهيونية القسم الأعظم من جوانب النشاط الصناعي والتجاري ، ونعم اليهود بالمؤازرة الحكومية ، ورؤوس الأموال الضخمة ، وبالخبرة الفنية العالية ، وهي عوامل هامة افتقرت إليها الصناعة العربية في فلسطين ، أمكن الوقوف على درجة نقمة الجماهير العربية الفلسطينية وثورتها .

ب ـ معركة القدس : وسط هذا المناخ المتوتر اندلعت الشرارة الأولى في ثورة ١٩٢٩ التي يسميها بعض المؤرخين « ثورة البراق » . فقد نظم الصهيونيون مظاهرة ضخمة يوم ١٤ آب/

١٩٢٩ في تل أبيب بمناسبة ذكرى « تدمير هيكل سليمان » أتبعوها ، في اليوم التالي ، بمظاهرة كبيرة في شوارع القدس لم يسبق لها مثيل ، حتى وصلوا إلى قرب حائط البراق (حائط المبكى) ، وهناك رفعوا العلم الصهيوني ، وأخذوا ينشدون النشيد القومي الصهيوني (الهاتكفا ـ الأمل) ، وشتموا المسلمين ، وأطلقوا صيحات التحدي والاستفزاز ، وطالبوا باستعادة (حائط المبكى) زاعمين أنه الجدار الباقي من هيكل سليمان .

وكان اليوم التالي ، أي ١٦ آب ، يوم جمعة ، وكان في الوقت ذاته ذكرى المولد النبوي الشريف (١٢ ربيع الأول ١٣٤٨ هـ) التي جرت العادة فيها أن يتوجه أهالي القدس والقرى المحيطة بها إلى المسجد الأقصى لصلاة الظهر . وقد خرج المصلون بعد أداء الصلاة في مظاهرة ضمت الآلاف من أهالي القدس والقرى ، واتجهوا نحو حائط البراق حيث حطموا منضدة لليهود كانت

موضوعة فوق الرصيف وأحرقوا بعض الأوراق التي تحتوي على نصوص الصلوات اليهودية والموضوعة في ثقوب حائط المبكى .

حدث في اليوم التالي (١٧ آب) اشتباك بين مجموعة من العرب وأخرى من الصهيونيين أدّى إلى جرح ١١ شخصا من الجانبين ووفاة رجل واحد من الصهيونيين. فسارعت سلطات الانتداب إلى اعتقال عدد كبير من الشبان العرب مع زمرة قليلة من اليهود .

وتواترت الأخبار عن نية الصهيونيين شن هجوم على حائط البراق واحتلاله لتثبيت « حقهم في ملكيته » ، فتدفق أهالي القرى إلى القدس بأعداد كبيرة يوم الجمعة ٢٣/٨/ ١٩٢٩ لأداء صلاة الظهر وهم مسلحون بالعصي والهراوات . وخرج المصلّون من المسجد الأقصى ليجدوا أمامهم تجمعاً صهيونياً يتحدّاهم . ووقع صدام بين الطرفين ، وفتحت الشرطة البريطانية النيران على الجمهور العربي، وحلقت بعد ذلك الطائرات فوق المدينة إرهابا للعرب . وما كادت تحل الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى كانت المصفحات البريطانية تدخل القدس ومعها نجدات من الشرطة لتعيد الهدوء إلى المدينة في الوقت الذي كان بعض الشبان العرب يتصدون للصهيونيين في الضواحي اليهودية من المدينة وفي المستعمرات القريبة منها .

جـ ـ الاضطرابات في المدن الأخرى : وعندما وصلت أنباء أحداث القدس إلى نابلس * والخليل * والمدن الأخرى انطلقت الجماهير تتظاهر . وقام العرب في الخليل بهجوم على الحيّ اليهودي فقتل أكثر من ٦٠ يهوديا ، وجرح أكثر من ٥٠ آخرين .

وفي اليوم نفسه قام العرب في نابلس بمحاولة جريئة لانتزاع الأسلحة من أحد مراكز الشرطة فنشبت اضطرابات عنيفة بسبب إطلاق الشرطة النار على الجمهور . وفي بيسان * شن العرب هجوماً على اليهود . وفي يافا * قامت اضطرابات مماثلة تخللها هجوم على عدة مستعمرات صهيونية .

وفي يوم ٢٥ و٢٦ آب شن العرب هجمات كثيرة على مختلف المستعمرات القريبة من مدنهم ، وقد تم تدمير ست مستعمرات تدميرا كاملا . ونشبت في الوقت ذاته اضطرابات في الحي القديم من حيفا * رافقتها عدة غارات على ضاحية « هادار هاكرمل » قرب حيفا . وفي يافا قامت الشرطة بصدّ هجوم عربي مستخدمة النار في ذلك فقتل إمام أحد المساجد وستة من العرب . وفي القدس هجم اليهود يوم ٢٦ آب على مسجد عكاشة ، وهو مسجد قديم العهد ، فأصابوه بأضرار بالغة وانتهكوا قدسية الأضرحة التي يضمها .

د ـ معركة صفد : وفي صفد شاع الخبر بأن اليهود اعتدوا على الحرم الشريف وهدموه وأحرقوه ، فهرع الناس مساء يوم ١٩٢٩/٨/٢٩ إلى الجامع الكبير في السوق للاستماع إلى ما يقوله الخطباء في ذلك . ولم يمض إلّا القليل حتى دخل المسجد « الميجر فردي » مساعد مدير الشرطة البريطاني وخاطب الناس بالعربية متظاهرا بمحاولة تهدئتهم : " أيها الإخوان ، لا تصدّقوا كل ما قيل ، إن اليهود لم يهدموا الحرم ، بل هاجموه ، واستولوا على البراق . لكن حكومتنا لا يمكن أن تسكت على هذا " .

ولم تمكّنه الجماهير من تكملة كلامه وارتفعت بينها دعوات الانتقام والثأر . وفي هذه الأثناء صاح قادم أن المجاهد أحمد طافش قد قتل فخرجت الجماهير هادرة متجهة إلى حارة اليهود التي كانت تقع في القسم الشمالي من المدينة، وأخذت جموعهم تخلع أبواب المحلات التجارية وتشعل النار فيها . فتدخلت الشرطة البريطانية ، ونقلت اليهود ، ولا سيما النساء والأطفال ، إلى السراي حيث مكثوا ثلاثة أيام التزم أهالي صفد خلالها

بسجاياهم العربية وإنسانيتهم فكانوا يحضرون الطعام لأولئك المحتجزين . وحدث أثناء ذلك أن ألقى مجهولون قنبلة قتلت أربعة من اليهود وثلاثة من خيول الشرطة فقدمت في اليوم الثاني (٣٠ آب) القوات البريطانية من الجاعونة * وطبرية * ، ودخلت حارة اليهود ، وأطلقت النار على كل عربي وجدته فيها . ولم يكن دخول القوات البريطانية إلى المدينة سهلا لأن شباب صفد أقاموا حاجزا من الحجارة الضخمة عند مدخل البلدة ، مما حمل الجنود على أن يترجلوا عن خيولهم وسياراتهم ، فتعرضوا لنيران وحجارة انهالت عليهم مما زاد في حنق الجنود فصاروا يطلقون النار على كل من يرون ، محاربا أو مسالما ، وصوّبوا نيران بنادقهم إلى قريتي عين الزيتون * وبيريا * القريبتين من صفد ، ودخلوا حارة اليهود وهم يغلون حقدا على العرب ، فسقط من نيرانهم عدة قتلى وجرحى من العرب .

تمكنت القوات البريطانية من السيطرة على الموقف ، وأعادت اليهود إلى بيوتهم ، وتولّت حراسة حارتهم ، ثم قامت قوات الشرطة بحملة تفتيش في بيوت العرب إرهابا لهم ، وألقت القبض على نحو ٤٠٠ عربي ، وأفرج فيما بعد عن كثيرين ، وسيق الباقون إلى سجن عكا حيث تعرضوا للإهانة والتعذيب . وقد وجه مدير السجن ، وهو ضابط بريطاني ، إهانات شديدة إلى الحاج توفيق غنيم فهجم ابنه نايف على الضابط وألقاه أرضا ، فحكم على نايف وأخيه عارف غنيم بالسجن المؤبد ، كما حكم بالسجن المؤبد على كل من توفيق عبيد ، وأحمد صالح الكيلاني ، ورشيد سليم الحاج درويش ، وأخيه علي ، ومحمد علي زينب ، وجمال سليم الخولي ، ورشيد محمد الخرطبيل ، ومصطفى أحمد دعيس ، ومحمد مصطفى شريفة ، وسعيد شمّا . وأعدمت السلطات البريطانية الشهيد فؤاد حجازي * من صفد مع الشهيدين عطا الزير * ومحمد جمجوم * من الخليل يوم ١٩٣٠/٦/١٧ .

وقد جاء في البلاغ الرسمي رقم ١٤ الصادر في ١٩٣٠/٥/٣١ ما يلي : " قتل من العرب عبد الغفور الحاج سعيد ، والعبد سليم الخضرا ، وفوزي أحمد الدبدوب ، والعبد ذياب العيساوي " . وورد فيه أن عدد قتلى اليهود وجرحاهم بلغ ٤٥ رجلا .

وبعد هدوء الحالة في المدينة خرج نفر من شباب صفد واعتصموا بالجبال حيث شكّلوا جماعة مناضلة لمقاومة الإنكليز والصهيونيين . وقد أحضرت حكومة الانتداب كتيبة فرسان من قوة حدود شرق الأردن تمركزت في قرية ميرون * الواقعة عند سفح جبل الجرمق على مسافة ١٠كم إلى الغرب من صفد . وأخذت هذه الكتيبة تقوم بالدوريات ليل نهار في الأودية والجبال بحثا عن هؤلاء المجاهدين ، واستمرت تعمل أكثر من عام ، وتمكنت من القبض على اثنين منهم فقط واختفى الباقون .

من أهم نتائج معركة صفد هذه أن اليهود أخذوا يهجرون المدينة تدريجيا ، فبعد أن كان عددهم يتراوح بين ٧ و٩ آلاف لم يبق منهم في المدينة حتى عام ١٩٤٨ أكثر من ألفين .

هـ ـ نتائج الثورة : بدأت الحالة في نهاية شهر آب ١٩٢٩ تتجه نحو الهدوء ، باستثناء عدد ضئيل من الهجمات والحوادث .

كانت حصيلة أحداث ثورة ١٩٢٩ وقوع ١٣٣ قتيلا من اليهود وجرح ٢٣٩ منهم بينهم ١٩٨ إصاباتهم بالغة . أما العرب فقد قدموا ١١٦ شهيدا في حين بلغ عدد جرحاهم ٢٣٢ شخصا . ودمرت القوات البريطانية عدة قرى مثل لفتة * ودير ياسين * ، وألحقت أضرارا كبيرة بعدد آخر .

قدمت السلطات البريطانية إلى المحاكمة ما يزيد على ألف شخص ، أكثر من ٩٠٠ منهم من العرب ، بتهم تتعلق بأحداث شهر آب ١٩٢٩ ، وصدر الحكم بإعدام ٢٦ شخصا هم ٢٥ عربيا ويهودي واحد كان شرطيا دخل على أسرة عربية مؤلفة من سبعة أفراد فقتلهم جميعا . وقد أصرّت السلطات البريطانية ، فيما بعد ، على إعدام ثلاثة من العرب هم عطا الزير ، ومحمد جمجوم ، وفؤاد حجازي . ونفذ الحكم فيهم يوم الثلاثاء ١٩٣٠/٦/١٧ في سجن عكا . وأبدى الشهداء الثلاثة من رباطة الجأش والشجاعة والتفاني في سبيل الوطن ما جعلهم مخلّدين في قلوب أبناء الشعب ، وما دفع الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان * إلى تخليدهم في قصيدة « الثلاثاء الحمراء » .

وإلى ذلك طبقت السلطات البريطانية أحكام قانون العقوبات المشتركة على سكان المدن والقرى التي دينت " بالاشتراك في الهجوم المنظم على اليهود في الخليل ، وموتزا ، وعرتوف * " وفرضت عليهم غرامات كبيرة .

وكان المندوب السامي البريطاني تشانسلور في بلاده حين وقعت أحداث آب . وإثر عودته إلى القدس أصدر يوم ١٩٢٩/٩/١ بيانا أثبت فيه تحيزه للصهيونية والصهيونيين ، وافترى على العرب ، وكان كاذبا فيما ذكره في بيانه ، ووقحا جدا في تعابيره . وقد شجّع هذا البيان الصهيونيين على الادعاء بأن العرب مثّلوا بجثث القتلى اليهود وشوّهوها في الخليل . وتحدى العرب الصهيونيين وطلبوا إجراء تحقيق في ذلك . فألف المندوب السامي البريطاني لجنة من أطباء بريطانيين لفحص تلك الجثث بحضور ممثلين عن الجانبين العربي واليهودي . وفحصت اللجنة الجثث وقدمت تقريرا ذكرت فيه أنها " لم تعثر على دلائل تثبت تهم وقوع التمثيل في الجثث " . واعتبر تقرير اللجنة الطبية نصرا سياسيا ومعنويا للعرب الفلسطينيين .

أما بيان المندوب السامي البريطاني فقد أثار جوّاً من التوتر ،

وتتالت احتجاجات العرب الفلسطينيين عليه ، وعقدت مؤتمرات للرد عليه وتفنيده ، ومن ذلك الاجتماع الوطني العام الذي عقده أهالي منطقة يافا يوم ١٩٢٩/٩/٣ واحتجوا فيه بشدة على بيان المندوب السامي وطالبوا بلجنة تحقيق من عصبة الأمم* ، واجتماع اللجنة التنفيذية (وهي اللجنة المنبثقة من المؤتمر العربي الفلسطيني *) واصدارها بيانا كررت فيه مطالب الاجتماع الوطني في يافا ، واتخاذها مجموعة من القرارات كان من أهمها الاهتمام بالجرحى وأسر الضحايا ، وبالموقوفين والدفاع عنهم .

كلفت الحكومة البريطانية لجنة برلمانية عرفت باسم « لجنة شو »* ، نسبة إلى رئيسها والتر شو ، كلفتها التحقيق في أسباب ثورة ١٩٢٩ . وقد وصلت اللجنة الى فلسطين في ١٩٢٩/٩/٢٣ وانتهت من تقريرها في ١٩٣٠/٣/٦ . وقد عزت اللجنة السبب الرئيس للأحداث إلى " شعور العرب بالعداء والبغضاء لليهود ، وهو شعور نشأ من خيبة أمانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي . . بسبب الهجرة اليهودية وشراء الأراضي " .

وكان المندوب السامي تشانسلور كتب إلى وزير المستعمرات البريطاني باسفيلد يوم ١٩٢٩/١٠/١٢ ، أي في أعقاب الثورة ، يقول : " إن العرب لا يزالون يكنّون مشاعر البغض لليهود ، ولا يزال فرض المقاطعة مستمرا . . ولدى العرب الآن شعور متصاعد بالعداء للحكومة تعززه دعاية بارعة يقوم بها الزعماء العرب . ولقد قيل لي إن هذا الشعور لم يعد مقتصرا ، كما كان في السابق ، على الأوساط السياسية ، بل هو يمتد الآن ليشمل الطبقات الأدنى من الشعب ، كما يمتد إلى القرويّين " .

وبعد هذا التقرير بأسبوع رفع تشانسلور تقريرا آخر إلى باسفيلد قال فيه : " يبدو أن السكان المسلمين يقتربون من حالة اليأس بالنظر إلى تخلف الحكومة عن تلبية مطالبهم بأي شكل من الأشكال . وهذا الشعور لا يقتصر على القيادة فحسب ، بل هو منتشر في صفوف الطبقات الأدنى وسكان الأرياف أيضاً " .

لقد كانت أحداث ثورة ١٩٢٩ سببا في زيادة إيضاح ثلاث حقائق وجلائها أمام الجماهير الفلسطينية :

١) الحقيقة الأولى : أن الصهيونية والوطن القومي اليهودي كانا يعتمدان ، في الأصل والنهاية ، على الحراب البريطانية ، ومن ثَمّ تجب محاربة بريطانيا والصهيونية معا إذا أريد للصراع ضد الصهيونية أن يحقق أهدافه .

٢) الحقيقة الثانية : عدم قدرة زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية على قيادة الجماهير في الصراع ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني في فلسطين بسبب عدم إدراكهم الحقيقة الأولى ، وجهلهم للرابطة العضوية بين الصهيونية والاستعمار البريطاني .

٣) الحقيقة الثالثة : وعي الجماهير بأن الأسلوب المتبع في القتال ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني ، وهو أسلوب الاحتجاج والتظاهر ، غير ناجع ، ولا بد من اللجوء إلى استعمال السلاح وتشكيل منظمات مناضلة مقاتلة . وكانت « عصابة الكف الأخضر » * أول منظمة مقاتلة فلسطينية تشكلت إثر أحداث ثورة ١٩٢٩ .

المراجع :

ـ عبد الوهاب كيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ بيان نويهض الحوت : القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٨١ .
ـ صالح مسعود بو يصير : جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمود العابدي : صفد في التاريخ ، عمان ١٩٧٧ .
ـ كامل محمود خلة : فلسطين والانتداب البريطاني ، بيروت ١٩٧٤ .

ثـــورة ١٩٣٥ :

أ ـ المقدمة : حدثت تغييرات هامة في الحركة الوطنية الفلسطينية خلال سنوات الثلاثينات الأولى ولم تكن تلك التغييرات في الأهداف السياسية للحركة الوطنية ، بل كانت في أساليب الحركة ووسائلها . فمع تدفق أعداد المهاجرين الصهيونيين إلى فلسطين في تلك السنوات ، وزيادة امتلاك الصهيونية للأراضي في فلسطين ، ومع ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا ، وإدراكهم حقيقة الاستعمار ومناوراته وأساليبه ، وحقيقة ارتباط الصهيونية به ارتباطا عضويا ، انبعثت دعوة بين عرب فلسطين إلى اتّباع نوع آخر من أنواع النضال غير سياسة الاحتجاج والتظاهر والتمرّد السلبي والوسائل السلمية . وكانت حركة الشيخ عز الدين القسّام * النموذج الأول لهذا النوع الجديد من النضال ، إذ دعت إلى الكفاح المسلح طريقا لمكافحة الاستعمار والصهيونية . وشكّل القسام جماعات سرية نضالية مدرّبة ، وبذلك كان القسام رائد الكفاح المسلح في الحركة الوطنية الفلسطينية ، ومجسّد عروبة تلك الحركة ، إذ كان من أبناء شمالي سورية .

ومن طبيعة الحركات والتنظيمات السرية أن تظل حقائقها ووثائقها مجهولة وخافية على الناس . وكانت المنظمة التي أوجدها الشهيد الشيخ القسام من أخطر المنظمات العربية السرية خلال

عهد الانتداب البريطاني وأدقها تنظيما . وقد أُحيط تشكيل هذه المنظمة بإطار كثيف من السرية والكتمان ، كما ضُرب على ما قامت به من أعمال طوق شديد من الصمت والتكتم . لهذا فإن من العسير تقديم دراسة كاملة ووافية عن هذه المنظمة . ولكن يمكن تقديم مثل هذه الدراسة في ضوء ما عرف عن الشيخ الشهيد ومنظمته ، وما توفر من معلومات أكيدة عبر التجربة والممارسة .

ب ـ القسام في حيفا : ولد ونشأ عز الدين القسام في بلدة جبلة القريبة من مدينة اللاذقية السورية عام ١٨٧١ . وبعد أن عاد من الأزهر في القاهرة حيث تلقى العلم على الإمام الشيخ محمد عبده ، عكف على التدريس ، وشارك في الوقت ذاته في حركة الجهاد فانضم في بادىء الأمر إلى عصبة عمر البيطار ، ثم اشترك مع الشيخ صالح العلي في ثورته على الفرنسيين في شمالي سورية (١٩٢٠ ـ ١٩٢١) . وأرسلت إليه سلطة الاحتلال رسولا يعده بتوليته القضاء وبذل العطاء إن هو كفّ عن تمرده ، فردّ الرسول خائبا . فحكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالإعدام ، مما اضطره إلى اللجوء إلى حيفا * في ١٩٢٢/٢/٥ حيث استوطن وتولى التدريس في جامع النصر ، وعمل مدرسا في المدرسة الإسلامية بحيفا ، وكانت معقلا من معاقل الحركة الوطنية الفلسطينية . ثم عيّنه المجلس الإسلامي الأعلى * خطيبا لجامع الاستقلال في حيفا ومأذونا شرعيا . وبذلك توفر للقسام عن طريق الوظائف الأربع التي صار يشغلها مجال واسع للاتصال المباشر بالشعب ، وبصورة خاصة بالطبقات التي يخرج من صفوفها ، عادة ، المجاهدون .

وكانت حيفا عندما هبطها القسام تنمو في عمرانها ، فهي مرفأ فلسطين الأول ، وأقرب مدنها إلى لبنان ودمشق ، وهي قاعدة من قواعد النشاط والتحرك الصهيوني . ووجد القسام في « جمعية الشبان المسلمين » التي تألفت عام ١٩٢٧ فرصة لتوسيع نطاق علاقاته بالناس فكان رئيسها وحامل لوائها . ولعل القسام وجد في حيفا ما كانت نفسه تتوق إليه ، وهو أن ينشىء عصبة تكون نواة للثورة ضد الاستعمار والصهيونية . وقد استطاع أن يحقق أمله فأنشأ ، بعد عدة سنوات من مقامه في حيفا ، عصبة سرية شرطاها الأساسيان : أن يقتني العضو السلاح على حسابه الخاص ، وأن يتبرّع بما يستطيع لهذه العصبة .

وكان الشيخ القسام ذا شخصية جذابة ، حسن السيرة والمعاشرة ، محدّثا لبقا وخطيبا بارعا . وقد ابتدأ يخرج إلى القرى منذ عام ١٩٢٩ عندما عين مأذونا شرعيا . فكان بمقتضى عمله هذا يحضر حفلات الأعراس ، ويتعرف إلى الناس ، ويستقي الأخبار ، ويتصل بسائر طبقات الشعب .

وقد ذكر الكثيرون من إخوان الشيخ القسام أنه كان يناقش المثقفين وأنصار الأساليب السلمية ، وأنه كان يراقب المصلين وهو يخطب فوق منبر المسجد ، ويدعو من يتوسم فيهم الخير والاستعداد للتمرد ليقنعهم بالعمل لإنقاذ فلسطين مما يهددها من أخطار . وكان القسام في جميع مراحل عمله من الإقناع إلى ضم المناضلين إلى جماعته يستعين بالكتمان على تحقيق هدفه ، فكان لا يبوح بالسرّ الذي يحمله ، وهو الدعوة إلى الثورة لمنع إقامة وطن قومي صهيوني في أرض فلسطين ، إلّا لأشخاص قلائل بعد أن يدرس نفسيتهم ويمتحن إخلاصهم لمدة قد تطول عدة سنوات .

وكان القسام في دعوته إلى التيقّظ ضد مخاطر الاستعمار والصهيونية يدعو الناس إلى اتّحاد الكلمة ولمّ الشعث ورصّ الصفوف . وكان يبثّ الروح الوطنية في النفوس ، ويلح على العودة إلى تعاليم السلف الصالح منذرا قومه بعواقب الشقاق والتمزّق .

وكان القسام ينتقي أصحابه من أهل الدين والعقيدة الصحيحة ، ويقوم بتدريبهم في رحلات ليلية . كما كانوا يقومون بتحركات استطلاعية يتمرّنون في أثنائها على إصابة الهدف .

وكان أنصار القسام يتألفون من العمال والفلاحين والباعة الذين كانوا يحضرون دروسه ، فكان يحضّهم على وجوب الجهاد ، وينمّي في نفوسهم روح المقاومة استعدادا لحمل السلاح حينما يحين وقت الثورة .

جـ ـ أجهزة العمل : وهكذا أخذت نواة الحركة الثورية تتألّف حول القسام وتتّسع بمرور الزمن بسرعة مذهلة . وازداد عدد المنضمين إلى جهازه الذي أداره القسام بمهارة وحكمة ولباقة ؛ وشكّل القسام من أفراد المنظمة حلقات صغيرة تتألف الواحدة منها من رقيب وخمسة أفراد . وكان أفراد الحلقة الواحدة يعرف بعضهم بعضا ، ويعرفون الزعيم (القسام) ، ولكنهم لم يكونوا يعرفون إطلاقا أي شيء عن الحلقات الأخرى وأفرادها . كذلك شكّل القسام مجموعات قيادية تتألف من كبار رجال التنظيم ، منها مجموعة للتدريب العسكري ، ومجموعة لجباية الأموال ، ومجموعة للاتصالات السياسية والشعبية ، ومجموعة لشراء السلاح ، وأخرى للتجسس على البريطانيين والصهيونيين . وكانت أخطر مجموعة شكلها القسام هي مجموعة الدعاية للثورة ، ومهمتها الأساسية إقناع الناس بعدم جدوى التعاون مع الإنكليز أو الاعتماد عليهم ، وبأن الجهاد في سبيل الله والوطن هو الطريق الوحيد لبلوغ الأهداف . وكان من مهامها أيضاً توجيه الناس للتعاون والتضافر والأخلاق الحميدة ، ومقاومة ما كان يبذله الإنكليز والصهيونيون من جهود لثلم وحدة الصف العربي وصرف أنظار العرب عن المقاومة والكفاح .

وعرف أكثر وأكبر المنتظمين في هذا الجهاز السري باسم (الشيوخ) ، على أنهم والشبان الذين انضووا تحت لواء القسام ظلوا مجهولي الهوية والأسماء لا يعرفهم الناس . وقد عرف فيما بعد ، ولا سيما بعد استشهاد القسام ، أسماء بعض كبار رجال منظمته وبعض الشبان الوطنيين العاملين معه .

وكانت مدينة حيفا تتقدم وتتطور فانتقل الكثيرون من العرب من مناطق القدس * ونابلس * وغيرها للعمل فيها ، وتضاعف عددهم على مرّ الأيام فوُجدت في حيفا كتلة عامة قوية من العمال وغيرهم كانت في الحقيقة المعين الذي اختار منه القسام المؤهلين للعمل .

ومما هو جدير بالذكر أن القسام كان قد أوجد في عدد من قرى لواء الشمال تشكيلات مسلحة سرية من الشبان مهمتها مناوشة القوات البريطانية وإنجاد المجاهدين في حالة وقوع اصطدام مع الصهيونيين أو الإنكليز ولما بدأت المنظمة أعمالها انضمّ إليها المزيد من الشباب الوطني .

د ـ المال والسلاح : كانت مهمة تمويل حركة القسام ومدّها بالسلاح صعبة للغاية بسبب الأحوال السائدة ، وسريان مفعول أنظمة الطوارىء والقوانين الاستثنائية . وكانت مصادر التمويل متعددة وسرية منها :

١) تبرعات الأفراد المنتظمين .

٢) تبرعات من أبناء حيفا كان يتولى جمعها سرّاً بعض أعضاء الحركة والرجال الوطنيين .

٣) تبرعات من الجمعية الإسلامية في حيفا تسجّل في ميزانيتها تحت بند مساعدة المعوزين من المسلمين .

أما الحصول على السلاح والعتاد فقد كان أكثر صعوبة من الحصول على المال . وقد قدم كبار قادة المنظمة بعض البنادق والمسدسات القديمة في حين أن بعض أنصار القسّام ومريديه في جبلة واللاذقية هرّبوا إلى حيفا كمية صغيرة من السلاح .

هـ ـ بداية العمل المسلح : برمج القسام ثورته في أربع مراحل :

١) الإعداد النفسي ونشر روح الثورة المسلحة .

٢) إنشاء حلقات سرية .

٣) تشكيل لجان قيادية لجمع التبرعات وشراء السلاح .

٤) الثورة المسلحة .

وكان يرمي أثناء تطبيق هذا البرنامج إلى الإسهام مع أصحابه في تهيئة أكبر عدد ممكن من المجاهدين ، وتدريبهم وتجهيزهم للقيام بثورة عامة في فلسطين في الوقت الملائم ، وبعد اكتمال الإعداد. على أن عدة عوامل واعتبارات هامة جابهت العرب في عامي ١٩٣٣ و١٩٣٤ دفعت القسام ومنظمته إلى البدء بالعمل المسلح ، قبل أن يُتمّ العاملون التأهب والإعداد . وكان من هذه العوامل والاعتبارات :

١) تدفق الهجرة الصهيونية إلى فلسطين * بصورة مخيفة .

٢) اندفاع الصهيونيين ، تؤيدهم بريطانيا ، في التسلح وتشكيل المنظمات الإرهابية السرية .

٣) استفحال خطر تسرب الأراضي إلى اليهود وتفاقم أعمال السماسرة والخونة والجواسيس في خدمة الأعداء .

تحت ضغط هذه العوامل ، وفي ضوء تعطّش الشعب الفلسطيني إلى مقاومة الأعداء بالقوة ، بدأ القسام العمل المسلح . ولكنه لم يخض في بادىء الأمر ثورة مكشوفة ضد الأعداء ، وآثر الضربات الخاطفة والأعمال الفردية والمحلية ليقينه بأن من شأنها إزعاج الأعداء ورفع معنويات الشعب وتعميق الدعوة للتمرد والعصيان .

و ـ العمليات الثورية : عندما قرر القسام القيام بأعمال مسلحة ضد الأعداء لم يكن الشعب أو الإنكليز أو اليهود يعلمون شيئا عن المنظمة القسامية ، فيما كان الشيخ القسام يمارس وظائفه وأعماله في حيفا ويظهر أمام الجميع .

قام القساميون وتشكيلات الشباب المرتبطة بهم فور صدور قرار القسام بسلسلة من الأعمال ضد المستعمرات الصهيونية ودوريات الجيش البريطاني والشرطة ، وأشاعت هذه الأعمال القلق والذعر في الأوساط الإنكليزية والصهيونية ، وحلّت بها الحيرة والتخبط لعدم معرفتها أصحاب هذه الأعمال ومن يقف خلفهم . ولم تقع معارك كبيرة مكشوفة بين القساميين والجيش ، إذ اقتصرت أعمال المجاهدين على مهاجمة المستعمرات الصهيونية ودوريات الشرطة والجيش ثم الاختفاء ، وهي من أساليب حرب العصابات . وقد ألحقت هذه الأعمال خسائر كبيرة بالممتلكات والمزروعات الصهيونية ، وأدّت إلى قتل كثير من الإنكليز

والصهيونيين . ووقعت اصطدامات شديدة وواسعة بعض الشيء بين المجاهدين وقوات السلطة في كل من أم الزينات * وفرادة وعرابة * والبطوف * وبيت جن والناصرة * وجبل الكرمل * وبلد الشيخ * ووادي الطبل بالكرمل وشعب ولوبية * .

وفي عام ١٩٣٣ هاجم عدد من المجاهدين مستعمرة نهلال الواقعة قرب الطريق الرئيس بين حيفا والناصرة . وكان هجوما مركّزا استعملت فيه القنابل والمتفجرات ، مما ألحق بالمستعمرة خسائر كبيرة في الأرواح والأموال .

وأثار هذا الهجوم غضب الإنكليز والصهيونيين فانطلقوا يسخّرون مختلف وسائلهم للعثور على الذين قاموا بالهجوم على نهلال .

وبعد مرور نحو ثلاثة أشهر على هذا الهجوم وبفضل أعمال التجسس التي قام بها بعض العملاء من رجال الشرطة تمكن الإنكليز من القبض على صالح أحمد طه ومصطفى علي الأحمد وخليل محمد عيسى * (أبي إبراهيم الكبير) وأحمد الغلاييني وأحمد التوبة وآخرين غيرهم وقادوهم إلى المحاكمة ، فأصدرت المحكمة حكما بالإعدام على مصطفى علي الأحمد ، وبالسجن ٢٥ عاما على أحمد الغلاييني ، وبرّأت الآخرين .

وكانت المحاكمة ، وقد شغلت الرأي العام العربي ، غاية في الأهمية والخطورة لأن المتهمين الذين مثلوا أمام المحكمة تخلصوا بلباقة وحسن تصرّف من محاولات النائب العام والقضاة حملهم على الاعتراف بوجود منظمة سرية . ومن المهم جدا أنه لم يرد ذكر القسام خلال المحاكمة .

وتأكد المجاهدون أن ضابطي الشرطة حليم بسطة وأحمد النايف هما اللذان اكتشفا « المتهمين » وحرّضا الإنكليز عليهم ، وأنهما كانا ينشطان لمعرفة أسرار المنظمة نفسها ، فاغتالهما المجاهدون في وسط مدينة حيفا بعد أيام من انكشاف أمرهما .

ومن العمليات المعروفة لجماعة القسام هجوم على مستعمرة عتليت ، وقتل عدد من الصهيونين ، وتصديهم لقافلة من السيارات كانت تنقل عمالا صهيونيين والقضاء على عدد منهم .

ومن الأعمال الأخرى البارزة التي قام بها المجاهدون ملاحقة باعة الأراضي والسماسرة وعملاء السلطة من العرب ، وأفراد الشرطة الذين كانوا يمعنون في اضطهاد الوطنيين . وكان نصيب عدد كبير منهم الاغتيال .

وقد أشار التقرير السنوي لحكومة الانتداب لعام ١٩٣٥ إلى أن الحكومة كان لديها شك كبير في أن " لعصابة القسام علاقة بالأعمال الإرهابية التي حدثت خلال السنوات السابقة " .

استمرت الاصصدامات بين الثوار وقوى السلطة ، وازداد عدد الهجمات على المستعمرات الصهيونية . واتسعت عملية اغتيال باعة الأراضي والسماسرة والعملاء ، الأمر الذي ضاعف من جهود الأعداء لمعرفة الحقيقة .

ولم يلبث الشيخ القسام وجماعته أن قرروا القيام بالثورة علنا لرفع معنويات الجماهير وإبراز الأهداف التي يجاهدون في سبيل تحقيقها ، ولإحباط الدعاية المعادية التي كانت تحاول إظهار أعمال القساميين على أنها أعمال إجرامية هدفها السلب والنهب .

وقد أصبح الوضع في عام ١٩٣٥ لا يحتمل مزيدا من تأجيل إعلان الثورة ، فقد بلغ خطر الهجرة اليهودية حدا كبيراً ، وأصبح تسلح الصهيونيين بمساعدة الإنكليز أمراً لا يجوز السكوت عنه . وهكذا تقرر البدء بالتحرك من أجل الثورة في المنطقة الجبلية شمالي فلسطين . ومن أجل التنفيذ عقد اجتماع في منزل محمود سالم المخزومي في حيفا ليلة ١٩٣٥/١١/١٢ حضره اركان الثورة وزعيمها . وكان أصحاب القسام باعوا حليّ زوجاتهم وبعض أثاثهم واشتروا بها بنادق وذخائر . ثم قصدوا الجبال القريبة من حيفا ، ولجأوا إلى أحراج بلدة يعبد * من قضاء جنين ، واختاروا قرية الشيخ زيد قاعدة لهم . وفي الوقت ذاته تسلل عدد كبير من جماعة القسام وشبان مسلحون إلى مدينة حيفا لمساندة الهجوم المنتظر الذي سيشنه القسام وجماعته على المدينة منطلقا من أحراج يعبد .

وعلم الإنكليز أن القساميين موجودون في أحراج يعبد ، وأنهم يستعدون للدخول في معركة مع قوات الحكومة . وبلغهم أن المسلحين من أهل القرى المجاورة جهزوا أنفسهم لإنجاد القساميين . على أن الإنكليز لم يعلموا أن القسام نفسه كان على رأس رجاله في أحراج يعبد ، ولذلك ضاعفوا جهودهم للقبض عليه في حيفا وقاموا بعمليات تفتيش إرهابية في منطقتها .

وأرسل الإنكليز قوات كبيرة حاصرت أحراج يعبد في حين كان القسام قد أقام بعض نقاط لرصد تحركاتهم على حدود المنطقة الحرجية ، فحدثت عدة اصطدامات بين طلائع القوات البريطانية وطلائع القساميين ، قتل خلالها جندي بريطاني وبعض رجال الشرطة ، الأمر الذي أثار المسؤولين البريطانيين فأمروا القوات المحاصرة باقتحام الأحراج ومنازلة القساميين . وتعاظم عدد القوات البريطانية تدعمها المصفحات والدبابات في حين قامت الطائرات البريطانية بطلعات استكشافية متواصلة لمعرفة مواقع القساميين وأعدادهم .

استمرت المناوشات بين الإنكليز والقساميين نحو خمسة أيام . ثم تبين للإنكليز أن القسام نفسه موجود في المنطقة . فشنّوا هجوما مركّزاً صدّه القساميون بعزم وتصميم ، وبعث الإنكليز بعض رجال الشرطة العرب لإقناع القسام وزملائه بالاستسلام . ولكن القسام وأصحابه رفضوا هذا الطلب واختاروا الجهاد والشهادة . عندئذ

تحركت قوات السلطة وما معها من مصفحات ودبابات وطائرات في هجوم واسع النطاق على القساميين . وحين أدرك الثوار قوة الزحف البريطاني نصح بعضهم الشيخ القسام بمغادرة الأحراج ، وكان في استطاعته اختراق الحصار والنجاة بنفسه وبمن يرافقه من رجاله على أن يبقى الآخرون لمناوشة القوات الزاحفة . ولكن القسام رفض هذه النصيحة وهيأ نفسه للقتال وللشهادة .

ز ـ استشهاد القسام : في ١٩٣٥/١١/٢٠ وقعت المعركة الكبرى بين القساميين والأعداء ، وقد استمرت أربع ساعات هلك خلالها عدد غير قليل من رجال السلطة واستشهد من القساميين الشيخ يوسف عبد الله ، وأحمد الشيخ سعيد ، وسعيد عطية أحمد ، وأحمد مصلح الحسين، وجرح عدد آخر. واستؤنفت المعركة الضارية بعد ظهر اليوم ذاته فاستشهد فيها الشيخ عز الدين

القسام وجرح عدد من زملائه، أما الباقون فإنهم استطاعوا اختراق الحصار والوصول إلى منطقة الشمال الفلسطينية وهم يحملون جثة قائدهم الشهيد إلى مدينة حيفا ، ووقع عدد صغير من المجاهدين أسرى بأيدي الإنكليز فنقلوهم إلى سجن نابلس .

اضطرب الرأي العام الفلسطيني لدى سماعه أنباء المعركة واستشهاد القسام . وقد اشتد غضب الشعب على الحكومة لأنها أشارت في بلاغها الرسمي الذي أصدرته بعد انتهاء المعركة إلى القساميين بأنهم « عصبة من الأشقياء » .

هرع إلى حيفا عدد كبير من زعماء البلاد للاشتراك في تشييع جثمان القسام . وغصت حيفا بوفود كثيرة العدد حضرت من جميع أنحاء فلسطين ، في حين قضى أهل حيفا ليلتهم بانتظار تشييع الجنازة وأعلنوا الإضراب العام فيها .

نعي الشيخ القسام وصحبه من مآذن المسجد الأقصى ومساجد فلسطين . وصّلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب . وحملت الجماهير نعش القسام ، وسار موكب الجنازة مجلّلا بالأعلام السورية والمصرية والعراقية والسعودية واليمنية . ودفن الشهيد في مقبرة الياجور قرب بلد الشيخ التي تبعد ٧ كم تقريبا عن حيفا . وقد استغرقت مسيرة الجنازة نحو ٤ ساعات ، وتحولت إلى مظاهرة عاصفة ، ووقعت عدة اصطدامات دامية بين الجماهير وقوات الحكومة جرح فيها كثيرون من الجانبين .

ترك استشهاد القسام ردّ فعل عنيفا في الأوساط الفلسطينية والعربية ، فعمّت المظاهرات الصاخبة مدن فلسطين وقراها ، ونادى خلالها المتظاهرون بوجوب الثأر للشهداء والالتجاء إلى القوة المسلحة لمحاربة الأعداء . وجرت في العواصم العربية مظاهرات ومهرجانات مماثلة .

وكان لحركة القسام واستشهاده أكبر الأثر في التعجيل بإنجاز مهمة التنظيم السري والدعوة للثورة . وقد غدا الشعب برمّته مؤمنا بوجوب النضال المسلّح .

ح ـ استمرار الثورة : لم يؤدّ استشهاد الشيخ عز الدين القسام وبعض زملائه في معارك أحراج يعبد إلى ما كان يأمله الأعداء من توقف أعمال الجهاد ، ذلك أن القساميين أعادوا تنظيمهم ، واختاروا خليل محمد عيسى (أبا إبراهيم الكبير) لقيادة منظمتهم ، في حين ازداد عدد أفراد المنظمة كثيرا ، وبادر الكثيرون من الشبان إلى الانضمام إلى المجاهدين، وقد حفزهم إلى هذا التطوع استشهاد القسام والروح الثورية التي بثّها في حياته وجسّدها في مماته .

اختار القساميون شمال فلسطين (أقضية حيفا وعكا وصفد والناصرة) قواعد لأعمالهم ، واعتصموا بصورة خاصة في الجبال الشاهقة المعروفة في شمال البلاد . واستأنفوا شنّ الهجمات الشديدة على المستعمرات الصهيونية وقوات الجيش والشرطة . وقد حدثت معارك خطيرة بين القساميين وقوات السلطة في دالية الكرمل وشعبا والمغار ولوبية وصفورية * وغيرها استشهد فيها بعض المجاهدين ، وهلك من الأعداء كثيرون .

وشكل القساميون « محكمة ثورة » خاصة للنظر في « المخالفات الدينية والقومية » التي يرتكبها بعض العرب كبيع الأرض لليهود ، أو السمسرة عليها لحساب الأعداء ، أو القيام بأعمال تجسسية ضد المجاهدين . وقد دانت هذه المحكمة عددا من العرب كان مصيرهم الإعدام .

ظل القساميون في الميدان خلال الأشهر الستة التي أعقبت استشهاد القسام . ولّما نشبت الثورة الفلسطينية في مطلع أيار ١٩٣٦ انضموا إليها ، وقاموا بأعمال مجيدة تسجّل لهم بغبطة وافتخار .

ط ـ خلاصة : تشكل ثورة الشيخ عز الدين القسام وإخوانه وتلامذته منعطفا في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ؛ فقد تميزت بأنها الثورة المسلحة المنظمة الأولى التي اعتمدت الكفاح المسلح أسلوبا لتحرير فلسطين من الاستعمار البريطاني والصهيونية واتبعت قيادتها طريقة إنشاء الجماعات الثورية. وكان اعتماد القسام على طبقتي الفلاحين والعمال واضحا في إقامة تنظيمه الثوري أكثر من اعتماده على المثقفين وغيرهم من طبقات المجتمع .

ومن الملاحظ أن إطار الثورة لم يمتدّ أو يتّسع ، ولم يطل زمن الثورة . وعلة ذلك أن الشيخ القسام كان شديد الحذر في قبول انضمام المناضلين إلى حركته ، فقد كان يخشى اندساس العملاء أو المنافقين . وبالإضافة إلى ذلك كان نضال الحركة الوطنية الفلسطينية متّسما يومذاك بالسعي إلى نوال الحقوق بمختلف أساليب النضال عدا أسلوب الكفاح المسلح . لهذا بدأ القسام متأنّيا في إقامة تنظيمه ، ساعيا إلى تنفيذ برنامجه بدقة وتصميم ، مقتنعا بأن انطلاق جماعة ثورية متماسكة ، مدرّبة تدريبا حسنا ، متعاهدة على الجهاد والشهادة ، سيكون كافيا لاستقطاب عدد كبير من الثوار ، فتنشأ جماعات ثورية متعددة في مختلف أنحاء البلاد ذات أهداف وقيادة واحدة . غير أن الظروف التي كانت سائدة في فلسطين لم تمهل القسام لإكمال تنفيذ برنامجه ، مما دفعه إلى بدء الثورة في أحراج يعبد . ولم يطل الزمن بانطلاقة القسام وصحبه في الثورة حتى انقضّت عليهم قوات الاستعمار وهي أكثر منهم عدة وعددا .

وعلى الرغم من أن التنظيم الذي أعدّه القسام ودرّبه للثورة لم يكن كبيرا فقد قدّرته بعض المراجع بنحو ٢٠٠ مناضل و٨٠٠ من الأنصار . على الرغم من ذلك كان لثورة القسام معنى سام أكثر من حجمها العددي ، وكانت رمزا وتمهيدا وقدوة للحركة الثورية التي سادت فلسطين بعد عدة أشهر من استشهاد القسام ، وهي ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ * .

ولقد أقام القسام تنظيمه الثوري ووضع برنامجه ونفّذه منطلقا من إيمانه بأن الجهاد المسلح وحده هو الذي يستطيع أن يمنع بريطانيا من إقامة « وطن قومي يهودي » في فلسطين . وفي مقابل هذا الإيمان الذي كان جوهر حركة القسام وتنظيمه الثوري لم تكن الأحزاب والقيادات الفلسطينية العاملة في الحركة الوطنية يومذاك تؤمن بأن وقت الثورة المسلحة قد حان ، وبأن الشروط أصبحت متوافرة للعمل الثوري المسلح . ومن هنا تضاربت آراء المؤرخين حول علاقة الشيخ القسام بالأحزاب والقيادات الفلسطينية ؛ فمنهم من قال إن القسام كان عضوا في حزب الاستقلال * في حيفا ، وإنه كان على صلة وثيقة ببعض أركانه . ومنهم من قال إن لبعض زعماء الحركة الوطنية صلات بالتشكيلات الثورية في تنظيم القسام . وذكرت مصادر الهيئة العربية العليا لفلسطين * أن القسام كان عضوا في لجنة الحزب العربي * التنفيذية ، وأنه كان أكثر رجال الحزب اتصالا بالمفتي وتعاونا معه ، وأنه تمت في خريف ١٩٣٥ مباحثات سرية بين القسام وصحبه وبين المفتي ورجال الحركة الوطنية في القدس انتهت بالاتفاق على انتهاج خطة معينة في مقارعة الأعداء . وأشارت مصادر أخرى إلى أن القسام لم يكن مؤمنا بأي حزب ولم يكن مرتبطا بأية جهة .

غير أن من يتتبع أدوار حركة القسام منذ نشوئها حتى استشهاد قائدها ، ويدرس شخصية الشيخ وفكره وصفاته ، يدرك أن جوهر حركته وأسلوبها وهدفها تتطلب استقلالا في التفكير والتخطيط والتعبئة الثورية والتنفيذ . ولهذا فإن كان للقسام علاقات تعاون وصلات طيبة بالأحزاب الوطنية والقيادات الفلسطينية العاملة في الحقل الوطني يومذاك فإن تلك العلاقات والصلات لم تبلغ حدّ المساس باستقلال حركة القسام ، عقيدة وتخطيطا وتنفيذا .

المراجع :

ـ ناجي علوش : المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ ـ ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ أحمد طربين : قضية فلسطين (١٨٩٧ ـ ١٩٤٨) ، دمشق ١٩٦٨ .
ـ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) القاهرة ١٩٦٧ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ مجلة فلسطين : العدد ٣ ، ١٩٦١/٣/١٥ .
ـ مجلة شؤون فلسطينية : العدد ٦ ، كانون الثاني ١٩٧٢ .

ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ :

أ ـ تمهيد : لا بد قبل الدخول في البحث من تسجيل الملاحظات التالية :

١) بدأت ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ عمليا وشعبيا قبل إعلان الجهاد المقدس في مطلع أيار ١٩٣٦ .

٢) إن هذه الثورة وتطوّراتها وأحداثها هي سلسلة ملتحمة الحلقات من أعمال مسلحة ، وإضرابات عامة ، ومظاهرات شعبية ، واصطدامات محلية بين العرب والأعداء ، ونضال سياسي شديد ، وجهود دبلوماسية ودعائية ، ومقاطعة للأعداء في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ومقاومة جدّية لباعة الأراضي والذين يسمسرون لبيعها لليهود .

٣) إن هذه الثورة مرّت بثلاث مراحل رئيسة :

المرحلة الأولى : من نيسان ١٩٣٦ إلى تشرين الأول ١٩٣٦ ، وقد سادها العمل المسلح .

المرحلة الثانية : من تشرين الأول ١٩٣٦ إلى أيلول ١٩٣٧ ،

واتّسمت بنضال سياسي ودعائي ، وبمقاومة عنيفة لسياسة الحكومة البريطانية ، وباغتيال الباعة والسماسرة والجواسيس ، وبالتصدي لمشروع تقسيم فلسطين الذي كانت بريطانيا تمهّد السبيل لتنفيذه . واتسمت هذه المرحلة أيضاً باصطدام سياسي عميق بين القيادة الوطنية والسلطات البريطانية .

المرحلة الثالثة : من أيلول ١٩٣٧ إلى أيلول ١٩٣٩ ، وكانت ثورة مسلحة مستمرة في داخل فلسطين ، وأعمالا دعائية وسياسية وجهودا دبلوماسية خارج فلسطين .

ب ـ الأسباب والعوامل : تجمعت عدة عوامل واعتبارات هامة تولّدت عنها الأسباب والظروف التي أدّت إلى نشوب هذه الثورة العظيمة التي كانت أكبر وأطول ثورة قام بها أي شعب عربي ضد أعدائه ، باستثناء ثورة الجزائر .

١) الأسباب البعيدة : تعود الأسباب البعيدة لهذه الثورة إلى تصميم الفلسطينيين على الدفاع عن عروبة وطنهم ووحدة أراضيه ، وإنقاذ فلسطين من شرور السياسة البريطانية والغزوة الصهيونية ، كما تعود إلى تمسك الفلسطينيين بميثاقهم الوطني ، وعزمهم على بلوغ أهدافه بالحرية والاستقلال والوحدة العربية الشاملة .

وهذه الأسباب العميقة والجذرية هي التي أدّت إلى نشوب الثورات الفلسطينية في أعوام ١٩٢٠ * و١٩٢١ * و١٩٢٩ * وإلى ما وقع في فلسطين من أحداث ومظاهرات وإضرابات واصطدامات دامية بين العرب وأعدائهم منذ ١٩١٩ وحتى ربيع ١٩٣٦ .

وزاد من تصميم الفلسطينيين على الدفاع عن عروبة وطنهم في وجه الاستعمار البريطاني والغزوة الصهيونية التجارب المريرة التي مرّت بها الحركة الوطنية الفلسطينية منذ نشأتها في ١٩١٨/١٩١٩ ، وما منيت به جميع محاولات التفاهم مع الإنكليز من إخفاق وخيبة أمل .

وقد ساد الفلسطينيين بعامة ، وقيادتهم السياسية بخاصة ، اقتناع عميق ، بعد عام ١٩٣١ ، بأن بريطانيا لن تدخل أي تبديل أو تعديل على سياستها ، وأنها تساعد الصهيونيين على بلوغ هدفهم بتهويد فلسطين . وانجلى هذا الاقتناع عن شعور عام في البلاد بأنه لا جدوى من الجهود والمساعي السياسية التي كانت تبذل بنشاط لإقناع بريطانيا بتغيير مواقفها والعمل على إنصاف العرب ، وبأن لا فائدة من مواصلة إرسال الوفود إلى بريطانيا وأوربا وأمريكا ، والقيام بأعمال الدعاية في الخارج للدفاع عن قضية فلسطين وعرض مطالب العرب على المحافل الدولية ، وبأن السبيل الوحيد المجدي لإنقاذ الوطن هو مجابهة الأعداء بالقوة والعنف . وقد عمل هذا الاقتناع على تغذية وتعميق حركة الإعداد السرّي للجهاد والكفاح المسلّح ، وزادها عزما ونشاطا ، وأشعر المسؤولين في الحركة الوطنية بوجوب التعجيل في إنجاز مهام التأهب والإعداد والاستفادة من الشعور المتوثّب تأييدا لأعمال الجهاد والتحرير .

وكان الإيمان بعدم جدوى العمل السياسي ، وبأن النضال المسلح هو السبيل الوحيد لبلوغ الأهداف الوطنية ، قد وجد تجسيده بشكل حيّ وواقعي في ثورة الشيخ عز الدين القسام عام ١٩٣٥ ، فقد أيقظت هذه الثورة الشعب الفلسطيني ، وأشعلت في نفسه الحماسة للجهاد ، ورفعت معنوياته ، وأثبتت له بالتجربة أنْ لا سبيل لمواجهة الاستعمار والصهيونية إلّا الثورة المسلحة عليهما (رَ : ثورة ١٩٣٥) .

٢) الأسباب القريبة : أما الأسباب القريبة المباشرة لنشوب الثورة وحفز الشعب إلى تلبية نداء الجهاد فهي كثيرة أهمّها :

(١) استفحال تدفق الهجرة الصهيونية على فلسطين بعد تولّي الحزب النازي مقاليد الحكم في ألمانيا ، وارتفاع أعداد المهاجرين خلال السنوات ١٩٣٣ ـ ١٩٣٥ بشكل أثار مخاوف الشعب بصورة ملموسة (رَ : الهجرة الصهيونية إلى فلسطين) .

(٢) استمرار الهجرة اليهودية (السرّية) إلى فلسطين ، وتغاضي الحكومة البريطانية عنها والتستّر عليها وحمايتها .

(٣) تفاقم خطر استيلاء اليهود ، بشتى الوسائل والأساليب ، على أراضي فلسطين ، وإمعان الحكومة البريطانية في سنّ الأنظمة والقوانين لتسهيل عملية استيلاء اليهود على الأراضي .

(٤) قيام الصهيونيين (بمعرفة الحكومة ومساعدتها) بتهريب كميات كبيرة من السلاح والعتاد إلى فلسطين وتوزيعها على المدن والمستعمرات الصهيونية ، بالإضافة إلى نشاطهم (العلني والسري) في إنشاء تشكيلات ومنظمات عسكرية وإرهابية ، واشتراك ضباط بريطانيين في تنظيمها وتدريب أفرادها .

٣) الأسباب النفسية : يضاف إلى الأسباب البعيدة والقريبة لثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ الأسباب النفسية التي تعتبر من حيث تأثيرها على الشعور العام ، وما كان لها من ردود فعل في الأوساط الشعبية ، من العوامل الأساسية في نشوب الثورة ، إذ هيّأت النفوس للإقبال عليها والاشتراك فيها ومن هذه العوامل :

(١) ما كان يتعرض له الفلسطينيون عامة والمجاهدون خاصة من اضطهاد وظلم على أيدي الإنكليز .

(٢) إقدام الصهيونيين على اقتراف أعمال إجرامية إرهابية ضد العرب ، ولا سيما في المناطق المحاذية للمدن والمستعمرات الصهيونية .

(٣) اعتزاز الفلسطينيين بما أخذوا يلمسون وجوده من تشكيلات ومنظمات عسكرية فلسطينية (سرية) تمّ إعدادها لأعمال الجهاد ، ويقينهم بأن قيادة الحركة الوطنية عملت على حشد الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي لدعم أهل فلسطين .

(٤) اتفاق جميع الأحزاب والفئات والجماعات الفلسطينية على توحيد الكلمة والصف ، وانتهاء عهد الاختلافات والمشاحنات ، وتشكيل « اللجنة العربية العليا لفلسطين » * .

٤) العوامل الأخرى : طرأت قبل إعلان الثورة أحداث عجّلت بنشوب الثورة :

(١) ففي مطلع شهر نيسان ١٩٣٦ ضاعف الصهيونيون هجماتهم العدوانية المسلحة على العرب لإثارتهم وجرّهم إلى خوض المعركة قبل أن يتمّوا استعدادهم للثورة . وكان الإنكليز والصهيونيون قد علموا يومئذ باتجاه العرب نحو التأهب والاستعداد . لكن هذه الخطة الصهيونية المبيّتة منيت بالفشل ، إذ امتنع التشكيل السري عن مجابهة الهجمات الصهيونية السابق ذكرها وترك أمر الرد عليها للأهلين في مناطق الاعتداء .

(٢) لجأ الصهيونيون بعد فشلهم السابق إلى خطة أخرى لإقحام العرب في المعركة في وقت ما زال فيه الخلاف والشقاق قائما بين الأحزاب العربية . وقد بنيت هذه الخطة على شنّ أعمال عدوانية ضد يافا أكبر مدينة عربية في فلسطين . ولكن هذه الخطة انقلبت على أصحابها ، إذ إنها أدت إلى وحدة صف الفلسطينيين بشكل سريع ، فأعلنت يافا الإضراب العام ، وتبعتها مدن وقرى فلسطين، وبادر زعماء المدن والقرى على اختلاف مشاربهم وفئاتهم إلى إنشاء اللجان القومية * (لجنة في كل مدينة وقرية كبيرة) . وضمّت هذه اللجان ممثلين عن جميع الأحزاب والطوائف والفئات .

(٣) في ٢٥ نيسان ، والإضراب العام ما زال قائما ، عقدت اللجان القومية مؤتمرا عاما لها في القدس . وقرر هذا المؤتمر في جوّ من الحماسة الشديدة تشكيل قيادة سياسية مركزية للحركة الوطنية مقرّها القدس، على أن تتمثل فيها الأحزاب والجماعات . فتألفت اللجنة العربية العليا لفلسطين * برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني * وعضوية ممثلي الأحزاب الفلسطينية جميعها وممثلين عن المستقلين .

جـ ـ الأهداف : كانت أهداف ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ هي الأهداف نفسها التي ثار الفلسطينيون من أجلها ، والتي قاموا في سبيلها بالمظاهرات والإضرابات والاصطدامات العنيفة مع الأعداء منذ ١٩١٩ حتى ربيع ١٩٣٦ . وهذه الأهداف هي صيانة عروبة فلسطين ، والحفاظ على أراضيها ،ومنع تهويدها، وإعلان استقلالها في وحدة عربية شاملة . على أن هذه الأهداف لم تعلن بصراحة وبوضوح إلاّ عند إعلان الثورة المسلحة في مطلع أيار ١٩٣٦ . ولعل السبب الذي دفع اللجنة العربية العليا لفلسطين إلى عدم إعلان هذه الأهداف فور تشكيلها في ١٩٣٦/٤/٢٥ يعود إلى أن زعماء الحركة الوطنية ركّزوا جهودهم ، ولا سيما بعد مظاهرات تشرين الأول ١٩٣٣ ، على خطة سياسية تعتمد على مطالبة الإنكليز بتغيير سياستهم المتبعة ، وبتبديل مواقفهم المتخذة من فلسطين وأهلها العرب ، وتجنّبوا التهديد بالتمرد والعصيان ، وآثروا السكوت عن المطالبة بالحرية والاستقلال لفلسطين . وتعود هذه الخطة إلى عاملين رئيسين هما :

١) الحرص على التستر على ما كان يجري من تنظيم وإعداد وتأهب للجهاد ، والاعتقاد بأن المطالبة بالتغيير والتبديل فحسب ستحمل الإنكليز والصهيونيين على الاقتناع بأن القيادة الوطنية غدت معتدلة .

٢) اعتقاد القيادة السياسية بأن خطة مطالبة بريطانيا بتبديل سياستها وتغيير مواقفها ، وعدم مجابهتها بالمطالب الأساسية للحركة الوطنية ، قد تكون أكثر جدوى ، وأقرب إلى التلبية من جانب بريطانيا ، وأن التركيز على هذه المطالبة سيحوّل الرأي العام البريطاني إلى جانب العرب فيضغط على حكومته لتلبية هذه المطالب لما يظهر فيها من اعتدال .

وظلّ القادة المسؤولون يلتزمون خطة مطالبة الحكومة البريطانية بالتبديل والتغيير بعد إعلان الإضراب العام ، ولكن تدفق الهجرة اليهودية على فلسطين يومئذ ، وقيام حركة ملموسة في داخل بريطانيا

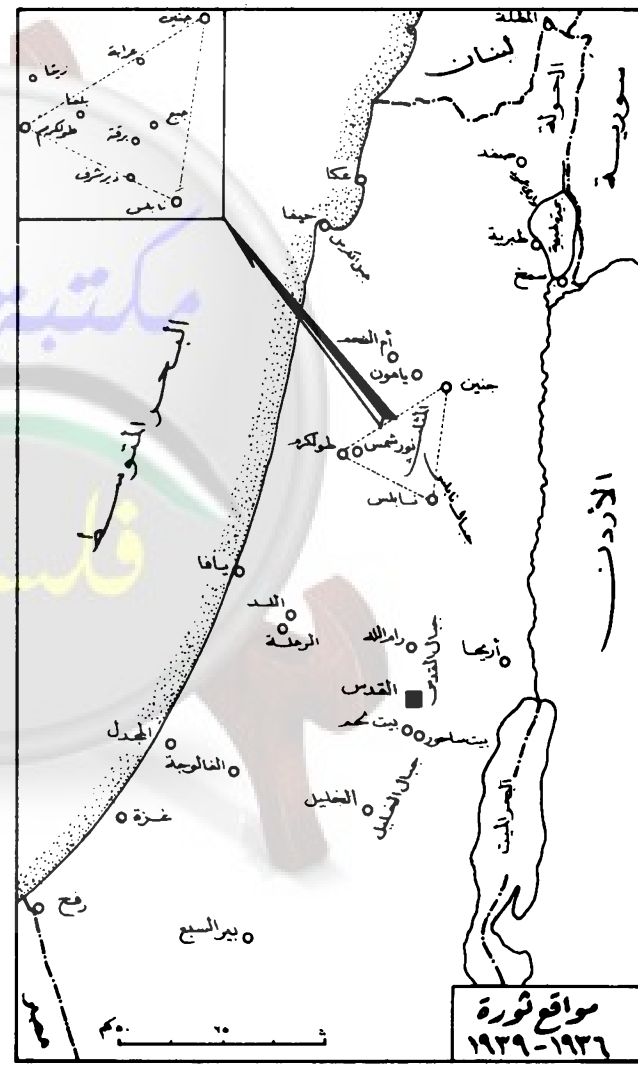

تطالب بتحديد الهجرة ، إن لم يكن وقفها ، دفعا اللجنة العربية العليا لفلسطين إلى اتخاذ مسألة الهجرة وسيلة لدعم مطالبتها بالتغيير والتبديل فاتخذت القرار التالي وأعلنته على الشعب :

" دعوة الشعب العربي الفلسطيني إلى مواصلة الإضراب العام حتى تبدّل الحكومة البريطانية سياستها وتغيّر موقفها ، وأن تكون البادرة الأولى لهذا التبديل وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين " .

د ـ عناصر الثورة : ليس من اليسير تحديد عناصر ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ، وذلك لعدة أسباب منها :

١) طوق السرّية والكتمان الذي ضرب على حركة التأهب والاستعداد الفلسطينية (السرية) والذي ظل مضروبا إلى مدى بعيد بعد نشوب الثورة .

٢) تجنّب المسؤولين عن إعلان الثورة وقيادتها كشف النقاب عن عناصر المجاهدين (الثوار) وقادتهم الحقيقيين ، وعن المدن أو القرى التي جاؤوا منها . وكان الغرض من هذا التكتم إخفاء الحقيقة ، أو إبعادها عن الإنكليز والصهيونيين ، لأن الأعداء كانوا يضطهدون (عائلات) الثوار إذا عرفوا ، ويبطشون بمدنهم وقراهم ، في حين كانت المنظمات الإرهابية الصهيونية تقترف أبشع الجرائم ضد القرى التي يتبين لها أن أبناءها يحملون السلاح ويشتركون في الثورة .

٣) تعدّد عناصر الثورة واختلافها ، فمنهم المجاهدون حملة السلاح ، ومنهم بعض زعماء اللجان القومية ، وتشكيلات « سرية جدا » مستقلة عن الثورة مهمتها معالجة أمور الجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة ، ومنهم عناصر وطنية وسياسية في خارج فلسطين ساهمت بشكل جدّي في دعم الثورة وتقويتها .

ويمكن تسجيل الحقائق التالية بالنسبة إلى عناصر الثورة ، وقد تكون هناك بعض عناصر ما زالت غير معروفة :

١) كان أبناء فلسطين هم العنصر الأساسي والرئيس في الثورة ، سواء منهم المجاهدون حملة السلاح ، أو عدد من رجال السياسة والقيادة الوطنية ، أو عدد من كبار الموظفين العرب في الحكومة الذين قدّموا للثورة خدمات جيدة .

٢) كان الحاج أمين الحسيني وعدد من الشبان الذين وثق بهم واعتمدهم ، قد أنشأوا خلال الأعوام التي سبقت نشوب الثورة ، عدة منظمات وتشكيلات « سرية » ، ووفّروا لها السلاح والتدريب والتنظيم للقيام بالثورة عندما يأذن الوقت الملائم . وكانت هذه المنظمات والتشكيلات هي في الحقيقة نواة الثورة .

٣) عمل هؤلاء المذكورون على إنشاء تشكيلات ومنظمات علنية ، ودرّبوها تحت ستار النشاط الرياضي على أعمال الإسعاف والدعاية ، وعلى أعمال تنظيمية ومسلكية تفيد منها الثورة عند نشوبها . وكان من هذه التشكيلات والتنظيمات : جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجمعيات الشبان المسلمين ، ومنظمة الفتوة (التابعة للحزب العربي الفلسطيني *) ومنظمة الجوّالة الإسلامية (التابعة للمجلس الإسلامي الأعلى *) فضلا عن نواد رياضية وثقافية كان من أبرزها كشافة الجراح في عكا ، ونادي روضة المعارف في القدس ، والنادي الرياضي الإسلامي والنادي الأرثوذكسي في يافا ، والاتحاد النسائي العربي الفلسطيني ، ولجان الإسعاف والعناية بالمنكوبين والأيتام . وكانت هذه المنظمات والتشكيلات أيضا مَعِينا ينتقي منه من يرى فيه المقدرة والاستعداد ، لضمهم إلى التشكيل السري .

٤) قبيل إعلان الثورة بمدة وجيزة وحّدت جميع التشكيلات والمنظمات العسكرية (السرية) ، ومن ضمّ اليها بعد تجربة وخبرة فيما بعد ، في منظمة واحدة هي « جيش الجهاد المقدس » * الفلسطيني الذي اختير لقيادته عبد القادر الحسيني * .

٥) كان القسّاميون أيضا من عناصر الثورة . فبعد استشهاد الشيخ عز الدين القسّام * في تشرين الثاني ١٩٣٥ واصل إخوانه وزملاؤه أعمالهم النضالية ضد الأعداء ، فلمّا أعلنت ثورة ١٩٣٦ انضموا إليها .

هذا فيما يتعلق بعناصر الثورة داخل فلسطين ، أما عناصرها التي جاءت من خارج فلسطين فيمكن تسجيل الوقائع التالية :

١) بعد نشوب الثورة المسلحة في أيار ١٩٣٦ جهّز العراق (الرسمي سرّا والشعبي علنا) قوة عسكرية وافية تألفت من متطوعين للجهاد كان بينهم ضباط وجنود من رجال الجيش العراقي . وأسندت قيادة هذه القوة إلى فوزي القاوقجي * . وترك تشكيل هذه القوة ردّ فعل عميقا في الأوساط العربية ، فتطوّع للعمل تحت لواء القاوقجي الكثيرون من أبناء سورية ولبنان .

وقد دخلت هذه القوة الأراضي الفلسطينية في أوائل شهر تموز ١٩٣٦ واتخذت مراكز لها في منطقة المثلث (نابلس ـ طولكرم ـ جنين) ، والتحق بها الكثيرون من المجاهدين من أبناء هذه المنطقة . وقامت هذه القوة بأعمال هامة ضد الأعداء . وعندما أعلن وقف الثورة في ١٣/١٠/١٩٣٦ (نهاية مرحلتها الأولى) انسحب القاوقجي ورجاله إلى العراق وسورية وعاد المتطوعون الفلسطينيون في هذه القوة إلى مدنهم وقراهم .

٢) من عناصر هذه الثورة أيضاً متطوعون من أبناء شرقي الأردن وسورية ولبنان التحقوا بجيش الجهاد المقدس . وكان من أبرز هؤلاء المتطوعين الثائر السوري المعروف سعيد العاص * الذي استشهد وهو يتولّى قيادة المجاهدين في معركة «الخضر» في أيلول ١٩٣٦ .

٣) دخلت قوة عسكرية شكّلها الحزب السوري القومي الاجتماعي باسم « فرقة الزوبعة » شمالي فلسطين في صيف ١٩٣٦ وساهمت في أعمال الثورة والجهاد وعادت هذه القوة إلى لبنان في أواخر شهر أيلول ١٩٣٦ وكان عدد أفرادها نحو ٧٥ رجلا عمل معهم بعض المنتمين إلى الحزب المذكور في شمالي فلسطين .

٤) تشكلت في العراق وسورية ولبنان وشرقي الأردن لجان وطنية لنصرة أهل فلسطين ودعم ثورتهم . وقد عملت هذه اللجان على جمع الأموال والأسلحة وإرسالها إلى الفلسطينيين ، وقامت باستقبال الجرحى والمصابين من المجاهدين والعناية بهم في بغداد وبيروت وعمّان ودمشق .

٥) قام المغتربون (الفلسطينيون والسوريون واللبنانيون) في المهجر الأمريكي بأداء واجبهم في دعم الثورة ، مما يجيز اعتبارهم من عناصرها . فقد شكّل هؤلاء الجمعيات واللجان للدعاية لفلسطين وقضيتها ، وجمعوا الأموال وأرسلوها إلى فلسطين .

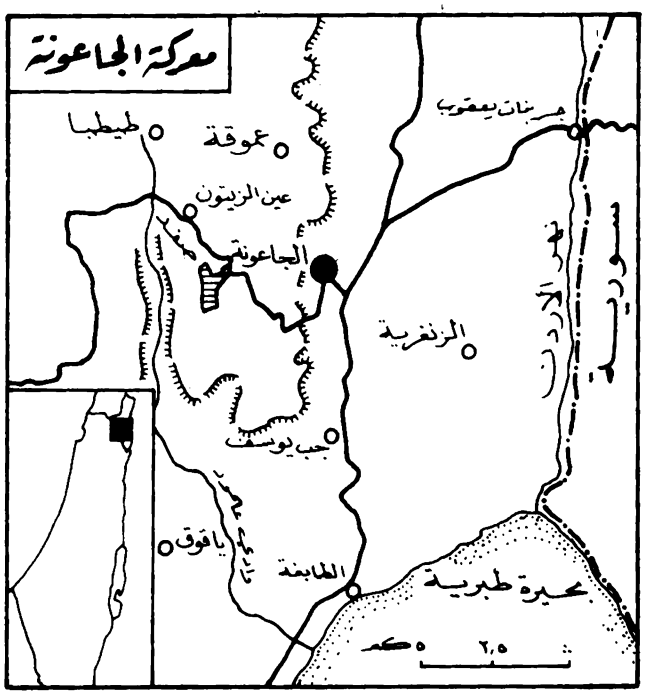

٦) ساهم بعض زعماء البلدان العربية الأخرى ، وبعض البلاد الإسلامية ، بدعم الثورة دعائيا وإرسال بعض أموال التبرعات لفلسطين .

عندما أعلن وقف الثورة (في مرحلتها الأولى) في ١٣/١٠/١٩٣٦ عاد المتطوعون العرب إلى ديارهم . ولمّا استؤنف القتال في تشرين الأول ١٩٣٧ (المرحلة الثالثة للثورة) تولّى جيش الجهاد المقدس الفلسطيني والمجاهدون الفلسطينيون مهمة الجهاد والقتال وحدهم ، على أن بعض أبناء العراق والأردن وسورية ولبنان تطوعوا للجهاد كأفراد والتحقوا بقوات المجاهدين الفلسطينيين

أما اللجان التي تشلكت في العراق وسورية ولبنان والأردن ، فإنها واصلت أعمالها في دعم الثورة المستأنفة ، بل ضاعفتها . كذلك فعل المغتربون .

هـ ـ مراحل الثورة :

١) المرحلة الأولى (نيسان ـ تشرين الأول ١٩٣٦) : ولدت الثورة في الحقيقة في أحداث نيسان ١٩٣٦ وإعلان الإضراب العام . واتخذت شكلا مسلحا وعنيفا في مطلع شهر أيار ١٩٣٦ . ولقد كان متفقا عليه أن يتأخر إعلان الثورة المسلحة بعض الوقت ، وأن تركّز الجهود على إبقاء الإضراب مستمرا ، وإنجاحه بشكل يؤدي إلى بلوغ أهدافه . ولكن الظروف والأوضاع تطوّرت بصورة سريعة جعلت إعلان الثورة المسلحة أمرا لا مفرّ منه .

فقد رفضت الحكومة البريطانية ، على الرغم من اشتداد

الإضراب ، طلب العرب وقف الهجرة اليهودية كما أعلنته اللجنة العربية العليا لفلسطين ، ثم تحدّتهم علانية بإصدارها شهادة هجرة جديدة قدّمتها للوكالة اليهودية لإحضار أعداد كبيرة من المهاجرين إلى فلسطين .

وترك موقف الحكومة أسوأ الأثر في نفوس أبناء الشعب ، وحفزهم على التشدد في الإضراب وتقويته . وردّا على هذا التحدّي قرر القادة الفلسطينيون المسؤولون ، بعد سلسلة من الاجتماعات السرية حضرها كبار المجاهدين ، إعلان الثورة المسلحة . وتنفيذا لهذا القرار أعلن جيش الجهاد المقدس في مطلع أيار ١٩٣٦ الثورة المسلحة على الأعداء ، وأذاع بيانا ضمّنه أهداف الثورة ، وهي الأهداف نفسها التي اشتمل عليها الميثاق الوطني الفلسطيني .

وفور صدور هذا البيان خرج عبد القادر الحسيني وفصائل جيش الجهاد المقدس إلى الجبال والريف (في لواء القدس) ، وشرع المجاهدون يهاجمون ثكنات الجيش ومخافر الشرطة والمستعمرات الصهيونية ، ويدمّرون طرق المواصلات ، ويهاجمون قوافل الأعداء وتجمعاتهم .

اقتصرت أعمال الثورة في أيامها الأربعة الأولى على لواء القدس وحده ، وعلى المجاهدين المنتظمين في جيش الجهاد المقدس ، كما اقتصرت على أعمال مسلحة محدودة في منطقة يافا . على أن الفلسطينيين لم يلبثوا أن انطلقوا إلى السلاح يحملونه ، فقد امتدت الثورة في يومها الخامس إلى سائر أنحاء فلسطين ، وعمّت المدن والقرى والبادية .

وأخذت الثورة تشتدّ وتتسع نطاقا يوما بعد يوم . وأثارت أنباء المعارك الضارية والاصطدامات الشديدة بين المجاهدين والأعداء حماسة الجماهير ، في حين رفعت انتصارات المجاهدين المتوالية معنويات الشعب وضاعفت استعداده للبذل والعطاء ، فالتحق الكثيرون من الرجال والشبان ، ولا سيما في القرى ، بالمجاهدين واشتركوا في المعارك تحت قيادة جيش الجهاد المقدس ، فلم يعد العمل المسلح مقتصرا على المنتظمين في تشكيلاته .

تركّزت المعارك والاصطدامات خلال الشهر الأول في لواء القدس (القدس * ـ الخليل * ـ بيت لحم * ـ أريحا * ـ رام الله *) ولواء نابلس (نابلس * ـ جنين * ـ طولكرم *) ، في حين اتسعت الاصطدامات واشتدت المناوشات في أقضية يافا واللد والرملة . ووقعت في المدن الكبرى وبعض القرى سلسلة من الأعمال المسلحة .

وبدأ الشهر الثاني للثورة بامتداد المعارك العنيفة وحرب العصابات إلى جميع ألوية فلسطين وأقضيتها ، فغدت الثورة في الواقع ثورة الشعب الفلسطيني برمّته .

ثم طرأ تطور في ميدان المقاومة بدخول فوزي القاوقجي وقواته إلى منطقة المثلث من ناحية ، وبتدفق المتطوعين من الأردن وسورية ولبنان على فلسطين وانضمامهم إلى الجهاد المقدس من ناحية أخرى . وقد تأثّر الشعب كثيرا بهذه التطورات ، وتضاعفت حماسته ، فانطلق يدعم الثورة بالمال والرجال والسلاح وسائر وسائل الكفاح ، وأحالها في شهرها الثالث إلى معارك عسكرية مكشوفة مع القوات البريطانية في شتى أنحاء فلسطين ، وهجمات مركزة على المستعمرات الصهيونية وطرق المواصلات ومخافر الشرطة . ومما هو جدير بالتسجيل أن دخول قوات القاوقجي في معارك عنيفة مع القوات البريطانية في قرى منطقة المثلث (مثل قرى بلعة * وجبع وبرقة وزيتا * وأم الفحم * ودير شرف وعرّابة * وغيرها) رفع معنويات الشعب وحفز الجميع إلى المساهمة في أعمال الثورة .

وكان الإنكليز والصهيونيون يعتقدون في بادىء الأمر أن الإضراب العام لن يستمر طويلاً ، وأن الثورة ليست سوى فورة آنية لا تلبث أن تهدأ وتخبو ، فلمّا تبين لهم عكس ما كانوا يعتقدون انطلقوا يرتكبون أبشع المظالم من أعمال القتل والإجرام والإرهاب والعسف والقهر ضد العرب . ولكن الفلسطينيين واصلوا الجهاد ، ولم تضعفهم عمليات السلطات والصهيونية بنسف القرى وتدمير الأحياء والبيوت واعتقال المئات من المواطنين . وكان من أبشع ما لجأ اليه الانكليز من تدابير نسفهم بلدة يافا القديمة .

ولمناسبة مرور مائة يوم على إعلان الإضراب العام الذي كان قد بلغ أوج قوته وقعت في جميع أنحاء فلسطين معارك عنيفة طوال هذا اليوم .وليلته تجرّأ خلالها المجاهدون على مهاجمة مدن القدس ويافا * والخليل وغزة * وبير السبع * وعكا * وصفد * ومحاولة احتلالها . وفي الوقت نفسه اتسعت أعمال المجموعات « السرية » داخل المدن ، وأخذت تغتال الموظفين البريطانيين وضباط الجيش والشرطة والجواسيس وباعة الأراضي والسماسرة ، وتلقي المتفجرات على دوائر الحكومة . وفي هذه المناسبة أيضا خرجت النساء العربيات في شتى مدن فلسطين في مظاهرات صاخبة ضد الإنكليز ، ووقعت اصطدامات دموية بين القوات البريطانية والنساء الفلسطينيات .

وقد أقضت مضاجع الإنكليز واليهود هذه الحوادث ، وجعلتهم في حالة من الذعر ، وفي خشية من أن يتمكن الثوار من احتلال بعض المدن والقرى الكبيرة بعد أن فقدت الحكومة أية سلطة فعلية على أقسام واسعة من الريف والبادية . فأعلنت الحكومة البريطانية حالة الحصار (حالة الحرب) في فلسطين ، وقررت وضع قوانين الدفاع * وقوانين الطوارىء * موضع التنفيذ ، وراحت تطبقها على العرب بوحشية وقسوة .

لكن الحكومة البريطانية شعرت بعجزها عن وقف الثورة وإنهاء الإضراب العام فلجأت إلى خطة المراوغة والتضليل ، وأعلنت أنها قررّت إيفاد « لجنة ملكية » للتحقيق في قضية فلسطين وشكاوى الأهلين ووضع التوصيات لحل القضية حلاً عادلا . كذلك وسطت الحكومة البريطانية بعض أقطاب العرب وحكامهم (ولا سيما المعروفين بصداقتهم لبريطانيا) لإقناع عرب فلسطين بوقف الثورة . وحضر بعضهم إلى فلسطين ليجدوا إصرارا عظيما من العرب على الاستمرار في الثورة حتى تتحقق مطالبهم .

وعندما أيقنت الحكومة أن الفلسطينيين لن يلينوا ، وأنهم مصممون على مواصلة الثورة والإضراب ، أقالت القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وعددا من ضباطه ، وعيّنت الجنرال ديل رئيس أركان جيوش الإمبراطورية البريطانية لتولي القيادة العامة في فلسطين ، وأطلقت يده للعمل دون قيد أو شرط . فاستحضر الجنرال ديل إلى فلسطين قوات عسكرية ضخمة نقلت بحرا وبرا وجوا من بريطانيا نفسها ، ومن قواعدها العسكرية في مالطة وقبرص وقناة السويس والحبانية (العراق) . وبلغ عدد القوات البريطانية في النصف الأول من شهر آب ١٩٣٦ في فلسطين أربع فرق كاملة (أي أكثر من سبعين ألف ضابط وجندي) ، بالإضافة إلى نحو أربعين ألف رجل من قوات الشرطة * النظامية والإضافية وقوة حدود شرق الأردن وحرس المستعمرات اليهودية . ووضع الصهيونيون قوات الهاغاناه * والمنظمات « السرية » الإرهابية تحت تصرف القيادة البريطانية . وصمد العرب في وجه هذه القوى الضخمة ، وانتصروا في المعارك التي خاضوها ضد قوات الجنرال ديل ، واستولوا على مساحات أخرى من الريف والبادية . عندئذ اضطرت الحكومة البريطانية إلى سحب الجنرال ديل وولت الجنرال ويفل القيادة العامة . فرافقه الفشل نفسه ، فاستبدلت به الحكومة الجنرال رتشي وأرسلت إمدادات عسكرية جديدة ، ولكن دون جدوى . فسحبت الجنرال رتشي وعينت الجنرال ماكميلان بدلا منه . ولكن هذه الأعمال والجهود ذهبت أدراج الرياح ، وبقيت الثورة مشتعلة الأوار طوال شهري آب وأيلول ١٩٣٦ ، دون ما مهادنة أو ضعف .

حيال الفشل المتواصل الذي حاق بجميع الجهود والإجراءات التي اتخذتها بريطانيا لوقف الثورة لجأت هذه إلى ملوك العرب ورؤسائهم وأمرائهم للتوسط لدى اللجنة العربية العليا لفلسطين لفك الإضراب ووقف الثورة متعهّدة لهم أن تعمل على إنصاف عرب فلسطين . وبعد اتصالات ومشاورات أجراها الملوك والرؤساء والأمراء ، وجّهوا رسالة إلى رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين لفك الإضراب وإنهاء أعمال العنف . ونزل الفلسطينيون عند نداء الزعماء العرب فأوقفوا الإضراب والثورة في ١٣/١٠/١٩٣٦ . وكان قد مضى على هذا الإضراب ١٧٦ يوما وعلى الثورة المسلحة ١٦٤ يوما (رَ : نداء الملوك والرؤساء العرب للشعب الفلسطيني) .

عادت الحياة إلى مجاريها الطبيعية ، وبشكل يدل على حسن التنظيم ووعي الشعب ، فور صدور بيان من اللجنة العليا بفك الإضراب ، وعاد القاوقجي وقواته إلى العراق عبر أراضي شرقي الأردن ، ورجع المتطوعون العرب إلى ديارهم بصورة سرّية تجنبا لغدر الإنكليز بهم . أما المجاهدون الفلسطينيون فإنهم عادوا إلى مدنهم وقراهم بعد أن أخفوا أسلحتهم في مخابىء معدّة لهذا الغرض ، وكأن شيئا لم يحدث في البلاد .

ورؤي ، تجنبا لغدر الإنكليز وملاحقاتهم ، أن يلجأ إلى سورية ولبنان والعراق كبار قادة الثورة ، وكان منهم على سبيل المثال عبد القادر الحسيني ، وحسن سلامة * ، وحنا خلف ، وعبد الحليم الجيلاني ، وعبد الرحيم الحاج محمد * ، وعشرات غيرهم .

٢) المرحلة الثانية (تشرين الأول ١٩٣٦ ـ أيلول ١٩٣٧) : طغى على هذه المرحلة في أشهرها الأولى طابع الصراع السياسي بين العرب وأعدائهم ، ثم تطورت الأوضاع في تموز ١٩٣٧ ، ووقع من الحوادث ما أدى إلى استئناف الثورة في تشرين الأول ١٩٣٧ . وفيما يلي موجز للأحداث والتطورات التي برزت في المرحلة الثانية للثورة .

(١) بعد وقف الثورة وفك الإضراب انصرف الفلسطينيون إلى الحياة العادية ، وانطلقوا يحاولون ترميم أوضاعهم الاقتصادية : التجارية والصناعية والزراعية ، في حين لجأت القيادة السياسية إلى بذل أقصى الجهود للإبقاء على وحدة الصف وتوعية الشعب وتحذيره من تقلبات سياسية ومؤامرات أجنبية جديدة . وفي الوقت نفسه انطلقت اللجنة العربية العليا لفلسطين تعدّ العدة للدفاع عن قضية فلسطين ومطالب أهلها أمام اللجنة الملكية البريطانية للتحقيق (لجنة بيل *) .

أنهت اللجنة الملكية أعمالها في أواخر كانون الثاني ١٩٣٧ وعادت إلى لندن حيث عكفت على إعداد تقريرها . وفي أواخر حزيران ١٩٣٧ اشارت الأنباء الخارجية إلى أن اللجنة الملكية ستوصي بتقسيم فلسطين ، فأذاعت اللجنة العربية العليا لفلسطين بيانا على الشعب أكدّت فيه رفضها للتقسيم ، ودعته إلى مقاومته . وفي مطلع شهر تموز ١٩٣٧ عمّت فلسطين مظاهرات صاخبة ضد التقسيم ، ووقعت اصطدامات دامية بين العرب والأعداء في نابلس ويافا والقدس وعكا .

(٢) وكان الصهيونيون قد قاموا خلال شهري آذار ونيسان ١٩٣٧ بسلسلة من الأعمال الإرهابية الإجرامية ضد بعض القرى العربية ، فردّ عليهم العرب فورا وأجبروهم على الإقلاع عن اعتداءاتهم . وفسّر العرب هذه الأعمال الصهيونية الإرهابية بأنها

جرت بتوجيه من بريطانيا لتخويف العرب وإرهابهم ودفعهم إلى القبول بقرار التقسيم عند صدوره .

(٣) نشرت الحكومة البريطانية تقرير اللجنة الملكية يوم ١٩٣٧/٧/٧ ، وقد أوصت فيه بإنشاء دولة يهودية في أقسام من فلسطين ، ووضع القدس وما حولها وحيفا * ومنطقتها تحت انتداب بريطانيا الدائم ، وضم المناطق الباقية من فلسطين إلى شرق الأردن . وأذاعت الحكومة البريطانية في اليوم نفسه بلاغا رسميا تعلن فيه تبنّيها للتقسيم ، وأعلنت أمام مجلس العموم البريطاني أنها تتعهد بتنفيذ مشروعه (رَ : تقسيم فلسطين) .

(٤) عقدت اللجنة العربية العليا لفلسطين في ١٩٣٧/٧/٩ اجتماعا طارئا اشترك فيه ممثلون عن اللجان القومية تقرر فيه إعلان رفض العرب للتقسيم ، وللسياسة البريطانية الجديدة . وأذاع رئيس اللجنة بيانا على الشعب يدعوه فيه إلى التمسك بالمطالب

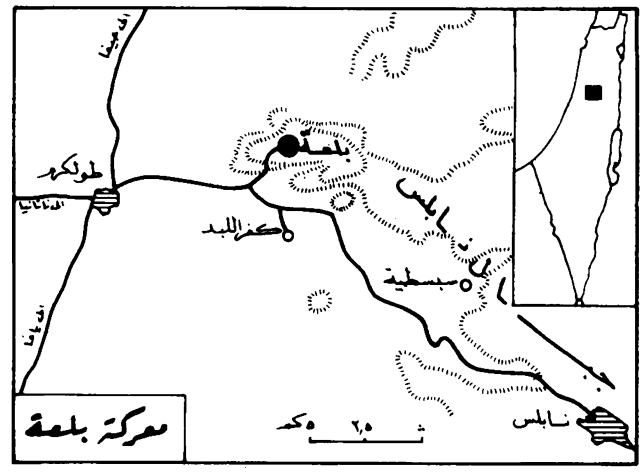

الوطنية ومقاومة التقسيم بعناد وتصميم حتى يُقضى عليه . وعمّت فلسطين المظاهرات والاصطدامات وتبين للحكومة أن الشعب الفلسطيني سيعود إلى السلاح والجهاد .

(٥) اشتدت نقمة الأعداء على رئيس اللجنة العربية العليا لفلسطين المفتي أمين الحسيني واتهموه بأنه المسؤول عن اشتعال نيران الثورة ، فقرروا اعتقاله وإبعاده إلى جزيرة موريشوس في المحيط الهندي . وفي ١٩٣٧/٧/١٩ داهمت قوة من رجال الجيش والشرطة دار اللجنة العربية العليا للقبض على المفتي ، ولكنه فوّت على الأعداء هذه الفرصة فغادر دار اللجنة قبل وصول القوة البريطانية ولجأ إلى المسجد الأقصى .

(٦) بعثت اللجنة العربية العليا لفلسطين عدة وفود سياسية ودينية إلى أوربا وأمريكا والبلاد العربية والإسلامية للدعاية لقضية فلسطين وشرح موقف أهلها من التقسيم وأسباب رفضهم له .

ونشطت اللجان القومية والمنظمات الرياضية والكشفية والثقافية والدينية في حقل التوعية الوطنية وإعداد الشعب للإقبال على استئناف الجهاد في الوقت الذي يعلن فيه .

كانت قيادة الثورة الفلسطينية واثقة بأن الأعداء لن يتخلوا عن سياستهم ، ولن يرجعوا عن مؤامراتهم ، كما كانت مقتنعة بأنه لا مناص من استئناف الثورة لإكراه بريطانيا على تلبية مطالب العرب ، وانطلقت تعمل لذلك بسرّية وكتمان .

عمل المسؤولون خلال المرحلة الثانية للثورة على إعادة تنظيم المجاهدين وتدريبهم ومدّهم بالعتاد والسلاح ، وتنظيم جباية مستقرّة لدعم الجهاد . وعملوا على إعادة تشكيل اللجان الوطنية في البلاد العربية لجمع المال والسلاح والعتاد .

وأوفد المسؤولون عددا من أبطال الجهاد وكبار قادته إلى العراق وألمانيا حيث التحقوا بدورات عكسرية في المعاهد العسكرية وتلقوا تدريبا خاصا على إعداد المتفجرات والألغام وحرب العصابات .

وتطورت الأوضاع في فلسطين بشكل سريع بعد إعلان قرار التقسيم ولجوء المفتي إلى الحرم الشريف . فقد اشتدت المقاومة الشعبية للتقسيم ، ووقعت خلال شهري آب وأيلول ١٩٣٧ عدة اصطدامات بين العرب والأعداء ، واتسعت الهجمات العربية على المستعمرات الصهيونية وثكنات الجيش والشرطة .

أما الحكومة البريطانية التي لم تأبه إطلاق لشعور الفلسطينيين ورغائبهم فإنها راحت تمعن في اضطهادها للوطنيين ، وتتمادى في اتخاذ التدابير والإجراءات الضرورية لتنفيذ قرار التقسيم مهما كلفها الأمر . ونظرا لأهمية لواء الجليل (شمال فلسطين) بالنسبة إلى مشروع التقسيم الذي قرر أن يكون القسم الأكبر منه ضمن الدولة اليهودية فإن الحكومة عيّنت أحد غلاة الاستعماريين البريطانيين ، وهو لويس أندروز ، حاكما للواء الجليل ، وأطلقت يده للعمل على تنفيذ التقسيم .

وفيما كان أندروز يضاعف جهوده ومساعيه لتنفيذ قرار التقسيم ، ويمعن في اضطهاده للعرب ، ويهزأ بمقاومتهم ، اغتاله المجاهدون في مدينة الناصرة في ١٩٣٧/٩/٢٦ مع مرافقه البريطاني . وفي اليوم التالي لاغتيال أندروز وقعت هجمات عنيفة على المستعمرات الصهيونية ورجال الجيش والشرطة .

صعّدت بريطانيا أعمالها العدوانية القمعية وضاعفت بطشها بالعرب إثر إغتيال أندروز وما تبعه من أحداث محاولة القضاء على مقاومتهم للتقسيم ، فأعلنت حالة الطوارىء في البلاد ، وانطلق المسؤولون عن الحكم يعتقلون الألوف من العرب ، ويطبقّون أنظمة الطوارىء وقوانين الدفاع على القرى العربية بقسوة متناهية . وأذاعت الحكومة البريطانية بيانا رسميا أعلنت فيه أنها تعتبر الحاج

أمين الحسيني مسؤولاً عن إشعال نار الثورات وتوجيه أعمال التمرد والعصيان والإرهاب ، وأن اللجنة العربية العليا لفلسطين مشاركة في أعمال العنف والإرهاب . وعقّبت الحكومة بحلّ اللجنة العربية العليا لفلسطين واللجان القومية في البلاد وباعتبارها منظمات غير مشروعة . كما قررت عزل المفتي من رئاسة المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى ، وعيّنت لإدارة المجلس لجنة ثلاثية برئاسة كركبرايد البريطاني .

حاولت الحكومة اعتقال رئيس وأعضاء اللجنة العربية العليا فلم تستطع الوصول إلى الحرم الشريف ، ولكنها ألقت القبض على أربعة من أعضاء اللجنة هم حسين فخري الخالدي * وأحمد حلمي عبد الباقي * وفؤاد سابا ويعقوب الغصين * ونفتهم مع بعض الزعماء الوطنيين الآخرين - ومنهم رشيد الحاج ابراهيم * الزعيم المعروف في حيفا - إلى جزر سيشيل . أما بقية أعضاء اللجنة العليا فقد استطاعوا الاختفاء داخل فلسطين ثم الانتقال سرّا إلى لبنان .

كذلك اعتقلت الحكومة معظم أعضاء اللجان القومية و٨١٩ شخصا من رجال الدين وقضاة الشرع والوعّاظ والأطباء والتجار والمحامين والصحفيين وغيرهم ، فضلا عن مئات آخرين قبضت عليهم إثر اغتيال أندروز .

وتوتّرت الحال في فلسطين ، واشتدت المقاومة رغم تدابير السلطة وإجراءاتها . وشدّدت الحكومة الحصار على الحرم الشريف وضاعفت مراقبتها للمفتي وتحركاته وشددت مساعيها لاعتقاله ، لكن الحاج أمين استطاع الخروج سرّا من المسجد الأقصى ومغادرة فلسطين إلى لبنان في ١٣/١١/١٩٣٧ . وبعد مدة من وصوله إليه ، استأنف نشاطه السياسي والنضالي ، وغدت بيروت مقرا للجنة العربية العليا لفلسطين .

استطاع الحاج أمين ، رغم المراقبة الشديدة التي فرضها عليه الفرنسيون في لبنان ، أن ينشر بيانا في الصحف العربية أكّد فيه رفضه لمشروع التقسيم وتمسّكه المطلق بمطالب الشعب المعروفة ، ودعا فيه الشعب الفلسطيني إلى مقاومة السياسة البريطانية ومحاربة مشروع التقسيم حتى القضاء عليه . ووزّع هذا البيان في داخل فلسطين يوم ٢٩/١٠/١٩٣٧ فاعتبره الفلسطينيون دعوة إلى استئناف الثورة المسلحة .

واستؤنفت الثورة فكانت مرحلتها الثالثة .

٣) المرحلة الثالثة (تشرين الأول ١٩٣٧ - أيلول ١٩٣٩) :

تميزت هذه المرحلة الثالثة من ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بالحقائق التالية :

(١) لم تعد القدس المركز الرئيس للقيادة الوطنية ، إذ انتقل نشاط اللجنة العربية العليا والكثيرين من أعضاء اللجان القومية وزعماء الشباب إلى بيروت فغدت هي المركز الرئيس للقيادة الوطنية الفلسطينية .

(٢) ولاعتبارات كثيرة ، وظروف سياسية مختلفة ، اختيرت دمشق لتكون مركزا ومصدرا لتموين الثورة ومدّ المجاهدين بالسلاح والعتاد والمال . وتألفت للقيام بهذه المهمة لجنة ذات طابع سري من عدد من السوريين والعراقيين والفلسطينيين . وكانت هذه اللجنة تصرّف أعمالها وتضطلع بواجباتها بتنسيق وتعاون وثيقين مع اللجنة العربية العليا لفلسطين في بيروت .

(٣) اقتصرت أعمال الجهاد في الداخل في هذه المرحلة على الفلسطينيين أنفسهم ، فلم تدخل فلسطين قوات شعبية منظمة من الخارج (مثل قوة فوزي القاوقجي في المرحلة الأولى) ، ولكن أعداداً من المتطوعين من الأردن والعراق وسورية ولبنان ،دخلوا فلسطين وانضمّوا إلى المجاهدين الفلسطينيين بقيادة عبد القادر الحسيني .

(٤) كانت معارك الثورة في مرحلتها الثالثة أشدّ عنفا وتركيزا من معارك المرحلة الأولى . وكانت أكثر اتساعا حتى شملت كل بقاع فلسطين . وظهر قادة جدد للمجاهدين ، ولا سيما في مناطق

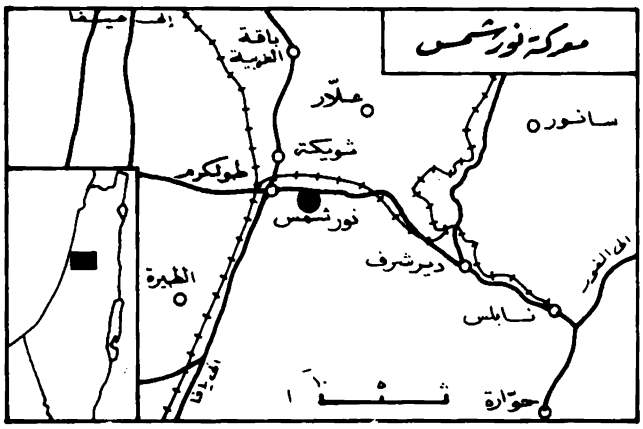

فلسطين الشمالية ، أبلوا بلاء حسنا في التنظيم والقتال وحروب العصابات . وكانت الكفاءة في القتال والتنظيم في هذه المرحلة أظهر منها في المرحلة الأولى .

(٥) كانت المقاومة في داخل المدن أكثر حدّة وشدة من المقاومة التي ظهرت في هذه المدن خلال المرحلة الأولى للثورة ، فقد توالت أعمال اغتيال موظفي الحكومة الإنكليز والمتعاونين مع السلطة وباعة الأراضي والسماسرة والجواسيس ، واشتدت هجمات المقاومة على دوائر الحكومة وتدميرها وإحراقها .

(٦) لم تُضرب فلسطين في المرحلة الثالثة كما أضربت في المرحلة الأولى للثورة . وهذا الواقع سهّل للشعب بذل الجهود والقيام بالأعمال لدعم المجاهدين ومساعدتهم ، ومكّن قيادة الثورة من الحصول على المعلومات والأنباء عن مساعي السلطة وتحركات قواتها المسلحة والمنظمات الصهيونية الإرهابية :

(٧) وقعت في البلاد معارك عسكرية ضخمة كان بعضها يستمر بضعة أيام بين المجاهدين والجيش البريطاني . واتخذت هذه المعارك طابع المعارك الحربية ، وقد قام المجاهدون بهجمات عسكرية منظمة على المدن ، واستطاعوا احتلال بعضها ورفع العلم العربي مكان العلم البريطاني . ومن المدن التي احتلها المجاهدون القدس القديمة ، وعكا ، وبير السبع ، والخليل ، وبيت لحم ، وبيت ساحور * ، والمجدل * ، والفالوجة * ، ولم يخرجوا منها إلاّ بعد معارك ضارية مع القوات البريطانية التي كان تعزيزها مستمرا . وتمكّن المجاهدون من السيطرة التامة على أكثر من نصف مساحة فلسطين (الريف والبادية) ومن التحكّم الكامل بطرق المواصلات الرئيسة طوال مدة الثورة .

(٨) اتسعت في هذه المرحلة الهجمات الفلسطينية المركّزة على المستعمرات الصهيونية ، ولا سيما في لواءي القدس وغزة ، وتكبّدت هذه المستعمرات خسائر مادية فادحة ، في حين هلك الكثيرون من حراسها الصهيونيين ومن أفراد المنظمات العسكرية الصهيونية الإرهابية .

(٩) ولوحظ خلال هذه المرحلة من الثورة قيام المجاهدين بأعمال النسف والتدمير وتفجير المتفجرات في الأوساط الصهيونية والدوائر الرسمية بشكل دلّ على أنهم قضوا المرحلة الثانية وهم يتدرّبون على هذه الأعمال .

(١٠) الناحية السياسية : حدثت خلال هذه المرحلة أحداث وتطورات سياسية ودبلوماسية هامة سواء على المستوى الدولي أو في المجال العربي العام . وكانت أبلغ هذه التطورات :

ـ انكشاف الستار عن تأييد الولايات المتحدة الأمريكية ، رئيسا وشعبا وحكومة ، للصهيونيين والانتداب البريطاني وحرصها على أن تتوفر أسباب الدفاع الحقيقي عن الكيان اليهودي في فلسطين كما كان قائما يومئذ ، ومساهمتها الفعالة في دعم العصابات الصهيونية المسلحة ، والاضطلاع بدعاية عالمية لصالح الصهيونيين ومخططاتهم .

ـ ثورة الرأي العام العربي بخاصة والرأي العام الإسلامي بعامة ، وتوثّب شعور العرب والمسلمين لتأييد ثورة فلسطين والعمل لصالح القضية الفلسطينية . وقد أدّت ثورة الرأي العام العربي إلى توحيد الصف في الدول والأوساط العربية ، ووقوفها كلها إلى جانب تأييد الميثاق الوطني الفلسطيني وما اشتمل عليه من مطالب . كذلك قضت الثورة على كل ما كان قائما بين الدول العربية من اختلاف وتباين رأي بشأن قضية فلسطين وكيفية حلها .

ـ دخول ، وربما إدخال ، الدول العربية فريقا أساسيا ومباشراً في قضية فلسطين والدفاع عنها . وقد برزت هذه الحقيقة في دعوة الحكومة البريطانية الدول العربية للمساهمة في الجهود المبذولة لتسوية قضية فلسطين ، وللاشتراك إلى جانب الوفد الفلسطيني في مؤتمر المائدة المستديرة الذي عقد في لندن عام ١٩٣٩ (رَ : لندن ، مؤتمر ١٩٣٩) .

ـ ومن الأحداث والتطورات السياسية والدبلوماسية الهامة خلال المرحلة الثالثة للثورة اضطرار بريطانيا ، تحت ضغط الثورة والجبهة الفلسطينية الداخلية الموحدة وتأثير الرأي العام العربي والإسلامي ، إلى العودة للاعتراف باللجنة العربية العليا لفلسطين ، ودعوتها للاشتراك في مؤتمر المائدة المستديرة السابق ذكره بوصفها الممثلة الوحيدة للشعب الفلسطيني .

ـ اضطرار بريطانيا ، بعد عجزها عن القضاء على الثورة وتعاظم الخسائر التي كانت تتكبدها القوات البريطانية على أيدي المجاهدين ، إلى العدول عن قرار التقسيم (تقرير لجنة اللورد بيل) وعقد مؤتمر المائدة المستديرة للبحث في الوصول إلى حل لقضية فلسطين .

حققت هذه الثورة للفلسطينيين وللعرب انتصارات سياسية ودبلوماسية كبيرة ، فضلا عن الانتصارات العسكرية ، وأحالت قضية فلسطين عمليا إلى قضية عربية عامة ، وقضية إسلامية .

و ـ التنظيم العسكري : جرت محاولات تنظيم النشاط العسكري أثناء الإضراب الكبير بهدف توحيد الجهود وتحقيق الحد الأقصى من الفاعلية والتأثير . وقد أدّى أعضاء تنظيم الشيخ القسام السرّيون الذين تمكنوا من تجنب عمليات التطويق البريطاني ونجحوا في تأمين قواعد لهم في الجبال ، أدّوا دورا بارزا في التحريض على إشعال الثورة والإعداد التنظيمي والعسكري لها مستغلّين حالة الغليان التي عاشتها الجماهير ، وأدت إلى إعلان الإضراب الكبير . ولم يتوقفوا عن العمل الثوري في صفوف طبقات الشعب كافة ، وخاصة طبقة الفلاحين ، ودعوتهم للجهاد من أجل قضية العرب الكبرى .

وقد حافظ العمل العسكري خلال عام ١٩٣٦ إلى حدّ ما على التنظيم ، لكن العفوية تغلبت على معظمه حتى خريف ١٩٣٧ وبداية ١٩٣٨ عند اشتعال الثورة مرة أخرى وشمولها قطاعات الشعب الفلسطيني كافة . وكان للتجارب الكثيرة التي مرّ بها القادة والثوار ، واكتسبوا خلالها خبرة أوسع من ناحية القتال والتدريب ، أثر كبير في تطوير التنظيم نحو الأفضل ، مما جعل الثورة على مستوى أعلى من الدقة والتنظيم وفي عام ١٩٣٨ تم تنظيم القيادة العسكرية على الشكل التالي :

١) القيادة العامة : اتخذت قادة الثورة من مدينة دمشق مقرّا سرّيا لصعوبة بقائها في فلسطين في تلك لفترة نتيجة ضغط ومراقبة السلطات . وتكوّن المجلس القيادي من القائد العام ومن عدد من المساعدين هم غالباً رؤساء فروع الشؤون الإدارية

والمخابرات والإعلام ، بالإضافة إلى قادة المناطق . كما تم تعيين عدد من قدامى المحاربين السوريين ممن عملوا في الثورة السورية (١٩٢٥ ـ ١٩٢٧) مستشارين للقائد العام .

٢) قيادة المناطق : خضعت جبهات القتال في فلسطين لقيادات مناطق رئيسة كانت كل منها قيادة ميدانية للثورة في غياب القيادة العسكرية العامة في دمشق ، وقد تم توزيعها على الشكل التالي :

(١) المنطقة الشمالية : وتمتد من جبل الكرمل * في الجنوب إلى حدود سوريه ولبنان في الشمال ومنطقة طبرية وسمخ * في الشرق . وتعتبر هذه المنطقة بسبب وعورتها ملائمة لحرب العصابات .

(٢) منطقة نابلس : وتشمل أقضية نابلس وطولكرم وجنين وساحل حيفا . وتعتبر هذه المنطقة نموذجية لحرب العصابات لوعورتها وصعوبة مسالكها .

(٣) المنطقة الوسطى : تشمل أقضية يافا واللد والرمله .

(٤) منطقة القدس : وتشمل أقضية القدس والخليل ورام الله وبيت لحم

أما المناطق الجنوبية من فلسطين فلم يكن فيها قادة مناطق لأنها أراض زراعية أو صحراوية لا تصلح لتنقل رجال العصابات .

ووُضعت قيادات محلية في غزة والمجدل وبير السبع تنفذ أوامر القيادة العامة وتتعاون مع قيادتي منطقتي القدس ونابلس في بعض الأحيان .

٣) مسؤوليات قادة المناطق : تألفت المنطقة الرئيسة من عدد من المناطق المحلية تضم كل منها بين ١٥٠ ـ ٢٠٠ ثائر موزعين إلى فصائل يتألف كل فصيل من ١٥ مقاتلا في المتوسط منهم فصيل القيادة . وقد حدّدت اختصاصاتها بالإشراف على القطاعات المحلية وشؤون الأمن فيها بالإضافة إلى الاشتراك في المعارك الرئيسة . وكانت الإدارة البريطانية في المناطق الجبلية ، باعتراف الجنرال هايننغ القائد العام للقوات البريطانية ، " غير موجودة على الإطلاق " .

وقد أظهرت دراسة تناولت ٢٨٢ قائدا عسكريا ممن تولوا مختلف المناصب في الثورة أن ٦٥٪ منهم كانوا فلاحين و٣٪ فلاحين استقروا في المدن ، و٢٢٪ من سكان المدن ، و٨٪ من البدو ، وأن الباقين كانوا من الدول العربية المجاورة .

وقد قامت الثورة على تحالف الطبقات والقوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية ، وهي : العمال والفلاحون والبرجوازية الوطنية والجناح المستنير من كبار الملاّك .

إن نظرة إلى الأسماء التي أوردها صبحي ياسين * ، وهو أحد الثوار، في كتابه « الثورة العربية الكبرى في فلسطين » تظهر بجلاء هوية قادة المقاتلين وأصولهم الاجتماعية والطبقية . فهم في معظمهم إما فلاحون فقراء وإما من فقراء المدن المنحدرين من أصول ريفية .

ز ـ قوات الثورة : ليس من السهل الحصول على رقم دقيق لعدد الثوار المتفرغين الذين عملوا خلال فترة الثورة . ولكن بعض المصادر العربية تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ بما يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف ثائر . من هذا العدد ثلاثة آلاف ثائر تفرغوا لأعمال العصابات ، وألف ثائر تفرغوا للعمل في المدن . أما الباقون فكانوا من سكان القرى والبادية الذين لم يتفرغوا للقتال ، بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة ، ولكنهم يقومون بنجدة الثوار عند نشوب المعارك بالقرب من قراهم وأماكن سكنهم .

أما السلطات البريطانية فقدّرت قوة الثوار المتفرغين للقتال بين ألف وألف وخمسمائة مقاتل يساعدهم عدد كبير من المتطوعين من سكان المناطق المجاورة كانوا يذوبون بين الجماهير إثر كل معركة بعد أن يخفوا ملابسهم وسلاحهم ، ويعودون لممارسة أعمالهم العادية . وقدّرت مصادر أخرى (باحثون بريطانيون) عدد الثوار عام ١٩٣٦ بخمسة آلاف بين متفرغ وشبه متفرغ ، ثم قفز الرقم إلى خمسة عشر ألفا في عام ١٩٣٨ .

ومن هنا تبدو تقديرات المصادر العربية لقوة الثوار معقولة بالمقارنة مع تقديرات المصادر البريطانية المختلفة ، هذا إذا أضيف إلى عدد الثوار المتفرغين أولئك الذين يعملون إلى جانبهم من سكان القرى المجاورة ، والذين سُمّوا « بالفَزّيعة » . وقد قام هؤلاء الثوار غير المتفرغين بعمليات لا تقل في جرأتها عن تلك التي قام بها الثوار المتفرغون ، مثل نسف وتخريب طرق المواصلات ، ونفّذوا الكثير من المهام القتالية كالإغارة على المستعمرات الصهيونية ومراكز الشرطة ، وإشغال العدو بمعارك جانبية لتخفيف الضغط عن قوات الثورة أثناء اندلاع المعارك الكبيرة ، وشنّ معارك الإلهاء لتوزيع وتشتيت جهود العدو على جبهات مختلفة عند القيام بهجوم أو عملية حربية كبيرة ، وحماية مؤخرة وحدات الثوار عند الهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني ، وتأمين نقل الذخائر والتموين للثوار المتمركزين في قواعد ثابتة في الجبال والمناطق الوعرة ، وذلك بالتنسيق مع القيادات المحلية

ح ـ التسليح : تكوّنت الأسلحة التي استخدمها الثوار خلال هذه الفترة من خليط غريب ومتنوع من البنادق والمسدسات يمكن وصفها بأنها قديمة الطراز وغير فعّالة إذا قورنت بالأسلحة التي استخدمتها القوات البريطانية والمنظمات الصهيونية . وقد كان لذلك أثر كبير في إبقاء معظم عمليات الثوار مقتصرة على الكمائن والغارات وعمليات القنص . ومن الثابت أنه لم تكن هناك خطة عامة للتسليح في البداية ، وهي الفترة التي انطلقت فيها الثورة بعفوية جماهيرية .

استخدم الثوار في البداية بنادق كانت تحتفظ بها الأسر للدفاع عن النفس وتم الحصول عليها قبل الحرب العالمية الأولى من الجيش التركي ومن مصادر أخرى . واستخدموا أيضا بنادق من صنع كندي وفرنسي وياباني وروسي وإنكليزي وألماني . وكذلك أسلحة تم تركيبها بطريقة لا تخلو من الخيال والإبداع من قطع غيار مختلفة لبنادق متنوعة . وفي إحدى العمليات استولت القوات البريطانية على بندقية بزتغالية مصنوعة في القرن الثامن عشر .

ولكن القسم الأكبر من الأسلحة تم الحصول عليه من مخلّفات القوات التركية المنسحبة أثناء الحرب العالمية الأولى ، أو تم تهريبه عن طريق البحر وعبر الحدود من الأردن وسورية ولبنان . وفي فترة لاحقة ، وبالتحديد بعد وصول القاوقجي إلى فلسطين ، استخدم الثوار الرشاشات على نطاق ضيق في منطقة نابلس بعد أن غنموا بعضها من البريطانيين . أما المدافع فلم تكن موجودة على الإطلاق .

ومن الظواهر المعبّرة والمؤثّرة فيما يتعلق بموضوع الأسلحة ذلك التعاون الذي كان يحدث بين إخوة السلاح . فالأسلحة التي استخدمت في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين هي نفسها التي استخدمت في ثورة ١٩٢٥ في سورية ثم نقلت إلى فلسطين بعد ذلك . وقد كانت قوة الشرطة الفلسطينية (١,٥٠٠ شرطي) مصدرا سهلا لإمداد الثوار بالبنادق .

أما الذخيرة التي استخدمها الثوار فقد كانت مستودعات الجيش البريطاني والشرطة مصدرها الرئيس . وكان بعضها ظروفا فارغة تم جمعها وتعبئتها يدويا ، أو جرى الاستيلاء عليها خلال المعارك مع القوات البريطانية ، أو شراؤها من بعض أفراد تلك القوات ، بالإضافة إلى قسم كبير تم تهريبه من المناطق المجاورة . واستخدم الثوار أيضا كميات كبيرة من القنابل اليدوية البريطانية من نوع « ميلز ٣٦ » ، وقاموا بتصنيع قنابل يدوية أفادوا منها بشكل واسع في عمليات المدن . وحوّل الثوار أيضا قذائف مدفعية استولوا عليها من بعض معسكرات الجيش البريطاني إلى ألغام نسفوا بها خطوط السكك الحديدية والطرق والجسور .

ط ـ الاستراتيجية والتكتيك : لا بد لكل من يدير حربا أو عملية إستراتيجية أو تكتيكية من دراسة مبادىء الحرب الثورية وقوانينها واستيعابها ، مثلها مثل أي حرب أخرى . فالشعب الفلسطيني الذي خاض حربا ثورية دامت أكثر من ثلاث سنوات كان يعيش ظروفا معقدة وصعبة جدا ، مما أثّر في العمل الحربي وطبيعته ، وبالتالي نتيجته . وقد عجزت قيادات ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ عن فهم المبادىء والقوانين الخاصة بذلك العمل ، وكيفية القيام به بالشكل المناسب ، ومن ثم إتقانه .

فالقادة الذين تولوا أمور القيادة طوال سنوات الثورة لم ينجحوا في رسم إستراتيجية عسكرية واضحة وإن كانوا قد نجحوا في تطبيق أهم مبادىء حرب العصابات دون تطويرها إلى حرب نظامية أو متحرّكة ، وذلك لعدم تمكنهم من قلب موازين القوى لصالح الثورة في النهاية .

فعلى سبيل المثال لم تنجح الثورة إلّا في تطبيق المرحلة الأولى من مجموع المراحل الثلاث التي يفترض أن تجتازها الحرب الطويلة الأمد حتى تنتصر ، وهي المرحلة التي تقوم خلالها قوات الثورة بعمليات هجومية محدودة ضد قوات العدو . ولم تنجح في تطبيق المرحلتين الأخريين ، وهما المرحلة التي يحافظ فيها العدو على وضعه الإستراتيجي استعدادا لصدّ هجمات الثوار الواسعة النطاق ، والمرحلة التي تشنّ فيها الثورة الهجوم النهائي في الوقت الذي يبدأ فيه العدو تراجعه الإستراتيجي .

في مقابل هذا مرت الثورة الفلسطينية بالمراحل التالية :

١) المرحلة الأولى : الإضراب العام المصحوب بعمليات عسكرية في المدن والريف ، أي العمل العفوي ومحاولة التنظيم .

٢) المرحلة الثانية : التركيز على العمل العسكري في الريف حيث وصلت الثورة إلى ذورتها بالعمل الثوري المنظم .

٣) المرحلة الثالثة : وهي العودة إلى المدن تحت ضغط القوات البريطانية ، أي هبوط الثورة وخمودها .

وبالرغم من كل الصعوبات التي واجهت الثورة نجح رجال العصابات في تطبيق المبادىء الأساسية لتلك الحرب مثل حشد قوات كبيرة أثناء مهاجمة نقطة معينة ، والعمل بصورة سرية ونشيطة ومستمرة ، وتطبيق المفاجأة في الهجوم ، وإنهاء المعركة بسرعة خاطفة . ولعل أهم تلك المبادىء ، وبإقرار المصادر العسكرية البريطانية ، هو تجنب الاشتباكات الواسعة النطاق مع الجيش البريطاني ، مما تمنّاه العدو مرارا وسعى له كي يتمكن من فرض المعركة في وقت وزمان مناسبين بهدف إلحاق أكبر الخسائر بالثوار .

ي ـ العمليات العسكرية : جرى على أرض فلسطين ، على مدى سنوات الثورة ، الكثير من العمليات العسكرية والمعارك الكبيرة التي كان مسرحها الجبال وبعض المدن . وأهمها حسب

السنين والمناطق والقيادات المختلفة : نور شمس ١٩٣٦/٦/٢١ ، والجاعونة ١٩٣٦/٨/١٢ ، وبلعة ١٩٣٦/٩/٣ ، واليامون ١٩٣٨/٣/٣ ، وبير السبع ١٩٣٨/٩/٩ ، وطبرية ١٩٣٨/١٠/٣ ، والقدس ١٩٣٨/١٠/١٧ .

اتخذت العمليات العسكرية الأولى طابع العمل غير المنظم والارتجالي والخالي تقريبا من التخطيط الدقيق حتى أواخر آب ١٩٣٦ عند وصول قوة عسكرية نظامية متطوعة يقودها الضابط فوزي القاوقجي ، وتمركزها في الجبال المحيطة بنابلس .

بلغ عدد العمليات التي نفّذها الثوار العرب عام ١٩٣٦ ٤,٠٧٦ عملية منها ١,٩٩٦ ضد الأفراد الصهيونيين ، و٨٩٥ ضد ممتلكاتهم ، و٧٩٥ ضد الجيش البريطاني والشرطة ، و٣٨٠ عملية ضد وسائل المواصلات . وقد استشهد خلالها ٢٢٤ ثائرا عربيا ، وجرح ١,١٢٦ آخرون ، وقتل من البريطانيين (في الجيش والشرطة) ٣٣ وجرح ١٩٣ . أما خسائر الصهيونيين فقد بلغت ٨٠ قتيلا و٣٦٩ جريحا . وقد اقتصرت تلك العمليات على قذف القنابل اليدوية وتصفية بعض العملاء في المدن ، والقيام بعمليات القنص ضد معسكرات الجيش ومراكز الشرطة ، ونصب الكمائن للقوافل الصهيونية ودوريات الجيش التي تواكبها ، وإشعال النيران في مزارع وممتلكات الصهيونيين . أما العمليات ضد وسائل المواصلات فقد عمّت في تلك الفترة أنحاء البلاد امتداداً من المطلّة شمالاً وحتى رفح جنوبا . وقد بلغت الخسائر المباشرة للحكومة البريطانية بسبب الإضراب حوالي ٣,٥٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني ، عدا الخسائر التي نجمت عن توقف التجارة والسياحة إلى البلاد .

ومن الواضح أن هذا التركيز على وسائل المواصلات البريطانية والصهيونية يعود إلى خطورتها وأهميتها بالنسبة إلى السلطات ، وإلى كونها هدفا سهلا للثوار في وقت كانت فيه وسائل المواصلات العربية متوقفة تماما بسبب الإضراب .

وفي منتصف شهر أيار ١٩٣٦ بدأ مركز النشاط العسكري ينتقل من المدن إلى المناطق الريفية والجبلية ، وأصبحت جبال نابلس * والشمال وتلالها الحرجية الشديدة الانحدار أكثر المناطق غليانا وجذبا للثوار . أما التكتيك الذي اتبع فكان تجمّع زمر من الثوار وكمونهم في أحد سفوح الوديان ، أو رؤوس الجبال المنيعة ، ينتظرون مرور قافلة من السيارات ، فإذا ما مرّت أمامهم أطلقوا عليها النار ثم قفلوا مسرعين ، كل إلى قريته أو بلدته حيث يخفون الأسلحة والعتاد في أمكنة آمنة ، ويختلطون بسكان القرى وكأنّ شيئا لم يحدث . وكان عدد أفراد الكمين يصل أحيانا إلى ٢٠٠ رجل متفرغ وشبه متفرغ .

وهذا الأسلوب القتالي الذي اتبع في البداية أسلوب خال من التخطيط العسكري الفني الذي يبنى عادة على معلومات دقيقة عن تحركات العدو ونياته .

لكن حدث تغيّر جوهري في نوعية العمليات العسكرية ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ بعد تولي فوزي القاوقجي مهام القائد العام للثورة في فلسطين . فقد كتب الفايس مارشال بيرز في تقريره قائلا : "لقد أظهر الثوار تصميما أكثر في خوض العمليات ، كما بدا واضحا أن رجالا عسكريين ذوي خبرة عالية بدأوا يخطّطون لها " . وكتب في التقرير نفسه أن " العصابات المسلحة التي تألفت في السابق من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥ و٢٠ رجلا قد أصبحت تتألف من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠ و٧٠ رجلا . وهي ليست عصابات للنهب ، بل تمارس ما تعتقد بأنه حرب وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية " .

١) عام ١٩٣٦ : بعد صدور بيان الملوك والرؤساء والأمراء العرب ، والدعوة إلى وقف الأعمال القتالية ، لم تتوقف هذه الأعمال توقفا كليا . وقد اعترفت المصادر البريطانية بذلك ولاحظت أن حالة من « الهدنة المسلحة » عمّت البلاد . فالمناطق التي انتشر فيها الثوار بقيت تحت سيطرتهم ، واستمرت العمليات ذات الطابع الفردي كعمليات النسف والقنص والاغتيالات السياسية وقطع وسائل المواصلات بمختلف أنواعها . وقد وصلت تلك العمليات إلى ذروتها عندما نجحت إحدى خلايا القسّاميين العاملين في المنطقة الشمالية ، بعد محاولتين سابقتين ، في اغتيال حاكم منطقة الجليل لويس أندروز يوم ١٩٣٧/٩/٢٦ ، وقتل مفتش الشرطة حليم بَسْطَه في وقت سابق . ويعني ذلك أن قادة الثورة عاشوا حالة من الترقب والقلق بانتظار نتائج تحقيقات اللجنة الملكية (لجنة بيل) ، ولم يسقطوا من حسبانهم الخيار العسكري . ولذلك حافظوا على درجة معينة من التوتر في جميع أنحاء فلسطين حتى يسهل الانتقال منها إلى الثورة وخوض القتال الفعلي عند الضرورة . ويبدو أن عملية تصفية حاكم الجليل الذي أدار الانتداب وفق الرغبات الصهيونية كانت إشارة لاستئناف الثورة منطلقة من المنطقة الشمالية . فقد أراد الثوار بذلك إفهام بريطانيا عمليا رفضهم القاطع لاقتراح لجنة بيل القاضي بتقسيم فلسطين وضم منطقتهم (الجليل) إلى الدولة الصهيونية التي اقترحت اللجنة إقامتها .

وقد كانت الاندفاعة الثورية عام ١٩٣٧ لدى جماهير الفلاحين أشد عنفا من تجربة العام المنصرم ، وذلك بسبب الخبرات المكتسبة ، وبسبب ازدياد وضوح التناقض القائم بين أطراف الصراع . كما اتجهت هذه المرحلة من الثورة بصورة جوهرية ضد البريطانيين . وقد اتخذت الحكومة البريطانية على أثر ذلك

إجراءات قمعية قاسية ضد المواطنين ، فطوّقت القوات البريطانية قراهم ودمرت الكثير من بيوتهم واعتقلت أبناءهم وفرضت عليهم غرامات باهظة ، ولم تكن هذه الإجراءات القمعية جديدة أو مفاجئة للشعب الفلسطيني ، فقد اعتادها منذ أيام الإضراب ، ولذلك لم تحقق تلك الإجراءات ، رغم قسوتها وشراستها ، سوى المزيد من الإصرار على الاستمرار في الثورة حتى تحقيق المطالب العربية المشروعة .

٢) عام ١٩٣٧ : كان في فلسطين في عام ١٩٣٧ ، عدا القوات الجوية والشرطة وقوات حرس الحدود ، لواءان من المشاة استقدمتهما القيادة البريطانية ، مما سبّب خللا واضحا وخطيرا في ميزان القوى بالنظر إلى ضآلة عدد قوات الثورة المتفرغة للقتال الذي لم يزد في يوم من الأيام على ثلاثة آلاف ثائر . وأصبح من المتوقع أن يكون شتاء ١٩٣٧ قاسيا نظرا لرغبة كل من الطرفين في فرض شروطه على الطرف الآخر . فالطرفان اكتسبا خبرة أوسع في ممارسة القتال في الجبال وحرب العصابات . وأصبح الطيارون البريطانيون أكثر خبرة في طلعاتهم القتالية في الأماكن الجبلية والمأهولة . بالإضافة إلى البدء في شق الكثير من الطرق العسكرية . وقد أحصى التقرير السنوي للإدارة البريطانية عمليات المقاومة في عام ١٩٣٧ على الشكل الآتي :

نوع العمليات	عددها
ـ هجمات ضد معسكرات ومراكز الجيش والشرطة	١٠٩
ـ هجمات ضد المستعمرات الصهيونية	١٤٣
ـ هجمات ضد منازل يملكها البريطانيون	٢
ـ عمليات نسف سكك حديدية	٥
ـ عمليات قطع خطوط البرق والهاتف	٨٢
ـ عمليات نسف طرق	١
ـ هجمات على مصالح حكومية	٣
ـ هجمات على أملاك صهيونية	١٨
ـ عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال ضد الجيش والشرطة والصهيونيين	١٤٨

من الملاحظ أن المعارك التي استؤنفت في شتاء ١٩٣٧ اختلفت في أمور كثيرة عن تلك التي حدثت في فترات سابقة . إذ دارت على مسرح عمليات مختلف عن ذلك الذي حدثت فيه في فترة الإضراب الكبير ، والذي كان في جبال نابلس . فمنطقة الجليل * بمسالكها وجبالها وغاباتها الكثيفة التي تغطي معظم التلال * أصبحت الميدان الرئيس للعمليات . لذلك أصبحت المعارك أقرب إلى الحدود منها إلى المناطق الداخلية في فلسطين بسبب الحاجة الماسة لاستمرار تدفق الأسلحة والذخائر عبر الحدود الأردنية والسورية واللبنانية ، والحاجة إلى مؤخرة أمينة يسهل الالتجاء إليها وقت الضرورة وعند التطويق .

وهناك ظاهرة هامة أخرى هي أن القوات البريطانية بدأت تعمل من أجل استرداد زمام المبادرة ومحاولة التمسك بها ، وبدت مصمّمة على استعادة السيطرة على المناطق الخارجة عن سلطتها . لذلك خصص الجنرال ويفل القائد العام البريطاني الجديد قوات ضخمة مدرّبة على مقاومة حرب العصابات للعمل في هذا المجال . وقُسّمت تلك القوات إلى فصائل متحركة تقوم بأعمال الدوريات المستمرة والمنتظمة طوال أشهر السنة . ففي فصل الشتاء حيث يصعب التنقل والاتصال كانت الطائرات تمدّ تلك الفصائل بالأسلحة والذخائر والمؤن بالمظلات .

بالمقابل بدا رجال المقاومة أكثر وعيا وتدريبا من السابق ، فلم يعد من السهل اصطيادهم . وبدا واضحا أنهم يملكون الحسّ الأمني ، ولذلك عاشوا في يقظة دائمة وهم يحرسون أمكنة استراحتهم الموقتة مهما بدت منيعة أو أمينة ، كما أن المفارز المختلفة كانت أكثر وعيا لواجباتها ومهامها . وقد بدت سيطرة القادة تامة على قواتهم طوال مراحل القتال . كل ذلك ساعد على التغلّب إلى حدّ كبير على النقص في الأسلحة ذات المستوى المتطوّر .

٣) عام ١٩٣٨ : أخذت الثورة ، مستفيدة من انشغال بريطانيا في أزمة ميونخ الأوربية عام ١٩٣٨ ، تزداد عنفا نتيجة للتنظيم الجيد والخبرة الممتازة اللذين اكتسبتهما في المرحلة السابقة ، فامتدّت سيطرة الثوار على معظم الطرق وعلى الكثير من المدن . وأظهروا نشاطا بارزا في مناطق الجليل وجنين ونابلس والمنطقتين الوسطى والجنوبية . ونجحوا في تدمير محطات السكك الحديدية الواقعة بين القدس واللد ، وبين اللد والحدود الأردنية . وهاجموا أيضاً معظم مراكز الشرطة ،وقتلوا في أحدها الضابط موفات مدير شرطة جنين في مكتبه . وبحلول الصيف كان الثوار قد سيطروا تماما على معظم المناطق الجبلية في البلاد إلى درجة أنهم كانوا يسيرون في مدينة نابلس بحرية تامة في وضح النهار وبأسلحتهم الكاملة . ومما يدلّ على عنف الثورة ونجاحها النسبي انخفاض معدل الهجرة اليهودية إلى عشرة آلاف مهاجر في ذلك العام في مقابل ٦٢,٠٠٠ مهاجر يهودي دخلوا البلاد عام ١٩٣٠ ، وما أورده التقرير البريطاني لعام ١٩٣٨ عن الزيادة في نفقات الأمن العام ، والعمليات التي قام بها الثوار ، والتي ركّزت على أهداف اقتصادية ذات أهمية كبيرة بالنسبة إلى بريطانيا ، وخاصة خط أنابيب شركة النفط العراقية . وقد بلغت تلك النفقات ١,٠٣٤,٨٢٥ جنيها إسترلينيا عام ١٩٣٨ في حين

كانت نحو ٨٦٧,٢٩٥ جنيها عام ١٩٣٧ ، و٦٤١,٢٧٦ جنيها عام ١٩٣٦ .

وقد أورد التقرير المذكور عدد الإصابات على الشكل التالي : مقتل ٦٣ جنديا بريطانيا وجرح ٢٠٠ ، إضافة إلى مقتل ١٢ شرطيا وجرح ١٥ آخرين . كما قتل ٢٥٥ صهيونيا وجرح ٣٩٠ مقابل ٥٠٣ شهداء من العرب و٥٩٨ جريحا . أما العمليات التي جرت في عام ١٩٣٨ فهي كما أحصاها التقرير :

نوع العمليات	عددها
ـ هجوم وعمليات قنص ضد أفراد صهيونيين	١٧٦
ـ هجوم وعمليات قنص ضد قوات الجيش والشرطة البريطانية	٩٨٦
ـ هجوم على وسائل المواصلات	٣٣٥
ـ إطلاق نار على المستعمرات والأحياء اليهودية	٦٥١
ـ إلقاء قنابل	٣٣١
ـ عمليات خطف	٢١٥
ـ إتلاف أملاك يهودية	٤١٠
ـ تخريب هواتف	٧٢٠
ـ تخريب سكك حديدية وطرق	٣٤١
ـ تخريب أملاك حكومية أخرى	٢١٠
ـ تخريب خط أنابيب شركة النفط العراقية	١٠٤
ـ عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال	٤٩٠

انحصر ميدان نشاط الثورة في البداية تقريبا في المنطقة الشمالية وفي جبال الخليل ثم امتد حتى شمل أراضي فلسطين كلها . وقد اعترف قادة القوات البريطانية في تقاريرهم المنتظمة بأنه لم يكن يمر أسبوع دون وقوع معركة كبرى . وقد ازداد عدد الثوار بشكل ملحوظ في المنطقة الواقعة شرق طريق جنين ـ نابلس خلال الفترة الممتدة من الأسبوع الأول من شهر شباط إلى الثالث من آذار ، وهي الفترة التي وقعت فيها معركة اليامون .

ويعترف الاستاذ هيامسون أن الثوار سيطروا على معظم البلاد عام ١٩٣٨ حين يقول : " خضعت مدينة القدس القديمة ومدن أخرى ، خلال أوقات معينة ، لسيطرة الثوار " ، ويعترف أيضا بأن الجماعات العربية أصبحت ، منذ تموز ١٩٣٨ ، منظّمة تنظيما جيدا وغدت تقاد من قبل قيادة واحدة .

٤) عام ١٩٣٩ : كانت عملية القدس آخر عملية كبيرة قام بها الثوار الفلسطينيون ضد السلطة البريطانية والمنظمات الصهيونية . وهذا لا يعني أن المعارك قد توقفت ضد البريطانيين ، لكن معدلها هبط ، إذ بلغ مجموع العمليات ٩٥٢ عملية مختلفة في ذلك العام . وقد أفلت زمام المبادرة من الثوار وانتقل إلى أيدي القوات البريطانية التي تحولت مع المنظمات الصهيونية إلى موقع الهجوم . وأصبح موقف الثوار العرب حرجا للغاية لاستحالة تمكّنهم من فرض المعركة بالشروط التي تلائمهم كالسابق . فالقوات البريطانية بدأت في عملية نزع سلاح عامة بالتعاون مع الصهيونيين والعناصر المعادية للثورة ، واستطاعت خلالها الاستيلاء على ٢,٠٧٦ بندقية ، و٧٨٥ مسدسا ، و٣٣٥ بندقية صيد . وتمكنت حتى تموز ١٩٣٩ من احتلال وتفتيش ٧٥٨ قرية . وأدّى الضغط المتزايد إلى إنهاك الثوار واهتزاز تنظيماتهم وافتقارهم إلى القيادة العسكرية والسياسية الفعالة القادرة على تحدّي تفوق الخصم الساحق . فالقيادة العسكرية لم تعد موجودة في الداخل من الناحية الفعلية ، وخاصة بعد استشهاد القائد العام عبد الرحيم الحاج محمد في آذار ١٩٣٩ ، واضطرار عارف عبد الرازق إلى تسليم نفسه للسلطات الفرنسية على الحدود اللبنانية ، ووجود عبد القادر الحسيني خارج البلاد منذ إصابته في خريف ١٩٣٨ . أما القيادة السياسية التي كانت في الأصل بعيدة في دمشق فلم تعد موجودة حتى هناك بعد قيام السلطات الفرنسية بتضييق الخناق على أعضائها عشية نشوب الحرب العالمية الثانية .

وقد كان واضحا ضمن هذه الظروف استحالة تحقيق نصر عسكري ساحق على القوات البريطانية ، خاصة أن الثوار لم يعتقدوا أبدا بإمكانية تحقيق هذا الهدف لأسباب تتعلق بالإمكانات وميزان القوى الذي كان يميل من ناحية العدد وقوة النيران بنسبة ١/٢٠ إلى جانب البريطانيين والصهيونيين . وقد ترافق ذلك مع غياب الإستراتيجية العسكرية وعدم توفر الإمكانات الفعالة ، إضافة إلى غياب القيادة العسكرية السياسية الموحدة وعدم ملاءمة الوضع الدولي نظرا لما مثّله الاستعمار من هيمنة على العلاقات الدولية في تلك الفترة من الزمن . وعلى الرغم من كل ذلك حقّقت الثورة هدفا أساسيا مرحليا من الأهداف التي ناضلت من أجل تحقيقها ، وهو موافقة بريطانيا في مؤتمر سان جيمس * بلندن عام ١٩٣٩ على الحد من عدد المهاجرين اليهود ومن عمليات بيع الأراضي لهم خلال مدة انتقالية مدتها عشر سنوات يعقبها إيقاف كامل للهجرة إلى البلاد ، إلّا في حال موافقة العرب أنفسهم . وهذا يعني صراحة طيّ مشروع التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ والذي كان السبب المباشر في عودة الثورة إلى الاندلاع في خريف العام المذكور .

ومن النتائج الهامة للثورة كشفها القيادات المتخاذلة المحلية والأنظمة العربية التي تدخلت في قضية فلسطين بشكل أسهم في إجهاض الثورة ، إضافة إلى كشفها الحلف الإمبريالي ـ الصهيوني في

المنطقة الذي ترك بصماته على تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية بصورة أوضح منذ عام ١٩٣٦ وحتى يومنا هذا .

وأخيرا لا يمكن إنكار حقيقة كون الثورة العربية الكبرى في فلسطين قد قدمت أنموذجا حيًا للنضال من أجل التحرر والدفاع عن الوطن والحفاظ على فلسطين عربية . وقد أفادت ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، بتجربتها النضالية الغنية والفريدة ، الثورة الفلسطينية الناشئة منذ مطلع عام ١٩٦٥ وأثّرتها بدروس كثيرة .

ك - نسف مدينة يافا القديمة : كانت مدن نابلس والقدس ويافا أكثر مدن فلسطين غليانا وتفجّرا خلال ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ في فلسطين ، حتى إن القائد العام للقوات البريطانية نفسه لم يجرؤ مثلا على زيارة نابلس إلّا بعد إرسال كتيبة مشاة إليها معززة بمدافع الهاوتزر . وكانت عمليات المقاومة أكثر انتشارا في القدس . أما فيما يتعلق بيافا فقد نفّذت فيها أعلى نسبة من عمليات القنص وقذف القنابل ضد الجيش البريطاني والشرطة ، ولم يكن أحد من المسؤولين السياسيين أو القادة العسكريين البريطانيين يستطيع دخولها دون التعرّض لمحاولة القتل أو الاغتيال .

وقد اتخذت القيادة البريطانية خلال الأشهر الأولى للثورة ، وخاصة خلال الفترة التي تولّى القيادة فيها الجنرال بيرز ، سلسلة من الإجراءات الانتقامية داخل تلك المدن ، وكان أبرزها نسف بلدة يافا القديمة بقصد الردّ على تلك الهجمات .

طالب بيرز في تقريره إلى وزارة الطيران " بضرورة إعادة النظام والأمن إلى مدينة يافا وإعادة تشغيل مرفئها باستخدام عمّال آخرين بدلا من العمال المضربين اذا أصرّوا على مواصلة الإضراب " . وهذا لا يتمّ في نظره ما بقيت الحالة الأمنية في المدينة متدهورة وغير مستقرّة . لذلك قدّم اقتراحا يتضمن القيام بنسف أجزاء من مدينة يافا القديمة لتحقيق هذا الغرض . ويتناقض هذا الاقتراح تناقضا كليا مع ادّعاء السلطات البريطانية آنذاك أن الهدف من عملية النسف كان توسيع وتحسين المدينة القديمة بشّق طريقين فيها .

في صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ ألقت طائرة حربية كانت تحوّم فوق المدينة الإنذار التالي : " إن الحكومة على وشك البدء في مشروع يرمي إلى توسيع وتحسين البلدة القديمة في يافا ، وذلك ببناء طريقين يفيدان المدينة بكاملها . وسنبدأ الخطوات الأولى الضرورية بهدم وإزالة بعض الأبنية المزدحمة وغير الصحية مستغلّين فرصة وجود فرق المهندسين الملكية الآن في فلسطين للبدء في هذه الأعمال " .

وكانت قد صدرت الأوامر للمقدم أوتيرسون - كيلسو بإجراء الاستطلاعات اللازمة ووضع خطة مناسبة بالتعاون مع حاكم اللواء الجنوبي كروسبي ومساعده مفتش الشرطة العام فولي . وقد قدّم في البداية اقتراحا يوصي فيه باستخدام قوات المشاة لاحتلال المدينة ومن ثم تنفيذ عملية النسف . ولكن الخوف من وقوع الخسائر الكثيرة في صفوف القوات البريطانية جعل تنفيذ هذه العملية أمرا مستبعدا . وفي النهاية قررت القيادة البريطانية تنفيذ الخطة التالية وقد قسّمت إلى أربع مراحل :

١) إطلاق نار كثيفة ومستمرة ضد مراكز الثوار حتى إسكات نيرانهم .

٢) فرض عمل إجباري على سكان المدينة لإزالة المتاريس والحواجز .

٣) نسف المناطق الشرقية والغربية من البلدة القديمة وشق طريق عبرها .

٤) نسف المناطق الشمالية والجنوبية من المدنية القديمة وشق طريق أخرى وسطها .

بدأ تنفيذ المرحلة الأولى بإطلاق نار كثيفة على أماكن القنّاصة العرب ومواقعهم من رشاشات الفيكرز ذات الكثافة النارية العالية والتأثير الفعال بالمقارنة بأسلحة الثوار البدائية . وقد استمرت تلك الاشتباكات ١٨ يوما متواصلة حتى اليوم الذي بدأ فيه العمل لتنفيذ المرحلة الثالثة في ١٩٣٦/٦/١٨ . وقد أدّى نجاح المرحلة الأولى إلى تنفيذ المرحلة الثانية ، فأمرت القوات البريطانية الوجهاء وأصحاب المحلات والسكان في المنطقة المعنية بعد تطويقها بإزالة مختلفة الحواجز والمتاريس في الشوارع وإعادة النظام إليها . واستيقظ سكان المدينة القديمة صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٦ على دقّ أجراس وأصوات منادين ومنشورات تلقيها طائرة تتضمن قرار الحكومة البدء بعملية (تجميل المدينة) . وهدّدت باستخدام القوة في حالة حدوث أي مقاومة لتنفيذ خطة الحكومة ، ووعدت بدفع تعويضات مناسبة لأصحاب المساكن المنسوفة أو المتضرّرة .

بدأت أولى خطوات العملية عند الساعة الرابعة من صباح يوم ١٩٣٦/٦/١٨ بعد قيام إحدى كتائب المشاة بتطويق المنطقة وتفتيش كل من يغادرها ، وقيام كتيبة أخرى بتأمين التغطية الضرورية لفرقة النسف ، في حين وُضعت سريتان من المشاة وسرية ثالثة مدرّعة في الاحتياط ، بالإضافة إلى البارجة الحربية « أكتيف » التي عهد إليها تأمين المنطقة المشرفة على البحر . وهكذا بدأت عملية النسف . وبحلول المساء تمّ شقّ طريق بعرض عشرة أمتار تمتدّ من مركز شرطة العجمي شرقا حتى دير اللاتين غربا .

أدّى نجاح المرحلة الثالثة من العملية إلى البدء في تنفيذ المرحلة الرابعة بعد فترة قصيرة . وقد صرح بيرز بأن سبب السرعة في تنفيذ المرحلة الأخيرة من العملية كان من أجل عدم ترك أي مجال للمحكمة العليا للفصل في عملية النسف بعد قيام العرب برفع شكوى إليها بهذا الشأن .

استؤنفت أعمال النسف لإنجاز المرحلة الرابعة يوم ١٩٣٦/٦/٢٩ ، وتم الانتهاء منها في اليوم التالي بعد تدمير بعض المناطق الواقعة شمالي المدينة وجنوبيها .

يتضح مما تقدم مدى التناقض في أهداف السلطات البريطانية المعلنة ونيّاتها الحقيقية في نسف المدينة القديمة . ويظهر مدى اعتدائها على السكان العرب وحقوقهم . وقد برز هذا واضحا في إعلانها عن سبب واه وغير مقنع لنسف المدينة القديمة مرتين خلال شهر واحد ، الأولى يوم ١٩٣٦/٦/١٨ والثانية يومي ٢٩ و١٩٣٦/٦/٣٠ . وقد نسف في المرة الأولى ٧٠ بيتا تسكنها ١٥٠ عائلة ، وفي المرة الثانية نحو ١٥٠ بيتا تسكنها نحو ٣٠٠ عائلة . وتمت إزالة حوالي ٨٥٠ « برّاكة » خشبية في مناطق أخرى في المدينة يسكنها نحو ٤,٠٠٠ شخص . هذا بالإضافة إلى هدم وتشقّق عدد كبير آخر من البيوت المجاورة . ويقدر عدد الذين أصبحوا بلا مأوى بعشرة آلاف نسمة . وقد تجاوز الضرر المدينة القديمة ، وأصاب كنيسة الخضر الموجودة في حي العجمي إذ تصدعت بتأثير النسف بالديناميت . وأصيب مسجد الشيخ رسلان وَدُمّر جزء من مئذنته وتناثرت الحجارة على كنيسة دير الروم مما سبّب خرابا كبيرا في سطحها وإتلافا لبعض المصابيح المعلّقة فيها . أما كنيسة دير اللاتين المعروفة بالقلعة فقد أثّر فيها الديناميت تأثيرا كبيراً وأتلف محتوياتها وشوّه منظرها الخارجي . ولم يزد التعويض الذي وعدت بريطانيا بتقديمه للمتضررين على عشرين مليما لكل فرد من أفراد العائلة دون القيام بعمل يذكر في سبيل إيواء هؤلاء المشردين .

وعلى الرغم من الهدوء النسبي في مدينة يافا وبعض المدن الأخرى إثر عملية النسف بدا واضحا للسلطة البريطانية أن العملية لم تحقق الهدف الإستراتيجي الذي نفذت من أجله ، وهو ترويع الثوار والسكان ووقف الإضراب . فبعد أقل من شهر على العملية ، وفي يوم ١٩٣٦/٧/٢٧ الذي صادف مرور مائة يوم على بدء الإضراب ، نُفّذت عمليات كثيرة غطّت معظم أنحاء البلاد . وقد كتب بيرز على أثرها لقيادته " إن القوات التي تعمل تحت قيادتي لم تعد قادرة على سحق التمرد بالسرعة المطلوبة ، ولذلك أطلب إرسال كتيبتي مشاة محمولتين على الأقل ليصبح كل لواء مشكلا من أربع كتائب بالإضافة إلى كتيبتي احتياط وفوج خيالة مفرزين للمهمات المحدودة ، وخاصة في مناطق الأردن وبير السبع " .

ويضيف بيرز قائلا : " لقد بات من الضروري حتى يعود الهدوء بسرعة إلى البلاد وضع فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة ألوية ، بما فيها القوات الموجودة أصلا في البلاد ويبلغ عددها ١٠,٣٨٩ ضابطا وجنديا ، بما فيها القوات الجوية ، تحت تصرف القائد العام . إضافة إلى السرب ٣٣ القاذف المتمركز أصلا في قاعدة الإسماعيلية بهدف تكثيف عمليات القصف " .

ل ـ معركة نور شمس : إحدى أهم معارك ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وتقع قرية نور شمس شرقي طولكرم على مبعدة ٣ كم منها ، وتشرف على طريق حيفا ـ تل أبيب التي كانت القوافل الصهيونية تسلكها محروسة بالقوات البريطانية .

حينما وقعت معركة نور شمس يوم ١٩٣٦/٦/٢١ كانت القوات البريطانية في فلسطين تتألف من ٦ كتائب من المشاة والمدرعات والمدفعية ، وسرب من الطائرات القاذفة ، وبعض قطع الأسطول في البحر المتوسط .

قاد المعركة عبد الرحيم الحاج محمد * . وقبل أن تبدأ قام القائد عبد الرحيم باستطلاع دقيق لساحة المعركة بعد أن وصلت إليه معلومات تفيد بقرب مرور قافلة صهيونية محروسة بقوة مسلحة بريطانية .

بدأت المعركة في الساعة ١٠,٠٠ من صباح ٦/٢١ واشترك فيها خمسون مناضلا عدا الذين تطوّعوا عند الاشتباك من القرى المجاورة . وقد تراوح تسليح القوة بين البنادق الحربية القديمة وبعض القنابل اليدوية . أما القوة المعادية فكانت تتألف من ست سيارات ركّاب يحرسها فصيل مشاة بريطاني محمول ومعزز بمصفحتين . وقدر عدد الصهيونيين والجنود البريطانيين بنحو ١٧٠ فردا عززوا عند الاشتباك بثلاث طائرات حربية استخدمت للمرة الأولى في مواجهة مباشرة ضد الثوار . وقدمت نجدة من القوات البريطانية المتمركزة في مدينة نابلس قدرت بفصيلين محمولين . وقد تمكّن الثوار من إشغال هذه النجدة ومنعها من الوصول إلى أرض المعركة بكمين نصب لها قرب دير شرف على معبدة ٢٠ م تقريبا من طولكرم .

تلخصت خطة القائد عبد الرحيم بتقسيم قواته إلى ثلاث مفارز مهمة المفرزة الأولى تغطية مقدمة القافلة وحصرها بالنيران من الأمام ، ومهمة المفرزة الثانية ضرب قلب القافلة بعد وقوعها في الفخّ ، أما المفرزة الثالثة فقد كان واجبها مؤخرة القافلة . واختار القائد مكانه في قلب المفرزة الثانية . وقد تمركز ثائران في نقطتين مخفيّتين وممّوهتين جيدا في مقدّمة الكمين على يمين الطريق ، وتمركز ثائر ثالث على يسار الطريق للمراقبة وإعطاء الإنذار بقدوم العدو وإطلاق النار عند دخول آخر سيارة للقافلة ضمن منطقة الكمين ، وفور اصطدام السيارة الأولى بمانع من الحجارة تمت تهيئته مسبقا على الطريق . استمرت المعركة نحو سبع ساعات لم يعترف البريطانيون بعدها بوقوع خسائر في قواتهم أو في الصهيونيين الذين كانوا يرافقونهم بل أعلنوا عن استشهاد ما بين ٢١ ـ ٢٥ ثائرا . أما المصادر العربية فقد أعلنت عن استشهاد ثلاثة من الثوار ومقتل ما يقارب خمسين جنديا من القوات البريطانية وتدمير ثلاث سيارات وإسقاط طائرة حربية .

ويبدو واضحا من سير المعركة أن القائد عبد الرحيم الحاج محمد قادها ونفّذها بجرأة ومرونة فائقة ، فقد اختار وقت تنفيذها نهارا مع علمه بأن خسائر قواته قد تكون أكثر وفرص النصر قد تكون أقلّ لأن القوافل الصهيونية كانت تتوقف ليلا وتحيط نفسها بالحراسة البريطانية المشدّدة .

إن صمود الثوار بأسلحتهم القديمة سبع ساعات متواصلة في وجه القوة البريطانية الكبيرة دليل قاطع على مدى الاستعداد للتضحية والتصميم على خوض النضال المسلح . ويبدو واضحا أن العملية قد أُعدّ لها إعدادا جيدا من حيث التخطيط وحشد القوة وتوزيعها وتحديد مكان الكمين في منطقة وعرة تساعد على إبقاء زمام المبادرة في أيدي قوة الكمين وتكسبه المرونة أثناء خوض المعركة وتمكّنه من إيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو .

م ـ معركة الجاعونة : تعرف بلدة الجاعونة * عند الصهيونيين باسم « روشبينا » ، وتقع على الطريق بين صفد وطبريه إلى الشرق من مدينة صفد ، وكانت تسكنها أكثرية يهودية . ولما بدأت فصائل ثورة عام ١٩٣٦ تعمل في منطقة صفد تعرّضت طريق صفد ـ طبرية لعدة هجمات من المجاهدين ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ ، فكانوا ينصبون الكمائن لسيارات الركاب الصهيونية التي تسير بين صفد وطبرية بحراسة المصفحات البريطانية ، فوقعت معركة جب يوسف ليلة ٢١/٢٢ حزيران وكان يقود المجاهدين فيها عبد الله الأصبح * من الجاعونة وعبد الله الشاعر من صفد .

قاد عبد الله الشاعر مجموعة من المجاهدين في كمين نصبه « لباص » صهيوني قادم من طبرية إلى صفد يوم ١٩٣٦/٨/١٢ . وكان موقع الكمين قبل الجاعونة بكيلومترين . وقد سدّ المجاهدون الطريق وكمنوا بين الصخور ، ولما وصلت السيارة الصهيونية تحت الحراسة البريطانية انهال المجاهدون عليها بالرصاص ، واستمر الاشتباك نحو ساعتين ، وأخذت قوة الحراسة تطلب النجدات .

أسفرت هذه المعركة عن مقتل ثمانية من الركاب الصهيونيين ، وقتل وجرح عدد من الحرس البريطاني . وتمكن المجاهدون من الانسحاب قبيل وصول النجدات البريطانية دون خسائر في صفوفهم ، وقد اتسمت هذه العملية بالمفاجأة والجرأة .

ن ـ معركة بلعة : معركة بلعة التي وقعت يوم ١٩٣٦/٩/٣ من أكبر معارك ثورة ١٩٣٦ . وتبعد قرية بلعة نحو ٧ كم عن مدينة طولكرم ، ونحو ١,٥ كم عن طريق نابلس ـ طولكرم .

بلغ عدد الثوار الذين اشتركوا في المعركة خمسين رجلاً مسلحين بالبنادق المتنوعة والرشاشات الخفيفة وبعض الألغام . وكانوا متطوعين قدموا من أنحاء فلسطين وسورية والعراق . وقد انتقوا موقع بلعة لارتفاعه وإشرافه على طريق نابلس ـ طولكرم حيث تمر القوافل الصهيونية بحماية القوات البريطانية . وقد نظّم القائد فوزي القاوقجي خط الدفاع الرئيس فوق المرتفعات المشرفة على الطريق العام على شكل أربع مفارز تتقاطع نيرانها فيما بينها فلا يستطيع العدو الدخول بين المفارز دون أن تناله نيرانها ، وأعدّ أيضا مفرزتين لتبنّا الألغام على الطريق وتكمنا على مقربة منه وتناوشا العدو ، ثم لتنسحب كل منهما باتجاه محدّد بغية شطر قوة العدو إلى قسمين واستدراجه إلى حيث يقع تحت النار المجدية لخط الدفاع الرئيس . وتم أيضاً تركيز عدد من المفارز الصغيرة من الرماة المهرة في أماكن ملائمة للدفاع الجوي لصدّ الطائرات إذا ما اشتركت في القتال .

وصلت قوة المجاهدين بصورة سرّية إلى نقطة التجمع في قرية بلعة ليلة ١٩٣٦/٩/٢ . وتم إبلاغ قادة المفارز التعليمات ، وعرف كل منهم مهمته . وفي صباح يوم ١٩٣٦/٩/٣ تمركز المجاهدون في مواقعهم المحدّدة .

ظهرت القافلة المعادية قادمة من اتجاه طولكرم ، وكانت مؤلفة من ٢٠ سيارة . وحينما وصلت إلى النقطة المعيّنة في الساعة ٨,٤٠ صباحا انفجرت الألغام وأطلق الكمينان النار على القافلة . وردّت القوة البريطانية بنيران الدبابات والرشاشات والمدافع الخفيفة . ولما ترك الكمينان موقعيهما حسب الخطة المرسومة تبعهما الجنود البريطانيون منشطرين إلى قسمين ، وسرعان ما وقعا تحت رحمة نيران خط الدفاع الرئيس فوجدت القوة البريطانية نفسها محاصرة لا تستطيع التقدم ولا الانسحاب ، فاستنجدت بالقيادة . ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت الطائرات وأخذت تنقض على مواقع المجاهدين الذين استطاعوا أن يسقطوا ثلاثا منها بأسلحتهم العادية . وتبع ظهور الطائرات تدفّق نجدات المدافع والدبابات والرشاشات على ساحة المعركة . وحاولت القوة البريطانية الالتفاف على مواقع المجاهدين ، ولكنها رُدّت على أعقابها .

وحوالي الساعة ١٤,٠٠ بلغت المعركة أقصى حدّتها ، إذ كثّف الإنكليز القصف بالمدرعات والمدافع الثقيلة والطائرات . واضطرت القيادة العربية إلى الأمر بالانسحاب إلى خط الدفاع الثاني على مرتفعات تساعد أكثر على الدفاع والمقاومة . وفي هذه الأثناء أخذ العدو ينسحب من المعركة أيضا تحت حماية نيران كثيفة وغزيرة أطلقتها طائراته وأسلحته المختلفة . وقد ظلت قوات العدو مرابطة حول ساحة المعركة حتى تمّ لها إخلاء الجرحى والقتلى ، ثم انسحبت بعد غروب الشمس . وهكذا استمرت المعركة حتى الساعة ١٥,٣٠ على جبهة طولها ١٢ كم قاتل فيها الثوار قتالا عنيفا وعنيدا . وقد نفدت ذخيرتهم في المرحلة الأخيرة من المعركة .

اعترفت القيادة البريطانية بمقتل ضابطين أحدهما طيار ،

وبجرح ثلاثة أحدهم إصابته خطيرة ، وبمقتل عريف وجرح اثنين آخرين ، واعترفت بسقوط طائرة وإصابة ثلاث أخرى بنيران البنادق ، وادّعت استشهاد « ١٤ من رجال العصابات » . أما الثوار فقد أعلنوا مقتل ٨٠ جنديا بريطانياً بينهم عدة ضباط ، عدا الجرحى ، وإصابة ثلاث طائرات وتعطيل رابعة ، والاستيلاء على رشاش طائرة من طراز « برن » .

كان من بين الشهداء محمود أبو يحيى من جبل العرب (سورية) ، وإليه يعود الفضل في صمود خط الدفاع الرئيس . وكان الشيخ سليمان الصاتوري ، وهو فلسطيني ، من أكثر المقاتلين شجاعة وحكمة . وقد استشهد فيما بعد في معركة كفرعبوش .

ويبدو واضحا من دراسة هذه المعركة مدى الدقة والتنظيم في خطة القتال وحسن تدريب المجاهدين . فقد تم تحديد أماكن تمركز المفارز بدقة فائقة لضمان إيقاع أكبر الخسائر في صفوف العدو والمحافظة على النفس . وأنجز الكمين الذي أوكلت إليه مهمة استدراج العدو إلى المواقع الأساسية مهمته طبقا للخطة الموضوعة بمهارة وجرأة .

ونجحت المفارز المخصصة للدفاع الجوي في تخفيف الضغط عن الثوار ، وحرمت العدو من الغطاء الجوي بعد إصابة عدد من طائراته ، مما أثّر في سير المعركة لصالح الثوار في البداية .

تلقّى الشعب العربي الفلسطيني أخبار هذه المعركة الظافرة بارتياح كبير ، وقويت الروح المعنوية لديه . في حين قررت الحكومة البريطانية بعد هذه المعركة اتخاذ إجراءات أكثر صرامة وشدة في التعامل مع « رجال العصابات » من أجل إعادة النظام ، ومنها إعلان حالة الطوارئ . هذا وقد تم تعيين الجنرال جون ديل بدلا من بيرز قائدا عاما للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الأردن يوم ١٩٣٦/٩/١٥ ، وأرسلت إلى فلسطين تعزيزات كثيرة من الجنود والمعدات .

س ـ معركة اليامون : تقع قرية اليامون * على بعد ٩ كم شمال شرقي جنين ، وكان يتولى قيادة منطقة نابلس ـ جنين عند حدوث المعركة يوم ١٩٣٨/٣/٣ الشيخ عطية أحمد عوض * أحد رجال ثورة الشيخ عز الدين القسام * .

أقدم الشيخ عطية ، في وقت سابق ، على رأس أربعة فصائل من الثوار ، على تطويق مدينة جنين من جميع جهاتها ، ونجح في الإغارة على مراكز الشرطة والجيش البريطاني فيها ، والاستيلاء على كل ما فيها من ذخيرة وبنادق . وقام فصيل من قواته بمهاجمة قوات الجيش المتمركزة في نابلس ، ونصب فصيل آخر كمينا للدوريات العسكرية على طريق نابلس ـ جنين . وعلى أثر هذه المعارك الناجحة للثوار أصدر البريغادير ايفتس قائد اللواء السادس عشر البريطاني أوامر لقواته بالتوجه إلى منطقة جنين وتمشيطها ، خاصة بعد شقّ الكثير من الطرق في الجبال لتسهيل حركة القوات .

توقع الشيخ عطية أن تقوم القوات البريطانية بعملية انتقامية كبيرة ضد قواته ، لذلك استعد لمعركة طويلة . فقام بالاستطلاعات الضرورية ، ودرس الموقف، ثم قرر احتلال مراكز مشرفة على نقاط التقرّب المحتملة ، ووزّع قواته بحيث احتل فريق من الثوار مواقع في رابا (قرية تقع على بعد ١٢ كم جنوبي شرق جنين) واحتل فريق آخر رؤوس الجبال من كفردان (قرية تقع على مبعدة ٨ كم غربي جنين) إلى اليامون .

بدأت المعركة عند الساعة العاشرة من صباح ١٩٣٨/٣/٣ بعد نجاح القوة البريطانية في فرض طوق حول مواقع الثوار ، واستمرّت حتى حلول الظلام عندما استطاع الثوار فتح ثغرة في الطوق ومن ثم الانسحاب . وقد اشترك في المعركة نحو ثلاثة آلاف جندي بريطاني ، بالإضافة إلى مفرزة من قوات الحدود الأردنية ، وتسع طائرات استدعيت بعد ١٥ دقيقة من بداية الاشتباك مقابل ٣٠٠ ثائر فلسطيني . وقد اعترفت القوات البريطانية بجرح ضابط ومقتل جندي وجرح آخرين وإصابة خمس طائرات إصابات طفيفة . وادّعت استشهاد ٦٠ ثائرا وأسر ١٦ آخرين . أما الثوار فقد أعلنوا من جانبهم استشهاد تسعة منهم كان أحدهم الشيخ عطية نفسه ، بالإضافة إلى أكثر من ثلاثين مناضلا من النجدات العربية التي التحقت بموقع المعركة من القرى المجاورة ، وأحصوا مقتل وجرح أكثر من ٧٠ بريطانياً . وقد حاولت القيادة البريطانية خلال هذه المعركة مفاجأة الثوار والقضاء على قيادة الثورة في المنطقة باستدراج أكبر عدد من المقاتلين والقوات المحلية . ولكن الثوار استطاعوا الصمود على جبهة طولها كيلومتران حيث قاتلوا قتالا عنيدا بأسلحة عتيقة واجهوا بها المدفعية الثقيلة والطائرات التي أدّت دورا فعالا في تلك المنطقة الجبلية الوعرة . ورغم ذلك اعترف البريطانيون بأن الثوار تمكنوا من الانسحاب بنجاح بعد قتال في ظروف غاية في الصعوبة والتعقيد، وفي مواقع لم تكن ملائمة لهم على الإطلاق . وقد أظهر الثوار ، رغم خسائرهم الكبيرة ، مقدرة كبيرة على خوض معركة دفاعية ناجحة نسبيا ، خطّط العدو لها وحشد من أجلها قوات كبيرة ، بعد أن أفقدوه عنصر المفاجأة . وأظهروا أيضاً براعة فائقة في حرية الحركة والتخلص من الطوق ، وبالتالي الحفاظ على قواتهم من أجل معارك قادمة .

ع ـ معركة بير السبع : بحلول شهر أيلول عام ١٩٣٨ امتدت الثورة إلى منطقة بير السبع جنوبا بعد أن اعتقد البريطانيون خطأ بأن المنطقة لن تساهم بقليل أو بكثير في الثورة لبعدها وقلة عدد السكان الصهيونيين فيها . ففي يوم ١٩٣٨/٩/٩ بدأ قائد منطقة الخليل عبد الحليم الجولاني (أبو زيدان) يعدّ خطة للهجوم على

مدينة بير السبع للاستيلاء على أسلحة الجيش والشرطة هناك لتسليح قواته ومؤيديه . وقد جهّز لتلك العملية ٦٠ مناضلا نقلتهم أربع سيارات شحن كبيرة بالإضافة إلى بعض الثوار من غزة . أما قوة البريطانيين فكانت خمسة أفراد شرطة وضابطا ، مع بعض أفراد الشرطة العرب .

تم تنفيذ خطة الهجوم عند ظهر اليوم المذكور فبعد تطويق المدينة من جهاتها الأربع تمكن فصيل القيادة من دخولها والاستيلاء على مخازن السلاح ، وفيها أكثر من ٦٠٠ قطعة سلاح . وبذلك استطاع الجولاني تسليح بعض أفراد الشعب والتفرغ للعمليات الحربية بصورة أكثر تنظيما .

وبعد إخلاء دائرة الشرطة قام الثوار بإحراقها . وكان من نتيجة المعركة مقتل ضابط الشرطة البريطاني وجرح عدد آخر من الشرطة ، والاستيلاء على بعض الوثائق الهامة . وقد انسحب الثوار في الصباح

إضراب ١٩٣٦

بعد إنجاز مهمتهم . وكانت هذه المعركة أول معركة كبيرة تقع في الجنوب . وقد نجحت بسبب ما توافر لها من مفاجأة وسرية وتفوّق عددي .

ف ـ معركة طبرية : وضع قائد المنطقة الشمالية (منطقة الجليل) أبو ابراهيم الكبير ومعاونوه خطة عسكرية للهجوم على مدينة طبرية . وقد حشد لهذه العملية التي قادها بنفسه ٣٠٠ ثائر . وتلخصت الخطة بتقسيم قوة الهجوم إلى خمس مجموعات تقوم الأولى بالهجوم على دار الحكومة والثانية بالهجوم على معسكر الجيش البريطاني المقابل لدار الحكومة وتتولّى المجموعة الثالثة احتلال الحي اليهودي الذي يقع في وسط المدينة للاستيلاء على الأسلحة في الحي ، في حين تتمركز المجموعتان الأخيرتان على طريق طبرية ـ سمخ ، وعلى طريق صفد ـ طبرية لمنع وصول النجدات .

بدأت العملية في الساعة العاشرة مساء من ليلة ١٩٣٨/١٠/٣ ، واستمرت خمس ساعات انسحب الثوار بعدها دون أن يصابوا بأذى خسارة بعد أن قتلوا ١٩ مستوطنا صهيونيا . وقد اعترضتهم أثناء الانسحاب قوة معادية من الفصائل المتحركة للجيش البريطاني على مقربة من حطّين * فوقعت معركة اشتركت فيها أيضا المفارز الخاصة البريطانية ، واستشهد فيها عدد من الثوار قبل أن يتمكن الآخرون من الإفلات من الطوق .

ص ـ معركة القدس : كان يتمركز في القدس أكثر من ثلاثمائة شرطي وكثير من الجنود حين قرر الثوار السيطرة عليها . فقد اجتمع قادة الثوار العاملون داخل القدس ، وعلى رأسهم قائد المنطقة عارف عبد الرازق * ، على أثر الاستفزازات الإنكليزية لمشاعر الأهلين باحتلال القوات البريطانية مخفر البراق في المدينة ، ووضعوا خطة للسيطرة عليها بعد تقدير الموقف بناء على المعلومات التي تم تجميعها نتيجة للاستطلاعات التي قام بها الثوار وأنصارهم من أفراد الشرطة العربية .

في صباح ١٩٣٨/٩/١٣ بدأ الثوار ينفذون الخطة ، فأعلنوا الإضراب العام داخل الأسوار ، وفرضوا منع التجوّل من أجل تسهيل تحرّكهم . وفي الساعة الثانية صباحا قامت جميع مفارز الثوار العاملة في القدس بالهجوم على مراكز الشرطة واحتلالها والاستيلاء على أسلحتها دون مقاومة تذكر ، وكان من بينها مخفر البراق الذي احتُل بعد قتل أربعة من الإنكليز .

تابعت المفارز تنفيذ الخطة المرسومة بإتقان ودقة وسرعة حتى أصبحت مدينة القدس بحلول منتصف شهر تشرين الأول ١٩٣٨ بيد القوات العربية . وحدثت أثناء سيطرة القوات العربية عدة اشتباكات متفرقة قتل فيها عدد من الإنكليز ، واستشهد أكثر من ٤٠ عربياً معظمهم من أفراد الشعب العزّل . وقد اعترف قائد منطقة القدس البريطاني الجنرال هايننغ في تقريره المؤرخ في ١٩٣٨/١٠/١٩ بهذه العملية قائلا : " أصبحت المدينة المقدسة بحلول السابع عشر من تشرين الأول ١٩٣٨ تحت السيطرة الفعلية للثوار " . واعترف مدير الشرطة العام شارلز تيجرت بأن الثوار قد أسّسوا خلال تلك المدّة محكمة خاصة بهم في منطقة الحرم . ولم تستطع الحكومة استعادة السيطرة على القدس إلا بعد أن قررت القوات العسكرية البريطانية تطويقها واحتلالها بفرقة المشاة السابعة التي لم تتمكّن من دخول المدينة إلا بعد استخدام عدد كبير من السكان المحليين كدرع بشري أمام القوات المهاجمة ، وبعد التهديد بضرب الأماكن المقدسة بالمدافع ، مما أجبر الثوار على الانسحاب .

المراجع :

ـ محمد عزة دروزة : القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، بيروت ١٩٥٩ .

ـ محمد حافظ يعقوب : نظرة جديدة إلى تاريخ القضية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٤٨) ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، وزارة الدفاع اللبنانية : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عبد القادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨ ، بيروت ١٩٧٥ .
ـ عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ عيسى السفري : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، يافا ١٩٣٧ .
ـ إحسان النمر : تاريخ جبل نابلس والبلقاء ، نابلس ١٩٧٢ .
ـ بيان نويهض الحوت(إعداد) وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨ ـ ١٩٣٩) من أوراق أكرم زعيتر ، بيروت ١٩٧٩ .
ـ صبحي ياسين : الثورة العربية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ، القاهرة ١٩٦٧ .
ـ صبحي ياسين : حرب العصابات في فلسطين ، القاهرة ١٩٦٧ .
ـ محمد الشاعر : الحرب الفدائية في فلسطين ، بيروت ١٩٦٧ .
ـ أكرم زعيتر : يوميات الحركة الفلسطينية ، ١٩٣٥ ـ ١٩٣٩ ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ خيرية قاسمية : فلسطين في مذكرات القاوقجي (١٩٣٦ ـ ١٩٤٨) بيروت ١٩٧٥ .
ـ صالح مسعود بو يصير : جهاد شعب خلال نصف قرن ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ محمود العابدي : صفد في التاريخ ، عمّان ١٩٧٧ .
— **Haining's Report,** 19. 10. 38. Co 733/ 379 / 75528 / 74 /38.
— Hayamson, A.M.: **Palestine under the Mandate,** London 1950.
— **Tegart Papers,** Box 2, File 4. DS. 126-2.
— **Wavell's Dispatch,** 7.4.38. Co 733/ 379 / 75528/ 74 /38.

الثورة الفلسطينية (صحافة ـ) :

ظهرت صحافة الثورة الفلسطينية بعد عقد من الزمن تقريبا من الحرب العربية ـ الإسرائيلية الأولى (رَ : حرب ١٩٤٨) . ويرجع هذا التأخير للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية غير المستقرة التي عاشها الشعب العربي الفلسطيني في المنفى . وأدّى ما عاناه الشعب العربي الفلسطيني في البلاد العربية المختلفة إلى ضعف الشخصية الفلسطينية وتهديدها بالضياع في الجو العربي المتخبط بعد فقدان جزء من الأراضي الفلسطينية وإنشاء (دولة إسرائيلية) .

ظهر أثر ضعف الشخصية الفلسطينية بعد حرب ١٩٤٨ * في الصحافة المتبقية في الضفة وقطاع غزة ، وفي الصحف العربية فقد كانت معالجات المشكلة الفلسطينية بين ١٩٤٨ و١٩٥٩ تنصبّ على النواحي الإنسانية للفلسطينيين كلاجئين ، ولم يكن ما يشير إلى الثورة الفلسطينية وصحافتها قبل الستينات ، وبشكل محدد في عام ١٩٥٩ الذي ولدت فيه منظمات المقاومة وانتشرت دعوتها لإبراز الشخصية الفلسطينية وتحديد دور خاص للشعب الفلسطيني في التحرير .

ساعد على خلق ونمو المقاومة الفلسطينية عوامل عدة أهمها تأثير الثورة الجزائرية في الجماهير العربية بشكل عام ، والجماهير الفلسطينية بشكل خاص . ونمو خطر (إسرائيل) المتمثل بشروعها بتحويل نهر الأردن (رَ : الأردن ، استثمار مياه نهر ـ وروافده) .

وبانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني * الأول في القدس * سنة ١٩٦٤ تم بولادة منظمة التحرير الفلسطينية * التي أصبحت الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني نشأت صحافة الثورة الفلسطينية ، وتطورت في مرحلتين من الزمن : الأولى قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، والثانية بعدها .

أ ـ المرحلة الأولى لصحافة الثورة (١٩٥٩ ـ ١٩٦٧) : تحكمت ظروف الشعب الفلسطيني الصعبة ومنظمات المقاومة بمولد صحافة الثورة ونشأتها . فقد افتقرت الصحافة إلى حرية التعبير عن وجهة نظر المنظمات السياسية والعقائدية ، وحرية توزيعها بين الجماهير الفلسطينية .

ولذلك اعتمدت التنظيمات الفلسطينية التي تبلورت في الستينات على المنشور السري ، والنشرة الداخلية الأسبوعية أو الشهرية ، ولم تتمكن الثورة من إصدار صحف يومية في هذه الفترة . كما افتقرت صحافة الثورة في هذه المرحلة إلى الموارد المادية والمقدرات الفنية . ولم تكن منتظمة الصدور ، لكنها تميزت منذ نشأتها بأنها صحافة ملتزمة اهتمت بقضايا الثورة ومعالجتها بالأسلوب التحليلي والتثقيفي ، وابتعدت عن الأسلوب الصحافي التجاري .

صدر عن منظمات الثورة في هذه المرحلة ست صحف ونشرات كان أولها « فلسطيننا * ـ نداء الحياة » عام ١٩٥٩ . وقد صدرت في بيروت شهرية شبه علنية ، وأشرفت على تحريرها حركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) قبل بدء الكفاح المسلح ، وعالجت بشكل رئيس ومكثّف موضوع الكيان الفلسطيني والشخصية الفلسطينية . وكان أسلوبها ثوريا يدعو إلى مقاومة وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى * ، ومقاومة مشروع همرشولد * الذي اعتبرته الحركة تصفويا ، وقرارات التقسيم الصادرة عام ١٩٤٧ (رَ : تقسيم فلسطين) . كما قدّمت للقارىء تجارب ثورية عالمية كالثورة الكوبية وحرب الأنصار السوفييتية .

وصدرت « فلسطين » جريدة نصف شهرية سنة ١٩٦٤ في بيروت في شكل ملحق لجريدة المحرر اللبنانية يشرف على تحريرها غسان كنفاني * . وكانت لسان حال القوميين العرب ، ويغلب عليها الطابع التثقيفي . وكانت « فلسطين» الأولى بين

الجرائد الفلسطينية التي بيعت ووزعت علنا وعلى أوسع نطاق جماهيري فلسطيني في البلدان العربية .

وصدرت « أخبار فلسطين » في غزة سنة ١٩٦٥ ، ودامت سنتين صحيفة سياسية أسبوعية تنطق باسم منظمة التحرير الفلسطينية . وقد دعت في أول صدورها للارتباط بالإستراتيجية العربية لتحرير فلسطين ، إلّا أنها عادت عام ١٩٦٦ وأكدت أهمية العمليات الفدائية في الأراضي المحتلة .

وصدرت « الوطن المحتل » سنة ١٩٦٥ عن منظمة التحرير الفلسطينية ، وصدرت « العاصفة » في ١٩٦٥/٥/١٥ عن حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ، وصدرت « جبل الزيتون » في القاهرة في تشرين الثاني سنة ١٩٦٥ عن الاتحاد العام لطلبة فلسطين * في القاهرة . ورغم عدم تبلور صحف هذه المرحلة كصحف ثورة بالمعنى الصحيح لعدم انتظامها واستقرارها فإنها مهّدت السبيل أمام صحافة الثورة التي تبلورت وتطورت فيما بعد في ظروف جديدة .

ب ـ المرحلة الثانية لصحافة الثورة (بعد ١٩٦٨) : كان لحرب ١٩٦٧ * تأثير مباشر في انطلاق الثورة الفلسطينية ، إذ دخلت منعطفا جديدا من تاريخها يتلاءم مع نمو حركة المقاومة الفلسطينية التي أكدت ضرورة إبراز الشخصية الفلسطينية ودور الشعب الفلسطيني في معركة التحرير .

فكما خرجت المقاومة الفلسطينية من نطاق العمل السرّي المحدود إلى العمل العلني الواسع بعد هزيمة حزيران انطلقت الصحافة ونمت .

تميزت صحافة الثورة في هذه المرحلة من سواها بنموها السريع وتعددها الذي أبرز وجهات نظر منظمات الثورة السياسية والعقائدية ، وتركزت موضوعات الصحافة على الكفاح المسلح وحرب التحرير الشعبية .

وصدرت أكثر صحف هذه المرحلة في الأردن بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٠ ، وذلك بحكم وجود حركة المقاومة هناك . إلّا أن أكثر هذه الصحف توقفت في الأردن بعد هذا التاريخ على أثر أحداث أيلول عام ١٩٧٠ .

وقد اضطرت بعض منظمات المقاومة حفاظا على بقائها وبالنظر للظروف الصعبة التي مرّت بها حركة المقاومة ، ولعدم انتظام صدور صحفها ، اضطرت إلى شراء أو استئجار امتيازات صحف لبنانية أصدرتها بأسمائها اللبنانية الأصلية .

صدر في هذه المرحلة ٦٣ نشرة وصحيفة بالعربية ، وست نشرات باللغات الأجنبية ، تعبّر كل منها عن وجهة نظر إحدى المنظمات وتوزع هذه الصحف بين :

١) صحف مركزية ، و٢) صحف غير مركزية ، و٣) صحف صادرة عن الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية ، و٤) مجلات متخصصة .

١) صحف الثورة المركزية : بلغ عدد صحف الثورة الصادرة عن جهات مركزية للمنظمات بين عامي ١٩٦٥ و١٩٧٥ زهاء ٢٩ صحيفة ونشرة علنية كان من بينها ثلاث صحف لبنانية ، وهي من بين أهم صحف هذه المرحلة جرى استئجارها أو شراء امتيازها ، وهي : الهدف * (١٩٦٩) والحرية * (١٩٥٩) ، وإلى الأمام (١٩٧٠) .

ولم تحظ هذه الصحف بالحرية الكاملة التي كانت لصحف المقاومة الأخرى ، وذلك لخضوعها لقانون المطبوعات اللبناني . كما أن الصحفيين والكتّاب الفلسطينيين في هذه الصحف لم تكن لهم الحقوق التي كانت للصحفيين اللبنانيين . ورغم ذلك استطاعت هذه الصحف خلال عامي ١٩٧٣ و١٩٧٤ أن تستقر وتصدر بانتظام بمستوى جيد من الإخراج الصحفي .

وإلى جانب ذلك أصدرت المنظمات الصحف التالية :

(١) جريدة فتح : سياسية يومية صدرت في ١٩٧٠/٦/١٥ ناطقة بلسان حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، ثم بلسان اللجنة المركزية لحركة المقاومة الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٠/٧/٣ .

(٢) مجلة فلسطين الثورة * : صدرت بدلا من جريدة « فتح » في ١٩٧٢/٦/٢٨ على أنها الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية .

(٣) صوت فلسطين * : سياسية عسكرية صدرت في ١٩٦٨/٦/١ ناطقة بلسان جيش التحرير الفلسطيني * وقوات التحرير الشعبية وفي آذار ١٩٧٢ أصبح اسمها المجلة العسكرية الفلسطينية ، ثم عادت وصدرت بالإسم القديم .

(٤) الثورة الفلسطينية * : مجلة سياسية صدرت في تشرين الثاني ١٩٦٧ وتوقفت عن الصدور في أواسط عام ١٩٧٢ .

(٥) الجماهير : نشرة يومية صدرت في عمان في ١٩٧٠/٧/٢٩ عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين * .

(٦) الشرارة : جريدة شهرية صدرت في عمان في حزيران عام ١٩٦٩ عن اللجنة المركزية للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين * .

(٧) الجبهة : مجلة سياسية شهرية صدرت في كانون الثاني سنة ١٩٦٩ عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة * .

(٨) الطلائع : مجلة سياسية أسبوعية صدرت عن الإعلام المركزي لطلائع حرب التحرير الشعبية * في ١٩٦٩/١٠/٣ .

(٩) الثائر العربي : صدرت في الأردن في ١٩٦٩/٨/٢ عن جبهة التحرير العربية * .

نشـرات وصحـف الثـورة الفلسطينية (١٩٥٩ ـ ١٩٧٥)

اسم النشرة الدورية	صاحب الامتيـاز	السنة	المدينة
أخبار فلسطين	زهيـر الريـس	١٩٦٥	غـزة
أصداء الثورة الفلسطينية	قـوات العاصفـة	١٩٦٩	دمشـق
إلـى الأمـام	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة	١٩٧٠	بيـروت
أنباء بلادنا المحتلة	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمـان
البـروليتـاري	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	إربـد
التحـريـر	منظمة التحـرير الفلسطينية	١٩٧٠	قطـر
التحريـر	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧١	بغـداد
التقـدم	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٢	دمشـق
الثـائر العـربي	جبهة التحرير العربيـة	١٩٦٩	عمـان
الثورة الفلسطينية	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتـح)	١٩٦٧	عمـان
الثـوري	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	عمـان
الثـوري	قـوات التحرير الشعبيـة	١٩٦٩	دمشق
جبـل الزيتـون	الاتحاد العام لطلبة فلسطين	١٩٦٥	القاهـرة
الجبهـة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	دمشـق
الجبهـة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة	١٩٦٩	
الجماهـير	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمـان
جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني	جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني	١٩٧٢	بيـروت
الجنـدي	جيش التحرير الفلسطيني	١٩٧٢	دمشق
الحـريـة	حركة القوميين العـرب	١٩٥٩	بيـروت
الحقيقـة	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٨	عمـان
حصـاد العاصفـة	حركة التحرير الوطني الفلسطيني	١٩٦٨	بيروت
الديمقراطيـة الشعبية	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	عمـان
الـراية القومية	الهيئة العاملة لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمـان
الشـرارة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	القاهرة
الشـرارة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمـان
الشـرارة	الجبهة الشعبية الثورية لتحرير فلسطين	١٩٧١	بيـروت
شؤون فلسطينيـة	مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧١	بيـروت
١٧ أيلـول	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة	١٩٧١	
الصاعقـة	طلائع حرب التحرير الشعبية	١٩٦٩	عمـان
صـدى الثـورة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
صـدى الثـورة	الاتحاد العام لطلبة فلسطين	١٩٧٤	بيـروت
صوت الجبهة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
صـوت الطلائع العمالية	طلائع حرب التحـرير الشعبية	١٩٧١	
صوت الفقـراء	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	
صـوت فلسطـين	جيش التحرير الفلسطيني	١٩٦٨	دمشق
الطالب الثـوري	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	بيروت

(١٠) الحقيقـة : صـدرت عن المنـظمـة الشعبيـة لتحـريـر فلسطين * في أواخر عام ١٩٦٨ .

(١١) النضـال : صـدرت عن جبهـة النضـال الشعبي الفلسطيني * في أيلول ١٩٦٧ .

اسم النشرة الدورية	صاحب الامتياز	السنة	المدينة
الطلائع	طلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة)	١٩٦٩	دمشق
الطلائع والجماهير	طلائع حرب التحرير الفلسطينية (الصاعقة)	١٩٧١	بيروت
فتح	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٦٩	
فتح	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٠	
فلسطين الثورة	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	بيروت
فلسطين ـ ملحق المحرر	حركة القوميين العرب	١٩٦٤	بيروت
فلسطيننا ـ نداء الحياة	توفيق حوري	١٩٥٩	بيروت
فلسطيننا	الاتحاد العام لعمال فلسطين	١٩٧٢	دمشق
فلسطيننا	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	تونس
الفلسطينية الثائرة	الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية	١٩٧٠	عمان
القاعدة	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة	١٩٧٣	
قضايا الجماهير	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	الزرقاء
قضيتنا	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٧٢	الكويت
القواعد الثورية	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني ١٩٧٣	١٩٧٣	
الكاتب الفلسطيني	الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين	١٩٧٨	بيروت
الكلمة المسؤولة	منظمة فلسطين العربية	١٩٧٠	
ما العمل	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٦٩	عمان
المسيرة	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٧٢	
المقاتل الثوري	منظمة فلسطين العربية	١٩٦٩	
المقاومة	اللجنة السياسية للثورة الفلسطينية في العراق	١٩٧٣	بغداد
المقاومة	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧١	
المناضل	المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين	١٩٧٠	عمان
نداء الأرض	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٧	الجزائر
نداء الثأر	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٧	الرباط
النسور	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)	١٩٧٣	بيروت
النضال	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٦٧	
نضال الشعب	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٣	
النضال الشعبي	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٦٩	
النضال الطلابي	جبهة النضال الشعبي الفلسطيني	١٩٧٢	بيروت
الهدف	غسان كنفاني	١٩٦٩	بيروت
الوطن	الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين	١٩٧٢	بيروت
الوطن المحتل	منظمة التحرير الفلسطينية	١٩٦٥	عمان
ALSAIQA	طلائع حرب التحرير الشعبية (بالإنكليزية)	١٩٧٣	
Arab Palestine Resistance	جيش التحرير الفلسطيني (بالإنكليزية)	١٩٦٨	
Bulletin	الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (بالإنكليزية)	١٩٧٣	
FATH	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (بالإنكليزية)	١٩٦٩	
FATH	حركة التحرير الوطني الفلسطيني (بالفرنسية)	١٩٧٠	
Palestine Revolution	منظمة التحرير الفلسطينية (بالإنكليزية)	١٩٧٣	

(١٢) المقاتل الثوري : صدرت عن منظمة فلسطين العربية * في أيلول سنة ١٩٦٩ .

(١٣) الراية القومية : صدرت عن الهيئة العاملة لتحرير فلسطين * خلال شهري آب وأيلول سنة ١٩٧٠ فقط .

٢) صحف ونشرات الثورة غير المركزية : أصدرت فروع المنظمات الفلسطينية في الأقطار العربية ٢٣ صحيفة ونشرة لتصل إلى الجماهير الفلسطينية الموجودة هناك . وكان طابعها إخباريا إعلاميا ، ولم تكن منتظمة الصدور ، إلاّ أنها كانت تثبت وجودها عندما تبرز أحداث مهمة في المنطقة .

وقد صدر أكثرها بين عامي ١٩٦٩ و١٩٧٠ ، فصدر عن منظمة التحرير الفلسطينية سبع نشرات هي « التحرير » في قطر وبغداد ، و« قضيتنا » في الكويت ، و« المقاومة » في العراق ، و« نداء الثأر » في الرباط ، و« نداء الأرض » في الجزائر ، « وفلسطيننا » في تونس . وأصدرت حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) « حصاد العاصفة » و« النسور » في لبنان ، و« فتح » في العراق .

وأصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ست نشرات من بينها « الجبهة » في سورية ، و« ما العمل » في الأردن ، و« الطالب الثوري » في لبنان . وأصدرت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ست نشرات غير مركزية من بينها « قضايا الجماهير » في الزرقاء بالأردن ، و« الثوري » و« الوطن » . وصدرت عدة نشرات أخرى عن المنظمات الأخرى لكنها ، كبقية صحف هذه الفترة ، لم تكن منتظمة الصدور .

٣) صحف الاتحادات النقابية والمهنية الفلسطينية : تبلور هذا النوع من الصحافة الثورية بين ١٩٦٧ و١٩٧٥ ، فقد أصدرت الاتحادات النقابية والمهنية المختلفة خمس نشرات تبسط وجهة نظر المقاومة ومبادىء الثورة . واهتمت هذه الصحف بالقضايا النقابية ، ودافعت عن حقوق الطبقة العاملة الفلسطينية ، بالإضافة إلى معالجة المواضيع السياسية العامة . ومن هذه الصحف : « الفلسطينية الثائرة » التي أصدرها في شباط ١٩٧٠ الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الأردن ، و« فلسطيننا » التي صدرت عن الاتحاد العام لعمال فلسطين * في دمشق في كانون الأول ١٩٧٢ ، و« صدى الثورة » وقد أصدرها في آذار ١٩٧٤ الاتحاد العام لطلبة فلسطين فرع لبنان ، و« جبل الزيتون » التي أصدرها الاتحاد العام لطلبة فلسطين في القاهرة سنة ١٩٦٥ ، و« جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني » ، وقد صدرت في بيروت في آذار ١٩٧٢ .

٤) المجلات المتخصصة : اهتمت بدراسة وتحليل القضية الفلسطينية بأسلوب علمي موثق . وأهم هذه المجلات « شؤون فلسطينية » * التي أصدرها في آذار ١٩٧١ مركز الأبحاث * الفلسطينية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهي مجلة شهرية امتازت بجدية أبحاثها واستكتبت الكثير من الكتاب والباحثين الفلسطينيين والعرب والأجانب المتعاطفين مع القضية الفلسطينية . و« الوطن المحتل » التي صدرت عن دائرة شؤون الوطن المحتل في منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٦٥ وتخصصت بدراسة أوضاع الفلسطينيين في الأراضي العربية المحتلة .

ومن هذه المجلات المتخصصة مجلة « الكاتب الفلسطيني * » . وقد أصدرها في بيروت عام ١٩٧٨ الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين * .

بسبب تعدد صحافة الثورة الفلسطينية ما زالت هذه الصحافة غير مستقرة بداعي الظروف الصعبة التي يعيشها الشعب العربي الفلسطيني في البلاد العربية أو تحت الاحتلال .

المراجع :

ـ غازي الخليلي : **صحافة المقاومة في عشر سنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥** ، شؤون فلسطينية ، العدد ٤٢/٤١ ، كانون الثاني/ شباط ١٩٧٥ ، بيروت .

ـ أبو ثائر : **صحافة فتح والثورة** ، شؤون فلسطينية ، العدد ١٧ ، كانون الثاني ١٩٧٣ ، بيروت .

ـ غسان كنفاني : **الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨** ، بيروت ١٩٦٨ .

الثورة الفلسطينية (مجلس ـ) :

رَ : منظمة التحرير الفلسطينية

الثـورة الفلسطينيـة (مجلة ـ) :

دورية فلسطينية شهرية صدرت بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٧١ عن المكتب الإعلامي لحركة التحرير الوطني الفلسطيني * (فتح) . وقد صدر العدد الأول منها في مطلع تشرين الثاني ١٩٦٧ .

في البداية كانت " الثورة الفلسطينية " مجرد نشرة إخبارية في ثمان وعشرين صفحة من القطع الكبير ، وتضمنت أصداء العمليات العسكرية لحركة المقاومة الفلسطينية في الصحف العربية والعالمية مع التركيز على العمليات التي يخوضها مقاتلو " فتح " ، إلى جانب كلمة العدد ، وركن " من منطلقاتنا الثورية " ، وبعض القصائد ، ولمحات من التاريخ الوطني الفلسطيني . على أن المجلة سرعان ما أفسحت في صفحاتها مكانا للدراسات والمقالات على حساب المادة الإخبارية .

صدر العدد الأخير من " الثورة الفلسطينية " ،وهو العدد رقم ٣١ ، في كانون الثاني ١٩٧١ ، وهو العدد الذي خصص للذكرى السادسة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، وقد توقفت النشرة بعده ، واكتفت حركة التحرير الوطني الفلسطيني بصحيفتها الأسبوعية " فتح " (رَ : الثورة الفلسطينية ، صحافة) .

www.
.com

ENCYCLOPÆDIA PALÆSTINA

MICROPÆDIA

(In Four Volumes)

Published by:
Encyclopædia Palæstina Corporation.

Chairman of The Executive Council : Ahmad Marashly
Editor-in-Chief : Abd al Hadi Hashim
Counselor : Anis Sayegh

Damascus (P.o. Box 8084)

طبعت الموسوعة في مطابع ميلانو ستامبا الايطالية